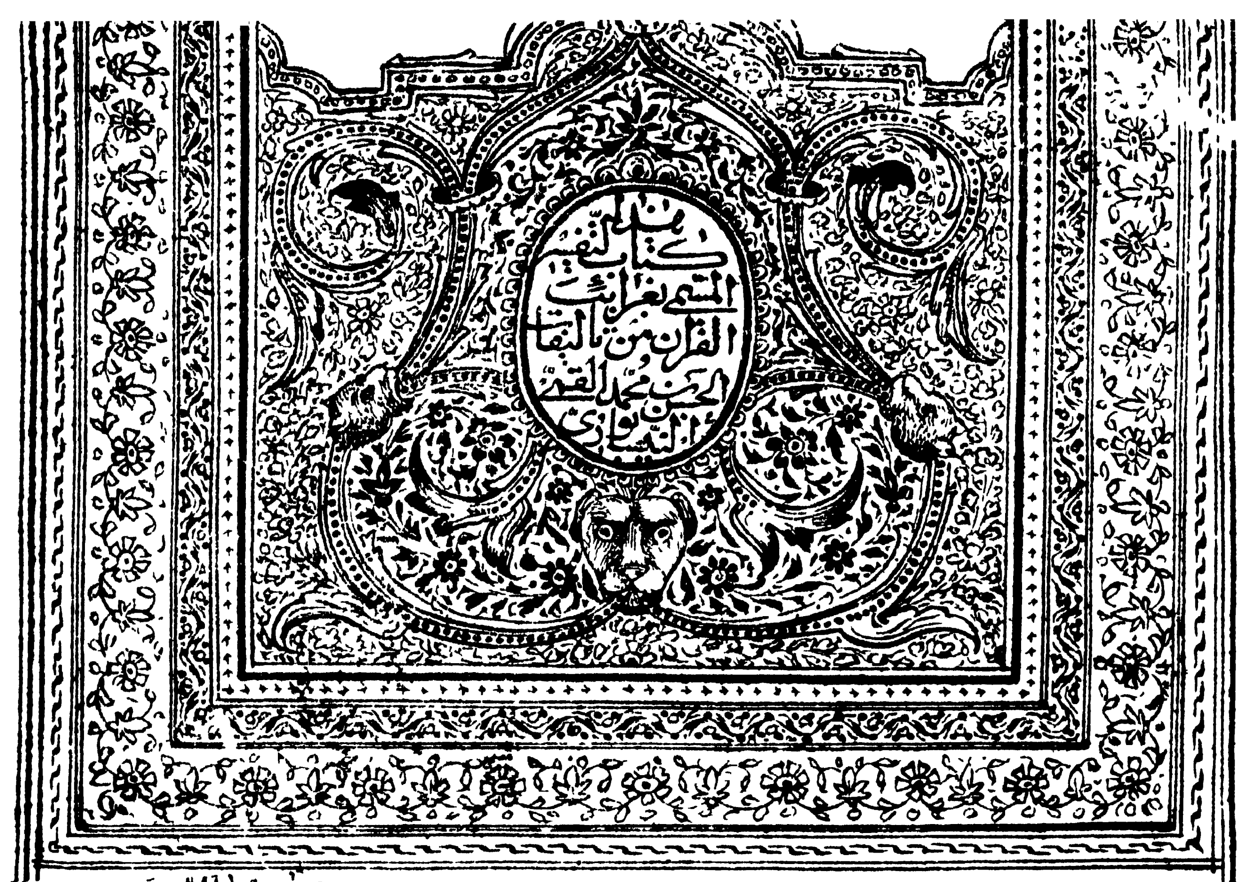


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا ممن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه وجبلني في نفس ابيه وهمه عليه لا تكاد تدنس الا بذكر حبه اعاف سفساف الامور واعاف الموبقات الموجبات للثبور وامیل عن خوف الدنيا وزبرجها واكبح النفس ان تحوم حول مخرجها ومولجها فهي النفس ما حملتها تتحمل ان ارسلت استرسلت وان قدعت تقدعت في الاولى والحمد لله السلف الشريف العيون الى الاماني الفادحة الفانية والاضاليل الملهية عن السعادات الباقية فاتت قلوبهم الى الكرامات الدائمات واشتاقت ارواحهم الى اللذات الحقيقيات وناهضت ضمائرهم في مبدأ عظمة الملك والملكوت وتلاشت سرائرهم في دوام ديمومية العزة والجبروت فخلصوا من الناسوت ووصلوا الى اللاهوت فنوا بشهوده وبقوا بوجوده ورضي كل منهم بعضا معبوده فتجلت لهم الذات واتحدت عندهم المختلفات فطابت لهم الغدوات واعتدلت لهم العشيات فلم تطمح اعينهم الا الى تحصيل ما يقرب الى الله زلفى وما جرت السنتهم الا بذكر الحق طوبى لهم وبشرى نسئلك اللهم ان تلحقنا باولئك وتوفقنا لشكر ما اسبغت علينا من عطائك ونعوذ بك ان نزل او نضل فيما اتى ونذر وان نركن الى الذين ظلموا فتمسنا النار يوم العرض الاكبر ثبت اقدامنا على الصدق ولا تقيضنا بفضلك ان ينطق في كلام سوى الحق واجعلني ممن لا ينظر الا اليك ولا يرغب فيما لديك بريئا من غيرها بقية علم مني وربيني من غير حق يوجب ذلك عليك فان افتخرت فيما انعمت علي وقد امرت واما بنعمة ربك فحدث وان استغفرت فيما اسرفت على نفسي وقد قلت ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فيا من لا يوجد في جوده مشوب غرض ولا علة شرفني في الآخرة بالعزة واحرسني في دنياي من الذلة ولا تؤاخذني بالنقصان الامكاني ولا تعاقبني بالنسيان الانساني حتى يكون لك الفضل في الآخرة والاولى ولك الثناء في المبدأ والمحمدة في العقبى دعوتك دعاء البائس الفقير المستعين وتضرعت اليك تضرع الذليل المهين المستكين الماثل بين يدي مولاه الآيس بالكلية عمن سواه فاسمع فانك سميع الدعاء واجب فانك قادر على ما تشاء والصلوة والسلام على عبيدك المخصوصين بتاييدك المنزهين عن الادناس الجسمية المطهرين عن الانجاس النفسية الفائزين باشرف مراتب الانس الواصلين الى اعلى مدارج الانس الصائرين في مراقي معارج القدس ولا سيما محمد الذي اشرق في سماء النبوة بدرا واشرف على بساط الرسالة صدرا سيد الثقلين وسند الخافقين امام المتقين ورسول رب العالمين الكائن نبيا وآدم بين الماء والطين المفتخر بجباه الاملاك المشرف بلولاك لما خلقت الافلاك وعلى آله مفاتيح الجنة واصحابه مصابيح الدجنة وسلم تسليما كثيرا وبعد فان المفتقر الى عفو ربه الكريم الحسن بن محمد القمي المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله احواله في اولاه واخراه يقول من المعلوم عند ذوي الافهام ان كلام الملوك ملوك الكلام وبقدر البون بين الواجب لذاته والممكن لذاته يوجد التفاوت بين كلام الله تعالى وكلام المخلوقات ولا سيما اذا وقع في معرض التحدي الذي يظهر النبي هناك من المتنبي وهذا شأن القرآن العظيم والفرقان الكريم الذي خرس شقاشق المناطيق فقهم بقضيضهم واوقر مسامع المصاقع فما بين اوجهم وحضيضهم حتى اختاروا المقارعة بالسيوف على المعارضة بالحروف والمقاتلة بالاسنة على المقاولة بالالسنة والمكالمة بالملاذم على المبارزة بالاقران على الاتيان باقصر سورة من القرآن قال الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وقال ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله دريج لهم الامر فاوقع التحدي على القرآن جملة ثم على سورة فاضطرهم التعجيز الى ايثار الاصعب على الاسهل فتبين ان الاسهل في النظر هو الاصعب في نفس الامر وذلك من ادل الدلائل على حقية المنزل وصدق

منزل عليه وكيف لا وفيه نبأ الاولين وخبر الاخرين وحكم ما بين الخلائق اجمعين قال عم في وصفه هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله
ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا يزيغ به الاهواء ولا يلتبس به الالسنة
ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا ينقضي عجائبه هو الذي لم ينته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا
به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم ولقد انتصب جم غفير وجمع كثير من الصحابة والتابعين الى الاخير
والفضلاء والمحققين والائمة المتقنين في كل عصر وحين للخوض في تيار بحاره والكشف عن استار اسراره والفحص عن غرائبه والاطلاع على رغائبه
نقلا وعقلا واخذا واجتهادا فتباينت مطامح هماتهم وتفاوتت سوابغ نياتهم وتشعبت مسالك اقدامهم وتشتت مقاطر اقلامهم فمن بين
وجيز واوجز ومطنب ملغز ومن مقتصر على حل الالفاظ ومن ملاحظ مع ذلك حظ المعاني والبيان فهم الحفاظ شكر الله تعالى مساعيهم وصان
عن ازراء القادح معاليهم ومنهم من اعرض عن التفسير واقبل على التاويل وهو عندي ركون الى الاضاليل وسكون على شفا جرف الا بالدليل الا من عصمه الله
وانه لقليل ومنهم من مزج البحرين وجمع بين الامرين فللراغب الطالب ان ياخذ العذب الفرات ويترك الملح الاجاج ويلتقط الدر الثمين ويسقط
السبخ والزجاج اذ وفقني الله تعالى لتحريك القلم في اكثر الفنون المنقولة والمعقولة كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين اهل الزمان وكان علم التفسير من
العلوم بمنزلة الانسان من العين والعين من الانسان وكان قد رزقني الله تعالى من ابان الصبى وعنفوان الشباب حفظ لفظ القران وفهم معنى
الفرقان وطالما طالبني بعض اجلة الاخوان واعزة الاخلاء الاعوان الاخذانهم كنت مشارا اليه عندهم بالبنان في البيان والله المنان يجازيهم
عن حسن ظنونهم ويوفقنا لاسعاف سؤلهم وانجاح مطلوبهم ان اجمع كتابا في علم التفسير مشتملا على المهمات مبنيا على ما وقع الينا من نقل
الاثبات واقوال الثقات من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين والمتاخرين جعل الله تعالى سعيهم
مشكورا وعملهم مبرورا استعنت بالمعبود وشرعت في المقصود معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي سائر الفنون لا كمن هو معجب بابنه وشعره مفتون
كيف وقد قال عز من قائل وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومن اصدق من الله قيلا وكفى بالله وليا وكفى بالله وكيلا ولما كان التفسير الكبير المنسوب
الى الامام الافضل والهمام الاكمل الحبر النحرير والبحر الغزير الجامع بين المعقول والمنقول الفائق في الفروع والاصول افضل المتاخرين فخر الملة والحق و
الدين محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي تغمده الله برضوانه واسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابق لمسماه وفيه من اللطائف والبحوث ما لا
يحصى ومن الزوائد والفنون ما لا يخفى فانه قد بذل مجهوده ونثل موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين واعوز تحصيله على الراغبين فحاذيت
سياق مرامه واوردت حاصل كلامه وتوثبت مسالك اقدامه وتلقطت عقود نظامه من غير اخلال بالشيء من الفوائد واهمال لما يعد من اللطائف
والعوائد وضممت اليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من اللطائف المهمات وما رزقني الله تعالى من البضاعة المزجاة واثبت القراءة
المعتبرة والوقوف المعللات ثم التفسير المشتمل على المباحث اللفظية والمعنوية مع اصلاح ما يجب صلاحه واتمام ما ينبغي تمامه من المسائل الموردة
في التفسير الكبير والاعتراضات فيه مع كل ما يوجد في الكشاف من المواضع المعضلات سوى الابيات المعقدات فان ذلك يورثها من ظن ان تصحيح
القراءات وغرائب القران انما يكون بالامثال والمستشهدات كلا فان القران حجة على غيره وليس غيره حجة عليه فلا علينا ان نقتصر في غرائب القران
على تفسيرها بالالفاظ المشتهرات وعلى ايراد بعض المجانسات التي تعرف منها اصول الاشتقاقات وذكرت طرفا من الاشارات المقنعات والتاويلات
الممكنات والحكايات المبكيات والمواعظ الرادعة عن المنهيات الباعثة على اداء الواجبات والتزمت ايراد لفظ القران الكريم اولا مع ترجمته على
وجه بديع وطريق منيع تشتمل على ابراز المقدرات واظهار المضمرات وتاويل المتشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات فان
هذا النوع من الترجمة مما تسكب فيه العبرات وتزل المترجمون هنالك الى العثرات وقلما يفطن له الناشي او يقف على متن اللغة العربية فضلا عن
الدخيل الرخيل القاصر في العلوم الادبية واجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل الرشاد ووضعت الجميع على طرف الثمام ليكون الكتاب كالبدر في
التمام وكالشمس في افادة الخاص والعام من غير تطويل يورث الملال ولا تقصير يوعر مسالك السالك ويبدد نظام الكلام فخير الكلام ما قل ودل
وحسبك من الزاد ما بلغك المحل والتكلان في الجميع على الرحمن المستعان والتوفيق مسؤول ممن بيده مفاتيح الفضل والاحسان وخزائن البر والامتنان
وهذا اوان الشروع في تفسير القران ولنقدم امام ذلك مقدمات المقدمة الاولى في فضل القراءة والقاري وآداب القراءة وجواز اختلاف
القراءات وذكر القراء المشهورين المعتبرين عن علي بن ابي طالب امير المؤمنين عم قال قال رسول الله صلعم من قرا القران فاستظهره واحل حلاله
وحرم حرامه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار وعنه عم ان النبي قال خيركم من تعلم القران وعلمه وعن ابن عباس
قال قال رجل يا رسول الله صلعم اي الاعمال احب الى الله قال الحال المرتحل قال يضرب من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل وفي الصحيحين عن عائشة
قالت قال رسول الله صلعم الماهر في القران مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا القران ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران وعن ابي هريرة ان رسول
قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تبارك وتعالى يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة و
حفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهل بن معاذ الجهني ان رسول الله صلعم قال من قرا القران وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه
احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا وفي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلعم قال انما مثل صاحب القران

المقدمة الاولى

مثل الابل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت وفيهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقران
وعن عبد الله عمرو بن العاص ان رسول الله قال يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند اخر اية تقراها وفي الصحاح
كليهما عن عمر بن الخطاب قال سمعت هشام بن الحكم بن حزام يقرا سورة الفرقان في حيوة رسول الله فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرا على حروف كثيرة لم يقرئنيها
رسول الله فكدت اساوره في الصلوة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقراها ثم قال اقرانيها
رسول الله صلعم فقلت كذبت فان رسول الله صلعم اقرانيها على غير ما قرات فانطلقت به اقوده الى رسول الله فقلت يا رسول الله صلعم اني سمعت هذا
يقرا سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ارسله اقراها يا هشام فقرا عليه القراءة التي سمعته يقرء فقال رسول الله صلعم هكذا انزلت
ثم قال النبي صلعم اقرء يا عمر فقرات القراءة التي اقراني فقال رسول الله هكذا انزلت ان القران انزل على سبعة احرف فاقرءوا ما تيسر منه اذا تقرر ذلك فنحن
نذكر في الكتاب من القراءات السبع المنسوبة الى القراء السبعة والاربع المنسوبة الى الائمة المختارين ونرى ان نفصل ههنا اساميهم واسانيدهم
ليتبين ما ننسب في اثناء التفسير الى كل منهم وبالله ولي التوفيق ذكر القراء السبعة وتسمية نقلتهم من الرواة وطرقهم من الثقات ابو عمرو زبان بن العلاء
البصري روى عن مجاهد بن جبير وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلعم ومات سنة اربع وخمسين ومائة وراوية ثلثة ابو محمد يحيى
بن المبارك اليزيدي روى عنه ابو عمر وحفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري طريق ابي الزعراء عبد الرحمن ابن عبدوس وابو الفتح عامر بن صالح الكوفي
المعروف باوقيه وطريق ابي قبيصة حاتم بن اسحق الموصلي وابي شعيب صالح بن زياد السوسي طريق ابي الحرث محمد بن احمد الرقي وابو اسحق ابراهيم بن حماد
طريق ابي عيسى موسى بن عبد الله الهاشمي ره ابو نعيم شجاع بن ابي نصر الخراساني روى عنه ابو جعفر محمد بن غالب طريق ابي علي الحسين بن الحسين
الصواف ره عباس بن فضل الانصاري روى عنه ابو عمر ومحمد بن عمر بن روح طريق ابي اسحق ابراهيم بن كعب الموصلي وطريق شنبان بن خليفة و
هو الاصح واوقيه طريق اسحق ابنه عن اوقيه ره ابن كثير هو ابو محمد عبد الله بن كثير المكي روى عن مجاهد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن
كعب عن رسول الله وتوفي سنة عشرين ومائة وراوية بعده ابو الحسن احمد محمد بن عبد الله بن القسم بن نافع بن ابي بزة البزي وبينه وبين ابن
كثير رجال لانه روى عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير وروى عن البزي ابو ربيعة
محمد بن اسحق بن اعين الربعي طريق الزينبي وهو الهاشمي وطريق ابي بكر احمد بن محمد الطرسوسي وطريق ابي القاسم الزيدي وطريق ابي الحسن علي بن الزائد
القرائي وطريق ابي بكر محمد بن عيسى بن سند الحصاص وابو علي الحسين ابن محمد الحداد طريق الهاشمي عن البزي ره عبد الله بن فليح عن رجاله
عن ابن كثير ورجاله محمد بن سعون وداود بن شبل عن اسمعيل عن عبد الله عن ابن كثير وروى عن ابن فليح ابو علي الحداد طريق النقاش وطريق الهاشمي
وطريق الخزاعي وطريق ابن شنبوذ ره ابو الحسن محمد بن عون القواس وبينه وبين ابن كثير ايضا رجال لانه روى عن ابي الاخريط وهب بن واضح
عن اسمعيل بن عبد الله ومعروف بن مشكان وشبل بن عباد عن ابن كثير وروى عن القواس قنبل طريق الزينبي طريق ابي ربيعة طريق ابي
نجاح طريق ابي عون القاضي طريق ابن شنبوذ طريق ابي القسم الزيدي نافع ابن نعيم المدني قرا على ابي جعفر القاري وعلى سبعين من
التابعين على ابن عباس وابي هريرة على ابي بن كعب على النبي صلعم وتوفي سنة تسع وستين ومائة وراوية ثلثة ره معتمر بن صالح عن ابن كثير طريق
عبد الله بن سعود وطريق شعيب بن مرة اسمعيل بن جعفر بن كثير الانصاري روى عنه ابو الزعراء وابو بكر بن الحسين علي بن بشار النحوي وابو
جعفر احمد بن فرج الضرير ره ورش اسمه عثمان بن سعيد المصري روى عنه محمد بن عبد الرحيم الاصفهاني طريق ابي الحسن محمد بن احمد المروزي ره
قالون واسمه عيسى بن مينا النحوي روى عنه ابو علي الحسن بن عباس الرازي طريق ابي بكر احمد بن حماد المقري وابو ابراهيم مصعب بن ابراهيم
الزبيري طريق ابي بكر محمد بن عبد الله بن فليح وابو نشيط محمد بن هرون المروزي طريق ابي حسان محمد بن احمد بن الاشعث الجيزي وطريق ابي القسم
هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم وابو عبد الله محمد بن اسحق البخاري طريق ابي الاسد احمد بن ابراهيم الفقير وطريق ابي بكر محمد بن محمد بن مرثد
التميمي وابو الحسن احمد بن يزيد الحلواني طريق حسن بن العباس الرازي وطريق ابي عون القاضي عبد الله عامر اليحصبي الشامي قرا على المغيرة بن
شهاب المخزومي على عثمان بن عفان ره على رسول الله صلعم وتوفي ره سنة ثمان عشرة ومائة وله راويان روى عنه عن رجاله ره ابو محمد عبد الله بن
احمد بن بشير بن ذكوان الدمشقي ورجاله ايوب بن تميم عن يحيى بن الحرث عن ابي عامر روى عنه احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد طريق الحسن بن عبد الله
المقري وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي المفسر طريق الحسن بن عبد الله ايضا وابو الحسن محمد بن النصر بن مر بن الحر الربعي المعروف بابن الاخرم
عن الاخفش عن ابي ذكوان هشام بن عامر عن رجاله عن ابن عامر ورجاله ايوب بن تميم وسويد بن عبد العزيز عن يحيى بن الحرث روى عنه
البخاري عن الحلواني عن هشام عن طريق احمد بن الحسين بن مهران وابو الحسين احمد بن يزيد الحلواني الصفا طريق ابي الحسن علي بن حماد
الازرق وابو اسحق بن ابراهيم بن يونس الرازي عاصم بهدلة بن الاسكل قرا عاصم على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله
وقرا ايضا على عبد الرحمن السلمي معلم الحسن والحسين على علي ره على رسول الله صلعم وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائة وراوية بعده ابو عمر وحفص
بن سليمان بن المغيرة البزاز الاسدي وكان ربيب عاصم روى عنه ابو محمد هبيرة بن محمد التمار طريق الحسن بن الهيثم وطريق احمد بن علي الخزاز
وابو حفص عمرو بن الصباح طريق عبد الصمد بن محمد ابو بكر شعبة بن عياش روى عنه عبد الحميد بن صالح البرجمي طريق جعفر بن غالب الشكري

الطواسيعي كر

احمد بن حم

العمري

المصيصي وابو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد الاعشى وله روايتان روى عنه محمد بن غالب محمد بن حبيب الشموني حماد بن ابي زياد طريق يحيى بن
محمد العليمي الانصاري ثم المفضل الضبي روى عنه جبلة بن مالك البصري طريق ابي زيد عمر بن شبة ابو زيد سعيد بن اوس الانصاري طريق محمد بن يحيى
القطيعي وحمزة بن حبيب الزيات العجلي قرأ على سليمان بن مهران الاعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على علي بن ابي طالب وعثمان وابن مسعود على
النبي توفي سنة ست وخمسين ومائة ورواته اربعة ابو اسحق ابرهيم بن زربي طريق ابي المستنير جابر بن عيسى بن سماء الجوهري عبد الرحمن قلوقاء طريق
ابي المستنير ايضا ابو محمد عبد الله بن صالح العجلي طريق ابي اسحق حمدان الطيب بن اسمعيل وطريق ابي اسحق ابرهيم بن نصر بن عبد العزيز المقرى ثم روى نصير بن عبد الله
الماهي وهو الاصح سليم بن عيسى الحنفي روى عنه خلاد بن خالد الصيرفي طريق محمد بن شاذان الجوهري وطريق القسم بن يزيد الوزان وابو محمد خلف بن
هشام بن البزاز طريق ابي الحسين ادريس بن عبد الكريم الحداد وابو جعفر محمد بن سعدان النحوي طريق محمد بن سليمان طريق ابي واصل احمد بن واصل
وابو عمر الدوري طريق ابي الزعراء علي بن حمزة الكسائي قرأ على حمزة بن حبيب على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن مسعود على النبي ثم
توفي سنة تسع وثمانين ومائة وله ستة رواة ابو عبد الرحمن قتيبة بن مهران الازاذاني روى عنه ابو الفرج محمد بن ابرهيم المقرى طريق ابي الفضل العباس بن
الوليد بن مرداس وابو بكر احمد بن الحسين بن مهران طريق حمدان ابو المنذر نصير بن يوسف النحوي روى عنه محمد بن ادريس الاشعري المعروف بالاندلسي
طريق ابي علي الحسين بن علي بن حماد الازرق المعروف بالازرق وابو عبد الله محمد بن عيسى الاصفهاني طريق ابي علي الحسن بن العباس الرازي والي ابو جعفر احمد بن محمد بن رستم الطبري
طريق بكار بن احمد المقري ابو جعفر علي بن ابي نصر النحوي طريق الازرق المذكور وابو الحارث الليث بن خالد طريق ابي عبد الله محمد بن يحيى الكسائي ثم حمدون
ابن ميمون الزجاج طريق ابي العباس احمد بن يعقوب التائب ابو حمدون الطيب بن اسمعيل طريق ابي علي الحسن بن الحسين الصواف ابو عمر حفص بن عمر
بن عبد العزيز الدوري روى عنه ابو بكر الحسن بن علي بن بشار النحوي طريق ابي الفرج محمد بن احمد بن ابرهيم وابو الزعراء طريق ابي بكر بن مجاهد وابو الحسن علي
سليم طريق ابي القسم هبة الله بن جعفر وطريق ابرهيم بن احمد الخرقي وابو جعفر احمد بن فرج الضرير طريق ابي بكر النقاش الموصلي ذكر الائمة المختارين وتتمة
رواتهم ابو جعفر يزيد بن القعقاع القاري المدني وقار موضع من المدينة وروايته اثنان ابو موسى عيسى بن وردان الحذاء طريق قالون عيسى بن مينا النحوي
ابو سليم سليمان بن مسلم الجماز الزهري طريق ابي عبد الرحمن قتيبة بن مهران ابو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمي توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وقرأ على ابي
المنذر سلام بن سليمان الطويل على عاصم ابي بكر عمرو ورواته ثلثة روح بن عبد المؤمن طريق احمد بن يحيى المعدل ابو بكر محمد بن المتوكل اللؤلؤي الملقب
برويس طريق ابي بكر محمد بن هرون وطريق ابي الحسن حمد محمد بن يعقوب بن مقسم ابو محمد زيد بن احمد بن اسحق طريق المعدل ايضا وطريق محمد بن هرون
ابو محمد خلف بن هشام بن طالب بن غراب البزاز طريق ابي الحسن ادريس بن عبد الكريم ونقله ابو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم العطار وقرأ خلف على سليم على حمزة
ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني طريق ابي علي الحسن بن تميم وطريق ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد وطريق مسيح بن حاتم وقرأ سهل على يعقوب وايوب بن المتوكل
فهذا هو المعول عليه من علم القرآن واما الشواذ فلا نتعرض منها الا لما فيه نكتة او غرابة وذلك في اثناء التفسير لا في خلال القراءات والله اعلم بالصواب المقدمة الثانية

الاستعاذة المندوب اليها في قوله عز من قائل فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ قراها ابو عمرو ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وعاصم غير
هبيرة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وقراها ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وعلي الكسائي وخلف اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
ان الله هو السميع العليم وقد يروى عن حمزة استعيذ بالله ونستعيذ بالله مخيرا وقرأ سهل اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله
الرحمن الرحيم ومنشأ هذه الاختلافات انه قد جاء في سورة النحل فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ الآية وفي حم السجدة فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وروى جبير بن
مطعم ان النبي حين افتتح الصلوة قال الله اكبر كبيرا ثلث مرات والحمد لله كثيرا ثلث مرات وسبحان الله بكرة واصيلا ثلث مرات ثم قال اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وروى البيهقي في كتاب السنن عن ابي سعيد الخدري انه قال كان رسول الله صلعم اذا قام من الليل كبر ثلثا وقال اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم وروى الضحاك عن ابن عباس ان اول ما نزل جبرئيل على محمد صلعم قال قل يا محمد استعيذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال قل

السميع العليم

بسم الله الرحمن الرحيم اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ثم في المقدمة مسائل الاولى الاكثرون على ان وقت الاستعاذة قبل القراءة اذ المراد من قوله فاذا
قرأت اذا اردت قراءة القرآن كما في قوله تعالى إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا المراد اذا اردتم القيام الى الصلوة والاخبار المذكورة ايضا تؤيد ذلك وعن النخعي
ويحكى عن حمزة وابن سيرين ايضا ان وقتها بعد القراءة نظرا الى ظاهر اللفظ لانه قد يدخل المرء اعجاب بسبب القراءة حيث انها طاعة موجبة للثواب
فيناسب ان يستعيذ من ذلك الثانية الاكثرون على ان الاستعاذة مندوبة لان النبي لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلوة ونوقض بان الخبر غير
مشتمل على بيان جملة واجبات الصلوة فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها وعن عطاء ان الاستعاذة واجبة في كل قراءة في الصلوة وغيرها
لان النبي واظب عليها وقال تعالى فَاتَّبِعُوهُ ولان الامر في فاستعذ للوجوب وانما تجب عند كل قراءة لانه قال فاذا قرأت فاستعذ وذكر الحكم عقيب الوصف
المناسب يدل على التعليل والحكم يتكرر بتكرر العلة ولان الاستعاذة لدفع شر الشيطان ودفعه واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وعن ابن سيرين وجوبها
في العمر مرة واحدة وعن مالك انه لا يتعوذ في المكتوبة الا في قيام رمضان ثم المستحب فيها الاسرار في الصلوة وان كانت جهرية الحاقا لها بما قبلها من الذكر
وهو دعاء الاستفتاح ولان الجهر كيفية وجودية والاخفاء عبارة عن عدم تلك الكيفية والاصل هو العدم وانما تستحب في كل ركعة لما مر من ان الحكم
يتكرر بتكرر العلة ولكنها اكد في الاولى ثم اعلم ان الكلام في معنى قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق بخمسة اركان الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ



بهو المستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة فهنا ابحاث البحث الاول معنى العوذ الالتجاء او الالتصاق قال الجوهري المطيب اللحم عوذة وهو ما التصق منه
بالعظم اى التجئ الى رحمة الله او التصق بفضله ولو اتى بالباء للالصاق كان من في من الشيطان للابتداء لانه ابتداء بالتبري من الشيطان والتصق
برحمة الله تعالى واعانته والاستعاذة لا تتم الا بان يعلم العبد كونه عاجزا عن جلب المنافع الدينية والدنيوية وعن دفع المضار العاجلة والآجلة وان الله تعالى
قادر على ايصال المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لاحد سواه تعالى ويتولد عن هذا العلم في القلب حالة هي انكسار وخضوع ويحصل منها في القلب
ان يصير العبد مريدا لان يصونه الله تعالى عن الآفات ويفيض عليه الخيرات ثم يصير بلسانه طالبا لذلك فيقول اعوذ بالله فالركن الاعظم في الاستعاذة
هو ان يعلم العبد ان الله تعالى عالم بكل المعلومات والا جاز ان لا يعلم حاله فيقع الاستعاذة عبثا وان يعلم انه قادر على جميع الممكنات والا فربما كان عاجزا
عن تحصيل مراد العبد وان يعلم انه جواد مطلق والا جاز ان يبخل بمقصوده وان يعلم انه لا يقدر احد سوى الله على تحصيل مرامه والا لم يكن صادق الرغبة في
الاستعاذة والحاصل ان العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة العبودية لم يصح منه الاستعاذة ومما يدل على ذلة الانسان وعجزه ان بعض الاكياس
ربما يبقى في شبهة واحدة طول عمره ولا ينكشف له الى ان يجيء بعده من يحلها ولهذا وقع الاختلاف في الاديان والمذاهب ولولا اعانة الله تعالى وارشاده
لم يتخلص سفينة فكره من امواج الضلالات وايضا كل احد يريد ان يحصل له الدين الحق ولا يرضى لنفسه الجهل والكفر وكم من ضال مبتلى في الدنيا فلا
خلاص من ظلمات الشبهات الا باعانة رب الارض والسموات ولا يقع الحد الاوسط للطالب في الذهن الا بهداية من بيده مفاتيح الخيرات وايضا البدن
يشبه الجحيم وعليها تسعة عشر من الزبانية وهي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والقوى الطبيعية السبع والشهوة والغضب ثم لكل منها عرضا
بحسب التشخص والعدد ويحصل من كل منها آثار في القلب بحر من امواج عالم الروحانيات الى حضيض الجسمانيات فلا خلاص للقلب عن هذه الظلمات الا بنور
الله تعالى وايضا كما انه لا نهاية لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات الحسيات والخياليات وكما انه لا يمكن تحصيل الكمالات التي لا نهاية لها فكذلك
لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات فيجب الرجوع الى واهب السعادات الحقيقيات وفي بعض الكتب الالهية قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاقطعن امل
من يؤمل غيري باليأس ولالبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي
وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ثم الكلام في صحة الاستعاذة كالكلام في سائر الادعية
والعبادات التي جعلها الله تعالى سببا وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والآجلة للعبد وذلك انه تعالى فعال لما يريد خالق لما يشاء لا اعتراض لاحد من خلقه عليه
وعلى افعاله وعلى النظام الذي اخترعه الكل منه وبه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه واذا امرك بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع
الوساوس والهواجس كما انه جعل الاكل والشرب سببا لدفع الجوع والعطش فانك تاكل وتشرب ولا تقول ما الفائدة في الاكل والشرب ان كان الاشباع
والارواء من الله تعالى وان كان بقدرة الله تعالى وبهذا التحقيق يسقط الاعتراضات المشهورة للجبرية والمعتزلة لانها تحوم حول ما اشرنا اليه ولا
ينبئك على سر الاستعاذة مثل قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
البحث الثاني المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق مفتقر الى الاستعاذة ولهذا قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم فاعطي
السلام والبركات في قوله يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وقال يوسف معاذ الله انه ربي احسن مثواي فصرف عنه السوء والفحشاء وقال موسى
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فاغرق الله تعالى عدوه واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وقالت امرأة عمران اني اعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وقد امر نبينا صلى الله عليه وسلم وقال تعالى قل اعوذ برب الناس ومن شر النفاثات
في العقد كفى شر الوسواس الخناس البحث الثالث المستعاذ به هو الله وكلمات الله كما جاء في الاخبار اعوذ بكلمات الله التامة اما البحث عن اسم
الله فيجيء في تفسير البسملة واما كلمات الله فالمراد بها المبدعات الصادرة عنه تعالى بكلمة كن من غير مادة ومدة وكان الارواح البشرية تستعيذ وتستعين
بالارواح العلوية المقدسة في دفع شرور الارواح الخبيثة ولهذا يحسن الاستعاذة بالكلمات اذا كان قد بقي في نظره التفات الى ما سوى الله تعالى
واما اذا تغلغل في بحر التوحيد لم يستعذ الا بالله ومن الله كما قال واعوذ بك منك ثم اذا فني عن نفسه وفني ايضا عن فنائه نفسه قال انت كما اثنيت على نفسك
البحث الرابع المستعاذ منه الشيطان وما لاجله الاستعاذة دفع شره فنقول اما اشتقاقه فمن شطن ويقال شطن الدار اي بعدت والشيطان بعيد
عن السداد والرشاد وقد سمي كل متمرد من انس او دابة شيطانا قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس وركب عمر برذونا فطفق
يتبختر فجعل يضربه ولا يزداد الا تبخترا فنزل عنه فقال ما حملتموني الا على شيطان هذا احد قولي سيبويه وعلى هذا فنونه اصلية ووزنه فيعال وقد جعل
سيبويه في موضع آخر النون زائدة وجعله فعلان من شاط يشيط اذا بطل ولما كان كل متمرد كالباطل في نفسه لانه مبطل لوجوه مصالح نفسه سمي شيطانا
والرجيم معناه المرجوم كاللعين بمعنى الملعون ومعنى المرجوم اما الملعون من قبل الله تعالى واما انه تعالى امر الملائكة برمي الشيطان بالشهب الثواقب ثم
وصف بذلك كل شرير متمرد واما من ضم الى الاستعاذة قوله ان الله هو السميع العليم فوجه ذلك بعد الاقتداء بما ورد في القرآن ان العبد كانه يقول
يا من يسمع كل مسموع ويعلم كل خفي انت تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه فيها وانت القادر على دفعها عني فادفعها عني بفضلك ثم للتكلم في الجن
والشياطين فنقول من الناس من انكرهم لوجوه الاول لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب ان يراه كل من كان سليم الحس لكنا لا نراه وان كان
لطيفا ان يتمزق ويتفرق عند هبوب الرياح العاصفة ولزم ايضا ان لا يقدر على الاعمال الشاقة التي ينسبها اليه المثبتون والجواب انه لم لا يجوز ان يكون جوهرا

بربي

برذون بالكسر وفتح الذال ستور ونوعى از اسبان بزدنه

بحرها وبتقدير ان يكون جسما كثيفا فلم لا يجوز ان يصرف الله تعالى عنه ابصار الانسان لحكمة في ذلك كما قال عز من قائل انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
وعلى تقدير كونه جسما لطيفا فلم لا يجوز ان يكون تركيبه محكما كالافلاك الوجه الثاني قالوا الظاهر الغالب انهم لو كانوا في العالم لخالطوا الناس وشوهد
منهم العداوة والصداقة وليس كذلك واهل التعزيم اذا تابوا من صنعتهم يكذبون انفسهم فيما ينسبون الجن اليهم بحال المنع في هذا الوجه لا ينفي لشوق
الاختلاط العداوة ومنهم بالنسبة الى كثيرين قال عز من قائل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ومن
يعمل بين يديه يا معشر الجن والانس وقال ان بالمدينة جنا قد اسلموا ان الشيطان قد يجري من ابن ادم مجرى الدم ما منكم احد الا وله شيطان
قالوا ولا انت يا رسول الله صلعم قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم الوجه الثالث قالوا ان اخبار الانبياء عنهم لا يفيد اثباتهم اذ على تقدير
ثبوتهم يجوز ان يقال كل ما اتى به الانبياء فانما حصل باعانة الجن فمن الجائز ان حنين الجذع كان بسبب نفوذ الجن في الجذع وكل فرع ادى الى
ابطال الاصل فهو باطل والجواب ان الدليل الدال على صحة نبوة الانبياء كما يجيء يدل على صدق اخبارهم ومن جملة ما اخبروا عنه وجود الجن والشياطين
فصح وجودهم واعلم ان كثيرا من الناس اثبتوا موجودات لا متحيزة ولا حالة في المتحيز وزعموا انها مجردات عن شوائب الجسمانيات وهم الملائكة المقربون
الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وتليها في المرتبة الارواح المتعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم
ملائكة الكرسي ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم ملائكة كرة الاثير ثم ملائكة كرة النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم الملائكة المسلطة على
الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية المتصرفة في هذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه الارواح قد يكون مشرقة خيرة وهم من قبيل الملائكة وقد
يكون مظلمة شريرة وهم شياطين الانس والجن ولفظة الجن ماخوذ من الاستتار عن العيون ومنه المجنون لاستتار عقله والجنة لكونها ساترة
للانسان وطوائف المكلفين اربعة الملائكة والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل بالذاتيات كما بين الانسان والفرس
وقيل بالعوارض فالجن خيارهم والشياطين اشرارهم والمشهور ان الجن لهم قدرة على النفوذ في بواطن البشر لانهم لو كانوا مجردين فلا استبعاد في كونهم
متصرفين في باطن الانسان وان كانوا اجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم في باطن الادمي كيف وقد ورد في القران لا يقومون الا كما يتخبطه
الشيطان من المس وفي الحديث ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم ولا خلاف في ان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون واما الجن والشياطين فبخلاف ذلك قال صلعم في العظم انه زاد اخوانكم من الجن وفي القران افتتخذونه وذريته اولياء من دوني
واما كيفية الوسوسة فروي ان عيسى عم دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من بني ادم فاراه ذلك فاذا راسه مثل راس الحية واضع راسه على قلبه
فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكره وضع راسه على حبة قلبه قال صلعم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السموات وقال
ايضا صلعم ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد
ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا صلعم الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والاية فمن الخواطر ما هو
اصل السعادة ومنها ما هو اصل الشقاوة وسبب اشتباه الخواطر بعضها ببعض احد اربعة اشياء اما ضعف اليقين او قلة العلم بصفات النفس واخلاقها
او متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى او محبة الدنيا وجاهها ومالها فمن عصم من هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلى بها فلا و
اتفق المحققون على ان من كان اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بان النفس تطالب وتلح
فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ مراده الاغواء كيف امكن وحقيقة الوسوسة راجعة الى
ان الانسان بينما هو ذاهل عن الشيء ذكره الشيطان ذلك فيحدث له ميل ويترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكان الذي اتى به الشيطان من خارج
ليس الا ذلك التذكر واليه الاشارة في القران حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ولا يتسلسل هذا التذكر
وانما يقدم الشيطان على ذلك العدة بلية وقع في فطرته الاولى لحكمة عرفها الله تعالى فيه والمقصود من الاستعاذة لا ينحصر في دفع وسوسة الشيطان الا ان
ذلك معظم المقاصد ولهذا خص بالذكر في القران ولو نوى المستعيذ دفع جميع المضار الدنيوية والاخروية فلا ضير نكتة في الاستعاذة الاولى اعوذ بالله
عروج من الخلق الى الحق ومن الممكن الى الحاجة التامة وبالله اشارة الى المعبود القادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الافات ومن عرف نفسه بالنقصان
عرف الله بانه قادر على كل مقدور ومن عرف نفسه باختلال الحال عرف ربه بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب الثانية سر الاستعاذة
الالتجاء الى قادر يدفع عنك الافات وقراءة القران من اعظم الطاعات ولذلك جاء من شغله قراءة القران عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين
فلهذا خصت الاستعاذة بالقراءة الثالثة عند الفرار من العدو العدو يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبعد الاستقرار في حضرة الملك
الجبار يقول بسم الله الرحمن الرحيم الرابعة الاستعاذة تطهير اللسان عما جرى عليه من ذكر غير الله واذا حصل الطهور استعد للصلوة الحقيقية وهي ذكر الله
فيقول بسم الله الخامسة العبد مامور بمجاهدة العدو الظاهر قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وبمجاهدة العدو الباطن ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا فاذا حارب العدو الظاهر كان مدده الملك يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين واذا حارب العدو الباطن كان مدده
الملك ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومحاربة العدو الباطن اولى لان العدو الظاهر لو غلب في الدين واليقين كنا ماجورين وان غلب العدو الباطن
كنا مفتونين ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا ولا خلاص من شره الا بان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

السادسة قال الله تعالى يا عبدي قلبك بستاني وجنتي بستانك فلما لم تبخل علي ببستانك بل انزلت معرفتي فيه لم ابخل عليك ببستاني وانزلتك فيها
فههنا لطيفة وهي ان الله تعالى كانه يقول للعبد انت الذي انزلت سلطان المعرفة في حجرة قلبك ومن اراد ان ينزل سلطانا في حجرة نفسه يجب عليه كنس الحجرة
وتنظيفها فنظف حجرة قلبك من تلوث الوسوسة وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم السابعة اقسم في حق ابويك انه لمن الناصحين فدليهما بغرور
واقسم فيك لاغوينهم اجمعين فما ظنك بعاقبة معاملته معك فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الثامنة انما اختص اسم الله للاستعاذة من بين
سائر الاسماء لان العبد كلما كان اشد احتياجا الى عدد اكثر والاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية انما هو الله وكان العبد قال اعوذ بالقادر العالم الحكيم
الذي لا يخفى بشيء من الممكنات من الشيطان الرجيم التاسعة الشيطان اسم والرجيم صفة له ثم انه تعالى لم يقتصر على الاسم بل ذكر صفته تنبيها للعبد ان
الشيطان بقي في الخدمة الوفا من السنين ولم يفتك على مضرتنا ومع ذلك رجمناه وطردناه وانت لو صاحبك الشيطان لحظة واحدة لك خلد
في النار فكيف لا تشتغل بطرده فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم العاشرة يقول الله تعالى عبدي انه يراك وانت لا تراه فينفذ كيده فيك فتمسك
بمن يرى الشيطان ولا يراه الشيطان وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحادية عشر الالف واللام في الشيطان للجنس ليفيد الاستعاذة من هذا الجنس
مطلقا من الجن انسيا او غير مرئي ولو جعل للعهد جاز ويدخل ذريته فيه تبعا الثانية عشر الشيطان بعيد وانت قريب ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فكما
ان الشيطان لا يجعله الله قريبا لقوله تعالى ولن تجد لسنته تبديلا فاعرف انه لا يجعلك الله تعالى بعيدا حيث جعلك قريبا الثالثة عشر ان
الشيطان رجيم وان الله رحمن رحيم فاخذ من الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم الرابعة عشر الشيطان عدو وغائب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
والله تعالى حبيب غالب والله غالب على امره فاذا قصد العبد الغائب فافزع الى الحبيب الغالب المقدمة الثالثة في مسائل مهمة المسئلة الاولى القراءات
السبع متواترة لا بمعنى ان سبب تواترها اطباق القراء السبعة عليها بل بمعنى ان ثبوت التواتر بالنسبة الى المتفق على قرائته كثبوته بالنسبة الى كل من المختلف
في قراءته ولا مدخل للقارئ من ذلك الا من حيث ان مباشرته لقراءته اكثر من مباشرته لغيرها حتى نسبت اليه وانما قلنا ان القراءات متواترة لانه لو لم يكن كذلك
لكان بعض القران غير متواتر كملك ومالك ونحوهما اذ لا سبيل الى كون كليهما غير متواتر فان احدهما قران بالاتفاق وتخصيص احدهما انه
متواتر دون الاخر تحكم باطل لاستوائهما في النقل فلا اولوية فكلاهما متواتر وانما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف
الهمزة ونحوها الثانية اتفقوا على انه لا يجوز القراءة في الصلوة بالوجوه الشاذة لان الدليل نفى جواز القراءة بها مطلقا لانها لو كانت من القران
لبلغت في الشهرة الى حد المتواتر عدلنا عن الدليل في جواز القراءة خارج الصلوة للاحتمال فوجب ان يبقى قراءتها في الصلوة على اصل المنع
الثالثة السبعة الاحرف التي نزل بها القران في قوله عم ان هذا القران نزل على سبعة احرف لكل اية منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع عند اكثر العلماء
انها سبع لغات من لغات قريش لا يختلف ولا يتضاد بل هي متفقة المعنى وغير جائز عندهم ان يكون في القران لغة لا يعرفها قريش لقوله تعالى وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وذلك ان قريشا جاوروا البيت وكان احياء العرب يأتي اليهم للحج ويستمعون لغاتهم ويختارون من كل
لغة احسنها واصفاها كلاما واجتمع لهم مع ذلك العلم بلغة غيرهم ومما يدل على ان سبعة الاحرف هي سبع لغات متفقة المعنى ما روي عن ابن مسعود ان ابن
مسعود قال اقرؤا القران على سبعة احرف وهو كقول احدكم هلم وتعال واقبل وقال بعضهم هي سبع قبائل من العرب في قريش وقيس وتميم وهذيل واسد
وخزاعة وكنانة لمجاورتهم قريشا وقيل سبع لغات من اي لغة كانت من لغات العرب مختلفة الالفاظ متفقة المعاني لقوله انه قد سمع [illegible]
كل قوم بلغتهم وقيل معناه ان يقول في صفات الرب تبارك وتعالى مكان قوله غفورا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا لما روي انه قال اقرؤا
القران على سبعة احرف ما لم يختموا مغفرة بعذاب وعذابا بمغفرة او جنة بنار او نارا بجنة وقيل ان لفظ السبعة في الخبر جاء على جهة التمثيل لانه لو كان
في كلمة اكثر من سبع قراءات جاز ان يقرا بها وعن مالك بن انس انه كان يذهب في معنى السبعة الاحرف الى انه كالجمع والتوحيد في مثل وتمت كلمة ربك
وكالتذكير والتانيث في مثل لا يقبل ولا تقبل وكوجوه الاعراب في مثل هل من خالق غير الله وغير الله وكوجوه التصريف في مثل يعرشون ويعرشون وكاختلاف
الادوات في مثل قوله ولكن الشياطين بالتشديد ونصب ما بعدها وبالتخفيف والرفع وكاختلاف اللفظ في الحروف نحو تعملون بالتاء والياء وننشزها بالزاي
والراء وكالتخفيف والتفخيم والامالة والمد والقصر والهمزة وتركه والاظهار والادغام ونحوها وذهب جماعة الى حملها على المعاني والاحكام التي ينتظمها القران
دون الالفاظ من حلال وحرام ووعد ووعيد وامر ونهي ومواعظ وامثال واحتجاج وغير ذلك واستبعده المحققون من قبل الاخبار الواردة في
مخاصمة الصحابة في القراءة تدل على ان اختلافهم كان في اللفظ دون المعنى قال بعض العلماء اني تدبرت الوجوه التي منها لغتها لغات العرب فوجدتها
على سبعة انحاء لا يزيد ولا ينقص وبجميع ذلك نزل القران الوجه الاول ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس وكالعهن المنفوش قراها
ابن مسعود كالصوف المنفوش الثاني ابدال الحرف بحرف كالتابوت والتابوه الثالث تقديم وتاخير اما في الكلمة نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب زيد واما
في الحروف نحو اولم ييأس الذين وافلم يايس الرابع زيادة حرف او نقصانه نحو ماليه وسلطانيه فلا تك في مرية الخامس اختلاف حركات البناء نحو تحسبن
بفتح السين وكسرها السادس اختلاف الاعراب نحو ما هذا بشرا وقراءة ابن مسعود بالرفع السابع التفخيم والامالة وهذا اختلاف في اللحن والتزيين
لا في نفس اللغة والتفخيم اعلى واشهر عند فصحاء العرب فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلفت لغات العرب قد انزل الله باختلافها القران
متفرقا فيه ليعلم بذلك ان من زال عن ظاهر التلاوة بمثله او من تعذر عليه ترك عادته فخرج الى نحو مما قد نزل به فليس بملوم ولا معاقب عليه وكل

هذا فيما اذا لم يختلف فيه المعنى فان قيل فما قولكم في القراءات التي يختلف بها المعنى قلنا انها صحيحة منزلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه السبعة الاحرف وليس يجوز ان يكون فيما انزل الله من الالفاظ الذي يختلف معانيها ما يجري لتضاد والتناقض لكن يجري التغاير الذي لا تضاد فيه ثم انها تجيء على وجوه فمنها ان يختلف بها الحكم الشرعي على المبادلة بمنزلة قوله وارجلكم بالجر والنصب جميعا واحد القراءتين تقتضي فرض المسح والاخرى فرض الغسل وقد بينهما رسول الله فجعل المسح للابس الخف في وقته والغسل لحاسر الرجل وهذا الضرب هو الذي لا يجوز القراءة الا اذا تواتر نقله وثبت من الشارع بيانه وليس يعذر من لم يرفع مثله عما هو المنزل حتى يرجع الصواب ويفرغ الى الاستغفار وقد يكون ما يختلف الحكم فيه على غير المبادلة لكن على الجمع بين الامرين بمنزلة ولا تقربوهن حتى يطهرن مشددة الطاء من التطهر فان القراءتين ههنا تقتضيان حكمين مختلفين يلزم الجمع بينهما وذلك ان الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولا يجوز القراءة في مثل هذا الا بالنقل الظاهر ومن لم يرفع مثله الى ما يقتضي امرا وقد علم ثبوته ولم يقرأ به لم يلزمه فيه حرج كقوله تعم ولا تقربوا الزنا لو صحف احد فيقرأ الربا بالراء والباء من الربو في المال فانه منهي عنه كالزنا فان كان عدوله عن لفظ التلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم على ذلك واما التضاد والتنافي فغير موجود في كتاب الله والنسخ ليس من هذا القبيل لان اتحاد الزمان شرط التنافي وعند ورود الناسخ ينتهي المنسوخ وتبين ان في علم الله حكم المنسوخ كان مؤجلا الى ورود الناسخ والله اعلم وقوله لكل اية ظهر وبطن اي ظاهر وباطن فالظاهر ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى عليهم فنقول في ذلك كما امرنا ونكل علمه الى الله تعم وقيل ان ظهره ان يؤمن بظاهرها كما يؤمن بباطنها وقوله ولكل حد ومطلع اي لكل طرف من حدود الله التي يوقف هنالك ولا يتجاوز وغير من امر او منهي او مباح مصعد ومأتى يؤتى منه يفهم كما هو او مقدار من الثواب والعقاب يعاينه في الاخرة ويطلع عليه كما قال عمر لو ان لي ما في الارض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع يعني ما يشرف عليه من امر الله بعد الموت

المقدمة الرابعة في كيفية جمع القران روي عن زيد بن ثابت انه قال ارسل الي ابو بكر مقتل اهل اليمامة واذا عنده عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر بقراء القران يوم اليمامة واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قران كثير واني ارى ان تأمر بجمع القران قال فقلت كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله فقال لي هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري له فرأيت فيه الذي راى عمر قال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القران فاجمعه فتتبعت القران اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال وكانت الصحف عند ابي بكر حتى مات ثم كانت عند عمر حتى مات ثم كانت عند حفصة الى ان ارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الي بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها عليك فارسلت الى عثمان فارسل عثمان الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن زبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فامرهم ان ينسخوا الصحف في المصاحف ثم قال للرهط القرشيين الثلثة ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان في كل افق بمصحف من تلك المصاحف وامر بما سوى ذلك من القران ان يحرق ويخرق قال زيد بن ثابت فرأيت اصحاب محمد يقولون احسن والله عثمان احسن والله عثمان وقال علي لو وليت لفعلت في المصاحف التي فعل عثمان الا ان عبد الله بن مسعود كره ان ولي زيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال يا معشر المسلمين اعزل عن نسخ كتاب الله وتولى رجل والله لقد اسلمت وانه لفي صلب رجل كافر يعني زيدا فكان اول من امر بجمع القران في المصحف ابا بكر مخافة ان يضع منه شيء غير انه لم يجمع الناس عليه وكان الناس يقرؤن بقراءات مختلفة على سبيل ما اقراهم رسول الله واصحابه الى وقت عثمان ثم ان عثمان جمع الناس على مصحف واحد وحرف واحد ولذلك نسب المصحف اليه وجعل ذلك اماما واعلموا ان القران كان مجموعا على عهد رسول الله فانه ما انزلت اية الا وقد امر رسول الله من كان يكتبه ان يضعها في موضع كذا من سورة كذا ولا نزلت سورة الا وقد امر رسول الله الكاتب ان يضعها بجنب سورة كذا روي عن ابن عباس قال كان رسول الله اذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وعن انس قال جمع القران على عهد رسول الله اربعة من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد قيل لانس من ابو زيد قال احد عمومتي غير انهم لم يكونوا قد جمعوا الها فيما بين الدفتين ولم يلزموا القراءة توالي سورها وذلك ان الواحد منهم اذا حفظ سورة انزلت على رسول الله او كتبها ثم خرج في سرية ثم نزلت في وقت مغيبه سورة فانه كان اذا رجع يأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ويتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له فيقع فيما يكتبه تقديم وتاخير من هذا الوجه وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ انسابها واشعارها من غير كتابة ومنهم من كان كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسيب ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين في حفظ القران فلا يرون باكثرهم حاجة الى مصحف ينظر فيه فلما ان مضى رسول الله لسبيله وفرق جند المهاجرين والانصار اجنادا في اقطار الدنيا واستحر القتل في بعضهم كما مر خيف حينئذ ان يتطرق اليه ضياع فامروا بجمعه في المصحف

المقدمة الخامسة في معاني المصحف والكتاب والقران والسورة والاية والكلمة والحرف وغير ذلك المصحف مفعل من اصحف اي جمع فيه الصحف والصحف جمع الصحيفة والصحيفة قطعة من جلد او ورق يكتب فيه وقد يقال مصحف بكسر الميم وروي ان ابا بكر الصديق استشار الناس بعد جمع القران في اسمه فسماه مصحفا والكتاب معناه ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض لانه مصدر كتب اي جمع قال الله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي جمع حتى امنوا بجميع ما يجب عليهم فالكتاب فعل الكاتب ولكنه قد يسمى الشيء باسم الفاعل نحو هذا الدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله والقران اسم للكتاب المنزل على نبينا محمد كما ان التوراة اسم للكتاب المنزل على موسى والانجيل المنزل



على عيسى والزبور المنزل على داود عم والقرآن يهمز ولا يهمز فمن همزه وهو الاكثر فوزنه فعلان مثل قربان والتركيب يدل على الجمع والضم ومنه القرء
للحيض لاجتماع الدم في ذلك الوقت ومنه قولهم قريت الماء في الحوض فالقرآن نزل شيئا بعد شيء فلما جمع بعضه الى بعض سمي قرآنا وقيل سمي
قرآنا لانه جمع السور وضمها قال تعالى إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ اي تاليفه وضم بعضه الى بعض وقولك قرأت معناه جمعت الحروف بعضها الى بعض
ومن لم يهمز القرآن وهو قراءة اهل مكة فاما على تخفيف الهمزة واصله كما مر واما الآن وزنه فعال من قرنت والنون لام الكلمة سمي بذلك لانه قرن
السور وما فيها بعضها الى بعض وقيل ان القرآن اسم موضوع على فعال من غير اشتقاق كالتورية والانجيل ويسمى القرآن فرقانا لانه يفرق بين الحق
والباطل والمؤمن والكافر والحلال والحرام واما السورة من القرآن فانها تهمز ولا تهمز وهذا اكثر عليه القراءة والسورة اسم لآي جمعت وقرنت
بعضها الى بعض حتى تمت وكملت وبلغت في الطول المقدار الذي اراد الله تعم ثم فصل بينها وبين سورة اخرى ببسم الله الرحمن الرحيم ولا تكون
السورة الا معروفة المبتداء معلوم المنتهى وقيل اشتقاقها من سور البناء والمدينة لان السور يوضع بعضه فوق بعض حتى ينتهي
الى ارتفاع الذي يراد فالقرآن ايضا وضع اية الى جنب اية حتى بلغت السورة في عدد الآي المبلغ الذي اراده الله تعم وقيل سميت سورة لانها
وضعت بالعلو والرفعة كما ان سور المدينة سمي سورا لارتفاعه قال النابغة أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ اي
شرفا ورفعة وقيل سميت سورة لاحاطتها بما فيها من الآيات كما ان سور المدينة يحيط بمساكنها وابنيتها وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو
مثل جلة وجلل وجمع سورة البناء سور بالسكون مثل صوفة وصوف ومن همز سورة جعلها من اسأرت في الاناء سؤرا اي فضلت ومنه بقية
السؤر الذي ابقى كانها القطعة من القرآن على حدة واما الآية فقد قال جمع من العلماء انها في القرآن عبارة عن كلام متصل الى انقطاعه وانقطاع
معناه فصلا فصلا ولا يخفى توقف الآية على التوقيف وقال غيرهم معناها العلامة لانها تدل على نفسها بانفصالها عن الآية المتقدمة عليها والمتاخرة
عنها وقيل معناها جماعة حروف من قولهم خرج القوم بآيتهم اي بجماعتهم ولم يدعوا وراءهم شيئا وقيل معناها العجيبة لانها عجيبة لمباينتها كلام
المخلوقين من قولهم فلان آية من الآيات واختلف في وزنها فعلة فقال الفراء وزنها فعلة بالفتح او بسكون العين واصلها اية فاستثقلوا التشديد فاتبعوا
الفتحة التي قبله وقال الخليل واصحابه وزنها فعلة بالفتح والاصل ايية قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقال الكسائي اصلها آيية فاعلة كضاربة
وكان يلزمه الياء بين الادغام على نحو دابة وخاصة فيكون مستثقلا فحذفوا احدى اليائين واما الكلمة فان تراكيبها لم تفيد القوة والشدة وتقاليب
هذه الحروف الثلثة بحسب الاشتقاق الكبير ستة واحد مهمل والبواقي معتبرة منها الكلم فمنه الكلام لانه يقرع السمع ويؤثر فيه وايضا يؤثر في الذهن
بواسطة افادة المعنى ومنه الكلم للجرح وفيه شدة ومنها الكمل لان الكامل اقوى من الناقص ومنها الكمى ومعنى الشدة في الكمى واضح ومنها اللكم
منه بئر مكول اذا قل ماؤها واذا كان كذلك كان ورودها مكروها فيحصل نوع شدة عند ورودها وايضا انها تدل على شدة منابعها ومنها
ملك الملكت العجين اذا انعمت عجنه ومنه ملك الانسان لانه نوع قوة ولفظ الكلمة قد يستعمل في اللفظة الواحدة وقد يراد بها الكلام الكثير المرتبط
بعضه ببعض ومنه قولهم للقصيدة كلمة ومنه كلمة الشهادة والكلمة الطيبة صدقة ولان المجاز خير من الاشتراك فاطلاق الكلمة على الكلام المركب مجاز
اما من باب اطلاق الجزء على الكل واما من باب المشابهة لان الكلام المرتبط يشبه المفرد في الوحدة وقال الله تعم كلما تراما لانه حدث بقوله كن
او لانه حدث في زمان قليل كما يحدث الكلمة كذلك وعند النحويين الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد وفائدة القيود تذكر في ذلك العلم والكلام ما تضمن
كلمتين بالاسناد ومنكر الكلام النفسي يتفقوا على ان الكلام اسم لهذه الالفاظ والكلمات والاشاعرة يثبتون الكلام النفسي ويقولون إِنَّ الْكَلَامَ
لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا وقد يسمى الكلمات والعبارات احاديث لان كل واحدة منها تحدث عقيب صاحبها قال تعم فليأتوا بحديث
مثله وجمع الكلمة كلم والتاء في الكلمة ليست للوحدة كالنبقة والنبق والرطبة والرطب لان الرطب واللبن مذكر والكلم مؤنث وتصغير رطب رطيب
وتصغير كلم كليمات لانها كلمة ثم جمعه بالالف والتاء وقد يكون الكلام مصدرا بمعنى التكليم كالسلام بمعنى التسليم قال تعم ليسمعوا كلام الله ثم يحرفونه
فسره ابن عباس بتكليم الله موسى وقت المناجات واما الحرف فهو الواحد من حروف المعجم سمي حرفا لقلته ونقصانه ولذلك قيل حرف الشيء لطرفه لانه اخره
والقليل منه والحرف ايضا القراءة بكمالها والقصيدة بتمامها والحرف ايضا احد اقسام الكلمة وذلك لان الكلمة ان احتاجت في الدلالة على معناها الافرادي
الى ضميمة نحو من وقد فهو حرف والا فان دلت في اصل الوضع بهيئتها التصريفية على احد الازمنة الثلاثة الماضي والحال والاستقبال فهو فعل نحو
نصر وينصر والا فهو اسم كالانسان فان معناه لا يقترن بالزمان اصلا ومثل اليوم والساعة والزمان فان الزمان كل معناه ومثل الصبوح والغبوق
لان الزمان جزء معناه ومثل علم وجهل وضرب فان معناه يدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئة ومثل ضارب ومضروب فانه لو سلم ان معناه
يدل على الزمان بحسب الهيئة اذ لكل منهما هيئة مخصوصة لغرض الانشاء ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمانين الحال والاستقبال لان
قولنا لاحد الازمنة تحديد لكنها ليست في اصل الوضع ولا يخرج من حد الفعل نحو عسى مما لا يدل على زمان لان تجرده عن الزمان عرض لغرض الانشاء
ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمانين الحال والاستقبال لان قولنا باحد الازمنة تحديد لا نفي درجات الاقتران ولو سلم باحد الازمنة
فقط فذلك في اصل الوضع لا مانع من اقترانه بعد ذلك بزمان اخر مجازا المقدمة السادسة في ذكر السبع الطول والمثاني والمائين والطواسيم والحواميم
والمفصل والمسبحات وغير ذلك فالسبع الطول مضمومة الطاء مفتوحة الواو جمع الطولى كالفضلى والفضل هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام

المقدمة السادسة

والاعراف والانفال مع التوبة لانهما نزلتا جميعا في مغازي رسول الله صلعم وكانتا تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقال بعضهم السابعة من السبع سورة يونس لا الانفال مع التوبة واما المثاني فسبع سور تتلو السبع الطول واولها سورة يونس واخرها سورة النحل لانها ثنت الطول اي تلتها واحدها مثنى مثل معنى ومعان وقد يكون المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني وقيل المثاني في هذه الاية ايات الفاتحة لانها نزلت مرتين او لانها تثنى في كل صلوة واما المئون فهن سبع اولها سورة بني اسرائيل واخرها سورة المؤمنون لان كل سورة منها نحو من مائة اية وقيل المئون ما يلي السبع الطول ثم المثاني بعدها وقيل ان ما بعد السبع الطول من المئون الى الحواميم ثم بعد الحواميم المفصل واما الطواسيم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت الطواسين قال الراجز وبالطواسين التي قد ثلثت وفي الحديث واعطيت طه والطواسيم من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب واما الحواميم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت آل حم قال ابن عباس ان لكل شيء لبابا وان لباب القرآن آل حم وقال الحواميم فكان من قال آل حم نسب السور كلها الى حم وهو من اسماء الله تعالى بدليل قوله صلعم ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وتسمى الحواميم عرائس القرآن عن عاصم عن زر بن حبيش الاسدي قال قرأت القرآن على علي بن ابي طالب رضي القرآن في المسجد الجامع بالكوفة فلما بلغت عرائس القرآن فلما بلغت راس العشرين من حم عسق والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير بكى حتى ارتفع نحيبه ثم رفع راسه الى السماء وقال يا زر امن على دعائي ثم قال اللهم اني اسئلك اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار يا زر اذا ختمت القرآن فادع بهؤلاء الدعوات فان حبيبي رسول الله صلعم امرني ان ادعو بهن عند ختم القرآن واما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور الى اخر القرآن لكثرة التفصيل فيها بالبسملة واما المسبحات فسورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والاعلى لان في فواتحهن ما يدل على التسبيح في الحديث كان رسول الله صلعم لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول ان فيها اية كالف اية وافضل المسبحات سبح اسم ربك الاعلى فقد كان العلماء يقرؤن هذه السورة في التهجد والجمعة يتعرفون بركتها واما المقشقشتان فسورة الكافرون والاخلاص لانهما تبريان من النفاق والشرك يقال تقشقش وتقشقش المريض من علته اذا افاق منها وبرأ واما المعوذتان فالفلق والناس وقد يضم اليهما الاخلاص فيقال المعوذات

المقدمة السابعة

المقدمة السابعة في ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف هي في الاصل واحد وهو ان يكتب بالالف وانما حذفت من باسم الله فقط لانها الف وصل ساقطة من اللفظ كثيرا قد كثر استعمال الناس اياها في صدور الكتب وفواتح السور وعند كل مرتبة ابتدا فامنوا ان يجهل القارئ معناها وكتب فيما موصولا في كل القرآن الا في البقرة فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وفيها فيما فعلن في انفسهن من معروف وفي الانعام فيما اوحي الي محرما وفيها ليبلوكم فيما اتيكم وفي الانفال في ما اخذتم عذاب عظيم وفي الانبياء في ما اشتهت انفسهم وفي النور في ما افضتم وفي الشعراء فيما ههنا امنين وفي الروم في ما رزقناكم وفي الزمر فيما هم فيه يختلفون وفيها فيما كانوا فيه يختلفون وفي الواقعة فيما لا تعلمون فذلك اثنا عشر حرفا مقطوع وما سوى ذلك موصول وكتب مما موصولا كل القرآن الا ثلثة مواضع في النساء فمن ما ملكت ايمانكم وفي المنافقين من ما رزقناكم وكتب انما موصولا كل القرآن الا في الحج وان ما تدعون من دونه هو الباطل وفي لقمان وان ما تدعون من دونه الباطل وفيها ولو ان ما في الارض وكتب انما موصولة كل القرآن الا في الانعام ان ما توعدون لات وكتب لكيلا مقطوعة كل القرآن الا ثلثة مواضع في الحج لكيلا يعلم وفي الاحزاب لكيلا يكون عليك حرج وفي الحديد لكيلا تاسوا وكتب بئسما مقطوعا حيث كان الا ثلثة مواضع في البقرة بئسما يامركم به ايمانكم وفيها ولبئسما شروا به انفسهم وفي الاعراف بئسما خلفتموني وكتب اينما مقطوعا في جميع القرآن الا اربعة مواضع في البقرة فاينما تولوا وفي النحل اينما يوجهه وفي الشعراء اينما كنتم وفي الاحزاب اينما ثقفوا وكتب الا موصولا كل القرآن الا عشرة مواضع في الاعراف ان لا اقول على الله الا الحق وفيها ان لا تقولوا على الله الا الحق وفي التوبة ان لا ملجا من الله الا اليه وفي هود ان لا تعبدوا الا الله وفيها ان لا اله الا هو وفي الحج ان لا تشرك بي شيئا وفي يس ان لا تعبدوا الشيطان وفي الدخان وان لا تعلوا على الله وفي الممتحنة ان لا يشركن بالله شيئا وفي ن ان لا يدخلنها اليوم واختلف في يوسف الا تعبدوا الا اياه وما سواهن فهو الا مدغما بغير نون وكتب الا باسقاط النون كل القرآن من غير استثناء مثل الا تنصروه والا تغفر لي وكتب لم موصولا في كل القرآن الا في الانعام ان لم يكن ربك وفي البلد ان لم يره احد وكتب في هود فالم يستجيبوا لكم موصولا مدغما وفي القصص فان لم يستجيبوا لك مقطوعا وكتب امن موصولا كل القرآن الا اربعة مواضع في سورة الانعام ام من يكون عليهم وكيلا وفي التوبة امن اسس بنيانه وفي الصافات ام من خلقنا وفي حم السجدة ام من ياتي امنا وكتب مما واما موصولا الا في الرعد وان ما نرينك وكتب عما موصولا الا في الاعراف عن ما نهوا عنه وكتب لن مقطوعا الا ثلثة مواضع في الكهف الن نجعل لكم موعدا وفي المزمل الن تحصوه وفي القيمة الن نجمع عظامه وكتب كلما موصولا الا خمسة مواضع في النساء كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا وفي الاعراف كل ما دخلت امة وفي سبحان كل ما جاء امة وفي الملك كل ما القي فيها وفي نوح كل ما دعوتهم وكتب يومهم موصولا الا في المؤمن يوم هم بارزون وفي الذاريات يوم هم على النار يفتنون وكتبت الرحمة في جميع القرآن بالهاء الا سبعة مواضع في البقرة اولئك يرجون رحمت الله وفي الاعراف ان رحمت الله قريب وفي هود رحمت الله وبركاته وفي مريم ذكر رحمت ربك وفي الروم الى اثار رحمت الله تعالى وفي الزخرف اهم يقسمون رحمت ربك وفيها ورحمت ربك فانها بالتاء وكتبت النعمة بالهاء الا احد عشر موضعا في البقرة

واذكروا



واذكروا نعمت الله عليكم وفي ال عمران واذكروا نعمت الله عليكم وفي المائدة واذكروا نعمت الله عليكم اذ هم وفي ابرهيم بدلوا نعمت الله كفرا وفيها
وان تعدوا نعمت الله وفي النحل وبنعمت الله هم يكفرون وفيها ويعرفون نعمت الله وفيها واشكروا نعمت الله وفي لقمن في البحر بنعمت الله وفي
الملائكة اذكروا نعمت الله وفي الطور بنعمت ربك بكاهن وكتب امرات بالهاء الا سبعة مواضع في ال عمران اذ قالت امرات عمران وفي يوسف
امرات العزيز تراود فتها وفيها امرات العزيز الان وفي القصص وقالت امرات فرعون وفي التحريم امرات نوح وامرات لوط وامرات فرعون
وكتب سنة بالهاء كل القران الا خمسة مواضع في الانفال مضت سنت الاولين وفي فاطر الا سنت الاولين ولن تجد لسنت الله تحويلا
وفي المؤمن سنت الله التي قد خلت وكتب معصية بالهاء حيث كانت الا موضعين في المجادلة ومعصيت الرسول بالتاء وكتب لعنة بالهاء
كل القران الا في ال عمران فنجعل لعنت الله وفي النور ان لعنت الله وكتب جنة بالهاء الا في الواقعة وجنت نعيم وكتب شجرة بالهاء الا في الدخان
ان شجرت الزقوم وكتب قرة بالهاء الا في القصص قرت عين لي ولك وكتب بقية بالهاء الا في هود بقيت الله وكتب من ثمرة بالهاء الا في حم السجدة
من ثمرت من اكمامها وكتب كلمة بالهاء الا اربعة مواضع في الانعام وتمت كلمت ربك وفي يونس حرفان كلمت ربك وفي المؤمن حقت كلمت ربك وكتب
غيابت الجب بالتاء فهم على بينت منه بالتاء وكتب كل ما في القران من ذكر الاية بالهاء الا في العنكبوت لولا انزل عليه ايت فانها بالتاء وكتب
فطرت وعمرت افرءيتم اللات والعزى ولات حين مناص وذات بهجة وهيهات ومريم ابنت عمران ومرضات كلها بالتاء وكتب الملا بالالف الا
اربعة مواضع في المؤمنون فقال الملؤا الذين كفروا وفي النمل يا ايها الملؤا اني يا ايها الملؤا افتوني يا ايها الملؤا ايكم ياتيني فانها كتب بالواو
وكتب في البقرة ويبصط بالصاد وما سواه بالسين كتب في البقرة بسطة بالسين وفي الاعراف بالصاد وكتب في ال عمران منهم تقية بالياء وحق تقاته
بالالف وكتب في اول يوسف والزخرف قرانا عربيا بغير الف وسائر القران قرانا بال كتب اعراف ويونس بكل سحر عليم بغير الف وفي الشعرا
سحار عليم بعد الحاء بالالف وكتب في الذاريات ساحر ومجنون بالالف وما سواه بغير الف وكتب في يونس لننظر كيف تعملون بنون واحدة واختلف في قوله
انا لننصر رسلنا في المؤمن وكتب في يونس ننج المؤمنين بنونين وحذف الياء وفي اخر يوسف فنجي من نشاء بنون واحدة وفي الانبياء وكذلك
نجي المؤمنين بالياء ونون واحدة وكتب جميع ما في القران من ذكر الايد بياء واحدة الا في الذاريات والسماء بنينها بايد فانها كتبت بياءين في
الاصل كتبهم بياء واحدة وكتب لن بغير الف كل القران الا في الجن فمن يستمع الان فانه بالالف وكتب في حم السجدة سماوات بالالف وما سوى
كتب سموات بغير الف وكتب في اول سبا عالم الغيب بغير الف وكتب في البقرة خطيكم بحرف واحد بين الطاء والكاف وفي الاعراف خطيكم بحرفين بينهما
وكتب راى بغير ياء كل القران الا في النجم لقد راى من ايت ربه الكبرى وما كذب الفؤاد ما راى وكتب في يونس وما تغني الايت بالياء على الاصل وفي
القمر فما تغن النذر بغير ياء على اللفظ وكتب في البقرة يؤت الحكمة بالياء وفي النسا وسوف يؤت الله بغير ياء وكتب ويمح الله الباطل بغير واو ويمحوا الله
ما يشاء بالواو والالف وكتب الداع بغير ياء حيث كان الا قوله اجيبوا داعي الله وكتب ثمودا بالالف في حال النصب وهي في اربعة مواضع في هود والفرقان
والعنكبوت والنجم وكتب ثمود الناقة بغير الف وكتب في النمل وما انت بهادي العمي بالياء وفي الروم بهاد بغير ياء والاصل فيهما الياء وكتب في الحج ولؤلؤا
بالالف وفي فاطر بغير الف وكتب في الاعراف قال ابن ام بالالف مقطوعا وفي طه يبنؤم بالواو موصولا وكتب في الحجر وق اصحاب الايكة بالالف
وفي الشعراء وص ليكة بغير الف وكتب في يوسف لذو علم لما علمناه وفي المؤمن ذو العرش وفي السجدة لذو مغفرة وذو عقاب اليم وفي الجمعة ذو الفضل
العظيم وفي البروج ذو العرش بغير الف في هذه المواضع وما سواها ذوا بالالف وكتب الربوا بواو وبعدها الف كل القران الا قوله وما اتيتم من
ربا فانه بغير واو وكتب لدا الباب بالالف وفي لدى الحناجر بالياء وكتب ولا اوضعوا خلالكم ولا اذبحنه بزيادة الف في مصاحف الشام ولا امة مؤمنة بزيادة
الف اتم وكتب ايه المؤمنون وايه الساحر وايه الثقلان بغير الف وما سواها في يا ايها بالالف وكتب في الاحزاب الظنونا والرسولا والسبيلا
بالالف وفي الفرقان ام هم ضلوا السبيل وفي الاحزاب هو يهدي السبيل وهما واسرايه وكتب في الانسان قواريرا بالالف قوارير من فضة بغير
الف وكتب في الانعام ائنكم لتشهدون وفي الاعراف ائنكم لتاتون الرجال وفي العنكبوت ائنكم لتاتون الرجال وفي حم السجدة ائنكم لتكفرون بالياء
وما سواها بغير ياء وكتب في الاعراف ان لنا لاجرا بالياء وكتب في النمل ائنا لمخرجون بالياء وكذلك في الصافات ائنا لتاركوا وما سواها
فهو انا بغير ياء وكتب في الواقعة ائذا بالياء وفي سائر القران اءذا بغير ياء وكتب في هود في اموالنا ما نشؤا بالالف بعد الواو ومثله في الانعام
ياتيهم انبؤا وفيها انهم فيكم شركؤا وفي حم عسق ام لهم شركؤا وفي الروم من شركائهم شفعؤا وفي ابرهيم فقال الضعفؤا وفي الشعراء فسياتيهم انبؤا بالواو وفي
وفيها ايضا ان يعلمه علمؤا وفي فاطر من عباده العلمؤا وفي الصافات لهو البلؤا وفي حم الاولى وما دعؤا الكافرين وفي الدخان ما فيه بلؤا وفي
الممتحنة انا برءؤا وكتب جزؤا بالواو الا في الكهف فله جزاء الحسنى وكتب ان امرؤا هلك يتفيؤا ظلاله ويعبؤا بكم ولتوكؤا عليها وتفتؤا تذكر
ويدرؤا عنها ونبؤا الذين ونبؤا الخصم ينشؤا في الحلية ولا تظمؤا فيها ويبدؤا الخلق وما اشبهها بواو والف ليتبعوا بها الهمزة المضمومة على
لغة من لا يهمز ولو كتب كلها بالواو وحدها وبالالف وحدها لجاز وكتب في الانعام من نباي المرسلين بياء بعد الهمزة وكذلك في يونس من
تلقاي نفسي وفي النحل وايتاي ذي القربى وفي طه ومن اناي الليل وفي عسق او من وراي حجاب وكتب كلما في القران من ذوات الواو بالالف مثل
دعا وعفا وتلا الا دحيها وتليها وطحيها وسجى وما زكى ذوات الياء فيكتب بالياء مثل هدى وسعى وقضى الا الحروف وفي مضا مثل الاولين وجنا الجنتين

فلن تجد لسنت الله تبديلا

بغير ياء وفي الشعر اثر علينا لاجرا بالياء

دان وطغا الماء واقصا المدينة واحيا الناس وكل ما ثنين اجتمعتا فى كلمة مثل الدنيا والعليا جعلت الاخيرة الفا كراهة الجمع بين اليائين الا فى قوله
تعالى يحيى واما ت واحيى فى بعض المصاحف وكتب الزكوة والحيوة ومنوة ومشكوة والغدوة بالواو وكتب الصلوة بالواو الا فى الانعام وهم على
صلاتهم يحافظون وصلاتى ونسكى وفى الانفال وما كان صلاتهم وفى والمؤمنين فى صلاتهم خاشعون وفى الواقع على صلاتهم وفيها على
صلاتهم يحافظون وفى ارايت عن صلاتهم ساهون وكتب فاذا لا يؤتون الناس بغير او وليكونا من الصاغرين ولنسفعا بالناصية بالالف الوقف
عليها بالالف وكتب فى البقرة واخشونى ولاتم بالياء وفى المائدة واخشون اليوم واخشون لا بغير ياء وكتب فى يوسف ومن اتبعنى وسبحان الله
بالياء وفى آل عمران ومن اتبعن وقل بغير ياء وكتب فى سبحان الذى لئن اخرتن بغير ياء وفى المنافقون لولا اخرتنى بالياء وكتب فى يوسف ما نبغى
بالياء وفى الكهف ما كنا نبغ بغير ياء وفى هود يوم يأت لا تكلم بغير ياء وفى النحل يوم تأتى كل نفس بالياء وفى الدخان يوم تأتى السماء بالياء وفى الانعام
وقد هدان بغير ياء وفى هدانى بالياء وفى الاعراف ثم كيدون بغير ياء وفى هود فكيدونى جميعا بالياء وفى هود فلا تسئلن بغير ياء وفى الكهف
فلا تسئلنى بالياء وفى الكهف ان يهدين ربى بغير ياء وفى القصص ان يهدينى سواء السبيل بالياء وفى طه فاتبعونى واطيعوا امرى بالياء وفى الزخرف
واتبعون هذا بغير ياء وكذلك فى المؤمن وفى الاعراف فهو المهتدى بالياء وفى سبحان الذى وسورة الكهف فهو المهتد بغير ياء وفى ابراهيم
قل لعبادى الذين امنوا بالياء وفى الزمر فبشر عباد الذين بغير ياء وكتب الذى والذين بلام واحدة واللذان واللذين بلامين وكتب جزاء
بغير واو وهزوا وكفوا بالواو وكتب بين المرء وجزء مقسوم ويخرج الخبأ وملأ الارض ودفء باسقاط الهمزة ومن غرائب الهجاء ونوادره ما كتب
فى الفرقان وعتو عتوا كبيرا بغير الف وفى سبأ والذين سعو بغير الف وفى الحشر والذين تبوؤ الدار بواو بغير الف وفى المعصرات كنت ترابا بغير
الف وفى القلم بايكم المفتون بيائين وفى آل عمران افائن مات بالياء وفى الانبياء افائن مت بغير ياء وكتب اثاقلتم ونحوه بالالف وكتب فالذ لتم
ليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء الف فى جميع المصحف وكتب فى الحاقة لبيان الحركة كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وفى القارعة ما هيه
باثبات الهاء واختلف فى لم يتسنه وفبهديهم اقتده ان الهاء فيها لبيان الحركة ام لا ومن ذلك كتب فى سورة النساء فمال هؤلاء القوم وفى الكهف
مال هذا الكتاب وفى الفرقان مال هذا الرسول وفى الواقع فمال الذين كفروا باللام مع ما مقطوعة عما بعدها واعلم ان هجاء المصحف كثير وقد ذكرنا
منها ما هو انفع للقارى واكثر فائدة واما الحركات كلها فقد راعيناها الا ما شاء الله فى كتابة متن القران من مذاهب الكتاب بل عن من تقدمنا
من السلف الصالحين والعلماء المتقين ورووا انهم وجدوها فى الامام كذلك وسنراها فى مواضعها ان شاء الله وانما كتبت هذه الحروف
بعضها على خلاف بعض وفى الاصل واحد لان الكتابة بالوجهين كانت جائزة عندهم فكتبوا بعضها على وجه وبعضها على وجه آخر جمعا بين المذهبين
على انهم كتبوا اكثرها على الاصل وكل ما كتب فى المصحف على الاصل لا يقاس عليه غيره من الكلام لان القران يلزمه لكثرة الاستعمال ما لا يلزم غيره واتباع
المصحف فى هجائه واجب ومن طعن فى شئ من هجائه فهو كالطاعن فى تلاوته لانه بالهجاء يتلى والفائدة للقارى فى معرفته ان يكون على يقين ان الذى تعلم
هو القران الذى انزله الله على نبيه محمد صلعم بلا خلل فيه من جهة من الجهات وقال جماعة من الائمة ان الواجب على القراء والعلماء واهل الكتاب ان يتبعوا هذا
الرسم فى خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان امين رسول الله صلعم وكاتب وحيه علم من هذا العلم بدعوة النبى صلعم ما لم يعلم غيره فما كتب شيئا من ذلك
الا لعلة لطيفة وحكمة بليغة وان قصر عنها راينا الا ترى انه لو كتب على صلوتهم وان صلوتك بالالف بعد الواو او بالالف من غير واو لما دل ذلك الا على
وجه واحد وقراءة واحدة وكذلك وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار كتب وسيعلم الكفر بغير الف قبل الفاء ولا بعدها فيدل على القراءتين والله تعالى اعلم المقدمة

الثامنة فى اقسام الوقف

الوقف هو قطع الكلمة اسما او فعلا او حرفا عما بعدها ولو فرضا وله عند اكثر الائمة خمس مراتب لازم ومطلق وجائز ومجوز لوجه ومرخص
ضرورة فاللازم من الوقف ما لو وصل طرفاه غير المرام وشنع الكلام كقوله تعالى وما هم بمؤمنين لو وصل بقوله يخادعون الله صار وصف الجملة صفة
للمؤمنين فانتفى الخداع عنهم وتقرر الايمان خالصا عن الخداع كما تقول ما هو بمؤمن مخادع ومراد الله سبحانه نفى الايمان واثبات الخداع وفى
نظائر ذلك كثرة يوصل المرء بها الى العثور وعلمها المطلق ما يحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدا به نحو الله يجتبى اليه من يشاء وكالفعل المستانف
مع السين نحو سيقول السفهاء سيجعل الله بعد عسر يسرا ونحو يعبدوننى لا يشركون بى شيئا الى غير ذلك من النظائر والجائز ما يجاذب فيه طرفا الوصل
والوقف مثل وما انزل من قبلك لان واو الوصل يقتضى العطف وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم فان التقدير ويوقنون بالاخرة والمجوز لوجه
مثله اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة لان الفاء فى قوله فلا يخفف تعقيب يتضمن معنى الجواب والجزاء وذلك يوجب الوصل الا ان نظم
الفعل على الاستيناف يرى للفصل وجها والمرخص ضرورة ما لا يستغنى ما بعده عما قبله لكن يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس لطول الكلام
ولا يلزمه الوصل بالعود لان ما بعده جملة مفهومة كقوله والسماء بناء لان قوله وانزل لا يستغنى عن سياق الكلام فان فاعله ضمير يعود الى الصريح المذكور
قبله غير ان الجملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وان كان لا يبرز الى النطق واما ما لا يجوز الوقف عليه ففى مواجبه مواقعه كثرة وسيتلى عليك مواقع
الفصل والوصل فى جميع القران مع علل ذلك مفصلة ان شاء الله تعالى وبعضهم قسم مراتب الوقوف الى ثلث التام والكافى والحسن ولا مشاحة فى الاصطلاح
بعد نهاية المعنى ويكن علامة اللازم م المطلق ط والجائز ج والمجوز ز وما لا وقف عليه فعلامته لا وعلامة الاية دائرة صغيرة هكذا ٥ وانما الرمنا
ايراد هذه الوقوف لدقة مسلكها وبلوغها فى الغوص الى حيث قصر البلاغة على معرفة الفصل والوصل الا ان ذلك بحسب الصناعة وكل منها ما يتم بعا

وبغير السين تم

والمرخص ص ع

بحسب الصناعة ومالكهن

الالفاظ

المقدمة التاسعة

المعنى بالمعنى وانفصاله عنه بالكل وبالبعض وسيتلى عليك تفاصيلها وبالله التوفيق المقدمة التاسعة في تقسيما يعرف منها اصطلاحات مهمة اللفظ
اما ان يعتبر دلالته على تمام مسماه او على جزء مسماه او على لازمه الذهني الاولى دلالة المطابقة كدلالة البيت على مجموع الحائط والسقف والثاني دلالة
التضمن كدلالة البيت على السقف او الحائط والثالث دلالة الالتزام كدلالة السقف على الحائط والدلالة الاولى وضعية صرفة والباقيتان بمشاركة
من الوضع والعقل تقسيم آخر اللفظ اما ان يقصد بجزء منه دلالة على جزء معناه وهو المركب كعبد الله غير علم او لا يقصد وهو المفرد ويشمل ما لا جزء
له اصلا مثل ق علما وما كان له جزء ولكن لا يدل على معنى اصلا نحو زيد وما كان له جزء دال على معنى لكن لا في ذلك المسمى نحو اسد الله علما للشخص
الانساني وما له جزء دال على معنى في ذلك المسمى لكنه لم يقصد مثل عبد الله علما له تقسيم آخر اللفظ المفرد باعتبار وحدة مدلوله وتعدده ما اربعة
اقسام الاول اللفظ واحد والمدلول واحد الثاني مقابل ذلك اي اللفظ كثير والمعنى كثير الثالث اللفظ واحد والمعنى كثير الرابع عكسه المعنى واحد واللفظ
كثير فالاول ان اشترك في مفهومه كثيرون مجردا عن سبب من خارج فهو الكلي ويقال له اسم الجنس وهو اقسام ستة لانه اما موجود او معدوم والموجود
اما واحد او كثير والواحد اما ان يكون مثله ممكنا كالشمس او غير ممكن كالاله والكثير اما متناه كالكواكب او غير متناه كالعدد والمعدوم اما ممكن الوجود
في الخارج كجبل من ذهب او غير ممكن كشريك الاله وعلى التقادير فان تفاوت وقوعه على افراده بان يكون لبعضها اولى واول واشد كالوجود للخالق
والمخلوق فان وقوعه على الخالق اول واولى واشد وكالابيض فانه على الثلج والعاج فان وقوعه على الثلج اشد فاللفظ مشكك لانه يشكك بالنسبة
السامع في انه متواطي نظرا الى اشتراك الكل في اصل المعنى او مشترك نظرا الى اختلافها في ذلك وان لم يكن في وقوعه تفاوت فمتواطي كالانسان بالنسبة
الى افراده فان كلها متوافقة في الانسانية مستوية فيها وان لم يشترك في مفهومه كثيرون فهو الجزئي علم ان استقل في الدلالة بحيث لا يحتاج الى ضم
اليه من ضم قرينة التخاطب والتكلم وتقدم الذكر ولام العهد او الاشارة مضمر ان احتاج الى احد القرائن الثلث الاول ومبهم ان احتاج الى شيء من الباقيتين
والعلم اما اسم كابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام او لقب ان يكون اشهر المسمى به مدحا او ذما كاسرائيل او كنية وتختص بما في اوله الاب او الام او البنت او الابن
نحو ابي لهب وام القرى وابنة عمران وابن مريم وقد يكون العلم علما للجنس باسره بحيث لا يكون بعض افراده الخارجية اولى بذلك من بعض لكونه للحقيقة
الخارجية واذا اطلق على فرد من افراد الخارجية نحو هذا اسامة مقبلا فليس ذلك بالوضع بل المطابقة كلي الطبيعي لجزئياته فهذه تمام الاقسام القسم الاول
وهو ان اللفظ واحد والمعنى واحد الثاني من الاربعة متباينة كالانسان والفرس الثالث ان كان اللفظ حقيقة في المنقول منه مدلوله لانه بان كان
موضوعا للجميع فمشترك والا فمنقول نقل من الموضوع له الى معنى آخر لعلاقة واشتهر فيه عرفي ان كان الناقل هو العرف العام واصطلاحي ان
العرف الخاص شرعي والا فبالنسبة الى المنقول عنه حقيقة وبالنسبة الى المنقول اليه مجاز ان لم ينتقل من الملزوم الى اللازم وكناية ان
كان العكس وان نقل لا لعلاقة فمرتجل الرابع من الاقسام مترادفة كالليث والاسد لا يخفى ان القسمين الاولين والقسم الرابع ثلثتها نصوص في
معناها اما الاول فلاتحاد المعنى الموجب لعدم احتمال الغير وهو معنى النص واما المتكثرة اللفظ والمعنى فلانه يكون لكل معنى لفظ فلا يحتمل اللفظ
غير ذلك واما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى واما القسم الثالث وهو ان اللفظ واحد والمعنى كثير فينقسم الى مجمل وظاهر ومأول لان اللفظ بالنسبة
الى ذلك المعاني ان كان متساوي الدلالة فهو المجمل بازائه المبين وان كانت متفاوتة فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المأول فالاول كقوله تعالى
ثلثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثاني نحو واقيموا الصلوة فان الامر كما يحتمل الوجوب كما يحتمل ذات الاركان تحتمل
الدعاء الا ان الامر بالنسبة الى الوجوب راجح والصلوة بالنسبة الى الهيئات المخصوصة راجحة والثالث نحو يد الله فوق ايديهم فان اليد تحتمل
القدرة والجارحة لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة فالرجحان مشترك بين النص والظاهر ويسمى بالمحكم وعدم الرجحان مشترك بين المجمل والمأول ويسميها
المتشابه والنص يمتاز عن الظاهر بانه لا يحتمل الغير والظاهر يحتمله احتمالا مرجوحا والمجمل يتميز بكونه غير مرجوح والمأول مرجوح والتأويل اشتقاقه
من الأول اي رجع وفي الاصطلاح كما يقرر حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فيشمل التاويل الفاسد والتاويل الصحيح فان اريد التاويل الصحيح فقد زيد
في الرسم بدليل يصيره راجحا اي بحسب ذلك الدليل وان كان مرجوحا بحسب مفهوم اللفظ وضعا او عرفا كما قلنا في اليد بمعنى القدرة واذا عرفت
الاقسام الاربعة باسرها فنقول كل منها قد يكون مشتقا ان وجد له اصل يرجع اليه كالموجود والضارب بالاضافة الى الوجود والضرب فان معنى
الاشتقاق ان تجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فترد احدهما الى الاخرى وقد يكون غير مشتق ان فقد له اصل كالوجود والانسان ثم
المشتق صفة ان دل على معنى قائم بالذات كالعالم والكاتب وغير صفة ان لم يدل كالجسم مثلا تنبيه العلاقة المعتبرة في المجاز انما يقع بحكم الاستقراء
على نيف وعشرين وجها منها الاشتراك في صفة ظاهرة كالاسد على الرجل الشجاع لا على الابخر لخفاء ذلك وهذا معظم انواع المجاز لانه اطلاق
اسم الملزوم على اللازم واكثر المجازات بل جميعها يرجع الى ذلك ومنها الاشتراك في الشكل كالانسان للصورة المنقوشة ومنها كونه آيلا الى ذلك كالخمر
للعصير او كائنا عليه كالعبد على من عتق ومنها المجاورة مثل جرى الميزاب فان الجاري في الحقيقة هو الماء لا الميزاب المجاور له ومنها اطلاق اسم الحال على المحل



مثل فاما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون اي في الجنة لانها محل الرحمة ومنها عكسه كقوله عم لا يفضض الله فاك اي اسنانك
اذ الفم محل الاسنان ومنها اطلاق اسم السبب على المسبب كقوله عم بلوا ارحامكم ولو بالسلام اي صلوها فانهم لما راوا بعض الاشياء يتصل بالندا وتم
استعاروا البل للوصل ومنها عكس ذلك كقولهم للخمر اثم لكون الاثم مسببا عنها ومنها اطلاق الكل على الجزء نحو يجعلون اصابعهم في آذانهم اي اناملهم

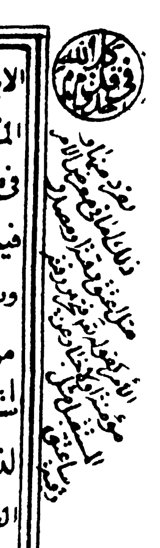
تقسيم اللفظ باعتبار وحدة مدلوله وتعدده

المنقول الشرعي

مجمل اليد والصلوة

ومنها

ومنها العكس نحو كل شيء هالك الا وجهه اى ذاته ومنها اسم المطلق على المقيد كقوله فيا ليت كل اثنين بينهما هوى من الناس قبل اليوم يلتقيان اى قبل يوم القيمة ومنها العكس كقول شريح اصبحت في نصف الخلق على غضبا يريد المحكوم عليهم ظانهم ليسوا النصف سواء ومنها اسم الخاص على العام كقوله سبحانه وحسن اولئك رفيقا اى رفقاء له تعو ومنها العكس كقوله سبحانه حكاية عن محمد وانا اول المسلمين لان الانبياء قبله كانوا كذلك ومنها كون المضاف محذوفا نحو واسئل القرية ومنها كون المضاف اليه محذوفا كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا اى ابن رجل جلا ومنها اطلاق اسم آلة الشيء عليه مثل واجعل لي لسان صدق اى ذكرا حسنا لان اللسان آلة الذكر ومنها اطلاق اسم الشيء على بدله كما يقال فلان اكل الدم اى الدية قال يا كلن كل ليلة اكافا اى ثمن اكاف ومنها اطلاق النكرة للعموم كقوله عز من قائل علمت نفس ما احضرت اى كل نفس ومنها اطلاق اسم احد الضدين على الآخر مثل ومثل وجزاء سيئة سيئة مثلها اذ جزاء السيئة حسنة ومنه قولهم قاتله الله ما احسن ما قال يريدون الدعاء له ومنها اطلاق المعرف باللام وارادة واحد منكر كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا اى بابا من ابوابها وسيجيء ومنها الحذف نحو يبين الله لكم ان تضلوا اى لئلا تضلوا ومنها الزيادة نحو ليس كمثله شيء واعلم ان المجاز بالحقيقة فرع من فروع التشبيه لانك اذا قلت زيد اسد فكانك قلت زيد كالاسد في الجرأة فزيد حينئذ مشبه ومشبه به وجه الشبه بينهما والمشبه والمشبه به قد يكونان حسيين كقولك خده كالورد وعقليين كالعلم اذا شبه بالحيوة واحدهما محسوسا والآخر معقولا كالعطر اذا شبه بخلق كريم او كالعدل اذا شبه بالقسطاس والخياليات كالشقيق اذا شبه باعلام ياقوت منشرة ملزوزة في قرن الحبشة والوهميات في قولك نطقت الحال الشيء هو بها شبه باللسان فانه صورة وهمية محضة وكذا الوجدانيات كاللذة والالم والشبع الجوع ملحقة بالعقليات ووجه التشبيه اما ان يكون امرا واحدا او لا وحينئذ اما ان لا يكون في حكم الواحد كما اذا شبهت انسانا بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشان وعلو الرتبة او يكون وذلك لكونه اما حقيقة ملتئمة من اوصاف كسقط النار شبه بعين الديك في الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكروي والمقدار المخصوص واما اوصافا مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة كقول الشاعر كان مثار النقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه فليس المراد تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب ثم المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض حال كونها السيوف متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في جوانب منه ويسمى هذا تشبيه المركب بالمركب متى كان وجه التشبيه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور يخص باسم التمثيل كما في قوله عز من قائل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الآية وسيجيء تفسيرها ثم ان التشبيه التمثيلي اذا شاع استعماله على سبيل الاستعارة لا غير يسمى مثلا كقولك لمن يردد في امر يقدم رجلا ويؤخر اخرى وذلك ان الاستعارة هي ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول في الحمام اسد وانت تريد به الشجاع مدعيا انه من جنس الاسد فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه مع سد طريق التشبيه بافراده في الذكر لان التشبيه لا بد له من طرفين مشبه ومشبه به فاذا افردت بالذكر احدهما فكانك قد سددت طريق التشبيه فاذن الاستعارة نوع من المجاز لان المستعار له وهو زيد مثلا في قولك زيد اسد يبرز في معرض المستعار منه وهو الاسد نظرا الى الدعوى وهذا شان العارية وانما اجراء هم على الدعوى واوا بينهما من الاشتراك في اللازم وهو الشجاعة والاستعارة في نحو عندي اسد اذا لم يتعقب بصفات ملائمة او كلام لا يكون مجردة ولا مرشحة لفقد موضوع التجريد والترشيح انما يلحقها التجريد والترشيح سميت مرشحة نحو شاورت اسدا وافي البراثن محصورا وقد بقي من الاصطلاحات قولهم هذا عام وخاص ومطلق ومقيد فالعام ما دل على مسميات باعتبار امر اشتركت فيه مطلقا ضربة فقولنا ما دل ليشمل العموم باللفظ والمعنى جميعا فان العموم من عوارض المعاني ايضا حقيقة كقولهم عم المطر والخصب كان المعنى الكلي كالانسان لشموله جزئياته التي تحته وقولنا على مسميات يخرج المثنى ولم يدخل في العام المعدوم والمستحيل اذ لو قلنا على اشياء لخرجا بناء على انهما ليسا بشيء وقولنا باعتبار امر اشتركت تلك المسميات فيه يخرج نحو عشرة وغيرها من اسماء العدد لنكرات فانها وان دلت على مسميات هي احادها لكن لا باعتبار امر اشتركت هي فيه بل باعتبار وضع اسم العدد للمجموع وكذا الكلام في كل ذي اجزاء حسية وعقلية وقولنا مطلقا يخرج الرجال المعهودون فانها تعريف العهد ضربة احتراز من نحو رجل فانه وان دل على مسميات باعتبار كون كل منها ذكرا من بني آدم مطلقا لكن لا دفعة بل على سبيل البدل ولهذا يخرج نحو رجال اذا ما ملت فيه لحد العام والخاص بخلافه وهو ما دل لا على مسميات الى آخره ومن صيغ العموم اسماء الشرط والاستفهام مثل من وما والموصولات نحو الذي والتي والجموع المعرفة تعريف جنس كالرجال والمسلمات والجموع المضافة نحو عبيدكم واسم الجنس المضاف وتعريف المعرف الجنس مثل غلامي والعلام والنكرة في سياق النفي عموما نحو ما في الدار احد والتخصيص قصر العام على بعض مسمياته وقد يطلق التخصيص ايضا على قصر اللفظ على بعض ما يتناوله وان لم يكن ذلك اللفظ عاما كما يطلق عليه ايضا انه عام لتعدده وتكثره وان لم يكن من صيغ العموم كعشرة والمسلمين للمعهودين وكضمائر الجمع لا يستقيم تخصيص الا فيما يستقيم توكيده بكل لكونه ذا اجزاء يصح افتراقها حسا او حكما الا النكرة مثل قوله تعالى تلك عشرة كاملة ونحو جاء في رجال كرماء والمخصص احد اربعة اشياء الاول الاستثناء بالا ونحوها والثاني الشرط وهو ما يتوقف تاثير المؤثر عليه لا وجوده كالاحصان فانه يتوقف عليه قضاء الرجم لا وجود الزنى والثالث الصفة مثل فتحرير رقبة مؤمنة والرابع الغاية نحو ثم اتموا الصيام الى الليل هذا هو التخصيص بالمتصل وقد يخص بالمنفصل وذلك ما العقل كقوله تعالى الله خالق كل شيء واما الحس نحو واوتيت من كل شيء واما الدليل السمعي كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء فخصص



الاية الاخرى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ويوصيكم الله فى اولادكم خصصه قوله عم القاتل لا يرث والمطلق هو اللفظ الدال على
الماهية من حيث هى هى ويلزم منه تمكن المامور من الاتيان بفرد منها اى فرد كان لانه لا يمكن الاتيان بالماهية الا بالاتيان بفرد منها فيتصور الاطلاق
فى معرض الخبر المتعلق بالماضى مثل رايت رجلا ضرورة تعينه باسناد الرؤية اليه والمقيد بخلاف المطلق فهو لفظ دال على مدلول غير شايع فى جنسه
فيدخل فيه الدال على المتعين مطلقا نحو زيد وهذا الرجل وانا وانت والدال على الشايع لا فى جنسه بل فى افراده كالعام فهو مقيد لغة لا اصطلاحا
ويطلق المقيد على ما اخرج من شياع بوجه بان يذكر الدال على الماهية بوصف زائد عليها كرقبة مؤمنة فانها وان كانت مطلقة فى جنسها
من حيث هى رقبة مؤمنة الا انها مقيدة بالنسبة الى مطلق الرقبة فهى مطلقة من وجه وتقييد المطلق شبيه بتخصيص العام فيجوز التقييد بالمتصل
استثناء كان او صفة او شرطا او غاية او بدل بعض و بالمنفصل عقلا كان ونقلا كتابا او سنة و بتقسيم اخر التركيب المفيد اعنى الكلام قسمان احدهما
الذى يحتمل ان يقال لقائله صدقت وكذبت من حيث ذلك التركيب لا من امر خارج عن ذات التركيب يقال له الخبر واذا بلغ رواة الخبر مبلغا احال
العقل تواطؤهم على الكذب فهو متواتر والا فخبر واحد الثانى ما لا يحتمل ذلك ويقال له الطلب والاول عبارة عن الجمل الاربع الاسمية والفعلية
الشرطية والظرفية والثانى نوعان نوع لا يستدعى فى مطلوبه امكان الحصول وهو التمنى ونوع يستدعى فى مطلوبه ذلك ثم ان كان طلب فعل فامر وان
كان طلب ترك فنهى وان كان طلب فهم فاستفهام وان كان طلب قبال فنداء فمتى امتنع اجراء هذه الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كالاستبطاء
والاغراء والتعجب والتوبيخ ونحو ذلك بتقسيم اخر الحكم خطاب الله او من اذن له الله متعلقا بافعال المكلفين بالاقتضاء او التخيير او الوضع اما
التخيير فيراد به الاباحة واما الاقتضاء فاما اقتضاء فعل مع امتناع الترك فهو الوجوب او مع جواز الترك وهو الندب واما اقتضاء ترك مع امتناع
الفعل وهو الحظر والتحريم او مع جوازه وهو الكراهة واما الوضع فيراد به ما جعله الشارع بوضعه دليلا على شىء كدلوك الشمس على وجوب الصلوة
او سببا للشىء كالزنى لوجوب الحد او شرطا كالوضوء لصحة الصلوة واما الصحة والبطلان او الحكم بهما فامر عقلى لا حكم شرعى لان صحة العبادات ما كون
الفعل مسقطا للقضاء كالفقهاء او ما موافقة امر شرعى للمتكلمين ولا يشك ان العبادة اذا اشتملت على اركانها وشرائطها حكم العقل بصحتها بكل من
التفسيرين سواء حكم الشارع بها او لا والصحة فى المعاملات ايضا حكم عقلى لانها كون الشىء بحيث يترتب عليه اثره واذا كان البيع مشتملا على الاسباب
والشرائط وارتفاع الموانع حكم العقل بترتب اثره عليه سواء حكم الشرع بها او لم يحكم وفسر البطلان والفساد على ما قلنا وكل حكم ثبت على خلاف
الدليل لعذر فهو رخصة كحل الميتة للمضطر والقصر والفطر للمسافر واجبا ومندوبا ومباحا والا فعزيمة واذا عرفت ما ذكرنا من التقسيمات لا يخفى عليك
المقصود من ايراده الا ان معنى كتاب الله تع منها محكم ومتشابه منها مجمل ومبين مندرج فيهما المنسوخ والناسخ باعتبار ان النسخ بيان انتهاء امد
الحكم الشرعى ومنها مطلق ومقيد ومنها امر ونهى ومنها ظاهر ومأول ومنها حقيقة ومجاز ومنها التشبيه والتمثيل ومنها كناية وتصريح ومنها الكلى
والجزئى ومنها الخبر والطلب باقسامها ومنها الاحكام باصنافها ولا ريب ان تصور هذه الاصطلاحات مما ذكرنا فى علم التفسير مهم والله اعلم

المقدمة العاشرة

المقدمة العاشرة فى ان كلام الله تع قديم ولا ذكر قوم من ائمة الامة ان كلام الله تع قديم بعد ان عنوا بكلامه هذه الحروف المنتظمة المسموعة اما
كلامه تع هو هذه الحروف فلقوله تع وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ومعلوم ان المسموع ليس الا من هذه الحروف واما
انها قديمة فلان الكلام صفة الله تع ومن المحال قيام الحادث بالقديم لان كل حادث متغير والتغير على ذات الله تع وصفاته محال وزعم قوم ان الكلام
المؤلف من الحروف والاصوات يمتنع ان يكون قديما بالبديهة وكيف لا وانها اصوات تحدث عن فاعلها شيئا بعد شىء فلو قلنا انها عين كلام الله تع لزمنا القول
بان الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تع وحالة فى بدن هذا الانسان وهذا معلوم الفساد وجمع قوم بين المذهبين فقالوا للشىء وجود فى الاعيان
ووجود فى الاذهان ووجود فى العبارة ووجود فى الكتابة فللقران وجود عينى هو القائم بذات الله تع وانه قديم لا محالة لا يتطرق اليه شىء من سمات النقص
ووجود ذهنى كما للحفاظ للقران ووجود فى العبارة وهو على لسان القارى ووجود كتابى وهو المثبت فى المصاحف ولا ريب ان القران من حيثيات
هذه الوجوه حادث بل القران انما يطلق على المحفوظ والمتلو والمكتوب بالمجاز من حيث انها دالة على الكلام القائم بذات الله تع واعلم انه لا برهان على
ان كل صوت فانه يقوم بجسم ولا على ان كل حرف فانما يقدر عليه بجارحة بل العلم بذلك فى الشاهد فقط فالكلام للقديم كما له قديم نطق وسمع وبصر
اله ولا جارحة كما انه ادراك وعلم من غير ما قوى وعضو من لم يدركه ادراكه كما ينبغى فليس يلوم الا نفسه كلامه كتاب وكتابه صواب وقوله فصل
وحكمه عدل وسنورد ظهوره ووجوده شهود وعيانه بيان والكفر بما سواه ايمان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام المقدمة الحادية

المقدمة الحادية عشرة

عشرة فى كيفية استنباط المسائل الكثيرة من الالفاظ القليلة اذا شرعنا مثلا فى تفسير قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فهنها
مباحث لفظية ومباحث معنوية واما اللفظية فمنها ما يتعلق بالقراءة ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بعلم الاشتقاق ومنها
ما يتعلق بعلم الصرف ومنها ما يتعلق بالنحو ومنها ما يتعلق بعلم البديع اعنى المحسنات اللفظية واما المعنوية فمنها ما يتعلق بالمعانى ومنها ما يتعلق
بالبيان ومنها ما يتعلق بالاستدلال ومنها ما يتعلق باصول الدين ومنها ما يتعلق باصول الفقه ومنها ما يتعلق بعلم الاحوال اما القراءة فكما مر
واما اللغة فاذا قلنا العوذ معناه كذا واسم الله معناه كذا والشيطان كذا والرجيم كذا والباء واللام ومن معانيها ههنا كذا فكل واحد منها
مسئلة واما الاشتقاق فان اعتبر الاشتقاق الكبير قلنا ان التراكيب الستة الممكنة من ع و ذ هل هى مستعملة او مهملة وكذا كل من تراكيب



ان شرطنا ان اوشى مع ط ومن تركيب تج مر واذا كانت مستعملة فاصل المعنى فى كل من المستعمل كيف يعتبر فيحصل مسائل كثيرة وان اعتبر الاشتقاق الصغير فهل للعوذ معنى اخر غير الالتجاء وان كان فما به الاشتراك بينهما اى شئ هو فيحصل مسائل واما الصرف فكان نقول اعوذ فعل مضارع متكلم واصله اعوذ مثل اطلب نقلت الضمة من الواو الى ما قبلها تخفيفا والله لاه كالناس اصله الاناس فعال بمعنى مفعول نقلت الكسرة من الهمزة الى اللام وحذفت الهمزة للتخفيف فاجتمعت لامان فاسكنت الاولى وادغمت فى الثانية وقالوا يا الله فى النداء خاصة بالقطع لانها كالعوض من المحذوفة فكانك قلت يا اله لا اله وقيل اصله لاه الحقوا بها الالف واللام وانشدوا لحلفة من ابى رباح يسمعها لاهه الكبار ولو عد هذه المسئلة من اللغة جاز لانها غير قياسى والشيطان فعلان او فيعال والرجيم فعيل بمعنى مفعول كلاهما المبالغة فهذه مسائل واما النحو فاعوذ فعل فاعله ضمير المتكلم المستتر وهو انا والمجموع جملة فعلية وبالله متعلق به وكذا من الشيطان الرجيم بحو سرت من البصرة الى الكوفة والرجيم صفة للشيطان معرف مثله وشيطان منصرف لانه اسم جنس لا علم فهذه مسائل واما البديع فان نقول انما اختير الرجيم دون اللعين والمرجوم مثلا ليوافق الفاصلة الاخرى وهو الرحيم اذا ابتدأ القارى بعد الاستعاذة بالبسملة وهو الاكثر مع ان اول القران ايضا البسملة واعتبار الاستعاذة ههنا اولى ولتكون تجنيسا خطيا وترصيعا واما المعانى فان نقول انما اختير المضارع على الماضى ليدل على الاستمرار والدوام اى شانى انى اعوذ كقولك يشرب الخطيب وانما لم يقل انا اعوذ وانا عائذ وان كانت الجملة الاسمية تدل على الثبات لان المراد انى على تجدد وهذا القول منى لحظة فلحظة ثابت مستمر لان عوذى مستمر وانما لم يقل بالله اعوذ ليفيد الحصر كما يقال فى بسم الله ابتدأ لان الاستعاذة ههنا اهم منها للامر ولانه لا يعوذ الا بالانقطاع عن الغير والتبرى عن سوى الحق جل ذكره فلا حاجة الى التخصيص ولانه موافق لما ورد فى القران فاستعذ بالله وانما اختير اسم الله لانه كالعلم والمقام مقام احضاره فى ذهن السامع بعينه ليكون ادل على انقطاعه عما سواه وانما ذكر الشيطان معرفا باللام الجنسى ليدل على هذه الحقيقة التى هى مادة كل شر ويشمل كل فرد منها ضرورة وجود الحقيقة فى اى فرد يفرض ولو اريد العهد ايضا جاز كما مر ولو نكر بان قلت من شيطان رجيم لم يفد العموم وان قلت من كل شيطان لا طلت والمقام مقام اختصار وانما وصف بالرجيم لان المقام مقام التاكيد ذم ولا ذم ابلغ من البعد عن حضرة من هو منشا كل كمال ومصدر كل خير واما البيان فان قوله اعوذ معناه التصون ولا ريب ان الالتصاق بالله محال لان ذلك من شان الاجسام والمراد التصون برحمة الله وفضله فهو اذن مجاز لغوى وفى نفس الالتصاق ايضا بعد تقدير الرحمة تجوز بعيد على ما لا يخفى ولو اريد بالشيطان شيطان الانس ايضا ويثبت كون اللفظ موضوعا لشيطان الجن فقط كان استعارة واذا قدرنا الاستعاذة من شر الشيطان كما مر كان مجازا بالنقصان ايضا واما ما يتعلق بالاستدلال فاما من جهة التصور واما من جهة التصديق اما الاول فنحو كيفية اقتناص التصورات الواقعة فى التركيب من مفهوم العوذ ومفهوم اسم الله ومفهوم الشيطان ومفهوم الرجيم وان كلا منها كيف يعرف بالحد او الرسم فان عرف بالحد فكيف يرتب جنسه وفصله وان عرف بالرسم فكيف يركب لوازمه واما معرفة الجنس والفصل واللوازم انفسها لكل منها فمن الامور العامة واما الثانى فان قولنا اعوذ لفظه خبر ومعناه اما دعاء اى اللهم اعذنى واما انشاء نحو بعت واشتريت واذا كان كذلك فلا يتطرق اليه احتمال الصدق والكذب فلا يحتاج الى البرهان على احدهما واستعمال الخبر فى معنى الطلب من مسائل علم المعانى ايضا واما ما يتعلق باصول الدين فان يسلم ان ذات الله تعالى وصفاته من انه قادر مختار عليم الى غير ذلك من الصفات التى بها يتمكن المستعاذ به من دفع المضار والشرور عن المستعيذ بحيث لا يمنعه مانع ولا يغلبه منازع وتصور الشيطان ولوازمه وكيفية وسوسته بنحو ما سبق فى المقدمة الثانية واما ما يتعلق باصول الفقه فان يعرف ان الاستعاذة الواردة فى الكتاب والسنة واجبة ام لا بل مندوبة وان كانت واجبة فيتكرر بتكرر القراءة ام لا وانها يقتضى الفور او يحتمل التراخى واما ما يتعلق بالفقه فانها يستحب فى الصلوة ام لا وان استحب فيجوز فى المكتوبة ام لا وان جازت ففى كل ركعة ام فى الاولى وحدها او يسرها ام يجهر واما ما يتعلق بعلم الاحوال فكالنكت التى نبينها فى المقدمة الثانية وانها لا تكاد تنحصر فهكذا يجب ان يستنبط المسائل من كل كلام يراد تفسيره من غير ان يتخطى فى شئ من ذلك الى ما ليس من العلم كان نقول فى كل قراءة الاستعاذة والقراءات المشهورة سبع كذا وكذا ورواة كل قراءة من هم وما منشا كل قراءة وفى اللغة ان واضعها من هو وكيف نشاءت اللغات وما معنى الاشتقاق وما فائدته وفى الصرف انه معرفة احوال الكلم التى ليست باعراب ومن جملة الاحوال صيغة المضارع وما معناها وما اصل الفعل والكلمة الى غير ذلك من قواعد الصرف بل ما فوق ذلك من مباحث الحرف والصوت بل مقولة الكيف وفى النحو ان التركيب مشتمل على الاسم والفعل والحرف والاسم معرب منصرف وغير منصرف وغير منصرف ومبنى وما سبب الاعراب والبناء والصرف ومنع الصرف وانواع الاعراب كم هى وكل منها يختص باى شئ من الفاعل والمفعول والمضاف اليه ولم يختص بكل صنف ما يختص واصناف الفعل كم هى واصناف الحرف كم هى ولا سيما حروف الجر وما معنى كل منها الى غير ذلك وبالجملة فمن كل علم يوجد نكتة مخصوصة بهذه المادة يلزمنا ايرادها فقط اذ لو تعدينا الى ما فوق ذلك من القواعد والقوانين لزم ايراد كل العلوم او اكثرها فى تفسير كلام واحد وانه محال شنيع اذ يلزم تداخل العلوم واضطراب القوانين وايضا لو فسر الشيطان الرجيم بما يلزمه من انواع الضلالات والجهالات والعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة فى الملة الاسلامية وغيرها او فسر بما هو مباين عنه كانواع الافات واصناف المخافات حتى يلزم تكثير المسائل لم يخل عن التعسف والاعتساف ومن ارتكب شيئا من ذلك فقد نطق بالخلف وزاغ عن الجادة وانحرف عن سواء السبيل نعم لو اورد طرف من الاصطلاحات والمسائل على سبيل التصدير من غير اشارة الى ماخذها الاصلية ودلائلها الكلية لافادة ولجازها بلا تجاوز عن حد الضرورة ومقدار الواجب كما اشرنا اليها فى



المقدمات وقد بقي مما يمكن ان يعد من المقدمات ذكر ابتداء الوحي وكيفية نزول القرآن شيئا بعد شيء وبيان كيفية اعجاز القرآن ونحن قد نوينا الاتيان بها ايرادها في مواضعها اذا افضت النوبة اليها فلنشرع الان في المقصود وهو التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان والله المستعان وعليه التكلان

سورة الفاتحة وهي سبع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

القراءة مالك بالالف سهل ويعقوب وعاصم وعلي وخلف الباقون ملك الرحيم ملك مدغما ابو عمرو وكذلك يدغم كل حرفين التقيا من كلمتين اذا كانا من جنس واحد مثل فالهم او مخرج واحد مثل وقالت طائفة او قريبي المخرج مثل خلقكم ولقد جاءكم سواء كان الحرف المدغم ساكنا مثل انبتت سبع سنابل ويسمى بالادغام الصغير او متحركا فاسكن للادغام مثل قيل لهم ولذهب بسمعهم ويسمى بالادغام الكبير الا ان يكون مضاعفا نحو ما لكم ومس سقر او منقوصا مثل كنت ترابا ونعني بالمنقوص الاجوف المحذوف العين او مفتوحا قبله ساكن مثل البحر لتاكلوا والحمير لتركبوها الا في مواضع اربعة كادت تزيغ وقال رب كل القرآن والصلوة طرفي النهار وبعد توكيدها او يكون الاظهار اخف من الادغام نحو افانت تهدي فانت تسمع وعن يعقوب ادغام المتجانسين في جميع القرآن اذا التقيا من كلمتين الصراط باشمام الزاي ههنا وفي جميع القرآن حمزة وعن يعقوب بالسين كل القرآن وعن الكسائي باشمام السين كل القرآن والباقون بالصاد عليهم واليهم ولديهم بضم الهاءات كل القرآن حمزة وسهل ويعقوب ضم كل ميم جمع يزيد وابن كثير ونافع غير ورش بضم الميم عند الالف القطع فقط نحو انذرتهم ام الوقوف العالمين لا لاتصال الصفة بالموصوف الرحيم لا لذلك الدين ط للعدول عن الغائب الى المخاطب نستعين ط لابتداء الدعاء المستقيم لا لاتصال البدل بالمبدل انعمت عليهم لا لاتصال البدل او الصفة الضالين ه التفسير روى عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برايه فاصاب فقد اخطا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار فذكر العلماء ان النهي عن تفسير القرآن بالراي لا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط او المراد به امر آخر وباطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه كيف وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك وانما النهي يحمل على وجهين احدهما ان يكون له في الشيء راي واليه ميل من طبعه وهواه فيتاول القرآن على وفق هواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الراي والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا قد يكون مع العلم بان المراد من الآية ليس ذلك ولكن يلبس على خصمه وقد يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برايه وهواه ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وقد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول المراد بفرعون في قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى هو النفس الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن المراد ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وما يدري بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم ام انفسهم وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه ما دام على قوانين العلوم العربية والقواعد الاصلية والفرعية واعلم ان مقتضى الديانة ان لا يأول المسلم شيئا من القرآن والحديث بالمعاني بحيث يبطل به الاعيان التي فسرها النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها ولكنه يجب ان يثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها حقائق اخرى ورموزا ولطائف بحسب ما يكوشف فلا بأس فان الله تعالى ما خلق شيئا في عالم الصورة الا وله نظير في عالم المعنى وهو الآخرة الا وله حقيقة في عالم الحق وهو غيب الغيب وما خلق في العالمين شيئا الا وله انموذج في عالم الانسان والله تعالى اعلم والتفسير اصله الكشف والاظهار وكذلك سائر تقاليبها من ذلك سفرت المرأة كشفت عن وجهها والفرس لانه يكشف به عن وجوه الحوائج ومنه السرف لانه يكشف عن مال الرجل والرفس لانه يكشف عن عضو وانكشاف حال المقيد في رسفانه وواضح فن التفسير ما يتعلق باللغة ومنه ما يتعلق بالصرف والنحو والمعاني والبيان الى غير ذلك من العلوم كما اشرنا الى ذلك في اول المقدمة العاشرة ومنه اسباب النزول وذكر القصص والاخبار وغيرها ونحن على ان نورد نص القرآن مع الترجمة ثم القراءة ثم الوقوف ثم اسباب النزول ثم التفسير الشامل لجميع ذلك ثم التاويل ان كان ولم نذكره في التفسير ونذكر منه ما هو اقرب الى الامكان والله المستعان فنشتغل بتفسير الفاتحة فنقول في البسملة مسائل الاولى الجار والمجرور لا بد له من متعلق وليس بمذكور فيكون مقدرا وانه يكون فعلا واسما فيه رائحة الفعل وعلى التقديرين فاما ان يقدر مقدما او مؤخرا نحو ابدأ بسم الله وابتدائي بسم الله وبسم الله ابدأ وبسم الله ابتدائي والابتداء وتقدير الفعل اولى من تقدير الاسم لان كل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله يكون مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له فيكون المراد ان انشاء ذلك الفعل انما هو على اسم الله فيقدر ههنا بسم الله اقرأ او اتلو وابدأ لان الذي يتلو التسمية مقروء ومبدوء به كما ان المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله

مرجو وكتبه

والبركات كان المعنى بسم الله احل وارتحل وكذلك الذابح ونظيره في حذف متعلق الجار قولهم في الدعاء للعرس بالرفاء والبنين اى بالرفاء اعرست
وتقدير المحذوف متأخرا اولى على نحو قوله تعالى بسم الله مجريها ومرساها لان تقديم ذكر الله ادخل في التعظيم ولان ما هو السابق في الوجود يستحق
السبق في الذكر ولهذا قال المحققون ما رأينا شيئا الا ورأينا الله تعالى قبله ولانهم كانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى
فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل وانما قدم الفعل في اقرأ هناك اوقع لانها اول سورة نزلت وكان
الامر بالقراءة اهم قال صاحب المفتاح الصواب ان يقال معنى اقرأ اوجد القراءة ثم يكون باسم ربك متعلقا باقرأ الثاني وذكر في معنى تعلق اسم الله
بالقراءة وجهان اما تعلق الكتبة بالقلم في قولك كتبت بالقلم كأن فعله لا يجيء معتدا به شرعا الا بعد تصديره بذكره وقال صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه
ببسم الله فهو ابتر واما تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن اى متبركا باسم الله اقرأ كما في قوله بالرفاء والبنين اى اعرست متلبسا
بالرفاء وهذا اعرب واحسن اما كونه ادخل في العربية فلانه لا يعرفه الا من له دربة بفنون الاستعمالات بخلاف الاول فانه مبتذل واما كونه
احسن فلان جعل اسم الله كالآلة خروج عن الادب لان الآلة من حيث انها آلة غير مقصودة بالذات واسم الله تعالى عند الموحد اهم شيء فقد
وانه مقول على السنة العباد تعليما لهم كيف يتبركون باسمه كيف يعظمونه وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخر السورة ثم انهم استحسنوا تفخيم الكلام و
تغليظها من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة اما الاول فللفرق بينه وبين لفظ اللات في الذكر ولان التفخيم مشعر بالتعظيم ولان اللام الرقيقة
يذكر بطرف اللسان والغليظة يذكر بكل اللسان فكان العمل فيه ادخل في الثواب وهذا كما جاء في التورية احبب ربك بكل قلبك واما الثاني فلان النقل من
الكسرة الى اللام الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود بعد الانحدار وانما لم يعد اللام الغليظة حرفا آخر كما عد الدال حرفا والطاء حرفا آخر مع ان نسبة
الرقيقة الى الغليظة كنسبة الدال الى الطاء فان الدال بطرف اللسان والطاء بكل اللسان لاطراد استعمال الغليظة مكان كل رقيقة ما لم يعق عائق الكسرة وعدم اطراد
الطاء مكان كل دال الثالثة طولوا الباء من بسم الله ما للدلالة على همزة الوصل المحذوفة واما لانهم ارادوا ان لا يستفتحوا كتاب الله الا بحرف معظم
وكان يقول عمر بن عبد العزيز لكتابه طولوا الباء واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله وقال اهل الاشارة الباء حرف منخفض في الصورة
فلما اتصل بكتبة لفظ الله ارتفعت واستعلت فلا يبعد ان القلب اذا اتصل بحضرة الله يرتفع حاله ويعلو شأنه واما ابقاء لام التعريف في
الخط على اصله في لفظ الله كما في سائر اسماء المعرفة واما حذف الالف قبل الهاء فلكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة في الصورة عند الكتابة ولانه
يشبه اللات في الكتابة قال اهل الاشارة الاصل في قولنا الله الاله وهي ستة احرف ويبقى بعد التصرف اربعة في اللفظ الف ولامان وهاء فالهمزة
من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من اقصى الحلق وهذه حال العبد يبتدئ من النكرة والجهالة ويترقى قليلا في مقامات العبودية
حتى اذا وصل الى آخر مراتب الوسع والطاقة ودخل في عالم المكاشفات والانوار اخذ يرجع قليلا قليلا حتى ينتهي الى الفناء في بحر التوحيد كما قيل
النهاية رجوع الى البداية واما حذف الالف قبل النون من لفظ الرحمن فهو جائز في الخط ولو كتب كان احسن الخامسة الاسم احد الاسماء العشرة التي
بنوا اوائلها على السكون وهو عند البصريين في الاصل سمو بدليل تكسيره على اسماء وتصغيره على سمي وتصريفه على سميت ونحوه فاشتقاقه
من السمو العلو وهو مناسب لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره وقيل لان اللفظ معرف للمعنى والمعرف متقدم على المعرف في المعلومية
فهو عال عليه حذف عجزه كما في يد ودم فبقي حرفان اولهما متحرك والثاني ساكن فلما حرك الساكن للاعراب سكن المتحرك للاعتدال فاحتيج الى همزة
الوصل اذ كان دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن حذرا من اللكنة والبشاعة ومنهم من لم يزد الهمزة وابقى السين بحاله فيقول سم كما قال
باسم الذي في كل سورة سمه وقد يضم السين فيقال سم كان الاصل عنده سمو وعند الكوفيين اشتقاق الاسم من الوسم السمة لان الاسم كالعلامة
المعرفة وزيف بانه لو كان كذلك لكان تصغيره وسيما وجمعه اوساما السادسة قال بعض المتكلمين منهم الاشعري ان الاسم غير المسمى وغير التسمية
وهو حق لان الاسم قد يكون موجودا والمسمى معدوما كلفظ المعدوم والمنفي ونحو ذلك وقد يكون بالعكس كالحقائق التي لم توضع لها اسماء ولان
الاسماء قد تكون كثيرة مع كون المسمى واحدا كالاسماء المترادفة وكاسماء الله التسعة والتسعين وبالعكس كالاسماء المشتركة ولان كون الاسم
اسما للمسمى وكون المسمى مسمى له من باب المضاف من باب الاضافة كالمالكية والمملوكية والمضافان متغايران لا محالة ولا يشكل التضايف بالعالم بنفسه
لانهما متغايران اعتبارا ولان الاسم اصوات وحروف هي اعراض غير باقية والمسمى قد يكون باقيا بل واجب الوجود لذاته ويلزم من التلفظ بالعسل
وجود الحلاوة في اللسان ومن التلفظ بالنار وجود الحرارة وقالت المعتزلة الاسم نفس المسمى لقوله تعالى تبارك اسم ربك مكان تبارك ربك
والجواب انه كما يجب علينا تنزيه ذات الله تعالى من النقايص يجب تنزيه اسمه عما لا ينبغي وايضا قد يراد لفظ الاسم مجازا كقوله الى الحول ثم اسم السلام
عليكما قالوا اذا قال الرجل زينب طالق وكان له زوجة مسماة بزينب طلقت شرعا قلنا المراد بالذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق فلهذا
وقع الطلاق عليها والتسمية ايضا مغايرة للمسمى وللاسم لانها عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه
قصد الواضع وارادته والاسم عبارة عن ذلك اللفظ المعين فافترقا السابعة وضع الاسماء والافعال سابق على وضع الحروف لان الحرف
رابطة بينهما والظاهر ان وضع الاسماء سابق على وضع الافعال لان الاسم لفظ دال على الماهية والفعل لفظ دال على حصول الماهية لشيء من
الاشياء في زمان معين فكان الاسم مفردا والفعل مركبا والمفرد سابق على المركب طبعا فيكون سابقا عليه وضعا وايضا الفعل مفتقر الى

سورة الحمد

في اياك نعبد ... لافادة الاختصاص [illegible]

والرقيقة حرف آخر



الفاعل والفاعل لا يفتقر الى الفعل فانه الاسم مستقل في الافادة عن الفعل دون العكس لا ظهر ان الاسماء لماهيات سابقة بالرتبة على الاسماء
المشتقات لان الاولى مفردة والثانية مركبة ويشبه ان يكون اسماء الصفات سابقة بالرتبة على اسماء الذوات القائمة بانفسها لانا لا نعرف
الذوات الا بتوسط الصفات القائمة بها والمعرف معلوم قبل المعرف فتناسب السبق في الذكر الثامنة اقسام الاسماء الواقعة على المسميات
تسعة اولها الاسم الواقع عليه بحسب صفات على الذات ثانيها الاسم الواقع على الشيء بحسب جزء من اجزائه كالحيوان على الانسان ثالثها الواقع
عليه بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته كالاسود والحار رابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا للشيء انه معلوم ومفهوم ومالك ومملوك
خامسها الواقع عليه بحسب صفة سلبية كالاعمى والفقير سادسها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية لها اضافة كالعالم والقادر عند القائل بان العلم
صفة حقيقية ولها اضافة الى المعلومات وكذا القدرة سابعها صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع قولنا قادر لا يعجز عن شيء
وعالم لا يجهل شيئا ثامنها صفة اضافية مع صفة سلبية كالاول فان معناه سابق غير مسبوق تاسعها صفة حقيقية اضافية وصفة سلبية
فهذه اقسام الاسماء لا تكاد تجد اسما خارجا عنها سواء كان لله تعالى او للمخلوقات الناسعة هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم ام لا ذكر بعضهم ان
حقيقته تعالى لما كانت غير مدركة للبشر فكيف يوضع له اسم مخصوص بذاته وما الفائدة في ذلك اقول لا ريب ان الادراك التام عبارة عن الاحاطة التامة
والمحاط لا يمكن ان يحيط بمحيطه ابدا وانه تعالى بكل شيء محيط فلا يدركه شيء مما دونه كما ينبغي الا ان وضع الاسم للذات لا ينافي عدم ادراكه كما ينبغي وانما
ينافي عدم ادراكه مطلقا فيجوز ان يقال الشيء الذي يدرك منه هذه الاثار واللوازم مسمى لهذا اللفظ وايضا اذا كان الواضع هو الله تعالى وانه يدرك
ذاته على ما هو عليه فلان يضع لذاته اسما مخصوصا الا يشاركه فيه غيره حقيقة اذا كان وضع الاسم لتلك الحقيقة المخصوصة ممكنا فينبغي ان يكون ذلك
الاسم اعظم الاسماء وذلك الذكر اشرف الاذكار لان شرف العلم والذكر بشرف المعلوم والمذكور فلا اتفق لعبد من عبيده المقربين الوقوف على ذلك
الاسم حال ما يكون قد تجلى له معناه لم يبعد ان ينقاد له عوالم الجسمانيات والروحانيات ثم القائلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا فيه
على وجوه منهم من قال هو ذو الجلال والاكرام لهذا قال الظوا بياذا الجلال والاكرام ورد بان الجلال من الصفات السلبية والاكرام من الاضافية
ومن البين ان حقيقته المخصوصة مغايرة للسلوب والاضافات ومنهم من قال انه الحي القيوم لقوله صلعم لابي بن كعب حين قال له ما اعظم اية في كتاب الله فقال
الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال صلعم ليهنك العلم يا ابا المنذر وزيف بان الحي هو الدراك الفعال وهذا ليس فيه عظمة ولانه صفة واما القيوم
فمعناه كونه قائما بنفسه مقوما لغيره والاول مفهوم سلبي هو استغناؤه عن غيره والثاني اضافي ومنهم من قال ان اسماء الله تعالى كلها
عظيمة لا ينبغي ان يفاوت بينها وربما مر ان اسم الذات اشرف من اسم الصفة ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله وهذا اقرب لانا
ستقيم الدلالة على ان هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه واذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة ويؤيده ما روت اسماء بنت يزيد ان
رسول الله صلعم قال اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة ال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
وعن بريدة ان رسول الله صلعم سمع رجلا يقول اللهم اني اسئلك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد سئل الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى ولا شك ان اسم الله في الاية والحديث
اصل والصفات مرتبة عليه هذا واما الاسم الدال على المسمى بحسب جزء من اجزائه فمحال في حق الله تعالى لان ذاته تعالى مبرء عن شائبة التركيب بوجه من
الوجوه واما الاسم الدال بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته المخصوصة فتلك الصفة اما ان تكون هي الوجود واما ان تكون كيفية من كيفيات الوجود
واما ان تكون صفة اخرى مغايرة للوجود فهذه ثلثة اقسام القسم الاول الاسماء الدالة على الوجود منها الشيء ويجوز اطلاقه على الله تعالى عند
الاكثرين لقوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته وفي الخبر كان الله ولم يكن شيء غيره
ولان الشيء عبارة عما يصح ان يعلم ويخبر عنه وذاته تعالى كذلك حجة المخالف قوله تعالى الله خالق كل شيء فلو كان الله تعالى شيئا لزم ان يكون خالق نفسه
ومثله وهو على كل شيء قدير قلنا خص بدليل العقل قالوا ليس من صفات المدح قلنا نعم هو خبر من لا شيء وان كان سائر الاشياء مشتركة
معه في ذلك كالموجود والكريم والحليم فان كلا منها مدح بالنسبة الى من لا وجود له ولا كرم ولا حلم بل الشيء بالحقيقة هو وباقي الاشياء شيئيتها
مستعارة كوجودها ومنها الموجود واطبق المسلمون على جواز اطلاقه عليه تعالى وكيف لا ومعنى قول الموحد لا اله الا الله اي لا اله في الوجود الا الله
ومنها الذات ولا شك في جواز اطلاقه عليه فانه يصدق على كل حقيقة انها ذات الصفات اي صاحبة الصفات القائمة بها ويؤيد ذلك ما روي عن
ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ان ابرهيم لم يكذب الا في ثلث ثنتين في ذات الله اي في طلب مرضاته ومنها النفس قال الله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك وقال صلعم كما اثنيت على نفسك اي على ذاتك وحقيقتك ومنها الشخص غير من الله تعالى ومن اجل غيرته حرم من الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ولا شخص احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص احب اليه المدحة من الله والمراد بالشخص
الحقيقة المتعينة الممتازة عما عداها ومنها النور قال من قائل الله نور السموات والارض وليس المراد انه الظاهر في نفسه المظهر لغيره واذ الظهور
والاظهار فانه واجب الوجود لذاته ازلا وابدا ويخرج جميع الممكنات من العدم الى الوجود فاذن هو نور الانوار تعالى وتقدس وسنوفي ما يتعلق بتمام
التحقيق اذا وصلنا الى سورة النور وهو بحقايق الامور اعلم ومنها الصورة وقد ورد في الخبر ان الله خلق ادم على

ولكيفيات الوجود
صح

المراد به ما اشتمل الكيفية المبصرة وما يتم
الا اظهار كونه قائما
وصح



صورته وقيل معناه خلق آدم على صورته التي كان عليها يعني ما تولد من نطفة ودم وما كان جنينا ورضيعا بل خلقه الله تعالى رجلا كاملا دفعة واحدة

وقيل في حديث آخر لا تقبحوا الوجه فان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن المراد من الصورة الصفة كما يقال صورة هذه المسئلة كذا اي خلقه

على صفته في ارضه متصرفا في جميع الاجسام الارضية كما انه تعالى نافذ القدرة في جميع العالم ويمكن ان يقال الصورة اشارة الى وجه المناسبة

التي ينبغي ان يكون بين كل علة ومعلولها فان الظلمة لا تصدر عن النور وبالعكس كما ذكرنا في رسالتنا ومنها الجوهر وانه لا يطلق عليه بمعنى

موجود لا في موضوع اي اذا وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج الى محل يقوم به فيستغني عن المحل عنه لان ذلك ينبئ عن كون وجوده زائدا على ماهيته

وانما يمكن ان يطلق عليه بمعنى آخر وهو كونه قائما بذاته غير مفتقر الى شيء في شيء اصلا لكن الاذن الشرعي حيث لم يرد بذلك وجب الامتناع عنه

ومنها الجسم لا يطلقه عليه الا المجسمة فان ارادوا الجوهر القابل للابعاد الثلثة فمحال للزوم التركيب والتجزي وان ارادوا معنى يليق بذاته من كونه

موجودا قائما بالنفس غنيا عن المحل فالاذن الشرعي لم يرد به فلزم الامتناع ومنها الماهية والانية اي الحقيقة التي يسئل عنها بما هي وثبوته

الدال عليه لفظ انما ولا باس باطلاقهما عليه اذا اريد بهما الحقيقة والذات المخصوصة الا من حيث الشرع ومنها الحق فانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم

اما بحسب ذاته فلانه الموجود الذي يمتنع عدمه والحق يقال بازاء الباطل والباطل يقال للمعدوم قال لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل واما بحسب

ما يقال ان هذا الخبر حق وصدق فهذا الخبر حق وصدق واما بحسب ما يقال هذا الاعتقاد حق فلان اعتقاد وجوده ووجوبه صواب الاعتقاد

المطابقة القسم الثاني في الاسماء الدالة على كيفية الوجود منها القديم وهو في اللغة يفيد طول المدة وفي الشرع يرادف الازلي ويراد بهما ما لا اول

له في الطرف الماضي كالابدي في الطرف المستقبل وكذا السرمد واشتقاقه من السرد لتوالي التعاقب زيدت الميم للمبالغة ونعني بالتسبيه في هذه الالفاظ

انه منسوب الى عدم البداية والنهاية في كلا طرفي الامتداد الوهمي المسمى بالزمان ومنها الممتد المستمر ونعني بهما تلاحق الاجزاء وتعاقب الابعاض ولا يخفى

ان امثال هذه الالفاظ انما يصح اطلاقها بالحقيقة على الزمان والزمانيات واما في حق الله جل ذكره فلا يصح الا بالمجاز بعد التوقيف ومنها الباقي قال

تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم ومنها الدائم وهو كالباقي ومنها واجب الوجود لذاته اي ذاته اقتضى وجوده

وما بالذات لا ينفك عنه ابدا فهو يمتنع الفناء والعدم ازلا وابدا ولهذا قيل خداي معناه خود آي اي انه جاء بنفسه ومنها الكائن قال تعالى وكان

الله عليما حكيما وفي بعض الادعية المأثورة عن النبي صلعم يا كائنا قبل كل كون ويا حاضرا مع كل كون ويا باقيا بعد انقضاء كل كون واعلم ان لفظ كان

يفيد الحصول والثبوت والوجود الا ان هذا قسمان منه ما يفيد حصول الشيء في نفسه ومنه ما يفيد حصول موصوفية شيء لشيء والاول تسمى

باسناده الى ذلك الشيء وهي التامة والثاني لا يتم الا بذكر شيئين وهي الناقصة نحو كان زيد عالما اي حصل موصوفية زيد بالعلم

وكلا القسمين يجوز اطلاقه عليه تعالى القسم الثالث في الصفات الحقيقية المغايرة للوجود والكيفيات الوجود الفلاسفة والمعتزلة انكروا قيام مثل

هذه الصفات بذات الله تعالى اشد انكار لان واجب الوجود لذاته يجب ان يكون واحدا من جميع جهاته ولان تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود

لزم شريك الباري مع ان الجمع بين الوجوب لذاتي وبين كونه صفة للغير والصفة مفتقرة الى الموصوف محال وان كانت ممكنة الوجود فلها علة

موجدة ومحال ان يكون هو الله تعالى لانه قابل لها فلا يكون فاعلا لها ولان ذاته لو كانت كافية في تحصيل تلك الصفة فيكون ذاته بدون تلك الصفة

كاملة في العلية وهو المطلوب وان لم يكن كافيا لزم النقص المنافي لوجوب الوجود حجة المثبتين ان اله العالم يجب ان يكون عالما قادرا حيا ثم

انا نذكر التفرقة بين قولنا ذات الله تعالى وبين قولنا ذاته عالم قادر وذلك يدل على المغايرة بين الذات وهذه الصفات واذا قلنا باثبات

الصفات الحقيقية فنقول العلم صفة يلزمها كونه متعلقة بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صفة تعلقها بايجاد المقدور والصفة الحقيقية

العارية عن النسب والاضافات في حقه تعالى ليست الا صفة الحيوة ان لم نقل انها عبارة عن الدراكية والفعالية بل يقال انها صفة باعتبارها

يصح ان يكون عالما وقادرا والتحقيق ان الحيوة عبارة عن كون الشيء بحيث يصدر عنه ما من شانه ان يصدر عنه كما ينبغي ان يصدر عنه ولا ريب ان

واجب الوجود تعالى احق الاشياء بهذا الاسم لان وجوب الوجود يقتضي اتصافه بجميع الصفات الكمالية وصدور الاشياء الممكنة عنه على النحو

الافضل ولهذا امدح الله تعالى به نفسه فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم واما الاسماء الدالة على الصفات الاضافية

فمنها التكوين وهو عند المعتزلة والاشعري نفس المكون وقال غيرهم انه غيره حجة الاولين ان الصفة المسماة بالتكوين اما ان يؤثر على سبيل

الصحة وهي القدرة لا غير او على سبيل الوجوب يلزم كونه موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وايضا ان كانت قديمة لزم قدم الآثار وان كانت

حادثة افتقرت الى تكوين آخر وتسلسل الآخرون قالوا كونه خالقا رازقا ليس عبارة عن الصفة الاضافية فقط بل هو عبارة عن صفة حقيقية

موصوفة بصفة اضافية لان المعقول من كونه موجدا مغاير للمعقول من كونه قادرا فان القادر على الفعل قد يوجد وقد لا يوجد ومنها كونه تعالى

معلوما مذكورا مسبحا ممجدا فيقال انها المسبح بكل لسان وانها الممدوح عند كل انسان وانها المرجوع اليه في كل حين واوان ولما كان هذا

النوع من الاضافات غير متناه كانت الاسماء الممكنة لله بحسب هذا النوع من الصفات غير متناهية ومنها الفاظ متقاربة تدل على مجرد كونه موجدا

مثل الموجد ومعناه المؤثر في الوجود والمحدث ومعناه المؤثر لانه الذي جعله موجودا بعد العدم والمكون وهو كالموجد والمنشئ ومعناه ينشئ على

التدريج والمبدع والمخترع ويفهم منهما الايجاد الدفعي وكذا الفاطر ومثل الصانع ويفهم منه تكلف ما والخلق فهو التقدير وانه في حق الله تعالى يرجع

كونه خليفة



الى العلم واما البارئ فهو الذي يحدثه على الوجه الموافق للمصلحة يقال برأ القلم اذا اصلحه وجعله موافقا للغرض معين ومنها الفاظ تدل على ايجاد شيء
بعينه وانها تكاد تكون غير متناهية ومنها الفاظ تدل على ايجاد النوع الفلاني لاجل الحكمة الفلانية فاذا خلق المنافع سمي نافعا واذا خلق الالم
سمي ضارا واذا خلق الحيوة سمي محييا واذا خلق الموت سمي مميتا واذا اختصهم بالاكرام سمي برا لطيفا واذا اختصهم بالقهر سمي قهارا جبارا واذا قلل العطا
سمي قابضا واذا كثر سمي باسطا واذا جازى الذنوب بالعقاب سمي منتقما واذا ترك ذلك الجزاء سمي عفوا غفورا رحمانا رحيما واذا حصل المنع والاعطاء في
المال سمي قابضا باسطا واذا حصلا في الجاه والحشمة سمي خافضا رافعا واما الصفات السلبية فمنها ما يعود الى الذات كقولنا انه ليس جوهرا ولا
جسما ولا مكانيا ولا زمانيا ولا حالا ولا محلا ولا مفتقرا الى شيء غيره تعالى في ذاته وفي صفاته وانه لم يلد فلم يولد ولم يكن له كفوا احد ومنها ما يعود
الى الصفات ولا يخفى ان كل صفة من صفات النقص يجب تنزيه الله عنها وذلك ما راجع الى اضداد العلم كنفي النوم لا تأخذه سنة ولا نوم
وكنفي النسيان وما كان ربك نسيا وكنفي الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وكان لا يمنعه العلم ببعض المعلومات عن العلم ببعض
لا يشغله شان عن شان واما راجع الى اضداد القدرة لكونه منزها في افعاله عن التعب والنصب وما مسنا من لغوب وانه لا يحتاج في فعله الى الات
وتقديم المادة والمدة انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وانه لا يتفاوت في قدرته القليل والكثير وما امر الساعة الا كلمح البصر
او هو اقرب وانه لا ينتهي قدرته ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واما راجع الى صفة الوحدة كنفي الانداد و
الاضداد ليس كمثله شيء ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله والى صفة الاستغناء وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه ومنها
ما يعود الى الافعال لا يخلق الباطل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لا يخلق اللعب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
لا يخلق العبث افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا يرضى بالكفر لا يريد الظلم لا يحب الفساد لا يؤذي من غير سابقة جرم ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وامنتم لا ينتفع بطاعات المطيعين لا يتضرر بمعاصي المذنبين ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فليس لاحد ان يعترض
عليه في افعاله واحكامه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لا يخلف الله الميعاد ومن اسماء السلوب القدوس والسلام لانه منزه وسالم من نقائص
الامكان ومنها العزيز وهو الذي لا يوجد له نظير ولا يغلبه شيء والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من ايصال الرحمة والصبور الذي لا يعاقب
المسيء مع القدرة عليه واما الاسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافية فمنها القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك و
المليك والقوي وذو القوة ومعانيها ترجع الى القدرة ومنها ما يرجع الى العلم ولا يحيطون بشيء من علمه عالم الغيب والشهادة وهو بكل شيء
عليم علام الغيوب الله اعلم حيث يجعل رسالته علم الله انكم كنتم تختانون والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وعلم ادم الاسماء ولم يرد
علامة وان كان يفيد المبالغة لان ذلك بناء واله او جماعة والخبير يقرب من العلم وكذا الشهيد اذا فسر بكونه مشاهدا لها اما اذا اخذ من الشهادة
كان من صفة الكلام والحكمة تشارك العلم من حيث انه ادراك حقائق الاشياء كما هي وتباينه بانه ايقاع صدور الاشياء عنه كما ينبغي واللطيف
قد يراد به ايصال المنافع الى الغير بطرق خفية عجيبة والتحقيق انه الذي ينفذ تصرفه في جميع الاشياء ومنها ما يرجع الى الكلام وكلم الله موسى تكليما
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا واذ قال ربك ما يبدل القول لدي ومن اصدق من الله قيلا انما امره ان الله يامركم وعد الله حقا
فاوحى الى عبده ما اوحى وكان الله شاكرا عليما كان سعيكم مشكورا وذلك انه اثنى على عبده بمثل قوله كانوا قليلا ما يهجعون وبالاسحار
يستغفرون وهذا صورة الشكر ومنها ما يرجع الى الارادة يريد الله بكم اليسر رضي الله عنهم اي صار مريدا لانعامهم يحبهم ويحبونه والله
يحب المطهرين يريد ايصال الخير اليهم كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها الاشعرية الكراهية عبارة عن ارادة عدم الفعل المعتزلة
صفة اخرى غير الارادة ومنها ما يرجع الى السمع والبصر انني معكما اسمع وارى انه هو السميع البصير لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
واما الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول لانه مركب من معنيين احدهما سابق على غيره والثاني لا يسبق عليه غيره وكالاخر فانه الذي يبقى
بعد غيره ولا يبقى بعده غيره وكالقيوم فانه الذي يفتقر اليه غيره ولا يفتقر هو الى غيره والظاهر اضافة محضة وكذا الباطن اي انه ظاهر بحسب الدلائل باطن
بحسب الماهية واما الاسم الدال على مجموع الذات والصفات الحقيقية والاضافية والسلبية فالاله ولا يجوز اطلاق هذا اللفظ في الاسلام على
غير الله واما الله فسياتي انه اسم علم وقد بقي هنا اسماء يطلقها عليه تعالى اهل التشبيه لكونه متحيزا او حالا في المتحيز استبعادا منهم انه كيف يكون
موجود خال عن كلا الوصفين وهو عند اهل التقديس محال للزوم الافتقار اللهم الا ان يقال استصحاب المكان لا يستلزم الافتقار الى
المكان ومنها العظيم والكبير وهما مترادفان لقوله تعالى في موضع وهو العلي العظيم وفي اخر وهو العلي الكبير وقد يفرق بينهما بانه ورد الكبرياء
ردائي والعظمة ازاري والرداء ارفع من الازار وايضا اختص تحريم الصلوة بالله اكبر دون الله اعظم ولا ريب ان اطلاق العظيم والكبير على الله تعالى
بحسب الحجمية والمقدار كما للاجسام محال للزوم التبعيض والتجزية ومنها العلي والمتعالي فان العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله فاما
ان يراد بمثل هذه الالفاظ مزيد الرتبة والشرف على الممكنات واما ان يقال انا نطلق هذه الاسماء للاذن الشرعي ونكل معانيها الى مراد
الله تعالى واما ان نستمد في ادراكها بضرب من الكشف والعيان ومن الاسماء المضمرة قال عز من قائل انني انا الله لا اله الا انا ولا يصح لغيره
هذا الذكر الا حكاية وما جاء من قول بعض اهل الكمال انا من اهوى ومن اهوى انا اشارة الى كمال المحبة وغاية ارادة الاتصاف بصفة المحبوب وفناء

ارادته في ارادته وقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ولا يصح هذا الامر العبد الا بشرط الحضور والمشاهدة وقال لا اله الا هو
وانما يصح هذا من الغائبين واعلم ان درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلي ونقصانه فكل حاضر غائب بالنسبة الى ما فوق تلك
الدرجة ورب غائب حاضر كما قيل ايا غائبا حاضرا في الفؤاد سلام على الغائب الحاضر وفي لفظة هو اسرار عجيبة منها ان العبد اذا قال يا هو
فكانه يقول ما للتراب ورب الارباب وما المناسبة بين المتولد من النطفة والدم وبين الموصوف بالازلية والقدم فلهذا ينادي نداء الغائبين
ويقول يا هو ومنها انه اذا قال يا هو فقد حكم على ان كل ما سوى الله تعالى نفي محض لانه لو حصل في الوجود شيئان لكان قوله هو صالحا لهما
جميعا فلا يتعين النداء ومنها اذا قال يا رحمن فكانه يتذكر رحمته ويطلب رحمته وكذا اذا قال يا كريم وغيره من الصفات فاما اذا قال يا هو
فكانه استغرق في بحر العرفان وفني عما سوى الذات ومنها اذا قال يا هو فكانه يقول اجل حضرتك ان امدحك واثني عليك بسلب نقائص
المخلوقات عنك وهي صفات الجلال ككونه لا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا في المحل وباسناد كمالات الممكنات اليك وهي صفات الاكرام ككونه مربيا
للموجودات على النحو الاكمل بل لا امدحك ولا اثني عليك الا بهويتك من حيث هي ومنها ان هذا الذكر يفيد ان المنادى كبسيط محض لا طريق الى تصوره
الا بالاشارة العقلية ومنها ان العبد كانه دهش وذهل عن كل ما يوصف به مالكه الا عن هذه الاشارة ولاختصاص هذا الذكر بهذه الاسرار
ذكر الغزالي لا اله الا الله توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص وذلك ان قوله لا هو معناه كل شيء هالك وقوله الا هو الا وجهه ومن جملة
الاذكار الشريفة يا هو يا من لا هو الا هو يا ازل يا ابد يا دهر يا ديهور يا من هو الحي الذي لا يموت ولقد لقنني بعض المشايخ من الذكر يا هو يا من لا هو الا هو يا
من لا هو الا هو فالاول فناء عما سوى الله الثاني فناء في الله والثالث فناء عن سوى الذات والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات يا في بقيته
مباحث الاسماء اختلفوا في ان اسماء الله تعالى توقيفية ام لا فمال بعضهم الى التوقيف لانا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا
وفقيها ومستقينا فلولا ان اسمائه توقيفية لوصف بمثلها وان كان على سبيل التجوز لغة القائلون بعدم التوقيف احتجوا بان اسماء الله تعالى
وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وان شيئا منها لم يرد في القرآن ولا في الاخبار مع ان المسلمين اجمعوا على جواز اطلاقها والجواب ان
التوقيف في غير اللغة العربية لا يوجب عدمه في العربية وبان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وكل اسم دل على صفات الكمال و
نعوت الجلال كان حسنا ويجوز اطلاقه والجواب انه يجوز ولكن بعد التوقيف لم قلتم انه ليس كذلك والغزالي فرق بين اسم الذات وبين اسماء الصفات
فمنع الاول وجوز الثاني واعلم انه قد ورد في القرآن الفاظ دالة على معان لا يمكن اثباتها بالحقيقة في حق الله تعالى منها الاستهزاء الله يستهزئ
بهم والاستهزاء مذموم لكونه جهلا قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ومنها المكر ومكروا ومكر الله ومنها التعجب
بل عجبت ويسخرون فيمن قرأ بضم التاء والتعجب حالة للقلب يعرض عند الجهل بسبب الشيء ومنها التكبر الجبار المتكبر ومنها الحياء ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا والحياء تغير يعرض للقلب والوجه عند فعل شيء قبيح والقانون في تصحيح هذه الالفاظ ان يقال لكل واحد من هذه الاحوال
امور توجد معها في البداية وآثار توجد منها في النهاية مثاله الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دمه وسخونة مزاجه والاثر الحاصل منها في النهاية ايصال الضرر
الى المغضوب عليه فالغضب في حقه تعالى محمول على الاثر الحاصل في النهاية لا الامر الكائن في البداية وقس على هذا قيل ان لله تعالى اربعة الاف اسم الف
منها في القرآن والاخبار والالف في التوراة والالف في الانجيل والالف في الزبور وقد يقال الف آخر في اللوح المحفوظ ولم يصل ذلك الى البشر وهذا
غير مستبعد فان اقسام صفات الله تعالى بحسب السلوب والاضافات لا تكاد تنحصر وكل من كان اطلاعه على آثار حكمة الله تعالى في تدبير العالم العلوي
والعالم السفلي اكثر كان اطلاعه على اسماء الله اكثر وان قلنا ان له بكل مخلوق اسما وكذا بكل خاصية ومنفعة فيه كمنافع الاعضاء والحيوان والنبات
والاحجار خرجت الاسماء عن حيز العد والاحصاء كما قال عز من قائل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان قلت انا نرى في كتب العزائم اذكارا غير
معلومة ورقى غير مفهومة وقد يكون كاتبها ايضا غير معلوم فما بال تلك الاذكار والرقى قلت لا نشك ان تلك الكلمات ان لم تدل على شيء اصلا لم تفد
وان دلت فاحسن احوال تلك الكلمات ان تكون شيئا من هذه الادعية ولا ريب ان الاذكار المعلومة ادخل في التأثير من قراءة تلك المجهولات الا ان
اكثر الناس اذا قرأوا هذه الاذكار المعلومة ولم يكن لهم نفوس مشرقة تجذبهم الى عالم القدس ويلوح عليهم اثر الالهيات لم يكد يظهر عليهم شروق انوار
ولهذا قد ورد رب تال القرآن والقرآن يلعنه نعوذ بالله من هذه الحالة اما اذا قرأوا تلك الالفاظ المجهولة ولم يفهموا منها شيئا وحصلت عندهم
اوهام انها كلمات عالية استولى الفزع والرعب على قلوبهم فيحصل لهم بهذا السبب نوع تجرد عن الجسمانيات وتوجه الى الروحانيات فتتأثر نفوسهم
وتؤثر وهذا وجه مناسب في قراءة الرقى المجهولة واعلم ان بين الخلق وبين اسماء الله تعالى مناسبات عجيبة والنفوس مختلفة والجنسية علة الضم فكل
اسم يغلب معناه على بعض النفوس فاذا واظب صاحبه على ذلك الاسم كان انتفاعه به اسرع والله الموفق وحكي ان الشيخ ابا النجيب البغدادي كان يأمر المريد
بالاربعين مرة بعدما يرى مصلحته فيه ثم يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين وكان ينظر الى وجهه فان رأى عدم التأثر عند قراءتها عليه قال
له اخرج الى السوق واشتغل بمهمات الدنيا فانك ما خلقت لهذا الطريق وان رآه تأثر عند سماع اسم خاص امره بالمواظبة على ذلك الذكر وقال
ان ابواب المكاشفات تنفتح عليك من هذا الطريق وذلك ان الرياضة والمجاهدة لا تقلب النفوس عن احوالها الفطرية ولكنها تضعفها بحيث
لا تستولي على الانسان ولهذا قال عليه السلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الارواح جنود مجندة اعملوا فكل ميسر لما خلق له فهذا تمام البحث

يعذبون مبنا فلما انصرف من حاجته ومر بالقبر فرای ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك ودعى الله من هذه فاوحى الله تعالى اليه يا عيسى كان هذا العبد عاصيا وكان امرأته حبلى فولدت وربت له حتى كبر فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحيت من عبدى ان اعذبه بنارى فى بطن الارض وولده يذكر اسمى على ظهر الارض الثانية عشرة كتب غاوف بسم الله الرحمن الرحيم واوصى ان يجعل فى كفنه فقيل له فى ذلك فقال اقول يوم القيمة الهى بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملنى بعنوان كتابك الثالث عشرة بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا والزبانية تسعة عشرة فالله تعالى يدفع بليتهم بهذه الحروف التسعة عشر الرابعة عشرة اليوم بليلة اربع وعشرون ساعة فرض خمس صلوات فى خمس ساعات فبقى التسعة عشر ساعة لا يستغرق بذكر الله تعالى وهذه التسعة عشرة حروفا تقع كفارات الذنوب الواقعة فى تلك التسع عشرة الخامسة عشرة لما كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب فى اولها بسم الله الرحمن الرحيم وايضا السنة ان يقال عند الذبح بسم الله والله اكبر ولا يقال بسم الرحمن الرحيم فلما وفقك الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبع عشر مرة فى الصلوة المفروضة دل ذلك على انه ما خلقك للقتل والعذاب وانما خلقك للرحمة والثواب السادسة عشرة قال عم من رفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا من المشركين عن على رض قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلعم اول ما انزلت هذه الاية على ادم قال امن ذريتى من العذاب ما داموا على قراءتها ثم رفعت فانزلت على ابرهيم عم فتلاها وهو فى كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار بردا وسلاما ثم رفعت بعده فما انزلت الا على سليمان وعندها قالت الملائكة الان تم والله ملكك ثم رفعت فانزلها الله تعالى على ثم يأتى امتى يوم القيمة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فاذا وضعت اعمالهم فى الميزان ترجحت حسناتهم وعن ابى هريرة انه صلعم قال يا ابا هريرة اذا توضأت فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك لا يستريحون ان يكتبوا لك الحسنات حتى تفرغ واذا اغشيت اهلك فقل بسم الله فان حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان حصل من تلك الواقعة ولد كتبت له الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد انفاس اعقابه ان كان له عقب حتى لا يبقى منهم احد يا ابا هريرة اذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات بعدد كل خطوة واذا ركبت سفينة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها وعن انس انه رسول الله صلعم قال ستر ما بين اعين الجن وعورات بنى ادم اذا نزعوا ثيابهم ان يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم والاشارة فيه اذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين اعدائك من الجن فى الدنيا افلا يصير حجابا بينك وبين الزبانية فى العقبى شعر كانت لنفسى اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رأتك النفس اهوائى فصار يحسدنى من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا دينى ودنيائى هذا تمام الكلام فى تفسير البسملة واما تفسير الفاتحة ففيه ايضا مسائل الاولى فى اسماء هذه السورة وهى كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى فالاول فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه يفتتح بها فى المصاحف وفى التعليم وفى القراءة فى الصلوة ولان الحمد فاتحة كل كتاب كما هى فاتحة القران وقيل لانها اول سورة نزلت من السماء الثانى سورة الحمد لان اولها الحمد الثالث ام الكتاب وام القران لانها اصل القران واصل كل كتاب منزل لاشتمالها على الالهيات والمعاد واثبات القضاء والقدر والنبوات ولان فيها حاصل جميع كتب السماوية وذلك هو الثناء على الله والاشتغال بالخدمة والطاعة وطلب المكاشفات والمشاهدات ولان المقصود من جميع العلوم معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية ولانها افضل سور القران كما ان مكة وهى ام القرى اشرف البلدان واصل لجميع البلدان حيث دحيت من تحتها وكما ان الحمى سميت ام ملدم لانهم جعلوها معظم الاوجاع والمدم الضرب الرابع السبع المثانى لانها سبع ايات ولانها تثنى فى كل صلوة ولان نصفها ثناء العبد للرب ونصفها الاخر عطاء الرب للعبد ولانها مستثناة لهذه الامة قال عم والذى نفسى بيده ما انزلت فى التورية والانجيل ولا فى الزبور مثل هذه السورة وانها السبع المثانى والقران العظيم ولانها اثنية ومدايح لله تعالى الخامس الوافية لانها يجب قراءة كلها ولا يجزى بعضها فى الصلوة السادس الكافية قال عم ام القران عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها السابع الشفاء والشافية لقوله عم فاتحة الكتاب شفاء من كل سقم الثامن الاساس لانها اول سور القران فهو كالاساس ولانها تشتمل على اساس العبادات والمطالب قال الشعبى سمعت عبد الله بن عباس يقول ساس الكتب القران واساس القران فاتحة الكتاب وساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فاذا اعتللت واشتكيت فعليك بالاساس تشف باذن الله تعالى التاسع الصلوة قال النبى عم حكاية عن الله تعالى قسمت الصلوة بينى وبين عبدى نصفين يعنى الفاتحة وهو من باب تسمية الشئ بمعظم اركانه ومنه يعلم وجوب قراءة الفاتحة فى الصلوة العاشر سورة تعليم المسئلة لان الله تعالى علم عباده فيها ادب السؤال لانه قال فابدأ بالثناء ثم بالاخلاص ثم بالدعاء الحادى عشر سورة الكنز لما روى عن على بن ابيطالب انه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش ولهذا قال اكثر العلماء انها مكية وخطأ او مجاهد فى قوله انها مدنية وكيف لا وقد صح عن النبى فى حديث ابى بن كعب انها من اول ما نزل بالقران وانها السبع المثانى وسورة الحجر مكية بلا خلاف وفيها قوله ولقد اتيناك سبعا من المثانى ولا يسعنا القول بان رسول الله صلعم لبث بضع عشرة سنة بلا فاتحة الكتاب وقد جمع طائفة من العلماء بين القولين فقالوا انها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وعلى هذا فانها لم تثبت فى المصحف مرتين لانه لم يقع التواتر على نزولها مرتين ومن فضائل هذه السورة انه لم يوجد فيها الثاء وهو الثبور لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم وهو جهنم وان جهنم لموعدهم اجمعين والخاء وهو الخزى يوم

الرحمن الرحيم

٠١٠٢٨

لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه والزاء وهو الزفير والزقوم والشين وهو الشهيق لهم فيها زفير وشهيق والظاء وهو اللظى كلا انها لظى والفاء
وهو الفراق ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فلما اسقط الله تع من الفاتحة هذه الحروف الدالة على العذاب وهي بعدد ابواب جهنم لقوله
تع لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم غلب على الظن ان من قرأ الفاتحة نجى من جهنم ودخول ابوابها وتخلص من دركات
النار وعذابها الثاني في المباحث اللفظية الحمد مبتدأ ولله خبره اي الحمد ثابت لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله كقولهم
شكرا وعجبا وسبحانك ومعاذ الله فعدل الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره نحو قوله تع قالوا سلاما قال سلام ولهذا كانت تحية
ابرهيم تم احسن من تحيتهم كما جاء واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها ومما يدل على ان اصله النصب قوله اياك نعبد واياك نستعين بيان لحمدهم
وكانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد والاصل توافق الجملتين واللام في الحمد للتعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من
ان الحمد ما هو والاستغراق وهم لانه لو سلم كون اللام للاستغراق في الحمد ابو بكر مثلا لا يدخل فيه والتنه نحو الحمد لله لا يفهم منه الا حقيقة
الحمد من حيث هي وكذا ما ناب منابه وهو الحمد لله وقرأ بعضهم بكسر الدال اتباعا وبعضهم بضم اللام اتباعا الرب المالك ربه يربه فهو رب مصدر وصف
للمبالغة كالعدل وهو مط مختص بالله تع ومضافا يجوز اطلاقه على غيره نحو رب الدار رجع الى ربك وقرئ بالنصب على المدح او بتقدير الحمد
والعالم اسم موضوع للجمع كالانام والرهط وهو ما يعقل من الملائكة والثقلين قاله ابن عباس والاكثرون وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر
والاعراض كقوله تع قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما فعلى الاول مشتق من العلم وخصوا بالذكر للتغليب
وعلى الثاني من العلامة وجمع ليشمل كل جنس مما سمي به وجمع بالواو والنون تغليبا لما فيه من صفات العقلاء مالك يوم الدين اليوم هو المدة
من طلوع نصف جرم الشمس الى غروب نصف جرمها او من ابتداء طلوعها الى غروب كلها او من طلوع الفجر الثاني الى غروبها وهذا في عرف الشرع
ويراد به الوقت لعدم الشمس ثمه والدين الجزاء بالخير والشر كما تدين تدان واضافة اسم الفاعل الى الظرف اتساع واجراء للظرف مجرى المفعول
به مثل يا سارق الليلة اهل الدار وانما افادت التعريف حتى جاز وقوعه صفة للمعرفة لانه ما بمعنى الماضي نحو ونادى اصحاب الاعراف ونادى
الذين اتقوا او بمعنى الاستمرار نحو زيد مالك العبيد فيكون بمعنى من يملك المفيد للاستمرار نحو فلان يعطي ويمنع ويمنع ولا نعمل فيكون الاضافة
حقيقة وقرئ بنصب الكاف ورفعها مدحا وبسكون اللام مخفف ملك مكسور اللام وبجعله فعلا ماضيا ونصب يوم ومليك نعتا ونصبا
وجرا اياك ضمير منصوب منفصل ولا محل للكاف للخطاب نحو ارايتك وهو مذهب الاخفش والمحققين وللخليل حكاية فاياه واياه الشواب
شاذ والاصل نعبدك ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار منفصلا وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة
والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال الطفيل فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره فان قيل لم عدل عن الغيبة
الى الخطاب قلنا هذا يسمى الالتفات في علم البيان وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب تطرية لنشاط السامع وقد
يختص مواقعه بفوائد وسننظم لك في سلك التقرير فائدته في هذا الموضع والعبادة اقصى غاية الخضوع طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة في غاية
الصفاقة وقوة النسج هدى يتعدى باللام او بالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم نحو معاملة اختار في
قوله واختار موسى قومه والاصل فيه الامالة ومنه انا هدنا اليك اي ملنا والهدية لانها تمال من ملك الى ملك والهدى للذي يساق الى الحرم
اي امل قلوبنا الى الحق والصراط الجادة واصله السين من سرط الشيء ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم ومثله مسيطر
ومصيطر والصراط يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل صراط الذين انعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم فائدته التوكيد كقولك هل
ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان ويكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك بينت ذكره
مجملا اولا ومفصلا ثانيا وقراءة ابن مسعود صراط من انعمت عليهم وغير المغضوب بدل من الذين او صفة وانما جاز وقوعه صفة للمعرفة
لان تعريف الذين كلا تعريف ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك عليك بالحركة
غير السكون ويجوز ان يكون بدلا وان كان من معرفة ولا نعت للافادة في الفرق بين عليهم الاولى والثانية ان الاولى محلها النصب على
المفعولية والثانية محلها الرفع على انها مفعول اقيم مقام الفاعل واصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فانعمت دقه اي بالغت
في دقه وكل ما في القرآن من ذكر النعمة بكسر النون فهي المنة والعطية والنعمة بفتح النون التنعم وسعة العيش في نعمة كانوا فيها فاكهين والغضب
اللغة الشدة وقد عرفت معناه بحسب اطلاقه على الخلق وعلى الخالق واصل الضلال الغيبوبة ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وضل الكافر
غاب عن الحق قال ائذا ضللنا في الارض وغير هيهنا بمعنى غير ولا بمعنى لا ولذلك جاز عطف احدهما على الاخر نقول انا زيد غير ضارب كما تقول انا زيد لا
ضارب ويعضده ما قرئ وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا الضالين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جان وامين مدا وقصرا معناه استجب
ان رويته معناه امهل وعن ابن عباس عن رسول الله معناه افعل الثالث في المباحث الفقهية البحث الاول اجمع الاكثرون ومنهم الشافعي على
ان قراءة الفاتحة واجبة في الصلوة وان ترك منها حرفا واحدا وهو يحسنها لم يصح صلوته وعند ابي حنيفة قراءتها غير واجبة لنا انه عم واظب
طول عمره على قراءتها في الصلوة فيجب علينا لقوله فاتبعوه وايضا اقيموا الصلوة معناه الصلوة التي اتى بها الرسول صلعم لكنه كان يقرا الفاتحة



فيها فيجب وايضا روى فى ذلك اخبار كثيرة مثل لا صلوة الا بفاتحة الكتاب كل صلوة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج وروى رفاعة بن مالك ان
رجلا دخل المسجد فصلى فلما فرغ من صلوته وذكر الخبر الى ان قال الرجل علمنى الصلوة يا رسول الله ؐ اذا توجهت الى القبلة فكبر واقرا فاتحة الكتاب وظ
الامر للوجوب لا سيما فى معرض التعليم وايضا الخلفاء الراشدون واظبوا على قراءتها طول العمر وقال ؐ عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين وايضا
المواظبة على قراءة الفاتحة يوجب هجران سائر السور وذلك غير جائز ان لم تكن واجبة فثبت انها واجبة حجة ابى حنيفة فاقرؤا ما تيسر من القرآن
قلنا الفاتحة هى المتيسرة المحفوظة على جميع الالسنة ثم قال اذا قرا اية واحدة كفت مثل الم او حم والطور مدهامتان ابو يوسف ومحمد لا بد من
قراءة ثلث ايات واية واحدة طويلة مثل اية الدين البحث الثانى قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة
ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك وهو مذهب ابى حنيفة ومن تابعه لذلك لا يجهر بها عندهم فى الصلوة وقراء مكة والكوفة
وفقهاؤها على انها اية من كل سورة وعليه الشافعى واصحابه لما روى عن ام سلمة انها قالت قرا رسول الله ؐ فاتحة الكتاب فقال بسم الله
الرحمن الرحيم اية الحمد لله رب العالمين اية الرحمن الرحيم اية مالك يوم الدين اية اياك نعبد واياك نستعين اية اهدنا الصراط المستقيم
اية صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اية وعن سعيد المقبرى عن ابيه عن ابى هريرة ان رسول الله ؐ قال فاتحة الكتاب
سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وروى الثعلبى فى تفسيره باسناده على ابى بريدة عن ابيه قال قال رسول الله ؐ الا اخبرك باية لم تنزل
على احد بعد سليمان بن داود غيرى فقلت بلى فقال باى شئ تفتتح القرآن اذا افتتحت الصلوة قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هى هى وباسناده
عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر ان النبى ؐ قال له كيف تقول اذا قمت الى الصلوة قال اقول الحمد لله قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وباسناده
عن على بن ابى طالب ؓ انه كان اذا افتتح السورة فى الصلوة يقرا بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص فى صلوته و
باسناده عن ابن عباس فى قوله ولقد اتيناك سبعا من المثانى قال فاتحة الكتاب فقيل لابن عباس فاين السابعة فقال بسم الله الرحمن الرحيم
وعن ابى هريرة ان النبى ؐ قال يقول الله سبحانه قسمت الصلوة بينى وبين عبدى نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدنى عبدى واذا
قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال الله فوض الى عبدى واذا
قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بينى وبين عبدى واذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا لعبدى ولعبدى ما سئل الى غير ذلك
من الاخبار وايضا التسمية مكتوبة بخط القرآن فى مصاحف السلف مع توصيتهم بتجريد القرآن عما ليس منه ولذلك لم يثبتوا امين
وايضا قال ؐ لابى بن كعب ما اعظم اية فى كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم فصدقه النبى ؐ ومعلوم انها ليست اية تامة فى قوله انه من سليمن وانه
بسم الله الرحمن الرحيم فيكون اية فى غير هذا الموضع وايضا ان اكثر الانبياء اوجبوا على انفسهم الابتداء بذكر الله قال نوح عند ركوب السفينة
بسم الله مجريها ومرسيها وكتب سليمان الى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم وقوله انه من سليمان من قول بلقيس قبل فتح الكتاب فلما فتحت
الكتاب قرات التسمية فقالت انه بسم الله الرحمن الرحيم ولما ثبت الابتداء بالتسمية فى حقهم ثبت فى حق نبينا ايضا اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده وعن عبد الله بن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عمر قال نزلت بسم الله
الرحمن الرحيم فى كل سورة وايضا البسملة من القرآن فى النمل ثم انا نراه مكررا بخط القرآن فوجب ان نعتقد كونه من القرآن مثل فباى الاء ربكما
وويل يومئذ للمكذبين حجة المخالف خبر ابى هريرة ايضا فى رواية اخرى قال يقول الله قسمت الصلوة بينى وبين عبدى نصفين فاذا قال العبد
الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى الى اخره قال لم يذكر التسمية ولو كانت اية من الفاتحة لذكرها قلنا اذا تعارضت الروايتان فا
لترجيح للمثبت لا للنافى قالوا التنصيف انما يحصل اذا لم يعد التسمية اية حتى يحصل للرب ثلث ايات ونصف وللعبد ثلث ونصف من اياك
نستعين الى اخر السورة اما اذا قلنا التسمية اية صار القسم الاول اربع ايات ونصفا ولا يتحقق التنصيف قلنا نحن نعد التسمية اية ولا نعد انعمت
عليهم هذا اولى غاية لتشابه المقاطع ولان غير صفة او بدل ويختل الكلام بجعله منقطعا عما قبله لان طلب الاهتداء بصراط المنعم عليهم لا
يجوز الا بشرط كون المنعم عليه غير المغضوب عليه ولا ضال لا بدليل قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا فهذا المجموع كلام واحد وهذا
بخلاف الرحمن الرحيم فانا لو قطعنا النظر عن الصفة كان الكلام مع الموصوف غير مختل النظام قالوا روت عايشة ان النبى ؐ كان يفتتح الصلوة بالتكبير
والقراءة بالحمد لله رب العالمين قلنا قال الشافعى لعل عايشة جعلت الحمد لله رب العالمين اسما لهذه السورة كما يقال قرا فلان الحمد لله الذى
خلق السموات والارض قالوا لو كانت من الفاتحة لزم التكرار فى الرحمن الرحيم قلنا التكرار للتاكيد غير عزيز فى القرآن فان قيل اذا عد التسمية
اية من كل سورة على ما روى عن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله فما وجه ما روى عن ابى هريرة ان النبى ؐ قال
فى سورة الملك انها ثلثون اية وفى الكوثر انها ثلث ايات مع ان العدد حاصل بدون التسمية قلنا اما ان يعد التسمية مع ما بعدها اية وذلك
غير بعيد الا ترى ان قوله الحمد لله رب العالمين اية تامة وفى قوله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين بعض اية واما ان يراد ما هو خاصة
الكوثر ثلث ايات فان التسمية كالشئ المشترك فيه بين السور البحث الثالث عن احمد بن حنبل ان التسمية اية من الفاتحة ويسر بها فى كل
ركعة ابو حنيفة ليست باية ويسر بها مالك لا ينبغى ان يقراها فى المكتوبة لا سرا ولا جهرا الشافعية يجهر بها لانها بعد ما ثبت كونها من

الفاتحة والقرآن لا يعقل فرق بينهما وبين باقي الفاتحة حتى يسر بهذه ويجهر بذلك وايضاً انه ثناء على الله وذكر له فوجب ان يكون الاعلان به رفعا
لقوله عز من قائل فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا والسر انما يليق بما فيه نقيصة ومثلبة لا بما فيه مفخرة وفضيلة قال ع طوبى
لمن مات ولسانه رطب من ذكر الله وكان علي بن ابي طالب ع يقول يا من ذكره شرف للذاكرين وكان مذهبه الجهر بها في جميع الصلوات وقد ثبت
هذا منه تواترا ومن اقتدى به لن يضل قال ع اللهم ادر الحق معه حيث دار وروى البيهقي في السنن الكبير عن ابي هريرة قال كان رسول الله ع يجهر في الصلوة
ببسم الله الرحمن الرحيم عن عمر وابنه وابن عباس وابن الزبير مثل ذلك وروى عن الشافعي باسناده ان معوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ بسم الله
الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معوية سرقت من الصلوة اين بسم الله الرحمن الرحيم اين
التكبير عند الركوع والسجود ثم انه اعاد الصلوة مع التسمية والتكبير قال وكان معوية شديد الشكيمة ذا شوكة فلولا ان الجهر بالتسمية كان متقررا عند
كل الصحابة لم يجسروا على ذلك حجة المخالف ما روى البخاري في صحيحه عن انس قال صليت خلف رسول الله ع وخلف ابي بكر وعمر وعثمان فكانوا
يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين وفي رواية ولم اسمع احدا منهم قال بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية ولم يجهر احد منهم ببسم الله الرحمن
الرحيم وعن عبد الله بن المغفل انه قال سمعني ابي وانا اقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال اي بني اياك والحدث في الاسلام قد صليت خلف ابي بكر فقال
الحمد لله رب العالمين وصليت خلف عثمان فقال الحمد لله رب العالمين فاذا صليت فقل الحمد لله رب العالمين والجواب ان حديث انس معارض
بما يروى عنه ايضاً ان معوية لما ترك التسمية في الصلوة انكر عليه المهاجرون والانصار وروى ايضاً ابو قلابة عن انس ان رسول الله ع وابا بكر و
عمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وروى ايضاً انه سئل عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ويروى والاسرار به فقال لا ادري هذه المسئلة
واذا اضطربت الروايات عنه وجب الرجوع الى سائر الدلائل وايضاً ففيها تهمة اخرى وهي ان عليا ع كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما كان زمن بني امية
بالغوا في المنع من الجهر سعيا في ابطال آثار علي بن ابي طالب ع فلعل انسا خاف منهم فلهذا اضطربت اقواله وايضاً من المعلوم ان النبي ع كان يقدم
اولي الاحلام والنهى والاكابر والعلماء على غيرهم ولا شك ان عليا وابن عباس وابن عمر كانوا اعلى حالا من انس وابن المغفل واقرب موقعا وانه
ما كان يبالغ في الجهر لقوله تع ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فلهذا لم يسمعا ورواية المثبت اولى من النافي والدلائل
العقلية معنا ويؤيدها عمل علي بن ابي طالب ع كما مر البحث الرابع تقديم التسمية على الوضوء سنة عند العلماء وليست بواجبة خلافا لبعض اهل
الظاهر حيث قالوا لو تركها عمدا او سهوا لم يصح صلوته لنا قوله ع توضأ كما امرك الله والتسمية غير مذكورة في آية الوضوء والصحيح عندنا ان الجنب
والحائض لا تقولها بقصد القراءة والتسمية عند الذبح وعند الرمي الى الصيد وعند ارسال الكلب مستحبة فلو تركها عامدا او ناسيا لم تحرم
الذبيحة عند الشافعي ولكن تركها عمدا مكروه وعند ابي حنيفة ان ترك التسمية عمدا لم يحل وان نسي حل والعلماء اجمعوا على انه يستحب الا يشرع في عمل
من الاعمال الا ان يقول بسم الله فاذا نام قال بسم الله واذا قام من المقام قال بسم الله واذا اكل او شرب قال بسم الله واذا اعطى واخذ قال بسم الله و
يستحب للقابلة اذا اخذت الولد من الام ان تقول بسم الله وهذا اول احواله من الدنيا واذا مات وادخل القبر قيل بسم الله وهذا آخر احواله
من الدنيا واذا قام من القبر قال بسم الله واذا حضر الموقف قال بسم الله فلا جرم يدخل الجنة ببركة اسم الله البحث الخامس قال الشافعي ترجمة القرآن لا
يكفي في صحة الصلوة لا في حق من يحسن القراءة ولا في حق من لا يحسنها وقال ابو حنيفة انها كافية في حق القادر والعاجز وقال ابو يوسف ومحمد انها كافية
في حق العاجز لا القادر لنا انه ع والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرأوا في الصلوة الا هذا القرآن العربي فوجب علينا اتباعهم وكيف يجوز
قيام الترجمة باي لغة كانت وهي كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر قالوا روي عن عبد الله بن مسعود انه كان يعلم رجلا ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم والرجل لا يحسنه فقال قل طعام الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطأ في القرآن ان يقرأ مكان العليم الحكيم بل ان تضع آية الرحمة مكان آية
العذاب قلنا الظن بابن مسعود غير ذلك قالوا انه لفي زبر الاولين وان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ولا ريب ان القرآن بهذا اللفظ
ما كان في زبر الاولين لكن بالعبرية والسريانية قلنا ان القصص والمواعظ موجودة فيها لا باللفظ بل بالمعنى ولا يلزم من ذلك ان يكون الموجود فيها
قرآنا فان النظم المعجز جزء من ماهية القرآن والكل بدون الجزء مستحيل البحث السادس قال الشافعي في القول الجديد يجب قراءة الفاتحة على المقتدي
سواء اسر الامام بالقراءة او جهر بها وفي القديم يجب ان اسر الامام ولا يجب ان جهر وهو قول مالك واحمد وابو حنيفة يكره القراءة خلف الامام بكل
حال لنا قوله تع فاقرأوا ما تيسر من القرآن وقوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب يشمل المنفرد والمقتدي وايضاً روى الترمذي في جامعه باسناده
عن عبادة بن الصامت ان النبي ع صلى الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اني اراكم تقرأون خلف امامكم قلنا اي والله قال لا تفعلوا
الا بام القرآن فانه لا صلوة لمن لم يقرأ بها قال وهذا حديث حسن ايضاً وقراءتها لا تبطل الصلوة عندهم ولكن يجوزون تركها ويبطلها عدم القراءة
عندنا فالاحوط قراءتها احتج المخالف بقوله تع واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وباخبار بين ضعفها البيهقي في كتابه ونحن نقول ما
القرآن مخصوص بغير الفاتحة لما مر واما الاخبار فهب انها صحيحة الا ان الترجيح معنا لان الاشتغال بقراءة القرآن من اعظم الطاعات ولانه
احوط البحث السابع مذهب الشافعي ان الفاتحة واجبة في كل ركعة فان تركها في ركعة بطلت صلوته وبه قال ابو بكر وعمر وعلي وابن مسعود ومعظم
الصحابة لانه ع كان يقرأها في كل ركعة ولانه قال للاعرابي الذي علمه الصلوة وكذلك فافعل في كل ركعة وعن ابي سعيد الخدري انه قال امرنا ان

وصليت خلف عمر فقال الحمد لله رب العالمين م



ان تقرأ فاتحة الكتاب في كل ركعة فريضة كانت او نافلة وايضا القراءة في كل ركعة احوط فيجب المصير اليها وقيل غيره واجبة اصلا وقيل يجب في كل صلوة
ركعة واحدة فقط وبه يحصل امتثال قوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وعند ابي حنيفة القراءة تجب في الركعتين الاوليين لقول عائشة فرضت
الصلوة في الاصل ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فهما اصل والزائد تبع قلنا ما ذكرنا احوط وقيل تجب الفاتحة في الاوليين وتكره
في الاخريين وعند مالك يجب في اكثر الركعات ففي الثنائية فيهما وفي الثلاثية في اثنتين وفي الرباعية في ثلاث البحث الثامن اذا ثبت ان
القراءة شرط في الصلوة فلو تركها او حرفا من حروفها عمدا بطلت صلوته وكذا سهوا على الجديد وما روي ان عمر بن الخطاب صلى المغرب
فترك القراءة فقيل له تركت القراءة قال كيف كان الركوع والسجود قالوا حسنا قال فلا باس معارض بما روى الشعبي عنه انه اعاد الصلوة ولانه
لعله ترك الجهر بالقراءة لا نفس القراءة البحث التاسع يجب رعاية الترتيب في اجزاء الفاتحة وما وقع غير مرتب فغير محسوب البحث العاشر ان لم
يحفظ شيئا من الفاتحة قرأ بقدرها من غيرها من القرآن ثم ذكر من الاذكار ثم على وقفة بقدرها فان لم تعلم قراءة ما لم يفرغ منه البحث الحادي
عشر ما نقل عن ابن مسعود انه كان ينكر ان يكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القرآن الظن به ان هذا النقل عنه كاذب لان جحد المتواتر كيف
يليق بحاله الرابع فيما يختص بتفسير الحمد لله من فوائد الفائدة الاولى في الفرق بين الحمد والمدح والشكر المدح للحي ولغير الحي كاللؤلؤ والياقوت
الثمينة والحمد للحي فقط والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده والحمد انما يكون بعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه قال ع
احثوا التراب في وجوه المداحين والحمد مامور به مطلقا قال ع من لم يحمد الناس لم يحمد الله والمدح عبارة عن القول الدال على انه مختص بنوع
من انواع الفضائل باختياره وبغير اختياره والحمد قول دال على انه مختص بفضيلة اختيارية معينة وهي فضيلة الانعام اليك والى غيرك ولا بد
ان يكون على جهة التفضيل لا على سبيل التهكم والاستهزاء والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان وقد يكون بالقلب و
الجوارح قال الشاعر افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احد شعب الشكر ومنه قوله ع الحمد راس الشكر
ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح
لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد نقيضه الذم ولهذا قيل الشعير
يؤكل ويذم والمدح نقيضه الهجاء والشكر نقيضه الكفران اذا عرفت ذلك فنقول لو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تع فاعلا مختارا لما
ان المدح قد يكون لغير المختار ولو قال الشكر لله كان ثناء بسبب انعام وصل الى ذلك القائل واذا قال الحمد لله فكانه يقول سواء اعطيتني او لم
تعطني فانعامك واصل الى كل العالمين وانت مستحق للحمد العظيم ولا ان هذا اولى وقيل الحمد لله على ما دفع من البلاء والشكر لله على
ما اعطى من النعماء والنعمة في الاعطاء اكثر من النعمة في دفع البلاء فكانه يقول انا شاكر لادنى النعمتين فكيف باعلاهما ويمكن ان يقال ان المنع غير
متناه والاعطاء متناه والابتداء بشكر دفع البلاء الذي لا نهاية له اولى وايضا دفع الضرر اهم من جلب النفع فتقديمه احرى الثانية لو قال
احمد الله افاد كون ذلك القائل على حمده واذا قال الحمد لله افاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين وايضا الحمد والثناء
لله معناه ان مطلق الحمد والثناء حق لله وملكه كما ينبئ عنه اللام الجنسي واللام الجارة وذلك بسبب كثرة الائه وانواع الائه على عبيده
وامائه ولا يخفى ان هذا اولى من ان يحمده شخص واحد فقط ولهذا لو سئلت هل حصل لفلان عليك نعمة فان قلت نعم فقد حمدته ولكن
حمدا ضعيفا ولو قلت في الجواب بل نعمه على كل الخلائق كان اكمل فان قيل اليس ان المنعم يستحق الحمد من المنعم عليه فالاستاد يستحق الحمد من التلميذ
والسلطان العادل يستحق الحمد من الرعية وقال ع من لم يحمد الناس لم يحمد الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله لانه خلق تلك الداعية في ذلك
المنعم بعد ان خلق تلك النعمة وسلط المنعم عليها ومكن المنعم عليه من الانتفاع ولهذا قال عز من قائل وما بكم من نعمة فمن الله وايضا كل مخلوق ينعم على غيره
فانه يطلب بذلك الانعام عوضا اما ثوابا او ثناء او تحصيل خلق او تخليصا من رذيلة البخل وطالب العوض لا يكون منعما ولا مستحقا للحمد في
الحقيقة اما الله سبحانه فانه كامل لذاته والكامل لذاته لا يطلب الكمال لان تحصيل الحاصل محال فكان عطاؤه جودا محضا فثبت ان لا مستحق
للحمد الا الله تع الثالثة انما لم يقل احمدوا الله لان الانسان عاجز من الاتيان بحمد الله وشكره فلم يحسن ان يكلف فوق ما يستطيعه وذلك ان
نعم الله على العباد غير محصورة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها امتنع اقتداره على الشكر والثناء اللائق بها وايضا انما يمكنه
القيام بحمد الله وشكره اذا اقدره الله على ذلك الحمد والشكر وخلق في قلبه داعية ذلك وازال عنه العوائق والصوارف وكل ذلك انعام من الله تع
فيتسلسل وايضا الاشتغال بالحمد والشكر معناه ان المنعم عليه يقابل انعام المنعم بشكر نفسه ومن اعتقد ان حمده وشكره يساوي نعمة الله فقد
اشرك وهذا معنى قول الواسطي الشكر شرك اما اذا قال الحمد لله فالمعنى ان كمال الحمد حقه وملكه سواء قدر الخلق على الاتيان به او لم يقدروا
ونقل ان داود ع قال يا رب كيف اشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعامك علي وهو ان توفقني لذلك الشكر فقال يا داود لما علمت عجزك عن شكري
فقد شكرتني بحسب قدر طاقتك الرابعة عن النبي ع اذا انعم الله على عبده فيقول الحمد لله يقول الله تع انظروا الى عبدي اعطيته ما لا قدر له
فاعطاني ما لا قيمة له ومعناه ان ما انعم الله على العبد شيء واحد واذا قال الحمد فمعناه المحامد التي اتى بها الاولون والآخرون من الملائكة والثقلين
لله تع وكذا المحامد التي سيذكرونها الى وقت قوله تع دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

والى ابد الابدين ودهر الداهرين فالمنعم به متناه والحمد غير متناه واذا اسقط المتناهي من غير المتناهي يبقى غير المتناهي فالذي يبقى للعبد المؤبد امور غير متناهية فلابد من مقابلتها بنعم غير متناهية فلهذا يستحق العبد الثواب الابدي والخير السرمدي الخامسة لاشك ان الوجود خير من العدم وان وجود كل ما سوى الله فانه حصل بايجاد الله وجوده وانعام الله تعالى واصل الى كل من سواه فاذا قال العبد الحمد لله فكانه قال الحمد لله على كل مخلوق وعلى كل محدث حدث من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني وانسي وذات وصفة وجسم وعرض من ازل الازال الى ابد الاباد وانا اشهد انها باسرها ملك لا شريك لاحد فيها معك السادسة التسبيح مقدم على التحميد لانه يقول سبحان الله والحمد لله فما السبب في وقوع البداية بالتحميد والجواب ان التسبيح داخل في التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على كونه مبرءا في ذاته وصفاته عن النقائص والتحميد يدل على كونه محسنا الى العباد ولا يكون محسنا اليهم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات ليعلم مواقع الحاجات والا اذا كان قادرا على المقدورات ليقدر على تحصيل ما يحتاجون اليها والا اذا كان غنيا في ذاته والا شغله حاجة نفسه عن حاجة غيره فثبت ان كونه محسنا لا يتم الا بعد كونه منزها عن النقائص والافات السابعة الحمد لله تعلق بالماضي وهو وقوعه شكرا على النعم السابقة وتعلق بالمستقبل وهو اقتضاء تجدد النعم لقوله لئن شكرتم لازيدنكم فبالاول يغلق عنك ابواب النيران وبالثاني يفتح لك ابواب الجنان فان الحمد لله ثمانية احرف بعدد ابواب الجنة الثامنة الحمد لله كلمة جليلة لكنه يجب ان يذكر في موضعها ليحصل المقصود قال السري منذ ثلثين سنة استغفر الله لقولي مرة واحدة الحمد لله وذلك انه وقع الحريق في بغداد واحرقت الدكاكين فاخبرني واحد ان دكاني لم يحترق فقلت الحمد لله وكان من حق الدين والمروءة ان لا افرح بذلك فانا في الاستغفار منذ ثلثين سنة التاسعة الحمد على نعم الدين افضل من الحمد على نعم الدنيا والحمد على اعمال الجوارح والحمد على النعم من حيث انها عطية المنعم اولى من الحمد عليها من حيث هي نعم فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد في موضعه اللائق به العاشرة اول ما بلغ الروح الى سرة ادم عطس فقال الحمد لله رب العالمين واخر دعوى اهل الجنة الحمد لله رب العالمين ففاتحة العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهد ان يكون اول اعمالك واخرها مقرونا بكلمة واحدة الحادية العاشرة لا يحسن عندنا ان يقولوا الحمد لله لان الاضمار خلاف القياس ولان الوالد اذا قال لولده اعمل كذا وكذا فلم يمتثل كان عاقا فالاولى ان يقول الامر افلانه ينبغي ان يفعل ثم ان كان الولد بارا فانه يحبه ويطيعه وان كان عاقا كان اثمه اقل فكذلك اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا حمده ومن كان عاصيا كان اثمه اقل بخلاف ما لو قال قولوا الحمد لله الحادية عشر شنعت الجبرية على المعتزلة ومن يجري مجراهم بانكم تثبتون للعبد فعلا واختيارا واستحقاق الحمد انما يكون على اشرف النعم وهو الايمان فلو كان الايمان بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد والجواب ان الايمان باختيار العبد لكن الاختيار ايضا مستند الى الله تعالى فاستحق الحمد لذلك و شنعت المعتزلة على الجبرية بان قوله الحمد لله لا يتم الا على مذهبنا لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذي لا قبح في فعله ولا جور في قضيته وعندكم لا قبح الا وهو فعله ولا جور الا وهو حكمه والجواب ان القبح والجور انما يثبتان لو امكن تصور الفعل المخصوص في القابل المخصوص احسن واتم مما صدر لكنه محال فانه تعالى حكيم وكل ما يصدر عن الحكيم كان على افضل ما يمكن بالنسبة الى المحل المخصوص الثانية عشرة اختلفوا في ان شكر المنعم واجب عقلا او شرعا فمنهم من قال عقلا ومن جملة ادلتهم قوله الحمد لله فانه يدل على ثبوت الاستحقاق على الاطلاق وايضا عقبه بقوله رب العالمين وترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فدل ذلك على ان استحقاقه للحمد ثابت بكونه ربا للعالمين قبل مجيء الشرع وبعده والجواب ان استحقاقه لمثل هذا الحمد عرفناه من قبل الشرع واعلم ان الحمد سبيله سبيل سائر الاذكار والعبادات في انها انما يؤتى بها لا لان الله تعالى مستكمل بها ولا لانه تعالى يجازي بها ولكنها لتحقيق نسبة العبودية واضافة الامكان الى الله تعالى حسبما لم يزل في فوائد قوله رب العالمين الاولى الموجود اما واجب لذاته وهو الله سبحانه وتعالى فقط واما ممكن لذاته وهو كل ما سواه ويسمى العالم لكونه علما على وجود الباري وذلك اما متحيز او صفة للمتحيز ولا هذا ولا ذاك القسم الاول ان كان قابلا للقسمة فهو الجسم والا فالجوهر الفرد فالجسم اما علوي او سفلي والعلوي كالسموات ويندرج فيها العرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة والكواكب والسفلي اما بسيط وهو العناصر الاربعة الارض بما عليها وفيها والماء وهو البحر المحيط وما يتشعب منه في القدر المكشوف من الارض والهواء ومنه كرة البخار وكرة النسيم ومنه الهواء الصافي والنار واما مركب وهو المعادن والنبات والحيوان على تباين انواعها واصنافها القسم الثاني الاعراض باجناسها وانواعها القسم الثالث الارواح جنسين وهي اما سفلية خيرة كالجن او شريرة كالشياطين واما علوية متعلقة بالاجسام كملائكة السموات قال ما في السموات موضع شبر الا وفيه ملك قائم او قاعد او غير متعلقة وهي الملائكة المقربون وما يعلم جنود ربك الا هو ولان كل موجود سوى الواجب يحتاج الى الواجب في الوجود وفي البقاء ايضا فهو اله العالمين من حيث انه مبقيها حال استقرارها فكل من كان اكثر احاطة باحوال الموجودات وتفاصيلها كان اكثر وقوفا على تفسير قوله رب العالمين الثانية المربي قسمان احدهما ان يربي ليربح عليهم والثاني ان يربي ليربحوا عليه والاول شان المخلوقين الذين غرضهم من التربية اما ثواب او ثناء او تعصب والثاني دأب الحق سبحانه وتعالى كما قال خلقتكم ليربحوا علي لا لاربح عليكم وكيف لا يربحون عليه وانه متعال عن الاستكمال منزه عن ان يحدث في خزائنه بسبب التربية والاذاقة والافاضة اختلال بحيث يلحقهم في الدعاء ويزيد في الخلق كيف يشاء يكفي علمه عن المقال ويغني كونه عن السؤال وسع كل شيء رحمة وعلما وربي كل حي كرما وعلما ولقد خلقنا الانسان من



سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فا
نبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا
وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا
وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا الثالثة لما كان الله احسن الاسماء عقبه باكمل الصفات وهو رب العالمين لان معنا
ان وجود ما سواه فائض عن تربيته واحسانه وجوده وامتنانه فالاول يدل على التمام والثاني على انه فوق التمام الرابعة رب العالمين ثم انه يدل
كانه يقول لعبد سواك وهو الله الواحد الاحد الصمد فانت تخدم من كان لك ربا غيره فما انصفك ايها الانسان قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن
خلقت لعبادة الرب فلا تهدم حقيقتك بمعصية الرب الآدمي بنيان الرب ملعون من هدم بنيان الرب الخامسة في فوائد قوله الرحمن الرحيم الاول في
الرحمن بما لا يتصور صدوره من العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد انا الرحمن لانك تسلم الي نطفة مذرة فاسلمها اليك صورة حسنة انا الرحيم
لانك تسلم الي طاعة ناقصة فاسلم اليك جنة خالصة الثانية ذهب بعضهم الى ملك فقال جئتك لمهم يسير فقال اطلب لمهم اليسير من الرجل اليسير فكان
الله تعالى يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت مني ولتعذر عليك سؤالي الامور اليسيرة فانا الرحمن لتطلب مني الامور العظيمة وانا الرحيم لتطلب مني
شراك نعلك وملح قدرك الثالثة الوالد اذا اهمل حال ولده ولم يؤدبه ظن ان ذلك رحمة وهو في الحقيقة عذاب من لم يؤدبه الابوان ادبه الملوان
وعكسه حال من يقطع يده لتبنيها الاكلة فيها او يضرب لتعليم حرفة او التأدب بخصلة شريفة فكل ما في العالم من محنة وبلية فهو في الحقيقة رحمة
ونعمة عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وقصة موسى مع الخضر كما يجيء في موضعها يؤيد ما ذكرناه والحكيم المحقق
هو الذي يبني الامور على الحقائق لا على الظواهر فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الرابعة عطف مريم عليها رحمة ولنجعله آية للناس ورحمة
منا فصارت سببا لنجاتها من توبيخ الكفار والفجار واعطانا رحمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا ننجو بسببه من عذاب النار الخامسة
وصف النبي صلعم بالرحمة فكان من حاله انه لما كسر سنه قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وانه يوم القيمة يقول امتي امتي فلما وصف نفسه بكونه رحمانا
رحيما ايضا فكانه يقول الرحمة الواحدة لا تكفي لصلاح المخلوقات فذرني وعبيدك فاني انا الرحمن الرحيم رحمتي غير متناهية ومعصيتهم متناهية
والمتناهي لا يدرك غير المتناهي فتستغرق معصيتهم في بحار رحمتي ولسوف يعطيك ربك فترضى السادسة حكي عن ابراهيم بن ادهم انه قال كنت
ضيفا لبعض القوم فقدم المائدة فنزل غراب وسلب رغيفا فاتبعته تعجبا فنزل في بعض التلال فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين فالقى الغراب
ذلك الرغيف على وجهه وروي عن ذي النون انه قال كنت في البيت اذ وقعت في قلبي داعية ان اخرج من البيت فانتهيت الى شط النيل فرأيت عقربا قويا
يعدو فلما وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النهر فقفز العقرب عليه واخذ الضفدع يسبح فركبت السفينة فاتبعته حتى اذا وصل الضفدع
الى الطرف الآخر نزل العقرب عن ظهره واخذ يعدو فتبعته فرأيت شابا نائما تحت شجرة وعنده افعى يقصده فلما قرب الافعى من ذلك الشاب وصل
العقرب الى الافعى فلدغها والافعى ايضا لدغته وماتتا معا وفي ادعية العرب يا رازق النعاب في عشه وحكايته ان ولد الغراب كما يخرج من البيض
يكون كانه قطعة لحم فيهجره امه تنفرا حتى اذا خرج الى ريشه عادت اليه فيبعث الله تعالى اليه في تلك المدة ذبابا يغتذي به وروي ان فتى قرب وفاته
واعتقل لسانه عن شهادة ان لا اله الا الله فاتوا النبي صلعم واخبروه فقام فدخل عليه وكان يعرض الشهادة ولا يعمل لسانه فقال صلعم اما كان يصلي
اما كان يزكي اما كان يصوم فقالوا بلى فقال فهل عق والدته قالوا نعم فقال هاتوا بامه فاتي بعجوزة عوراء فقال النبي صلعم هلا عفوت عنه فقالت لا اعفو
لانه لطمني ففقأ عيني فقال صلعم هاتوا بالحطب والنار فقالت وما تصنع بالنار فقال صلعم احرقه بالنار بين يديك جزاء بما عمل فقالت عفوت
عفوت اللنار حملته تسعة اشهر اللنار ارضعته سنتين فاين رحمة الام فعند ذلك انطلق لسانه وذكر اشهد ان لا اله الا الله والنكتة انها كانت
رحيمة فقط ولم تجوز الاحراق فالرحمن الرحيم كيف يجوز احراق عبد واظب على ذكر الرحمن الرحيم سبعين سنة قال صلعم ان الله تعالى مائة رحمة
انزل منها رحمة واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم والهوام فيها يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة
ولعل هذا على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكرمه بلا غاية ورحمته بلا نهاية السابعة في فوائد قوله مالك يوم الدين الاولى عرف قضية العدالة
الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي والموافق والمخالف ولا يظهر ذلك الا في يوم الجزاء ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس
بما تسعى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره روي انه يجاء برجل
يوم القيمة وينظر في احوال نفسه ولا يرى لنفسه حسنة البتة فياتيه النداء يا فلان ادخل الجنة بعملك فيقول الهي ماذا عملت فيقول الله
الست لما كنت نائما تقلب من جنب الى جنب ليلة كذا فقلت في خلال ذلك الله ثم غلبك النوم في الحال فنسيت ما انا فلا تأخذني سنة ولا
نوم فما نسيت ذلك ويجاء برجل ويوزن حسناته فيأتيه بطاقة فيثقل ميزانه فاذا فيها شهادة ان لا اله الا الله فلا يثقل مع ذكر الله غيره وعلم
ان حقوق الله تعالى على المسامحة لانه غني عن العالمين واما حقوق العباد فهي اولى بالاحتراز عنها روي عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلعم
اتدرون ما المفلس فقالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي من يأتي يوم القيمة بصلوة وزكوة وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل

مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم
فطرحت عليه ثم يطرح فى النار الثانية من قرأ مالك احتج بوجوه الاول ان فيه حرفا زائدا فيكون ثوابه اكثر الثانى فى القيمة يكون ولا مالك
الا الله الثالث المالكية سبب لاطلاق التصرف والملكية ليست كذلك الرابع العبد اذون حالا من الرعية فيكون القهر فى المالكية اكثر منه فى الملكية
الخامس الرعية يمكنهم اخراج انفسهم عن كونهم رعية لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك السادس الملك يجب عليه رعاية حال الرعية قال عليه السلام
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ولا يجب على الرعية خدمة الملك اما المملوك فيجب عليه خدمة مالكه وان لا يشتغل فى الامر الا باذنه حتى انه لا
يصح منه القضاء والامامة والشهادة ويصير مسافرا اذا نوى مولاه السفر ومقيما اذا نوى الاقامة حجة من قرأ ملك ان كل واحد من اهل البلد يكون
مالكا والملك لا يكون الا اعلاهم شانا ايضا قل اعوذ برب الناس لم يقرأ فيه غير ملك فتعين وايضا الملك قصر ومالك يلزم منه تطويل الامل
فانه يمكن ان يدركه الموت قبل تمام التلفظ به واجيب بان العزم يقوم مقام الفعل لو مات قبل الاتمام كالو نوى بعد غروب الشمس صوم يوم يجب
صومه بخلاف ما لو نوى فى النهار عن الغد ثم يتفرع على كل من القراءتين احكام اما المتفرعة على الاولى فقراءة المالك ارجى من قراءة الملك لان اقصى
ما يرجى من الملك العدل والانصاف وان ينجو الانسان منه راسا برأس والمالك يطلب العبد منه الكسوة والطعام والتربية والانعام يا عبادى
كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم والملك يطمع فيك والمالك انت تطمع فيه والملك لا يخلو
من العسكر الا كل قوى سوى ويترك من كان مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبده عالجه وان ضعف اعانه والملك له هيبة وسياسة والمالك له رافة ورحمة
واحتياجنا الى الرأفة والرحمة اشد من احتياجنا الى الهيبة والسياسة واما المتفرعة على الثانية فانه فى الدنيا ملك المملوك قل اللهم مالك الملك تؤتى
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وفى الاخرة لا ملك الا هو لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وملكه لا يشبه ملك المخلوقين لانهم اذا بذلوا قلت خزائنهم
ونفدت ذخائرهم وانه سبحانه كلما كان اكثر عطاء كان اوسع ملكا فان اعطاك عشر اعبد ومن لوازم ملكه كمال الرحمة فلهذا قرن بقوله ملك يوم الدين
قوله رب العالمين الرحمن الرحيم مثله الملك يومئذ الحق للرحمن قل اعوذ برب الناس ملك الناس فمن اتصف بهذه الصفة من ملوك الدنيا صدق عليه انه
ظل الله فى الارض الكفر سبب لخراب العالم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا والطاعة تتضمن صلاح
المعاش والمعاد من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم
وعلى الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى ينتظم امور معاشهم ومعادهم لما وصف نفسه بانه ملك يوم الدين اظهر للعالمين كمال عدله بنفى
الظلم تارة وما ربك بظلام للعبيد وبثبوت العدل اخرى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا خلة للملك اعم نفعا واتم وقعا من ان يكون
عادلا ومن هنا يظهر البركة فى العالم او ترتفع ان كان السلطان عادلا او جائرا يحكى ان انوشروان خرج يوما الى الصيد وانقطع عن عسكره واستولى
عليه العطش فرأى بستانا فيه رمان فلما دخله قال الصبى فيه اعطنى رمانة فعصرها واخرج منها ماء كثيرا فشربه واعجبه ذلك فعزم على ان ياخذ ذلك
البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبى اعطنى رمانة اخرى فاعطاه فوجدها فاخرج منها ماء قليلا فشربه فوجده عفصا فقال ايها الصبى لم صار الرمان
هكذا فقال الصبى فلعل ملك البلد عزم على الظلم فلشوم ظلمه صار هكذا فتاب نوشروان فى قلبه عن ذلك فقال الصبى اعطنى رمانة اخرى فعصرها فوجدها
اطيب من الاولى فقال للصبى لم بدلت هذه الحالة فقال الملك تاب عن ظلمه فلما وجد انوشروان مقالة الصبى مطابقة لاحواله فى قلبه تاب بالكلية
فكان من بيانه من عدله ان وتحققه قول نبينا عليه السلام ولدت فى زمن الملك العادل الثالثة كونه مالكا وملكا معناه انه قادر على ترجيح جانب وجود الممكنات
على عدمها وانه قادر على نقلها من صفة الى صفة كما يشاء من غير مانع ولا منازع وعلى قضية الحكمة والعدالة فهو الملك الحق وانه ملك يوم الدين
ايضا لان القدرة على احياء الخلق بعد اماتتهم والعلم بتلك الاجزاء المتفرقة من ابدان الناس لا يحصل لاحد غيره فاذا كان الحشر والنشر لا يتأتى
الا بعلم يتعلق بجميع المعلومات وقدرة تنفذ فى كل الممكنات فلا مالك ليوم الدين الا الله فان قيل لا يكون مالكا الا اذا كان المملوك موجودا والقيمة
غير موجودة فينبغى ان يقال مالك يوم الدين بالتنوين بدليل انه لو قال انا قاتل زيد كان اقرارا ولو قال انا قاتل زيدا كان تهديدا قلنا
لما كان قيام القيمة امرا حقا لا يجوز الاخلال به فى الحكمة جعل وجوده كالشئ القائم فى الحال ولو قيل من مات فقد قامت قيمته زال السؤال
الرابعة قالت القدرية ان كان الكل من الله فثواب الرجل على ما لم يعمله عبث وعقابه على ما لم يفعله ظلم فيبطل كونه مالكا ليوم الدين قلنا
خلق الجنة وخلق اهلها وخلق النار وخلق اهلها وذلك لان له صفة لطف وصفة قهر كما ينبغى لكل صفة مظهر او لا يسئل عما يفعل لان كل
سؤال ينقلب فهو باطل الخامسة فى هذه السورة من اسماء الله تعالى خمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك كانه يقول خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك
باصناف النعم فانا الرب ثم عصيت فسترت عليك فانا الرحمن ثم تبت فغفرت لك فانا الرحيم ثم اجازيك بما عملت فانا مالك يوم الدين وذكر
الرحمن الرحيم مرة فى التسمية ومرة فى السورة وهو دليل على ان العناية بالرحمة اكثر منها بسائر الاوصاف ومع ذلك عقبها بقوله مالك يوم الدين
كيلا يغتر بها ونظيره غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب السادسة الحمد المدح والتعظيم فيما بين الناس اما يكون لكونه كاملا فى ذاته
وان لم يكن له احسان اليك واما لكونه محسنا اليك واما رجاء وطمعا فى المستقبل واما خوفا ورهبة فكانه سبحانه يقول ان كنتم تعظمون للكمال
الذاتى فاحمدونى فانى انا الله وان كنتم تعظمون للاحسان السالف فانا رب العالمين وان كنتم تعظمون للاحسان المترقب فانا الرحمن الرحيم وان

كنتم تتعظون رهبة عن العقاب فانا مالك يوم الدين الثامن في فوائد قوله اياك نعبد الاولى لا شك ان تقديم المفعول مفيد للاختصاص اي لا نعبد احدا سواك والحاكم فيه الذوق السليم واستحقاق هذا الاختصاص به تعالى ظاهر لان العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا يليق الا لمن صدر منه غاية الانعام وهو الله تعالى وذلك ان للعبد احوالا ثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل اما الماضي فقد كان معدوما فاوجده وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وكان ميتا فاحياه وكنتم امواتا فاحياكم وكان جاهلا فعلمه اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم اسمعه وابصره واعقله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهو اله بهذه المعاني واما الحاضر فحاجاته كثيرة ووجوه افتقاره غير محصورة من ولادته الى موته مع انفتاح ابواب المعصية وانخلاع ربقة الطاعة فهو رب رحمن رحيم من هذه الوجوه واما المستقبل فاموره المتعلقة بما بعد الموت وانه مالك يوم الدين بهذه الحيثية فلا مفزع للعبد في شيء من احواله الا اليه فلا يستحق عبادة العبد الا هو وايضا ثبت بالدلائل القاطعة وجوب كونه تعالى عالما قادرا جوادا غنيا حكيما الى غير ذلك من الصفات الكاملة واما كون غيره من الفلكيات والطبائع والنفوس كذلك فمشكوك فيه وان لم نجزم بانها لا تاثير لها فوجب طرح المشكوك والاخذ باليقين فلا معبود بالحق الا الله سبحانه وايضا العبودية ذلة ومهانة فكلما كان المولى اشرف كانت العبودية اهنا وامرا ولما كان الله تعالى اشرف الموجودات واعلاها واولاها بالصفات العلى فعبوديته اولى وايضا كل ما سوى الواجب الغني ممكن فقير والفقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه افادة غيره فدافع الحاجات هو الله فلا يستحق العبادة الا هو وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الثانية تقديم ذكر الله تعالى يورث الخشية والمهابة حتى لا يلتفت في العبادة يمينا وشمالا بخلاف العكس يحكى ان واحدا من المصارعين الاستادين صارع بعض من هو دونه ولا يعرفه فصرع الاستاد فانصرع في الحال وما ذاك الا الاحتشام بعد عرفانه وايضا ذكره اولا لما يورث العبد قوة يسهل بها عليه ثقل العبودية فوجب تقديمه كما ان من اراد حمل ثقيل يقدم عليه دواء او غذاء يعينه على ذلك كما ان العاشق يسهل عليه جميع الآلام عند حضور معشوقه وايضا ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فالنفس اذا مسها طائف الشيطان من الكسل والغفلة والبطالة تطلع لجلال الله من مشرق اياك نعبد فتصير مبصرة مستعدة لاداء العبودية وايضا ان بدا بالعبادة فقد يلبس قلبه ان المعبود من هو فيلقي في نفسه وساوس اما اذا غير هذا الترتيب فقال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وايضا الواجب لذاته متقدم في الوجود فيناسب ان يكون مقدما في الذكر وايضا المحققون نظرهم على المعبود لا على العبادة وعلى المنعم لا على النعمة ولهذا قيل لبني اسرائيل اذكروا نعمتي ولامة محمد اذكروني فذكر المعبود عندهم اولى من ذكر العبادة الثالثة النون في نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انه تشريف من الله تعالى للعبد حيث لقنه لفظا ينبئ عن التعظيم والتكريم كقوله حكاية عن نفسه نحن نقص عليك احسن القصص كانه قال لما ظهرت عبوديتي عبد الي جعلناك امة ان ابراهيم كان امة ومنها انه لو قال اياك اعبد كان اخبارا عن كونه عبدا فقط ولما قال اياك نعبد صار معناه اني واحد من عبيدك ولا ريب ان الثاني ادخل في الادب والتواضع ومنها ان يكون تنبيها على ان الصلوة بالجماعة اولى فان صلوة في التكبيرة الاولى في صلوة خير من الدنيا وما فيها وههنا نكتة وهي ان الانسان اذا اكل الثوم او البصل فليس له ان يحضر الجماعة كيلا يتاذى منه جاره واذا كان ثواب الجماعة لا يفي بهذا القدر من الايذاء فكيف يفي بما هو اكثر من ذلك ايذاء المسلمين من الغيبة والتهمة والنميمة والسعاية وسائر انواع الظلم ومنها ان يكون المراد اعبدك والملائكة معي والحاضرون بل جميع عبادك الصالحين ومنها ان المؤمنين اخوة فكان الله تعالى قال لما اثنيت علي بقولك الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ارتفع منزلتك عندنا فلا تقتصر على اصلاح حالك بل عليك بالسعي في اصلاح حال جميع اخوانك فقل اياك نعبد واياك نستعين ومنها ان العبد يقول الهي عبادتي مخلوطة بالتقصير فاني اخلطها بعبادة جميع العابدين فلا يليق بكرمك ان تميز بين العبادات ولا ان ترد الكل وفيها عبادة الانبياء والاولياء بل الملائكة المقربين وهذا كما ان الرجل اذا باع من غيره عشرة اعبد فالمشتري اما ان يقبل الكل او يرد الكل وليس له ان يقبل البعض ويرد البعض في تلك الصفقة الرابعة من فوائد العبادة طال الاشتغال بها وثقل عليه الاشتغال بغيرها لان الكمال محبوب لذاته واكمل احوال الانسان اشتغاله بخدمة مولاه فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جماله ولهذا قد ورد من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وايضا التكليف امانة انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان واداء الامانة واجب عقلا وشرعا ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واداء الامانات من احد الجانبين سبب لادائها من الجانب الآخر قال بعض الصحابة رايت اعرابيا اتى باب المسجد فنزل عن ناقته وتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فتعجبنا فلما خرج لم يجد الناقة فقال الهي اديت امانتك فاين امانتي قال الراوي فزدنا تعجبا فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته وقد قطع يده وسلم الناقة اليه قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس يا غلام احفظ الله في الخلوات يحفظك في الفلوات وايضا الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم الغرور الى دار السرور وركون من الخلق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة يحكى عن ابي حنيفة ان حية سقطت من السقف وتفرق الناس وهو في الصلوة فلم يشعر به وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين يشرع في الصلوة كانوا يسمعون من صدره ازيزا كازيز المرجل ومن استبعد فليقرأ قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن فاذا كان جمال البشر مثل هذا التاثير فكيف جلال الله وعظمته اذا تجلى على قلب العابد وقد يحدث الحيرة والدهش عند رؤية بعض السلاطين فكيف اذا كان الوقوف بين يدي رب العالمين واعلم ان العبادة لها ثلاث درجات

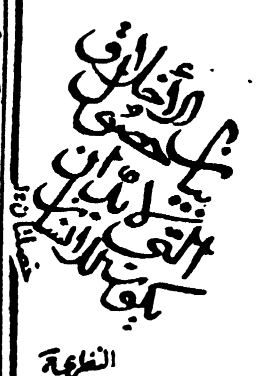




لانه اما ان يعبد الله رغبة في ثوابه او رهبة من عقابه وتخص باسم الزاهد حيث يعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو اشرف منها وادوم وهذه مرتبة نازلة عند المحققين واما ان يعبد الله تشرفا بعبادته او بقبول تكاليفه او بالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة وتسمى بالعبودية واما ان يعبد الله لكونه الها ولكونه عبدا له والالهية توجب العزة والهيبة والعبودية تقتضي الخضوع والذلة وهذه اعلى الدرجات وتسمى بالعبودة واليها الاشارة بقول المصلي اصلي لله فانه لو قال اصلي لثواب الله او هربا من عقابه فسدت صلوته يحكى ان عابدا في بني اسرائيل اعتزل يعبد الله تعالى سبعين سنة فارسل الله تعالى اليه ملكا فقال عبادتك غير مقبولة فلا تتعب نفسك ولا تجاهد فاجاب العابد بان الذي علي هو العبودية واني لا ازال افعل ما علي فاما القبول وعدم القبول فموكول الى المعبود فرجع الملك فقال الله بم اجاب العابد فقال انت اعلم يا رب قال كذا وكذا فقال الله تعالى اليه فقل له قبلنا طاعتك بسبب ثبات نيتك والتحقيق ان اثبات نسبة الامكان هو قصارى جهد العابدين ونهاية مطامح ابصار العارفين وفي العبادة انشراح صدور المؤمنين وانها عاقبة حال المتقين قال عز من قائل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين و العبودية اشرف المقامات مدح الله تعالى به نبيه في قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وافتخر عليه السلام بذلك ولما نطق فقال اني عبد الله وكان علي يقول كفى لي فخرا ان اكون لك عبدا وكفى لي شرفا ان تكون لي ربا اللهم اني وجدتك الها كما اردت ومنهم من قال العبودية اشرف من الرسالة فبالعبودية ينصرف من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق وبالعبودية ينعزل عن التصرفات وبالرسالة يقبل على التصرفات ولهذا قال اشرف التقدم في قول الموحد اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون التاسع في فوائد قوله واياك نستعين الاولى لا شك ان للعبد قدرة بها يتمكن من الفعل والترك وانما يحصل الرجحان بمرجح ولو كان المرجح من عند العبد عاد التقسيم فلا بد ان ينتهي الى الله تعالى وايضا كل الخلائق يطلبون طريق الحق مع استوائهم في القدرة والفعل والجد في الطلب لا يفوز به الا بعضهم فليس ذلك الا باعانة الحق وايضا قد يطلب الانسان حاجة من غيره ويلح في الحاح مدة مديدة ثم يقضي حاجته فالقاء تلك الداعية في القلب ليس الا من الله فثبت انه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ويظهر فائدة الاستعانة في انه انما جعل الله تعالى ذلك واسطة الى نيل المطلوب كالشبع الحاصل عقيب اكل الطعام ونحوه فيسقط اعتراض الجبري والقدري فافهم الثانية لقائل ان يقول شرعت في العبادة فنستعين في ان الاستعانة على العمل انما يحسن قبل الشروع فيه لا بعده فهلا قدمت الاستعانة على ذكر العبادة فاستعين بك في اتمامها حتى لا يمنعني مانع ولا يعارضني صارف فان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وايضا ان قيل الاستعانة مطلقة ليتناول كل مستعان فيه فذكر العبادة كالوسيلة الى طلب الاعانة على الحوائج وتقديم الوسيلة مناسب الثالثة لا اريد بالاعانة غيرك اقتداء بالخليل عليه السلام حيث قيد نمرود يديه ورجليه ورماه الى النار فجاء جبرئيل وقال هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فاسأل الله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وههنا نكتة وهي ان المؤمن في الصلوة مقبل بجملته عن المشي ويده عن البطش ولسانه الا عن القراءة والذكر فكما ان الله قال يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فكذلك يقول نار جهنم جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي الرابعة لا استعين غيرك لان الغير لا يمكنه اعانتي الا اذا اعنته فانا اقطع الواسطة ولا انظر الا الى اعانتك الخامسة اياك نعبد يورث العجب بالعبادة فاردفه بقوله واياك نستعين لازالة ذلك السادسة ههنا مقامان معرفة الربوبية ومعرفة العبودية وعند اجتماعهما يحصل الربط المذكور في قوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم اما معرفة الربوبية فكما هو مذكور في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فانتقال العبد من العدم السابق الى الوجود يدل على كونه الها وحصول الفوائد للعبد حال وجوده يدل على كونه ربا رحمانا ورحيما واحوال معاده يدل على انه مالك يوم الدين واما معرفة العبودية فمبدؤها اياك نعبد وكمالها اياك نستعين في جميع المطالب واذا تم الوفاء بالعهدين ترتب عليه الثمرة وهو قوله اهدنا الى اخره وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه السابعة في الالتفات الوارد في السورة وجوه منها ان المصلي كان اجنبيا عند الشروع في الصلوة فلا جرم اثنى على الله بالالفاظ الغائبة الى قوله مالك يوم الدين ثم الله تعالى كانه يقول حمدتني واقررت باني اله رب العالمين رحمن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد انت يا عبدي رفعنا الحجاب وابدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة وقل اياك نعبد ومنها انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام من كونه ربا لا يخرج شيء من ملكوته منعما على الخلق بانواع النعم جلائلها ودقائقها مالكا للامر كله في العاقبة تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بغاية الخضوع والاستعانة في المهام فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا غيرك ليكون الخطاب دل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به ومنها ان الدعاء بالحضور اولى كما ان الثناء في الغيبة اوقع واحرى وهكذا فعل الانبياء عليهم السلام ربنا ظلمنا انفسنا رب هب لي حكما رب زدني علما رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين ومنها انه اذا شرع في الصلوة نوى القربة فاثنى على الله بما هو اهله فاستجاب الله دعاءه في تحصيل تلك القربة ونقله الى مقام الحضور من مقام الغيبة الثامنة اعلم ان المشركين طوائف منهم من اتخذ الهه من الاجسام المعدنية كالحجر والذهب والفضة والنحاس ومنهم من اتخذه من النبات كالشجر المعين ومنهم من اتخذه من الانسان كعبدة المسيح وعزير ومنهم من اتخذه الاجسام البسيطة

اما السفلية كعبدة النار وهم المجوس واما العلوية كعبدة الشمس والقمر وسائر الكواكب ومنهم من قال مدبر العالم نور وظلمة وهم الثنوية ومنهم من قال الملائكة عبارة عن الارواح الفلكية ولكل اقليم روح من الارواح الفلكية يدبره وكذا لكل نوع من انواع العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا وتماثيل ويعبدونها وهم عبدة الملائكة ومنهم من قال للعالم الهان احدهما خير وهو الله والآخر شرير وهو ابليس اذا عرفت ذلك فنقول قد مر ان الحمد لله يتضمن التسبيح له وسائر الصفات منبئة عن سبب اثبات جميع انواع الحمد له واياك نعبد يدل على التوحيد المحض والبراءة من كل ما يعبد من دون الله وان الله اكبر من جميع المعبودين فيقوم مقام قوله لا اله الا الله والله اكبر واياك نستعين يدل على قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فثبت ان سورة الفاتحة مشتملة الى ههنا على الذكر المشهور سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العاشر في فوائد قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سئل ان طلب الهداية من المؤمن وهو مهتد تحصيل للحاصل واجيب بان المراد منه صراط الاولين في تحمل يغشى عليه وكان تحمل المشاق العظيم لاجل مرضات الله تعالى يحكى ان نوحا كان يضرب في كل يوم مرات بحيث يغشى عليه وكان يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وايضا ان في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط فهما مذمومان والحق هو الوسط والصواب فالمؤمن بعد ان عرف الله بالدليل صار مهتديا لكنه لابد مع ذلك من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التي هي وسط بين الطرفين ومستقيم بين المنحرفين ففي القوة الشهوية طرف الافراط فجور وطرف التفريط خمود وهما مذمومان والوسط وهو استعمالها في مواضعها على قضية العدالة والشريعة محمود وهو عفة وكذا في القوة الغضبية طرفاه التهور والجبن مذموم والوسط وهو الشجاعة محمود وفي القوة النفسانية الجربزة والبله مذمومان والوسط وهو الحكمة محمود وبالجملة فانه يحصل من توسيط استعمال القوة الشهوية الحياء والرفق والصبر والقناعة والورع والحرية والسخاء ومن توابع السخاء الكرم والايثار والعفو والمروة والمسامحة ويلزم من توسط استعمال القوة الغضبية كبر النفس وعلو الهمة والثبات والحلم والتواضع والحمية والرقة ومن توسط استعمال القوة النطقية الذكاء وسرعة الفهم وصفاء الذهن وسهولة التعلم وحسن التعقل والتحفظ والتذكر ويحصل من كمال التوسط في القوى الثلث كمال العدالة ويتبعها الصداقة والالفة والوفاء والشفقة وصلة الرحم والمكافاة وحسن الشركة والتسليم والتوكل وتعظيم المعبود الحق وملائكته وانبيائه واولي الامر وانقياد اوامرهم ونواهيهم والتقوى تكمل هذه المعاني وتتمها ولان القوة النطقية ذاتية للانسان والشهوية والغضبية حصلتا له بواسطة التعلق بالبدن فكمال التوسط في النطقية ان يستعملها بحيث لا يمكن ازيد منها وكمال التوسط في الاخريين ان يستعملها بحيث لا يمكن اقل من ذلك ليفضي الى تحصيل سعادة الدارين وايضا العلم العظمى يقبل الزيادة بمعنى توصل او فاتر وقلة التغيرات وبمعنى زيادة الادلة فليس من علم بدليل كمن علم بادلة فلا موجود من اقسام الممكنات الا وفيه دلالة على وجود الله وعلمه وقدرته وجوده ورحمته وحكمته وربما صح دين الاسلام بالدليل الواحد وبقي غافلا عن سائر الدلائل بل فكانه يقول عرفنا الهنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وعلمك وقدرتك وايضا قد يراد بالصراط المستقيم الاقتداء بالانبياء وهو ان يكون الانسان معرضا عما سوى الله مقبلا بكلية قلبه وفكره وذكره على الله حتى لو امر بذبح ولده لاطاع كالخليل ولو امر ان ينقاد انقاد كاسمعيل ولو امر بالقاء نفسه في البحر امتثل كيونس ولو امر بتلمذه من هو اعلم منه بعد بلوغه على منصب اتمر كموسى مع الخضر وعن خباب قال شكونا الى الرسول صلعم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه وايضا كان العبد يقول الاحباب يدعونني الى طريق والاعداء الى طريق ثان والشيطان الى ثالث وكذا القول في الشهوة والغضب والاعتقادات والارادات والعقل ضعيف والعمر قصير والقضاء عسير فاهدني هذا الطريق السوي الذي لا ازيغ به حكي عن ابرهيم بن ادهم انه كان يسير الى بيت الله فاذا اعرابي على ناقة له فقال يا شيخ الى اين فقال الى بيت الله قال كانك مجنون لا ارى لك مركبا ولا زادا والسفر طويل فقال ابرهيم ان لي مراكب كثيرة ولكنك لا تراها قال وما هي قال اذا نزلت علي بلية ركبت مركب الصبر واذا اسديت الي نعمة ركبت مركب الشكر واذا الم بي القضاء ركبت مركب الرضاء واذا دعتني النفس الى شيء علمت ان ما بقي من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابي سر باذن الله فانت الراكب وانا الراجل وقيل الصراط القرآن او الاسلام وليس لانه يصير المعنى اهدنا الصراط المتقدمين مع انه لم يكن لهم قرآن ولا اسلام اللهم الا ان يراد اصول هذه الشريعة وقواعدها كما قال فبهداهم اقتده وعن علي كرم الله وجهه ثبتنا على الهداية كقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فكم من عالم لم يزل مهتديا يضل وفي اختيار لفظ الصراط دون الطريق والسبيل تذكير بالصراط الذي هو الجسر الممدود بين طرفي جهنم سهل الله تعالى علينا عبوره وورود ظلماته انما قيل اهدنا بلفظ الجمع لان الدعاء متى كان اعم كان الى الاجابة اقرب ولهذا قال بعض العلماء لتلميذه اذا قلت قبل القراءة رضي الله عنك وعن جماعة المسلمين فاياك وان تدسا في قولك وعن جماعة المسلمين فان كان وقع عنده من قولك رضي الله عنك لان هذا تخصيص بالدعاء ويجوز ان لا يقبل واما قولك وعن المسلمين فانه رجل انه لابد ان يكون في المسلمين من يستحق الاجابة واذا اجاب الله دعاء في البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ومن ثم ورد في السنة ان يصلي على النبي صلعم قبل كل دعاء وبعده لان الدعاء في الطرفين مستجاب البتة لانه في حق النبي صلعم فيستجاب الوسط بتبعية ذلك لا محالة وايضا قال صلعم ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك







البقرة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك وايضا الحمد لله شامل لحمد جميع الحامدين واياك نعبد لعبادة
الجميع واياك نستعين لاستعانة الكل فلا جرم لما طلب الهداية طلبها للكل كما طلب الاقتداء بالصالحين جميعا في قوله صراط الذين انعمت
عليهم والفرار من الطالحين جميعا في قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين واذا كان كذلك في الدنيا يرجى ان يكون كذلك في الآخرة
وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقًا
الثالثة الخط المستقيم اقرب خط يصل بين النقطتين والعبد عاجز فلا يليق بضعفه الا الطريق المستقيم وايضا المستقيم واحد وما سواه معوج
بعضها بعضا في الاعوجاج فكان ابعد من الخوف واقرب الى الخلاص وايضا ميل الطباع الى الاستقامة اكثر فلهذه الاسباب سئل الصراط
المستقيم الحادي عشر في فوائد قوله صراط الذين انعمت عليهم الاولى حد النعمة بانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لانه لو قصد
الفاعل منفعة نفسه او لا على جهة الاحسان لم يكن نعمة فلا يستحق الشكر ثم نقول كل ما يصل الى الخلق من نفع او دفع ضر فهو من الله تعالى لقوله وما
بكم من نعمة فمن الله ولان الواصل من جهة غير الله ينتهي اليه ايضا لانه الخالق لتلك النعم ولذلك المنعم ولداعيته ذلك الانعام فيه والنعم
المتواصلة الينا بطاعاتنا فهي ايضا من الله تعالى لانه بتوفيقه واعانته بان اتاح الاسباب وازاح الاعذار واول نعمة من الله تعالى على عبيده
نعمة الحيوة التي بها يمكن الانتفاع بالمنافع والاحتراز عن المضار قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم عقب ذلك بقوله هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الثانية هل لله تعالى على الكافر نعمة ام لا انكر ذلك بعض اصحابنا لوجوه منها قوله صراط الذين انعمت عليهم
فانه لو كان لله على الكفار نعمة لزم طلب صراط الكفار لان المبدل منه هو الصراط المستقيم في حكم المنحى والجواب ان قوله غير المغضوب عليهم ولا
الضالين يدفع ذلك ومنها قوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما والجواب انه لا يلزم من ان لا يكون
الاملاء خيرا ونعمة لهم ان لا يكون اصل الحيوة وسائر اسباب الانتفاع نعمة فان الاملاء تاخير النقمة بعد ثبوت استحقاقها فما قبل هذه الحالة
لا يكون كذلك على ان نفس الاملاء ايضا تمتع حالي قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وليس هذا الا كمن جعل السم في الحلوى
على ما ظن وانما هو كمن ناول شخصا حلوا لذيذة غير مسمومة ولكن ذلك الشخص لفساد مزاجه لا يستعمل الحلواء الا كما لا ينبغي فيفسد مزاج الحلواء
ايضا وصيره كالسم القاتل بالنسبة اليه ولهذا قال عم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكيف لا يعم نعم الله تعالى وقد قال على العموم يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء وقال وكنتم
امواتا فاحياكم كل ذلك في معرض الامتنان وشرح النعم وقال وقليل من عبادي الشكور ولا تجد اكثرهم شاكرين والشكر لا يكون الا بعد
النعمة الثالثة ما المراد بالنعمة المذكورة في قوله انعمت عليهم قلنا يتناول كل من كان لله عليه نعم دينية ودنيوية ثم انه يخرج بقوله غير المغضوب
عليهم ولا الضالين كل من عليه نعمة دنيوية فقط ويبقى الذين انعم الله عليهم في الدنيا والآخرة من النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين وكما ان اصل النعم الدنيوية هو الحيوة المستتبعة لكل المنافع فكذلك اصل النعم الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات
وكما ان كمال البدن بالحيوة فكمال النفس بالايمان وموتها بفقده انك لا تسمع الموتى وما انت بمسمع من في القبور وكما ان حيوة البدن من الله
فكذا الايمان منه وبتوفيقه واضافة الايمان الى العبد اضافة الاثر الى القابل وبذلك القبول يستاهل الثواب والمؤمن لا يبقى مخلدا
في النار فان من شرفه الله تعالى باعظم الانعام لم يعاقبه باشد الالام فما الانعام الا بالاتمام قيل لو كان رعاية الاصلح على الله واجبا لم يكن
ذلك انعاما لان اداء الواجب لا يسمى انعاما قلنا النزاع لفظي لان الاصلح لا بد ان يصدر عنه ولا يليق بحكمته وكماله خلاف ذلك ثم ما شئت
فسمه الثاني عشر في فوائد قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين الاولى من المغضوب عليهم ومن الضالون قلت المغضوب عليهم هم المائلون في
كل خلق واعتقاد الى طرف التفريط ومنهم اليهود والضالون هم المائلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى وانما خص الاولون بالغضب عليهم لان
الغضب لزمه البعد والطرد والمفرط في شيء هو المعرض عنه غير مجد بطائل فهو بعيد عن ذلك واما المفرط فقد اقبل عليه وجاوز حد الاعتدال فضل
عن المقصود ومني بالحرمان كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له فاليهود فرطوا في شان نبي الله ولم يطيعوه واذوه حتى قالوا لو بعد ان
نجيهم الله من عدوهم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولهذا قال عز من قائل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كا
لذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا والنصارى فرطوا وقالوا المسيح ابن الله ان الله ثالث ثلثة روى عن عدي بن حاتم ان رسول الله قال في
المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى وتصديق ذلك من كتاب الله حيث قال في اليهود وباؤا بغضب من الله وفي النصارى وضلوا عن
سواء السبيل هذا شان الفريقين واما المؤمنون فطلبوا الوسط من المنحرفين وذلك من لطف الله تعالى بهم وفضله عليهم وكذلك جعلناكم
امة وسطا كنتم خير امة اخرجت للناس وخير الامور اوسطها الثانية الاية تدل على ان احدا من الملائكة والانبياء ما اقدم على عمل وعقائدهم
يخالف الحق والا لكان ضالا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ولم يصلح للاقتداء به والاهتداء بطريقه الثالثة ما الفائدة في ان عدل من ان
يقول اهدنا الصراط الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى ما عدل قلت الايمان انما يكمل بالرجاء و
الخوف كما قال عم لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فقوله صراط الذين انعمت عليهم يدل على الرجاء وباقي الآية يدل على الخوف فيكمل

الفن الثالث عشر في تفسير السورة مجموعة

المنهج الأول

الإيمان بطرفيه وركنيه. الثالث عشر: في تفسير السورة مجموعة، وفيه مناهج: المنهج الأول: نسبة عالم الغيب إلى عالم الشهادة نسبة الأصل إلى الفرع
والنور إلى الظل، فكل شاهد فله في الغائب أصل، وإلا كان كسراب بقيعة وخيال باطل، وكل غائب فله في الشاهد مثال، وإلا كان كشجرة بلا ثمرة
ومدلول بلا دليل، وكل شريف فهو بالنسبة إلى ما دونه مطاع، كما قال عن قائل: ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين، ولكل مطاع
في عالم الروحانيات مطاع في عالم الجسمانيات، فالمطاع في عالم الأرواح هو المصدر، والمطاع في عالم الأجسام هو المظهر، ولا بد من أن يكون
بينهما مناسبات ومجانسات، وبهما يتم سعادة الدارين، لأنهما يدعوان إلى الله بالرسالة، وحاصل الدعوة أمور سبعة يشتمل عليها خواتيم سورة
البقرة: أربعة منها يتعلق بالمبدأ وهي معرفة الربوبية أعني معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله، واثنان منها يتعلق بالوسط: أحدهما مبدأ العبودية: وقالوا سمعنا
وأطعنا، والثاني كمال العبودية وهو الالتجاء إلى الله وطلب المغفرة منه: غفرانك ربنا، وواحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب إلى حضرة الملك
الوهاب: وإليك المصير. ويتفرع على هذه المراتب سبع مراتب في الدعاء والتضرع، أولها: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، فضد النسيان
هو الذكر: واذكر ربك إذا نسيت، وهذا الذكر إنما يحصل بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم، وثانيها: ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من
قبلنا، ودفع الإصر الثقيل يوجب الحمد: الحمد لله رب العالمين، وثالثها: ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، وذلك إشارة إلى كمال رحمته: الرحمن
الرحيم، ورابعها: واعف عنا واغفر لنا، أنت إنك أنت المالك للقضاء والحكومة في يوم الدين، وخامسها: واغفر لنا، لأنا التجأنا بكليتنا
إليك وتوكلنا في جميع الأمور عليك: إياك نعبد وإياك نستعين، وسادسها: وارحمنا، لأنا طلبنا الهداية منك: اهدنا الصراط المستقيم، وسابعها:
أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين: صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. فهذه المراتب ذكرها محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الروحانيات
عند صعوده إلى المعراج، فلما نزل من المعراج فاض أثر المصدر على المظهر، فوقع التعبير عنها بسورة الفاتحة، فمن قرأها في صلاته صعدت هذه الأنوار
من المظهر إلى المصدر كما نزلت في عهد الرسول من المصدر إلى المظهر، فلهذا السبب قال عليه السلام: الصلاة معراج المؤمن. المنهج الثاني: المداخل التي
يأتي الشيطان من قبلها في الأصل ثلاثة: الشهوة والغضب والهوى، فالشهوة بهيمية، والغضب سبعية، والهوى شيطانية، ولهذا
قال: فالشهوة آفة لكن الغضب أعظم منها، والغضب آفة لكن الهوى أعظم منه، فقال تعالى: وينهى عن الفحشاء أي الشهوة، والمنكر الغضب، والبغي الهوى
فبالشهوة يصير الإنسان ظالما لنفسه، وبالغضب ظالما لغيره، وبالهوى لربه، ولهذا قال: الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم عسى الله
أن يتركه، فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله، والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا، والظلم الذي عسى الله أن يتركه هو ظلم
الإنسان نفسه، فنتيجة الشهوة الحرص والبخل، ونتيجة الغضب العجب والكبر، ونتيجة الهوى الكفر والبدعة، ويحصل من اجتماع هذه الست
في بني آدم خصلة سابعة هي الحسد، وهو نهاية الأخلاق الذميمة، كما أن الشيطان هو النهاية في الأشخاص المذمومة، ولهذا السبب ختم الله
تعالى مجامع الشرور الإنسانية بالحسد في قوله: ومن شر حاسد إذا حسد، كما ختم جوامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة في قوله: يوسوس في
صدور الناس من الجنة والناس. وروي أن إبليس أتى باب فرعون وقرع الباب، فقال فرعون: من هذا؟ فقال إبليس: لو كنت إلها ما جهلت،
فلما دخل قال فرعون: أتعرف في الأرض شرا مني ومنك؟ قال: نعم، الحاسد، وبالحسد وقعت فيما وقعت. ثم نقول: الأسماء الثلاثة في التسمية
دافعة للأخلاق الثلاثة الأصلية، والآيات السبع التي هي الفاتحة دافعة للأخلاق السبعة، بيان ذلك: من عرف الله تباعد عنه شيطان
الهوى: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه، يا موسى خالف هواك فإني ما خلقت خلقا نازعني في ملكي إلا هواك، ومن عرف أنه رحمن لم يغضب، لأن
منشأ الغضب طلب الولاية، والولاية للرحمن: الملك يومئذ الحق للرحمن، ومن عرف أنه رحيم صحح نسبته إليه فلا يظلم نفسه ولا يلطخها بالأفعال
البهيمية، وأما الفاتحة فإذا قال: الحمد لله، فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فزالت شهوته، ومن عرف أنه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجد
وبخله فيما وجده، ومن عرف أنه مالك يوم الدين بعد أن عرف أنه الرحمن الرحيم زال غضبه، ومن قال: إياك نعبد وإياك نستعين، زال
كبره بالأول وعجبه بالثاني، وإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، اندفع عنه شيطان الهوى، وإذا قال: صراط الذين أنعمت عليهم، زال كفره، وإذا
قال: غير المغضوب عليهم ولا الضالين، اندفعت بدعته، وإذا زالت عنه الأخلاق الستة اندفع عنه الحسد. ثم إن جملة القرآن كالنتائج
والشعب عن الفاتحة، وكذا جميع الأخلاق الذميمة كالنتائج والشعب من تلك السبعة، فلا جرم القرآن كله كالعلاج لجميع الأخلاق الذميمة
وههنا دقيقة تتعلق بالرب والملك والإله، وبسببها ختم القرآن عليها، كأنه قال: إن أتاك الشيطان من قبل الشهوة فقل: أعوذ برب الناس،
وإن أتاك من قبل الغضب فقل: ملك الناس، وإن أتاك من قبل الهوى فقل: إله الناس. المنهج الثالث: أن سورة الفاتحة جامعة لكل ما
يفتقر إليه الإنسان في معرفة المبدأ والوسط والمعاد، الحمد لله إشارة إلى إثبات الصانع المختار العليم الحكيم المستحق للحمد والثناء والتعظيم، رب
العالمين يدل على أن ذلك الإله واحد، وأن كل العالمين ملكه وملكه، وليس في العالم إله سواه، ولهذا جاء في القرآن الاستدلال بالخلق
كثيرا، قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، الذي خلقني فهو يهدين، ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ربكم ورب آبائكم الأولين،
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم، اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق، وهذه الحالة كأنها في نفسها

المنهج الثاني

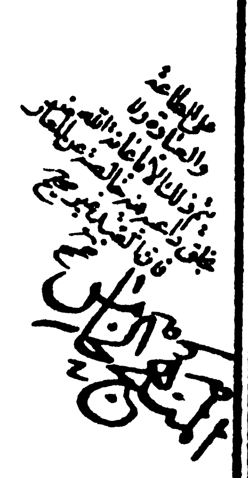
في بيان اشتمال الفاتحة على دفع الأخلاق السبعة



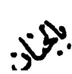
دليل على وجود الرب فكذلك هي في نفسها انعام عظيم فان تولد الاعضاء المختلفة الطبايع والصور من النطفة المتشابهة الاجزاء لا يمكن
الا اذا قصد الخالق ايجاد تلك الاعضاء على تلك الصور والطبايع وكل منها مطابق للمطلوب موافق للغرض كما يشهد به تشريح الابدان
فلا احق بالحمد والثناء من هذا المنعم المنان الكريم الرحمن الرحيم الذي شمل احسانه قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مالك يوم الدين
يدل على ان من لوازم حكمته ورحمته ان يحصل بعد هذا اليوم يوما اخر يظهر فيه تميز المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم وههنا تمت
معرفة الربوبية ثم ان قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التي لا بد من معرفتها في تقرير العبودية وهي نوعان الاعمال والاثار المتفرعة على
الاعمال اما الاعمال فلها اركان احدها الاتيان بالعبادة وهو قوله اياك نعبد والثاني علمه بانه لا يمكنه ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك
نستعين واما الاثار المتفرعة على الاعمال فهي حصول الهداية والتحلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين اهدنا
الصراط المستقيم الى اخره وفي قوله صراط الذين انعمت عليهم دليل على ان الاستضاءة بانوار ارباب الكمال خلة محمودة وسنة مرضية هم
القوم لا يشقى بهم جليسهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى انه يجتنب
عن مرافقة اصحاب البدع والاهواء واجب شعر عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي والجمر يوضع في الرماد فيخمد المنهج
الرابع قال عم حكاية عن الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا
قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني
عبدي وفي رواية فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد يقول الله عبدني عبدي واذا قال واياك نستعين يقول الله توكل علي عبدي وفي رواية
واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول هذا لعبدي ولعبدي ما سئل فقوله
قسمت الصلوة بيني وبين عبدي اشارة الى ان اهم مهمات العبد ان يستنير قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية لانه انما خلق لرعاية هذا العهد وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فلا جرم انزل الله تع هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج اليه العبد في الوفا
بذلك العهد وقوله اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي مناسب لقوله تع فاذكروني اذكركم انا جليس من ذكرني فان
ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه والذكر مقام عال شريف كرره الله تع في القران كثيرا يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا واذكر ربك في نفسك تذكروا فاذا هم مبصرون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولهذا وقع الابتداء به
وقوله ذكرني عبدي يدل على ان ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهذا يدل على ان الله اسم علم وقوله اذا قال الحمد لله رب
العالمين يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد اعلى من مقام الذكر لانه اول كلام في اول خلق العالم حيث قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك واخر كلام في الجنة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ولان الفكر في ذات الله تع غير ممكن تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في الله وكل
من تفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله واحسانه اكثر فحمده لله اكثر فحمد الله تعالى اكثر فقوله حمدني عبدي شهادة من الله تع
على وقوف العبد بعقله وفكره على وجوه فضله وانعامه في ترتيب العالم وتربية العالمين وانه اقر بقلبه ولسانه بكرمه واحسانه وقوله واذا قال الرحمن الرحيم
يقول الله عظمني عبدي يدل ذلك على ان الاله الكامل المكمل المنزه عن شوائب النظير والمثل والند والضد هو في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده ولا
شك ان غاية ما يصل العقل والفهم والوهم اليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس الا هذا المقام وهو التعظيم لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين
يقول الله مجدني عبدي اي نزهني وقدسني عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث قضيت معادا يحشر اليه العباد ويقضي فيه بين الظالم والمظلوم والقوي
والضعيف فيحسب الظالم في ظلمه اهمله القادر اما اهمله بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وقوله واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال
الله هذا بيني وبين عبدي معناه ان اياك نعبد يدل على اقدام العبد غير مستقل بالاتيان بذلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله واذا
قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سئل تقريره ان اهل العالم مختلفون بالنفي والاثبات في جميع المسائل الالهية
او اكثرها وفي المعاد والنبوات وغيرها مع استواء الكل في العقل والنظر فالاهتداء الى ما هو الحق في الامر نفسه ليس الا بهداية الله تع وارشاده
كما قالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابرهيم عم لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقال موسى رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري المنهج الخامس لما ثبت ان الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة في الصلوة ايضا سبعة القيام والركوع والانتصاب منه و
السجود الاول والانتصاب منه والسجود الثاني والقعدة فهذه الاعمال كالشخص والفاتحة لها كالروح وانما يحصل الكمال عند اتصال الروح
بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام الا ترى ان الباء في بسم الله لما اتصل باسم الله حصل قائما مرتفعا وايضا التسمية لبداية
الامور وكل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والقيام ايضا اول الاعمال وقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوحيد نظر
الى الحق والى الخلق والمنعم والنعم لانه الثناء على الله بسبب الانعام الصادر منه الى العبد فهو حالة متوسطة بين الاعراض والاستغراق كما ان
الركوع متوسط بين القيام والسجود ولقصد ذكر النعم الكثيرة مما يثقل الظهر فينحني وقوله الرحمن الرحيم مناسب للانتصاب لان العبد لما تضرع الى الله
بالركوع فالاليق برحمته ان يرده الى الانتصاب ولهذا قال عم اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله مالك يوم الدين مناسب

علم

المنهج الرابع



للسجدة الاولى لانه ثناء على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع وقوله اياك نعبد واياك نستعين مناسب للقعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة التي تقدمت واياك نستعين استعانة بالله فى ان يوفقه للسجدة الثانية وقوله اهدنا الصراط المستقيم سؤال لاهم الاشياء فيليق به السجدة الثانية ليدل على نهاية الخشوع وقوله صراط الذين انعمت عليهم الى اخره مناسب للقعود لان العبد لما اتى بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه وح يقرأ التحيات لله كما ان محمدا عم قراها فى معراجه فالصلوة معراج المؤمن المنهج السادس ان ايات الفاتحة سبع واعمال الصلوة المحسوسة سبع كما تقدم ومراتب خلق الانسان سبع وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ فنور ايات الفاتحة يسرى الى الاعمال السبعة ونور الاعمال السبعة يسرى الى هذه المراتب فيحصل فى القلب نور على نور ثم ينعكس الى وجه المؤمن من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار المنهج السابع انه كان لرسول الله صلعم معراجان من المسجد الاقصى الى عالم الملكوت هذا فى عالم الحس واما فى عالم الارواح فمن الشهادة الى الغيب ثم من الغيب الى غيب الغيب فهذا بمنزلة قوسين متلاصقين فتخطاهما محمد عم فكان قاب قوسين وقوله او ادنى اشارة الى فنائه فى نفسه والمراد بعالم الشهادة كل ما يتعلق بالجسم والجسمانيات وبعالم الارواح ما فوق ذلك من الارواح السفلية ثم المتعلقة بالسماء سماء الى الملائكة الحافين من حول العرش ثم الى حملة العرش ومن عند الله الذين طعامهم ذكر الله وشرابهم محبته وانسهم بالثناء عليه لانهم فى خدمته لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهكذا يتصاعد الى ان ينتهى الى نور الانوار وروح الارواح ولا يعلم تفاصيلها الا الله ومن ارتضاه والمقصود ان نبينا صلعم لما عرج واراد ان يرجع قال الرب العزة المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف اصحابه وان تحفة امتك الصلوة الجامعة بين المعراجين الجسمانى بالافعال والروحانى بالاذكار فليكن المصلى ثوبه طاهرا وبدنه طاهرا لانه بالواد المقدس طوى وايضا عنده وملك وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى وخير وشر وصدق وكذب وحق وباطل وحلم وطيش وقناعة وحرص وسائر الاخلاق المتضادة والصفات المتنافية فيه فلينظر ايهما يختار فانه اذا استحكم المرافقة تعذرت المفارقة اختار الصديق صحبة محمد عم فلم يفارقه فى الدنيا وفى القبر ويكون معه فى القيامة وفى الجنة وصحب كلب اصحاب الكهف فلزمهم فى الدنيا والاخرة قال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ثم اذا تطهر فليرفع يديه اشارة الى توديع الدنيا والاخرة وليوجه قلبه وروحه وسره الى الله ثم ليقل الله اكبر اى من كل الموجودات بل هو اكبر من ان يقاس اليه غيره بانه اكبر منه ثم ليقل سبحانك اللهم وبحمدك وفى هذا المقام ينكشف له نور سبحات الجلال ثم ليقل تبارك اسمك اشارة الى الدوام المنزه عن الافناء والاعدام ليطالع حقيقة الازل فى القدم وحقيقة الابد فى البقاء فيتجلى له نور الازل والابد ثم ليقل وتعالى جدك اشارة الى انه اعلى واعظم من ان يكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة فى القدر المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة الى ان صفات الجلال وسمات الكمال له تعالى لا لغيره فهو الكامل الذى لا كامل الا هو وفى الحقيقة لا هو الا هو وههنا يكل اللسان ويدهش الالباب ثم عد ايها المصلى الى نفسك وحالك وقل وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فقولك سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ معراج الملائكة المقربين حيث قالوا وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ وهو ايضا معراج محمد عم لان معراجه مفتتح بقوله سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وقولك وجهت وجهى معراج الخليل عم وقولك إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي معراج الحبيب محمد صلعم فقد جمع المصلى بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء الانبياء والمرسلين ثم اذا فرغت من هذه الحالة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليدفع العجب عن نفسك وفى هذا المقام يفتح لك احد ابواب الجنة وهو باب المعرفة وبقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر وبقولك الحمد لله رب العالمين يفتح باب الشكر وبقولك الرحمن الرحيم يفتح باب الرجاء وبقولك مالك يوم الدين يفتح باب الخوف وبقولك اياك نعبد واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية وبقولك اهدنا الصراط المستقيم يفتح باب الدعاء والتضرع ادعونى استجب لكم وبقولك صراط الذين انعمت الى اخره يفتح باب الاقتداء بالارواح الطيبة والاهتداء بانوارهم فبهذه المفاتيح للمعارف الربانية تفتحت لك ابوابها الثمانية بهذه المقاليد الروحانية فهذا بيان المعراج الروحانى فى الصلوة واما الجسمانى فاولى المراتب ان يقوم بين يدى الله كقيام اصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض بل قيام اهل القيامة يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ثم اقرأ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ثم وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ثم الفاتحة وبعدها ما تيسر لك من القران واجتهد فى ان تنظر من الله الى عبادتك حتى تستحقرها واياك ان تنظر من عبادتك الى الله فانك ان فعلت ذلك صرت من الهالكين وهذا سر قوله اياك نعبد واياك نستعين واعلم ان نفسك الى الان جارية مجرى خشبة عرضتها على نار خوف الجلال فلا تجعلها منحنية بالركوع حتى ثم اتركها المستقيم مرة اخرى فان هذا الدين متين فاوغل فيه بالرفق ولا تبغض طاعة الله الى نفسك فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فاذا عادت الى استقامتها فانحدر الى الارض بغاية العلو وقل سبحان ربى الاعلى فاذا سجدت ثانية فقد حصل لك ثلثة انواع من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فبالركوع تنجو من عقبة الهوى الداعى الى كل الضلالات فاذا تجاوزت هذه الصفات وتخلصت عن هذه الدركات وصلت الى الدرجات العاليات وملكت الباقيات الصالحات فانتهيت الى عقبة جلال مدبر الارض والسموات فقل عند ذلك التحيات المباركات باللسان والصلوات بالاركان والطيبات



بالجنان وقوة الايمان بالله فيصعد نور روحك وينزل نور روح محمد عليه السلام فيتلاقى الروحان ويحصل هناك الروح والريحان فقل السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد عليه السلام السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكانه قيل لك بم نلت هذه الكرامات فقل بقولي
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا رسول الله فقيل ان محمدا الذي هداك اى شيء هديتك له فقل اللهم صل على
محمد وال محمد فقيل لك ان ابراهيم عليه السلام هو الذي قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاؤك له فقل كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين
فيقال لك هذه الخيرات من محمد او ابراهيم او من الله فقل بل من الحميد المجيد انك حميد مجيد ثم ان العبد اذا ذكر الله تعالى بهذه الاثنية والمدائح
ذكره الله تعالى في محافل الملائكة اذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه فاذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا الى العبد فقال الله تعالى ان
الملائكة اشتاقوا الى زيارتك وقد جاؤك زائرين فابدأ بالسلام عليهم لتكون من السابقين فقل عن اليمين وعن الشمال السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته فلا جرم اذا دخل المصلون الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار المنهج الثامن اعظم
المخلوقات جلالة ومهابة المكان والزمان فالمكان فضاء لا نهاية له وخلاء لا غاية له والزمان امتداد وهمي شبيه بنهر خرج من قعر جبل الازل
فامتد ودخل في قعر الابد فلا يعرف لانفجاره مبدأ ولا لاستقراره منزل فالاول والاخر صفة الزمان والظاهر والباطن صفة المكان وكمال
هذه الاربعة الرحمن الرحيم فالحق سبحانه وسع المكان ظاهرا وباطنا ووسع الزمان اولا واخرا وهو منزه عن الافتقار الى المكان والزمان فانه
كان ولا مكان ولا زمان فعقد المكان بالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وعقد الزمان بالعرش وكان عرشه على الماء لان جري الزمان
يشبه جري الماء فالعلو صفة الكرسي وسع كرسيه كما ان العظمة صفة العرش العظيم وكمال العلو والعظمة لله ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم
والعلو والعظمة درجتان من درجات الكمال الا ان العظمة اقوى وفوق الكل درجة الكبرياء الكبرياء ردائي والعظمة ازاري ولا يخفى ان الرداء اعظم من
الازار وفوق جميع الصفات صفة الجلال وهي تقدسه في هويته المخصوصة من مناسبة الممكنات وبه استحق الالهية ولهذا قال عليه السلام الظوا بيا ذا
الجلال والاكرام وفي التنزيل ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فالمصلي يبتغي وجه الله والداخل على السلطان يجب ان يتطهر من الادناس
والارجاس ولا المراتب لتطهر من الذنوب والشين توبوا الى الله توبة نصوحا ثم من الدنيا حلالها وحرامها وهو الزهد ثم من الكونين الدنيا
والاخرة وهو مقام المعرفة ثم من الالتفات الى اعماله وهو مقام الاخلاص ثم من الالتفات الى عدم الالتفات وهو مقام المحسنين ثم من الالتفات
الى كل ما سوى الله وهو مقام الصديقين ثم قم قائما ووجهك للدين حنيفا واستحضر في نفسك جميع اقسام العالم من الروحانيات والجسمانيات
فقل الله اكبر من الكل كما او من ان لا يراني ولا يسمع كلامي كما قال النبي عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
او اكبر من ان يصل اليه عقول الخلق وافهامهم كما قال علي بن ابي طالب عليه السلام التوحيد ان لا تتوهمه او اكبر من ان يقدر الخلق على قضاء حق عبوديته
فاذا قلت الله اكبر فاجعل طرف عقلك في ميادين جلال الله وقل سبحانك اللهم وبحمدك ثم قل وجهت وجهي ثم انتقل الى عالم الامر والتكليف
واجعل سورة الفاتحة مرآة لكي تبصر فيها عجائب الدنيا والاخرة وتطلع منها على انوار اسماء الله الحسنى وصفاته العليا والاديان السالفة
والكتب الالهية والشرائع النبوية فتصل الى الشريعة ومنها الى الطريقة ومنها الى الحقيقة وتشاهد درجات الكاملين ودركات الناقصين فاذا قلت
بسم الله الرحمن الرحيم ابصرت به الدنيا فباسمه قامت السموات والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين ابصرت به الاخرة فبالحمد
قامت الاخرة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ابصرت به عالم الجمال المشتمل على اصول النعم وفروع النعم واذا قلت مالك يوم الدين
ابصرت به عالم الجلال وما يحصل هنالك من الاحوال والاهوال واذا قلت اياك نعبد ابصرت به عالم الشريعة واذا قلت واياك نستعين
ابصرت به عالم الطريقة واذا قلت صراط الذين انعمت عليهم ابصرت به درجات ارباب السعادات واصحاب الكرامات واذا قلت غير
المغضوب عليهم ولا الضالين لاحظت دركات اهل التفريط والافراط فاذا انكشفت لك هذه المقامات فلا تظن انك قد بلغت
الغايات بل عد الى الاقرار للحق بالكبرياء ولنفسك بالهوان وقل الله اكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الى العظمة وقل سبحان ربي العظيم ثم انتصب قائما
وادع لمن وقف موقفك وحمد حمدك وقل سمع الله لمن حمده فانك اذا سألتها لغيرك وجدتها لنفسك فالله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه
المسلم ولا تكبير في هذا المقام لان التكبير من الكبرياء والهيبة والخوف وهذا مقام الشفاعة ثم عد الى التكبير وانحدر به الى غاية العلو وقل سبحان
ربي الاعلى لان السجود اكثر تواضعا روي ان لله ملكا تحت العرش اسمه حزقيل فاوحى اليه ايها الملك طر فطار ثلثين الف سنة ثم ثلثين سنة
فلم يبلغ من احد طرفي العرش الى الثاني فاوحى الله اليه لو طرت الى نفخ الصور لم تبلغ الى الطرف الثاني من العرش فقال الملك عند ذلك سبحان
ربي الاعلى واما فوائد السجدتين فالاولى للازل والثانية للابد والقعدة بينهما هي الدنيا فتعرف بالاولى انه لا اول له فتسجد وبالثانية انه
لا اخر له فتسجد له ثانيا وايضا الاولى فناء الدنيا في الاخرة والثانية فناء الاخرة في جلال الله تعالى وايضا الاولى فناء الكل في انفسها والثانية
بقاؤها ببقائه وايضا الاولى انقياد عالم الشهادة لقدرته والثانية انقياد عالم الارواح لعزته الا له الخلق والامر وايضا الاولى سجدة الشكر بمقدار
ما اعطانا من معرفة ذاته وصفاته والثانية سجدة الخوف مما فاتنا من اداء حقوق كبريائه وايضا صلوة القاعد على النصف من صلوة القائم فقوى
السجدتين بازاء تواضع ركوع واحد وايضا ليكونا شاهدين للعبد على اداء العبادة وايضا ليناسب الوجود الاخذ من الوحدة الى الكثرة

ومن الفردية الى الزوجية واية الانتصاب صفة الانسان والانحناء صفة الانعام والجثوم صفة النبات ففي الركوع هضم للنفس بمرتبة واحدة
وفي السجود بمرتبتين ولعل ما فاتنا من الفوائد اكثر مما ادركنا المنهج التاسع في اللطايف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابرهيم عليه السلام سئل به فقال ما جزاء من حمدك
فقال تعالى الحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته وقال اهل التحقيق من ههنا جعلها الله فاتحة كتابه وخاتمة كلام اهل جنته وآخر دعويهم ان الحمد لله رب
العالمين وعن علي رضي الله عنه ان اول ما خلق الله العقل من نوره المكنون ثم قيل له تكلم فقال الحمد لله فقال الرب وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اعز علي منك
ونقل عن ادم عليه السلام لما عطس قال الحمد لله فاول كلام لفاتحة المحدثات الحمد واول كلام لخاتمة المحدثات الحمد فلاجرم جعلها الله تعالى فاتحة كتابه واول
كلام الله الحمد لله واخر انبيائه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الاول والاخر مناسبة فجعل الحمد لله اول آية من كتاب محمد رسول الله ولما كان كذلك وضع
لمحمد رسول الله من كلمة الحمد اسمان محمد احمد عند هذا قال عليه السلام انا في السماء احمد وفي الارض محمد فاهل السماء في تحميد الله ورسوله احمدهم والله تعالى
في تحميد اهل الارض كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا ورسول الله محمدهم اخرى الحمد لا يحصل الا عند الفوز بالنعمة فهم بالرحمة والنعمة فلما كان
الحمد اول الكلمات وجب ان يكون النعمة والرحمة اول الافعال فلهذا سبقت رحمتي غضبي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه احمد اي اكثر الحامدين
حمدا فوجب ان يكون رحمة الله في حقه اكثر فلهذا جاء رحمة للعالمين اخرى ان من اسماء رسول الله سوى اسمه محمد واحمد الحامد والحماد
والمحمود على ما جاء في الروايات وكلها تدل على الرحمة لان الحمد يتضمن النعمة فقال تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم فقوله نبئ اشارة
الى محمد وهو مذكور قبل العباد والياء في قوله عبادي ضمير الله سبحانه وكذا في اني وانا والغفور والرحيم صفتان لله فالعبد يمشي يوم القيمة
وقدامه الرسول صلى الله عليه وسلم مع خمسة اسماء تدل على الرحمة وخلفه خمسة الفاظ من اسماء الله تعالى تدل على الرحمة ورحمة الرسول كثيرة وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين ورحمة الله تعالى غير متناهية ورحمتي وسعت كل شيء فكيف يضيع المذنب فيما بين هذه الاصناف من الرحمة اخرى
في الفاتحة عشرة اشياء خمسة من صفات الربوبية الله الرب الرحمن الرحيم المالك وخمسة من صفات العبودية العبادة الاستعانة طلب الهداية
طلب الاستقامة طلب النعمة في قوله انعمت عليهم كانه قيل اياك نعبد لانك انت الله واياك نستعين يا رب اهدنا يا رحمن وارزقنا
الاستقامة يا رحيم وافض علينا سجال فضلك يا مالك اخرى الانسان مركب من خمسة اشياء بدن ونفس شيطانية ونفس سبعية
ونفس بهيمية وجوهر ملكي عقلي فتجلى اسم الله للجوهر الملكي فاطمان اليه الا بذكر الله تطمئن القلوب وتجلى للنفس الشيطانية باسم الرب فلان
وانقاد لطاعة الديان ورجع عن ذنب من همزات الشياطين وتجلى للنفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من القهر واللطف الملك يومئذ
الحق للرحمن فترك الخصومة والعدوان وتجلى للنفس البهيمية باسم الرحيم احل لكم الطيبات فترك العصيان وتجلى للابدان بالقهر والمالكية
لان البدن غليظ كثيف فيحتاج الى قهر شديد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فاذا كان هذه التجليات انغلقت له ابواب النيران
وفتحت عليه ابواب الجنان ورجع القهقرى كما جاء فلطاعة الابدان قال اياك نعبد ولطاعة النفس البهيمية قال واياك نستعين على ترك
اللذات وارتكاب المنكرات ولطاعة النفس السبعية قال اهدنا وارشدنا وعلى دينك ثبتنا ولطاعة النفس الشيطانية طلب الاستقامة
فقال اهدنا الصراط المستقيم وللجوهر العقلي الملكي طلب مرافقة الارواح المقدسة المطهرة فقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين اخرى بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت
فشهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة تجلي نور اسم الله ومن تجلي نور اسم الرب لان الرب من التربية والعبد يربي بامر عند الصلوة
وايتاء الزكوة من تجلي اسم الرحمن لان الزكوة سببها الرحمة على الفقراء وصوم رمضان من تجلي اسم الرحيم لان الصائم اذا جاع يذكر جوع
الفقراء فيعطيهم بحكاية يوسف حين تمكن من مصر كان لا يشبع فقال اخاف ان اشبع فانسى الجياع وايضا الصائم يرحم نفسه لانه اذا جاع
حصل له فطام عن الالتذاذ بالمحسوسات عند الموت ليسهل عليه مفارقتها ووجوب الحج من تجلي اسم مالك يوم الدين لان الحج يوجب هجرة
الوطن ومفارقة الاهل والولد وذلك يشبه سفر القيمة وايضا الحاج يكون عاريا حافيا حاسرا وهو يشبه احوال القيمة اخرى الحواس خمس
ولكل ادب فادب البصر ما زاغ البصر وما طغى فاعتبروا يا اولي الابصار وادب السمع الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وادب الذوق
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وادب الشم اني لاجد ريح يوسف وادب اللمس والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فاستعن بانوار الاسماء الخمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك على تاديب هذه الحواس الخمس اخرى الشطر الاول من الفاتحة
مشتمل على الاسماء الخمسة لله فيفيض انوارها الى الاسرار والشطر الثاني مشتمل على الصفات الخمسة للعبد فيصعد منها اسرار الى
تلك الانوار ويحصل للعبد معراج في قرائته وتقرب الاسرار لان حاجة العبد اما الدفع ضر او جلب خير وكل منهما اما في الدنيا واما في الاخرة
فهذه اربعة وههنا قسم خامس هو الاشرف ذلك الاقبال على طاعة الله وعبوديته لا لاجل رغبة او رهبة فان شاهدت نور اسم الله
لم تطلب منها شيئا سوى الله وان طالعت نور الرب طلبت منه خيرات الجنة وان طالعت نور الرحمن طلبت منه خيرات الدنيا وان طالعت
نور الرحيم طلبت منه العصمة عن مضار الاخرة وان طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه الصون عن آفات الدنيا الموقعة في عذاب الاخرة
اعاذنا الله منها اخرى التجلي ثلث مراتب تجلي الذات قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا للعظماء الانبياء والملائكة المقربين وهذه

نهاية الاحوال ويدل عليها اسم الله وتجلي الصفات وهو في اواسط الاحوال يكون للاولياء واولي الالباب الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ويدل عليه اسم الرحمن وتجلي الافعال والآيات وهو في بداية الاحوال يكون لعامة العباد الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لآيات لاولي النهى ويدل عليه لفظ الرحيم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ٥ اخرى في الفاتحة كلمتان مضافتان الى اسم الله بسم الله والحمد لله بسم الله لبداية الامور والحمد لله لخواتيم الامور لبسم الله ذكر والحمد لله شكر بسم الله استحق الرحمة رحمن الدنيا وبالحمد لله استحق رحمة اخرى رحيم الآخرة وكلمتان اضيف اليهما اسمان لله رب العالمين مالك يوم الدين فالربوبية لبداية حالهم الست بربكم قالوا بلى والملك لنهاية حالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وبينهما اسمان مطلقان لوسط حالهم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء المنهج العاشر للخلق خمس احوال اولها الايجاد والتكوين والابداع ويدل عليه اسم الله وثانيها التربية في مصالح الدنيا ويدل عليه اسم الرب وثالثها التربية في معرفة المبدأ ويدل عليه اسم الرحمن ورابعها في معرفة المعاد ويدل عليه اسم الرحيم كي يقدم على ما ينبغي ويحجم عما لا ينبغي وخامسها نقل الارواح من عالم الاجساد الى المعاد ويدل عليه اسم مالك يوم الدين ثم ان العبد اذا انتفع بهذه الاسماء صار من اهل المشاهدة فقال اياك نعبد لانك انت الله الخالق واياك نستعين لانك الرب الرزاق اياك نعبد لانك الرحمن واياك نستعين لانك الرحيم اياك نعبد لانك الملك اياك نستعين لانك المالك نعبد لانا ننتقل من دار الشرور الى دار السرور ولا بد من زاد وخير الزاد العبادة واياك نستعين لان الذي نكتسب بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا فان السفر طويل والزاد قليل ثم اذا حصل الزاد ما عانتك فالشقة شاسعة والطرق كثيرة فلا طريق الا ان يطلب الطريق ممن هو بارشاد السالكين حقيق اهدنا الصراط المستقيم ثم انه لا بد لسالك الطريق الطويل من رفيق ودليل صراط الذين انعمت عليهم فالانبياء ادلاء والصديقون والشهداء والصالحون رفقاء غير المغضوب عليهم ولا الضالين لان الحجب قسمان نارية وهي الدنيا بما فيها ونورية وهي ما سواهما اللهم ارفع عنا كل ما يحجب بيننا وبينك انك رب العالمين ومالك يوم الدين

سورة البقرة مدنية مائتان وست وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون

القراءة لا ريب بالمد خلف والعجلي عن حمزة وخلف لنفسه كذلك نوكزته لا جرم هاء كناية في جميع القران هدى للمتقين مدغما من غير غنة حمزة وعلي وخلف ويزيد وورش من طريق النجاري والهاشمي عن ابن كثير وكذلك يدغمون النون الساكنة والتنوين في الراء حيث وقعت ابو عمرو بالوجهين ادغام الغنة واظهارها الباقون باظهار الغنة واسقاطها وهي صوت من الخيشوم يومنون غير مهموز ابو عمرو ويزيد وورش والاعشى وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الافعال الا في احرف يسيرة تذكر في مواضعها الباقون بالهمزة في المد بما انزل اليك وما انزل من قبلك بالمد عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن ذكوان فلا يفرقون بين مد الكلمة والكلمتين وكذلك روى ورش عن نافع والباقون يفرقون فيمدون الكلمة ولا يمدون الكلمتين فاطول الناس مدا ورش عن نافع وحمزة وخلف في اختياره والاعشى ومدهم بمنزلة اربع الفات واوسطهم مدا علي وابن ذكوان وعاصم غير الاعشى واقصرهم مدا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وابو عمرو وسهل ويعقوب وهشام واصل المد الف ساكنة على قدر فتحة فيك فتحاتا ما وبالآخرة بترك الهمزة ونقلها الى الساكن الذي قبلها حيث كان ورش وكذلك حمزة في الوقف فان مذهبه ان يقف على كل كلمة مهموزة بغير همزة باب السكتة روى عن حمزة وحماد الشموني انهم يسكتون على حرف ساكن بعد همزة سكتة لطيفة نحو الارض والانهار وقالوا آمنا واشباه ذلك والسبب فيه التمكين والمبالغة في تحقيقها لان الهمزة بعد السكتة كالمبتدأ بها والاختيار في الكلمة الواحدة ان لا تسكت على ساكن غير لام التعريف احترازا عن قطع الكلمة الوقوف الم للاختلاف لا ريب ج على حذف خبر لا تقديره لا ريب فيه ثم تستأنف فيه هدى ومن وصل جعل فيه خبر لا او وصف ريب وحذف خبر لا تقديره لا ريب فيه عند المؤمنين والوقف على التقديرين على فيه وهدى خبر مبتدأ محذوف اي هو هدى ومن جعل هدى حالا للكتاب بمعنى الاشارة وفي ذلك على تقدير اشير الى الكتاب هاديا لم يقف قبل هدى للمتقين لا لان الذين صفتهم ينفقون للعطف ليدخل عبد الله بن سلام واصحابه في المتقين فان القران لهم هدى كما يدخل الصحابة المؤمنون بالغيب في ثناء الهدى ووعد الفلاح ولو ابتدأ والذين

كان اولئك على هدى خبرهم مختصا بهم ولخص هدى القران واسم التقوى بالذين يؤمنون بالغيب من قبلك لاختلاف النظم بتقديم المفعول
يوقنون ط لان اولئك مبتدا وليس بخبر عما قبله وكذلك على كل اية وقف بها الا ما اعلم بعلامة لا المفلحون التفسير وفيه ابحاث البحث
الاول في الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها في قولهم الف با تا ثا اسماء مسميات بها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم لان الضاد مثلا لفظ
مفرد دال بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه غير مقترن باحد الازمنة وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب مثلا فيكون لفظ الضاد
اسما ولهذا قد يتصرف في بعضها بالامالة نحو با تا و بالتفخيم نحو با تا و بالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد اليه والاضافة
وقولهم با تا ثا متهجيا ومقصورة نحو لا وقولهم كتبت با ءً بالمد نحو كتبت لا ءً لا يدل على انها حروف مثل لا فانهم انما قالوا كذلك في التهجي
لكثرة الاستعمال واستدعائها التخفيف والذي رواه ابن مسعود ان النبي قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول
الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فانه ما وقع في عبارات المتقدمين انها حروف التهجي خليق بان يصرف الى التسامح والتجوز
لانه اسم للحرف وهما متلازمان ولان الحروف قد يطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع ويحكى عن الخليل انه سأل اصحابه كيف تنطقون
بالباء التي في ضرب والكاف التي في ذلك فقالوا نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم لا بالحرف وقال اقول ب ك ثم انهم راعوا في هذه التسمية
لطيفة وهي انهم جعلوا المسمى صدر كل اسم منها الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ابداع
اللفظ دلالة على المعنى البسملة والحيعلة والتهليل ونحوها وحكم هذه الاسماء سكون الاعجاز ما لم تليها العوامل فيقال الف لام ميم موقوفا
عليها لفقد مقتضي الاعراب نحو واحد اثنان ثلاثة دار ثوب جارية فاذا وليها العوامل ادركها الاعراب نحو هذه الف وكتبت الفا ونظرت
الى الف والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها
بين الساكنين وللناس في الم وما يجري مجراه في فواتح السور قولان احدهما ان هذا علم مستور وسر محجوب استاثر الله به والتخاطب بالحروف
المفردة سنة الاحباب في سنن المحابة فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب شعر بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه
عن ابي بكر في كل كتاب سر وسره في القران اوائل السور وعن علي كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي
قال بعض العارفين العلم كبحر اجري منه واد ثم اجري من الوادي نهر ثم اجري من النهر جدول ثم اجري من الجدول ساقية فالوادي لا يحتمل البحر
والنهر لا يحتمل الوادي ولهذا قال عز من قائل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فبحر العلم عند الله تعالى فاعطى الرسل منها اودية
ثم اعطى الرسل من اوديتهم انهارا الى العلماء ثم اعطى العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم اجرت العامة سواقي الى اهاليهم
بقدر طاقتهم وهذا ماخوذ مما ورد في الخبر للعلماء سر وللانبياء سر وللملائكة سر ولله من بعد ذلك كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لابادوهم ولو
اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو اطلع الانبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة
على سر الله لطاحوا حائرين وبادوا بائدين والسبب في ذلك ان العقول الضعيفة لا يحتمل الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس ابصار الخفافيش
وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس قال عجزت العلماء عن ادراكها وقيل هو من المتشابه ونيف
هذا القول بنحو قوله تعالى افلا يتدبرون القران تبيانا لكل شيء هدى للمتقين وانما يمكن التدبر ويكون تبيانا وهدى اذا كان مفهوما
وبقوله اني تركت فيكم الثقلين ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم وايضا لا يخاطب المكلف
بما لا يفهم كما لا يخاطب العربي بالعجمي ولا يجوز التحدي بما لا يكون معلوما وعورض بقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والوقف هنا لان
الراسخين لو كانوا عالمين بتاويله كان الايمان به كالايمان بالمحكم فلا يكون في الايمان به مزيد مدح ولا يكون في قوله كل من عند
ربنا فائدة على ان الاولى بقوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد رويناه عن اكابر الصحابة ما رويناه وايضا الافعال التي كلفنا
بها منها ما يظهر وجه الحكمة فيه كالصلوة فان فيها تواضعا للمعبود والصوم ففيه كسر الشهوة والزكوة ففيها سد خلة المساكين ومنها ما
لا يظهر فيه الحكمة كلية من افعال الحج ويحسن من الله تعالى الامر بالنوعين لظهور الامتثال بهما بل كمال الانقياد في النوع الثاني اظهر واكثر
فلم لا يجوز ان يكون في الاقوال ايضا مثل ذلك مع ان فيه فائدة اخرى هي اشتغال السر بذكر الله والتفكر في كلامه القول الثاني ان المراد
من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه الاول انها اسماء وهو قول اكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة بن
لام الطائي وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين وللجبل قاف وللحوت نون وسيجيء تمام الكلام في هذا القول الثاني انها اسماء الله تعالى
روي عن علي انه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ويقرب منه ما روي عن سعيد بن جبير انها ابعاض اسماء الله تعالى فان الر حم ن مجموعها
اسم الرحمن لكنا لا نقدر على كيفية تركيبها في الجميع الثالث انها اسماء القران وهو قول الكلبي والسدي وقتادة الرابع كل واحد من الحروف
دال على اسم من اسماء الله تعالى وصفة من صفاته فالالف اشارة الى انه احد واول واخر وازلي وابدي واللام اشارة الى انه لطيف والميم الى انه
مجيد ملك منان وفي كهيعص الكاف كاف لعباده والهاء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق او الكاف محمول على الكبير و
الكريم والياء على انه مجير والعين على العزيز والعدل ويروى هذا عن ابن عباس وعنه ايضا في الر انا الله اعلم وفي المص انا الله اعلم وافصل





وفي الر انا الله ارى الخامس انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده قاله محمد بن كعب القرظي السادس الالف من الله واللام
من جبرئيل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبرئيل على محمد السابع الالف انا واللام لي والميم مني قاله بعض الصوفية
الثامن ان ورودها مسرودة هكذا على نمط التعديد بل يكون كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقران اي ان هذا المتلو عليهم وقد
عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من جنس ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه كلام خالق القدر لم يعجز معشر البشر عن الاتيان بمثل الكوثر قاله المبرد وجم
غفير التاسع كانه تعالى يقول اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك هذا على طريقة تعليم الصبيان
قاله عبد العزيز بن يحيى العاشر ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه انزل الله تعالى هذه الاحرف فعجبوا في اصغائهم اليها فيتم عليهم
القران من حيث لا يشعرون قاله ابو روق وقطرب الحادي عشر قول ابي العالية انه حساب على ما روي ابن عباس انه مر ابو ياسر بن
اخطب برسول الله صلعم وهو يتلو سورة البقرة الم ذلك الكتاب ثم اتى اخوه حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف فسئلوا عن الم وقالوا ننشدك
الله الذي لا اله الا هو احق انها اتتك من السماء فقال صلعم نعم كذلك نزلت فقال حيي ان كنت صادقا فاني لاعلم اجل هذه الامة من السنين
ثم قال كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى اجل امته احد وسبعون سنة فضحك رسول الله صلعم فقال
حيي فهل غير ذلك فقال نعم المص فقال حيي مائة واحد وستون فهل غير هذا فقال نعم الر فقال حيي نشهد ان كنت صادقا فما ملكت امتك
الا مائتين واحد وثلثين سنة فهل غير هذا فقال نعم المر قال حيي لا ندري باي اقوالك ناخذ فقال ابو ياسر اما انا فاشهد ان انبياءنا
قد اخبروا عن ملك هذه الامة ولم يبينوا انها كم تكون فان كان محمد صادقا فيما يقول اني لاراه سيجمع له هذا كله فقام اليهود وقالوا اشتبه
علينا امرك فانزل الله تعالى هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ الثاني عشر انها علامة
انقطاع كلام واستيناف كلام اخر الثالث عشر قول الاخفش ان الله تعالى اقسم بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات
بها يتفاوضون ويذكرون الله ويوحدونه واقتصر على البعض والمراد الكل كما تقول قرات الحمد تريد السورة كلها اقسم الله بها ان هذا
الكتاب هو المثبت في اللوح المحفوظ الرابع عشر ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون واهل الكتاب
بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرا فلما اخبر الرسول بها من غير تعلم خط وقراءة كان ذلك دليلا على انه استفاد ذلك
من قبل الوحي الخامس عشر قال القاضي الماوردي معناه الم بكم ذلك الكتاب اي نزل وهذا الاتيان في كل فاتحة السادس عشر الالف اشارة
الى ما لابد منه من الاستقامة على الشريعة في اول الامر إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا واللام اشارة الى الحاصل عند المجاهدات وهو
رعاية الطريقة وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا والميم اشارة الى صيرورة العبد في مقام المحبة كالدائرة التي يكون نهايتها عين بدايتها وهو مقام الفناء في الله
بالكلية وهو الحقيقة قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ السابع عشر الالف من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة وهو اخر
المخارج اي اول ذكر العبد ووسطه واخره لا ينبغي الا لله الثامن عشر سمعت بعض الشيعة يقول هذه الفواتح اذا حذف منها المكررات
يبقى ما يمكن ان تركب منه علي صراط حق نمسكه وهذا غريب مع انه متكلف فلهذا اوردته واعلم ان الباقية من الفواتح بعد حذف المكرر
اربعة عشر نصف عدد حروف المعجم بعد الكسر فقد اورد الله الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهذه الباقية تشتمل على
انصاف اجناس الحروف من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء
والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الكطق ومن الرخوة نصفها المرصهعسحين ومن المطبقة نصفها صط ومن
المنفتحة نصفها الركهوسح قين ومن المستعلية نصفها قصط ومن المنخفضة نصفها المرك هيع سحن ومن حروف القلقلة
نصفها قط واكثر الفاظ القران من هذه الحروف وهذا دليل على ان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم تبكيتا لهم
واظهارا لعجزهم كما مر في الوجه الثامن ويؤيد ذلك ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين والله اعلم التاسع
عشر قيل معناه الست بربكم الالف واللام من اوله والميم من اخره اي اخذت منكم كتاب العهد في يوم الميثاق والمختار من هذه الاقوال عند
الاكثرين القول بانها اسماء السور ثم انه عورض بوجوه الاول انا نجد سورا كثيرة اتفقت في التسمية بالم وحم والمقصود من العلم دفع
الاشتباه الثاني لو كانت اسماء لاشتهرت وتواترت الثالث العرب لم يتجاوزوا فيما سموا به مجموع اسمين نحو معدي كرب وبعلبك ولم يسم
احد منهم بمجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة فالقول بانها اسماء السور خروج عن لغتهم الرابع لو كانت اسماء لاشتهرت السورة بها لكنها
اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وآل عمران الخامس هذه الالفاظ داخلة في السور وجزؤه جزء الشيء متقدم على الشيء بالرتبة واسم الشيء
متاخر عن الشيء فلزم ان يكون متقدما متاخرا معا وهو محال فليس هذا كتسميتهم صاد للحرف الاول منه فان هذا كتسمية المفرد بالمفرد
فلا يلزم الا تأخر المركب من المفرد بوجهين وهذا التسمية المؤلف بالمفرد ويلزم المحال المذكور واجيب عن الاول بما يجاب عن الاعلام
المشتركة من ان اللبس بوضع واحد مع انه لا يبعد ان يجعل مشتركا حتى يتميز كل واحد من الاخر بعلامة اخرى لحكمة خفية وعن الثاني بان تسمية
السورة بلفظة معينة ليست من الامور التي تتوفر الدواعي على نقلها وعن الثالث بان التسمية بثلثة اسماء خروج عن كلام العرب

في تفسير الم

في حروف المهموسة

في حروف المجهورة

في حروف المستعلية

في حروف المنخفضة

وذلك

ولكن اذا جعلت اسماً واحداً فانما تشوه نحو اسماء فلا استنكار لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية نحو برق نحره وكما لو سمي ببيت شعر
وطائفة من اسماء حروف المعجم وعن الرابع انه لا يبعد ان يصير اللقب اشهر من الاسم وعن الخامس ان تأخر ما هو متقدم باعتبار آخر
غير مستحيل وفي لسان الصوفية ان مباني الصلوة ثلث القيام والركوع والسجود فالالف اشارة الى القيام واللام الى الركوع والميم الى السجود
اي من قرء فاتحة الكتاب في الصلوة التي هي معراج المؤمن شرفها الله بالهداية في قوله هُدًى لِلْمُتَّقِينَ وعلى هذا فيكون ذلك الكتاب اشارة
الى الفاتحة لانها ام الكتاب ثم ان هذه الاسماء ضربان احدهما ما لا يتأتى فيه الاعراب نحو كهيعص والمر وثانيهما ما يتأتى فيه الاعراب لكونه اسماً
فرداً كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم اذا فتحت نونها فصارت
كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا والثاني فيه امران الاعراب والحكاية فاذا اعرب منع الصرف للعلمية والتأنيث قال شريح يذكرني حاميم والرمح
شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم ... والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته نحو قولك بدأت بالحمد لله قال ذو الرمة شعر
سمعت الناس ينتجعون غيثاً ... فقلت لصيدح انتجعي بلالا ... واما من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات فبفعل مضمر نحو اذكر او حركت لالتقاء
الساكنين واستكره جعلها مقسماً بها على طريق قولهم نعم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لان القرآن والقلم بعدها
محلوف بهما واستكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم واحد ولهذا قال الخليل الواو الثانية في قوله عز من قائل وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى
واو العطف لا القسم نحو فبحبوبتي ثم حيوتك لافعلن ولو كان لانقضى قسم بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاماً آخر نحو بالله لافعلن تالله لاخرجن
ولا سبيل فيما نحن بصدده الى جعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب اللهم ان يقدر مجروراً باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد
جاء عنهم الله لافعلن مجروراً واعرابها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واما من قرأ صاد وقاف بالكسر فلالتقاء الساكنين وهذه
الفواتح جاءت في المصحف مكتوبة على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها لان المألوف انه اذا قيل للكاتب اكتب صاد مثلاً فانه يكتب صورتها
ص وفي اشتهار امرها بان المراد بها الاسامي لا المسميات امن من وقوع اللبس فيها وايضاً خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض
لان المعتبر هناك الملفوظ ومن لم يجعل هذه الفواتح اسماء السور فلا محل لها عنده كما لا محل للجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ومن جعلها
اسماء للسور فسيخبرك عن نائبها مع ما بعدها الله حسبي البحث الثاني في قوله ذَلِكَ الْكِتَابُ وفيه مسائل الاولى انما صحت الاشارة بذلك
الى ما ليس ببعيد لانه وقعت الاشارة بذلك الى الم بعد ما سبق التكلم به والمنقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول فذلك كذا او
لانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئاً احتفظ بذلك او لانه وان كان حاضراً
نظراً الى الفاظه لكنه غائب نظراً الى اسراره وحقائقه او لانه على مقتضى الوضع اللغوي لا العرفي او لانه اشارة الى ما نزل بمكة قبل سورة البقرة
وقد يسمى بعض القرآن قرآناً او لانه اشارة الى ما وعد به الرسول عند مبعثه إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا او لانه اشارة الى ما اخبر به الامم
ان الله تعالى سينزله على النبي المبعوث من ولد اسمعيل والمراد ان هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ كقوله وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ
الثانية انما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة في بعض الوجوه نظراً الى صفته وهو الكتاب كقولك هند ذلك الانسان
قال الذبياني نبئت نعماً على الهجران عاتبة سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري وان جعلت الكتاب خبراً فنظراً الى ان ذلك في معناه ومسماه
مجاز اجرى حكمه عليه في التذكير كما اجرى عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك الثالثة للقرآن اسماء كثيرة منها الكتاب والقرآن وقد تقدم
ومنها الفرقان تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ لانه نزل متفرقاً في نيف وعشرين سنة او لانه يفرق بين الحق والباطل ومنها التذكرة والذكرى
والذكر وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وانه لذكر لك ولقومك اي ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه او
شرف وفخر ومنها التنزيل وانه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ شبهه بما يتحدث به فان الله تعالى خاطب به
المكلفين ومنها الموعظة قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ومنها الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ
يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ومنها الشفاء والرحمة وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ومنها الهدى
والهادي هُدًى لِلْمُتَّقِينَ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ومنها الصراط المستقيم وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ومنها حبل الله وَاعْتَصِمُوا
بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ومنها الروح وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا لانه سبب لحيوة الارواح ومنها القصص إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ
الْحَقُّ ومنها البيان والتبيان والمبين هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ومنها البصائر هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ
ومنها الفصل إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ومنها النجوم فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ لانه نزل نجماً نجماً ومنها المثاني مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ لانه يثنى فيه القصص والاخبار ومنها النعمة وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ قال ابن عباس اي القرآن ومنها البرهان قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ
مِنْ رَبِّكُمْ ومنها البشير والنذير قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً ومنها القيم قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ومنها المهيمن مصدقاً لما
بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ومنها النور وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ومنها الحق وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ومنها العزيز وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ
ومنها الكريم إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ومنها العظيم وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ومنها المبارك كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ فهذه

جملة الاسماء وسيجيء تفاسيرها في مواضعها الرابعة في تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول اي هو الكتاب الكامل الذي ليس اهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية وكقوله شعر هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم وذلك الكتاب جملة اخرى وفقد العاطف لان الثانية بيان للاولى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وفي قراءة عبد الله بن مسعود الم تنزيل الكتاب البحث الثالث في قوله لا ريب فيه مصدر رابني وحقيقته قلق النفس وروي الحسن بن علي عن النبي دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة اي كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له ومنه ريب الزمان لنوائبه المقلقة وفي الحديث ان النبي مر بظبي حاقف اي معوج مضطجع وهم محرمون فقال لا يريبه احد بشيء اي لا يزعجه والحاصل ان الريب شك وزيادة ظن سوء فان قلت كيف نفى الريب فيه على سبيل الاستغراق وكم من شقي مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب مظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه ومثله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله لم يقل واذ كنتم مع وقوع الشك منهم في الواقع دلالة على ان الشك فيه مما لا ينبغي ان يوجد الا على سبيل الفرض والتقدير ولو فرض فوجه ازالته ان يحرروا انفسهم ويبرزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلنا لان المقصود منها ليس الا نفي الريب عنه واثبات انه حق ولو عكس لافاد ذلك مع ما ليس بمراد ولا هو بصادق في نفس الامر وهو التعريض بان ريبا في غيره من الكتب كما ان في قوله لا فيها غول تعريضا بان خمور الدنيا تغتال العقول وقرأ ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع قيل والفرق بينها وبين المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه ويمكن ان يقال كلاهما يوجب الاستغراق الا ان الاول بطريق نفي الماهية والثاني لان قوله لا ريب جواب قول القائل هل ريب فيه وهذا يفيد ثبوت فرد واحد فنقيضه يكون بسلب جميع الافراد البحث الرابع في قوله هدى للمتقين وفيه مسائل الاولى في حقيقة الهدى هو مصدر على فعل كالسرى وهو على الاصح عبارة عن الدلالة وقيل بشرط كونها موصلة الى البغية بدليل وقوعه في مقابل الضلالة اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولانه يقال مهدي في معرض المدح فلو احتمل ان يقال هدى فلم يهتد لم يكن مدحا ولان مطاوعه اهتدى فيلزمه واجيب بان مقابل الضلالة الاهتداء لا الهدى وبان قولنا مهدي انما افاد المدح لانه من المعلوم ان الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود كانت كالعدم وبالمنع من ان اهتدى لازم هدى لزوما كليا اذ يصح في العرف ان يقال هديته فلم يهتد قال عز من قائل واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى قال بعضهم الهدى الاهتداء فان زعم مكمل فخطأ لوقوعه صفة للقرآن وان زعم حينا فصحيح لوقوعه في مقابلة الضلالة الثانية المتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابها ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء وهو في الشرع المؤمن الماموراته المجتنب عن المحظورات واختلف في الصغائر انه اذا لم يتقها فهل يستحق هذا الاسم وروي عنه انه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس حقيقة التقوى الخشية يا ايها الناس اتقوا ربكم وقد يراد بها الايمان والزمهم كلمة التقوى اي التوحيد وقد يراد التوبة ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا اي تابوا وقد يراد الطاعة ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقد يراد ترك المعصية واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله وقد يراد الاخلاص فانها من تقوى القلوب اي من اخلاصها والتقوى مقام شريف ان الله مع الذين اتقوا وتزودوا فان خير الزاد التقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وعن ابن عباس ان النبي قال من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اقوى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده وقال علي التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وعن ابرهيم بن ادهم ان لا يجد الخلق في لسانك عيبا ولا الملائكة المقربون في افعالك عيبا ولا ملك العرش في سرك عيبا والواقدي ان تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق ويقال التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك ولله در القائل خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى :: كن مثل ماش فوق ارض الشوك يحذر ما يرى :: لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى :: وفي قوله هدى للمتقين ثم في موضع اخر شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس دليل على ان الناس محصور في المتقين والباقون كالانعام بل هم اضل الثالثة لم خص كون القرآن هدى للمتقين وايضا المتقي مهتد فكيف يهدى ثانيا والجواب المتقين لما كانوا هم المنتفعين بالهداية خصوا كقوله انما انت منذر من يخشاها انما تنذر من اتبع الذكر مع انه منذر كل الناس وايضا قوله هدى للمتقين كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة واستدامة ما هو ثابت فيه ووجه اخر يسماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين نحو من قتل قتيلا فله سلبه فهذا مجاز من باب تسمية الشيء بما هو آئل اليه وفيه اللطف فيما لو قال الهدى للصائرين الى التقوى بعد الضلال كان لطاما في غير موضعه فان تصدير السورة

البحث الثالث

الثانية

الثالثة

هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده هو اللائق بالمقام فاختص الكلام باجرائه على الطريقة
التي ذكرنا فان قلت كيف وصف القرآن بانه كله هدى وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدى فيه الى المقصود الا بحكم العقل فيكون الهدى
في ذلك للعقل لا للقرآن ومما يؤكد ما قلنا ما نقل عن علي انه قال لابن عباس حين بعثه رسولا الى الخوارج لا تحتج عليهم بالقرآن فانه خصم
ذو وجهين ولهذا كان فرق الاسلام المحق منهم والمبطل يحتجون به قلنا المتشابه لما لم ينفك عما يبين المراد منه على التعيين عقلا كان
او سمعا صار كله هدى فان قيل كل ما يتوقف صحة كون القرآن هدى على صحته كمعرفة الله تعالى وصفاته وكمعرفة النبوة فالقرآن ليس
هدى فيه فكيف جعل فيه هدى على الاطلاق قلنا المراد كونه هدى في تعريف الشرائع والمطلق لا يقتضي العموم او كونه هدى في تأكيد ما في
العقول ايضا فيتم الرابعة محل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا
عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يقال الم جملة برأسها او طائفة
من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وفقد العاطف بينها لمجيئها متآخية
اخذ بعضها بحجزة بعض لانه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفي
عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان تسجيلا بكماله لا كمال اكمل مما للحق واليقين ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا
لا يحوم الشك حوله ثم في كل من الجمل نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه كما مر في الوجه الثامن وفي
الثانية ما في التعريف من الفخامة اي الكتاب الذي يستأهل ان يقال له الكتاب وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة
الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين البحث الخامس في قوله تعالى الذين يؤمنون الآية
وفيه مسائل الاولى الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين صفة او نصب على المدح او رفع كذلك بتقدير اعني الذين او هم
الذين او مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى الثانية الذين يؤمنون على تقدير كونه صفة يكون اما واردة بيانا او كشفا
وذلك اذا فسر المتقي بانه الذي يفعل الحسنات ويجتنب السيئات لان الايمان اساس الحسنات والصلوة ام العبادات البدنية
قال صلعم الصلوة عماد الدين وبين العبد وبين الكفر ترك الصلوة والزكوة افضل العبادات المالية قال صلعم الزكوة قنطرة الاسلام فاختصر
الكلام اختصارا بذكر ما هو كالعنوان لسائر الطاعات وكالاصول لبواقي الحسنات ويندرج فيها اجتناب الفواحش والمنكرات لقوله
عز من قائل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر واما مسرودة مع المتقين مفيدة غير فائدتها وذلك اذا فسر المتقي بالمجتنب عن
المعاصي فقط ثم انه يكون قد وصف بالايمان وهو فعل القلب وباداء الصلوة والزكوة وهما من افعال الجوارح وهذا ترتيب مناسب
لان لوح القلب يجب تخليته عن النقوش الفاسدة اولا ثم تحليته بالعقائد الحقة والاخلاق الحميدة واما معدودة عدا على سبيل
المدح والثناء وذلك اذا فرض المتقي موسوما بهذه السمات مشهورا بهذه الصفات غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح كصفات
الله الجارية عليه تعالى تمجيدا وتعظيما الثالثة الايمان افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته
آمنه التكذيب والخيانة والتعدية بالباء لتضمينه معنى اقر واعترف او وثق به قال في التفسير الكبير اختلف اهل القبلة في مسمى الايمان
على اربعة اقوال الاول قول المعتزلة والخوارج والزيدية واهل الحديث انه اسم لافعال القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا
الايمان اذا عدي بالباء فمعناه التصديق على تضمين الاقرار او الوثوق كما مر من حيث اللغة واما اذا ذكر مطلقا فمنقول الى معنى آخر وهو
ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو فاسق ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن
عطاء والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة او مندوبة او من باب الاقوال والافعال او
الاعتقادات وبعضهم كابي علي وابي هاشم انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وبعضهم كالنظام انه عبارة عن اجتناب كل
ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكبائر ما لم يرد فيه من الوعيد فالمؤمن عند الله من اجتنب كل الكبائر والمؤمن عندنا من اجتنب
كل ما ورد فيه الوعيد الخوارج قالوا الايمان بالله يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا او نقليا من الكتاب و
السنة ويتناول طاعة الله في جميع ما امر به من الافعال والتروك صغيرا كان او كبيرا فالمجموع هذه الاشياء هو الايمان وترك خصلة
من هذه الخصال كفر واهل الحديث ذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة ايمان على حدة
وهذه الطاعات لا يكون منها شيء ايمانا الا اذا كانت مرتبة على الاصل الذي هو المعرفة وزعموا ان الجحود وانكار القلب كفر ثم كل معصية
بعده كفر على حدة ولم يجعل شيئا من الطاعات ايمانا ما لم يوجد المعرفة والاقرار ولا شيئا من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والانكار
الثاني ان الايمان اسم للطاعات كلها فريضة او نافلة الا انه اذا ترك فريضة انتقص ايمانه وان ترك نافلة لم ينتقص ومنهم من قال
الايمان اسم للفرائض دون النوافل القول الثاني قول من قال الايمان بالقلب واللسان معا ثم اختلفوا على مذاهب الاول ان الايمان
اقرار باللسان ومعرفة بالجنان وهو مذهب ابي حنيفة وعامة الفقهاء ثم اختلفوا في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم

من قال

من قال هي الاعتقاد الجازم سواء كان اعتقادا تقليديا او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم
من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما في ان العلم المعتبر في تحقق الايمان علم بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وبصفاته
على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى فلا جرم اقدم كل طائفة على تكفير من عداه من الطوائف وقال
ان المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم او بذاته مرئيا او غير مرئي
لا يكون داخلا في مسمى الايمان المذهب الثاني ان الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معا وهو مذهب الحسن الاشعري و
بشر المريسي والمراد من التصديق الكلام القائم بالنفس المذهب الثالث كلام بعض الصوفية الايمان اقرار باللسان واخلاص
بالقلب القول الثالث قول من قال الايمان عبارة عن عمل القلب فقط فمن هؤلاء من قال الايمان معرفة الله بالقلب حتى ان
من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل ان يقر به فهو مؤمن كامل الايمان وهو قول جهم بن صفوان وزعم ان معرفة
الكتب والرسل واليوم الآخر غير داخلة في حقيقة الايمان وحكى الكعبي عنه ان الايمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه
من دين محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال الايمان مجرد التصديق بالقلب القول الرابع قول من قال الايمان هو الاقرار باللسان فقط ثم منهم
من قال شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب ومنهم من قال لا حاجة بنا الى هذا الشرط ايضا بل المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة له حكم المؤمنين
في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة وهذا قول الكرامية ثم قال الامام رحمه الله تعالى عندي ان الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة
كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم مع الاعتقاد فههنا قيود الاول ان الايمان عبارة عن التصديق وذلك ان الايمان اكثر الالفاظ دورانا على السنة
المسلمين فلو صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على نقل هذا وتواتر وليس كذلك وايضا الايمان المعدى بالباء على اصله
اتفاقا فغير المعدى ايضا يكون كذلك وايضا كلما ذكر الله تعالى الايمان في القرآن اضافه الى القلب وقلبه مطمئن بالايمان كتب في قلوبهم
الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم وايضا قرن الايمان بالعمل الصالح ولو كان العمل داخلا في الايمان لزم التكرار وايضا قرن الايمان
بالمعاصي الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والذين آمنوا ولم يهاجروا مع عظم الوعيد في
ترك الهجرة قال ابن عباس في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص انما يجب القصاص على القاتل المتعمد ومع ذلك ناداه بالخطاب
في الخطاب ثم قال فمن عفي له من اخيه شيء وهذه الاخوة ليست الا اخوة الايمان انما المؤمنون اخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة
بمؤمنين القيد الثالث ليس عبارة عن مطلق التصديق لان من صدق بالجبت والطاغوت لا يسمى مؤمنا القيد الرابع لا يشترط التصديق
بجميع صفات الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم اعتقها فانها مؤمنة بعد قولها له ان الله قالت في السماء ويعم بما ذكرنا ان من عرف الله بالدليل
وكما تم العرفان مات ووجد من الوقت ما امكنه التلفظ بكلمة الشهادة لكنه لم يتلفظ بها كان مؤمنا وكان الامتناع عن النطق جاريا
مجرى المعاصي التي يؤتى بها مع الايمان وهذا حكم الغزالي رحمه الله قلت وبالله التوفيق التحقيق في المقام ان للايمان وجودا في الاعيان ووجودا
في العبارة ولا ريب ان الوجود العيني لكل شيء هو الاصل وباقي الوجودات فرع وتابع فالوجود العيني للايمان هو النور الحاصل للقلب
بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وهذا النور قابل للقوة والضعف
والاشتداد والتنقص كسائر الانوار واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا كلما ارتفع حجاب ازداد نوره فيتقوى الايمان ويتكامل الى
ان ينبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقائق الاشياء ويتجلى له الغيوب وغيوب الغيوب فيعرف كل شيء في موضعه فيظهر له
صدق الانبياء عليهم السلام ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين في جميع ما اخبر واعنه اجمالا او تفصيلا على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره و
ينبعث من قلبه داعية العمل بكل مامور والاجتناب عن كل محظور فيضاف الى نور معرفته انوار الاخلاق الفاضلة والملكات الحميدة
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء واما الوجود الذهني فيما يلاحظه المؤمن من هذا النور ومطالعه
له وموافقته واما الوجود اللفظي فخلاصته ما اصطلح عليه الشارع بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان مجرد
التلفظ بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير النور المذكور لا يفيد للعطشان التلفظ بالماء الزلال الا ان التعبير عما في الضمير
لما لم يتيسر الا بواسطة النطق المفصح عن كل خفي والمعرب عن كل مشتبه كان للتلفظ بكلمة الشهادة ولعدم التلفظ بها مدخل عظيم في الحكم باسلام
المرء وكفره فصح جعل ذلك وما ينخرط في سلكه من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا عليها وتفويض امر الباطن الى عالم
الخفيات المطلع على السرائر والنيات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله الرابعة يجوز ان يكون بالغيب صلة للايمان اي يعترفون او يثقون به على هذا يكون الغيب بمعنى الغائب اما تسمية
بالمصدر كاسم الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا واما ان يكون مخففا فعل والمراد
به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان
يعلم الغيب وفي ذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشر والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز ان بالغيب

حالا والغيب بمعنى الغيبة والخفاء اى يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب نحو الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم انى لم اخنه بالغيب وفيه تعريض بالمنافقين حيث ان باطنهم يخالف ظاهرهم وغيبتهم بيان حضورهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال بعض الشيعة المراد بالغيب المهدى المنتظر الذى وعد الله فى القرآن وورد فى الخبر وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض لو لم يبق من الدنيا الا يوما واحدا لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من امتى يواطى اسمه اسمى وكنيته كنيتى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما الخامسة معنى اقامة الصلوة احد ثلثة اشياء اما تعديل اركانها وحفظها عن ان يقع فى فرائضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه واما الدوام عليها والمحافظة والذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال الاسدى شعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا ٭ غزالة اسم امرأة شبيب الخارجى قتله الحجاج فحاربته سنة تامة والضراب القتال والعراقان الكوفة والبصرة وقميطا اى كاملا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشئ النافق الذى يتوجه اليه الرغبات واما التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون فى مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام فى الامر خلاف تقاعد عنه فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع والسجود وبالتسبيح يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى فلولا انه كان من المسبحين ولا يخفى ان اقامة الصلوة بجميع هذه المعانى تستحق المدح والثناء السادسة الصلوة فى عرف الشرع عبارة عن الهيئات والاقوال المخصوصة التى مفتتحها التحريم ومختتمها التسليم فرضا كانت او نفلا الا انه يحتمل ان يقال المراد بها فى الاية الفرض لان الفلاح قد نيط بها فى قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابى افلح والله ان صدق بعد قول الاعرابى والله لا ازيد على هذا ولا انقص اى على الصلوات المفروضة واشتقاقها اللغوى اما من الصلوة بمعنى الدعاء قال الاعشى وقابلها الريح فى دنها وصلى على دنها وارتسم اى وضع عليها الوسم وهو الخاتم واما من قولهم صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها قال شعر فلا تعجل بامرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم والمصلى يسعى فى تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذى يعرض على النار واما من قولهم صلى الفرس اذا جاء مصليا اى ملازما للسابق لان رأسه عند صلوه والصلوان ما عن يمين الذنب وشماله والمصلى ملازم لفعله من حين شروعه الى اوان فراغه والصلوة اسم وضع موضع المصدر يقال صليت صلوة ولا يقال تصلية قال فى الكشاف الصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقته صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعل ذلك فى ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه من التعسف السابعة الرزق لغة هو ما ينتفع به فيشمل الحلال والحرام اما كونوا غيره والملوك وغيرهم والمعتزلة ومن يجرى مجراهم زادوا قيدا آخر وهو ان لا يكون ممنوعا عن الانتفاع به وعلى هذا لا يكون الحرام عندهم رزقا قال فى الكشاف اسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال المطلق الذى يستاهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهى عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال يخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والحق ان التمكين والانتفاع بالمرزوق مسند الى الله تعالى على الاطلاق اذ كل بقدرته الا ان مذهب المعتزلة الى الادب اقرب لا سيما فى هذا المقام ليستحقوا المدح بالانفاق منه التاسعة انفق الشئ وانفده اخوان وكل ما فاؤه نون وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب ما قرب منه ويدخل فى هذا الانفاق الواجب من الزكوة التى هى اخت الصلوة وشقيقتها ومن الانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته ومن الانفاق فى الجهاد ويمكن ان يتناول كل منفق فى سبيل الخير للاطلاق قال تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى احدكم الموت والمراد به الصدقة لقوله فاصدق واكن من الصالحين البحث السادس فى قوله تعالى والذين يؤمنون الاية وفيه مسائل الاولى يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه الذين اشتمل ايمانهم على كل وحى نزل من عند الله سالف ومترقب سبيله سبيل السالف لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا اتيه بماضيه وايقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وان اهل الجنة لا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ ونحو ذلك فيكون المعطوف غير المعطوف عليه مغايرة المباينة وذلك اذا اريد بالاولين كل من آمن ابتداء بمحمد صلى الله عليه وسلم من غير ايمان قبل ذلك بموسى وعيسى عليهما السلام واما مغايرة الخاص للعام وذلك اذا اريد بالاولين كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم سواء كان قبل ذلك مؤمنا بموسى وعيسى عليهما السلام او لم يكن ويكون السبب فى ذكر هذا الخاص بعد العام اثبات شرفهم وترغيبا لامثالهم فى الدين ويحتمل ان يراد بهؤلاء الاولون وتوسيط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه كقوله شعر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم ٭ يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب ٭ الثانية قال فى التفسير الكبير المراد من انزال الوحى ان جبرئيل سمع فى السماء كلام الله تعالى فنزل على الرسول كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل لكن المستمع يستمع الرسالة فى علو فينزل فيؤدى فى سفل وقول الامير لا يفارق ذاته ولكن السامع يسمع فينزل فيؤدى بلفظ نفسه قال فان قيل كيف سمع جبرئيل كلام الله وكلامه ليس حرفا ولا صوتا عندكم قلنا يحتمل ان يخلق الله له سمعا لكلامه ثم اقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ويجوز

ان يكون خلق الله فى اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم المخصوص وقرأه جبرئيل فحفظه ويجوز ان يخلق اصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص
فى جسم مخصوص فيتلقفه جبرئيل ويخلق له علما ضروريا بانه هو العبارة المودية لذلك الكلام واقول انك اذا تاملت ما اشرت اليه فى
المقدمة العاشرة من مقدمات الكتاب انكشف لك الغطاء عن هذه المسئلة الثالثة الايمان بجميع الكتب لتمامها يعنى التصديق بها
واجب لان الفلاح منوط بذلك وجب تحصيل العلم بما انزل على محمد صلعم على سبيل التفصيل ليقوم بواجبه علما وعملا لكنه فرض كفاية لقوله
تعالى وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ الاية واما المنزل على الانبياء المتقدمين
فالايمان به واجب على الجملة لان الله تعالى ما تعبدنا الان به حتى يلزمنا معرفته مفصلة لكنا ان عرفنا شيئا من تفاصيله فهناك يجب
علينا الايمان بتلك التفاصيل الرابعة الاخرة صفة الدار تلك الدار الاخرة وهى من الصفات الغالبة تانيث الاخر نقيض الاول وكذلك
الدنيا تانيث الادنى لانها اقرب واليقين هو العلم بالشئ ضرورة او استدلالا بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يوصف الله
تعالى بانه متيقن ولا يقال تيقنت ان السماء فوقى وانى موجود وفى تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا
عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته ومن غير ايقان وان اليقين بما عليه من امن بما انزل على محمد وعلى غيره من الانبياء
وهذا فى معرض المدح ومعلوم انه لا يمدح بتيقن وجود الاخرة فقط بل به وبما يتبعه من الحساب والسؤال وادخال المؤمنين الجنة
والكافرين النار عن النبى صلعم يا عجبا كل العجب من الشاك فى الله وهو يرى خلقه وعجبا ممن يعرف النشاة الاولى ثم ينكر النشاءة الاخرة
وعجبا ممن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحيى يعنى النوم واليقظة وعجبا ممن يؤمن بالجنة وما فيها من النعيم ثم يسعى لدار
الغرور وعجبا من المتكبر الفخور وهو يعلم ان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة البحث السابع فى قوله تعالى أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ
الاية وفيه مسائل الاولى فى كيفية تعلق هذه الاية بما قبلها وجوه احدها ان ينوى الابتداء بالذين يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ على سبيل الاستيناف
واولئك على هدى الجملة خبره كانه لما قيل هدى للمتقين خص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسئل فيقول ما بال المتقين
مخصوصين بذلك فاجيب بان الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح وهذا النوع من الاستيناف
يجئ تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث نحو قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته مثل احسنت الى زيد
صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة كما فى الاية احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه وثانيها
ان يجعل الذين والذين تابعا للمتقين ويقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فقيل اولئك
الموصوفون غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا وثالثها ان يجعل الموصول الاول صفة للمتقين و
يرفع الثانى على الابتداء واولئك خبره ويكون اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلعم
وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون فى انهم سيفلحون عند الله تعالى والفصل من هذه الوجوه اولها لان الكلام المبنى على السؤال والجواب
اكثر فائدة ولان الاستيناف باعادة الصفة ابلغ ولان السؤال على الوجه الاخير كالضائع لان موجب اختصاصهم بالهدى قد علمت و
ايضا انه يجعل الموصولين تابعا والوجه الاول يجعل الموصول الاول كذا من الكلام الثانية الاستعلاء فى قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى
كقولهم هو على الحق وفلان على الباطل وقد صرح بذلك فيقال جعل الغواية مركبا وامتطى الحق واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى
من ربهم اى منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اما اللطف والتوفيق الذى اعتضدوا به على اعمال الخير والترقى من الافضل واما
الارشاد الى الدليل الموجب للثبات على ما اعتقدوه والدوام على ما عملوه ونكر هدى ليفيد ضربا من المبالغة اى هدى لا يبلغ كنهه
قال الهذلى شعر فلا وأبي الطير المربة بالضحى ❊ على خالد لقد وقعت على لحم ❊ اى لحم واى لحم واريد بالمكان اذا قام به والاتيان
للاستعظام اذ الكنى انما يكون للاشراف كما ان الاقسام بالطير انما هو لاستعظامهن لو وقعن على لحم عظيم وعن بعضهم الهدى من الله كثير
ولا يبصره الا بصير ولا يعمل به الا يسير الا ترى ان نجوم السماء يبصرها البصراء ولا يهتدى بها الا العلماء الثالثة فى تكرير اولئك تنبيه على
انهم كما ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ووسط العاطف بينهما لاختلاف خبريهما بخلاف قوله
أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة الانعام شئ واحد الرابعة هم فصل وفائدته
الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره ويحتمل ان يكون هم مبتدأ والمفلحون
خبره والجملة خبر اولئك الخامسة المفلح الفائز بالبغية والمفلج بالجيم مثله كانه الذى انفتحت له وجوه الظفر وكذلك اخواته فى الفاء والعين
يدل على معنى الشق والفتح نحو فلق وفلذ ومنه سمى الزارع فلاحا ومعنى التعريف فى المفلحون اما العهد اى المتقون هم الناس الذين بلغك
انهم المفلحون فى الاخرة او الجنس على معنى انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت
الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على
طرق شتى وهى ذكر اسم الاشارة فان فى ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التى عددت

المستقلين نسخة

الافضل نسخة

لهم وتكرير اسم الاشارة وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل اللهم زيّنا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدّرت بذكرهم اولى الزهراوين قد
في الخبر يحشر الناس يوم القيمة ثم يقول الله عز وجل لهم طال ما كنتم تتكلمون وانا ساكت فاسكتوا اليوم حتى اتكلم اني رفعت نسبا وابيتم
الا انسابكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقيكم وابيتم انتم فقلتم لا بل فلان بن فلان فرفعتم انسابكم ووضعتم نسبي فاليوم ارفع نسبي واضع
انسابكم فسيعلم اهل الجمع من اصحاب الكرم اين المتقون فليأخذ العاقل بحكمة الله تعالى وهو نوط الثواب تعليقه بالعمل الصالح والسبب الا بما هو
غير مضبوط من عفو عن بعض المذنبين ورده طاعة بعض المطيعين كما ان حكمته لما اقتضت ترتب الشبع والري على الاكل والشرب
لم يعهد الاتكال على ما يمكن ان يقع بالنسبة الى قدرته من اشباع شخص واروائه من غير تناول الطعام والشراب او بالعكس وهذه نكتة شريفة ينتفع بها

اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَاَنْذَرْتَهُمْ اَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۝ خَتَمَ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ وَعَلٰى سَمْعِهِمْ وَعَلٰى
بدرستیکه آنان که کافر شدند یکسانست بر ایشان چه بترسانی ایشان را که نترسانی ایشان را که نگروند　مهر نهاده است خدا بر دلهای ایشان و بر گوشهای ایشان و بر
اَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَّلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ۝
دیدهای ایشان پرده است و مر ایشانراست عذابی بزرگ

القراءة أأنذرتهم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن ذكوان وروى الحلواني عن
هشام آأنذرتهم بينهما مدة الباقون يحذفون الاولى ويلينون الثانية والتليين
جعل الهمزة بين بين اي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركة الهمزة وعلى ابصارهم ممالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابن حمدون وحمدويه
وحمزة في رواية ابن سعدان والنجاري وكذلك قوله عز وجل بقنطار وبالاسحار وكالفخار والغار ومن انصار واشعارها واشباه
ذلك حيث كان يعني اذا كان قبل الالف حرف مانع وبعدها راء مكسورة في موضع اللام لان الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية
غشاوة المفضل وقرا حمزة في رواية خلف وابن سعدان وخلف لنفسه وابو اسحق ابراهيم بن احمد عن ابي الحرث عن علي وورش من طريق
النجاري مدغمة النون والتنوين في الواو وفي جميع القرآن عظيم بالاشمام في الوقف وكذلك اذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلي وخلف وهو
الاختيار عندنا الوقوف لا يؤمنون على سمعهم ط لان الواو للاستيناف غشاوة ز لان الجملتين وان اتفقتا نظما فالاولى بيان وصف
موجود والثانية اثبات عذاب موعود عظيم التفسير فيه مسائل الاولى فيما يتعلق بان اما عمله من نصب الاسم ورفع الخبر فمعلوم من
علم النحو واما فائدته فما ذكره المبرد في جواب الكندي من ان قولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل
وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر لقيامه وقد يضاف اليه القسم ايضا نحو والله ان عبد الله لقائم قال ابو نواس شعر عليك
باليأس من الناس　ان غنى نفسك في اليأس حسن موقع ان لان الغالب على الناس خلاف هذا الظن وقد يجيء اذا ظن المتكلم
في الذي وجد انه لا يوجد كقولك انه كان مني اليه احسان فقابلني بالسوء وكانك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وتبين الخطأ فيما توهمت
كقوله تعالى حكاية عن ام مريم قالت اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قول نوح رب ان قومي كذبون الثانية لما قدم
ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم الموجبة لامتداحهم اياهم ذكر ذلك بذكر اضدادهم وهم المردة من الكفار الذين لا ينجع فيهم الهدى و
سواء عليهم الانذار وعدمه انما فقد العاطف بين القصتين خلافا في نحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباين الجملتين
ههنا في الغرض والاسلوب الاولى مسوقة بذكر الكتاب وانه هدى للمتقين والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وكذلك في
اذا جعلت الذين يؤمنون مبتدا واولئك خبره لان الكلام المبتدا على سبيل الاستيناف مبني على تقدير سؤال وذلك ادراج له في
حكم المتقين وتصيير تبعا له في المعنى فحكمه حكم الاول وكذا اذا جعلت الموصول الثاني مبتدا واولئك خبره لان الجملة برمتها من مستتبعات
هدى للمتقين لارتباط بينهما من حيث المعنى الثالثة التعريف في الذين اما ان يراد به ناس معهودون باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد
المغيرة واضرابهم واما ان يراد به الجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده فقط دون من عداهم من الكفار الذين
اسلموا بدليل الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم الرابعة الكفر نقيض الايمان فيختلف تعريفه باختلاف الايمان وقد تقدم
واصل الكفر الستر والتغطية ومنه الكافر لانه ستر الحق بجحده والزارع كافر لانه يستر الحب والليل المظلم كافر لانه بظلمته يستر كل شيء
والكافر الذي كفر درعه بثوب اي غطى ولبسه فوقه قال في التفسير الكبير في الاخبار عن كفرهم بصيغة الماضي فيقتضي كون المخبر عنه
متقدما على ذلك الاخبار فللمعتزلة ان يحتجوا بهذا على ان كلام الله محدث فان القديم يستحيل ان يكون مسبوقا بالغير قلت التحقيق
في هذا وامثاله ان كلامه ازلي الا ان حكمته في باب التفهيم والتعليم اقتضت ان يكون كلامه على حسب وصوله الى السامعين ضرورة كونهم
متزمنين فكل ما هو متقدم على زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ الماضي وكل ما هو متاخر عن زمان الوصول وقع الاخبار عنه
بلفظ المستقبل نحو لتدخلن المسجد الحرام سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب والا اختل نظام التفاهم والتخاطب ومن هذا يعلم ان قوله
سنلقي ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل مقصودا بالنسبة الى المخاطبين انما المقصود استقباله بالنظر الى زمان نزول الاية فافهم
الخامسة سواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين
بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر ان وأنذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الفاعل اي مستو عليهم انذارك وعدمه نحو ان زيدا مختصم

واخوه وابن عمه ويحتمل ان يكون انذرتهم ام لم تنذرهم فى موضع الابتدا وسواء خبر مقدم والجملة خبر ان وانما صح وقوع الفعل مخبرا عنه
مع انه ابدا خبر نظرا الى المعنى كقولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما
يصح من عطف الاسم فان ان مع الفعل فى تقدير المصدر على الفعل وهو النهى وقد جردت الهمزة وام لمعنى الاستواء وسلخ عنهما معنى
الاستفهام راسا قال سيبويه هذا مثل قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعنى ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام
كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء فى الداخل عليهما الهمزة وام استواؤهما فى علم المستفهم لانه قد علم ان احد الامرين
كائن لكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين والحاصل ان الاستفهام يلزمه عيان احدهما استواء طرفى الحكم فى ذهن المستفهم
والثانى طلب معرفة احدهما فجرد هذا التركيب لمعنى الاستواء وسلخ عنه الطلب فائدة العدول عن العبارة الاصلية وهى سواء عليهم
الانذار وعدمه ان يعلم ان قطع الرجاء وحصول الياس عليهم بما حصل بعد اصرارهم وكانوا قبل ذلك مرجوا عنهم الايمان لا فى علم الله
نعم بل فى علمنا فنزلت الاية بحسب ما يليق بحال النازل باب التقرير والتصوير او يقول فائدته ان يعلم ان استواء الطرفين بلغ مبلغا يصح
ان يستفهم عنه لكونه خاليا عن شوب التخمين وترجيح احد الطرفين بوجه فان قول القائل الانذار وعدمه مستويان عليهم يمكن
ان يحمل على التقريب لا التحقيق بخلاف الواخبر عن الامرين بطريق الهمزة وام فالهمزة فافهم والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن
المعاصى وانما ذكر الانذار دون البشارة لان المقام مقام المبالغة وتاثير الانذار فى الفعل والترك اقوى لان دفع الضرر اهم من جلب النفع
وقوله لا يؤمنون اما جملة مؤكدة للتى قبلها اعتراض لسادسة الختم والكتم اخوان لانهما الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه كتما
له وتغطية لئلا يتوصل اليه وغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل عليه كالعصابة والعمامة والقلب يراد به
تارة اللحم الصنوبرى المودع فى التجويف الايسر من الصدر وهو محل الروح الحيوانى الذى هو منشأ الحس والحركة وينبعث منه الى سائر الاعضاء
بتوسط الاوردة والشرايين ويراد به تارة اللطيفة الربانية التى بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال الاوامر والنواهى
والقيام بموجب التكاليف ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وهى من عالم الامر الذى لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بعد ارادة موجده
انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فكان البدل اللحم الصنوبرى من عالم الخلق الذى هو يقتضى ذلك الا له الخلق والامر
وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها وبالروح قل الروح من امر ربى ونفخت فيه من روحى
السمع قوة مرتبة فى العصب المتفرق فى سطح الصماخ تدرك صورة ما يتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له
انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل للصوت فيتادى الى الهواء المحصور الراكد فى تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه وتماس امواج
تلك الحركة تلك العصبة فيسمع قاله ابن سينا ولعل هذا فى الشاهد فقط واما البصر فقال ابن سينا هى قوة مرتبة فى العصبة المجوفة
تدرك صورة ما ينطبع فى الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام ذوات اللون المتادية فى الاجسام الشفافة بالفعل الى سطوح الاجسام
الصيقلية وزعم غيره ان البصر يخرج منه شئ فيلاقى المبصر ياخذ صورته من خارج ويكون من ذلك ابصارا وفى الاكثر يسمون
ذلك الخارج شعاعا والحق عندى ان نسبة البصر الى العين كنسبة البصيرة الى القلب لكل من العين والقلب نورا اما نور العين فينطبع
فيها لانه من عالم الخلق فهو نور جزئى مدرك جزئى واما نور القلب فمفارق لانه من عالم الامر وهو نور كلى مدرك كلى وادراك كل منهما عبارة
عن وقوع مدركه فى ذلك النور ولكل منهما بل لكل فرد من كل منهما حد ينتهى اليه بحسب شدته وضعفه متدرج فى الضعف بحسب تباعد
المرئى حتى لا يدركه او يدرك اصغر مما هو عليه ولا يلزم من قولنا ان للبصر نورا ان يشتد النور اذا اجتمع بصراء كثيرة فى موضع واحد قياسا
على انوار الكواكب والسرج فان ذلك الانضمام من خواص الانوار المحسوسة الملزومات المختلفة لا يستدعى الاشتراك فى اللوازم وهذا
القدر من التحقيق فى تفسير القلب والسمع والبصر كاف بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلة فى حكم الختم وفى حكم التغشية الا ان
الاولى دخولها فى حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولهذا يوقف على سمعهم دون قلوبهم وفى تكرير الجار
ايذان باستقلال الختم على كل من القلب والسمع وانما وحد السمع لوجوه منها امن اللبس كما فى قول الشاعر كلوا فى بعض بطنكم تعفوا فان
زمانكم زمن خميص اذ لا يلبس ان لكل واحد بطنا ولهذا اذا لم يؤمن يجوز سمعهم ثوبهم والمراد الجمع فضوه ومنها ان السمع فى الاصل مصدر
والمصادر لا يجمع فلمح الاصل المحفوظ ولهذا جمع الاذن فى قوله وفى اذاننا وقر ومنها ان يقدر مضاف محذوف اى على حواس سمعهم ومنها الاسناد لما دل
بما قبله وبما بعده على ان المراد به الجمع مثل عن اليمين وعن الشمائل يخرجهم من الظلمات الى النور السابعة من الناس من قال السمع افضل من البصر
لتقديمه فى اللفظ ولانه شرط النبوة فما بعث رسول اصم بخلاف البصر فمن الانبياء من كان مبتلى بالعمى ولان السمع سبب وصول المعارف ونتائج
العقول الى الفهم والبصر سبب وصول المحسوسات الى البصر ولان السمع يتصرف فى الجهات الست دون البصر ولان فاقد السمع فى الاصل فاقد النطق
بخلاف فاقد البصر ومنهم من فضل البصر لان متعلق الابصار النور ومتعلق الاسماع الريح والبصر يرى من بعيد دون السمع ولان عجائب الله
فى تخليق العين اكثر منها فى تخليق السمع وقد اسمع الله كلامه موسى من غير سبق سؤال وتوقف فى الرؤية وفى المثل ليس وراء العيان بيان و

العين جمال الوجه دون السمع والحق ان من فقد حسا فقد فقد علما وهو المتوقف على ذلك الحس ولا ريب ان معظم العلوم يتوقف تحصيلها على السمع
والارشاد والتعليم على الاطلاق يتوقف على السمع فكل من الحواس في موضعه ضروري وتفضيل البعض على البعض تطويل بلا طائل فسبحان
من دبر في كل مصنوع حكمته واحسن كل شيء خلقه الثامنة الاولى منها الاخبار بان الذين كفروا لا يؤمنون والانذار وعدمه عليهم سيان
والاية الثانية منهما بيان السبب الذي لاجله لم يؤمنوا وهو الختم والتغشية فاحتج اهل السنة بالايتين ونظائرهما على تكليف ما لا يطاق
وعلى ان الله تعالى هو الذي خلق فيهم الداعية الموجبة للكفر وختم على قلوبهم ومنعهم عن قبول الحق والصدق وكل بتقديره ولا يسئل عما يفعل
واما المعتزلة وامثالهم فيقولون كيف ينشئ فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون وخلق فيهم ما به لبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل
ونحو ذلك من الايات الدالة على ان الكفر باختيارنا والعبد قدرة تمرنا واولوا الاية على انها جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا او مفطور عليه
يريدون انه بليغ في الثبات عليه وعلى انها تمثيل لحال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى تدخل في زمرة
الانعام لا تعي شيئا ولا تفقه كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه
ولا في طول غيبته وانما مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء والشيطان هو الخاتم في
الحقيقة او الكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب في قولهم بنى الامير المدينة او انهم
لما ترامى امرهم في التصميم على الكفر الى حال لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء ثم لم يقسرهم الله ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن
ترك القسر والالجاء بالختم او يكون حكاية لما كانوا يقولون تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب ويحكى ان الامام ابا القاسم الانصاري سئل عن تكفير المعتزلة في هذه المسئلة فقال لا لانهم نزهوه عما يشبه الظلم والقبيح ولا يليق
بالحكمة وسئل عن اهل الجبر فقال لا لانهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة وتاثير وايجاد وزعم الامام فخر الدين ان اثبات الاله يلجئ الى
القول بالجبر لان الفاعلية لو لم يتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسول يلجئ الى القول بالقدر
لانه لو لم يقدر العبد على الفعل فاي فائدة في بعثة الرسول وانزال الكتب ونقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا ان ما استوى الوجود
والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الاخر الا لمرجح وهذا يقتضي الجبر ونجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين
حركات الجمادات والحركات الاضطرارية وذلك يقتضي مذهب الاعتزال فلذلك بقيت هذه المسئلة في حيز الاشكال قلت وبالله
تعالى التوفيق عندي ان المسئلة في غاية الاستنارة والسطوع اذا لوحظت المبادي ورتبت المقدمات فان مبدأ الكل لو لم يكن
قادرا على كل الممكنات وخرج شيء من الاشياء عن علمه وقدرته وتاثيره وايجاده بواسطة او بغير واسطة لم يصلح لمبدئية الكل فالهداية
والضلالة والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضر وسائر المتقابلات كلها مستندة ومنتهية الى قدرته وتاثيره وعلمه وارادته
والايات الناطقة بصحة هذه القضية كقوله تعالى وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
كثيرة وكذا الاحاديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له كل شيء بقدر حتى العجز والكيس احتج ادم وموسى الحديث فهذه القضية مطابقة للعقل
والنقل بقي الجواب عن اعتراضات المخالف اما حكاية التنزيه عن الظلم والقبائح فاقول لا ريب انه تعالى منزه عن جميع القبائح ولكن لا بالوجه
الذي يذكره المخالف فيلزم منه النقص من جهة اخرى وهو الخلل في مبدئيته للكل وفي كونه مالك الملك بل الوجه ان يقال ان لله تعالى
صفتي لطف وقهر ومن الواجب في الحكمة ان يكون الملك ولا سيما ملك الملوك كذلك اذ كل منهما من اوصاف الكمال ولا يقوم احدهما مقام
الاخر ومن منع ذلك كابر وعاند ولا بد لكل من الوصفين من مظهر فالملائكة ومن ضاهاهم من الاخيار مظاهر اللطف والشياطين
ومن ضاهاهم من الاشرار مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم اهل الجنة والاعمال المستتبعة لها ومظاهر القهر هم اهل النار والافعال
المعقبة اياها وههنا سر وهو ان اللطف والقهر والجنة والنار انما يصح وجود كل منهما بوجود الاخر فلولا القهر لم يتحقق اللطف
ولولا النار لم تثبت الجنة كما انه لولا الالم لم يتبين اللذة ولولا الجوع والعطش لم يظهر الشبع والري ولله در القائل وبضدها تتبين
الاشياء فخلق الله تعالى للجنة خلقا يعملون بعمل اهل الجنة وللنار خلقا يعملون بعمل اهل النار ولا اعتراض لاحد عليه في تخصيص كل
من الفريقين بما خصصوا به فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله وههنا يظهر حقيقة الشقاوة والسعادة فمنهم شقي وسعيد الاية
وقال صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا
باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي او سعيد الحديث واذا تؤمل فيما قلت ظهر انه لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبائح
اليه تعالى لان هذا الترتيب والتمييز من لوازم الوجود والايجاد كما يشهد به العقل الصريح ولا سيما عند المخالف القائل بالتحسين والتقبيح
العقليين ليت شعري لم لا ينسب الظلم الى الملك المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزيرا قريبا وبعضهم كناسا بعيدا كلا
منهما من ضروريات المملكة وينسب الظلم اليه تعالى في تخصيص كل من عبيده بما خصص مع ان كلا منهم ضروري في مقامه فهذا القائل
يهدم بناء حكمته تعالى ويدعي انه يحفظه فافسد حين اصلح واما قوله اي فائدة في بعثة الرسل وانزال الكتب ففي غاية السخافة لانها لما

بينا انه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فكيف يبقى للمعترض ان يقول لم جعل الله تعالى الشيء الفلاني كذا انه ليس له ان يقول مثلا لم جعل الشمس سببا لانارة الارض غاية ما في الباب ان يقول اذا علم الله تعالى ان الكافر لا يؤمن فلم يأمره بالايمان ويبعث اليه النبي فاقول فائدة بعث الانبياء وانزال الكتب بالحقيقة يرجع الى المؤمنين الذين جعل الله بعثهم وانزالها سببا وواسطة لاهتدائهم انما انت منذر من يخشاها كما ان فائدة نور الشمس تعود الى اصحاب العيون الصحاح واما فائدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم فكفائدة نور الشمس بالنسبة الى الاكمه واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية ذلك الزام الحجة واقامة البينة عليهم ظاهرا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وهو بالحقيقة البغي عليهم بانهم في اصل الخلقة ناقصون اشقياء وهذا المعنى ربما لا يظهر لهم ابتداء لغاية نقصانهم كان الاكمه ربما لا يعرف البصراء ولا يعرف ان النقص والنقصان منه وان سائر الشرائط من محاذاة المرائي وظهور النير موجودة وانما يعرف نقصانهم ارباب الابصار واما حديث التفرقة الضرورية بين الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية كالرعشة مثلا فاقول لا ريب ان للانسان ارادات وقوى بها يتم له حصول الملائم واجتناب المنافي الا ان تلك الارادات والقوى مستندة الى الله تعالى فكانه لا اختيار والتفرقة الذي سببها ان في الرعشة نقصت واسطة هي الداعية وفي الحركة المسماة بالاختيارية زادت واسطة فافهم هذه الحقائق والاشارات وبها في سائر ما يقرع سمعك من هذا القبيل فلعلنا لا نكررها في كل موضع حذرا من التطويل ومن لم يستضئ بمصباح لم يستفد والله يقول الحق وهو يهدي السبيل التاسعة العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول عذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير ويستعملان في المعاني والاعيان جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس ولهم من بين الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله نعوذ بالله منه العاشرة اتفق المسلمون اكثرهم على انه يحسن من الله تعالى تعذيب الكفار وقال بعضهم لا يحسن وفسروا قوله ولهم عذاب عظيم وكذا كل وعيد ورد في القرآن بانهم يستحقون ذلك لكن كرمه يوجب العفو وذكروا فيه دلائل عقلية مبنية على الحسن والقبح كقولهم التعذيب ضرر خال عن المنفعة لان الله تعالى منزه عن ذلك والعبد يتضرر به ولو سلم انه ينتفع به فالله قادر على ايصال النفع اليه من غير توسط ذلك العذاب والضرر الخالي عن المنافع قبيح بالبديهة وكقولهم علم ان الكافر لا يظهر منه الا العصيان فتكليفه امر متى لم يفعله ترتب عليه العذاب ما كان مستعقبا للضرر من غير نفع كان قبيحا فلم يبق الا انه لم يوجد هذا التكليف وحصل لكنه لا يستعقب العقاب وكقولهم انه سبحانه هو الخالق للداعية المعصية فيقبح ان يعاقب عليها وكقولهم ان العبد لو واظب على الكفر طول عمره فاذا تاب ثم مات عفي الله عنه فترى هذا الكرم العظيم ما بقي في الاخرة او سلبت عقول المعذبين فلا يتوبون عن معاصيهم واذا تابوا فلم لا يقبل الله منهم توبتهم ولم كان في الدنيا بحيث قال ادعوني استجب لكم وفي الاخرة بحيث لا يجيب عن دعائهم الا بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون والجواب ان تعذيبهم نقل الينا بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا مصير الى انكاره والشبه التي تمسكتم بها تنهدم بانهدام قاعدة الحسن والقبح واقول قد ثبت بالبرهان اليقيني في المسألة الثامنة ان وقوع فريق في طريق القهر ضروري في حكمته تعالى وكل ما يقتضيه حكمته وكماله كان حسنا والعقليون من ظن انه قبيح كان لخلل في عقله وقصور في فهمه فلا قبيح في النظر الا وهو حسن من جهات اخرى لا يعلمها الا منشئها وموجدها وهل يستقبح احد وقوع بعض الاحجار للملوك تيجانا وبعضها للحشوش جدرانا او وقوع بعض من الحديد سيفا يتقلده الناس وبعضه نعالا تطؤها الافراس حيث يرى كلا منهما في مصالح الوجود ضروريا ثم العذاب هو بالحقيقة البعد من الله تعالى لازم للكفر والعصيان والملزوم لا ينفك من اللازم واما سبب عدم انتفاع الكافر والعاصي بالايمان والتوبة بعد المفارقة فذلك لان محل الكسب هو الدنيا والتكليف بامتثال الاوامر والنواهي انما وقع فيها فليس لاحد ان يؤخر الامتثال الى الاخرة الا ترى انه لو قال الطبيب الحاذق لمريض اشرب الدواء الفلاني في اليوم الفلاني فقصر واخر حتى اذا مضى وقته واشرف على الهلاك قال اني اشرب الان لم ينفعه ذلك الدواء ولا يسعه الا الهلاك وكذا لو قال ملك لواحد افعل الامر الفلاني في هذا الوقت ففعله في وقت اخر لم يعد ممتثلا ولا ينفعه الايمان الا لان غرض الامتثال قد فات ولا سيما اذا فعل بعد ان يرى امارات الغضب وعلامات العذاب فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون صدق الله العظيم ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم

واز مردمان كسى است كه ميگويد كه گرويديم بخدا و بروز واپسين و نيستند

بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم

گروندگان مخادعه كنند خدا را وآنانكه گرويدند و فريب نمى‌دهند بجز نفسهاى خود را و در نمى‌يابند در دلهاى ايشان ناخوشى است

الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم

پس زياده كرد خدا ناخوشى او مر ايشانرا عذابى دردناك بجهت تكذيب ايشان و چون گفته شود بايشان كه فساد مكنيد در زمين گويند كه جز اين نيست كه اصلاح كنندگانيم بدانكه ايشان

المفسدون ولكن لا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن
فساد کنندگان ولکن نمیدانند وچون گفته شد ایشانرا که بگروید چنانکه گرویدند مردمان گفتند که آیا بگرویم چنانکه گرویدند بیخردان آگاه باشید که ایشان بیخردانند ولیکن
لا يعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ
نمیدانند وچون رسیدند بآنها که گرویدند گفتند که گرویدیم وچون تنها شدند بدوستان خود گفتند که با شمائیم جز این نیست که ما ریشخند کنانیم خدا ریشخند کند
بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
بایشان وبکشدشان در گذشتن از حد کوردلان . آن گروه آنانند که خریدند گمراهی را براستی پس سود نبخشید سوداگری ایشان ونبودند راه یافتگان

القراءة «من الناس» بالإمالة قتيبة ونصير وكل القرآن ما كان مكسوراً «من يقول» مدغمة النون والتنوين في الياء حيث وقع حمزة وعلي وخلف وورش
من طريق النجاري «بمؤمنين» غير مهموز أبو عمرو وغير شجاع ويزيد والأعشى وورش وحمزة في الوقف وكذلك ما أشبهها من الأسماء «وما يخادعون» أبو عمرو
وابن كثير ونافع «فزادهم الله» وبابه مما كان ماضياً بالإمالة حمزة ونصير وابن ذكوان من طريق ابن مجاهد والنقاش وابن الأخرم ههنا بالإمالة فقط
«يكذبون» خفيفاً عاصم وحمزة وعلي وخلف «قيل» و«غيض» و«جيء» بالإشمام علي وهشام ورويس «السفهاء ألا» بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف
وابن عامر «السفهاء ولا» بقلب الثانية واواً أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وأبو جعفر ونافع «السفهاء ألا» بقلب الأولى واواً وروى الخزاعي وابن شنبوذ
عن أهل مكة وكذلك ما أشبههما مما اختلفت الهمزتان فيها إلا أن تكون الأولى منهما مفتوحة مثل شهداء إذ، أئمة، وأشباه ذلك «مستهزءون» بترك
الهمزة في الحالين يزيد وافق حمزة في الوقف وكذلك ما أشبهها ومن حمزة في الوقف وجهان الحذف والتليين شبه الياء والواو «طغيانهم» حيث كان
قتيبة ونصير وأبو عمرو «بالهدى» وما أشبهها من الأسماء والأفعال من ذوات الياء بالإمالة حمزة وعلي وخلف وقراءة أهل المدينة بين الفتح والكسر
وإلى الفتح أقرب وكذلك كل كلمة يجوز الإمالة فيها وذلك طبعهم وعادتهم. الوقوف «بمؤمنين» لما مر في المقدمة «آمنوا» لعطف الجملتين المتفقتين
مع ابتداء النفي «يشعرون» ط للآية وانقطاع النظم والمعنى فإن تعلق الجار بما بعده «مرض» لأن الفاء للجزاء وكان تأكيداً لما في قلوبهم مرض لعطف
الجملتين المختلفتين «يكذبون» «في الأرض» لا لأن قالوا جواب «وعامله» «مصلحون» «لا يشعرون» «كما آمن السفهاء» ط للابتداء بكلمة التنبيه ومن وصل
فليعجل رد السفه عليهم «لا يعلمون» «آمنا» ج لتبدل جهة الكلام معنى مع أن الوصل أولى لبيان حاليهم المتناقضين وهو المقصود «شياطينهم»
لا لأن قالوا جواب إذا «معكم» تحرزاً عن قول ما لا يقوله مسلم وإن جاز الابتداء بإنما «مستهزءون» «يعمهون» «بالهدى» ص لانقطاع النفس ولا
يلزم العود لأن ما بعده بدون ما قبله مفهوم «مهتدين» التفسير وفيه مباحث. المبحث الأول في قوله تعالى «ومن الناس من يقول» الآية
وفيه مسائل. الأولى عن مجاهد قال أربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين وثلاث عشرة بعدها
نزلت في المنافقين. فأقول أحوال القلب أربع الاعتقاد المطابق عن الدليل وهو العلم والاعتقاد المطابق لا عن الدليل وهو اعتقاد المقلد المحق
والاعتقاد غير المطابق وهو الجهل وخلو القلب عن كل ذلك وأحوال اللسان ثلاث الإقرار والإنكار والسكوت كل منها إما بالاختيار أو بالاضطرار
فيحصل من التراكيب أربعة وعشرون قسماً فلنتكلم في الأحوال القلبية ونجعل البواقي تبعاً لها في الذكر. النوع الأول العرفان القلبي إن انضم إليه
الإقرار باللسان اختياراً فصاحبه مؤمن حقاً بالاتفاق واضطراراً فهو منافق لأنه لولا الخوف لما أقر فهو بقلبه منكر مكذب وجوب الإقرار
وإن انضم إليه الإنكار اضطراراً فهو مسلم لقوله تعالى «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» واختياراً فهو كافر معاند وإن انضم إليه السكوت اضطراراً
فمسلم حقاً لأنه خاف كما عرف من أنه فجاءة فيكون معذوراً واختياراً فمسلم أيضاً عند الغزالي وعند كثير من الأئمة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان. النوع الثاني الاعتقاد التقليدي إن وجد معه الإقرار اختياراً فهو المشهور من أن المقلد مؤمن
أم لا والأكثرون على إيمانه واضطراراً فمنافق بالطريق الأولى كما مر في النوع الأول وإن وجد معه الإنكار اختياراً فلا شك في كفره واضطراراً
فمسلم عند من يحكم بإيمان المقلد وإن وجد معه السكوت اضطراراً فمسلم بناء على إسلام المقلد واختياراً فكافر معاند. النوع الثالث الإنكار
القلبي مع الإقرار اللساني اضطراراً نفاق وكذا اختياراً لأنه أظهر خلاف ما أضمر ومع الإنكار اللساني كفر كيف كان وكذا مع السكوت. النوع
الرابع القلب الخالي عن جميع الاعتقادات مع الإقرار اللساني إن كان اختياراً فإن كان صاحبه في مهلة النظر لم يلزمه الكفر لكنه فعل ما لا يجوز
له حيث أخبر عما لا يدري أنه هل هو صادق فيه أم لا وإن كان لا في مهلة النظر ففيه نظر أما إذا كان اضطرارياً فلا يكفر صاحبه إن توقف إذا
كان في مهلة النظر وكان يخاف على نفسه من ترك الإقرار لم يكن عمله قبيحاً والقلب الخالي مع الإنكار اللساني كيف كان نفاق والقلب
الخالي مع اللسان الخالي إن كان في مهلة النظر فذلك هو الواجب وإن كان خارجاً عن مهلة النظر وجب تكفيره ولا نفاق فظهر من التقسيم
أن المنافق هو الذي لا يطابق ظاهره وباطنه سواء كان في باطنه ما يضاد ظاهره أو كان باطنه خالياً عما يشعر به ظاهره ومنه النافقاء
إحدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فإذا أتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أي خرج. الثانية زعم قوم أن الكفر الأصلي
أقبح من النفاق لأن الكافر جاهل بالقلب كاذب باللسان والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان وقال الآخرون المنافق أيضاً كاذب
باللسان لأنه يخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع أنه ليس عليه قال عز من قائل «والله يشهد إن المنافقين لكاذبون» وأنه قصد التلبيس والكافر

الاصلي لا يقصد ذلك وايضا الكافر الاصلي على طبع الرجال والمنافق على طبيعة الخناثى وايضا الكافر ما رضي لنفسه بالكذب بل استنكف منه والمنافق رضي بالكذب وايضا المنافق ضم الى الاستهزاء والخداع دون الكافر الاصلي ولغلظ كفر المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الكفار في ايتين وحال المنافقين في ثلث عشرة اية نعى عليهم فيها خبثهم ونكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة الثالثة قصة المنافقين عن اخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس بدليل انسان وانس واناسي حذفت الهمزة تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم وقوله شعر ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا قليل ويؤنس من المصغر الاني على خلاف مكبره كانيسيان سموا بذلك لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول كما يقال وزن قل فعل وهو اسم الجمع كرخال للانثى من اولاد الضان واما مفرده رخل بكسر الخاء وبكسر الراء ومن في من يقول موصوفة ان جعلت اللام في الناس للجنس كقوله من المؤمنين رجال اذ يكون معنى الكلام ان في جنس الانس طائفة كيت وكيت فيعود فائدة الكلام الى الوصف وان لم يكن مفيدا من حيث الحمل لان الطائفة الموصوفة تكون لا محالة من الناس ولا يجوز ان يكون من موصولة ح لان الصلة تكون جملة معلومة الانتساب الى الموصول فيبطل فائدة الوصف فيه فينبغي الكلام غير مفيد راسا وان جعلت اللام للعهد فمن يكون موصولة نحو ومنهم الذين يؤذون النبي ويكون اللام اشارة الى الذين كفروا لما ذكرهم ولا يجوز ان يكون موصوفة اذ ذاك لان فائدة الكلام تعود الى الوصف ايضا ولكن لا يجاوب نظم الكلام اذ نصير المعنى ان من المختوم على قلوبهم طائفة يقولون كيت وكيت وما هم بمؤمنين ومن البين ان مدلول قوله وما هم بمؤمنين معلوم من حال المطبوع على قلوبهم فيقع ذكره ضايعا والضمير العائد الى من يكون موحدا تارة باعتبار اللفظ نحو ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ومجموعا اخرى باعتبار المعنى مثل ومنهم من يستمعون اليك وقد اجتمع الاعتباران في الاية في يقول امنا وانما اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الاخر لانهما قطرا الايمان ومن احاط بهما فقد حاز الايمان بحذافيره وفي تكرير الباء ايذان بانهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت ان كان هؤلاء المنافقون من المشركين فظاهر عدم ايمانهم بالله واليوم الاخر وان كان من اليهود فكيف يصح ذلك قلت ايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الاخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فقولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة واستهزاء وتخييلا للمسلمين انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا وكفرا الى كفر والمراد باليوم الاخر ما طرفه الابد الذي لا ينقطع لانه متاخر عن الاوقات المنقضية او الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة التي لا حد للوقت بعده فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم امنا والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني بالعكس قلت انما اتوا بالجملة الفعلية ليكون معناها احدثنا الدخول في الايمان لتروج دعواهم الكاذبة وجيء بالجملة الاسمية ليفيد نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع وانهم ليس لهم اسيتهال ان يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين وكان هذا اوكد وابلغ من ان يقال انهم لم يؤمنوا ونظير الاية قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ثم ان قوله وما هم بمؤمنين يحتمل ان يكون مقيدا وترك لدلالة التقييد في امنا ويحتمل الاطلاق اي انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما البحث الثاني في قوله يخادعون الله الى يكذبون اعلم ان الله ذكر من قبائح افعال المنافقين اربعة اشياء احدها المخادعة واصلها الاخفاء ومنه سميت الخزانة المخدع والاخدعان عرقان في العنق خفيان وخدع الضب خدعا اذا توارى في حجره فلم يظهر الا قليلا والخديعة مذمومة لانها اظهار ما يوهم السداد والسلامة وابطان ما يقتضي الاضرار بالغير او التخليص منه فهي بمنزلة النفاق في الكفر والرياء في الافعال الحسنة فان قيل مخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا كما قال ذو الرمة شعر تلك الفتاة التي علقتها عرضا ان الحليم وذا الاسلام يختلب لم يجز ان يخدعوا قلنا كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم ويحتمل ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم ويحتمل ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته والناطق باوامره ونواهيه مع عباده ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ويحتمل ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم هذا المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله وقولهم علمت زيدا فاضلا الغرض ذكر الاحاطة بفضل زيد لان زيدا كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد لكن ذكره توطئة وتمهيد ووجه الاختصار بيخادعون على ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله

وحده من غير مغالبة ولا مبالغة لزيادة قوة الداعي اليه في يخادعون بيان ليقولوا ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل لم يدعون الايمان كاذبين
فقيل يخادعون وكان غرضهم من الخداع الدفع عن انفسهم احكام الكفار من القتل والنهب وتعظيم المسلمين اياهم واعطائهم الحظوظ من المغانم
واطلاعهم على اسرار المسلمين لاختلاطهم بهم والسؤال الذي يذكر ههنا هو انه تعالى لم ابقى المنافق على حاله من النفاق ولم يظهر امره حتى لا يصل من
اغراض الخداع الى ما وصل وارد على استبقاء الكفار وسائر اعداء الدين بل على استبقاء ابليس وذريته وتحل العقدة في الجميع بما سلف لنا
من الحقائق ولا سيما في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وقراءة من قرأ وما يخادعون الا انفسهم اي وما يعاملون تلك المعاملة
المعاملة المخادعين الا انفسهم لان مكرها يحيق بهم ووبالها عائد عليهم لان الله تعالى يدفع ضرر الخداع عن المؤمنين ويصرفه اليهم كقوله
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ويحتمل ان يراد حقيقة المخادعة لانهم يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وانفسهم ايضا
تمنيهم وتحدثهم بالاكاذيب وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة والنفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام لقوله تعالى
تعلم ما في نفسي والشعور علم الشيء علم حس ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس لكنهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له
والمرض حالة توجب وقوع الخلل في الافعال الصادرة عن موضوعها واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة بان يراد الالم كما تقول في جوفه
مرض ومجازا بان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي فان صدورهم كانت تغلي على الرسول صلعم غلا وحنقا
واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وناهيك بما كان من ابن ابي وقوله لسعد بن عبادة لرسول الله صلعم اعف عنه يا رسول
الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة وذلك شيء منظوم بالجواهر شبه التاج
اي يجعلوه ملكا فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك ويراد ما يداخل قلوبهم من الضعف والخور لانهم كانوا يطمعون ان
ريح الاسلام تهب حينا ثم تركد فكانت تقوى قلوبهم بذلك الطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين واعلاء كلمة الحق وما قذف الله في قلوبهم
من الرعب ضعفت جبنا وخورا ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فكفروا به ازدادوا كفرا الى كفرهم فاسند الفعل
الى المسبب كما اسند الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا كما قال الحكيم لبدن الغير النقي كلما غذوته زدته شرا وكلما زاد رسوله
نصرة وتبسطا ازدادوا حسدا وبغضا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع ويحتمل ان يقال الغل والحسد قد يفضي مزاج القلب يؤدي الى تلف
صاحبه كقوله شعر اصبر على مضض الحسود ... فان صبرك قاتله ... النار تاكل نفسها ... ان لم تجد ما تاكله فافضا صاحبه الى الهلاك هو المعنى
بالزيادة والاليم الوجيع ووصف العذاب به على طريقة قولهم جد جده والالم بالحقيقة للمولم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله
وباليوم الآخر وفي ترتب الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب وسماجته وما يروى عن ابراهيم عليه السلام انه كذب ثلث كذبات احدها قوله اني سقيم
وثانيها قوله لسارة حين اراد ان يغصبها ظالم انها اختي وثالثها قوله بل فعله كبيرهم هذا فالمراد التعريض ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب
ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وقد يعتبر فيه علم المخبر بكون المخبر عنه بخلاف الخبر
والصدق نقيضه وقراءة من قرأ يكذبون بالتشديد اما من كذبه الذي هو نقيض صدقه واما من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ
في صدق فقيل صدق نحو بان الشيء وبين ومنه قولهم قد بين الصبح لذي عينين او بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم او من قولهم كذب الوحشي
اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره مذبذب بين ذلك قال صلعم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة
بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وما في قوله بما كانوا مصدرية اي بكذبهم وكان مقحمة ليفيد الثبوت والدوام اي بسبب ان
هذا شانهم وكذبهم هجيراهم البحث الثالث في قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا الى قوله ولكن لا يشعرون هذا هو النوع الثاني من قبائح افعال
المنافقين فقوله واذا قيل اما معطوف على كانوا يكذبون اي ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وبما كانوا اذا قيل لهم كذا قالوا كذا
واما على يقول اي ومن الناس من اذا قيل لهم ويحتمل ان يقال الواو للاستيناف واسناد قيل الى لا تفسدوا وامنوا ليس من اسناد الفعل
الى الفعل فانه لا يصح ولكنه اسناد الى لفظ الفعل اي واذا قيل لهم هذا القول نحو زعموا مطية الكذب والقائل لهم اما النبي صلعم اذا بلغه عنهم النفاق
ولم يقطع بذلك نصحهم فاجابوا بما يحقق ايمانهم وانهم في الصلاح واما بعض من كانوا يلقون اليه الفساد كان لا يقبل منهم وبعظهم
واما بعض المؤمنين ولا يجوز ان يكون القائل ممن لا يختص بالدين والفساد خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به ونقيضه الصلاح
هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي ان المراد بالافساد المنهي عنه اظهار معصية الله تعالى فان الشرائع
سنن موضوعة بين العباد فاذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كل احد شانه فحقنت الدماء وضبطت الاموال وحفظت الفروج
وكان ذلك صلاح الارض واهلها اما اذا اهملت الشريعة واقدم كل واحد على ما يهواه اشتعلت نوائر الفتن من كل جانب وحدثت المفاسد
وقيل هو مداراة المنافقين الكافرين ومخالطتهم اياهم لانهم اذا مالوا الى الكفار مع انهم في الظاهر مؤمنون اوهم ذلك ضعف امر النبي صلعم
واصحابه فنصبه سببا لطمع الكفار في المؤمنين فيهيج الفتن والحروب وقيل كانوا يدعون في السر الى تكذيبه ويلقون الشبه ويفشون اسرار المؤمنين
ولما نهوا عن الافساد في الارض كان قولهم انما نحن مصلحون كالمقابل له فههنا احتمالات احدها انهم اعتقدوا في دينهم انه هو الثواب وكان

سعيهم لاجلها يفوتهم تلك الذين فزعموا انهم مصلحون وثانيها اذا فسر الافساد بموالاة الكافرين ان يكون مرادهم ان الغرض من تلك الموالاة هو الاصلاح بين المسلمين كقولهم فيما حكى الله سبحانه ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها ان يكون المراد انكار واذاعة اسرار المسلمين ولنسبة انفسهم الى الاستقامة وجيء باداة القصر للدلالة على ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت اي حالنا مقصورة على الاصلاح لا تتعداه الى غيره والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي فيفيد التنبيه على تحقق ما بعدها كقوله تعالى اليس ذلك بقادر ولافادتها التحقيق لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها قال اما والذي ابكى واضحك والذي اماتَ وَاَحْيَا وَالَّذِي اَمْرُهُ الْاَمْرُ رد الله ما ادعوه من الانضمام في زمرة المصلحين ابلغ رد من جهة الاستيناف فان ادعائهم ذلك مع توغلهم في الفساد مما يشوق السامع ان يعرف ما حكمهم فرد الله عليهم وكان وروده بدون الواو وهو المطابق ومن جهة ما في الا وان من التاكيد ومن قبيل تعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون البحث الرابع في قوله وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ اٰمِنُوْا الاية هذا هو النوع الثالث من قبائح افعال المنافقين وذلك ان المؤمنين اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا فيه مما يجر الى الفساد والفتنة والثاني دعوتهم الى الطريقة المثلى من اتباع ذوي الاحلام وبعبارة اخرى امروهم اولا بالتخلية عما لا ينبغي وثانيا بالتحلية بما ينبغي لان كمال حال الانسان في هاتين وكان من جوابهم فيما بينهم او للقائل ان سفهوهم وفي هذا تسلية للعالم اذا لم يعرف حقه الجاهل شعر وَاِذَا اَتَتْكَ مَذَمَّتِيْ مِنْ نَاقِصٍ ؞ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِيْ بِاَنِّيْ كَامِلٌ ؞ وما في كما يجوز ان تكون كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة كقولك ينكت زيد عمروا وزيد صديقي كما عمرو اخي ويجوز ان تكون مصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما امن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه وهم ناس معهودون اي ليكن ايمانكم ثابتا كما ان ايمان هؤلاء ثابت وليحصل ايمانكم كحصول ايمان هؤلاء او امنوا كما امن عبد الله بن سلام واتباعه لانهم من اجلائهم اي كما امن اصحابكم ويحتمل ان يكون للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانية من الاقرار اللساني الناشي عن الاعتقاد القلبي وجعل المؤمنون كانهم الناس ومن عداهم كالنسناس في عدم التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كقولك لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه او للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه وهو ضد الحلم واصله الخفة والحركة يقال تسفهت الريح الشجرة اذا مالت به قال ذو الرمة جَرَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ ؞ اَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ ؞ وانما سفهوا المؤمنين مع رجحان عقول اهل الايمان لانهم لجهلهم واضلالهم بالنظر الصحيح اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق ولانهم كانوا في رياسة وثروة وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم كما قال قوم نوح وَمَا نَرٰكَ اتَّبَعَكَ الَّذِيْنَ هُمْ اَرَاذِلُنَا او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه لما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم عن انس انه سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ارض يخترف فاتى النبي فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي فما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه قال صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن جبرئيل انفا اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد واذا سبق ماء المراة نزعت قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسئلهم يبهتوني فجاءت اليهود فقال اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله بن سلام قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله ثم ان الله تعالى القى عليهم هذا اللقب مقرونا بالمؤكدات التي بيناها في قوله الا انهم هم المفسدون وذلك ان من اعرض عن الدليل ثم نسب المتمسك به الى السفه فهو السفيه وكذا من باع اخرته بدنياه قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وايضا من السفه معاداة المحمديين يُرِيْدُوْنَ اَنْ يُّطْفِـُٔوْا نُوْرَ اللّٰهِ بِاَفْوَاهِهِمْ كالطود يحتقر نطحة الاوعال انما فصلت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لان الوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل امر عقلي نظري واما النفاق وما يؤل اليه من الفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات وخصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التجالب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا البحث الخامس في قوله وَاِذَا لَقُوا الَّذِيْنَ الاية هذا هو النوع الرابع من قبائح افعالهم والفرق بين هذه الاية وبين قوله وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُوْلُ اٰمَنَّا ان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان معاملتهم مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم عن ابن عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتموني فعلت فقال فاذا رايتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت ويوهم بعيد اذا استقبلنه وتبا منه وخلوت

ولاقي

بفلان وانه اذا انفردت معنى يجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت
منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه اذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك
فلانا واذمه اليك اى انهى اليك حمد فلان وذمه وعن ابن عباس انه احمد اليكم غسل الاحليل اى اعلمكم انه امر محمود وشياطينهم رؤساؤهم
واكابرهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وهم اما اكابر المنافقين فالقائلون انا معكم اى مصاحبوكم وموافقوكم على امر دينكم اصاغرهم واما
اكابر الكافرين فالقائلون يحتمل ان يكون جميع المنافقين وانما فسرنا بالرؤساء لانهم هم القادرون على الافساد فى الارض وانما خاطبوا
المؤمنين باضعف الجملتين وهى الفعلية وشياطينهم باقواهما اعنى الاسمية المحققة بان لانهم فى ادعاء حدوث الايمان الناشئ عن
صميم القلب منهم لا فى ادعاء انهم اوحديون فى الايمان كاملون اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه وهكذا كل قول لم يصدر عن صدق
رغبة وباعث داخلى واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار القائلين ربنا اننا امنا واما مخاطبة
اخوانهم فعن وفور نشاط ورغبة وفى خير القبول والرواج فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد وانما فقد العاطف بين قوله انا معكم وبين
قوله انما نحن مستهزؤن لان الاول معناه الثبات على الكفر والثانى رد للاسلام لان المستهزئ بالشئ منكر له دافع ودفع نقيض الشئ
اثبات وتاكيد للشئ او لان الثانى بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او لانه قيل ما لكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام
فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع ثم ان الله تعالى اجابهم باشياء
احدها قوله الله يستهزئ بهم وهو استيناف فى غاية الجزالة والفخامة كانه سئل ما مصير امرهم وعقبى حالهم فقيل الله يستهزئ بهم وفى
الالتفات من الحكاية الى المظهر ان الله عز وجل هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذى استهزاؤهم بالنسبة الى ذلك كالعدم وفى تخصيص
الله بالذكر مع قرينة ان المؤمنين هم الذين استهزئ بهم دلالة على ان الله هو الذى يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين
ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قيل الاستهزاء جهالة قالوا أتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزاء
الله بهم قلنا معناه انزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصد الاقصى للمستهزئ وسمى جزاء الاستهزاء استهزاء مثل فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم او عاملهم الله معاملة المستهزئ فى الدنيا لانه كان يطلع الرسول على اسرارهم مع كونهم مبالغين فى اخفائها وفى
الاخرة على ما روى عن ابن عباس اذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم فى الموضع الذى هو مسكن المنافقين
فاذا راى المنافقون الباب مفتوحا اخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون الى الجنة واهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة فهناك
يغلق دونهم الباب فذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون فهذا هو الاستهزاء وانما لم يقل الله
مستهزئ ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن لان المراد تجدد الاستهزاء بهم وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم ونزول الافات
فى ساحتهم أولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا
ان الله مخرج ما تحذرون وثانيها قوله ويمدهم فى طغيانهم هو من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه وكذا مد الدواة وامدها
زادها ما يصلحها وانما قلنا انه من المدد لا من المد فى العمر والامهال لقراءة نافع فى موضع اخر واخوانهم يمدونهم فى الغى على ان الذى بمعنى
امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له قاله فى الكشاف وهو مخالف لنقل الجوهرى مده فى غيه اى امهله والطغيان الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد
فى العتو ومعنى مد الله تعالى اياهم فى الطغيان يعرف من تفسير ختم الله على قلوبهم وقد يوجه بانه لما منعهم الالطاف التى يمنحها المؤمنين بقيت
قلوبهم تتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور فى صدور المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا او بانه لم ينورهم او بانه اسند فعل الشيطان
الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره ولا يخفى ما فى هذا الوجه من التكلف لان انتهاء الكل الى مسبب الاسباب من هذا القبيل كما قيل ان النكتة
فى اضافة الطغيان اليهم هى ان يعلم ان التمادى فى الضلالة مما اقترفته انفسهم وان الله برئ منه فان الانتهاء الى الله تعالى لما كان ضروريا
فكيف يبرأ من ذلك ويعمهون فى موضع الحال والعمه كالعمى الا ان العمى فى البصر وفى الراى والعمه فى الراى خاصة وهو التحير والتردد لا يدرى اين يتوجه
وثالثها قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اى اختاروها واستبدلوها به وهذه استعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ
اخر قال ابو النجم شعر
اخذت بالجمة راسا ازعرا ... وبالثنايا الواضحات الدردرا ... وبالطويل العمر عمرا جيدرا ... كما اشترى المسلم اذ تنصرا
وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بنى اسرائيل يتفقهون لغير الدين ويعلمون لغير العمل ويبتاعون الدنيا بعمل الاخرة فجعلوا التمكن من الهدى
بحسب الفطرة الانسانية الشخصية كانه فى ايديهم فتركوه واستبدلوا به الضلالة وهى الجور عن القصد وفقد الاهتداء ومنه فى المثل ضل
دريص نفقه اى جحره والدرص ولد الفارة ونحوها ويضرب لمن يتحير بامره فاستعيرت الضلالة للذهاب عن الصواب فى الدين والربح الفضل
على راس المال والتجارة مصدر وانما اسند الخسران اليها وهو لصاحبها اسنادا مجازيا للملابسة التجارة بالمشترين وقد يقال ربح عبدك
وخسرت جاريتك مجازا اذا دلت الحال لما ذكر الله سبحانه شرى الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ما يشاكله ويواخيه من الربح والتجارة
ليكون الاستعارة مرشحة كقوله ولما رايت النسر عز ابن داية ... وعشش فى وكريه جاش له صدرى ... لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب

اتبعه ذكر التعيش والكر وما كانوا مهتدين لطرق التجارة لان مطلوب التاجر في متصرفاته شيئان سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد
اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة والضلالة امر عدمي فلا عوض ولا معوض فلا ربح ولا راس المال
وهكذا حال من يدعي الارادة ولا يخرج من العادة ويريد الجمع بين مقاصد الدنيا ومصالح الدين كالمنافق اراد الجمع بين عشرة الكفار
وصحبة المسلمين والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم واذا اقبل الليل من ههنا ادبر النهار من ههنا نعوذ بالله من الغواية ونسئل ان يعصمنا
من الضلالة بعد الهداية مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ
مانند ایشان چون حال کسی است که برافروزد آتشی پس چونکه روشن گردانید آتش گرد اگرد او را ببرد خدا روشنی ایشان را و واگذارد ایشان را
فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَ
در تاریکیها که نتوانستند دید کران و گنگان و کوران پس ایشان باز نگردند یا چون ابری از آسمان که در آن تاریکیهاست و
رَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ
رعد و برق میگردانند انگشتهاشان را در گوشهاشان از صاعقها از ترس مردن و خدا احاطه کننده است کافران را
يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ
نزدیکست که برق ببرد چشمهای ایشان را هرچند که روشنی دهد ایشان را بروند در آن و چون تاریک شود بر ایشان بایستند و اگر خدا خواهد هر آینه ببرد
بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ القراءة اذانهم ونابه بالامالة نصير وابو عمرو بالكافرين وما اشبهها مما كان في
گوش ایشان را و چشم ایشان را بدرستیکه خدا بر هر چیز تواناست الخفض بالامالة ابو عمرو وقتيبة في نصير وابو عمرو ويعقوب عن روح شاء الله حيث كان بالامالة
حمزة وخلف وابن ذكوان والوقوف نارا لان جواب لما فيها معنى الشرط مع دخول فاء التعقيب فيها لا يبصرون ه لا يرجعون ه للعطف
باو وهو للتخيير ومعنى التخيير لا يبقى مع الفصل ومن جعل او بمعنى الواو جاز الوقف لعطف الجملتين مع انها راس آية وقد اعترضت بينهما
آية على تقدير ومثلهم كصيب وبرق لان قوله يجعلون يحتمل ان يكون خبر المحذوف اي هم يجعلون او حالا عاملة معنى التشبيه في الكاف و
ذو الحال محذوف اي كاصحاب صيب الموت ط بالكافرين ه ابصارهم ط لان كلما استيناف فيه لان تمام المقصود بيان الحال المضاد للحال الاول
قاموا وابصارهم ط قدير ه التفسير لما جاء بحقيقة صفة المنافقين عقبها بضرب المثل تتميما للبيان ولضرب الامثال شان ليس بالخفي في رفع الاستار
عن الحقائق حتى يبرز المتخيل في معرض اليقين والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد ولامر ما اكثر الله تعالى في كتبه امثاله وفي تلك الامثال نضربها
للناس وفشت في كلام رسول الله ص مثل الدنيا مثل ظلك ان طلبته تباعد وان تركته تتابع مثل الجليس الصالح كمثل الداري وامثال العرب
اكثر من ان تحصى حتى صنف فيها كتب مشهورة والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير ثم قيل للقول السائر المشبه مضربه بمورده
مثل ولا يخلو من غرابة ومن ثم حوفظ عن التغير واما ههنا فاستعير المثل للحال والصفة والقصة التي فيها غرابة ولها شان شبهت حالهم العجيبة
الشان من حيث انهم لو تواصروا من الهدى بحسب الفطرة ولما نطقت به السنتهم من كلمة الاسلام فحقنوا دماءهم واموالهم عاجلا ثم لو توصلوا
بذلك الى النعيم الابد باستبطانهم الكفر فيؤل حالهم الى انواع الحسرات واصناف العقوبات بحال الذي استوقد نارا في توجه الطمع الى شيء
مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب والمراد بالذي استوقد ما جمع كقوله وخضتم كالذي
خاضوا وحذف النون لاستطالته بصلته او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا ولولا عود الضمير الى الذي
مجموعا في قوله بنورهم وتركهم لم يحتج الى التكلفات المذكورة على انه يمكن ان يشبه قصة جماعة بقصة شخص واحد نحو مثل الذين حملوا التورية
ثم لم يحملوها كمثل الحمار ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها واوقدتها فاوقدتها واستوقدتها ايضا والنار جوهر لطيف مضيئ حار محرق و
النور ضوءها وضوء كل نير واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والاضاءة فرط الانارة جعل الشمس ضياء والقمر نورا
وهي في الاية متعدية ويحتمل ان يكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء او
يستتر في الفعل اللازم ضمير النار ويجعل اشراق النار حوله بمنزلة اشراق ضوءها النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله
نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة والعام حولا لانه يدور وجواب لما ذهب الله بنورهم فالضمير يعود الى الذي استوقد نظرا
الى المعنى كما ان الضمير في حوله راجع اليه من حيث اللفظ وقيل الاولى ان يقال الجواب محذوف مثل فلما [illegible] بما فيه من الوجازة مع الامن
عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من الذكر في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله كان ما كان من حصولهم خابطين
في ظلام متحيرين بعد الكدح في احياء النار ثم ان سائلا كانه يسئل ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب
الله بنورهم اي بنور المنافقين وعلى هذا يحتمل ان يكون الذي مفردا ويمكن ان يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان اي مثلهم
كمثل الذي استوقد ذهب الله بنورهم ومعنى اسناد الفعل الى الله انه اذا طفئت النار بسبب سماوي كريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب
بنور المستوقد او يكون المستوقد مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان يكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة

مدة اشتغالها واضاءتها فمنافعها الدنيوية قليلة البقاء وللباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فاطفأها الله وخيب امانيهم وانما لم يقل ذهب الله بضوءهم على سياق فلما اضاءت لان ذكر النور ابلغ في الغرض وهو ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا فان الضوء شدة النور وزيادته وذهاب الاصل يوجب زوال الزيادة عليه دون العكس والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد واذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة شعر فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات والظلمة عدم النور عما من شانه ان يستنير وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد الرؤية وتمنع وفي جمع الظلمة وتنكيرها واتباعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون دلالة على ان الظلمة بلغت مبلغا يبهت معها الواصفون وكذا في اسقاط مفعول لا يبصرون وجعله من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد ليسوا من اهل الابصار عن سعيد اصل ومحل لا يبصرون اما جر صفة لظلمات اي لا يبصرون فيها شيئا واما نصب مفعولا ثانيا او حالا منهم مثل ويذرهم في طغيانهم يعمهون اي حالكونهم ليسوا من اهل الابصار عن سعيد بن جبير نزلت في اليهود وانتظارهم لخروج النبي صلى الله عليه وسلم واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وكان انتظارهم له كايقاد النار وكفرهم به بعد ظهوره كزوال ذلك النور ثم انه كان من المعلوم من حالهم انهم يسمعون وينطقون ويبصرون لكنهم شبهوا بمن ايفت مشاعرهم فقيل لهم صم بكم عمي حيث سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويستبصروا باعينهم وانما قلنا ان ما في الاية تشبيه لا استعارة مع ان المشبه مطوي ذكره كما هو حق الاستعارة لان ذلك في حكم المنطوق به الا يرى الخبر بلا مبتدأ ومعنى لا يرجعون لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه وعن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او ارادوا انهم بمنزلة المتحيرين الذين لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون شعر : وقف الهوى بي حيث انت فليس لي : متاخر عنه ولا متقدم : ومثله حال مريد طريقة الذي له بداية ولازم خلوته وصحبته حتى شرقت له من صفات القلب شوارق الشوق وبرقت له من انوار الروح بوارق الذوق فطرقته الهواجس وازعجته الوساوس فرجع قهقرى الى ما كان من حضيض عالم الطبيعة فغابت شمسه واظلمت نفسه فضل يومه وامسه ثم ان الله ضرب للمنافقين مثلا اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا عقيب ايضاح لان المقام مقام تفصيل واشباع فيكون تقدير الكلام مثل المنافقين كمثل المستوقدين او كمثل ذوي صيب على معنى ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين فانهما سواء في صحة التشبيه بهما فانت مخير في التشبيه بايهما شئت نحو جالس الحسن او ابن سيرين والتمثيلان جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به بل يراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام وهي انهم في مقام المطمع في حصول المطالب نجح المآرب لا يحظون الا بضد المطموع فيه من مجرد مقاساة الاهوال وشدائد الاحوال ولا يخفى ان التمثيل الثاني ابلغ لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر ليتدرج من الاهون الى الاغلظ وانما قدرنا المضاف المحذوف حيث قلنا او كمثل ذوي صيب مع انه لا يلزم في التشبيه المركب ان يلي حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء كيف ولي الماء الكاف اذ التشبيه مركب لان الضمير في يجعلون لا بد له من راجع هذا هو التحقيق وقد يقال شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يحوم حوله من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق وعلى هذا يكون تقدير المضاف ضرورة يصح تشبيه المنافقين بهم ويكون المعنى مثلهم كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا ويكون ذكر المشبهات مطويا على سنن الاستعارة والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول والسماء هذه المظلة والفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الافاق ولكنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء وكما جاء بصيب وفيهما المبالغات من جهة التركيب من صيغة البناء على فيعل والتنكير مدد ذلك بان جعله مطبقا واعلم انه اذا وقعت القوى الفلكية على العناصر باذن الله تعالى فحركتها وخلطتها حصل من اختلاطها موجودات شتى فاذا هيج الفلك بسخانة الحار بخارا من الاجسام المائية ودخانا من الاجسام الارضية واثار شيئا بين البخار والدخان من الاجسام المائية والارضية اما الدخان فانه قد يتعدى صعوده حيز الهواء الى ان يوافي تخوم النار فيشتعل وربما سعى فيه الاشتعال فيرى كانه كوكب يقذف به وربما لم يشتعل بل احترق وثبت فيه الاحتراق فرايت العلامات الهائلة الحمر والسود واما البخار الصاعد فمنه ما يلطف ويرتفع جدا فيتراكم ويكثر مدده في اقصى الهواء عند منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحابا والقاطر مطرا ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا فينزل

كالبوارق

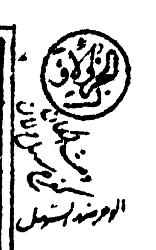
كما وفيه برد الليل قبل ان يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم في الاعالي اعني السحاب فنزل ان كان ثلجا وربما جمد البخار الغير
المتراكم في الاعالي اعني مادة الطل فنزل ان كان صقيعا وهو ما يسقط بالليل من السماء شبيها بالثلج وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات
ماء فكان بردا وانما يكون جموده في الشتاء وقد فارق السحاب في الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجه فبطنت البرودة الى داخله
فتكاثف داخله واستحال ماء واجمده شدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال سحابا فاستحال مطرا واما الجواهر البخارية
والدخانية المركبة من مادتي الرطوبة واليبوسة فمنها ما يتخلص من الارض فيكون منها الرياح اذا تصعدت فتميز البخار من الدخان انعقد البخار
سحابا وانفرد فتغلغل فيه الدخان طلبا للنفوذ الى العلو فيحصل من تغلغله فيه ضرب من الرعد وهو صوت ريح عاصفة في سحاب كثيف وربما زيد
اشتد ذلك التغلغل لكثرة وصول المواد ويكون اعالي السحاب كثف لان البرد هناك اشد ويكون هناك ريح مقاومة تعوقها عن النفوذ فيندفع
الى السفل فاشتعلت المحاكة والحركة نارا فبرق وتنشق السحاب شعلة كجمر يطفى فيسمع من ذلك ضرب من الرعد ان كان قويا شديدا غليظ
المادة كان صاعقة وربما وجد منفذا فيه سهل الانشقاق فيخرج بلا رعد واشتغال لهذا القدر من الحقايق في هذا المقام لا ضير في
معرفتها بعد ان يعتقد انتهاء اسبابها الى مدبر الكل سبحانه وتعالى ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول ارتفع ظلمات بالظرف على الاتفاق من سيبويه
والاخفش لاعتماده على موصوف والصيب ان كان سحابا فظلماته سجمته وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل وان كان مطرا فظلماته تكاثفه
وانسجامه بتتابع القطر وظلمة اظلال الغمام مع ظلمة الليل ثم ان كان الصيب سحابا فكونه مكانا للرعد والبرق ظاهر وان كان مطرا فكونه مكانا لهما
متلبسين به في الجملة سوغ ذلك وانما لم يجمع الرعد والبرق كما قال البحتري :: يا عارضا متلفعا ببروده :: يختال بين بروقه ورعوده ::
وكما قيل ظلمات لانهما في الاصل مصدران فروعي حكم الاصل ويمكن ان يراد بهما الحدث كانه قيل وارعاد وابراق وانكرت هذه الاشياء
لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب لانه في حكم
المذكور قال حسان :: يسقون من ورد البريص عليهم :: بردى يصفق بالرحيق السلسل :: ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى وهي واد بدمشق
والبريص نهر من انهارها ويصفق اي يمزج والرحيق الخمر ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا كانه قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد
فقيل يجعلون اصابعهم ثم سئل فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فاجيب يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما لم يقل اناملهم مع انها هي
التي تجعل في الاذن لان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل ولان اسم الكل قد يطلق على البعض نحو فاقطعوا ايديهما والمراد
الرسغ وليس بعض الاصابع كالمسبحة مثلا بجعلها في الاذن اولى من بعض حتى يقال لم ذكر العام والمراد الخاص وقوله من الصواعق اي من
اجل الصواعق نحو سقيته من الغيمة وقد يحصل مما ذكرنا ان الصاعقة قصيفة رعد تنقض معها شقة من نار تنقدح من السحاب اذا
اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف
ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة
الرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة وحذر الموت مفعول له كقوله شعر واغفر عوراء الكريم ادخاره
واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض يعاقب الحيوة لا يصح معه احساس والله محيط بالكافرين مجاز اي فانه لا
يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة والجملة معترضة لا محل لها يكاد من افعال المقاربة كاد يفعل كذا يكاد كودا وكيدودة ومكادة وضعت
لمقاربة الشيء فعل او لم يفعل فمجرده ينبئ عن نفي الفعل ومقرونه بالجحد ينبئ عن وقوع الفعل وخبر كاد فعل مضارع بغير ان وهو ههنا
يخطف والبرق اسمه والخطف الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم استيناف ثالث كانه قيل كيف يصنعون في حالتي خفوق البرق وخفوته واضاء
اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم في مطرح نوره والمشي جنس
الحركة المخصوصة ودونها السعي وفوقه العدو واظلم اما لازم وهو الظاهر واما متعد منقول من ظلم الليل اي اظلم البرق الطريق عليهم بان فتر
عن لمعانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم من قام الماء جمد وانما قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على وجود ما
هممهم به معقود من امكان المشي وتأتيه كلما صادفوا منه فرصة انتهزوها فخطوا خطوات يسيرة وليس كذلك التوقف والتحبس ولو شاء
الله لزاد في تصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم
وابصارهم لذهب بها وهذا الحذف في شاء واراد كثير لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله شعر فلو شئت ان ابكي دما
لبكيته :: عليه ولكن ساحة الصبر اوسع :: قال عز من قائل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه وكلمة لو تفيد انتفاء الثاني لانتفاء الاول وقد
يجيء للمبالغة كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه المراد ان عدم العصيان ثابت على كل حال لانه على تقدير عدم الخوف ثابت فعلى تقدير
الخوف اولى والشيء اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل
العقل لان من الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل والواجب وجوده لذاته واما الممكن فبقاؤه على العدم وكذا ايجاده وابقاؤه على وجوده
لان جميع ذلك بقدرة القادر فلا يستغنى عنه امر من الاثار ويحظر من اللحظات عن تأثير القادر فيه وقدرة كل قادر على مقدار قوته واستطاعته

شعر

ونقيضها العجز فلا قادر بالحق الا هو سبحانه تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي
ای مردمان بپرستید پروردگار تان را آنکه آفرید شما را و آنها را که پیش از شما بودند شاید که شما پرهیز کنید آنکه
جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون
گردانید از جهت شما زمین بساط گسترده و آسمان را چون خانه و فرود آورد از آسمان آبی پس بر آورد بدان از میوها بعضی روزی شما پس قرار ندهید از برای خدا مانندها و حال آنکه شما میدانید

القراءة خلقكم مدغما أبو عمرو وكذلك كل ما كان قبلها متحرك وزاد عباس كل ما كان قبلها ساكن مثل ما خلقكم وصل يعلمكم وبورقكم وصيتا وأشباه ذلك قال ابن مجاهد يدغمها بإظهار صوت القاف وقال غيره وهو ابن مهران لا يظهر ذلك وكل صواب الوقوف تتقون لا لأن الذي صفة الرب تعالى بناء ص لعطف الجملتين المتفقتين لكم ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب تعلمون ه التفسير لما قدم الله تعالى أحكام فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم ومجاري أمورهم عاجلا وآجلا أقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات الذي يورث الكلام رونقا وبهاء ومزيدا للسامع هزة ونشاطا ومن لطائف المقام أنه تعالى كأنه يقول جعلت الرسول واسطة بيني وبينك أولا والآن أزيد في إكرامك وتقريبك فأخاطبك من غير واسطة ليحصل لك مع التنبيه على الأدلة شرف المخاطبة والمكالمة وفيه إشعار بأن العبد مهما اشتغل بالعبودية ازداد قربا وحضورا وأيضا الآيات المتقدمة حكايات أحوالهم وهذا أمر وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلا بد من راحة وهي أن يرفع ملك الملوك الواسطة من البين ويخاطبهم بذاته فيستطاب التكليف بالتكليف ويسهل هذا وقد صح الإسناد عن علقمة أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة بحسب هذا النقل وإن كان من الجائز أن يخاطب المؤمنون باسم جنسهم ويؤمروا بالاستمرار على العبادة والازدياد منها ويا حرف وضع لأجل التخفيف مقام أنادي الإنشائية لا الإخبارية وههنا نكتة وهي أن أقوى المراتب الاسم وأضعفها الحرف فظن قوم أنه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا أقوى الموجودات هو الحق سبحانه وخلق الإنسان ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب ورب الأرباب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقيل لهم قد يأتلف الاسم مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب حال التضرع والدعاء ادعوني أستجب لكم وإذا سألك عبادي عني فإني قريب فاذكروني أذكركم ويا وضع في أصله لنداء ما ليس بقريب حقيقة أو تقديرا لكونه ساهيا أو غافلا أو نائما أو لتبعيد المنادي عن ساحة عزة المنادي هضما واستقصارا كقول الداعي في جؤاره يا رب يا الله مع أنه أقرب إليه من حبل الوريد لتحقق الإجابة بمقتضى قوله أنا عند المنكسرة قلوبهم وقد ينادي القريب المفاطن في غير هذه الصورة بيا ويكون المراد به أن الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا نحو يا أيها الذين آمنوا يا عبادي يا أيها النبي لأن ما يعقبها أمور عظام وخطوب جسام من الأوامر والنواهي والعظات عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وأي وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام وهو اسم مبهم يوصف باسم جنس ليتضح المقصود بالنداء مع ضرب من التأكيد المستفاد من الإبهام ثم التوضيح وفي حرف التنبيه المقحم فائدتان معاضدة حرف النداء بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه أي من الإضافة ثم إن قلنا إن الخطاب عام لجميع المكلفين لأن الجمع المعرف باللام يفيد العموم بدليل صحة تأكيده بكل وأجمعون في مثل قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وبدليل صحة الاستثناء فالأقرب أنه لا يتناول الذين سيوجدون بدليل منفصل ما عرف بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم أن حكم الموجودين في عصره حكم من سيوجد إلى قيام الساعة وإن قلنا إن الخطاب لمشركي مكة فيدخل فيه سائر الناس بالتبعية على قياس ما قلنا والمراد من قوله اعبدوا اصرفوا نسبة العبادة وذلك بأن عرف نفسه بالإمكان ليعرف ربه بالوجوب ويعرف نفسه بالمالكية ويعرف نفسه بالمقهورية والمقدورية ليعرف ربه بالقاهرية والقادرية ويعرف نفسه بالمأمورية بالمملوكية ليعرف ربه والذلة ليعرف ربه بالآمرية والعزة فلا يتجاوز حده ولا يعكس هذه القضايا فلا يرى لنفسه تصرفا بوجه من الوجوه ولا قدرة بنوع من الأنواع وإنما يكون عبدا ذليلا مأمورا بين يدي مولاه طائعا له بكل ما يأمره وينهاه لأنه إذا تصور كونه عبدا فلا بد أن يطلب لنفسه سيدا وإذا وجد السيد فلا محالة يوطن نفسه لطاعته وانقياده ولا يرى مخالفته في شيء أصلا إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين وإلا لم يصح نسبة عبوديته عن الأصمعي أنه أتى بغلام ليشتريه فقال له ما اسمك قال ما تسميني قال أي شيء تأكل قال ما تطعمني قال ما تشرب قال ما تسقيني قال ما تريد أن أشتريك قال العبد لا يكون له إرادة والأمر بالعبادة بهذا المعنى يشمل الكافر والمؤمن وكل من له أهلية الخطاب فيندرج فيه المبادي والنهايات والأصول والفروع ثم إنه تعالى لما علم القصور البشري وضعف قواهم الفطرية والفكرية أرشدهم إليه ونبههم عليه بقوله ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم واعلم أن الطريق إلى معرفة الواجب سبحانه وتعالى بعد ما قلنا من الرجوع إلى النفس والتنبه لسمة العبودية إما الإمكان أو الحدوث ومجموعهما كل منها في الجواهر أو في الأعراض أما الاستدلال بإمكان الذوات فإليه الإشارة بقوله تعالى والله الغني وأنتم الفقراء وأن إلى ربك المنتهى وأما الاستدلال بإمكان الصفات خلق الله السماوات والأرض جعل لكم الأرض فراشا وبحدوث الأجسام قول إبراهيم لا أحب الآفلين وبحدوث الأعراض دلائل الأنفس ودلائل الآفاق فإن كل أحد يعلم بالضرورة أنه كان معدوما قبل ذلك الموجد بعد العدم له موجد

ليس هو نفسه ولا الابوان ولا ساير الناس لعجز الكل ولا طبائع الفصول والافلاك لان الافلاك في افق الامكان فهو شئ غير متسم بسمة الحدوث والنقصان وهذا الطريق هو اقرب الطرق الى الافهام فلهذا اورده الله تعالى في فاتحة كتابه لينتفع به الخاص والعام مع ان فيه تذكير النعم السابغة ونعمه وعطيته السابقة عليهم وعلى آبائهم وتذكير النعم مما يوجب المحبة والميل الى الانصاف وترك الجدال واما قوله لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ففيه بحثان الاول كلمة لعل للترجي والاشفاق ولا يحصلان الا عند الجهل بالعاقبة وهو على الله تعالى محال والجواب ان الترجي راجع الى العباد لا الى الله تعالى كقوله لعله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما في ايمانه ثم عالم بما يؤول اليه امره وايضا فمن ديدن الملوك ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم لانجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحو ذلك لا يبقى لطالب ما عندهم شك في الفوز والنجاح بالمطلوب فجاء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد مثل تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ او وقع لعل موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المترجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ونظيره لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وهذا الجواب مبني على ان قوله لعلكم متعلق بخلقكم مثل وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ لا باعبدوا وقيل لعل بمعنى كي وجه بانها للاطماع والكريم الرحيم اذا اطمع فعل فيجري الاطماع مجرى وعده المحتوم فلهذا قيل انها بمعنى كي قال القفال في لعل معنى التكرير والتاكيد اذ اللام للابتداء نحو لقد وكقولهم علك ان تفعل كذا وعل يفيد التكرير ومنه العلل بعد النهل فقول القائل افعل كذا لعلك تظفر بحاجتك معناه افعله فان فعلك له يؤكد طلبك له ويقويك عليه البحث الثاني اذا كانت العبادة تقوى فقوله لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ جار مجرى قوله اعْبُدُوا رَبَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْبُدُونَ والجواب المنع من اتحاد مفهوميهما وخصوصا على ما فسرنا اذ المعنى يعود الى قولنا صححوا نسبة العبودية لتتصفوا بصفة التقوى وهي الاجتناب عن المعاصي فقط او هو مع الاتيان بتمامه بالاوامر واما ان يكون رفعا على المدح اي هو الذي وكلمة الذي موضوعة للاشارة الى المفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة فقوله جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا قضية معلومة فادخل عليها الذي كي يتنبهوا للجاعل وبعض فوائده والحاصل انه تعالى عدد في هذا المقام عليهم خمسة دلائل اثنين من الانفس وهما خلقهم وخلق اصولهم وثلثة من الآفاق جعل الارض فراشا والسماء بناء والامور الحاصلة من مجموعهما وهي انزال الماء من السماء واخراج الثمرات بسببه ووجه هذا الترتيب ظاهر لان اقرب الاشياء الى الانسان نفسه ثم ما منه منشاه واصله ثم الارض التي هي مكانه ومستقره يقعدون عليها وينامون وينقلبون كما ينقلب احدهم على فراشه ثم السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج بين المقلة والمظلة من انزال الماء عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الحيوان من الوان الغذاء وانواع الثمار رزقا لبني آدم وايضا خلق المكلفين احياء قادرين اصل لجميع النعم واما خلق الارض والسماء فذاك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحيوة والقدرة والشهوة وذكر الاصول مقدم على ذكر الفروع وايضا كل ما في السماء والارض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الانسان بزيادة الحيوة والقدرة والشهوة والعقل ولما كانت وجوه الدلالة فيه اتم كان تقديمه في الذكر اهم ويترتب ههنا مسائل الاولى في منافع الارض الفراش اسم لما يفرش كالمهاد اسم لما يمهد والبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراش ان يكون سطحا مستويا كالفراش على ما ظن فسواء كانت كذلك او على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد اطرافها ولكنه لا يتم الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي وهو وسط الافلاك لان الاثقال بالطبع تميل الى تحت كما ان الخفاف بالطبع تميل الى فوق والفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء وما يلي المركز فكما انه لا يستبعد صعود الارض فيما يلينا الى جهة السماء فليستبعد هبوطها في مقابلة ذلك لان ذلك الهبوط صعود ايضا الى السماء فاذن لا حاجة في سكون الارض وقرارها في حيزها الى علاقة من فوقها ولا الى دعامة من تحتها بل يكفي في ذلك ما اعطاها خالقها وركز فيها من الميل الطبيعي الى الوسط الحقيقي بقدرته واختياره إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ومما امتن به على عباده في خلق الارض انه لم يجعلها في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين والانغمار كالماء ليسهل النوم والمشي عليها وامكنت الزراعة واتخاذ الابنية منها وبناء الحفر الابار واجراء الانهار ومنها ان لم تخلق في نهاية اللطافة والشفيف ليستقر الانوار عليها ويتسخن منها فيمكن جوازها ومنها ان جعلت بارزة بعضها من الماء مع ان طبعها الغوص فيه لتصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها وسبب انكشاف ما برز منها وهو قريب من ربعها ان لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت هي والماء بحيث اذا انجذب الماء بطبعه الى المواضع الغائرة والمنخفضة منها بقي شئ منها مكشوفا وصار مجموع الارض والماء بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب وغروبها للمشرقيين على طلوعها وغروبها للمغربيين وفيما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغلين في الشمال وبالعكس للواغلين في الجنوب وتركب الاختلافين لمن يسير على سمت بين السمتين الى غير ذلك من الاغراض الخاصة بالاستدارة ويستوي في ذلك راكب البر وراكب البحر ونتوء الجبال وان شمخت لا يخرجها عن اصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة القادحة في ملاسة الكرة لا في استدارتها ومنها الاشياء المتولدة



فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها ومنها ان يتخمر الرطب به فيحصل التماسك في
ابدان المركبات ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الاغراض والحاجات وفي الأرض
قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومنها انصداعها بالنبات والأرض
ذات الصدع ومنها جذبها للماء المنزل من السماء وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض ومنها العيون والانهار العظام
التي فيها والأرض مددناها ومنها ان لها طبع الكرم والسماحة تأخذ واحدة وترد سبعمائة كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة ومنها حيوتها وموتها وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيها من كل دابة ومنها النبات
المتنوعة وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج فاختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف روائحها دلالة فمنها قوت البشر
ومنها قوت البهائم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام والادام ومنها الدواء ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان
وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها الاحجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار
مع كثرته وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما اودع الله تعالى فيها من المعادن
الشريفة كالذهب والفضة ثم تأمل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير
من اوج الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه ان معظم فائدتهما ترجع الى الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة و
القدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا ومن ههنا اشتهر في الالسنة من طلب المال بالكيميا
افلس ومنها ما يوجد على الجبال والاراضي من الاشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب وما اشد الحاجة اليه في الخبز والطبخ ولعل ما تركنا
من المنافع اكثر مما عددنا فاذا تأمل العاقل في هذه الغرائب والعجائب عرف ان يدبرها حكيم مقدر عليم ان كان ممن يسمع ويعي ويبصر ويعتبر
الثانية في منافع السماء البناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا ثم ان الله تعالى زين السماء بالمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا وبالشمس
وجعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع كرسيه السموات والأرض وباللوح في لوح محفوظ وبالقلم ن
والقلم وسماها سقفا محفوظا وسبعا طباقا وسبعا شدادا وذكر ان خلقها مشتمل على حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا
باطلا وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء و
محل الضياء والصفاء وجعل لونها انفع الالوان وهو المستنير وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير وبنجومها رجوما للشياطين و
علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وقيض للشمس طلوعا يسهل معه التقلب لقضاء الاوطار في الاقطار وغروبا يصلح معه الهدو
والقرار في الاكنان لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء وايضا لولا الطلوع لانجمدت المياه وغلبت البرودة
والكثافة وافضت الى خمود الحرارة الغريزية وانكسار سورتها ولولا الغروب لحميت الارض حتى يحترق كل من عليها من حيوان ونبات فهي بمنزلة
سراج يوضع لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح
قطان الارض وههنا نكتة كأن الله تعالى يقول لو وقفت الشمس في جانب من السماء فالغني قد يرفع بناء على كوة الفقير فلا يصل النور
الى الفقير لكني ادير الفلك واسيرها حتى يجد الفقير نصيبه كما وجد الغني نصيبه ثم ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعله الله سببا لاقامة الفصول
الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويتكثف الهواء فيكثر السحاب والمطر ويقوى ابدان الحيوانات
بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع يتحرك الطباع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء ويطلع النبات ويهيج الحيوان للسفاد وفي
الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيأ للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس
فتدرك الثمار وتستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء واما القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب ويضبط المواقيت
الشرعية ومنه تحصيل النماء والرواء وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي غيبته مصلحة يحكى ان اعرابيا نام عن جمله ليلا ففقده
فلما طلع القمر وجده فنظر الى القمر فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء نورك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا
اسئله لك فان اهديت الي سرورا فقد اهدى الله اليك نورا ثم انشا يقول شعرا: ماذا اقول وقولي فيك ذو قصر * وقد كفيتني التفصيل
والجملا * ان قلت لا زلت مرفوعا فانت كذا * او قلت زانك ربي فهو قد فعلا * وقد كان في العرب من يذم القمر ويقول القمر يدني
الهارب ويهتك العاشق ويبلي الكتان ويهرم الشاب وينسي ذكر الاحباب ويقرب الدين ويدني الحين وكيفية ارتباط القمر وسائر
الكواكب بالشمس وكيفية حركاتها وبيان اختلافاتها واوضاعها وعلل كل منها فن براسه لا يحتمل ايراده ههنا قال الجاحظ اذا تأملت
في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة في
مصالحه كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيئات لمنافعه وصنوف الحيوان متصرفة في مصالحه

الدنيا

فهذه جملة واضحة الدالة على ان العالم المخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية الثالثة في ان السماء افضل ام الارض
قال بعضهم السماء افضل لانها متعبد الملائكة وما فيها بقعة عصى الله فيها ولما اتى ادم عم بتلك المعصية اهبط من الجنة وقال الله تعالى
لا يسكن في جواري من عصاني وقال تعم وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وقال تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وورد في الاكثر
ذكر السماء مقدما على ذكر الارض والسموات مؤثرة والارضيات متاثرة والمؤثر اشرف من المتاثر وقال اخرون بل الارض افضل لانه
تعم وصف بقاعا من الارض بالبركة إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا
حَوْلَهُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا يعني ارض الشام ووصف جملة الارض بالبركة وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ فان قيل واي بركة في المفاوز المهلكة قلنا انها مساكن الوحوش ومرعاها ومساكن الناس اذا احتاجوا اليها ومساكن خلق
لا يعلمهم الا الله تعم فلهذه البركات قال تعم وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ تشريفا لهم لانهم المنتفعون بها كما قال هُدًى لِلْمُتَّقِينَ وخلق الانبياء
من الارض مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ واودعهم فيها وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ واكرم نبيه المصطفى فجعل الارض كلها له مسجدا وطهورا ولما خلق الله الارض
وكانت كالصدفة والدرة المودعة فيها ادم عم واولاده ثم علم الله اصناف حاجاتهم قال يا ادم لا احوجك الى شيء غير هذه الارض التي
هي لك كالام فقال أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا وانزل مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ يا عبدي
ان اعز الاشياء عندك الذهب والفضة ولو اني خلقت الارض منها هل كان يحصل منها هذه المنافع ثم جعلت هذه الاشياء في الدنيا
مع انها سجنك فكيف الحال في الجنة فالحاصل ان الارض لك بل اشفق من الام لان الام تسقيك نوعا واحدا من اللبن والارض تطعمك
الوانا من الاطعمة ثم قال مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ معناه يردكم الى هذه الام وهذا ليس بوعيد لان المرء لا يتوعد بامه ذلك لان مقامك
من الام التي ولدتك اضيق من مقامك من الارض ثم انك كنت في بطن الام تسعة اشهر فما مسك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت بطن الام
الكبرى ولكن الشرط ان تدخل بطن الام الكبرى كما كنت في بطن الام الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من ان يكون لك كبيرة بل كنت مطيعا
لله بحيث دعاك مرة بالخروج الى الدنيا خرجت اليها بالراس طاعة منك لربك وفي اليوم يدعوك سبعين مرة الى الصلوة فلا تجيبه برجلك
الرابعة معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيته بانه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كالنطفة في خلق الولد
وهو قادر على انشاء الاشياء بلا اسباب ومواد كما انشاء نفوس الاسباب والمواد ولكن له في هذا التدريج والتسبيب حكما يتبصر بها من يستبصر
ويتفطن بها من يتعبر ومن في من الثمرات للتبعيض لانه قصد بتنكير ماء ورزقا معنى البعضية لانه مفرد في سياق الاثبات فكانه قيل و
انزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا معنى صحيح لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع
الثمرات ولا جعل الرزق كله من الثمرات فيكون كل الثمر بعض الرزق فضلا عن بعضها ويجوز ان تكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم
الفا ثم ان كانت من للتبعيض كان انتصاب رزقا بانه مفعول له وان كانت للبيان كان مفعولا لاخرج ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به
العين وان جعل مصدرا فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم وانما قيل الثمرات على لفظ القلة وانكان الثمر المخرج بماء السماء جما كثيرا لانه
قصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره كقولهم للقصيدة كلمة وللقرية مدرة او لان القلة
وضعت موضع الكثرة نحو ثلثة قروء او تنبيها على قلة ثمار الدنيا في جنب ثمار الاخرة الخامسة قوله فَلَا تَجْعَلُوا اما ان يتعلق بالامر اي
اعْبُدُوا رَبَّكُمْ فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد ان لا يجعل لله ند ولا شريك وبلعل فنصب تجعلوا بعده
مثل لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ في رواية حفص عن عاصم او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي
نصب لكم هذه الادلة القاطعة والايات الناطقة بالوحدانية فلا تتخذوا له تعم شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي
من نادت الرجل خالفته ونافرته وند ندودا اذا نفر ومعنى قول الموحد ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه قوله وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
ترك المفعول معناه وانتم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال وهكذا كانت العرب خصوصا قطان الحرم من قريش
وكنانة لا يشق غبارهم في الدهاء والفطنة والتوبيخ فيه اكد اي انتم العارفون المميزون ثم ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله
اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت وانتم تعلمون
انها لا تفعلون مثل افعاله كقوله هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ واعلم انه ليس في العالم احد يثبت لله شريكا يساويه في
الوجوب والعلم والقدرة والحكمة ولكن الثنوية يثبتون الهين حكيم يفعل الخير وسفيه يفعل الشر اما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين
اليه كثرة الفريق الاول عبدة الكواكب وهم الصابئة فانهم يقولون ان الله تعم خلق هذه الكواكب هي المدبرات في هذا العالم فيجب علينا ان
نعبد الكواكب والكواكب تعبد الله تعم والفريق الثاني عبدة المسيح عم والفريق الثالث عبدة الاوثان فيقول لا دين اقدم من دين عبدة
الاوثان لان اقدم الانبياء الذي نقل الينا تاريخهم هو نوح عم وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا
سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ودينهم باق الى الان والدين الذي هذا شانه يستحيل ان يعرف فساده بالضرورة ولكن العلم بان هذا

المفازة



الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماء والارض فيمتنع اطباق الجمع العظيم عليه فوجب ان يكون لهم غرض آخر سوى ذلك والعلماء ذكروا فيه وجوها احدها ما ذكره ابو معشر جعفر بن محمد المنجم البلخي ان كثيرا من اهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته ويعتقدون انه جسم ذو صورة كاحسن ما يكون من الصور وكذا الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسماء وان الواجب عليهم ان يصوغوا تماثيل انيقة المنظر على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الاله والملائكة فيعكفون على عبادتها قاصدين به طلب الزلفى الى الله تع و ملائكته فعلى هذا السبب في عبادة الاوثان هو اعتقاد التشبيه وثانيها ما ذكره اكثر العلماء وهو ان الناس لما رأوا تغيرات احوال هذا العالم مربوطة بتغيرات احوال الكواكب واعتقدوا ان السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع الناس بالغوا في تعظيمها فمنهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذه العوالم ومنهم من اعتقد انها مخلوقة لله الاكبر لكنها خالقة لهذا العالم وانها الوسائط بين الله والبشر فلا جرم اشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم لما رأوا الكواكب مستترة في اكثر الاوقات عن الابصار اتخذوا لها اصناما واقبلوا على عبادتها قاصدين بتلك العبادة تلك الاجرام العالية ومتقربين الى اشباحها الغائبة ولما طالت المدة تركوا ذكر الكواكب وتجردوا لعبادة تلك التماثيل فهؤلاء بالحقيقة عبدة الكواكب وثالثها ان اصحاب الاحكام كانوا يعينون اوقاتا في السنين المتطاولة نحو الالف والالفين ويزعمون ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في احوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الآفات وكانوا اذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ثم لما نسوا مبدأ الامر بطول المدة واشتغلوا بعبادتها في ذلك التعظيم ورابعها انه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه انه مستجاب الدعوة مقبول الشفاعة عند الله تع اتخذوا صنما على صورته وعبدوها على اعتقاد ان ذلك الانسان يكون شفيعا لهم يوم القيمة عند الله تع ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وخامسها لعلهم اتخذوها قبلة لصلوتهم وطاعاتهم ويسجدون اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال القوم انه يجب عبادتها وسادسها لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التاويل فهذه هي الوجوه التي يمكن حمل مذهبهم عليها حتى لا يصير بحيث يعلم بطلانه بالضرورة فان قيل لما رجع حاصل مذهب عبدة الاوثان الى الوجوه التي ذكرت فما وجه المنع عنها قلنا لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط ولا يفيد في طريق عبادته الا الحنفية والاخلاص ورفع الوسائط من البين واعلم ان اليونانيين كانوا قبل خروج الاسكندر عمدوا الى بناء هياكل لهم معروفة باسماء القوى الروحانية والاجرام النيرة واتخذوها معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الاولى وهي عندهم الامر الالهي وهيكل العقل الصريح وهيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس والصور مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشتري مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا وهيكل الشمس مربعا وهيكل الزهرة مثلثا في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثا في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا وزعم اصحاب التاريخ ان عمرو بن لحي لما سادوا قومه وترأس على طبقاتهم وولي امر البيت الحرام اتفقت له رحلة الى البلقاء فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه ارباب نستنصر بها فننصر ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم ان يكرموه بواحد منها فاعطوه الصنم المعروف بهبل فسار به الى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس الى تعظيمه وذلك في اول ملك شابور ذي الاكتاف ومن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء وخربه عثمان بن عفان ومنها نوبهار الذي بناه سلطان منوچهر الملك على اسم القمر ثم كان لقبائل العرب اوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل لكلب وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان ونسر بارض حمير لذي الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة واساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله صلعم ينهاهم عن عبادتها ويدعوهم الى عبادة الله سبحانه وتع وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه وهو الذي يقول شعر

اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ

واگر باشید در شک از آنچه فرستادیم بر بنده خود پس بیارید یک سوره مانند آن وبخوانید گواهان خود را اگر میباشید راستگویان پس اگر که نکردید وهرگز نخواهید کردن پس بترسید آتشی را که هیزم آن مردمانند وسنگهای کبریت که آماده شده است برای کافران

القراءة ما يتعلق بها من ضم ميم الجمع ومن امالة الناس يعرف مما مر الوقوف من مثله ص صادقين ج والحجارة على تقدير هي اعدت للكافرين والوصل اجوز لان قوله اعدت بدل الجملة الاولى وكونها صلة للتي للكافرين ه التفسير لما ثبت بالايتين السابقتين على طريق الاعتراف بوجود الصانع ووحدانيته اعقبهما بما يدل على صحة نبوة محمد صلعم وحقية ما نزل عليه وقد ذكر في كون القرآن معجزا طريقان الاول انه اما ان يكون مساويا لكلام سائر الفصحاء او زائدا عليه بما لا ينقض العادة او بما ينقضها والاولان باطلان لانهم وهم زعماء وملوك الكلام تحدوا بسورة منه مجتمعين ومنفردين ثم لم يأتوا بها مع انهم كانوا متهالكين

لكن

في ابطال امره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن كانوا في الحمية والانفة الى حد لا يقبلون الحق كيف الباطل فتعين القسم الثاني
الطريق الثاني ان يقال ان بلغت السورة المتحدى بها في الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود والا فامتناعهم من المعارضة مع
شدة دواعيهم الى توهين امره معجز فعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل فما يدريك انه لن يعارض في مستانف الزمان وان لم يعارض
الى الان قلت لانه لا احتياج الى المعارضة اشد مما في وقت التحدي ولا لزم تقرير المبطل المشبه للحق وحيث لم تقع المعارضة وقتئذ علم
ان لا معارضة والى هذا اشار سبحانه بقوله ولن تفعلوا كما يجيء واعلم ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة
الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ومدرك الاعجاز هو الذوق ومن الاعجاز ما بانه صرف الله تعالى البشر عن معارضته او بانه هو
كون اسلوبه مخالفا لاساليب الكلام او بانه هو كونه مبرأ عن التناقض او بكونه مشتملا على الاخبار بالغيوب مما ينخرط في سلك هذه
الاراء فقد كذب بن اخت خالته فانا نقطع ان الاستغراب من سماع القران انما هو من اسلوبه ونظمه المؤثر في القلوب تاثيرا لا يمكن
انكاره لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد لا من صرف الله تعالى البشر عن الاتيان بمثله كما لو قال احد معجزتي ان اضع الساعة يدي على
راسي ويتعذر ذلك عليكم وكان كما قال فجاء الاستغراب من التعذر لا من نفس الفعل واية تسمية كل اسلوب غريب معجزا باطل وكذا تسمية
كل كلام مبرأ عن التناقض ومشتمل على الغيب ككلام الكهان ونحوهم فان قيل كيف نعتقد اعجاز القران بحيث يعجز عنه الثقلان فقط
والزائد غير معلوم الحال او بحيث يعجز عنه المخلوقات باسرها قلنا لا ريب ان الحق هو القسم الثاني الا ان التحدي لم يقع الا بالقدر الاول وبه
يثبت صحة النبوة لكن النبي صادق وقد اخبر بانه كلام الله تعالى ونحن نعلم ان كلامه صفته يجب ان يكون في غاية الكمال ونهاية الجلال فالقران اذن
في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة والبلاغة بلوغ المتكلم حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية
على وجهها وهي فينا كانها هيئة اجتماعية حاصلة من معرفة قوانين علمي المعاني والبيان والفصاحة اما معنوية وهي خلوص الكلام عن التعقيد
والتعقيد ان يعثر صاحبه فكرك في متصرفه ويشل طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك فلا تدري
من اين تتوصل وباي طريق معناه يتحصل واما لفظية وهي ان تكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء من
العرب الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم لها اكثر وان تكون اجرى على قوانين اللغة العربية وان تكون سليمة عن التنافر عذبة على العذبات
سلسة على الاسلات والحاكم في ذلك هو الذوق السليم والطبع المستقيم فقلما ينجع هنالك الا ذلك ثم انه قد اجتمع في القران وجوه كثيرة
تقتضي نقصان الفصاحة ومع ذلك فانه بلغ في الفصاحة النهاية التي لا غاية وراءها فدل ذلك على كونه معجزا منها ان فصاحة العرب اكثرها
في وصف المشاهدات كبعير او فرس او جارية او ضربة او طعنة او وصف حرب او وصف غارة وليس في القران من هذه الاشياء مقدار كثير و
منها انه تعالى راعى طريق الصدق وتبرأ عن الكذب وقد قيل احسن الشعر اكذبه ولهذا كان لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت لما اسلما وتركا سلوك
سبيل الكذب والتخيل ترك شعرهما ومنها ان الكلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق في بيت وبيتين من قصيدة والقران كله فصيح كل جزء
منه ومنها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلاما لم يكن الثاني في الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر في القران فهو في نهاية الفصاحة وغاية الملاحة
شعر أَعِدْ ذِكْرَ نُعْمَانٍ لَنَا اِنَّ ذِكْرَهُ ؛ هُوَ الْمِسْكُ مَا كَرَّرْتَهُ يَتَضَوَّعُ ؛ ومنها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم المنكرات والحث على مكارم
الاخلاق والزهد في الدنيا والاقبال على الاخرة ولا يخفى ضيق عطن البلاغة في هذه المواد ومنها انهم قالوا ان شعر امرئ القيس يحسن
في النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحرب وشعر الاعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء والقران جاء فصيحا
في كل فن من فنون الكلام فانظروا الى الترغيب في قوله فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا اُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ اَعْيُنٍ وفي الترهيب وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ
وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَاْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وفي الزجر فَكُلًّا اَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ اَرْسَلْنَا
عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ اَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ اَغْرَقْنَا وفي الوعظ اَفَرَاَيْتَ اِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا اَغْنَى عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ وفي الالهيات اَللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ اُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْاَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ
الْمُتَعَالِ ومنها ان القران اصل العلوم كلها كعلم الكلام وعلم اصول الفقه وعلم الفقه واللغة والنحو والصرف والنجوم والمعاني والبيان وعلم
الاحوال وعلم الاخلاق وما شئت ومن يطيق وصف القران وبلاغته فانه كما ان الاتيان باقصر سورة منه فوق حد البشر فوصفه كما هو فوق
طاقة البشر شعر فَدَعْ عَنْكَ بَحْرًا ضَلَّ فِيهِ السَّوَابِحُ ؛ وانما قيل وان كنتم دون اذ كنتم لما عرفت في تفسير لا ريب فيه وانما اختير نزلنا على لفظ التنزيل
دون الانزال لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه فلكان التحدي في ذلك انهم كانوا يقولون لو انزله الله لانزله جملة واحدة
وقال الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْاٰنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً اي على خلاف ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا شيئا
فشيئا حينا فحينا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة فقيل لهم ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا
انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما من نجومه اصغر سورة وهي الكوثر ومعنى السورة مذكور في المقدمة الخامسة وانما قيل على عبدنا دون
ان يقال على محمد كقوله وَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَاٰمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلٰى مُحَمَّدٍ تشريفا له واعلاما بانه ممن صح نسبة العبودية المامور بها

فى قوله يا ايها الناس اعبدوا واضافة العبد الى الضمير يقتضى تؤيد ذلك كقوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقيل ان السعادة كل السعادة
فى نسبة العبدية فهى التى توصل الى العندية فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وانا عند المنكسرة قلوبهم لاجلى وكمال العندية فى كمال الحرية
عما سوى الله واما فائدة تفصيل القران وتقطيعه سورا فمن ذلك ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل الانواع على الاصناف كان افراد
كل صاحبه احسن ولهذا وضع المصنفون كتبهم على الابواب والفصول ونحوها ومنها ان القارى اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ فى اخرى
انشط له كالمسافر اذا قطع ميلا او طوى فرسخا ومن ثم جزءوا القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحاذق اذا حذق السورة
انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيجل فى نفسه منه حديث انس كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا ولهذا كانت القراءة
فى الصلوة بسورة تامة افضل ومن مثله متعلق بمحذوف اى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا
والضمير للعبد معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته فى البيان الغريب والنظم الانيق وفاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا واميا لم
يقرا الكتب ولم يقصد الى مثل ونظير معين ولكنه كقول من قال للحجاج وقد توعده بقوله لاحملنك على الادهم مثل الامير يحمل على الادهم والا
اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسط اليد لم يقصد احدا يجعله مثل الحجاج ورد الضمير على المنزل اوجه وعليه المحققون
ويروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن لان ذلك يطابق الايات الاخر فاتوا بسورة من مثله فاتوا بعشر سور مثله ولان البحث انما وقع
فى المنزل عليه اذ المعنى وان ارتبتم ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم شيئا مما يماثله ولو كان الضمير مردودا الى الرسول فمقتضى الترتيب
ان يقال وان ارتبتم فى ان محمدا صلى الله عليه وسلم منزل عليه فاتوا بسورة ممن يماثله وايضا لو كان عائدا الى القران اقتضى ان يكونوا عاجزين عن الاتيان بمثله
مجتمعين ومتفرقين اميين او قارئين لو عاد الى النبى اقتضى ان يكون الشخص الواحد الامى الذى هو مثله عاجزا ولا شك ان الاعجاز على
الوجه الاول اقوى ولا سيما فانه يلزم من الوجه الثانى تقرير نقص للنبى وايهام ان الاتيان بالقران عمن يكون قاريا ممكن وايضا الاول
هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم اذ لو كان المراد فليات واحد اخر بنحوما اتى به هذا الواحد لم يحتج ان يستظهر بالشهداء وهى جمع
بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة والمراد بها اما الهتهم كانه قيل ان كان الامر كما تقولون من انها تستحق العبادة لما انها تنفع وتضر فقد وقعتم
فى منازعة محمد الى فاقة شديدة فتجلوا الاستعانة بها والا فاعلموا انكم مبطلون فيكون فى الكلام محاجة من جهتين من جهة ابطال كونها الهة
ما انكروه من اعجاز القران واما اكابرهم ورؤساؤهم اى ادعوهم ليعينوكم على المعارضة او ليحكموا لكم او عليكم ومعنى دون ادنى مكان من الشئ
ومنه الشئ الدون وهو الحقير ودون الكتب اذا جمعها بتقليل المسافة بينها ويقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اى
خذه من دونك اى من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت فى الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو فى الشرف والعلم ومنه قول من قال
لعدوه وقد كان يثنى عليه انا دون هذا وفوق ما فى نفسك واتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى حكم الى حكم قال الله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ومن دون الله متعلق بشهداءكم
او بادعوا وعلى الاول يحتمل ثلثة معان ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق وادعوا
الذين زعمتم انهم يشهدون لكم بين يدى الله من قول الاعشى شعر تريك القذى من دونها وهى دونه ؛ اى تريك القذى قدام الزجاجة
والحال ان الخمر قدام القذى لرقتها وصفائها وفى امرهم ان يستظهروا بالجماد الذى لا ينطق فى معارضة القران المعجز بفصاحته غاية التهكم
بهم وادعوا شهداءكم من دون الله اى من دون اولياءه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان
والاشعار بان شهداءهم وهم فرسان البلاغة تابى عليهم الطباع وتجح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد
على الثانى يحتمل معنيين ادعوا من دون الله شهداء كم يعنى لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد بانه غير حق كما يقوله
العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهاداتهم ظاهرة يصح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم و
بيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا لصادقون سئل بعض العرب عن نسبه فقال قرشى
والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله فى هذا المقام ريبة والمراد بالشهداء الله تعالى وكل من له اهلية الحضور من الجن والانس فكانه قيل ادعوا غير الله
من الجن والانس من دونه كقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وانما استثنى الله لانه القادر وحده على ان ياتى بمثل دون كل شاهد واعلم
ان التحقيق فى التحدى هو ان النبى يقول انى مخصوص من الله تعالى بمزيد الكرامة والنور وجعلنى واسطة بينكم وبين هدايتكم فاتبعوا هداكم
سبيل الخير والرشاد وان كنتم فى ريب مما اقول فانظروا الى هذا الذى قدرت عليه باظهار الله تعالى اياه على يدى وانتم لا تقدرون عليه لعدم
اقداره لتعرفوا انى خصصت بمزيد فضل من عنده وانى صادق فيما اقول فان انصفوا من انفسهم بمشية الله تعالى ونور هدايته اتبعوا
واهتدوا والا بقوا فى الضلالة خاسئين كل هذا من عالم الاسباب التى يتعلق بها المواقع والحوادث حسب الحكمة ولا يلزم من هذا ان يكون للعبد
قدرة مستقلة يقع الفعل عليها بل الله يهدى من يشاء وكل بقدره وقوله ان كنتم صادقين قيد لقوله فاتوا او لقوله وادعوا لان قوله فاتوا مقيد
بقوله وان كنتم وجواب الشرط الثانى محذوف لدلالة ما قبله وهو مثله عليه التقدير وان كنتم فى ريب فاتوا وان كنتم صادقين فى انا صاحبكم

تعنتكم او في ان القرآن غير معجز فادعوا شهداءكم وانما قلنا الجواب محذوف لان الجزاء لا يتقدم على الشرط فان للشرط صدر الكلام كالاستفهام
ولهذا لم يلزم الفاء في قولك انت مكرم ان جئتني وانما تقدم ما يدل عليه ومثله في القرآن كثير فاعتبره في كل موضع واما قوله فان لم تفعلوا ولن
الاية فاقول اولا انها تدل على اعجاز القرآن وصحة نبوة محمد ﷺ من وجوه احدها انا نعلم بالتواتر ان العرب كانوا يعادونه ﷺ اشد المعادات
ويتهالكون في ابطال امره وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج منهم من اقوى ما يدل على ذلك فاذا انضاف اليه مثل هذا التقريع و
قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو امكنهم الاتيان بمثله لاتوا به وحيث لم ياتوا به ظهر كونه معجزا وثانيها انه ﷺ ان كان متهما عندهم
فيما يتعلق بالنبوة فقد كان معلوم الحال في وفور العقل فلو خاف ﷺ عاقبة امره لتهمة فيه ﷺ حاشاه عن ذلك لم يبالغ في التحدي الى هذه
الغاية وثالثها انه ﷺ لو لم يكن قاطعا بنبوته لكان يجوز خلافه وبتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور لا يقطع في الكلام قطعا
وحيث جزم دل على صدقه ورابعها ان قوله ولن تفعلوا ولن تاكيد بليغ في نفي المستقبل الى يوم الدين اخبار بالغيب وقد وقع كما قال ﷺ لان احدا
لو عارضه لم يمتنع ان يتواضعه الناس ويتناقلوه عادة لاسيما والطاعنون فيه ﷺ اكثف عددا من الذابين عنه ﷺ واذا لم يقع المعارضة
الى الان غلب على الظن بل حصل الجزم انها لا يقع ابدا لاستقرار الاسلام وقلة شوكة الطاعنين وانما جيء بان الذي للشك دون اذا الذي
للوجوب والقطع مع ان انتفاء اتيانهم بالسورة واجب بناء على حسبانهم وطمعهم فانهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة لاتكالهم
على بلاغتهم وايضا فيه تهكم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهما الخبير قوله فان
لم تفعلوا ولن تفعلوا على قوله فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله طلبا للوجازة فان الاتيان فعل من الافعال
وحذف مفعول فعل كثير دون مفعول اتى فهو جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا يغنيك عن طول المكني عنه كما لو قلت اتيت فلانا
واعطيته درهما فيقال لك نعم ما فعلت وقوله ولن تفعلوا جملة معترضة لا محل لها وليس الواو للحال وانما هو للاستيناف والمعترضة تجيء
بالواو وبدون الواو وقد اجتمعا في قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما لم يقل فان لم تفعلوا فاتركوا العناد كما هو الظاهر لان اتقاء
النار لصيقه وضميمه ترك العناد فوضع موضعه من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره قول الملك لحشمه ان
اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاتبعوني وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط فهو من باب الكناية وفائدته الايجاز الذي هو من
حلية القرآن وتهويل شان العناد بانه الموجب للنار ولهذا اشنع بتفظيع امرها والوقود ما يرفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء
فيه الفتح فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس والحجارة قلنا لا يمتنع
ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله او يكون اشارة الى ما نزلت بمكة قبل نزول هذه بالمدينة وذلك
في سورة التحريم قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ولهذا عرفت ههنا مشارا بها الى ما عرفوه ثمة اولا والمعنى اتقوا
نارا ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة او بانها توقد بنفسها ايراد احراقه واحماؤه او بانها لافراط حرها اذا
اتصلت بما لا يشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب
والحجارة قيل هي حجارة الكبريت وقيل هي ما نحتوها اصناما لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لانهم لما اعتقدوا فيها انها شفعاؤهم
عند الله وانهم ينتفعون بها ويدفعون المضار عن انفسهم جعلها الله عذابهم ابلاغا في ايلامهم وتوريثا لنقيض مطلوبهم ونحوه ما يفعل
بالذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله اي يمنعون حقوقها حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم والتاء
في الحجارة لتاكيد التانيث في الجماعة نحو صقورة وقد يدري في الخلد من هذه الاية ومن قوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
ومن قوله نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ان المراد بالحجارة هي الافئدة اي وقودها الناس وقلوبهم وتخصيص القلب بالذكر لانه اشرف
الاعضاء واولى بالاحراق ان كان مقصرا في دركه ما خلق الانسان لاجله ومعنى اعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم وانما فقد العاطف
لانها بدل من الصلة او استيناف كانه قيل لمن اعدت هذه النار فقيل اعدت للكافرين **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**
أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ومژده ده آنهارا که گرویدند و کردند شایستها
بانکه مر ایشانراست بهشتها که روانست از زیر شان جویها هر چند که روزی داده شوند از میوهای آن **قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ**
مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ روزی را گویند که این آنست که روزی داده شدیم از پیش و آورده شوند بدان
مانند یکدیگر را و مر ایشانراست در بهشت جفتهای پاکیزه و ایشان در آن همیشه الوقوف الانهار ط رزقا لا ان قالوا جواب كلما متشابها ط خالدون ه
التفسير انه سبحانه لما ذكر ثم دلائل التوحيد والنبوة وانجر الكلام الى ذكر عقاب الكافرين شفع ذلك بذكر ثواب المؤمنين جريا على سننه
المعهود من ذكر الترغيب مع الترهيب وضم البشارة الى الانذار والجمع بين الوعد والوعيد والجنة والنار وهل هما الان مخلوقتان ام لا ظاهر الاية من نحو
قوله اعدت للمتقين اعدت للكافرين والاحاديث كقوله ﷺ في حديث صلوة الخسوف اني رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ورايت النار
فلم ار كاليوم منظرا قط يدل على وجودهما وكذا اسكان آدم وحواء الجنة وقد جمع الله في الاية جوامع اللذات من المسكن وهو الجنات ومن المطعم

هو الثمرات ومن المنكح وهو الازواج المطهرة ثم ازال عنهم نقص الزوال بقوله وهم فيها خالدون تماما للنعمة والحبور وتكميلا للبهجة والسرور
والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولهذا قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو
الذي اظهر سروره بخبره ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه فاما
قوله فبشرهم بعذاب اليم فمن باب التهكم والاستهزاء فان قيل على م عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلنا ليس الذي
اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب مشاكل من امر ونهي انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول
زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمروا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول معطوف على فاتقوا كقولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان
بني اسد باحساني اليهم قال بعض المحققين انه معطوف على قل مقدرا قبل يا ايها الناس فان تقدير القول في القرآن مع وجود القرينة غير عزيز
كقوله واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا ثم المامور في قوله وبشر اما الرسول واما كل من له اسيهال
ان يبشر والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة شعر كيف الهجاء وما تنفك صالحة: من آل لام بظهر الغيب تاتيني: واللام
واللام للجنس والمراد بالصالحات جملة الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف واستدل بهذه الاية من قال
ان الاعمال غير داخلة في مسمى الايمان والا لزم التكرار ولمن زعم ان الايمان هو المجموع ان يقول عطف بعض الاجزاء على الكل جائز لغرض من
الاغراض كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ثم ههنا مذاهب منهم من قال العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عقابا
استحقاقا عقليا واجبا وهو قول اهل السنة ولا يرد عليه اشكال ومنهم من زعم انه يستحق الثواب بالايمان والعمل الصالح بشرط ان لا يحبطهما المكلف
بالكفر والاقدام على الكبائر وبالندم على ما وجده من الطاعة وترك المعصية بدليل نحو قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وانما طوى ذكر هذا
الشرط في الاية للعلم به فانه قد تقرر في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وهذا
قول المعتزلة ومن يجري مجراهم ومنهم من احال القول بالاحباط لان من امن وعمل صالحا استحق الثواب الدائم فلو فرض احباط بكفره لاستحق
العقاب الدائم والجمع بينهما محال ولا يخفى ضعف هذا المذهب فان الامور بخواتيمها قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل اهل النار وانه من اهل الجنة و
يعمل عمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه والتركيب دائر على
معنى الستر كانها فعلة من جنه اذا ستره وسميت دار الثواب كلها جنة لما فيها من الجنان على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك
الجنان فلهذا انكرت والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال بردى نهر دمشق والنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب
على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي لان الجاري هو الماء وكذا من تحتها اي من تحت اشجارها وانزه البساتين واكرمها منظرا
ما كانت اشجارها مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولاها كانت كتماثيل لا روح فيها وصور لا حيوة لها وانما عرفت الانهار لان المراد بها الجنس
كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من
تعريف الاضافة مثل واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن الاية وكلما رزقوا اما صفة
ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف اي هم كلما رزقوا او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات
اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها وان تفاوتت الى غاية
لا يعلمها الا الله ومن في منها ومن ثمرة لابتداء الغاية كما لو قلت رزقني فلان فيقال من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة فتقول من الرمان
فالرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير
وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه اخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد
بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة لان التفاحة الواحدة مثلا يصدق عليها انها رزق كما ان نوع التفاح يصدق عليه ذلك بخلاف
ابتداء الرزق من الجنات فان ذلك انما يكون بنوع التفاح اولا وبالذات وبشخصه ثانيا وبالعرض لان التشخص امر زائد على حقيقة الشيء
فاعلم وانتصاب رزقا على انه مفعول ثان لرزقوا ومعنى هذا الذي اي هذا مثل الذي رزقنا من قبل نحو ابو يوسف ابو حنيفة لان ذات الذي رزقوه
في الجنة لا يكون هو ذات الذي رزقوه في الدنيا والضمير في قوله واتوا به يرجع الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا
من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين والغرض في تشابه ثمر الدنيا وثمر الاخرة ان الانسان بالمالوف انس والى المعهود اميل ولانه
اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد راى فيه مزية ظاهرة وفرط ابتهاج طال استعجابه وتبين كنه النعمة فيه فاذا ابصر الرمانة والنبقة
في الدنيا وحجمها ثم ابصر رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة كقلال هجر كما يروى ان الشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين
للفضل وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة
يرزقونها دليل على تناهي الامر في ظهور المزية وكمال الاستغراب في كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال
القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في واتوا به الى الرزق

كما ان

كان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه كما قال السدى وثوابهم فى كل الاوقات فى الغدو والعشى لا يزيد ولا ينقص واما ان الانسان اذا التذ بشئ واعجب به لا يتعلق نفسه الا بمثله فاذا جاءه بما يشبه الاول من كل الوجوه كان ذلك نهاية اللذة وعن الحسن ان الاشتباه فى اللون فقط قال يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذى وتيابه من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن النبى صلعم والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هى بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئتها الاولى قالوا ذلك ويحتمل ان يقال ان كمال السعادة الا فى معرفة ذات الله تع وصفاته وافعاله من الملائكة الكروبية والملائكة الروحانية وطبقات الارواح وعالم السموات بحيث يصير روح الانسان كالمرآة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل فى الدنيا ولكن لا يحصل بها كمال الالتذاذ والابتهاج لمكان العلائق بعد الموت وشاهد تلك المعارف قال هذه هى التى كانت حاصلة لى فى الدنيا ووجد كمال اللذة والسرور وقال اهل التحقيق لجنتهم جنة الوصول واشجارها هى الملكات الحميدة والاخلاق الفاضلة والثمرات ثمرات المكاشفات والمشاهدات والاسرار والاشراقات والالهامات وغيرها من المواهب وانهم يشاهدون احوال الاشياء فى صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيقول بعض المتوسطين منهم ان هذا المشاهد هو الذى شاهدته قبل هذا فيكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى حقيقة اخرى كما ان موسى عم شاهد نور الهداية فى صورة نار فيكون تارة تلك النار صفة غضبية كما كان لموسى اذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا وتارة تكون نار المحبة يقع فى محبوبات النفس فيحرقها وتارة تكون نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة فتخرق عليهم بيت وجودهم فافهم وايضا كل شئ له صورة فى الدنيا فله فى الاخرة معنى اخر غيبى كقوله عم فى دماء الشهداء اللون لون الدم والريح ريح المسك فاعلم قوله وَاُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا جملة معترضة تفيد زيادة التقرير كقولك فلان احسن الى فلان ونعم ما فعل والمراد بتطهير الازواج تطهيرهن من الاقذار والادناس لا سيما التى تختص بالنساء وكذا من الاخلاق الذميمة وعادات السوء وهما لغتان فصيحتان النساء فعلت وهن فاعلة والمعنى ولهم جماعة ازواج مطهرة وفى مطهرة فخامة لصفتهن ليست فيما لو قيل طاهرة وهى الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد لعباده ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم وههنا نكتة وهى ان المراة اذا حاضت فالله تع يمنع من مباشرتها فقال فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِى الْمَحِيضِ مع انها معذورة فى تنجسها فاذا كانت اللواتى فى الجنة مطهرات فلان يمنعك عنهن اذا كنت نجسا بالمعاصى مع انك غير معذور فيها كان اولى وايضا من قضى شهوته من الحلال فانه يمنع من الدخول فى المسجد الذى يدخل فيه كل بر وفاجر فمن قضى شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التى لا يسكنها الا المطهرون وكفى دليلا على ذلك باخراج ادم منها بسبب الزلة الصادرة عنه وايضا من كان على ثوبه ذرة من النجاسة لا يجوز صلوته ويستكره فكيف بمن صلى وعلى قلبه جبال من نجاسات الذنوب والمعاصى والخلد عند المعتزلة الثبات الدائم والبقاء اللازم الذى لا ينقطع بدليل قوله وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ نفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم ومنكم مَنْ يُرَدُّ اِلَى اَرْذَلِ الْعُمُرِ وعند الاشاعرة الخلد هو الثبات الطويل دام او لم يدم ولو كان التابيد داخلا فى مفهوم الخلد كان قوله خالدين فيها ابدا تكرارا ويقال فى العرف حبسه حبسا مخلدا او وقفه وقفا مخلدا والحوان خوف الانقطاع ينقص النعمة وذلك لا يليق باكرم الاكرمين

اِنَّ اللّٰهَ لَا يَسْتَحْيِى اَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَاَمَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فَيَعْلَمُوْنَ اَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّهِمْ وَاَمَّا الَّذِيْنَ

بدرستيكه خدا را شرم نيايد كه بزند مثلى را به پشه و پس آن را برتر پس اما آنها كه گرويده اند پس ميدانند كه آن حق واز جانب پروردگار است واما آنها

كَفَرُوْا فَيَقُوْلُوْنَ مَاذَا اَرَادَ اللّٰهُ بِهٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهٖ كَثِيْرًا وَّيَهْدِىْ بِهٖ كَثِيْرًا وَمَا يُضِلُّ بِهٖٓ اِلَّا الْفٰسِقِيْنَ

كه كافر شده اند پس ميگويند كه چه خواسته است خدا باين مثل كه گمراه شوند از آن بسيارى و راه يابند از آن بسيارى و گمراه نشوند و بآن مگر فاسقان

الَّذِيْنَ يَنْقُضُوْنَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْۢ بَعْدِ مِيْثَاقِهٖ وَيَقْطَعُوْنَ مَآ اَمَرَ اللّٰهُ بِهٖٓ اَنْ يُّوْصَلَ وَيُفْسِدُوْنَ فِى الْاَرْضِ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ

آنانكه ميشكنند انها پيمان خداوندى را پس از محكم كردن و ميبرند آنچه را كه فرمان داده است خدا كه پيوند كنند وفساد ميكنند در زمين آن گروه ايشانند زيانكاران

الوقوف فما فوقها ج من ربهم ج لان الجملتين وان اتفقتا فكلمة اما للتفصيل بين الجمل مثلا م لانه لو وصل صار ما بعده صفة له وليس بصفة انما هو ابتداء اخبار من الله عز وجل جوابا لهم ويهدى به كثيرا ط الفاسقين لا لان الذين صفتهم ميثاقه ص لعطف المتفقتين فى الارض ط الخاسرون التفسير لما بين كون القران معجزا اورد شبهة اوردها الكفار قدحا فى ذلك واجاب عنها عن ابن عباس لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعنى قوله مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وقوله او كصيب قالوا الله اجل واعلى من ان يضرب الامثال فانزل الله هذه الاية وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود به وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزلت والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واخناس الارض وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة فى حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجرأ من الذباب واضعف من بعوضة وكلفتنى مخ البعوض ولقد ضربت الامثال فى الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان حب يخالط البر وكحبة خردل والنخل والحصاة والارضة والدود والزنابير فقال مثل ملكوت السماء كمثل زرع فى قريته حنطة جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة فلما نبت الزرع واشتد غلب عليه الزوان فقال عبيد الزارع يا سيدنا

البس حنطة جيدة نقية زرعت فی تربتك فقال بلی قالوا فمن این هذا الزوان قال لعلکم ان ذهبتم ان تقلعوا الزوان تقلعوا معه حنطة دعوهما یتربیان جمیعا حتی الحصاد فامر الحصادین ان یلتقطوا الزوان من الحنطة وان یربطوه حزما ثم یحرق بالنار ویجمعوا الحنطة الی الجرین وافسر لکم ذلك الرجل الذی زرع الحنطة الجیدة هو ابو البشر والقریة هی العالم والحنطة الجیدة النقیة هو ابناء الملکوت الذین یعملون بطاعة الله و بعد والذی یزرع الزوان هو ابلیس والزوان المعاصی التی تزرعها ابلیس واصحابه والحصادون هم الملائکة یترکون الناس حتی یدنو آجالهم فیحصدون اهل الخیر الی ملکوت الله واهل الشر الی الهاویة وکما ان الزوان یلتقط ویحرق بالنار فکذلك رسل الله وملائکته یلتقطون من ملکوته المتکاسلین وجمیع عمال الاثم فیلقونهم فی اتون الهاویة فیکون هنالك البکاء وصریف الاسنان ویکون الابرار هنالك فی ملکوت ربهم من کانت له اذن تسمع فلیسمع وقال اضرب لکم مثلا آخر یشبه ملکوت السماء رجلا اخذ حبة الخردل وهی اصغر الحبوب فزرعها فی قریته فلما نبتت عظمت حتی صارت کاعظم شجرة من البقول وجاء طیر السماء یعشش فی فروعها فکذلك الهدی من دعا الیه ضاعف الله اجره وعظمه ورفع ذکره ونجا به من اهتدی وقال لا تکونوا کالمنخل یخرج منه الطیب ویمسك النخالة کذلك انتم تخرج الحکمة من افواهکم ویبقون الغل فی صدورکم وقال قلوبکم کالحصاة التی لا ینضجها النار ولا یلینها الماء ولا یقصفها الریاح وقال لا تدخروا ذخائرکم حیث یأکلها السوس ... عباد الله تحفر فتجدن علیها لباسها وهناك رزقها وهن لا یغزلن ولا یتخصصن ومنهن ما هو فی جوف الحجر الاصم وفی جوف العود من یاتیهن بلباسهن و رزقهن الا الله افلا تعقلون وقال لا تثیروا الزنابیر فتلدغکم کذلك لا تخاطبوا السفهاء فیشتموکم هذا ونحن نری ان الانسان یذکر معنی فلا یلوح کما ینبغی فاذا ذکر المثال اتضح وانکشف وذلك لان من طبع الخیال حب المحاکاة فاذا ذکر المعنی وحده ادرکه العقل ولکن مع منازعة الخیال واذا ذکر التشبیه معه ادرکه العقل مع معاونة الخیال ولا شك ان الثانی یکون اکمل واذا کان التمثیل یفید زیادة البیان والوضوح وجب ذکره فی الکتاب الذی نزل تبیانا لکل شیء ثم ان الله تعالی هو الذی خلق الکبیر والصغیر وحکمته فی کل ما خلق وبرء عامة بالغة ولیس الصغیر اخف علیه من الکبیر ولا الکبیر اصعب علیه من الصغیر فالمعتبر اذن ما یلیق بالقصة فاذا کان اللائق بها الذباب والعنکبوت یحسن ضرب المثل وهنه فکیف یضرب بالفیل وبشیء مستحکم النسج والصفاقة وهذا مما لا یخفی علی من به ادنی مسکة ولکن دیدن المحجوج المبهوت دفع الواضح وانکار المستقیم وکم من عائب قولا صحیحا وآفته من الفهم السقیم والحیاء تغیر وانکسار یعتری الانسان من تخوف ما یعاب به ویذم واشتقاقه من الحیوة یقال حیی الرجل کما قال نسی وخشی اذا اشتکی النسا والحشا وکأن الحیی صار منتقص القوة منتکس الحیوة وقد عرفت فی الاسماء الحسنی ان امثال هذه الصفات انما یجوز ان یطلق علی الله تعالی بعد الاذن الشرعی باعتبار النهایات لا باعتبار المبادی فی حدیث سلمان قال رسول الله صلعم ان الله حیی کریم یستحیی اذا رفع الیه العبد یدیه ان یردهما صفرا حتی یضع فیهما خیرا انما جاء علی سبیل التمثیل لانه مثل ترکه تخییب العبد بترك من یترك رد المحتاج الیه حیاء منه ومعنی قوله ان الله لا یستحیی ان لا یترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من یستحیی ان یمثل بها لحقارتها ویجوز ان یقع هذه العبارة فی کلام الکفرة فقالوا اما یستحیی رب محمد ان یضرب مثلا بالذباب والعنکبوت فجاءت علی سبیل المقابلة والطباق وهو فن فی البدیع قال ابو تمام شعر من مبلغ افناء یعرب کلها : انی بنیت الجار قبل المنزل : فلولا بناء الدار لم یصح بناء الجار وقد استعیر الحیاء فیما لا یصح فیه شعر اذا ما استحیر الماء یعرض نفسه کرعن بسبت فی اناء من الورد فیصف کثرة میاه الامطار فی طریقه وانه انما ذهب رأی الماء وکأنه یعرض نفسه علی النوق فیستحیی فتکرع فیه مشافرها والسبت هو الجلد المدبوغ بالقرظ وشبه الارض وفیها الماء وحوالیه الازهار باناء من الورد وفیه لغتان استحییت منه واستحییته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفی الحدیث اضطرب رسول الله صلعم خاتما من ذهب وما هذه ابهامیة اذا اقترنت باسم نکرة زادته شیاعا وعموما کقولك اعطنی کتابا ما ترید ای کتاب کان او صلة للتاکید کالتی فی قوله فبما نقضهم ای مثلا حقا وامر لبته وانتصب بعوضة بانها عطف بیان لمثلا وذلك لما یضرب به المثل فهو مثلا کما یقال الحاتم مثل فی الجود ومفعول لیضرب ومثلا حال عن النکرة مقدمة علیها او انتصبا مفعولین لجری ضرب مجری جعل والبعوض فی اصله صفة علی فعول من البعض القطع فغلبت ومنه بعض الشیء لانه قطعة منه وفی معناه البضع والعضب ومن غرائب خلقته انه مع صغره اعطی کل ما اعطی الفیل مع کبره ففیه اشارة الی ان خلق احدهما لیس اصعب من خلق الاخر واشارة الی حالة الانسان وکمال استعداده کما قال صلعم ان الله خلق آدم علی صورته ای علی صفته فاعطاه علی ضعفه من کل صفة من صفات جماله وجلاله انموذجا لیشاهد فی مرآة نفسه جمال صفاته ومن العجائب ان خرطومه فی غایة الصغر ومع ذلك مجوف ومع فرط صغره وکونه مجوفا یغوص فی جلد الجاموس والفیل علی ثخانته کما یضرب الرجل اصبعه فی الخبیص وذلك لما رکب الله تعالی فی راس خرطومه من السم وقوله فما فوقها ای فالذی هو اعظم منها فی الجثة کالذباب والعنکبوت والحمار والکلب فان القوم انکروا تمثیل الله بکل هذه الاشیاء او اراد فما فوقها فی الصغر کجناح البعوضة حیث ضربه صلعم مثلا للدنیا وهذا اولی لان الآیة نزلت فی بیان ان الله تعالی لا یمتنع من التمثیل بالشیء الحقیر فیجب ان یکون المذکور ثانیا احقر من الاول والفاء ههنا یفید الترتیب فی الذکر لانه یذکر فی هذا المقام الاخس فالاخس کقوله رحم الله المحلقین فالمقصرین ... بالقصار ... فالشدة لانه مذکر فی تعریفها الامکنة الاخص فالاعم فکان العلیا موضع سبع یشتمل علی مواضع منها السند واما حرف فیه معنی الشرط ولذلك یجاب بالفاء وفائدته التوکید تقول زید ذاهب فاذا قصدت التوکید ان الذهاب منه عزیمة قلت اما زید فذاهب ولذلك قال سیبویه فی تفسیره مهما

يكن من شيء فزيد ذاهب ليس مراده من هذا التفسير ان اما بمعنى مهما كيف وهذه حرف ومهما اسم بل قصده الى المعنى البحت اى ان يكن في الدنيا شيء لم
يوجد فهذا ثابت يفيد هذا الجزم بوقوع ذهابه لانك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول اى شيء في الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول
شيء فيها ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم
انه الحق ونعي على الكافرين بسببهم بالكلمة الحمقاء الحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر ثبت ووجب والضمير في انه الحق للمثل ولان يضرب وما
ذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما
واحدا فيكون منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله جوابه على الاول مرفوع وعلى الثاني منصوب وقد يجيء على العكس كما تقول
في جواب من قال ما رأيت خيرا اى المرئي خير وفي جواب ما الذي رأيت خيرا اى رأيت خيرا والارادة نقيض الكراهة قال الامام الرازي الارادة
ماهية يجدها العاقل من نفسه ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين علمه وقدرته والمه ولذته فالمتكلمون انها صفة تقتضي رجحان احد طرفي
الجائز على الآخر لا في الوقوع بل في الايقاع واحترز بهذا القيد الاخير عن القدرة واختلفوا في كونه تعالى مريدا مع اتفاق المسلمين على اطلاق
هذا اللفظ على الله تعالى فزعم النجار انه معنى سلبي ومعناه انه غير ساه ولا مكره ومنهم من قال انه ثبوتي ثم اختلفوا فالجاحظ والكعبي وابو الحسن
البصري معناه علمه تعالى باشتمال الفعل على المصلحة او المفسدة ويسمون هذا العلم بالداعي او الصارف والاشاعرة وابو علي وابو هاشم واتباعهما
انه صفة زائدة على العلم ثم القسمة في تلك الصفة انها اما ان تكون ذاتية وهو القول الاخر للنجار واما ان تكون معنوية وذلك المعنى اما
ان يكون قديما وهو قول الاشعري او محدثا وذلك المحدث اما ان يكون قائما بالله تعالى وهو قول الكرامية او قائما بجسم آخر ولم يقل به احد
او موجودا لا في محل وهو قول ابي علي وابي هاشم واتباعهما وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله
بن عمرو بن العاص حين افتى بنقض ذوائب النساء في الاغتسال يا عجبا لابن عمرو وهذا تحقيره ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث
ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال نحو هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما واهل الهدى كثير في انفسهم وفي الحقيقة وحيث يوصفون بالقلة وقليل من عبادي
الشكور وقليل ما هم انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال والثاني فان المهتدين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة ان الكرام
كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب البعيد لانه لما ضرب المثل ازداد به المؤمنون
نورا الى نورهم فتسبب لهديهم وازدادت الكفرة رجسا الى رجسهم فتسبب لضلالهم عن الحق والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا
عن قصدها جوائرا يهوين في نجد وغورا غائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو عند اهل السنة من اهل الايمان
الا انه عاص وعند الخوارج كافر وعند المعتزلة نازل بين المنزلتين لان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن
في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا يقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة
لا تجزي خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يعني اللمز
والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون والنقض الفسخ وفك التركيب وانما ساغ استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد
بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا كقولك عالم يغترف منه الناس فتنبه بالاغتراف على العالم
بانه بحر لنكته عن المستعار لانه رمز اليه بذكر شيء من روادفه والعهد الموثق عهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد بالناقضين ما كل
من ضل وكفر لانهم نقضوا عهد الله برهنة الله بما اراهم في الآفاق وفي انفسهم وبما ركز في عقولهم من اقامة البينة على الصانع وعلى حقية شرائعه
بعد ان اعترفوا بالعلامات وازالة الشبهات واما قوم من اهل الكتاب فقد اخذ عليهم العهد والميثاق في الكتب المنزلة على انبيائهم بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم و
بين لهم امره وامر امته فنقضوا ذلك واعرضوا عنه وجحدوا نبوته وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الذي اخذه على جميع ذرية آدم
واذ اخذ ربك الآية وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
وعهد خص به العلماء واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد والميثاق اما
بمعنى التوثقة كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة واسم لما وثقوا به عهد الله من قبوله والزام انفسهم ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اى من بعد
توثقته عليهم او من بعد ما وثق الله تعالى به عهده من آياته وكتبه ورسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم ما بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرابة والرحم او قطعهم موالاة المؤمنين الى موالاة الكافرين او قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع
على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو
اليه من يتولاه شبه بامر يأمره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مأمور به والامر حرف واحد وهو اللام الجازم نحو ليفعل
وصيغ مخصوصة للمخاطب نحو انزل وانزلوا وصه قد يستعمل في الدعاء والالتماس بمعونة القرينة وظاهره الوجوب وغيره من الندب والاباحة
يتوقف على القرينة وقوله ان يوصل بدل الاشتمال من الضمير المجرور والجار الذي ينبغي ان يعاد مقدر تقديره بان يوصل اى بوصله والا



فساد في الارض اما الطفها فالمعاصي واما اشنعها فاثارة الفتن اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ في قوله لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع

بالوصل والافساد بالاصلاح وعقاب هذه الامور بثوابها اِنَّ الْاِنْسَانَ لَفِيْ خُسْرٍ اِلَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ الاٰية

كَيْفَ تَكْفُرُوْنَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا فَاَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيْتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ هُوَ الَّذِيْ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي

چگونه کافر میشوید بخدا و بودید مردگان پس زنده کرد شمارا پس بمیراند شمارا پس زنده می گرداند شمارا پس بسوی او بر می گردید او است آنکه آفرید برای شما آنچه در

الْاَرْضِ جَمِيْعًا ثُمَّ اسْتَوٰى اِلَى السَّمَآءِ فَسَوّٰهُنَّ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ القراءة فاحياكم وبابه على ترجعو بالامالة

زمین همه را پس همت گماشت بجانب آسمان پس پیدا فرید آنها را هفت آسمان و او بهر چیزی داناست بفتح التاء وكسر الجيم كل القران يعقوب

وهو وبابه بسكون الهاء ابو جعفر ونافع غير ورش وعلي وابو عمرو الوقوف فاحياكم للعدول ثم هو يميتكم مع اتحاد مقصود الكلام ترجعون ط

سموات ط عليم التفسير هذه الاية مسوقة لبيان التعجب من حال الكفرة وذلك ان الاستفهام من علام الغيوب يمتنع اجراؤه على اصله فيتولد

بمعونة قرائن الاحوال ما ذكرنا ووجهه هو ان الكفار حين صدر والكفر منهم لا بد من ان يكونوا على احد الحالين اما عالمين بالله واما

جاهلين به فلا ثالث فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله من المعلوم ان كيف للسؤال عن الحال وللكفر مزيد اختصاص من بين سائر الاحوال

الكافر بالعلم بالصانع والجهل به لانه لا يمكن تصور كفر الكافر بالصانع مع الذهول عن كونه عالما بالله وجاهلا به بخلاف سائر احواله المتقابلة

كالقعود والقيام والسكون والحركة فانه يمكن تصور كفره مع الذهول عنها وان كان لا ينفك الكافر في الوجود عنها كما لا ينفك من العلم

بالصانع او الجهل في الوجود توجه الاستفهام الى ذلك الذي له مزيد اختصاص فافاد الاستفهام اي في حال العلم بالله تكفرون ام في حال الجهل

لكن الجهل بعيد عن العاقل لان الحال حال علم بهذه القصة وهي ان كانوا امواتا فصاروا احياء وسيكون كذا والحال كذا من الاماتة ثم الاحياء

ثم الرجع اليه فبقي ان يكون الحال حال العلم بالصانع الموجبة للصرف عن الكفر فصدور الفعل عمن له صورة اختيار في الترك مع الصارف القوي

مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ وكانه قيل ما اعجب كفركم والحال انكم عالمون بهذه القصة وهي ان كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم

ثم يميتكم بعد هذه الحيوة وهذه مما لا ايشك فيها لانها من المشاهدات ثم يحييكم حين ينفخ في الصور وحين تسئلون في القبور ثم اليه اي الى

حكمه ترجعون اي بعد الحشر للثواب والعقاب ومرقودكم وهذه القضايا ايضا مما لا ايشك فيها لنصب الادلة وازاحة العلة والاموات

جمع ميت كالاقوال جمع قيل وقد يطلق الميت على الجماد كقوله بلدة ميتا ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس و

يحتمل ان يقال المراد به خمول الذكر كقوله هَلْ اَتٰى عَلَى الْاِنْسَانِ حِيْنٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُوْرًا قال ابو بجيلة السعدي واحييت لي

ذكري وما كنت خاملا ÷ ولكن بعض الذكر انبه من بعض ÷ ولا يخفى ان الاية بالنسبة الى العامة فاما بعض الناس فقد اماتهم ثلث مرات فاماته

الله مائة عام ثم بعثه فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ثُمَّ بَعَثْنٰكُمْ مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ وَكَذٰلِكَ بَعَثْنٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوْا بَيْنَهُمْ وَاٰتَيْنٰهُ

اَهْلَهٗ وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ واعلم ان هذه الاية دالة على امور منها اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر العالم الحي السميع البصير الغني عما سواه

ومنها الدلالة على انه لا قدرة على الاحياء والاماتة الا الله فيبطل قول الدهري في مَا يُهْلِكُنَآ اِلَّا الدَّهْرُ ومنها الدلالة على صحة الحشر والنشر

مع التنبيه على الدليل العقلي الدال عليه لان الاعادة اهون من الابداء ومنها الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب ومنها الدلالة على

وجوب الزهد في الدنيا لانه قال فاحياكم اي بعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة اخرى بينهما ثم يميتكم بعد انقضاء مهلة الحيوة ثم بين انه

لا يترك على هذا الموت بل لا بد من حيوة ثانية للسؤال والحشر ثم من الرجوع اليه للثواب والعقاب فبين سبحانه انه بعد ما كان نطفة

فانه احياه وصوره واحسن صورته وجعله بشرا سويا واكمل عقله وبصره بانواع المضار والمنافع وملكه الاموال والاولاد والدور

القصور ثم انه تعالى يزيل كل ذلك عنه باماتته ويصيره بحيث لا يملك شيئا ولا يبقى منه في الدنيا اثر ولا عين خبر ويبقى مدة مديدة في اللحد

وَمِنْ وَّرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ اِلٰى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَ ينادى فلا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم لا يزوره الاقربون بل ينساه الاهل والبنون شعر اقاربي

بجذاء قبري كان اقاربي لم يعرفوني الهي اذا قمنا من ثرى الاجداث مغبرة رؤسنا شاحبة وجوهنا جائعة بطوننا مثقلة من حمل الاوزار

ظهورنا بادية لاهل القيمة سوأتنا فلا تضعف مصائبنا باعراضك عنا يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ولما ذكر الله نعم

في الاية الاولى اصل جميع النعم وهو الاحياء الذي من حقه ان يشكر ولا يكفر اعقبها بذكر ما هو كالاصل لسائر النعم وهو خلق الارض بما

فيها وخلق السماء ومعنى لكم لاجلكم ولانتفاعكم في دنياكم وذلك ظاهر وفي دينكم من النظر في عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم

ومن التذكير للاخرة وثوابها وعقابها لاشتمالها على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب الحسنة البهية

وعلى اسباب الوحشة والالم من النيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف فظاهر الاية لا تدل الا على خلق ما في

الارض لاجلهم دون الارض فان اريد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد به الجهات العلوية جاز ان يراد خلق لكم

الارض وما فيها وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني وهو ما اي مجموعة والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا وان لم يجعل كالشيء الواحد

ويندرج فيها جميع البسائط من الماء والهواء والنار وجميع المواليد من المعادن والنبات والحيوان وجميع الصنائع والحرف واستدل بعضهم

بهذا على

بهذا على ان الاصل في الاشياء الاباحة عقلا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها ويمكن ان يقال بل بهذه الآية والا كان تصرفا في ملك الغير من غير اذنه ولا يلزم من انه تعالى خلق ما في الارض لاجل المكلفين ان يكون فعله معللا بالغرض فانه وان كان لا يخلو من فائدة وغاية والا كان عبثا لانه لا يلزم من استتباع الفعل الغاية ان يكون تلك الغاية علة لعلية فاعله لان هذا انما اذا كانت فاعليته ناقصة تستكمل بتلك الغاية اما اذا كانت فاعليته تامة فانه يوجد الشيء ذا الغاية من غير ان تكون تلك الغاية حاملة له على ذلك وهذا فرق دقيق يتنبه له من يسر عليه فقيل انه تعالى خلق الكل للكل فلا يكون لاحد اختصاص بشيء اصلا قلنا قابل الكل بالكل فيقتضي مقابلة الفرد للفرد والتعيين يستفاد من دليل منفصل والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام وانه تعالى منزه عن ذلك وايضا ثم يقتضي التراخي فلو كان المراد بهذا الاستواء العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا اولا ولم يكن متأخرا عن خلق ما في الارض فيجب التأويل وتقريره انه يقال استوى العود اذا اعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى الى فوق وهذا كقولك لآخر اعمل هذا الثوب وانما معناه على انها كانت دخانا ثم سواها سبع سموات وثم ههنا اما للتراخي في الوقت والمراد انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر كما قلنا او للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السموات على خلق الارض كقوله فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر وكقوله ثم كان من الذين آمنوا وتفسير هذه الآية في قوله قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ يعني تقدير الارض في يومين كما يقول القائل من الكوفة الى المدينة عشرون والى مكة ثلثون يريد ان جميع ذلك هذا القدر ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ في يومين ومجموع ذلك ستة ايام فان قيل اما ينافي هذا قوله وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا قلنا اجاب في الكشاف بان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وزيف بان الارض جسم عظيم يمتنع انفكاك خلقها عن التدحية وايضا قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء يدل ان خلق الارض وخلق ما فيها مقدم على خلق السماء لكن خلق الاشياء في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة وقال بعض العلماء في دفع التناقض قوله وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا يقتضي تقدم خلق السماء على الارض ولا يقتضي ان يكون تسوية السماء مقدمة على خلق الارض وزيف ايضا بان قوله أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا يقتضي ان يكون خلق السماء وتسويتها مقدما على تدحية الارض بل على خلقها الا انها مثلا زمان وح يعود التناقض والمعتمد عند بعضهم في دفعه ان يقال ثم ليس للترتيب ههنا وانما هو على جهة تعديد النعم مثاله ان تقول لغيرك أليس قد اعطيتك النعم العظيمة ثم دفعت عنك الخصوم ولعل بعض ما اخرته في الذكر مقدم في الوقوع قلت وهذا صحيح معقول من حيث ابتداء الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف ان ساعده النقل والا فلا احالة في انه تعالى خلق الارض اولا في غاية الصغر وجعل فيها اصول الجبال ووضع فيها البركة وقدر الاقوات ثم استوى الى السماء فسويهن سبعا ثم دحا الارض بان جعلها اعظم مما كانت عليه كهيئتها الآن والله تعالى اعلم والضمير في سويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره نحو ربه رجلا وفائدة الابهام اولا ثم البيان ثانيا ان الكلام هكذا اوقع في النفس لان المحصل بعد الطلب اعز من المنساق بلا تعب وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور واتمام خلقهن وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب الحاجات وكفاء المصالح ومقتضى الحكمة والتدبير وهذا عام لم يدخله التخصيص قط وبه يهدم بناء من زعم انه غير عالم بالجزئيات لانه تعالى لو لم يعرف تفاصيلها لم يمكن مخلوقة على غاية الاتقان والاحكام فسبحانه من خبير يعلم الدر في الاجواف والدرة في الاصداف والقطرة في البحر والخطرة في النحر وهذا يدور عليه نظام العالم وبه يحصل قوام مناهج بني آدم ثم ان العقل قد يدل على وجود سبع سموات وتخصيص عدده بالذكر لا يدل على نفي الزائد فاثبت اهل الارصاد تسعة افلاك على ما استقر عليه رأيهم اولها من الجانب الاعلى للحركة اليومية لان هذه الحركة تشمل جميع الاجرام فيجب ان يكون فلكها حاويا بالكل وثانيها للثوابت جميعها لتحدد الادنى الدرجات لاتحاد الحركات وان كان كونها على افلاك شتى جائزا والسبعة الباقية للسيارات السبعة جميع ذلك بوجود اختلاف المنظر وعدمه وعلى ترتيب ضعف بعضها بعضا اولها مما يلينا للقمر وفوقه للعطارد ثم للزهرة ثم للشمس ثم للمريخ ثم للمشتري ثم لزحل ونازعهم بعض الناس في زيادة الفلكين الثامن والتاسع فقال من المحتمل ان يتصل نفس بمجموع السبعة فيحركها حركة الكل ثم يكون لكل فلك نفس على حدة تحركه حركة الخاصة ويكون الثوابت على محدب ممثل زحل مثلا وبالجملة فلم يتبين لاحد من الاوائل والاواخر كمية اعداد السموات على ما هي عليه لا عقلا ولا سمعا وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ

صدق الله العلي العظيم — وچون گفت پروردگار تو مر فرشتگان را كه من قرار دهنده ام در زمين جانشينی را گفتند كه آيا قرار دهی در زمين كسی را

ع

وتقدير الاقوات في يومين



مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ القراءة خليفة وشبهه

کسی را که فساد کند در ان و بریزد خونها را و حال انکه ما تسبیح میگوئیم بستایش تو و تقدیس کنیم از برای تو گفت که من میدانم انچه را که شما نمیدانید بالامالة عند الوقف

ابو عمرو وحمزة وعلى والاعشى والبرجمي الا ان يكون قبلها من الحروف الموانع السبع وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف نحو خاصة وبضة وحظة وغلظة وضبغة وصاخة وشقة واما العين والحاء والراء فعلى الاختلاف عن اهل المدينة فاشدهم امالة حمزة وعلى فاما ابو عمرو والاعشى والبرجمي فانهم يميلون بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب انى اعلم بفتح الياء ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الوقوف خليفة ط بناء على ان عامل اذ محذوف اى اذكر ومن جعل قالوا عاملا اذ وصل الدماء ج لان انتهاء الاستفهام على قوله يسفك الدماء يقتضى الفصل واحتمال الواو لمعنى الحال فى قوله ونحن نسبح بحمدك يقتضى الوصل ونقدس لك ط ما لا تعلمون التفسير هذا ابتداء الاخبار عن كيفية خلق آدم ع وعن كيفية تعظيمه اياه فينخرط فى سلك ما تقدم من النعم فان النعمة على الآباء نعمة على الابناء واذ ههنا مجرد لمعنى الظرف فيه اى اذكر وقت قول ربك كقوله ثم اذكر اخا عاد اذ انذر اى وقت انذاره على انه بدل من اخا عاد لان الذكر فى ذلك الوقت ممتنع والخطاب للنبى ص او لكل احد من بنى آدم ويجوز ان ينتصب بقالوا فيكون للمجازاة والملائكة جمع ملأك واصله مألك بتقديم الهمزة من الالوكة وهى الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك وجمع على فعائل مثل شمائل ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال والقيت حركتها على اللام والحاق التاء لتانيث الجمع نحو حجارة وقد لا تلحق واعلم ان الملك قبل النبى بالشرف والعلية وان كان بعده فى عقولنا واذهاننا وقد جعله الله واسطة بينه وبين رسله فى تبليغ الوحى والشريعة وقدم الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالانبياء والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا خلاف بين العقلاء فى ان شرف العالم العلوى بالملائكة كما ان شرف العالم السفلى بوجود الانبياء فيه وللناس فى حقيقة الملائكة مذاهب فمنهم من زعم انها اجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات وهو قول اكثر المسلمين ومنهم عبدة الاوثان القائلون ان الملائكة هى هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والاتحاس وانها احياء ناطقة فالمسعدات ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب ومنهم معظم المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة وانهما عندهم جوهران حساسان مختاران قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقى طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحيى ولا يبلى وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة عن الحكيم والضوء من المضيئ وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه ومنهم القائلون بانها جواهر غير متحيزة ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم طوائف من النصارى انها هى الانفس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت صافية خيرة فالملائكة وان كانت خبيثة كثيفة فالشياطين وقال آخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية وانها اكمل قوة واكثر علما ونسبتها الى النفوس البشرية نسبة الشمس الى الاضواء فمنها نفوس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من اثبت نوعا آخر من الملائكة وهى الارضية المدبرة لاحوال العالم السفلى خيرها الملائكة وشريرها الشياطين ولكل من الفرق دلائل على ما ذهب اليه يطول ذكرها ههنا وقد يستدل عليها اصحاب المجاهدات من جهة المكاشفة واصحاب الحاجات والضرورات من جهة مشاهدة الآثار العجيبة والهداية الى المعالجات النادرة الغريبة والتركيب المعجونات واستخراج صنعة الترياقات كما يحكى انه كان لجالينوس وجع الكبد فرأى فى المنام كأن آمرا يأمره ان يفصد الشريان الذى على ظهر كفه اليمنى بين السبابة والابهام ففعل فعوفى ومما يدل على ذلك حال الرؤيا الصادقة ولا نزاع البتة بين الانبياء ع فى اثبات الملائكة وذلك كالامر المجمع عليه بينهم واما شرح كثرتهم فقد قال ص اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروى ان بنى آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل فى مقابلة ملائكة الكرسى نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التى عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيها فانها كلها يكون شيئا يسيرا وقدرا قليلا وما مقدار موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء فى مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة فى البحر ولا يعرف عددهم الا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل ع والملائكة الذين هم جنود جبرئيل ع وهم كلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون واما اصنافهم فمنهم حملة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنهم اكابر الملائكة جبرئيل صاحب الوحى والعلم وميكائيل صاحب الرزق والغذاء واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل ملك الموت ومنهم ملائكة الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ومنهم ملائكة النار عليها تسعة عشر ومنهم الموكلون ببنى آدم عن اليمين وعن الشمال قعيد ومنهم الموكلون باحوال هذا العالم والصافات صفا واما اوصافهم فكما قال امير المؤمنين على ع منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضائه

اطت الابل اى صوتت من ثقل حملها

عليهم

وامر ميهم

والمرة ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من
الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة
واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر ثم انه روى
الضحاك عن ابن عباس انه سبحانه انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع ابليس لان الله تعالى لما اسكن الجن الارض فافسدوا
فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس في جند من الملائكة فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم اني جاعل
في الارض خليفة وقال الاكثرون من الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة الملائكة من غير تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم والتخصيص
خلاف الاصل وجاعل من جعل الذي له مفعولان ومعناه مصير في الارض خليفة وانما لم يقل اني خالق كما قال اني خالق بشرا من طين لانه باعتبار
الخلافة من عالم الامر لا من عالم الخلق والظاهر ان الارض يراد بها ما بين الخافقين وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض ههنا ارض مكة التي دحيت
الارض من تحتها والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وجمعه خلائف مثل كريمة وكرائم
وجاء خلفاء لانهم جمعوه على اسقاط الهاء مثل ظريف وظرفاء والمراد به آدم عليه السلام اما لانه صار خليفة لاولئك الجن الذين تقدموه ويروى
ذلك عن ابن عباس واما لانه يخلف الله في الحكم بين خلقه كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وهو
المروي عن ابن مسعود والسدي وعن الحسن المراد بالخليفة ابناء آدم لانه يخلف بعضهم بعضا ويؤيده قوله وهو الذي جعلكم خلائف الارض
وانما وحد بناء على من يخلف او خلفا يخلف وبالحقيقة الانسان يخلف جميع المكونات من الروحانيات والجسمانيات والسماويات والارضيات
ولا يخلفه شيء منها اذ لم يجتمع في شيء منها ما اجتمع فيه وليس للعالم مصباح يضيء بنار نور الله فيظهر انوار صفاته خلافة عنه الا مصباح
الانسان لانه اعطي مصباح السر في زجاجة القلب والزجاجة في مشكوة الجسد وفي زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها من صفاء العقل يضيء ولو لم تمسسه
نار نور وفي مصباح السر فتيلة الخفي فاذا استنار مصباحه بنار نور الله كان خليفة الله في ارضه فيظهر انوار صفاته في هذا العالم بالعدل
والاحسان والرافة والرحمة واللطف والقهر ولا يظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك فاعلم والفائدة في اخبار الملائكة بذلك اما
تعليم العباد المشاورة في امورهم وان كان هو بحكمته البالغة غنيا عن ذلك واما ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا واعلم ان الجمهور
من علماء الدين على ان الملائكة كلهم معصومون عن جميع الذنوب لقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون فلا شيء
من المامورات بل ومن المنهيات لان المنهي مامور بتركه الا ويدخل فيه بدليل صحة الاستثناء وايضا لقوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون الى غير ذلك من الآيات وطعن فيهم بعض الحشوية بانهم قالوا اتجعل والاعتراض
على الله من اعظم الذنوب وايضا نسبوا بني آدم الى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكبائر وايضا مدحوا انفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك
وهو عجب وايضا قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا اعتذار والعذر دليل الذنب وايضا قوله تعالى ان كنتم صادقين دل على انهم كانوا كاذبين فيما
قالوه وايضا قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض يدل على انهم كانوا مرتابين في انه تعالى عالم بكل المعلومات وايضا علمهم بالافساد
وسفك الدماء اما بالوحي وهو بعيد لانه لم يكن لاعادة الكلام فائدة واما بالاستنباط والظن وهو منهي عنه لقوله ولا تقف ما ليس لك به علم
وايضا قصة هاروت وماروت وان ابليس كان من الملائكة المقربين ثم عصى الله وكفر والجواب عن اعتراضهم على الله ان غرضهم من ذلك
السؤال لم يكن هو الانكار ولا تنبيه الله على شيء لا يعلمه فان هذا الاعتقاد كفر وانما المقصود من ذلك امور منها ان الانسان اذا كان قاطعا
بحكمة غيره ثم رآه يفعل فعلا لا يهتدي ذلك الانسان الى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجبا فكانهم قالوا اعطاء هذه النعم العظام من
يفسد ويسفك لا تفعله الا لوجه دقيق وسر غامض فما ابلغ حكمتك ومنها ان ايراد الاشكال طلبا للجواب غير محذور فكانه قيل الهنا انت الحكيم
الذي لا يفعل السفه البتة وتمكين السفيه من السفه قبيح من الحكيم فكيف يمكن الجمع بين الامرين وهذا جواب المعتزلة واستدلوا به على ان
الملائكة لم يجوزوا صدور القبيح من الله تعالى فكانوا على مذهب اهل العدل قالوا ومما يؤكد ذلك انهم اضافوا الفساد وسفك الدماء
الى المخلوقين لا الى الخالق وايضا قالوا ونحن نسبح بحمدك والتسبيح تنزيه ذاته عن صفة الاجسام ونقدس لك والتقديس تنزيه افعاله عن صفة الذم
ونعت السفه ومنها ان الخيرات في هذا العالم غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فالملائكة نظروا الى الشرور فاجاب
الله تعالى بقوله اني اعلم ما لا تعلمون اي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لاجل الشرور القليلة وهذا جواب الحكيم ومنها ان سؤالهم كان
على وجه المبالغة في اعظام الله تعالى فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره ان له عبدا يعصيه ومنها ان قولهم اتجعل مسألة منهم ان يجعل
الارض او بعضها لهم ان كان ذلك صلاحا نحو قول موسى اتهلكنا بما فعل السفهاء اي لا تهلك فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من صلاحكم
وصلاح هؤلاء فبين ان الاختيار لهم السماء ولهؤلاء الارض ليرضى كل فريق بما اختار الله له ومنها ان هذا الاستفهام خارج مخرج
الايجاب كقول جرير شعر الستم خير من ركب المطايا : اي انتم كذلك والا لم يكن مدحا فكانهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك
لانا نعلم في الجملة انك لا تفعل الا الصواب والحكمة فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وما في باطنهم من الاسرار الخفية التي تقتضي

ايجادهم وفيه ان استحقاق تلك الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكنه بسابق العناية وانه تعالى غني عن طاعة المطيعين كما انه لا يضره معصية المذنبين الجواب
عن الغيبة ان من اراد ايراد السؤال وجب ان يتعرض لمحل الاشكال فلذلك ذكروا الفساد والسفك لا للغيبة وعن العجب ان مدح النفس غير ممنوع
منه مطلقا واما بنعمة ربك فحدث فكانهم قالوا ما سألناك للقدح في حكمتك يا ربنا فانا نعترف لك بالالهية والحكمة بل لطلب وجه الحكمة
وعن الاعتذار انه لم يكن للذنب بل لان ترك السؤال كان اولى وروي عن الحسن وقتادة ان الله تعالى لما اخذ في خلق آدم همست الملائكة
فيما بينهم وقالوا ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا خلقا اعظم منه واكرم عليه فلما خلق آدم عم وفضله عليهم علمه الاسماء
كلها قال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في انه لا يخلق خلقا الا وانتم افضل منه ففزعوا الى التوبة وقالوا سبحانك لا علم لنا الا
ما علمتنا ثم ان العلماء ذكروا في اخبار الملائكة عن الفساد والسفك وجوها منها انهم قالوا ذلك ظنا اما لانهم قاسوهم على حال الجن
الذين كانوا قبل آدم عم في الارض وهو مروي عن ابن عباس والكلبي واما لانهم عرفوا خلقته وعلموا انه مركب من الاركان المتخالفة والاخلاط
المتنافية الموجبة للشهوة التي منها الفساد وللغضب الذي منه سفك الدماء ومنها انهم قالوا ذلك عن اليقين ويروى عن ابن مسعود
وناس من الصحابة وذلك انه تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في
الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او انه تعالى كان قد اعلم الملائكة انه
اذا كان في الارض خلق عظيم افسدوا فيها وسفكوا الدماء او لانه لما كتب القلم في اللوح ما هو كائن الى يوم القيمة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا
ذلك ولان معنى الخليفة اذا كان النائب لله في الحكم والقضاء والاحتياج الى الحاكم انما يكون عند التنازع والتظالم كان الاخبار عن وجود
الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام وقيل لما خلق النار خافت الملائكة خوفا شديدا فقالوا لم خلقت هذه النار قال
لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق الا الملائكة ولم يكن في الارض الخلق البتة فلما قال اني جاعل في الارض خليفة عرفوا ان المعصية
منهم تظهر وفي ما قصة ابليس وهاروت وماروت فسيجيء الكلام فيها واختلف الناس في ان الملائكة لهم قدرة على المعاصي والشر ام لا فالفلاسفة
وكثير من اهل الجبر قالوا انهم خير محض ولا قدرة لهم على الشر والمعتزلة اثبتوا لهم قدرة على الامرين لان قولهم اتجعل اما معصية او ترك الاولى
وعلى التقديرين فالمقصود حاصل وايضا قال تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا يقتضي كونهم مزجورين وقال لا
يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار انما يحسن لو كان قادرا على الاستكبار ويمكن الزامهم بان الثواب عندهم واجب على الله تعالى
فيمتنع عليه تركه مع انه يستحق المدح على الثواب قالوا وفي ونحن نسبح للحال كقولك يحسن الى فلان وانا احوج الى الاحسان والتسبيح تبعيد الله
من السوء وكذا التقديس من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد والتبعيد عن السوء اما في الذات ويحصل بنفي الامكان المستلزم
لنفي الجسمية والعرضية والضد والند واما في الصفات بان يكون مبرأ عن العجز والجهل والتغيرات محيطا بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات
واما في الافعال بان لا يكون افعاله لجلب المنافع ودفع المضار يقول الله تعالى انا المنزه عن قول الظالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون
انا الغني عن الكل سبحانه هو الغني انا الذي كل شيء سواي فهو تحت قهري وتسخيري فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء انا المنزه عن الصاحبة
والولد سبحانه ان يكون له ولد انا الذي اخلق الولد من غير اب سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون انا الذي سخرت الانعام القوية
للبشر الضعيف سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين انا الذي علم لا بعلم المعلمين لا بارشاد المرشدين سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
انا الذي اغفر معصية سبعين سنة بتوبة ساعة فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس فان اردت رضوان الله فسبح ومن آناء الليل فسبح و
اطراف النهار لعلك ترضى وان اردت الخلاص عن النار فسبح سبحانك فقنا عذاب النار وان اردت الفرج عن البلاء فسبح لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين ايها العبد واظب على التسبيح وسبحوه بكرة واصيلا والا فالضرر يعود اليك فان استكبروا فالذين
عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون يسبح لي الحجر والمدر والرمال والجبال والشجر والدواب والليل والنهار والظلمات والانوار
والجنة والنار والزمان والمكان والعناصر والاركان والارواح والاجسام سبح لله ما في السموات والارض وان من شيء الا يسبح بحمده
ايها العبد انا الغني عن تسبيح هذه الاشياء وهذه الاشياء ليست من الاحياء فلا حاجة بها الى ثواب هذا التسبيح ولا اضيع ثواب
هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق بي وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لكني اوصل ثواب هذه الاشياء اليك ليعرف ان من اجتهد
في خدمتي اجعل كل العالم في خدمته وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء ايها العبد اذكرني بالعبودية
لتنتفع به لا انا سبحان ربك رب العزة فانك اذا ذكرتني في الخلوات ذكرتك في الفلوات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا
عظيما اقرضني وان كنت انا الغني حتى ارد الواحد عليك عشرة ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم لا حاجة لي الى العسكر ولو يشاء الله
لانتصر منهم ولكن اذا نصرتني نصرتك ان تنصروا الله ينصركم اخدمني يا ايها الناس اعبدوا ربكم لا لاني احتاج الى خدمتك فاني انا الملك
ولله ملك السموات والارض ولكن اصرف خدمتك عمر قصير الى ملك كبير وخير كثير وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم قوله بحمدك في موضع الحال اي



نسبحك متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الكلام افضل فقال ما اصطفاه الله للملائكة
سبحان الله وبحمده ويروى ان اهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيمة يقولون سبحان ذى الملك والملكوت واهل السماء الثانية قيام الى يوم
القيمة يقولون سبحان ذى العزة والجبروت واهل السماء الثالثة ركوع الى يوم القيمة يقولون سبحان الحى الذى لا ينام ولا يموت وعن ابن عباس
وابن مسعود نسبح اى نصلى والتسبيح الصلوات وعن مجاهد نقدس لك نطهر انفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء لمرضاتك وقيل نطهر قلوبنا
عن الالتفات الى غيرك حتى تصير مستغرقة فى انوار معرفتك انى اعلم ما لا تعلمون معناه لا تعجبوا ولا تعتمدوا بان فيهم من يفسد فانى
اعلم ان فيهم من لو اقسم على الله لابره واعلم ان معكم ابليس وفى قلبه من الحسد والكبر والنفاق ما فيه وانكم لما وصفتم انفسكم بهذه المدائح فانتم
تسبحون انفسكم لا فى تسبيحى اصبر واحيى اخلق البشر فيكون فيهم من يعبدنى ثم يخشوننى يؤدون حق العبادات ثم لا يتكلون على تلك الطاعات
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والذين هم من خشية ربهم مشفقون والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وادخلنى
برحمتك فى عبادك الصالحين واعلم من المصالح فى ذلك ما هو خفى عليكم ولكم فى هذا الاجمال ما يغنيكم عن التفصيل فان افعالى كلها حكمة
ومصلحة وان خفى عليكم وجه كل واحد واحد على انه قد بين لهم بعض ذلك فى قوله **وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم**
على الملائكة فقال انبؤنى باسماء هؤلاء ان كنتم و آموخت بادم نامهارا همه پس عرضه کرد آنهارا
صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا بر فرشتگان پس گفت که خبر دهید مرا بنامهای ایشان اگر هستید
انك انت العليم الحكيم قال يا ادم انبئهم راستگویان گفتند که ای خدای منزه نیست دانشی ما را مگر آنچه آموختی ما را
باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى بدرستیکه توئی دانای مصلحت دان گفت ای آدم خبر ده ایشان را
اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون بنامهای ایشان پس چون خبر داد ایشان را بنامهای انها گفت که آیا نگفتم شما را من
وما كنتم تكتمون پنهانها میدانم پنهانی آسمانها وزمین را و میدانم آنچه را ظاهر کنید القراءة انبونى وكذلك خاطون وخاسئين
وقالون ونحن المستهزءون وليطفوا وليواطؤا ومتكئين وقل استهزءوا ومتكاء وليستنبؤنك وتابئون وبرئون وبرئيا وبابيه كهيئة واشباه
ذلك ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وهؤلاء بتغير المد اولاء بالمد يزيد ويعقوب وقتيبة ومصعب عن قالون قال ابو اسحق ها كلمتان لا بد
وبدهؤلاء اى بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وقرا ابو عمرو والبزى من طريق الهاشمى بترك الهمزة الاولى واثبات الثانية
وكذلك فى المضمومتين واما فى المفتوحتين فكابى عمرو وانبئهم عن ابن عامر وانبيهم مهموزة مكسورة الهاء وغير مهموزة مكسورة
الهاء والباقون مهموزة مضمومة الهاء الوقوف صادقين علمتنا ط الحكيم ه انبئهم باسمائهم ج لمكان فاء التعقيب باسمائهم لا لان قال جواب
فلما تكتمون ه التفسير فيه ابحاث الاول الاشعرى والجبائى والكعبى على ان اللغات كلها توقيفية بمعنى ان الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك
الالفاظ وتلك المعانى وبان تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعانى بدليل قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها لا علم لنا الا ما علمتنا وهذا
يدل على ان الملائكة وادم لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى اياهم وخالفهم اصحاب ابى هاشم الذاهبين الى ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر
واحدا وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال فقالوا المراد الهمهم بعث داعية على الوضع مثل وعلمناه صنعة
لبوس لكم اى الهمناه او المراد علمه ما سبق من اصطلاحات قوم كانوا قبل ادم واجيب بان الاصل عدم العدول عن الظاهر قالوا ثم عرضهم يدل
على ان المراد بالاسماء اسماء المسميات فان قلنا المسميات غير معقول فاذن المراد اسماء المسميات وعوض لام التعريف عن المضاف
اليه كما فى قوله واشتعل الراس شيبا اى علمه اسماء كل ما خلق من اجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التى يتكلم بها ولده اليوم من
العربية والفارسية والرومية وغيرها وكان ولد ادم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات وتفرق ولده فى نواحى العالم تكلم كل واحد منهم بلغة
واحدة معينة من تلك اللغات فلما طالت المدة ومضت القرون نسوا سائر اللغات ثم لا يبعد بل ينبغى ان يكون الله تعالى قد علمه مع ذلك
صفات الاشياء ونعوتها وخواصها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية لان اشتقاق الاسم اما من السمة او من السمو فالاسم هو
العلامة وصفات الاشياء وخواصها دالة على ماهياتها وعلامة عليها وان كان من السمو فدليل الشئ كالمرتفع على ذلك الشئ فان العلم
بالمدلول وانما قلنا ينبغى ذلك لان الفضيلة فى معرفة حقائق الاشياء اكثر من الفضيلة فى معرفة اسمائها ثم من الحقائق ما يتوقف ادراكها
على الة تدرك بها كالمبصرات والمسموعات وغيرها فاذا كان لادم تلك الالات وقد عرفها ولم يكن للملائكة ذلك لزم عجزهم وايضا العربى
لا يحسن منه ان يقول لغيره تكلم بلغتى لان العقل لا طريق له الى معرفة اللغات بل انما يحصل العلم بها بالتعليم والا فلا اما العلم بحقائق الاشياء
فالعقل متمكن من تحصيله فصح وقوع التحدى به وانما قيل ثم عرضهم بلفظ المذكور لان فى جملة المسميات الملائكة والثقلين وهم العقلاء فغلب
الكامل على الناقص والتذكير على التانيث ومن الناس من تمسك بقوله انبؤنى باسماء هؤلاء على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف
لانه انما استنبأهم مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم بدليل قوله ان كنتم صادقين اى فى انى لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم منهم وقيل اى فى قولكم انه لا شئ
مما يتعبد به الخلق الا وانتم تصلحون له وتقومون به وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقيل اعلمونى باسماء هؤلاء ان علمتم انكم تكونون صادقين

فى ذلك الاعلام وقيل اخبرونى لا تقولون الا حقا وصدقا فيكون الغرض منه التوبيخ لما هم عليه من القصور لانه متى تمكن فى انفسهم العلم بانهم
ان اخبروا لم يكونوا صادقين ولا لهم اليه سبيل تحيروا على الجواب ثم ان الذين اعتقدوا معصية الملائكة فى قولهم اتجعل قالوا انهم لما عرفوا خطأهم
تابوا واعتذروا بقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والذين انكروا معصيتهم قالوا قالوا ذلك على وجه الاعتراف بالعجز والتسليم كانهم
قالوا لا نعلم الا ما علمتنا ذلك فكيف نعلمه وانهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الا ان الله تعالى اعلمهم ذلك فكانهم قالوا انك علمتنا انهم
يفسدون فى الارض فقلنا لك اتجعل واما هذه الاسماء فانك ما علمتنا فكيف نعلمها ومعنى سبحانك تسبيحا اى تنزيهك تنزيها وهو مصدر
غير متصرف اى لا يستعمل الا محذوف الفعل منصوبا على المصدرية فاذا استعمل غير مضاف كان سبحان علما للتسبيح فان العلمية كما تجرى
فى الاعيان تجرى فى المعانى قالت المعتزلة ههنا المراد انه لا علم لنا الا من جهتك اما بالتعليم واما بنصب الادلة وقالت الاشاعرة بل الجميع بالتعليم
لان المؤثر فى وجود العلم ليس هو ذات الدليل بل النظر فى الدليل وانه يستند الى توفيق الله تعالى وتسهيله ثم احتج اهل الاسلام بالاية على انه لا
سبيل الى معرفة المغيبات الا بتعليم الله وانه لا يمكن التوصل اليها بعلم النجوم والكهانة وللمنجم ان يقول للمعتزلى اذا فسرت التعليم بوضع الدليل
فعندى حركات النجوم دلائل خلقها الله تعالى على احوال هذا العالم فيكون من جملة ما علمه الله تعالى انك انت العليم بكل المعلومات فامكنك
تعليم ادم الحكيم فى هذا الفعل المصيب فيه وعن ابن عباس ان مراد الملائكة من الحكيم انه هو الذى حكم بجعل ادم خليفة فى الارض وقوله
الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض مستحضرا لقوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون الا انه تعالى جاء به على وجه ابسط واشرح فيندرج
فيه علمه باحوال ادم قبل ان خلقه وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها فيبطل مذهب هشام بن الحكم انه لا يعلم الاشياء الا عند
وقوعها وقد روى الشعبى عن ابن عباس وابن مسعود انه يريد بقوله ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون
ما اسر ابليس فى نفسه من الكفر والكبر ان لا يسجد وقيل لما خلق ادم رأت الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا
الا كنا اكرم عليه منه فهذا هو الذى كتموه ويجوز ان يكون هذا القول سرا اسروه بينهم فابداه بعضهم لبعض واسروه عن غيرهم فكان فى
هذا الفعل الواحد ابداء وكتمان والظاهر انه عام كقوله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون انه يعلم الجهر وما يخفى البحث الثانى
قالت المعتزلة ما ظهر من ادم معجز دل على نبوته فى ذلك الوقت فكان مبعوثا الى حواء اولى من توجه التحدى اليهم لانهم وان كانوا رسلا
فقد يجوز الارسال الى الرسل كبعثة ابراهيم الى لوط واحتجوا بان حصول ذلك العلم له ناقض للعادة ومنع بان حصول العلم بالاسماء لمن علمه
الله وعدم حصوله لمن لم يعلمه ليس بناقض للعادة وايضا انهم علموا ان تلك الاسماء موضوعة لتلك المسميات اولا فان علموا فقد قدروا
على المعارضة والا فكيف عرفوا ان ادم اصاب فيما ذكره اللهم الا ان يقال ان لكل صنف منهم لغة من تلك اللغات ثم ان جميع الاصناف حضروا
وان ادم عرض عليهم جميع تلك اللغات فكان معجزا او يقال انه تعالى عرفهم قبل ان سمعوا من ادم تلك الاسماء فاستدلوا به على صدق ادم
والظاهر انهم قد عرفوا صدقه بتصديق الله تعالى اياه ولئن سلم انه ظهر منه فعل خارق للعادة فلم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات
او من باب الارهاص وهما عندنا جائزان القاطعون بانه ما كان نبيا فى ذلك الوقت قالوا صدرت الكبيرة منه بعد ذلك والاقدام عليها يوجب
اللوم والتحقير فوجب ان يكون النبوة متاخرة عنها كيف وقد قال عز من قائل ثم اجتباه ربه والرسالة هى الاجتباء فيكون بعد الزلة وايضا لو
كان رسولا فان لم يكن مبعوثا الى احد فلا فائدة وان كان مبعوثا فاما الى الملائكة وهم افضل من البشر عند المعتزلة ولا يجوز جعل الادون
رسولا الى الاشرف وان المرء الى قبول القول عمن هو من جنسه اسكن ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا واما الى الانس ولا انسان الا حواء
وانها عرفت التكليف لا بواسطة ادم بدليل ولا تقربا هذه الشجرة واما الى الجن وما كان فى السماء احد من الجن البحث الثالث فى فضل العلم
لو كان فى الامكان شئ اشرف من العلم لاظهر الله تعالى فضل ادم بذلك الشئ ومما يدل على فضيلته الكتاب والسنة والمعقول اما الكتاب فمن ذلك
ما يروى عن مقاتل ان الحكمة فى القران على اربعة اوجه احدها مواعظ القران وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة
بمعنى الفهم والعلم واتيناه الحكم صبيا ولقد اتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة ولقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة ورابعها القران
يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم ومن ذلك انه تعالى فرق بين
سبعة نفر فى كتابه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون قل لا يستوى الخبيث والطيب لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة
وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات فاذا تاملت وجدت كل ذلك
ماخوذا من الفرق بين العالم والجاهل ومن ذلك قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم اى العلماء فى اصح الاقوال لان الملوك
يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم جعلهم فى الايتين فى المرتبة الثالثة ثم زاد فى الاكرام
فجعلهم فى المرتبة الثانية وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن ذلك
قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ومن ذلك وصفهم بالايمان والراسخون فى العلم يقولون امنا به و
بشهادة التوحيد شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وبالبكاء والسجود والخشوع ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى

عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا وبالخشية إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ واما الاخبار فمنها ما رواه انس عن النبي صلعم من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فو الذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله بكل قدم عبادة سنة وبنى بكل قدم مدينة في الجنة له ويمشي على الارض والارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا له وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من النار وعن انس ايضا ان النبي صلعم قال من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يأتي عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله وان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من ان يكون ابو قبيس ذهبا له فانفقه في سبيل الله وعن الحسن مرفوعا من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام كان بينه وبين الانبياء درجة في الجنة وعنه صلعم رحمة الله على خلفائي فقيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء اني لم اضع نوري فيكم الا لعلمي بكم ولا اضع علمي فيكم لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وقال صلعم معلم الخير اذا مات بكى عليه طير السماء ودواب الارض وحيتان البحور عن ابي هريرة مرفوعا من صلى خلف عالم من العلماء فكانما صلى خلف نبي من الانبياء وعن ابن عمر مرفوعا فضل العالم على العابد بسبعين درجة بين كل درجة حضر الفرس سبعين عاما وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم ويزيلها والعابد يقبل على عبادته لا يتوجه اليها ولا يتعرف لها وقال صلعم لعلي حين بعثه الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت وعن ابن مسعود مرفوعا من طلب العلم ليحدث الناس ابتغاء وجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبيا وعن عامر الجهني مرفوعا يؤتى بمداد العلماء ودم الشهداء يوم القيمة لا يفضل احدهما على الاخر وفي رواية فيترجح مداد العلماء وعن ابي واقد الليثي ان النبي صلعم بينما هو جالس والناس معه اذ اقبل ثلثة نفر فاما احدهم فراى فرجة في الحلقة فجلس فيها واما الاخر فجلس خلفهم واما الثالث فانه رجع وفر فلما فرغ صلعم من كلامه قال الا اخبركم عن النفر الثلثة فاما الاول اوى الى الله فاواه الله واما الثاني فاستحيى من الناس فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض الله عنه وعنه صلعم يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء قال الراوي فاعظم بمرتبة هي الواسطة بين النبوة والشهادة وعن ابي هريرة مرفوعا اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له بالخير وعن النبي صلعم اذا سألتم الحوائج فاسئلوها الناس قيل يا رسول الله ومن الناس قال صلعم اهل القران قيل ثم من قال صلعم صباح الوجوه قال الراوي والمراد باهل القران من يحفظ معانيه وقال صلعم كن عالما مجتهدا او متعلما او مستمعا او محبا ولا تكن الخامس فتهلك قال الراوي وجه التوفيق بين هذه الرواية وبين الرواية الاخرى الناس رجلان عالم ومتعلم وساير الناس همج لا خير فيه ان المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما احسن قول بعض الاعراب لولده كن سبعا خالسا او ذئبا او كلبا حارسا واياك ان تكونن انسانا ناقصا وعن النبي صلعم انه كان يحدث انسانا فاوحى الله تعالى اليه انه لم يبق من عمر هذا الرجل الذي تحدثه الا ساعة وكان هذا وقت العصر فاخبره الرسول بذلك فاضطرب الرجل وقال يا رسول الله دلني على اوثق عمل في هذه الساعة قال صلعم اشتغل بالتعلم فاشتغل بالتعلم فقبض قبل المغرب قال الراوي ولو كان شيء افضل من العلم لامره النبي صلعم به في ذلك الوقت واما الاثار فقال مصعب بن الزبير لابنه تعلم العلم فانه ان يك لك مال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا وقال علي بن ابي طالب رضه لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل وقيل مثل العالم بالله وبامر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص هو الجالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله بالحب له وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الى الخلق صار كواحد منهم واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق فهذا سبيل المرسلين والصديقين ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينتقص اخرى وهو المستغرق في المعارف الالهية غير متفرغ لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد منه ومثل العالم بامر الله فقط وهو العارف بالحلال والحرام دون اسرار جلال الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره وقال سفيان الناس يقومون من مجلسي على ثلثة اصناف وذلك اني افسر القران فاقول عن الله وعن الرسول فمن لا يصدقني فهو كافر محض ومن ضاق قلبه منه وفهم منه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم ان لا كان مؤمنا مخلصا وقال ايضا ثلثة من النوم يبغضها الله وثلثة من الضحك النوم بعد صلوة الفجر وقبل صلوة العتمة والنوم في الصلوة والنوم عند مجلس الذكر والضحك خلف الجنازة والضحك في المقابر والضحك في مجلس الذكر وقيل العالم ارأف بالتلميذ من الاب والام لان الاباء والامهات يحفظونهم من نار الدنيا وافاتها من نار الاخرة وشدائدها وقيل لابن مسعود بم وجدت هذا العلم قال بلسان سؤول وقلب عقول وقال بعضهم سل مسئلة الحمقى واحفظ حفظ الاكياس وقيل الدنيا بستان تزينت بخمسة اشياء علم العلماء وعدل الامراء وعبادة العباد وامانة التجار ونصيحة المحترفين فجاء ابليس بخمسة اعلام واقامها بجنب هذه الخمس فجاء بالحسد فركزه في جنب العلم وجاء بالجور فركزه بجنب العدل وجاء بالرياء فركزه بجنب العبادة وجاء بالخيانة فركزه بجنب الامانة وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة وقال علي بن ابي طالب رضه العلم افضل من المال بسبعة اوجه العلم ميراث الانبياء والمال ميراث الفراعنة العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص المال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ اذا مات الرجل خلف ماله والعلم يدخل معه قبره المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل الا للمؤمن جميع الناس يحتاجون الى العالم في امر دينهم ولا يحتاجون الى صاحب المال العلم يقوي الرجل



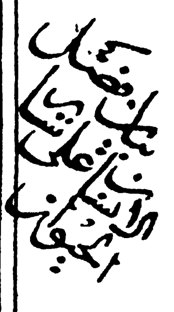
عند المرور على الصراط والمال لا ينفعه منه قال الفقيه ابو الليث من جلس عند العالم ولا يقدر ان يحفظ من ذلك العلم شيئا فله سبع كرامات
ينال فضل المتعلمين وكان محبوسا من الذنوب ما دام جالسا عنده واذا خرج من منزله طلبا للعلم نزلت الرحمة عليه واذا جلس في حلقة العلم
فنزلت الرحمة عليهم حصل له نصيب ما دام يكون في الاستماع يكتب له طاعة واذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه وانكسر فيكون في زمرة انا عند المنكسرة
قلوبهم لاجلي واذا راى اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق ينفر عن الفسوق ويميل الى طلب العلم وقيل اربع لا ينبغي للشريف ان يانف منه وان
كان اميرا قياما من مجلسه لابيه وخدمته للعالم الذي يتعلم منه والسؤال عما لا يعلم ممن هو اعلم منه واعلم ان الله تعالى علم سبعة نفر سبعة اشياء علم
ادم الاسماء كلها وعلم الخضر علم الفراسة وعلمناه من لدنا علما وعلم يوسف التعبير وعلمتني من تاويل الاحاديث وعلم داود صنعة الدرع
وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم سليمان منطق الطير علمنا منطق الطير وعلم عيسى ع علم التورية والانجيل ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية
وعلم محمدا صلعم علم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم فعلم ادم كان سببا لحصول السجدة والتحية وعلم الخضر كان سببا لوجود تلميذ مثل موسى
ويوشع وعلم يوسف لوجود الاهل والمملكة وعلم سليمان لوجدان بلقيس والغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة عن
امه وعلم محمد لوجدان الشفاعة فمن علم اسماء المخلوقات وجد ادم تحية الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته ما يجد تحية الملائكة سلام
قولا من رب رحيم والخضر وجد بعلم الفراسة صحبة موسى فامة محمد بعلم الحقيقة لا يجدون صحبة محمد فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين ويوسف بتاويل الرؤيا نجا من حبس الدنيا فمن كان عالما بتاويل كتاب الله لا ينجو من حبس الشبهات ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم وايضا فان يوسف ع ذكر منة الله على نفسه حيث قال وعلمتني من تاويل الاحاديث فانت يا عالم اما تذكر نعمة الله على نفسك حيث جعلك
مفسر الكلام وسمي النفس ووارث النبي وداعيا الخلق وواعظ العباد وسراجا لاهل البلاد وقائد الخلق الى جنة وثوابه وزاجرا لهم عن ناره
وعقابه كما جاء في الحديث العلماء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء وروي عن نافع
بن الازرق قال لابن عباس كيف اختار سليمان الهدهد لطلب الماء قال لان الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فقال نافع الفخ يغطى
له باصبع من التراب فلا يراه فيقع فيه فقال ابن عباس اذا جاء القضاء عمي البصر وقال لولده يا بني عليك بالادب فانه دليل على المروة والانس في الو
وصاحب في الغربة وقرين في الحضر وصدر في المجلس ووسيلة عند انقضاء الوسائل وغنى عند العدم ورفعة للخسيس وكمال للشريف وجلال للملك
وقال سقراط من فضيلة العلم انك لا تقدر على ان يخدمك فيه احد كما تجد من يخدمك في سائر الاشياء بل تخدمه بنفسك ولا يقدر احد على سلبه
عنك وقيل لبعض الحكماء لا تنظر فغمض عينيه وقيل له لا تسمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده على فيه وقيل له لا تعلم فقال لا اقدر عليه وعن
بعض الحكماء عظم العلم في ذاتك وصغر الدنيا في عينك وكن ضعيفا عند الهزل قويا عند الجد ولا تلم احدا على فعل يمكن ان يعتذر منه ولا ترفع
شكايتك الا الى من ترجو نفعه عنده حتى تكون حكيما فاضلا ولبعضهم اقل الرعاء اضعف السياسة واقل العلماء حب الرياسة واما النكت فالمعصية
عند الجهل لا ترجى واما انظر الى زلة ادم فانه بعلمه استغفر والشيطان عصى وبقي في الغي ابدا لان ذلك كان بسبب الجهل وان يوسف ع لما صار ملكا احتاج
الى وزير فسئل جبرئيل عن ذلك فقال ان ربك يقول لا تختر الا فلانا فانه راك في اسوء الاحوال فقال لجبرئيل كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله
فقال له جبرئيل ان ربه عينه لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والنكتة ان من ذب
عن يوسف استحق الشركة في مملكته فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان وقيل اراد واحد خدمة
ملك فقال الملك اذهب تعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه وقال اترك التعلم فقد صرت اهلا لخدمتي فقال
كنت اهلا لخدمتك حين لم ترني اهلا لخدمتك وحين رايتني اهلا لخدمتك رايت نفسي اهلا لخدمة الله وذلك لاني كنت اظن ان الباب بابك
لجهلي والان علمت ان الباب باب الرب قال حكيم القلب ميت وحيوته بالعلم والعلم ميت وحيوته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوي
بالمدارسة فهو محتجب واظهاره بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا لا اخر له وان نملة واحدة
نالت الرياسة بمسئلة واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون كانها اشارة الى تنزيه الانبياء عن المعصية وايذاء البريء من غير جرم
فقالت لا يحطمنكم فانما يصدر ذلك منه على سبيل السهو فمن علم حقائق الاشياء من الموجودات والمعدومات كيف لا يستحق الرياسة في الدين
والدنيا وان الكلب المعلم يكون صيده طاهرا ببركة العلم مع انه نجس في الاصل فالنفس الطاهرة في الفطرة اذا تلوثت باوزار المعصية كيف لا تطهر ببركة
العلم بالله وصفاته واذا كان السارق عالما لا تقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لي وكذا الشارب يقول حسبته حلالا وكذا الزاني يقول
تزوجتها فانه لا يحد واما الحكايات ان هرون الرشيد كان بحضرته فقهاء منهم ابو يوسف فاتى برجل فادعى عليه خزانة اخذ من بيتي مالا
بالليل ثم اقر الاخذ بذلك في المجلس فاتفق العلماء على انه يقطع يده فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه اقر بالاخذ وانه لا يوجب القطع بل لا بد
من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل في ذلك ثم قالوا للاخذ اسرقتها فقال نعم فاجمعوا على القطع لانه اقر بالسرقة وقال ابو يوسف لا قطع عليه
لانه وان اقر بالسرقة لكن بعد ما اوجب الضمان عليه باقراره بالاخذ واذا اقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه
فلا يسمع اقراره فتعجب الكل وعن الشعبي كنت عند الحجاج فاتي بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا في الحديد فقال الحجاج انت زعمت ان

الحسن والحسين من ذرية الرسول فقال بلى فقال الحجاج لتأتيني ببينة واضحة من كتاب الله او لاقطعنك عضوا عضوا فقال آتيك ببينة واضحة
من كتاب الله يا حجاج قال فتعجب من جرأته بقوله يا حجاج قال ولا تأتني بهذه الآية ندع أبناءنا وأبناءكم فقال آتيك بها واضحة من كتاب
الله قال تعالى ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وزكريا ويحيى وعيسى فمن ابو عيسى فقد الحق تعالى عيسى بذرية
نوح قال فاطرق مليا ثم رفع راسه فقال كأني لم اقرأ هذه الآية من كتاب الله حلوا وثاقه واعطوه من المال كذا ويحكى ان جماعة من اهل
المدينة جاؤا الى ابي حنيفة ليناظروه في القراءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ففوضوا امر المناظرة
الى اعلمكم لاناظره فاشاروا الى واحد فقال هذا اعلمكم قالوا نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة معكم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا
نعم قال وان ناظرته والزمته الحجة فقد الزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولا لنا قال ابو حنيفة فنحن لما
اخترنا الامام في الصلوة فقرأته قراءة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالعلم ويحكى ان المنصور دعا ابا حنيفة يوما فقال الربيع و
هو يعادي ابا حنيفة يا امير هذا يخالف جدك حيث يقول الاستثناء المنفصل جائز وابو حنيفة ينكره فقال ابو حنيفة هذا الربيع يقول ليس لك
بيعة في رقبة الناس فقال كيف قال انهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فيبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال اياك
يا ربيع وابا حنيفة فلما خرج الربيع قال سعيت في دمي قال كنت البادي ويحكى انه دخل اللصوص على رجل واخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق
ثلاثا ان لا يعلم احدا فاصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر ان يتكلم من اجل يمينه فجاء الرجل يشاور ابا حنيفة فقال
احضر لي امام مسجدك واهل محلتك فادخلهم جميعا في دار واحدة واخرج واحدا واحدا فقال للرجل ان لم يكن لصك فقل لا وان كان فاسكت
فلما سكت قبض على اللص ورد الله تعالى عليه جميع ما سرق منه ويحكى انه كان في جوار ابي حنيفة فتى يغشى مجلس ابي حنيفة فقال يوما اني اريد
التزوج من آل فلان وقد خطبتها اليهم فطلبوا مني من المهر فوق طاقتي قال استقرض وادخل عليها فان الله تعالى يسهل الامر عليك بعد ذلك
فاقرضه ابو حنيفة ذلك القدر ثم قال له بعد الدخول اظهر انك تريد الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد وانك تسافر باهلك معك فاظهر الرجل
ذلك فاشتد على اهل المرأة وجاؤا الى ابي حنيفة يشكونه ويستفتونه فقال لهم له ذلك فقالوا الطريق ان ترضوه بان تردوا عليه ما اخذتموه فاجابوا
اليه فقال الزوج اني اريد شيئا آخر فوق ذلك فقال له ابو حنيفة ترضى بهذا والا اقررت لرجل بدين فلا يمكن المسافرة بها حتى تقضي ما عليها
فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فرضي بذلك فحصل ببركة علم ابي حنيفة فرج كل واحد من الخصمين وسئل ابو حنيفة
عن رجل حلف ليقربن امرأته في نهار رمضان فلم يعرفوا احد الجواب فقال يسافر بامرأته فيطأها نهارا في رمضان وقال بشر المريسي للشافعي
كيف تدعي انعقاد الاجماع مع ان اهل المشرق والمغرب على شيء واحد وكان هذه المناظرة عند الرشيد فقال الشافعي هل تعرف اجماع الناس على
خلاف هذا الجالس فاقر به خوفا وانقطع ويحكى ان اعرابيا سأل الحسين عليه السلام حاجة وقال سمعت جدك يقول اذا سألتم حاجة فاسألوها
من احد اربعة اما عربيا شريفا او مولى كريما او حامل القرآن او صاحب الوجه الصبيح فاما العرب فشرفت بجدك واما الكرم فدابكم وسيرتكم
واما القرآن ففي بيوتكم نزل واما الوجه الصبيح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اردتم ان تنظروا الي فانظروا الى الحسن والحسين فقال الحسين
ما حاجتك فكتبها على الارض فقال الحسين ع سمعت ابي عليا ع يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه وسمعت جدي يقول المعروف بقدر المعرفة
فاسألك عن ثلث مسائل ان احسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان اجبت عن ثنتين فلك ثلثا ما عندي وان اجبت عن الثلث
فلك ما عندي وقد حمل الى الحسين صرة مختومة من العراق فقال سل ولا قوة الا بالله فقال ع اي الاعمال افضل قال الاعرابي الايمان بالله قال
فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما يزين المرء قال علم معه حلم قال ع فان اخطأه ذلك قال فمال معه كرم قال ع فان اخطأه
ذلك قال فقر معه صبر قال ع فان اخطأه ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك الحسين ع ورمى بالصرة اليه واما الوجوه العقلية
فمنها ان الامور اربعة اقسام قسم يرضاه العقل دون الشهوة كمكاره الدنيا وقسم عكس ذلك كالمعاصي وقسم يرضاه الشهوة والعقل وهو
العلم والجنة وقسم لا يرضاه الشهوة والعقل وهو الجهل والنار فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة
حاضرة وكما يعيش يموت ويبعث ومنها ان اللذة ادراك المحبوب كلما كان المدرك اكمل واشرف كان اللذة اكمل واتم ومدرك العقل هو الله
وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر والمواليد وجميع احكامه واوامره واي معلوم اشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال
العلم ولذته ولا الم ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا قال عز من قائل اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ
وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كانه قال كنت في اول حالك علقة هي الغاية في الخساسة ثم صرت في آخر حالك في
غاية الشرف وايضا ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على انه انما يستحق الاكرمية لانه اعطى العلم فالعلم اشرف عطية واعظم
موهبة ومنها انه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من اهل الخشية واهل الخشية اهل الجنة لقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم
جنات عدن الى قوله ذلك لمن خشي ربه فالعلماء من اهل الجنة بل ليس اهل الجنة الا العلماء وذلك لكلمة انما المفيدة للحصر ولاجل لام الاختصاص
في قوله لمن خشي والسبب في ان العلماء هم اهل الخشية انه من لم يكن عالما بالشيء استحال ان يكون خائفا منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل



معه من العلم بامور ثلثة احدها العلم بالقدرة لان الملك عالم باطلاع رعيته على افعاله القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعه ثانيها العلم بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته لكنه يعلم انه غير عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند السلطان عالم بكون السلطان قادرا على منعه عالما بقبائح فعاله لكنه يعلم انه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت ان خوف العبد من الله لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم العلم بالله وبهذا يعرف نباهة قدر العلم ومن هنا امر حبيبه بالازدياد منه حيث قال وقل رب زدني علما ولم يكتف نبي الله موسى ع بما علم بل قال للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ولم يفتخر سليمان بالمملكة العظيمة بل افتخر بالعلم علمنا منطق الطير ولولا شرف ولولا شرف العلم لم يكن للهدهد مع ضعفه ان يتكلم بحضرة سليمان بقوله احطت بما لم تحط به وهكذا الرجل الساقط اذا تعلم العلم صار نافذ القول على السلاطين وما ذاك الا ببركة العلم ومنها انه ص قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وذلك لان التفكر يوصلك الى الله والعبادة يوصلك الى ثواب الله وايضا التفكر عمل القلب والعبادة عمل الجوارح ومنها ان سائر كتب الله ناطقة بفضل العلم اما التورية فقال لموسى عظم الحكمة فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والاخرة واما الزبور فقال سبحانه قل لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا العقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلث مراتب ما جعلت واحدة منهن في احد من خلقي وانا اريد هلاكه وانما قدم سبحانه التقى على العلم لان التقى لا يوجد بدون العلم كما بينا من ان الخشية لا يحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين اشرف من الموصوف بامر واحد ولهذا السر ايضا قدم العالم على العاقل لان العالم لا بد ان يكون عاقلا واما العاقل فقد لا يكون عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمر واما الانجيل فقد قال عز من قائل في السورة السابعة عشرة منه ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار اطلبوا العلم وتعلموه فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعلم فلا نعمل ولكن قولوا نرجوا ان نعلم فنعمل فالعلم شفيع لصاحبه وحق على الله ان لا يخزيه وان الله تعالى يقول يوم القيمة يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا فيقول فاني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا لشر اردته بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا في صالح عبادي الى جنتي برحمتي وبالجملة فكون العلم صفة شرف وكمال وكون الجهل صفة نقصان امر معلوم للعقلاء بالضرورة ولذلك لو قيل للرجل العالم يا جاهل تاذى بذلك وان كان يعلم انه كاذب ولو قيل للرجل الجاهل يا عالم فرح بذلك وان كان يعلم انه ليس كذلك والعلم انما وجد كان صاحبه محترما معظما حتى ان غير الانسان من الحيوان اذا رأى الانسان احتشمه بعض الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار وان كان ذلك الحيوان اقوى بكثير من الانسان والعلماء اذا لم يعاندوا كانوا رؤساء بالطبع على من دونهم في العلم وان كثيرا ممن كانوا يعاندون رسول الله ويريدون قتله كانوا اذا وقع بصرهم عليه القى الله في قلوبهم الرعب منه فهابوه وانقادوا له ولو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تغنيك عن خبره وما فضل الانسان على سائر الحيوان الا لاختصاصه بالمزية النورانية واللطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقائق الاشياء والاشتغال بعبادة الله تعالى والجاهل كانه في ظلمة شديدة اذا اخرج يده لم يكد يراها والعالم كانه يطير في اقطار الملكوت ويسبح في بحار المعقولات فيطالع الموجودات والمعدومات والواجب والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط والمركب ويبالغ في تقسيم كل منها الى انواعها وانواع انواعها واجزائها واجزاء اجزائها والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي به يمتاز عن غيره ويعرف اثر كل شيء ومؤثره ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكليه وجزئيه فيصير كالنسخة التي اثبت فيها جميع المعلومات بتفاصيلها واقسامها وانه في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام كاملا ومكملا وواسطة بين الله وعباده ولامر ما لم يجعل الله سبحانه سائر صفات الجلال من القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغناء عن المكان والحيز جوابا للملائكة وموجبا لسكوتهم وانما جعل تعالى صفة العلم جوابا لهم حيث قال اني اعلم ما لا تعلمون وهكذا اظهر فضيلة ادم بالعلم بعد افتخارهم بالتسبيح والتقديس وان ابرهيم اشتغل في اول امره بطلب العلم منتقلا بفكره من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى ان وصل بالدليل الباهر والبرهان الظاهر الى المقصود وهو الملة الحنفية وان الله تعالى سمى العلم تارة بالحيوة او من كان ميتا فاحييناه وتارة بالروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وتارة بالنور يهدي الله لنوره من يشاء وضرب المثل في العلم بالماء انزل من السماء ماء فعلم التوحيد كماء العين لا يجوز تحريكه لئلا يتكدر كذلك لا ينبغي طلب كيفيته الله كيلا يفضي الى الكفر وعلم الفقه كماء القناة يزداد بالاستنباط والحفر وعلم الزهد كماء المطر ينزل صافيا ويتكدر بغبار الهواء وكذلك علم الزاهد صاف ويتكدر بالطمع وعلم البدع كماء السيل يهلك الاحياء ويميت الخلق واما الاخبار والاثار الدالة على وعيد من لم يعمل بعلمه او طلب العلم لغير ذات الله فمنها انه ص قال لا تجالسوا العلماء الا من يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد وقال ع الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والمخلصون على خطر عظيم عن عدي بن حاتم ان النبي ص قال يؤتى بناس يوم القيمة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا

نعلم



الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون عنها بحسرة ما رجع احد بمثلها ويقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريناما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فيقول وذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تضمرون عليه في قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني تركتم المعاصي لهم ولم تتركوها لي كنت اهون الناظرين عليكم فاليوم اذيقكم اليم عذابي مع ما حرمتكم من النعيم وقيل اطلب العز من الموضع السلامة ومن الصاحب الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه واذا لم تجد من الصاحب الزيادة فالكلب خير منه واذا لم تجد من مالك الفراغة فالمدر خير منه واذا لم تجد من العلم المنفعة والكراهة فالموت خير منه وقيل لا يتم اربعة اشياء الا باربعة اشياء لا يتم الدين الا بالتقوى ولا يتم القول الا بالفعل ولا يتم المروءة الا بالتواضع ولا يتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى على الخطر والقول بلا فعل كالهدر والمروءة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لجابر بن عبد الله الانصاري قوام الدنيا بعالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغني لا يبخل بماله وفقير لا يبيع آخرته بدنياه فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة وقيل اذا وضعت على سواد عينك جزأ من الدنيا لا ترى شيأ فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيأ البحث الرابع في حد العلم الاشعري العلم ما يعلم به وربما قال ما يصير الذات به عالما القاضي العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه القفال اثبات المعلوم على ما هو به الكل دائر المعتزلة هو الاعتقاد المقتضي لسكون النفس الفلاسفة صورة حاصلة في النفس مطابقة للمعلوم ولا يخفى خروج علم الله تعالى عنها فانه لا يطلق هناك النفس وفيه مفاسد اخر يطول ذكرها ههنا وعند كثير من المحققين هو بديهي وقيل اصح الحدود صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض والحق في هذا المقام هو ان نسبة البصيرة الى مدركاتها كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان للبصر نورا كل ما يقع في ذلك النور فهو مدركه فكذا للبصيرة نور كل ما يقع فيه فهو مدركها ولا يدرك حقيقة هذا النور الا من له نور ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ وهكذا ادركات جميع الانوار حتى نور الانوار وكلما ازداد النفس نورية وشرفا ازداد انبساطه فيقع فيه المعلومات اكثر وهكذا يكون الحال في كل مستكمل ما اذا كان العالم بحيث يكون كالات الممكنة له موجودة معه بالفعل فلا يزداد نوريته ولا يتجاوز من تلقته في العلم ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ ثم ان كان الكمال في النور بحيث لا يمكن اكمل منه ولا انور كان جميع الاشياء واقعة في نوره بل يكون نوره نافذا في الكل متصرفا فيها محيطا بها ازلا وابدا ﴿وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ وههنا اسرار اخر لا يجوز التعبير عنها لعزتها يتفطن لبعضها من وفق لها من اهلها البحث الخامس في الفاظ تقرب من العلم الاول الادراك وهو الوصول لان القوة العاقلة تتصل الى حقيقة المعقول الثاني الشعور وهو ادراك بغير استثبات وهو اول مراتب وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لا يوصف به الله تعالى الثالث التصور مشتق من الصورة فكان حقيقة المعقول حلت في العاقلة حلول الشكل في المادة الرابع الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة في العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها الخامس التذكر وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة وانه بالحقيقة التفات النفس الى عالمها السادس الذكر وهو وجدان الصورة بعد محاولة استرجاعها ولا محالة يكون مسبوقا بالزوال قال الشاعر الله يعلم اني لست اذكره وكيف اذكره اذ لست انساه ويوصف القول بانه ذكر لانه سبب حصول المعنى في النفس قال عز من قائل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ السابع المعرفة وقد اختلفوا في تفسيرها فمن قائل انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومن قائل انها التصور والعلم هو التصديق وجعل العرفان اشرف من العلم لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقته فامر وراء الطاقة البشرية وقال بعضهم من ادرك شيأ وانحفظ اثره في نفسه ثم ادرك ذلك الشيء ثانيا وعرف ان هذا المدرك الذي ادركه ثانيا هو الذي كان ادركه اولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت معترفة بالربوبية الا انها في ظلمة العلاقة البدنية قد نسيت مولاها فاذا تخلصت من قيد العلاقة عرفت ربها وعرفت انها كانت عارفة الثامن الفهم وهو تصور الشيء من لفظ المخاطب والافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع التاسع الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال تعالى ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ اي لا يقفون على المقصود الاصلي من التكاليف العاشر العقل وهو العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها ونفعها وضرها حتى يصير مانعا من الفعل مرة ومن الترك اخرى فيجري ذلك مجرى عقال الناقة ومن هنا قيل هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين والعاقل من عقل عن الله امره ونهيه الحادي عشر الدراية وهي المعرفة الحاصلة بضرب من الحيلة وهي ترتيب المقدمات فلا يصح اطلاقها عليه تعالى الثاني عشر الحكمة وهي اسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملي اخص منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا منه في العلم وقيل هي الاقتداء بالخالق سبحانه بقدر القوة البشرية وذلك ان يجتهد ان ينزه علمه عن الجهل وعدله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه الثالث عشر علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان متحققا لا انفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال الرابع عشر الذهن وهو قوة النفس على اكتساب الحدود والآراء الخامس عشر الفكر وهو انتقال

النفس من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة وقيل انه يجري مجرى التضرع الى الله تعالى في استنزال العلم من عنده السادس عشر الحدس وهو قوة للنفس بها يهتدي بسرعة الى الحد الاوسط في كل قياس السابع عشر الذكاء وهو شدة هذا الحدس وبلوغه الغاية القصوى من كون النار اشتعلت الثامن عشر الفطنة وهي التنبه لشيء قصد تعريضه كالاحاجي والرموز التاسع عشر الخاطر وهو حركة النفس نحو تحصيل حق وحظ العشرون الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم بامور جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية كحكم السخلة بصداقة الام وعداوة الذئب الحادي والعشرون الظن وهو الاعتقاد الراجح فان كان عن امارة قوية قبل ومدح وعليه مدار اكثر احوال العالم وان كان عن امارة ضعيفة ذم ان بعض الظن اثم الثاني والعشرون الخيال وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته وما كان من ذلك في النوم قد يخص باسم الطيف الثالث والعشرون البديهة وهي المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لا بتوسط الفكر مثل الكل اعظم من الجزء وقد يقال لها الاوليات الرابع والعشرون الروية وهي ما كان من المعارف بعد فكر كثير الخامس والعشرون الكياسة وهي تمكن النفس من استنباط ما هو انفع ولهذا قال عم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت السادس والعشرون الخبرة وهو معرفة يتوصل بطريق التجربة وحدث الناس اخبر تقله السابع والعشرون الرأي وهو اجالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها انتاج المطلوب وقد يقال للقضية المستنتجة من الرأي رأي والرأي للفكرة كالالة للصانع ولهذا قيل اياك والرأي الفطير الثامن والعشرون الفراسة وهي اختلاس المعارف من فرس السبع الشاة رامي ضرب منها يحصل للانسان من باطنه ولا يعرف له سبب لاصفاء جوهر الروح وهو شبه الالهام واياه عنى النبي عم بقوله ان في امتي لمحدثين وان عمر منهم وقد يسمى النفث في الروع وضرب يحصل بالاستدلال من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل افمن كان على بينة من ربه اشارة الى الاول ويتلوه شاهد منه الى الثاني والله اعلم التاويل عن النبي عم ان الله خلق ادم فتجلى فيه فالتجلي علمه التخلق باخلاقه والاتصاف بصفاته وهذا هو سر الخلافة بالحقيقة لان المراة تكون خليفة المتجلي فيه انبئوني باسماء هؤلاء المخلوقات دون اسماء الله صفاته ان كنتم صادقين في دعوى الفضيلة فان الفضيلة ليست بمجرد الطاعة فان ذرات الموجودات مسخرات لحمدي وانما الافضلية بالعلم لان الطاعة من صفات الخلق والعلم من صفات الخالق والفضل لمن له صفة الحق والخلق جميعا فيخلف عن الحق بصفاته وعن الخلق بصفاتهم وانما قال انبئهم ولم يقل علمهم كقوله تعالى وعلم ادم لان الملائكة ليس لهم الترقي في الدرجات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا ولا يتجاوزون ما فوق سدرة المنتهى كما قال جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت والجسمانيات مرتبة دون مرتبتهم فيمكن انباؤهم بها لان الجسمانيات لهم كالحيوانيات بالنسبة الينا واما الالهيات فليس لهم استعداد الترقي اليها فلهذا لم يقل انبئهم باسمائهم كلها كما قال وعلم ادم الاسماء كلها لئلا يكون تكليفا بما لا يطاق وانما كان ادم مخصوصا بعلم الاسماء واحتاجت الملائكة اليه في انباء اسمائهم واسماء غيرهم لانه كان خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم بما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة فكما ان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على اعلى الشجرة كذلك ادم عبر على اجزاء شجرة الوجود وكان في كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فحصل له من كل من ذلك اسم يلائمه حتى ان اسماء الله تعالى جاءت على وفقه فضلا عن علمه باسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان الله رازقا ولما كان عبدا كان الله معبودا ولما كان معيوبا كان ستارا ولما كان مذنبا كان غفارا ولما كان تائبا كان توابا ولما كان منتفعا ومتضررا كان نافعا وضارا ولما كان ظالما كان عادلا ولما كان عليه السلام مظلوما كان منتقما وعلى هذا فقس

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ وَقُلْنَا

وچون گفتیم مر فرشتگان را که سجده کنید آدم را پس سجده کردند مگر ابلیس که سر کشید و تکبر کرد و گردید از کافران و گفتیم

يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا

که ای آدم جای گیر تو و جفت تو بهشت را و بخورید از آن فراوان هر جا که خواسته و نزدیک مشوید این درخت را پس گردید

مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

از ستمکاران پس لغزانید ایشان را شیطان از آن پس بیرون کرد ایشان را از آنچه که بودند در آن و گفتیم که فرود آیید بعضی از شما مر بعضی را

عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ

دشمن است و از برای شماست در زمین آرامگاه و بهره تا وقتی معین پس بیاموخت آدم از پروردگار خود کلمهای چند پس توبه کرد بر او بدرستی که او

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ

توبه پذیر مهربان است گفتیم که فرود آیید از آن همه پس اگر بیاید شما را از من راستی پس هر که پیروی کند راستی مرا پس نیست

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

بر ایشان و نباشند اندوهناک و آنان که کافر شدند و تکذیب کردند بآیات ما آن گروه یاران آتش‌اند که ایشان در آن جاویدانند

القراءة للملائكة اسجدوا برفع الهاء للاتباع يزيد وقتيبة روى ابن مهران عنهما انهما يشمان الكاف الكسر ويرفعان الهاء وروى

ع

الخزاعی



الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة الملائكة بغير همز وكذلك كل كلمة في وسطها همزة مكسورة الا قوله السائلين السائل والبائس فانهما بالهمز شئتما وانبئهم بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش ومن طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف فازلهما حمزة ادم بنصب كلمات رفع ابن كثير فلا خوف عليهم بالفتح حيث كان يعقوب هداى ومحياى ومثواى بالامالة كل القران على غير ليث النار بالامالة كل القران وكذلك كل كلمة في اخرها راء مكسورة بعد الالف في موضع اللام من الكلمة قراها على غير ليث وابي حمدون وحمدويه والنجاري عن ورش وحمزة في رواية ابن سعدان وابو عمرو الا انه لا يميل الجار والغار في بعض الروايات فروى ابرهيم بن حماد عن الزيدي الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن الزيدي الغار بالامالة وسائر الروايات عنه بالتفخيم لقلة دورها واختلفوا في وقف ابي عمرو في مثل النار واشباه ذلك فروى ابن مجاهد والحسن بن عبد الله عن النقاش وكثير من اهل العراق انه يقف كما يصل وروى سلمة عن عاصم انه يقف بالتفخيم والاول اكثر الوقوف بليس لانه معرفة والجملة بعده لا يكون صفة له الا بواسطة الذي ولا عامل فيجعل الجملة حالا الكافرين شئتما لاتفاق الجملتين الظالمين ه كذا فيه لعطف الجملتين المتفقتين عدو لاختلاف الجملتين حين فتاب عليه ط الرحيم جميعا لابتداء الشرط مع فاء التعقيب يحزنون النار ج لان ما بعدها مبتداء وخبر وقيل الجملة خبر بعد خبر ولذلك لان تمام المقصود بوعيد هو الخلود مثل وما ان حلوها مضخ الدون التفسير لما خصص الله تعالى بانا ادم بالخلافة ثم علمه من العلوم ما ظهر بذلك مزيته على جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة ان جعله مسجودا لهم وهذا مقتضى التنوع ههنا ظاهر الا ان قوله تعالى في موضع اخر فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين يقتضي ان يكون الامر بالسجود قبل التسوية خلقه وانه كما صار حيا صار مسجود الهم ولتعليم الاسماء ومناظرته مع الملائكة في ذلك حصل بعد سجدتهم والله اعلم بذلك ثم ان المسلمين اجمعوا على ان ذلك السجود لم يكن للعبادة لانه تعالى لا يامر بالكفر والعبادة لغيره كفر فزعم بعضهم ان السجود كان لله تعالى وادم كالقبلة فقوله اسجدوا لادم مثل قولك صل للقبلة قال حسان بن ثابت شعر

ما كنت اعرف ان الامر منصرف ، عن هاشم ثم منها عن ابي حسن ، اليس اول من صلى لقبلتكم ، واعرف الناس بالقران والسنن

وهو ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم ادم وجعله مجرد القبلة لا يفيد كونه اعظم حالا من الساجد وزعم اخرون ان المراد بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى اصل اللغة مثل والنجم والشجر يسجدان وزيف بانه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الارض فوجب ان يكون في اصل اللغة كذلك لان الاصل عدم التغيير واصح الاقوال ان السجود كان بمعنى وضع الجبهة ولكن لا عبادة بل تكرمة وتحية كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك بدل التسليم قال قتادة في قوله وخروا له سجدا كان تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض ويجوز ان يختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة والاوقات واختلف المليون في ان ابليس من الملائكة ام لا فقال اكثر المتكلمين ولا سيما المعتزلة انه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء انه كان منهم حجة الاولين انه من الجن لقوله تعالى في الكهف الا ابليس كان من الجن فلا يكون من الملائكة وايضا قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ورد الاول بان الجن قد يطلق على الملك لاستتاره عن العيون وبان كان يحتمل ان يكون بمعنى صار والثاني بانه لا يلزم من كون الجن في هذه الاية نوعا مغايرا للملائكة ان يكون في الاية الاولى ايضا مغايرا لاحتمال كونه على مقتضى اصل اللغة وهو الاستتار وقالوا ان ابليس له ذرية لقوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والملائكة لا ذرية لها لانها تحصل من الذكر والانثى ولا اناث فيهم لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا منكرا عليهم وايضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس لم يكن كذلك وايضا انه من النار خلقتني من نار وانهم من نور لقوله خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار رواه الزهري عن عروة عن عائشة ومن المشهور الذي لا يدفع ان الملائكة روحانيون فقيل سموا بذلك لانهم من الريح او من الروح وايضا الملائكة رسل جاعل الملائكة رسلا ورسل الله معصومون الله اعلم حيث يجعل رسالته حجة الاخرين انه استثناه من الملائكة وحمله على المتصل اولى لان تخصيص العموم في كتاب الله اكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه جني واحد مغمور بين ظهراني الوف من الملائكة فغلبوا عليه وهذا لا ينافي كون الاستثناء متصلا واجيب بان التغليب انما يصار اليه اذا كان المغلوب ساقطا عن درجة الاعتبار اما اذا كان معظم الحديث فيه فلا يصار الى التغليب وايضا لو لم يكن من الملائكة لم يتناوله الخطاب باسجدوا ولم يستحق بترك السجود لوما وتعنيفا ولا يمكن ان يقال انه نشا معهم فتناوله الامر لما بين في اصول الفقه ان خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس مع شدة المخالطة بين الصنفين ولا ان يقال انه وان لم يدخل في هذا الامر الا انه تعالى امره بلفظ اخر ما حكاه في القران بدليل قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك لان قوله ابى واستكبر عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا مشعر بان المخالفة بسبب هذا الامر هذا ما قيل عن الجانبين ومما يناسب تفسير الاية الكلام في ان الانبياء افضل من الملائكة ام بالعكس قال اكثر اهل السنة بالاول وقالت المعتزلة والشيعة الى الثاني واختاره الباقلاني وابو عبد الله الحليمي من فقهاء اهل السنة المعتزلة احتجوا بوجوه منها ومن عنده لا يستكبرون وليس المراد عندية المكان والجهة بل عندية القرب والشرف وعورض بما حكي عنه سبحانه انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي بل هذا ابلغ لان كون الله تعالى عند العبد ادخل في التعظيم من كون العبد عنده قالوا الاية تدل على انه تعالى يقول الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات والارض وامنهم من

النار

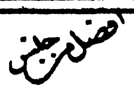
اعظم

فيه معنى السجود في ان ابليس من الجن



الهرم والمرض والآفات لا يتركون العبودية لحظة واحدة فالبشر مع غاية ضعفهم وقصورهم اولى بذلك واجيب بانه لا نزاع في ذلك وانما النزاع في الافضلية بمعنى كثرة الثواب الثانية عباداتهم اشق من عبادات البشر فيكون ثوابهم اكثر لقوله عليه السلام اجرك على قدر نصبك ولقوله افضل العبادات احمزها اي اشقها واما بيان ان عباداتهم اشق فمن وجهين احدهما انهم سكان السموات وهي جنان ومتنزهات وهم مع ذلك لا يلتفتون الى نعيمها ويقبلون على طاعاتهم خائفين وجلين كانه لا يقدر احد من بني آدم ان يبقى كذلك يوما واحدا فضلا عن تلك الاعصار المتطاولة لان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ويؤكده قصة آدم فانه اطلق له في الجنة جميعها الا شجرة واحدة ومع ذلك فلم يملك نفسه والثاني ان انتقال المكلف من نوع عبادة الى نوع آخر كالانتقال من طعام الى طعام والاقامة على نوع واحد يورث السامة وهذا شأن الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومنهم ركوع ومنهم سجود منذ خلقوا وعورض الوجه الاول بان اسباب البلاء مجتمعة على البشر ثم انهم راضون بقضاء الله مواظبون على تكاليفهم ولذلك فان العبيد والخدم بطيب قلوبهم بالخدمة حال الرفاهية ولا يصبر احد منهم على مشقة الخدمة الا من كان في نهاية الاخلاص والثاني بان العادة طبيعة خامسة ولهذا قال عليه السلام افضل الصوم صوم داود كان يصوم يوما ويفطر يوما الثالثة عباداتهم ادوم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وخير الاعمال ادومها مع ان اعمارهم اكثر وعلى الآية سؤال روي عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب اين قول الله عز وجل لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا واولئك عليهم لعنة الله والملائكة افلا يكون الرسالة واللعن مانعين عن التسبيح فاجاب بان التنفس لا يمنعنا من الاشتغال بشيء آخر فكذلك التسبيح لهم وزيف بان آلة التنفس غير آلة الكلام واما اللعن والتسبيح فهما من جنس الكلام فاجتماعهما في آلة واحدة محال واجيب باحتمال ان يكون لهم السنة كثيرة يسبحون الله تعالى ببعضها ويلعنون اعداءه ببعض آخر وبان ثناء الله يستلزم تبعيد من يعتقد في الله ما لا ينبغي والمراد لا يفترون عن العزم على ادائه في اوقاته اللائقة به كما يقال فلان يواظب على الجماعات يعنون انه عازم على ادائها في اوقاتها ونوقضت الحجة بان الطاعة القليلة من الانسان قد تقع على وجه يستحق بها ثوابا اكثر من ثواب طاعاتهم الرابعة انهم اسبق السابقين في كل العبادات والسابقون السابقون اولئك المقربون من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الخامسة الملائكة رسل الى الانبياء علمه شديد القوى نزل به الروح الامين والرسول افضل من الامة قياسا على الشاهد ومنع بان هذا اذا كان الرسول حاكما على المرسل اليهم متوليا لامورهم كالانبياء المبعوثين الى اممهم اما في مطلق الرسل فلم قلتم انه كذلك كما لو ارسل الملك عبدا من عبيده الى وزيره والى ملك آخر السادسة انهم اتقى من البشر لدوام خوفهم يخافون ربهم من فوقهم مع وجود شهوة الرفع والرياسة فيهم ولهذا قالوا اتجعل فيها وان لم يكن لهم شهوة الوقاع فوجب ان يكونوا افضل لان اكرمكم عند الله اتقاكم ورد بان تقوى الانسان اكمل فان لهم مع شهوة الرياسة شهوة البطن والفرج ايضا السابعة لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون خرج التالي مخرج التأكيد للاول ومثل هذا انما يكون بذكر الافضل بعد الفاضل كقولك هذا العالم لا يستنكف من خدمة الوزير ولا الملك فيفيد افضلية الملائكة المقربين في المعنى المصحح للعبودية من نهاية الخضوع والخشوع وما يتبعهما مع شدة بطشهم وقوة حالهم وعورض بانه قد يقال هذا العالم لا يستنكف عن خدمة القاضي ولا السلطان ولا يفيد الا ان السلطان اكمل من القاضي في بعض الامور كالقوة والقدرة ولا يدل على كونه اكمل من القاضي في سائر الدرجات كالعلم والزهد فلم قلتم انهم افضل المسيح فقط دون غيره الحجة الثامنة ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فهذا وان كان حكاية قول ابليس الا ان آدم وحواء لو لم يعتقدا افضلية الملك لم يغترا بذلك واعتقادهما حجة ورد بان آدم لعله اخطأ في ذلك الاعتقاد اما لان الزلة جائزة على الانبياء او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت وايضا هب انه حجة لكنه قبل الزلة لم يكن نبيا فلا يلزم من مفضوليته وقتئذ مفضولية نبوته وان سلم مفضوليته ونبوته وقتئذ فلم لا يجوز ان ذلك في باب الثواب بل في باب القدرة والقوة والحسن والجمال ونحو ذلك فانهم خلقوا من الانوار وآدم خلق من التراب فاغتر برغبة فيما لهم من هذه الامور وايضا يحتمل ان يكون المراد الا ان تنقلبا ملكين فيصح استدلالكم وان يكون المراد ان النهي مختص بالملائكة الخالدين دونكما كما تقول لغيرك ما نهيت انت عن كذا الا ان تكون فلانا ويكون المعنى ان المنهي عنه هو فلان دونك فكان غرض ابليس ايهام انهما لم ينهيا وايضا غاية ما في الباب ان الآية تدل على مفضولية جميع الانبياء الحجة التاسعة ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك اي لا ادعي القدرة على كل المقدورات والعلم بكل المعلومات ولا ادعي قدرة مثل قدرة الملك ولا علما مثل علمهم وذلك لانه لم يرد به نفي الصورة لانه لا يفيد الغرض وانما نفي ان يكون له مثل ما لهم من الصفات الجسيمة والقوى العظيمة ورد بانه لا يلزم من عدم الاستواء في كل الصفات حصول الاختلاف في جميعها العاشرة ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ولا يخفى ان التشبيه في السيرة من غض البصر وقمع النفس عن المحرمات بدلالة وصفه بالكرم لا الصورة ورد بان قولها فذلكن الذي لمتنني فيه كالتصريح بان مراد النساء تعظيم حال يوسف في الحسن والجمال فبذلك يظهر عذرها في عشقها ولئن سلمنا ان التشبيه في الاخلاق المرضية فذلك لا يوجب مفضوليته من جميع الجهات على ان قول النساء لا يصلح لان يكون حجة الحادية عشرة وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وذلك ان المخلوقات باعتبار المكلفين لا الانسان افضل منهم واما المكلفون فهم الملائكة والانس والجن والشياطين ولا ريب ان الانس افضل من الجن والشياطين فلو كانوا افضل من الملك ايضا لزم كون البشر افضل من كل المخلوقات فينبغي ان يقال وفضلناهم على جميع من خلقنا ورد بان كونهم افضل من كثير لا يدل على انه ليس بافضل من الباقي الا بدليل الخطاب وهو غير حجة وايضا ان جنس الملائكة





افضل من جلتين بني ادم ولكن لا يلزم من كون احد المجموعين افضل من المجموع الاخران يكون كل واحد من افراد المجموع الاول افضل من افراد
المجموع الثاني وايضا الكلام في التفضيل الحاصل بسبب الكرامة المذكورة في اول الاية ولقد كرمنا بني ادم ولا يلزم من كون الملك افضل من البشر
في تلك الكرامات وهو حسن الصورة والطهارة واستخراج الاعمال العجيبة ان يكونوا افضل منهم في الاشياء الموجبة للثواب الثانية عشر
الانبياء ما استغفروا الا بدأوا بانفسهم قال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وقال ابرهيم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين
ثم قال واغفر لابي وقال لمحمد استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والملائكة لم يستغفروا لانفسهم لكن طلبوا المغفرة للمؤمنين واغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك ورد بان هذا لا يدل الا على صدور الزلة من البشر وعدم صدورها عنهم وهذا لا يوجب فضلهم في الفرد
والثواب على الاطلاق ومن الناس من قال استغفارهم للبشر كالعذر عما طعنوا فيهم بقولهم اتجعل فيها الثالثة عشر وان عليكم لحافظين وبه
فيه الانبياء وغيرهم والحافظ للمكلف عن المعصية افضل من المحفوظ وايضا جعل كتابتهم حجة للبشر وعليهم فيكونون افضل ورد بان الحافظ
والشاهد قد يكون ادون حالا من المحفوظ والمشهود الرابعة عشر يوم يقوم الروح والملائكة صفا والمقصود بيان عظمة الله وجلاله
ورد بان هذا يفيد قوتهم وبطشهم فقط كما يقال ان السلطان لما جلس وقف حول سريره ملوك الاطراف فلا يدل على انهم اكرم عند السلطان
من ولده الخامسة عشر والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة ولهذا قال الشاعر
شعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا قال عمر بن الخطاب لو قدمت الاسلام لاجزتك ولما كتبوا كتاب الصلح بين رسول الله والمشركين وقع النزاع
في تقديم الاسم وكذا في كتاب الصلح بين علي ومعاوية ومنع من ان الواو لا يفيد الترتيب وعوض بتقديم ثبت على الاخلاص السادسة عشر ان الله
وملائكته يصلون على النبي جعل صلوات الملائكة كالتشريف للنبي وعورض بقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه ولا تشريف بل التشريف
الامر بذلك السابعة عشر ان جبرئيل افضل من محمد لان الله تع وصفه بست صفات الكمال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين ثم وصف محمدا بقوله وما صاحبكم بمجنون وشتان بين الوصفين ورد بانه وان وصفه هنا بهذا القدر لاقتضاء
المقام ذلك فقط فقد وصفه في مواضع اخر بما يليق به يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا الثامنة عشر ان جبرئيل كان معلما للنبي ولغيره من الانبياء الا في العلوم التي لا يتوصل اليها الا بالعقل كالعلم بذات الله تع بل في العلم
بكيفية مخلوقاته وما فيها من العجائب والعلم باحوال العرش والكرسي والجنة والنار واطباق السموات واصناف الموجودات واحوال الامم
الخالية والقرون الماضية والمعلم افضل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومنع من كون الملائكة اعلم بدليل قصة ادم
ولان تعليم جبرئيل كان بالحقيقة تعليم الله تع ولم يكن جبرئيل الا واسطة ولئن سلم مزيد علمهم منع كثرة ثوابهم التاسعة عشر من يقل منهم
اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذه تدل على انهم بلغوا في الترفع الى حد لو خالفوه الا في دعاء الالهية ورد بان مزيد قدرتهم لا يوجب
مزيد ثوابهم العشرون قال تع حكاية عن الرب تع اذا ذكرني عبدي في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه وهذا يدل على ان الملاء الاعلى اشرف ورد بعد قبول
خبر الواحد انه لا يلزم منه الا ان الملاء الاعلى خير من ملاء عوام البشر ولا يلزم من ذلك كونهم افضل من الانبياء واعلم ان الفلاسفة اتفقوا على ان
الارواح السماوية المسماة بالملائكة عندهم افضل من الارواح الناطقة البشرية لوجوه الاول ان الملائكة ذواتها بسيطة مبراة عن الكثرة والبشر مركب
من النفس والبدن ولكل منهما قوى واجزاء والبسيط خير من المركب لان اسباب العدم للمركب اكثر منها للبسيط وعورض بان المستجمع للروحاني والجسماني
ينبغي ان يكون افضل مما الطرف الروحاني فقط ولهذا جعل ابو البشر مسجود الملائكة وبان الملائكة ليس لها الا الاستغراق في مقاماتها الثاني
والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ومحيطة بضبط احوال العالمين فيكون افضل الثاني الجواهر الروحانية برية عن الشهوة
والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدماء بخلاف البشر ورد بان الخدمة مع كثرة العلائق ادل على الاخلاص وايضا من البين ان درجتهم حين
قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا اعلى منها حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وما ذاك الا بسبب الانكسار الحاصل من الزلة وهذا في البشر اكثر
ولهذا قال تع حاكيا عن ربه انين المذنبين احب الي من زجل المسبحين الثالث انها برية من طبيعة القوة فان كل ما كان ممكنا لها بحسب انواعها واشخاصها
في اشخاصها فقد خرج الى الفعل والانبياء ليسوا كذلك فلهذا قال صلى الله عليه وسلم واني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ولا خفاء ان ما بالفعل
التام اشرف مما بالقوة ورد بان بعض الامور فيها العلها بالقوة ولهذا قيل ان تحريكاتها للافلاك لاجل استخراج التعلقات من القوة الى الفعل كالتحريكات
العارضة لارواحنا الحاملة لقوى الفكر والتخيل الا ان هذا المنع لا يجري في الملائكة المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة وانما يجري
في النفوس الفلكية الرابع الروحانيات ابدية الوجود مبراة عن التغير والفناء والنفوس الناطقة البشرية ليست كذلك ورد بانه لا قديم في الوجود
الا الله ولئن سلم انها وان كانت ممكنة الوجود لذاتها فهي واجبة الوجود بمباديها عورض بما عليه كثير ان النفوس البشرية ازلية بمباديها وكانت
كالاظلال تحت العرش يسبحون بحمد ربهم الا ان المبدا الاول امرها بالنزول الى عالم الاجساد والشبكات المواد فلما تعلقت بهذه الاجساد عشقتها
واستحكم الفها بها فبعث من تلك الاظلال اشرفها واكملها لتخليص تلك الارواح عن تلك الشبكات وهذا هو المراد من باب الحمامة المطوقة المذكور
في كتاب كليلة ودمنة الخامس الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فاين احدهما من الاخر ورد بان الشرف

من المحققين



عندنا ليس بالمادة وانما هو بالانقياد لرب العالمين السادس الارواح السموية تفضل الارضية بقوى العلم والعمل اما الاول فبالاتفاق على
احاطة الارواح السموية بالمغيبات ولان علومهم فعلية فطرية كلية دائمة تامة وعلوم البشر بالضد من ذلك واما العمل فلقوله يسبحون الليل
والنهار لا يفترون واعترض بان المواظب على تناول الاغذية اللطيفة لا يلتذ بها كما يلتذ المبتلى بالجوع فلا يكون لذة الملائكة من العلم والعمل
كلذة البشر لعروض الفترات لهم في اكثر الاوقات بسبب العلائق الجسمانية والحجب الظلمانية فهذه المزية من اللذة مما يختص به البشر ولعل هذا هو المراد
من قوله انا عرضنا الامانة الاية ولذلك قالت الاطباء ان الحرارة في حمى الدق اشد منها في حمى الغب لكن الحرارة في الدق لما دامت واستقرت
بطل الشعور بها فهذه الحالة ليست للملائكة لاجل الاستمرار ولا لغير الانسان لعدم الاستعداد فكان الانسان لها بالمرصاد السابع الروحانيات لها
قوة على تقليب الاجسام وتصريف الاجرام وقواهم ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب وانك ترى الحاسة اللطيفة تشق الصخرة الصما
وما ذلك الا لقوة نباتية فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر بانفسها والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى من قوة الشياطين
على الامور الصعاب ممنوع وان سلم فالارواح العلوية اقدر على ذلك مع انهم يصرفون قواها الى منازل العالم السفلي الا فيما هو شر لهم واعترض
بانه لا مانع من ان يتفق نفس ناطقة بشرية كاملة مستعلية على الاجرام العنصرية بالتقليب والتصريف الثامن الملائكة لهم اختيارات فائضة
من انوار جلال الله متوجهة الى الخيرات واختيارات البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر وانما يتوجه الى الخير باعانة الملك على ما ورد
في الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده ويهديه ويحتمل ان يقال فيكون اذن اعمالهم اشق فيكون ثوابهم اكثر التاسع الافلاك كالابدان
والكواكب كالقلوب والملائكة كالارواح فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان الى الابدان وكما ان اختلافات احوال الافلاك مبادي
لحصول الاختلافات في هذا العالم العلوي يجب ان يكون مستولية على ارواح العالم السفلي بل يكون عللا ومبادي لها فهذه هي الاباء وهنالك
المنابع والمعادن فكيف يليق بالعقل ادعاء المساواة فضلا عن الزيادة واجيب بانه لا مؤثر عندنا الا الله تعالى العاشر الروحانيات الفلكية مبادي
لروحانيات هذا العالم ومعادها منها نزلت فتوسخت باوضار الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق الزكية وصعدت الى عالمها ومصدر
الشيء ومصعده اشرف منه المبدا واليه المنتهى واعترض بان هذا مبني على عدم حشر الاجساد ودون ذلك خرط القتاد الحادي عشر اليس
الانبياء لا ينطقون الا عن الوحي اليس ان الملائكة يعينونهم في المضائق ويهدونهم الى المصالح كما في قصة لوط ويوم بدر وحنين وكما في قصة
نوح من نجر السفينة فمن اين لكم تفضيل الانبياء مع افتقارهم الى الملائكة في كل الامور واجيب بان اول الفكر اخر العمل ولا يلزم من كون
الشيء واسطة افضليته الثاني عشر القسمة العقلية بان الاحياء اما خيرة محضة وهم الملائكة او شريرة محضة وهي الشياطين او خيرة من وجه
اخر وهم البشر تحكم بافضلية الملك وكذا التقسيم بالناطق المائت هو الانسان والناطق غير المائت هو الملك والمائت غير الناطق وهي
البهائم يرشد الى ان الانسان متوسط الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه افضل قلب للقسمة العقلية ونزاع في ترتيب الوجود واما
بما مر عرفت من ان النزاع في كثرة الثواب حجة القائلين بفضل الانبياء على الملائكة الاول ان الله تعالى امر الملائكة بالسجود لادم وثبت ان
ادم لم يكن كالقبلة وامر الاشرف بنهاية التواضع للادون مستقبح والجواب ان القبح العقلي غير ثابت الثاني جعله خليفة له خلافة الولاية
كما مر وخلق الدنيا منبعثة لبقائه والاخرة مملكة لجزائه ولعن ابليس لتكبره عليه وجعل الملائكة حفظة لاولاده ومنزلين لارزاقهم ومستغفرين
لزلاتهم ومع جميع هذه المناصب يقول ولدينا مزيد فاذن لا نهاية لهذا الشرف والكمال الثالث انه كان اعلم لقوله انبئهم باسمائهم
والاعلم افضل الرابع ان الله اصطفى ادم ونوحا وال عمران على العالمين والعالم كل ما سوى الله تعالى فيلزم اصطفاؤهم على الملائكة ولا يشكل
هذا بقوله يا بني اسرائيل الى قوله فضلتكم على العالمين لان تلك الاية دخلها التخصيص لما يعلم انهم غير مفضلين على محمد صلعم وههنا
لا دليل فوجب اجراؤه على الظاهر من العموم الخامس وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والتقريب ظاهر السادس عبادة البشر اشق لان الادمي
له شهوة تدعوه الى المعصية بخلاف الملائكة ولان الادمي مامور بالاستنباط والقياس فاعتبروا يا اولي الابصار ولا يخفى ما فيه من [illegible]
المشقة والملائكة لا يعلمون الا بالنص لا علم لنا الا ما علمتنا ولما يعرض للادمي من الشبهات ككون الافلاك والانجم اسبابا للحوادث اليومية
فيحتاجون الى دفعها والملائكة حيث انهم يشاهدون عالم الملكوت مامونون من ذلك ولان الشيطان مسلط على الادمي دون الملك واذا
كانت طاعتهم اشق فيكون ثوابهم اكثر السابع خلق الملائكة عقولا بلا شهوة والبهائم شهوة بلا عقل وجمع الامرين للادمي ثم اذا غلب
هواه عقله صار ادون من البهيمة اولئك كالانعام بل هم اضل فاذا غلب عقله هواه وجب ان يصير اشرف من الملك اعتبارا لاحد الطرفين
بالاخر الثامن الملائكة حفظة بني ادم والمحفوظ اعز من الحافظ التاسع روي ان جبرئيل عم اخذ بركاب محمد صلعم حتى اركبه على البراق ليلة المعراج
ولما وصل محمد صلعم الى بعض المقامات تخلف عنه جبرئيل وقال لو دنوت انملة لاحترقت العاشر قوله صلعم ان لي وزيرين في السماء ووزيرين
في الارض اما اللذان في السماء فجبرئيل وميكائيل واما اللذان في الارض فابو بكر وعمر فدل على ان محمدا صلعم كالملك وجبرئيل وميكائيل وزيران
فهذا تمام الكلام في حجج الفريقين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك ثم انه تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين وكان من الجائز
ان يظن ان به عذرا بين انه غير ذي عذر بقوله ابى لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار ولهذا فقد العاطف نحو قولك بشرها سرك عيني

وال ابراهيم

والملك كن من العالمين



تختلج لا تقول نعيني لانها بيان ثم انه جاز ان لا يكون الاباء مع الكبر فعطف اخبر عليه واستكبر ليعرف ان الاباء منضم الى الاستكبار وكان من الجائز ان يظن ان كبره لم يوجب الكفر فازيل الظن بقوله وكان من الكافرين وللعقلاء ههنا قولان احدهما ان ابليس حين اشتغاله بالعبودية كان منافقا كافرا اما عندنا من يمنع الاحباط فلا رجحته لما كان على الكفر علم انه ما كان مؤمنا قط واما عند غيرهم فلما حكاه الشهرستاني في اول الملل وهو عن شارح الاناجيل الاربعة شبه مناظرة بين ابليس والملائكة بعد الامر بالسجود قال ابليس لعنه الله اني سلمت ان الباري تعالى الهي واله الخلق عالم قادر حكيم الا اني لي على ما قدره وحكمه اسولة الاول انه قد علم قبل خلقي اي شيء يصدر عني فلم خلقني وما الحكمة في خلقه اياي الثاني اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف مع انه لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف الثالث اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فاطعت وعرفت فلم كلفني بطاعة ادم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي والرابع انه خلقني وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذ لم اسجد فلم لعنني واخرجني من الجنة واوجب عقابي مع انه لا فائدة له في ذلك ولي فيه اعظم الضرر والخامس ثم لما فعل ذلك فلم مكنني من الدخول في الجنة ومن وسوسة ادم بعد ان لو منعني من دخول الجنة استراح مني ادم وبقي خالدا في الجنة والسادس انه خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين ادم فلم سلطني على اولاده حتى اراهم من حيث لا يروني ويؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة وابقاهم على ذلك فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بالحكمة والسابع سلمت هذا كله فلم اذا استمهلته امهلني وما الحكمة في ذلك بعد ان لو اهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شر في العالم اليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر فقال شارح الانجيل فاوحى الله تعالى الى الملائكة قولوا له انك في تسليمك الاول اني الهك واله الخلق غير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت اني اله العالمين ما احتكمت علي بلم وانا الله الذي لا اله الا انا لا اسأل عما افعل والخلق مسؤلون هذا مذكور في التوراة ومسطور في الانجيل وهذه الشبهات بالنسبة الى انواع الضلالات كالبذور وليس بعد عقائد فرق الزيغ والكفر وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق يرجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالخلق والى الجنوح الى الهوى في مقابلة النص ولا جواب عنها بالتحقيق الا الذي ذكره الله تعالى فاللعين لما ان حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه ان يجري حكم الخالق في الخلق او حكم الخلق في الخالق فالاول غلو كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثاني تقصير كالمشبهة وصفوا الخالق بصفات الاجسام وكالخوارج نفوا تحكيم الرجال وقالوا لا حكم الا الله كقوله أأسجد لبشر خلقته من صلصال لا اسجد الا لك فالشبهات كلها ناشئة من اللعين وتلك في الاول مصدرها وهذه في الاخر مظهرها ولهذا قال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبي صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة والمشبهة يهود هذه الامة والرافضة يعني الغلاة نصاراها وقال جملة لتسلكن سبيل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه القول الثاني ان ابليس كان مؤمنا ثم كفر بعد ذلك ثم اختلفوا فمن قائل معناه وكان من الكافرين في علم الله اي كان الله عالما في الازل بانه سيكفر فصيغة كان متعلقة بالعلم لا بالمعلوم ومن قائل ان كان بمعنى صار وقيل لما كفر في وقت معين بعد ان كان مؤمنا بعد لحظة يصدق عليه انه كان من الكافرين وانما حكم بكفره على هذا القول الثاني لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد بدليل قوله انا خير منه والا فمجرد المعصية لا يوجب الكفر عندنا وان كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل في الكفر نعم عند الخوارج الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله من الكافرين هل يدل على وجود جمع من الكفرة قبله حتى يكون هو واحدا منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان كلمة من للتبعيض وانما يذكر البعض الموجود بالاضافة الى كل موجود لا الى كل سيوجد ومما يؤكد ذلك ما روي عن ابن بريدة انه قال انه تعالى خلق خلقا من الملائكة ثم قال لهم اني خالق بشرا من طين قالوا لا نفعل ذلك الكفر فبعث الله نارا فاحرقتهم وكان ابليس من اولئك وقال الاخرون معنى الاية انه صار من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك لان الكفر كان ظاهرا عند نزول الاية او لان الافراد الذهنية يكفي في صحة الجمع فان الحيوان المخلوق اولا يصح ان يقال انه فرد من افراد هذا الحيوان اي من افراد هذه الماهية وعلى هذا يكون ابليس اول من سن الكفر وهو قول الاكثرين واعلم ان الملائكة المامورين بالسجود هم كل الملائكة عند اكثر الائمة لان الجمع المعرف للعموم ويؤكده قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وايضا استثناء الشخص الواحد يدل على ان ما عداه داخل في ذلك الحكم ومن الناس من انكر ذلك وقال هم ملائكة الارض استعظموا ان يكون اكابر الملائكة مامورين بذلك واما الحكماء فانهم يحملون الملائكة على الجواهر الروحانية واستحالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المامورون بالسجود القوى الجسمانية الطبيعية للنفس الناطقة قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن الاية الاصح ان هذا الامر يشتمل على ما هو اباحة لانه كان ماذونا في الانتفاع بجميع الجنة وعلى ما هو تكليف وتعبد فان النهي عنه كان حاضرا روي عن قتادة انه قال ان الله ابتلى ادم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود وذلك لانه كلفه ان يكون في الجنة ياكل منها حيث يشاء ونهاه عن شجرة واحدة ان ياكل منها فما زال به البلاء حتى وقع فيما نهي عنه فاسكانه موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع منعه عن تناوله من اشد التكاليف وانما لم يقل وهبت منك الجنة لانه خلق لخلافة الارض وكان اسكان

في الخالق

بالقذة



الجنة كالتقدمة لذلك فلو قال رجل لغيره اسكنتك داري لا يصير الدار ملكا له واجمعوا على ان المراد بالزوجة حواء وان لم يتقدم ذكرها في
هذه السورة ففي سائر القران ما يدل على ذلك وانها مخلوقة خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وقال صلعم ان المراة خلقت من ضلع لن
تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت بها على عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدي عن ابن عباس وابن مسعود
وناس من الصحابة ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكن ادم الجنة بقي فيها وحده وما كان معه من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النوم
ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجد عند راسه امراة قاعدة فسالها من انت قالت
امراة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت له الملائكة امتحانا لعلمه ما اسمها فقال حواء قالوا ولم قال لانها خلقت من شيء حي فلما اراد
ادم مد يده اليها منعته الملائكة وقالوا ادّ مهرها قال فما صداقها قالوا ان تصلي على محمد ص ثلثا قال ومن محمد قالوا من ولدك خاتم النبيين
ولولاه لما خلقتك وعن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا ادم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور على
كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى ادم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخل الجنة فهذا الخبر يدل على
ان حواء خلقت قبل دخول الجنة والخبر الاول دل على انها خلقت في الجنة والله اعلم بحقيقة الحال ثم هذه الجنة كانت في الارض او في السماء
وعلى تقدير كونها في السماء هي دار الثواب ام جنة اخرى فقال ابو القاسم البلخي وابو مسلم الاصفهاني هي في الارض وحملا الهبوط على الانتقال
من بقعة الى بقعة كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا قالا لان دار الثواب للخلد ولو كان في جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين ولان ابليس بعد ان غضب الله عليه
كيف يقدر ان يصل الى جنة الخلد ولان دار الجزاء يدخل المكلف فيها بعد العمل ولا عمل لادم وقتئذ ولانه تعالى خلقه في الارض ولم يذكر
نقله الى السماء ولو كان قد نقله لكان ذكره اولى لان ذلك النقل من اعظم النعم وقال الجبائي هي في السماء السابعة اهبط منها الى السماء الدنيا
ثم منها الى الارض وقال الجمهور هي دار الثواب والدليل عليه ان اللام في الجنة ليست للعموم لان السكنى في جميع الجنان محال فهي للعهد ولا معهود بين
المسلمين الا دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها واسكن امر من السكنى والسكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت
تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة او في
زمان شئتما فان حيث قد يعبر به عن زمان مجهول وانما قيل ههنا وكلا بالواو وفي الاعراف فكلا لان كل فعل عطف عليه شيء وكان بينهما
رابطة السببية يعطف الثاني على الاول بالفاء والا فبالواو كقوله تعالى في البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا بالفاء لان الدخول
سبب الوصول الى الاكل وكانه قال ان دخلتموها اكلتم وفي الاعراف واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان السكنى وهي
طول اللبث لا يختص وجوده بوجود الاكل لان المجتاز قد ياكل ايضا فلهذا لم يعطف ههنا بالفاء اذ المراد اسكن من السكنى واما في الاعراف
والمراد اسكن بمعنى ادخل ثم السكون فصح العطف بالفاء والنهي في لا تقربا للتنزيه والتحريم والاصح الاول لان الصيغة وردت في كليهما
والاصل عدم الاشتراك فيجعل حقيقة في القدر المشترك بينهما وهو ترجيح جانب الترك على الفعل من غير دلالة على المنع من الفعل والجواز
ثابت بحكم الاصل فان الاصل في الاشياء الاباحة فاذا ضممنا هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار المجموع دليلا على التنزيه وهذا اولى لان
حاصل معصيته الى ترك الاولى فيكون اقرب الى عصمة الانبياء وقيل نهي تحريم قياسا على قوله ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا من
الظالمين ولانه استحق الاخراج من الجنة والرجوع الى التوبة والجواب ان التحريم في ولا تقربوا من بدليل منفصل والظلم قد يراد به ترك الاولى والاخراج
لم يكن بهذا السبب بل لما سياتي ان شاء الله تعالى ثم النهي عن القرب يفيد النهي عن الاكل بطريق الكناية فان القرب اليها من اسباب الاكل منها ومما
يدل على النهي عن الاكل صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وروي عن ابن عباس ان الشجرة هي السنبلة وفي رواية عنه وعن ابن مسعود
انها الكرم وعن مجاهد وقتادة انها التين وعن الربيع بن انس كانت شجرة من كل منها احدث ولا ينبغي ان يكون في الجنة حدث قال المبرد واحسب ان
كل ما له اغصان وعيدان فالعرب تسميه شجرا وقد لا يختص بما له ساق قال تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين واصل هذا انه اسم لكل ما شجر اي اخذ يمنة
ويسرة والتشاجر الاختلاف واعلم انه ليس في الظاهر ما يدل على التعيين ولا حاجة ايضا الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة وما لم يكن مقصودا فذكره
لا يجب على الحكيم بل يكون عبثا كما لو اراد احد ان يقيم عذره في التخلف فقال اشتغلت بضرب غلماني لاساءتهم الادب كان هذا القدر احسن من ان
يذكر عين الغلام واسمه وصفاته فلا يظنن احد ان ههنا تقصيرا في البيان فتكونا جزم عطفا على تقربا او نصب جوابا للنهي من الظالمين من الذين
ظلموا انفسهم بمعصية الله قوله فازلهما الشيطان الاية تحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظة عن في هذه الاية كهي في قوله وما فعلته عن
امري فالضمير للشجرة وقيل اذهبهما وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وذلك قد مر فالضمير للجنة ومن قرا ازالهما فهو من الزوال عن المكارم مما
كانا فيه اي من النعيم والكرامة او من المكان الذي هو الجنة ان كان هو الضمير في عنها للشجرة واعلم ان الناس اختلفوا في عصمة الانبياء ع والنزاع اما
في باب الاعتقاد او في باب التبليغ او في باب الاحكام والفتيا او في افعالهم وسيرتهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند اكثر الامة الا
الفضيلية فانه قد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية



واما

ما يتعلق بالتبليغ فاجتمعت الامة على عصمتهم عن الكذب والتحريف في ذلك لا عمدا ولا سهوا والا ارتفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لان الاحتراز
غير ممكن واما المتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز الخطا فيه عمدا واما السهو فيجوزه بعضهم واباه آخرون واما المتعلق بافعالهم فالحشوية جوزوا
الكبائر عنهم عمدا واكثر المعتزلة جوزوا الصغائر عنهم عمدا الا ما ينفر كالكذب والتطفيف والجبائي لا يجوز صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد بل على التاويل
وقيل لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطاء ولكنهم يؤاخذون به وان كان ذلك موضوعا عن امتهم لان معرفتهم اقوى فهم على التحفظ اقدر والشيعة
لم يجوزوا صغيرة ولا كبيرة منهم لا عمدا ولا سهوا ولا على سبيل التاويل والخطاء وفي وقت عصمتهم ثلثة اقوال فمذهب الشيعة انهم معصومون من وقت
مولدهم والمعتزلة من وقت بلوغهم ولم يجوزوا الكفر والكبيرة منهم قبل النبوة وبعضهم واكثر اصحابنا على تجويز ذلك قبل النبوة والمختار انهم لم
يصدر عنهم الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة لوجوه الاول لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من عصاة الامة مصداقه قوله عز من
قائل يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وشعر صغائر الرجل الكبير كبائر ولا يجوز ان يكون
النبي اقل حالا من الامة بالاجماع وبتقدير اقدامه على الفسق لا يكون مقبول الشهادة لقوله ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا لكنه شاهد عدل من
الله بانه شرع الدين وكذا يوم القيمة ويكون الرسول عليكم شهيدا الثالث بتقدير اقدامه على الكبيرة يجب زجره وايذاؤه لكنه محرم ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة الرابع انه لو اتى بمعصية لوجب علينا الاقتداء به لقوله فاتبعوه والجمع بين الوجوب
والحرمة محال الخامس نعلم بالبديهة انه قبيح لا شيء اقبح من نبي رفع الله درجته وجعله خليفة في عباده وبلاده ثم انه يقدم على ما نهاه عنه ترجيحا
لهواه حتى يستحق اللعن والعذاب السادس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم يكون حينئذ منزلا في شانه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
السابع انهم كانوا يسارعون في الخيرات واللفظ للعموم فيشمل فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي الثامن وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار والله
من الملائكة رسلا ومن الناس والوصف بالاصطفاء ينافي الذنب التاسع انه تعالى حكى عن ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين والانبياء
من المخلصين لقوله تعالى في حق يوسف انه من عبادنا المخلصين وفي حق موسى انه كان مخلصا فكذا غيرهما العاشر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ولا يخفى وجوب كون الانبياء منهم والا كان غير النبي افضل من النبي الحادي عشر الخلق قسمان حزب الله الا ان
حزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان الا ان حزبهم الخاسرون والعصاة حزب الشيطان فلا يجوز ان يكون النبي عاصيا الثاني عشر النبي
افضل من الملك كما مر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم فالنبي اولى الثالث عشر اني جاعلك للناس اماما والامام من يؤتم به والمذنب لا يجوز
الاقتداء به في ذنبه الرابع عشر لا ينال عهدي الظالمين فان كان عهد النبوة ثبت المطلوب وان كان عهد الامامة فالنبي اولى به روي ان خزيمة
بن ثابت شهد لرسول الله صلعم على وفق دعواه صلعم كيف شهدت لي فقال يا رسول الله صلعم اني صدقتك على الوحي النازل عليك من فوق سبع
سموات افلا اصدقك في هذا القدر فصدقه رسول الله صلعم فيه وسماه بذي الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت تلك
الشهادة المخالف تمسك في باب الاعتقاد بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله له شركاء وهذا يقتضي صدور الشرك عنهما والجواب
ما سيجيء في الاعراف ان شاء الله تعالى من ان الخطاب لقريش والمعنى خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة عربية ليسكن اليها فلما آتاهما
ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصي قالوا وان ابرهيم لم يكن عالما بالله ولا باليوم
الآخر لقوله هذا ربي ولكن ليطمئن قلبي والجواب هذا ربي استفهام منه بطريق الانكار وقوله ليطمئن قلبي اراد به ان يؤكد علم اليقين
بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة قالوا فان كنت في شك فلا تكونن من الممترين يدل على انه كان شاكا في الوحي قلنا الخطاب له والمراد مثل
يا ايها النبي اذا طلقتم قالوا وفي باب التبليغ سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله هذا الاستثناء يدل على النسيان والجواب عنه ان هذا
النسيان نوع من النسخ كما يجيء في تفسير قوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها قالوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته والجواب سوف يجيء في سورة الحج ان شاء الله تعالى قالوا عالم الغيب فلا يظهر الى قوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم ولولا الخوف من وقوع التخبيط في الوحي لم يستظهر بالرصد قلنا هذا عليكم لا لكم لدلالته على كونهم محفوظين عن التخبط قالوا وداود
وسليمان اذ يحكمان في الحرث ما كان لنبي ان يكون له اسرى عفا الله عنك لم اذنت لهم قلنا الجميع محمول على ترك الاولى وسوف يجيء
قصة كل في موضعها على انا نقول شعر يا سائلي عن رسول الله صلعم كيف سها : والسهو من كل قلب غافل لاهي : قد غاب عن كل شيء سره
فسها عما سوى الله فالتعظيم لله قالوا وفي الافعال وعصى آدم ربه فغوى والعصيان يوجب الوعيد ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
والغي ضد الرشد قد تبين الرشد من الغي ثم انه تاب والتوبة دليل الذنب وانه ظالم لقوله فتكونا من الظالمين والظالم ملعون الا
لعنة الله على الظالمين وانه اخرج من الجنة وكل هذه دليل ارتكاب الكبيرة والجواب المنع من ان هذه الامور كانت بعد النبوة ثم لنفرض
انه صدر ذلك الفعل عن آدم بعد النبوة فاقدامه عليه اما ان يكون في حال كونه ناسيا او في حال كونه ذاكرا الذاهبون الى الاول وهم طائفة
من المتكلمين احتجوا بقوله فنسي ولم نجد له عزما ومثلوه بالصائم يغفل عن صومه فياكل في اثناء ذلك السهو عن قصد قيل عليه ان قوله ما
نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين يدل على انهما نسيا وروي عن ابن عباس انهما لما

اكلا منها وبدت لهما سوآتهما خرج ادم فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله تعالى افرارا مني فقال بل حياء منك فقال له اما كان فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما كنت ارى احدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي لاهبطنك منها ثم لا تنال العيش الا نكدا وايضا لو كان ناسيا لما عوتب عليه لانه كان عالما بتمرد ابليس عن سجوده وكونه عدوا له ولزوجه ولانهما الوصد فاه لكانت المعصية في نفسه يقدا اعظم من اكل الشجرة لانه القى اليهما سوء الظن بالله وانه ناصح والرغاثر وما روي عن ابن عباس فهو من باب الاحاد ولا يلزم من رفع النسيان عن هذه الامة رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل اني اوعك كما يوعك الرجلان منكم وقيل ان حواء سقته الخمر فسكر ثم اقدم على ذلك الفعل وهذا انما يصح اذا حملت الشجرة على غير الكرمة حتى يكون مأذونا في تناول غيرها الا انه يرد عليه ان خمر الجنة لا تسكر لانه لا فيها غول الذاهبون الى انه فعله عامدا اربع فرق منهم من قال النهي نهي تنزيه لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال كان عمدا من ادم وكان كبيرة مع ان ادم في ذلك الوقت كان نبيا وقد عرفت فساده ومنهم من قال فعله عمدا لكن كان معه من اعمال القلب من الاخلاص والوجل والاشفاق ما صيره صغيرة وزيف بان المقدم على ترك الواجب وفعل المنهي عمدا لا يعتد بدعوى الخوف فلا يصح وصف الانبياء بذلك ومنهم وهو اختيار اكثر المعتزلة من قال انه اقدم على الاكل بسبب اجتهاد اخطأ فيه وذلك لا يقتضي كون الذنب كبيرة بيان الاجتهاد انه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة فلفظ هذه قد يشار بها الى الشخص وقد يشار الى النوع كما روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي وتوضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به واراد نوع الحرير والذهب ونوع الوضوء فاراد الله تعالى من كلمة هذه ذلك النوع لا الشخص وكان ادم ظن ان النهي قد ورد على الشجرة المعينة فتركها وتناول من شجرة اخرى من ذلك النوع واعترض بان هذا في اصل اللغة للاشارة الشخصية واذا حمل ادم اللفظ على موضوعه فكيف يعد مخطئا وايضا هب ان لفظ هذا متردد بين الشخص والنوع فان كان مع قرينة الاشارة النوعية وقد قصر في معرفتها فيكون مذنبا وان عرفها ومع ذلك اقدم على التناول فكذلك وان لم يكن فيه قرينة فلا يعد مخطئا وايضا الانبياء لا يجوز لهم الاجتهاد لانهم قادرون على تحصيل اليقين بالوحي فالاقدام على الاجتهاد عين المعصية وايضا هذه المسئلة ان كانت قطعية فالخطاء فيها كبيرة وان كانت من الظنيات فان قلنا كل مجتهد مصيب فلا خطاء وان قلنا المصيب واحد فالمخطي فيها معذور بالاتفاق واجيب بان لفظ هذا يستعمل في الاشارة النوعية ايضا كما مر وبان ادم لعله قصر في معرفة القرينة او عرفها ثم نسي لطول المدة فلهذا عوتب وبان المسئلة القطعية لما نسيها صار النسيان عذرا حتى لا يصير الذنب كبيرا وقد يكون ظنية التشديد بذات على الخطاء فيها لان النبي صلى الله عليه وسلم قد يؤاخذ بما لا يؤاخذ به غيره من الامة وقيل قد يحمل الخطأ في الاجتهاد من جهة ان ادم ظن ان المنهي في قوله لا تقربا تناولهما معا فيجوز لكل واحد على الانفراد اكله فان قيل كيف تمكن ابليس من وسوسة ادم مع ان ابليس كان خارج الجنة وادم فيها قلت اما انه دخل في فم الحية خافيا عن الخزنة ولهذا سقطت قوائم الحية عقوبة لها على ما يروى وان كان يبعد عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما سالمناهم منذ حاربناهم ومن ترك منهم شيئا خيفة فليس منا يعني الحيات واما انه دخل الجنة في صورة دابة واما انهما كانا يخرجان الى باب الجنة وابليس كان يقرب من الباب ويوسوس اما انه كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل وسوس لهما على لسان بعض اتباعه لانهما كانا يعرفان ما عنده من الحسد والبغضاء فيستحيل ان يقبلا قوله عادة واسناد الازلال والاخراج الى الشيطان لانه حصل بسبب منه وعن بعض العرفاء ان زلة ادم هب انها كانت بوسوسة ابليس فمعصية ابليس بوسوسة من ولا بد من الانتهاء الى الذي لا يسئل عما يفعل فان قيل كيف كانت الوسوسة قلنا هي التي حكاها الله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فلما لم يفد عدل الى اليمين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين ولكم من شياطين الانس من هم يوسوسون اليك على هذا الترتيب عاذنا الله منهم ثم بعد ذلك يحتمل ان لم يصدقاه فعدل الى شغلهما باللذات المباحة حتى استغرقا فيها ونسيا النهي فوقعا فيما وقعا والله اعلم بحقائق الامور اهبطوا خطاب لادم وحواء وابليس اما في وقت واحد بناء على ان ابليس قد عاد الى الجنة لاجل الوسوسة واما لادم وحواء في وقت وله في اخر قبل ذلك وقيل خطاب لهما وللحية وقيل الصحيح ان الخطاب لهما وذريتهما مرادة ايضا لانهما لما كانا اصل الانس جعلا كانهما الناس كلهم والدليل عليه ما جاء في طه اهبطا منها وقوله فاما ياتينكم وما هو الا حكم يعم الناس كلهم واهبطوا امر واباحة الاشبه الاول لان مفارقة ما كانا فيه من النعيم الى دار الهوان اشق التكاليف وانما قيل انه تكليف لا عقوبة لما ترتب عليه من الثواب العظيم ويمكن ان يقال انه لا هباط عقوبة ولا ثواب عليه وانما الثواب على حسب العمل بعد ذلك معنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض وليست هذه هي العداوة المامور بها في قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلا يدخل تحت الامر بل المراد اهبطوا وسيكون حالكم كذا لانه عالم التضاد والتنافي ليس كعالم الانوار الذي لا تعاند فيه ولا تمانع مستقر استقرارا او موضع استقرار حالتي الحيوة والموت ومتاع تمتع بالعيش الى حين هو يوم القيمة وحين انقضاء اجالكم والحين المدة طويلة او قصيرة ولهذا لو قال انت طالق الى حين نفت لحظة طلقت وفي قصة ادم وما جرى عليه معتبر عجيب وموعظة بليغة لينته كان فيه اجتناب الخطايا واتقاء الماثم ولله در القائل شعر يا ناظرا نورا بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد: تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي درك الجنان ونيل فوز العابد



آبيتنا ان الله اخرج ادما : منها الى الدنيا بذنب واحد وعن فتح الموصلي كنا قوما من الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها شعر تطلب الراحة في دار العنا خاب من يطلب شيئا لا يكون قوله فتلقى الاية اصل التلقي التعرض للقاء ثم موضع الاستقبال للشيء الجائي ثم يوضع موضع القبول والاخذ وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اي تلقنه ثم بعض الافعال قد يشترك فاعله ومفعوله في صلاحية وصف كل منهما بالفعل فيتعارضان عمله فيهما تقول بلغني ذلك وبلغته واصابني خير او نالني و اصبته او نلته وتلقى آدم من ربه كلمات اي اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول وتلقى آدم كلمات اي جاءته واتصلت به ولا يجوز ان يكون معنى التلقي من الرب ان الله تعالى عرفه حقيقة التوبة لان المكلف لا بد ان يعرف ماهية التوبة ويتمكن بعقله من تدارك الذنوب فضلا عن الانبياء فاذن المراد انه نبهه على المعصية على وجه آل امره الى التوبة وعرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة او ذكر نعمته العظيمة عليه حتى صار من الدواعي القريبة الى التوبة وعلمه كلمات لو حصلت التوبة معهن كل حالها ومن قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وفي رواية ابن عباس ان آدم قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم وقال النخعي اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه قال علم الله آدم وحواء امر الحج فحجا فهي الكلمات التي يقال في الحج فلما فرغا من الحج اوحى الله تعالى اليهما اني قبلت توبتكما وعن ابن مسعود احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقالت عائشة لما اراد تعالى ان يتوب على آدم عم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى الركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسئلك ايمانا تباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى الى آدم يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت ذنبه وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها وفي كلام الغزالي ان التوبة يتحقق من ثلثة امور مترتبة اولها علم وثانيها حال وثالثها عمل فالعلم هو معرفة ما في الذنب من الضرر وكونه حجابا بين العبد ورحمة الرب فاذا استحكمت هذه المعرفة تالم القلب بسبب فوات محبوبه وتاسف على الفعل الذي كان سبب ذلك الفوات ويسمى ذلك التاسف ندما وهذه الحالة لها تعلق بالماضي وهو تلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر وتعلق بالحال وهو ترك الذنب الذي كان ملابسا له وتعلق بالمستقبل وهو العزم على ان لا يعود اليه ابدا وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم السابق كالمقدمة والترك اللاحق كالثمرة ومنه قوله عم الندم توبة وجميع هذه الامور بتوفيق الله ولطفه انه هو التواب الرحيم والتوبة لغة الرجوع فيشترك فيه الرب والعبد فاذا وصف بها العبد فالمعنى رجع الى ربه لان العاصي هارب عن ربه وقد يفارق الرجل خدمة سيده فيقطع السيد معروفه عنه فاذا عاد الى السيد عاد السيد عليه باحسانه ومعروفه وهذا معنى قبول التوبة من الله غفران ذنوب العباد التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومعنى المبالغة في التواب ان واحدا من ملوك الدنيا اذا عصاه انسان ثم تاب قبل توبته ثم اذا عاد الى المعصية والى الاعتذار فربما لم يقبل عذره لان طبعه يمنعه من قبول العذر والله تعالى بخلاف ذلك لانه انما يقبل التوبة لا لامر يرجع الى رقة طبع او جلب نفع او دفع ضر بل لمحض الاحسان واللطف والرحمة والجود فان فيضه لا ينقطع ولا تقصير الا من القابل فكلما ارتفع المانع من قبل القابل وصل الفيض اليه لا محالة وايضا يستحق المبالغة من جهة اخرى وهي كثرة عدد المذنبين المستلزمة لكثرة التائبين المستتبعة لكثرة قبول التوبة ووصفه بالرحمة روي عن رسول الله صلعم انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود لكان بكاء داود اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود الى بكاء نوح لكان بكاء نوح اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح الى بكاء آدم على خطيئته لكان بكاء آدم اكثر واذا آل حال ابينا الى هذا الخطيئة واحدة فمن احاطت به خطاياه احق بالبكاء وقال نبينا عم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فنحن احق بالاستغفار فان الغين يكاد يكون بالنسبة الينا رينا وذلك ان الغين شيء يغين يغشى ويغطي التغطية كالغيم الرقيق لا يحجب الشمس ولكن يمنع كمال ضوءها والرين ما استحكم من ذلك حتى صار القلب ممتنعا بالكلية عن قبول الحق وذلك صفة الكفار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل في تاويل الحديث ان الله تعالى اطلع نبيه على ما سيكون في امته من الخلاف والشقاق وكان اذا ذكر ذلك وجد غينا في قلبه فاستغفر لامته وقيل كان ينتقل من حالة الى حالة ارفع من الاولى فيستغفر مما كان وقيل الغين عبارة عن السكر الذي كان يلحقه في طريق المحبة حتى يصير فانيا عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو استغفر من ذلك المحو وهذا تاويل ارباب الحقيقة وقال اهل الظاهر ان القلب لا ينفك عن الخطرات والشهوات وانواع الارادات فكان يستعين بالرب تعالى في دفع تلك الخواطر وعن ثابت البناني بلغنا ان ابليس قال يا رب انك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال سبحانه جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب زدني فقال لا يولد لآدم ولد الا ولد لك عشرة قال رب زدني قال تجري منه مجرى الدم قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد قال فشكى آدم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاء وسلطته علي وانا



حيث كان يريد وحمزة في الوقف يعني وكذلك ما بعدها ساكنة الياء ابو زيد عن المفضل فارهبوني فاتقوني بالياء في الحالين يعقوب
وكذلك كل ياء محذوفة في الخط عند راس الاية وروى مسبح بن حاتم وابن دريد عن سهل وعباس الياء في الوصل وكافر مثاله
قتيبة واحمد بن فرج الوقوف فارهبون ربع الجزء كافر به لاتفاق الجملتين وعلى قليلا اجوز لاختلاف النظم بتقديم المفعول فاتقون تعلمون
الراكعين الكتاب تعقلون الصلوة خاشعين لان الذين صفتهم راجعون التفسير انه تعالى لما اقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ثم ذكر الانعامات
العامة للبشر ومن جملتها خلق ادم الى تمام قصته اردفها الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود لانه اشكلتهم واستمالة لقلوبهم وتنبيها على
نبوة محمد صلعم من حيث كونه اخبارا بالغيب رجاء في مطاوي ذلك ما يرشدهم الى اصول الاديان ومكارم الاخلاق واسرائيل هو يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم غير منصرف للعلمية والعجمية المعتبرة لقبه ومعناه صفوة الله وقيل عبد الله لان اسر بالعبرية هو العبد وايل الله وقوله
يا بني اسرائيل خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في ايام محمد صلعم وحد النعمة وما يتعلق بها قد سبق في تفسير الفاتحة
والعائد من الصلة محذوف اي انعمت بها عليكم قال بعض العارفين عبيد المنعم قليلون فان الله تعالى ذكر بني اسرائيل نعمه عليهم ولما
آل الامر الى امة محمد صلعم ذكرهم المنعم فقال اذكروني اذكركم عن ابن عباس انه قال من نعمه تعالى على بني اسرائيل ان نجاهم من ال فرعون وظلل
عليهم في التيه الغمام وانزل عليهم المن والسلوى واعطاهم الحجر الذي كان يسقيهم ما شاؤا واعطاهم عمودا من النور اضاء لهم بالليل
وكان رؤسهم لا تتشعث وثيابهم لا تبلى وفي تذكير هذه النعم فوائد منها ان فيها ما يشهد بصدق محمد صلعم وهو التورية والانجيل والزبور
ومنها ان كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكرهم اياها ليحذروا مخالفة ما دعوا اليه من الايمان بمحمد صلعم والقران ومنها ان تذكر النعم الكثيرة
يوجب الحياء من اظهار المخالفة ومنها ان كثرة النعم يفيد ان المنعم خصهم بها من بين سائر الناس ومن خص احدا بنعم كثيرة فالظاهر انه لا يزيلها
عنهم كما قيل اتمام المعروف خير من ابتدائه فتذكير النعم السالفة مطمع في النعم الاتية وذلك الطمع يمنع من اظهار المخالفة والمخاصمة والنعمة على الآباء
نعمة على الابناء اذ لولاها لم يبق نسلهم ولان الانتساب الى آباء خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد ولانهم اذا علموا
ان آباءهم انما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا في هذه الطريقة لان الابن مجبول على اتباع الاب ومن اشبه
اباه فما ظلم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال وفيت بعهدك اي بما عاهدت عليه واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه والمعنى
اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي اوف بعهدكم اي ارض عنكم وادخلكم الجنة حكاه الضحاك عن ابن عباس وتحقيقه في قوله تعالى
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية و
الانجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله وقيل المراد من هذا العهد ما اثبته في الكتب المتقدمة من صفة محمد صلعم وانه سيبعثه واليه الاشارة
في قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وفي الاعراف فساكتبها
للذين يتقون الاية وفي ال عمران واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم وفي الصف واذ قال عيسى بن مريم وعن ابن عباس ان الله كان عهد
الى بني اسرائيل في التورية اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالتورية الذي ياتي به اي بالقران غفرت له ذنبه وادخلته الجنة
وجعلت له اجرين اجرا باتباع ما جاء به موسى وجاءت به سائر انبياء بني اسرائيل واجرا باتباع ما جاء به محمد صلعم النبي الامي الذي من ولد اسمعيل
ويصدقه هذا القران يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وعن ابي موسى الاشعري مرفوعة ثلثة يؤتون
اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بعيسى ثم امن بمحمد صلعم فله اجران ورجل ادب امته فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها و
تزوجها فله اجران ورجل اطاع الله واطاع سيده فله اجران فان قيل لو كان الامر كما قلتم فكيف يجوز من جماعتهم جحده صلعم قلنا اما لان هذا
العلم كان حاصلا عند العلماء بكتبهم ولم يكن لهم عدد كثير فجاز منهم كتمانه صلعم واما لان ذلك النص كان نصا خفيا لعدم تعيين الزمان و
المكان بحيث يعرفه كل احد فجاز وقوع الشكوك والشبهات فيه جاء في الفصل التاسع من السفر الاول من التورية ان هاجر لما غضبت
عليها سارة تراءى لها ملك الله تعالى فقال لها يا هاجر اين تريدين قالت اهرب من سيدتي سارة فقال ارجعي الى سيدتك واخفضي لها سيدتك فقال لها
فان الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين ابنا تسميه اسمعيل من اجل ان الله سمع خشوعك وهو يكون عين الناس ويكون يده فوق
الجميع مبسوطة اليه بالخضوع فقيل هذا الكلام خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لا يتجاسرون على الدخول
في اوائل العراق واوائل الشام الا على اتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على المخافقين بالاسلام ومازجوا الامم ووطئوا بلادهم ومازجوا
الامم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته اي زيدا رهبت
رهبته بتقديم المفعول للاختصاص وتقديره واياي ارهبوا فارهبون وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لمكان الفاء المؤذنة
بتلازم ما قبلها وما بعدها اي ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ومن قبيل التكرير ولاجل الاضمار والتفسير والرهبة هي الخوف والخوف اما
من العقاب وهو نصيب اهل الظاهر واما من الجلال وهو وظيفة ارباب القلوب والاول يزول والثاني لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا اشد
كان امنه يوم القيمة اكثر وبالعكس يروى انه ينادي مناد يوم القيمة وعزتي وجلالي اني لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين من امنني في الدنيا





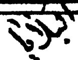
خوفه يوم القيمة ومن خاف في الدنيا امن يوم القيمة وقوله وامنوا معطوف على اذكروا والمراد بما انزلت القران ومصدقا حال مؤكدة من
الراجع المحذوف وفيه تفسيران احدهما ان في القران ان موسى وعيسى حق والتورية والانجيل حق والتورية انزل على موسى والانجيل على عيسى
فكان الايمان بالقران مؤكدا للايمان بالتورية والانجيل والثاني انه حصلت البشارة بمحمد ص وبالقران في التورية والانجيل فكان الايمان
بمحمد والقران تصديقا للتورية والانجيل والتكذيب بمحمد والقران تكذيبا لهما وفي هذا التفسير دلالة على نبوة محمد ص من حيث ان شهادة
كتب الانبياء لا يكون الا حقا ومن حيث انه ص اخبر عن كتبهم ولم يكن له ص معرفة بذلك الا من قبل الوحي ولا تكونوا اول كافر به اي اول من كفر به او
اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقوله كسانا حلة اي كل واحد منا وههنا سؤالات الاول كيف جعلوا اول
اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركو العرب في الجواب وجوه الاول انه تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته و
ولانهم كانوا المبشرين بزمان محمد ص والمستفتحين به على الذين كفروا وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به الثاني ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه موصوفا في التورية
مثل من لم يعرفه لانه لا كتاب له الثالث ولا كافر به من اهل الكتاب لان هؤلاء كانوا اول من كفر بالقران من بني اسرائيل الرابع ولا تكونوا اول
كافر به يعني بكتابكم يقول ذلك لعلمائهم لان تكذيبكم بمحمد ص يوجب تكذيبكم الخامس المراد بيان تغليظ كفرهم وذلك لان السابق الى الكفر كفره غليظ
من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها والكافر عن دليل ومعرفة بما يوجب الايمان كفره اغلظ ممن كفر ولا دليل له على الايمان فاشتركا من هذا
الوجه فصح اطلاق احدهما على الاخر السادس ولا تكونوا اول من جحد مع المعرفة السابع اول فريق كفر من اليهود لان النبي قدم المدينة وبها قريظة
والنضير فكفروا ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر الثامن ولا تكونوا اول الكافرين به عند سماعكم بذكره بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه السؤال
الثاني كانه يجوز لهم الكفر اذا لم يكونوا اولا والجواب ليس في ذكر الشيء دلالة على ان ما عداه بخلافه وايضا في قوله وامنوا دلالة على ان كفرهم اولا واخرا
محظور وايضا قوله ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا لا يدل على اباحة ذلك بالثمن الكثير وقوله رفع السموات بغير عمد ترونها لا يدل على وجود عمد
لا نراها فكذلك ههنا قال المبرد هذا الكلام خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم فقيل لهم لا تكفروا بمحمد ص فانه سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا انتم
اول الكفار فانه يكون عليكم وزر من كفر الى يوم القيامة والاشتراء استعارة للاستبدال كما قلنا في اشتروا الضلالة بالهدى اي لا تستبدلوا باياتي
ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشتري به والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو تبعوا دين الاسلام وقيل الثمن هو
الرشى التي ياخذها علماؤهم على تحريف الكلم عن مواضعه وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرايع واياي فاتقون مثل فاياي فارهبون وقيل
الاتقاء انما يكون عند الجزم بحصول ما يتقى عنه فكان امرهم بالرهبة على جواز العقاب ثم امرهم بالتقوى على يقين العقاب ثم قوله
ولا تلبسوا امر بترك الاغواء والاضلال كما ان قوله وامنوا امر بترك الكفر والضلال والاضلال للغير طريقان لانه ان سمع الدلائل فاضلاله بتشويشها
عليه وان لم يسمعها فاضلاله بكتمانها ومنعه من الوصول اليها فقوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول وقوله وتكتموا المجزوم بلا المقدرة للنهي
عطفا على المنهي قبله اشارة الى القسم الثاني والباء التي في بالباطل اما للوصل في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به فكان المعنى ولا تكتبوا
في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بينهما واما للاستعانة كما في كتبت بالقلم فالمعنى لا تجعلوا الحق
ملتبسا بباطلكم وهو الشبهات التي توردونها على السامعين وذلك ان النصوص الواردة في التورية والانجيل في امر محمد ص كانت نصوصا
خفية يحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتاملين كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق قيل ويجوز ان يكون وتكتموا منصوبا باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق نحو لا تاكل السمك وتشرب
اللبن قلت هذا التقدير يوهم ان يكون المحظور هو الجمع بين الامرين كالجمع بين اكل السمك وشرب اللبن حتى لو اتى بكل منهما منفردا عن الاخر
جاز اللهم الا ان يحال ذلك على القرينة كما في قوله ولا تطع منهم اثما او كفورا اذ لا يجوز ان يريد اطع احدهما القرينة الاثم والكفر وانتم تعلمون
ما في اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم يوم القيمة من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والنهي عن اللبس والكتمان
وان قيد بالعلم لم يدل على جوازهما حال عدم العلم لان السبب في ذكره ان الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضارا افحش من الاقدام عليه
عند الجهل بكونه ضارا والنهي وان كان خاصا لكنه عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه ثم لما امرهم بذكر نعمته وبالايمان
برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس والكتمان بين لهم ما لزمهم من اصول الشرايع فقال اقيموا الصلوة اي التي عرفتموها بوصف النبي بناء على
انه لا يجوز تاخير بيان المجمل عن وقت الخطاب واما القائلون بجواز التاخير فقد جوزوا ورود الامر بالصلوة وان لم يعرف حقيقتها ويكون
المقصود ان يوطن السامع نفسه على الامتثال وان كان لا يعلم ان المامور به ما هو كما لو قال السيد لعبده اني امرك غدا بشيء فلا بد ان تفعله
ويكون الغرض ان يعزم العبد في الحال على ادائه في الوقت الثاني ومعنى الصلوة لغة وشرعا قد تقدم في اول البقرة واما الزكوة فهي في اللغة الزكاء
والنماء وفي الشرع القدر المخرج من النصاب لانها تزيد في بركة المخرج عنه ويمكن ان يقال ماخوذة من التطهير من زكى نفسه تزكية اذا مدحها و
طهرها من العيوب قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فان المخرج يطهر ما بقي من المال قال ص عليك بالصدقة فان بها





ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الاخرة فاما التي في الدنيا فتزيد في الرزق وتكثر المال وتعمر الدار واما التي في الاخرة فتستر العورة وتصير
ظلا فوق الراس وتكون سترا من النار وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع وفي قوله واركعوا مع الراكعين
وجوه احدها ان اليهود لا ركوع في صلوتهم فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الاتيان بصلوة المسلمين وثانيها صلوا مع المصلين فلا تكرار
لان الاول امر باقامتها والثاني امر بالجماعة وثالثها الركوع والخضوع لغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وامر بالتذلل للمؤمنين
ثم انه سبحانه لما امر بالايمان والشرايع بناء على ما خصهم من النعم رغبهم في ذلك بناء على ما خذ اخر وهو ان التغافل عن اعمال البر مع حث الناس
عليها مستقبح في العقول والهمزة في اتامرون للتقرير مع التقريع والتعجيب من حالهم والبر اسم جامع لاعمال الخير ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما
وعمل مبرور مرضي واختلف في البر ههنا قال السدي انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ويرتكبونها وقال
ابن جريج تامرون الناس بالصلوة والزكوة وتتركونهما ابو مسلم كانوا قبل مبعث النبي يخبرون مشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعو
الى الحق ويرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلعم حسدوه واعرضوا عن دينه الزجاج يامرون الناس بالصدقة ويشحون بها وقيل يامرون
من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلعم ولا يتبعونه وقيل يامرون غيرهم باتباع التورية وانهم خالفوه لانهم وجدوا فيها ما يدل
على صدق محمد صلعم ثم ما امنوا به وقيل لعل المنافقين من اليهود كانوا يامرون باتباعه في الظاهر وينكرونه في الباطن فوبخهم الله على ذلك و
النسيان ههنا الترك لان النسيان هو الحادث بعد حصول العلم والناسي غير مكلف فكيف يتوجه الذم على ما صدر عنه فالمراد وتغفلون عن حق انفسكم
وتعدلون عما لها فيه من النفع وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ اي التورية وتدرسونها وتعلمون ما فيها من اعمال البر ومن نعت محمد صلعم ومن الوعيد على
ترك البر ومخالفة القول العمل أَفَلَا تَعْقِلُونَ وهو تعجيب للعقلاء من افعالهم وكثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام للعلم به والتقدير تعلمون
ذلك فلا تعقلون وقس على هذا نظائره في القران فانها كثيرة وللتعجيب وجوه منها ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير
الى المصالح وتحذيره عن المفاسد وارشاد النفس اليها وتحذيرها منها اهم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بما لا يقبله العقل
الصحيح ومنها ان مثل هذا الوعظ يصير سببا للمعصية لان الناس يقولون لولا ان هذا الواعظ مطلع على انه لا اصل لهذه التخويفات والا
لما اقدم على المناهي فيكون داعيا لهم الى التهاون بالدين والجراة على المعاصي وهذا مناف للغرض من الوعظ فلا يليق بالعقلاء ومنها ان غرض
الواعظ ترويج كلامه وتنفيذ مرامه فلو خالف الى ما نهى عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف المعقول قال بعضهم ليس للعاصي ان يامر
بالمعروف وينهى عن المنكر استدلالا بهذه الاية وبقوله تعالى لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ وبان الزاني بامراة يقبح منه ان ينكر عليها واجيب بان
المكلف مامور بشيئين ترك المعصية ومنع الغير عنها والاخلال باحد التكليفين لا يقتضي الاخلال بالاخر والذم في الاية مترتب على
الشق الثاني وهو نسيان النفس لا على مجموع الامرين قالوا وحديث القبح ممنوع قلت والحوالة مكابرة فعن انس ان النبي صلعم قال مررت
ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا اخي جبرئيل من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا كانوا يامرون الناس
بالبر وينسون انفسهم وقال صلعم ان في النار رجلا يتاذى اهل النار بريحه فقيل من هو يا رسول الله صلعم قال عالم لا ينتفع بعلمه وقال صلعم مثل
الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وعن الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار فيقولون
لم دخلتم النار وانا دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقيل من وعظ بالقول ضاع كلامه ومن وعظ بفعله
نفذت سهامه وقيل عمل رجل في الف رجل ابلغ من قول الف رجل في رجل روي ان يزيد بن هرون مات وكان واعظا زاهدا فرئي
في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي واول ما سالني منكر ونكير فقالا من ربك فقلت اما تستحيان من شيخ دعا الناس الى الله
كذا وكذا سنة فتقولان له من ربك وقيل للشبلي عند النزع قل لا اله الا الله فقال شعر ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السرج ۞ ولما امر
تعالى او لما امر الله تعالى بالايمان وترك الاضلال والتزام الشرايع وموافقة القول للفعل وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسة
والاعراض عن المال والجاه عالج الله تعالى هذا المرض بقوله وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ فكانه قيل واستعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا
والدخول فيما يستثقله طباعكم من قبول دين محمد صلعم بالصبر اي حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم انفسكم ذلك مرنت عليه وخفت
عليها ثم اذا ضممتم الصلوة الى ذلك كمل الامر لان المشتغل بالصلوة مشتغل بذكر لطفه وقهره فاذا تذكر لطفه مال الى الطاعة واذا تذكر قهره
انتهى عن المعصية وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه يقال شهر الصبر لشهر رمضان ومن حبس نفسه عن قضاء شهوتي البطن والفرج
زالت عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلوة استنار القلب بانوار معرفة الله وانما قدم الصوم على الصلوة لان تاثير الصوم في ازالة
ما لا ينبغي وتاثير الصلوة في حصول ما ينبغي والنفي مقدم على الاثبات ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء اي استعينوا على البلاء بالصبر
والالتجاء الى الدعاء والابتهال في دفعه الى فاطر الارض والسماء وهذا الخطاب وان كان خاصا ببني اسرائيل والا لزم تفكك النظم لكن المعنى على
العموم فعلى كل مكلف ان يستعين على حوائجه الى الله بالصلوة والصبر على تكاليفها مراعيا في ذلك ما يجب من الاخلاص وحسن الادب واستحضار
العلم بانها انتصاب بين يدي الجبار العالم بالطويات والاسرار ومنه قوله وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ومن خواص الصلوة اندفاع

الناس



البلايا وانكشاف الغموم والرزايا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وانها اي الصلوة او الاستعانة او جميع المامورات والمنهيات
في هذه الآيات لَكَبِيرَةٌ لشاقة ثقيلة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ يعلمون أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ الى
حكمه رَاجِعُونَ فيصدر عنهم الاعمال من طيب نفس وانشراح صدر وهذا بخلاف حال المنافقين الذين اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن
الناس ولا يذكرون الله الا قليلا واما الملحد فلم يعتقد في فعلها منفعة لا يؤاتيه طبعه في الاشتغال بها وان كان زمانا يسيرا فتثقل عليه واما الموحد حيث
اعتقد في فعلها اعظم المنافع وهو الفوز بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الاليم يهون عليه تحمل الاوقات بوظائف العبادات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي حتى تورمت قدماه ومع ذلك يقول يا بلال روحنا وجعلت قرة عيني في الصلوة والخشوع والخضوع اخوان وهما التطامن والتواضع
ومنه الخشعة للاكمة المتواضعة وفي الحديث كانت الارض خشعة على الماء ثم دحيت وللظن ههنا تفسيران احدهما انه بمعنى العلم بجوز لان الظن
هو الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض وتجويز نقيض لقاء الرب اي البعث والنشور كفر فكيف يمدح به بسبب هذا التجويز انهما اشتركا
في رجحان الاعتقاد وان افترقا بتجويز النقيض وعدمه فصح اطلاق احدهما على الآخر ولا سيما اذا كان الظن عن امارة قوية تقربه من العلم
وثانيهما ان الظن بمعناه الحقيقي والمراد بملاقاة الرب اما لقاء ثوابه وذلك مظنون لا معلوم واما الموت الذي هو سبب اللقاء ووقته
غير معلوم الا انه متوقع كل لحظة وتوقعا راجحا عند المؤمن لانه قطع امله ولانه يحب لقاء ربه إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا
الْمَوْتَ ويحتمل ان يقال معناه على هذا التفسير الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم فان الانسان الخاشع قد يسيء ظنه بنفسه
باعماله فيغلب على ظنه انه يلقى الله بذنوبه فعند ذلك يتسارع الى التوبة وذلك من صفات المدح وبقي ههنا بحثان الاول استدل اهل السنة
بالآية على جواز رؤية الله تعالى وانكرها المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد الرؤية لقوله تعالى فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ والمنافق
لا يرى ربه ولقوله وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ويشمل الكافر والمؤمن وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله
وهو عليه غضبان واجيب بان اللقاء في اللغة وصول احد الجسمين الى الآخر بحيث يماسه وهذا اللقاء سبب الادراك فحيث يمتنع
حمله على اصله وجب حمله على الادراك لان اطلاق السبب على المسبب من اقوى وجوه المجاز فان منع من ذلك ايضا مانع اضمر بحسب ذلك فان الاضمار
خلاف الاصل لا يصار اليه الا لمانع ففي قوله إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ دعت الضرورة الى اضمار الجزاء ونحوه وفي الآية لا ضرورة فحمله على الادراك اولى
البحث الثاني المراد من الرجوع الى الله الرجوع الى حكمه حيث لا مالك لهم سواه لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ كما كانوا كذلك في اول الخلق
ايام حيوتهم في الدنيا فانه قد يملك الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى قالت المجسمة الرجوع الى غير الجسم محال فدل ذلك على كونه تعالى جسما وقال اهل التناسخ
الرجوع الى الشيء مسبوق بالكون عنده فدلت الآية على كون الارواح قديمة ولا يخفى جوابهما والله اعلم يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ
الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ
ای بنی اسرائیل یاد آورید نعمت آنکه عطا کردم برشما و آنکه زیادتی دادم شمارا بر عالمیان و بپرهیزید روزی که پاداش داده نشود نفسی از نفسی چیزی را و قبول کرده نشود
مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ القراءة ولا تقبل بالتاء الفوقانية ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف
ازان شفاعت و گرفته نشود عوض ازان دیگری و نه ایشان یاری کرده شوند
العالمين ينصرون ۝ التفسير انما اعاد سبحانه هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
كانه قال ان لم تطيعوني لاجل سوالف نعمتي عليكم فاطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل والمراد بالعالمين ههنا الجم الغفير من الناس كقوله
بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ويقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة بقرينة العلم بانه لم ير كل الناس ويمكن ان يكون المراد فضلتكم على عالمي زمانكم
لان الشخص الذي سيوجد بعد ذلك لا يكون من جملة العالمين ويحتمل ان يكون لفظ العالمين عاما للموجودين ولمن سيوجد لكنه مطلق
في الفضل والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة فالآية تدل على انهم فضلوا على كل العالمين في امر ما وهذا لا يقتضي ان يكونوا افضل من كل
العالمين في كل الامور فلعل غيرهم يكون افضل منهم في اكثرها وقيل الخطاب لمؤمني بني اسرائيل لان عصاتهم مسخوا قردة وخنازير وفي جميع
ما يخاطب الله تعالى بني اسرائيل تنبيه للعرب لان الفضيلة بالنبي قد لحقتهم وجميع اقاصيص الانبياء تنبيه وارشاد لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ
عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ يروى عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول قد مضى والله بنو اسرائيل وما يعني بما تسمعون غيركم و
اتقاء اليوم هو اتقاء ما يحصل في ذلك اليوم من الشدائد والاهوال لان نفس اليوم لا يتقى وقوله لا تجزي الى آخر الآية الجمل منصوبات
المحل صفات متعاقبة لليوم والراجع منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه ومنهم من يقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول فحذف
الجار وهو في فبقي لا تجزيه ثم حذف الضمير كما حذف في قوله ام مال اصابوا قال شعر فما ادري اغيرهم تناء ۝ وطول العهد ام مال اصابوا
اي اصابوه ولا يخفى ان هذا التكلف لا يمشي في سائر الجمل بل يتعين تقدير الجار والمجرور العائد ومعنى لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من
الحقوق ومنه الحديث في الجذعة التي ضحى بها ابن نيار قبل الوقت تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في
تقدير مصدر اي قليلا من الجزاء مثل ولا تظلمون شيئا ومعنى تنكير النفس ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو
الاقناط الكلي القاطع للمطامع وكذلك قوله وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ اي فدية لانها معادلة للمفدي وفي الحديث لا يقبل



صرف ولا عدل ای توبة لانها تصرف من الحال الذميمة الى الحال الحميدة ولا فداء والضمير فی ولا يقبل منها يرجع الى نفس الثانية العاصية غير المجزی عنها وهی التی لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة انها ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزی عنها شيئا ولو اعطت عدلا منها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون الضمير عائد الى ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد او الاناسی مثل ثلثة انفس وفی وصف اليوم بهذه الصفات تهويل عظيم وتنبيه على ان الخطب شديد لانه اذا وقع احد فی كريهة وحاولت اعزته دفاع ذلك عنه بدأت بما فی نفوسها الابية من مقتضى الحمية فتحمل عنه ما يلزمه وتذب كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته ونهاية بطشه فان رأى من لا طاقة له بما نعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة وبذل المال والمنال فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة فان لم يغن هذه الامور فتعلل بما لو يصل امكنه من نصر الاخوان ومدد الاخلان فاخبر الله تعالى ان شيئا من هذه لا يدفع يومئذ عن عذابه وفی هذا تحذير من المعاصی وترغيب فی تلافی ما فات بالتوبة لانه اذا تصور انه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية علم انه لا ينفعه الا الطاعة وتلافی البوادر فالاية وان كانت فی بنی اسرائيل الا انها تعم كل من يحضر ذلك اليوم فان قيل قدم فی هذه الاية قبول الشفاعة على اخذ الفدية وفی موضع اخر من هذه السورة عكس القضية فما الحكمة فی ذلك قلنا من الناس من ميله الى حب المال اشد من ميله الى علو النفس فيتمسك ولا بالشفيع ثم يتروح الى بذل المال ومنهم من على العكس فيقدم الفدية على الشفاعة ففی تغيير الترتيب اشارة الى الصنفين والله اعلم واعلم ان الشفاعة هی ان يستوهب احد لاحد شيئا ويطلب له حاجة من الشفع ضد الوتر كان صاحب الحاجة كان فردا فصار بالشفيع شفعا ثم ان الامة اجمعت على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم رتبة الشفاعة فی الاخرة وعليه يحمل قوله تعالى عَسٰى اَنْ يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُوْدًا وَلَسَوْفَ يُعْطِيْكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى واجمعوا على انه لا شفاعة للكفار وبقی الخلاف فيمن عداهم فاهل السنة اثبتوا الشفاعة لغير الكفار والمعتزلة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب بقی خالدا فی النار ولا شفاعة له وسائر الناس لهم الشفاعة قالوا ان هذه الاية تدل على نفی الشفاعة مطلقا والايات والاحاديث الدالة على وجود الشفاعة كثيرة فعرفنا ان الاية ليست على عمومها لكن الايات الواردة فی وعيد صاحب الكبيرة كثيرة كقوله وَمَنْ يَّعْصِ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ فَاِنَّ لَهٗ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِيْنَ فِيْهَآ اَبَدًا فخرج غير صاحب الكبيرة وبقيت الاية حجة فی الكفار وفی صاحب الكبيرة وزعم اهل السنة ان اليهود كانوا يدعون ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا من ذلك واجيب بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسوف يجیء سائر حجج الفريقين فی الايات المناسبة ان شاء الله تعالى وقالت الفلاسفة فی تحقيق الشفاعة ان واجب الوجود عام الفيض والنقصان من القابل فجائز ان لا يكون الشیء مستعد القبول الفيض من واجب الوجود الا انه يكون مستعد القبول ذلك الفيض من شیء قبله عن واجب الوجود فيكون ذلك الشیء متوسطا بين الواجب وبين ذلك الشیء مثاله فی المحسوس الشمس فانها لا تضیء الا القابل المقابل والسقف لما لم يكن مقابلا لم يكن مستعد القبول النور منها لكنه لو وضع طست مملوء من الماء الصافی انعكس منه الضوء الى السقف فارواح الانبياء كالوسائط بين واجب الوجود وبين ارواح عوام الخلق كالماء بين الشمس وبين السقف وهذا يدل على انه لا واسطة بين الله تعالى وبين عباده اشرف من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث انه لا شفاعة الا له وَاِذْ نَجَّيْنٰكُمْ مِّنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَسُوْمُوْنَكُمْ سُوْٓءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُوْنَ اَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُوْنَ نِسَآءَكُمْ وَفِیْ ذٰلِكُمْ بَلَآءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيْمٌ وَاِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَاَنْجَيْنٰكُمْ وَاَغْرَقْنَآ اٰلَ فِرْعَوْنَ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ وَاِذْ وٰعَدْنَا مُوْسٰٓى اَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْۢ بَعْدِهٖ وَاَنْتُمْ ظٰلِمُوْنَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْۢ بَعْدِ ذٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ وَاِذْ اٰتَيْنَا مُوْسَى الْكِتٰبَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ

(وچون رهانیدیم شما را از ال فرعون که میچشانیدند شما را بدترین عذابی که میکشتند فرزندان شما را و زنده میداشتند زنهای شما را و در این بلا آزمایشی بود از پروردگار شما بزرگ وچون شکافتیم بجهة شما دریا را پس رهانیدیم شما را و غرق کردیم ال فرعون را و شما مینگریستید وچون وعده کردیم موسی را توریة را در چهل شبانروز پس گرفتید گوساله را پس از آن و شما ستمکارانید پس درگذشتیم از شما پس از این شاید که شما سپاس کنید وچون دادیم موسی را توریة و فرمان شاید که راه یابید)

القراءة سوء العذاب بغير همزة حيث وقعنا مفتوحة الاصفهانی عن ورش وعدنا حيث كان ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد موسى بالامالة المفرطة كل القران حمزة وعلی وخلف وعن ابی عمرو وجهان ان جعلته فعلى فبالامالة بين الفتح والكسر وان جعلته على مفعل فبالفتح لا غير ثم اتخذتم وبابه بالاظهار ابن كثير وحفص والمفضل والاعشى والبرجمی والقرفان لعلكم مدغما عباس وكذلك يدغم اذا كان قبل النون حرف من حروف المد واللين وهی الواو المضموم ما قبلها وتكون لكما والياء المكسورة ما قبلها مثل ميثاق النبيين لما والالف المفتوح ما قبلها مثل ما كان المؤمن وما اشبه ذلك الوقوف نساءكم ط عظيم تنظرون ظالمون تشكرون تهتدون التفسير انه سبحانه لما قدم ذكر النعم على بنی اسرائيل اجمالا اخذ فی تفصيلها واحدة فواحدة ليكون ابلغ فی التذكير واعظم فی الحجة كانه قال اذكروا نعمتی واذكروا اذ نجيناكم واذ فرقنا واذ كان كذا وكذا وفی جميع هذه القصص معنى مجرد الوقت مفعول به لا ذكروا واصل الانجاء والتنجية التخليص ومنه النجوة للمكان العالی لان من صار اليه نجا ای تخلص من ان يعلوه سيل ولان الموضع تخلص مما انحط عنه واصل آل اهل بدليل اهيل واهال فی تحقيره وتكسيره على الاعرف فابدلت الهاء الفا على خلاف القياس ثم الى الف وجوبا فالالف فيه بدل عن همزة بدل عن هاء ولا يستعمل الآل الا فيمن له خطر يقال آل النبی وآل الملك ولا يقال آل الحائك وانما يقال اهله وهكذا لا يقال آل البلد وآل العلم وانما يقال اهلها وعند الكسائی اصله اول بدليل تصغيره على اويل كانهم يؤولون على اصلهم قلبت الواو الفا على القياس وفرعون علم

تنبيه

يقال خطر فلان ای تبختر

لمن ملك العمالقة اولاد عمليق بن لاود بن ارم بن سام بن نوح كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وخاقان للترك وتبع لليمن اختلف في اسمه فابن جريج ان اسمه مصعب بن ريان وابن اسحق انه الوليد بن مصعب ولم يكن من الفراعنة اغلظ واقسى قلبا منه وعن وهب بن منبه ان اهل الكتابين قالوا ان اسمه قابوس وكان من القبط وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وضعف اذ كان بين دخول يوسف مصر وبين دخول موسى اكثر من اربعمائة سنة وقال محمد بن اسحق هو غير فرعون يوسف وان اسم فرعون يوسف الريان بن الوليد والمراد بآل فرعون اتباعه واعوانه الذين عزموا على اهلاك بني اسرائيل بامره ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم شعر اذا ما الملك سام الناس خسفا : ابينا ان نقر الخسف فينا : واصله من سام السلعة اذا طلبها كانها بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره او المراد عذاب من غير استحقاق لان العذاب بالاستحقاق حسن واختلف في سوء العذاب فابن اسحق انه جعلهم خدما وخولا وصنفهم في اعمالهم فمن بان وحارث وزارع ومن لم يكن ذا عمل وضع عليه جزية يؤديها والسدي كان يجعلهم في الاعمال القذرة ككنس الكنيف ونحوه ولا ريب ان كون الانسان تحت تصرف الغير كيف شاء لا سيما اذا استعمله في الاعمال الشاقة القذرة من غير ان يأخذه بهم رأفة واشفاق من اشد العذاب حتى ان من هذه حاله ربما يتمنى الموت سئل عن حكيم اي شيء اصعب من الموت فقال ما يتمنى فيه الموت فبين تعالى عظيم نعمته عليهم بان نجاهم من ذلك ثم اتبع ذلك نعمة اخرى فقال ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ومعناه هم يقتلون الذكور من الاولاد دون الاناث والذي عاهم الى ذلك امور منها ان ذبح الابناء يقتضي فناء الرجال وانقطاع النسل بالآخرة و منها ان هلاك الرجال يقتضي فساد معيشة النساء حتى يتمنين الموت من النكد والضر ومنها ان قتل الولد عقيب الحمل والكد والرجاء القوي في الانتفاع بالمولود من عظم العذاب ومنها ان الابناء احب وارغب من البنات ولهذا قيل شعر ﴿تمني﴾ ربان ما لها اثاث تحبو البنين وفي موت البنات لقول النبي ﷺ دفن البنات من المكرمات ومنها ان بقاء النسوان بدون الذكران يوجب صيرورتهن مستفرشات للاعداء وذلك نهاية الذل والهوان قال بعضهم المراد بالابناء الرجال المطابق للنساء اذ النساء اسم للبالغات وهو جمع المرأة من غير لفظها قالوا انما كان يأمر بقتل الرجال الذين يخاف منهم الخروج عليه والتجمع لافساد امره والاكثرون على ان المراد بالابناء الاطفال لظاهر اللفظ ولانه كان يتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم ولانهم كانوا محتاجين اليهم في الاعمال الشاقة ولانه لو كان كذلك لم يكن لالقاء موسى في اليم معنى وانما لم يقتل البنات في مقابلة الابناء لانهن لما لم يقتلن كن بصدد ان يبلغن فحسن اطلاق اسم النساء عليهن مثل اني اراني اعصر خمرا عن ابن عباس انه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله وعد ابرهيم ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فخافوا ذلك واتفقت كلمتهم على اعداد رجال معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما راوا ان كبارهم يموتون والصغار يذبحون خافوا فناءهم وان لا يجدوا من يباشر الاعمال الشاقة فصاروا يقتلون عاما دون عام وعن السدي ان فرعون رأى نارا اقبلت من بيت المقدس حتى استولت على بيوت مصر واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من يكون هلاك القبط على يده وقيل ان المنجمين خبروا فرعون بذلك وعينوا له السنة فلهذا قال بقتل ابنائهم من تلك السنة قيل والاقرب هو الاول لان المستفاد من علم النجوم والتعبير لا يكون امرا مفصلا والاقدح في ذلك كون الاخبار عن الغيب معجزا بل يكون امرا مجملا والظاهر من حال العاقل ان لا يقدم على هذا الامر العظيم بسببه قلت كون فرعون عاقلا ممنوع فان من يشك في اجلى البديهيات وهو انه يمكن الوجود ضده من العقل ثم قال ذلك القائل لعل فرعون كان عارفا بالله وبصدق الانبياء الا انه كان كافرا كفر الجحود والعناد او يقال انه كان شاكا متحيرا في دينه وكان يجوز صدق ابرهيم ع واقدم على ذلك الفعل احتياطا قلت اذا اخبر الله تعالى عنه بانه قال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ و﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبياء وجعل كفره كفر جحود ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ فان قلت لم ذكر يذبحون ههنا بلا واو وفي سورة ابرهيم بواو فالوجه فيه انه اذا جعل ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ مفسرا بقوله يذبحون فلا حاجة الى الواو واذا جعل يسومونكم مفسرا بسائر التكاليف الشاقة سوى الذبح وجعل الذبح شيئا اخر احتيج الى الواو وانما جاء ههنا وفي الاعراف يقتلون بغير واو لانهما من كلام الله فلم يرد تعداد المحن عليهم والذي في ابرهيم من كلام موسى فعدد المحن عليهم وكان مأمورا بذلك في قوله ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ وقال بعضهم معنى يستحيون يفتشون حياء المرأة اي فرجها هل بها حمل ام لا وفيه تعسف والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء والحمل على النعمة اولى لانها هي التي يحسن اضافتها الى الربية ولان موضع الحجة على اليهود انعام الله تعالى على اسلافهم حيث نجاهم من اهلاكهم واذلالهم ومن بالغ في اذلالهم وههنا نكتة وهي انهم كانوا في نهاية الذل وخصمهم في غاية الاستيلاء والغلبة الا انهم كانوا محقين وخصومهم مبطلين فانقلب المحق غالبا والمبطل مغلوبا فكانه قيل لا تغتروا بفقر محمد وقلة انصاره في الحال فانه سينقلب العز الى جانبه والذل الى جانب اعدائه وفيه تنبيه على ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء فليس للانسان ان يغتر بعز الدنيا وينسى من الآخرة قال اهل الاشارة النفس الامارة وهي صفاتها الذميمة واخلاقها الرديئة تسوم الروح الشريف ذبح ابناء الصفات الروحانية الحميدة واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن في الاعمال القذرة

الحيوانية ولا ينجيه من ذلك الا الله تعالى قوله وَإِذْ فَرَقْنَا نعمة اخرى في نعمة اى فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم على عدد الاسباط
وكانوا اثنى عشر ومعنى بكم انكم كنتم تسلكونه ويتفرق الماء كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما او يراد فرقناه بسبب انجائكم او يكون حالا
اى ملتبسا بكم روى انه تعالى لما اراد غرق فرعون والقبط وبلغ بهم الحال في معلوم الله تعالى انه لا يؤمن احد منهم امر موسى بنى اسرائيل ان يستعيروا
حلى القبط ليخرجوا خلفهم لاجل المال اما لما يبقى اموالهم في ايديهم ثم نزل جبريل فقال اخرج ليلا كما قال تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا
وكانوا ستمائة الف وكل سبط خمسون الفا فلما خرجوا وبلغ الخبر فرعون قال لا تتبعوهم حتى يصيح الديك قال الراوى فوالله ما صاح الليلة
ديك فلما اصبحوا دعا فرعون بشاة فذبحت ثم قال لا افرغ من تناول كبد الشاة حتى يجتمع الى ستمائة الف من القبط قال قتادة فاجتمع اليه
الف الف ومائتا الف كل واحد منهم على فرس حصان فتبعوهم نهارا وهو قوله فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ اى بعد طلوع الشمس فلما صار بهم موسى
الى البحر قال له يوشع بن نون اين امر ربك فقال له موسى الى امامك واشار الى البحر فاقحم يوشع فرسه في البحر وكان يمشى في الماء حتى بلغ الغمر فسبح الفرس
وهو عليه ثم رجع وقال له يا موسى اين امر ربك فقال البحر فقال والله ما كذبت وما كذب ففعل ذلك ثلث مرات فاوحى الله تعالى اليه أَنِ اضْرِب
بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فانشق البحر اثنا عشر طريقا فقال له ادخل وكان فيه وحل فهب الصبا نحو البحر حتى صار طريقا يبسا فاتخذ كل سبط منهم طريقا و
دخلوا فيه فقالوا لنبيهم اين اصحابنا لا نريهم فقال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نريهم فقال اللهم اعنى على
اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان المياه فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم ثم اتبعهم فرعون
فلما انتهى الى البحر راى بلبسه وقفا فنهاه عن الدخول فهم بان لا يدخل البحر فجاء جبريل على مهرة فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون
ودخل البحر فصاح ميكائيل بهم الحقوا اخركم باولكم فلما دخلوا البحر بالكلية امر الله تعالى الماء حتى نزل عليهم فذلك قوله تعالى وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
قيل ذلك اليوم كان يوم عاشوراء فصام موسى عم ذلك اليوم شكرا لله تعالى ومعنى قوله وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ انكم ترون التطام امواج البحر بفرعون
وقومه قيل ان قوم موسى سألوا ان يريهم الله تعالى حالهم فسأل موسى ربه فلفظهم البحر الفا الف ومائة الف نفس فنظروا اليهم وقيل المراد
وانتم بالقرب منهم قال الفراء وهو مثل قولك لقد ضربك واهلك ينظرون اليك فما اغاثوك تقول ذلك اذا قرب اهله منه وان كانوا
لا يرونه ومعناه راجع الى العلم قال اهل الاشارة البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى القلب وقومه صفات القلب وفرعون
النفس الامارة وقومه صفاتها والعصا عصى الذكر فينفلق بحر الدنيا بتفليق لا اله ويتشقق ماء شهواتها يمينا وشمالا ويرسل الله تعالى
ريح العناية وشمس الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب وصفاته فيعبرونه وينجيهم عناية الله
الى ساحل وان الى ربك المنتهى ويغرق فرعون النفس وقومه في بحر الدنيا والله تعالى اعلم ولما دخل بنوا اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب
ينتهون اليه وعد الله موسى وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عم ان ينزل عليه التورية وضرب له
ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وانما قيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالى وقال اهل التحقيق لان الليلة وقت العبادة والخلوة بالذكر فخصت
لشرفها ولعدد الاربعين خاصية لن ينكرها اهل الذوق ولهذا جاء في الحديث من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه والجنين ينقلب في الاطوار في الاربعينات قال ابو العالية وبلغنا انه لم يحدث حدثا في الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ولا بد
من تقدير مضاف اى انقضاء اربعين كقولك اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان اى تمام الاربعين ومن قرأ واعدنا من المواعدة فمعناه
ان الله تعالى وعده الوحى ووعد هو المجيء للميقات الى الطور وذكر الاربعين ههنا مجمل وتفصيله في الاعراف كقوله ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ فصل اولا ثم اجمل ومعنى ثم في قوله ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم
مناسبته له لانه تعالى لما وعد موسى حضور الميقات لانزال التورية عليه بحضرة السبعين تنبيها للحاضرين وتعريفا للغائبين واظهار
الدرجة موسى وسائر بنى اسرائيل واتوا عقيب ذلك ما بشنع انواع الجهل والكفر كان ذلك في محل التبعيد والتعجب كما تقول انى احسنت اليك وفعلت
كذا وكذا ثم انك تقصدنى بالسوء والايذاء والاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ
الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل قالوا تخذ يتخذ وقد اجرى تخذ مجرى الافعال القلبية في الدخول على المبتدأ والخبر
نحو جعل وصير والتقدير اتخذتم العجل الها الا انه حذف الثانى للعلم به لذكره في مواضع اخر منها في طه فقالوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ وقوله مِن بَعْدِهِ
من بعد مضيه الى الطور قال اهل السير لما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقى مع بنى اسرائيل الثياب والحلى الذى استعاروها من القبط قال لهم
هرون ان هذه الثياب والحلى لا يحل لكم فاحرقوها فجمعوا نارا واحرقوها وكان السامرى في مسيره مع موسى عم في البحر نظر الى حافر دابة جبريل حين
تقدم في البحر فقبض قبضة من تراب حافر تلك الدابة ثم ان السامرى اخذ ما كان معه من الذهب وصور منه عجلا والقى فيه ذلك التراب فخرج منه
صوت كانه الخوار فقال هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فاتخذه القوم الها لانفسهم ولهذا وصفهم الله تعالى بالظلم في قوله وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ كما قال
إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وذلك ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه والمشرك وضع الاخس الاشياء مكان اشرف الموجودات والواو في وانتم اما
للحال واما للاعتراض اى وانتم قوم من عادتكم الظلم وقال اهل التحقيق ان لكل قوم عجلا يعبدونه قال عم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدنيا وتعس

عبد



عبد الخميصة فقال ما عبد اله ابغض الى الله من الهوى وفيه تقريع لليهود الذين جادلوا رسول الله صلعم وعادوه كانه قال هؤلاء انما يفتخرون باسلافهم
ثم ان اسلافهم كانوا في البلادة والجهالة والعناد وتسلية للنبي صلعم مما كان يشاهد من مشركي العرب واليهود والنصارى من الخلاف والمشاقة
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وتحذير للعقلاء من الجهل والتقليد ما اقطع شان الجهلة والتقليد ما افظع شان الجهلة المقلدة
رضوا بان يكون العجل الها وما رضوا بان يكون البشر نبيا وقد تمحل بعضهم لتصحيح واقعة عبدة العجل حيث استبعد وقوعها منهم مع انهم شاهدوا
تلك المعجزات الباهرة تكاد تكون قريبة من حد الالجاء في الدلالة على الصانع وصدق النبي صلعم ان السامري القى الى القوم ان موسى صلعم انما قدر
على ما اتى به لانه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية فقال للقوم انا اتخذ لكم طلسما مثل طلسمه وروج عليهم ذلك بان جعله بحيث خرج منه صوت
عجيب واطمعهم في صيرورتهم مثل موسى في اتيان الخوارق اولعل القوم كانوا مجسمة وحلولية يجوزوا حلول الاله في الاجسام فوقعوا في تلك الشبهة
الركيكة وههنا يظهر التفاوت بين امة موسى وامة محمد صلعم فانهم بعد مشاهدة الايات العظام القريبة من الافهام عبدوا الاصنام بل الانعام
وامة محمد صلعم مع ان معجزتهم القران الذي لا يعرف اعجازه الا بالنظر الدقيق والبحث العميق لم يخالفوا نبيهم طرفة عين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يزيغون عن سواء السبيل ولا يميلون الى معتقدات اهل الاباطيل مثلهم في التورية ومثلهم
في الانجيل قوله تعالى عفونا عنكم اي حين تبتم بان قتلتم انفسكم من بعد ذلك الامر العظيم الذي ارتكبتموه من اتخاذ العجل لعلكم تشكرون نعمة
العفو ومعنى الترجي في كلام الله تعالى قد مر في قوله لعلكم تتقون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق و
الباطل يعني التورية نحو رايت الغيث والليث يريد الرجل الجامع بين الجود والجراة او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا
واليد وغيرهما من الايات والشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر ولا يلزم التكرار لانه لم يبين هنالك ان ذلك لاجل
موسى وفي هذه الاية بين ذلك التخصيص على سبيل التنصيص وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يعني يوم بدر
وقيل اتينا موسى التورية ومحمد الفرقان لكي تهتدوا به يا اهل الكتاب وفيه تعسف وَإِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ يٰقَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ
بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوْا اِلٰى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوْا اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ وچون گفت موسى مر قوم خود را كه اى قوم شما ستمكرديد بر خود
بفرا گرفتن شما گوساله را پس باز گرديد بسوى آفريننده خود پس بكشيد نفسهاى خود را اين بهتر است از براى شما نزد خدا فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهٗ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ وَاِذْ
قُلْتُمْ يٰمُوْسٰى لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْكُمُ الصّٰعِقَةُ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ پس قبول كرد توبه شما را بدرستيكه او توبه پذير مهربانست و در
گفتيد اى موسى نگرويم از براى تو تا كه ببينيم خدا را آشكارا پس دريافت شما را صاعقه و شما نظر ميكرديد ثُمَّ بَعَثْنٰكُمْ مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ
وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَاَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى كُلُوْا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنٰكُمْ پس زنده كرديم شما را از پس مردن شما شايد كه سپاس كنيد
و سايبان كرديم بر شما ابر را و فرستاديم بر شما من و سلوى را كه بخوريد از پاكيزهاى آنچه روزى كرديم وَمَا ظَلَمُوْنَا وَلٰكِنْ كَانُوْا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ
القراءة بارئكم بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو وطريق ابي الزعراء وعبد الرحمن بن عبدوس و ستم نكردند و ليكن بودند كه خود را ستم ميكردند
قرا ابو عمرو بالاختلاس انه هو مدغما غير عباس وكذلك كل ما كان بينهما ياء او واو ملفوظة مثل من دونه هو وانه هو واشباه ذلك حتى
حيث كان بالامالة نصير والعجلي نرى الله مكسورة الراء روى عن ابن عباس وابو عمرو ابو شعيب عن اليزيدي وكذلك كل راء بعدها ياء
استقبلها الف لام مثل ولو يرى الذين والنصارى المسيح جهرة مفتوحة الهاء قتيبة السلوى بالامالة الشديدة حمزة وعلي وخلف وقرا
ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى الوقوف فاقتلوا انفسكم ط عند بارئكم ط لان التقدير ففعلتم فتاب عليكم ط
الرحيم تنظرون تشكرون السلوى ط ما رزقناكم ط يظلمون التفسير انه سبحانه نبههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلصون منه وذلك
من اعظم النعم في الدين وايضا لما امرهم بالقتل ودفع ذلك الامر عنهم قبل فنائهم بالكلية كان ذلك نعمة في حق اولئك الباقين وفي اعقابهم
الى زمن محمد صلعم وايضا لما بين ان توبة اولئك ما تمت الا بالقتل ظهر ان بعثة محمد صلعم لهم نعمة ورحمة لانه لا يامرهم بشيء من ذلك متى رجعوا
عن كفرهم وفيه ترغيب لامة محمد صلعم في التوبة فان امة موسى لما رغبوا في تلك التوبة مع نهاية مشقتها على النفس فلان يرغب احدنا في مجرد
الندم كان اولى هذا وقد مر ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه الا انه لابد فيه من تعدي ضرر فتبين ههنا ان الضرر انما يعود الى انفسهم
فبذلك استحقوا الابدي والفرق بين الفاءات الثلث في الاية ان الاولى للتسبب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب ما لان العذاب
المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم على ان التوبة مفسرة بقتل النفس في شرعهم لا بالندم واما لان القتل تمام توبة المرتد في شرعهم
والمعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم كما ان القاتل عمدا الاثم توبته في شرعنا الا بتسليم النفس حتى يرضى اولياء المقتول ويقتلونه
ومعنى الى بارئكم النهي عن الرياء في التوبة كانه قيل لو اظهرتم التوبة لا عن القلب فانتم ما تبتم الى الله وانما تبتم الى الناس وقوله ذلكم اي القتل
خير لكم عند بارئكم جملة معترضة يفيد التنبيه على ان ضرر الدنيا اهون من عذاب الاخرة اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي والموت لابد
واقع فليس في تحمل القتل الا التقديم والتاخير والثالثة هي الفاء الفصيحة اي المفصحة عن محذوف تقديره فامتثلتم فتاب عليكم فعلى هذا يكون
الكلام خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات ويمكن ان يقال المحذوف شرط منتظم في جملة قول موسى كانه قال فان فعلتم فقد تاب

ما لكتاب ... تكفير ... روح ...

اليهي

ابن ذكوان

عليكم وانما اختص هذا الموضع بذكر البارئ لان معناه كما مر في الاسماء الذي خلق الخلق على الوجوه الموافقة للمصالح والاغراض ففيه تقريع لما كان
منهم في ترك عبادة العليم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة بريئا من التنافر متناسبة للحكم والمقاصد الى عبادة العجل الذي هو مثل في
البلادة والغباوة فلاجرم كان جزاؤهم تفكيك ما ركب من خلقهم وتبديد ما نظم من اشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها باتخاذ من لا
يقدر على شيء منها والمراد بقتل الانفس اما ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو ان يقتل كل واحد نفسه والقتل اسم للفعل المؤدي الى زهوق الروح
في الحال او في المآل واما قتل بعضهم بعضا وعليه المفسرون لقوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فسلموا على انفسكم وذلك ان المؤمنين كنفس واحدة ثم اختلفوا
فقيل امر من لم يعبد العجل من السبعين المختارين لحضور الميقات ان يقتل من عبد العجل منهم وقيل لما امرهم موسى ع بالقتل اجابوا فاخذ
عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا مجتمعين كل قبيلة على حدة واتاهم هرون بالاثني عشر الفا الذين ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف
فقال ان هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين السيوف فاحتبوا بافنية بيوتكم واتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم
بيد او رجل فيقولون آمين روي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء
لا يتباصرون تحتها فجعلوا يقتلونهم الى المساء وقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولان اهلكت بنو اسرائيل البقية البقية يا الهنا فكشفت الضبابة
والسحابة واوحى الله تعالى اليه قد غفرت لمن قتل وتبت على من لم يقتل قالوا وكانت القتلى سبعين الفا وقيل كانوا قسمين منهم من عبد العجل ومنهم
من لم يعبد لكن لم ينكر على من عبده فامر من لم يشتغل بالانكار بقتل من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل عجل الهوى قالوا معنى قتل
الانفس قمع الهوى لان الهوى حيوة النفس قوله ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى﴾ ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الواقعة كانت قبل ان كلف الله عبدة العجل
القتل قال محمد بن اسحق لما رجع موسى ع من الطور الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه وللسامري ما قال واحرق العجل و
نسفه في اليم اختار سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى نسمع كلامه فسأل موسى ربه فاجابه الله اليه
فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا موسى ع من ذلك الغمام حتى دخل فيه وقال للقوم ادخلوا وادعوا وكان موسى متى
كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني اسرائيل النظر اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول له افعل ولا تفعل ومن جملة الكلام
اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل
فيه فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك اي لن نصدقك ولن نقر بنبوتك ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عيانا وهي مصدر قولك جهر بالقراءة
والدعاء كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على نحو انتصاب قعد القرفصاء لان هذه نوع
من الرؤية كما ان تلك نوع من القعود ويحتمل ان يكون نصبها على الحال بمعنى ذوي جهرة ومن قرأ جهرة بفتح الهاء فاما لانه مصدر او جمع
جاهر وانما اكدوا بهذا لئلا يتوهم ان المراد بالرؤية العلم او التخيل على ما يراه النائم ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ وهي ما صعقهم اي اماتهم فقيل
نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة
وصعقة موسى في قوله ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ لم تكن موتا ولكن غشية بدليل فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله ﴿وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ﴾ فرفع موسى يديه الى السماء يدعو ويقول الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فارجع
اليهم وليس معي منهم احد فما الذي يقولون في فلم يزل يدعو حتى رد الله اليهم ارواحهم وذلك قوله ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها طلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم وقيل ان هذه
الواقعة كانت بعد القتل قال السدي لما تاب بنو اسرائيل عن عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله ان يأتيه موسى في ناس من بني اسرائيل
يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة
وماتوا فقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل فاني امرتهم بالقتل ثم اخترت من بينهم هؤلاء فاذا رجعت اليهم ولا
يكون معي احد منهم فماذا اقول لهم فاوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل الها فقال موسى ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ فاحياهم الله
ثم فقاموا ونظر كل واحد الى الآخر كيف يحييه الله ثم فقالوا يا موسى انك لا تسأل الله شيئا الا اعطاك فادعه يجعلنا انبياء فدعا
بذلك فاجاب الله دعوته هذا ما قاله المفسرون وليس في الآية ما يدل على ترجيح احد القولين على الآخر ولا على ان الذين سألوا الرؤية
عبدة العجل ام لا والصحيح ان موسى لم يكن من جملة الصعقين في هذه الواقعة لان الخطاب مشافهة ولانه لو تناوله لوجب تخصيصه بقوله
في حق موسى فلما افاق مع ان لفظة الافاقة لا يستعمل في الموت ثم في الآية فوائد منها التحذير لمن كان في زمان نبينا ص عن فعل ما يستحق بسببه
ان يفعل به ما فعل باولئك ومنها التشبيه لجحودهم معجزات النبي ص بجحود اسلافهم نبوة موسى ع مع مشاهدتهم لعظم تلك الآيات ليتنبهوا انه
انما لا يظهر على النبي ص مثلها لعلمه بانه لو اظهرها لجحدوها ولو جحدوها لاستحقوا العقاب كما استحقه اسلافهم ومنها التسلية للنبي ص و
تثبيت لفؤاده كي يصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومنها ازالة شبهة من يقول ان نبوة محمد ص لو صحت لكان اولى الناس بالايمان به اهل الكتاب
حيث انهم عرفوا خبره وذلك انه تعالى بين ان اسلافهم بعد مشاهدة تلك الآيات كانوا يتمردون في كل وقت ويتحكمون عليه فكيف يتعجب

من مخالفتهم محمدا صلى الله عليه وسلم وان وجدوا فى كتبهم اخبار نبوته ومنها لما اخبر محمد صلى الله عليه وسلم عن هذه القصة مع كونه اميا تبين ان ذلك من الوحى
بقى ههنا بحث وهو ان المعتزلة استدلوا بالاية على امتناع رؤية الله تعالى لانها لو كانت امرا جائز الوقوع لم تنزل بهم العقوبة كما لم تنزل
بهم حين التمسوا النقل من قوت الى قوت فى قولهم لن نصبر على طعام واحد واجيب بان امتناع رؤيته فى الدنيا لا يستلزم امتناع رؤيته
فى الاخرة الذى هو محل النزاع فلعل رؤيته يقتضى زوال التكليف عن العبد والدنيا مقام التكليف وايضا اقتراح دليل زائد على صدق
المدعى بعد ثبوته تعنت وايضا لا يمتنع ان الله تعالى علم فيه مفسدة كما علم فى انزال الكتاب من السماء يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا
من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فلهذا جاز الاستنكار لان مطالبة الرؤية جهرة مطالعة الذات
غفلة وفيه من سوء الادب وترك الحرمة ما لا يستحسنه قضية العزة والحشمة قوله تعالى وظللنا اى جعلنا الغمام يظلكم وذلك فى التيه كما سيجى
فى المائدة سخر الله لهم السحاب فيسير بسيرهم يظلهم من الشمس واظل ضوءه ان وينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وثيابهم لا تتسخ
ولا تبلى اذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله كما كان لادم قبل الزلة وانزلنا عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الشمس
لكل انسان صاع لا ازيد ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهى السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه لا ازيد مجاهد المن صمغ حلو وهب
هو الخبز السميد الزجاج هو ما من الله تعالى به عليهم هذا كما يروى مرفوعا الكماة من المن وفيها شفاء العين وقيل السلوى العسل وقيل طائر
احمر كلوا على ارادة القول اى وقلنا لهم كلوا من طيبات من حلالات ما رزقناكم وهذا للاباحة وما ظلمونا يعنى فظلموا بان كفروا هذه النعم
فجعلوا موضع الشكر كفرا وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه ولكن كانوا انفسهم يظلمون لان وبال الظلم عائد عليهم لا الى
غيرهم ولا الى الله تعالى وانما قال ههنا وفى الاعراف والتوبة والروم بزيادة لفظة كانوا لانها اخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا بخلاف قوله فى ال
عمران ولكن انفسهم يظلمون لانه مثل والله اعلم واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب
سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم و وقتى كه گفتيم كه داخل شويد اين قريه را پس بخوريد از ان هر جند كه خواهيد فراوان و داخل شويد در را
سجده كنند و بگوئيد
سنزيد المحسنين بيامرزيم كناهان شمارا فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فانزلنا على الذين
ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون و زود است كه بيفزائيم نيكوكاران را پس تبديل كردند انان كه ستم كردند گفتارى غير انكه گفته شد بايشان پس فرستاديم برانان
كه ستم كردند عذابى از اسمان بجهت بدكارى ايشان القراءة يغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وحيلة تغفر بضم التاء الفوقانية وفتح
الفاء ابن عامر وابو زيد عن المفضل الباقون نغفر بالنون وكسر الفاء يغفر لكم مدغما كل القراء ابو عمرو خطاياكم وبابه بالامالة على قول لا غير
بالاخفاء يزيد وابو نشيط عن قالون وكذلك يخفيان النون والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط الكلمة اواولها الوقوف خطاياكم ط
المحسنين يفسقون التفسير القرية مجتمع الناس من قرأت الماء فى الحوض اى جمعت وبهذا الاعتبار كثيرا ما يطلق القرية على البلدة والجمع
القرى على غير قياس وانما قياسه من المعتل اللام فعال كخوة وكاء وظبية وظباء والنسبة اليها قروى وهو على القياس عند يونس
حيث قال ظبوى فى النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه والنسبة اليها قريى وهو على القياس عند يونس حيث قال
ظبوى فى النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث يقولان ظبى على مثال الصحيح والمراد بيت المقدس وقيل اريحا
من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل باب القبة التى كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة
موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب تواضعا وشكرا لله تعالى وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم باخبات
وخشوع وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوا ودخلوا متزحفين على ادبارهم من الزحف وهو المشى على الاوراك وحطة فعلة من الحط
كالجلسة خبر مبتدأ محذوف اى مسئلتنا حطة وامرك واصله النصب معناه اللهم حط عنا ذنوبنا حطة فرفعت لافادة الثبوت
كقوله شعر شكا الى جملى طول السرى : يا جملى ليس الى المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى : الاصل صبرا اى اصبر صبرا كان الامر القوم امروا
ان يدخلوا الباب على وجه الخضوع وان يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح
والاستغفار باللسان وذلك ان التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه ان يحكى توبته
لمن شاهد منه الذنب لان التوبة لا يتم الا به اذ الاخرس يصح توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الى
التوبة ولازالة التهمة عن نفسه وكذا من عرف بمذهب خطاء ثم تبين له الحق فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوه بالخطاء عدوله عنه
ليزول التهمة عنه فى الثبات على الباطل وليعودوا الى موالاته بعد معاداته ويحسنوا الظن به وعن ابى مسلم الاصفهانى ان معناه امرنا
حطة اى ان نحط فى هذه القرية ونستقر فيها واصل الغفر الستر والتغطية ومعنى القراءات فى نغفر لكم واحد لان الخطيئة اذا غفرها الله
فقد غفرت فانما يغفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المؤنث وحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتانيث والخطاء الذنب
قال تعالى انه كان خطأ كبيرا تقول منه خطئ يخطأ خطأ وخطأة على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا واصله خطائى
بياء ثم همز ابدلت الهمزة الفا انفتحت الياء لاجلها وسنزيد المحسنين المفعول الثانى محذوف للعلم به ولمكان الفاصلة اى سنزيدهم احسانا



او ثوابا او سعة وذلك ان المراد من المحسنين اما من هو محسن بالطاعة في هذا التكليف واما من هو محسن بطاعات اخرى في سائر التكاليف وعلى الاول فالزيادة الموجودة اما منفعة دنيوية فالمعنى ان المحسن لهذه الطاعة نزيده سعة في الدنيا ونفتح عليه قرى غير هذه القرية واما منفعة دينية اى المحسن بهذا نزيده على غفران الذنوب غفران ثوابا جزيلا وعلى الثاني فالمعنى انا نجعل دخولكم الباب سجدا وقولكم حطة مؤثرا في غفران الذنوب ثم ان اتيتم بعد ذلك بطاعات اخرى زدناكم ثوابا ويحتمل ان يكون المراد انهم صنفان فمن مخطئ يصير الكلمة سببا للغفران ومن محسن يصير سبب الزيادة ثوابه قوله تعالى فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قال ابو البقاء التقدير فبدلوا بالذى قيل لهم قولا غير الذى قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعولين واحد بنفسه والاخر بالباء والذى مع الباء يكون هو المتروك والذى بغير باء هو الموجود ويجوز ان يكون بدل بمعنى قال لان تبديل القول يكون بقول فالمعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ معين هو لفظ حطة فجاؤا بلفظ اخر لانهم لو جاؤا بلفظ اخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك واللهم اعف عنا ونحو ذلك قيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية والنبط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين حطا سمقاثا اى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون وفي الصحيح عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعرة وفي تكرير الذين ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وهو انهم وضعوا غير ما امروا به مكان ما امروا به والرجز العذاب عن ابن عباس مات بالفجاءة منهم اربعة وعشرون الفا في ساعة واحدة وقال ابن زيد بعث الله عليهم الطاعون حتى ماتوا من الغداة الى العشى خمسة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا ومعنى من السماء يحتمل ان يكون شيئا نازلا من جهة العلو كريح ونحوه ويحتمل ان يراد من قبل الامر النازل من عند الله تفظيعا لشان العذاب والفسق هو الخروج عن طاعة الله الى معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد بما كانوا يفسقون اما الظلم المذكور وفائدة التكرار التاكيد واما ان يراد انهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل ونزول الرجز عليهم من السماء بالفسق الذى كانوا يفعلونه قبل ذلك التبديل مستمرا او ان هذا الظلم وهذا اظهر لزوال التكرير ولان لفظة كانوا تنبئ عن خصلة مستمرة والخصلة الواحدة المعينة لا يتصور فيها الاستمرار فلو كان المراد ذلك لقيل بما فسقوا وربما احتج اصحاب الشافعي بقوله تعالى فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا انه لا يجوز تحريم الصلوة بلفظ التحميد والتعظيم والتسبيح ولا يجوز القراءة بالفارسية وكذا لا يجوز تبديل ما ورد به التوقيف من الاذكار بغيرها واجيب بانهم انما استحقوا الذم لتبديلهم القول الى قول اخر يضاد معناه معنى الاول فلا جرم استوجبوا الذم فاما من غير اللفظ مع بقاء المعنى فليس كذلك ورد بان ظاهر الاية يتناول كل من بدل قولا بقول اخر اتفق القولان في المعنى او لم يتفقا سؤال لم قال في البقرة وَإِذْ قُلْنَا وفي الاعراف واذ قيل لهم الجواب لانه صرح بالفاعل في اول القرآن ازالة للابهام ولان الكلام مرتب على قوله اذكروا نعمتى وفي الاعراف لم يبق الابهام ولم قال ههنا ادخلوا وهناك اسكنوا لان الدخول مقدم على السكون والبقرة مقدمة في الذكر على الاعراف ولم قال في البقرة فكلوا وفي وكلوا بالواو لما بينا في قوله وكلا منها رغدا وفي الاعراف فكلا ولم قال في البقرة خطاياكم وفي الاعراف قرئ خطيئاتكم لان الخطايا جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة للقلة وقد اضاف القول ههنا الى نفسه فكان اللائق بكرمه غفران الذنوب الكثيرة وهناك لم يذكر الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجبا ولمثل هذا الجواب ذكر ههنا رغدا ليدل على الانعام الاتم ولم يذكره في الاعراف ولم قال ههنا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف بالعكس لان الواو للجمع المطلق ولان المخاطبين صنفان محسن ومذنب واللائق بالمحسن تقديم العبادة والخضوع ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وازالة العجب واللائق بالمسيء عكس ذلك ولانه ذكر في هذه السورة اذ دخلوا هذه القرية فقدم كيفية الدخول ولم قال في البقرة وَسَنَزِيدُ وفي الاعراف سنزيد لانه في الاعراف ذكر امرين ذكر امرين قول الحطة وهو اشارة الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزائين احدهما الغفران واليه اشار بقوله نغفر لكم والاخر الزيادة فترك الواو ليفيد توزيع الجزائين على الشرطين وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين اعني دخول الباب وقول الحطة فاحتيج الى الواو وايضا لاتصال اللفظى حاصل في هذه السورة بين قوله وَإِذْ قُلْنَا وقوله وَسَنَزِيدُ بخلاف الاعراف لان اللائق بنظم سير اد تحذف الواو ليكون استينافا للكلام وما الفائدة في زيادة كلمة منهم في الاعراف لان اول القصة مبنى على التخصيص ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فذكر ان منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف انعامه واوامره عليهم فلما انتهت القصة قال فبدل الذين ظلموا منهم فهناك ذكر امة عادلة وههنا ذكر امة جائرة فصار اخر الكلام مطابقا لاوله واما في البقرة فلم يذكر في اول الايات تمييزا وتخصيصا حتى يلزم في اخر القصة مثل ذلك لم قال في البقرة فَأَنْزَلْنَا وفي الاعراف فارسلنا لان الانزال يفيد حدوثه في اول الامر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستيصالهم بالكلية وذلك انما يحدث بالاخرة وقيل لان لفظ الارسال في الاعراف اكثر فروعى التناسب لم قال في البقرة بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وفي الاعراف يَظْلِمُونَ لانه لما بين في البقرة كون الظلم

فقد اكتفى بذلك البيان فى الاعراف وايضا انهم ظلموا انفسهم وخرجوا عن طاعة الله تعالى نعم وصفهم بالامرين فى موضعين والله اعلم

ع وَاِذِ اسْتَسْقٰى مُوْسٰى لِقَوْمِهٖ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوْا وَاشْرَبُوْا

وچون خواهش آب کرد موسی از برای قوم خود پس گفتیم که بزن عصای خود را بسنگ پس روان گردید ازان دوازده چشمه که دانست هر کسی محل آب میدن خود را بخورید

مِنْ رِّزْقِ اللّٰهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْاَرْضِ مُفْسِدِيْنَ ۝ وَاِذْ قُلْتُمْ يٰمُوْسٰى لَنْ نَّصْبِرَ عَلٰى طَعَامٍ وَّاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا

از روزی خدا وجنبش مکنید در زمین فساد کنندگان وچون گفتید که ای موسی شکیب نیاوریم بر یک خوردنی پس بخوان از جهة ما پروردگار خود را که برآورد از جهة ما

تُنْۢبِتُ الْاَرْضُ مِنْۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُوْمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ اَتَسْتَبْدِلُوْنَ الَّذِىْ هُوَ اَدْنٰى بِالَّذِىْ هُوَ خَيْرٌ اِهْبِطُوْا مِصْرًا

میرویاند زمین از سبزی آن وخیار آن وسیر آن وعدس آن وپیاز آن گفت که آیا بدل میکنید از آنکه آن پست تر است با نکه آن بهتر است فرود آیید در شهری

ع فَاِنَّ لَكُمْ مَّا سَاَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُوْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّٰهِ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُوْنَ

پس هر آیینه از برای شماست آنچه خواستید وزده شد بر ایشان خواری وبینوائی وبرگشتند با غضب خدا این بجهت که بودند کافران بایات خدا ومیکشتند

النَّبِيّٖنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ القراءة عامة القراء اثنتا عشرة بسكون الشين للتخفيف عليهم الذلة بضم

پیغمبران را بدون حق این بجهت نافرمانی است وانکه بودند که در گذشتند الهاء والميم حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب وكذلك كل ما كان قبل الهاء

ياء ساكنة ووافق سهل اذا كان قبل الياء فتحة نفقط وقرأ ابو عمرو بكسر الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم النبيين وبابه بالهمزة نافع

الا موضعين فى الاحزاب ان وهبت نفسها للنبى وبيوت النبى الا فروى اسمعيل وقالون عنه بغير همزة الوقوف الحجر ط لحق الحذف اى

فضرب فانفجرت عينا ط مشربهم ط مفسدين وبصلها ط هو خير ط سألتم ط لان قوله وضربت ابتداء اخبار عما يؤل اليه حالهم من الله بغير

الحق ط يعتدون التفسير جمهور المفسرين سوى ابى مسلم على ان هذا الاستسقاء كان فى التيه عطشوا فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب

بعصاك الحجر اما العصا فقال الحسن كانت عصا اخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان

تتقدان فى الظلمة واما الحجر فاللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روى انه حجر طورى حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من

كل وجه ثلثة اعين لكل سبط عين تسيل فى جدول الى السبط الذى امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنى عشر ميلا وقيل

اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذى وضع عليه ثوبه حين اغتسل ورماه بنو اسرائيل

بالادرة ففر به فقال له جبرئيل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله فى مخلاته واما للجنس اى اضرب الشىء الذى يقال

له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر فى الحجة وابين فى القدرة ثم انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها

حجارة فحمل حجرا فى مخلاته فحيثما نزلوا القاه واما الصنف والشكل فقيل كان من رخام وكان ذراعا فى ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل

له اربعة اوجه كما مر وهذا ذا لو يعتبر الموفاتى ومقابلة واما الضرب فقيل كان يضربه بعصا فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى

عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون والفاء فى قوله فانفجرت فاء فصيحة كما سبق فى فتاب

عليكم وفى هذا الحذف دلالة على ان موسى لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به والانفجار والانبجاس

واحد معناه خروج الماء بسعة وكثرة واصل الفجر الشق ومنه الفاجر لانه يشق عصا المسلمين بخلافهم وقيل الانبجاس خروج الماء قليلا

ووجه بان الفجر فى الاصل هو الشق والبجس الشق الضيق فلا يتناقضان كما لا يتناقض المطلق والمقيد والعام والخاص او لعله انبجس اولا

ثم انفجر ثانيا وكذا العيون تظهر الماء ماء قليلا ثم يكثر لدوام خروجه ولعل حاجتهم تشتد تارة فينفجر وتضعف اخرى فينبجس قد علم كل اناس

اى كل سبط مشربهم كانه امر كل سبط ان لا يشرب الا من جدول معين حسما لمادة التشاجر فان العادة فى الرهط الواحد ان لا يقع بينهم من

التنازع مثل ما يقع بين المختلفين وهذا ايضا من تمام النعمة عليهم انما فقد العاطف لان قوله قد علم بيان وتفصيل لما اجمل فى قوله اثنتا

عشرة كانه قيل هذا المجموع مشاع بينهم او مقسوم فقيل قد علم كلوا على ارادة القول اى وقلنا او قال لهم موسى كلوا من المن والسلوى الذى

رزقنا كم بلا تعب ولا نصب واشربوا من هذا الماء وقيل ان الاغذية لا تنبت الا بالماء فلما اعطاهم الماء فكانما اعطاهم الماكول والمشروب

والعثو اشد الفساد ومفسدين قيل نصب على الحال المؤكدة وهو ضعيف فان من شرطها ان تكون مقررة جملة اسمية وقيل حال منتقلة

ومعناه النهى عن التمادى فى حالة الافساد اما مطلقا او مقيدا بما اذا وقع التنازع بسبب ذلك الماء فلا تبالغوا فى التنازع ويرد على هذا القول

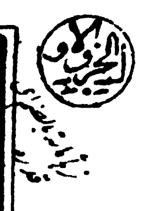
ان الافساد منهى عنه مطلقا وهذا التفسير يقتضى ان يكون المنهى عنه هو التمادى فى الافساد لا نفس الافساد والصحيح ان يقال ان المنصوبات فى نحو قوله

عز من قائل ولا تعثوا فى الارض مفسدين ثم وليتم مدبرين وفى نحو قولهم تطلع له حاجبا وقم قائما من الصفات القائمة مقام المصدر نحو قاعدا

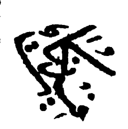
وقد سار الركب بحث فى الاية بحث وهو انه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير والجواب على القول بالفاعل المختار ظاهر فان

له ان يحدث اى فعل خارق شاء من غير ان يطلب له سبب وواسطة واما عند طالب الاسباب والوسائط فان العناصر الاربعة لها هيولى مشتركة عندهم

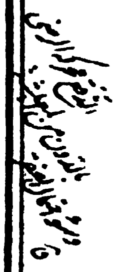
وجوزوا انقلاب صور بعضها الى بعض فجاز استمداد الماء الكائن فى الحجر من الهواء المجاور له ومثل هذا ما رواه انس انه اتى النبى باناء وهو بالزوراء



وضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ القوم قال قتادة قلت لانس كم كنتم قال ثلثمائة او زهاء ثلثمائة بل معجزة نبينا
اقوى لان نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة اما نبوعه من بين الاصابع فغير معتاد قال اهل الاشارة الروح الانساني وصفاته في عالم القلب
بمثابة موسى وقومه انه يستسقي ربه لاروائهم من ماء الحكمة والمعرفة فيضرب بعصا لا اله الا الله ولها شعبتان من النفي والاثبات
تتقدان نورا عند استيلاء ظلمات النفس على حجر القلب فينفجر اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة بعدد حروف لا اله الا الله قد علم كل سبط من اسباط
الانسان وهي خمس حواس ظاهرة وخمس باطنة مع القلب والنفس مشربهم فيستوفي حظه بحسب مشربه قوله سبحانه واذ قلتم يا موسى الاية زعم
بعض المفسرين ان هذا السؤال منهم كان معصية فان الاولى بحال المكلف الصبر على ما اسداه الله تعالى اليه خصوصا اذا كان نعمة وعفوا وصفوا
ولا سيما اذا كان المسؤل الدون والاحقر ولهذا انكره موسى عليهم قال أتستبدلون وقال الاخرون انه غير معصية لان قوله كلوا واشربوا
عند انزال المن والسلوى وانفجار الماء امر اباحة لا ايجاب ثم انهم كانوا اهل فلاحة فرغبوا الى ما الفوه ورغبة الانسان فيما اعتاده في اصل
التربية وان كان خسيسا فوق رغبته فيما لا يعتاده وان كان شريفا ولعلهم سئموا من التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد
وغرضهم البلاد وايضا المواظبة على الطعام الواحد سبب لنقص الشهوة وتضعف الهضم فيصح ان يكون التبدل مطلوبا للعقلاء ولهذا اجابهم الله تعالى
الى ما سألوا ولو كان معصية لم يجبهم الى ذلك اللهم الا ان يكون من قبيل من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وانما
وانما صح اطلاق الطعام الواحد على المن والسلوى لانهم ارادوا بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة
يداوم عليها ويأكلها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا ويجوز ان يريدوا بهما ضربا واحدا لانهما معا من طعام اهل التلذذ
والترفه ونحن اهل زراعة ما نريد الا ما الفناه ومعنى يخرج لنا يوجد ويظهر والبقل ما انبتته الارض من الخضر كالنعناع والكرفس والكراث
وغير ذلك من اطائب البقول التي يأكلها الناس عادة والقثاء الخيار والفوم الثوم ويدل عليه قراءة عبد الله وثومها وهو بالعدس والبصل
اوفق وقال بعضهم الفوم الحمص لغة شامية ويقال هو الحنطة ومنه قولهم فوموا لنا اي اختبزوا قال الفواهي لغة قديمة الذي هو ادنى اي
اقرب منزلة وادون مقدارا كقولهم في ضده هو بعيد المحل وبعيد الهمة يعنون الرفعة والعلو اهبطوا مصرا اي انحدروا اليه من التيه يقال
هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين اثنا عشر فرسخا في ثمانية ومصرا اما مصر فرعون و
التنوين فيه في القراءات المعتبرة مع ان فيه العلمية والتأنيث لسكون وسطه كما في نوح ولوط وفيهما العلمية والعجمية واما مصر من الامصار
كانه قيل لهم ادخلوا بلدا اي بلد كان لتجدوا فيه هذه الاشياء ولما ذكر الله سبحانه صنوف نعمه على بني اسرائيل اجمالا ثم تفصيلا اراد ان
يبين مآل حالهم ليكون عبرة للنظار وتبصرة لاولي الابصار وتحذيرا للانسان عن الجحود والكفران المستتبعين للخزي والهوان فقال
وضربت عليهم الذلة اي جعلت محيطة بهم مشتملة عليهم كالقبة المضروبة على الشخص او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين
على الحائط فيلصق به فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية



وهذا من جملة الاخبار عن الغيب الدال على كون القرآن وحيا نازلا من السماء على محمد هذا حالهم في الدنيا واما حالهم في العقبى فذلك
قوله وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافأته اي صاروا احقاء بغضبه وهو ارادة
انتقامه ذلك الذي ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب بسبب كفرهم بآيات الله اي القرآن بل وبالتوراة لان الكفر به مستلزم
للكفر بها وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق اي من غير ما شبهة عندهم توجب استحقاق القتل
فان الآتي بالباطل قد يكون اعتقده حقا لشبهة عنت له وقد يأتي به مع علمه بكونه باطلا ولا شك ان الثاني اقبح وادخل في القبح او كرر
للتاكيد نحو ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ومحال ان يكون لمدعي الاله الثاني برهان والنبيء بالهمزة فعيل بمعنى فاعل من نبأ
عن الله تعالى قال سيبويه ليس احد من العرب الا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمزة غير انهم تركوا الهمز في النبي كما تركوا في الذرية والبرية والخابية الا
اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون في غيرها ويخالفون العرب في ذلك وقيل اصله من نبأ اي نبا من ارض الى ارض اي خرجت منها الى
اخرى وهذا المعنى اراد الاعرابي بقوله يا نبيء الله اي خارج من مكة الى المدينة فانكر عليه الهمزة وقيل النبي بالادغام من النبوة وهي ما
ارتفع من الارض اي انه صلعم اشرف على سائر الخلق وفعيل بمعنى مفعول والجمع انبياء وعلى الاول انما جمع على انبياء لان الهمزة لما ابدلت
والزم الابدال جمع جمع ما اصله لامه حرف العلة ذلك بما عصوا تاكيد بتكرير الشيء بغير اللفظ الاول كقول السيد لعبده وقد احتمل منه
ذنوبا سلفت منه فعاقبه عند آخرها هذا بما عصيتني وخالفت امري هذا بما تجرأت علي واغتررت بحلمي ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر
والقتل على معنى انهم انهمكوا في العصيان والاعتداء حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او يكون الباء بمعنى مع اي ذلك
الكفر والقتل مع ما عصوا سائر انواع المعاصي واعتدوا حدود الله في كل شيء وقيل هو اعتداؤهم في السبت واعلم انه سبحانه لما ذكر انزال العقوبة بهم
بين سبب ذلك وانه بما فعلوه في حق الله وهو جهلهم بربهم وجحدهم لنعمه ثم ثناه بما يليه في العظم وهو قتل الانبياء ثم ثلثه بما يكون منهم من المعاصي
المتعدية الى الغير مثل الاعتداء والظلم وذلك في نهاية الترتيب وقيل الاول اشارة الى متقدميهم والثاني اشارة الى من كان في عصر رسول الله





فكانه قسم بين سببما نزل بالفريقين من البلاء ليظهر للخلائق ان ذلك على قانون العدالة وقضية الحكمة فان قيل لم قيل ههنا ويقتلون النبيين بغير الحق وفي آل عمران ويقتلون النبيين بغير حق منكرا قلت الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل ما في قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق فالحق المعرف اشارة الى هذا واما الحق المنكر فالمراد به تاكيد العموم اي لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون ولا غيره البتة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ

بدرستیکه آنان که گرویدند و آنانکه هدایت یافتند و ترسایان و از دین بسر آیندگان کسی بهت که گروید بخدا و روز واپسین و کرد

صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا

شایسته پس مرایشانراست مزدشان در نزد پروردگارشان و نیست ترسی بر ایشان و نه اندوهی ۞ و چون گرفتیم پیمان شمارا و بلند کردیم در بالای شما کوه را بگیرید

مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ

آنچه که دادیم شمارا بتوانائی و یاد آورید آنچه که در نست شاید که بپرهیزید ۞ پس برگشتید از پس این پس اگر نبودی فضل خدا بر شما و مهربانی او هر آینه بودید

مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۞ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ

از زیانکنندگان ۞ و بتحقیق که دانستید خبر آنهارا که در گذشتند از شما در روز شنبه پس گفتیم بآنها که باشید بوزینه و راندگان ۞ پس گردانیدیم اینرا عبرت مر پیشینیان

يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۞ القراءة النصارى بالامالة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وورش من طريق النجاري والحراز عن هبيرة وكذلك كل راء بعدها ياء وروى قتيبة بكسر الصاد والراء وكذلك قوله سكارى واسارى

و از بعد آیندگان و پند از برای پرهیزکاران

وبواري وأوارى كلها بامالة ما قبل الالف الصابئين بغير همزة ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الوقوف عند ربهم لنوع عدول عن اثبات الى نفي مع اتفاق الجملتين يحزنون الطور ط لان التقدير قلنا لكم خذوا تتقون من بعد ذلك ج لان لولا للابتداء وقد دخل الفاء فيه الخاسرين خاسئين ج للاية والعطف بالفاء المتقين التفسير قد بحر الكلام في الاي المتقدمة الى وعيد اهل الكتاب من يقفوا آثارهم فقرن به ما يتضمن الوعد جريا على عادته سبحانه من ذكر الترغيب مع الترهيب فقال ان الذين آمنوا واختلف المفسرون فيها لان قوله في آخر الاية من آمن يدل على ان المراد من قوله آمنوا شيئا آخر كقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا فعن ابن عباس المراد ان الذين آمنوا قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم بعيسى عليه السلام مع البراءة من اباطيل اليهود والنصارى كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وابي ذر الغفاري كانه قيل ان الذين آمنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل لليهود والذين كانوا على الدين الباطل للنصارى كل من آمن بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم وعن سفيان الثوري ان الذين آمنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون والذين هادوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية والنصارى والصابئين كل من اتى منهم بالايمان الحقيقي فلهم كذا وقيل الذين آمنوا هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة وهو عائد الى الماضي وكانه قيل ان الذين آمنوا في الماضي واليهود والنصارى والصابئين كل من آمن منهم وثبت على ذلك في المستقبل واستمر واشتقاق اليهود قيل من قولهم انا هدنا اليك اي تبنا ورجعنا عن ابن عباس نسبوا الى يهودا اكبر ولد يعقوب وقيل لانهم يتهودون اي يتحركون عند قراءة التوراة واشتقاق النصارى قيل من ناصرة قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل لتناصرهم فيما بينهم اي لنصرة بعضهم بعضا وقيل لان عيسى عليه السلام قال للحواريين من انصاري الى الله وواحد النصارى نصران ونصرانة والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري والصابئين بالهمزة اشتقاقه من صبأ الرجل صبوءا اذا خرج من دينه الى دين آخر وكانت العرب يسمون النبي صلى الله عليه وسلم صابيا لانه اظهر دينا على خلاف دينهم عن مجاهد والحسن هم طائفة من اليهود والمجوس لا يؤكل ذبائحهم ولا ينكح نساؤهم وعن قتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون للشمس كل يوم خمس مرات وقيل وهو الاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب ثم فيهم قولان الاول ان خالق العالم هو الله سبحانه الا انه امر بتعظيم هذه الاجرام واتخاذها قبلة للصلوة والدعاء والثاني انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب وفوض التدبير اليها فيجب على البشر تعظيمها لانها هي الآلهة المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله سبحانه وينسب هذا المذهب الى الكلدانيين الذين جاءهم ابرهيم عليه السلام فبين الله تعالى ان هذه الفرق الاربع اذا آمنوا بالله ويدخل فيه تمام الايمان بكلما اوجب الايمان برسله وآمنوا باليوم الآخر وبما وعد فيه فان اجرهم متيقن جار مجرى الحاصل عند الله تعالى ومحل من آمن رفع على انه مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او نصب على انه بدل من اسم ان والمعطوفات عليه وخبر ان فلهم اجرهم والفاء لتضمن من والذين معنى الشرط قال في البرهان قدم النصارى على الصابئين لانهم اهل كتاب وعكس الترتيب في الحج لان الصابئين مقدم على النصارى بالزمان وراعى في المائدة المعنيين فقدمهم في اللفظ واخرهم في التقدير لان تقديره والصابئون كذلك وقوله سبحانه واذ اخذنا ميثاقكم مخاطبة فيها معاتبة لاشتمالها على تذكير النعم وتقريع النعم وللمفسرين في هذا الميثاق اقوال احدها انه ما اودع الله العقول من الدلائل الدالة على وجود الصانع وقدرته وحكمته وعلى صدق انبيائه ورسله وهو اقوى المواثيق والعهود لانه لا يحتمل الخلف والكذب والتبديل بوجه من الوجوه وهو قول الاصم ثانيها ما روي عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ان موسى عليه السلام لما رجع من عند ربه بالالواح فرأوا ما فيها من الاخبار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها امر جبرئيل بقلع

وجه تسمية اليهود

وجه تسمية النصارى

الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القى عليكم ثم قبلوا واعطوا الميثاق وعن ابن عباس ان الله ميثاقين الاول
حين اخرجهم من صلب آدم واشهدهم على انفسهم والثاني انه تعالى الزم الناس متابعة الانبياء والمراد ههنا هو هذا العهد انما قال ميثاقكم ولم
يقل مواثيقكم للعلم بذلك كقوله يخرجكم طفلا اي كل واحد منكم او آخر هو والواو في ورفعنا اما واو عطف انه جعل الميثاق مقدما على رفع
الجبل كما في قول الاصم وابن عباس واما واو الحال ان جعل مقارنا للرفع كانه قال واذ اخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم والطور قيل
الجبل مطلقا عن ابن عباس انه جبل من جبال فلسطين وقيل جبل معهود والاقرب انه الجبل الذي وقع المناجاة عليه وقد يجوز ان ينقله الله تعالى الى
حيث هم فيجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم فان القادر على ان يمكن الجبل في الهواء قادر على ان ينقله اليهم من المكان البعيد خذوا على ارادة
القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة غير متكاسلين ولا متثاقلين وقيل بقوة ربانية واذكروا ما فيه احفظوا ما في
الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وانما لم يحمل على نفس الذكر الذي هو ضد النسيان لان الذكر من فعل الله فكيف يجوز الامر به لعلكم تتقون
رجاء منكم ان تكونوا متقين او وقلنا خذوا ارادة ان تتقوا ثم توليتم معطوف على محذوف اي فقبلتم والتزمتم ثم اعرضتم عن الميثاق و
الوفاء به ويمكن ان يقال اخذ الميثاق عبارة عن قبولهم فلا حاجة الى تقدير امر بعد ذلك اي من بعد القبول والالتزام قال القفال قد نعلم
الجملة انهم بعد قبول التوراة ورفع الطور تولوا عن التوراة بامور كثيرة فحرفوا التوراة وتركوا العمل به وقتلوا الانبياء وكفروا بهم وعصوا
امرهم ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله اوائلهم ومنها ما فعله متاخروهم ولم يزالوا في التيه مع مشاهدتهم الاعاجيب
ليلا ونهارا يخالفون موسى ويعترضون عليه ويلقونه بكل اذى ويجاهرون بالمعاصي في عسكره حتى لقد خسف ببعضهم واحرقت النار بعضهم
وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور في تراجم التوراة التي يقرؤنها ثم فعل متاخروهم ما لا خفاء به حتى عوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا
بالمسيح وهموا بقتله فغير عجيب انكارهم ما جاء به محمد من الكتاب وجحودهم لحقه وحالهم في كتابهم ونبيهم ما ذكر فلولا فضل الله عليكم ورحمته
بامهالكم وتاخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين اي من الهالكين الذين باعوا انفسهم بنار جهنم ولكنكم خرجتم من هذا الخسران لان الله
تعالى تفضل عليكم بالامهال حتى تبتم فان كلمة لولا تدل على امتناع الثاني لوجود الاول فامتنع الخسران لوجود فضل الله ويحتمل ان يكون الخبر ان
قد انتهى عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ويكون قوله فلولا فضل الله رجوعا بالكلام الى اوله اي لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على
ردكم للكتاب ولكنه تفضل عليكم ورحمكم ولطف بكم بذلك حتى تبتم قوله عز من قائل ولقد علمتم اللام للابتداء ولا يكاد يدخل الماضي
بدون قد لانها لتاكيد مضمون الجملة الاسمية نحو لزيد قائم او لتاكيد المضارع نحو ليضرب زيد لكن قد تقرب الماضي من الحال فيصير الماضي
كالمضارع مع مناسبة معنى قد معنى اللام في التحقيق وعند الكوفيين يقدر القسم قبله عن ابن عباس ان هؤلاء القوم كانوا في زمن داود
بايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل ارض في شهر من السنة حتى لا يرى الماء لكثرتها وفي
غير ذلك الشهر في كل سبت خاصة فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان يدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك
الحبس في الحياض هو اعتداؤهم ثم انهم اخذوا السمك واستغنوا بذلك وهم خائفون من العقوبة فلما طال العهد استسن الابناء بسنة الآباء
واتخذوا الاموال فمشى اليهم طوائف من اهل المدينة الذين كرهوا الصيد في السبت فنهوهم فلم ينتهوا وقالوا نحن في هذا العمل منذ زمان
فما زادنا الله به الا خيرا فقيل لهم لا تغتروا بذلك فربما ينزل بكم العذاب والهلاك فاصبح القوم وهم قردة خاسئون فمكثوا ثلثة ايام ثم ماتوا
قال بعضهم وفي الكلام حذف اي ولقد علمتم اعتداء الذين اعتدوا ليكون المذكور من العقوبة جزاء لذلك والسبت مصدر سبتت
اليهود اذا عظمت يوم السبت والاعتداء فيه اما نفس الاصطياد لانهم امروا فيه بالتجرد للعبادة فتجاوزوا ما حد لهم واشتغلوا بالصيد واما
الاصطياد مع استحلاله وقوله كونوا المراد منه سرعة الايجاد واظهار القدرة وان لم يكن هناك قول انما امره الشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون وقردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردة والخسوء وهو الصغار والطرد عن مجاهد انه مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم
لا انه مسخ صورهم وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا ونظيره ان يقول الاستاذ للمتعلم البليد الذي لا ينجع فيه تعليمه كن حمارا واحتج بان
الانسان هو هذا الهيكل المحسوس فاذا ابطله وخلق مكانه تركيب القرد رجع حاصل المسخ الى اعدام الاعراض التي باعتبارها كان ذلك الجسم انسانا
وايجاد اعراض اخر باعتبارها صار قردا وايضا لو جوزنا ذلك لم نامن في كل ما نراه قردا او كلبا انه كان انسانا عاقلا وذلك شك في المشاهدات
واجيب بان الانسان ليس هذا الهيكل لتبدله بالسمن والهزال فهو امر وراء ذلك اما جسماني سار في جميع البدن او جزء في جانب من البدن
كقلب او دماغ او مجرد كما يقوله الفلاسفة وعلى التقادير فلا امتناع في بقاء ذلك الشيء مع تطرق التغير الى هذا الهيكل وهذا هو المسخ وبهذا
التاويل يجوز في الملك الذي يكون جثته في غاية العظم ان يدخل حجرة الرسول ولانه لم يتغير منهم الا الخلقة والصورة والعقل والفهم باق
فانهم يعرفون ما نالهم بشؤم المعصية من تغير الخلقة وتقبيح الصورة وتشويهها وعدم القدرة على النطق وسائر الخواص الانسانية فيتالمون بذلك
ويتعذبون ثم اولئك القردة بقوا او افناهم الله وان بقوا فهذه القردة التي في زماننا من نسلهم ام لا الكل جائز عقلا الا ان الرواية
عن ابن عباس انهم ما مكثوا الا ثلثة ايام ثم هلكوا فجعلناها اي المسخة او القردة او قرية اصحاب السبت وهذه الامة نكالا عقوبة شديدة



رادعة عن الاقدام على المعصية والنكول عن اليمين الامتناع عنها ولم يقصد بذلك ط يقصد الناس من التشفي واطفاء نائرة الغيظ وانما جعلنا عبرة لما قبلها ومعها وبعدها من الامم والقرون لان مسخهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها وسيبلغ خبرها الى الاخرين فيعتبرون او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرون والامم وجعلناها عقوبة لجميع ما ارتكبوه قبل هذا الفعل وبعده هكذا قال بعضهم والاولى عندي ان يقال جعلناها عقوبة لاجل ذنوب تقدمت المسخ ولاجل ذنوب تاخرت عنها لانهم ان لم يكونوا ممسوخين لم ينتهوا عنها فهم في حكم المرتكبين لها ولا يلزم من ذلك تجويز العقاب على الذنب المفروض الموهوم لانه امر اعتباري والعقوبة في نفسها واحدة ثابتة على حالها نزدة لاجل الذنب المتاخر شيء فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتقدم مائة جلدة ولاجل الاباق المتاخر المترقب مائة اخرى ولكنه كمن قيد عبده او حبسه لاجل الاباق المتقدم والاباق المترقب والله اعلم وموعظة للمتقين لان منفعة الاتعاظ تعود اليهم لا الى غيرهم مثل هدى للمتقين او ليعظ المتقون بعضهم بعضا وقيل للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖۤ اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تَذْبَحُوْا بَقَرَةً

وچون گفت موسی ازبرای قوم خود که خدا میفرماید شمارا که بکشید گاوی را

قَالُوْۤا اَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ اَعُوْذُ بِاللّٰهِ اَنْ اَكُوْنَ مِنَ الْجٰهِلِيْنَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ قَالَ

گفتند که آیا گرفته ما را ریشخند گفت پناه میبرم بخدا که بوده باشم از بیخبران گفتند که بخوان از برای خدای ما را که ظاهر کند که چیست آن گفت که

اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَّلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذٰلِكَ فَافْعَلُوْا مَا تُؤْمَرُوْنَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا

خدا میفرماید که آن گاویست نه سالخورده ونه جوان متوسط در میان این دو پس بکنید آنچه فرموده شدید گفتند که بخوان از برای ما پروردگار را که ظاهر کند از

مَا لَوْنُهَا قَالَ اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النّٰظِرِيْنَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ

چیست رنگ آن گفت که او میگوید که آن گاویست زرد درخشنده که رنگش فرح دهد نگرندگان را گفتند که بخوان خدای خود را که بیان کند که چیست آن

اِنَّ الْبَقَرَ تَشٰبَهَ عَلَيْنَا وَاِنَّآ اِنْ شَآءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُوْنَ قَالَ اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُوْلٌ تُثِيْرُ الْاَرْضَ وَلَا

که گاو مشتبه شد برما وما اگر خدا خواهد هر آینه ازراه یافتگانیم گفت که او میگوید که آن گاویست نه رام است که شخم کند زمین را ونه

تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيْهَا قَالُوا الْـٰٔنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوْهَا وَمَا كَادُوْا يَفْعَلُوْنَ وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا

آب دهد کشت را بی عیب باشد که نباشد رنگی دران گفتند که حال آوردی حق مطلب پس سر بریدند آن را ونزدیک بود که نکنند وچون کشتید نفسی را

فَادّٰرَءْتُمْ فِيْهَا وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ فَقُلْنَا اضْرِبُوْهُ بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتٰى وَيُرِيْكُمْ اٰيٰتِهٖ

پس میکردید یکدیگر را در آن وخدا بیرون آرنده است آنچه را که پنهان میداشتید پس گفتیم که بزنید آن کشته را بپاره ای از آن همچنین زنده گرداند خدا مردگان را ونماید شما را نشانهای خود

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوْبُكُمْ مِّنْۢ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ اَوْ اَشَدُّ قَسْوَةً وَاِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْاَنْهٰرُ

شاید که شما بیابید پس سخت شد دلهای شما پس از این پس آن مانند سنگ است بلکه سخت تر وبدرستیکه بعضی از سنگها هر آینه روان میشود از آن نهرها

وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ القراءة يامركم بالاختلاس

وبعضی از آن هر آینه شکافته پس بیرون آید از آن آب وبعضی از آن فرو آید از ترس خدا ونیست خدا بیخبر از آنچه میکنید

ابو عمرو وكذلك كل فعل مستقبل مضموم من ذوات الراء هزوا ساكنة الزاء مهموزة حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل وقرا حمزة مبدلة الواو من الهمزة في الوقف لمكان الخط وقرا حفص غير الخراز مثقلا غير مهموز الباقون مثقلا مهموزا جئت بالآن بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف فادارءتم بغير همزة ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف عما يعملون بالياء التحتانية ابن كثير الوقوف بقرة ط هزوا ط الجاهلين نصف الجزء ما هي ط ولا بكر ط لان التقدير هي عوان بين ذلك ط على تقدير فقد تبين لكم فافعلوا ما تؤمرون ٥ ما لونها ط صفراء لا الى الجزء الاية لان الجملة صفة بعد صفة الناظرين ٥ ما هي لا لان التقدير فان البقر ولان البقر هلاء لعدد تكرار السؤال علينا ط لمهتدون الحرث ج لان قوله مسلمة صفة بقرة او خبر محذوف اي هي مسلمة لا شية فيها ط جئت بالحق ط لان التقدير فطلبوها فوجدوها فذبحوها يفعلون ٥ فادارءتم فيها ط تكتمون ج للاية والفاء بعدها ببعضها ط لان التقدير فضربوه فحيي فقيل لهم كذلك يحيي الله الموتى تعقلون ٥ قسوة ط الانهار ط الماء ط خشية الله ط التفصيل لكمال القدرة تعملون ٥ التفسير عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل قتل قريبا له لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكا ذلك الى موسى عم فاجتهد موسى في تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فسأله فاوحى اليه ان الله يامرهم ان يذبحوا بقرة فعجبوا من ذلك فشددوا على انفسهم بالاستفهام حالا بعد حال واستقصوا في طلب الوصف فلما تعين لم يجدوها بذلك النعت الا عند يتيم وذلك انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فذبحوها وامر موسى عم ان ياخذوا عضوا منها فيضربوا به القتيل فصار المقتول حيا وسمى لهم قاتله وهو الذي ابتدأ بالشكاية فقتلوه قودا واعلم ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند مجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره الى وقت الحاجة فمختلف فيه فالمجوزون استدلوا

ع

فيه حكاية ذبح البقرة من بني اسرائيل

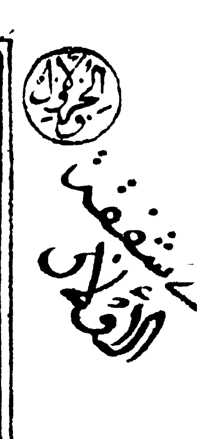


بالآية قالوا امروا بذبح بقرة معينة بدليل تعيينها بالسؤال المتأخر وبدليل انه لم يؤمر بتجديد بل المأمور به في الثانية هو المأمور به في الاولى لا انفاق وتدل
المطابقة للذبح والمانعون قالوا معناه اذبحوا اية بقرة شئتم بدليل تنكير بقرة وهو ظاهر في ان المراد بقرة غير معينة وبدليل ابن عباس لو ذبحوا
بقرة ما لاجزأهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وبدليل التعنيف في قوله وما كادوا يفعلون ولو كانت معينة لما استحقوا التعنيف على
السؤال واجيب بان ترك الظاهر يجوز لموجب راجح وما نقل عن ابن عباس خبر الواحد والتعنيف يجوز ان يكون لتفريطهم في الامتثال بعد حصول
البيان التام ويتفرع على قول المانعين ان التكليف يكون متغايرا فكلفوا في الاول اي بقرة كانت وثانيا ان يكون لا فارضا ولا بكرا بل عوانا
فلما لم يفعلوا ذلك كلفوا ان يكون لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث ثم اختلف القائلون بهذا المذهب فمنهم من قال في التكليف الواقع
اخيرا يجب ان يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع الصفة الاخيرة لا فارضا ولا بكرا وصفراء فاقعا لونها ومنهم من يقول
انما يجب كونها بالصفة الاخيرة فقط وهذا اشبه بظاهر الكلام اذ كان تكليفا بعد تكليف وان كان الاول اشبه بالروايات وبطريقة التشديد
عليهم عند ترك الامتثال واذا ثبت ان البيان لا يتأخر وانه تكليف بعد تكليف دل ان الاسهل قد ينسخ بالاشق فان المربي لولده قد يأمره بالسهل
اختيارا فاذا امتنع الولد منه فقد يرى المصلحة في ان يأمره بالصعب ويدل ايضا على جواز النسخ قبل الفعل وان لم يجز قبل وقت الفعل والامكان لادائه
الى البداء ويدل على وقوع النسخ في شرع موسى ويدل ايضا على ان الزيادة في الخطاب نسخ له أتتخذنا هزوا استفهام على سبيل الانكار معناه لا تجعلنا مكان
هزو او اهل هزو او مهزوءا بنا والهزو نفس الهزء لفرط الاستهزاء كان القوم ظنوا انه يداعبهم لانه من المحتمل ان موسى امرهم بذبح البقرة وما
اعلمهم انهم اذا ذبحوا البقرة وضربوا القتيل ببعضها صار حيا فلا جرم وقع هذا القول منهم موقع الهزء ويحتمل انه وان كان قد بين لهم كيفية
الحال الا انهم تعجبوا من ان القتيل كيف يحيا بان يضرب ببعض اجزاء البقرة واختلف العلماء ههنا فمن بعضهم تكفيرهم بهذا القول لانهم
ان شكوا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فقد كفروا وان شكوا في ان الذي امرهم به موسى هل هو بامر الله فقد جوزوا الخيانة على موسى
في الوحي وذلك ايضا كفر وعن اخرين انه لا يوجب الكفر لان المداعبة على الانبياء جائزة فلعلهم ظنوا انه يداعبهم مداعبة حقة والمراد ما اعجب هذا
الجواب كانك تستهزئ بنا لا انهم حققوا على موسى الاستهزاء من الجاهلين اطلاقا لاسم السبب على المسبب فان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون الا بسبب
الجهل ومنصب النبوة يجل عن ذلك كما يقول الرجل عند مثل ذلك اعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لما في الاستهزاء من نقصان الدين والعقاب الشديد وقيل نفس الهزو قد يسمى جهلا فان الجهل ضد الحلم كما انه ضد العلم ثم ان قيل ان
المامور بذبح بقرة معينة في نفسها غير مبينة التعيين حسن موقع سؤالهم لان المأمور به لما كان مجملا حسن الاستفسار والاستعلام اما
على قول القائلين بالعموم فلا بد من بيان انه ما الذي حملهم على هذا الاستفسار فذكروا وجوها احدها انه لما اخبرهم بشأن البقرة تعجبوا وظنوا
ان البقرة التي لها مثل هذه الخاصية لا يكون الا بقرة معينة فلا جرم استقصوا في السؤال عن وصفها كعصا موسى المخصوصة من بين سائر العصا
بتلك الخواص الا ان القوم كانوا مخطئين في ذلك لان هذه الآية العجيبة لا يكون خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها الله على موسى ولعل القوم
ارادوا قتل اي بقرة كانت الا ان القاتل خاف من الفضيحة فالقى شبهة في البين قال المأمور به بقرة معينة لا مطلق البقرة فلما وقعت المنازعة
رجعوا الى موسى والخطاب في فادارأتم لعموا الا ان القوم ارادوا الاحتياط فسألوا امرا يدل للبيان وازالة الاحتمال الا ان المصلحة تغيرت واقتضت الامر
بذبح البقرة المعينة فان قيل السؤال بما هو لطلب الحقيقة والحقيقة لا تعلم الا باجزائها ومقوماتها لا بصفاتها الخارجة فالجواب بالاوصاف
الخارجية لا يكون مطابقا للسؤال قلنا من البين ان مقصودهم من قولهم ما البقرة ليس طلب ماهيتها النوعية فان ذلك كالمفروغ منه عندهم
وانما وقع السؤال عن المخصصات فالظاهر يقتضي ان يقال اي بقرة هي فان مطلب اي السؤال عن الصفات الذاتية او الخواص وسبب العدول لما افادته
الحقيقة النوعية فان الشخص من حيث هو شخص حقيقة ايضا فقد يطلب تصورها واما لانهم تصوروا ان البقرة التي لها هذه الخاصية العجيبة حقيقتها
مغايرة لحقيقة سائر البقرات وان كانت صورتها موافقة لصورها واما لان السؤال عن الجزئيات كزيد وعمرو انما يكون بمن اذا كانت طالبا
للعوارض وههنا الجزئي غير ذي عقل فناسب ان يقام ما مقام من الفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض كطالق كانها فرضت سنها اي
قطعتها وبلغت اخرها والبكر الفتية وكان الاظهر انها التي لم تلد كما في الانسان والعوان النصف قال شعر نواعم بين ابكار وعون فان اتوك وقالوا
انها نصف فان اطيب نصفيها الذي ذهبا وقد عونت وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد واستعمال غلبة الظن في الاحكام اذ لا يعلم
انها بين الفارض والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على لفظة ذلك مع انه لا يدخل الا على متعدد لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا
به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما اشير بذلك الى مؤنثين وهو للاشارة الى واحد مذكر على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام ما تؤمرون
مثل امرتك الخير فافعل ما امرت به يعني ما تؤمرون به او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير وفيما بين لهم كمال حالها في الاسنان شرع
في تعريف حال اللون والفقوع اشد ما يكون من الصفرة يقال في التوكيد اصفر فاقع مثل اسود حالك واحمر قانئ وارتفع اللون على انه فاعل فاقع
والفرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ان في الثاني تأكيدا ليس في الاول لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديد
الصفرة صفرتها مثل جد جده وجنونه مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور حالة نفسانية تعرض عند



البقرة

اعتقاد او علم او ظن بحصول شئ لذيذ او نافع وعن علي رضه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر ان البقر تشابه علينا لان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير وانا ان شاء الله لمهتدون عن النبي صلعم والذي نفس محمد بيده لو لم يقولوا ان شاء الله لحيل بينهم وبينها ابدا وفيه دليل على ان الاستثناء مندوب في كل عمل صالح يراد تحصيله ففيه استعانة بالله وتفويض للامر اليه والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيته الازلية وارادته السرمدية ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن والمعنى انا بمشية الله نهتدي للبقرة المامور بذبحها عند تحصيلنا اوصافها التي بها تمتاز عما عداها او انا على هدى في استقصاء السؤال اي نرجوا انا لسنا على ضلال فيما نفعل من هذا البحث وانا بمشية الله ان شاء الله تعريفها ايانا بالزيادة لنا في البيان لمهتدون لها اوانا ان شاء الله لمهتدون للقاتل لا ذلول صفة لبقرة مثل لا فارض اي بقرة غير ذلول لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها تسقي الحرث لا الاولى للنفي والثانية مزيدة للتوكيد لان المعنى لا ذلول تثير الارض وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وذل بالكسر اللين ضد الصعوبة وابتر ذلول بنية الذل فعول بمعنى فاعل ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث تقول رجل صبور وامرأة صبور مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب او معفاة من العمل او وحشية مرسلة عن الحبل او مخلصة اللون لم يشب صفرتها شئ من الالوان وعلى هذا يكون لا شية فيها كالبيان والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره اي لا لون فيها يخالف سائر لونها فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه اذا خلط بلونه لونا اخر اصلها وشية حذف فاؤها كما في عدة وزنة الان اسم للوقت الذي انت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة وليس الالف واللام فيه للتعريف لانه ليس له ما يشركه وهو يلي جئت بالحق اي بحقيقة وصف و وما بقي اشكال في امرها فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف فذبحوها والذبح هو قطع على العنق وهو المستحب في الغنم والبقر والنحر هو قطع اللبة اسفل العنق وهو مستحب في الابل والمرعي في الحالتين قطع الحلقوم والمري لكن عنق الابل طويل فاذا قطع علاه تباطأ الزهوق ولا يكره الذبح في الابل والنحر في الغنم والبقر وان كان خلاف المستحب وما كادوا يفعلون استبطاء لهم وانهم لكثرة استكشافهم ما كاد ينقطع خيط اسهابهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وقد يستدل بهذا على ان الامر للوجوب بل للفور والا لما ترتب هذا الذم على تثاقلهم واذ قتلتم نفسا خوطب الجماعة لوجود القتل فيهم فادارءتم فيها فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرا بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه وينفي كل واحد منكم القتل عن نفسه يضيفه الى غيره او يدفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة واصله تدارأتم ادغمت التاء في الدال فاحتيج الى همزة الوصل ويحتمل ان يرجع الضمير في فيها الى القتلة المعلومة من قتلتم والله مخرج مظهر لا محالة ما كنتم تكتمون من امر القتيل وقد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله وكلبهم باسط ذراعيه فلهذا صح عمل اسم الفاعل وهذه الجملة معترضة وفيها دليل على جواز عموم النص الوارد على السبب الخاص لان هذا يتناول كل المكتومات وفيها دليل على ان الله لا يحب الفساد وانه سيجعل الى تزاوله سبيلا وانما يسره العبد من خير او شر ودام ذلك منه فالله سيظهره ويعضده قوله صلعم ان عبدا لو اطاع الله من وراء سبعين حجابا لاظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية والضمير في اضربوه عائد الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان ويحتمل ان يعود الى القتيل بدلالة قتلتم او ما كنتم تكتمون واختلف في البعض من البقرة فقيل لسانها وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والظاهر انهم كانوا مخيرين في اي بعض ارادوا وههنا محذوف بدلالة الفاء الفصيحة والمعنى فضربوه فحيي فقلنا كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان وهما ابنا عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويؤيده قول نبينا ليس للقاتل من الميراث شئ والسر فيه انه استعجل الميراث فناسب ان يعارض بنقيض مقصوده وهو قول الشافعي ولم يفرق بين ان يكون القتل مستحقا كالعادل اذا قتل الباغي او غير مستحق عمدا كان او خطاء وعند ابي حنيفة لا ارث في العمد والخطاء الا ان العادل اذا قتل الباغي فانه يرثه وقال مالك لا يرثه من ديته ويرثه من سائر امواله ومحل كذلك نصب على المصدر اي يحيي الله الموتى مثل ذلك الاحياء وهذا الكلام اما مع الذين حضروا حيوة القتيل لانهم وان كانوا مؤمنين بذلك الا انهم لم يؤمنوا بذلك من طريق العيان والمشاهدة وشتان بين عين اليقين وعلم اليقين واما ان يكون مع منكري البعث في زمن رسول الله وعلى هذا لا يحتاج الى تقدير فقلنا بعد تقديره فضربوه فحيي ويريكم اياته دلالة على انه قادر على كل شئ فدلالة هذه القصة على وجود الصانع القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات المختار في الايجاد والاعدام اية ودلالتها على صدق موسى عم اية ودلالتها على براءة ساحة من سوى القاتل اية ودلالتها على حشر الاموات اية فهي وان كانت واحدة الا انها في الحقيقة ايات عدة ويمكن ان يراد بالايات غير هذه اي مثل هذه الاراءة يريكم سائر الاراءة كما ان مثل هذه الاحياء يحيي سائر الاموات وفي قوله كذلك دون ان يقال كهذا تعظيم للمشار اليه وتبعيد كما قلنا في ذلك الكتاب لعلكم تعقلون تعلمون على قضية عقولكم فان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها اذ لا اثر للخصوصيات في ذلك فان قيل ما الفائدة في ضرب المقتول ببعض البقرة مع انه قادر على احيائه ابتداء قلنا الفائدة فيه كون الحجة اكد وعن الحيلة ابعد فقد كان الملحد ان يتوهم ان موسى عم انما احياه بضرب من السحر والتعليم بما امر من مس الميت بالميت فحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب



ولما في ذبح البقرة من القربان واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على طلب الحوائج وما في التشديد عليهم لاجل
تشديدهم من اللطف لهم وللآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال امر الله على الفور ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة
البر بالابوين والاشفاق على الاولاد وتجهيل المستهزئ بما لا يعلم تأويله من كلام الحكيم وبيان ان من حق المتقرب الى الرب ان يكون من
احسن ما يتقرب به في السن حسن اللون بريئا من العيوب ثمينا نفيسا سمنوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم فان قيل هلا قدم ذكر القتيل
على الامر بذبح البقرة كما هو حق القصة قلنا لانها كانت تكون حينئذ قصة واحدة ويذهب الغرض في تثنية التقريع بالاستهزاء وترك المبادرة بالامتثال
اولا وبقتل النفس المحرمة وما يتبعه من الاية ثانيا على انها دلت على اتحاد القصتين برجوع الضمير في ببعضها الى البقرة وهي مذكورة في الاولى
قوله ثم قست قلوبكم الاية خطاب لاولئك اليهود الذين كانوا في زمن موسى او للذين هم في زمن محمد من بعد ذلك الاحياء او من بعد ذلك
الذي عددنا من جميع الايات الباهرة المعجزات الظاهرة ومعنى ثم استبعاد القسوة من بعد ما يوجب اللين والرقة وصفة القلوب بالقسوة
والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ فهي كالحجارة مثلها في القسوة او هي اشد قسوة من الحجارة فمن عرفها شبهها بالحجارة او قال
هي اقسى من الحجارة ويجوز ان يقدر مضاف اي هي كالحجارة او مثل اشد قسوة فمن عرفها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى من الحجارة كالحديد
مثلا وانما قيل اشد قسوة مع امكان بناء افعل التفضيل من فعل القسوة لكونه ادل على فرط القسوة ولانه لم يقصد معنى الاقسى ولكن قصد
وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة منها وحذف هذا الراجع لعدم الالتباس نحو زيد كريم وعمرو
اكرم وكلمة او ههنا ليست للشك فعلام الغيوب لا يشك في شيء وانما هي للتخيير اي بهما شئت شبهت فكنت صادقا ولو جمعت بينهما جاز ثم اخذ
في بيان فضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اي ان منها الذي فيه خروق واسعة يتدفق
منها الماء الغزير وان منها للذي يتشقق انشقاقا طولا او عرضا فينبع منه الماء وذلك بحسب كثرة المادة وقلتها فان الابخرة تجتمع في باطن
الارض ثم ان كان ظاهر الارض رخوا انفشت وانفصلت وان كان صلبا حجريا اجتمعت وصارت مياها ولا يزال يتواتر مددها الى ان ينشق
الارض من مزاحمتها وتسيل انهارا او عيونا واما قلوب هؤلاء فلا ينشرح للحق ولا تتأثر من الوعظ والنصح بعد مشاهدة الايات و
معاينة الدلائل ويشقق اصله يتشقق فادغم التاء في الشين كقولهم يذكر في يتذكر لما يهبط الذي يتردى من على الجبل وذلك من خشية الله
اما لانه تعالى خلق فيه الحيوة والعقل والادراك كما يروى من تسبيح الحصى في كف النبي واما لان الخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا
تمتنع عما يريد بها من الاهباط والانفصال عن كلها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تتأثر وقيل اي تنزل من اجل ان يحصل خشية الله في
قلوب عباده فيفزعون اليه بالتضرع والدعاء وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم والمعنى انه بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم
فمجازيهم في الدنيا والاخرة كقوله ولا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ووصفه تعالى بانه ليس بغافل لا يوهم جواز الغفلة عليه لان نفي الصفة عن الشيء
لا يستلزم ثبوت صحتها مثل لا تأخذه سنة ولا نوم التأويل في ذبح البقرة اشارة الى ذبح النفس البهيمية فان في ذبحها حيوة القلب الروحاني
وهو الجهاد الاكبر موتوا قبل ان تموتوا اشعر اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حيوتي وحيوتي في مماتي ومماتي في حيوتي مت بالارادة تحيى بالطبيعة
وقال بعضهم مت بالطبيعة تحيى بالحقيقة ما هي انه بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق لا فارض مسن الشيخوخة فيعجز عن ضعف سلوك الطريق
لضعف القوى البدنية كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد ولا بكر في سن شرخ الشباب يستهويه سكره عوان بين ذلك القول حتى اذا بلغ اشده
وبلغ اربعين سنة بقرة صفراء اشارة الى صفرة وجوه اصحاب الرياضات فاقع لونها يريد انها صفرة زين لا صفرة شين فانها سيماء الصالحين
لا ذلول تثير الارض لا يحملها ثقل الطمع ولا تثيرها آلة الحرص من الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها ولا تسقي حرث الدنيا بماء وجهه
عند الخلق وبماء وجاهته عند الخالق فيذهب ماؤه عند الحق وعند الخلق مسلمة من آفات صفاتها لا شية فيها علامة طلب غير الله وما
كادوا يفعلون بمقتضى الطبيعة لولا فضل الله وحسن توفيقه واذ قتلتم نفسا يعني القلب فادارأتم فاختلفتم انه كان من الشيطان ام من الدنيا
او من النفس الامارة فقلنا اضربوه ببعضها اضرب لسان بقرة النفس المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر فيحيى باذن الله
عز وجل وقال ان النفس لامارة بالسوء وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار مراتب القلوب في القسوة مختلفة فالتي يتفجر منها الانهار قلوب
يظهر عليها الغليان بانوار الروح بترك اللذات والشهوات بعض الاشياء المشبهة بخوارق العادات كما يكون لبعض الرهابين والهنود والتي
تشقق فيخرج منها الماء هي التي يظهر عليها في بعض الاوقات عند انخراق الحجب البشرية من انوار الروح فيريه بعض الايات والمعاني المعقولة
كما يكون لبعض الحكماء والتي تهبط من خشية الله ما يكون لبعض اهل الاديان والملل من قبول عكس انوار الروح من وراء الحجب فيقع فيها
الخوف والخشية وهذه المراتب مشتركة بين المسلمين وغيرهم والفرق انها في المسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيد في قربهم وقبولهم وذلك حالهم
ولغيرهم ليست مؤيدة بالايمان فيزيد في غرورهم وعجبهم وبعدهم واستدراجهم والمسلمون مخصوصون بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلي
انوار الحق ورؤية برهانه فاراءة الايات للخواص سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ويريكم آياته لعلكم تعقلون لكن اراءة البرهان لاخص
الخواص كما قال في حق يوسف لولا ان رأى برهان ربه وشتان الحنين منصوص عن البرهان فقال واردات ترد على القلوب فتعجز النفوس عن تكذيبها

البقرة

والله اعلم أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

آیا پس امید میدارید که ایمان آرند برای شما و حال آنکه بودند گروهی از ایشان که می‌شنیدند کلام خدا را پس تغییر میدادند آن را بعد از آنکه فهمیده بودند و ایشان

يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ

میدانستند و چون ملاقات کنند آنان را که گرویدند گفتند که گرویدیم و چون خلوت کردند بعضی از ایشان با بعضی گفتند آیا حکایت میکنید بایشان آنچه گشوده خدا

عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ

بر شما تا محاجه کنند با شما بآن نزد پروردگار شما آیا پس در نمی‌یابید آیا نمیدانند که خدا میداند آنچه پنهان میدارند و آنچه آشکار میکنند و از ایشان

أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا

بی سوادانند که نمیدانند کتاب را مگر آرزوها و نیستند ایشان مگر گمان میبرند پس وای برای آنان که می‌نویسند کتاب را بدستهای خود پس میگویند که این

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ

از نزد خداست تا بخرند بآن بهای اندکی را پس وای برایشان از آنچه نوشت دستهای ایشان و وای برایشان از آنچه کسب میکنند و گفتند که نرسد ما را آتش

إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

مگر روزهای معدود بگو آیا گرفتید در نزد خدا عهدی را که خلف نکند خدا عهد خود را یا میگوئید بر خدا آنچه را که نمیدانید

ع

بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

آری هر که کسب کرد گناهی را و احاطه کرد با وی گناه او پس آن گروه یاران آتش‌اند که ایشان در آن جاویدانند و آنان که گرویدند و کردند

الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ القراءة الاماني حيث كان خفيفا يزيد الا قوله تلك امانيهم وليس باما نيكم

شایسته آن گروه یاران بهشت‌اند که ایشان در آن جاویدانند ولا اماني في غير تلك الاماني فانا ربعهن بالاسكان عنده بايديهم بضم الهاء

يعقوب وكذلك كل هاء كانت قبلها ياء ساكنة خطيئاته بالجمع ابو جعفر ونافع الوقوف يعلمون ه ماج والوصل اجوز لبيان حاليهما المتناقضين

وهو المقصود عند ربكم ط افلا تعقلون ه يعلنون ه يظنون ه قليلا ط يكسبون ه معدودة ط ما لا تعلمون ه النار ج لان الجملة مبتدأ وخبر بعدها خبر

خالدون ه الجنة ج خالدون ه التفسير لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح اسلاف اليهود وسوء معاملتهم مع نبيهم اردفها قبائح اخلافهم المعاصرين لرسول الله

فكانه قيل اذا كان هذا افعالهم فيما بينهم فكيف تطمعون ايها النبي والمؤمنون في ان يؤمنوا اي يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم او يستجيبوا لكم كقوله

فآمن له لوط وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية

الرجم وقيل هم قوم من الذين حضروا الميقات سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم

ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس من بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه بعقولهم من غير ما شبهة وهم يعلمون

انهم مفترون كاذبون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك كما تقول للرجل كيف تطمع ان يفلح فلان واستاذه فلان يأخذ عنه

لا عن غيره فهؤلاء المقلدة لا يقبلون الا قول معلميهم واحبارهم الذين تعمدوا التحريف عنادا او لضرب من الاغراض الدنيوية واذا لقوا

اي اليهود قال منافقوهم آمنا بانكم على الحق ونشهد ان صاحبكم صادق وانا نجده بنعته وصفته في كتابنا واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا

الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعته وصفته مأخوذ من قولهم قد فتح على

فلان في علم كذا اي رزق ذلك وسهل له طلبه وقال المنافقون لغيرهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا

في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في

كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله كذا وهو عند الله كذا بمعنى واحد وعن الحسن ليحاجوكم في ربكم لان المحاجة فيما

الزمتم من اتباع الرسل محاجة في دين ربكم وقال الاصم يحاجوكم يوم القيامة عند المسائلة فيكون زيادة في توبيخكم فكان القوم يعتقدون

ان ذلك مما يزيد في فضيحتهم في الآخرة وقيل ليحاجوكم به على وجه الديانة والنصيحة لان من يذكر الحجة على هذا الوجه قد يقول لصاحبه

ارحت علتك عند الله واثبت عليك الحجة بيني وبين ربي فان قبلتها احسنت الى نفسك وان جحدت كنت الخاسر الخائب وقيل التفسير انهم

محجوجين بتلك الدلائل في حكم الله كما يقال فلان عندي عالم اي في اعتقادي وحكمي وهذا عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا افلا

تعقلون ان ذلك لا يليق بما انتم عليه فانكم اذا حدثتموهم بالذي يحاجوكم به رجع وباله عليكم اولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما

يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان خوفهم الله تعالى بذلك لانهم كانوا يعرفون ان الله يعلم السر والعلانية ومنهم اميون لا

يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها كأنه منسوب الى الام وهو اصل الشيء فالامي على اصل فطرته لم يكتسب علما وكتابة

لا يعلمون الكتاب التوراة الا اماني واحدها امنية على افعولة من منى يمني اذا قدر تقول منه تمنيت الشيء ومنيته غيري تمنية لان المتمني

يقدر في نفسه ويجوز ما يتمناه واماني اليهود في ان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما



بينهم الاحبار من ان النار لا يمسهم الا اياما معدودة وقيل الاماني الاكاذيب المختلقة التي سمعوها من علمائهم فيقبلوها على التقليد
يقال هذا شئ رويته وتمنيته اي اختلقته وذلك ان المختلق يقدر ان كلمة كذا بعد كذا وفي الصحاح انه مقلوب المين وهو الكذب وقيل
الاماني يقرؤن من قولهم تمنيت الكتاب قراءته قال الشاعر يرثي عثمان شعر تمنى كتاب الله اول ليلة ؛ واخرها لاقى حمام المقادر ؛ ولقا
مقدر الكلمات كالمختلق وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا كانه قيل لا يعلمون الكتاب الا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه وبقدر ما يذكر
لهم فيقبلونه ثم انهم لا يتمكنون من التدبر والتامل وعلى الاول يكون استثناء منقطعا ومن قرأ اماني بالتخفيف حذف المد كما يقال مفاتح و
ان هم الا يظنون كالمحقق لما تقدم من قوله لا يعلمون الكتاب الا اماني ذكر الفرقة الضالة المضلة المحرفة ثم الفرقة المنافقين منهم ثم الفرقة
المجادلة لاهل النفاق ثم العوام المقلدة ونبه على انهم في الضلال سواء لان للعالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن ان
كان متمكنا من العلم ولا سيما في اصول الدين الويل كلمة يقولها كل مكروب عن ابن عباس انه العذاب الاليم وعن الثوري صديد اهل الجحيم
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال
لماعت من حره ولا شبهة في ذلك لانها على غاية الوعيد التهديد يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد كما تقول للمنكر هذا ما كتبته بيمينك حكى
عنهم امرين كتبة الكتاب واسناده الى الله والوعيد مرتب على كل منهما وعلى مجموعهما الا انه على الثاني ابلغ ولهذا جئ بثم وقوله اشتروا به ثمنا
قليلا تنبيه على شقاوتهم فانهم استبدلوا النفع الحقير العاجل الزائل بالاجر العظيم الآجل الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم اي مما اسلفت من
كتبة ما لم يكن يحل لهم وويل لهم مما يكسبون بذلك بعد من الرشى على التحريف وفي اعادة الويل في الكسب دليل على ان الوعيد كما يلحقهم بسبب
الكتبة واسنادها الى الله فكذلك يلحقهم بسبب اخذ المال عليه ليعلم ان اخذ المال على الباطل محرم وان كان بالتراضي وقالوا لن تمسنا
النار نوع آخر من قبائح افعالهم وهو جزمهم بان الله تعالى لا يعذبهم الا اياما معدودة قليلة وهذا الجزم مما لا سبيل اليه بالعقل البتة ولا
دليل له سمعيا فلا يجزم به عاقل والايام المعدودة قالوا اربعون يوما هي ايام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف
سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما لان يوما عند الله الف سنة واياما معدودة ومعدودات كلاهما فصيح مثل الايام مضت
ومضين العهد ههنا يجري مجرى الوعد والخبر لان خبره سبحانه كالعهود المؤكدة منا بالقسم والنذر واتخذتم استفهام بطريق الانكار
وانه يدل على عدم الدليل السمعي فلن يخلف الله عهده لتنزهه سبحانه عن كل نقيصة وخلاف الخبر نقص النقائص فان قيل هب ان الخلف
في الوعد لوم ونقيصة لكنه في الوعيد كرم ولطف قلنا الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوزه كامل ولعل للكريم طريقا آخر سوى هذا
فتامل وام اما معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقدير لان العلم واقع بكون احدهما وهذا من الكلام المنصف نحو وانا او
اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويجوز ان يكون منقطعة بمعنى بل تقولون كانه اعرض عن الاستفهام الاول الكلام واستانف سؤالا
ثانيا فالاستفهام الاول لتقرير النفي والاستفهام الثاني لتقرير الاثبات وفي الآية تنبيه على ان القول بغير دليل باطل وان كل ما جاز
وجوده وعدمه عقلا لم يجز المصير الى الاثبات والى النفي الا بدليل سمعي ولا حجة لمنكري القياس وخبر الواحد فيه لانه لما دل الدليل على وجوب
العمل عند حصول الظن المستند الى القياس او الى خبر الواحد كان وجوب العمل معلوما فكان القول به قولا بالمعلوم بلى اثبات لما بعد حرف
النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله تعالى هم فيها خالدون عن ابن عباس وجد اهل الكتاب ما بين طرفي جهنم مسيرة
اربعين سنة فقالوا لن يعذب في النار الا ما وجدنا في التوراة واذا كان يوم القيمة اقتحموا في النار فساروا في العذاب حتى انتهوا الى سقر
وفيها شجرة الزقوم الى آخر يوم من ايام المعدودة فقال لهم خزنة اهل النار يا اعداء الله زعمتم انكم لن تعذبوا في النار الا اياما معدودة
فقد انقضى العدد وبقي الابد قلت وفي مثل حالهم ضلال الفلاسفة القائلون بان الارواح وان صارت مكدرة بقبائح اعمال الاشباح
الا انها بعد المفارقة ورجوع العناصر الى اصلها تصير الى حظائر القدس ونظام لا يزاحمها شئ من نتائج الاعمال الا اياما معدودة بقدر
الارواح عن لبان التمتعات الحيوانية ثم تتخلص من العذاب وترجع الى حسن المآب ومنهم من زعم ان استيفاء اللذات الحسية يقلل التعلقات
الدنيوية ويسهل عروج الروح الى عالمه العلوي وكل هذا خيال فاسد ومتاع كاسد وانه قول من لم يجرب ولم يجد من نفسه انها كيف تتدنس
وتتكدر بالاخلاق الذميمة البهيمية والسبعية كيف تتصفى وتتطهر بالاخلاق الحميدة الروحانية الملكية نعم بصدأ مرآة القلب بحيث
لا يبقى فيه شئ من الصفاء الفطري كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا يجلوها الامر ولم الدهور وكرور الاعصار وقد ينضم
الكفر الى تلك الاخلاق فيبقى خالدا مخلدا في النار في ويل طويل وزفير وعويل نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا والسيئة
اصلها سيوئة من ساء يسوء سوءا ومساءة فقلب الواو ياء وادغمت وهي من الصفات الغالبة وقوله سيئة يتناول جميع المعاصي صغيرها وكبيرها
فضم اليها شرط آخر وهو كون السيئة محيطة به فيختص بالكبيرة ولفظ الاحاطة حقيقة في الجسمانيات كاحاطة السور بالبلد والظرف بالمظروف
فنقل الى الخطيئة وهي عرض لمعنيين من جهة ان المحيط يستر المحاط به والكبيرة تستر الطاعات ومن جهة ان الكبيرة تحيط الطاعات و
تستولي عليها احاطة العدو بالانسان بحيث لا يتمكن الانسان من الخلاص عنهم والآية وان وردت في اليهود فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص



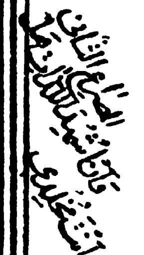




السبب بمثلها يتمسك المعتزلة في اثبات الوعيد لاصحاب الكبائر اذا ماتوا قبل التوبة وفسر بعضهم الخطيئة المحيطة بالكفر فيه يتحقق الاحاطة
التامة واعلم ان في المسئلة خلافا لاهل القبلة منهم من قطع بوعيدهم اما مؤبدا وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج واما منقطعا وهو
قول بشر المريسي والخالدي ومنهم من قطع بانه لا وعيد لهم وينسب الى مقاتل بن سليمان المفسر والذي عليه اكثر الصحابة والتابعين واهل السنة
والامامية القطع بانه سبحانه يعفو عن بعض العصاة وانه اذا عذب احدا فلا يعذبه ابدا لكنا نتوقف في حق البعض المعفو عنه والبعض
المعذب على التعيين اما المعتزلة فاستدلوا بعمومات وردت في وعيد الفساق كقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده
يدخله نارا خالدا فيها وقوله ان الفجار لفي جحيم وقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا ومن الحديث من
من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها لم يشربها في الآخرة ومن قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة الذي يشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه
نار جهنم وعن ابي سعيد الخدري قال قال والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت رجل الا ادخل النار واذا استحقوا النار ببغضهم فلان
يستحقوا النار بقتلهم اولى واجيب بالمنع من ان هذه الصيغ للعموم بدليل صحة ادخال الكل والبعض عليها نحو كل من دخل داري فله كذا او بعض
من دخل ولا يلزم منه تكرير ولا تناقض ولان الاكثر قد يطلق عليه لفظ الكل ولاحتمال التخصيص القاطعون بنفي العقاب عن اهل الكبائر احتجوا
بنحو قوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وبالعمومات الواردة في الوعد مثل والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
الآية حكم بالفلاح على كل من آمن وعورض بعمومات الوعيد اما اصحابنا الذين قطعوا بالعفو في حق البعض والتوقف في البعض فقد تمسكوا بنحو
قوله عز من قائل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وبان عمومات الوعد والوعيد لما تعارضتا فلا بد من الترجيح
لجانب الوعد بصرف التأويل الى الوعيد لان العفو عن الوعيد مستحسن في العرف واهمال الوعد بالضد ثم ان القرآن مملوء من قوله عفوا غفورا رحيما كريما
وكذا الاخبار في هذا المعنى تكاد تبلغ حد التواتر وايضا ان صاحب الكبيرة اتى بما هو افضل الخيرات وهو الايمان ولم يأت بما هو اقبح القبائح و
هو الكفر بل بما دونه مما سوى الكفر من المعاصي ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازي الهي اذا كان توحيد ساعة يهدم كفر خمسين سنة فتوحيد خمسين
سنة كيف لا يهدم معصية ساعة الهي لما كان الكفر لا ينفع معه شيء من الطاعات كان مقتضى العدل ان الايمان لا يضر معه شيء من المعاصي
واذا دلت الآيات على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق بينهما فاما ان يصل العبد الى دار الثواب ثم الى دار العقاب وهو باطل بالاجماع او يصل اليه
العقاب ثم ينقل الى دار الثواب ويبقى هنالك ابد الآباد وهو المطلوب واعلم ان مذهب الاصحاب الى الادب اقرب من حيث انهم يصفونه بصفات
الجمال كالعفو والمغفرة وبصفات الجلال كالقهر والانتقام ولكن لا يوجبون عليه ثوابا ولا عقابا لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن حيث
انهم لا يعينون البعض المستحق للثواب والبعض المستحق للعقاب من المسلمين لان فعله مبرأ عن التعلل بلواحق الغايات وسوابق البواعث
ومذهب المعتزلة الى الاحتياط اقرب فان من خوفك حتى تبلغ الامن خير ممن امنك حتى تبلغ الخوف وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَ و ياد كنيد چون گرفتيم پيمان از بنى اسرائيل
كه نپرستيد مگر خدا را و بپدر و مادر نيكوئى كردن و صاحب خويشى و يتيمان و بيچارگان قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا
الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا بگوئيد از براى مردمان خوبرا و بر پا كنيد
نماز را و بدهيد زكوة را پس برگشتيد مگر اندكى از شما و شما روى گردانندگانيد و چون گرفتيم مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ
وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ پيمان شما كه مريزيد خونهاى خود را
و بيرون مكنيد خود را از خانهاتان پس اقرار كرديد و حال آنكه شما گواهيد پس شما اى گروه تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ ميكشيد خود را و بيرون ميكنيد گروهى
از خانهاشان پشت ميشويد برايشان بگناه و ستيزگى و اگر آورند شما را اسير فديه ميدهيد وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ
بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَوٰةِ و حال آنكه حرام است بر شما بيرون كردن ايشان آيا گرويده ايد
بپاره از كتاب و كافر ميشويد بپاره پس نيست پاداش آنكه ميكند اين را از شما مگر رسوائى در زندگانى الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ
الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ دنيا و در روز قيامت برگردند بسوى سخت
عذابى و نباشد خدا بيخبر از آنچه ميكنيد آن گروه آنانند كه خريدند زندگانى دنيا را بآخرت فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ
القراءة لا يعبدون بالياء للغيبة ابن كثير وحمزة وعلي والمفضل القربى بالامالة المفرطة حمزة و پس سبك نشود از ايشان عذاب و نه يارى كرده شوند
علي وخلف وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا وصفا يعقوب وحمزة وعلي وخلف والمفضل تظاهرون خفيفا
عاصم وحمزة وعلي وخلف بحذف احدى التائين للتخفيف الباقون بالتشديد وجه ادغام التاء في الظاء اسارى بالامالة تفادوهم ابو عمرو وخلف
اسارى مفخما تفدوهم ابن كثير وابن عامر اسرى بالامالة تفدوهم حمزة اسارى بالامالة تفادوهم علي والنجاري عن ورش والخزاز عن هبيرة والباقون

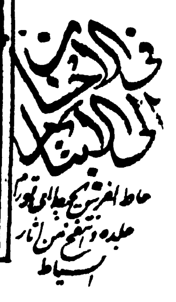


اسارى تفادوهم تردون بتاء الخطاب ابو زيد عن المفضل يعملون بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب وابو بكر وحماد بتاء الخطاب
الكلام على اوله الباقون بالتاء تغليبا للخاطبين على الغيب الوقوف الزكوة ط لان ثم لترتيب الاخبار اي ثم مع ذلك توليتم معرضون تشهدون
من ديارهم ز لان تظاهرون يشبه مستانفا وكونه حالا او خبر العدوان ط اخراجهم ط ببعض ج لابتداء الاستفهام او النفي مع فاء التعقيب
الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين العذاب ط يعملون ط بالاخرة ز لان الفعل مستانف وفيه فاء التعقيب للجزاء ينصرون التفسير انه سبحانه
كلفهم باشياء الاول قوله لا تعبدون الا الله بياء الغيبة فلانهم غيب ومن قرا بتاء الخطاب فلحكاية ما خوطبوا به وفي اعرابه اقوال احدها
انه اخبار في معنى النهي كقولك تذهب الى فلان تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي كانه سورع الى الامتثال فهو يخبر عنه ويؤيد هذا القول
عطف قولوا واقيموا عليه وثانيها التقدير ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفعت كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويحتمل ان تكون ان مفسرة
وان تكون مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وثالثها هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء
له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وهذا التكليف بالحقيقة يتضمن جميع ما لا بد منه في الدين لان الامر بعبادته والنهي
عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وجميع ما يجب له ويستحيل عليه ومسبوق ايضا بالعلم بكيفية تلك العبادة التي لا سبيل الى معرفتها
الا بالوحي والرسالة التكليف الثاني قوله وبالوالدين احسانا معناه يحسنون بالوالدين احسانا ليناسب لا يعبدون او احسنوا ليناسب قولوا
ويمكن ان يقدر وصيناهم عطفا على اخذنا وهذا انسب لمكان الباء ولا بد من تقدير القول لما قبل لا تعبدوا واما قبل احسنوا واما قبل
قولوا وانما جعل الاحسان الى الوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها انهما سبب وجود الولد كما انهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون سبب التربية
فقط فلا انعام بعد انعام الله تعالى اعظم من انعام الوالدين ومنها ان انعامهما يشبه انعام الله تعالى من حيث انهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا انما
نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها انه تعالى لا يمل من الانعام على العبد ولو اتى باعظم الجرائم فكذا الوالدان لا يقطعان عنه مواد
كرمهما وان كان غير بار بهما ومنها ان الوالد المشفق يتصرف في مال ولده بالاسترباح والغبطة والله سبحانه ياخذ الحبة فيربيها مثل جبل احد ومنها
ان المناسبة والميل والمحبة بين الوالد وولده ذاتية حتى عمت جميع الحيوان كما ان المناسبة بين الواجب والممكن ذاتية لا عرضية وفيها اسرار فليتامل
ومنها انه لا كمال يمكن للولد الا ويطلبه الوالد لاجله ويريده عليه كما ان الله تعالى لا خير يمكن للعبد الا وهو يريده عليه ولهذا ارسل الرسل وانزل الكتب
ونصب الادلة وازاح العلة ومن غاية شفقة الوالدين انهما لا يحسدان على ولدهما اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى
ان يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين امر معتبر في جميع الشرائع ومركوز في كل العقول حتى ورد اطع الوالدين وان كانا كافرين وعن النبي
انه نهى حنظلة بن ابي عامر الراهب عن قتل ابيه وكان مشركا ولهذا اطلق الاحسان اليهما في الاية اطلاقا وقد تلطف ابرهيم في دعوة ابيه من
الكفر الى الايمان في قوله يا ابت يا ابت والاحسان اليهما ان يحبهما من صميم القلب ويراعي دقائق الادب في الخدمة والشفقة ويبذل وسعه في رضاهما
ويذكرهما في صالح دعائه كما ارشد الله تعالى الى جميع ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف الى اخر الاية التكليف الثالث الاحسان الى ذوي القرابة
ويعبر عنه بصلة الرحم عن رسول الله صلعم الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والشجنة الاشتباك الرحم
مشتقة من الرحمن يعني انها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العروق والسبب العقلي في تاكيد رعاية هذا الحق ان القرابة مظنة الاتحاد والالفة
والرعاية والنصرة ولهذا صار كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل به اقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعي لو اوصى لاقارب
زيد دخل فيه الوارث وغير الوارث والمحرم وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغني والفقير والاجداد والاحفاد لا الابوان والولد على
الاظهر لان الوالد والولد لا يعرفان في العرف بالقريب وفيه ههنا دقيقة وهي ان العرب يحفظون الاجداد العالية ليرتفع نسبهم ونحن لو ترقينا الى الجد العالي
وحسبنا اولاده كثروا فلهذا قال الشافعي يرتقي الى اقرب جد ينسب هو اليه ويعرف به وذكروا في مثاله انه لو اوصى لاقارب الشافعي فانا نصرفه الى اولاد
شافع فانه منسوب اليه ولا يدخل فيها اولاد علي والعباس وان كان شافع وعلي والعباس كلهم اولاد السائب بن عبيد والشافعي هو محمد بن ادريس بن
العباس بن عثمان بن شافع بن سائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف قال المحققون هذا في زمان الشافعي
واما في زماننا فلا نصرفه الا الى اولاد الشافعي ولا نرتقي الى بني شافع لانه اقرب من يعرف به اقاربه في زماننا ولا يدخل الاقارب من الام في
وصية العرب لان قرابة الام لا تعدها العرب قرابة ولا تفتخر بها اما لو اوصى لذي رحم زيد فيدخل فيه قرابة الام في وصية العرب والعجم لان لفظ
الرحم لا يختص بطرف الاب بحال وذهب طائفة الى ان الاقوى على ما اجاب به العراقيون ومال اليه ابو حنيفة هو ان اقارب الام يدخل في الوصية
سواء كانت في وصية العرب او وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله صلعم سعد خالي فليرني امرؤ خاله والاحسان الى الاقارب قريب من الاحسان
الى الوالدين وذلك بان يجتهد في رضاهم بما تيسر له عرفا وشرعا وينفق عليهم بالمعروف ان كانوا معسرين وهو موسر التكليف الرابع الاحسان
الى اليتامى واليتيم من الاطفال الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم فيجب على وليه حفظ ماله واستنماؤه قدر النفقة والزكوة ومؤن الملك بما
امكنه والقيام بمصالحه مع رعاية دقائق الغبطة وقضاء حقوق النصيحة قال ابن عباس يرفق بهم ويدنيهم ويمسح راسهم واليتم في غير الانسان
من قبل امه واليتيم من الدر ما لا اخت له وانما جمع يتيم على يتامى لان اليتم لما كان من صفات الابتلاء حمل على الوجع والحبط فكما قالوا في وجع وجعى



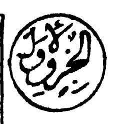








للمنتفخ البطن وجاع وجياع وطلح وطلاح قيل في يتيم يتامى وفي الكشاف لانه اجرى يتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتامى على القلب كذا في التيمم الكلمة الخامس الاحسان الى المساكين واحدها مسكين اخذ من السكون كان الفقر سكنه او لانه الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكن الدائم السكر وهو اسوء حالا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وهو قول ابي حنيفة ومالك واحتجوا عليه بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة وعند الشافعي واحمد الامر بالعكس قالوا اشتقاق الفقير من فقار الظهر كان فقاره انكسر لشدة حاجته والمسكين قد يملك ما يتعلل به قال تعالى اما السفينة فكانت لمساكين ويظهر ثمرة الخلاف فيما اذا اوصى للفقراء دون المساكين وبالعكس ثم الاحسان الى ذوي القربى واليتامى والمساكين ينبغي ان يكون مغايرا للزكوة لان العطف يقتضي التغاير التكليف السادس قوله وقولوا للناس حسنا بالوصف اي قولا حسنا وحسنا على المصدر اي قولا ذا حسن او قولا هو الحسن في نفسه لافراط حسنه ويحتمل ان الظاهر ان المخاطبين بذلك هم الذين اخذ ميثاقهم لاتحاد القصة قيل انه مخصوص اما بتخصيص الناس اي قولوا للمؤمنين حسنا بدليل اية القتال اشداء على الكفار رحماء بينهم واما بتخصيص القول اي قولوا للناس حسنا في الدعاء الى الله والامر بالمعروف وقال اهل الحقيقة انه على العموم وذلك ان كلام الناس مع الناس في الامور الدينية ان كان بالدعوة الى الايمان وجب ان يكون بالرفق واللين كما قال لموسى فقولا له قولا لينا وقال لمحمد ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وان كان بالدعوة الى الطاعة كالفاسق فحسن القول ايضا معتبر ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتي هي احسن واما في الامور الدنيوية فمن المعلوم انه اذا امكن التوصل الى الغرض باللطيف من القول لم يعدل الى غيره وما دخل الرفق في شيء الا زانه وما دخل الخرق في شيء الا شانه فثبت ان جميع اداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول وعن الباقر قولوا للناس ما تحبون ان يقال لكم التكليف السابع والثامن قوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقد تقدم تفسيرهما ولا شك في وجوب هذه التكاليف عليهم بدليل اخذ الميثاق ولان ظاهر الامر للوجوب ولترتب الذم عليه بتوليهم هذه التكاليف ايضا واجبة في شرعنا وعن ابن عباس ان الزكوة نسخت كل حق وضعف بان اغاثة المضطر واجبة وان لم يجب علينا الزكوة واعلم ان التكليف اما بدني او مالي وكل منهما اما عام او خاص فالبدني العام هو العبادة المطلقة وهي ان يكون بكل الجوارح والقوى منقادا مطيعا مؤتمرا لامر الله تعالى بحيث لا يرى لنفسه شيئا من التصرف والاختيار كالعبد الماثل بين يدي مولاه واليه الاشارة بقوله لا تعبدون الا الله والبدني الخاص هو الصلوة واشار اليه بقوله واقيموا الصلوة فللصلوة اوقات مخصوصة واركان وشروط معدودة والمالي الخاص هو الزكوة لتخصصها بالاصناف الزكوية وبالنصاب وبالحول وغير ذلك والمالي العام لكونه منوطا بالقدرة والامكان سببه اما النسب ولا والنسب اما سابق او مقارن او لاحق اليتامى لانهم اولاد وذلك لانه اذا كان الولي جدا او بمنزلة الاولاد وذلك اذا كان الولي غيره وغير النسب اما الاحتياج والفقر وهو المساكين او الاشتراك في النوع ولا يمكن الا بالقول الحسن وما ينخرط في سلكه من مكارم الاخلاق الفعلية وروي انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم فالقول الحسن يشمل الاصناف المتقدمة ايضا بهذا الاعتبار وحسن هذا الترتيب مما لا مزيد عليه وقد كرر اكثر هذه المعاني في سورة النساء بضرب من التاكيد فاكد العبادة بقوله ولا تشركوا به شيئا واكد الاحسان الى غير ذي القربى وما يتلوه بتكرير الجار وهو الباء وبضم اصناف اخر وهم الجار وغيره اليهم فكانه كالتفصيل لقوله وقولوا للناس حسنا قوله تعالى ثم توليتم قيل الخطاب لمتقدمي بني اسرائيل على طريقة الالتفات ووجهه ان اول الكلام معهم فكذا اخره الا بدليل يوجب الانصراف عن هذا الظاهر وقيل انه خطاب لمن كان في عصر النبي من اليهود كانه تعالى بين ان تلك المواثيق كما لزمهم التمسك بها فكذلك هي لازمة لكم لانكم تعلمون ما في التوراة من نعت محمد وصحة نبوته فيلزمكم من الحجة مثل الذي لزمهم وانتم مع ذلك توليتم الا قليلا منكم وهم الذين امنوا وانتم معرضون الواو للاعتراض اي وانتم قوم من عادتكم الاعراض اعرضتم بعد ظهور المعجزات كاعراض اسلافكم وقيل ثم توليتم للمتقدمين وانتم معرضون للمتاخرين واما قوله واذ اخذنا ميثاقكم فقيل خطاب لعلماء اليهود في عصر النبي وقيل المراد اخذنا ميثاق اباءكم وقيل خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف وفي قوله لا تسفكون دماءكم اشكال وهو ان الانسان ملجا الى ان لا يقتل نفسه فاي فائدة في النهي والجواب ان هذا الالجاء قد يتغير كما ثبت من اهل الهند انهم يعتقدون في قتل النفس التخلص من عالم الفساد واللحوق بعالم النور وكثير ممن يصعب عليه الزمان والمراد لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا او انه اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ولا تتعرضوا للمقاتلة من يقتلكم فتكونوا قد قتلتم انفسكم ولا تخرجون انفسكم لا تفعلوا ما تستحقون بسببه ان تخرجوا من دياركم والمراد اخراج بعضهم بعضا من ديارهم لان ذلك مما يعظم فيه المحنة حتى يقرب من الهلاك واعراب لا تسفكون ولا تخرجون على قياس ما تقرر في لا تعبدون ثم اقررتم وانتم تشهدون اي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها او اعترفتم بقبوله وشهد بعضكم على بعض بذلك لانه كان شائعا فيما بينهم مشهورا او وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم معنى ثم الاستبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره اي انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وتقتلون بيان لانتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وهذا عند الكوفيين فانهم يجوزون كون جميع اسماء الاشارة بمعنى الموصول والتظاهر التعاون ولما كان الاخراج من الديار



وقتل البعض بعضا مما تعظم به الفتنة واحتج فيه الى قتدار وغلبة بين تعالى انهم فعلوه على وجه الاستعانة بمن تظاهرهم على الظلم والعدوان وفيه دليل على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرمة ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانه كما مكنه فقد زجره عنه ونهاه بخلاف معين الظالم فانه يدعوه الى الظلم ويحسنه في عينه مع انه تعالى لا يسئل عما يفعل اسرى جمع اسير كجرحى في جريح واسارى جمع اسرى كسكرى في سكارى وقيل اسارى من الجموع التي ترك مفردها كانه جمع اسران ككسالى في عجلان وقوله تُفَادُوهُمْ جمهور المفسرين على انه وصف لهم بالطاعة وهو التخليص من الاسر ببذل مال وغيره ليعودوا الى كفرهم وهو ضمير الشان واخراجهم مبتداء ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ويجوز ان يكون هو مبتدأ مبهما ومحرم خبره واخراجهم تفسيره اَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ اى بالفدا وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ اى بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب فقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة اذا توا ببعض الواجب وتركوا البعض ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا سماه كفرا فقد يكون المناقضة ادخل في الذم وفي ذلك تنبيه على انهم في تصديقهم بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد عليه السلام والحجة في امرهما على سواء يجرون مجرى طريقة السلف منهم في الايمان ببعض والكفر ببعض وكل في الميثاق سواء الخزي الذل والهوان خزي بالكسر يخزي خزيا اي ذل وهان وخزي ايضا يخزي خزاية اي استحيى فهو خزيان فاذا قيل اخزاه الله فالمراد اهانه او اوقعه موقعا يستحيى منه وتنكير خزي يدل على فظاعة شانه وانه بلغ مبلغا لا يكتنه كنهه ولا اظهر انه غير مختص ببعض الوجوه وقيل هو قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وعلى هذين القولين يختص الخزي بمن في عصر رسول الله صلعم منهم وبمن يخلفهم دون اسلافهم فان قيل عذاب منكر الصانع كالدهري يجب ان يكون اشد فكيف يقال في حق اليهود يردون الى اشد العذاب قلنا اما لان كفر العناد اغلظ واما لان المراد اشد من الخزي لا الاشد مطلقا وقوله وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ وعيد شديد للعاصين وبشارة عظيمة للمطيعين لان القدرة الكاملة مع عدم الغفلة يدل على وصول الحقوق الى مستحقها لا محالة اُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ استبدلوها بها فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ لا ينقطع ولا يفتر بل هم على حالة واحدة وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ بدفع هذا العذاب عنهم وفيه تنبيه على ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا اذا كانت على وفق الهوى لا الشرع وبين لذات الآخرة ممتنع يستتبع وجود احديهما عدم الاخرى والله ولي التوفيق وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ في عهد الست بربكم لَا تَسْفِكُوْنَ دِمَاءَكُمْ بامتثال وامر الشيطان واتباع خطواته كما قيل شعر الى حتفي مشى قدمي: اري قدمي اراق دمي: وَلَا تُخْرِجُوْنَ اَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِ عبوديتكم التي كنتم فيها في اصل الفطرة وَتُخْرِجُوْنَ فَرِيْقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ لا تقصرون على ضلالكم بل يتعاونون بَعْضُكُمْ بَعْضًا على الاعراض عن حقوق الله والاقبال على حظوظ النفس وَاِنْ يَّاْتُوْكُمْ اُسٰرٰى تُفٰدُوْهُمْ فمن اسر في قيد الهوى فانقاذه بالدلالة على الهدى ومن اسر في قيد حب الدنيا فخلاصه كثرة ذكر المولى ومن اسر في ايدي الشكوك والشبهات ففداؤه ارشاده الى اليقين بلوائح البراهين ولوامع البينات ومن اسر في حبس جوده فنجاته فيما يحل عنه وثاق الكون ويوصل الى معبوده ومن اسر في قبضة الحق فليس لاسراهم فداء ولا لقتلاهم قود ولا لوهطهم خلاص ولا لقومهم مناص ولا منهم فرار ولا معهم قرار ولا اليهم بغير سبيل ولا لديهم دليل اَفَتُؤْمِنُوْنَ بِبَعْضِ الْكِتٰبِ وهو ما سمعتم في ازل الخطاب الست بربكم فقلتم بلى وَتَكْفُرُوْنَ بِبَعْضٍ وهو الذي عاهدتم عليه الا تعبدوا غير الله من الشيطان والنفس والهوى الله حسبي





لَقَدْ اٰتَيْنَا مُوْسَى الْكِتٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهٖ بِالرُّسُلِ وَاٰتَيْنَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنٰتِ وَاَيَّدْنٰهُ بِرُوْحِ الْقُدُسِ اَفَكُلَّمَا

تحقیقکه دادیم بموسی توریت را و در پی او فرستادیم رسولان را و دادیم بعیسی پسر مریم انجیل را وقوة دادیم اورا بروح القدس ایا پس هرچه

جَآءَكُمْ رَسُوْلٌ بِمَا لَا تَهْوٰٓى اَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيْقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيْقًا تَقْتُلُوْنَ وَقَالُوْا قُلُوْبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَّعَنَهُمُ اللّٰهُ

که بیاورد شما پیغمبران که میل نداشته باشید سر پیچید شما پس گروهی را دروغگو داشتید و گروهی را میکشید و میگفتند که دلهای ما در پرده اند بلکه دور کرد ایشان

بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيْلًا مَّا يُؤْمِنُوْنَ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتٰبٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوْا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُوْنَ عَلَى

بجهت کفرشان پس بسیار کم ایمان می آورند و چون آمد بایشان کتابی از نزد خدا آنچنان کتابی که تصدیق کننده است مر آنچه با ایشان است و حال آنکه بودند پیش از آمدن آن طلب غلبه میکردند بر

الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَّا عَرَفُوْا كَفَرُوْا بِهٖ فَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الْكٰفِرِيْنَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهٖٓ اَنْفُسَهُمْ اَنْ يَّكْفُرُوْا بِمَآ

آنان که کافر شدند پس چون آمد ایشان را آنچه شناخته بودند کافر شدند بان پس دوری باد از رحمت خدا بر کافران بد چیز است معامله که کردند با خودشان که کافر شوند بانچه

اَنْزَلَ اللّٰهُ بَغْيًا اَنْ يُّنَزِّلَ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ عَلٰى مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ فَبَآءُوْ بِغَضَبٍ عَلٰى غَضَبٍ وَلِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ

فرستاده خدا از روی حسد که چرا میفرستد خدا از فضل خود بر کسی که میخواهد از بندگان خود پس باز گشتند بخشم بر بالای خشم و از برای کافران عذاب خوار کننده

وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ اٰمِنُوْا بِمَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوْا نُؤْمِنُ بِمَآ اُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُوْنَ بِمَا وَرَآءَهٗ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ

و چون گفته شد بایشان که بگروید بانچه فرستاده خدا گفتند که میگرویم بانچه فرستاده شده بر ما و کافر شدند بانچه غیر از انست و او است حق و تصدیق کننده بانچه با ایشان است بگو پس چرا

تَقْتُلُوْنَ اَنْۢبِيَآءَ اللّٰهِ مِنْ قَبْلُ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ القراءة القدس بسكون الدال حيث كان ابن كثير مقيما وما بعرهما ابو عمرو ويزيد والاعشى

میکشید پیغمبران خدا را پیش از این اگر هستید گروندگان

وورش وحمزة في الوقف بين بين وخففها ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب والوقوف القدس ط استكبرتم ج لتناهي الاستفهام مع تعقب التعقيب
بعده كذبتم ز لعطف المستقبل على الماضي مع تقديم المفعولين فيهما تقتلون غلف ط لان بل اعراض عن الاول وتحقيق الثاني يؤمنون لما معهم ط
لان الواو للحال كفروا ج لان لما متضمنة للشرط وجوابها منتظر والوصل اجوز لان لما مكرر وجوابها متحد وقوله وكانوا من قبل حال معترض
كفروا به ج لان ما بعده مبتدأ لكن الفاء يقتضي تعجيل ذكر جوابهم الكافرين من عباده ج لطول الكلام مع فاء التعقيب على غضب ط
مهين لما معهم ط مؤمنين التفسير لما ذكر سبحانه في الآي المتقدمة صنيع اليهود في مخالفتهم امره تعالى ومناقضة حالهم اكد ذلك في هذه
بذكر نعم افاضها عليهم ثم انهم قابلوها بالكفران ونقيض المقصود زيادة في تبكيتهم اما الكتاب فهو التورية آتاه الله تعالى اياه جملة واحدة
عن ابن عباس انها لما نزلت امر الله موسى بحملها فلم يطق ذلك فبعث الله لكل آية منها ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله لكل حرف منها
ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله على موسى فحملها القفو الاتباع والتقفية الاتباع وهو من القفا كالتذنيب من الذنب اي اتبعنا
على اثره رسلا كثيرين وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى
وغيرهم روي ان هؤلاء الرسل كانوا على شريعة واحدة الى ايام عيسى فانه جاء بشريعة مجددة ناسخة لاكثر شرع موسى وكان المقصود
من بعثة هؤلاء تنفيذ الشريعة السالفة واحياء بعض ما اندرس منها ومن ههنا قال علماء امتي كانبياء بني اسرائيل ان الله سيبعث
لهذه الامة على رأس كل مائة من يجدد لها دينها فقيل عيسى بالسريانية ايشوع اي المبارك ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعبرية من النساء
كالزير من الرجال وهو الذي يحب محادثة النساء ومجالستهن سمي بذلك لكثرة زيارته لهن وبه فسر قول رؤبة شعر قلت لزير لم تصله مريمه
ووزن مريم عند اهل الصرف مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير للغبار وعليب اسم واد البينات المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك ايدناه قويناه من الايد القوة وبروح القدس والروح المقدس كما يقال حاتم الجود ورجل
صدق اي بجبرئيل سمي بذلك لانه سبب حيوة الدين كما ان الروح سبب حيوة البدن ولانه الغالب عليه الروحانية ولانه لم تضمه اصلاب الفحول
ولا ارحام الامهات وقيل بالانجيل كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لان العلم سبب حيوة القلوب وقيل باسم الله الاعظم الذي
كان يحيي الموتى بذكره عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل الروح الذي نفخ فيه والقدس والقدوس هو الله واضافة الروح اليه تشريف
وتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله عن الربيع كون الروح ههنا جبرئيل اظهر لان اختصاصه بعيسى اكثر لانه الذي بشر مريم بولادتها وقد
تولد من نفخة جبرئيل في امه وهو الذي رباه في جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء قوله تعالى افكلما
وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من قوله ولقد آتينا لافادة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يكون الفاء للعطف على مقدر
معناه اعرضتم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم الباء للتعدية او بمعنى مع وذلك انهم كانوا اذا اتاهم رسول بخلاف ما يهوون
كذبوه وان تهيأ لهم قتله قتلوه ترفعا وترؤسا على عامتهم واخذ اموالهم بغير حق يوهمون عوامهم انهم على الحق والنبي على الباطل ويحتجون
على ذلك بالتحريف وسوء التاويل ومنهم من كان يستكبر على الانبياء استكبار ابليس على آدم ففريقا كذبتم على التمام وما بقي منه غير
مكذب وفريقا تقتلون اي ما تيسر لكم قتله بعد على التمام لانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة
قال عند وفاته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري والعداد اهتياج وجع اللديغ بعد كل سنة والابهر عرق يخرج من
القلب اذا انقطع مات صاحبه ويجوز ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب كقوله فاثرن بها شعر
بلاد هشم فخرت وفائدة تقديم المفعول به على الفعلين بعد غاية الفاصلة في تقتلون بيان غاية عنادهم وفرط عتوهم حيث جعلوا الرسل
فريقين احدهما مخصص بالتكذيب والاخر بالقتل كان وصف الرسالة عندهم هو الذي تقتضي عندهم احد هذين حتى خص المنعوت به دون سائر
الناس باحد الامرين وهذه نهاية الجهالة حيث استقبلوا اشرف الاوصاف لاكرم الاصناف بغاية الاستخفاف وغلف جمع اغلف وهو كل ما في
غلاف ومنه الاغلف للذي لم يختن اي قلوبنا مغشاة باغطية فلا تتأثر من دعوتك لمكان الحائل بينها وقيل غلف تخفيف غلف بضمتين
جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم والحكمة فنحن مستغنون بها عن غيره لا حاجة بنا الى شرعك بل لعنهم الله رد لقولهم وان يكون قلوبهم مخلوقة
كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكنهم لعنوا اي طردوا عن رحمة الله وابعدوا عن الخيرات بسبب كفرهم الذي احدثوه
بعد نصب الادلة وازاحة العلة وفي هذا لطف للمكلفين ان لا يتلفوا الى المعاصي بابداء نحو هذا العذر وابداء مثل هذه الحجة ولكن ليشمروا
عن ساق الاجتهاد فكل ميسر لما خلق له فقليلا ما يؤمنون اي ايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب او بقليل مما
كلفوا به يؤمنون فانتصب بنزع الخافض وما صفة اي بشيء قليل من الاشياء المكلف بها ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم اي لا يؤمنون
اصلا لا قليلا ولا كثيرا كما يقال قليلا ما تعقل اي لا تعقل البتة وذلك عند الايمان بمعزل لما جاءهم جوابه محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا
بمجيئه ويجوز ان يكون جوابه هو جواب لما الثانية المكررة للتاكيد لطول الكلام نحو قوله فلا تحسبنهم بمفازة بعد قوله لا تحسبن واتفقوا
على ان المراد بالكتاب هو القرآن ووجه تصديقه لما معهم ليس هو الموافقة في اصول الشرائع لان جميع كتب الله كذلك بل المراد ما يختص بنبوة



محمدؐ من العلامات والنعوت والصفات والتحقيق ان ذكر الكتاب ههنا كناية عن الرسول لان الرسول يلزمه الكتاب عرفا ومجازا لان الكتاب
مستلزم للرسول لا محالة ويدل على ذلك قوله يستفتحون على الذين كفروا وذلك ان اليهود قبل مبعث محمدؐ ونزول القران يسئلون الله الفتح
والنصرة على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية وكانوا يقولون لا
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم
ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسئلون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسئل بعضهم بعضا
ان يفتح عليه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو نبوة محمدؐ ويجوز ان يكون ما بمعنى من نحو سبحان ما سخركن لنا اي فلما جاءهم النبي
الذي كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كفروا به وانما لانهم كانوا يظنون ان المبعوث يكون من بني اسرائيل لكثرة مجيء الرسل منهم فيرغبون
الناس في دينه ويدعونهم اليه فلما بعث الله محمدا من العرب من ذرية اسمعيل عظم ذلك عليهم فاظهروا التكذيب بغيا وحسدا و
عنادا ولددا واما لانهم ظنوا انه مبعوث الى العرب خاصة واما لان اعترافهم بنبوته كان يوجب عليهم زوال رياساتهم ومكاسبهم
فابوا واصروا على الانكار فكفرهم اذن كفر عناد فلعنة الله هي الابعاد عن الخيرات الحقيقية الباقية على الكافرين اي عليهم فوضع الظاهر
موضع المضمر ليدل على ان اللعنة انما لحقتهم لكفرهم واللام للعهد وللجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا فان قيل اليس انه تع ذكر وقولوا
للناس حسنا قلنا العام قد يخص وايضا لعن من يستحق اللعن حسن ايضا ولذلك بالنسناس اشبه منهم بالناس اولئك كالانعام بل هم
اضل وبئس لانشاء الذم وفاعله قد يكون مظهرا نحو بئس الرجل زيد وقد يكون مضمرا يعود الى معهود ذهني فيفسر بنكرة منصوبة و
بعدهما المخصوص بالذم فما نكرة منصوبة مفسرة للفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واختلف في اعراب
المخصوص فقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وقيل خبر مبتدأ محذوف اي هو ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا لان الكفر حاصل تعلو نفوسهم
مابدانهم كما ان الثمن حاصل ملك المالك وقيل ان المكلف اذا كان يخاف على نفسه من عقاب الله تع فاتى باعمال يظن بها انها تخلصه من
العقاب فكانه قد اشترى نفسه بتلك الاعمال فهؤلاء اليهود لما اعتقدوا فيما اتوا به انه يخلصهم من العقاب وتوصلهم الى الثواب فقد
ظنوا انهم قد اشتروا انفسهم بها والمراد بما انزل الله القران لانهم كانوا مؤمنين بغيره ثم بين الوجه الذي لاجله اختاروا هذا الكفر
فقال بغيا اي حسدا وطلبا لما ليس لهم ولولا هذا البيان لجاز ان يكون الباعث لهم على ذلك الكفر هو الجهل لا البغي ولما كان الباعث
على البغي قد يكون وجوها شتى بين ان الحامل لهم على البغي هو ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته
ارساله وهذا هو اللائق بما حكينا من انهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على البغي و
الحسد وعلى هذا يكون الجار المحذوف هو لام الغرض اي لاجل ان ينزل ويحتمل ان يقال المحذوف على اي حسدوه على ان ينزل فباءوا
بغضب على غضب لابد من اثبات سبب غضبين احدهما تكذيب عيسىؑ وما انزل عليه والثاني تكذيبهم محمدا وما انزل عليه فصار
ذلك سببا لسخط بعد سخط وهو قول الحسن والشعبي وعكرمة وابي العالية وقتادة وقيل الاول لعبادتهم العجل والثاني لكتمانهم نعت محمد
وجحدهم نبوته عن السدي وقيل ليس المراد اثبات الغضبين فقط بل المراد اثبات انواع من الغضب مترادفة لاجل امور متوالية صدرت
عنهم كقولهم عزير ابن الله يد الله مغلولة ان الله فقير ونحن اغنياء عن عطاء وعبيد بن عمير وقيل المراد تاكيد الغضب وتكثيره لاجل
ان هذا الكفر وان كان واحدا الا انه عظيم وهو قول ابي مسلم ومعنى الغضب في حقه تع قد عرفت مرارا انه عبارة عن لازمه وهو ارادة الانتقام
ولما تزايده وتكثره فيصح فيه ذلك كصحته في العذاب فلا يكون غضبه على من كفر بخصال كثيرة وللكافرين عذاب مهين من وضع الظاهر
مقام المضمر اي ولهم عذاب فائدته ما ذكرنا في قوله فلعنة الله على الكافرين ووصف العذاب بالمهين والمهين هو المعذب لان الاهانة
لما حصلت مع العذاب جاز ان يجعل ذلك من وصفه لانها بسبب منه ولا يلزم من قران العذاب بالاهانة تكرار فقد يكون العذاب
ولا اهانة كالوالد يؤدب ولده امنوا بما انزل الله بكل ما انزل الله من كتاب فقد يستدل به على عموما قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية وكتب
سائر الانبياء الذين اتوا بتقرير شرع موسىؑ ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الانجيل والقران و
هو الحق الضمير يعود الى وراءه او الى القران فقط ومصدقا حال مؤكدة لوجود شرطها وهو كونها مقررة لمضمون جملة اسمية او كون مضمونها لازما
لمضمون الجملة الاسمية فان التصديق لازم حقية القران فصار كانه هو والعامل في مصدقا محذوف فهو يبدو ويثبت على الاصح واما الواو
في وهو الحق فيجوز ان يكون معترضة فلا محل للجملة ويجوز ان يكون للحال وح اما ان يكون العامل فيها هو العامل في قوله ويكفرون على ان كلا منهما
حال بحيالها واما ان يكون العامل فيها هو يكفرون على انهما حالان متداخلتان وفي قوله وهو الحق مصدقا لما معهم دلالة على وجوب الايمان
بمحمدؐ لانه لما اثبت نبوته بالمعجزات ثم انه اخبر ان هذا القران منزل من عند الله وانه تع امر المكلفين بالايمان به كان الايمان به واجبا لا محالة وعند هذا يظهر ان الايمان
ببعض الانبياء وبعض الكتب مع الكفر ببعضهم وبعضها محال وايضا انه لم يتعلم علما ولم يقرا ولم يخط ثم انه اتى بالقصص والاخبار مطابقة لما في التورية
فيعلم بالضرورة انه استفادها من قبل الوحي وايضا القران يدل على نبوة محمدؐ فلما اخبر الله تع عنه انه مصدق التورية وجب اشتمال التورية على الاخبار

عن نبوته فدعوى الايمان بالتورية يجب ان يؤمن بمحمد ﷺ والا كان كاذبا ثم انه تعالى بين من وجه آخر كذب دعويهم وهو ان التورية لا تسوغ قتل الانبياء وانهم سوغوا ذلك وفيه دليل على ان ايراد المناقضة على الخصم لا الدجاج جائز والكلام وان كان على وجه الخطاب الا ان المراد اسلافهم بدليل من قبل فقتلون حكاية حال ماضية واصل لم لما بادخال لام التعليل في ما الاستفهامية الا لف للتخفيف اى لاى غرض وباى حجة كان اسلافكم يقتلون الانبياء وفي قوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعويهم الايمان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما تقدمه وفيه تنبيه على ان اليهود المعاصرين خرجوا بتكذيب محمد ﷺ من الايمان بالتورية كما ان اسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبياء عن الايمان بها والله تعالى اعلم التاويل هذا حال اكثر البطالين المتشبهين بالطالبين يصغون الى كلمات العلماء الراسخين فما استحلته قلوبهم قبلوه وما استغربته نبذوه وانكروه فيكذبون فريقا منهم فرارا عن تحمل اعباء الطلب ويثيرون الفتنة على فريق بالحسد الانكار والفتنة اشد من القتل وقالوا قلوبنا غلف فيه اشارة الى ان الطالب اذا ابتلى في اثناء الطلب بالوقفة والفترة لم يضره ما دام متمسكا بالارادة فيرجى رجوعه باذن الله وبمدد همة الاستاد والشيخ فاما اذا زلت قدمه عن جادة الارادة واظهر الانكار والاعتراض فلن يرجى فلاح ولما جاءهم كتاب فيه اشارة الى ان اهل كل زمان يتمنون ان يدركوا احدا من العلماء والاولياء المحظوظين بالعلوم الكسبية واللدنية ويتوسلون بهم الى الله تعالى عند وقوع حوائجهم في صالح دعائهم ويظهرون محبتهم عند الخلق فلما وجدوا واحدا منهم ما عرفوا قدره وحسدوه واظهروا عداوته وما انصفوه فباؤا بغضب من رد ولاية الاولياء على غضب من الله لا وليائه كما جاء في الحديث من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وانما اغضب لاوليائي كما يغضب الليث لجروه والله اعلم بالصواب

وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ خُذُوْا مَا اٰتَيْنٰكُمْ بِقُوَّةٍ وَّاسْمَعُوْا قَالُوْا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاُشْرِبُوْا فِيْ قُلُوْبِهِمُ

وچون گرفتیم پیمان شمارا و بلند کردیم در بالای شما کوه را که بگیرید آنچه را که دادیم بشما بتوانائی و بشنوید گفتند شنیدیم و نافرمانی کردیم و بیامیختند در دلهای

الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَاْمُرُكُمْ بِهٖٓ اِيْمَانُكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ۝ قُلْ اِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْاٰخِرَةُ عِنْدَ اللّٰهِ خَالِصَةً مِّنْ دُوْنِ

گوساله را بجهت کفرشان بگو که بد چیزی است که میفرماید شمارا ایمان شما اگر بوده باشید گروندگان بگو که اگر بوده باشد از برای شما خانه آخرت در نزد خدا تنها سوای از غیر

النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝ وَلَنْ يَّتَمَنَّوْهُ اَبَدًاۢ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيْهِمْ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌۢ بِالظّٰلِمِيْنَ ۝ وَلَتَجِدَنَّهُمْ اَحْرَصَ النَّاسِ

مردمان پس آرزو کنید مرگ را اگر بوده باشید راستگویان و آرزو نکنند مرگ را هرگز بجهت آنچه پیش فرستاده دستهاشان و خدا داناست بستمکاران و هر آینه بیابی ایشان را حریص ترین مردم

عَلٰى حَيٰوةٍ وَمِنَ الَّذِيْنَ اَشْرَكُوْا يَوَدُّ اَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ اَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهٖ مِنَ الْعَذَابِ اَنْ يُّعَمَّرَ وَاللّٰهُ بَصِيْرٌۢ بِمَا يَعْمَلُوْنَ ۝

بر زندگانی و از آنان که انباز آوردند دوست دارند هر یکی از ایشان که زندگانی کند هزار سال و این هم مانع او نیست از عذاب اگر باینده شود و خدا بیناست بآنچه میکنند

القراءة ولقد جاءكم مدغمة الدال في الجيم كل القرآن ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام جاءكم وبابه بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان قلوبهم العجل بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب قرأ حمزة وعلي وخلف بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم وكذلك كل ما لقي الميم حرف ساكن وقبل الهاء كسرة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب الوقوف ظالمون الطور لا لتقدير القول واسمعوا ط بكفرهم ط مؤمنين صادقين ايديهم ط بالظالمين على حيوة ج على تقدير ومن الذين اشركوا قوم يود احدهم ومن وقف على اشركوا فتقديره احرص الناس على حيوة واحرص من الذين اشركوا ويود مستانف للبيان وانما لم يدخل من في الناس ودخل في الذين اشركوا لان اليهود من الناس وليسوا من المشركين كقولك الياقوت افضل الحجارة وافضل من الديباج سنة ط لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا ان يعمر ط يعملون التفسير لسبب في تكرير قصة اتخاذ العجل ههنا القدح بوجه آخر في قولهم نؤمن بما انزل علينا وبيان وصفهم بالعناد والتكذيب لتسلية لرسول الله ﷺ وتثبيتا له فان قوم موسى بعد ظهور المعجزات الواضحات على يديه اتخذوا العجل الها ومع ذلك صبر وثبت على الدعاء الى ربه والتمسك بدينه وشرعه وكرر ذكر رفع الطور للتاكيد لما نيط به من زيادة قولهم سمعنا وعصينا الدال على نهاية لجاجهم وذلك انه قال لهم اسمعوا سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وظاهر الاية يدل على انهم قالوا هذا القول اعني سمعنا وعصينا وعليه الاكثرون وعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون المعنى سمعوه وتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول مثل قالتا اتينا طائعين واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا وفي هذا الاستعارة لطيفة وهي انه كما ان الشرب مادة لحيوة ما تخرجه الارض فكذا تلك المحبة كانت مادة للقبائح الصادرة عنهم وفي قوله اشربوا دلالة على ان فاعلا غيرهم فعل ذلك بهم كالسامري وابليس وشياطين الجن والانس وذلك بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه على الله تعالى ولا ريب ان جميع الاسباب ينتهي الى الله تعالى وقد عرفت التحقيق في امثال ذلك مرارا بئسما يامركم المخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يامركم به ايمانكم بالتورية عبادة العجل فليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم واعلم ان الايمان عرض ولا يصح منه الامر والنهي لكن الداعي الى الفعل والسبب فيه قد شبه بالامر كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قل ان كانت لكم الدار الاخرة الدار اسم كان وفي الخبر ثلثة اوجه الاول خالصة وعند ظرف لخالصة او للاستقرار الذي في لكم ويجوز ان يكون عند حالا من الدار والعامل فيها كان او الاستقرار واما لكم فيكون على هذا متعلقا بكان لانها تعمل في حروف الجر ويجوز ان يكون للتبيين فيكون موضعها بعد خالصة اي خالصة لكم فيتعلق بنفس خالصة ويجوز ان يكون صفة لخالصة قدمت عليها فيتعلق ح بمحذوف الثاني ان يكون خبر كان لكم وعند الله

ظرف في الصنة حال والعامل كان او الاستقرار الثالث ان يكون عند الله هو الخبر وفي خالصة حال والعامل فيها اما عند وما يتعلق به او كان ولكم وسوغ ان يكون عند خبر كان لكم اذ كان فيه تخصيص وتبيين نحو ولم يكن له كفوا احد وقوله من دون الناس نصب بخالصة لانك تقول خلص كذا من كذا والمراد بالدار الاخرة الجنة لانها هي المطلوبة من الدار الاخرة دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة وحمله على عندية المكان ممكن ههنا اذ لعلهم كانوا مشبهة ومعنى خالصة لكم اي سالمة خاصة بكم لا حق لاحد فيها سواكم ودون ههنا يفيد التجاوز والتخطي في المكان كما تقول لمن وهبته منه ملكا هذا لك من دون الناس اي لا يتجاوز منك الى غيرك والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون والجنس اولى لقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولانه لم يوجد ههنا معهود فان قلت من اين ثبت انهم ادعوا ذلك قلنا لانه لا يجوز ان يقال في معرض الاستدلال على الخصم ان كان كذا وكذا فافعل كذا الا والاول مذهبه ليصح الزامه بالثاني ولقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نحن ابناء الله واحباؤه ولما اعتقدوا في انفسهم انهم هم المحقون لان النسخ غير جائز عندهم ولزعمهم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم ويوصلونهم الى ثواب الله فلهذه الاسباب عظموا شان انفسهم وكانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوه كالحجة في ان النبي المنتظر المبشر به في التورية منهم لا من العرب كانوا يصرفون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى فساد معتقدهم بالاية وبيان الملازمة ان متاع الدنيا قليل في جنب نعيم الاخرة وذلك القليل كان ايضا منغصا عليهم بعد ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ومنازعته معهم بالجدال والقتال فالموت خير لهم لا محالة لانه يوصل الى الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن النغص ولا يفوت الا القليل النكد والوسيلة وان كانت مكروهة نظرا الى انها الكئية لا بد لها العاقل نظرا الى غايتها كالفصد واما النهي عن تمني الموت في قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به وان كان ولا بد فليقل اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي فمحمول على تمن سببه عدم الصبر على الضر ونكد العيش كما قال قائل شعر

الا موت يباع فاشتريه ❊ فهذا العيش ما لا خير فيه
الا رحم المهيمن روح عبد ❊ تصدق بالوفاة على اخيه

فان ذلك نوع من عدم الرضاء بالقضاء ويدل على الجزع وضيق العطن وينافي قضية التوكل والتسليم وعلى تمن سببه الجزم بالوصول الى نعيم الاخرة فان ذلك خارج عن قانون الادب ونوع من الاخبار بالغيب لا يليق الا ببعض اولياء الله روي ان عليا رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب تحت الدرع ايضا فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا يفلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الان الاقى الاحبة محمدا صلى الله عليه وسلم وحزبه كان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت ويحن اليه لجزمهم بلقاء الله تعالى وثواب ذلك لمكان البشارة فاما احدنا فلا يليق به تمني الموت الا على سبيل الرجاء وحسن الظن بالله انا عند ظن عبدي بي وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ولا يبقى على الارض يهودي وللبس لهم ان يقلبوا السؤال على محمد صلى الله عليه وسلم فيقولوا انك تدعي ان الدار الاخرة خالصة لك لامتك دون من ينازعك في الامر فارض بان نقتلك ونقتل امتك فانا نراك وامتك في الضر الشديد والبلاء العظيم وبعد الموت يتخلصون الى دار الكرامة والنعيم لانه صلى الله عليه وسلم بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الاحكام ولا يتم المقصود الا بحيوته وحيوة امته وله صلى الله عليه وسلم ان يقول لاجل هذا لا ارضى بالقتل مع ان المؤمن من هذه الامة قلما يخلو من النزاع والشوق الى لقاء ربه فالعبد المطيع يحب الرجوع الى سيده والعبد الابق يكره العود الى مولاه ولهذا جاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وبذلوا ارواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة او بعض ازواجه انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ثم انه تعالى بين انتفاء اللازم بقوله ولن يتمنوه ابدا وبرهن عليه بقوله بما قدمت ايديهم اي بما اسلفوا من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران وكتحريف كتاب الله وسائر قبائح افعالهم وذكر الايدي مجاز لان اكثر الاعمال يتم بمباشرة اليد وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا وذلك ان التمني ليس من اعمال القلب حتى يطلع عليه احد انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب فلو تمنوا لنقل ذلك كما ينقل سائر الحوادث لفظا ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن اكثر من الذر وايضا لو كان التمني بالقلوب لتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك ايضا لولا انه تعالى اوحى اليه انهم لن يتمنوا لم يكن في العقل رخصة لاقدام على مثل هذا الالزام لانه في غاية السهولة واذا ثبت انتفاء اللازم ثبت انتفاء الملزوم بالضرورة وهو ان لا يكون الدار الاخرة لهم خالصة واما الهاء في قوله لا اشتراك ايضا فيستفاد من الايات التالية وفي قوله والله عليم بالظالمين اشارة ايضا الى ذلك لانه اذا كان محيطا بسرهم وعلانيتهم وقد قدموا من القبائح ما قدموا فيجازيهم بما يستحقون له وفي وضع الظاهر وهو بالظالمين مقام المضمر وهو بهم اشارة اخرى الى سوء منقلبهم وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون واللام اما للعهد واما للجنس فيشملهم ولا وغيرهم من الظلمة ثانيا فان قيل ما الفائدة في قوله ههنا ولن يتمنوه وفي سورة الجمعة ولا يتمنونه قلنا لان الدعوى ههنا كون الدار الاخرة خالصة لهم وهناك كونهم اولياء لله من دون الناس والاول مطلوب بالذات والثاني وسيلة اليه فناسب ان ينفي الاول بما هو ابلغ في افادة النفي وهو لن اولان الدعوى

الثانية اخص فانه لا يلزم ان يكون كل من له الدار الآخرة وليا بمعنى نفي الشيء في الكمال الا الكمال ونفي العام ابعد من نفي الخاص كما ان اثبات الخاص
في قولك فلان بن فلان موجود ابعد من اثبات العام في قولك الانسان موجود بحيث كان الدعوى الاولى بعد احتيج الى اداة هي في باب النفي
ابلغ ثم انه سبحانه لما اخبر عنهم في الآية المتقدمة انهم لا يتمنون الموت اخبر بعد ذلك انهم في غاية الحرص على الحيوة لان هاهنا قسما ثالثا وهو ان لا
يتمنى الحيوة ولا الموت فقال وَلَتَجِدَنَّهُمْ اَحْرَصَ النَّاسِ مؤكدا باللام والنون واللام لقسم المقدر وهو من وجد بمعنى علم وقوله على حيوة بالتنكير
لانه اراد نوعا من الحيوة مخصوصا وهي الحيوة المتطاولة او حيوة واي حيوة وفي جعلهم احرص من الذين اشركوا توبيخ عظيم لان المشركين لا يؤمنون
بمعاد وعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فهي جنتهم فلا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد بهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بالتوبيخ
وسبب زيادة حرصهم هو علمهم بانهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون غافلون عن ذلك قيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا
يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان عن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال ويحتمل ان يقال وَمِنَ الَّذِينَ اَشْرَكُوا كلام مبتدأ
اي ومنهم ناس يود على حذف الموصوف كقوله وَمَا مِنَّا اِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ اي وما منا ملك لقوة الدلالة عليه بذكرها اشتمل عليه قبله فكانه مذكور
وعلى هذا يلزم توبيخ اليهود من جهة اخرى وهي انضمامهم في زمرة المشركين وكونهم بعضا منهم وذلك كقولهم عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ وقال ابو مسلم في الآية تقديم
وتأخير اي ولتجدنهم طائفة من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة ثم فسر بقوله يَوَدُّ اَحَدُهُمْ اي كل واحد يفرض لو يعمر ولو في معنى التمني ولو
يعمر حكاية لوداداتهم وكان يجوز لو اعمر على الحكاية الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يَوَدُّ اَحَدُهُمْ مثل حلف بالله ليفعلن وتخصيص الالف بالذكر
بناء على العرف ولانه اول عقد يستجمع وقوعه في اعمار بني آدم او يبدو والضمير في قوله وَمَا هُوَ يعود الى احدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما
احدهم بمزحزحه من العذاب تعميره ويجوز ان يكون الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب
ان يعمر ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة المباعدة والتنحية والله بصير بما يعملون فيه تهديد لاهل البغي والعناد وزجر للعصاة
عن الفساد والبصر قد يراد به العلم فلان بصير بهذا الامر اي عارف به وقد يراد انه على كيفية لو وجدت المبصرات لابصرها وكلا الوصفين يصح عليه سبحانه
ما لم يثبت له جارحة فان قلنا ان من الاعمال ما لا يصح ان يرى يتعين حمل البصر فيه على العلم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَاِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلٰى قَلْبِكَ بِاِذْنِ اللّٰهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرٰى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا
بگو ای محمد که هر که باشد دشمن جبرئیل پس بدرستیکه فرستاده او را بر دل تو بفرمان خدا تصدیق کننده مر آنها را که پیش از او است و راستی و مژدگانی از برای گروندگان هر که باشد دشمن
لِلّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَاِنَّ اللّٰهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ وَلَقَدْ اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ اٰيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا
مر خدا و فرشتگان و پیغمبران و جبرئیل و میکائیل را پس بدرستیکه خدا دشمن است کافران را و بتحقیق که فرستادیم بسوی تو نشانهای واضح و کافر نگردد بآن
اِلَّا الْفَاسِقُونَ اَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ
بجز فاسقان و دیگر آیا که هرچه بستند عهدی را در عقب گذشتند انعهد را بلکه بیشتر ایشان نگروند و چونکه آمد ایشان را پیغمبری از نزد خدا تصدیق کننده
لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللّٰهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَاَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ القراءة جبريل مفتوحة الجيم
مر آنرا که با ایشان است در عقب انداختند گروهی از آنانکه داده شدند کتاب را کتاب خدا را در پشت سر خود چنانکه گویا ایشان نمیدانند مكسورة الراء غير مهموز ابن كثير

وقرأ حمزة وعلي وخلف وعاصم الراء والجيم غير مهموز ميكال ابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وقرأ ابو جعفر ونافع مختلسا مهموزا الباقون ميكائيل
مهموزا مشبعا الوقوف للمؤمنين للكافرين بينات ج لان هذه الواو للابتداء او للحال والوجه لاتحاد القصة الفاسقون فريق منهم لان
بل للاعراض عن الاول لا يؤمنون اوتوا الكتاب قد قيل يوقف لبيان ان كتاب الله مفعول نبذ لا بدل ما قبله لا يعلمون قد يجوز الآية والوصل
للعطف على نبذ لاتمام سوء اختيارهم في النبذ والاتباع التفسير هذا نوع آخر من قبائح افعال اليهود والسبب في نزوله انه صلعم لما قدم المدينة اتاه
عبد الله بن صوريا من احبار فدك فقال يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي يجيء في آخر الزمان فقال صلعم تنام عيناي ولا ينام
قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد من الرجل يكون او من المرأة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر و
الشعر فمن المرأة فقال صدقت قال فما بال الولد يشبه اعمامه دون اخواله او يشبه اخواله دون اعمامه فقال ايهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال
صدقت قال اخبرنا اي الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفي التورية ان النبي الامي يخبر عنه فقال صلعم انشدكم بالله الذي انزل التورية على موسى هل
تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب على نفسه وهو لحمان الابل
والبانها فقالوا اللهم نعم فقال له بقيت خصلة ان قلتها آمنت بك اي ملك يأتيك بما تقول عن الله قال جبرئيل قال ذاك عدونا ينزل بالقتال
والشدة ورسولنا ميكائيل يأتي بالبشر والرخاء فان كان هو الذي يأتيك آمنا بك فقال عمر ما مبدأ هذه العداوة فقال ابن صوريا ان الله
انزل على نبينا ان بيت المقدس يخرب في زمان رجل يقال له بختنصر ووصفه لنا فطلبناه فلما وجدناه بعثنا لقتله رجالا فدفع عنه جبرئيل
وقال ان سلطكم الله على قتله فهذا ليس هو ذاك وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه ثم انه كبر وقوي وملك وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا
نتخذه عدوا واما ميكائيل فانه عدو لجبرئيل فقال عمر فاني اشهد ان من كان عدوا لجبرئيل فهو عدو لميكائيل وهما عدوان لمن عاداهما فانكر ذلك



على عمر فانزل الله تعالى هاتين الآيتين وقيل كان لعمر ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك
وانا لنطمع فيك فقال والله لا اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم ثم سألوه فقالوا
من صاحب صاحبكم فقال عمر جبرئيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام
فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبرئيل فقال عمر ان كان كما تقولون فما هما بعدوين
ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقال النبي
لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وعن مقاتل زعمت اليهود ان جبرئيل عدونا امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها
في غيرنا والاقرب في سبب عداوتهم اياه انه كان ينزل بالقرآن على محمد كما يشعر بذلك قوله فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ اي ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك
القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد
آذيته واسأت اليه وان عادى جبرئيل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا
له صنيعه في التنزيل بما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ويمكن ان يتوجه الجزاء الى قوله بِإِذْنِ اللَّهِ اي فمن عاداه احد فلا وجه لعداوته لانه لم ينزل القرآن
من تلقاء نفسه وباختياره وانما جاء باذن الله وامره الذي لا محيص عنه ولا سبيل الى مخالفته وجاء به مصدقا هاديا مبشرا فهو من حيث انه
مامور وجب ان يكون معذورا ومن حيث انه اتى بالهداية والبشارة يلزم ان يكون مشكورا فعداوته من هذه سبيله عداوة الله ولو انه تعالى امر
ميكائيل بذلك لكان ينقاد لامره ايضا لا محالة ولتوجه الاشكال عليه فالوجه في تخصيص جبرئيل بالعداوة وجبرئيل يمتنع من الصرف للعلمية والعجمة
بشرطها وعن ابن عباس وغيره ان معناه عبد الله والضمير في نزله للقرآن وان لم يجر له ذكر لانه كالمعلوم مثل قوله تعالى مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ
دَابَّةٍ وهذا النوع من الاضمار فيه فخامة لشأن صاحبه حيث جعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه [illegible] ان القرآن انما نزل على محمد لا على
قلبه لكن خص القلب بالذكر لان السبب في تمكنه من الاداء ثباته في قلبه فمعنى على قلبك حفظه اياك وفهمك وقيل اي جعل قلبك متصفا باخلاق
القرآن ومتادبا بآدابه كما في حديث عائشة كان خلقه القرآن وكان حق الكلام ان يقال على قلبي الا انه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه
قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبرئيل فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ومعنى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ موافقا لما قبله من كتب الانبياء فيما
يرجع الى المبادي والغايات دون الاوساط التي يتطرق اليها الاختلاف بتبدل الازمان والاوقات ومعنى قوله وَهُدًى وَبُشْرَى ان القرآن يشتمل
على امرين احدهما بيان ما وقع التكليف به من اعمال القلوب وافعال الجوارح فهو من هذا الوجه هدى وثانيهما بيان ان الآتي بتلك الاعمال كيف
يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشرى والاول مقدم على الثاني في الوجود فقدم في الذكر ايضا ولا ريب ان البشرى يختص بالمؤمنين اما الهدى فلانهم
هم المنتفعون به كما مر في هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ولما بين في الآية المتقدمة ان من كان عدوا لجبرئيل لاجل انه نزل القرآن على قلب محمد وجب ان يكون عدوا
لله تعالى بين في الآية التالية ان من كان عدوا لله وللمخصوصين بكرامته فان الله يعاديهم وينتقم منهم والعداوة بالحقيقة لا تصح الا فينا الا ان العدو
هو الذي يريد انزال المضار به وهذا التصور يستحيل في حقه تعالى من العاقل المتفطن لا الغافل المتغابي فمعنى قوله من كان عدوا لله اي لاولياء
الله كقوله إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ او يراد بذلك كراهتهم القيام بطاعته وبعدهم عن
التمسك بدينه لان العدو لا يكاد يوافق عدوه وينقاد لامره قال اهل التحقيق عداوتهم لله وملائكته نتيجة عداوة الله لهم ونظره اليهم في
الاول بالقهر هؤلاء في النار ولا ابالي كما ان محبة المؤمن لله نتيجة محبة الله اياهم يحبهم ويحبونه وذلك ان صفات الله تعالى قديمة وصفات الخلق
محدثة والاولى علة للثانية وافرد الملكان بالذكر لا لدلالة على فضلهما كانهما من جنس آخر فان التغاير في الوصف قد ينزل منزلة التغاير في الذات
ولان الآية نزلت فيما يتعلق بهما فالحسن ان ينص على اسميهما وتقديم جبرئيل في الذكر يدل على انه افضل من ميكائيل وايضا جبرئيل ينزل بالوحي
والعلم وذلك سبب بقاء الارواح وميكائيل ينزل بالخصب والرزق وهو سبب بقاء الابدان والواو في جبرئيل وميكائيل بمعنى او لان
عداوة احد هؤلاء يوجب عداوة كما ان عداوة كلهم يوجب ذلك ويحتمل ان يكون الواو على الاصل ويعرف ما ذكرنا من القرينة وقوله
للكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة ان عداوة هؤلاء كفر الآيات البينات هي آيات القرآن ولا يبعد ان يشمل سائر معجزاته وان كان
لفظ الانزال نابيا عنه بعض النبو ومعنى كون الآية بينة ان العلوم ينقسم الى ما يكون طريق تحصيله والدليل الدال عليه كثير المقدمات
فيكون الوصول اليه صعبا والى ما يكون اقل مقدمات فيكون الوصول اليه اقرب وهذا هو الآية البينة والكفر بها اما جحودها مع العلم بصحتها
واما جحودها مع الجهل وترك النظر فيها والاعراض عن دلائلها والنفي في اللفظ مخصص فيدخل الكل فيه والفسق هو خروج الانسان عما حد له
الى الفساد ويقرب منه الفجور لانه ماخوذ من فجور السد الذي يمنع الماء من ان يصير الى الموضع الذي يفسد عن الحسن اذا استعمل الفسق
في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره ولهذا لا يوصف صاحب الصغيرة بالفسق وان تجاوز عن امر الله تعالى لكن فتح من
النهر نقبا صغيرا لا يقال انه فجر النهر وفي قوله إِلَّا الْفَاسِقُونَ وجهان احدهما ان كل كافر فاسق ولا ينعكس فكان ذكر الفاسق اولى ليأتي على الكافر
وغيره والثاني ان المراد وما يكفر بها الا الكافر المتجاوز عن كل حد في كفره وهذه الآيات لما كانت بينة لم يكفر بها الا الكافر الذي يبلغ في الكفر الى



القصوى وهذا نوع آخر من فضائح اليهود عن ابن عباس انهم كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلعم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتخبروننا انه مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جاءنا بشيء من البينات وما هو بالذي كنا نذكر لكم فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاشارة الى اهل الكتاب في كلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلعم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وفيه تسلية لرسول الله لان من تعاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس من مخالفته كصعوبة من لم يجر عادته بذلك النبذ الرمي بالذمام ورفضه وانما قيل فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتورية وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولما جاءهم رسول اي كتاب لئلا يلزمهما بدليل فهو القرآن كتاب الله نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم بذلك رصين من قبل التورية ولكن المكابرة هجيراهم نبذه واظهروهم مثل لاعراضهم عنه وتركهم العمل به قيل كتاب الله التورية لانهم لكفرهم برسول الله كافرون بها وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه اللهم ارزقنا العلم بكتابك والعمل به وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ

ومتابعت کردند آنچه که میخواندند دیوان بر مملکت سلیمان وکافر نبود سلیمان

وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ

ولکن دیوان کافر شدند میاموختند مردمان سحر را وآنچه فرو فرستاده بود برآن دو ملک در بابل که هاروت وماروت اند وهیچکس را نیاموختند

حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

تا که میگفتند که بدرستیکه ما ازمایشیم پس کافر مشو پس میاموختند از ایشان چیزیرا که جدائی می انداختند بآن در میان مرد وزنش وحال آنکه ایشان ضرر رسانندهٔ کسی نیستند مگر بفرمان خدا

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا

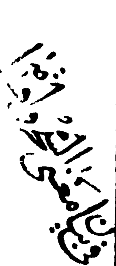
ومیاموختند آنچه را که ضرر رساندشان ونفع نبخشدشان وبتحقیقکه دانستند که آنکه خریدار آنست مراورا در آخرت هیچ بهره وهرآینه بدست آنچه فروختند بآن نفسهای خودرا اگر

يَعْلَمُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ القراءة ولكن خفيفا الشياطين بالرفع ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وكذلك قوله ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى الملكين

میدانستند واگر چنانچه ایشان گرویدندی وپرهیزکردندی هرآینه بهره از نزد خدا بهترست اگر میدانستند

بكسر اللام ههنا وفي سورة الاعراف قتيبة على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل الوقوف على ملك سليمان ج لان الواو قد تصلح حالا لبيان نزاهة سليمان ورد ما افتروا عليه السحر وقد قيل على جعل ما نافية ولا يتضح لما تقتضيه ما في سياق الآية من اثبات السحر بل ما خبرية معطوفة على قوله السحر على انها وان كانت نافية يحتمل كون الواو حالا على تقدير يعلمون الناس السحر غير منزل فلا يفصل وفي الآية عشرها آت احدها كافر في نما ولا حرم نكرة منصوبة في لبئسما والباقية خبرية ثم نافية ثم خبرية على التعاقب وماروت ط فلا تكفر ط وزوجه ط باذن الله ط ولا ينفعهم ط من خلاق ط تجوز الوقف لابتداء اللام انفسهم ط يعلمون خير ط يعلمون ه التفسير من قبائح افعالهم انهم نبذوا كتاب الله واقبلوا على السحر ودعوا الناس اليه وهذا شأن اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلعم وقيل انهم الذين تقدموا من اليهود وقيل انهم الذين كانوا في زمن سليمان صلعم من السحرة لان اكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان ويعدونه من جملة ملوك الدنيا فالذين كانوا منهم في زمانه لا يمتنع ان يعتقدوا فيه انما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر والاولى ان يقال اللفظ يتناول الكل قال السدي لما جاءهم محمد صلعم عارضوه بالتورية فخاصموه بها فاتفقت التورية والقرآن فنبذوا التورية واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت ومعنى تتلوا تقرأ وعلى ملك سليمان اي على عهده وفي زمانه وقيل تتلوا عليه اي تكذب القوم لما ادعوا ان سليمان انما وجد تلك المملكة بسبب ذلك العلم كان ذلك الادعاء كالافتراء على ملك سليمان واما الشياطين فالاكثرون على انهم شياطين الجن وانهم كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب تلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمان سليمان حتى قالوا ان الجن يعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وقيل انهم شياطين الانس لما روي في الخبر ان سليمان كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه خوفا على انه ان هلك الظاهر منها يبقى ذلك المدفون فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم من المنافقين الى ان كتبوا في خلال ذلك اشياء من السحر تناسب تلك الاشياء من بعض الوجوه ثم من بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموا الناس انه من عمل سليمان وانه ما وصل الى ما وصل الا بهذه الاشياء وزيفوا قول الاكثرين بان شياطين الجن لو قدروا على تغيير كتب الانبياء وشرائعهم بحيث يبقى ذلك التحريف مخفيا فيما بين الناس لارتفع الوثوق عن جميع الشرائع وهذا بخلاف ما يفعله الانسان فانه لا يكاد يخفى على بني نوعه واختلف في سبب اضافتهم السحر الى سليمان فقيل للترويج ذلك منهم وقيل لانهم ما كانوا مقرين بنبوته وقيل لانه لما خالط الجن واظهر اسرارا عجيبة غلب على ظنونهم انه استفاد ذلك من الجن وقوله وما كفر سليمان تنزيه له عما نسب القوم اليه من السحر المستلزم للكفر فان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين ان الذي برأه منه لاصق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا ثم ذكر ما به كفروا فقد كان من الجائز ان يتوهم انهم كفروا لا بالسحر فقال يعلمون الناس السحر وما انزل اي ويعلمونهم الذي انزل على الملكين وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ممتنعان من الصرف للعلمية

لان منهم





والعجمة ولو كانا من الهرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقيل بدلان منهما ولنذكر ههنا حقيقة السحر وقصة هاروت
وماروت اما السحر ففي اللغة عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه ومنه الساحر العالم وسحره خدعه والسحر الرئة وفي الشرع مختص بكل امر يخفى
سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع ومتى اطلق ولم يقيد افاد ذم فاعله قال تعالى سحروا أعين الناس يعني موهوا عليهم حتى
ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد هو السحر الحلال قال عم ان من البيان لسحرا سمى عم بعض البيان سحرا لان
صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن ليخط تارة فيقول اسوأ
ما يمكن ويرضى تارة فيقول احسن ما يعلم ثم السحر على اقسام منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها
هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية
وهم الذين بعث الله تعالى ابرهيم عم مبطلا لمقالتهم وردا عليهم مذاهبهم ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية بدليل ان الجذع الذي يتمكن
الانسان من المشي عليه لو كان موضوعا على الارض لا يمكنه المشي عليه لو كان كالجسر وما ذاك الا لان تخيل السقوط متى قوي وجب وقد
اجمعت الاطباء على نهي المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر والمصروع عن النظر الى الاشياء القوية اللمعان والدوران وما ذاك الا لان
النفوس خلقت مطيعة للاوهام وحكى في الشفاء عن ارسطو ان الدجاجة اذا تشبهت كثيرا بالديكة في الصوت وفي الحراب مع الديك نبتت على
ساقها مثل الشيء النابت على ساق الديك وهذا يدل على ان الاحوال الجسمانية تابعة للاحوال النفسانية واجمعت الامم على ان الدعاء مظنة
الاجابة وان الدعاء باللسان من غير طلب نفساني قليل الاثر ويحكى ان بعض الملوك عرض له فالج فدخل عليه بعض الحذاق من الاطباء على حين
غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح في العرض فاشتد غضب الملك وقفز من مرقده قفزة اضطرارية وزالت تلك العلة المزمنة والاصابة
بالعين مما اتفق عليه العقلاء والتحقيق فيه ان النفس اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات كانت كانها روح
من الارواح السماوية وكانت قوية التاثير في مواد هذا العالم اما اذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فح لا يكون لها التصرف
البتة الا في هذا البدن فاذا ارادت ان يتعدى تاثيرها الى بدن اخر اتخذ تمثال ذلك الغير ووضعه عند الحس فاشتغل الحس به وتبعه الخيال عليه واقبلت
النفس الناطقة بالكلية على ذلك فقويت التاثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ويعضده الانقطاع عن المألوفات والمشتهيات
وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس ثم ان كانت النفس مناسبة لهذا الامر بحسب ماهيتها وخاصيتها عظم التاثير واما الرقى فان كانت
بالفاظ معلومة فالامر فيها ظاهر لان الغرض منها ان حس البصر كما اشتغل بالامور المناسبة للغرض فحس السمع ايضا يشتغل بها فان الحواس
متى تطابقت متوجهة الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه اقوى وان كانت بالفاظ غير معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة
والدهش فيحصل لها في ذلك انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل فيقوى التاثير النفساني فيحصل الغرض وهكذا القول في الدخن
قالوا فثبت ان هذا القدر من القوة النفسانية مستقل بالتاثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تاثيرات الكواكب قوي الاثر جدا
لا سيما ان حصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها او من الانوار الفائضة من النفوس الفلكية ومنها سحر من يستعين
بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخييلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة وذلك ان اغلاط البصر كثيرة فان راكب
السفينة اذا نظر الى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والعنبة ترى في الماء كالاجاصة وترى العظيم
من البعيد صغيرا وقد لا تقف القوة الباصرة على المحسوس وقوفا تاما اذا ادركت المحسوس في زمان صغير جدا فيختلط البعض بالبعض ولا
يتميز فان الرحى اذا اخرجت من مركزها الى محيطها خطوط كثيرة بالوان مختلفة ثم ديرت فان البصر يرى لونا واحدا كانه مركب من كل تلك الالوان
وايضا النفس اذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء اخر فلا يشعر الحس به البتة كما ان الانسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه
انسان ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما ان قلبه مشغول بشيء اخر وكذا الناظر في المرآة ربما قصد ان يرى سطح المرآة هل هو مستو ام
لا فلا يرى شيئا مما في المرآة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل اذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم اليه حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء و
التحديق نحوه عمل شيئا اخر عملا بسرعة فيبقى ذلك العمل خفيا لتفاوت الشيئين اشتغالهم بالاول وسرعة اتيانه بالثاني ومنها الاعمال العجيبة
التي تظهر من الالات المركبة على النسب الهندسية ولضرورة الخلاء كفارسين يقتتلان فيقتل احدهما الاخر ومنه الصور التي تصورها
الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان وقد يصورونها ضاحكة او باكية وقد يفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل ومن هذا
الباب تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر عرفا لان لها اسبابا معلومة يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية
والاحجار ومنها تعليق القلب وهو ان يدعي الساحر انه قد عرف الاسم الاعظم وان الجن ينقادون له في اكثر الامور فاذا اتفق ان كان السامع
ضعيف القلب قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في قلبه نوع من الرعب والخوف فحينئذ تضعف القوى الحساسة فيتمكن الساحر من ان
يفعل فيه ما شاء وان من جرب الامور وعرف احوال الناس علم ان لتعليق القلب اثرا عظيما في تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار ومنها السعي بالنميمة والتضريب
من وجوه خفية لطيفة وذلك شائع في الناس فهذه جملة الكلام في اقسام السحر وعند المسلمين كلها مستندة الى قدرة الله فانه لا يمنع وقوع هذه

الجذع بالكسر ساق النخلة

قفز اي وثب

الخوارق باجراء العادة عند سحر السحرة واتفقوا على ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجزة ممكن به الا ان اجتنابه اقرب الى السلامة كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية واما ان الساحر هل يكفر ام لا فلا نزاع بين الامة في ان من يعتقد ان الكواكب هي المدبرة لهذا العالم وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون كافرا على الاطلاق وهذا هو القسم الاول من السحر واما النوع الثاني وهو ان يعتقد انه قد يبلغ روح الانسان في التصفية والقوة الى حيث يقدر على ايجاد الاجسام واعدامها وتغيير البنية والشكل فالاظهر اجماع الامة على تكفيره واما ان يعتقد الساحر انه قد يبلغ في التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الادوية الى حيث يخلق الله تعالى عقيب افعاله على سبيل العادة الاجسام والحيوة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من يجوز ذلك قالوا لانه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه ان يعرف صدق الانبياء والرسل وزيف بان الانسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا في دعواه فانه لا يجوز من الله تعالى اظهار الخوارق على يديه لئلا يحصل التلبيس اما اذا لم يدع النبوة فظهرت الخوارق على يديه لم يفض ذلك الى التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بما ان المحق يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة والمبطل لا يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة وان حصلت لم يتم فصوله الباطل كما والعرج واما سائر انواع السحر فلا شك انها ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد واذا سحر انسانا فمات فان قال اني سحرته وسحري يقتل غالبا وجب عليه القود وان قال سحرته وسحري قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت غيره فوافق اسمه اسمه فخطاء وعن ابي حنيفة انه قال يقتل الساحر اذا علم انه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله اني اترك السحر واتوب منه فاذا اقر انه ساحر فقد حل دمه وان شهد شاهدان على انه ساحر او وصفوه بصفة يعلم



انه ساحر قتل ولا يستتاب وان اقر باني كنت اسحر مرة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل واما قصة هاروت وماروت فقد روي عن ابن عباس ان الملائكة لما قالت اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فاجابهم الله بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وكل عليهم جميعا من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وكانوا يعرجون باعمالهم الخبيثة فعجبت الملائكة منهم ومن تبقية الله مع ما ظهر منهم من القبائح ثم اضافوا اليها عمل السحر فازداد تعجب الملائكة فاراد الله ان يبتلي الملائكة فقال لهم اختاروا ملكين من اعظم الملائكة علما وزهدا وديانة لانزلهما الى الارض فاختبرهم فاختاروا هاروت وماروت وركب فيهما شهوة الانس وانزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنى والشرب فنزلا فامر الله تعالى الكوكب المسمى بالزهرة والملك الموكل به فهبطا الى الارض فجعلت الزهرة في صورة امراة والملك في صورة رجل ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما اليها ونصب الملك نفسه في منزلها في مثال الصنم فاقبلا عليها وطلبا الفاحشة فابت عليهما وطلبا الفاحشة فابت عليهما الا ان يشربا الخمر فقالا لا نشرب الخمر ثم غلبت الشهوة عليهما فشربا ثم دعواها الى ذلك فقالت بقيت خصلة لست امكنكما من نفسي حتى تفعلاها فقالا وما هي قالت تسجدان لهذا الصنم فقالا لا نشرك بالله شيئا ثم غلبت الشهوة عليهما فقالا نفعل ثم نستغفر فسجدا للصنم ثم دخل سائل عليهم فقالت ان اظهر هذا السائل للناس ما راى منا فسد امرنا فان اردتما الوصل الي فاقتلا هذا الرجل فامتنعا منه ثم اشتغلا بقتله فلما فرغا من القتل ارتفعت الزهرة وملكها الى موضعهما من السماء فعرفا حينئذ انهما اصابهما بسبب تعيير بني ادم وفي رواية اخرى ان الزهرة كانت فاجرة من اهل الارض وانهما واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا للصنم وعلماها الاسم الاعظم الذي كانا يعرجان به الى السماء فتكلمت المرأة بذلك الاسم فعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى وصيرها هذا الكوكب ثم ان الله تعالى خيرهما بين عذاب الاخرة اجلا وبين عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين في بئر الى يوم القيمة وهما يعلمان الناس السحر ويدعوان اليه ولا يراهما احد الا من ذهب الى ذلك الموضع لتعلم السحر خاصة وهذه القصة عند المحققين غير مقبولة فليس في كتاب الله ما يدل عليها ولان الدلائل الدالة على عصمة الملائكة تنافيها ولاستبعاد كونهما معلمين للسحر حال العذاب ولان الفاجرة كيف يعقل انها صعدت الى السماء وجعلها الله تعالى كوكبا مضيئا ولانه ذكر في القصة ان الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بني ادم لعصيتماني فقالا لو فعلت بنا يا رب لما عصيناك وهذا منهم تكذيب لله وتجهيل فاذن السبب في انزالهما ان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطوا ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكاذبين ولا شك ان هذا من احسن الاغراض والمقاصد ايضا تعريف حقيقة السحر ليميز بينه وبين المعجزة حسن وكذا السحر لايقاع الفرقة بين اعداء الله والالفة بين اوليائه ولعل الجن انواعا من السحر لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك وارشاده ويجوز ان يكون ذلك تشديدا في التكليف من حيث انه اذا علمه ما امكنه ان يتوصل به الى اللذات العاجلة ثم منعه من استعماله كان ذلك في نهاية المشقة فيستوجب مزيد الثواب كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني ويقال هذه الواقعة كانت في زمان ادريس لانهما اذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر لهذا الغرض ولا بد من رسول يكون معجزا لهما ليكون ذلك معجزا له ولا يجوز كونهما رسولين لان رسول الانس ينبغي ان لا يكون الا منهم قوله تعالى وما يعلمان اي وما يعلم الملكان احدا حتى ينهياه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بان تتعلم معتقدا لانه حق او متوصلا الى شيء من المعاصي والاغراض العاجلة فيتعلمون الضمير لما دل عليه العموم في من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اما لانه اذا اعتقد ان السحر حق كفر فبانت منه امراته واما لانه يفرق بينهما بالتمويه والاحتيال كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز ابتلاء منه لان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله بارادته وقدرته لانه ان شاء احدث عند ذلك شيئا من افعاله وان شاء



لم يحدث فكان الذي يتعلمون منهما لم يكن مقصورا على هذه الصورة ولكن سكون المرء وركونه الى زوجه لما كان اشد خصت بالذكر ليدل بالتنبيه
بدلالة على ان سائر الصور بتأثير السحر فيها اولى وقرأ الاعمش وما هم بضاري به من احد بجعل الجار جزءا من المجرور وهو احد واضاف الى المجموع
وفصل بينهما بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يستعملونه في وجوه المفاسد وقد علم هؤلاء اليهود اللام فيه للابتداء وكذا في لمن اشتراه
استبدل ما تتلوا الشياطين واختياره على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب كأنه قدر له هذا المقدار وقيل الخلاق الخلاص وقيل
معنى الآية ان الملكين انما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز الى منافع الآخرة فلما استعمل السحر للدنيا فكأنه اشترى بمنافع
الآخرة منافع الدنيا ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها والمخصوص محذوف وهو السحر او منافع الدنيا وجواب لو محذوف يدل عليه ما قبله اي لو
كانوا يعلمون لعلموا قبح ما شروا ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا كما تقدم من الترجي في لعلكم تتقون وح لا يحتاج الى الجواب بقي ههنا سؤال وهو انه
كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد بل القسم حتما ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون فان لو لامتناع الاول لامتناع الثاني وكذا لو
كان للتمني فان التمني استدعاء امر هو كالممتنع والجواب ان الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا الناس الى تعلمه
ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والذين لا يعلمون هم الجهال الذين يرغبون في تعلم السحر سلمنا ان القوم واحد ولكنهم علموا شيئا وجهلوا شيئا
آخر علموا انه لا خلاق لهم في الآخرة وجهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الآخرة وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها سلمنا ان القوم واحد و
المعلوم واحد لكنهم نسبوا الى الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم ولم ينتفعوا به كما قيل انهم صم بكم عمي حيث لم ينتفعوا بالحواس ولما اوعدهم بقوله ولقد
علموا اتبع ذلك الوعد جامعا بين الترهيب والترغيب ليكون داعيا الى الطاعة والنهي عن المعصية فقال ولو انهم آمنوا بعين ما نبذوه من كتاب الله
وهو القرآن او التوراة التي يصدقها القرآن او كلاهما واتقوا فعل المنهيات وترك المامورات واتقوا الله فتركوا ما هم عليه يعني من نبذ كتاب الله و
اتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله لشيء من ثواب خير ولا بد من تقدير فعل يكون ان مع ما بعده فاعلا له اي لو ثبت انهم آمنوا وجواب لو
محذوف وايضا يدل عليه هذه الجملة الاسمية المصدرة باللام اي لاثيبوا وانما تركت الفعلية الى هذه ليدل على ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز
ان يكون القسم مقدرا وقوله لمثوبة جوابه سادا مسد جواب الشرط مغنيا عنه ودخول اللام الموطئة في الشرط غير واجب في القسم المقدر وان كان
هو الاكثر على دخول اللام الموطئة في لو مستثقل فيشبه ان يكون الاكثر بل الواجب ههنا عدم الدخول ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا عن ارادة الله
ايمانهم كأنه قيل ليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه لآمنوا واتقوا وقد علموا لكنه جهلهم
لترك العمل بالعلم ويجوز ان يكون لو بمعنى التمني كما تقرر والله تعالى اعلم التاويل واتبعوا ما تتلوا الشياطين النفوس على ملك سليمان الروح الذي
هو خليفة الله في ارضه وما كفر سليمان الروح ولكن الشياطين النفس والهوى كفروا يعلمون الناس السحر من تخيلات الهواجس وتمويهات الوساوس
وما انزل فتنة وخذلانا من العلوم الضارة غير النافعة كشبهات الفلاسفة والمبتدعة على الملكين على ملكي الروح والقلب ببابل الجسد هاروت الروح
وماروت القلب فانهما من العالم العلوي الروحاني اهبطا الى الارض لعالم الجسماني في الخلافة لاقامة الحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة زهرة
الحيوة الدنيا واتبعا خداعها فوقعا في شبكة الشهوة التي تركت فيها ابتلاء وامتحانا وشربا خمر الحرص والغفلة التي تخامر العقل وزنيا ببغي الدنيا
الدنية وعبدا صنم الهوى فعذبا منكسين برؤسهما بالالتفات الى السفليات واعراضهما عن العلويات فحرما استماع خطاب الحق
كشف حقائق العلوم النافعة الموجبة للجمعية ومع هذا من خصوصية الملكية الروحانية ما يعلمان احدا من الصفات البهيمية والسبعية و
الشيطانية والقوى البشرية حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء القلب وزوج دنيته



ع ١٣

يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من
اى آنچنان كسانى كه گرويده ايد مگوئيد در هنگام كه يه كه مراعات كنيد مارا و بگوئيد كه بنگريد مارا و گوش دهيد و از براى كافرانست عذاب دردناك دوست نميدارند كافران از صاحبان
اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
و اهل كتاب و نه مشركان كه فرود آيد بر شما خوبى از جانب پروردگارتان و خدا مخصص گرداند برحمت خود آنرا كه ميخواهد و خدا صاحب فضل بزرگست
ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير الم تعلم ان الله له ملك السموات
برطرف نميسازيم هيچ آيتى را يا واگذاريم اثر بجا آنكه بياوريم بهتر از آنرا يا مانند آنرا آيا نميدانى كه خدا بر هرچيز توانا است آيا نميدانى كه خدا مر اوراست پادشاهى آسمانها
والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل
و زمين و نباشد از براى شما غير از خدا از دوستى و نه يارى بلكه ميخواهيد كه خواهش كنيد از پيغمبرتان چنانكه خواهش كردند قوم موسى از او در زمان پيش
ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل القراءة ما ننسخ بضم النون وكسر السين ابن ذكوان ننسأها مهموزا
و هركه بدل كند كفر را از عوض ايمان پس تحقيق گمراه است از وسط راه ابن كثير وابو عمرو وعلي وقتيبة بغير همز الباقون ننسها من الانساء فانه
يجزم بغير همز ابو عمرو وغير ابراهيم بن حماد ويزيد الاعشى وورش وحمزة في الوقف الباقون وابراهيم بن حماد بالهمز لانه جواب الشرط ومن شرطه
يهمز كل ما كان ساكنا اي عطفا على المجزوم كل القرآن مثل قوله عز وجل ان تصبروا وتتقوا وما توكم وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته

منها واشباه ذلك فقد حصل بالاظهار مجازيه غير ورش وعاصم غير الاعشى وكذلك يظهرون الدال عند الذال والظاء حيث وقعتا مثل قوله تعالى فقد ظلم ولقد ذرأنا واشباه ذلك لو وقف وانسمعوا ط اليم من ربكم ط من يشاء ط العظيم ومثلها ط قدير ولا نصير ربع الجزء ومن قبل السبيل والتفسير لما شرح الله تعالى قبائح افعال السلف من اليهود شرع في قبائح اخلاف المعاصرين لرسول الله صلعم وجدهم واجتهادهم في القدح فيه والطعن في دينه واعلم ان الله تعالى خاطب المؤمنين في ثمانية وثمانين موضعا من القران قال ابن عباس رضي كان يخاطب في التورية بيا ايها المساكين فكانه سبحانه لما خاطبهم اولا بالمساكين اثبت لهم المسكنة اخرا حيث قال ضربت عليهم الذلة والمسكنة وهذا يدل على انه تعالى لما خاطب هذه الامة بالايمان اولا فانه تعالى يعطيهم الامان من العذاب اخرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا سيما فان المؤمن اسم من اسمائه العظام ففيه دليل على انه تعالى يقربهم منه في دار السلام وقيل سموا على الغيبة نظرا الى الظاهر وهو الذين ولو قيل منتم نظرا الى النداء جاز من حيث العربية ثم انه لا يبعد في الكلمتين المترادفتين ان يمنع الله من احديهما ويأذن في الاخرى ومن هنا قال الشافعي لا تصح الصلوة بترجمة الفاتحة عربية كانت او فارسية فلا يبعد ان يمنع الله من قول راعنا ويأذن في قول انظرنا وان كانا مترادفين ولكن جمهور المفسرين على انه تعالى انما منع من قول راعنا لاشتماله على مفسدة ثم ذكروا وجوها منها ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلعم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله صلعم و اليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه هذه الكلمة وهي راعينا ومعناها اسمع لا سمعت كما صرح بذلك في سورة النساء ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا فان الجميع كانها متقاربة فلما سمعوا المسلمين يقولون راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بلفظة اخرى وهي انظرنا روي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلعم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت ومنها قال قطرب هذه الكلمة وان كانت صحيحة المعنى الا ان اهل الحجاز كانوا يقولونها عند الهزء والسخرية فلا جرم نهى الله عنها وقيل ان اليهود كانوا يقولون راعينا اي انت راعي غنمنا فنهاهم عنه وقيل ان هذه اللفظة لكونها من باب المفاعلة تدل على المساواة بين المخاطبين كانهم قالوا ارعنا سمعك لنرعيك اسماعنا فنهوا عنه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقيل راعنا خطاب مع الاستعلاء اي راع كلامي ولا تغفل عنه ولا تشتغل بغيره وليس في انظرنا الا سؤال الانتظار وقيل انها يشبه اسم الفاعل من الرعونة الحمق فيحتمل انهم ارادوا به المصدر كقولهم عائذا بك اي عوذ عياذا فقولهم راعنا اي فعلت رعونة ويحتمل انهم ارادوا وصرت راعنا اي ذا رعونة فلما كان هذه الوجوه الفاسدة نهى الله عنها وقيل المراد لا تقولوا قولا راعنا اي الرعن كدارع ولابن ومنه قراءة الحسن راعنا بالتنوين وانظرنا من نظره اذا انتظره انظرونا نقتبس من نوركم امرهم الله تعالى ان يسئلوه الامهال لينقلوا عنه فلا يحتاجون الى الاستعادة كانهم قالوا له توقف في كلامك وبيانك مقدار ما يصل الى افهامنا وهذا القول غير خارج عن قانون الادب فقد يلتمس المتعلم حرصا منه على ان لا يفوت منه شيء من الفوائد وان كان المعلم غير مهمل في التفهيم والاستاد من البث والتاني والاعادة ان احتيج اليها ونحو ذلك وقيل نظرنا معناه انظر الينا مثل واختار موسى قومه اي من قومه والغرض ان المعلم اذا نظر الى المتعلم كان افاضته عليه اظهر واقوى وفي قراءة ابي انظرنا من النظرة اي مهلنا حتى نحفظ واسمعوا معناه احسنوا سماع كلام نبيكم باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول وطاعة لا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او اسمعوا ما امرتم به ولا ترجعوا الى ما نهيتم عنه من قول راعنا وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلعم وسبوه عذاب اليم قوله ما يود الاية من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتاكيد النفي وقرئ ولا المشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير فان ينزل في سياق النفي فمعنى ما يود ان ينزل يود ان لا ينزل والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي ولا اثر لهذا الحسد فان الله يختص بالنبوة من يشاء ولا يكون الا ما يشاء وما يشاء الا ما يقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم الفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة والافضال الاحسان وفيه اشعار بان ايتاء النبوة من غاية الاحسان ولهذا سماه من خطابك ان فضله كان عليك كبيرا قوله عز من قائل ما ننسخ من اية نوع ثان من تقرير مطاعن اليهود خذلهم الله في الاسلام روي انهم قالوا الا ترون الى محمد صلعم يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وفي الاية مسائل الاولى النسخ لغة هو الازالة يقال نسخت الشمس الظل اي ازالته والنقل ايضا وهو ان يغير الشيء في صفته وحاله مع بقائه في نفسه ومنه نسخت الكتاب والمناسخات في المواريث لانتقال التركة من قوم الى قوم فقيل مشترك بينهما وقيل حقيقة في الاول مجاز في الثاني وقيل بالعكس وفي الاصطلاح هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر فيخرج المباح بحكم الاصل اذ ورد الشرع بضده رافعا للاباحة فانه لا يسمى نسخا اذ ليس رفع حكم شرعي ويخرج ايضا الرفع بالنوم والغفلة لان ذلك الرفع ليس بمجرد الدليل الشرعي وهو رفع عن امتي الخطاء والنسيان ونحوه بل بقضية العقل ايضا بخلاف الرفع بنحو دعي الصلوة ايام اقرائك فلهذا لا مجال للعقل فيه ويخرج الرفع بنحو صم الى اخر الشهر فان الى وان اوجبت مخالفة حكم ما بعدها لما قبلها الا انها لا يسمى نسخا لانه ليس متأخرا ويمكن ان يقال ان قيد متأخر انما ينبغي ان يذكر لان دليل النسخ لا يكون الا كذلك ونحو صم الى كذا وامثاله من انواع التخصيص متصلا كان او منفصلا انما خرج بقيد الرفع لان رفع الحكم انما يكون بعد ارادة حصوله



على المكلف والتخصيص ليس كذلك لان صورة التخصيص غير مرادة من اللفظ بل التخصيص مبين لمراد الشارع من العام ونعني بالحكم ههنا ما يحصل على المكلف بعد ان لم يكن فان الوجوب المشروط بالعقل الذي هو مناط التكليف لم يكن حاصلا عند انتفاء العقل والموقوف على الحادث حادث واذا كان المراد بالحكم هذا فلا يرد قول المعتزلة الحكم عندكم قديم فكيف يرتفع وذلك انا عنينا بالحكم تعلق الخطاب بعد ما لم يتعلق وهذا محدث يرتفع وايضا نقطع بانه اذا ثبت تحريم شيء بعد وجوبه انتفى الوجوب الثابت اولا وهو المعني بالرفع ويحسن ايضا ان يقال النسخ بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ فيخرج بقولنا شرعي بيان انتهاء حكم عقلي كالبراءة الاصلية وبطريق شرعي يخرج به بيان انتهاء الحكم الشرعي بطريق عقلي كالمسالخ القيام عمن بتر رجله وقولنا متراخ يخرج التخصيص بالغاية ومن هذا يعلم تعريف الناسخ والمنسوخ ومعنى بيان انتهاء الحكم ان الخطاب السابق له غاية في علم الله تعالى فاذا انتهى الى تلك الغاية زال بذاته ثم ورد الخطاب اللاحق مبينا ان ذلك المسئلة الثانية انعقد الاجماع من ارباب الشرائع ومن المسلمين خاصة على جواز النسخ عقلا وعلى الوقوع شرعا وخالف اليهود في الجواز وابو مسلم الاصفهاني من المسلمين في الوقوع لا الجواز لنا القطع بالجواز ضرورة فان له تعالى ان يفعل ما يشاء كما يشاء من غير النظر الى حكمة ومصلحة وان اعتبرت المصالح فالقطع ان المصلحة قد تختلف باختلاف الاوقات فهذا ما يدل على جواز النسخ وفي التورية انه امر ادم بتزويج بناته من بنيه وقد حرم ذلك في شريعة من بعده بالاتفاق وهذا ما يدل على وقوعه كيف لا وقد ثبت بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته تلزم نسخ شرع من قبله ولم يكن لليهود والنصارى نص صريح يعلم منه امد شرعهم على التعيين حتى يلزم ان يكون شرع نبينا انتهاء غاية لا نسخا حجة اليهود لو نسخت شريعة موسى لبطل قول موسى المتواتر هذه شريعة مؤبدة عليكم بها ما دامت السموات والارض وايضا ان كان نسخ الحكم الشرعي لحكمة ظهرت له تعالى لم تكن ظاهرة فهو البداء والا فعبث وكلاهما محال على الله تعالى اذ البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء والعبث فعل لا يستتبع غاية والجواب عن الاول المنع من انه قول موسى عليه السلام ويؤكده انه لو كان هذا القول صحيحا عندهم لقضت العادة بقوله لرسولنا صلى الله عليه وسلم ومحاجته به لكن اليهود لم يتمسكوا به في عهده فدل ذلك على انه افك افتراه المتاخرون منهم وعن الثاني بعد تسليم اعتبار المصالح انها تختلف باختلاف الازمان والاحوال كمنفعة شرب دواء او حال وضرره في اخرى بل الزمان الممتد من الازل الى الابد قد وزع اجزاؤه فيما لم يزل على الجزئيات الواقعة فيها الصادرة شيئا فشيئا بحسب وقت لا لمصلحة تعود اليه تعالى بل لما هو اصلح بالنسبة الى المترمنات فالظهور والخفاء والسابق واللاحق والاعدام والايجاد كلها بالنسبة الينا واما بالنسبة الى حضرة الواجب جل ذكره فقد جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين والحاصل ان كل حكم فله غاية في علم الله تعالى ولكن قد يظن المكلف استمراره في الاستقبال من قرائن الاحوال فاذا ورد ما يبين امده ونص له على زواله فذلك الوارد ناسخ والاول منسوخ والورود نسخ وكل هذه التجددات بالنسبة الى المكلف واما بالاضافة اليه تعالى فكل من الحكمين موجود في وقته الذي قدر له فله الظهور متقدما احدهما ومتاخرا الاخر وليس هذا في الاحكام فقط وانما ذلك في كل حادث فمن تامل نسخة الوجود ونسب الحوادث المتغايرة بعضها الى بعض بالتقدم والتاخر والمعية وجد وجوداتها المترتبة اشبه شيء بكتاب يقرأ القاري سطرا بعد سطر وكلمة تلو كلمة اذا انقضى مجموع من ذلك تلاه مجموع اخر حسب ما رتبه الحكيم العليم بمباديه ومقاطعه فالمنقضي في حكم المحو والتالي في حكم الاثبات والهيئة الاجتماعية بدون اعتبار التلاوة المستلزمة لانقضاء شيء وظهور ما يعقبه هي ام الكتاب هذا سر قوله عز من قائل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ولك ان تعبر عن المجموع الدفعي بالقضاء وعن ظهوره التدريجي بالقدر وفي هذا القدر كفاية للفطن المستبصر المسئلة الثالثة اتفقوا على وقوع النسخ في القرآن بوجوه احدها هذه الاية اعني ما ننسخ من اية واجاب ابو مسلم بان المراد بالايات المنسوخة الشرائع التي في الكتب القديمة من التورية والانجيل كالسبت والصلوة الى المشرق والمغرب مما وضعه الله عنا وتعبدنا بغيره فان اليهود والنصارى كانوا يقولون لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فابطل الله ذلك عليهم بهذه الاية وايضا لعل المراد من النسخ نقله من اللوح المحفوظ وتحويله عنه الى سائر الكتب وايضا انما ههنا يفيد الشرط والجزاء وكما ان قولك من جاءك فاكرمه لا يدل على حصول المجيء بل على انه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه الاية لا تدل على حصول النسخ بل على انه متى حصل النسخ وجب ان ياتي بما هو خير منه وثانيها الاعتداد بالحول في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول نسخ باربعة اشهر وعشر في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اجاب ابو مسلم بان الاعتداد بالحول ما زال بالكلية لانها لو كانت حاملا ومدة حملها حول كامل لكانت عدتها حولا كاملا واذا بقي هذا الحكم في بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا نسخا ورد بان عدة الحمل تنقضي بوضع الحمل سواء حصل وضع الحمل لسنة او اقل او اكثر فجعل السنة مدة للعدة يكون زائلا بالكلية وثالثها اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة منسوخة بالاتفاق اجاب بانه زال لزوال سببه لان سبب التعبد بها ان يميز المنافقون عن المؤمنين ورد بانه يلزم منه ان من لم يتصدق كان منافقا وهو باطل لما روي انه لم يتصدق غير علي كرم الله وجهه ويدل له فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ورابعها امر ثبات الواحد للعشرة في قوله فان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ثم نسخ ذلك بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وخامسها تحويل القبلة قال ابو مسلم حكم تلك القبلة ما زال بالكلية لجواز التوجه اليها عند الاشكال ومع العلم اذا كان هناك عذر ورد بان بيت المقدس وسائر





الجهات في ذلك سواء وسادسها وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ والتبديل يشتمل على رفع وإثبات والمرفوع إما التلاوة وإما الحكم وكيف ما كان فهو رفع
ونسخ فهذه الدلائل وأمثالها تدل على وقوع النسخ في الجملة حجة أبي مسلم لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ والجواب أن الضمير للمجموع
وأيضاً نسخه بالنسبة إلى المكلف لا ينافي حقيته في نفسه وكونه قرآناً المسئلة الرابعة المنسوخ إما أن يكون هو الحكم فقط كالآيات المعدودة
أو التلاوة فقط كما يروى عن عمر أنه قال كنا نقرأ آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم وروي
لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب أو الحكم والتلاوة معاً كما روي عن
عائشة كان فيما أنزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعاً والخمس مرفوع التلاوة باقي الحكم ويروى أن
سورة الأحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال أو أزيد ثم وقع النقصان ولنرجع إلى تفسير الآية ما ننسخ محمول على نسخ الحكم وإزالته دون التلاوة و
ننسها على نسخ الحكم والتلاوة جميعاً وإنساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بأن يخرج من جملة ما يتلى ويقرأ في الصلوة أو يحتج به
فإذا زال حكم التعبد به وطال العهد نسي وإن ذكر فعلى طريق ما يذكر خبر الواحد فيصير بهذا الوجه منسياً عن الصدور ويكون ذلك معجزة
له كما يروى أنهم كانوا يقرؤن السورة فيصبحون وقد نسوها قال عز من قائل سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وإنساخ الآية الأمر بنسخها
وهو أن يأمر جبريل بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها وإذهابها لا إلى بدل وقيل مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أي نبدلها إما أن
نبدل حكمها فقط أو تلاوتها فقط أو نبدلهما وننسها نتركها كما كانت ولا نبدلها لأن النسيان قد يجيء بمعنى الترك وقيل ما ننسخ من آية ما
نرفعها بعد إنزالها أو ننسأها بالهمزة نؤخر إنزالها من اللوح المحفوظ أو نؤخر نسخها فلا ننسخها في الحال فإنا ننزل بدلها ما يقوم مقامها في المصلحة
ولا يخفى أن قوله نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا لا ينطبق على هذين القولين كما ينبغي ومعنى الآية عند جمهور المفسرين آية القرآن وعند أبي مسلم
التوراة والإنجيل كما مر وقد عرفت أنه يمكن حملها على معنى أعم فكل مجموع من الوجود في كل زمان من الأزمنة آية من صحيفة المخلوقات وكل
فرد من ذلك المجموع كلمة من كلمات الله قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي ومعنى نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا إن حملنا الآية على ما يتضمن حكماً على المكلف
أن الثاني أخف وأصلح بالنسبة إلى وقته كما أن الأول كان أصلح بالإضافة إلى وقته فالثاني خير بالنسبة إلى وقته مثل الأول بالنسبة إلى وقتها
أو يريد أن العمل بالثاني أكثر ثواباً من العمل بالأول فنسا ولكل منهما قد يقتضيه الحكمة دون ما هو أقل ثواباً وإن حملنا الآية على غير ذلك فمتغير
الأصلح قال أهل الإشارة أراد بالنسخ نقل السالك وترقيه من حال إلى حال أعلى منه وإن غصن استكمالهم أبداً ناضر ونجم وصالهم دائماً زاهر فلا
ينسخ من آثار عباداتهم شيء إلا أبدل منها أشياء من أنوار العبودية ولا ينسخ شيء من أنوار العبودية إلا أقيم مكانها أشياء من أقمار الربوبية
وأيضاً إنهم يشاهدون بعض لوائح الشريعة في الصور اللطيفة كسبتها المخيلة بحسب صفاء الوقت وعلو المقام فلما ارتقوا إلى مقام
آخر يشاهدون ذلك بتلك المشاهدة فيظن السالك الغر أنه حجب عن ذلك المقام والحال فقيل ما ننسخ من آية من آيات المقامات أو ننسها بأن
نمحوها من إدراك الخيال نأت بخير من تلك المشاهدة أو مثلها ثم إن الأئمة استنبطوا من الآية مسائل الأولى زعم قوم أنه لا يجوز نسخ الحكم إلا إلى
بدل لقوله نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا والجمهور على خلافه لأن الآية لا تدل إلا على وجوب الإتيان بآية أخرى أما على وجوب الإتيان بحكم آخر فلا
سلمنا لكنه مخصوص بنسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى وبنسخ وجوب الإمساك بعد الفطر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا
يجوز أن يكون ذلك البدل عدم الحكم الذي رفع بالنسخ ويكون نسخه بغير بدل وجوده خيراً للمكلف لمصلحة علمت الثانية زعم قوم أن النسخ
لا يجوز بالأثقل لأن الأثقل لا يكون خيراً منه ولا مثله ورد الجمهور عليهم بأن المراد كثرة الثواب وذلك لا ينافي كونه أثقل أجرك على قدر نصبك
وأيضاً قد وقع كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم حتماً وصوم عاشوراء برمضان والحبس في البيوت للزاني بالجلد وأما النسخ إلى الأخف فكنسخ
العدة من الحول إلى أربعة أشهر وعشر وكنسخ صلوة الليل إلى التخيير فيها وأما نسخ الشيء إلى المثل فكالتحويل من بيت المقدس إلى الكعبة الثالثة
عن الشافعي أن الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله نأت بخير منها وذلك يدل على أن المأتي من جنسه كما إذا قال الإنسان ما آخذ منك من ثوب
آتك بخير منه يفيد أنه يأتيه بثوب من جنسه خير منه وجنس القرآن قرآن وأيضاً نأت يدل على أن الآتي هو الله لا الرسول وأيضاً المأتي به خير والسنة
لا يكون خيراً من القرآن وأيضاً قوله أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ دل على أن الآتي بذلك الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى تصريف
المكلف تحت مشيئته وإرادته لا دافع لما أراد ولا مانع لما شاء وذلك هو الله تعالى وأجيب بأن قوله نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ليس فيه أن ذلك الخير يجب أن
يكون ناسخاً بل لا يمتنع أن يكون ذلك الخير شيئاً مغايراً للناسخ يحصل بعد حصول النسخ وذلك أن الإتيان بذلك الخير مرتب على نسخ الآية الأولى
فلو كان نسخ تلك الآية مرتباً على الإتيان بذلك الخير لزم الدور قلت ويمكن دفع الدور بأن يقال المراد ما أردنا نسخها من آية نأت بخير منها حتى
ننسخها ثم احتج الجمهور على وقوع نسخ الكتاب بالسنة بأن آية الوصية للأقربين منسوخة بقوله لا وصية لوارث وبأن آية الجلد صارت منسوخة
بخبر الرجم أجاب الشافعي بأن كون الميراث حقاً للوارث يمنع من صرفه إلى الوصية فثبت أن آية الميراث مانعة من الوصية ولعل الرجم إنما ثبت
بقوله تعالى الشيخ والشيخة الخ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فهو يدبر الأمور ويجريها على حسب المصالح وهو أعلم بما يتعبد المكلفين به من ناسخ
ومنسوخ والخطاب في ألم تعلم إما للنبي فيدخل الأمة تبعاً أو لكل من له أهلية الخطاب ومعنى الاستفهام فيه التقرير والإثبات لظهور آثار قدرته





ووضوح ايات ملكه وسلطانه وقيل اشارة الى ما شاهدليلة المعراج بعين اليقين ثم علمها حق اليقين فترقى من رتبة الانابة الى كشف الصفات ومن كشف الصفات الى عيان الذات ثم بتحقق عن الخيال واثبت فى العيان والولى ضد العدو وكل من ولى امر واحد فهو وليه فعيل بمعنى فاعل وكذا النصير والواو فى ومالكم يحتمل ان يكون للاعتراض فلا محل للجملة ويحتمل ان يكون للعطف على له ملك السموات فيدخل تحت الاستفهام ويكون قوله من دون الله من وضع الظاهر موضع الضمير ولا يوقف على والارض ام تريدون قيل الخطاب للمسلمين لقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان وهذا لا يصح الا فى حق المؤمنين ولان ام للعطف ولا معطوف ظاهرا فالتقدير فقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون هذا كما امرتم ام تريدون ان تسئلوا رسولكم ولانه سئل قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط وهى شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الماكول والمشروب كما سئلوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم الهة وهذا قول الاصم والجبائى وابى مسلم وقيل انه خطاب لاهل مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد ان عبد الله بن امية المخزومى اتى رسول الله صلعم فى رهط من قريش فقال يا محمد ما او من بك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب او يكون لك بيت من زخرف او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك بعد ذلك حتى تنزل علينا كتابا من الله الى عبد الله بن امية ان محمدا صلعم رسول الله فاتبعوه وقال له بقية الرهط فان لم تستطع ذلك فائتنا بكتاب من عند الله جملة واحدة فيه الحلال والحرام والحدود والفرائض كما جاء موسى الى قومه بالالواح من عند الله كما سال السبعون وعن مجاهد ان قريشا سالت محمدا صلعم ان يجعل الله لهم الصفا ذهبا فقال نعم هو لكم كالمائدة لبنى اسرائيل فابوا ورجعوا وقيل المراد اليهود لان هذه السورة من اول قوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى حكاية عنهم ومحاجة معهم ولان الاية مدنية ولانه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولان المؤمن بالرسول لا يكاد يسئل ما يتبدل كفرا بايمان وليس فى ظاهر الاية انهم اتوا بالسؤال فضلا عن كيفية السؤال بل المرجع فيه الى الروايات المذكورة وههنا بحث وهو ان السؤال الذى ذكروه ان كان طلبا للمعجزات فمن اين انه كفر ومعلوم ان طلب الدليل على الشئ لا يكون كفرا وان كان ذلك طلبا لوجه الحكمة التفصيلية فى نسخ الاحكام فهذا ايضا لا يكون كفرا فان الملائكة طلبوا الحكمة التفصيلية فى خلق البشر ولم يكن ذلك كفرا فالتكفير اما لانهم طلبوا منه صلعم ان يجعل لهم الها كما لهم الهة واما لانهم طلبوا المعجزات على وجه التعنت واللجاج قلت والاصوب فى الاية ان يكون ام تريدون معطوفا على الم تعلم على انه خطاب لكل مكلف فيكون فى معنى الجمع ثم ام اما ان تكون متصلة على معنى اى الامرين كائن فان العلم واقع بكون احدهما لا انه اما ان لا يعلم نفوذ علمه وقدرته وان الكل تحت قهره وتسخيره واما ان يعلم فيسئل وجه الحكمة فى النسخ وغيره على سبيل العناد وكلا الامرين يوجب التكفير اما الاول فظاهر واما الثانى فلان المعترف بحكمته البالغة وعنايته الشاملة ورافته الكاملة وقدرته الظاهرة من حقه ان يقتصر على علمه الاجمالى ولا يتخطى مقام الادب فى البحث والتنقير عن تفاصيل حكمته التى تكاد تنحصر يوهم ان السائل فى شك مما امر به او نهى عنه وعلى هذا لا يوقف على بصير واما منقطعة على انه اضرب عن الاستفهام الاول واستانف استفهاما ثانيا ويحتمل ان لا يكون قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان حكما بتكفيرهم بسبب السؤال بل يكون تنبيها للمكلفين على ان السؤال عما لا يهمهم لهم مما قد ينجر الى الغواية لكثرة عروض الشكوك والشبهات حتى يقفوا على الاعتقاد الحق والتقليد الصرف فيما لا سبيل الى درك تفاصيله ولا يهم معرفتها وسواء السبيل وسطه وهو الصراط المستقيم الذى مر تفسيره

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ

دوست می دارند بسیاری از اهل کتاب که برگردانند شما را پس از گرویدنتان کافران از حسدی که از نزد خود ایشان است پس از آنکه ظاهر شد مر ایشان را حقیقت پس درگذرید و بخشید تا که صادر فرماید خدا فرمان خود

اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

بیشک خدا بر هر چیزی تواناست و برپای دارید نماز را و بدهید زکوة را و هر چه پیش فرستید از برای خودتان از خوبی بیابید آنرا در نزد خدا بیشک خدا بآنچه میکنید بیناست

وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ

و گفتند که داخل نشود در بهشت بجز آنکه بوده باشد از یهود یا ترسایان این است آرزوهای ایشان بگو که بیاورید حجت خودتان را اگر هستید راستگویان آری هر که تسلیم کرد



وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ

روی خویش از برای خدا و حال آنکه نیکوکار است پس مر او راست مزد او در نزد پروردگارش و نیست ترسی بر ایشان و نه اندوهناک گردند و گویند یهود که نیستند ترسایان بر چیزی و گویند

النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

ترسایان که نیستند یهود بر چیزی و حال آنکه ایشان میخوانند کتاب را همچنین میگویند آنان که نمی دانستند مانند گفتار ایشان پس خدا داوری کند میان ایشان در روز

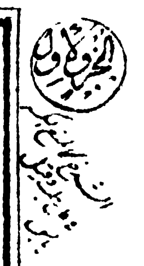
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ القراءة قد سلفت الوقوف كفارا ج لان حسدا مصدر محذوف اى يحسدون حسدا او حال او مفعول له وهو وجه الوصل

در آنچه بودند در آن اختلاف میکردند

الحق ج لعطف الجملتين المختلفتين بامره ط قدير ه الزكوة ط لان ما للشرط والشرط مصدر عند الله ط بصير ه او نصارى ط امانيهم ط صادقين ه عند ربه ص لعطف الجملتين المتفقتين يحزنون ه النصارى على شئ ص لعطف الجملتين المتفقتين على شئ ص لان الواو للحال الكتاب ط مثل قولهم ج لان فالله مبتدأ مع فاء التعقيب يختلفون ه التفسير هذا نوع اخر من مكايد اليهود روى ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا

فيما يوجب التكفير

فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فانى عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت وكفارا نصب على الحال ومفعول ثان ليردون على انه بمعنى صير والحسد من اقبح الخصال الذميمة قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال لن تعم الله اعداء قيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ستة يدخلون النار قبل الحساب الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد روى ان موسى لما ذهب الى ربه راى في ظل العرش رجلا يغبط بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه قال احدثك من عمله ثلاثا كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة ويحكى ان عبد الله بن عون دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال انى اريد ان اعظك بشئ اياك والكبر فانه اول ذنب عصى الله به ابليس ثم قرأ فسجدوا الا ابليس استكبر واياك والحرص فانه اخرج آدم من الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض فاكل منها فاخرجه الله ثم تلا اهبطا منها واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق وقال ابن الزبير ما حسدت احدا على شئ من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار واعلم انه اذا انعم الله على اخيك بنعمة فان اردت زوالها فهذا هو الحسد المحرم الذي ذم الله تعالى صاحبه في هذه الآية وغيرها ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ان تمسسكم حسنة تسؤهم ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وان اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقة من النفاسة وليست بحرام لقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فانفقه في سبيل الله ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلم الناس وهذا يدل على ان الحسد قد يطلق على المنافسة وقد يكون واجبا اذا كانت النعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة وقد يكون مندوبا في نحو الانفاق في سبيل الله وتشهى العلم والتعليم وقد يكون مباحة وللحسد مراتب اربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان لم يحصل له وهذه اخبث الثانية ان يحب زوالها عنه اليه لرغبته في دارة الحسنة او امرأته ولا يتم فالمطلوب بالذات حصولها له فاما زوالها عن غيره فمطلوب بالعرض الثالثة ان لا يشتهى زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة ان يشتهى لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه هذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الاولى والاولى خبث قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض تمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه لعين ذلك مذموم واسباب الحسد سبعة اولها العداوة والبغضاء فان من آذاه انسان ابغضه قلبه وغضب عليه وتولد منه الحقد المقتضي للتشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان كما قال عز من قائل ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وربما افضى هذا الحسد الى التنازع والتقاتل وثانيها التعزز فان واحدا من امثاله اذا نال منصبا عاليا يترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك اراد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته وثالثها ان يكون في طبعه ان يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم ورابعها التعجب او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم وخامسها الخوف من فوت المقاصد وذلك يتحقق من المتزاحمين على مقصود واحد كتحاسد الضرائر في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة عند الابوين وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على اهل بلدة وسادسها حب الرياسة كمن يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته فان الكمال محبوب لذاته وضد المحبوب مكروه ومن جملة انواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا يمتنع حصوله الا لله تعالى ومن طمع المحال خاب وخسر وسابعها شح النفس بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك واذا وصف اضطراب امور الناس وادبارهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه وهذا ليس له سبب ظاهر سوى خبث النفس كما قيل البخيل من بخل بمال غيره وقد يجتمع بعض هذه الاسباب فيعظم الحسد ويقوى بحسبه وقلما يقع التحاسد الا في الامور الدنيوية لان الدنيا لا تفي بالمتزاحمين واما الآخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون تحاسد بين ارباب الدين واصحاب اليقين وانما يكونون بلقاء اخوانهم مستأنسين وببقاء اقرانهم فرحين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين واما علاج الحسد فامران العلم والعمل اما العلم ففيه مقامان اجمالي وهو ان يعلم ان الكل بقضاء الله وقدره وان ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يرده كراهية كاره ولا يجره ارادة مريد وتفصيلي وهو العلم بان الحسد قذى في عين الايمان حيث كره حكم الله وقسمته في عباده وغش للاخوان وعذاب اليم وحزن مقيم ومورث للوسواس ومكدر للحواس ولا ضرر على المحسود في دنياه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك ولا في دينه بل ينتفع به لانه مظلوم من جهتك فيثيبه الله على ذلك وقد ينتفع في دنياه ايضا من جهة انك عدوه ولا تزال تريد غمومه وغموم اخوانك الى ان يفضى بك الى الدنف والتلف شعر اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله : النار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله : وقد يستدل



يحسد الحاسد على كونه مخصوصا من الله تعالى بمزيد الفضائل شعر لا مات اعداؤك بل خلدوا * حتى يروا منك الذى يكمد * لا زلت محسودا على نعمة * فانما الكامل من يحسد * والحاسد مذموم بين الخلق ملعون عند الخالق مشكود فى بلبس وفى صدفانه مدحور عند الخلق واولياءه فهل هو الا كمن رمى حجرا الى عدو ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ثانيا فيرميه اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى فيعميه فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيرجع على راسه فيشدخه وعدوه سالم فى كل الاحوال وقد عاد عليه الوبال واعداؤه محواليه يفرحون ويضحكون هذا له فى الدنيا ولعذاب الاخرة اشد وابقى واما العلم فهو ان يأتى بالافعال المضادة لمقتضيات الحسد فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له وان حمله على التكبر عليه كلف نفسه التواضع له وان حمله على قطع اسباب الخير سعى فى ايصال الخير اليه حتى يصير المحسود محبوبا محبا له فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وذلك التكلف يصير بالاخرة طبعا والله الموفق واعلم ان النفرة القائمة بقلب الحاسد من المحسود امر غير داخل فى وسعه فكيف يعاقب عليه وانما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك النفرة ثم اظهارها واثارها من القدح فيه والقصد الى ازالة النعمة عنه وجر اسباب المحنة اليه ثم ان الذين كانوا يريدون رجوع المؤمنين من الايمان من بعد ما تبين لهم ان الايمان صواب وحق فالقوا اليهم ضربين من الشبه لعلمهم ان المحق لا يعدل عن الحق الا بالشبهة احدهما ما يتصل بالدنيا وهو قولهم لهم قد علمتم ما نزل بكم من اخراجكم من دياركم وضيق الامر عليكم وما انتم فيه من الفقر واموالكم واستمرار الخوف عليكم فاتركوا ايمانكم الذى ساقكم الى هذا والثانى فى باب الدين بالقدح فى المعجزات وتحريف التورية وقوله من عند انفسهم اما ان يتعلق بودّ اى تمنوا ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق واما ان يتعلق بحسدا اى منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح بترك المقابلة والاعراض عن الجواب لان ذلك اقرب الى تسكين النائرة لا دائما بل حتى يأتى الله بامره عن الحسن انه المجازاة يوم القيمة وقيل قوة الاسلام وكثرة المسلمين والاكثرون على ان الامر بالقتال فعنده يتعين اما الاسلام واما قبول الجزية وتحمل الذل والصغار والاية منسوخة لان الاية التى علق بها غير معلومة شرعا فليس كقوله ثم اتموا الصيام الى الليل بل يحمل قوله فاعفوا واصفحوا الى ان ينسخه عنكم عن الباقر انه لم يؤمر رسول الله بقتال حتى نزل جبرئيل بقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا فكان اول قتال اصحاب عبد الله بن جحش ببطن نخل وبعده غزوة بدر فان قيل كيف يعفون ويصفحون والكفار اصحاب قوة وشوكة والصفح لا يكون الا عن قدرة قلنا ان الرجل من المسلمين كان ينال الاذى فيقدر على بعض التشفى والاستعانة على ذلك باصحابه فامر ان لا يهيجوا قتالا وفتنة وايضا القليل منهم كان يقاوم الكثير من المشركين ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وايضا جعل الصابر له القوة قوله ليظهره على الدين كله وقيل المراد بالعفو والصفح حسن الاستدعاء واستعمال ما يلزم فيهم من النصح والاشفاق وترك التشدد وعلى هذا لا يكون الاية منسوخة وكذا لو قيل المراد بامر الله قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شىء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة تنبيه على انه كما يلزمهم لحظ حال غيرهم بالعفو والصفح كذلك يلزمهم لحظ انفسهم باداء الواجبات من خير من حسنة صلوة وصدقة فريضة او تطوع فعمم بعد ما خص تنبيها على ان الثواب لا يختص بالواجبات بل بها وبغيرها من الطاعات ولا بد من اضمار اى تجدوا ثوابه لان وجدان عين تلك الاشياء غير مطلوب ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شىء من الاعمال وفيه ترغيب للمحسن وترهيب للمسىء وقالوا لن يدخل الجنة نوع اخر من تخليط اهل الكتاب اليهود والنصارى والضمير فى وقالوا لهم والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخلها الا من كان نصارى فضم بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق ما قاله لما علم من تكفير كل واحد منهما صاحبه مثله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كبازل وبزل وعائذ وعوذ والعائذ الحديثة النتاج من النوق والبازل الذى خرج نابه ووحد اسم كان حملا على لفظ من وجمع خبره حملا على المعنى ومثله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم تلك امانيهم على حذف المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم يريد ان امانيهم جميعا فى البطلان مثل هذه وهى قولهم لن يدخل الجنة واشير بتلك الى ان ودادتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم امنية وودادتهم ان يردوهم كفارا امنية وقولهم ان يدخل الجنة امنية اى تلك الامانى الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم اعتراض على هذا وهات الشىء اسم فعل معناه اعط ويتصرف فيه بحسب المامور هات هاتيان هاتوا هاتى هاتين وقيل الصحيح انه ليس باسم فعل وانما الهاء فيه مبدلة من الهمزة واصله ات من الايتاء برهانكم حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين فى دعواكم وفيه دليل واضح على ان المدعى نفيا او اثباتا لا بد له من برهان والا فدعواه باطلة من ادعى شيئا بلا شاهد لا بد ان يبطل دعواه اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة وقوله من اسلم الى اخره جملة شرطية مستانفة ويجوز ان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اى بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم وفيه اشارة الى ان هؤلاء الداخلين برهانا وهو استسلام النفس وانقيادها لطاعة الله مع الاحسان وفيه ترغيبهم فى الاسلام وبيان لمفارقة حالهم حال من يدخل الجنة كانه قيل لهم انتم على ما انتم عليه لا تفوزون بالجنة بلى ان غيرتم طريقتكم واسلمتم وجهكم لله واحسنتم فلكم الجنة وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء من حيث انه معدن الحواس ينبوع الفكر والتخيل فاذا تواضع الاشرف كان غيره اولى ولان الوجه قد يكنى به عن النفس والذات كل شىء هالك الا وجهه الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولان اعظم العبادات السجدة وهى انما تحصل بالوجه فهذا





الاسلام اخص لاسلام المذكور في الحديث الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوٰة وتؤتي الزكوٰة وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا لان هذا عبارة عن الاذعان الكلي بجميع القوى والجوارح في كل الاحوال والاوقات وهو الاسلام الذي امر به ابرهيم اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ويؤكد ذلك قوله لله اي خالصا له لا يشوبه شرك فلا يكون عابدا مع الله غيره ولا معلقا رجاءه بغيره وزاد التاكيد بقوله وهو محسن اي حال كونه محسنا في عمله ومعنى الاحسان هو الذي في الحديث الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولا ريب ان العبادة على هذا الوجه لا يصدر الا عن صدق النية وصفاء الطوية فان مثول العبد بين يدي مولاه يشغله عن الالتفات الى ما سواه فلا يقع قصده فيما هو فيه الا لوجه الله فلا يصدر عنه شيء من السيئات واما الطاعات والمباحات فيكون مقتضية لتزايد الحسنات ورفع الدرجات في الخبر من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة وذلك ان المتطيب ان كان قصده التنعم واستيفاء اللذات والتودد الى النسوان كان التطيب معصية وان كان قصده اقامة السنة ودفع الروائح المؤذية عن عباد الله وتعظيم المسجد فهو عين الطاعة وكذا الكلام في المناكح والمطاعم والمشارب والضابط ان كل ما فعلته لداعي الحق فهو العمل الحق وكل ما عملته لغير الله فحلالها حساب وحرامها عذاب وروي ان رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت وليست النية ان يقول في نفسه وبلسانه عند تدريسه او تجارته نويت ان ادرس لله او اتجر لله هيهات انما الحديث نفس او لسان وما ذاك الا كقول الفارغ نويت ان اعشق واما النية فهي انبعاث النفس وميلها الى سلوك طريق الحق في كل فعل فاجتهد في تصيير ذلك ملكة لنفسك شعر وللناس فيما يعشقون مذاهب فمنهم من يعمل لباعث الخوف من النار فله ذلك ومنهم من يعمل لباعث الطمع في الجنة وهم اكثر اهل الجنة لقصور همتهم عن طموح ما فوقها من الكمالات واللذات الحقيقيات اكثر اهل الجنة البله ومنهم من يعمل لله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولما جمع الله تعالى اهل الكتابين في الاية المتقدمة فصل بينهما وبين قول كل فريق في حق الاخر والظاهر حمل لفظي اليهود والنصارى على العموم وان كان السبب خاصا لان هذا اعتقاد كل واحد من كل من الطائفتين في حق الاخرى وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورىة ومعنى على شيء اي على شيء يصح ويعتد به وفيه مبالغة عظيمة كقول العرب اقل من لا شيء عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقوا تلك وذلك ان الايمان بالله انما يعتد به اذا كان مؤمنا برسوله وبكل ما انزل وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك حال انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورىة والانجيل وغيرهما من كتب الله ان يؤمن بالباقي ولا يكفر به لان جميع الكتب السموية متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك الكاف للتشبيه وذلك اشارة الى المذكور اي قولا مثل الذي سمعت به قال الذين لا يعلمون ومثل قولهم مكرر للتاكيد لطول الكلام بالموصول والصلة والمراد بالذين لا يعلمون الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام القائلين ان المسلمين ليسوا على شيء وفيه توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم فقالوا قولا عن التشهي والعصبية مثلهم فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى يوم القيمة عن الحسن يكذبهم جميعا ويدخلهم النار ويجوز ان يرجع الضمير الى الكل الذين يعلمون والذين لا يعلمون والى المسلمين ويحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفوا فيه فينتصف من الظالم المكذب المبطل والمكذب في ريبهم من يدخل الجنة عيانا ويدخل النار عيانا اعاذنا الله منها ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ

وکیست ستمکارتر از انکه وا دارد مسجد های خدا را از انکه ذکر شود دران نام خدا و جهد کند در خرابی آن آن گروه سزاوار نیستند که

لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا

که ایشان داخل شوند انجا مگر ترسان مر ایشان راست در دنیا رسوایی زیاد و مر ایشان راست در آخرت عذاب بزرگ و مر خدا راست مشرق و مغرب پس هر جا

تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ۝

که رو آرید پس آنجاست قبله بدرستی که خدا محیط است و دانا و گویند که قرار داده است خدا از برای خود فرزند منزه است او بلکه مر او راست هر چه در آسمانها و زمین است هر یک مر او را فرمانبردارند

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا

آفریننده آسمانها و زمین است و چون اراده کرد فرمانی را پس همین میگوید او را که باش پس میباشد و گویند آنانکه نمیدانند که چرا گفتگو نمیکند با ما خدا و نمیاید ما را

آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ القراءة قالوا اتخذ الله

نشانی و همچنین گویند آنان که پیش از ایشان بودند بطریق گفتار ایشان بهم مانند دلهای ایشان بتحقیق که ظاهر ساختیم نشانها را از برای گروهی که یقین دارند

ولدا بلا واو العطف ابن عامر اتباعا لمصاحف اهل الشام كن فيكون بالنصب كل القرآن ابن عامر الا قوله كن فيكون الحق في ال عمران وكن فيكون قوله الحق في الانعام ووافقه الكسائي في النحل ويس والوقوف خزي ط للفصل بين الاستفهام والخبر خائفين ط لان ما بعده اخبار ووعيد مبتدا منتظر عظيم وجه الله ط عليم ولدا لا لتعجيل التنزيه سبحانه ط والارض ط لان ما بعده مبتداء قانتون والارض ط لان اذا اجيبت بالفاء وكانت للشرط فيكون اية ط قلوبهم ط لان قد للتوكيد الاستيناف يوقنون التفسير عن ابن عباس ان ملك النصارى غزا بيت المقدس فخربه والقى فيه الجيف وحاصر اهله وقتلهم وسبى الذرية واحرق



التوراة ولم يزل خرابا حتى بناه اهل الاسلام في زمان عمر فنزلت الآية فيهم عن الحسن وقتادة والسدي نزلت في بختنصر حيث خرب بيت المقدس واعانه على ذلك بعض النصارى ورد بان بختنصر كان قبل مولد المسيح بزمان وقيل نزلت في مشركي العرب الذين منعوا رسول الله صلعم عن الدعاء الى الله بمكة والجاؤه الى الهجرة فصاروا مانعين له ولاصحابه ان يذكروا الله في المسجد الحرام وقيل المراد منع المشركين رسول الله صلعم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ووجه اتصال الآية بما قبلها على القولين الاولين هو ان النصارى ادعوا انهم من اهل الجنة وعلى الآخرين هو انه جرى ذكر مشركي العرب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون فعقب ذلك بسائر قبائحهم ومن استفهامية لتقرير النفي اي ليس احد اظلم ممن منع وان يذكر ثاني مفعوليه لانك تقول منعته كذا او بدل من مساجد او حذف حرف الجر مع ان التقدير كراهة ان يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس مساجد الله ان مانعها من ذكر الله تعالى مفرط في الظلم ولا بأس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحد من اظلم ممن آذى الصالحين ومثله ويل لكل همزة لمزة والنزول فيه الاخنس بن شريق وينبغي ان يراد بمن منع العموم لا الذين منعوا من اولئك النصارى والمشركين باعيانهم والسعي في خراب المساجد بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان قيل ان قوله ومن اظلم الذي هو في قوة ليس احد اظلم ليس على عمومه لان الشرك الشرك اعظم من هذا الفعل ان الشرك لظلم عظيم وكذا الزنى وقتل النفس قلت اما استعمال لفظ الظلم في هذا المعنى ففي غاية الحسن لان المسجد موضوع لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك واضع للشيء في غير موضعه واما انه لا اظلم منه فلانه ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه الخصلة الشنعاء فلا اظلم منه وان كان يدعي الاسلام ففعله مناقض لقوله لان من اعتقد ان له معبودا عرف وجوب عبادته له عقلا وشرعا والعبادة تستدعي متعبدا لا محالة فتخريب المتعبد ينبئ عن انكار العبادة وانكار العبادة يستلزم انكار المعبود فهذا الشخص لا يكون في الحقيقة مسلما وانما هو منخرط في سلك اهل النفاق والمنافق كالمشرك اسوأ حالا من الكافر الاصلي بالاتفاق اولئك ما كان لهم اي ما ينبغي لهم ان يدخلوها في حال من الاحوال الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل هذه بشارة للمؤمنين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وانه يذل المشركين لهم حتى لا يدخلوا المسجد الحرام الا خائفين من ان يعاقبوا او يقتلوا ان لم يسلموا وقد انجز الله هذا الوعد فمنعهم من دخول المسجد الحرام ونادى فيهم عام حج ابو بكر الا لا يحجن بعد العام مشرك وامر النبي صلعم باخراج اليهود من جزيرة العرب وصار بيت المقدس في ايدي المسلمين وقيل يحرم عليهم دخول المسجد الا في مرتبة من الخوف نحو ان يدخلوا للمحاكمة او المخاصمة او المحاجة وقيل اللفظ خبر ولكن معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله فمن هنا قال مالك لا يجوز للكافر دخول المساجد وخصص الشافعي المنع بالمسجد الحرام لجلالة قدره ومزيد شرفه وللتصريح بذلك في قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وجوز ابو حنيفة دخول المساجد كلها لما روي انه صلعم قدم عليه وفد ثقيف فانزلهم المسجد واجيب بانه في اول الاسلام ثم نسخ بالآية خزي قيل بمنعهم من المساجد او بالجزية في اهل الذمة وبالسبي والقتل في حق اهل الحرب وقيل بذع لهم عن ثباتهم على الكفر وقيل الخزي فتح مدائنهم قسطنطينية وعمورية ورومية والعذاب العظيم يناسب الظلم العظيم ولنذكر هنا فوائد الاولى في بيان فضل المساجد من ذلك اضافتها الى الله في الآية وذلك يدل على شرفها وكذا في قوله وان المساجد لله بلام الاختصاص انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال صلعم احب البلاد الى الله مساجدها وابغض البلاد الى الله اسواقها وليس ذلك الا لان المسجد يذكر الحبيب والسوق يشغل عنه وفي الآية نكتة وهي ان مخرب المساجد لما كان في نهاية الظلم والكفر يلزم ان يكون عامر المساجد في غاية العدل والايمان الثانية في فضل المشي الى المساجد عن ابي هريرة انه صلعم قال من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فيه فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه احداها تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة وقال صلعم لبني سلمة حين ارادوا ان ينتقلوا الى قرب المسجد دياركم تكتب آثاركم الثالثة في تزيين المساجد عن ابن عباس ان النبي صلعم قال ما امرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى التشييد رفع البناء وتطويله والزخرفة التزيين والتمويه وامر عمر ببناء مسجد فقال اكن الناس من المطر واياك ان تحمر او تصفر فتفتن الناس الرابعة في تحية المسجد عن ابي قتادة انه صلعم قال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وتتأدى التحية بالفرض والنفل نواها او لا وهذا مذهب الحسن البصري ومكحول والشافعي واحمد واسحق وقيل يجلس ولا يصلي واليه ذهب ابن سيرين وعطاء بن ابي رباح والنخعي وقتادة ومالك والثوري واصحاب الرأي الخامسة في الدعاء عند الدخول في المسجد والخروج عنه روت فاطمة بنت رسول الله صلعم عن ابيها قالت كان رسول الله صلعم اذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك السادسة في فضيلة القعود فيه لانتظار الصلوة عن ابي هريرة انه صلعم قال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه فيقول اللهم اغفر له وارحمه ما لم يحدث السابعة في كراهية البيع والشرى فيه عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلعم نهى عن تناشد الاشعار في المساجد وعن البيع والشرى فيها وان يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلوة يعني لمذاكرة العلم ونحوه بل يشتغل بالذكر والصلوة والانصات بالخطبة ثم لا بأس بالاجتماع والتحلق بعد الصلوة واما طلب الضالة في المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فمكروه ايضا عن ابي هريرة انه قال سمعت رسول الله صلعم يقول من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا اداها الله اليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد كره بعض السلف المسألة في المسجد وكان بعضهم لا يرى ان يتصدق على السائل المتعرض



في المسجد قال معاذ بن جبل ان المساجد طهرت من خمس من ان يقام فيها الحدود او يقبض فيها الخراج او ينطق فيها بالاشعار او ينشد فيها الضالة او يتخذ
سوقا ولم ير بعضهم بالقضاء في المسجد باسا لان النبي صلعم لاعن بين العجلاني وامرأته في المسجد ولاعن عمر عند منبر النبي صلعم وقضى شريح والشعبي ويحيى
بن يعمر في المسجد وكان الحسن وزرارة بن ابي اوفى يقضيان في الرحبة خارجا من المسجد الثامنة في النوم في المسجد عن عباد بن تميم عن عمه انه رأى رسول الله صلعم مستلقيا
في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى وفيه دليل على جواز الاتكاء والاضطجاع وانواع الاستراحة في المسجد جوازها في البيت الا الانبطاح فانه صلعم نهى عنه وقال
انها ضجعة يبغضها الله التاسعة في كراهة البزاق في المسجد عن انس عن النبي صلعم قال البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعنه صلعم اذا قام احدكم
الى الصلوة فلا يبصق امامه فانه يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن شماله او تحت رجله فيدفنه العاشرة
عن جابر انه صلعم قال من اكل ثوما او بصلا فليعتزل مسجدنا وعنه صلعم من اكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى
منه الانس الحادية عشرة في بناء المساجد في الدور عن عائشة قالت امر رسول الله صلعم ببناء المساجد في الدور وان تنظف وتطيب وفيه دليل على جواز
تسمية الموضع بالمسجد لا يخرجه عن ملك صاحبه ما لم يسبله قوله عز من قائل وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ الاية الاكثرون على انها نزلت في امر يختص بالصلوة ومنهم من زعم
اما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه احدها ان المراد به تحويل المسلمين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب وجميع الامر
مملوكة له سبحانه ومخلوقة له فاينما امركم باستقباله فهو القبلة ليست قبلة لذاتها بل بجعل الله تعالى فكانت الاية مقدمة لما اراد من نسخ القبلة
وثانيها عن ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس انكر اليهود ذلك فنزلت ردا عليهم وثالثها قول ابي مسلم ان كلا من اليهود والنصارى
زعمت ان الجنة لهم وحدهم فرد الله عليهم وذلك ان اليهود انما استقبلوا بيت المقدس لاعتقادهم انه تعالى صعد الى السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا
المشرق لان عيسى ولد هناك اِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ اَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فكل منهما وصف معبوده بالحلول في الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق لا خالق
فكيف يخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين المخلوق والخالق ورابعها قول قتادة وابن زيد ان الله تعالى وصف بيت المقدس بالتخيير الى اي جهة شاء
بهذه الاية وكان للمسلمين ذلك الا ان النبي صلعم كان يختار التوجه الى بيت المقدس ثم انه تعالى نسخ ذلك التخيير بتعيين الكعبة وخامسها ان الاية في حق من
يشاهد الكعبة فله الاستقبال من اي جهة شاء وسادسها روى عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله صلعم في غزاة في ليلة سوداء مظلمة
فلم نعرف القبلة فجعل كل رجل منا مسجده حجارة موضوعة بين يديه ثم صلينا فلما اصبحنا اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله صلعم
فانزل الله هذه الاية عذرا لنا في خطائنا وهذا الحديث يدل على انهم قد نقلوا الى الكعبة لان القتال فرض بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وسابعها
عن ابن عمر نزلت في المسافر يصلي النوافل حيث توجهت به راحلته وكان صلعم اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعا يومي برأسه نحو المدينة فمعنى
الاية اَيْنَمَا تُوَلُّوا وجوهكم لنوافلكم في اسفاركم فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ اي فقد صادفتم رضاه اِنَّ اللّٰهَ وَاسِعٌ الفضل عَلِيمٌ بمصالحكم فمن ثم رخص لكم كيلا
يلزم ترك النوافل والتخلف عن الرفقة فان النوافل غير محصورة بخلاف الفرائض فانها محصورة فتكليف النزول عن الراحلة لاستقبال القبلة لا يفضي
فيها الى الحرج ولا يخفى ان الاية على الوجه الاول ناسخة وعلى الوجه الرابع منسوخة وعلى سائر الوجوه لا ناسخة ولا منسوخة واما الفرقة الثانية
فاختلفوا ايضا فقيل الخطاب في تولوا للمانعين والساعين بخرابها انهم اين هربوا فان سلطاني يلحقهم وتدبيري يسبقهم وعلمي محيط بمكانهم عن قتادة ان النبي صلعم
قال ان اخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه فقالوا انصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت وَاِنَّ مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ الاية فقالوا
انه كان لا يصلي الى القبلة فنزلت هذه الاية اي الجهات التي يصلي اليها اهل كل ملة لي فمن وجه نحو شيء منها يريد طاعة وجد ثوابي وكان في هذا
عذر للنجاشي واصحابه الذين ماتوا على استقبال المشرق كقوله وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِيعَ اِيمَانَكُمْ وعن الحسن ومجاهد والضحاك لما نزلت اُدْعُونِي اَسْتَجِبْ
لَكُمْ قالوا اين ندعوه فنزلت وعن علي بن عيسى انه خطاب للمسلمين اي لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من ارض الله فلله بلاد
المشرق والمغرب والجهات كلها ففي اي مكان فعلتم التولية التي امرتم بها بدليل قوله فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فولوا وجوهكم شطره فثم الجهة المامورة
المرضية وهذا كقوله صلعم جعلت لي الارض مسجدا وقيل نزلت في المجتهدين في الصلوة وفي غيرها وقيل المجتهد اذا راى بشرائط الاجتهاد رأيا فهو مصيب
ومعنى تولوا في جميع الوجوه تستقبلوا بوجوهكم اليها ويقال ولى الى فلان اي ادبر فالتولية من الاضداد ومن جعل الخطاب للمانعين احتمل ان يريد
بالتولية الادبار وثم اشارة الى المكان خاصة وقد تمسكت المجسمة من الاية بان لله تعالى وجها وانه سماه واسعا والسعة من نعوت الاجسام والجواب ان
الاية عليهم لا لهم فان الوجه لو حمل على مفهومه اللغوي لزم خلاف المعقول فانه ان كان محاذيا للمشرق استحال ان يكون محاذيا للمغرب فلا بد من تاويل هو ان
الاضافة للتشريف مثل بيت الله وناقة الله لانه خلقها واوجدها فاي وجه من وجوه العالم وجهاته المضافة اليه بالخلق والتكوين نصبه وعينه فهو
قبلة او المراد بالوجه القصد والنية مثل وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فثم مرضات الله مثل اِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّٰهِ فان المتقرب الى رضا
احد شيئا فشيئا كالمتوجه الى شخص ذاهبا اليه شيئا فشيئا او المراد كيف يكون له وجه وجهة ام كيف يكون جسما او جسمانيا وانه خالق الامكنة والاحياز
والجواهر والاعراض والخالق مقدم على المخلوق تقدما بالذات والعلية والشرف فالمراد بالسعة كمال الاستيلاء او القدرة او الملك وكثرة العطاء و
الرحمة والانعام وانه تعالى قادر على الاطلاق في توفية ثواب من يقوم بالمامورات على شرطها وتوفية عقاب من يتكاسل فيها عليم بمواقع نياتهم فيجازيهم
على حسب اعمالهم قوله وَقَالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا نوع اخر من قبائح فعال اليهود والنصارى والمشركين جميعا فقد ذكرهم في قوله كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ



لا يعلمون مثل قولهم وفي قوله ومن اظلم كما مر والضمير يصلح للعقلاء لهم فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب
قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض ملكا وملكا وخلقا ابداعا وصنعا ومن جملتهم الملائكة وعزير والمسيح والولد لابد
ان يكون من جنس الوالد ومن اين المناسبة بين واجب الوجود لذاته وممكن الوجود لذاته اللهم الا في مطلق الوجود وذلك لا يقتضي شركة في الحقيقة
الخاصة بكل منهما وقد يتخذ الولد للحاجة اليه في الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته وذلك على الغني المطلق والقيوم الحق محال كل له قانتون التنوين عوض
عن محذوف اي كل ما في السموات والارض والقنوت في الاصل الدوام ثم الطاعة او طول القيام او السكوت فالمعنى ان دوام الممكنات واستمرارها
جميعا به ولاجله وقيل عن مجاهد وابن عباس مطيعون فسئل ما للكفار فاجاب انهم يطيعون يوم القيمة فسئل هذا للمكلفين وقوله بل له ما في
ما في السموات يعم المكلف وغيره فعدل الى تفسير اخر فالمراد كونها شاهدة على وجود الخالق بما فيها من اثار القدرة وامارات الحدوث وكونها جميعا
في ملكه وتحت قهره لا يمتنع عن تصرفه فيها كيف يشاء وعلى هذا الوجه جمع السلامة في قانتون للتغليب او يراد كل من الملائكة وعزير والمسيح عابد
له مقرون بربوبيته منكرون لما اضافوا اليهم من الولدية وعلى هذا الوجه يجمع على الاصل يحكى ان علي بن ابي طالب ع قال لبعض النصارى لولا تمرد
عيسى عن عبادة الله تعالى لصرت على دينه فقال النصراني كيف يجوز ان ينسب ذلك الى عيسى مع جده في طاعة الله فقال علي ان كان عيسى الها فالاله
كيف يعبد غيره وانما العبد هو الذي يليق به العبادة فانقطع النصراني وبهت بديع خبر مبتدأ محذوف اي هو بديع السموات والارض عم اولا لان
الملكية والاختصاص لا يستلزم كون المالك موجدا للمملوك ثم خص ثانيا فقال بديع والابداع اختراع لا على مثال وهذا من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل بمعنى المبدع كالاليم بمعنى مولم وضعف ثم انه تعالى بين كيفية ابداعه فقال واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
اصل التركيب من ق ض ى يدل على القطع قضى القاضي لهذا اذا فصل الدعوى وانقضى الشيء انقطع وقضى حاجته قطعها عن المحتاج وقضى الامر
اتمه واحكمه لان تمام العمل قطع له وقضى دينه واداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه وضاق الشيء لانه كانه مقطوع الاطراف والامر الشان والفعل
ههنا ومعنى قضاء امرا اتمه او حكم بانه يفعله او احكمه قال الشاعر وعليهما مسرودتان قضاهما : داود او صنع السوابغ تبع : ثم من قرأ فيكون بالرفع على تقدير
فهو يكون فلا اشكال واما من قرأ بالنصب على انه جواب الامر فاورد عليه ان جواب الامر لابد ان يخالف الامر في الفعل وفي الفاعل او فيهما نحو اذهب
تنتفع او اذهب يذهب زيد او اذهب ينفعك زيد فاما ان يتفق الفعلان والفاعلان نحو اذهب تذهب فغير جائز لان الشيء لا يكون شرطا لنفسه
قلت لا استبعاد في هذا لان الغرض الذي يترتب على الامر قد يكون شيئا مغايرا للفعل المامور وذلك اكثري وقد يكون الغرض لا مجرد ذلك الفعل
ذلك الفعل فيوقع ذلك الفعل في جواب نفسه ليعلم ان الغرض منه ليس شيئا اخر مغايرا له فقول القائل اذهب يذهب فيذهب معناه اعلام
ان الغرض من الامر هو نفس صدور الذهاب عنه لا شيء اخر كان المقصود في الاية من الامر بالوجود هو نفس الوجود فاوقع كان التامة جوابا
لمثلها لهذا الغرض على انه يمكن ان يشبه الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن جوابا له من حيث المعنى فان قلت ان قوله فيكون لما كان من تتمة المقول
فالصواب ان يكون بتاء الخطاب نحو اذهب فتذهب قلت هذا الحادث قد ذكر مرتين بلفظ الغيبة في قوله امرا وفي قوله له ومرة على سبيل الخطاب
فغلب جانب الغيبة ويحتمل ان يكون من باب الالتفات تحقيرا لشانه في سهولة تكونه ولان اول الكلام مع المكلفين فروعي ذلك وههنا بحث اخر
وهو انه لا يجوز ان يتوقف ايجاد الله تعالى لشيء على صدور لفظة كن منه لوجوه الاول ان قوله كن اما ان يكون قديما او محدثا لا جائز ان يكون قديما
لان النون لكونه مسبوقا بالكاف يكون محدثا لا محالة والكاف لكونه متقدما على المحدث بزمان مقدر يكون محدثا ايضا ولان اذا للاستقبال
فالقضاء محدث وقوله كن مرتب عليه بفاء التعقيب المتاخر عن المحدث محدث ولان تكون الحادث مرتب على كونه كن بالفاء والمتقدم
على المحدث بزمان مخصوص محدث ايضا ولا جائز ان يكون كن محدثا والا احتاج الى مثله ويلزم اما الدور واما التسلسل واذا بطل القسمان
بطل توقف الاشياء على كن الثاني اما ان يخاطب المخلوق بكن قبل دخوله في الوجود وخطاب المعدوم سفه واما بعد دخوله في الوجود ولا فائدة فيه
الثالث المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة الرابع اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فان تمكن من الايجاد فلا حاجة
الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز القادر بالنظر الى ذاته او يرجع الحاصل الى تسمية القدرة بكن
ولا نزاع في اللفظ الخامس انا نعلم بالضرورة انه لا تاثير لهذه الكلمة اذا تكلمنا بها وكذا اذا تكلم بها غيرنا السادس المؤثر اما مجموع الكاف والنون
ولا وجود لهما مجموعين لعدم مجيء الثاني بمنقضى الاول واما احدهما وهذا خلاف المفروض فثبت بهذه الوجوه ان حمل الاية على الظاهر غير جائز فلابد
من تاويل واصحه ان يقال المراد ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف فشبه حال هذا
المكون بحال المامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يأبى وفيه تاكيد لاستبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة
كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقيل انه علامة وضعها الله تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا عن ابي الهذيل و
قيل انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة ومن يجري مجراهم من الامم وقيل امر للاحياء بالموت وللموتى بالحيوة وقال الذين لا يعلمون
يعني الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ايضا ونفي عنهم العلم لانهم لم يعملوا به فالاية الاولى فيها بيان قدحهم في التوحيد وهذه الاية فيها
بيان قدحهم في النبوة ولولا حرف تحضيض اي هلا يكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكيم اذا اراد تحصيل شيء اختار اقرب الطرق المؤدية الى المطلوب ثم



الله تعالى كما كلم الملائكة وكلم موسى وانت تقول يا محمد انه كلمك فاوحى الله الى عبده ما اوحى فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص على نبوتك حتى يتأكد الاعتقاد وتزول الشبهة فان لم يفعل ذلك فلم لا ياتي باية ومعجزة وهذا طعن منهم في كون القران اية ومعجزة فاجابهم الله تعالى بقوله كذلك قال الذين من قبلهم في التعنت كقولهم اتواصوا به فكان قوم موسى كانوا ابدا في التعنت واقتراح الاباطيل لن نصبر على طعام واحد ارنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم الهة فكذلك هؤلاء المشركون قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكذلك المعاصرون من اليهود والنصارى يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء قد بينا الايات لقوم يصدقون يوقنون فيوقنون انها ايات فلو كان غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفاء بها لكونها ايات ظاهرة هي القران العظيم الذي اخرس شقاشق الفصحاء عن اخرهم ومعجزات باهرة كمجئ الشجرة وحنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع خلق الكثير من الطعام القليل وايضا لو كان في معلوم الله تعالى انهم يؤمنون عند انزال ما اقترحوه لفعله لكنه علم لجاجهم وعنادهم فلا جرم لم يفعل ذلك وايضا لعل في تلك الايات مفاسد لا يعلمها الا علام الغيوب كافضائها الى حد الالجاء المخل للتكليف كانجائها استيصالهم بالكلية اذا استمروا على التكذيب ولخروجها عن القدر الصالح لالزام الحجة وايضا كثرة الايات وتعاقبها ينافي كونها خوارق العادة فلا يبقى ايات وكل ما ادى وجوده الى عدمه ففرض وجوده محال فثبت بهذه البيانات ان عدم اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح في صحة النبوة والله اعلم التاويل مساجد الله التي يذكر اسميها عند اهل النظر النفس والقلب والروح والسر والخفي وهو سر السر ولكل مسجد منها مناسب لذلك المسجد فذكر مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بترك الحسنات وملازمة السيئات وذكر مسجد القلب التوحيد والمعرفة ومنع الذكر فيه بالتمسك بالشبهات والتعلق بالشهوات كما اوحى الله الى داود يا داود حذر وانذر اصحابك كل الشهوات فان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها عني محجوبة وذكر مسجد الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ والمسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر فيه بالركون الى الكرامات والقربات وذكر مسجد الخفي بذل الوجود وترك الموجود ومنع الذكر فيه بالالتفات الى المشاهدات والمكاشفات اولئك ما كان لهم ان يدخلوها هذه المشاهد بقدم السلوك الا بخطوات الخوف من سوء الحساب والم العقاب لهم في الدنيا خزي من ذل الحجاب ولهم في الاخرة عذاب الحرمان من جوار الله ولله المشرق والمغرب القلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها ولله في مشرق كل قلب ومغربه شارق وطارق فطارق القلب من هواجس النفس بطريق ظلمات الهوى عند غلبات الهوى وغروب نجم الهدى وشارق القلب من واردات الروح بشرق بانوار الفتوح عند غلبات الشوق وطلوع قمر الشهود فيكون القبلة واضحة والدلالات لائحة فاذا تجلت شمس صفات الجلال اختفت نجوم صفات الجمال واذا استولى سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة طويت بايدي سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض ولا السماء ولا الضياء ولا الظلمة اذ ليس عند الله صباح ولا مساء وتلاشى العبد في كعبة العندية وبودي الفناء من عالم البقاء ورفعت القبلة وما بقي الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع يوسع قلب من يشاء من عباده ليسعه عليم بتوسيع القلب وسعته بلا كيف حيث قال لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن والله اعلم

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ۝ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ

بدرستیکه فرستادیم ترا براستی مژده دهنده و بیم کننده و پرسیده نشوی تو از یاران دوزخ و راضی نشوند هرگز از تو یهودان و نه ترسایان تا پیروی کنی ملت ایشانرا بگو بدرستیکه

هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

راه خدا است راه راست و هر آینه اگر پیروی کنی خواهش ایشانرا پس از آنکه آمد ترا از دانش نیست مر ترا از جانب خدا دوستی و نه یاوری آنانکه دادیم ایشانرا کتاب

يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

که میخوانند انرا سزاوار خواندنش آن گروه گرویده اند بان و آنکه کافر شد بان پس آن گروه ایشانند زیان کاران ای بنی اسرائیل یاد آورید نعمت مرا که عطا کردم بر شما

وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ

و آنکه من فزونی دادم بر جهانیان و بپرهیزید از روزیکه پاداش نباشد تنی بدل از تنی چیزی را و قبول کرده نشود از آن بدلی و سود نبخشد او را شفاعتی و نه ایشان

يُنْصَرُونَ

یاری کرده شوند

القراءة ولا تسئل على النهي نافع ويعقوب الباقون بضم التاء ورفع اللام على الخبر الوقوف ونذيرا لا للعطف اي بذيرا وغير مسئول الا لمن قرأ ولا تسئل على النهي لاختلاف الجملتين الجحيم ملتهم ط الهدى ط من العلم لا لان نفي الولاية والنصرة يتعلق بشرط اتباع اهوائهم فكان في الاطلاق خطر نصير تلاوته ط لان ما بعدها مبتدأ اخر مع خبره وعندي ان الاصوب عدم الوقف ليكون الجملة اعني يتلونه حالا من مفعول آتينا او من فاعله مقدرة وقوله اولئك يؤمنون به الجملة خبر الذين لان الاخبار عن اهل الكتاب مطلقا بانهم يتلونه حق تلاوته لا يصح اللهم الا ان يحمل الكتاب على القران كما يجيء يؤمنون به ط للابتداء بالشرط الخاسرون ه العالمين ه ينصرون ه التفسير لما بين غاية اصرارهم على العناد وتصميمهم على الكفر بعد نزول ما يكفي في باب الاقتداء والاهتداء من الايات البينات اراد ان يسلي رسوله صلى الله عليه وسلم لئلا يضيق صدره فقال انا ارسلناك يا محمد بالحق والصواب حسبما يقتضيه الحكمة وان لا يكون لك ان تجبرهم على الايمان بل يجاوز حالك عن ان تكون بشيرا لمن اتبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك بكل سوء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فانك غير مسئول عن اصحاب الجحيم وهو من اسماء النار وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا

الحجاب اما قراءة النهي فيروى انه قال ليت شعري ما فعل ابواى فنهى عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وفي هذه الرواية بعد لان سياق
الكلام ينبو عن ذلك ولانه مع علمه لاجمال بحال الكفار كيف يتمنى ذلك والاقرب ان معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من المحن كما اذا سئلت عمن
وقع في بلية فيقال لك لا تسئل عنه فكان المسئول يحرج ان يجرى على لسانه ما هو فيه لفظاعته او يرى انك لا تقدر على استماع خبره لانه يورث
الوحشة والضجر وقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على اسلامهم وان القوم قد بلغوا من التصميم على ما هم فيه الى حد لا يقنعون بالكفاف ولا يرضون
راسا براس بل يريدون منك عكس ما تطمع منهم زاعمين ان ملتهم التي يتخذونها هي الهدى قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق لمن يدعوه
هدى لانه ناسخ للاديان كلها ولئن اتبعت اهواءهم مشتهياتهم واراءهم الباطلة المنسوخة بعد الذي جاءك من العلم بان الهدى انه لوضوح البرهان
وسطوع ما لك من الله من عقابه وسخطه من ولي معين يعصمك ولا نصير يذب عنك وفي الاية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل حتى
لا يكون اتباع الهوى وفيها انه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة على العلم بالمامور به لقوله بعد ما جاءك من العلم فلان لا يجوز الوعيد الا بعد القدرة
على المامور به كان اولى فيبطل القول بتكليف ما لا يطاق وفيها ان الذي علم الله منه انه لا يفعل الشيء يجوز منه ان يتوعده على فعله ونظيره قوله لئن
اشركت ليحبطن عملك وانما يحسن هذا الوعيد لاحتمال ان الصارف له عن ذلك الفعل هو هذا الوعيد وهو احد صوارفه ولان فيه زجرا شديدا للامة
لانهم اذا علموا ان حال النبي صلى الله عليه وسلم لو فرض منه اتباع اهوائهم مع ما ورد في حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر لم يبق لهم طمع في الخلاص لو وجد
منهم ذلك الذين اتيناهم الكتاب قيل هم المؤمنون الذين اتاهم القرآن لان الكتاب الذي يمدح على تلاوته هو القرآن والاصح انه لما قدم
ذكر المعاندين من اهل الكتاب اراد ان يذكر مؤمنيهم ومعنى يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم او يتبعون
مقتضاه من غير تكاسل ومنع متمسكين باحكامه من حلال وحرام وغيرهما ويخضعون عند تلاوته ويخشعون او يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه
اولئك يؤمنون بكتابهم دون من ليس على حالهم ممن لا يتلوا الكتاب حق تلاوته كما يستحق ان يتلى ومن يكفر به من المحرفين ومن الواضعين
عن حقه فاولئك هم الخاسرون حيث لم ينتفعوا بما يحق ان ينتفع به بعينهم وروده فرجعوا منه بخفي حنين وفازوا بكلا حين يا بني اسرائيل
الايتان رجوع الى اول القصة تذكيرا للنعم بعد تعداد مواجب النعم ليتنبه منهم من وفق للتنبيه والله المستعان وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ

رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ وَإِذْ جَعَلْنَا

پروردگار او بسخنهائى چند پس تمام كرد انها را گفت كه من ميكردانم ترا از براى مردمان پيشوا گفت و از فرزندان مرا نيز گفت كه نرسد عهد مرا ستمكاران وچون كرديم

الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ

خانه كعبه را جايگاه از براى مردمان و ايمنى و فرا گيريد از مقام ابراهيم نمازگاهى و فرموديم ما با ابراهيم و اسمعيل كه پاك داريد خانه مرا از براى طواف كنندگان

وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ

و مقيم شوندگان و ركوع و سجود كنندگان وچون گفت ابراهيم كه اى پروردگار من بگردان اين بلد را شهرى ايمن و روزى كن اهل او را از ميوها هر كه بگرود از ايشان

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ القراءة ابراهام بالالف في البقرة

بخدا و روز واپسين فرمود خدا كه هر كه كافر شود پس بهره دهم او را اندكى پس ناچار كنم او را بسوى عذاب آتش و بد جايى بازگشتن والنساء الا قوله اتبع ملة

ابرهيم وفي الانعام ملة ابراهام وفي جميع براءة الا وقوم ابرهيم وفي ابرهيم واذ قال ابراهام وفي النحل ومريم والعنكبوت ولما جاءت رسلنا
ابراهام خاصة وفي عسق وجميع المفصل الا قوله في المودة الا قول ابرهيم وفي الاعلى صحف ابرهيم هشام وابن ذكوان وروى ابن مجاهد
في هذه السورة فقط اعلم ان ذكر ابرهيم في القرآن تسعة وستون موضعا منها ثلثة وثلثون ابراهام بالالف في قراءة ابن عامر عن ابن ذكوان
وستة وثلثون ابراهيم بالياء والعلة في ذلك اتباع مصحفهم فما كتب بالالف قرئ بالالف وما كتب بالياء قرئ بالياء والاختيار
عند الائمة ان يقرا ههنا بالالف لبيان المذهب والبواقي بالياء لانه احسن في اللفظ واشهر وبموافقة سائر الاسماء الاعجمية كاسرائيل
واسرافيل واسمعيل عهدي مرسلة الياء حمزة وحفص واذ جعلنا وبابه مدغمة الذال في الجيم ابو عمرو وهشام بيتي بالفتح ابو جعفر ونافع وحفص
وهشام واتخذوا بفتح الخاء نافع وابن عامر الباقون بالكسر فامتعه خفيفا ابن عامر الباقون بالتشديد الوقوف فاتمهن ط اماما ط ذريتي ط
الظالمين وامنا ط لمن قرأ واتخذوا بالكسر لاعتراض الامرين ماضيين مصلى ط كذلك من فتح الخاء لتنسق الافعال الثلثة فلا وقف السجود ه
اليوم الاخر ط عذاب النار ط لان نعم وبئس للمبالغة في المدح والذم فيبتدء بهما تنبيها على المدح والذم المصير التفسير انه تعالى لما استقصى في شرح
نعمه على بني اسرائيل والمشركين ومقابلتهم النعمة بالكفران والعناد شرع في نوع اخر من البيان وهو ذكر قصة ابرهيم عليه السلام لان كلهم معترفون بفضله
وانهم من اولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته وفي قصته امور توجب الاعتراف بدين محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لشرعه منها انه امر ببعض التكاليف ثم
وفي بها فنال منصب الاقتداء به فيعلم ان الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد والانقياد لحكم الله والتزام تكاليفه ومنها انه طلب الامامة لذريته
فقيل له لا ينال عهدي الظالمين فيعرفون ان طالب الخير يجب عليه ان يترك التعصب للمرء ووضع ما رفع الله لينال الامامة الدين ومنها ان القبلة لما
حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود وفا ريد ازالة غيظهم بان هذا البيت قبلة ابرهيم الذي عرفوا بتعظيمه الاقتداء به ومنها انه دعا بارسال

بنى من ذريته فهو محمد كما يجئ فيجب على من يعرف ابرهيم ان يعرف محمدا اما قوله واذ ابتلى فالعامل فى اذ اما مضمر نحو واذكر فتكون بمعنى الوقت فقط او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال انى جاعلك للناس اماما وعلى هذين التقديرين تكون ظرفا لكان او قال فموقع قال على الاول استيناف كانه قيل فما ذا قال له ربه حين اتم الكلمات فاجيب قال انى جاعلك وعلى الثانى جملة معطوفة على ما قبلها من الآيات ولا يخفى ان الاستيناف اصوب ليناسب سياق الجملتين الآتيتين لورودهما ايضا على طريقة السؤال المقدر والجواب ليكون على منهاج واذ جعلنا واذ قال ابرهيم واذ يرفع والابتلاء الاختبار والامتحان عبر عن تكليفه اياه بالبلوى تشبيها بالامر بامر المخلوقين وبناء على العرف بيننا فان كثيرا منا قد يامر ليعرف ما يكون من المامور ثم والا فكيف يجوز حقيقة الابتلاء عليه تعالى انه مع عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه هو كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك واعلم ان هشام بن الحكم ومن تابعه زعم انه تعالى كان فى الازل عالما بحقائق الاشياء وماهياتها فقط واما حدوث تلك الماهيات ودخولها فى الوجود فهو تعالى لا يعلمها الا عند وقوعها بدليل هذه الآية وامثالها المذكور فيها الابتلاء وكلمة لعل والجواب عنها ما مر وقد يستدل ايضا على مذهبه بوجوه معقولة منها انه تعالى لو كان عالما بالاشياء قبل وقوعها لزم نفى القدرة عن الخالق لان ما علم الله وقوعه استحال ان لا يقع وما علم انه لا يقع استحال ان يقع ولا قدرة على الواجب وعلى الممتنع بالاتفاق والجواب ان الوجوب بالغير وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه وانما المنافى للقدرة عليه كونه واجبا لذاته او ممتنعا لذاته ومنها انه لو كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية او كان لعلمه تعلقات غير متناهية فيلزم حصول موجودات غير متناهية دفعة واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء اريد من ذلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه وكذا الزائد نو تضعيف الاعداد التى لا نهاية لها وايضا المجموع عبر والزيادة والنقصان كلاهما من خواص المتناهى فاما الذى لا نهاية له ففرض هذه الاعراض فيه محال ومنها ان هذه المعلومات التى لا نهاية لها هل يعلم الله عددها مفصلا او لا يعلم فان علم عددها فهى متناهية وان لم يعلم فهو المطلوب والجواب الاختيار انه لا يعلم عددها ولا يلزم الجهل لان الجهل هو ان يكون لها عدد معين ثم ان الله لا يعلم عددها فاما اذا لم يكن لها عدد فى نفسها فلا جهل ومنها ان كل معلوم فهو متميز فى الذهن عما عداه وكل ما هو متميز عما عداه خارج عنه وكل ما خرج عنه غيره فهو متناه وكل معلوم متناه فما هو غير متناه استحال ان يكون معلوما والجواب انه ليس من شرط المعلوم تميزه من غيره عند العالم لان العلم بتميزه عن غيره موقوف على العلم بذلك الغير ويلزم منه ان لا يعلم الانسان شيئا الا اذا علم امورا لا نهاية لها والحق ان نور الانوار لا يتناهى وراءه الا يتناهى واحاطة غير المتناهى بغير المتناهى غير بعيد قد يتعلق علمنا بكثير من الاشياء قبل حصولها فاذا كان علمنا مع تناهى قوتنا ونور بيتنا هكذا فما ظنك بالعليم الخبير الذى هو نور النور ومدبر الامور وكل عسر عليه يسير ابرهيم بالنصب وربه بالرفع هو المشهور وهذه الصورة مما يجب فيه تاخير الفاعل وازالته عن مركزه الاصلى فانه لو قدم الفاعل وقد اتصل به ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا وعن ابن عباس وابى حنيفة رفع ابرهيم ونصب ربه فالمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه الله تعالى اليهن ام لا واختلف المفسرون فى ان ظاهر لفظ الترتيل هل يدل على تلك الكلمات ام لا فقال بعضهم اللفظ يدل عليها وهى الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والدعاء بابتعاث محمد فكل هذه تكاليف شاقة اما الامامة فلان المراد بها النبوة واعباؤها اكثر من ان يحصى ولهذا فان ثواب النبى اعظم من ثواب غيره واما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده فمن وقف على ما روى فى كيفية بنائه عرف شدة البلوى فيه ثم انه يتضمن اقامة المناسك وقد امتحن الله الخليل بالشيطان فى الموقف كرمى الجمار وغيره واما الاشتغال ببعث نبى آخر الزمان فيحتاج فيه الى الاخلاص وازالة الحسد عن القلب وذلك فى غاية الصعوبة واعترض على هذا القول بان المراد من الكلمات لو كان هذه لناسب ان يذكر قوله فاتمهن بعد تعداد الجميع واجيب بانه اخبر ابتلاءه بكلمات على الاجمال ثم اخبر انه اتمها ثم فصل تلك الامور وهذا ترتيب فى غاية الحسن اذ لو ذكر فاتمهن بعد هذا التفصيل لوقع متنابعا ولانقطع النظم القائلون بان ظاهر الآية لا دلالة فيه على الكلمات زعم بعضهم انها الكلمات التى تكلم بها ابرهيم مع قومه وقت تبليغ الرسالة وزعم بعضهم انها اوامره ونواهيه فعن ابن عباس هى عشر خصال كانت فريضة فى شرعه وهى عندنا سنة خمس فى الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس فى الجسد الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وقيل ابتلاه الله تعالى من شرائع الاسلام بثلثين سهما عشرة فى براءة التائبون العابدون الآية وعشرة فى الاحزاب المسلمين والمسلمات وعشرة فى المؤمنين وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل هى مناسك الحج كالطواف والسعى والرمى والاحرام والوقوف بعرفة وقيل ابتلاه بسبعة اشياء بالكوكب والقمر والشمس والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وابرهيم الذى وفى وقيل ما ذكره فى قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقيل المناظرات التى جرت بينه وبين ابيه ونمرود وقومه وقيل الصلوة والزكوة والصوم وقسم الغنائم والضيافة والصبر عليها وجملة القول ان الابتلاء يتناول الزام كل ما فيه كلفة واللفظ يتناول مجموع هذه الاشياء وكل منها الا ان الكلام فى الرواية ثم قيل ان هذا الابتلاء كان قبل النبوة لانه تعالى نبه على انه وفى بهن كان السبب لان جعله اماما وقيل انه بعد النبوة لانه لم يعلم كونه مكلفا بتلك الا من الوحى والحق ان هذا يختلف باختلاف تفسير التكاليف فمنها ما يعلم بالضرورة كونها قبل النبوة كحديث الكوكب والشمس والقمر ومنها ما ثبت انه كان بعد النبوة كذبح الولد والهجرة والنار وكذا الختان فانه يروى انه ختن نفسه وكان سنه مائة وعشرين ومنها ما هو بصدد الاحتمال فقد يمكن ان يكون الى معرفته سبيل سوى الوحى كمنام والهام والضمير فى اتمهن على القراءة المشهورة لابرهيم بمعنى فقام

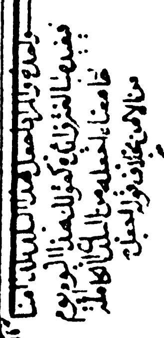
بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان وفي الاخرى لله تعالى اى فاعطا ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روى عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سئل ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا والامام اسم لمن يؤتم به فعال بمعنى مفعول كالازار لما يؤتزر به اى يأتمون بك في دينهم والاكثرون على ان الامام ههنا النبي لانه جعله اماما لكل الناس فلو لم يكن مستقلا بالشرع كان تابعا لرسول فيبطل العموم ولان اطلاق الامام يدل على انه امام في كل شيء والذي يكون كذلك لابد ان يكون نبيا ولان الله تعالى سماه بهذا الاسم في معرض الامتنان فينبغي ان يحمل على اجل مراتب الامامة كقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا الا على من هو دون من يستحق الاقتداء به في الدين كالخليفة والقاضي والفقيه وامام الصلوة ولقد انجز الله تعالى هذا الوعد فعظمه في عيون اهل الاديان كلها وقد اقتدى به من بعده من الانبياء في اصول مللهم ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وكفى به فضلا ان جميع امة محمد ص يقولون في صلوتهم اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم وال ابرهيم ثم القائلون بان الامام لا يصير اماما الا بالنص تمسكوا بهذه الاية وامثالها من نحو اني جاعل في الارض خليفة يا داود انا جعلناك خليفة ومنع بان الامام يراد به ههنا النبي سلمنا ان المراد به مطلق الامام لكن الاية تدل على ان النص طريق الامامة وذلك لا نزاع فيه انما النزاع في انه لا طريق للامامة سوى النص ولا دلالة في الاية على ذلك وفي الاية دليل على انه عم كان معصوما عن جميع الذنوب لانه لو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به في ذلك فيؤدي الى كون الفعل الواحد ممنوعا منه مندوبا اليه وذلك محال والذرية نسل الثقلين من ذرأ الله الخلق اى خلقهم الا ان العرب تركت همزها كما في البرية ويحتمل ان يكون منسوبا الى الذر صغار النمل والضم من تغيير النسب كالدهري في النسبة الى الدهر ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال سأكرمك فتقول وزيدا ولا يخفى ان من التبعيضية تدل على انه طلب الامامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم لا يليق بذلك لان ناسا غير محصورين لا يخلو من ظالم فيهم غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واسحق وقد حقق الله تعالى امله فجعل في اولاده واحفاده كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى والياس ثم محمد صلعم افضلهم واشرفهم ولانه لم يطلب الامامة الا للبعض فكان يكفي في الجواب نعم الا انه لم يكن صريحا في ان ذلك البعض من المؤمنين ام من الظالمين ولو قال ينال عهدي المؤمنين كان غاية ذلك خروج الظالمين بالمفهوم لا بالنص فلمكان التنصيص على اخراج الظالم قال لا ينال عهدي الظالمين والمراد بالعهد هو الامامة المطلوبة سميت عهدا لاشتمالها على كل عهد عهد به الله تعالى الى بني ادم اذ لا رياسة اعظم من ذلك كقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذا خرج الظالم تعين الصالح للامامة بطريق برهاني فان ذلك ان دعاء مستجاب النبي فكل نبي مجاب لانه لو لم يكن الصالح اماما لم يكن لاخراج الظالم وتخصيصه بالذكر معنى ويحتمل ان يقال انه اراد الامامة لاولاده المؤمنين لا محالة لعلمه بان الكفرة والظلمة لا تصلح لذلك فاجيب بما اجيب سعا فالطلبة بابلغ معنى واتمه كما اذا قيل لمن اشرف وصلا ابنك بشيء فيقول لا يرث مني اجنبي اى كل ما يبقى مني فهو لابني فكيف وصله بشيء ولا يرد ان يونس نال عهده مع انه ظالم سبحانك اني كنت من الظالمين لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى كما في حق ادم ربنا ظلمنا انفسنا لا على الكفر والفسوق وقد يستدل الامامية على ابطال امامة غير علي عم قالوا انهم كانوا مشركين قبل الاسلام بالاتفاق وكل مشرك ظالم ان الشرك لظلم عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد الامامة قالوا لا يقال انهم كانوا ظالمين حال كفرهم فبعده وان لا يبقى هذا الاسم لانا نقول الظالم من ثبت له الظلم وهذا المعنى صادق عليه دائما ولهذا يسمى النائم مؤمنا لانه ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا حال النوم وايضا المتكلم والماشي حقيقة في مفهوميهما مع ان اجزاء التكلم والمشي لا توجد دفعة فدل هذا على ان حصول المشتق منه ليس شرطا لكون الاسم المشتق حقيقة وعورض بانه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان مؤمن في الحال الا انه كان كافرا قبل بسنين متطاولة فانه لا يحنث وبان التائب عن المعصية لا يسمى عاصيا فكذا التائب عن الكفر وان قيل لعل هذا المانع شرعي هو تعظيم الصحابة والمانع عرفي فهذا القدر يكفينا على انا بينا ان المراد من الامامة في الاية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة وكذا الفاسق حال الفسوق لا يجوز عقد الامامة له باتفاق الجمهور من الفقهاء والمتكلمين فان كل عاص ظالم والعبرة بالعدالة الظاهرة فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا وباطنا ومما يدل على بطلان امامة الفاسق ان العهد في كتاب الله تعالى قد يستعمل بمعنى الامر الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان اى الم آمركم لكن المراد في الاية لا يمكن ان يكون ذلك فان اوامره تعالى لازمة للظالمين كما للمطيعين فثبت ان المراد كونهم غير مؤتمنين على اوامر الله وغير مقتدى بهم فيها قال عم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالفاسق لا ينبغي ان يكون حاكما ولا ينفذ احكامه اذا ولي الحكم ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا اخبر عن النبي عم ولا فتياه اذا افتى ولا يقدم للصلوة وان كان بحيث لو اقتدى به لم تفسد صلوته قال ابوبكر الرازي ومن الناس من يظن ان مذهب ابي حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما وخليفة ولا يجوز كون الفاسق قاضيا وهذا خطأ عظيم انه قال القاضي اذا كان عدلا في نفسه وتولى القضاء من امام جائر فان احكامه نافذة والصلوة خلفه جائزة لان الذي ولاه بمنزلة سائر اعوانه وليس من شرط اعوان القاضي ان يكونوا عدولا الا ترى ان اهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا اعوانا له على من امتنع من قبول احكامه كان قضاؤه نافذا وان لم يكن له ولاية من جهة امام ولا سلطان قال وكيف يجوز ان يدعى ذلك على ابي حنيفة وقد اكرهه ابن هبيرة في ايام بني امية على قضائه وضربه فامتنع من ذلك فحبس فلج ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم اسواطا فلما خيف عليه قال الفقهاء

ابن رشيا من عمله اى شئ كان حتى يزول عنك الضرب فقولى لسعد احمال اللبن الذى يدخل عليه فخلاه ثم دعاه المنصور الى مثل ذلك حتى علم اللبن الذى
الذى كان يضرب لسوق المدينة وذلك انه كان يقول فى المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد ارادونى على عد آجره لما فعلت وتصنيفه فى زيد بن على
مشهورة وحمله المال الكثير وفتياه الناس سرا فى وجوب نصرته والقتال معه وكذلك امره مع محمد وابرهيم ابنى عبدالله بن الحسن وفى الاية انذار بليغ وتخويف
شديد عن وخامة عاقبة الظلم وقبح موقعه فانه يحط اولا عن رتبة النبوة لا ينال عهدى الظالمين وثانيا عن درجة الولاية الا لعنة الله على الظالمين وثالثا
عن رتبة السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعا عن نظر الخلائق جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وخامسا
عن حظ نفسه وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولله در القائل شعر لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا ؛ فالظلم آخره يأتيك بالندم ؛ نامت عيونك
والمظلوم منتبه ؛ يدعو عليك وعين الله لم تنم ؛ ولآخر شعر مرتع ظلم الورى وخيم ؛ يا صاحب الكبر والجبروت ؛ لا تظلم الناس واخش نارا ؛ وقودها
الناس والحجارة ؛ ايحسب الظالم فى ظلمه ؛ اهمله القادر ام امهلا ؛ ما اهملوا بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ؛ اتلعب بالدعاء وتزدريه ؛
وما يدريك ما صنع الدعاء ؛ سهام الليل لا تخطى ولكن ؛ لها امد وللامد انقضاء واعلم ان عهد الله الذى اخذ على عباده هو بالحقيقة عهد العبودية
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذى التزمه لعباده هو عهد الربوبية ربكم ورب آبائكم الاولين ثم انه تعالى لا يزال يلاحظك بنظر
الربوبية فيربيك ويربيك بعد نعمة الوجود ويعطيك نعم الصحة والمكنة والعافية والسلامة والايمان والامان والاخوان والاخدان وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وانك لا تنفك عن تقصير ونسيان وجهل وعدوان وايذاء لملائكة الله وعبيده وارضاء لحزب الشيطان وجنوده فيا ايها المغرور ما هذا
التقصير فان الى الله المصير وما للظالمين من نصير قوله واذ جعلنا البيت تفسيره تكليف نحو البيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسماء
التى كانت فى الاصل للجنس ثم كثر استعمالها فى واحد من ذلك الجنس لخصلة مختصة به من بين سائر الافراد حتى صار علما له ولا بد ان يكون وقت استعماله
لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد ليفيد الاختصاص به ويسمى العلم الاتفاقى وانما لزمت اللام فى مثله لانه لم يصر علما الا مع اللام فصار
كبعض حروفه الا انه تعالى لم يرد بالبيت نفس الكعبة فقط بل جميع الحرم لان حكم الامن يشمل الكل وصح هذا الاطلاق لان الحرمة نشأت بسبب الكعبة
نفسها ومثله قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح فى الكعبة ولا فى المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والمراد
والله اعلم منعهم من الحج وحضور مواضع النسك ويحتمل ان يكون المراد جعلنا البيت سببا للامن وعلى هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلى الاول
يكون معناه امنا موضع امن كقوله حرما امنا والمثابة المباءة والمرجع قيل ان مثابا ومثابة لغتان مثل مقام ومقامة وقيل التاء للمبالغة
كعلامة عن الحسن اى يثوبون اليه كل عام وعن ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه احد الا وهو يتمنى العود اليه وذلك لدعاء ابرهيم فاجعل افئدة
من الناس تهوى اليهم وقيل مثابة اى يحجون فيثابون عليه وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على ان فعل العبد مخلوق لله او بان الله
القى تعظيمه فى القلوب ليصير ذلك داعيا لهم الى العود اليه مرة بعد اخرى وذلك لمنافع دينية ودنيوية قال صلى الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته
امه وقال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ثم ان قطان الخائفين يجتمعون هناك للتجارات وضروب المكاسب فيعظم
فيه النفع لمن اراد ولا شك ان قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا خبر فتارة يترك على ظاهره ويقول انه خبر بان يكون حرما امنا يجبى اليه
ثمرات كل شئ لا ان يكون اخبارا عن عدم وقوع القتل فيه اصلا فان الموجود بخلافه فقد يقع فيه قتل الحرام وكذا المباح قال تعالى ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وتارة تصرفه عن ظاهره وتقول انه امر بان يجعلوا ذلك الموضع امنا من الغارة و
القتل قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلى وانما احلت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت فذهب الشافعى الى ان المعنى انها لم تحل
لاحد ان ينصب الحرب عليها ان ذلك حل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاما من دخل البيت من الذين وجب عليهم الحدود فقال الشافعى ان الامام يأمر بالتضييق
عليه بما يؤدى الى خروجه فاذا خرج اقيم عليه الحد فى الحل فان لم يخرج جاز قتله فيه وكذلك من قاتل فى الحرم جاز قتاله فيه وعند ابى حنيفة لا يستوفى قصاص
النفس فى الحرم الا ان يبتدئ القتل فيه ولكن يضيق الامر عليه لا يكلم ولا يطعم ولا يعامل حتى يخرج فيقتل وسلم انه يستوفى منه قصاص الطرف وعند احمد
لا يستوفى من الملتجى واحد من القصاصين ولو التجأ الى المسجد الحرام قال الامام او مسجد آخر يخرج منه ويقتل لان تاخيره يسير وفيه صيانة المسجد تعجيل
الحقوق واتخذوا بفتح الخاء معطوف على جعلنا اى اتخذ الناس من مكان ابرهيم الذى وسم به لاهتمامه باسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها او
على هذا المراد بالمصلى القبلة واما من قرأ بالكسر فعلى الامر فعلى ارادة القول اى وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه استحبابا لا وجوبا وفى
مقام ابرهيم اقوال فعن الحسن وقتادة والربيع بن انس انه لما جاء ابرهيم من الشام الى مكة قالت له امرأة اسمعيل انزل حتى نغسل راسك فلم ينزل لانه كان
شرطت عليه ان لا ينزل غيرة على هاجر فجاءته بحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى
غسلت الشق الآخر فبقى اثر قدميه عليه وعن ابن عباس ان ابرهيم كان يبنى البيت واسمعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان وضعف ابرهيم
عن رفع الحجارة قام على حجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه الحجر الذى قام عليه ابرهيم عند الاذان بالحج قال القفال ويحتمل ان يكون ابرهيم قام على
هذا الحجر فى هذه الامور كلها وعن مجاهد مقام ابرهيم الحرم كله فعلى هذا يراد بالمصلى المدعى من الصلوة بمعنى الدعاء وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة ومزدلفة
والجمار لانه قام فى هذه المواضع ودعا بها والقول بان مقام ابرهيم الحجر الذى فيه اثر قدميه اولى لان هذا الاسم فى العرف مختص بذلك الموضع بعرفه المكى



وغيره وكان الحجر صار تحت قدميه في رطوبة الطين حتى غاص فيه رجله وذلك من اظهر الدلائل على صنع الله تعالى واعجاز ابراهيم وكان اشد اختصاصا فالملا
مقام ابراهيم عليه ولما روي عن النبي انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين
وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ومن هذه تجريدية على نحو رايت منك اسدا ووهب الله لي منك وليا مشفقا ففيه بيان المتخذ والمرئي و
الموهوب بتميزه في ذلك المعنى عن غيره ولا ريب ان للصلوة به فضلا على غيره من حيث التيمن والتبرك بموطئ قدم ابراهيم وركعتا الطواف خلف المقام
ثم في الحجر ثم في المسجد اي مسجد كان حيث شاء متى شاء ليلا ونهارا سنة عند الشافعي في اصح قوليه بعد الفراغ من الطواف لقوله للاعرابي حين قال
هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع وفي قوله الاخر فرض لظاهر قوله واتخذوا والامر للوجوب والرواية عن ابي حنيفة انها مختلفة وعهدنا المراد بالعهد هنا
اي الزمناهما ذلك وامرناهما امرا وثقنا عليهما فيه ان طهرا ان كانت مخففة فالتقدير بان طهرا وان كانت مفسرة فمعناه اي طهرا والمراد التطهير
من كل امر لا يليق بالبيت اما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت وحواليه مصلى واما من الشرك وعظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص
كل هذه اما ان لا يكون موجودة هناك اصلا والمراد قراه على طهارته كقوله ولهم فيها ازواج مطهرة فمعلوم انهن لم يطهرن بل خلقن طاهرات واما
ان يكون موجودة فامرا بازالتها وقيل عرفا الناس ان بنيا طهراه لهم متى حجوه للطائفين الى اخره العطف يقتضي مغايرة فالطائف من يقصد البيت
حاجا او معتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم هناك ويجاور ويعتكف والركع السجود جمع راكع وساجد اي من يصلي هناك وعن عطا اذا كان طائفا
فهو من الطائفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين كما قال
للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي ولعل الوجه الاول لئلا يكون الركع السجود
كلاهما فقط بمعنى المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ثم اذا فسرنا الطائفين بالغرباء دلت الاية على ان الطواف للغرباء افضل من الصلوة ولانه تعالى قدمهم
بذلك قد روي عن ابن عباس ومجاهد وعطا ان الطواف لاهل الامصار افضل والصلوة لاهل مكة افضل وفي اطلاق الاية دليل على جواز الصلوة
في البيت فرضا كانت او نفلا خلافا لاحمد ومالك في الفريضة فلا قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل الى
جزء من اجزائه واجيب بان التوجه الى جزئه كاف لان المتوجه الواحد لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد وبان الفرق بين الفرض والنفل لا ع قوله
تعالى واذ قال ابراهيم قيل في الاية تقديم وتاخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا امنا لا يمكن الا بعد دخول البلد في الوجود فقوله واذ يرفع وان كان متاخرا
في التلاوة فهو متقدم من حيث المعنى قلت في ترتيب القصة فوائد منها انه اجمل القصة في قوله واذ ابتلى الى فاتمهن ثم فسر في التفسير قدم الاهم فالاهم
ولا ريب ان ذكر جعل ابراهيم اماما اولى بالتقديم لعموم نفعه للخلائق ولتقدمه في الوجود ايضا ثم ذكر جعل البيت مثابة للناس وامنا لانه المقصود من عمارة
البيت ثم حكاية عمارة البيت وقد حصل في ضمن رعاية الاهم فوائد اخر منها انه لما كان مبنى القصة على الاجمال والتفسير وقع كل من اجزائها ايضا كذلك
فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا مجمل ثم فسر ذلك بانه جعله ذا امن كان بسبب دعاء ابراهيم وذكر البناء اولا وقع مجملا ثم فسر بانه كيف بني
ومنها انه وقع ختم الكلام بادعية ابراهيم ووقع ختم الادعية بذكر خاتم النبيين هذا ترتيب لا يتصور احسن منه ولعل ما فاتنا من اسرار هذا الترتيب
اكثر مما احصينا هذا بلدا امنا ذا امن مثل عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم وانما قيل ههنا بلدا امنا على التنكير وفي سورة ابراهيم هذا البلد
امنا اما لان هذا الدعاء صدر منه قبل جعل المكان بلدا فكانه قال اجعل هذا الوادي بلدا امنا وذلك الدعاء صدر وقد جعل بلدا فكانه قال اجعل
هذا المكان الذي صيرته بلدا بلدا ذا امن واما لان الدعوتين هذا البلد امنا ففيه طلب الامن بنفسه قيل سئل الامن من القحط لانه اسكن اهله بواد غير
ذي زرع ولا ضرع وقيل من الخسف والمسخ وقيل من القتل كيلا يكون سؤال الرزق بعده تكرارا واجيب بان التوسعة في الرزق مغايرة لطلب ازالة
القحط ثم انه تعالى استجاب دعاءه فجعله امنا من الافات فلم يصل اليه جبار الا قصمه الله كما فعل باصحاب الفيل قيل اليس ان الحجاج حارب ابن الزبير وخرب الكعبة
وقصد اهلها بكل سوء واجيب بانه لم يكن مقصوده تخريب الكعبة نفسها وانما كان غرضه شيئا اخر من الثمرات من للابتداء لا للتبعيض بدليل قوله يجبى اليه
ثمرات كل شيء وانما سئل ابراهيم الامن وان يجلب اليه الثمرات وان كان يتعلق بالدنيا لان البلد اذا كان امنا ذا خصب تفرغ اهله لطاعة الله تعالى ويكون
سببا لاجتماع الناس ووفودهم اليه من كل فج زائرين وعاكفين وطلب الدنيا لاجل الدين من سنن الصالحين نعم المال الصالح للرجل الصالح
واختلف في ان مكة هل كانت امنة محرمة قبل دعوة ابراهيم او انما صار ذلك مؤكدا بدعائه فقيل نعم لما روي عن النبي ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض ولقوله عند بيتك المحرم وقيل انما صار حرما امنا بدعوته وقبلها كانت كسائر البلاد بدليل قوله اني حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة و
قيل بالجمع بينهما وذلك انه كان ممنوعا قبله تعالى بما في النفوس من التعظيم ثم صار امنا على السنة الرسل ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين
من اهله خاصة كانه قاس الرزق على الامامة حيث منع هناك بين المؤمن والكافر فقيل لا ينال عهدي الظالمين فعرف الفرق بينهما فقيل ومن كفر عطفا
على من امن كانه قيل ومن ذريتي وهو مبتدأ متضمن معنى الشرط جوابه فامتعه وذلك ان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي فيؤدي عن الله
امره ونهيه ولا ماخذ في الدين او متهم ولا سطوة جبار وظالم وابعد الناس عن النصيحة الظالم ولهذا قيل من استرعى الذئب فقد ظلم واما الرزق
فلا يقبح ايصاله الى المؤمن والكافر والصالح والفاجر لعموم الرحمة ولانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة عليه انه متاع قليل في مدة يسيرة فيما بين الازل





والابد

والابد فليلا اى متاعا او تمتيعا قليلا او زمانا قليلا فنعمة المؤمنين في العاجل موصولة بنعيمهم في الاجل ونعمة الكافر منقطعة عنه بعد الموت وفي الزايل لا يجدي بطائل افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ومعنى الاضطرار ان يفعل به ما يلجئه الى النار كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وسيق الذين كفروا الى جهنم او ان يصير الفاعل بالتخويف والتهديد الى ان يفعل ذلك الفعل اختيارا كالمضطر الى اكل الميتة مثلا وبئس المصير ذلك الذي صار اليه وذلك الاضطرار فحذف المخصوص للعلم به والمصير اما مصدر بمعنى الصيرورة يقال صرت الى فلان مصيرا واما موضع وكلاهما شاذ والقياس مصار مثل معاش وكلاهما مستعمل والله اعلم

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(ترجمه: و چون برافراشت ابراهیم بناها را از خانه کعبه و اسمعیل گفتند ای پروردگار ما قبول کن از ما بدرستیکه تویی شنونده دانا پروردگارا و بگردان ما را منقاد خود و از اولاد ما گروهی منقاد از برای تو و بنمای بما جایهای عبادت ما و سهل کن بر ما بدرستیکه تویی سهل کننده مهربان پروردگارا برانگیز در میان ایشان پیغمبری از خود ایشان که بخواند بر ایشان آیات ترا و بیاموزد کتاب و حکمت را بایشان و پاکیزه کند ایشان را بدرستیکه تویی غالب و مصلحت‌دان و کیست که روگرداند از ملت ابراهیم بجز کسی که بیخرد باشد نفس خود و بتحقیقکه برگزیدیم او را در دنیا و او است در آخرت هر آینه از نیکوان چون گفت مر او را پروردگار او که تسلیم کن گفت تسلیم کردم از برای پروردگار عالمیان و وصیت کرد ابراهیم فرزندان خود را و یعقوب که ای فرزندان ما خدا برگزید از برای شما دین را پس نمیرید مگر در حالتی که تسلیم کنندگان باشید آیا بودید حاضران چون در رسید یعقوب را مرگ چون گفت مر فرزندان خود را که چه میپرستید پس از من گفتند که میپرستیم معبود ترا و معبود پدران تو ابراهیم و اسمعیل و اسحق معبودی یگانه و ما او را تسلیم کنندگان این گروهیند که از پیش گذشت که مر ایشان راست آنچه کرده‌اند و شما راست آنچه کردید و پرسیده نشوید از آنچه که ایشان میکردند)

القراءة ارنا وبابها ساكنة الراء ابن كثير و دكين و قياسا على كبد فخذا ذ تسكن فيقال فخذ و قرأ ابو عمرو بالاختلاس طلبا للخفة وهذا من الاجحاف ويعلمهم بالاختلاس عباس و كذلك كل فعل مستقبل مجموع حيث وقع و روي عن ابن عباس يكلمنا و تعدنا و كل كلمة تضمنت جمعين من الاسماء بالاختلاس مثل في اعينكم واسلحتكم وامتعتكم واوصى مثل الا بصار ابو جعفر و نافع وابن عامر الباقون وصى بالتشديد شهداء اذ عاصم و حمزة و علي و خلف و ابن عامر الباقون شهداء اذ و كذلك ما اشبهه كل القرآن الوقوف واسمعيل ط لاضمار القول اي يقولان ومحل نصب على الحال مما طال الابتداء بان ولجواز الوصل وجه لطيف على تقدير فانك او لانك العليم مسلمة لك ص لعطف المتفقين علينا ط و قد ذكر الرحيم و يزكيهم ط الحكيم نفسه ط للفصل بين الاستفهام والاخبار في الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين اسلم ط لان قوله قال عامل اذ والاجاب يقال فقال ولا انقطع النظم العالمين و يعقوب ط لارادة القول على الاصح ومن وصل جعل الوصية في معنى القول مسلمون ط لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار الموت لا لان اذ بدل اذ الاولى او اذ الاولى ظرف شهداء و اذ الثانية ظرف حضر ومن قطعها عن الاول فوقف على الموت جعل قالوا عاملا ولم يقف على بعدي فله وجه لا يتضح لان الانكار متوجه على قولهم ان يعقوب وصى بنيه باليهودية لا على ان يعقوب قد مات من بعدي ط واحد ج لعطف الجملتين المختلفتين والوصل اجوز على جعل الواو حالا مسلمون قد خلت ج لان ما بعدها تصلح صفة للامة وتصلح استئنافا وهو واضح لعطف ولكم ما كسبتم عليها ولكم ما كسبتم ج لعطف الجملتين المختلفتين يعملون

التفسير عن وهب بن منبه قال ان آدم لما اهبط الى الارض استوحش منها لما رأى من سعتها و لانه لم ير فيها احدا غيره فقال يا رب ما لارضك عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيري فقال الله اني ساجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكري وسابوئك منها بيتا اختاره لنفسي واخصه بكرامتي واثره على بيوت الارض كلها باسمي واسميه بيتي انطقه بعظمتي واحوطه بحرمتي واصعه في البقعة التي اخترت لنفسي فاني اخترت مكانه يوم خلقت السموات والارض جعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وامنا احرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتي فقد عظم حرمتي ومن احله فقد اباح حرمتي ومن امن اهله استوجب بذلك اماني ومن اخافهم فقد جفاني ومن عظم شانه فقد عظم في عيني ومن تهاون به فقد صغر في عيني سكانها جيراني وعمارها وفدي وزوارها اضيافي اجعله اول بيت وضع للناس واعمره باهل السماء والارض ياتونه افواجا شعثا غبرا على كل ضامر ياتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجا ويثجون بالتلبية ثجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني وضافني ووفد علي ونزل بي فحق علي ان اتحفه بكرامتي وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وزواره وان يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا ادم ما كنت حيا ثم تعمره من بعدك الامم في القرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد نبي حتى ينتهي ذلك الى نبي من ولدك يقال له محمد وهو خاتم النبيين فاجعله من عماره وسكانه وحماته وولاته يكون امينا عليه ما دام حيا فاذا انقلب الي وجدني قد ذخرت له من اجره ما يتمكن به من القربة الي والوسيلة عندي واجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره ومجده وسناه ومكرمته لنبي من ولدك يكون قبل هذا النبي وهو ابوه يقال له ابراهيم ارفع به قواعده واقضي على يديه عمارته واعلمه مشاعره ومناسكه واجعله امة وحده قانتا قائما بامري داعيا الى سبيلي اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم ابتليه فيصبر واعافيه فيشكر وآمره فيفعل وينذر لي فيفي واستجيب دعاه



في ولده وذريته من بعده واشفعه فيهم واجعلهم اهل ذلك البيت وحماته وسقاته وخدمه وخزانه وحجابه حتى يبدلوا ويغيروا واجعل ابرهيم امام ذلك
البيت واهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق الجن والانس وروى ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من
زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه اليه ادم من ارض الهند ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة
فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبرئيل مكانه وعن علي البيت المعمور في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في
السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يعودون فيه ابدا وعن عبد الله بن عمر ان النبي ص قال الركن والمقام ياقوتتان
من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاءا ما بين المشرق والمغرب وما مسهما ذو عاهة ولا سقيم الا شفي وعن ابن عباس انه كان اشد بياضا من الثلج
حتى سودته خطايا اهل الشرك واما قصة اسمعيل ع وامه فعن ابي هريرة ان رسول الله ص قال لم يكذب ابرهيم ع قط الا ثلث كذبات ثنتين في ذات الله قوله
اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شان سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت احسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك
امرأتي يغلبني عليك فان سألك فاخبريه انك اختي فانك اختي في الاسلام فاني لا اعلم في الارض مسلما غيري وغيرك فلما دخل ارضه راها بعض اهل الجبار فاتاه
فقال لقد قدم ارضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها فاتي بها وقام ابرهيم الى الصلوة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت
يده قبضة شديدة فقال لها ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت يده اشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فعاد
فقبضت يده اشد من القبضتين الاولتين فقال ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال له انك انما جئتني
بشيطان ولم تأتني بانسان فاخرجها من ارضي واعطها هاجر قال فاقبلت تمشي فلما راها ابرهيم انصرف فقال لها مهيم فقالت خيرا كف الله يد الفاجر واخدم خادما
قال ابو هريرة فتلك امكم يا بني ماء السماء قلت وذلك لما ملكها سارة ابرهيم فولدت له اسمعيل ابا العرب ثم تمت القصة بعد ان غارت سارة على هاجر
حيث لم يكن لسارة من ابرهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد ولادة هاجر اسمعيل باربع عشر سنة فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اول ما اتخذت النساء
المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابرهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق
زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابرهيم منطلقا فتبعته ام
اسمعيل فقالت يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك
بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابرهيم ع حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع
يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء
ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا
فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها
ونظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي ص فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا
فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال
بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي ص يرحم الله
ام اسمعيل لو لم تغرف من الماء لكان زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه
هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى
مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي
وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا فارسلوا الى اهاليهم فنزلوا معهم حتى
اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل
فجاء ابرهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن
بشر نحن في ضيق وشدة وشكت قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه انس شيئا فقال هل جاءكم من احد
قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته وسألني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرأ عليك
السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابرهيم ما شاء الله ثم اتاهم بعد فلم
يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل قال
فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسألني
عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم يقرأ عليك السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة
امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا ما يصنع الوالد ثم قال

يا اسمعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا ههنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك
رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل ياتي بالحجارة وابرهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله
الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وعن علي ع انه مر عليه الدهر بعد بناء ابرهيم فانهدم فبنته العمالقة ومر عليه الدهر فانهدم
فبناه قريش ورسول الله صلعم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا يحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة فكان
رسول الله صلعم اول من خرج عليهم فقضى بينهم ان يجعلوا الحجر في مرط ثم يرفعه جميع القبائل فرفعوه فاخذه رسول الله صلعم فوضعه واعلم ان للبيت اربعة
اركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقا بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر ان السيل هدمه قبل مبعث رسول الله صلعم بعشر
سنين فاعادت قريش عمارته على الهيئة التي هي عليها اليوم ولم يجدوا من النذور والهدايا والاموال الطيبة ما يفي بالنفقة فتركوا من جانب الحجر
بعض البيت وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابرهيم ع وضيقوا عرض الجدار من الاسود الى الشامي الذي يليه فبقي من الاساس شبه الدكان مرتفعا
وهو الذي يسمى الشاذروان وروي انه صلعم قال لعائشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابرهيم فالصقته
بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه ايام ولايته وبناه على قواعد ابرهيم ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه واعاده الى الصورة
التي هو عليها اليوم وهي بناء قريش ولنعد الى المقصود فنقول يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه
وهي صفة غالبة معناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويجوز ان يكون
المراد بها ساقات البناء لان كل ساق قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه فيرتفع كل منها بسبب وضع الاخر عليه ورفع القواعد صريح فيما ذهب اليه
الاكثرون من ان القواعد كانت موجودة وان ابرهيم عمرها ورفعها كما مر في الاحاديث وانما لم يقل قواعد البيت ليكون الكلام مبنيا على تبيين
بعد ابهام ففيه تفخيم لشان المبين ثم ان الله تع حكى عنهما ثلثة انواع من الدعاء في تلك الحالة الاول قولهما تقبل منا وقبول الله عمل العبد عبارة
عن كون العمل بحيث يرضاه الله تع او يثيب عليه والاول ادخل عند العارفين من الثاني شبه الفعل من العبد بالهدية واثابة الله تع عليه ورضاه
بالقبول وقيل ان بين القبول والتقبل فرقا فان التقبل عبارة عن تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق ان يقبل فاختير التقبل
هضما وتواضعا واستقصارا وقد يستدل بهذا على ان الفعل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتب الثواب عليه والا لم يكن في طلبه فائدة ويحتمل ان
يقال الطلب متوجه الى جعله من جملة الاعمال المقرونة بالاخلاص فيكون طلب القبول عبارة عن ذلك ويؤكده قولهما انك انت السميع يعني سماع اجابة العليم
بنياتنا النوع الثاني ربنا واجعلنا مسلمين لك فان اريد بالاسلام الدين والاعتقاد توجه الطلب الى الثبات والدوام اي ثبتنا على ذلك و
الا كان تحصيل الحاصل بالنسبة اليهما وقتئذ وان اريد الاستسلام والخضوع والاذعان الكلي والرضا بكل ما قدر وامر فتوجه الطلب الى هذه
الامور انفسها غير مفيد لانها امور خارجة عن الضبط لا تتيسر الا بمجرد تيسير الله وتوفيقه بخلاف اصل الاسلام الذي وقع به التكليف فانه مضبوط
وقد يظن ان للعبد اختيارا فيه وان كان اختياره على تقدير ثبوته ينتهي الى مسبب الاسباب قوله واجعلنا اما معطوف على تقبل وقوله انك انت
السميع العليم ربنا اعتراض للتاكيد واما معطوف على محذوف اي ربنا افعل هذا واجعلنا ومن ذريتنا من للتبعيض كما في قوله ومن ذريتي ولانه
الجماعة من الناس وقيل اراد امة محمد صلعم مسلمة يحتمل ههنا اصل الاسلام والزيادة عليه ايضا وقيل اسلم مطلقا يفيد الايمان والاعتقاد ومعك
باللام معناه الاستسلام والانقياد الكلي طلب الاسلام لهم بعد ما طلب لهم الامامة اظهارا للشفقة فالشفيق بسوء الظن مولع ويحتمل ان يكون هذا
الدعاء مبينا لما اجمل هناك فيكونان واحدا وتخصيص الذرية بالدعاء من بين الخلائق لانهم احق بالنصيحة والله قوا انفسكم واهليكم نارا
ولانهم ائمة بصلاحهم يصلح غيرهم وفي سدادهم يكون سداد من وراءهم ولقد استجاب الله دعاءه فلم يزل في ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا
ولم يزل الرسل من ذرية ابرهيم وقد كان في الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ويقال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلعم
على دين الحق قائلين بالابداء والاعادة والثواب والعقاب يوحدون الله ولا ياكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان وارنا ان كان منقولا عن
رؤية العلم فمعناه علمنا شرائع حجنا كيف هي اذ امرتنا ببناء البيت لنحجه وندعو الناس الى حجه وان كان منقولا من رؤية البصر فهو ظاهر ولا
ولذلك لم يتجاوز مفعولين ظاهر ان المعنى بصرنا متعبداتنا في الحج قال الحسن ان جبرئيل ارى ابرهيم المناسك كلها حتى بلغ عرفات فقال
يا ابرهيم اعرفت ما اريتك من المناسك قال نعم فسميت عرفات فلما كان يوم النحر اراد ان يزور البيت عرض له ابليس فسد عليه الطريق
فامره جبرئيل ان يرميه بسبع حصيات ففعل فذهب الشيطان ثم عرض له في اليوم الثاني والثالث والرابع كل ذلك يامره جبرئيل برمي الحصيات
وقيل المراد العلم والرؤية معا لان الحج لا يتم الا بامور بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم الغرض منه الا بالرؤية فوجب حمل اللفظ على الامرين جميعا
وليس ببعيد فان اللفظ المشترك يصلح اطلاقه على معنييه معا وكذلك مدلولا الحقيقة والمجاز يصح ارادتهما معا من لفظ واحد كما
عن النكاح غاية ما في الباب ان يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس من يحمل المناسك على المذابح فقد يسمى الذبح النسك
وليس لهذا التخصيص وجه لان الذبح انما يسمى نسكا لدخوله تحت اصل معنى النسك وهو التعبد فتحمل المناسك على جميع اعمال
عني مناسككم لا القاكم بعد عامي هذا بل لا يبعد ان يحمل على جميع ما شرع الله لابرهيم اي علمنا كيف نعبدك ومتى واين نعبد



اليك حتى تجدد ملك بذلك خلعة العبد لمولاه وتب علينا التوبة عنهما محو لتعلمهما عسى ان يكون فرطهما من الصغائر عند من يجوزها على الانبياء
على ترك الاولى ونحو ذلك عند غيرهم ويمكن ان يكون التوبة منهما تصويرا لانفسهما بصورة النادم العازم على التحرز تشددا في الانصراف عما لا يليق
بهما قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة ايضا لعلهما استتابا للذرية لعلمهما بان فيهم ظالمين لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين
وذلك لغاية شفقتهما عليهم وباقي مباحث التوبة قد مر في قصة آدم فلنذكر النوع الثالث ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وفيه امران الاول ان
يبعث في تلك الامة رسولا ليبين لهم الشرع القويم ويهديهم الصراط المستقيم والثاني ان يكون ذلك الرسول منهم لا من غيرهم لان الرسول والمرسل
اليهم اذا كانوا جميعا من ذرية كان رتبته اجل ولانه اذا كان منهم عرفوا منهم مولده ومنشاه فيقرب الامر عليهم في معرفة صدقه وامانته ولانه
اذا كان منهم كان احرص عليهم واشفق من اجنبي لو ارسل اليهم واما الرسول فهو محمد صلى الله عليه وسلم باجماع المفسرين وهو حجة ولقوله تعالى في موضع آخر لقد
من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
ولقوله صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي اما الدعوة فهذه واما البشارة فقوله تعالى في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد واما الرؤيا فما رات امه وهي حامل انه خرج منها نور اضاء ما بين الخافقين وههنا نكتة وهي ان الخليل لما دعا للحبيب بقوله ربنا وابعث
فيهم رسولا فلا جرم قضى الله تعالى حق الخليل بان اجرى ذكره على السنة امته الى يوم القيمة يقولون في صلواتهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على ابرهيم وآل ابرهيم ولهذا الذكر مناسبات اخر منها ان الخليل دعا لنفسه بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي ابق لي ثناء حسنا في امة
محمد فاجابه الله تعالى وقرن ذكره بذكر حبيبه ومنها ان ابرهيم ابو الملة ملة ابيكم ابرهيم ومحمد ابو الرحمة بالمؤمنين رؤف رحيم النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم انما انا لكم مثل الوالد لولده يعني في الرأفة والرحمة فلما ثبت لكل منهما الابوة قرن بين ذكرهما في الصلوة ومنها ان ابرهيم منادي الشريعة
واذن في الناس بالحج ومحمد منادي الدين سمعنا مناديا ينادي للايمان ومنها انه كان اول الانبياء بعد الطوفان ومحمد خاتم الانبياء ورسول
آخر الزمان ومنها ان الخليل تبرأ عن سائر الاديان اني بريء مما تشركون والحبيب تنزه عن جميع الاكوان ما زاغ البصر وما طغى ثم ان ابرهيم عليه السلام
ذكر لذلك الرسول صفات اولها يتلو عليهم آياتك فهو الفرقان المتلو عليهم وجميع ما بلغه من دلائل التوحيد وغيره او تبليغ القرآن ومثله
معه وثانيها ويعلمهم الكتاب معانيه وحقائقه وذلك ان التلاوة وان كان مطلوبة لبقاء لفظها على السنة اهل التواتر فيبقى مصونا من
التحريف ولان لفظه ونظمه معجز وفي تلاوته نوع عبادة ولا سيما في الصلوات الا ان الحكمة العظمى والمقصود الاسنى تعليم ما فيه من الدلائل والاحكام
وثالثها قوله والحكمة ويعلمهم الكتاب والحكمة اي ويعلمهم الحكمة قيل هي الاصابة في القول والعمل جميعا فلا يسمى حكيما الا وقد اجتمع فيه الامران فيضع
كل شيء موضعه ولهذا عبر عنها بعض الحكماء بانها التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية ويناسبه قوله صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله وعن ابن وهب قلت
لمالك ما الحكمة قال معرفة الدين والفقه فيه والاتباع له وعن قتادة واليه ذهب الشافعي هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ذكر تلاوة الكتاب ثم تعليمه ثم
عطف عليه الحكمة فيكون شيئا خارجا عنهما وليس ذلك الا سنة الرسول فان الدلائل العقلية الدالة على التوحيد والنبوة وما يتلوهما مستقلة
بالفهم فحمل اللفظ على ما لا يستفاد الا من الشرع اولى وقيل هي الفصل بين الحق والباطل من الحكم وقيل المراد بالكتاب الآيات المحكمات وبالحكمة المتشابهات
وقيل هي ما في احكام الكتاب من المصالح ورابعها ويزكيهم لان الارشاد يتم بامرين التحلية والتخلية فكما يجب على المعلم التنبيه على نعوت الكمال ليتحلى المتعلم
بها يجب عليه التحذير عن سمات النقصان ليحترز عنها وذلك بنحو ما يفعله النبي صلى الله عليه وسلم سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ
والتذكير والتشبث بامور الدنيا ليتقووا بها دواعيهم الى الايمان والعمل الصالح ولذلك مدح بانه على خلق عظيم وانه اوتي مكارم الاخلاق وقيل
يزكيهم يطهرهم عن الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وقيل يشهد لهم بانهم عدول يوم القيمة ويكون الرسول
عليكم شهيدا وعن ابن عباس التزكية هي الطاعة لله والاخلاص انك انت العزيز القادر الذي لا يغلب الحكيم العالم الذي لا يفعل الا على وفق الصلاح
واذا كان كذلك صح منه اجابة الدعاء وبعثة الرسل وانزال الكتب ومن يرغب الاستفهام فيه لتقرير النفي اي لا يرغب احد يقال رغب عن الامر
اذا كرهه ورغب فيه اذا اراده ومحل من يرغب الرفع على البدل من الضمير في يرغب وذلك انه غير موجب مثل هل جاءك احد الا زيد وسفه اما متعد
بمعنى سفه نفسه امتهنها واستخفها واصل السفه الخفة وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمط الناس لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في
اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة وعن الحسن الا من جهل نفسه فلم يفكر فيها فيستدل بما يجده فيها من آثار الصنع على وحدانية
الله تعالى ويترقى الى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابي عبيدة اهلك نفسه واوبقها وقيل اضل نفسه واما لازم فمعناه سفه في نفسه فحذف الجار نحو زيد ظني مقيم
اي في ظني وقيل نصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وهذا عند الكوفيين فان التمييز عندهم يجوز ان يكون معرفة وفيه توبيخ لليهود والنصارى
ومشركي العرب وتعجيب من ضلالهم فان اعظم مفاخرهم وفضائلهم الانتماء الى ابرهيم ثم انهم لا يؤمنون بالرسول الذي هو دعوته ومطلوبه بالتضرع
والاخلاص فان قيل ملة ابرهيم عين ملة محمد في الاصول والفروع او هما متحدتان في الاصول كالتوحيد والنبوة واصول مكارم الاخلاق ولكنهما
مختلفتان في فروع الاعمال ولا سبيل الى الاول والا لم يكن شرع محمد ناسخا لسائر الشرائع ولا الى الثاني لانه يلزم ان يكون محمد ايضا راغبا عن
ملة ابرهيم ولان الاعتراف بالاصول لا يقتضي الاعتراف بنبوة محمد قلنا المختار اتحاد الملتين في الاصول فقط لكن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاصول

النبي مهدها ابرهيم عم والمراد بملة ابرهيم في الاصول التي لا يختلف بها لا عصا وكراد هو فلا يلزم ان يكون محمد صلعم تابعا لغيره بل لانه مامور باتباعها ثم اوحينا اليك ان اتبع
ملة ابرهيم حنيفا روي ان عبدالله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال في التورية اني باعث من ولد
اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ثم انه تعم لما سفه من رغب
عن ملة ابرهيم بين السبب في ذلك فقال ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه للرسالة من دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد والعدل
والامامة الباقية الى قيام الساعة حتى نال منزلة الخلة وانه في الاخرة لمن الصالحين فيلزمه ما يلزمهم من الكرامة وحسن الثواب فليتحقق كل ذي
لب الراغب عن سيرة من هو فائز بسعادة الدارين لا راي لهم والله الموفق ثم بين سبب الاصطفاء فاعمل اصطفينا في قال اي اخترناه في ذلك
الوقت ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة
مثله واذ قال له ربه من باب الالتفات ولولاه لكان حقه ان يقال اذ قلنا له والاكثرون على انه تعم قال له ذلك قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك
عند استدلاله بالكواكب والقمر والشمس واطلاعه على امارة الحدوث فيها فلما عرف ربه قال له اسلم فانه لا يجوز ان يقول له قبل ان عرف ربه ويحتمل
ان يكون ذلك قبل الاستدلال ولا يكون المراد منه نفس القول بل دلالة الدليل عليه كقولهم نطق الحال قال تعم ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فجعل دلالة البرهان كلاما ويحتمل ان يكون هذا بعد النبوة والمراد استقامته على الاسلام وثباته عليه كقوله
فاستقم كما امرت والمقصود الانقياد لاوامر الله تعم والمسارعة الى تلقيها بالقبول وترك الاعراض بالقلب واللسان وقيل الايمان صفة القلب
والاسلام صفة الجوارح وان ابرهيم كان عارفا بالله تعم بقلبه فكلفه الله تعم بعد ذلك بعمل الجوارح وفي تخصيص لفظ الرب بهذا الموضع بل
باكثر قصص ابرهيم اشارة الى ان طريق عرفانه النظر في المربوبات فلا جرم وصل الى الرب وطريق عرفان محمد صلعم عكس ذلك الترتيب فلا جرم قيل له امر الله
فاعلم انه لا اله الا الله والاول طريق حسن سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق لكن الطريق الثاني احسن اولم يكف بربك انه على
كل شيء شهيد ومن ههنا يعرف كلمة محمد صلعم شعر واني وان كنت الاخير زمانه لات بما لم يستطعه الاوائل فالف ابرهيم دلالة على استقامة سيرته
وميم محمد دليل على انه مكمل الاوضاع وبه ابتداء الامر حيث انتهى فتمت دائرة النبوة وحصلت الخاتمة وكان الف ابرهيم دليل على وجود الاستقامة
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فالف ابليس دليل عدم الاستقامة الا ابليس ابى واستكبر والوجود خير والعدم شر تحصل من خلاء
الخير مع لام الابتداء واذ ابتلى ابرهيم ربه تركيب الخلة واتخذ الله ابرهيم خليلا ومن شين الشرع دال الدوام على الكفر كان من الكافرين
اسم الشدة وللكافرين عذاب شديد ثم ان الخلة ماخوذة من التخلل بين الشيئين ومنه الخلال فلا جرم كان ابرهيم عم واسطة في الطريقة
ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا والمحبة ماخوذة من الحبة وهو خالص كل شيء وداخله ومنه حبة القلب فلا جرم كان محمد صلعم خاتم النبيين وحبيب
رب العالمين وزبدة الكائنات وغاية الحركات لولاك لما خلقت الافلاك اول الفكر اخر العمل اول ما خلق الله تعم نوري انا اول من ينشق عنه
قبر ادم ومن دونه تحت لوائي انا سيد المرسلين ولا فخر محمد صلعم ابو الحقيقة وان كان ابرهيم عم ابا الطريقة والحقيقة لكونها مقصودة بالذات
اقوى من الطريقة لا جرم وقع الصلوة على ابرهيم في الصلوة تبعا للصلوة على محمد اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وان الصلوة
لا تصح بدون الصلوة على محمد بخلاف الصلوة على غيره ولنعد الى ما كنا فيه ووصى التوصية من جملة الامور المستحسنة التي حكاها الله تعم عن ابرهيم
اوصيته بكذا ووصيته بمعنى واصله من وصيت الشيء بكذا بالتخفيف اذا وصلته اليه وارض واصية متصلة النبات فالموصي يصل القربة الحاصلة له
بعد الموت الى القربات الحاصلة له في الحيوة ويحمل الموصى على هذا الوصل بسبب الوصية والضمير في بها قيل يعود الى الكلمة او الجملة وهي اسلمت
لرب العالمين ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقيل الاولى ان يرجع الى الملة
لانها مذكورة صريحا في قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم ولان الوصية بالملة جامعة لجميع اسباب الفلاح بخلاف الوصية بالشهادة وحدها
اللهم الا ان يحمل الاسلام على الانقياد الكلي وفي الاية دقائق معتبرة في قبول الدين منها انه لم يقل وامرهما لان الوصية عند امارات الموت وعند
ذلك يكون الاهتمام بالامور اشد منها انه خص بنيه بذلك في اخر عمره مع انه كان يدعو كل الناس الى الدين فدل على انه لا شيء عنده اهم من
ذلك ومنها التعميم لجميع الابناء وانه لم يقيد الوصية بزمان ومكان ولم يخلطها بشيء اخر ثم لهما مهم ان يموتوا غير مسلمين وكل هذه دلائل شدة
الاهتمام بالمامور وهو المشهود له بالفضل وحسن السيرة فيجب قبول قوله لكل عاقل وكذلك وصى بها يعقوب بنيه وقرئ يعقوب بالنصب
فمعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب قائلا كل منهما يا بني اصله يا بنون فاضيف الى ياء المتكلم فسقطت النون وصار الواو ياء لاجل
النصب فادغم الياء في الياء ان الله اصطفى لكم الدين استخلصه واختاره لكم بان اقام عليه الدلائل الواضحة ودعاكم اليه منعكم من غيره ووفقكم
للاخذ به فلا تموتن فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام نحو لا تصل الا وانت خاشع لانهاه عن نفس الصلوة ولكن عن ترك
الخشوع في صلوته والنكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلاة ومثله قوله عم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه في قوة
قول لجار المسجد لا تصل الا في المسجد فكانه موتهم لا على حال الاسلام موت لا خير فيه لانه ليس بموت السعداء ومن حق هذا الموت ان لا يحل
فيهم ام كنتم شهداء يحتمل ان يكون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار لمجرد الحضور عنده فاتره والخطاب للمومنين اي ما كنتم حاضرين حين

فيه بيان معنى الاصطفاء

بيان رسوخ

قاعدة نحوية

احضر يعقوب وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي ولا اهل الكتاب المعاصرين كانه قيل لهم كيف تزعمون ان ما انتم عليه دين الرسل ولم تشهدوا وقضايا
الانبياء ولو شهدتم ذلك وسمعتم قولهم لبنيهم لظهر لكم حرصهم على ملة الاسلام والدين الحنيفي فرغبتم في دين محمد ويحتمل كون ام متصلة
على ان يقدر قبلها محذوف معناه اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت قيل اي انكم من بني اسرائيل كانوا
مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد ودين الاسلام فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وفيه نظر لان ام المعادلة لاحد الامرين كائن
فيهما فقط فان كان الحضور ثابتا لم تكن الدعوى ثابتة لكنها ثابتة ولهذا توجه الانكار عليها فالوجه ان يقال المراد الحضور غير ثابت لتطاول الزمان
فاذن دعوتهم يهودية الانبياء دعوى بلا دليل فلا تسمع على انه نص على بطلانها بقوله اذ قال لبنيه الى اخره ويتجه على هذا التقدير ان تكون ام منقطعة
كانه استفهم اولا على سبيل الانكار اي لم تدعون ثم استانف استفهاما ثانيا للتقرير لنفي اي ما كنتم شهداء او لتقرير الاثبات على ان اوائلهم
قد شهدوا فيكون مؤكدا لذلك الانكار ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام لاولي العلم وغيرهم ومن مختص باولي العلم ولهذا قال العلماء
من لما يعقل ومن خصص ما بغير اولي العقل قال المراد السؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب وروي ان يعقوب لما دخل مصر
رأى اهلها يعبدون الاوثان والنيران فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم هذا القول تحريضا لهم على التمسك بعبادة الله لا انهم كانوا
يعبدون غير الله لان مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد تنافي ذلك ولان المشهور من امر الاسباط انهم كانوا قوما صالحين ابرهيم واسمعيل
واسحق عطف بيان لآبائك قدم اسمعيل لانه اسن وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد
هو الاخوة قال عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وايضا اطلق اسم الاب على ابرهيم وهو جده فعند الشافعي وزيد
انه مجاز ولهذا قال الاخوة والاخوات للاب والام لا يسقطون بالجد البتة وهذا مذهب مالك وابو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود
وقال ابو حنيفة انه حقيقة وانهم يسقطون بالجد وهو قول ابي بكر وابن عباس وعائشة والحسن وطاوس وعطا ثم التعليمية قالوا لا طريق لنا الى معرفة
الله تعالى الا بتعليم الرسول والامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذي دل العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذي انت تعبده وآباؤك يعبدونه فدل
على ان طريق المعرفة هو التعليم واجيب بمنع دلالة الاية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال الا انهم اختصروا الكلام فتركوا شرح صفات
الله وبيان ذلك وايضا انه اقرب الى سكون نفس يعقوب فكانهم قالوا لسنا نجري الا على مثل طريقتك من اليقين بالله والاخلاص له في عبادته
ايضا لعل مرادهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك ووجود آبائك كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الها واحدا بدل من اله آبائك
مثل بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص والمدح ونحن له مسلمون مذعنون او مخلصون التوحيد ومحله النصب على الحال من فاعل
نعبد او من مفعوله لرجوع الضمير في له اليه ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وجملة معترضة مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي
ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون خلت مضت وانقرضت والغرض انه لم يبق منهم اثر سوى ما عملوا ولهذا قيل لها ما كسبت اي ثوابه يريد اني
اقتصصت عليكم اخبارهم وما كانوا عليه من الدعوة الى الاسلام فليس لكم نفع في سيرتهم دون ان تفعلوا ما فعلوه فان انتم فعلتم ذلك
فزتم كما فازوا وان ابيتم خسرتم انتم دونهم ولا تسألون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم وفيه تكذيب لليهود
حيث قالوا انهم يعذبون اياما معدودة لكفر آبائهم باتخاذ العجل وفي الاية وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الاباء قال صلى الله عليه وسلم يا صفية
عمة محمد يا فاطمة بنت محمد ائتوني يوم القيامة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ثم الاية تدل
ان للعبد كسبا ولكن الائمة اختلفوا في تفسيره فالاشعري على انه لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره اصلا لانه لو كان موجدا لافعاله لكان
عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك ولما وقع الا ما اراده العبد وليس كذلك بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى لكن الشيء الذي
حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق الله تعالى فاذا خلقه فيه استحال من العبد
ان لا يتصف به واذا لم يخلقه فيه استحال ان يتصف به فاي معنى لكون العبد قادرا عليه وايضا الذي هو مكتسب العبد اما ان يكون واقعا بقدرة
الله فلا اثر للعبد فلا يكون مكتسبا له وان وقع بالقدرتين معا فلا يكون قدرة الله تعالى مستقلة والمفروض بالخلاف فبقي ان يكون بقدرة
وعن القاضي ان ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى ثم يحصل لذلك الفعل صفة طاعة او صفة معصية فهذه الصفة تقع بقدرة العبد وضعف
بان المحرم من الجلوس في الدار المغصوبة ليس الا شغل تلك الاحياز فهذا الشغل ان حصل بفعل الله تعالى فعين المنهي عنه قد خلقه الله فيه وهذا
تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ان ذات الفعل تقع بالقدرتين وزيف بان
قدرة الله مستقلة بالتاثير ومنهم من زعم ان القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى انه سبحانه هو الذي
وضع الاسباب المؤدية الى دخول هذه الافعال في الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع فعله هو القدرة والداعية القائمتان
به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول الفلاسفة وزعم جمهور المعتزلة ان القدرة مع الداعي لا يوجب الفعل بل العبد قادر
على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل وان شاء ترك وهذا هو الفعل والكسب فهذا تقرير المذاهب وقول الاشعري اقرب الى الادب وقول
امام الحرمين اقرب الى التحقيق لان نسبة الاثر الى المؤثر القريب لا ينافي كون ذلك المؤثر مستندا الى اثر اخر بعيد ثم الى ابعد الى ان ينتهي الى مسبب الاسباب



وفاعل الكل ومبدأ المبادي والبك الاختيار بعقلك دون هواك التأويل من قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه البلاء للولاء كاللهب للذهب فاصدقهم ولاء اشدهم بلاء وابتلى الخليل بكلمات هي احكام النبوة الخصال العشر في جسده ولوازم الرسالة الصبر عند صدمات المكروهات وفقدان المألوفات وموجبات الخلة التبري عما سوى الخليل اني بريء مما تشركون وعداوة غير الخليل فانهم عدو لي الا رب العالمين ورفع الوسائط حيث قال له جبرئيل في الهواء هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا والتسليم اسلمت لرب العالمين والرضاء بما امر به من ذبح الولد فلما اسلما وتله للجبين بخلاف ما قال نوح ان ابني من اهلي فلا جرم زيد له في الاصطفاء وشرف بكرامة الامامة والاقتداء به وفي واذ جعلنا البيت بيت القلب كما جاء ان الله تعالى اوحى الى داود فرغ لي بيتا اسكن فيه فقال وكيف يا رب فقال فرغ لي قلبك اي جعلنا القلب الانساني مثابة للناس يرجعون اليه بالطلب وزواري كما يرجعون الى الكعبة في الصورة وما منا السالك من تصرفات الشيطان ومكائده حين بلغ منزل القلب لان القلب خزانة الحق محروسة من دخول الشيطان وانما جولان لص الشيطان في ميادين الصدور كقوله يوسوس في صدور الناس واتخذوا عند الوصول الى كعبة القلب من مقام ابراهيم وهو الخلة قبلة توجهكم ليكون قصدكم الى الله لا الى غيره كما قال ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل في الميثاق ان طهرا القلب من ادناس تعلقات الكونين واوضار ملاحظة الاغيار للطائفين وهي واردات الاحوال والعاكفين وهي الملكات والمقامات والركع السجود وهي صفات القلب المطهرة من الارادة والصدق والاخلاص والتواضع والخوف والرجاء والتسليم والرضاء والتوكل وجملة هذه الصفات العبودية واذ قال ابراهيم الاية لما اهبط ادم الروح الى الارض الجسد فقد ما كان يجد من روائح الطاف الحق في جنة حظيرة القدس استوحش فانزل الله تعالى ياقوتة القلب من جنة حظيرة القدس له بابان شرقي الى حظيرة رب العالمين تطلع منها شوارق الالطاف وباب غربي الى عالم الجسد فيه قناديل العقل وانزل حجر الذرة المخاطبة بخطاب الست بربكم منورا بنور جواب بلى قد القم كتاب العهد يوم الميثاق وهو يمين الله في ارضه فلما كان طوفان افات الصفات البشرية من الطفولية الى البلوغ وفار تنور الشهوات رفع بيت معمور القلب الى السماء الرابعة يعني حجب ستار خواص العناصر الاربع واخفي حجر الذرة في ابي قبيس صفات النفس فلما امر ابراهيم الروح بعد البلوغ ببناء بيت القلب وعمارته من خمس جبل اركان الاسلام وقد اهتدى الى موضع بيت القلب بدلالة السكينة هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين فجعل اسمعيل النفس المطمئنة يجيء باحجار اعمال الشريعة من جبال اركان الاسلام ويناولها ابراهيم الروح وهو يبني الى ان بلغ موضع الحجر فنودي من ابي قبيس الهوى ان لك عندي وديعة فخذها فخلص حجر الذرة من استار صفات النفس والهوى فوضعه مكانه وكان ابيض فلما مسته حيض اللذات الدنيوية ومشركوا الشهوات النفسانية في جاهلية الطفولية اسود فلما فرغا من رفع قواعد بيت القلب سألا ربهما الاستسلام لاحكامه الظاهرة الشرعية والباطنة التي جف القلم بها في الازل وكذا الذرية بهما المتولدات من الصفات الروحانية والنفسانية وان يبعث فيهم رسولا منهم لا من الخارج فمن لم يكن له في القلب سول وارد من الحق وهو السر لم يسمع كلام الرسول الخارجي ثم ان ابراهيم الروح يوصي المتولدة من القلب وصفات النفس وصفاتها والقوى البشرية والحواس الخمس والاعضاء والجوارح كلها ملة وفي الايات اشارة الى انه تعالى اذا تجلى لروح عبد مخلص متضرع اليه محب ظهر اثار انوار التجلية على قلبه وسره ونفسه وقوله وحواسه وجميع اعضائه ويخضعون له بكليتهم فيعبدون الها احدا لا منفرقا من الهوى والدنيا والاخرة والله الموفق وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين

وگفتند مخالفان که یهود شوید یا ترسا تا راه هدایت یابید بگو که متابعت کنیم ملت ابراهیم را که ستوده است و نبوده است از مشرکان

قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا

بگویید که گرویدیم بخدا و آنچه که فرستاده شد بما و آنچه که فرستاده شد بابراهیم و اسمعیل و اسحق و یعقوب و اسباط و آنچه که بموسی رسید و انچه رسید بعیسی و آنچه فرستاده شد بپیغمبران از پروردگار ایشان جدا نمیکنیم در میان هیچ یک از ایشان و ما مر او را تسلیم کنندگانیم پس اگر گرویدند بآنچه گرویدید شما بدین پس راه یافته اند

وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون

واگر روگردانیدند پس بدرستیکه ایشان در خصومت اند پس زود است که کفایت کند اضرار ایشان را خدا و اوست شنوای دانا خوش رنگ است رنگ دین خدا و کیست بهتر از خدا در رنگ دین و ما مر او را پرستندگانیم

قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون

بگو که آیا خصومت میکنید با ما درباره خدا و حال آنکه اوست پروردگار ما و پروردگار شما و از برای ماست کردار ما و از برای شماست کردار شما و ما مر او را مخلصانیم یا آنکه میگویید که ابراهیم و اسمعیل و اسحق و یعقوب و سبطها بودند یهودان یا ترسایان بگو که آیا شما بهتر میدانید یا خدا و کیست ستمکارتر از آنکه مخفی داشت گواهی را که نزد خودش از خدا و نیست خدا بی خبر از آنچه شما میکنید

تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون القراءة ام تقولون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر والحماد والمفضل الباقون بياء الغيبة الوقوف تهتدوا ط المشركين من ربهم لطول الكلام والاستيناف والاصح انه حال اي امنا غير مفرقين منهم

آن گروهی است که گذشتند مر ایشان راست آنچه کسب کردند و مر شما راست آنچه کسب کردید و پرسیده نشوید از آنچه ایشان میکردند



لاحتمال الابتداء والحال وجه مسلمون اهتدوا ج لابتداء الشرط اخر مع العطف شقاق ج للابتداء بسبق الوعيد مع دخول الفاء فسيكفيكهم الله ج
لاحتمال الواو والابتداء والحال العليم ط لان الجملة الناصبة لقوله صبغة الله محذوفة يدل عليها قوله امنا بالله وقوله فان امنوا شرط معترض من صبغة الله
لابتداء الاستفهام مع ان الواو للحال صبغة ج على جعل الواو للابتداء او للحال وللعطف على امنا عابدون وربكم ج لان الواو ويصلح ان يكون
عطفا على الحال الاولى ويصلح ان يكون مستانفا اعمالكم ج مخلصون ط لمن قرا ام يقولون بياء الغيبة ومن قرا بالتاء لم يقف لكون ام معادلة
للهمزة في اتحاجوننا او نصارى ط ام الله ط من الله ط تعملون ۝ قد خلت ج ما كسبتم ج يعملون ۝ تم الجزء الاول من الثلثين التفسير ثم لما بين بالدلائل
المتقدمة صحة دين الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين منها ان اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا والنصارى قالوا كذلك لما علم من التعادي
بين الفريقين كما بين كل منهما وبين المسلمين وقد مر مثل هذا في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فاجابهم الله بقوله
قل بل ملة ابرهيم اي تكون اهل ملته مثل واسئل القرية اي اهلها او بل ملة نتبع ابرهيم وقرئ بالرفع اي ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته و
حنيفا حال من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة وذلك ان المضاف اليه متضمن للحرف فيقتضي متعلقا هو الفعل وشبهه ح يشتمل على
فاعل ومفعول فالحال عن المضاف اليه يرجع في التحقيق الى الحال عن احدهما وعند الكوفيين نصب على القطع اراد ملة ابرهيم الحنيف فلما سقطت الالف واللام
لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منها فانتصب والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق وتحنف اذا مال وحاصل الجواب ان المعول في الدين ان كان
النظر والاستدلال فقد قدمنا الدلائل وان كان التقليد فالمتفق اولى من المختلف وقد اتفق الكل على صحة دين ابرهيم فاتباعه اولى وهذا
جواب الزامي ثم لما كان من المحتمل ان زعم اليهود والنصارى انا على دين ابرهيم نعيت عليهم بقوله وما كان من المشركين لكن النصارى قائلون
بالتثليث واليهود بالتشبيه ايضا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله فليسوا من ملة ابرهيم التي هي محض التوحيد خالص الاسلام في شيء قولوا
للمؤمنين ويجوز ان يكون للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون امرا لهم اي اتبعوا
ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته وهذا جواب اخر برهاني وذلك ان طريق معرفة نبوة الانبياء ظهور المعجز على ايديهم ولما ظهر المعجز على يد محمد ﷺ وجب
الاعتراف بنبوته والايمان به وبما انزل عليه كما اعترفوا بنبوة ابرهيم وموسى وعيسى فان تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد يوجب
المناقضة في الدليل وعن الحسن ان قوله قل بل ملة ابرهيم خطاب للنبي وقوله قولوا خطاب لامته والظاهر العموم وانما قدم الايمان بالله لان
معرفة النبي والكتاب موقوفة على معرفته وفيه ابطال ما ذهب اليه التعليمية والمقلدة من ان طريق معرفة الله الكتاب والسنة قال الخليل الاسباط
في بني اسرائيل كالقبيلة في العرب وقيل السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي النبي ﷺ فهم حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر عدد
بعض الانبياء لتقدمهم وشرفهم ثم عمم لتعذر التفصيل لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاهل الكتاب ومعنى الايمان بجميعهم
ان كلا منهم حق في زمانه او لا نقول انهم متفرقون في اصول الديانات شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول
بين عليه ونحن له مسلمون اذعانا واخلاصا فلا جرم لا نخص بالقبول بعض عبيده المؤيدين بالمعجزات خلاف من كان اسلامه تقليدا او هوى
ولما بين الطريق الواضح في الدين وهو ان يعترف الانسان بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة رغبهم في مثل هذا الايمان
وههنا سؤال وهو ان دين الاسلام وهو الحق واحد فما معنى المثل في قوله بمثل ما امنتم به والجواب ان قوله فان امنوا بكلمة الشك يدل على
ان الامر مبني على الفرض والتقدير اي فان تحصلوا دينا اخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لا دين صحيحا سوى هذا
الاسلام عن المناقض بخلاف غيره فلا اهتداء الا بهذه ونظيره قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الراي الصواب فان كان عندك راي اصوب
منه فاعمل به فقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه وقيل الباء للاستعانة لا للالصاق
والتمثيل بين التصديقين اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم وقيل المثل صلة ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مسعود فان
امنوا بما امنتم به وقيل معناه انكم امنتم بالفرقان من غير تصحيف وتحريف فان امنوا بمثل ذلك في التورىة فقد اهتدوا لانهم يتوسلون
به الى معرفة نبوة محمد ﷺ وفي الاية دليل على ان الهداية قبل هذا الاهتداء وهي الدلائل التي نصبها الله تعالى وكشف عن وجوهها والاهتداء قبولها
والعمل بها ليفوزوا بالسعادة العظمى وان تولوا عما قيل لهم ولم ينصفوا فانما هم في شقاق خلاف وعداوة وهو ماخوذ من الشق كانه صار
في شق غير شق صاحبه او من الشق لانه فارق الجماعة وشق عصاهم او من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه وفي وصف القوم
بذلك دليل على معاداتهم الرسول واضمارهم له كل سوء وتربصهم به لا ايقاع في المحن فلا جرم امنه الله تعالى والمؤمنين من كيدهم وقال فسيكفيكهم الله
وناهيك به من كاف كافل ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين ذلك ان فيه معنى التوكيد لوقوعها في مقابلة لن قال سيبويه
لن افعل نفي سافعل ولقد انجز وعده عما قريب بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية عليهم هذا اخبار بالغيب كم من مثله
في القران وكل ذلك مما يتاكد به اعجاز التنزيل العزيز وحصوله بطريق الوحي الصراح وهو السميع العليم وعد لرسول الله ﷺ اي يسمع دعاءك ويعلم
نيتك في اعلاء كلمة الحق واعلانها فهو يستجيب لك لا محالة ووعيد لاعدائه اي هو منهم بمرئى ومسمع يعلم ما يسرون من الحسد والغل فيعاقبهم
على ذلك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله امنا بالله مثل وعد الله قاله سيبويه وقيل بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء اي عليكم



صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله مثل وعد الله عند سيبويه وقيل بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء اي عليكم صبغة الله وفيها فك
النظم واخراج الكلام عن الالتئام والصبغة فعلة من صبغ للحالة التي يقع عليها الصبغ كالجلسة والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفس واصله ان النصارى
كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يصير الواحد منهم نصرانيا حقا فامر المسلمون ان يقولوا لهم آمنا و
صبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتكم وذلك على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ونظيره
انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم وقيل اللفظة من قولهم فلان يصبغ فلانا في الشيء اي يدخله فيه ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازما
للثوب وقيل سمي الدين صبغة لظهور هيئته عن صاحبه قوله سيماهم في وجوههم من اثر السجود من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقيل
وصف هذا الايمان منهم بانه صبغة الله ليتبين ان المباينة بينه وبين غيره ظاهرة جلية يدركها كل ذي حس سليم كما يدرك الالوان وقيل
صبغة الله فطرته او قول في ذلك ان آثار الفطرة لازمة للانسان لزوم الصبغ للثوب فيمكنه ان يتدرج منها الى وجود الصانع والايمان به و
قيل صبغة الله الختان وقيل حجة الله وقيل سنة الله ومن احسن من الله صبغة معنى الاستفهام الانكار وصبغة تمييز اي لا صبغة احسن من
الايمان بالله الدين الذي شرع لكم ليطهركم به من اوضار الكفر واوزار الشرك ونحن له عابدون عبارة عن كمال الايمان كما تقدم من ان قل اتحاجوننا
ما المحاجة فهي اما قولهم نحن احق بان يكون النبوة فينا لانا اهل الكتاب والعرب عبدة اوثان واما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم كونوا
هودا او نصارى تهتدوا واما الخطاب فاما لاهل الكتاب واما لمشركي العرب حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
واما للكل والمعنى اتجادلوننا في شان الله او في دينه وهو ربنا وربكم وللرب ان يفعل بمربوبه ما يعلم فيه مصلحته ويعرفه هل له عبيد كلهم في
في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكما ان لكم اعمالا ترجون نيل الكرامة بها فنحن كذلك فالعمل هو الاساس وبه الاعتبار ونحن
له مخلصون موحدون لا نقصد بالعبادة احدا سواه فلا يبعد ان يوهل اهل الاخلاص بمزيد الكرامة من عنده ام يقولون من قرأ بتاء
الخطاب احتمل ان يكون ام منقطعة بمعنى استئنافا استفهام اخر اي بل تقولون والهمزة للانكار كما في اتحاجوننا واحتمل ان يكون متصلة بمعنى
اي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء انكارا عليهم واستجهالا لهم بما كان منهم وعن الزجاج بأي
الحجتين تتعلقون في امرنا ابالتوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن متبعون ومن قرأ بياء الغيبة فلا يكون الا منقطعة
لانقطاع الاستفهام الاول بسبب الالتفات قل ءانتم اعلم ام الله بل الله اعلم وخبره اصدق وقد اخبر في التورية والانجيل والقرآن بان ابرهيم ما كان يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وكيف لا وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده ولانهم مقرون بان الله اعلم وقد اخبر نقيض ما
ادعوه فان قالوا ذلك عن ظن فقد بان لهم خطاؤه وان قالوا ذلك عن جحود وعناد فما اجهلهم واسفههم فاذن فائدة الكلام اما التنبيه و
اما التجهيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قوله من الله اما ان يتعلق باظلم والمعنى لو كان ابرهيم وبنوه هودا او نصارى ثم ان الله كتم هذه الشهادة
لم يكن احد ممن يكتم شهادة اظلم منه لان الظلم من العدل شنيع واما ان يتعلق بكتم اي لا احد اظلم ممن عنده شهادة ثم لم يقمها عند الله
وكتمها اخفاها اي منه واما ان يتعلق بشهادة كقولك عندي شهادة من فلان ومثله براءة من الله ورسوله والمعنى ليس احد اظلم ممن كتم شهادة
عنده جاءته من الله وفيه اشارة الى ان المؤمنين لم يكتموا ما عندهم من الحق وشهدوا لابرهيم بالحنيفية وتعريض بان اهل الكتاب قد كتموا شهادة
الله فانكروا نبوة محمد عليه السلام وحنيفية ابرهيم وغير ذلك من تحريفهم وما الله بغافل عما تعملون كلام جامع لكل وعيد لهم ولاضرابهم ولو ان احدا كان
له رقيب من قبل ملك مجازي لكان دائم الحذر والوجل فكيف بالرقيب القريب الذي يعلم السر واخفى ويعد عليه انفاسه وافكاره ثم هو يقدر على ان يدخله
جنته او ناره تلك امة اشارة الى ابرهيم وبنيه كما مر وانما اعيدت الآية هيهنا لغرض اخر وهو زجرهم عن الاشتغال بوصف ما عليه الامم السالفة من
فان ادنايهم لا ينفع الا اياهم لا تدرس اثارها وانطمس انوارها واما الان فالدين هو الاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان البين فيجب
اتباع المعلوم وانتفاؤه والقاء المظنون العادة ولا يسئل المتاخر عن المتقدم ولا المحسن عن المسيء وكل بعمله مجزي سيقول
السفهاء من الناس ما ولىهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
بيخردان از مردم که چه برگردانید ایشان را از قبلهٔ ایشان که بودند بران بگو که مر خدا راست مشرق و مغرب راه نماید آنکس را که خواهد بسوی راه راست
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي
و همچنین گردانیدیم شما را گروهی برگزیده تا که بوده باشید گواهان بر مردمان و بوده باشد پیغمبر که محمد است بر شما گواه و قرار ندادیم ما آن قبله را که
كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله
که بودی تو بران بجز آنکه جدا کنیم آنکه متابعت کند پیغمبر را از آنکه برگردد بر پاشنه خود و هر چند این تحویل قبله گرانست مگر بر آنانکه هدایت کرد ایشان را خدا و نه چنانست خدا که
ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك
ضایع کند گرویدن شما را بدرستیکه خدا بمردمان هر آینه مهربانست بدرستی میبینیم گردش روی تو را در آسمان پس قرار دهیم ازبرای تو قبله را که خوشنود شوی آنرا پس بگردان روی خود را
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله
جانب مسجد الحرام و در هر جای که بوده باشید پس بگردانید رویهای خود را بجانب وی و بدرستیکه آنانکه داده شده اند کتاب را هر آینه میدانند که آن حق است از جانب پروردگار ایشان



بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ

بیخبر از انچه میکنند واگر بیاوری آنانرا که داده شده‌اند کتاب را هر علامتی پیروی نکنند قبله ترا و نیستی تو پیروی کننده قبلهٔ ایشانرا و نیستند بعضی از ایشان پیرو قبله

بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ

بعضی و هر آینه اگر پیروی کنی خواهشهای ایشانرا از پس آنکه آمد ترا از دانش بدرستی که تو آنگاه از ستمکارانی آنانکه اوردیم ایشانرا کتاب را می‌شناسند او را چنانکه میشناسند

أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا

فرزندان خود را و بدرستیکه گروهی از ایشان هر آینه میپوشند حق را و حال آنکه میدانند که حق از جانب پروردگار تست پس مباش تو البته از شک کنندگان و از برای هر کسی طرفیست که آن مدبر او در

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

پس پیشی گیرید بکوئیها در هر جا که باشید بیاورد شما را خدا همه را بدرستیکه خدا بر همه چیزی تواناست و از هر طرف که بیرون رفتی پس بگردان رویت را بجانب

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ

مسجد الحرام و بدرستیکه آن هر آینه حق است از پروردگار تو و نیست خدا بیخبر از آنچه میکنید و از هر طرف که بیرون شدی پس بگردان رویت را بجانب مسجد الحرام و هر جا که

مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ

که بوده باشید پس بگردانید رویهای خود را بجانب آن تا که نباشد از برای مردمان بر شما حجتی بجز آنانکه ستم کردند از ایشان پس مترسید از ایشان و بترسید از من و تا که تمام کنم

نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

نعمت خود را بر شما و شاید که شما راه یابید چنانکه فرستادیم در شما پیغمبر را از جنس که میخواند بر شما نشانهای ما را و پاکیزه کند شما را و بیاموزد شما را کتاب را و حکمت را

وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ القراءة يشاء الى بهمزتين عاصم حمزة علي وخلف

و بیاموزد شما را انچه که نبوده اید که دانید پس یاد آورید مرا تا یاد آورم شما را و سپاس کنید مرا و کافر نشوید مرا وابن عامر الباقون يشاء ولي بقلب الثانية واوا

ابو روح الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة يشاء الى بقلب الا ولي واوا والروف مهموزا مشبعا ابن كثير وابو جعفر ونافع وخلف وعاصم وابو عمرو ويعقوب

الباقون بالتاء مولاها بالالف ابن عامر الباقون بالياء وكسر اللام يعملون ومن حيث بياء الغائبة ابو عمرو الباقون بالتاء لئلا مدغمة غير

مهموزة عن ورش وعن ابن كثير وحمزة وعلي وخلف في يعقوب مدغما مهموزا الباقون مظهرا مهموزا والاختيار عن يعقوب هشام الاظهار

فاذكروني بفتح الياء ابن كثير الوقوف عليها ط المغرب ط مستقيم ه شهيدا ط عقبيه ط هدى الله ط ايمانكم ط رحيم ه في السماء ج لان الجملتين وان

اتفقتا فقد دخلت الثانية حرفا توكيد يختصان بالقسم والقسم مصدر ترضيها ص لان فاء التعقيب لتعجيل الموعود الحرام ط شطره ط من ربهم

يعملون ه قبلتك ج قبلتهم ج وكلاهما للتفصيل الاحوال مع اتحاد المقصود قبلة بعض ط من العلم لا لان جواب معنى القسم في لئن فلو فصل كان من

الظالمين ه وفي الاطلاق خطر اظهار البراءة لانه لو وصل صار صفة وهو مبتدأ في مدح عبد الله بن سلام واضرابه ابناءهم ط يعلمون ه الممترين ه الخيرات ط

جميعا ط قدير ه الحرام ط من ربك ط تعملون ه الحرام ط حيث متضمن للشرط شطره لا لتعلق لام كي بجملة فقد قيل تجوز اعراب اثبات الحجة بعد النفي والوصل

في العربية وضح ولا منافاة لان المراد من الحجة الخصومة وبيان الحق لا ينافي الخصومة تهتدون ه لا اذا علق كما ارسلنا بما قبله ووقف على تعلمون

وان علق بما بعده وقف على تهتدون تعلمون ه تعلمون ه ولا تكفرون ه التفسير هذه شبهة ثانية من اهل الكتاب طعنا في الاسلام قالوا النسخ يقتضي

اما الجهل او التجهيل لان الامر ان كان خاليا عن القيد كفى فعله مرة واحدة فلا يكون ورود الامر بعده على خلافه ناسخا وان كان مقيدا باللادوام فكذلك

وان كان مقيدا بالدوام فان كان الامر يعتقد دوامه ثم رفعه كان جهلا وبداء وان كان عالما بلا دوامه كان تجهيلا وكل هذه من الحكيم قبيح ثم انهم

خصصوا هذه الصورة لمزيد شبهة وهو انا اذا جوزنا النسخ عند اختلاف المصالح فههنا لا مصلحة فان الجهات متساوية وهذا دليل على

ان هذا التغيير ليس من عند الله قال القفال لفظ سيقول وان كان للاستقبال لكنه قد يستعمل في الماضي كالرجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض

اعدائه فيقول انا اعلم انهم سيطعنون في كأنه يريد انه اذا ذكر مرة فسيذكرونه مرات اخرى ويؤيد ذلك ما ورد من الاخبار انهم لما قالوا ذلك

نزلت الآية والمشهور ان الله تعالى اخبر عنهم قبل ان ذكروا هذا الكلام انهم سيذكرونه وفيه فوائد منها انه اخبار بالغيب فيكون معجزا ومنها

ان مفاجاة المكروه اشد مما اذا وطن النفس له ومنها ان الجواب العتيد اقطع للخصم وقيل الرمي يراش السهم والسفهاء الخفاف الاحلام واذا كان

من لا يميز بين ماله وعليه في امر دنياه يعد سفيها شرعا فالذي يضيع امر آخرته اولى بهذا الاسم عن ابن عباس ومجاهد هم اليهود وذلك انهم كانوا

يأنسون بموافقة النبي اياهم في القبلة فلما تحول استوحشوا لا سيما وانهم لا يرون النسخ وعن البراء بن عازب والحسن الاصم انهم مشركو

العرب قالوا ابى الا الرجوع الى موافقتنا ولو ثبت عليه لكان اولى به وقيل هم المنافقون ذكروا ذلك استهزاء من حيث ان تميز بعض الجهات عن

بعض ليس له دليل معقول فحملوا الامر على العبث والعمل بالرأي والتشهي والاقرب ان يكون الكل داخلا فيه لان الاعداء جبلت على الغيظ وطلب التشفي

فاذا وجدوا مجالا لم يتركوا مقالا ما ولاهم ما صرفهم استفهموا على جهة التعجب او الاستهزاء عن قبلتهم التي كانوا عليها القبلة بيت المقدس

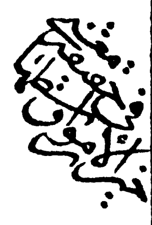
وضمير الجمع للرسول والمؤمنين هذا هو المجمع عليه عند المفسرين ولولا الاجماع لاحتمل ان يعود الضمير في كانوا الى السفهاء اي ما الذي صرف الرسول

والمؤمنين





والمؤمنين عن القبلة التي كانوا عليها فانهم كانوا لا يعرفون الا قبلة اليهود وهي الى المغرب وقبلة النصارى وهي الى المشرق فكانهم قالوا كيف
يتوجه احد الى غير هاتين الجهتين المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله قل لله المشرق والمغرب اي بلادهما والارض كلها والجهات باسرها
ملكا وملكا ثم اكد ذلك بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو القبلة التي اقتضت الحكمة في هذا الزمان توجيه الناس اليها ويحتمل ان
يراد به الطريقة المؤدية الى سعادة الدارين فيشمل القبلة وغيرها وحاصل الجواب بعد ما مر في آية النسخ انه تعالى فاعل لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد
عليه كما لا اعتراض على من يتصرف في ملكه كما يريد افعاله تعالى لا يعلل بغرض وان كانت لا تخلو عن فائدة وحكمة كما سبق وكثير منها مما لا يهتدي عقول
البشر الى تفاصيل حكمها الا انهم قد يستنبطون بحسب افهامهم لبعضها وجوها مناسبة اما تعيين القبلة في الصلوة فالحكمة فيه ان للانسان قوة
عقلية يدرك بها الكليات والمعقولات وقوة خيالية تتصرف بها في عالم الاجسام وقلما ينفك العقلية عن الخيالية واعانتها كالمهندس يضع في
ادراك احكام المقادير صورة معينة وشكلا معينا ليصير الحس والخيال معينين له على ادراك الاحكام الكلية وكالذي يريد ان يثني على ملك مجازي فانه
يستقبله بوجهه ثم يشتغل بالثناء والخدمة فاستقبال القبلة في الصلوة يجري مجرى كونه مستقبلا للملك والقراءة والتسبيحات تجري مجرى الثناء
عليه والركوع والسجود جاريان مجرى الخدمة وايضا الخشوع في الصلوة لا يحصل الا مع السكون وترك الالتفات ولا يتأتى ذلك الا اذا بقي في جميع
صلوته مستقبل الجهة واحدة على التعيين واذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في الاوهام فاستقباله اولى وايضا انه تعالى يحب الموافقة والالفة بين
المؤمنين وقد من عليهم بذلك في واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ولو توجه كل مصل الى جهة لتوهم
مظنة الاختلاف فلم يكن بد من تعيين جهة ليحصل الاتفاق وايضا كانه تعالى يقول يا مؤمن انت عبدي والكعبة بيتي والصلوة خدمتي وقلبك عرشي
والجنة دار كرامتي فاستقبل بوجهك الى بيتي وبقلبك الي لاوصلك الى دار كرامتي وايضا اليهود استقبلوا مغرب الانوار وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى
موسى الامر والنصارى استقبلوا مطلع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فالمؤمنون استقبلوا مظهر الانوار وهو مكة فمنها محمد
منبع الانوار ولاجله دار الفلك الدوار وايضا المغرب قبلة موسى والمشرق قبلة عيسى وبينهما قبلة ابراهيم ومحمد خير الامور اوسطها وايضا الكعبة
سرة الارض ووسطها وامة محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط بالوسط اولى الطيبات للطيبين وايضا العرش قبلة الحملة والكرسي
قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المؤمنين والحق قبلة المتحيرين فاينما تولوا فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسي
من الدر والبيت المعمور من الياقوت والكعبة من جبال خمسة سيناء وزيتا وجودي ولبنان وحراء فالى ان كان عليك مثل هذه الجبال ذنوبا فاتيت
الكعبة حاجا او معتمرا او توجهت مصليا الصلوات الخمس غفرتها لك وايضا لما كان بناء هذا البيت سبب الظهور دولة العرب كانت عنايتهم في توجيهها
اشد وايضا اليهود كانوا يعيرون المسلمين بانا قد ارشدناكم الى القبلة ويكسر بذلك قلوب المسلمين فاتى بتحويلهم وايضا الكعبة منشأ محمد فتعظيمها
يقتضي تعظيمه وتعظيمه مما يعين على قبول اوامره ونواهيه فبمقدار حشمة المرء يكون قبول قوله فهذه هي الوجوه المناسبة والوجه الاقوى هو الذي
ذكره الله تعالى في قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قوله وكذلك جعلناكم الكاف للتشبيه
وفي اسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى معنى يهدي اي كما انعمنا عليكم بالهداية كذلك انعمنا عليكم بان جعلناكم او كما هديناكم الى اوسط القبل جعلناكم
امة وسطا وقيل عائد الى قوله ولقد اصطفيناه في الدنيا اي كما اصطفينا ابراهيم في الدنيا جعلناكم وقيل ينصرف الى قوله ولله المشرق والمغرب اي كما خصصنا
بعض الجهات بمزيد التشريف والتكريم حتى صارت قبلة فضلا منا واحسانا جعلناكم مختصين بالعدالة برا منا وامتنانا مع تساوي
الخلق في العبودية وقيل قد يذكر ضمير الشيء وان لم يكن المضمر مذكورا اذا كان المضمر مشهورا معروفا مثل انا انزلناه في ليلة القدر ثم من المشهور
المعروف عند كل احد انه سبحانه هو القادر على اعزاز من يشاء واذلال من يشاء فالمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب الذي لا يقدر عليه احد غيره
جعلناكم امة وسطا الجوهري يقال جلست وسط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست في وسط الدار بالتحريك لانه اسم وكل موضع صلح فيه بين فهو
وسط وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك قال الوسط من كل شيء اعدله وشيء وسط اي بين الجيد والردي وامة وسطا اي عدلا قال زهير
شعر هم وسط يرضى الانام بحكمهم :: اذا نزلت احدى الليالي بمعظم :: وذلك ان العدل متوسط في الاخلاق بين طرفي الافراط والتفريط ولهذا ذكره الله
تعالى في معرض المدح والامتنان وقيل الوسط الخيار لانه يستعمل في الجمادات قال في الكشاف اكتريت بمكة جمل اعرابي فقال اعطني من سطاتهن اراد من خيار
الدنانير ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر كنتم خير امة اخرجت للناس وانما اطلق الوسط على الخيار لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والعيب والاوساط
محمية محوطة وقيل المراد بالوسط ههنا انهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر في شان الانبياء لا كالنصارى حيث جعلوا
النبي ابنا والها ولا كاليهود حيث قتلوا الانبياء وبدلوا الكتب ولان الوسط في الاصل اسم وصف به استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لتكونوا
شهداء على الناس الاكثرون على ان هذه الشهادة في الآخرة اما بان يكونوا شهداء للانبياء على اممهم الذين يكذبونهم روي ان الامم يجحدون تبليغ
الانبياء يوم القيمة فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا
ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قلت والحكمة في ذلك تميز امة محمد صلى الله عليه وسلم في الفضل عن سائر الامم حيث يبادرون الى تصديق الله





ونصدق بجميع الانبياء والايمان بهم جميعا فهم بالنسبة الى غيرهم كالعدل بالنسبة الى الفاسق ولذلك تقبل شهادتهم على الامم ولا تقبل شهادة
الامم عليهم وانما سمي هذا الاخبار شهادة لقوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد والشيء الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم عنه معلوم مثل الشمس فيصح الشهادة
عليه واما بان يشهدوا على الناس باعمالهم التي خالفوا الحق فيها قال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة الحفظة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
والنبيون ويكون الرسول عليكم شهيدا وامة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة لتكونوا شهداء على الناس ويوم يقوم الاشهاد والجوارح يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم وقيل ان هذه الشهادة في الدنيا وذلك ان الشاهد في عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس بالفاظ مخصوصة على جهات
مخصوصة فكل من عرف حال شخص فله ان يشهد عليه فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان يكون موقوفة على الاخرة لان عدالتهم
في الدنيا ثابتة بدليل جعلناكم بلفظ الماضي فلا اقل من حصولها في الحال ثم ذلك يوجب كونهم شهداء على عدالتهم فيجب ان يكونوا شهداء في الدنيا



فان قيل لعل التحمل في الدنيا ولكن الاداء في الاخرة قلنا المراد في الاية الاداء لان العدالة انما يعتبر في الاداء لا في التحمل ومن هنا يعلم ان اجماعهم
حجة لا بمعنى ان كل واحد منهم محق في نفسه بل بمعنى ان هيئتهم الاجتماعية يقتضي كونهم محقين وهذا من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان يحصل
مع ذلك لهم الشهادة في الاخرة فيجري الواقع منهم في الدنيا مجرى التحمل لانهم اذا بينوا الحق عرفوا عنده من القابل ومن الراد ثم يشهدون بذلك
يوم القيامة كما ان الشاهد على العقود يعرف ما الذي تم وما الذي لم يتم ثم يشهد بذلك عند الحاكم ويكون المعنى لتكونوا شهداء على الناس في
الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم وانما قدمت صلة الشهادة في الثاني لان
الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم فقط فبقيت صلة الشهادة في مركزها والغرض في الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم فازيلت
عن مركزها ليفيد الاختصاص وانما لم يقل لكم شهيدا مع ان شهادته لهم لا عليهم لانه ضمن معنى الرقيب مثل والله على كل شيء شهيد مع رعاية الطباق
للاول وانما قيل شهداء على الناس في الدنيا لان قولهم يقتضي التكليف ما يفعل او يقول وذلك عليهم لا لهم في الحال قيل الاية متروكة الظاهر لان
وصف الامة بالعدالة يقتضي اتصاف كل واحد منهم بها وليس كذلك فلا بد من حملها على البعض فنحن نحملها على الائمة المعصومين سلمناه لكن الخطاب
في جعلناكم للموجودين عند نزول الاية لان خطاب من لم يوجد محال فالاية تدل على ان اجماع اولئك حق لكنا لا نعلم بقاء جميعهم باعيانهم الى ما
بعد وفاة الرسول فلا يثبت صحة الاجماع وقتئذ سلمنا ذلك لكن المراد بالعدالة اجتناب الكبائر فقط فيحتمل ان الذي اجمعوا عليه وان كان خطاء
لكنه من الصغائر فلا يقدح ذلك في خيريتهم وعدالتهم واجيب بان حال الشخص في نفسه غير حاله بالقياس الى غيره فلم لا يجوز ان يكون الشخص غير مقبول
القول عند الانفراد ويكون مقبولا عند الاجماع والخطاب لجميع الامة من حين نزول الاية الى قيام الساعة كما في سائر التكاليف مثل كتب عليكم
الصيام كما كتب عليكم القصاص فللموجودين بالذات وللباقين بالتبعية لكنا لو اعتبرنا اول الامة واخرها باسرها لزالت فائدة الاية اذ لم
يبق بعد انقضائها من يكون الاية حجة عليه فعلمنا ان المراد بها اهل كل عصر ثم ان الله تعالى من على هذه الامة بان جعلهم خيارا وعدولا فعند
الاجماع فلو امكن اجتماعهم على الخطاء لم يبق بينهم وبين سائر الامم فرق في ذلك فلا منة وما جعلنا يريد الجعل بمعنى الشرع والحكم التي صفة موصوف
محذوف هو ثاني مفعولي جعل اي وما جعلنا القبلة اي الجهة التي كنت معتقدا لاستقبالها كقولك الشافعي على كذا وفي الجهة وجهان احدهما
ان هذا الكلام بيان للحكمة في جعل الكعبة قبلة وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود وامتحانا
للذين اتبعوه بمكة ثم حول الى الكعبة اختيارا ثانيا اي ما رددناك الى الجهة التي كنت عليها اولا الا امتحانا للناس وابتلاء وثانيهما انه بيان للحكمة
في جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لفائدة هي ان نمتحن الناس وننظر

(حاشية: عليها اي كنت)



من يتبع الرسول ومن لا يتبعه واللام في لنعلم ليست لاجل الغرض وانما هي للتقرير الحكمة والفائدة التي يستتبعها الجعل فان قيل كيف قال لنعلم ولم
يزل عالما بذلك فالجواب ان معناه لنعلم حزبنا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا البلد وانما فتحه جنده او لنعلمه موجودا حاصلا وهو
العلم الذي يتعلق به الجزاء ولا يلزم منه ان يحدث لله علم فان العلم الازلي بالحادث الفلاني غير متغير وانما هو قبل حدوث الحادث كهو حال
حدوثه وانما جاء المضي والاستقبال من ضرورة كون الحادث زمانيا وكون كل زمان مكنوفا بزمانين سابق ولاحق فاذا نسبت العلم
الازلي الى الزمان السابق قلت سيعلم الله واذا نسبته الى زمانه قلت يعلم واذا نسبته الى الزمان اللاحق قلت قد علم لجميع هذه التغيرات
من اعتبارات تلك فعلم الله واحد فافهم او ليتميز التابع من الناكص كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فسمي التمييز علما لانه احد فوائد العلم وثمراته
او لنري كما يستعمل الرؤية مكان العلم وعن الفراء ان حدوث العلم في الاية راجع الى المخاطبين مثاله ان جاهلا وعاقلا اجتمعا فيقول
الجاهل الحطب يحرق النار فيقول العاقل بل النار يحرق الحطب وسنجمع بينهما لنعلم ايهما يحرق صاحبه معناه لنعلم ايها الجاهل وهذا من كلام المنصف
مثل وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقوله ممن ينقلب على عقبيه استعارة للكفر والارتداد كانه رجع الى حيث اتى ثم هذه المحنة
حصلت بسبب تعيين القبلة او بسبب تحويلها من الناس من قال بالاول لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الى الكعبة فلما جاء الى المدينة صلى الى بيت
المقدس فشق ذلك على العرب من حيث انه ترك قبلتهم ثم اذا تحول الى الكعبة شق ذلك على اليهود والاكثرون على الثاني لان الشبهة في امر النسخ
اعظم منها في تعيين القبلة عن ابن جريج انه قال بلغني انه رجع ناس ممن اسلم وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا لو كان على يقين من امره لما تغير رأيه عن [illegible]

(حاشية: في الوقت القليل — وبعد حدوثه)

توجه

توجه الى الكعبة اختلفوا فقال المنافقون ما بالهم كانوا على قبلة ثم تركوها وقال المسلمون ليتنا نعلم حال اخواننا الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس
وقال اليهود اشتاق الى بلد ابيه ومولده وقال المشركون تحير في دينه وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي يلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية
ويهيئها التخفيف للدخول على الافعال لكن البصريين اوجبوا كون الفعل الذي تدخل هي عليه من باب كان وعلم ويبطل عمل ان في اللفظ وكذا
في التقدير فلا يقدر ضمير الشان كما يقدر في ان المفتوحة اذا خففت فقوله لكبيرة خبر كانت واسمها الضمير العائد الى القبلة لانها هي المذكورة او الى ما
دل عليه الكلام السابق من التولية في ما ولاهم والجعلة والردة او التحويلة في وما جعلنا ومعنى لكبيرة لثقيلة شاقة مستنكرة كقوله كبرت كلمة تخرج
من افواههم وذلك ان الامتحان ان وقع بنفس القبلة فالفطام عن المالوف شديد والاعراض عن طريقة الاباء والاسلاف عسير وان وقع بالتحويل
فهو مبنى على جواز النسخ وفيه ما فيه من الشبه والاشكال فيصعب عتقا كثيرا الا على الذين هدى الله الراجع محذوف اى هداهم الله الى الثبات
على دين الاسلام بان نصب لهم الدلائل اولا ثم جعلهم متفقين بها ثانيا والا فالدلالة عامة للكل وما كان الله ليضيع ايمانكم الخطاب للمؤمنين
المعاصرين واللام لتاكيد النفي الداخل في كان ينتصب المضارع بعدها بتقدير ان اى لن يضيع الله ثواب ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا
بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب الجزيل عن الحسن قال ابن زيد ما كان الله ليترك تحويلكم من بيت المقدس الى الكعبة لعلمه بان تقريركم على ذلك مفسدة
لكم واضاعة لصلواتكم اى لثوابها اطلق الايمان على الصلوة لانها اعظم اثار الايمان واشرف نتائجه ولان المراد لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك
الصلوة وعن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت وانما
خوطبوا تغليبا للاحياء مثل واذ قتلتم نفسا واذ فرقنا بكم البحر والمراد اهل ملتهم وليس هذا السؤال من الشك في حقية النسخ في شيء وانما هو
لاجل الاطمئنان وزيادة اليقين ولعلهم انما خصوا السؤال بالاموات لانهم ظنوا انفسهم مستغنين عن ذلك حيث يقع صلوتهم الى الكعبة بقية
عمرهم مكفرة لما سلف منهم فاجيبوا بما يخرج عنه جواب الاموات والاحياء جميعا فان المنسوخ حق في وقته كما ان الناسخ حق في وقته سوا
عمل المكلف بهما في وقتهما او لم يعمل الا بالمنسوخ لانقضاء اجله قبل الناسخ وجوز بعضهم ان يكون السؤال صادرا عن منافق فنبه الله
المسلمين على الجواب قبل ان يعني وفقتكم لقبوله هذا التكليف لئلا يضيع ايمانكم فانهم لو ردوا هذا التكليف لكفروا ويحكى عن الحجاج انه قال
للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته واقرب الناس
اليه واحبهم ان الله بالناس لرءوف رحيم الجوهري الرافة اشد الرحمة رؤف بر روف بالضم فيهما رافة ورافة ورافت به اراف بالفتح فيهما و
رافت به بالكسر رافا والصفة رءوف ورؤف على فعول وفعل وقيل الرافة مبالغة في رحمة خاصة هي دفع المكروه وازالة الضرر ولا تاخذكم
بهما رافة والرحمة اسم جامع خصص اولا ثم عمم والمراد ان الرؤف الرحيم كيف يتصور منه الاضاعة وكيف لا ينقلكم من شرع الى شرع هو اصلح
لكم وانما هداكم هدى لانه بالناس رؤف رحيم فمن كان اقبل للفيض كان الاثر عليه اظهر قوله عز من قائل قد نرى معناه كثرة الرؤية ههنا
وان كان في الاصل للتقليل قال شعر قد اترك القرن مصفرا انامله : كان اثوابه مجت بفرصاد : كما ان رب في الاصل للتقليل ثم قد يستعمل في معنى
التكثير كقوله شعر فان تمس مهجور الفناء فربما : اقام به بعد الوفود وفود : ووجه ذلك ان المادح يستقل الشيء الكثير من المدائح لان الكثير منها
كانه قليل بالنسبة الى الممدوح ومثله قد يعلم الله فان المتمدح بكثرة العلم يقول لا تنكر ان اعرف شيئا من العلم تقلب وجهك تردد نظرك في جهة السماء
وذلك لانتظار تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة عن ابن عباس انه قال يا جبرئيل وددت ان الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقد كرهتها
فقال له جبرئيل انما انا عبد مثلك سل ربك فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء مجيء جبرئيل بما سال فنزلت وانما احب ذلك لان اليهود كانوا يقولون
انه يخالفنا ثم انه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين يستقبل ولان الكعبة كانت قبلة ابيه ابرهيم ولان ذلك ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم
ومزارهم ومطافهم ولانه احب ان يحصل هذا الشرف للمسجد الذي في بلدته ومنشائه ولا يبعد ان يميل طبعه الى شيء ثم يتمنى في قلبه اذن الله فيه
وقيل انه استاذن جبرئيل في ان يدعو الله تعالى فاخبره بان الله قد اذن له في الدعاء فكان يقلب وجهه في السماء ينتظر مجيء جبرئيل للاجابة وعن الحسن
ان جبرئيل اخبره بان الله تعالى سيحول القبلة عن بيت المقدس من غير تعيين للمحول اليها ولم يكن قبلة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة فكان ينتظر
الوحي بذلك وعلى هذا فقيل منع من استقبال بيت المقدس ولم يعين له القبلة وكان يخاف ان يدخل وقت الصلوة ولا قبلة فلذلك كان يقلب
وجهه وعن الاصم قيل بل وعد بذلك وقبلة بيت المقدس باقية بحيث يجوز الصلوة اليها لكن لاجل الوعد كان يقلب طرفه وهذا اولى والا لم يكن القبلة
ناسخة للاولى بل كانت مبتداءة لكن المفسرين اجمعوا على انها ناسخة للاولى لانه لا يجوز ان يؤمر بالصلوة الا مع بيان موضع التوجه واختلف
في صلوته بمكة فقيل كان يصلي الى الكعبة فلما صار الى المدينة امر بالتوجه الى بيت المقدس تسعة اشهر او عشرة اشهر او ثلثة عشر او ستة عشر او سبعة
عشر وهو الاكثر او ثمانية عشر او سنتين اقوال وقيل بل كان بمكة يصلي الى بيت المقدس الا انه هل كان فرضا لا يجوز عليه غيره او كان النبي صلى الله عليه وسلم مخيرا
في توجهه اليه والى غيره فعن الربيع بن انس انه كان مخيرا لقوله ولله المشرق والمغرب الاية ولما روي ان قوما قصدوا من المدينة الى مكة للبيعة قبل
الهجرة فتوجه بعضهم في الطريق لصلوته الى الكعبة وبعضهم الى بيت المقدس فلما قدموا سئلوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فلم ينكر عليهم وعن ابن عباس
ان ذلك كان فرضا لقوله فلنولينك قبلة ترضاها فدل على انه ما كان مخيرا بينها وبين الكعبة ومعنى فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من



من استقبالها من قوله وليبته كذا جعلته واليالذى فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التى اضمرتها
ووافقت مشية الله تعالى وحكمته عن الاصم كل جهة وجهك الله بحب ان يكون رضى لا يسخطها كما فعل من انقلب على عقبيه قيل ترضى عاقبتها لانك
تميزها الموافق عن المنافق فول وجهك اى كل بدنك لان الواجب على الشخص ان يستقبل بجملته القبلة لا بوجهه فقط وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء
وبه يتميز الاشخاص شطر المسجد الحرام اى نحوه وجهته فالجهة قول المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعن بعضهم ان الشطر نصف الشئ والكعبة
واقعة من المسجد فى النصف من جميع الجوانب فاختير هذه العبارة ليعرف ان الواجب هو التوجه الى بقعة الكعبة وزيف بالفرق بين النصف وبين المنتصف
والمكلف مامور بالثانى دون الاول عن ابن عمر بينما الناس بقبا فى صلوة الصبح اذا جاءهم ات فقال ان النبى قد انزل عليه الليلة قران وقد امر
ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفى الموطا صلى رسول الله صلعم بعد ان قدم المدينة ستة
عشر شهرا نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين واختلفوا فى المراد بالمسجد الحرام ففى شرح السنة عن ابن عباس انه قال البيت
قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل المشرق والمغرب هذا قول مالك وقال اخرون القبلة هى الكعبة لما اخرج فى الصحيحين
عن ابن جريج عن عطا عن ابن عباس قال اخبرنى اسامة بن زيد قال لما دخل النبى صلعم البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع
ركعتين فى قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد وردت اخبار كثيرة فى صرف القبلة الى الكعبة كما قلنا فى حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة و
قال اخرون القبلة هى المسجد الحرام كله واعلم ان الواجب عند الشافعى فى اظهر قوليه ان يستقبل المصلى عين الكعبة قريبا كان او بعيدا لظاهر قوله تعالى
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ولقوله صلعم هذه القبلة مشيرا الى العين ولان تعظيم الكعبة من النبى صلعم بلغ مبلغ التواتر وتوقيف صحة
الصلوة وهى من اعظم شعائر الدين على استقبال عين الكعبة مما يوجب مزيد شرف الكعبة فوجب ان يكون مشروعا ولان كون الكعبة قبلة
امر معلوم وغيرها مشكوك فيه والاخذ بالمعلوم احوط واما عند ابى حنيفة ويوافقه القول الاخر للشافعى فمحاذاة جهة الكعبة كافية لان فى استقبال
عين الكعبة حرجا عظيما للبعيد ولان فى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة دلالة على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ولان الشطر الجانب والكعبة
فى الاية ولان اهل قبا استداروا الى الكعبة فى اثناء الصلوة وفى ظلمة الليل ومن المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة بحيث انها
تحتاج الى الدقة والنظر ولم يبين لهم ذلك ثم لم ينكر النبى صلعم عليهم وسمى مسجدهم بذى القبلتين ولان استقبال عين الكعبة لو كان واجبا ولا سبيل اليه الا
بالدلائل الهندسية فانها هى المفيدة لليقين وغيرها من الامارات لا يفيد الا الظن والقادر على اليقين لا يجوز له الاكتفاء بالظن وما لا
يتم الواجب الا به فهو واجب لزم ان يكون تعلم تلك الدلائل واجبا ولم يذهب اليه احد والانصاف ان القول الاول اقرب الى التعبد واصابة العين للبعيد
غير بعيد فانا نفرض نقطتين فى الارض او فى السماء الا ويمكن ان يوصل بينهما بخط والغرض ان يكون المصلى ساجدا على قوس من عظيمة ارضية مارة
بقدميه وموضع سجوده ووسط البيت بشرط ان يكون القوس اقل من نصف الدور وغير عسير معرفة هذا القدر بالدائرة الهندية وغيرها
من الطرق المشهورة فيما بين اهل الهيئة وقد برهنا على كثير منها فى كتبنا النجومية وذكرها ههنا خروج عن الصناعة مع ان المتعلم لا ينتفع بها دون
مقدماتها ولمعرفة القبلة امارات اخر قد يستعين بها المتحير وهى اما ارضية وهى الجبال والقرى والانهار او هوائية وهى الرياح او سماوية
وهى النجوم اما الارضية والهوائية فغير مضبوطة لكن ربما يكون فى الطريق جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او قدامه او خلفه وكذلك
الرياح قد تهب فى بعض النواحى من صوب معين واما السماوية ففى النهار لا بد ان يراعى قبل الخروج عن البلد الشمس عند الزوال هى بين الحاجبين
ام على العين اليمنى ام على اليسرى ام تميل ميلا اكثر من ذلك فان الشمس فى البلاد الشمالية قلما تعدو هذه المواقع وكذلك يراعى وقت العصر وتعرف
وقت الغروب بها تغرب عن يمين المستقبل او هى مائلة الى وجهه او قفاه وكذلك يعرف وقت العشاء الاخرة موضع الشفق وقت الصبح مشرق
الشمس بحيث ما مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما وبالليل يستدل بالكوكب الذى يقال له الجدى فيعرف انه على قفاء المستقبل او على منكبه الايمن
او الايسر فى البلاد الشمالية من مكة وفى البلاد الجنوبية منها بخلاف ذلك فاذا عرف هذه الدلائل فى بلده فليعول عليها فى الطريق كله الا اذا طال
السفر فحينئذ اذا انتهى الى بلد سئل اهل البصيرة او يراقب هذا الكوكب وهو يستقبل محراب جامع البلد ثم يستدل بها فى سائر طريقه ومعرفة دلائل
القبلة فرض العين ام فرض الكفاية اصح الوجهين فى مذهب الشافعى الاول كاركان الصلوة وشرائطها قوله تعالى وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُ ليس بتكرار لان الخطاب الاول للرسول وهذا الخطاب للامة ولان الامة قد دخلت فى الاول تبعا واحتمل فيه ان يكون الخطاب مختصا باهل
المدينة وفى الثانى عم المكلفين جميعا فى جميع بقاع الارض واعلم ان الاستقبال يتوقف على مستقبل ومستقبل هو القبلة ولا بد من حالة
يقع فيها الاستقبال فلنتكلم فى هذه الاركان الثلثة على الاجمال وتفصيل ذلك فى كتبنا الفقهية الركن الاول الحالة وهى الصلوة للاجماع على
ان الاستقبال خارج الصلوة غير واجب وان كان طاعة لقوله صلعم خير المجالس ما استقبل به القبلة والصلوة اما فريضة ويتعين الاستقبال فيها
الا فى حالة الخوف واما نافلة ويجب فيها الاستقبال الا فى حالة الخوف وفى السفر راكبا او ماشيا متوجها الى طريقه لما روى عن ابن عمر ان النبى صلعم
كان يصلى فى السفر على راحلته حيث توجهت به ويحكى عن احمد خلاف فى الماشى وكذا عن ابى حنيفة وهل يجب على المتنفل ان يستقبل القبلة عند التحرم
الاصح نعم ان سهل بان لم يكن مقطرة او لا حران بها والا فلا لما روى ان النبى كان اذا سافر واراد ان يتطوع استقبل القبلة بناقته وكبر ثم صلى حيث





البقرة

عسف عن الطريق يعسف اي مال عنه او خبطه على غير هداية

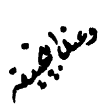
وجهه كابتدائها عند الاشتراط عند الصعود فلدفع المشقة واختلال السير فيهما عليه اما الاستقبال عند السلام فالاصح انه لا يشترط كما في سائر الاركان الا
الماشي فعليه الاستقبال في كل ركوع وسجود كما عليه الاتمام بخلاف الراكب فانه لا يكلف الاستقبال فيهما ولا وضع الجبهة في السجود على السرج او الاكاف
بل يقتصر فيهما على الايماء ويجعل السجود اخفض وليس للراكب التعاسيف الذي لا مقصد له رخصة ترك الاستقبال في التنفل الركن الثاني القبلة
المصلي ان وقف في جوف الكعبة وهي على هيئتها مبنية صح صلوته فريضة كانت او نافلة خلافا لاحمد ومالك في الفريضة لنا انه صلى متوجها الى بعض
اجزاء الكعبة فيصح صلوته كالنافلة كما لو توجه اليها من خارج ثم يتخير في استقبال اي جدار شاء ويجوز ان يستقبل الباب ايضا ان كان مردودا وان
كان مفتوحا فان كانت العتبة قدر مؤخرة الرحل صحت صلوته والا فلا ومؤخرة الرحل ثلثا ذراع الى ذراع تقريبا كانهم راعوا ان يكون في سجوده
يسامت بمعظم بدنه الشاخص ولو انهدمت الكعبة حاشاها وبقي موضعها عرصة فان وقف خارجها وصلى اليها جاز لان المتوجه اليه هواء البيت
والحالة هذه متوجه نحو المسجد الحرام كمن صلى على ابي قبيس والكعبة تحته يجوز لتوجهه الى هواء البيت ولو صلى في العرصة فالحكم كما لو وقف الان على سطح الكعبة
فان لم يكن بين يديه شاخص من نفس الكعبة قدر مؤخرة الرحل فالاصح انه لا يجزيه خلافا لابي حنيفة وان كان المصلي خارج الكعبة فان كان حاضر المسجد
الحرام وجب عليه لا محالة استقبال عين الكعبة بكل بدنه لانه قادر وعليه الامام يقف خلف المقام استحبابا والقوم يقفون مستديرين بالبيت
والافضل للخارجين عن محاذاة الكعبة باطلة الا عند من يرى الجهة كافية ولو تراخى الصف الطويل ووقفوا في اخر باب المسجد صح صلوتهم لان البعيد
يزداد محاذاته ويتبين ذلك اذا جعلت البيت راس مثلث متساوي الساقين والصفوف خطوطا موازية لقاعدته وان كان خارج المسجد فان كان
يعاين القبلة سوى محرابه بناء على العيان وصلى ابدا ومحراب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة نازل منزلة الكعبة لانه لا يقر على الخطا فهو صواب قطعا فيسوى سائر المحاريب
عليه وفي معنى المدينة سائر البقاع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ضبط المحراب وكذا المحاريب المنصوبة في بلاد المسلمين وفي طرق التي هي جادتهم تعين التوجه
اليها وكذلك في القرية الصغيرة التي نشأ فيها قرن من المسلمين ولا بد من الاجتهاد في الشام من تيامن وتياسر في محراب الرسول صلى الله عليه وسلم فلا ولا يجوز الاجتهاد
في الجهة في شيء من محاريب المسلمين لان الخطا منهم في الجهة بعيد بخلاف التيامن التياسر يقال ان عبد الله بن المبارك كان يقول بعد رجوعه من
الحج تياسروا يا اهل مرو الركن الثالث المستقبل اذا قدر على اليقين بالمعاينة وبامارات اخر فلا يجتهد ولا يقلد وان لم يقدر فان وجد من يخبره
عن علم وكان المخبر ممن يعتمد بقوله يرجع الى قوله ولم يجتهد كما في الوقت اذا اخبره عدل عن طلوع الفجر ياخذ بقوله ولا يجتهد كذلك في الحود
اذا روى العدل خبرا يؤخذ به وكل ذلك قبول الخبر من اهل الرواية وليس من التقليد في شيء ويشترط في المخبر ان يكون عدلا يستوي فيه الرجل والمراة
والحر والعبد ولا يقبل خبر الكافر بحال وكذا خبر الصبي غير المميز عند الاكثرين ثم الاخبار عن القبلة قد يكون صريحا وذلك ظاهر وقد يكون دلالة كما
في نصب المحاريب في المواضع التي يعتمد عليها ولا فرق في لزوم الرجوع الى الخبر بين ان يكون الشخص من اهل الاجتهاد وبين ان لا يكون فان لم يجد
من يخبره عن علم فان قدر على الاجتهاد ولا يتيسر الا بمعرفة ادلة القبلة كما عداه اجتهد لم يقلد كما في الاحكام الشرعية ولو فعل يلزمه القضاء ولا
فرق في وجوب الاجتهاد ههنا بين الغائب عن مكة والحاضر بها اذا حال بينه وبين الكعبة حائل اصلي كالجبال او حادث كالابنية ولو خفيت الدلائل على
المجتهد بغيم وحبس او تعارضت صلى كيف اتفق لحق الوقت ويقضي وان عجز عن الاجتهاد فان لم يمكنه التعلم لفقد البصر او لفقد البصيرة فالواجب عليه
التقليد كالعامي في الاحكام وتقليد الغير هو قبول قول المستند الى الاجتهاد بعد ان كان المجتهد مسلما عدلا عارفا بادلة القبلة يستوي فيه الرجل
والمراة والحر والعبد فان وجد مجتهدين مختلفين قلد من شاء منهما والاحب ان يقلد الاوثق الاعلم عنده وان امكنه التعلم فليس له التقليد بناء على
ما مر من ان تعلم الادلة فرض العين فان قلد قضى وان ضاق الوقت عن التعلم صلى لحق الوقت وقضى ثم المجتهد ان بان له الخطا يقينا او كان دليل الاجتهاد
الثاني ارجح ولم يشرع بعد في الصلوة عمل بمقتضى الثاني وان بان بعد الفراغ من الصلوة فان تيقن الخطا قضى على الاصح وان ظن لم يقض وان تغير الاجتهاد
في اثناء الصلوة انحرف وبنى هذه هي المسائل المستنبطة من الاية ذكرناها لانها من اهم مهمات الدين وان الذين اوتوا الكتاب يعني احبار اليهود
وعلماء النصارى لعموم اللفظ ولشمول الكتاب التورية والانجيل ولكن يجب ان يكونوا اقل من عدد اهل التواتر ليصح عنهم الكتمان وعن السدي انهم
اليهود خاصة والكتاب التورية والضمير في انه الحق للرسول اي انه مع شرعه ونبوته حق يشتمل امر القبلة وغيرها واما لهذا التكليف الخاص وهو انتقال بالمقام
وذلك ان علماءهم عرفوا في كتب انبيائهم خبر الرسول وانه يصلي الى القبلتين وان الكعبة هي البيت العتيق الذي جعله الله قبلة لابرهيم واسمعيل وايضا
انهم كانوا يعلمون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات والبشارات وكل ما اتى النبي صلى الله عليه وسلم فهو حق فهذا التحويل حق وما الله بغافل عما تعملون وعد للمتقين ووعيد
للناكصين والمعاندين ثم بين استمرار اهل الكتاب على عنادهم فقال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب قيل جميع اليهود والنصارى لعموم اللفظ وقيل هم
علماؤهم المذكورون في الاية المتقدمة لانهم وصفوا باتباع الهوى في قوله ولئن اتبعت اهواءهم ومجرد اعتقاد الباطل لا يكفي فيه بل الذين يعلمون
بقلوبهم ثم يقولون خلاف الحق فهم المتبعون للهوى ونوقش بان كل صاحب هوى قالوا الاثنان المكتنفان بهذه الاية مخصوصتان بالعلماء منهم لان الجمع العظيم
لا يجوز منهم الكتمان فكذا هذه الاية واجيب بانه لا يلزم من تخصيصهما تخصيصها قالوا اخبر عنهم بالاصرار والاستمرار وهذا شان المعاند اللجوج لا
العامي المتحير ورد بان المقلد ايضا قد يصر قالوا الحمل على العموم يكذبه الوجود فان كثيرا من اهل الكتاب امن بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبع قبلته واجيب بان المراد من قوله ما تبعوا
قبلتك انهم لا يجتمعون على الاتباع كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وسلب الاجتماع لا ينافي اتباع البعض بكل اية برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة

هو



هو الحق ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المحذوف ساد مسد جواب الشرط واللام في ولئن الموطئة للقسم اي والله لئن اتيتهم بكل برهان ما اجتمعوا على قبلتك
لان فيهم من قد ترك اتباعك لا لشبهة تزيلها بايراد الحجة بل عنادا ومكابرة مع علمهم بما في كتبهم من نعتك ومن خص اللفظ بالعلماء فان صح عنده انه لم
يتبع منهم احد قبلتنا لم يحتج الى هذا التاويل بل يكون ما تبعوا في قوة ما تبع احد منهم وما انت بتابع قبلتهم رفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة
لا تصير منسوخة بالتوجه الى بيت المقدس حسما لاطماع اهل الكتاب فانهم طمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون
صاحبنا الذي ننتظره وفيه انه لا يجب عليه استصلاحهم باتباع قبلتهم لان ذلك معصية وانما وحد القبلة للعلم بان لليهود قبلة وللنصارى قبلة
اخرى او لانهما بحكم الاتحاد في البطلان واكد وما بعضهم بتابع قبلة بعض ان حمل على الحال فالمعنى انهم ليسوا مجتمعين على قبلة واحدة حتى يمكن ارضاهم
باتباعها وانهم مع اتفاقهم على تكذيبك متباينون في القبلة فكيف يدعونك الى شيئين مختلفين وانه اذا جاز ان يختلف قبلتاهما للمصلحة
فلم لا يجوز ان يكون المصلحة في ثالثة وان حمل على الاستقبال فالمعنى ان اليهود لا يترك قبلتهم الى المشرق ولا النصارى الى المغرب بحيث يتعطل احد القبلتين
لان اليهود لا يصير نصرانيا او بالعكس ولعل ذلك قد وقع اخبر الله تعالى عن تصلب كل حزب فيما هو فيه محقا او مبطلا ولئن اتبعت اهواءهم كلام على سبيل الفرض
والتقدير لقرينة وما انت بتابع قبلتهم المعنى لئن اتبعت مثلا بعد وضوح الدلائل وانكشاف جلية الامر في باب الديانة انك اذا اي اذا اتبعت
لمن المرتكبين الظلم الفاحش لان سيئات الرجل الكبير كبائر فكيف بكبائره وفيه ان ترك العمل من العلماء اقبح وفيه لطف للنبي صلعم فان مزيد المحبة يقتضي
التخصيص لمزيد التحذير ولعله كان في بعض الامور يتبع اغراضهم كترك المخاشنة في القول واستمالة قلوبهم طمعا منه في اسلامهم ومعاضدتهم فنهي
عن ذلك القدر ايضا وايس منهم بالكلية كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وفيه اشارة للامة كالرجل الحازم يقبل على بر اولاده واصلاحهم فيزجره عن شيء بحضرة سائر الاولاد والغرض زجرهم واصلاحهم وانه لا
محالة يؤاخذون بالطريق الاولى وخالفوه الذين آتيناهم الكتاب هم علماؤهم بدليل يعرفونه اي الرسول معرفة جلية يميزون بينه وبين
غيره بالمشخصات من النعت والنسب والقبلة حسبما وجدوه في كتبهم كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وما مصدرية او كافة
والغرض تشبيه عرفان شخصه بعرفان اشخاص الابناء لا تشبيه العلم بنبوة محمد صلعم بالعلم ببنوة الابناء والا كان تشبيه المعلوم
بالمظنون عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلعم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته
قد خانت فقبل عمر رأسه جاز اضمار الرسول وان لم يجر له ذكر لدلالة الكلام عليه وفيه تفخيم لشأنه وانه معلوم بغير اعلام ولا يصح ان يقال المراد بالمعرفة
معرفتهم الحاصلة من قبل ظهور المعجزات على يده لانه لا يفيد الا كونه نبيا وهم لا ينكرون ذلك وانما ينكرون كونه النبي صلعم المنعوت في كتبهم فرد الله عليهم
ذلك فانهم وانما خص الابناء بالذكر لانهم اعرف واشهر وبصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق ولونا وبا فالذكور اولى بالذكر وقيل الضمير للعلم او القرآن
او تحويل القبلة وفي الكل تكلف ينبو عنه قوله ابناءهم ويباينه الحديث عن عبد الله بن سلام ولما كان من علمائهم العارفين باحوال النبي صلعم
من آمن به واظهر الحق وهو ما يجب القول به ويجب العمل بمقتضاه كعبد الله بن سلام واتباعه قال تعالى وان فريقا منهم يريد من سوى المؤمنين منهم المسلمين
ليكتمون الحق الذي هو امر القبلة ثم اكد ذلك بقوله وهم يعلمون فانه لا يوصف بالكتمان الا من علم المكتوم الحق من ربك يحتمل ان يكون خبر
مبتدأ محذوف اي هو الحق من ربك خبر بعد خبر او حال وان يكون مبتدأ خبره من ربك وفي اللام يكون وجهان العهد والاشارة الى الحق الذي
عليه رسول الله صلعم والى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق والجنس على معنى الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما سواه كالذي عليه اهل الكتاب
باطل فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في كون الحق من ربك وقد يجوز ان ينهى الشخص عما يعلم انه منته عنه لمثل ما تقرر في قوله
ولئن اتبعت ولكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والوجهة اسم للجهة ولذلك ثبتت الواو كما قالوا ولدة في جمع الوليد والصبية مما لا تجتمع مع الهاء
في المصادر وقوله هو اما ان يعود الى الله وثاني مفعولي موليها محذوف اي هو موليها وجهه والله موليها اياه ثم اختلف في التفسير فقيل
المعنى ولكل اهل دين من الاديان المختلفة قبلة ووجهة اما بشريعة واما بهوى هو مستقبلها ومتوجه اليها الصلوة التي يتقرب بها الى ربه وكل يفرح
بما هو عليه لا يفارقه فلا سبيل الى اجتماعكم على قبلة واحدة ولستم تؤاخذون بفعل غيركم فانما لهم اعمالهم ولكم اعمالكم فاستبقوا انتم الخيرات
الدنيوية وهي الشرف والفخر بقبلة ابراهيم والاخروية وهي الثواب الجزيل المعد للمطيعين اينما تكونوا من جهات الارض يأت بكم الله جميعا في صعيد
القيامة فيفصل بين المحق منكم والمبطل والمصيب والمخطئ انه قادر على ذلك وقيل ان الله تعالى عرفنا ان كل واحدة من بيت المقدس والكعبة قبلة فالجهتان
من الله تعالى وهو الذي ولى وجوه عباده اليهما فاستبقوا الخيرات بالانقياد لامره في الحالين ولا تلتفتوا الى مطاعن السفهاء فان الله يجمعكم واياهم يوم
القيمة فيحكم بينكم وقيل ولكل قوم منكم يا امة محمد جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الى الصلوات من الجهات وهي
الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم للجزاء ويجعل صلواتكم واحدة كانها الى جهة واحدة
لمحاذاة الجميع الكعبة ولقراءة ابن عامر مولاها معنيان احدهما ان ما وليته فقد ولاك والآخر نيته ملك الجهة وحببت اليه قبل ولكل مخلوق قبلة
فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسي وقبلة الكروبيين البيت المعمور وقبلة الانبياء الذين قبلك بيت المقدس وقبلتك الكعبة وهي قبلة
جسدك وقبلة روحك انا وقبلتي انت فاني عند المنكسرة قلوبهم لاجلي ثم ان الشافعي استدل بقوله فاستبقوا الخيرات على ان الصلوة في اول الوقت افضل





وعند ابي حنيفة التأخير افضل لان فضيلة الانتظار ولتكثر الجماعة ولما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر وقال ابن مسعود ما رأيت اصحاب رسول الله حافظوا على شيء ما حافظوا على التنوير بالفجر واجيب بان الانتظار قبل مجيء الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم يا علي ثلثة لا تؤخرها الصلوة اذا اتت والجنازة اذا حضرت والايم اذا وجدت لها كفوا وان المراد بالاسفار والتنوير هو طلوع الفجر الصادق بحيث لا يشك فيه وذلك مما لا نزاع فيه وانما النزاع فيما اذا تحقق دخول الوقت ثم تكاسل المكلف وتشاغل وتغير اسباب الصلوة تشاغل فيه ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت يا محمد فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المأمور للحق الذي يجب ان يقبل ويعمل به حال كونه من ربك وما الله بغافل عما تعملون وعد للمطيعين ووعيد للعصاة فليعلم واعلم ان امر التولية ذكر الله تعالى ثلث مرات وللعلماء في سبب التكرير اقوال اولها ان الاية الاولى محمولة على ان يكون المكلف حاضر المسجد الحرام و الثانية على ان يكون غائبا عنه ولكن يكون في البلد والثالثة على ان يكون خارج البلد في اقطار الارض فقد يمكن ان يتوهم للقريب من التكليف ما ليس للبعيد فازيل ذلك الوهم وثانيها انه نيط بكل واحدة ما لم ينط بالاخرى وذلك انه اكد الاولى بان اهل الكتاب يعلمون حقيته بشهادة التورية والانجيل واكد الثاني باخبار الله تعالى عن حقيته وكفى به شهيدا واتبع الثالث غرض التحويل وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة كما ان قوله فباي آلاء ربكما تكذبان وامثال ذلك تكرر بحيث نيط بكل منها فائدة وثالثها ان الاية الاولى توهم ان التحويل انما فعل رضى للنبي وطلبا لهواه حيث قال فلنولينك قبلة ترضاها فازيل التوهم بتكرار الامر وتعقيبه بقوله وانه للحق من ربك اي نحن ما حولناك الى هذه القبلة بمجرد رضاك وهواك كالقبلة المهوى والمنسوخة التي انما يقيمون عليها بمجرد الهوى والتشهي لكنها حق من ربك بعدها وافقت رضاك وفي الثالثة بيان الغرض ورابعها ان الاولى لتعميم الامكنة والثالثة لتعميم الازمنة اشعارا بانها لا تصير منسوخة البتة وخامسها الزم هذه القبلة فانها التي كنت تهواها الزم هذه القبلة لحق لا قبلة الهوى الزام هذه القبلة فيها ينقطع عنك حجج العدى وهذا قريب من الثالث وسادسها هذه الواقعة اول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرير لمزيد التأكيد والتقرير وسابعها قلت الاية الاولى مشتملة على تكليف خاص بالنبي فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ثم على تكليف عام له ولامته وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والاية الثانية ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام لاجل تكليف اخص هو تكليف الالتفات عما سوى الله الى الله وهو تكليف الصديقين وهو سنة خليل الرحمن عم وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض ومما يؤيد هذا التأويل تعقيبه بقوله وانه للحق من ربك لم يستظهر على هذا الا بشهادة نفسه حيث لم يبق الا هو وهو مقام الفناء في الله بخلاف الاية الاولى فانها اكدت بشهادة الغير والاية الثالثة اقتصر ههنا على امر النبي دون الامة لان هذه المرتبة وهي المسجد الحرام حرام لا يليق بكل احد جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولذلك قدم على الاية قوله ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات فدل على ان المذكور بعدها مرتبة السابقين ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ثم لما كان من المحتمل ان يظن ان التكليف الاخص ناسخ للتكليف الخاص والعام له ولامته كرر الايات الاولى بعينها ليعلم ان حكمها باق بالنسبة الى عموم المكلفين والله تعالى اعلم بحقائق الامور قوله لئلا يكون اي ولاجل هذا الغرض وقال الزجاج يتعلق بمحذوف اي عرفتكم لئلا يكون للناس عليكم حجة والناس قيل هم اليهود كانوا يطعنون بانه يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا ويقولون ما دري محمد ودينه اين يتوجه في صلوته حتى هديناه وقيل هم العرب قالوا انه يقول انا على دين ابرهيم والان لما ترك التوجه الى الكعبة فقد ترك دين ابرهيم وانما اطلق الحجة على قول المعاندين لان المراد المحاجة وسماها حجة تهكما او طباقا او بناء على معتقدهم لانهم يسوقونها سياق الحجة وقد تكون الحجة باطلة قال تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وكل كلام يقصد به غلبة الغير حجة وعلى هذا فالاستثناء متصل والمراد بالذين ظلموا المعاندون من اليهود القائلون بانه ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء او بعض العرب القائلون بان محمدا عاد الى ديننا في الكعبة وسيعود الى ديننا بالكلية وقيل الاستثناء منقطع وقيل الا بمعنى الواو وانشد شعر وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان يعني والفرقدان واذ طعنوا في دينكم من غير سبب فلا تخشوهم فانهم لا يضرونكم واخشوني واحذروا عقابي ان انتم عدلتم عما الزمتكم وفرضت عليكم على وفق مصلحتكم فعلى المرء ان ينصب بين عينيه في كل افعاله وتروكه خشية الله ويقطع الرجاء والخوف عمن سواه قوله ولاتم قيل معطوف على لئلا اي حولتكم الى هذه القبلة لحكمتين احديهما انقطاع حجتهم والثانية اتمام النعمة بحصول شرف قبلة ابرهيم وقيل متعلقه محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك وقيل معطوف على علة مقدرة كانه قال واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وهذا الاتمام لا ينافي ما انزل في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان لله تعالى في كل وقت نعمة على المكلفين ولها تمام بحسبها فهذا تمام النعمة في امر القبلة وذاك تمام النعمة في امر الدين على الاطلاق وعن علي عم تمام النعمة الموت على الاسلام وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة كما ارسلنا ما مصدرية او كافة ثم ان الجار والمجرور يتعلق بما قبله او بما بعده وعلى الاول قيل معناه ولاتم نعمتي عليكم في الدنيا بحصول الشرف وفي الاخرة بالفوز بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او ولاتم نعمتي ببيان الشرائع واهديكم الى الدين اجابة لدعوة ابرهيم حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا كما ارسلنا فيكم رسولا اجابة لدعوته حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا وقيل معناه وكذلك جعلناكم امة وسطا كما ارسلنا فيكم رسولا وعلى الثاني معناه كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني اذكركم تارة اخرى وفيه ان نعمه على العبد لا ينقطع فكل نعمة سابقة فيضم اليها اخرى لاحقة حتى يكون له الفضل اولا واخيرا وبداية

وبهاية وفي نسائه فيهم ومنهم اي من العرب نعمة عظيمة عليهم لما لهم فيه من الشرف ولان المشهور من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فبعثه الله تعالى من واسطتهم ليكونوا الى القبول اقرب وثانيها كون القرآن متلوا من اعظم النعم لانه معجزة باقية ولانه يتلى فيتأدى به العبادات ولانه يتلى فيتأدى به العبادات ولانه يتلى فيستفاد منه جميع العلوم ولانه يتلى فيوقف على مجامع الاخلاق الحميدة ففي تلاوته خير الدنيا والآخرة ومعنى التزكية وتعليم الكتاب والحكمة قدمر في دعاء ابرهيم في قوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون تنبيه على انه تعالى ارسله على فترة من الرسل وجهالة من الامم وتحير الناس في امر الدين بانه يعلمهم ما احتاجوا اليه في صلاح معاشهم ومعادهم وذلك من اعظم انواع النعم فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون تكليف بامرين الذكر والشكر وقدمر ذكر الشكر في تفسير الحمد وقوله ولا تكفرون عطف بالواو وليعلم ان جحود النعمة منهي عنه كما ان الشكر مامور به ولو قطع على طريقة قوله تعالى اقول له ارحل لا تقيمن عندنا لاوهم ان المقصود بالذات هو الثاني والاول في حكم المنحى ويحتمل من حيث العربية ان يكون لا نافية والنون للوقاية ومحل الجملة النصب على الحال اي اشكروا لي غير جاحدين لنعمتي واما الذكر فباللسان وهو ان يحمده ويسبحه ويمجده ويقرأ كتابه وبالقلب وهو ان يتفكر في الدلائل على ذاته وصفاته وفي الاجوبة عن شبه الطاعنين فيها وفي الدلائل على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ليعمل بمقتضاها ثم يتفكر في اسرار المخلوقات متوسلا من كل ذرة الى موجدها وبالجوارح وهو ان يكن مستغرقة في الاعمال المامور بها فارغة عن الاشغال المنهي عنها ولهذا الوجه سمى الصلوة ذكرا فاسعوا الى ذكر الله وما ذكر الله تعالى فلا بد ان يحمل على ما له تعلق بالثواب والطاعة والرضاء واستحقاق المنزلة والاكرام فالحاصل اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة اذكروني في الخلوات اذكركم في الفلوات اذكروني في الرخاء اذكركم في البلاء اذكروني بالمجاهدة اذكركم بالهداية اذكروني بالصلوة والاخلاص اذكركم بالخلاص وبمزيد الاختصاص اذكروني بالعبودية اذكركم بالربوبية اذكروني بالفناء في اذكركم بالبقاء

يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل

اي انجماعت كه گرويده ايد ياري خواهيد بروزه ونماز بدرستيكه خدا با تحمل كنندگانست ومگوييد درباره آنها كه كشته شوند در راه خدا كه مرده اند بلكه آنها

احياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين

زنده اند وليكن شما درك نكنيد وهرآينه بيازماييم شما را بچيزي از ترس وگرسنگي وكاستن از مالها ونفسها وميوها ومژده ده صابران را

الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

آنانكه چون در رسد آنها را داهيه گويند كه ما ايم در تحت قدرت خدا وما ايم كه باز گرديم بسوى او آنگروه برايشانست رحمتهاى بيشمار از پروردگارشان وآنگروه ايشانند هدايت يافتگان

القراءة انا لله بالامالة فيهما قتيبة ونصير وانما جازت مع امتناعها في الحروف لكثرة استعمال كلمة الاسترجاع الوقوف والصلوة ط الصابرين ه اموات ط لا تشعرون ه والثمرات ط الصابرين لا لان الذين صفتهم مصيبة لا لان قالوا جواب اذا راجعون ط لان اولئك مبتدأ على الاصح من ابتداء بالذين خبره اولئك مع ما يتلوه ووقف على الصابرين ولم يقف على راجعون المهتدون ه التفسير انه تعالى لما اوجب بقوله فاذكروني واشكروا لي جميع الطاعات ورغب بقوله ولا تكفرون عن جميع المنهيات فان الشكر بالحقيقة صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى به عليه الى ما اعطاه لاجله ندب الى الاستعانة على تلك الوظائف بالصبر والصلوة فالصبر قصر النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى والصلوة اذا اشتملت على مواجب الخشوع والتذلل للمعبود المدبر لا مانع الوعد والوعيد للترغيب والترهيب يجر ذلك الى اداء حقوق سائر الطاعات والاجتناب عن جميع الفواحش والمنكرات ان الله مع الصابرين بالنصر والتأييد ومزيد التوفيق والتسديد ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقيل الصبر الصوم وقيل الجهاد بدليل قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي هم اموات بل هم احياء وعلى الوجه الاول كانه قيل استعينوا بالصبر والصلوة في اقامة ديني وسلوك سبيلي فان احتجتم في ذلك الى مجاهدة عدوي باموالكم وانفسكم فتلفت فان قتلاكم احياء عندي من قتله محبه فديته رؤيته ثم ان اكثر المفسرين على انهم احياء في الحال فمن الجائز ان يجمع الله تعالى من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة فيرى معظم جسد الشهيد ميتا فلا يحس بحيوته واليه الاشارة بقوله ولكن لا تشعرون ومما يؤيد هذا القول الآيات الدالة على اثبات عذاب القبر النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اغرقوا فادخلوا نارا والفاء للتعقيب قال القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ولم يزل ارباب القلوب يزورون قبور الشهداء ويعظمونها وقيل المعنى لا تسموهم بالاموات وقولوا انهم الشهداء الاحياء او المراد قولوا هم احياء في الدين وانهم على هدى ونور من ربهم لا كما يزعم المشركون انهم ليسوا من الله في شيء ولا تقولوا مثل ما يقول منكروا البعث انهم لا ينشرون وقد ضيعوا اعمارهم ولكنهم سيحيون فيثابون وينعمون في الجنة وعلى هذا الوجه لا يبقى لتخصيص الشهداء بكونهم احياء فائدة وكذا القول مع المؤمنين ولكن لا تشعرون وقيل ان الثواب وكذا العقاب للروح لا للقالب لانه مدرك للجزئيات ايضا فلا يمتنع ان يتألم ويتلذذ ثم انه سبحانه يرد الروح الى البدن في القيامة الكبرى حتى ينضم الاحوال الجسمانية الى الادراكات الروحانية عن ابن عباس ان الآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلعم قال ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة اي تأكل ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من اداء حقوق الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام تنقلبون على اعقابكم وتظهرون الجزع على استرداد ما بايديكم فيه ما بمستعير امرا اولا بالشكر على كمال الشرائع ثم بالصبر على التكاليف الدينية ثم خص على التثبت عند طروق النوائب وبروق المصائب وعني بشيء بعيان من هذه الاشياء وانهم

لو قال باشياء لاوهم ان من كل واحد من الخوف والجوع وغيرهما شيئا يسيرا وفيه ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل هو بالنسبة اليه فيه ان حتم معهم في كل حال لانزال بلاء بهم واعلم ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فاذا خطر ببالك فهو قد مضى يسمى ذكرا وتذكرا وان كان في الحال سمي ذوقا ووجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان تعلق بالاستقبال وغلب خطوره على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب يسمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا يسمى ذلك الارتياح رجاء واما الجوع فالمراد منه القحط وتعذر تحصيل القوت عن عطاء والربيع ابن انس ان المراد بهذه المخاطبة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقد حصل لهم عند مكاشفة العرب خوف شديد بسبب الدين فكانوا لا يامنون قصدهم اياهم واجتماعهم عليه وقد كان من الخوف في وقعة الاحزاب ما كان هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واما الجوع فقد اصابهم في اول مهاجرة النبي الى المدينة لقلة اموالهم حتى انه صلى الله عليه وسلم كان يشد الحجر على بطنه وقد روي انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فالتقى مع ابي بكر فقال ما اخرجك قال الجوع قال ما اخرجني الا الجوع وكانوا ينفقون اموالهم في الاستعداد للجهاد ثم يقتلون فهنالك يحصل النقص في المال والنفس وقد يحصل الجوع في سفر الجهاد عند فناء الزاد ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله الا كتب لهم به عمل صالح وقد يكون النقص في النفس بموت الاخوان والاخدان واما نقص الثمرات فقد يكون بالجدب وقد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد قال صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ونقص عطف على شيء ويحتمل ان يعطف على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة قال الامام الغزالي رحمه الله الصبر من خواص الانسان ولا يتصور ذلك في البهائم لنقصانها فليس لشهواتها عقل يعارضها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا ولا في الملائكة فليس لعقلهم شهوة تصرفهم عن الاشتغال بجذبة الكبرياء المتعال وتمنعهم عن الاستغراق في مطالعة حضرة ذي الجلال فاما الانسان فانه في الصبي بمنزلة البهيمة ليس له الا شهوة الغذاء ثم شهوة اللعب بعد حين ثم شهوة النكاح لكنه اذا بلغ انعم له مع الشهوة الباعثة على اللذات العاجلة عقل يدعوه الى الاعراض عنها والاقبال على تحصيل السعادات الباقية فيقع بين داعيتي العقل والشهوة تضاد وتقاتل فثبات داعية العقل بازاء داعية الشهوة هو المعنى بالصبر ثم انه ضربان بدني فعلا كتعاطي الاعمال الشاقة او تعففا كالثبات على الالام ونفساني وهو منع النفس عن مقتضيات الطبع فان كان تحبسا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان احتمال مكروه فان كان من مصيبة خص باسم الصبر ويضاده حالة هي الجزع وهي اطلاق داعي الهوى في رفع الصوت وضرب الخد وشق الجيب ونحوها وان كان في حال الغنى سمي ضبط النفس ويضاده حالة البطر وان كان في حال مبارزة الاقران سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب يسمى حلما ويضاده الضجر وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام يسمى كتمانا وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة ويضاده الشره وليس الصبر ان لا يجد الانسان الم المكروه ولا ان لا يكره ذلك فانه غير ممكن وانما الصبر على المصيبة هو حمل النفس على ترك اظهار الجزع ولا باس بظهور الدمع وتغير اللون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى على ابراهيم ابنه فقيل له في ذلك فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا ثم الصبر عند الصدمة الاولى والا فينسى سلوا وهو مما لا بد منه ولهذا قيل لو كلف الناس دوام الجزع لم يقدروا عليه وقد وصف الله تعالى في القرآن الصبر في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات اليه فقال وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من طاعة الا واجرها مقدر الا الصبر ولان الصوم من الصبر قال تعالى في حديثه القدسي الصوم لي فاضافه الى نفسه ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة بالصبر فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة وجمع للصابرين امورا لم يجمعها لغيرهم اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان لان الايمان لا يتم الا بترك ما لا ينبغي والاتيان بما ينبغي والاستمرار على كل منهما انما ياتي بالصبر فكل الايمان صبر الا ان كل واحد منهما قد يكون مطابقا لمقتضى الشهوة فلا يحتاج فيه الى الصبر فلهذا عاد الى النصف وقد جاء الايمان هو الصبر وذلك كقوله الحج عرفة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وقال يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له ارضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول تعالى لقد انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين ومن فضيلة الصبر انه قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فان المشبه به يجب ان يكون اقوى كما في قوله شارب الخمر كعابد الوثن وروي ان سليمان يدخل الجنة بعد الانبياء باربعين خريفا لمكان ملكه واخر اصحابي دخول الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب ثم ان الله تعالى بين ان الانسان كيف يكون صابرا وانه متى يستحق البشارة فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة هي من الصفات الغالبة التي لا تكاد تستعمل موصوفاتها وتختص من بين ما يصيب الانسان بحالة مكروهة كالنائبة والواقعة والملمة وانما تشمل كل مضرة ينالها من قبل الاسباب السماوية والارضية المنتهية الى مسبب الاسباب بواسطة ظاهرة او خفية قالوا انا لله اقرار بالعبودية وانا اليه راجعون تفويض للامر اليه كما يقال ان الملك والدولة رجع الى فلان لا يراد الانتقال بل القدرة وترك المنازعة انا لله

الهم وان كان فاقة من النوائب سمى سعة الصدر ويضاده

اعتراف بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك فالاول اشارة الى المبدأ وانا اليه راجعون تصريح بالمعاد انا لله اعلام بالفناء فيه وانا اليه
راجعون ايمان بقدوم واعلم ان الرضا بالقضاء انما يحصل للعبد من الله تعالى بطريقين الصرف والجذب اما الصرف فمن مال قلبه الى شيء والتفت
خاطره اليه جعله تعالى منشأ للآفات ليعرف فيصرف قلبه من عالم الحدوث الى جانب القدس كما ان آدم لما تعلق قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت
الجنة فبقي آدم مع ذكر الله ولما استأنس يعقوب بيوسف وقع الفراق بينهما فبقي يعقوب مع ذكر الحق ولما طمع محمد صلى الله عليه وسلم من اهل مكة في النصرة والاعانة صاروا
من اشد الناس بغضا له فاخرجوه وقد لا يجعل ذلك الشيء بلاء ولكن يرفعه من البين حتى لا يبقى لا البلاء ولا الرحمة فحينئذ يرجع العبد الى الله وقد يتوقع
العبد من جانب خيرا فاعطاه الله تعالى ذلك بلا واسطة فيستحيي العبد فيرجع الى الله واما الجذب فجذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ومن جذبه الحق
الى نفسه صار مغلوبا الا ان الحق غالب فيصير الربوبية غالبة على العبودية والحقيقة مستعلية على المجاز كالعبد الداخل على السلطان المهيب ينصرف
فكره اليه ويشتغل بالكلية عمن سواه ويصير فانيا عن نفسه وعن حظوظها فيحصل له مرتبة الرضاء بقضية الحق سبحانه من غير ان يبقى في طاعته شبهة
المنازعة عن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفي سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وعن ام سلمة ان ابا سلمة حدثنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من مسلم يصاب بمصيبة فيفزع الى ما امر الله به من قوله انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتي فأجرني منها وعوضني خيرا منها الا
آجره الله عليها وعوضه خيرا منها قالت فلما توفي ابو سلمة ذكرت هذا الحديث وقلت هذا القول فعاضني الله محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس اخبر الله تعالى
ان المؤمن اذا سلم لامر الله ورجع واسترجع عند مصيبته كتب الله تعالى له ثلث خصال الصلوة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى وعن عمر قال نعم
العدل انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ونعم العلاوة واولئك هم المهتدون قيل الصلوات من الله الثناء و
المدح والتعظيم والرحمة النعم العاجلة والآجلة وقيل الصلوة الحنو والتعطف وضعت موضع الرأفة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى
عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب او الفائزون بالكرامة والصواب هم المتمسكون بادابه المستمسكون بما الزم
وامر وفي الآية حكمان فرض ونفل فالفرض هو التسليم لامر الله تعالى والرضاء بقضائه والصبر على اداء فرائضه لا يصرفه عنها مصائب الدنيا و
والنفل قوله انا لله وانا اليه راجعون فان في اظهاره فوائد منها ان غيره يقتدي به اذا سمعه ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله
تعالى والثبات على طاعته واما الحكمة في تقديم تعريف الابتلاء فهي ان يوطنوا نفوسهم لهذه المصائب او ورودها فيكون ابعد من الجزع وايضا اذا علموا
انه سيصل اليهم تلك المحن اشتد خوفهم فيكون ذلك الخوف تعجيلا للابتلاء فيستحقون بذلك مزيد الثواب وايضا اذا اخبر بوقوع هذا الابتلاء
ثم وقع كان ذلك اخبارا بالغيب فيكون معجزا وايضا فيه تنفير المنافق وتمييزه عن الموافق كما ان الحكمة في نفس الابتلاء ايضا ذلك ؛ دعوى الاخاء
كثيرة ؛ بل في الشدائد تعرف الاخوان ؛ اذا تلك هذه الهجر لي خلل البلى ؛ يقولون لولا الهجر لم يطب الحب ؛ وان قلت كربي دائم قال انما يعد
محبا من يدوم له الكرب ؛ وان قلت ما اذنبت قالت مجيبة ؛ حياتك ذنب لا يقاس به ذنب ؛ ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن
حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون ما انزلنا من
البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون آنان که در پرده دارند آنچه را که ما فرستادیم از
گواهان و درستی پس از آنکه واضح گردانیدیم آنرا برای مردمان در قرآن آن گروه لعنت کند ایشانرا خدا و لعنت کنندشان لعنت کنندگان الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا
فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك بجز آنها که توبه کردند و اصلاح نمودند و بیان کردند
پس آن گروه می‌پذیرم توبه ایشان را و منم توبه پذیر مهربان هر آئینه آنان که کافر شدند و مردند در حالیکه کافر اند آن گروه عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون القراءة من تطوع بتشديد بر ایشانست لعنت خدا و فرشتگان و مردمان
همه جاوید اند در آن لعنت که سبک کرده نشود از ایشان عذاب و نه ایشان مهلت داده شوند الطاء والجزم حمزة وعلي وخلف وزيد ورويس والباقون بالتخفيف وفتح
الراء على المضي الوقف شعائر الله ج للشرط مع فاء التعقيب بهما ط لان التطوع خارج عن موجب كونهما من شعائر الله فكان استينافا حكم
عليم في الكتاب لا لان اولئك خبر ان اللاعنون لا للاستثناء اتوب عليهم ج لاحتمال الواو للاستيناف والحال الرحيم اجمعين لا لان خالدين
حال عامله معنى الفعل في اللعنة اي يلعنهم الله حتى قرأ الحسن والملائكة وما بعده بالرفع فيها ج لان ما بعده حال بعد حال او استيناف اخبار ينظرون م
التفسير في تعليق الآية بما قبلها وجوه منها ان السعي بين الصفا والمروة من شرائع ابراهيم عليه السلام كما مر في قصة هاجر فذكر عقيب تحويل القبلة التي هي
شرع ابراهيم ومنها انه من آثار هاجر واسمعيل وفيه تذكير لما جرى عليهما من البلوى وحسن عاقبتهما فناسب ان يرد في آية الابتلاء ليعلم ان من صبر على
البلوى نال الدرجة العليا في الدنيا والعقبى ومنها ان اقسام التكاليف ثلثة اولها ما يهتدي العقل الى حسنه كشكر المنعم وذكره واشير الى ذلك
بقوله فاذكروني اذكركم واشكروا لي وثانيها ما ركز في العقول قبحه والتنفر عنه كالآلام والفقر والمحن فانه تعالى لا ينتفع به والعبد يتألم منه الا ان
الشرع لما ورد به بين الحكمة فيه وهي الابتلاء والامتحان فح يعتقد المسلم حسنه وكونه حكمة وثوابا وذلك قوله ولنبلونكم الآية وثالثها ما البر





يهتدى العقل الى حسنه ولا الى قبحه بل يراه كالعبث الخالي عن المنفعة والمضرة فيأتي بها تعبدا محضا وهو اكثر افعال الحج من السعي ورمي الجمار ونحوها
فذكر طرفا من هذا القسم عقيب القسمين الاولين تتميما للاحكام واستيفاء لجميع الاقسام والصفا والمروة هكذا باللام علمان للجبلين المعروفين
بمكة زادها الله شرفا والصفاة في اللغة صخرة ملساء وفي المثل ما تندى صفاته والجمع صفا مقصورا واصفاء وصفي على فعول واذا نعتوا
الصخرة قالوا صفاة صفوا واذا ذكروا قالوا صفا صفوان قال تعالى كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ وعن الاصمعي المروة حجارة بيض براقة يقدح منها النار
الواحدة مروة والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة وذلك ان السعي بين الجبلين من اعلام دين الله وهما من متعبداته وقد شرعه الله تعالى لامة
محمد صلعم ولابرهيم ع قبل ذلك كما مر في قوله وارنا مناسكنا وليس السعي عبادة تامة في نفسه انما يصير عبادة اذا كان بعضا من ابعاض الحج فلهذا قرنه
بقوله فمن حج البيت او اعتمر والحج لغة القصد رجل محجوج اي مقصود وهو ايضا كثرة الاختلاف والتردد وحج فلان فلانا اذا اطال الاختلاف اليه
ثم غلب استعماله في القصد الى مكة للنسك فالحاج يأتي البيت اولا ليعرفه ثم يعود اليه للطواف ثم ينصرف الى منى ثم يعود اليه لطواف الزيارة ثم
يعود اليه لطواف الصدر ومنه محجة الطريق لكثرة تردد الناس فيها والاعتمار لغة الزيارة فالمعتمر يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ثم ينصرف
كالزائر يزور ثم ينصرف والعمرة اسم من الاعتمار لغة الزيارة غلبت على النسك المعروف والجناح الجرح والاثم من قولهم جنح لكذا اي مال اليه كان من
مال الى الباطل ولان الناس يميلون الى صاحبه بالمطالبة ثم قوله لا جناح عليه يدخل تحته الواجب والندب والمباح وظاهر الاية لا يدل على احد الثلثة
بالتعيين فلهذا اختلف العلماء في ان السعي واجب ام لا فتمسكوا بدلائل اخر فعن الشافعي انه ركن ولا يقوم الدم مقامه لقوله صلعم ان الله كتب عليكم
السعي فاسعوا وليس المراد منه العدو بل الجد والاجتهاد في ذلك الشيء بحيث لا يفوت لقوله تعالى فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللّٰهِ ولما ثبت انه صلعم سعى فيجب علينا
اتباعه لقوله تعالى فَاتَّبِعُوهُ ولقوله صلعم خذوا عني مناسككم والامر للوجوب وعن ابي حنيفة انه ليس بركن ولكنه واجب على تاركه دم وعن ابن الزبير
وابن عباس وانس انه تطوع وليس على تاركه شيء لان رفع الحرج دليل الاباحة ولقوله بعد ذلك فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا اجاب الشافعي بما يروى انه كان على
الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من
دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا
يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح فالاباحة ينصرف الى وجود الصنمين حال السعي لا الى نفس السعي كما لو كان على الثوب نجاسة يسيرة
عند ابي حنيفة او دم البراغيث عندنا فقيل لا جناح عليك ان تصلي فيه فان رفع الجناح ينصرف الى مكان النجاسة لا الى نفس الصلوة ولهذا
قال عروة لعائشة ارى انه ما على احد من جناح ان لا يطوف بالصفا والمروة فقالت بئسما قلت يا ابن اختي ان هذه لو كانت على ما اولتها كانت
لا جناح عليه ان لا يطوف بهما واصل يطوف يتطوف فادغم كمن قرأ يطوع بالتشديد فان اصله يتطوع والتطوع ما ترغب من ذات نفسك من غير
ايجاب عليك ومن قال ان السعي واجب فسر هذا التطوع بالسعي الزائد على قدر الواجب وعن الحسن المراد منه جميع الطاعات وهذا اولى لعموم اللفظ فان الله
شاكر اي مجازيهم على الطاعة سمى جزاء الطاعة شكرا تشبيها بجزاء النعمة وفيه تلطف للعباد مثل مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ كانه يقول اني وان كنت
غنيا عن طاعتك الا اني اجعل لها من الموقع ما لو صح علي ان انتفع بها لما ازداد وقعه على ما حصل عليم بالسرائر فيوفي كل ذي حق حقه وهو وعد وعلى [illegible]
قرينة الشكر وان كان فيه ايضا يحتمل التحذير من الاخلال بوظائف الاخلاص في العبادة إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ كلام مستأنف يتناول كل من كتم شيئا من
الدين وقيل هم اهل الكتاب وقيل اليهود خاصة لما روي عن ابن عباس ان جماعة من الانصار سألوا نفرا من اليهود عما في التورية من صفته صلعم ومن الاحكام
فكتموا فنزلت والاول اولى لعموم اللفظ ولان خصوص السبب لا يوجب خصوص الحكم ولان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية فلا ريب ان كتمان الدين
يناسب استحقاق اللعن من الله تعالى فيعم الحكم حسب عموم الوصف ولا يخفى ان القرآن قبل صيرورته متواترا يمكن كتمانه والمجمل من القرآن اذا كان بيانه بخبر الواحد
يجري فيه الكتمان وكذا القول فيما يحتاج اليه المكلف من الدلائل العقلية فلان جماعة من الصحابة حملوه على العموم عن عائشة انها قالت من زعم ان محمدا صلعم
كتم شيئا من الوحي فقد اعظم الفرية على الله والله تعالى يقول إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ فحملت الاية على العموم وعن ابي هريرة قال الناس
اكثر ابو هريرة وتلا ان الذين يكتمون قال بعض المحققين الكتمان ترك اظهار الشيء مع الحاجة اليه وحصول الداعي الى اظهاره لانه متى لم يكن كذلك لا يعد
كتمانا فلما كان ما انزله الله من البينات والهدى من اشد ما يحتاج اليه في الدين وصف من علمه ولم يظهره بالكتمان كما يوصف حديثنا اذا كانت مما يقوى
الداعي الى اظهاره وعلى هذا الوجه يمدح من يقدر على كتمان السر لان الكتمان مما يشق على النفس وفي الاية دليل على ان ما يتصل بالدين ويحتاج
اليه المكلف لا يجوز ان يكتم ومن كتمه فقد عظمت خطيئته والمراد بالبينات كل ما انزله على الانبياء كتابا ووحيا دون ادلة العقل والهدى
يدخل فيه الدلائل العقلية والنقلية لان الهدى الدلالة فيعم الكل وبعبارة اخرى الاول هو التنزيل والثاني ما يقتضيه من الفوائد قوله من بعد
ما بيناه للناس في الكتاب فيشمل كون خبر الواحد والاجماع والقياس حجة لان الكتاب دل على هذه الامور وهذا الاظهار فرض على الكفاية لا على الاعيان
لانه اذا اظهره البعض صار بحيث يتمكن كل احد من الوصول اليه لم يبق مكتوما واذا خرج عن حد الكتمان لم يجب على الباقين اظهاره مرة اخرى وقيل لم
لا يجوز ان يكون كل واحد منهيا عن الكتمان مأمورا بالبيان ليكثر المخبرون فيتواتر الخبر واجيب بان التواطؤ على الوضع والافتراء فلا يكون خبرهم مفيدا
للعلم ومن الناس من يحتج بالآية على وجوب قبول خبر الواحد لان وجوب الاظهار يدل على وجوب العمل بالذي اظهر لاسيما وقد قال إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا



وَاَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا الحكم بوقوع البيان بخبرهم واستدل بالاية ايضا على عدم جواز اخذ الاجرة على التعليم لانها دلت على وجوب التعليم ولا اجرة على اداء
الواجب وقيل في الكتاب اي في التورية والانجيل من نعت الرسول ومن الاحكام والمعنى ما لخصناه بحيث لم ندع فيه موضع اشكال فعمدوا الى ذلك المبين
الملخص فكتموه ولبسوا على الناس وقيل المراد بالمنزل الاول ما في الكتب المتقدمة وبالهدى القرآن اولئك تبعيد لهم عن رحمة الاصطبار يَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ يبعدهم عن كل خير ويلعنهم يدعو عليهم
باللعن اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملائكة وصالحي الثقلين وقيل يدخل فيهم دواب الارض وهوامها فانها تقول منعنا القطر
بشؤم معاصي بني آدم واللاعنون دون اللاعنات تغليب للعقلاء وقيل هم الهوام فقط وانما ذكرها بالنون لانه وصفهم بصفات العقلاء مثل وَالشَّمْسَ وَ
الْقَمَرَ رَاَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ يَا اَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ وقيل كل شيء سوى الثقلين بتقدير انها لو كانت عاقلة كانت تلعنهم
اولانها في الآخرة اذا اعيدت وجعلت من العقلاء فانها تلعن من فعل ذلك في الدنيا ومات عليه وقيل ان اهل النار يلعنونهم ايضا لانهم كتموهم الدين كلما
دَخَلَتْ اُمَّةٌ لَعَنَتْ اُخْتَهَا وعن ابن مسعود اذا تلاعن المتلاعنان وقعت اللعنة على المستحق وان لم يكن مستحقا رجعت على اليهود الذين كتموا ما انزل الله
سبحانه وعن ابن عباس ان لهم لعنتين لعنة الله ولعنة الخلائق قال وذلك اذا وضع الرجل في قبره فيسئل ما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيضرب ضربة
يسمعها كل شيء الا الثقلين فلا يسمع على شيء صوته الا لعنه ويقول له الملك لا دريت ولا تليت اِلَّا الَّذِينَ استثناء منهم وفيه من الرحمة ما فيه وقد مر
ان التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لقبحه لا لغرض سواه فان من ترك رد الوديعة ثم ندم لان الناس لاموه او لان الحاكم رد شهادته لم يكن تائبا
وَاَصْلَحُوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وَبَيَّنُوا ما كتموه وبينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي
بهم غيرهم من المفسدين فَاُولٰئِكَ اَتُوبُ عَلَيْهِمْ اقبل توبتهم بان اسقط العقاب عنهم تجملا واضع مكانه الثواب تفضلا بدلالة قوله وَاَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا عام في كل من كان كذلك وقيل مخصوص بهؤلاء الكاتمين ذكر لعنهم احياء ثم لعنهم امواتا اذا لم يتوبوا وعلى هذا القول يكون
اطلاق الكفر عليهم وهم من اصحاب الكبائر مجازا للتغليظ او يراد بالكفر جحود الحق وستره والمراد بالناس اللاعنين من يعتد بلعنه وهم المؤمنون اجمعون
قيل يوم القيمة يلعن بعض الكفار بعضا فيعم المؤمن والكافر وقيل لعن الجاهل والظالم مقرر في العقول حتى ان الظالم قد يلعن نفسه اذا تأمل في حاله وقيل
وقوع اللعن محمول على استحقاق اللعن على من مات كافرا وان زال التكليف عنه بالموت على ان الكافر اذا جن لم يكن زوال التكليف عنه بالجنون مسقطا
للعنة والبراءة منه وكذلك سبيل ما يوجب المدح والموالاة من الايمان والصلاح اذا مات صاحبه او جن لا يغير حكمه عما كان عليه قبل حدوث الحال وفي
الاية دليل على ان الاموات يجوز لعنهم اذا كفروا ومات لا على الكفر لم يكن ملعونا ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط خٰلِدِينَ فِيهَا في اللعنة وقيل
في النار واضمرت وان لم يجر لها ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لمكانها والاول اولى لتقدم ذكره لفظا ولان اللعنة تشمل النار وزيادة ولانها تعم
في الحال والمآل جميعا بخلاف النار فانها في الاستقبال فمن فسر الذين كفروا بالكاتمين وجوز الخلاص على صاحب الكبيرة فسر الخلود بالمكث الطويل
وقد سلف مثل ذلك لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ بل يبقى في الاوقات باقيا على المبلغ الذي تيح له بحسب استحقاقه وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ اذا استنظروا
من الانظار الامهال ولا ينظرون ليعتذروا ولا ينظر اليهم نظر رحمة اعاذنا الله تعالى من تلك الحالة بعميم فضله وجسيم طوله التأويل الصفا للسر والمروة
للروح والسالك بينهما يسعى ففي صفاء السر يقطع التعلقات عن الكونين وهو التعظيم لامر الله وفي مروة الروح يوصل الخير الى اهله وعياله ونفسه
لمراقبة احوال الباطن ومراعاة اعمال الظاهر وهو الشفقة على خلق الله ومعنى سبع مرات ان يصل بركات سعيه الى سبعة اعضاء في الظاهر والى سبعة
اطوار في الباطن الى سبعة اقاليم العالم لقوله تعالى وَاَنْ لَيْسَ لِلْاِنْسَانِ اِلَّا مَا سَعٰى وَاَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرٰى ومن كمال رافته باهل محبته ان جعل آثار
اقدامهم في اشرف الامكنة وساعات ايامهم اعز الازمنة فلولا تلك المعاهد والاطلال لاشتد الوجد على تلك المشاهد والآثار تعظم وتزار اهوى مواطن من قد
كان ساكنها وليس في الدار لي هم ولا وطر حسبي الله ونعم الوكيل وَاِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَاحِدٌ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ اِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ
و خدای شما خدائی است یگانه نیست خدائی بجز او آن بخشاینده مهربان بدرستیکه در آفرینش آسمانها و زمین
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَاَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
و گردش شب و روز و کشتی آنچنانی که روانست در دریا با آنچه سود میرساند مردم را و آنچه فرو فرستاد خدا از آسمان از آبها پس زنده کرد بآن زمین را پس از مرگش
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ لَاٰيٰتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ القراءة لا اله الا هو بالمد
و پراکنده کرد در آن از هر نوع حیوانی و گردانیدن بادها در جهان و ابرها که رام کرده شده درمیان آسمان و زمین هر آینه نشانها است مر گروهی را که دریابند وكذلك جميع التهليل
روى الهاشمي عن ابن كثير لورود الاثر في هذه الكلمة وهو قوله من قال لا اله الا الله ومدها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وروى ابو الفرج عن
قتيبة الامو بالامالة حيث كان الريح مفردا حمزة وعلي وخلف الباقون الرياح مجموعا الوقوف الرحيم ج نظرا الى ما بعده وصفا خر والى الاختلاف
بالنفي والاثبات الرحيم من كل ط لانه ضرورة طول الاية والا فاسم ان لايات والجار وما يتصل به معترض ولا وجه للوصل والرجوع يعقلون ه
التفسير الواحد قد يكون اسما وذلك في العدد واحد اثنان ثلثة وقد يكون صفة كقولك شخص واحد ومعناه انه لا ينقسم من جهة ما قيل انه
واحد فالانسان الواحد يستحيل ان ينقسم من حيث هو انسان لان الانسان الواحد يستحيل ان ينقسم الى انسانين بلى قد ينقسم الى الابعاض و
الاجزاء وذلك من جهة اخرى ثم زعم قوم ان الواحدية صفة زائدة على الذات لان الجوهر قد يشارك العرض في كونه واحدا ولا يشاركه في كونه جوهرا





في معنى الواحد

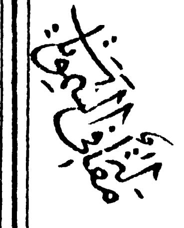
فظ ولانه يصح تعقل الجوهر مع الذهول عن كونه واحدا والمعلوم مغاير لما لم يعلم ولان قولنا الجوهر واحد ليس يجري مجرى قولنا الجوهر جوهر
مقابل الجوهر العرض ومقابل الواحد هو الكثير ثم المفهوم من كونه واحدا امر ثبوتي لانه لو كان سلبيا لكان سلبا للكثرة فان كانت الكثرة سلبية
وسلب السلب ثبوت فالوحدة ثبوتية وهو المطلوب وان كانت الكثرة ثبوتية ولا معنى للكثرة الا مجموع الوحدات فان كانت الوحدة سلبية حصل من
الامور المعدومة امر موجود وهو محال فثبت ان الوحدة صفة زائدة ثبوتية ثم انه لا يمكن ان يقال انه لا نعقلها الا في الذهن لانا نعلم بالضرورة ان الشيء
المحكوم عليه بانه واحد قد كان واحدا في نفسه قبل ان وجد في ذهننا واعتبارنا فثبت ان كون الشيء واحدا صفة ثبوتية زائدة على ذاته قائمة بتلك
الذات والجواب ان كون الشيء واحدا في ذاته معناه كونه بحيث يصح ان يدرك الذهن منه معنى الوحدة وهذه الحيثية لا يتوقف على حصول الذهن في الخارج
ثم ان الوحدة لو كانت صفة زائدة على الذات كانت الوحدات متشاركة في ماهية الوحدة ومتباينة بتعيناتها فيكون للوحدة وحدة اخرى وهلم جرا
وذلك محال ثم ان شيئا من الموجودات لا ينفك عن الوحدة ثم ان العدد فان العشرة الواحدة يعرض لها الوحدة من حيث هي عشرة واحدة فان قلت عشرتان
فالعشرتان مرة واحدة قد عرضت لها الوحدة من هذه الجهة فلا شيء من الموجودات ينفك عن الوحدة ولكن الوحدة تغاير الوجود لان الموجود ينقسم الى
الواحد والكثير والمنقسم الى شيئين مغاير لما به الانقسام والواحد الحق سبحانه وتعالى واحد باعتبارين احدهما الا ان ذاته ليست مركبة من امور كثيرة بل من
امر بسيط واليه الاشارة بقوله والهكم اله واحد والخطاب للممكنات باسرهم والتذكير لتغليب ذوي العقول الذكور وثانيهما انه ليس في الوجود ما يشاركه
في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدأ لجميع الممكنات وهو المراد بقوله لا اله الا هو ويمكن ان يقال القرينتان تدلان على نفي الشريك الا ان الاولى منهما
تدل على اثبات وحدته في الالهية بالمطابقة ويلزم منه نفي الشريك كقولك هو سيد احد تريد الوحدة في السيادة فيلزم نفي ان يكون غيره سيدا والقرينة
الثانية تدل على نفي الشريك بالمطابقة ثم على اثبات المعبودية بالحق فمعناه لا اله في الوجود الا هو وفيه نكتة شريفة وهي ان اثبات الحق وقع في كلتا القرينتين بالمطابقة
ليعلم انه المقصد الاسنى والغاية القصوى وتحقيقه ان العارف له رجوع وعروج وذلك انه قد يفنى في عالم اللاهوت فيبقى ببقاء الحي الذي لا يموت ويطالع
عالم الشهود فيلزم منه نفي ما سوى الحق واذا رجع الى عالم الناسوت ضرورة وجب عليه نفي كل من سواه حتى يعرج الى المقصود فهذا سر عكس الترتيب في القرينتين
ولان الاول مرتبة الصديقين السابقين فلا جرم وقع التكليف بالترتيب الاخير امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم البرهان العقلي على
انه تعالى واحد من جميع الوجوه لا بحسب اجزاء مقدارية كما للاجسام ولا بحسب اجزاء معنوية كما في البسائط النوعية ولا اجزاء اعتبارية كما في البسائط
الجنسية هو ان كل مركب فانه يفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه والمفتقر الى غيره لا يكون واجب الوجود لذاته ايضا فكل ممكن فان وجوده زائد على ماهيته
في العقل والاعتبار فانه يمكن تصور الممكن من حيث انه ممكن مع الشك في وجوده الخارجي لكن لا يمكن تعقل الواجب من حيث انه واجب مع الشك في وجوده
ولا نعني بكون الوجود زائدا الا هذا واما انه تعالى وحده لا شريك له فلان وجوب الوجود يقتضي ان لا يكون الواجب لذاته مفتقرا في شيء الى شيء اصلا
ولا يكون كذلك الا اذا كان في غاية الكمال ونهاية الجلال والجمال ولا ريب ان من كمالات الجميل كونه عديم النظير ومن تحقق معنى وجوب الوجود بنور الباطن
وصفاء الضمير لم يشك في وجوده تعالى ولا في ان واجب الوجود لذاته واجب الوجود من جميع جهاته وواجب الوجود في جميع صفاته وواحد بجميع اعتباراته
حتى عن حمل الوحدة عليه وعن تصور ذاته وههنا حالة عجيبة فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم يصل الى عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد
وصل الى الوحدة فاعرف هذه الاسرار لتتخلص عن ظلمات شبهات الاشرار وتفوز بمقامات الابرار وتستغرق في بحار عالم الانوار بعون الملك الجبار و
شروق انوار الواحد القهار ولك ان تقول انه سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في افعاله لا شريك له اما انه واحد في ذاته
فلانه لو شاركه غيره في حقيقته لزم تركبه مما به الاشتراك وما به الامتياز وكل مركب مفتقر ممكن واما انه واحد في صفاته فلان صفات غيره من غيره وصفاته
من نفسه ولان صفات غيره متناهية دون صفاته ولان صفات غيره متناهية وصفاته غير متناهية كعلمه مثلا فان له معلومات غير متناهية بل له
في كل معلوم علوم غير متناهية بحسب احيان ذلك المعلوم واوقاته وسائر احواله ولان موصوفية ذاته بالصفات ليست بمعنى كونها حالة في ذاته و
كون ذاته محلا لها ولا بمعنى ان ذاته يستكمل بها لان ذاته كالمبدأ لتلك الصفات ولن يستكمل المبدأ بما عن المبدأ بل ذاته مستكملة بذاته
ومن لوازم ذلك الاستكمال الذاتي تحقق صفات الكمال وقد يفضي النظر ههنا الى حيث تقصر العبارة عن الوفاء به وذلك انه لا خبر عند العقول من صفاته
كما انه لا خبر عندها من ذاته فانا لا نعرف من علمه الا انه الذي لاجله ظهر الاحكام والاتقان في المخلوقات كما انا لا نعلم من ذاته الا انه مبدأ لجميع الممكنات
ليبع على قلبه سنا الجلال ومن كشف له العظمة صار حيران فلا احاطة للقطرة بكرة الماء ولا ظهور لضوء السهى عند طلوع الشمس كبد السماء اشنا قد واد
بدا الطرف من جلاله لا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله فلوت في ادبار مو العيش في اقباله واصد عنه ذابدا وادوم لطيف خياله واما انه واحد في
افعاله فلان ما سواه ممكن الوجود لذاته ويفيد البون بين الواجب للذات والممكن للذات يوجد التفاوت بين فعليهما ان فرض للممكن فعل من نفسه

الفرق بين الممكن والواجب

الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ثم انه تعالى خص الموضع بذكر
الرحمن الرحيم لان ذكر الالهية والفردانية يفيد القهر والعلو فعقبهما بذكر الصفتين ترويحا للقلوب عن هيبة الالهية وعزة الفردانية واشعارا بانه ما
خلق الخلق الا للرحمة والاحسان ان في خلق السموات والارض الاية ذكر العلماء المعاني في ان يجانس هذه الاية ان في ترجيح وقوع اي ممكن كان على
لا وقوعه لايات للعقلاء الا ان الكلام لما كان لا مع الانس والجن فحسب بل مع الثقلين ولا مع قرن دون قرن بل مع القرون كلهم الى انقراض الدنيا



فيهم من يكتفي بالتقصير في باب النظر والعلم بالصانع من لا يحصي من طوايف الغواة لم يكن مقام ادعى لترك الايجاز الى الاطناب من هذا عن عطا قال
انزل بالمدينة على النبي ﷺ والهكم اله واحد فقالت كفار قريش بمكة ولهم حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما كيف يسع الناس اله واحد فنزلت ان في
خلق السموات والارض الى اخرها وعن سعيد بن مسروق لما نزلت والهكم اله واحد تعجب المشركون وقالوا اله واحد ان كان صادقا فليأتنا باية
فنزلت وزعم بعض الناس ان الخلق هو المخلوق هو الذي يدل على الصانع والتحقيق انه غيره لان الخلق التقدير وتقدير المخلوقات غير نفس المخلوقات ولو كان



عينها والخالقية صفة لله تعالى لزم اتصافه تعالى بالقاذورات والشياطين ولانه يصح تعليل حدوث الحادث بخلق الله تعالى فلا يصح تعليل حدوث نفس
ذلك الحادث ولانه يصح ان يقال خلق السواد وخلق البياض ومفهوم الخلق فيهما واحد ومفهوم السواد غير مفهوم البياض ولاتفاق المعتبرين من النحاة
على ان العالم في قول القائل خلق الله العالم مفعول به لا مفعول مطلق ثم لا نزاع في الاستدلال على الخالق بالمخلوق لكن لا من جهة عينه بل من جهة خلق الله
اياه وهذه الجهة هي التي صيرته اية وقد عدد الله تعالى في هذه الاية ثماني ايات الاولى خلق السموات وقد تكلمنا في عددها وترتيبها في تفسير قوله تعالى فسويهن
سبع سموات وقد زعم اهل الهيئة لما شاهدوا من كل واحد من السيارات السبع حركات مختلفة كالبطوء والسرعة بعد التوسط في الحركة والوقوف
والرجوع بعد الاستقامة وهي الحركة على توالي البروج وعندهم مقدمتان كليتان احديهما ان السموات لا يتطرق اليها الا الاختلاف الوضعي الثانية
ان حركة الكوكب في الفلك ليست كحركة السمك في الماء ولكنه يدور بادارة الفلك اياه ان كل واحد من افلاك السيارات ينقسم الى افلاك اخر يتضمنها الكل
الكلي الذي مركزه مركز العالم ومراكزها يخالف مركزه في الاغلب ثم ان كان مع المخالفة في المركز محيطا بالارض يخص باسم الخارج المركز ويبقى بعد توهم
انفصاله من الفلك الكلي جسمان تعلمان متبادلا الوضع الغلظ والرقة تسميان المتممين وان لم يكن محيطا بالارض يسمى بالتدوير ويكون الكوكب
مركوزا فيه كالفص في الخاتم ويلزم له من مجموع الحركات المركبة من تلك الافلاك حركة مختلفة في النظر وان كان كل منها متشابهة في نفس الامر ونعني بالتشابه
ههنا ان يقطع المتحرك من المحيط في ازمنة متساوية قسيا متساوية او يحدث عند المركز زوايا متساوية وبالاختلاف نقيض ذلك فللقمر من تلك الافلاك
اربعة اثنان متوافقان في المركز وخارج وتدوير وللعطارد اربعة احدها يوافق مركزه مركز العالم وخارجان وتدوير وللزهرة ثلثة موافق وخارج وتدوير ولكل
من الثلثة العلوية كالزهرة ومقادير حركات هذه الافلاك البسيطة موضوعة في الزيجات واما المختلفة فالشمس تقطع جميع الفلك في سنة شمسية وهي
ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا والقمر في ثمانية وعشرين يوما وكل من عطارد والزهرة كالشمس وزحل في ثلثين سنة والمريخ في سنتين و
المشتري باثنتي عشرة سنة جميع ذلك بالتقريب وان تقرر ذلك على الاجمال فنقول في كيفية الاستدلال بهذه الاحوال ان اختصاص مقادير كل واحد من الافلاك
بمقدار معين مع اشتراكها في الطبيعة الفلكية تدل على مخصص مدبر مختار وخبير قدر فقدرها وكذا تخصص كل منها بحيز معين وكذا تعيين نقطتين من
سطح الفلك للقطبية مع تساوي جميع النقط المفروضة عليه في صلوح ذلك وكذا حصول الكواكب والتداوير في جانب معين من الفلك وكذا تفصيل الافلاك
الكلية الى الخوارج والمراكز وابقاء المتممات على اقدار معينة في الرقة والغلظ وكذا تعيين كل من الاجرام بحركة [illegible] السيارات كما قلنا انفا والثوابت بحيث
تتم دورا في ستة وثلثين الف سنة على ما في المجسطي او في خمسة وعشرين الف سنة ومائتي سنة عند المتاخرين والفلك الاعظم في يوم بليلة وكذا
تعيين جهات الحركات شرقا او غربا وشمالا او جنوبا وكذا تعيين مبادي الحركات وتخصيصها بزمان دون زمان فان الافلاك سواء قلت انها
حادثة او يقال انها ازلية لا بد ان يكون لحركاتها اول فان الحركة انتقال من حالة الى حالة وكون الحركة ازلية ينافي المسبوقية بالغير فالابتداء بالحركة
بعد ان لم يكن يقتضي الافتقار الى فاعل مختار يكون الكل تحت قهره وتسخيره وكذا تخصيص كل من الكواكب بعظم اخر وبلون اخر كصفرة عطارد وبياض
الزهرة وكمودة زحل ودرية المشتري وحمرة المريخ وظلمة القمر في ذاته بحيث اذا حال بين الناظر وبين الشمس وذلك في الاجتماع المرئي كسفها وكذا اختلاف
تاثيراتها في هذا العالم باذن خالقها وبالجملة فان هذا الترتيب العجيب والنسق الانيق في تركيب الافلاك وايلاف حركاتها وارتباط اجرامها واختلاف
اوضاعها المستتبعة لاتصالاتها وانصرافاتها اترى انها مبنية على حكمة وبقدرة قدير خبير ام هي واقعة عبثا وجزافا هيهات فان من جوز في بناء رفيع
وقصر مشيد ان التراب والماء انضم احدهما الى الاخر ثم تولد منهما اللبنات ثم تركيب تلك اللبنات وتولد من تركيبها القصر ثم
تزين بنفسه بالنقوش الغريبة والرسوم اللطيفة قضى العقل له بالجنون وسجل عليه بسخافة الراي بل بعده من زمرة الانعام لا من جملة الانام الاية الثانية
خلق الارض ومن تامل في شكلها من الاستدارة وفي حيزها من كونها واقفة في مركز العالم حتى انبعث منها بوقوع الشمس عليها مخروط ظلي في مقابلة
الشمس حتى وقع القمر فيه انخسف ومن انكشاف بعضها عن كرة الماء لمكان الاستقرار عليها وفي اختلاف اوضاع بقاعها بالنسبة الى السماء حتى اختلف
مرور الشمس وساير الكواكب بسمت رؤس قطان البلدان وتباينت الفصول والامزجة والاخلاق وتغايرت الطوالع والمطالع بحسب تغاير الافاق
ومن ساير اعراضها ومنافعها التي نفرط طرفا منها في تفسير قوله الذي جعل لكم الارض فراشا علم افتقارها الى مدبر قدير وعليم خبير واحد في ملكه وملكه
يفعل ما يشاء كما يشاء من غير منازع ومعاند الثالثة اختلاف الليل والنهار واما النهار فانه عبارة عن مدة كون الشمس فوق الافق وفي عرف الشرع



زيادة ما بين طلوع الفجر الصادق الى طلوع جرم الشمس واما الليل فعبارة عن مدة خفاء الشمس تحت الافق ونقصان الزيادة المذكورة وذلك ان
الشمس اذا غابت ارتفع راس مخروط ظل الارض الى فوق فوقع الابصار داخله الى ان يظهر الضلع المستنير منه من جانب الافق الشرقي فيكون اول الفجر الكاذب
ان كان الضوء مرتفعا عن الافق بعد اول الفجر الصادق اذا قرب من الافق جدا وانبسط النور حتى اذا غاب راس المخروط تحت الافق طلع مركز جرم الشمس في



مقابلة فظهر ان الليل والنهار كيف يختلفان اى يتعاقبان فيجيئ هذا ويذهب ذاك كقوله وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة او يختلفان ظلاما وضياء او طولا و
قصرا لان زيادة احدهما يستلزم نقصان الآخر ضرورة كون مجموعهما اربعا وعشرين ساعة او كيف يختلفان فى الامكنة فان نهار كل بقعة ليل
بقعة تقابلها ضرورة كرية الارض او كيف يختلفان باختلاف البلدان فان البلدان كلما ازداد عرضها عن خط الاستواء وهو الموضع المحاذى لمنطقة
الفلك الاعظم المسماة معدل النهار ازداد نهاره فى الصيف طولا وفى الشتاء قصرا او بالعكس فى الليل وقد يرتقى طول النهار بحسب تزايد ربقا ع
القطب الى حيث يصير اليوم بليلته نهارا كله وبازائه الليل ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة نهارا ونصفها الآخر ليلا وذلك اذا صار قطب
الفلك الاعظم محاذيا لسمت الراس ولا عمارة هناك ولا حيث يزيد النهار الاطول على يوم بليلة لشدة البرد اللازم من قبل انخفاض الشمس وفى كون الليل
والنهار فى نفسهما ايتين على وجود الصانع ووحدانيته وكذا من جهة ارتباطهما بحركة النير الاعظم وكذا من جهة انتظام احوال العباد بهما بسبب طلب المعاش
فى الايام والنوم والراحة فى الليالى ومن الغرايب تعاون المتنافيين على امر واحد هو اصلاح معاش الحيوان وان اقبال الخلق فى اول الليل على النوم يشبه موت
الخلايق اولا عند النفخة الاولى ويقظتهم عند طلوع الفجر يضاهى عود الحيوة اليهم فى النفخة الثانية وانشقاق ظلمة الليل بظهور الفجر المستطيل فيه من عجب الاشياء
كانه جدول ماء صاف يسيل فيما بين بحر كدر بحيث لا يمتزجان وكل هذه الامور دلائل على وجود مبدع عظيم الشان غنى عن الزمان والمكان مبرأ عن سمات
الحدوث والامكان الرابعة الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس اى ملتبسة بالذى ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس والفلك بالضم والسكون السفينة واحد
وجمع فضمة الواحد ضمة برد وضمة الجمع ضمة اسد وتانيث صفته ههنا يحتمل ان يكون لتضمين معنى السفينة ويحتمل ان يكون لمعنى الجمعية اى المراكب التى تجرى و
التركيب يدل على الاستدارة والدوران ومنه الفلك الجسم الكروى المحيط به سطحان متوازيان مركزهما واحد فلكة المغزل وفلك ثدى الجارية استدار والبحر
خلاف البر قيل سمى بذلك لاتساعه وتعمقه ومنه تبحر فى العلم والمال ويسمى الفرس الواسع الجرى بحرا قال صلى الله عليه وسلم فى فرس ابى طلحة ان وجدناه لبحرا وقيل من الشق بحرت
اذن الناقة شققتها ومنه البحيرة هذا وقد سلف فى تفسير قوله عز من قائل الذى جعل لكم الارض فراشا ان الماء محيط باكثر جوانب القدر المعمور من
الارض فذلك هو البحر المحيط وقد دخل من ذلك الماء من جانب الجنوب متصلا بالمحيط الشرقى ومنقطعا عن الغربى الى وسط العمارة خليجات اولها اذا
ابتدئ من الغرب الخليج البربرى لكونه حد بربر من ارض الحبشة طوله من الجنوب الى الشمال مائة وستون فرسخا وعلى ضلعه الغربى بلاد كفار الحبشة وبعض
الزنج وعلى الشرقى بلاد مسلمى الحبشة وثانيها الخليج الاحمر طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه يقرب منها ستون فرسخا وبين طرفه
وفسطاط مصر الذى على شرقى النيل مسيرة ثلثة ايام على البر وعلى ضلعه الغربى بلاد الزنج من البربر وبعض بلاد الحبشة وعلى ضلعه الشرقى سواحل عليها فرضة
مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم القوافل مصر والحبشة الى الحجاز ثم سواحل اليمن ثم عدن على الزاوية الشرقية منه وثالثها خليج فارس طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة
وستون فرسخا وعرضه قريب مائة وثمانين وعلى سواحل ضلعه الغربى بلاد عماد ولهذا ينسب البحر هناك اليها وجملة ولاية العرب واحيائهم من الحجاز
واليمن والطايف وغيرها وبواديهم بين الضلع الغربى من هذا البحر والشرقى من الخليج الاحمر فلهذا سمى العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب وفيها مكة
زادها الله شرفا وعلى سواحل ضلعه الشرقى بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران ثم سواحل السند ورابعها الخليج الاخضر مثلث الشكل اخذ من الجنوب الى الشمال ضلعه
الشرقى من بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران يتصل بالمحيط الشرقى وضلعه الغربى خمسمائة فرسخ تقريبا وعلى سواحل هذا الضلع ولايات القنا والصين و هذا
يسمى بحر الصين ومن الزاوية الشرقية الغربية التى هى قريبة من بحر فارس يسمى بحر الهند لكون بعض ولاياتهم على سواحله وايضا قد دخل الى العمارة من جانب
الغرب خليج عظيم يمر من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب يحاذى ارض السودان وينتهى الى بلاد مصر والشام ومن جانب الشمال على بلاد اندلس وبلاد الجلالقة
والسقالبة الى بلاد الروم والشام وينشعب منه شعبة من شمال ارض الصقالبة الى ارض مسلمى بلغار يسمى بحر ورنك طوله المعلوم مائة فرسخ وعرضه ثلثة
وثلثون آزاجا وذلك النواحى منه نحو المشرق عمارة واجبال غير مسلوكة واراض غير مسكونة وينشعب منه ايضا شعبة يسمى بحر طرابزون فهذه هى البحار
المتصلة بالمحيط واما غير المتصلة فاعظمها بحر طبرستان وجيلان وباب الابواب والخزر وابسكون لكون هذه الولايات على سواحله مستطيل الشكل اخذ من
المشرق الى المغرب باكثر من مائتين وخمسين فرسخا ومن الجنوب الى الشمال تقرب من مائتين ومن عجايب البحار الحيوانات المختلفة الاعظام والانواع والاصناف
ومنها الجزاير الواقعة فيها فقد يقال ان فى بحر الهند من الجزاير العامرة وغير العامرة الف وثلثمائة وسبعون ومنها جزيرة عظيمة فى اقصى البحر مقابل ارض الهند فى
ناحية المشرق عند بلاد الصين تسمى جزيرة سرنديب ودورها ثلثة الاف ميل فيها جبال عظيمة ومنها يخرج الياقوت الاحمر وحول هذه الجزيرة تسعة
عشر جزيرة عامرة فيها مداين وقرى كثيرة ومن جزاير هذا البحر جزيرة كله التى يجلب منها الرصاص القلعى وجزيرة سريرة التى يجلب منها الكافور وعجايب
البحر كثيرة ولهذا قيل حدث عن البحر ولا حرج وسئل بعض العقلاء ما رايت من عجايب البحر قال سلامتى منه والسفينة مما الهم الله تعالى مركبها ثم جريانها بعد ثقلها
على وجه الماء فلولا رقة الماء وخفة مادة السفينة ثم عجيب صنعتها لما تم جريانها ولولا الرياح المعينة على تحركها لما تكامل النفع بها ولولا اعتدال الريح
لما سلمت من تلاطم الامواج ولولا تقوية قلوب راكبيها لما صبروا على شدائد ركوبها ولولا انه تعالى خص كل طرف بشئ لم ينبعث الدواعى الى اقتحام الاخطار
فى هذه الاسفار وحمل الامتعة الى الامصار فى البرارى والبحار فلا جرم ينتفع الحامل من حيث انه يربح وينتفع المحمول اليه من حيث انه يجد ما اعوزه وفى الآية
دليل على اباحة ركوب السفينة واباحة الانتفاع بالتجارة الخامسة وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها اما نزول المطر من السماء
فقد مر تحقيق ذلك فى تفسير قوله تعالى او كصيب من السماء وان المراد من السماء السحاب او التقدير من جانب السماء واما التنكير فى من ماء فلان الغرض الوحدة النوعية

وعرضه خمسة وثلثون فرسخا

او



او الصفة يعنى ما هو سبب حيوة الارض كالمطر لا الارض التى قد لا تنبت شيئا كما جاء فى الحديث ليس السنة بان لا تمطروا ولكن السنة ان تمطروا ولا تنبت ولا ريب ان
فى انزال ذلك الماء دلالات على الصانع ووحدانيته حيث جعله فى غاية الصفاء واللطافة والعذوبة وصيره سببا للارزاق وانزله بعد قنوط الناس عند
شدة احتياجهم اليه واودع فى نزوله حيوة الارض اى حسنها ونضارتها ورواءها وبهجتها وخضرتها بخروج اصناف النبات وضروب الاعشاب والوان الازهار
وانواع الاشجار والاثمار وجريان الجداول بينها والانهار بحيث تروق الناظرين وتشوق السامعين فوقت الربيع فى الازمان كسن الصبى فى الانسان وموت
الارض من ترشيح الاستعارة فانه لما عبر عن بهجتها ونضرتها وخضرتها بالحيوة عبر عن جمودها وكمودها وبقائها على الهيئة الاصلية بالموت كانها جسد
لا روح فيه فلا دواء عليه السادسة وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وانه معطوف على انزل فيدخل تحت حكم الصلة ويرجع الضمير فى فيها الى الارض لان قوله فاحيى
عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشئ الواحد فكانه قيل وما انزل فى الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا اى فاحيا بالمطر الارض
وبث فيها من كل دابة لان معاش الحيوان بل حيوته يدور على الماء وجعلنا من الماء كل شئ حى اعلم ان الحيوان اما تولدى او توالدى وكل الصغير
يحتاج الى صانع فرد حكيم يحكى ان شخصا قال بحضرة عمر انى اتعجب من امر الشطرنج فان رقعته صغيرة ولو لعب الانسان به الف مرة لم يتفق مرتان فقال عمر ههنا
ما هو اعجب منه وهو ان مقدار الوجه شبر فى شبر ثم ان مواضع الاعضاء التى فيها من الحاجبين والعينين والانف والفم لا يتغير البتة ومع ذلك لا ترى
شخصين ابدا يشتبهان فى الصورة فما اعظم تلك القدرة والحكمة التى اظهرت فى هذه الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات التى لا حد لها ولولا هذا الاختلاف
لاشتبه الناس بعضهم ببعض فانقطع نظم معايشهم وحوائجهم ومن تامل كتب التشريح وقرا كتاب الحيوان وتتبع عجائب المخلوقات وقف من تراكيبها وخواصها
على ما يقضى منه العجب ويفضى الى الاعتراف بوحدانية الرب السابعة تصريف الله تعالى الرياح مع دقتها ولطافتها وفى ذلك نفع عظيم لانتفاع الحيوان
بتنشق الهواء البارد وبجريان السفن بهبوب الرياح ومن قبل تلقيح الاشجار وسوق السحاب الى حيث يرسله الله تعالى ومن جهة تصحيح الاهوية الوبائية
الى غير ذلك من المنافع والمراد بتصريفها تقليبها فى جهات العالم على حسب المصالح شمالا وجنوبا وشرقا وغربا اى صباء ودبورا وعلى كيفيات مختلفة
حارة وباردة وعاصفة ورخاء ومن قرا الريح بالوحدة فليس فيها دلالة على العذاب فى هذا المقام والذى جاء فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان اذا هبت الريح
قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلا يدل الا على ان مواضع الرحمة بالجمع اولى كما قال تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وقال فى عاد اِذْ
اَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ فقد يختص اللفظة فى القرآن بشئ فيكون امارة له فمن ذلك ان عامة ما جاء فى التنزيل من قوله وما يدريك مبهم غير
معين قال وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ وما كان من لفظ ادريك فانه مفسر وما ادريك ما القارعة وما ادريك ما هيه الثامنة السحاب المسخر
بين السماء والارض يسمى سحابا لانسحابه فى الهواء ومعنى التسخير التذليل وذلك ان طبع الماء ثقيل يقتضى النزول فكان بقاؤه فى جو الهواء على خلاف
طبعه بقاسر مسخر وايضا لو دام لعظم ضرره من حيث انه يستر ضوء الشمس ويكثر الانداء والامطار ويتعذر التردد فى الحوائج ولو انقطع لعظم ضرره
لاستلزامه الجدب والامحال فكان تقديره بالمقدار المعلوم والاتيان به فى وقت الحاجة ودفعه عند زوالها بتدبير ومسخر لا محالة وفى نفس السحاب
من عظمه وتراكمه وارتفاعه وانخفاضه وانبساطه وتخلخله واسوداده لا فوق فى لحظة وانقشاعه فى اخرى واشتماله على الرعد والبرق والصحو والتطبيق
الى غير ذلك من العجائب دلالات واضحة على كمال حكمة موجده ومقدره واما قوله تعالى لَآيَاتٍ فيحتمل ان يكون راجعا الى الكل اى مجموع هذه الاشياء
الثمانية آيات ويحتمل ان يكون راجعا الى كل واحد فان كل واحد منها يدل على مدلولات كثيرة كما فصلنا وايضا فكل واحد منها من حيث انها موجودة
تدل على وجود موجدها وكونه قادرا ومن حيث انها وقعت على وجه الاحكام والاتقان تدل على علم الصانع ومن حيث حدوثها واختصاصها بوقت
دون وقت تدل على ارادته واختياره ومن حيث انها وقعت على الاتساق والانتظام دلت على وحدانية الله تعالى لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
واما قوله تعالى لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فانما خص الآيات بهم لانهم الذين يتمكنون من النظر فيه والاستدلال وفى الاية من الفوائد ان التقليد مذموم وانه ليس
الى الحقيقة سبيل ومنها ان جميع المعارف ليست ضرورية والا لم يحتج الى النظر فى شئ منها وانما خص الآيات الثمانية بالذكر مع ان سائر الاجسام
والاعراض مستوية فى الاستدلال بها على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات لانها جامعة بين كونها دلائل وبين كونها نعما على المكلفين وفى
كانت الدلائل كلما كانت انجع فى القلوب واشد تاثيرا فى الخواطر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها حسبى الله ونعم
الوكيل وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ
وبعضى از مردمان هستند كه فرا گرفته اند بغير از خدا انبازها را دوست ميدارند ايشان را چون دوستى خدا و آنان كه گرويدند بيشتر است دوستى ايشان از براى خدا و اگر بدانند
ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا
ستمكاران كه چون مشاهده كنند عذاب را كه توانگرى مختص بخدا است همه آن و بدرستيكه خدا سخت عقوبت است وقتيكه بيزارى جويند آنها كه پيروى كرده شدند از آنها كه پيروى كردند
وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ
و ديدند عذاب را و بريده شد بايشان وسيلها و بگويند آنها كه تابع گشتند كاشكى بود از براى ما بازگشتى كه بيزارى جوييم از ايشان همچنانكه بيزارى جستند از ما همچنين
يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ القراءة ولو ترى بتاء الخطاب نافع وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون
بنمايد ايشان را خدا كردارهاى ايشان را پشيمانيها بر ايشان و نيستند ايشان بر آينده از آتش جهنم بالياء اذ يرون بضم الياء من الاراءة ابن عامر ان القوة وان الله بكسر الالف



فيهما يزيد وسهل ويعقوب ثم تبرأ بادغام الذال في التاء وكذا ما اشبهه هشام وسهل وابو عمرو وحمزة وعلي وخلف يريهم الله بكسر الهاء والميم
ابو عمرو وسهل وقرأ حمزة وعلي وخلف ويعقوب بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم بخارجين بالامالة ابو عباس وقتيبة لحمزة من النار
الوقوف كحب الله ط حبا لله ط العذاب لا وكذلك جميعا لا لمن قرأ ان وان بالكسر فهما شديد العذاب الاسباب تبرأوا منا ط عليهم ط من النار تفسير
سبحانه تعالى لما قرر التوحيد بالدلائل الباهرة عقبها بتقبيح ما يضاده فبضدها يتبين الاشياء والند المثل المناوي كما سلف والمراد بالانداد ههنا
هي الاصنام التي اعتقد المشركون انها تقربهم الى الله زلفى ونذروا لها النذور وقربوا لاجلها القرابين وقيل يعني السادة الذين كانوا يطيعونهم ويتبعون
على اوامرهم ونواهيهم محللين ما حرم الله ومحرمين ما احل عن السدي واستدل على تفسيره بان قوله يحبونهم فيه ضمير العقلاء ولانه من المستبعد ان يكونوا
يحبونهم كحب الله تعالى مع علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ولقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وذلك لا يليق الا بمن اتخذ العقلاء اندادا وامثالا لله
يلتزمون من تعظيمهم والانقياد لهم ما يلتزمه المؤمنون لله تعالى ويمكن تزييف الحجج بان ضمير العقلاء جاز عوده الى الاصنام بناء على اعتقاد الجهلة حيث
نظموها في سلك المعبود الحق قال تعالى وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وانهم علموا بانها لا تضر ولا تنفع ممنوع ولو علموا
بذلك ما اشركوا وايضا التبري لا يمتنع من الاصنام بدليل قوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم وقال اهل العرفان كل شيء شغلت قلبك به سوى الله
فقد جعلته في قلبك ندا لله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه يحبونهم بعبادتهم والتقرب اليهم والانقياد لهم ويعظمونهم ويخضعون لهم كحب الله
من اضافة المصدر الى المفعول اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغني عن ذكر من يحبه وهم المؤمنون لانه غير ملتبس وقيل كما يجب اللازم
عليهم لله وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم بناء على انهم كانوا مقرين بالله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
والذين امنوا اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره في السراء ولا في الضراء ولا يجعلون وسايط بينهم وبينه بخلاف المشركين يقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهتها من حيس وهو الاقط والسمن والتمر عام المجاعة
وفيهم قال الشاعر اكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة واعلم ان اطلاق محبة العبد لله تعالى قد ورد في القرآن
والحديث كما في هذه الاية وكقوله يحبهم ويحبونه ويروى ان ابراهيم ع قال لملك الموت وقد جاءه لقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه
هل رايت خليلا يكره لقاء خليله فقال يا ملك الموت الان فاقبض وجاء اعرابي الى النبي ص فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ماذا اعددت لها
فقال ما اعددت كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال ع المرء مع من احب ثم ان الائمة اختلفوا في معناها فقال جمهور المتكلمين ان المحبة نوع
من انواع الارادة لا تعلق لها الا بالجائزات فيستحيل تعلقها بذات الله وصفاته فمعنى قولنا يحب الله يحب طاعة الله وخدمته او يحب ثوابه واحسانه واما
العارفون فيقولون انا نحب الله لذاته لا لغرض ولو كان كل شيء محبوبا لاجل شيء آخر دار او تسلسل اذ كنا نحب الرجل العالم لعلمه والرجل الشجاع لقوته
وغلبته والرجل الزاهد لبراءة ساحته عن المثالب فالله تعالى احق بالمحبة لان كل كمال بالنسبة الى كماله نقص والكمال مطلوب لذاته محبوب لنفسه وكلما كان الاطلاع
على دقايق حكمة الله وقدرته وصنعه اكثر كان حبه له اتم وبحسب الترقي في درجات العرفان يزداد المحبة الى ان يستولي سلطان الحب على قلب المؤمن فيشغله
عن الالتفات بغيره ويفنى عن حظوظ نفسه فبه يسمع وبه يبصر وبه يمشي وبه يتكلم بلسان الحال ليس في جنبي سوى الله فلا يعصي الله طرفة عين ولا يشتغل
بحظ نفسه لمحبته كما قيل تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ويحب الله اولياءه
ومقربيه ويعادي عداه ومخالفيه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين شعر لعين تفدى الف عين وتتقى ويكرم الف للحبيب المكرم ولو ترى قرئ بالتاء
وان وان بالفتح والكسر فههنا اربع تقديرات الاول ولو يعلم الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الانداد اذ عاينوا العذاب يوم القيمة ان القدرة كلها
لله على كل شيء من العقاب والثواب دون انداده وان عذاب الله للظالمين شديد لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع
العلم بظلمهم وضلالهم ثم حذف جواب لو دليل على فخامة شان المحذوف ليذهب الوهم كل مذهب في يقدره من اللفظ عنها لا يكتنه كنهه كقولهم لو رايت
فلانا والسياط تاخذه بخلاف ما لو وقع التعبير عنه بلفظ معين الثاني ولو ترى يا محمد او من يتأتى منه الرؤية هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم
بشركهم وقت معاينتهم القدرة كلها لله وانه شديد العذاب لرايت امرا عظيما فعلى هذا ان مع معموليها بدل من العذاب قال الفراء الوجه فيه تكرير
الرؤية اي يرون ان القوة لله جميعا الثالث بياء الغيبة وكسر ان وان معناه كالاول والجملتان معترضتان او المعنى لقيل ان القوة لله والرابع على
القياس ودخول لو وكذا اذ في المستقبل مع ان حقهما الدخول على الماضي نظم المستقبل في سلك الماضي المقطوع به لصدوره عمن لا خلاف في اخباره
وقيل لان الساعة قريبة فكانها قد وقعت وكذا الكلام في اذ تبرأ وانه بدل من اذ يرون العذاب قيل هو معمول شديد المراد بالذين اتبعوا القادة والرؤساء
من مشركي الانس عن قتادة والربيع وعطاء وشياطين الجن الذين صاروا متبوعين بالوسوسة عن السدي وقيل الاوثان والتبري منها بالقول وهو الاقرب
او بالطبع وهو العجز والندم بحيث لا يغنون عن انفسهم من الله عقابه شيئا فكيف عن غيرهم ورأوا العذاب وتقطعت عطف على تبرأ بهم اي عنهم فان
التقطع في معنى الزوال ووقع تقطع الاسباب ملتبسة بهم مثل لقد تقطع بينكم بضم النون او الباء للتعدية كان اسباب الوصل صارت اسباب القطع
ومصالحهم انقلبت عليهم مفاسد والسبب في اللغة الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به قالوا ولا يدعى الحبل سببا حتى ينزل ويصعد به والمراد ههنا
الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاشياع والعهود والعقود لو ان لنا كرة تمن ولذلك اجيب بالفاء

بالواو والحال اي تبرأوا في حال رؤيتهم العذاب

كانه قيل ليت لنا كرة رجعة الى الدنيا والى حال التكليف المتبوعون مفتقرون الى اتباعنا ونصرتنا حتى نتبرأ منهم بعد النصرة والاعانة كما تبرؤا اليوم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات هو ثالث مفعولات رى او مثل ذلك التبرؤ يريهم اعمالهم حسرات فان ذلك التبرؤ نوع اراءة والمراد بالاعمال قبل الطاعات لزمتهم فلم يقوموا بها وضيعوها عن البين وقيل المعاصي واعمالهم الخبيثة يتحسرون لم عملوها عن الربيع وابن زيد وقيل ثواب طاعاتهم التي نووا بها فاحبطوها بالكفر عن الاصم قبل اعمالهم التي تقربوا بها الى رؤسائهم من تعظيمهم والانقياد لامرهم والحسرة شدة الندم على ما فات حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا منفعة فيها والتركيب يدل على الكشف ومنه انحسر الطائر انكشف بذهاب ريشه والحاصل انهم لا يرون مكان اعمالهم الا حسرات فيا ايها المغرور بالسلامة ما اعددت ليوم القيمة يوم الحسرة والندامة يوم يجعل الولدان شيبا يوم يدع المسرور كئيبا الدنيا دار تجارة فالويل لمن لم يتزود منها الخسارة وما هم بخارجين من النار استدل الاشاعرة بالتقديم على التخصيص فقالوا ان اصحاب الكبيرة من اهل القبلة يخرجون من النار وزعم المعتزلة ان بناء الكلام على هم لتقوى الحكم وافادة التاكيد كقوله تعالى وهم يخلقون فانه لا يدل على ان غير الاصنام غير مخلوق والله اعلم حسبنا الله نعم المولى ونعم الوكيل يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

اى گروه مردمان بخوريد از آنچه در زمين است حلال و پاكيزه و پيروى مكنيد گامهاى شيطانى را بدرستى كه او مر شما را دشمنى است هويدا

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ

جز اين نيست كه فرمايد شما را به بديها و كارهاى زشت و بانكه بگوييد در باره خدا آنچه را كه نميدانيد و چون گفته شود ايشانرا كه متابعت كنيد فرستاده خدا را گفتند بلكه متابعت كنيم آنرا كه يافتيم بر آن

آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً

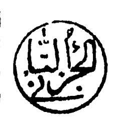
پدران ما را آيا و اگر چه بوده باشند پدران ايشان كه نميدانستند چيزى و هدايت نيافته و مثل آنان كه كافر شدند چون مثل آنكه فرياد زند بانكه نشنود بجز خواندن

وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ

و آواز كران و گنگان و كوران اند پس ايشان درك ندارند

القراءة خطوات ساكنة الطاء حيث كان ابو عمرو وغير عباس ونافع وحمزة وخلف والهاشمي وابي ربيعة عن البزي والقواس والحماد وابو بكر غير البرجمي الباقون بالضم بل نتبع وبابه مثل هل نبئكم وبل نقذف مدغما حيث كان على وهشام الوقوف طيبا ز والوصل اجوز لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مبين ه ما لا تعلمون ه اباءنا ط لابتداء الاستفهام ولا يهتدون ه ونداء ط لحق المحذوف اى هم صم لا يعقلون ه التفسير قال الكلبي نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة حرموا على انفسهم من الحرث والانعام وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والاية مسوقة لنفر بطرف من جهالات المشركين المتخذين من دون الله اندادا وحلالا مفعول كلوا او حال من مما في الارض وهو المباح الذي انحلت عقدة الحظر عنه من الحل الذي يقابل العقد ومنه حل بالمكان اذا نزل لانه حل عقد الرحال وحل الدين لانحلال العقدة بانقضاء المدة والحلة لانها تحل عن الطي للبس وتحلة القسم لان عقدة اليمين تنحل به ثم الحرام قد يكون حراما في جنسه كالميتة والدم وقد يكون حراما لعرض كملك الغير اذا لم ياذن في اكله فالحلال هو الخالي عن القيدين والطيب ان اريد به ما يقرب من الحلال لان الحرام يوصف بالخبيث قل لا يستوي الخبيث والطيب فالوصف لتاكيد المدح مثل نفخة واحدة اى الطاهر من كل شبهة ويمكن ان يراد بالطيب اللذيذ ويراد بالحلال ما يكون بجنسه حلالا او بالطيب ما يتعلق به حق الغير والخطوة بالضم ما بين قدمي الخاطي كالغرفة بالضم اسم لما يغترف والفعلة بالضم اذا كانت اسما يجمع في الصحيح بسكون العين وضمها يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه لما يعترف في الفعلة بالضم والوطي على عقبه لما يعترف والفعلة بالفتح ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا اخفاء به قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم انما يامركم بالسوء متناول لجميع المعاصي من افعال الجوارح وافعال القلوب والفحشاء هي التي جاوزت الحد في القبح فلهذا قد تحقق الاول بما لم يجب فيه الحد والثاني بما فيه يجب الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذا اقبح الكل لان وصف الله تعالى بما لا ينبغي من اعظم الكبائر فهذه الاية كالتفسير لقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان فالصغائر والكبائر والكفر والجهل كلها من مامور الشيطان بل لا يامر الشيطان الا بهذه الامور بدليل انما وهي للحصر وقد يدعو الشيطان الى الخير ظاهرا وغرضه ان يجره الى الشر اخرا مثل ان يجره من الفضل الى الفاضل فيتمكن بعد ذلك ان يجره الى الشر ومثل ان يجره من الفاضل السهل الى الافضل الاشق ليصير ازدياد المشقة سببا للنفرة عن الطاعة ويدخل في قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون جميع المذاهب الباطلة والعقايد الفاسدة وقول الرجل هذا حلال وهذا حرام بغير علم بل بيّنا ولو مقلد الحق لانه وان كان مقلدا للحق لكنه قال ما لا يعلم فصار مستحقا للذم من جهة انه قادر على تحصيل العلم بالحق ثم انه قنع بالظن والتخمين ومعنى امر الشيطان ووسوسته قد سلف في تفسير الاستعاذة وفي التعبير عن وسوسته بالامر رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه واذا كان الامر المطاع مرجوما مذموما فكيف حال المامور المطيع وفي هذا معتبر البصراء ومزدجر العقلاء اعاذنا الله بحوله وايده من مكر الشيطان وكيده واذا قيل لهم اى للمتخذين من دون الله اندادا او للناس والتفات الى الغيبة للنداء على ضلالتهم كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون وعن ابن عباس نزلت في اليهود حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا اى وجدنا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم وقد يعود الضمير الى المعلوم كما يعود الى المذكور وعلى هذا فالاية مستانفة وانما خص هذا الموضع بقوله الفينا لان الفيت يتعدى الى مفعولين وكان نصا في ذلك فوقع في الموضع الاول على الاصل واقتصر في المائدة ولقمن على لفظ وجدنا المشترك بين المتعدي الى واحد والمتعدي الى اثنين اكتفاء بما

وردت فى الاول مع تغير العبادة عارضوا ما انزل الله من الدلائل الباهرة بالتقليد فما اعقلهم وانصفهم فلا جرم اجاب الله تعالى بقوله اولو كان الواو للعطف
والالف للحال علوما وقع فى الكشاف الهمزة للرد والتعجب وفعل الاستفهام محذوف وكذا جواب الشرط والمعنى ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين
ولا يهتدون للثواب يتبعونهم ايضا وتقرير الجواب يقال للمقلد اعرفت ان المقلد محق ام لا فان لم تعرف فكيف قلدته مع احتمال كونه مبطلا وان كنت
عرفت فاما بتقليد اخر ويستلزم التسلسل او بالعقل فذلك كاف فى معرفة الحق والتقليد ضايع وايضا علم المقلد ان حصل بالتقليد تسلسل وان حصل
بالدليل فانما يتبعه المقلد اذا علم ذلك الدليل ايضا والا كان مخالفا له فظهر ان قبول قول الغير من غير دليل ضلال ومثل الذين كفروا فيه للعلماء
طريقان احدهما تصحيح المعنى باضمار اما فى المشبه اى مثل من يدعو الذين كفروا الى الحق كمثل الذى ينعق الراعى بالضان اذ لا صاح بها واما نعق
الغراب فبالغين المعجمة شبه الداعى الى الحق براعى الغنم والكفرة بالغنم ووجه التشبيه ان البهيمة تسمع الصوت ولا يعلم المراد وهؤلاء الكفار يسمعون صوت
الرسول والفاظه وما كانوا ينتفعون بها فكانهم لا يفهمون معانيها واما باضمار فى المشبه به اى مثل الذين كفروا كبهائم الذى ينعق الطريق الثانى التصحيح
بغير اضمار اى مثلهم فى دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع لكن قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا او مثلهم فى دعائهم
الهتهم كمثل الناعق فى دعائه عند الجبل فانه لا يسمع الا صدى صوته فاذا قال يا زيد يسمع من الصدى يا زيد فكذلك هؤلاء الكفار اذا دعوا الاوثان
لا يسمعون الا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء او مثلهم فى قلة عقلهم حيث عبدوا الاوثان كمثل الراعى اذا تكلم مع البهائم فكما ان الكلام مع البهائم
دليل سخافة العقل فكذلك عبادتهم لها اى مثلهم فى اتباعهم اباءهم وتقليدهم لهم كمثل الذى يتكلم مع البهائم فكما ان ذلك عبث ضايع فكذا تقليدهم
واتباعهم صم عن سماع الحق والانتفاع به بكم عن اجابة الداعى الى سبيل الخير عمى عن النظر فى الدلائل فهم لا يعقلون العقل المسموع ولا المطبوع وذلك ان
طريق الاكتساب الاكتسابى الاستعانة بالحواس ولهذا قيل من فقد حسا فقد علما فلما فقدوا فائدة الحواس فكانهم عدموها خلقة قال شابور بن
اردشير العقل نوعان مطبوع ومسموع فلا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فان احدهما بمنزلة العين والاخر بمثابة الشمس ولا يكمل الابصار الا بهما
وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله يكون عبادته لربه اما سمعتم قول الله عز وجل حكاية عن الفجار لو كنا نسمع
او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير وقال ما اكتسب المرء مثل عقل يهديه صاحبه الى هدى ويرده عن ردى التاويل الذين كفروا لم يسمعوا انما خاطبهم الحق بقوله
الست بربكم الا دعاء ونداء لانهم كانوا فى الصف الاخير من الارواح المجندة فى اربعة صفوف الاول للانبياء والثانى للاولياء والثالث للمؤمنين
والرابع للكافرين فما شاهدوا شيئا من انوار الحق ولكنهم قالوا بالتقليد بلى فبقوا على التقليد بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا **يا ايها**
الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم
اى اناكه گرويده ايد بخوريد از پاكيزه هاى انچه راكه روزى كرديم شما را وسپاس كنيد مر خدا را اگر هستيد كه او را پرستيد بدرستى كه حرام كرده است بر شما مردار و خون
ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ان الذين يكتمون
وگوشت خوك را وانچه قربانى شده باشد از براى غير خدا پس كه ناچار شود نه از روى ركذشتن پس نيست گناهى براو بدرستى خدا امرزنده مهربانست بدرستى كه انانكه پنهان دارند
ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم
انچه را كه فرستاد خدا از كتاب عيزان وميفروشند او را به بهاى كمى انگروه نمى خورند در شكمهاى خود بجز اتش را وگفتگو نكند با ايشان خدا در روز
القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على
قيامت وپاك نسازد ايشان را ومر ايشان راست عذابى دردناك انگروه انانند كه خريدند گمراهيرا بدل راه راستى وعذاب را بدل امرزش پس چه قدر صبر دارند بر
النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد القراءة الميتة بتشديد الياء يزيد
اتش اين از انجهت است كه خدا فرستاد كتاب بحق وبدرستى كه انها كه اختلاف كردند در كتاب هر آينه در طرف دورند الباقون بالسكون فمن اضطر
بكسر النون وكسر الطاء يزيد الباقون بضمهما الوقوف تعبدون لغير الله ج للشرط مع فاء التعقيب عليه ط رحيم قليلا لا لان ما بعده خبر ان يزكيهم ج
والوصل اولى لاتصال بعض جزائهم بالبعض اليم بالمغفرة ج للابتداء بالتعجب او الاستفهام والوجه الوصل للمبالغة فى الانكار على النار بالحق ط للابتداء بان
بعيد ربع الجزء التفسير انه سبحانه تكلم من اول السورة الى ههنا فى دلائل التوحيد والنبوة واستقصى شرح اهل النفاق والشقاق من المشركين واهل الكتاب
وذيل كلا من ذلك بما يناسبه ومن ههنا شرع فى بيان الاحكام الشرعية الحكم الاول اباحة الاكل للمؤمنين بعدما عمم للناس كلهم لهذا بالنظر الى الاصل
وقد يصير واجبا العارض كما لو اشرف على الهلاك بسبب المجاعة وقد يكون مندوبا كموافقة الضيف واستدل بقوله طيبات ما رزقناكم على ان الرزق
قد يكون حراما فان الطيب هو الحلال فلو كان الرزق حلالا البتة لم يبق فى ذكر الطيب فائدة اذ يصير المعنى كلوا من حلالات ما احللنا لكم واجيب بالمنع
من ان معنى الطيب ما ذكر بل المعنى كلوا من مستلذات ما رزقناكم ولعل قوما تاثموا ان التوسع فى الاكل الحلال والاستكثار من الملاذ ممنوع فرفع الحرج
واشكروا لله الذى رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان الشكر راس العبادة والتركيب يدور
على الكشف اظهار ومنه كشر اذا كشف عن ثغره فنشر النعم وحصرها باللسان من الشكر وباطنه ان يستعين بالنعم على الطاعة دون المعصية وقال بعضهم
شعر ولو ان لى فى كل منبت شعرة لسانا يبث الشكر فيك لقصرا
اولتنى نعما ابوح بشكرها وكفيتنى كل الامور بأسرها : فلاشكرنك ما حييت فان امت : فلتشكرنك اعظمى فى قبرها : عن النبى يقول الله تعالى انى



والجن والانس في نبأ عظيم خلقه ويعبد غيره ورزقه ويشكر غيره ولما اجمل في الاية ما يباح اكله بل يحصر ما هو محرم ليبقى ما عدا ذلك على الاصل الاباحة فقيل
انما حرم عليكم الميتة والدم ويتناول ما مات حتف انفه وما لم يدرك ذكاته على الوجه الشرعي واذا كانت محرمة وجب الحكم بنجاستها اجماعا ولان تحريم ما ليس
بمحرم ولا فيه ضرر ظاهر يدل على النجاسة وليس في الاية اجمال عند الاكثرين لان المفهوم من تحريم الميتة ليس تحريم اعيانها وان المفهوم في العرف حرمة التصرف
في هذه الاجسام كما لو قيل فلان يملك جارية احلت فهم منه عرفا انه يملك التصرف فيها وعلى هذا فالاية تدل على حرمة جميع التصرفات الا ما اخرجه
الدليل المخصص كالسمك والجراد لقوله عم احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والنون واما الدمان فالطحال والكبد وقال عم في صفة البحر هو
الطهور ماؤه والحل ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا تعيش الا في الماء وان لم تكن على صورة السمكة المشهورة ولا فرق ايضا بين ما يؤكل نظيره في البر
كالبقر والشاة وبين ما لا يؤكل كخنزير الماء وكلبه على اصح القولين للشافعي وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف ان السمك والجراد يخرج بنفسه لان
الميتة لا يتناولهما عرفا وعادة ولهذا من حلف لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة لقوله تع لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بما لو حلف
لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان عد الكافر من الدواب لقوله تع ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وفيه نظر لان عدم التناول عرفا انما هو بعد
تخصيص الشارع فلا يمكن ان يجعل دليلا على عمومه كالجنين الذي يوجد ميتا عند ذبح الام عند الشافعي وابي يوسف ومحمد وهو المروي عن علي وابن
مسعود وابن عمر لقوله عم ذكوة الجنين ذكوة امه وقال ابو حنيفة لا يؤكل الا ان يخرج حيا فيذبح وحمل الحديث على الاضمار اي ذكوة الجنين كذكوة امه ورد
بان الاضمار خلاف الاصل وبانه اذا خرج لا يسمى جنينا وبانه لا يبقى للخبر فائدة لان ذلك معلوم ولما روي عن ابي سعيد انه عم سئل عن الجنين يخرج
ميتا فقال ان شئتم فكلوه فان ذكوته ذكوة امه كشعر الميتة وصوفها فانهما عند ابي حنيفة طاهران لقوله تع في معرض الامتنان ومن اصوافها
واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين ولقوله عم في شاة ميمونة انما حرم من الميتة اكلها ولانهم كانوا يلبسون جلود الثعالب ولان الشعر
والصوف لا حيوة فيه لان حكم الحيوة الادراك والشعور ومن ههنا ذهب مالك الى تحريم العظام دون الشعور وعند الشافعي الشعر والعظم ونحوهما كالقرن
والظفر والسن كلها نجسة لقوله عم ما ابين من حي فهو ميت ولان الحيوة عندنا عبارة عن كونه غير متعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعر و
اللحم واما الاهاب فللفقهاء فيه مذاهب سبعة فاوسع الناس قولا الزهري جوز استعمال الجلود باسرها قبل الدباغ ثم داود قال يطهر كلها بالدباغ
لقوله عم ايما اهاب دبغ فقد طهر ولان الدباغ يعيد الجلد الى ما كان عليه حال الحيوة من عدم التعفن والفساد ثم مالك يطهر ظاهر كلها دون باطنها ثم ابو حنيفة
يطهر كلها الا جلد الخنزير لنجاسته والادمي لكرامته ثم الشافعي يطهر الكل الا جلد الكلب والخنزير ثم الاوزاعي وابو ثور يطهر جلد ما يؤكل لحمه فقط ثم
احمد بن حنبل والشيعة لا يطهر شيء منها بالدباغ لاطلاق الاية ولقول عبد الله بن حكيم اتانا كتاب رسول الله عم قبل وفاته بشهر الا تنتفعوا من الميتة
باهاب ولا عصب واختلف في انه هل يجوز الانتفاع بالميتة باطعام البازي والبهيمة فمنهم من منع منه حتى قال بعضهم اذا اقدم البازي من عند نفسه
على اكل الميتة وجب علينا منعه وجوز الشافعي استعمال نجس العين كجلد الكلب والخنزير للضرورة كمفاجاة قتال مع فقدان غيره وكدفع الحر والبرد المهلكين
ولاجل تحليل الكلاب وان لم يكن ضرورة وكذا استعمال النجس العين كودك الميتة والخنزير والزبل للاستصباح وتسميد الارض لعموم الحاجة القريبة
من الضرورة وقد نقله الاثبات عن اصحاب رسول الله عم وسئل عم عن الفارة تقع في السمن فقال استصبحوا به ولا تاكلوه والدخان وان كان
نجسا الكثر قليل معفو عنه وعند ابي حنيفة اذا مات في الماء القليل ما ليس له نفس سائلة اي دم كالذباب والبعوض والخنفساء والعقرب وبنات ورد
ان لم يفسد الماء قل او كثر لان رطوبة هذه الحيوانات تشبه رطوبة النبات فهي حية وميتة على هيئة واحدة وعند الشافعي فيه قولان واصحهما الا
عدد ودود الطعام من جملة ما ليس له نفس سائلة قالوا لا ينجس الطعام الذي تولد منه بموته فيه بلا خلاف وان وقع في ماء او في مائع اخر فقولان ثم الذباب
والبعوض ونحوهما وان حكم بطهارة ميتها ففي حرمتها لانها مستقذرة مندرجة تحت عموم اسم الميتة وفي جواز اكل دود الطعام والفواكه والمأ
وجبان والاظهر تحريمها عند الانفراد ومع هذه الاشياء يمكن ان يسامح به سئل عبد الله بن المبارك ابا حنيفة عن طائر وقع في قدر مطبوخ فمات
فقال ابو حنيفة لاصحابه ما ترون سائلة فيها فذكروا له عن ابن عباس ان اللحم يؤكل بعد ما يغسل فيهراق المرق فقال ابو حنيفة لهذا نقول على شرطه
ان كان وقع فيها في حال سكونها فكما في هذه الرواية وان وقع فيها حال غليانها لم يؤكل اللحم ولا المرق قال ابن المبارك ولم ذلك قال لانه اذا سقط
فيها في حال غليانها فمات فقد داخلت الميتة اللحم واذا وقع فيها في حال سكونها فمات فقد وسخت الميتة اللحم فاستحسنه ابن المبارك وعند ابي حنيفة
ذبح ما لا يؤكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي لا يستعقبها كما لا يستعقب حل الاكل وكما لو ذبح المجوسي ماكول اللحم ولبن الشاة الميتة وانفحتها
طاهران عند ابي حنيفة دون الشافعي ومالك لان الاية لا يتناولهما فان اللبن لا يوصف بانه ميتة بل ينجسها بمجاورة الميتة وبيض ماكول اللحم
اذا مات وجد ذلك في جوفه فان كان متصلبا فطاهر بعد ان يغسل والا فلا اما الدم فعند الشافعي جميعه محرم سواء كان مسفوحا او غير مسفوح لاطلاق الاية
الا الكبد والطحال للخبر عند من يقول بتناول الاية اياهما وعند من لا يقول بذلك لا تخصيص قال ابو حنيفة دم السمك ليس بمحرم واما لحم الخنزير فاجمعت
الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وتخصيص اللحم بالذكر لان معظم الانتفاع متعلق به واما شعر الخنزير فغير داخل في اللفظ وان اجمعوا على تحريمه وتنجيسه
اختلفوا في انه هل يجوز الانتفاع به للخرز فابو حنيفة ومحمد يجوزه والشافعي لا يجوز واحتج ابو حنيفة بانا نرى المسلمين يقرون الاساكفة على استعماله
من غير نكير ولان الحاجة ماسة اليه واما ما اهل به لغير الله فمعناه رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى والاهلال رفع الصوت

في جواز الانتفاع بالميتة

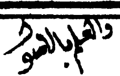


ما لتلبيته قال العلماء لو ان مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته ذبيحة مرتد. تقدم به في هذه السورة واخر في المائدة والانعام
والنحل لان تقدم الباء هو الاصل لانه يجري في افادة التعدية مجرى الهمزة والتضعيف فكان الموضع الاول هو الاولى بهذا الاصل وفي سائر المواضع
قدم ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله لهذا المذكور في سائر الآي ثم اكتفى بما ذكر في المواضع الاول ويستثنى مما اهل به لغير الله ذبائح اهل الكتاب اذا
سمي عليها باسم المسيح مثلا لاطلاق قوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولان النصارى اذا سموا الله تعالى فانما يريدون به المسيح وهو مذهب عطاء
ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب وقال مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم واذا
ذبحوا على اسم الله فظاهر اللفظ يقتضي الحل ولا عبرة بما اراد ثانيا بالمسيح عن علي كرم الله وجهه اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا
لم تسمعوهم فكلوا فان الله تعالى قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون واعلم ان ما يقولون تمام الآية يقتضي ان لا يكون سوى هذه الاشياء محرما
لكنا نعلم ان في الشرع اشياء اخر سواها من المحرمات فكلمة انما متروكة العمل بظاهرها والله اعلم فمن اضطر افتعل من الضر وهو الضيق اي الجئ استثنى
من التحريم حالة الضرورة ولها سببان احدهما الجوع الشديد بان لا يجد ماكولا حلالا يسد به الرمق فعند ذلك يكون مضطرا الى اكل المحرم الثاني
اذا اكرهه على تناوله مكره فيحل له تناول ما اكره عليه والاضطرار ليس من افعال المكلف حتى يقال انه لا اثم عليه فيه فلا بد من اضمار وهو الاكل اي فمن
اضطر فاكل فلا اثم عليه ومما حذف للعلم به غير ههنا بمعنى لا النافية كانه قيل فمن اضطر لا باغيا ولا عاديا والبغي في اللغة الظلم والخروج عن الانصاف نحو
الجرح درم وترامى الى فساد وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغي والعدوان الظلم الصراح وتجاوز الحد. وللائمة في الآية قولان احدهما
واليه ذهب ابو حنيفة تخصيص البغي والعدوان بالاكل وعلى هذا فالمعنى غير باغ بان يجد حلالا يكره النفس فعدل الى اكل الحرام للذته ولا عاد اي متجاوز
قدر الرخصة للذة ولا عاد متجاوز سد الجوعة عن الحسن وقتادة والربيع وابن زيد وغير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد في سد الجوعة و
الثاني واليه ذهب الشافعي والامامية غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحققين ويتفرع على الاختلاف ان العاصي بسفره هل
يترخص ام لا فعند ابي حنيفة يترخص لانه مضطر وغير باغ ولا عاد في الاكل وعند الشافعي لا يترخص لانه موصوف بالعدوان ويؤيده الآية الاخرى فمن اضطر
في مخمصة غير متجانف لاثم وايضا غير باغ ولا عاد حالان من الاضطرار فلا بد ان يكون وصف الاضطرار باقيا في الحالين وليس كذلك لانه حال الاكل
لا يبقى وصف الاضطرار وايضا الانسان ينفر طبعه عن تناول الميتة والدم فلا حاجة الى النهي عن التعدي في الاكل وايضا انه نفي ماهية البغي والعدوان
وانما ينتفي عند انتفاء جميع افرادها ويتحقق نفي العدوان في السفر كما هو مقصودنا واما تخصيص البغي بالاكل كما ذهبتم اليه فترجيح من غير دليل حجة ابي
حنيفة قوله تعالى في آية اخرى وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وهذا الشخص مضطر فوجب ان يترخص وايضا قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والامتناع عن الاكل سعي في قتل النفس فيحرم كما لو ترك دفع اسباب الهلاك عن نفسه اذا صال عليه جمل وفيل وحية
وايضا الضرورة تبيح تناول طعام الغير من دون الرضا بل على سبيل القهر وهذا التناول محرم لولا الاضطرار فكذا ههنا اجاب الشافعي بانه يمكنه الوصول
الى استباحة هذه الرخص بالتوبة فاذا لم يتب فهو الجاني على نفسه ثم ان الرخصة اعانة على السفر فاذا كان السفر معصية فالرخصة اعانة على المعصية
والسعي في تحصيل المعصية محظور فالجمع غير ممكن ثم اتفق الامامان على ان المضطر لا ياكل من الميتة الا قدر ما يمسك به رمقه الا اذا عجز عن السير وهلك فيتناول
الشبع وقال عبيد الله بن الحسن العنبري ياكل منها ما يسد جوعته وعن مالك ياكل منها حتى يشبع ويتزود فان غنى عنها طرحها والاول اقرب لان سبب الرخصة
اذا كان الالجاء فمتى ارتفع الالجاء ارتفعت الرخصة كما لو وجد الحلال لم يحل له تناول الميتة كان الجوعة في الابتداء لا تبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا بتركه
وهذه الرخصة شاملة لجميع المحرمات عند الاكثرين وبعضهم خصصها بما سوى لحم الخنزير والشافعي منع عن شرب الخمر لشدة العطش وفي اساغة اللقمة
وفي التداوي بها وجهان وبسائر المحرمات يجوز ولا يجب الامتناع الى ان يشرف على الموت فان الاكل حينئذ لا ينفع بل لو انتهى الى تلك الحالة لم يحل له التناول
وحدوث مرض مخوف في جلسه كخوف الموت وهكذا ان كان يخاف منه طوله وتماديه ولا يشترط في جميع ذلك الا غلبة الظن دون التيقن ومعنى قوله فلا اثم
عليه رفع الحرج والضيق كما في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما ورفع الحرج قدر مشترك بين الواجب والمندوب والمباح فلا ينافي وجوب الاكل في حالة
الاضطرار ومعنى قوله ان الله غفور رحيم ان المقتضي للحرمة قائم الا انه زالت الحرمة لوجود العارض فلما كان تناوله تناولا لما حصل فيه المقتضي للحرمة
ذكر بعده المغفرة ثم ذكر انه رحيم يعني لاجل الرحمة ابحت لكم ذلك ولعل المضطر يزيد على تناول قدر الحاجة فهو سبحانه غفور بان يغفر ذنبه في تناول الزيادة
رحيم حيث اباح تناول قدر الحاجة او انه لما بين هذه الاحكام فالمكلفون بالنسبة اليها اما ان يعصوا فذكر انه غفور لهم اذا تابوا او يطيعوا فهو رحيم
حيث وفقهم للطاعة ان الذين يكتمون عن ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب ونحوهما كانوا يصيبون من سفلتهم
الهدايا والفضول وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله ص فغيروها
ثم اخرجوها اليهم وقالوا هذا نعت نبي آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة النبي فلا
يتبعونه ويشترون به اي بالكتمان لدلالة الفعل عليه او بالمنزل وقد سبق معنى الاشتراء والثمن القليل في بطونهم اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا انه
لانه اذا اكل ما يلتبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقولهم اكل الدم اي الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط
طيبة النشر انهم كانوا يستنكفون عن اخذ الدية وبعيدة مهوى القرط كناية عن طول العنق ويمكن ان يقال انهم ياكلون في الآخرة النار لاكلهم في الدنيا الحرام
ذلك

قال القرط هو الدرة المعلقة في اذن
والمهواة والهوا الجو وبعد مهواه
يستلزم طول العنق

ولا يكلمهم بما يحبون لانهم كتموا كلامه في الدنيا بل بنحو اخسئوا فيها ولا تكلمون او لا يكلمهم اصلا لغضبه عليهم كما هو دأب الملوك من الاعراض عند السخط
ولا اقبال عند الرضاء ولا يزكيهم بالاثناء عليهم ويقبل اعمالهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى بيان لمادتهم في الخسارة فان احسن الاشياء في
الدنيا الاهتداء والعلم واقبحها الضلال في الجهل وفي الاخرة انفع الاشياء المغفرة واضرها العذاب فهم في خسران الدارين لاستبدالهم في الدنيا اقبح
الامور بأحسنها وفي الاخرة اضر الاشياء بانفعها فما اصبرهم على النار يتعجب من حالهم في تلبسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فان الراضي بموجب
الشيء لا بد ان يكون راضيا بمعلوله ولازمه اذا علم ذلك اللزوم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن هذا التعجب
منهم في حال التكليف واشترائهم الضلالة بالهدى وعن الاصم المراد انه اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فهم يسكنون ويصبرون على النار لليأس من الخلاص
وضعف بانه خلاف الظاهر وبان اهل النار قد يقع منهم الجزع والاستغاثة وقيل ان ما في ما اصبرهم للاستفهام بمعنى التوبيخ معناه اي شيء صبرهم عليها
حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا اصل معنى فعل التعجب والتعجب استعظام الشيء مع خفاء سبب حصول عظم ذلك الشيء هذا هو الاصل ثم قد يستعمل
لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب كما في حق الله تعالى ذلك الوعيد الشديد وذلك الكتمان وسوء معاملتهم بما هو بسبب ان الله نزل الكتاب
يعني جنس الكتب التورية والقران بالحق بالصدق وبيان الحق وقد نزل في جملة ما نزل ان هؤلاء الرؤساء من اهل الكتاب لا يؤمنون ولا يكون منهم الا الاصرار
على الكفر فانه تعالى ختم على قلوبهم وان الذين اختلفوا في الكتاب بجنسه فقالوا في البعض حق وفي البعض باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق وخلاف بعيد عن
الحق او الذين اختلفوا في القران فقال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم اساطير الاولين او الذين اختلفوا في التورية والانجيل فقدح كل منهما في
الاخر وذكر كل منهما للايات الدالة على نبوة محمد صلعم تاويلا اخر فاسدا او حرفوا كلا منهما على وجه اخر لاجل عداوتهم فيما بينهم في شقاق بعيد وزعم ما
شديدة فلا ينبغي ان يلتفت الى اتفاقهم على العداوة فانه ليس فيما بينهم مؤالفة وموافقة وعن ابي مسلم اختلفوا في الكتاب اي توارثوا ومثل في اختلاف
الليل والنهار اي في تعاقبهما واعلم ان الاية وان نزلت في اهل الكتاب لكنه يكون عامة في كل من كتم شيئا من باب الدين فيكون حكما ثابتا للمسلمين ويصلح
ان يتمسك بها القاطعون بوعيد اصحاب الكبائر وكان السبب في تعقيب هذا الحكم الحكم الاول ان اهل الكتاب قد حرموا بعض ما احل الله كلحوم الابل
والبانها واحلوا بعض ما حرم الله كبعض الشحوم فسيقت الاية تعريضا بصنعهم تصريحا بجزائهم وجزاء اضرابهم والله اعلم التاويل الميتة جيفة الدنيا
والدم هي الشهوات النفسانية ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وقال النبي صلعم سدوا مجاري الشيطان بالجوع ولحم الخنزير مادة الشرة والحرص وما
اهل به لغير الله كل ما يتقرب به الى الله رياء وسمعة والله تعالى اعلم ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن
نيست خوبى آنكه بر گردانيد روهاى خود را بجانب مشرق ومغرب ولكين خوبى آنست كه ايمان آورد
بالله واليوم الاخر والملئكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتمى والمسكين وابن السبيل
بخدا وروز واپسين و فرشتگان و كتابها و پيغمبران و بدهد مال خود را بر دوستى خدا صاحبان خويشى ويتيمان وفقيران و راهگذاران
والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء
و بينوايان و در بندگان و آنكه بر پاداشت نماز را و داد مال زكوة را و وفا كنندگان بپيمان خود را چون پيمان بستند وتحمل كنندگان در تنگدستى و ناخوشى
وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون القراءة ليس البر بنصب الراء حمزة وحفص والخراز عن هبيرة الباقون
و در هنگام بد حالى آنگروه آنانند كه براستى عادت كردند وآنگروه ايشانند پرهيزكاران
بالرفع ولكن خفيفا البر رفعا وكذلك فيما بعد نافع وابن عامر الباقون
بالتشديد والنصب الوقوف والنبيين ج لطول الكلام واختلاف المعنى لان ما قبله اصول الايمان وما بعده فروع وفي الرقاب ج للطول مع انتهاء شرع
المكارم وابتداء اللوازم الزكوة ج عاهدوا ج للعدول عن النسق الى المدح والتقدير هم الموفون ط اعني الصابرين البأس ط صدقوا ط المتقون التفسير
هذا حكم اخر من احكام الاسلام عن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا سأل النبي صلعم عن البر فانزل الله تعالى هذه الاية قال وقد كان الرجل قبل الفرائض اذا شهد
ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك وجبت له الجنة وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي
يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب صرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وعلى هذا فالخطاب عام وقيل الخطاب
لاهل الكتاب لان المشرق قبلة النصارى والمغرب قبلة اليهود وانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وزعم كل من الفريقين ان البر هو
التوجه الى قبلته فرد عليهم بان ما انتم عليه خارج من البر اما اولا فلانه منسوخ واما ثانيا فلانه على تقدير صحته شرط من شرائط اعمال البر لان من
جملتها الصلوة واستقبال القبلة شرط فيها ولن يكون شرط جزء الشيء تمام حقيقة ذلك الشيء وذلك ان البر اسم جامع للطاعات واعمال الخير
المقربة الى الله ومنه بر الوالدين وهو استرضاؤهما بكل ما امكن والتركيب يدل على الاتساع ومنه البر خلاف البحر قيل ان قراءة رفع البر اولى ليكون
الاسم مقدما على الخبر على الاصل وقيل بالنصب اولى لان ان مع صلتها يشبه المضمر في انها لا توصف والمضمر ادخل في الاختصاص من المظهر فهو اولى
بان يكون اسما ولكن البر من امن على تقدير حذف المضاف اي بر من امن وقيل البر بمعنى البار مثل رجل صوم اي صائم وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القران
لقرأت ولكن البر بفتح الباء قال في التفسير الكبير انه تعالى اعتبر في تحقق ماهية البر امورا الاول الايمان بامور خمسة اولها الايمان بالله ولن يحصل العلم بالله الا عند
العلم بذاته المخصوصة والعلم بما يجب ويجوز ويستحيل عليه ولن يحصل العلم بهذه الامور الا عند العلم بالدلائل الدالة عليها فيدخل فيها العلم بحدوث العالم

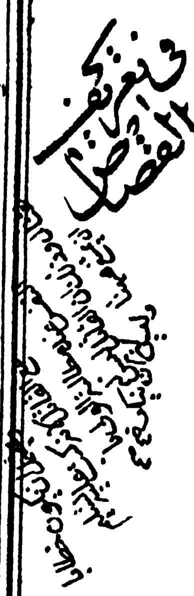
التقدير هكذا ولكن ذا البر من امن وقيل غيره



والعلم بالاصول التي عليها يتفرع حدوث العالم ويدخل في العلم بما يجب له من الصفات العلم بوجوده وقدمه وبقائه وكونه عالما بكل المعلومات قادرا على كل الممكنات حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما ويدخل في العلم بما يستحيل عليه العلم بكونه منزها عن الحالية والمحلية والتحيز والعرضية ويدخل في العلم بما يجوز عليه اقتداره على الخلق والايجاد وبعثة الرسل وثانيها الايمان باليوم الآخر ويتفرع على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل الممكنات وثالثها الايمان بالملائكة ورابعها الايمان بالكتب السماوية وخامسها الايمان بالنبيين وسبب هذا الترتيب ان للمكلف مبدأ ووسطا ونهاية ومعرفة المبدأ والمنتهى هو المقصود بالذات اعني الايمان بالله واليوم الآخر واما معرفة مصالح الوسط فلا يتم الا بالرسالة وهي منوطة بالوحي الذي يأتي به الملك فثبت ان كل ما يلزم المكلف التصديق به دخل في الآية الثاني ايتاء المال على حبه اي على حب المال عن ابي هريرة انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة خير قال ان تتصدق وانت صحيح حريص تأمل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وعن ابي الدرداء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يتصدق عند الموت مثل الذي يهدي بعدما يشبع والسبب انه عند الصحة يحصل ظن الحاجة الى المال وعند ظن الموت يحصل الاستغناء وبذل الشيء عند الاحتياج ادل على الطاعة من بذله عند الاستغناء عنه وايضا الاعطاء عند الصحة ادل على كونه متيقنا بالوعد والوعيد من اعطائه حال المرض والموت لانه عند الرهبة الخوف عن الفوت وقيل الضمير يرجع الى الايتاء اي يعطي ويحب الاعطاء رغبة في ثواب الله وقيل يرجع الى الله اي يعطي المال على حب الله وطلب مرضاته ثم ذكر سبحانه وتعالى من يؤتون المال اصنافا ستة اولهم القرابة وثانيهم اليتامى وثالثهم المساكين وقد مر ما يتعلق بكل منهم في تفسير قوله تعالى وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وانما قدم ذوي القربى لانهم احق قال صلى الله عليه وسلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك ثنتان لانها صدقة وصلة و لتأكد استحقاقه فان رتبة الورثة ويحجر بسببهم على المالك في الوصية حتى لا يتمكن من الوصية الا في الثلث والمطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس وتقديم اليتامى على المساكين لان الصغير الفقير الذي لا والد له ولا هو كاسب منقطع الحيلة من كل الوجوه ورابع الاصناف ابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله جعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للطير ابن الماء وللشجاع اخو الحرب وللناس بنو الزمان وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به خامسهم السائلون وهم المستطعمون ويدخل فيه المسلم والكافر وقريب منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وسادسهم المكاتبون واشار اليه بقوله وفي الرقاب اي في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى والرقاب جمع الرقبة وهو مؤخر اصل العنق واشتقاقها من المراقبة وذلك ان مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم ولهذا يقال للمملوك رقبة كانه يراقب العذاب ولا يقال له عنق الثالث والرابع قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة وقد سلف مباحثهما ثم ان الامة حيث ذكر الله تعالى ايتاء المال في الوجوه المذكورة ثم قفاه بايتاء الزكوة ومن حق المعطوف ان يغاير المعطوف عليه غلب على ظنونهم ان في المال حقا سوى الزكوة وكيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره طاو الى جنبه ولا خلاف انه اذا انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس ان يعطوه مقدار دفع الضرورة وان لم يكن الزكوة واجبة عليهم ولو امتنعوا من الاعطاء جاز الاخذ منهم قهرا وما روي عن علي عليه السلام ان الزكوة نسخت كل حق كانه اراد الحقوق المقدرة بدليل انه يلزم التصدق عند الضرورة والنفقة على الاقارب وعلى المملوك الخامس قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وهو مرفوع على المدح اي هم الموفون او عطف على من آمن والمراد بالعهد ما اخذه الله من العهود على عباده بقولهم وعلى السنة رسله اليهم بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقبول العباد ذلك حيث آمنوا بالانبياء والكتب يندرج فيه ما يلتزمه المكلف ابتداء من تلقاء نفسه مما يكون بينه وبين الله كالنذور والايمان او بينه وبين رسول الله كبيعة الرضوان بايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا يقولوا الا بالحق اينما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم او بينه وبين الناس واجبا كعقود المعاوضات او مندوبا كالمواعيد فلهذا قال المفسرون ههنا هم الذين اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا ونذروا اوفوا واذا ائتمنوا ادوا واذا قالوا صدقوا السادس والصابرين في البأساء والضراء وهو نصب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال قال ابو علي الفارسي اذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم فالاحسن ان تخالف باعرابها ولا يجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع الاطناب في الوصف والابلاغ في القول فاذا خولف باعراب الاوصاف كان المقصود اكمل لان الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كانه انواع من الكلام وضروب من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة وذكر المحققون في فائدة اختلاف الحركة المدح والذم ان اصل المدح والذم من كلام السامع وذلك ان الرجل اذا اخبر غيره فقال له قام زيد فربما اثنى السامع على زيد فقال ذكرت والله الظريف وذكرت العاقل افهو والله الظريف اهو العاقل فاراد المتكلم ان يمدحه بمثل ما مدحه به السامع فجرى الاعراب على ذلك اي لزيد الظريف والعاقل والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وهما فعلاء من البؤس والضر لا افعل لهما لانهما ليسا بنعتين وحين البأس القتال في سبيل الله والجهاد واصل البأس الشدة اولئك الذين صدقوا في ايمانهم وجدوا في الدين واولئك هم المتقون نظم هاتين الجملتين في القطع للاستيناف قوله أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ كانه قيل للمستقلين بهذه الصفات وصفوا بالبر الذي هو وصل كل خير فاجيب بان اولئك الموصوفين لهم قدم صدق في الاسلام وهم المتقون بسمة التقوى وكل منها منطو على جميع الخيرات متضمن لكل المأمورات والمنهيات فلهذا اتصفوا بتلك الصفات وذكر الواحدي ههنا ان الواو في هذه الاوصاف للجمع فمن شرائط البر وتمام شرط البار ان يجتمع فيه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر فلا ينبغي ان يظن الانسان ان الموفي بعهده من جملة من قام بالبر وكذا الصابر في البأساء بل لا يكون قائما بالبر الا عند استجماع هذه الخصال حتى قال بعضهم ان البر من خواص

الموت لتشبيه المتبرع عند

الانبياء والحواريين بسبب بعدان يوجد الامر موصوفا بالبر الا ان كمال البر لا يكون الا في الشرع ولا سيما بنبينا محمد ثم ان اهل الكتاب كانوا اخلوا بالجميع وسائر
البر اخلوا بالايمان بالله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة وذهبت اليهود الى التجسيم والنصارى
الى الحلول والاتحاد وانكروا المعاد الجسماني وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقالوا ان جبرئيل
عدونا وكفروا بالكتب السماوية افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقتلوا النبيين وطعنوا في نبوة سيد المرسلين واتبعوا البهمة الشح
حتى اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ولا يوفون بعهدهم ونقضوا العهد كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ولم يصبروا في اللاواء لن نصبر على
طعام واحد ولا حين البأس فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فالعجب كل العجب منهم حيث ادعوا البر ولا شيء وكلا واحد من اجزاء
البر فيهم وهذه غاية الوقاحة ونهاية العناد والله بصير بالعباد التأويل ليس البر بتولية وجوهكم قبل المشرق والمغرب لكن البر الحقيقي هو بر معكم
بتولية وجوه ارواحكم بجذبات الجنة قبل الحضرة الربوبية المحبوبية لتؤمنوا بالله نور بريكم ويبر بكم يحبهم والملائكة يحبونكم ببر حيكم وبر حي
لكم ليس بحادث كبر كم معي بل هو بر قديم في الكتاب القديم وبنور هذه المحبة يحبون اهل المحبة وهم النبيون فالجنسية علة الضم واتى المال على حبه
اي ما حصل للعبد من رب حبه وما مال اليه سره من عواطف الحق ينفقه على حبيبه باداء حقوق الشريعة والطريقة بالمعاملات القالبية والقلبية ذوي
القربى وهم الروح والقلب والسر وقرابة الحق واليتامى المتولدات من النفس الحيوانية الامارة بالسوء اذا ماتت النفس عن صفاتها بسطوات تجلي صفات
الحق والمساكين وهم الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس فانهم في التردد والسفر الى عوالم المعقولات والمخيلات والمحسوسات والموهومات
والسائلين الدواعي الحيوانية والروحانية وفي الرقاب في فك رقبة السر عن اسر تعلقات الكونين واقام صلوة المحاضرة مع الله بالله وآتى الزكوة هو موفق
الحق الى اهل استحقاقها من الخلق وهم الموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الله بالتوحيد العبودية الخالصة يوم الميثاق والصابرين في البأساء مراعاة
الحقوق والضراء مخالفات الحظوظ وفناء الوجود عند لقاء الشهود وحين البأس سطوات تجلي صفات الجلال اولئك الذين صدقوا ببذل الوجود
واولئك هم المتقون من شرك الانانية والله اعلم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ
اى گروه مردمان ايمانى كه نوشته شد برشما قصاص در كشتگان چنانكه آزاد بآزاد و بنده ببنده
وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ
وزن بدل از زن پس هر كه بخشيد قصاص برادر خود پس بر وى متابعه معروف است و واگذار دنى ست واحسان اين سبكبارست از جانب خدا و مهربانيست پس هر كه
اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الوقوف في القتلى ط بالانثى ط
در گذشت بستم از اين پس مر او راست عذابى دردناك ومر شما راست در قصاص زندگى اى صاحبان خرد كه شايد شما پرهيز كنيد لان العفو عطاء الدية صلحا فكان
خارجا عن اصل موجب القتل مستأنفا باحسان ط ورحمة ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب وفرعه فكان مستأنفا اليم تتقون التفسير هذا
حكم آخر وسببه ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى يوجبون العفو فقط فاما العرب فتارة كانوا يوجبون القتل واخرى يوجبون الدية لكنهم
كانوا يظهرون التعدي في كل واحد من الحكمين فاذا وقع القتل بين قبيلتين كان يقول الشريف للخسيس لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة
منا الرجل منهم وكانوا يجعلون جراحاتهم ضعف جراحات خصومهم وربما زادوا على ذلك على ما يروى ان رجلا قتل رجلا من الاشراف
ثم اجتمع اقارب القاتل عند والد المقتول فقالوا ما ذا تريد فقال احدى ثلاث قالوا وما هي قال تحيون ولدي او تملؤن داري من نجوم السماء او
تدفعون الي جملة قومكم حتى اقتلهم لا ارى اني اخذت عوضا وكانوا يجعلون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فبعث الله محمدا بالعدل وسوى
بين عباده في القصاص وقيل نزلت في واقعة قتل حمزة ومعنى كتب فرض واوجب كقوله كتب عليكم الصيام ولفظة على ايضا تفيد الوجوب كقوله و
لله على الناس حج البيت والقصاص ان تفعل بالانسان مثل ما فعل من قولك قص فلان اثر فلان اذا فعل مثل فعله ومنه القصة لان
الحكاية تساوي المحكي والمقص لتعادل جانبيه وقوله في القتلى اي بسبب قتل القتلى كقوله في النفس المؤمنة مائة ابل اي بسببها فظاهر الآية يدل على
وجوب القصاص على جميع المؤمنين بسبب جميع القتلى الا انهم اجمعوا على ان غير القاتل خارج عن هذا العموم واما القاتل فقد دخله التخصيص
ايضا في صور كما اذا قتل الوالد ولده والسيد عبده والمسلم حربيا او معاهدا او مسلم مسلما خطأ الا ان العام الذي دخله التخصيص يبقى حجة فيما
عداه فان قيل لو وجب القصاص لوجب اما على القاتل وليس عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه ذلك واما على ولي الدم وهو مخير بين الفعل والترك
بل هو مندوب الى الترك والعافين عن الناس واما على اجنبي وليس له ذلك بالاتفاق وايضا القصاص عبارة عن التسوية ووجوب رعاية المساواة على
تقدير القتل لا يوجب نفس القتل قلنا عن الاول المراد ايجاب اقامة القصاص على الامام او من يجري مجرى الامام لانه متى حصلت شرائط وجوب
القود فانه لا يحل للامام ان يترك القود وهو من جملة المؤمنين فالتقدير يا ايها الائمة كتب عليكم استيفاؤه بل الزاني والسارق والمحارب من
الحدود ولهما ايضا ان يستترا بستر الله فلا يعتبر فان امر القتل اشنع وفيه حق الادمي اكثر وعن الثاني ان ظاهر الآية يقتضي ايجاب التسوية في القتل
والتسوية في القتل صفة للقتل وايجاب الصفة يقتضي ايجاب الذات فالآية تفيد ايجاب القتل ثم اختلفوا في الكيفية المماثلة التي تجب رعايتها فقال
الشافعي ان كان قتله بقطع اليد قطعت يد القاتل فان مات عنه في تلك المدة والا حز رقبته وكذلك ان احرق الاول بالنار احرق الثاني فان





مات في تلك المرة والاجرت دقيقة روي انه صلى الله عليه وسلم قال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه ورضخ يهودي راس جارية بالحجارة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل به مثله

ولانه يجوز ان يقال كتب التسوية في القتلى الا في كيفية القتل وحيث لم يستثن دخل وايضا الحكم بالعموم يوجب التخصيص في بعض الصور كما لو قتل بالسحر

لانه محرم بل بالسيف وكما لو قتل صغيرا باللواط فانه يقتل بالسيف على الاصح ولو لم يحكم بالعموم لزم الاجمال والتخصيص اهون منه وايضا لو لم يفد الاية

الا ايجاب التسوية في امر من الامور فذلك الشيء ان كان هو المساواة في بعض الامور فلا يستفاد من الاية شيء البتة وقال ابو حنيفة المراد بالمماثلة

تماثل النفس وتعين السيف ولقوله صلى الله عليه وسلم لا قود الا بالسيف واتفقوا على ان القاتل اذا لم يتب واصر على ترك التوبة فان القصاص مشروع في حقه عقوبة

اما اذا تاب فقد اتفقوا على انه لا يجوز ان يكون عقوبة للدلائل الدالة على قبول التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فما الحكمة في وجوب قتله

اجاب اصحابنا بانه يفعل ما يشاء ولا يسئل عما يفعل وقالت المعتزلة انما شرع ليكون لطفا وكيف يتصور هذا اللطف ولا تكليف بعد القتل قالوا فيه

منفعة القاتل من حيث انه اذا علم انه لا بد ان يقتل صار ذلك داعيا له الى الخير وترك الاصرار والتمرد ومنفعة اولياء المقتول من حيث التشفي ومنفعة لسائر

المكلفين من حيث الانزجار عن القتل قوله عز من قائل ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى﴾ الباء للبدل نحو بعت هذا بذاك اي الحر مقتول

بدل الحر ثم فيه قولان الاول يروى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة ان لا يكون القصاص مشروعا الا بين الحرين وبين العبدين وبين الانثيين لان

الالف واللام يفيد العموم اي كل حر يقتل بحر فلو كان قتل حر بعبد مشروعا لكان ذلك الحر مقتولا بغير حر وهو يناقض الاية ولان هذا القول

خرج مخرج البيان لقوله ﴿كتب عليكم القصاص﴾ وايجاب القصاص على الحر بقتل العبد اهمال للتسوية فلا يكون مشروعا والى هذا ذهب الشافعي ومالك

وقالا اما قتل العبد بالعبد فلا يفتقر الى الحر وهو في قول وكذا القول في قتل الانثى بالذكر واما قتل الذكر بالانثى فليس فيه الا الاجماع وكان سنده ان

الذكورة والانوثة فضيلتان كالعلم والجهل والشرف والخسة فكما انه لم يفرق بين العالم والجاهل فكذلك بين الذكر والانثى ويروى عن عمرو بن حزم ان

النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن ان الذكر يقتل بالانثى القول الثاني ويروى عن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهذا مذهب ابي حنيفة ان الحر

بالحر لا يفيد الحصر البتة بل يفيد شرع القصاص بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة على حال سائر الاقسام لان قوله والانثى بالانثى يقتضي قصاصا

الحرة بالمرأة الرقيقة فلو كان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد مانعا من ذلك تناقض وايضا قوله ﴿كتب عليكم القصاص﴾ جملة مستقلة وقوله الحر بالحر تخصيص

لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر فلا يمنع من ثبوت الحكم في سائر الجزئيات ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى ﴿النفس بالنفس﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم

وقد يقتل الجماعة بواحد فدل على ان التفاضل غير معتبر في الانفس ثم انهم قالوا الفائدة في تخصيص هذه الجزئيات بالذكر ما ذكرنا في سبب النزول

انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل فمنعوا عن ذلك وايضا نقل عن علي رضي الله عنه والحسن البصري ان هذه الصور هي التي يكتفى فيها بالقصاص اما

في سائر الصور وهي ما اذا كان القصاص واقعا بين الحر والعبد وبين الذكر والانثى فهناك لا يكتفى بالقصاص بل لا بد من التراجع فايما حر قتل عبدا

فهو قود به فان شاء موالي العبد ان يقتلوا قتلوه بشرط ان يسقطوا قيمة العبد من دية الحر ويؤدوا الى اولياء الحر بقيته وان قتل عبد حرا فهو به قود

فان شاء اولياء الحر قتلوا العبد واسقطوا قيمة العبد من دية الحر وادوا بعد ذلك الى اولياء الحر بقية ديته وان شاؤا اخذوا كل الدية وتركوا قتل العبد

وان قتل رجل امرأة فهو بها قود فان شاء اولياء المرأة قتلوه وادوا بعد ذلك نصف الدية الى اوليائه وان شاؤا تركوا قتله واخذوا ديتها واذا

قتلت امرأة رجلا فهي به قود فان شاء اولياء الرجل قتلوها واخذوا نصف الدية وان شاؤا تركوها واخذوا كل الدية فعلى هذا الغرض من الاية

ان الاكتفاء بالقصاص مشروع بين الحرين والعبدين والذكرين والانثيين فاما عند اختلاف الجنس فالاكتفاء بالقصاص غير مشروع قوله

تعالى ﴿فمن عفي له من اخيه شيء﴾ المعنى فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى

المفعول به لان عفي لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة فان قيل ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله ﴿فمن عفي له﴾ والجواب انه يتعدى بعن الى

الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب والى الجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى

كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه فمعنى الاية فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية وانما قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا عفي له طرف

من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفى عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية واخوه هو ولي المقتول وانما قيل

اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما يقول الرجل للقاتل لصاحبك كذا اذا كان بينهما ادنى تعلق وذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما

على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام وقد يستدل بهذا على ان الفاسق مؤمن لانه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وبين ولي الدم

ولا شك ان هذه الاخوة بسبب الدين ﴿انما المؤمنون اخوة﴾ مع ان قتل العمد العدوان بالاجماع من الكبائر وايضا انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو

انما يليق عن المؤمن ويحتمل ان يجاب ان القاتل قبل اقدامه على القتل كان مؤمنا فلعله تعالى سماه مؤمنا بهذا التاويل او بان القاتل قد يتوب

وعند ذلك يكون مؤمنا ثم انه تعالى ادخل غير التائب فيه على سبيل التغليب وايضا لعل الاية نازلة قبل ان يقتل احد احدا ولا شك ان المؤمنين اخوة

قبل الاقدام على القتل وايضا الظاهر ان الفاسق يتوب وعلى هذا التقدير يكون ولي المقتول اخا له وايضا يجوز ان يكون قد جعله اخاه في النسب كقوله

﴿والى عاد اخاهم هودا﴾ فاتباع بالمعروف اي فليكن اتباع او فالامر او فحكمه اتباع او فعليه اتباع فيقبل على العافي اتباع بالمعروف بان لا يشدد في الطلب

بل يجري فيها على العادة المالوفة فان كان معسرا فالنظرة وان كان واجدا لعين المال فان كان لا يطالبه بالزيادة على قدر الحق وان كان واجدا للعين



المال الواجب فالامهال الى ان يستيسر وان لا يمنعه بسبب اتباع عن تقديم الاهم من الواجبات على المعفو عنه واداء اليه باحسان بان لا يدعه الا قدام
في حال الامكان ولا يؤخره مع الوجوب ولا يقدم ما ليس بواجب عليه ان يؤدي تلك المال على اليسر وبلا افتقار وقول جميل من غير مطل وبخس هذا قول ابن
عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل هما على المعفو عنه فانه يتبع عفو العافي بمعروف ويؤدي ذلك المعروف اليه باحسان ذلك قيل اشارة
الى الاتباع والاداء وعن ابن عباس وهو الاقرب انه اشارة الى الحكم بشرع القصاص والدية والعفو فان هذه الامة خيرت بينهن توسعة وتيسيرا ولم
يكن الا القصاص وللنصارى الا العفو واثبات الخيرة فضل من الله ورحمة في حقنا لان ولي الدم قد يكون الدية اثر عنده من القود اذا كان محتاجا
الى المال وقد يكون القود اثر عنده اذا كان راغبا في التشفي ودفع شر القاتل عن نفسه وقد يؤثر ثواب الآخرة فيعفو عن القصاص وعن بدله جميعا وهو
الدية فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او دونه او قتل بعد اخذ الدية والعفو فقد كان الولي في الجاهلية
يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة
ولا يقبل منه الدية كما روي انه صلعم قال لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية وهو مذهب الحسن وسعيد بن جبير وضعفه غيرهم ولما كانت الآية مشتملة
على ايلام العبد الضعيف وانه لا يليق بكمال رحمته عقبها بقوله ولكم في القصاص حيوة قال المفسرون القصاص ازالة (الحيوة وازالة) الشيء لا يكون نفس تلك الشيء فالمراد
لكم في شرع القصاص حيوة واي حيوة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل (بالمقتول)
غير قاتله فتثور الفتنة ويحتمل ان يقال نفس القصاص سبب لنوع من الحيوة وهي الحاصلة بالارتداع عن القتل لان القاتل اذا قيد منه ارتدع من (كان)
هم بالقتل فلم يقتل فلم يقتل فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل و
القصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حيوة للقلوب هذا وقد اتفق علماء البيان على ان قوله سبحانه في القصاص حيوة بلغ في
الايجاز نهاية الاعجاز وذلك ان العرب عبروا عن هذا المعنى بالفاظ كثيرة كقولهم قتل البعض احياء للجميع وقولهم اكثروا القتل ليقل القتل واوجز تلك (لهم) قولهم
القتل انفى للقتل والترجيح مع ذلك للآية من وجوه الاول ان قولهم لا يصح على العموم لان القتل ظلما ليس انفى للقتل قصاصا بل ادعى له ولو خصص
فقيل القتل قصاصا انفى للقتل ظلما طال والآية تفيد هذا المعنى من غير تقدير تكلف الثاني ان القتل قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث
انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الحيثية معتبرة في الآية لا في كلامهم الثالث ان الحيوة هي الغرض الاصلي ونفي القتل انما يراد لحصول الحيوة
فالتنصيص على المقصود الاصلي اولى الرابع التكرار من غير ضرورة مستهجن انه في كلامهم لا في الآية الخامس ان الحروف الملفوظة التي يعتمد (ستة)
عليها في اعتبار الوجازة لا المكتوبة هي في الآية عشرة وفي كلامهم اربعة عشر السادس ان الاغلب في كلامهم اسباب خفاف وذلك مما يخل بسلاسة
التركيب والآية مع غاية وجازتها فيها السبب والوتد والفاصلة السابع ظاهر قولهم يقتضي كون الشيء سببا لانتفاء نفسه وهو محال وفي الآية
جعل نوع من القتل وهو القصاص سببا لنوع من الحيوة ولا استبعاد فيه لظهور التغاير الثامن المطابقة مرعية في الآية لمكان تضاد بين
لفظي القصاص والحيوة بخلاف كلامهم التاسع اشتمال الآية على لفظ يصلح للتفاؤل وهو الحيوة بخلاف كلامهم فانه يشتمل على نفي اكتنفه قتلان (القصاص)
انه لا يليق بهم العاشر اشتمال الآية على اسمين واداة واشتمال كلامهم على ثلثة اسماء واداة وان اعتبرت اداة التعريف ففي الآية واحدة وفي كلامهم
ثنتان وان اعتبر التنوين في الآية تقاصت الادوات فيبقى زيادة الاسماء بحالها على ان افعل التفضيل اذا لم يكن فيه اللام والاضافة ليستعمل
بمن فتقدير كلامهم القتل انفى للقتل من كل شيء فاين الوجازة يا اولي الالباب يا ذوي العقول واولو جمع لا واحد له من لفظه وواحده ذو
بمعنى صاحب واولات للاناث واحدتها ذات بمعنى صاحبة قال تعالى واولات الاحمال واعرابه كاعراب جمع المذكر السالم والواو في اولي واولو
فرقا بينها وبين الي واجري اولوا عليه واللب العقل ولب النخل قلبها وخالص كل شيء لبه خاطب العقلاء والذين يتفكرون في العواقب ويعرفون
ويعرفون جهات الخوف فلا يرضون باتلاف انفسهم لاتلاف غيرهم الا في سبيل الله لعلكم تتقون يتعلق بمحذوف اي اراءتكم ما في القصاص
من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لتكونوا على بصيرة في اقامته راجين ان تعملوا عمل اهل التقوى في الحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص
بالائمة او لعلكم تتقون نفس القتل لخوف القصاص عن الحسن والاصم وقد بقي على الآية بحث وهو انه سئل اذا صح ان المقتول ان لم يقتل فهو
يموت لان المقدر عمره في ذلك القدر وكذا اذا هم انسان بقتل آخر فارتدع خوفا عن القصاص فان ذلك الآخر يموت وان لم يقتله ذلك الانسان لان كل
وقت صح وقوع قتله صح وقوع موته فكيف يفيد شرع القصاص حيوة والجواب انه تعالى قد جعل لكل شيء سببا يدور مسببه معه وجودا وعدما و
شرعية القصاص مما جعلها الله تعالى سببا للحيوة من اراد حيوته بعد ان تصور الهام قتله وذلك بان يتذكر القصاص فارتدع عما هم به وفائدة شرع
القصاص هي فائدة سائر الاسباب والوسائط ومنكر فائدته منكر فائدتها وكلا الانكارين مذموم وصاحبها عند العقلاء ملوم والله علم الناس
كتب القصاص في قتلاكم كتب على نفسه الرحمة في قتلاه وقال من حبني قتلته ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اي من كان
متوجها اليه تعالى بالكلية كان فيضه تعالى متصلا به بالكلية ومن كان في رق غيره من المكونات لم يتصل به فيضه غاية الاتصال ومن كان ناقصا في دعوى
محبته لم يكن مستحقا لكمال محبته فمن عفي له من الاحباء والاصفياء شيء من انواع البلاء والابتلاء الذي هو موكل بالانبياء والاولياء فانه معروف
من معارفه فالواجب على العبد اداء شكره الى الله باحسان فمن اعتدى بعد ذلك الوفاء بملاءمة الجفاء والقى جلباب الحياء فله عذاب اليم فان الكفر



موقعه وخيم ولكم في القصاص حيوة الدين والبقاء برب الثقلين يا اولي الالباب الذين بدلوا قشر الوجود الانساني عند شهود جلال الصمد لعلكم
تتقون وجودكم **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**

نوشته شد بر شما در وقتی که دریافت یکی از شما مرگ اگر بگذارد مالی را وصیت کردن از برای پدر و مادر و خویشان به مقدار معین و این ثابت است بر پرهیزگاران

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ

پس هر که تغییر دهد او را پس از آنکه شنیده او را پس عقوبت این بر آنهاست که تغییر دهند او را بدرستیکه خدا شنوای داناست پس اگر بترسد از وصیت کننده میلی یا گناهی پس صلاح کند

بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ القراآت بالامالة حيث كان حمزة موص بالتشديد يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وجبلة

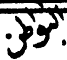
در میان ایشان پس عقوبتی نیست بر او بدرستیکه خدا آمرزنده مهربانست

الباقون بالتخفيف من الايصاء الوقوف خيرا ج لان قوله الوصية مفعول كتب تمام الموت الفعل الفقد ولا عتراض ظرف وشرط بينهما او الوصية مبتدأ وللوالدين خبره ومفعول كتب محذوف اي كتب عليكم ان توصوا ثم بين ان الوصية والوصل اولى لئلا يحتاج الى الحذف بالمعروف ج لان التقدير حق ذلك حقا او كتب الوصية حقا المتقين ط وان كان بعدها فاء التعقيب لانه حكم اخر يبدلونه ط كذلك عليم ط رحيم ه التفسير هذا حكم اخر وقوله كتب عليكم يقتضي الوجوب كما مر والمراد من حضور الموت ليس معاينة الموت لانه في تلك الوقت يكون عاجزا عن الايصاء والاكثرون قالوا المراد ظهور امارة الموت وهو المرض المخوف كما يقال لمن قارب البلد انه وصل وعن الاصم المراد فرض عليكم في حال الصحة الوصية بان تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا وزيف بانه ترك الظ ولا شك ان الخير قد ورد في القرآن بمعنى المال وما تنفقوا من خير وانه لحب الخير لشديد بما من خير فقير لكن الائمة اختلفوا في المراد بالخير ههنا بعد اتفاقهم على انه المال فعن الزهري انه المال قليلا كان او كثيرا بدليل قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وانه تع اعتبر احكام المواريث فيما يبقى من المال قل ام كثر قال تع وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا فكذا الوصية ولان كل ما ينتفع به فهو خير والاكثرون على ان لفظ الخير في الاية مختص بالمال الكثير كما لو قيل فلان ذو مال لفهم منه ان ماله قد جاوز حد اهل الحاجة وان كان اسم المال يقع في الحقيقة على كل ما يتموله الانسان من قليل وكثير وكما اذا قيل فلان في نعمة من الله تعالى فانه يراد تكثير النعمة وان كان احد لا ينفك عن نعمة الله وهو باب من المجاز مشهور ينفون الاسم عن الشيء لنقصه منه قوله ص لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد ولو كانت الوصية واجبة في كل ما ترك لم يكن لقوله ان ترك خيرا فائدة لان من يموت فلا بد ان يترك اقل ما يتمول ثم القائلون بهذا اختلفوا في ان المسمى بالخير في الاية مقدر بمقدار معين ام لا فمنهم من قال انه غير مقدر ويختلف ذلك باختلاف حال الرجل فقد يوصف المرء بمقدار من المال بانه غني ولا يوصف غيره بالغنى لذلك المقدار لاجل كثرة العيال وتوسع النفقة فيكون التعيين في كل صورة موكولا الى الاجتهاد وهذا بناء في اصل الايجاب ومنهم من قال انه مقدر ثم اختلفوا فعن علي كرم الله وجهه انه دخل على مولى لهم في مرض الموت وله سبعمائة درهم فقال الا اوصي فقال لا قال الله تع ان ترك خيرا وليس لك كثير مال وعن عائشة ان رجلا قال لها اني اريد ان اوصي قالت كم مالك قال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت قال الله تع ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك فهو افضل وعن ابن عباس اذا ترك سبعمائة درهم فلا يوصي فاذا بلغ ثمانمائة درهم اوصى وعن قتادة الف درهم وعن النخعي من الف الى خمسمائة درهم قال ابو البقاء جواب الشرط عند الاخفش الوصية بحذف الفاء اي فالوصية للوالدين على الابتداء والخبر واحتج بقول الشاعر من يفعل الحسنات الله يشكرها وقال غيره جواب الشرط معنى الايصاء لا معنى الكتب بناء على رفع الوصية بكتب هو الوجه وقيل المرفوع بكتب الجار والمجرور وهو عليكم وليس بشيء واما اذا فهو ظرف لمعنى الوصية ولا يحتاج الى جواب والاقربين قيل هم الاولاد عن ابن زيد وقيل من عدا الولد عن ابن عباس ومجاهد وقيل جميع القرابات وقيل غير الوارث وقوله بالمعروف امر بان يسلك في الوصية الطريقة الجميلة فلو حرم الفقير ووصى للغني لم يكن معروفا فلو سوى بين الوالدين مع عظم حقهما وبين بني العم لم يكن معروفا ولو اوصى لاولاد الجد البعيد مع حضور الاخوة لم يكن ما ياتيه معروفا وحقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المتقين على الذين آثروا التقوى وجعلوها مذهبا لهم وسيرة واعلم ان الائمة القائلين بوجوب هذه الوصية اختلفوا في انها منسوخة ام لا اما ابو مسلم فانه اختار عدم نسخها وقال معناها كتب عليكم ما اوصى الله به من توريث الوالدين والاقربين في قوله تع يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى الله به لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم اذ لا منافاة بين ثبوت الميراث للاقرباء مع ثبوت الوصية فالميراث عطية من الله تع والوصية عطية ممن حضره الموت فالوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين ولو قدر حصول المنافاة فهذه الآية توجب الوصية للوالدين والاقربين ثم آية الميراث تخرج القريب الذي لا يكون وارثا داخلا في الآية وذلك ان من الوالدين من لا يرث بسبب اختلاف الدين والرق والقتل ومن الاقارب من يسقط في حال ويثبت في حال ومنهم من يسقط في كل حال اذا كانوا ذوي رحم فآية الميراث مخصصة لهذه الآية لا ناسخة لها واكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء على ان الآية منسوخة قالوا النسخ بآية المواريث وبالاجماع او بقوله ص ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وهذا وان كان خبر واحد الا ان الامة تلقته بالقبول حتى التحق بالمتواتر فيجوز نسخ القرآن به عند الجمهور ومن ائمة الامة من قال انها منسوخة في حق من يرث ثابتة في حق من لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن البصري ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد حتى قال الضحاك من مات من غير ان يوصي لاقربائه فقد ختم عمله بمعصية وقال طاوس ان اوصى للاجانب وترك الاقارب نزع منهم ورد الى الاقارب قالوا الآية دلت على وجوب الوصية للقريب ترك العمل به في حق القريب الوارث



اما باية المواريث وبقوله لا وصية لوارث وباجماع الامة وبقيت الاية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يكون وارثا وايضا قال عليه السلام ما من
حق امرء مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده لكن الوصية لغير
الاقارب غير واجبة بالاجماع فوجب ان يختص بالاقارب وهؤلاء القائلون بان الاية ما صارت منسوخة في حق القريب الذي لا يكون وارثا اختلفوا
في موضعين الاول نقل عن ابن مسعود انه جعل هذه الوصية للافقر فالافقر من الاقرباء وقال الحسن البصري هم والاغنياء سواء الثاني عن الحسن
وجابر بن زيد وعبد الملك بن يعلى انهم قالوا فيمن يوصي لغير قرابته وله قرابة لا ترثه يجعل ثلثي الثلث لذوي القرابة وثلث الثلث لمن اوصى له وعن
طاوس ان الاقارب ان كانوا محتاجين انتزعت الوصية من الاجانب وردت الى الاقارب فمن بدله من غير الايصاء او ما قاله الميت واوصى به عن وجهه
ان كان موافقا للشرع بعدما سمعه تحققه فلا معنى للسماع لو لم يقع العلم به والمبدل اما الوصي بان يغير الوصية في الكتابة او في قسمة الحقوق واما الشاهد
بان يغير شهادته او يكتمها واما غيرهما بان يمنع من وصول ذلك المال الى مستحقه وقيل المنهي عن التغيير هو الموصي نهي عن تغيير الوصية عن الموضع الذي
بين الله تعالى الوصية فيه فانهم كانوا يوصون في الجاهلية للاباعد طلبا للفخر والشرف ويتركون الاقارب في الضر والفقر فامرهم بالوصية للاقربين واوعدهم
على تركها فانما اثمه اثم الايصاء المغير او اثم التبديل الا على الذين يبدلونه فان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره ومنه يعلم ان الطفل لا يعذب بكفر ابيه وان الانسان
اذا امر الوارث بقضاء دينه فان الميت لا يعذب بتقصير ذلك الوارث وان الميت لا يعذب بنياحة غيره عليه ان الله سميع عليم يسمع الوصية على حدها
ويعلمها على صفتها فلا يخفى عليه خافية من التغيير الواقع فيها وفي ذلك وعيد للمبدل ووعد ثم انه سبحانه لما اطلق الايعاد على التبديل اتبعه قوله فمن
خاف ليعلم ان التغيير من الباطل الى الحق على طريق الاصلاح مستحسن شرعا كما هو حسن عقلا وللخوف ههنا تفسيران احدهما الخشية فيسأل انه كيف يصح
في امر منتظر مظنون والوصية وقعت وعلمت فاجيب بان المراد منه المصلح اذا شاهد الموصي يوصي فظهر منه امارات الجنف الذي هو الميل عن
طريق الحق مع ضرب من الجهالة او مع التاويل وشاهد منه اثما اي تعمدا بان يزيد غير المستحق وينقص المستحق او يعدل عن المستحق فعند ظهور امارات
ذلك وقبل تحقق الوصية ياخذ في الاصلاح بينهم اي بين اهل الوصية لان قوله من موص يدل على ما لابسته فكان الموصي يقول وقد حضره
الوصي والشاهد على وجه المشورة اريد ان اوصي للاباعد دون الاقارب او ان ازيد فلانا مع انه غير مستحق للزيادة وانقص فلانا مع انه مستحق للزيادة
فعند ذلك يصير السامع خائفا من جنف او اثم لا قاطعا به وفائدته ان من الجائز ان لا يستمر الموصي على وصيته فان له الفسخ ما دام في حياته ولمن يحصل
الثقة بما فعل وقد يعدل عن الخوف في اول الامر ويتقدر ان يستقر الوصية ومات الموصي على تلك الحالة فبعد ان يقع بين الورثة والموصى لهم تنازع فيما
نسب الى الموصي وقد يفزع من الجنف والاثم فيحتاج الى الاصلاح بينهم باجرائهم على قانون الشرع والتفسير الثاني ان خاف بمعنى علم وقد يستعمل
الخوف والخشية مقام العلم لان الخوف منشأه ظن مخصوص وبين العلم والظن مشابهة من وجوه كثيرة فصح اطلاق احدهما على الاخر واستعمالا شايعا ومن ذلك
قولهم اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم فمعنى الاية ان الميت اذا اخطأ في وصيته او جار فيها متعمدا فلا حرج على
من علم ذلك ان يرده الى الصلاح بعد موته وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع وفي الاية دليل على جواز الاصلاح بين المتنازعين اذا خاف
المصلح افضاء التنازع الى امر محذور شرعا والغرض من قوله فلا اثم عليه رفع الحرج حتى لا ينافي الوجوب وفيه مع ذلك نكتة هي ان الاصلاح بين
القوم يحتاج الى الاكثار من القول وقد يفضي الى الاسهاب والتكلم ببعض ما لا ينبغي فبين انه تعالى لا يؤاخذ على المصلح من هذا الجنس وذلك اذا كان غرضه الاصلاح صحيحا
ولهذا اتبعه قوله ان الله غفور رحيم وايضا كانه قيل انا الذي اغفر الذنوب ثم ارحم المذنب فلان اوصل رحمتي اليك ايها المصلح مع تحمل عناء
الاصلاح اولى او المراد ان الذي اقدم على الجنف والاثم متى اصلح خلل وصيته فان الله يغفر له ويرحمه بفضله وبهذا التاويل يجوز ان يرجع الضمير في
في قوله فلا اثم عليه الى الموصي واعلم ان اكثر الائمة وان ذهبوا الى ان وجوب الوصية منسوخ باية المواريث الا انهم اتفقوا على انها الان جائزة في الثلث لما روي
انه صلى الله عليه وسلم عاد سعد بن ابي وقاص فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اني ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي فاوصي بثلثي مالي قال لا قال فبشطره قال لا قال فبالثلث قال الثلث والثلث
كثير انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس فافاد الحديث المنع من الزيادة واستحباب النقصان عن الثلث ان كانت
الورثة فقراء والوصية اوسع مجالا من الارث فاذا اراد الوصية فالاصل ان يقدم من لا يرث من اقاربه لان الله اعطى الاقربين الميراث ويقدم
منهم المحارم ثم يقدم بالرضاع ثم بالمصاهرة ثم بالولاء ثم بالجوار كما في الصدقات المنجزة فان اوصى للورثة بعضهم جاز لكن بالاجازة من سائر الورثة
كالزائد على الثلث للاجنبي فان الزائد يحتاج الى اجازة الورثة التاويل كتب على الاغنياء الوصية بالمال وعلى الاولياء الوصية بالحال
والاغنياء يوصون في اخر اعمارهم والثاني الاولياء يخرجون في مبادي احوالهم عن الكل والمعنى اذا حضر قلب احدكم مع الله ومات نفسه عن الصفات
الحيوانية فعليها ان يوصي للوالدين وهما الروح العلوي والبدن السفلي فان النفس تولدت من ازدواجهما وللاقربين وهم القلب والسر بترك كل شرب
يظهر لهم من المشارب الروحانية والجسمانية بالمعروف من غير اسراف يفضي الى الاتلاف معرضا عن الشهوات مجتنبا من الرسوم والعادات كما قال عليه السلام
بعثت لرفع العادات وترك الشهوات بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ومن مكارم الاخلاق ان يجعل المشارب مشربا واحدا والمذاهب مذهبا واحدا
شعر وكل له سؤل ودين ومذهب ووصلكم سؤلي وديني هواكم وانتم من الدنيا مرادي وهمتي مناي منا كم واختياري رضاكم حقا على المتقين من الشرك الخفي
ولهذا لم يقل على المسلمين والمؤمنين لانهم اهل الظاهر والمتقون هم اهل الباطن كما قال عليه السلام التقوى ههنا واشار الى صدره واحكام الظواهر تحتمل النسخ واحكام

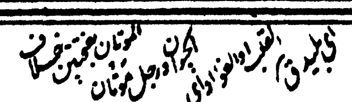






البواطن وهي الحكم والحقائق لا يحتمل النسخ فحكم الوصية في حق المتقين غير منسوخ ابدا فمن بدله فمن غير من الروح والقلب والسر الوصية الصادرة
من نفسه الميتة فانما اثمه عليهم وسبب هذا التوكيد ان السر والقلب والروح كلهم من العالم الروحاني وصفاتهم حميدة باقية فترك مشاربها والخروج
عنها صعب جدا فمن خاف تفرس من موص جنفا في ترك المشارب بان يبالغ في المجاهدات لنيل المشاهدات او اثما تجاوزا عن حد الشرع في دفع
الطبع فاصلح بينهم بين الروح والبدن والقلب والسر ولكن بنظر شيخ كامل ومرب عارف فلا جرح على المصلح والله الموفق يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا
ای آنچنان کسانی که گرویده‌اید نوشته شد بر شما روزه چنانکه نوشته شد بر آنهائی که پیش از شما بودند شاید که شما پرهیزید در روزهای چند پس هر که باشد از شما بیمار
او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون
یا در سفر پس چندی از روزهای دیگر و بر آنان که توانند قضا پس فدیه دهند بطعام فقیری پس هر که از روی تبرع خوبی کند بهتر است او را و روزه شما بهتر است شما را اگر دانید
شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم
ماه رمضان است آنماهی که فرود آمد در آن قرآن که بیان ره نماینده مردمان و نشانها از هدایت و امتیاز پس هر که حاضر باشد از شما در این ماه پس روزه بگیرد آنرا و هر که باشد از شما
مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون
بیمار یا در سفر باشد پس چندی از روزهای دیگر خواسته خدا از برای شما آسانی را و نخواسته است دشوار را تا که بانجام رسانید تعداد را و تا که بزرگ دانید خدا را که راه نمود شما را که شکر کنید
واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون
و چون بپرسند از تو بندگان من پس من نزدیکم روا کنم حاجت خواننده را چون بخواند مرا پس طلب اجابت کنند از من و بگروند بمن شاید که ارشاد یابند
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم
حلال کرده شد از برای شما در شب روزه خلوت کردن با زنان خود ایشان پوشش‌اند شما را و شما پوشش ایشانید دانسته است خدا که شما خیانت کنید کاینه نفسهای خود را پس رجوع برحمت کرد بر شما و گذشت
فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل
پس در این وقت خلوت کنید با ایشان و بخواهید آنچه را که نوشت خدا از برای شما و بخورید و بیاشامید تا که ظاهر شود بر شما رشته سفید صبح از رشته سیاه از صبح پس تمام کنید روزه را تا مغرب
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون
و مباشرت نکنید ایشانرا در حالی که معتکف باشید در مسجدها اینست احکامهای خدا پس نزدیک مشوید حرمت را ظاهر کند خدا نشانهای خود را برای مردمان شاید که ایشان پرهیزند

القراءة فدية طعام مساكين مضافا والجمع ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وروى الحلواني للادر عن هشام والنجاد فدية بالتنوين طعام بالرفع مساكين بالجمع الباقون
مثل هذا الا ان مسكين مفرد مجرور فمن تطوع بتشديد الطاء والواو وبياء الغيبة وجزم العين حمزة وعلي وخلف الباقون بلفظ الماضي من باب التفعل
القرآن غير مهموز حيث كان ابن كثير وعباس وحمزة في الوقف فاذا كان بعض القراءة فان عباسا فيه مخير ان شاء لم يهمز كقوله تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر
ولا تعجل بالقرآن ان علينا جمعه وقرآنه فاتبع قرآنه الباقون بالهمز اليسر والعسر حيث كانا مثقلين يزيد الا قوله فالجاريات يسرا ولتكملوا العدة من
التكميل ابو بكر وحماد وعباس وسويس الباقون من الاكمال الداع اذا دعان بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو جعفر
ونافع غير قالون وابو عمرو بالياء في الوصل الباقون بغير ياء فيهما في الحالين بي لعلهم بفتح الياء ورش الباقون بالسكون الوقوف تتقون لا لان
اياما ظرف الصيام والانتفاء معدودات ط لان المرض والسفر عارضان فكانا خارجين عن الوضع اصلا اخر ط لان خبر الجار منتظر وهو فدية فلا تعلق له بما
قبله مسكين ط لان التطوع خارج عن موجب الاصل خير له ط لان التقدير والصوم خير لكم تعلمون والفرقان ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فليصمه
للابتداء بشرط اخر اخر ط العسر ز قد يجوز تشكرون قريب ط لان قوله اجيب مستانف عار ص للفاء يرشدون نسائكم ط لهن ط عنكم ج لعطف
الجملتين المختلفتين لكم ص لعطف المتفقين من الفجر ص لذلك الى الليل ج وان اتفقت الجملتان لان حكم الصوم والاعتكاف مختلفان ولكل واحد شان
في المساجد ط لان تلك مبتدا فلا تقربوها ط لان كذلك صفة مصدر محذوف اي يبين تبيينا كبيان ما تقدم يتقون التفسير هذا حكم اخر والصيام
مصدر صام كالقيام والعياذ وهو في اللغة الامساك عن الشيء قال الخليل الصوم قيام بلا عمل وصام الفرس صوما اي قام على غير اعتلاف وقال ابو عبيدة
كل ممسك عن طعام وكلام او سير فهو صائم وانه في الشرع عبارة عن الامساك عن اشياء مخصوصة يسمى المفطرات كالاكل والشرب والوقاع في
زمان مخصوص هو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ولا بد في صحته من النية في غير يومي العيد بالاتفاق وفي غير ايام التشريق عند الاكثر
ويوافقه الجديد من قول الشافعي وفي غير يوم الشك بلا ورد ونذر وقضاء وكفارة ولا بد للصائم من الاسلام والنقاء عن الحيض والنفاس
ومن العقل كل اليوم ومن انتفاء الاغماء في جزء من اليوم وقوله سبحانه كما كتب على الذين من قبلكم اي على الانبياء والامم من لدن ادم الى عهدكم
قال علي كرم الله وجهه اولهم ادم يعني ان الصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة
عليها المعاصي لان في الصوم ظلفا للنفس عن المناهي ومواقعة السوء ولعلكم تنتظمون في سلك اهل التقوى فان الصوم شعارهم وقيل
معناه صومكم كصومهم في عدد الايام وهو رمضان كتب على النصارى فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل كان يقع في البرد الشديد





فشق عليهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين كفارة ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل مثل دراهم معدودة واصله ان المال
القليل يعد عدا والكثير يحثى حثيا كانه قال انى رحمتكم فلم افرض عليكم صيام الدهر كله ولا اكثره ولكن اياما قليلة وعلى هذا يحتمل ان يكون وجه الشبه
بين الفرضين مجرد تعليق الصوم بمدة غير متطاولة وان اختلفت المدتان ثم ان الائمة اختلفوا في هذه الايام على قولين الاول انها غير رمضان
فعن عطا ثلثة ايام من كل شهر وعن قتادة هي مع صوم عاشوراء ثم اختلفوا ايضا فقيل كان تطوعا ثم فرض وقيل بل كان واجبا واتفقوا انه فسخ بصوم
رمضان واستدلوا على قولهم انها غير صوم رمضان بما روى عن النبي ص ان صوم رمضان نسخ كل صوم فدل على ان صوما اخر كان واجبا وايضا
ذكر حكم المريض والمسافر في هذه الاية وفي التي تتلوها فلو اتحد الصومان كان تكريرا محضا وايضا ذكر في هذه الاية التخيير بين الصوم والفدية وصوم رمضان
واجب على التعيين فيختلفان والثاني هو اختيار ابي مسلم والحسن واكثر المحققين انها شهر رمضان اجمل اولا ذكر الصيام ثم بينه بعض البيان بقوله اياما
معدودات ثم كمل البيان بقوله شهر رمضان وهذا ترتيب في غاية الحسن من غير زيادة ولا نقصان واجيب عن استدلالهم الاول بانه ليس في الخبر انه نسخ عنه
وعن امته كل صوم فلم لا يجوز ان يراد به نسخ كل صوم وجب في الشرائع المتقدمة سلمنا ان المراد به صوم ثبت في شرعه لكن لم لا يجوز ان يكون ناسخا لصيام
وجب بغير هذه الاية وعن الثاني ان صوم رمضان كان واجبا مخيرا وفي الاية الثانية جعل واجبا على التعيين فاعيد حكم المريض والمسافر ليعلم ان حالهما
ثانيا في رخصة الافطار ووجوب القضاء كحالهما اولا وعن الثالث انه لا خلاف مسلم في التخيير والتعيين لكن اما في نفس الصوم فلا وههنا سؤال
وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه كيف كان ناسخا للتخيير مع اتصاله بالمنسوخ والجواب ان الاتصال في التلاوة لا يوجب الاتصال في النزول
بل المقدم في التلاوة يمكن ان يكون ناسخا والمتاخر منسوخا كاية الاعتداد بالحول وهكذا نجد في القران اية مكية متاخرة في التلاوة عن الاية
المدنية وذلك كثير قال القفال انظروا الى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته في هذا التكليف فبين اولا ان لهذه الامة في هذا التكليف
اسوة بالامم السالفة فان الامور الشاقة اذا عمت خفت ثم بين ثانيا وجه الحكمة في ايجاب الصوم وحصول التقوى ثم بين ثالثا انه مختص بايام قلائل
لا بكلها ولا باكثرها ثم بين رابعا انه خصه من الاوقات بالشهر الذي نزل فيه القران ليعلم شرفه فتوطن النفس له ثم ذكر خامسا ازالة المشقة
في الزامه فاباح تاخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى الى زمن الرفاهية والصحة وهي هيئة يكون لها بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث
يصدر عنها الافعال كلها سليمة والمرض زوالها واختلف الائمة في المرض والسفر المبيحين للافطار على اقوال احدها ان اي مريض كان واي مسافر كان فله ان
يترخص تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله وهذا قول الحسن وابن سيرين يروى انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فقيل له وجع اصبعه وعن داود
الرخصة حاصلة في كل سفر ولو كان فرسخا وثانيها انه المرض الذي لو صام لوقع في مشقة وجهد وكذا السفر وهو قول الاصم وحاصله تنزيل اللفظ
على اكمل احواله وثالثها وهو قول الشافعي واكثر الفقهاء انه الذي يؤدي الى ضرر في النفس او زيادة في العلة اذ لا فرق في العقل بين ما يخاف منه
وبين ما يؤدي الى ما يخاف منه كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه والارمد يخاف ان يشتد وجع عينه قالوا وكيف يمكن ان يقال كل مرض
مرخص مع علمنا بان في الامراض ما ينفعه الصوم فالمراد منه ما يؤثر الصوم في تقويته ثم ما يعتد به والتاثير اليسير لا عبرة به والمرض المرخص
لا يفرق فيه بين ان يعرف كونه كذلك بنفسه او يخبره بذلك طبيب حاذق بشرط كونه مسلما بالغا عدلا واصل السفر من الكشف لانه يكشف عن احوال
الرجال واخلاقهم وعن الازهري سمي مسافرا لكشف قناع الكن عن وجهه وبروزه للارض الفضاء قال الاوزاعي السفر المبيح مسافة يوم وعند الشافعي
مقدر بستة عشر فرسخا ولا يحسب منه مسافة الاياب كل فرسخ ثلثة اميال بالاميال الهاشمية جد رسول الله صلعم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا
عشر الف قدم هي اربعة الاف خطوة والى هذا ذهب مالك واحمد واسحق وذلك ان تعب اليوم الواحد يسهل تحمله بخلاف ما اذا تكرر في يومين حتى يناسب
ولما روى الشافعي عن ابن عباس ان النبي صلعم قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة برد من مكة الى عسفان قال اهل اللغة كل بريد اربعة فراسخ وروى الشافعي
ايضا عن عطا قال ابن عباس اقصر الى مر الظهران فقال لا ولكن اقصر الى جدة وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان اربعة برد وقال
ابو حنيفة والثوري رخصة السفر لا تحصل الا في ثلث مراحل اربعة وعشرين فرسخا قياسا على المسح والاجماع على الرخصة في هذه المدة والخلاف
فيما دون ذلك فيبقى المختلف فيه على اصل وجوب الصوم واجيب بان قوله يمسح المقيم يوما وليلة لا يدل على انه لا يحصل الاقامة في اقل من يوم وليلة
لانه لو نوى الاقامة في موضع الاقامة ساعة يصير مقيما وكذا قوله ص والمسافر ثلثة ايام لا يوجب ان لا يحصل السفر في اقل من ثلثة ايام وايضا الترجيح
للافطار لقوله ص في قصر الصلوة هذه صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته وانما قيل وعلى سفر دون ان يقول مسافرا كما قال مريضا لان
السفر يتعلق بقصده واختياره حتى لو عزم على الاقامة في منزل من المنازل لم يبق على قصد السفر فلا يصح الافطار وان كان مسافرا وهذا بخلاف
المرض فانه صفة قائمة به ان حصلت حصل والا فلا وعدة فعلة من العد بمعنى المعدود كالطحن بمعنى المطحون وعدة المراة من هذا وانما قيل فعدة على التنكير
ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات للعلم بانه لا يؤثر عدد على عددها وانه لا يأتي الا بمثل ذلك العدد ظاهر فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة
والمعنى فعليه صوم عدة وقرئ بالنصب اي فليصم عدة واخر جمع اخرى تانيث اخر وانه غير مصروف للصفة والعدل عن اخر من كذا واعلم ان قوما من علماء
الصحابة ذهبوا الى انه يجب على المريض والمسافر ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر وهو قول ابن عباس وابن عمر حتى قالا لو صام في السفر قضى في الحضر
واختاره داود بن علي الاصفهاني وهو مذهب الامامية لان قوله تعالى فعدة اي فعليه عدة يشعر بالوجوب عليه ولان قوله يريد الله بكم اليسر يعني



عن ارادة الافطار ولقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وفي رواية بدل لام التعريف ميم التعريف وقوله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وذهب اكثر الفقهاء الى
ان هذا الافطار رخصة فان شاء افطر وان شاء صام لما يجيء من قوله تعالى وان تصوموا خير لكم ولما روى ابو داود في سننه عن هشام بن عروة عن ابيه
عن عائشة ان حمزة الاسلمي سأل النبي صلعم فقال يا رسول الله صلعم هل يصوم في السفر فقال يا رسول الله صلعم هل اصوم في السفر فقال صم ان شئت قالوا وفي الآية
اضمار التقدير فمن كان مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر كقوله او به اذى من رأسه ففدية اي فحلق فعليه فدية ثم اختلف هؤلاء فعند
الشافعي وابي حنيفة ومالك والثوري وابي يوسف ومحمد ان الصوم افضل وقالت طائفة الافضل الفطر واليه ذهب ابن المسيب والشعبي والاوزاعي
احمد واسحق وقيل افضل الامرين ايسرهما على المرء واختلفوا ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره
وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي كرم الله وجهه وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا ويؤيده
قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه فيه ثلثة اقوال الاول وهو قول اكثر المفسرين ان المعنى وعلى المطيقين للصيام
الذين لا عذر بهم لكونهم مقيمين صحيحين ان افطروا فدية هي طعام مسكين والفدية في المعنى الجزاء وهو عبارة عن البدل القائم عن الشيء وانه ههنا
عند اهل العراق ومنهم ابو حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره وعند اهل الحجاز ومنهم الشافعي مد من غالب قوت البلد لكل يوم ويصرف الى
الفقير والمسكين قالوا كان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية عن سلمة بن الاكوع لما نزلت
وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر يفطر ويفتدي حتى نزلت فمن شهد منكم الشهر فليصمه فنسختها ومن قرأ
باضافة الفدية الى طعام فالاضافة فيه كهي في قولك خاتم حديد ومن قرأ مساكين على الجمع فلان الذين يطيقونه جمع وكل واحد منهم يلزمه طعام
مسكين لكل يوم والاعتبار بمد رسول الله صلعم وهو مائة وثلثة وسبعون درهما وثلث درهم الثاني ان هذا راجع الى المسافر والمريض وذلك ان
المريض والمسافر منهما من لا يطيق اصلا واليه الاشارة بقوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ومنهما من يطيق الصوم مع الكلفة و
هو المراد بقوله وعلى الذين يطيقونه قالوا هذا اولى ليلزم النسخ اقل فان نسخ التخيير بين الصوم والفدية عن المريض المطيق اقل من نسخ التخيير عنه وعن
الصحيح المقيم الثالث انه في الشيخ الهم عن السدي وعلى هذا لا يكون الآية منسوخة ويؤيده القراءة الشاذة يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة
او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه والتركيب يستعمل فيمن يقدر على شيء مع ضرب من المشقة والكلفة وبعضهم اضاف الى الشيخ الهرم الحامل والمرضع
اذا خافتا على نفسيهما او ولديهما واتفقوا على ان الشيخ اذا افطر فعليه الفدية واما الحامل والمرضع اذا افطرتا فقال الشافعي عليهما القضاء والفدية نحو
المريض وقال ابو حنيفة لا يجب الا القضاء كيلا يلزم بين البدلين فمن تطوع خيرا بان يطعم مسكينين او اكثر او يطعم المسكين الواحد القدر الواجب او صام مع
الفدية عن الزهري فهو اي التطوع خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملتم متاعب الصيام خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان
ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا عند من يرى ان الصوم لهما افضل ان كنتم تعلمون ان الصوم اشق عليكم وان اجركم على قدر نصبكم او تعلمون
بالله فتخشونه فتمتثلون امره انما يخشى الله من عباده العلماء او تعلمون ما في الصوم من الفوائد البدنية والاخروية عن علي كرم الله وجهه ان
النبي صلعم قال يقول الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من
ريح المسك وعنه صلعم ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيمة لا يدخل منه احد غيرهم وعن ابي هريرة ان النبي صلعم قال من صام
رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وعنه ان رسول الله صلعم
قال من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيئا وعن النبي صلعم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض
للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وفضيلة الصوم ومنافعه اكثر من ان تحصى ولو لم يكن فيه الا التشبه بالملائكة والا
من تخصيص حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالروحانيات المجردة لكفى به فضلا ومنقبة هذا صوم الشريعة فاما صوم الطريقة فالامساك
عما حرم الله عز وجل والافطار بما اباح واجل صوم الحقيقة الامساك عن الاكوان والافطار بمشاهدة الرحمن صمت عن غيره فلما تجلى كان
في شاغل عن الافطار فلشوقنا مدة ثم لما ادلى حل عن الافطار قوله عز من قائل شهر رمضان الشهر ماخوذ من الشهرة عن مجاهد رمضان
اسم الله تعالى وروي عن النبي صلعم لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله وعلى
هذا شهر رمضان اي شهر الله والاكثرون على انه اسم علم للشهر كرجب وشعبان ومنع الصرف للعلمية والالف والنون ثم اختلف في اشتقاقه
فعن الخليل انه من الرمض بتسكين الميم وهو مطر يأتي وقت الخريف يطهر وجه الارض عن الغبار سمي الشهر بذلك لانه يطهر الابدان عن اوضار الاوزار
وقيل الرمض بمعنى شدة الحر من وقع الشمس وفي الكشاف الارض رمضاء والرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء سمي بذلك اما لارتماضهم فيه
من حر الجوع كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم ارمضت النصل جعلته بين حجرين املسين ثم دققته ليرق وعن الازهري انهم كانوا يرمضون
اسلحتهم فيه ليقضوا منها اوطارهم في شوال قبل دخول الاشهر الحرم وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت
فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسمي بذلك وشهر رمضان يجمع على رمضانات وارمضاء واضافة الشهر اليه اضافة العام الى الخاص ولو لم يتلفظ

وافطر ان شئت

في اضافة العام الى الخاص





بالشهر جاز كقوله صلعم من صام رمضان ايمانا واحتسابا الحديث لان التسمية وقعت برمضان فقط وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل فيه القرآن وعلى انه بدل
من الصيام في قوله كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ او على انه خبر مبتدا محذوف اي هي اي الايام المعدودات شهر رمضان وعلى هذين الوجهين يكون الموصول
مع صلته صفة لشهر رمضان قال ابو علي وهذا اولى ليكون نصا في الامر بصوم الشهر والا كان خبرا عن انزال القرآن فيه وقرئ بالنصب على صوموا
شهر رمضان او على الابدال من اياما او على انه مفعول وان تصوموا وفي هذا الوجه نظر من قبل الفصل بين ان تصوموا ومعموله بالخبر وفائدة وصف
الشهر بانزال القرآن فيه التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فيه وذلك انه كما خص باعظم آيات الربوبية ناسب ان يخص باشرف سمات العبودية فبقلة الطعم
النفس يترقى العبد في مدارج الانس ويصل الى معارج القدس وتخرق له الحجب الناسوتية ويطلع على الحكم اللاهوتية ويفهم معاني القرآن وينكشف له العلم بالعجائب
وكان من العجائب ما كان في انزال القرآن في رمضان اقوال عن سفيان بن عيينة نزل في فضله القرآن كما تقول نزل في علي كذا وقال ابن الانباري
انزل في ايجاب صومه على الخلق القرآن كما تقول انزل الله في الزكوة كذا اي في ايجابها وانزل في الخمر كذا اي في تحريمها والقولان متقاربان او هما واحد فانه
لم ينزل سوى قوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ الايات واختيار الجمهور ان الله تعالى انزل القرآن في رمضان عن النبي صلعم نزلت صحف ابراهيم اول
ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين ثم انه لا شك ان القرآن قد نزل منجما مفرقا على حسب
المصالح والوقائع فاولت الاية بان المراد انه ابتدئ فيه انزاله وذلك ليلة القدر ومبادي الملل والدول هي التي يورخ بها لشرفها وانضباطها هذا قول
محمد بن اسحق او انه انزل جملة الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل الى الارض نجوما وليس يبعد ان يكون للملائكة الذين هم سكان سماء الدنيا مصلحة
في انزال ذلك اليهم وفيه مصلحة الرسول من حيث توقع الوحي عن اقرب الجهات ولعل فيه مصلحة لجبرئيل المامور بالانزال والتادية ولا سيما على راي الفلاسفة
الذين جبرئيل عندهم هو العقل الفعال الاخير الذي يدبر عالم الكون والفساد وخاصة نوع الانسان وعلى هذا القول يحتمل ان يقال ان الله تعالى انزل كل القرآن
من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثم نزله على محمد صلعم منجما الى آخر عمره ويحتمل ان يقال انه سبحانه كان ينزل الى السماء الدنيا ليلة القدر
كل سنة ما يحتاجون اليه في تلك السنة وكذلك ابدا الى ان تم انزاله وعلى هذا يكون تعيين رمضان الذي انزل فيه القرآن نوعيا لا شخصيا هُدًى لِلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ منصوبان على الحالية اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات من جملة ما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين
الباطل من الكتب السماوية وذلك ان الهدى قسمان جلي مكشوف وخفي متشابه فوصفه اولا بجنس الهداية ثم قال انه من نوع البين الواضح ويحتمل ان
يقال القرآن هدى في نفسه ومع ذلك ففيه ايضا بينات من هدى الكتب المتقدمة فيكون المراد بالهدى والفرقان التورية والانجيل ويقال الهدى الاول
اصول الدين والثاني فروعه فيزول التكرار نقل الواحدي عن الاخفش والمازني ان الفاء في فَمَنْ شَهِدَ زائدة اذ لا معنى للعطف والجزاء ههنا وهذا
وهم لطفه وكونها للجزاء كانه قيل لما علم اختصاص هذا الشهر بفضيلة انزال القرآن فيه فاعلم ايضا خصوصه بهذه العبادة ومعنى شهد اي حضر ثم قيل
ان مفعوله محذوف والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهد
الشهر فالمعنى فمن شهد منكم في الشهر المذكور المعلوم البلد والمقام فليصم في الشهر وصاحب هذا القول ارتكب الاضمار حذرا من لزوم التخصيص في
حق المسافر الا انه يلزمه ما فر منه لانه يسلك الصبي والمجنون والمريض كل منهم شهد البلد مع انه لا يجب عليه الصوم اما اذا قيل الشهر مفعول به مثل
شهدت عصر فلان وادركت زمانه فلا يلزم منه الا احد الامرين وهو التخصيص بقوله وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ فيكون اولى من الاول
لان الاضمار والتخصيص اذا تعارضا فالتخصيص اولى فكيف اذا وقع الاضمار والتخصيص في جانب والتخصيص وحده في جانب هذا ما قاله الامام فخر الدين الرازي
متعرضا به على صاحب الكشاف وغيره قلت الانصاف انه لا ترجيح مع صاحب الكشاف لان لزوم الاضمار في الاية ممنوع وذلك ان شهد ههنا منزل منزلة
المفعول كقولهم فلان يعطي ويمنع ومعنى من شهد من كان على حالة الحضر سواء كان في البلد او في منزل من المنازل نوى الاقامة واما التخصيص فمشترك
على القولين الا انه على قول صاحب الكشاف اقل لعدم دخول المسافر فيه فيكون اولى فان قيل فعلى هذا يكون قوله بعد ذلك او على سفر تكرارا قلنا انما
اعيد ليترتب عليه حكم القضاء كالمريض وايضا لا يلزم من ايجاب الصوم على الحاضر عدم ايجابه على المسافر ولو سلم فبالمفهوم لا بالمنطوق ثانيا فاين التكرار
وانما وضع المظهر وهو الشهر مقام المضمر حيث لم يقل فمن شهده اعتناء بشانه واعلاء لمكانه وتمكينا في القلوب وتعظيما في النفوس كقوله ان لصاحب
الحق يعطي الحق مسألة وههنا بحث وهو ان قوله فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ جملة شرطية وما لم يوجد الشرط بتمامه لم يترتب عليه الجزاء والشهر
عبارة من اوله الى آخره فظاهر الاية يقتضي ان الصوم لا يجب عليه الا عند شهود الجزء الاخير وهو محال لانه يقتضي ايقاع الفعل في الزمان المنقضي واجيب بان
المراد من الشهر جزء من اجزائه وهذا مجاز مشهور والمعنى من شهد جزءا من اجزاء الشهر فليصم كل الشهر ثم ان كان هذا الجزء من اول الشهر كما لو شهد هلال
رمضان فهذا موافق لما نقل عن علي كرم الله وجهه ان من دخل عليه الشهر وهو مقيم ثم سافر وجب ان يصوم الكل واما سائر المجتهدين فيقولون هذا
عام يدخل فيه الحاضر والمسافر الا ان قوله وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا او على سفر يخصصه وان كان في اثناء الشهر فيوافق قول ابي حنيفة ان المجنون اذا افاق في اثناء الشهر
لزمه قضاء ما مضى قلت لا حاجة الى ارتكاب التجوز المذكور وهو اطلاق لفظ الشهر على جزء من اجزائه ولا يلزم منه المحال المذكور لان المراد من شهد الشهر
اجمع ولكن بحيث قد يتأتى منه الصوم في جميع ايامه والمراد من عزم على كونه مقيما في الشهر فليصمه ويعلم منه انه ان كان حاضرا في بعضه يتعلق ايجاب الصوم
بذلك البعض فقط بدليل قوله ومن كان مريضا او على سفر فانه لما علم الوجوب للحاضر في كله والرخصة للمسافر في كله علم ان الحكم ان جميعا للحاضر في بعضه

والمسافر



والمسافر في البعض الآخر فكل يوم مستقل بنفسه فيما يقتضيه من الصوم فيه عبادة مستقلة وكان ما نقل عن علي كرم الله وجهه من الزامي غاية لحرمة الشهر كالو ادرك الحائض من اول الوقت قدر ما يسع تلك الصلوة وفي قول قدر ركعة وفي قول تكبيرة لزمها قضاؤها اذا طهرت واما ان شهر رمضان بم يثبت حتى يعتبر الشهود فيه فقد قال ﷺ صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاستكملوا العدة يعني عدة شعبان ثلثين يوما ومهما شهد عند القاضي عدل واحد انه راى الهلال يثبت لما روي عن عمر انه راى الهلال وحده فشهد عند النبي ﷺ فامر الناس بالصوم ولما روي ان علياء شهد عنده رجل على رؤية هلال رمضان فصام قال اصوم من شعبان احب الي من ان افطر يوما من رمضان وللاحتياط في امر العبادة ولا يثبت الهلال في سائر الشهور الا برؤية عدلين وعند ابي حنيفة يثبت هلال رمضان في الغيم بواحد وفي الصحو يعتبر الاستفاضة واذا راى في موضع شمل الحكم لمن هو على دون مسافة القصر منه ولا يجب الصوم بذلك على من عداهم يُرِيدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ معناه في اللغة السهولة ومنه اليسار للغنى لانه يتسهل به الامور ويتسنى المقاصد واليد اليسرى لبقائها على اليسر او لان الامور يتسهل بمعاونتها اليمنى والعسر نقيضه وفي الصحاح قال عيسى بن عمر كل اسم على ثلثة احرف اوله مضموم واوسطه ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه فاوجب الصوم على سبيل السهولة لانه ما اوجب الا في مدة قليلة من السنة ثم ذلك القليل ما اوجبه على المريض والمسافر فههنا يتحقق صدق قوله ﷺ بعثت بالحنيفية السهلة السمحاء ومن كمال رأفته تعالى انه نفى الحرج اولا ضمنا بقوله يريد الله بكم اليسر ثم نفاه صريحا بقوله وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ والظاهر ان الالف واللام في اليسر والعسر يفيد العموم فيمكن ان يستدل به على عدم وقوع التكليف بما لا يطاق والمعتزلة تمسكوا بالآية انه قد يقع من العبد ما لا يريد الله تعالى فان المريض لو حمل نفسه على الصوم حتى اجهد فقد فعل ما لم يرد الله منه اذ كان يريد العسر واجيب بانه حمل اللفظ على انه تعالى لا يامره بالعسر وان كان قد يريده العسر فان الامر عندنا قد يثبت بدون الارادة فكما انه يجوز ان يامر ولا يريد جاز ان يريد ولا يامر قوله وَلِتُكْمِلُوا اجمعوا على ان الفعل المعلل محذوف فمن القراء المقدر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع جملة ما ذكره والامر بصوم العدة وتعليم كيفية القضاء والرخصة في اباحة الفطر وهذا نوع من اللف لطيف المسلك فقوله لتكملوا علة الامر بمراعات العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون اي ارادة ان تشكروا علة الترخيص والتيسير وعن الزجاج ان المحذوف فعل امر مقدر قبله كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا والفرق ان حذف النون في الاول للنصب وفي هذا للجزم ولا يخفى ان قوله ولعلكم تشكرون يبقى في هذا الوجه غير مرتبطة بما قبله الا ان يقال انه في قوة ولتشكروا وفيه ايضا بعد ويحتمل ان يقال ولتكملوا معطوف على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا وانما قيل ولتكملوا العدة ولم يقل ولتكملوا الشهر ليشتمل على ايام الشهر وعدة ايام القضاء جميعا وعدى فعل التكبير بعلى لتضمين معنى الحمد اي ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم والمراد بالتكبير قيل انه تعظيم الله والثناء عليه شكرا على ما وفق لهذه الطاعة وتمام هذا التكبير انما يكون بالقول والاعتقاد والعمل فالقول ان يقر بصفاته العلى واسمائه الحسنى وينزهه عما لا يليق به من ند وصاحبة وولد وتشبيه بالخلق وكل ذلك لا يعتد به الا مع الاعتقاد القلبي واما العمل فالتعبد بالاوامر والتقيد عن النواهي وهذا لا يختص بوقت استكمال عدة رمضان ولكنه شامل لجميع الاحيان وقيل هو تكبير الفطر وانه مشروع في العيدين لما روي انه ﷺ كان يخرج يوم الفطر والاضحى رافعا صوته بالتهليل والتكبير حتى ياتي المصلى واول وقته في العيدين جميعا غروب الشمس ليلة العيد وعن احمد ومالك انه لا تكبير ليلة العيد وانما يكبر في يومه لنا قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم قال الشافعي سمعت من ارضى به من اهل العلم بالقرآن يقول لتكملوا العدة اي عدة صوم رمضان ولتكبروا الله عند اكمالها واكمالها بغروب الشمس اخر يوم رمضان واما اخر التكبير فاصح الاقوال انهم يكبرون الى ان يتحرم الامام بصلوة العيد لان الكلام مباح الى تلك الغاية والتكبير اولى ما يقع به الاشتغال والمسنون في صيغته ان يكبر ثلاثا نسقا وبه قال مالك وقال احمد وابو حنيفة يكبر مرتين لنا الرواية عن جابر وابن عباس وايضا فانه تكبير موضوع شعارا للعيد فكان وترا كتكبيرة الصلوة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن واستحسن في الام ان يكون زيادته ما نقل عن رسول الله ﷺ انه قاله على الصفا وهو الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله اكبر قال في الشامل والذي يقوله الناس لا باس به ايضا وهو الله اكبر الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد ويرفع الناس اصواتهم بالتكبير بعد ليلة العيد في المنازل والمساجد والطرق والاسواق سفرا كانوا او حاضرين وفي اليومين في طريق المصلى وبالمصلى الى الغاية المذكورة سواء المصلي المكبر مع الامام او لا يصلي ويستثنى من ذلك الحاج فلا يكبر ليلة الاضحى واختلف في ان التكبير في اي العيدين اوكد ففي القديم ليلة النحر لاجماع السلف عليها وفي الجديد ليلة الفطر لورود النص فيها قوله سبحانه وَاِذَا سَاَلَكَ عِبَادِي عَنِّي وجه اتصاله بما قبله هو انه لما امر العباد بالتكبير الذي هو الذكر وبالشكر نبههم على انه مطلع على ذكرهم وشكرهم فيسمع نداءهم ويجيب دعاءهم ولا يخيب رجاءهم وانه امرهم بالثناء ثم رغبهم في الدعاء تعليما للمسئلة وتنبيها لهم على حسن الطلب وفي سبب نزوله ما روي ان اعرابيا قال لرسول الله ﷺ اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل كانوا في غزاة وقد رفع اصحابه اصواتهم بالتكبير والتهليل والدعاء فقال ﷺ انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا وعن قتادة ان الصحابة قالوا يا نبي الله كيف ندعو ربنا فنزلت وعن عطاء انهم سألوا في اي ساعة ندعو فنزلت وقيل فرض عليهم الصيام كما كتب على الذين من قبلهم اي اذا ناموا حرم عليهم ما يحرم على الصائم فشق ذلك على بعضهم حتى عصوا ربهم في ذلك التكليف ثم ندموا وسئلوا النبي ﷺ عن توبتهم فنزلت مبشرة بقبول توبتهم ونسخ ذلك

العدة ولتكبروا





التشديد بسبب دعائهم وتضرعهم ولهذا الوجه تصير الآية مناسبة لما قبلها ولما بعدها ثم ان سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الله اما ان يكون عن ذاته بان يكون
السائل ممن يجوز التشبيه فيسأل عن القرب والبعد بحسب الذات واما ان يكون عن صفاته بانه هل يسمع دعاءنا او عن افعاله بانه اذا سمع دعاءنا فهل
يجيبنا الى مطلوبنا او كيف اذن في الدعاء وهل اذن في ان ندعوه بجميع الاسماء او ما اذن الا بان ندعوه باسماء معينة وهل اذن ان ندعو
كيف شئنا او ما اذن الا ان ندعوه على وجه معين كما قال ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ وكل هذه الوجوه محتملة لان قوله ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ يدل
على ان السؤال كان عن الذات وقوله ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ دليل على ان السؤال عن الصفة لان الاجابة بعد السماع والطلاق قوله ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ يرشد
الى الاذن في الدعاء على اي نحو اراد ما لم يتجاوز قانون الادب عرفا كقوله ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ قال العلماء ليس القرب ههنا بالمكان
لانه لو كان في المكان كان مشارا اليه بالحس منقسما اذ يمتنع ان يكون في الصغر والحقارة كالجوهر الفرد وكل منقسم مفتقر في تحققه الى اجزائه وكل مفتقر
ممكن وايضا لو كان في المكان فاما ان يكون غير متناه من جميع الجوانب وهو محال فان كل بعد متناه ببرهان تناهي الابعاد او من جانب واحد فكذلك
مع انه كونه بحيث يقتضي جانب منه عدم التناهي وجانب منه التناهي يوجب كونه مركبا من اجزاء مختلفة الطبايع او يكون متناهيا من جميع الجوانب
وهو باطل بالاتفاق وايضا هذه الآية من اقوى الدلائل على ان القرب ليس بالجهة لانه لو كان في المكان لما كان قريبا من الكل بل لو كان قريبا من
حملة العرش يكون بعيدا عن غيرهم ولو كان قريبا من المشرق كان بعيدا عن المغرب قالوا فثبت ان المراد بالقرب قربه بالتدبير والحفظ والكلاءة قال
في الكشاف هو تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ﴿وَنَحْنُ
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وقد اشار بعض المحققين الى ان اتصاف ماهيات الممكنات بوجودها لما كان بايجاد
الصانع فهو كالمتوسط بين ماهياتها ووجوداتها فيكون اقرب الى ماهية كل ممكن من وجوده لتلك الماهية اليها بل ماهية كل شيء انما صارت هي بجعل
الصانع حتى ماهية الوجود فيه صار الجوهر جوهرا والسواد سوادا والعقل عقلا والنفس نفسا فالصانع اقرب الى كل ماهية من تلك الماهية الى نفسها قلت
استصحاب المكان لا يوجب الافتقار الى المكان وان سلم ان كل مفتقر الى المكان منقسم فانقسام كل مستصحب للمكان ممنوع وبراهين تناهي الابعاد
مختلة زيفناها في مواضعها فلا ذرة من ذرات العالم الا ونور الانوار محيط بها قاهر عليها قريب منها اقرب من وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط ولا
بمعنى الصنع والايجاد فقط بل بضرب آخر لا يكشف المقال عنه غير الخيال مع ان التعبير عن بعض ذلك يوجب شنعة الجهال شعر: نزرت اليه خذار الرقيب
وكتمان سر الحبيب حبيب : اذا ما تلاشيت في نوره : يقول لي ادع فاني قريب : وان سألوا اين ربنا صح الجواب باني قريب . وان سألوه هل يسمع
ربنا دعاءنا يصح الجواب باني قريب وان سألوه كيف ندعوه ابرفع الصوت ام باخفائه صح ان يجاب باني قريب وان سألوه هل يعطينا مطلوبنا
بالدعاء صلح في الجواب فاني قريب وان سألوا اذا اذنبنا ثم تبنا فهل يقبل الله توبتنا صلح ان يجاب فاني قريب اي بالنظر اليهم والتجاوز عنهم
واعلم ان الدعاء مصدر دعوت ادعو وقد يكون اسما تقول سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتا وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية
والاستمداد والمعونة قال بعض الطاعنين لا فائدة في الدعاء لان المطلوب به ان كان معلوم الوقوع عند الله كان واجب الوقوع والا فلا لان
الاقدار سابقة والاقضية جارية وقد جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد فيها شيئا ولا ينقص لان المقصود ان كان من مصالح العبد فالجواد
المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه ولان اجل مقامات الصديقين الرضاء بالقضاء واهمال حظوظ النفس والاشتغال بالدعاء
ينافي ذلك ولان الدعاء شبيه بالامر والنهي وذلك خارج عن الادب ولهذا ورد في الكلام القدسي من شغله قراءة القرآن عن مسألتي اعطيته
افضل ما اعطي السائلين وقال جمهور العقلاء ان الدعاء من اعظم مقامات العبودية وانه من شعار الصالحين ودأب الانبياء والمرسلين والقرآن
ناطق بصحته عن الصديقين والاحاديث مشحونة بالادعية المأثورة بحيث لا مساغ للانكار ولا مجال للعناد والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله
وقضائه وقدره غائبة عن العقول والحكمة الالهية تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صححنا القول
بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة علم الله وجريان قضائه وقدره في الكل وما روي عن جابر انه جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا
كانا خلقنا الآن ففيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال
اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله منبه على ما قلنا فانه علقهم بين الامرين رهبهم بسابق القدر ثم رغبهم في العمل ولم يترك احد الامرين للآخر
فقال كل ميسر لما خلق له يريد انه ميسر في ايام حيوته للعمل الذي سبق به القدر قبل وجوده الا انك تحب ان تعرف الفرق بين الميسر والمسخر كيلا تغرق في لجة
القضاء والقدر وكذا القول في باب الرزق والكسب والحاصل ان الاسباب والوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسائل في
قضاء الاوطار الدعاء والالتماس كما في الشاهد فلعل الله تعالى قد جعل دعاء العبد سببا لبعض مناجحه فاذا كان كذلك فلا بد ان يدعو حتى يصل
الى مطلوبه ولم يكن شيء من ذلك خارجا عن قانون القضاء السابق ولا ناسخا للكتاب المسطور ومن فوائد الدعاء اظهار شعار الذلة والانكسار والاقرار
بسمة العجز والافتقار وتصحيح نسبة العبودية والانغماس في غمرات النقصان الامكاني والافلاس عن ذروة الترفع والاستغناء الى حضيض الاستكانة
والحاجة والفاقة ولهذا ورد من لم يسأل الله يغضب عليه فاذا كان الداعي عارفا بالله وعالما بانه لا يفعل الا ما وافق مشيئته وسبق به قضاؤه
وقدره ودعا على النمط المذكور ومن غير ان يكون في دعائه حظ من حظوظ النفس الا مادة راجيا فيما عند الله من الخير خائفا من الاقدام على موقف





للمناجاة والمناجات ولان يكون استجابته صورة الاستدراج كان دعاؤه خليقا بالاجابة وجديرا بالقبول وان يتوهم ركته عليه قال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو
بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخر له في الاخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا
يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي واما هيئة الداعي فعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة
واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا
بها وجوهكم واما شرائط الدعاء فمنها بعد ما مر من الاخلاص وغيره تزكية البدن واصلاحه بلقمة الحلال وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل السفر يمد يده الى السماء
اشعث اغبر يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك وذكر المحققون ان الدعاء مفتاح
باب السماء واسنانه لقمة الحلال واما وقت الدعاء ففي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل
الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وعن ابي امامة قال يا رسول الله اي الدعاء اسمع قال جوف الليل
الاخر ودبر الصلوات المكتوبات وعن انس ان رسول الله قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد زاد في رواية قال فماذا نقول يا رسول الله
قال سلوا الله العافية في الدنيا والاخرة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا الدعاء وعنه
قال من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام
العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها ابواب السماء ويقول الرب وعزتي لانصرنك ولو بعد حين واما كيفية الدعاء فعن فضالة

في كيفية الدعاء

بن عبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلوته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم
ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء وعن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد حتى يصلى على النبي فلا تجعلوني
كقدح الراكب صلوا علي اول الدعاء واوسطه واخره ومن لطائف الاية انه تعالى قال فاني قريب ولم يقل فقل اني قريب كما قال في سائر الاسولة و
الاجوبة وذلك في مواضع من كتابه ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ويسئلونك عن الساعة
قل انما علمها عند الله وهذه الاسولة اصولية يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين ويسئلونك عن اليتامى
قل اصلاح لهم خير ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة
يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ويستنبؤنك احق هو قل اي وربي يسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا فكانه سبحانه
يقول عبدي انت انما تحتاج الى الواسطة في غير وقت الدعاء اما في الدعاء فلا واسطة بيني وبينك ايضا في مقام السؤال قال عبادي هذا يدل على
ان العبد له في مقام الاجابة فقال فاني قريب هذا يدل على انه للعبد ايضا ولم يقل العبد مني قريب بل قال اني قريب منه اشارة الى انه ما للتراب ورب الارباب
وانما يصل من حضيض الامكان الذاتي الى ذروة الوجوب والبقاء بفضل الواجب وفيضه فليستجيبوا لي اجاب واستجاب لي اي فليمتثلوا امري اذا
دعوتهم الى الايمان والطاعة وليؤمنوا بي وليستقيموا ليتقوموا او ليعزموا على الاستجابة وليؤمنوا كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم ارادة ان يكونوا من الراشدين
المهتدين الى مصالح دينهم ودنياهم فان طاعة الله تعالى مستتبعة للخيرات عاجلا واجلا من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه
حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وفي ضده ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى ومن

نكتة

الكلام انا اجيب دعاكم مع اني غني عنكم على الاطلاق فكونوا انتم مجيبين لدعوتي مع افتقاركم الي من جميع الوجوه ونكتة وهي انه تعالى لم يقل اجيب دعائي
حتى يجيب دعاه لئلا يصير المذنب محروما عنه فاذا الاكرام بل قال انا اجيب دعائه على جميع احواله فكان ايهم مجيبا الداعي وهذا يدل على ان
رحمته شاملة ورحمته كاملة لهم المطيعين والمذنبين الكاملين الناقصين وقيل الدعاء في الاية هو العبادة لما روي عن النعمان بن بشير ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة وقرأ ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وعلى هذا فالاجابة
عبارة عن الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب كقوله ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقيل المراد من الدعاء
التوبة وذلك ان التائب يدعو الله عند التوبة فاجابة الدعوة على هذا التفسير عبارة عن قبول التوبة قوله عز وجل احل لكم جمهور المفسرين
على انها ناسخة لما عليه الناس في اول الاسلام روي عن ابن عباس انه لما نزلت كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم كانوا اذا
صلوا العتمة حرم عليهم الطعام والشراب وصاموا الى القابلة فاختان رجل فجامع امرأته وقد صلى العشاء ولم يفطر فاراد الله ان يجعل ذلك يسرا لمن
بقي ورخصة ومنفعة وعن البراء قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ويومه حتى يمسي وان
قيس بن صرمة الانصاري او صرمة بن قيس او قيس بن عمرو على اختلاف الروايات كان صائما فلما حضر الافطار اتى امرأته فقال اعندك طعام قالت
لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءت امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت
احل لكم ففرحوا فرحا شديدا ابو مسلم خالف الجمهور بناء على مذهبه من انه لم يقع في القرآن نسخ البتة احتج الجمهور بوجوه منها انه تعالى شبه ايجاب الصوم
على هذه الامة بايجابه على من قبلهم فيلزم منه حرمة الاكل والشرب والوقاع بعد النوم في شرعنا كما كانت في شرعهم واذا كانت الحرمة ثابتة في هذه
الاية رافعة لها ناسخة لحكمها ومنع ابو مسلم من ان مقتضى التشبيه حصول المشابهة في كل الامور فلعلهم انما كانوا يمنعون من الاكل والشرب بـ

والوقاع اعتقادا منهم ببقاء تلك الحرمة في شرعنا كما هي في شرع من قبلنا مع جواز كونها مباحة في نفس الامر ومع قيام هذا الاحتمال فلا جزم بالنسخ
ومنها قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولو كان ذلك حلالا لم ينسبوا الى الخيانة قيل ان عمر واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما
اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلعم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال صلعم ما كنت جديرا
بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت قال ابو مسلم اصل الخيانة النقص وخان واختان وتخون بمعنى واحد مثل كسب واكتسب
وتكسب فالمعنى علم الله انكم كنتم تنقصون انفسكم حظها من اللذات لا من الثواب والخير ومنها قوله فتاب عليكم وعفا عنكم والتوبة والعفو يكونان بعد
بعد المعصية وارتكاب ما هو محرم قال ابو مسلم التوبة من العباد الرجوع الى الله بالعبادة ومن الله الرجوع الى العبد بالرحمة والاحسان والعفو التسهيل
والتوسعة والتخفيف قال صلعم عفوت عن الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل اربعين درهما درهم وقال اول الوقت رضوان الله واخره عفو الله
والمراد التخفيف بتأخير الصلوة الى اخر الوقت ويقال اتاني هذا المال عفوا اي سهلا فالمعنى عاد عليكم بالرحمة ووسع عليكم باباحة هذه الاشياء
المحرمة على الذين من قبلكم واما الروايات فاخبار احاد لا يوجب شيء منها حمل القرآن على النسخ ولنشتغل بتفسير الالفاظ فنقول ليلة الصيام قال الواحدي
اراد ليالي الصوم فوضع الواحد موضع الجمع ويمكن ان يقال اضاف الليلة الى هذه الحقيقة فيتناول الكل من غير تكلف الرفث الجماع والرفث ايضا
الفحش من القول وكلام النساء في الجماع وقيل لابن عباس حين انشد شعر وهن يمشين بنا هميسا : ان تصدق الطير ننك لميسا : ارفثت وانت
محرم : فقال انما الرفث ما وجه به النساء هميسا اي مشيا لينا ولميس اسم امرأة اي ان يصدق الفال ننكها وقال ابو علي معناه الفرج ويقال جامع الرجل
او ناك فاذا اردت الكناية عن هذه العبارة قلت رفث الرجل وانما كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يعبر عنه بالافضاء او الغشيان
او المس ونحوها كما في مواضع اخر وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشيها باشروهن من قبل ان تمسوهن اولمستم النساء في قوله دخلتم بهن فأتوا حرثكم
فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة والبيان كما سماه اختيانا لانفسكم قال الاخفش انما عدى الرفث بالى لتضمنه معنى
الافضاء في قوله وقد افضى بعضكم الى بعض هن لباس لكم وجه التشبيه انهما يعتنقان فينضم جسد احدهما الى جسد صاحبه ويشتمل عليه كالثوب قال
الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن وقال ابن زيد كل منهما يستر صاحبه عن الابصار عند الجماع قال الجعدي شعر اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا
او سمي لباسا لستر كل منهما صاحبه عما لا يحل كما في الخبر من تزوج فقد احرز ثلثي دينه او المراد تستر بها عن جميع المفاسد التي تقع في البيت لو لم تكن
المرأة حاضرة كما يستتر الانسان بلباسه عن الحر والبرد وكثير من المضار وعن الاصم ان كل واحد منهما كاللباس الساتر للاخر في تلك المحظورات التي كانوا
يفعلونه وزيف بان هذه القرينة في معرض الانعام لا في مقام الذم ووحد اللباس اما لانه مصدر لابس وضع موضع الصفة وموقع قوله هن لباس
لكم استيناف كانه كالبيان لسبب الاحلال فانه مثل هذه المخالطة والملابسة توجب قلة الصبر عنهن ومعنى علم الله ظهر معلومه وهو عالم ولم يذكر
في الاية ان الخيانة فيماذا الا ان الذي تقدم هو ذكر الجماع والذي تأخر هو مثله بدليل فالآن باشروهن فتعين ان يكون المراد بالخيانة في الجماع ومن
المعلوم ان كل واحد منهم لم يختانوا فالخطاب لبعضهم وكل من عصى الله ورسوله فقد خان نفسه لانه جلب اليها العقاب ونقص حظها من الثواب
وقيل ان الاية لا تدل على وقوع الخيانة منهم وانما المراد علم الله انكم بحيث لو دام هذا التكليف تختانون لضعفكم وقلة صبركم فوسع الامر عليكم حتى
لا تقعوا في الخيانة فتاب عليكم من اقتراف الفضيحة اي فتبتم فقبل توبتكم وعلى قول ابي مسلم والاصم فالآن باشروهن تأكيد لقوله احل لكم وفيه ضرب
من البيان لان حل الرفث في ليلة الصيام لا يوجب حله في جميع اجزائها حتى الصباح الجمهور على ان المراد بالمباشرة ههنا الجماع سمي بهذا الاسم لتلاصق
البشرتين فيه ومنه ما روي انه صلعم قال لا يباشر الرجل الرجل والمرأة المرأة وانما قلنا ان المراد بها الجماع لان السبب في هذه الرخصة كان وقوع الجماع من القوم
ولان الرفث اريد به ذلك الا ان اباحة الجماع يتضمن اباحة ما دونه ونقل عن الاصم ان المراد بها الجماع وغيره ورجع النزاع لفظيا واما المباشرة
في قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد فلا يعود النزاع فيها الى اللفظ لان المنع من الجماع لا يدل على المنع مما دونه من الاستمتاعات
وابتغوا ما كتب الله لكم جعل وقضى او كتب في اللوح من الولد اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن للغرض الاصلي من النكاح وهو التناسل قال
صلعم تناكحوا تكثروا وقيل هو نهي عن العزل فقد وردت الاخبار في كراهيته وذلك عن الشافعي لا يعزل الرجل عن الحرة الا باذنها ولا بأس ان يعزل عن الامة وعن علي
كرم الله وجهه انه كان يكره العزل وقيل اطلبوا المحل الذي حلله الله لكم كقوله فأتوهن من حيث امركم الله وقيل وابتغوا هذه المباشرة التي كتب الله لكم بعد
ان كانت محرمة عليكم وعن مسلم اتبعوا المباشرة التي كان الله كتبها لكم وان كنتم تظنون انها محرمة عليكم وقيل يعني لا تباشروهن الا في الاوقات
والاحوال التي اذن الله لكم في مباشرتهن دون اوقات الحيض والنفاس والعدة والردة وقيل اي لا تبتغوا المباشرة الا من الزوجة والمملوكة الذي وهو
كتب في القرآن من قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وعن معاذ بن جبل وابن عباس في رواية ابي الجوزاء اطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب
ان اصبتموها واستبعده بعضهم وليس ببعيد فان توزع الفكر بسبب الشهوة المشوشة قد يمنع عن الاخلاص في العبودية ولا يتفرغ للطلب ليلة
القدر التي هي حاصل صوم رمضان فقال سبحانه فالآن باشروهن لتفرغوا للطلب الغاية من صيامكم والله اعلم بمراده عن عدي بن حاتم قال لما نزلت
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر من الليل ولا
يتبين لي فاذا تبين لي الابيض من الاسود امسكت فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلعم فاخبرته فضحك فقال انك لعريض القفا انما ذلك بياض

النهار وسواد



النهار وسواد الليل فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان وسادك لعريض انما ذلك بياض النهار وسواد الليل وكذا في الصحيحين عن سهل بن سعد قال نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعده من الفجر فعلموا انه انما يعني الليل والنهار واعلم ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند من يجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره عن وقت الخطاب فجائز عند الاكثرين ولما كان من مستعملات العرب اطلاق الخيط الابيض على اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود على ما يمتد معه من غبش الليل قال ابو داؤد شعر
فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا والسدفة الضياء المخلوط بالظلام اقتصر على الاستعارة اولا ثم لما اشتبه الامر على بعض من لا دراية له باللغة العربية نزل من الفجر بيانا للخيط الابيض واستغنى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما يستتبع بيان الاخر وخرج الكلام من الاستعارة الى التشبيه البليغ كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فالاستعارة وان كانت ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة من حيث انها استعارة كما بين في موضعها الا ان رفع الاشتباه عن المكلفين اهم واولى فالفصاحة في هذا المقام ترك الاستعارة وليس هذا من باب تاخير البيان عن وقت الحاجة على الاطلاق لان المحتاجين ههنا الى البيان ساقطون عن درجة الاعتبار لان فهم المعنى من اللفظ انما يعتبر بالنسبة الى العارفين بقوانين العرب واستعمالاتهم لا بالاضافة الى الاغبياء منهم فيعم النفهيم بعم البليد والذكي والله المستعان ولا يسبقن الى الوهم ان المشبه بالخيط الابيض هو الصبح الكاذب المستطيل لانه ما ورد في الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير وانما المشبه هو الفجر الصادق وهو وان يبدو دقيقا ولكن يرتفع مستطيرا اي منتشرا في الافق لا مستطيلا ويمكن ان يقال الفصل المشترك بين ما انفجر الضياء اي انشق وبين ما هو مظلم بعد يشبه خيطين اتصلا عرضا فالذي انتهى اليه الضياء خيط ابيض والذي ابتدا منه الظلام خيط اسود وقد سبق تقرير الصبح في تفسير قوله تعالى واختلاف اللَّيۡلِ وَالنَّهَارِ فليتذكر قيل ويجوز ان يكون من في قوله من الفجر للتبعيض لانه بعض الفجر واوله ولا شك ان حتى لانتهاء الغاية فدلت الاية على ان حل المباشرة والاكل والشرب ينتهي عند طلوع الصبح فاستدل بهذا على جواز صوم من يصبح جنبا وبقوله ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيۡلِ على ان الصوم ينتهي عند غروب الشمس لان ما بعد الى لا يدخل فيما قبلها وخاصة اذا لم يكن من جنسه بل على حرمة الوصال ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا اقبل الليل من ههنا فقد غربت الشمس وافطر الصائم فيجب على المكلف ان يتناول في هذا الوقت شيئا وكيف لا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الوصال فقيل يا رسول الله انك تواصل فقال اني لست مثلكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني اي من طعام الجنة او اني على ثقة بانه لو احتجت اطعمني من الجنة او اني اعطيت قوة من طعم وشرب والتحقيق ان استغراقه في مطالعة جلال الله يشغله عن الالتفات الى ما سواه فاذا تناول شيئا قليلا ولو قطرة من الماء فبعد ذلك كان بالخيار في الاستيفاء الا ان يخاف التقصير في الصوم المستانف او في سائر العبادات فيلزم ح ان يتناول بمقدار الحاجة وقد يتشبث الحنفي بالاية على جواز النية نهارا في صوم رمضان لان مدة الامساك هو النهار فقط فيجب قصد الامساك فيه فقط ومقتضى هذا الدليل صحة الفرض بنيته بعد الزوال الا انا نقول الاقل ملحق بالاغلب فابطلنا الصوم بنية بعد الزوال وصححناه بنية قبله حجة الشافعي قوله صلى الله عليه وسلم من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له رواه من لم يبلوا وانما جوز في النفل ان ينوي قبل الزوال لانه صلى الله عليه وسلم كان يدخل على بعض ازواجه فيقول هل من غداء فان قالوا لا قال اني صائم او اني اذا لصائم وايضا قال الحنفي يجب اتمام الصوم النفل لقوله واتموا والامر للوجوب قال الشافعي قد ورد هذا عقيب الفرض فيختص به واعلم انه سبحانه خصص بالذكر من المفطرات الرفث والاكل والشرب لان النفس تميل اليها وههنا مفطرات اخر استنبطت من الاية واستفيدت من السنة فمنها الاستمناء لان الايلاج من غير انزال مبطل فالانزال بنوع شهوة اولى وكذا الانزال باللمس او القبلة دون الفكر او النظر بشهوة لان هذا يشبه الاحتلام وعند مالك الانزال بالنظر مفطر وعند احمد ان كرر النظر حتى انزل افطر ومنها الاستقاء لقوله صلى الله عليه وسلم من ذرعه القيء وهو صائم فلا قضاء عليه ومن استقاء فليقض ومنها دخول الشيء جوفه من منفذ مفتوح سواء كان فيه قوة محيلة تحيل الواصل اليه من غذاء او دواء او لا فالحلق جوف وكذا باطن الدماغ والبطن والامعاء والمثانة لما روي عن ابن عباس ان الفطر مما دخل والوضوء مما خرج فالحقنة مبطلة للصوم وكذا السعوط اذا وصل الى الدماغ ولا باس بالاكتحال وليست العين من الاجواف فانه صلى الله عليه وسلم اكتحل في رمضان وهو صائم وعن مالك واحمد انه اذا وجد في الحلق طعما افطر والتقطير في الاذن اذا وصل الى الباطن كالسعوط وكذا في الاحليل وان لم يصل الى المثانة ولا باس بالفصد والحجامة لكن يكره عند ابي حنيفة للضعف احتجم صلى الله عليه وسلم وهو صائم محرم في حجة الوداع وقال احمد يفسد الصوم بالحجامة ولو دهن راسه او بطنه فوصل الى جوفه بتشرب المسام لم يضر كالاغتسال والانغماس عند الشافعي ولا بد ان يكون الواصل من قصد منه فلو طارت ذبابة الى حلقه او وصل غبار الطريق او غربلة الدقيق الى جوفه لم يفطر ولو فتح فاه عمدا في الحفظ من العشر لو ضبطت المراة ووطئت او وجئ بالسكين او وجر بغير اختياره فلا افطار وكذا لو كان مغمى عليه فاوجر معالجة ولو اكره حتى اكل بنفسه افطر لانه اتى بضد الصوم ولا اثر لدفع الضرر كالو اكل او شرب لدفع الجوع او العطش وعند احمد لا يفطر وابتلاع الريق الصرف الطاهر من الفم لا يفطر والنخامة ان لم يحصل في حد الظاهر من الفم لم يضر وان حصلت فيه بانصبابها من الدماغ في الثقبة النافذة منه الى اقصى الفم فوق الحلقوم فان قدر على مجه ولم يمج حتى جرى بنفسه بطل صومه لتقصيره والا فلا واذا تمضمض فسبق الماء الى جوفه او استنشق فوصل الماء الى دماغه لم يفطر على الاصح ان لم يبالغ وبه قال احمد وعند ابي حنيفة ومالك يفطر وان بالغ افطر وفاقا قال صلى الله عليه وسلم للقيط بن صبرة بالغ في الاستنشاق الا ان تكون صائما ولو بقي طعام في خلل اسنانه فابتلعه عمدا فطر خلافا لابي حنيفة فيما اذا كان يسيرا ودونه بما قدره بالحمصة وان جرى به الريق من غير قصد منه لم يفطر على الاصح ولا بد ايضا في وصول العين من ذكر الصوم فاذا اكل ناسيا فانه لم يفطر لقوله صلى الله عليه وسلم من نسي وهو صائم فاكل او شرب فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه وخالف مالك

رواه ابن ماجة عن ابي هريرة



وان كثر افطر ولو جامع ناسيا للصوم فالاصح انه لا يبطل كما في الاكل ولو اكل على ظن ان الصبح لم يطلع بعد او ان الشمس قد غربت وكان غالطا لم يجز صومه على
الاشهر لانه تحقق خلاف ما ظنه واليقين مقدم على الظن ثم ان كان الصوم واجبا قضى وان كان تطوعا فلا قضاء والاحوط في اخر النهار ان لا ياكل الا بعد
تيقن غروب الشمس لكن الاصل بقاء النهار ولو اجتهد وغلب على ظنه دخول الليل بورد او غيره فالاصح جواز الاكل وقد افطر الناس في زمان عمر ثم انكشف
السحاب وظهرت الشمس واما في اول النهار فيجوز الاكل بالظن والاجتهاد الى طلوع الفجر لان الاصل بقاء الليل فان قيل ان اول الفجر كيف يدرك ويحس ومتى عرف
المترصد الطلوع كان الطلوع الحقيقي متقدما عليه فيجاب اما بان المسئلة موضوعة على التقدير كداب الفقهاء في امثالها واما بانا نتعبد بما نطلع عليه ولا
الصبح لا يظهر الضوء للناظر وما قبله لا حكم له كالزوال عند زيادة الظل واذا كان الشخص عارفا بالاوقات ومنازل القمر وكان بحيث لا حائل بينه وبين الفجر
وترصد حتى ادركه فهو اول الصبح المعتبر وح يحرم المفطرات وعن الاعمش انه يحل الاكل والشرب والوقاع الى طلوع الشمس قياسا لاول النهار على اخره وجعل
الخيط الابيض وقت الطلوع والخيط الاسود ما اتصل به من اخر الليل ومن الناس من قال لا يجوز الافطار الا عند غروب الحمرة كما انه لا يجوز الاكل الا الى طلوع
الفجر وهذه المذاهب قد انقرضت والفقهاء اجمعوا على بطلانها يحكى عن الاعمش انه دخل عليه ابو حنيفة يعوده فقال الاعمش انك لتثقل على قلبي وانت في بيتك
فكيف اذا زرتني فسكت عنه ابو حنيفة فلما خرج قيل له لم سكت عنه قال ماذا اقول في رجل ما صام وما صلى في دهره يعني انه كان ياكل بعد الفجر الثاني
قبل طلوع الشمس فلا صوم له وكان لا يغتسل من الاكسال فلا صلوة له واعلم ان في الاية ترتيبا عجيبا ونسقا انيقا وذلك ان الرفث لما كان من اشنع
الامور التي يجب الامساك عنها في رمضان حتى قال بعض الناس انه كان حراما في رمضان ليلا ونهارا وفيه قد وقعت الخيانة كما مر في الاخبار قدم اباحته
اولا ثم بين السبب في اباحته ثم وبخ المختانون في شانه وعقب التوبيخ بالعفو وقبول التوبة ثم اعيد ذكر اباحته ليرتب عليه غرضه الاصلي من الرفث وهو طلب
النسل ثم ليعطف عليه اباحة الاكل والشرب في جميع تلك الليل الى اخر جزء من اجزاء الليل ثم لما بين مدة الافطار وما ابيح فيها بين مدة الصوم الذي هو المقصود الاصلي
تلك المدة هي ما بقي من مدة الافطار الى تمام اربع وعشرين ساعة هي مجموع اليوم بليلته اعني من اول الفجر الصادق الى غروب الشمس ثم لما كان زمان
الاعتكاف مستثنى من ذلك لانه فهم من الاية ان الامساك عن الرفث كان مختصا بنهار رمضان لا بليلته ولا بسائر ايام السنة ولياليها عقب اباحته
الرفث فيما سوى نهار رمضان بحظره في حال الاعتكاف فقيل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد قال الشافعي الاعتكاف حبس المرء نفسه على
شيء برا كان او اثما قال تعالى يعكفون على اصنام لهم والاعتكاف الشرعي المكث في بيت الله تعالى تقربا اليه وهو من الشرائع القديمة قال تعالى وطهر بيتي للطائفين
والعاكفين وللائمة خلاف في المراد من المباشرة ههنا فعن الشافعي في اصح قوليه ووافقه ابو حنيفة واحمد انها الجماع والمقدمات المفضية الى الانزال لان
الاصل في لفظ المباشرة ملاقاة البشرتين فالمنع من هذه الحقيقة ما دام في المعتكف وحين يخرج لحاجة ولم يتم مدة الاعتكاف منع عن القبلة والمعانقة
وكل ما فيه تلاصق البشرتين خالفنا الدليل فيما اذا لم ينزل من هذه الامور لتبين عدم الشهوة فيها وقد علم ان اللمس بغير شهوة جائز لانه صلى الله عليه وسلم كان يدني راسه
من عائشة لترجله وهو معتكف فيبقى ما فيه الشهوة على اصل المنع احتج من قال انها لا تبطل الاعتكاف بان هذه الامور لا تبطل الصوم والحج فلا
يفسد الاعتكاف لانه ليس على درجة منهما واجيب بان النص مقدم على القياس واتفقوا على ان شرط الاعتكاف الجلوس في المسجد لانه متميز عن سائر
البقاع من حيث انه بني لاقامة الطاعات ثم اختلفوا فعن علي رضي الله عنه انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله تعالى طهرا بيتي للطائفين والعاكفين و
عن عطاء فيه وفي مسجد المدينة لقوله صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وعن حذيفة فيهما وفي مسجد بيت
المقدس لقوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا الزهري لا يصح الا في الجامع ابو حنيفة لا يصح الا في مسجد له امام
راتب ومؤذن راتب الشافعي يجوز في جميع المساجد لاطلاق قوله في المساجد الا ان الجامع اولى حتى لا يحتاج الى الخروج لصلوة الجمعة ولا خلاف ان
الاعتكاف مع الصوم افضل وهل يجوز بغير صوم الشافعي نعم لانه بغير صوم عاكف ولانه تعالى منع العاكف من المباشرة ولو كان اعتكافه باطلا لما كان
ممنوعا وايضا لو كان الاعتكاف موجبا للصوم لم يصح الاعتكاف في رمضان لان ذمته مشغولة بالصوم الواجب لشهود الشهر فلا يمكنه الاشتغال
بالصوم الذي يوجبه الاعتكاف لكنهم اجمعوا على صحة الاعتكاف في رمضان وايضا لو تلازما لخرج المعتكف عن اعتكافه بالليل كما يخرج عن الصوم
لكنه لا يخرج وايضا روي ان عمر قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة فقال صلى الله عليه وسلم اوف بنذرك ومعلوم انه لا يجوز الصوم في الليلة ابو حنيفة
لا يجوز لانه يجب الصيام في الاعتكاف بالنذر فيجب بغير نذر ايضا كعكسه في الصلوة وحال الاعتكاف هو ان الصلوة لما لم يجب في النذر بالاجماع لم يجب
بالنذر ايضا وفرق بان الصوم والاعتكاف متقاربان فكل منهما كف وامساك والصلوة افعال مباشرة لا مناسبة بينها وبين الاعتكاف فلا يجعل
احدهما وصفا للاخر فلهذا قلنا انه لو نذر ان يعتكف صائما او يصوم معتكفا لزمه كلاهما والجمع بينهما ولو نذر ان يعتكف مصليا او يصلي معتكفا
لزمه كلاهما دون الجمع بينهما ويتفرع على المذهبين يجوز ان ينذر اعتكاف ساعة عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فلا يجوز اقل من يوم بشرط ان يدخل
قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس قال الشافعي واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف تلك حدود الله اشارة الى جميع ما تقدم
من اول اية الصيام الى ههنا لا الى حكم المباشرة في الاعتكاف وحده لانه حد حدود الله الا ان يراد امثال تلك الجملة وحد الشيء مقطعه ومنتهاه وحد الدار ما
يمنع غيرها ان يدخل فيها والحد الكلام الجامع المانع فحدود الله ما منع من مخالفتها بعدت ذلك بمقادير مخصوصة وصفات مضبوطة وانما قال ههنا
فلا تقربوها وفي موضع اخر فلا تعتدوها لان العامل بشرائع الله امر ونواهي منحصر في حيز الحق فاذا تعداه وقع في حيز الباطل فالنهي عن التعدي

هو المقصود الا ان الاحوط ان لا يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل كيلا يذهل فيقع في الباطل عن النعمان بن بشير سمعت رسول الله يقول ان الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا ولكل ملك حمى وحمى الله محارمه وقيل لا تقربوها اي لا تتعرضوا لها بالتغيير كقوله ولا تقربوا مال اليتيم وقيل الاحكام المذكورة بعضها امر واكثرها نهي فغلب جانب التحريم اي لا تقربوا تلك الاشياء التي منعتم عنها واما في الاوامر فقال فلا تعتدوها اي اثبتوا عليها ولا تتخطوها كذلك اي كما بين ما امركم به ونهاكم عنه في هذا المقام يبين سائر ادلته على دينه وشرائعه وادلته للناس بالتقوى جعلنا الله من المتقين بفضله ورحمته التأويل صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته الضمير عائد الى الحق على كل عضو في الظاهر صوم وعلى كل صفة في الباطن صوم فصوم اللسان عن الكذب والنميمة وصوم العين عن النظر الى الريبة وصوم السمع عن استماع الملاهي وعلى هذا فقس البواقي وصوم النفس عن التمني والشهوات وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الآخرة ولذاتها وصوم السر عن شهود غير الله كما كتب على الذين من قبلكم اي على ابائكم واجدادكم فانها كانت صائمة عن المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت اجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية والروحانية لعلكم تتقون مشارب المركبات وتطهرون عن درن الحظوظ الحيوانيات والروحانيات فتخبو نار افل كوكب سنديات الحظوظ الفانية فتطلع شمس حقوق الملاقات الروحانية الباقية كما قال صلعم للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فمن كان منكم مريضا اي وقع له فترة في السلوك لمرض غلبات صفات النفس وكل الطبيعة او على سفر حصل له وقفة للعجز عن القيام باعباء احكام الحقيقة فليمهل حتى يتداركه العناية ويعالج سقمه بمعاجين الالطاف واشربة الاعطاف فيتدارك في ايام سلامة القلب وعلى الذين يطيقونه على من كان له قوة في صدق الطلب طعام مسكين اي اطعام كل مشرب غير مشرب الطاف الحق والمسكين من يكون مشربه غير ما عند الله ويقنع به فيدفع تلك المشارب الى اهاليها ويخرج عما سوى الله ويواصل الصوم ولا يفطر الا على طعام مولاه الحق وشراب مشاربه وهو معنى ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فمن تطوع خيرا فمن زاد في الفداء اي كلما فطم من مشرب سقي من مشرب اخر فذلك المشرب فهو خير له اي تركها الى ان يصير مشربه ترك المشارب كلها ودوام الصوم كقوله تعالى وان تصوموا خير لكم فيتراءى فيه حقائق القران وهذا معنى قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران فيكون على مائدة الله لا بمعنى انه ياكل من المائدة فانه دائم الصوم ولكن المائدة تاكله حتى تفنيه عن وجوده وتبقيه بشهوده فيكون خلقه القران وح يفرق بين الوجود الحقيقي والوجود المجازي كما قال تعالى وبينات من الهدى والفرقان فيقال له انت فالزم وهو قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابو يزيد نادانى ربي وقال يا ابا يزيد الزم بابك اللازم فالزم بابك رمضان يرمض ذنوب قوم ورمضان الحقيقي يحرق وجود قوم ورمضان اسم من اسماء الله اي من حضر مع الله فليمسك عن غير الله يريد الله بكم اليسر وهو مقام الوصول ولا يريد بكم العسر وهو ما في الطريق من الرياضة والمجاهدة كالطبيب يسقي دواء مرا فمراده حصول الصحة لا ذائقة مرارة الدواء وايضا كل ميسر لما خلق له لو لم يرد بنا اليسر لم يجعلنا طالبين لليسر ولو لم يرد نيل ما ارجوا الطلبه من فيض جودك ما علمني الطلبا لتكملوا العدة انواع الغاية بجذبات يريد الله بكم اليسر ولتكبروا الله ولتعظموه على ما هديكم الى عالم الوصال بتجلي صفات الجمال فلعلكم تشكرون نعمة الوصال بتنزيه ذي الجلال عن ادراك عقول اهل الكمال واحاطة الوهم والخيال قوله سبحانه احل لكم ليلة الصيام اعلم ان للانسان تنوعا في الاحوال فتارة يكون بحكم غلبات الصفات الروحانية في ضياء نهار الواردات الربانية وح يصوم عن الحظوظ الانسانية وهو حالة السكر وتارة يكون بحكم الدواعي والحاجات البشرية مردودا الى ظلمات الصفات الحيوانية وهذه حالة الصحو فخصه الله تعالى بها كشف استار وطلوع شموس الاسرار ليصوموا فيه عما سواه وبليلة اسبال استار الرحمة ليسكنوا فيها وليستريحوا بها كما من الله تعالى بقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الاتيان ومعنى الرفث الى النساء التمتع بالحظوظ الدنيوية التي يتصرف النفس فيها تصرف الرجال في النساء هن لباس لكم اي الصفات والحظوظ الانسانية ستر لكم يحجبكم عن حرارة شموس الجلال لكيلا يحرقكم سطوات التجلي وانتم لباس لهن تسترون معايب الدنيا بالاموال الصالحة واستعمال الاموال على قوانين الشرع والعقل نعم المال الصالح للرجل الصالح فالآن باشروهن بقدر الحاجة الضرورية وابتغوا بقوة هذه المباشرة ما كتب الله لكم من المقامات العلية كلوا واشربوا في ليالي الصحو حتى يتبين لكم اثار انوار المحو فالاحوال تنقسم الى بسط وقبض وزيادة ونقص وجذب وحجب وجمع وفرق واخذ ورد وكشف وستر وسكر وصحو واثبات ومحو وتمكين وتلوين كما قيل كان شيئا لم يزل ذاتي كان شيئا لم يكن اذا مضى في المساجد اي في مقامات القربة والانس وفيه اشارة الى انه يجب ان يكون الاشتغال بالضروريات من حيث الصورة ويكون الاسرار والارواح مع الحق وهذا مقام اهل التمكين فلا تقربوها بالخروج عنها يا اهل الكشوف والعكوف والدخول فيها يا اهل الكسوف والخسوف حسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

ع

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَسْئَلُونَكَ

ومخورید مالهای خود را درمیان خود بطور باطل و کشید نزاع را بسوی حکام تا بخورید بواسطه پاره از مالهای مردم را بظلم وحال آنکه شما میدانید بپرسند ترا

عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ

از ماهها بگو که آن زمانهاست از برای مردمان و حج و نیست خوبی آنکه داخل شوید خانها را از پشت آنها ولکن نیکی آنست که بپرهیزید و داخل شوید خانهارا

مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ القراءة البيوت بضم الباء ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل

از درهای آن و بپرسید خدارا باشد که شما رستگار گردید والبرجمي وهشام غير الحلواني الباقون بكسر الباء الوقوف تعلمون ه عن الاهلة ط للفصل بين السؤال

والجواب في الحج للابتداء حكم آخر مع النهي من اتقى ثم عطف الجملتين المختلفتين أبوابها من عطف المنفقين يفلحون التفسير لما كان الصوم منتهيا الى الافطار و
الافطار يتضمن الاكل ناسب ان يردف حكم الصيام بحكم ما يصلح للاكل وما لا يصلح له ولما كان الصوم والفطر منوطين برؤية الهلال عقب ذلك بذكر السؤال عن
الاهلة قال الامام الغزالي في الاحياء المال يحرم اما لمعنى في عينه ونحلل في جهة اكتسابه الاول اما ان يكون من المعادن او من النبات او من الحيوان اما
المعادن والنبات فلا يحرم شيء منها الا ما يزيل الحيوة وهي السموم او الصحة وهي الادوية في غير وقتها او العقل كالخمر والبنج وسائر المسكرات واما الحيوان
فينقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وما يحل فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا واذا ذبح فلا يحل جميع اجزائه بل يحرم منه الدم والفرث وكل ذلك مذكور في كتب الفقه
والثاني وهو ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المتملك وبغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان لا
يكون ماخوذا من مالك كالمعادن واما ان يكون ماخوذا من مالك وذلك اما ان يؤخذ قهرا او بالتراضي والماخوذ قهرا اما ان يكون ماخوذا
من مالك وذلك اما ان يؤخذ قهرا او بالتراضي فما اخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين و
النفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فهذه اقسام ستة
الاول ما لا يؤخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون
الماخوذ مختصا بذي حرمة من الادميين الثاني الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين
اذا اخرجوا الخمس منه وقسموه بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوه من كافر له حرمة وامان وعهد الثالث الماخوذ قهرا لاستحقاق عند امتناع من عليه فيؤخذ دون
رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق واقتصر على المستحق الرابع ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين
وشرط العاقدين وشرط لفظي الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة الخامس ما يؤخذ بالرضاء من غير عوض كما في الهبة
والوصية والصدقة اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث او غيره السادس ما يحصل بغير اختياره كالميراث وهو
حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة
واخراج الزكوة والحج والكفارة ان كانت واجبة فهذه مجامع مداخل الحلال وما سوى ذلك فحرام لا يجوز اكله وكذا ان كان من هذه الجهات وصرفه الى غير المصارف
الشرعية كالخمر والزمر والزنى واللواط والميسر والسرف فالمحرم كل هذه الوجوه داخلة تحت قوله سبحانه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي بالوجه الذي
لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه بينكم اي في المعاملات الجارية بينكم والتصرفات الواقعة بينكم وليس المراد منه الاكل خاصة بل غير الاكل من التصرفات كالاكل في هذا
الباب الا انه خص الاكل بالذكر لانه المقصود الاعظم من المال وقد يقال لمن انفق ماله انه اكله والادلاء اصله من ادليت دلوي ارسلتها في البئر للاستقاء فاذا
استخرجتها قلت دلوتها ثم جعل كل القاء قول او فعل ادلاء ومنه يقال للمحتج ادلى بحجته كانه يرسلها ليصير الى مراده وفلان يدلي الى الميت بقرابته ورحم اذا كان
منتسبا اليه فيطلب الميراث بتلك النسبة طلب المستقي الماء وقوله وتدلوا داخل في حكم النهي ولا تدلوا بها الى الحكام اي لا ترشوها اليهم ولا تلقوا
امرها والحكومة فيها اليهم لتاكلوا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم والفرق
بين الوجهين ان الحكام على الاول حكام السوء الذين يقبلون الرشى التي هي رشاء الحاجة فيها يصير المقصود البعيد قريبا واذا اخذها حاكم السوء مضى في الحكم
من غير تثبت كمضي الدلو في الارسال وعلى الثاني قد يكون الحاكم عادلا ولكن يشتبه عليه الحق كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم
تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة
من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه قوله فتوخيا اي اقصدا الحق فيما تصنعانه
من القسمة واقترعا وليأخذ كل منكما ما يخرجه القسمة بالقرعة ثم تحالا وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعاصي مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه
بالتوبيخ احق روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت يسئلونك عن الاهلة وقيل ان السائلين هم اليهود ثم ان الله تعالى لم يجبهم بما انه انما يرى كذلك لانه
يستفيد النور من الشمس وانه مظلم في ذاته ويفصل بدا بين المضيء والمظلم منه دائرة لاستدارة المنير والمستنير ويفصل بين المرئي وغير المرئي من القمر ايضا
دائرة والدائرتان تنطبقان في الاجتماع بحيث لا يظهر شيء من المستنير فيكون القطعة المظلمة مما يلي البصر وهذه الحالة هي المحاق وكذا في الاستقبال لكن
القطعة المضيئة هي التي تلي البصر والقمر في هذه الحالة بدر وفي سائر الاوضاع يتقاطعان اما في التربيعين فعلى زوايا قوائم تقريبا وفي غير التربيعين
على زوايا حادة ومنفرجة وعلى التقديرين ينقسم كرة القمر بهما الى اربع قطع اثنتان مضيئتان وهما اللتان تليان الشمس والباقيتان مظلمتان ويقع
في مخروط البصر حد الاوليين واحد الاخريين لكن يحس بالمضيئة دون المظلمة والقطع الاربع في التربيعين متساويات تقريبا وفي غيرهما تختلف المتجاورتان
ويتساوى المتقابلتان والقطعة المرئية من المتجاورتين الواقعتين في مخروط البصر في التربيعين الاول والاخير من الشهر اصغرهما لان زاويتها اعني تلك القطعة
اصغر اللتين تليان الابصار اعني الحادة ولنسم القطعة المرئية الصغيرة اول ما يبدو الى ليلتين هلالا ويجمع على اهلة لانه يستهل عند رؤيته او في التربيعين
الباقيين من الشهر القطعة المضيئة المرئية اعظم المتجاورتين الموصوفتين لان زاويتها اعظم المذكورتين اعني المنفرجة وانما لم يجابوا بذلك لانه
لا يتعلق بالمكلف معرفة هذه التصورات في باب العمل وانما الذي يعود عليه من فوائده وحكمه في باب التكليف معرفة المواقيت وهي المعالم التي يوقت بها الناس

في النهي عن الرشا



مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن ومعالم الحج يعرف بها وقته والميقات من الوقت كالميزان من الوزن ولعمري انه لو منع مانع من ان ضبط هذه الامور لا يسهل ولا يتيسر الا بوقوع الاختلاف في تشكلات القمر حيث سمى عوده من كل شكل الى مثله ولا سيما من الهلالية الى مثلها شهرا شهرا وبذلك تعد السنون وضبط الاوقات والفصول فلن يمكنه جحود فانه على تقدير وجوده لم يكن فيه الا اظهار سمة الحدوث والامكان والزوال والنقصان في الفلكيات حتى لا يظن بها وجوب الوجود والاشتراك في القدم مع مفيض الخير والجود وامتناع الخرق والالتيام كما ذهب كل من ذلك طائفة من اللئام لكفى به تنبيها وعناية وارشادا وهداية الى افتقار الفلكيات الى فاعل مختار ومدبر قهار جاعل الظلم والانوار ومصير الاهلة والاقمار وفي افراد الحج بالذكر مع ان الاهلة مواقيت عبادات اخر كالصوم والزكوة اشارة الى ان الحج مقصور على الاشهر التي عينها الله تعالى وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر الى شهر اخر كما كانت العرب تفعل ذلك في النسيء ويمكن بان يقال توقيت الصوم على الهلال قد علم من قوله شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ والزكوة يتعلق بالحول والاصل في تقدير السنين لعود الشمس من نقطة كاول الحمل مثلا الى مثلها بحركتها الخاصة والايمان والجهاد لا يتعلقان بوقت معين والصلوة تتعلق باليوم بالليلة فلم يبق من الاركان المتعلقة بالشهور سوى الحج فتعين ذكره في هذه الاية والله اعلم قوله تعالى عز من قائل وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ عن البراء قال نزلت هذه الاية فينا كانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله الاية والحاصل ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب تشديدا للامر في الاحرام وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ولكن ذا البر من اتقى مخالفة الله وقيل الحمس هم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيوتهم البتة ولم يجلسوا تحت سقف البيت ولم يستظلوا الوبر ولم ياكلوا السمن والاقط وعن الحسن والاصم كان الرجل في الجاهلية اذا هم بشيء فتعسر عليه مطلوبه لم يدخل بيته من بابه بل ياتيه من خلفه ويبقى على هذه الحالة حولا كاملا فنهاهم الله تعالى عن ذلك لانهم كانوا يفعلونه تطيرا واما مغزى وجه اتصال هذا الكلام بما قبله بناء على الاسباب المروية في نزوله وعليه اكثر المفسرين فهو انهم لما سئلوا عن الحكمة في اختلاف حال الاهلة قيل لهم اتركوا السؤال عن هذا الامر الذي لا يعنيكم وارجعوا الى ما البحث عنه اهم ولا تعتقدوا ان جميع ما تنبئ لكم هو على مشاكلة الصواب ولا نظر وا في واحدة تفعلونها انتم هو وتحسبونها برا وليس من البر في شيء او انه تعالى لما ذكر الحكمة في الاهلة وهي جعلها مواقيت للناس والحج وكان هذا الامر من الاشياء التي اعتبروها في الحج فلا جرم تكلم الله فيه استطرادا او اتفق وقوع القضيتين في وقت واحد فنزلت الاية فيهما معا في وقت واحد وقيل انه تمثيل لتعكيسهم في سؤالهم فان الطريق المستقيم هو الاستدلال بالمعلوم على المظنون فاما ان يستدل بالمظنون على المعلوم فذاك عكس الواجب ولما ثبت بالدلائل ان للعالم صانعا مختارا حكيما وثبت ان الحكيم لا يفعل الا الصواب البرئ عن العبث والسفه فاذا راينا اختلاف حال القمر وجب ان نعلم ان فيه حكمة ومصلحة وهذا استدلال بالمعلوم على المجهول فاما ان يستدل بعدم علمنا بما فيه من الحكمة على ان فاعله غير حكيم فهو استدلال بالمجهول على المعلوم فكانه تعالى يقول لما لم تعلموا حكمته في اختلاف نور القمر صرتم شاكين في حكمة الخالق وقد اتيتم الامر من ورائه وهذا ليس من البر ولا من كمال العقل انما البر ان تاتوا الامور من وجوهها التي يجب ان يؤتى منها وهذا باب مشهور في الكناية قال الاعشى شعر وكاس شربت على لذة : واخرى تداويت منها بها : لكي يعلم الناس اني امرء اتيت المعيشة من بابها : وعن ابي مسلم ان هذا اشارة الى ما كانوا يفعلونه من النسيء وكان يقع الحج في غير وقته فذكر اتيان البيوت من ظهورها مثلا لمخالفتهم الواجب في الحج وشهوره ثم انه تعالى امرهم بالتقوى التي تتضمن الاتيان بجميع الواجبات والاجتناب عن الفواحش والمنكرات ارادة ان يظفروا بالمطالب الدينية والدنيوية والله ولي التوفيق التاويل بل الباطل الى هوى النفس والحرص والاسراف وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ يعني النفوس الامارة بالسوء مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ من الاموال التي خلقت للاستعانة بها على العبودية الاهلة للزاهدين مواقيت اورادهم وللصديقين مواقيت مراقباتهم والحج اشارة الى ما يرد بحكم الوقت عليهم من غير اختيارهم فمن كان وقته الصحو كان قيامه بالشريعة ومن كان وقته المحو فالغالب عليه احكام الحقيقة فان تجلى لهم بوصف الجلال طاشوا وان تجلى لهم بوصف الجمال عاشوا فليس للمحبين وقت الا اوقات محبوبهم كما ليس لهم وصف الا اوصاف محبوبهم والله تعالى اعلم وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

وجهاد کنید در راه خدا انها که قتال کنند بشما و زیادتی کنید که خدا دوست نمیدارد تجاوز کنا

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى

وجنگ کنید با انها در هر جا که یافتید انها و بیرون کنید انها را از انجا که بیرون کردند شما را و فتنه سخت تر است از کشتن وقتال مکنید با انها در نزد مسجد الحرام تا انکه

يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ

قتال کنند بشما پس اگر قتال کنند بشما پس بکشید انها را همچنین است پاداش کافران پس باز ایستادند پس بدرستی که خدا امرزنده مهربانست وبکشید انها را تا انکه نباشد

فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ

فتنه ودین باشد خدا پس اگر باز ایستادند نیست عقوبتی مگر بر ستمکاران ماه حرام بماه حرام وحرمتها بدل کردند



فَمَنِ اعْتَدٰى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوْا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدٰى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَ ۞ وَاَنْفِقُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ

پس ہر کہ تعدی کرد بر شما پس تعدی کنید بر او بنظیر آنکہ تعدی کرد بر شما و بپرہیزید از خدا و بدانید کہ بدرستی کہ خدا با پرہیزگاران است والفاق کنید در راہ خدا

وَلَا تُلْقُوْا بِاَيْدِيْكُمْ اِلَى التَّهْلُكَةِ وَاَحْسِنُوْا اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ القراءة ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلى وخلف الباقون

و میندازید خود را بدست خود در میان مہلکہ و خوبی کنید کہ خدا دوست میدارد نیکوکاران را من باب المفاعلة وقيل انه من جملة ما يكتب في المصحف بغير الالف كالرحمن الوقوف

ولا تعتدوا ط المعتدين ه من القتل ج للعارض بين الجملتين المتفقتين فيخرج للابتداء بالشرط مع الفاء فاقتلوهم ط الكافرين ه رحيم ه الدين لله ط لتبدل

الحكم الظالمين ه قصاص ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب وقوعها اعتدى عليكم ص لعطف الجملتين المتفقتين المتقين ه التهلكة ج لاختلاف المعنى

اى لا تقحموا الى الحرب فوق ما طاقتها واحسنوا ج لاحتمال تقدير الفاء واللام المحسنين ه التفسير لما امر في الاية المتقدمة بالتقوى امر في هذه الاية بما هو اشق منها

على النفس وهو المقاتلة في سبيل الله عن ابى موسى ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عمن يقاتل في سبيل الله فقال من قاتل ليكون كلمة الله هى العليا ولا يقاتل رياء ولا سمعة

الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين اى الذين يهمهم بصدد القتال بالفعل دون التاركين قبل وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا

المشركين كافة ومنع بان الامر بقتال من يقاتل لا يدل على المنع من قتال من لا يقاتل وكذلك ما روى عن الربيع بن انس هى اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله

يقاتل من قاتل ويكف عمن كف والذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء اى المستعدين للقتال

سوى من جنح للسلم او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم مستحلون لها فهم في حكم المقاتلة قاتلوا ولم يقاتلوا وقيل في سبب

نزول الاية انه صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه لارادة الحج فلما نزل بالحديبية وهو موضع كثير الشجر والماء صدهم المشركون عن دخول البيت فاقام شهرا لا يقدر على ذلك

فصالحوه على ان يرجع ذلك العام ويعود اليهم في العام القابل ويتركوا له مكة ثلثة ايام حتى يطوف وينحر الهدى ويفعل ما يشاء فرضى صلى الله عليه وسلم بذلك وصالحهم عليه وعاد

الى المدينة وتجهز في السنة القابلة ثم خاف اصحابه من قريش ان لا يفوا بالوعد ويصدوهم عن المسجد الحرام وان يقاتلوهم وكانوا كارهين لقتالهم في الشهر

الحرام وفي الحرم فانزل الله هذه الايات وبين لهم كيفية المقاتلة ان احتاجوا اليها فقال وقاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا بابتداء القتال وانما كان ذلك في اول الامر لقلة

المسلمين ولكون الصلاح في استعمال الرفق واللين فلما قوى الاسلام وكثر الجمع واقام من اقام منهم على الشرك بعد ظهور المعجزات وتكررها عليهم حصل اليأس

من اسلامهم فامروا بالقتال على الاطلاق او لا تعتدوا بقتال من نهيتم عن قتاله من غير المستعدين كالنساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم

عهد او بالمثلة او المفاجاة من غير دعوة الى الاسلام وهذه المعانى الثلثة بازاء التفاسير الثلثة في الذين يقاتلونكم ان الله لا يحب المعتدين المتجاوزين

عما شرع الله لهم في الصحاح ثقفته اى صادفته وفي الكشاف الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال شعر فاما تثقفوني

فاقتلوني : فمن اثقف فليس الى خلود : امر في الاية الاولى بالجهاد بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الاية زاد في التكليف فامر بالجهاد معهم سواء

قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى عنه المقاتلة عند المسجد الحرام وسمى حرما لانه ممنوع ان يفعل فيه ما منع من فعله واصل الحرمة المنع من حيث اخرجوكم اى

اى من الموضع الذى اخرجوكم وهو مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح واخرجوهم من منازلهم كما اخرجوكم من منازلكم وقد اجلى رسول الله

المشركين من المدينة بل قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب والمراد بالاخراج تكليفهم الخروج قهرا وتخويفهم وتشديد الامر عليهم حتى اضطروا الى الخروج

والفتنة عن ابن عباس انها الكفر بالله لانه فساد في الارض يؤدى الى الظلم والهرج وفيه الفتنة وايضا الكفر ذنب يستحق العقاب الدائم بالاتفاق والقتل

ليس كذلك والكفر يخرج به صاحبه عن الامة دون القتل وروى ان صحابيا قتل رجلا من الكفار في الشهر الحرام فعابه المؤمنون على ذلك فنزلت اى لا تستعظموا

الاقدام على القتل في الشهر الحرام فان اقدام الكفار على الكفر في الشهر الحرام اعظم من ذلك وقيل الفتنة اصلها عرض الذهب على النار للخلاص من الغش ثم صار

اسما لكل محنة والمعنى ان اقدام الكفار على تخويف المؤمنين وعلى تشديد الامر عليهم حتى صاروا ملجئين الى ترك الاهل والاوطان هربا من اضلالهم

في الدين وابقاء على مهجهم وحومهم اشد من القتل الذى وجبتم عليكم جزاء عن تلك الفتنة لانه يقتضى التخلص من غموم الدنيا وافاتها شعر لقتل

بحد السيف اهون موقعا : على النفس من قتل بحد فراق : وقيل الفتنة العذاب الدائم الذى يلزمهم بسبب كفرهم كانه قيل اقتلوهم من حيث ثقفتموهم

واعلموا ان وراء ذلك من عذاب الله ما هو اشد منه قال عز من قائل يوم هم على النار يفتنون وقيل فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام لانه سعى في المنع عن

الطاعة التى ما خلق الجن والانس الا لها اشد من قتلكم اياهم في الحرم وقيل ارتداد المؤمن اشد من ان يقتل محقا فالمعنى واخرجوهم من حيث اخرجوكم و

لو اتى ذلك على انفسكم فانكم ان قتلتم وانتم على الحق كان ذلك اولى بكم من ان ترتدوا على ادباركم او تتكاسلوا عن طاعة معبودكم يروى ان الاعشى قال

قال لحمزة ارايت قرانك اذا صاد الرجل مقتولا فبعد ذلك كيف يصير قاتلا لغيره فقال حمزة ان العرب اذا قتل منهم رجل قالوا قتلنا واذا ضرب منهم واحد

قالوا ضربنا وذلك ان وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم فان انتهوا قيل اى عن القتال لان المقصود من الاذن في القتال منع المقاتلة عن ابن عباس

وقيل اى عن الشرك بدليل قوله فان الله غفور رحيم الدال على انه يغفر لهم ويرحمهم والكافر لا ينال غفران الله ورحمته بترك القتال بل بترك الكفر عن الحسن

قلت ان اريد بالقتال استحلالهم قتل المسلمين فلازم القولان والانتهاء عن الكفر ظاهره التلفظ بكلمة الاسلام وانه مؤثر في حقن الدم وعصمة المال و

بالمنة للتشبث ما دام كان جميعا ويؤثر في استحقاق الرحمة والغفران وقد يستدل بقوله والفتنة اشد من القتل على ان التوبة عن قتل العمد بل من كل ذنب

مقبولة لان الشرك اعظم الذنوب فاذا قبل الله تعالى توبة الكافر فقبول توبة القاتل اولى وايضا الكافر القاتل مقبول التوبة بالاتفاق فاذا اسلم فالقاتل غير

الكافر



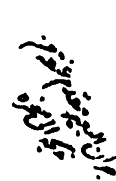
الكافر اولى ويمكن ان يجاب بان حق الله تعالى مبنى على المساهلة فظهر الفرق وايضا الايمان يجب ما قبله فلا يلزم من عدم مؤاخذة الكافر بقتله اذا اسلم ان يؤاخذ المسلم بقتله ولهذا يجب قضاء الصلوات الفائتة على المسلم اذا تاب عن ترك الصلوة ولا يجب على الكافر اذا اسلم قوله تعالى وَقَاتِلُوهُمْ قيل انه ناسخ لقوله وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وهو وهم لان البداية بالمقاتلة عند المسجد الحرام بقيت حرمته غاية ما فى الباب ان هذه الاية عامة وما قبلها مخصصة اياها وهذا جائز فان القرآن ليس على ترتيب النزول ولو كان على الترتيب فلا يضر بالجواز نزول الخاص قبل العام عندنا وذلك ان الخاص قاطع فى دلالته تقدم او تأخر والعام دلالته على ما يدل عليه الخاص غير مقطوع بها فلا بد من التخصيص جمعا بينهما حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ قيل اى شرك وكفر وعلى هذا فالاية محمولة على الاغلب فان قتالهم لا يزيل الكفر راسا وانما الغالب الازالة لان من قتل منهم فقد زال كفره ومن لم يقتل كان خائفا من الثبات على كفره والحاصل قاتلوهم حتى يكون كلمة الله هى العليا وهو المراد ايضا من قوله وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ اى ليس للشيطان فيه نصيب لوضوح شانه وسطوع برهانه كما قال لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ولا يعبأ بالمخالف لقلة شوكته وسقوطه عن درجة الاعتداد او محمولة على قصد ازالة الكفر فيرتب هذا العزم على القتال كلى لا يتخلف عنه وقيل فتنة انهم كانوا يضربون اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ويؤذونهم حتى ذهب بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة اى قاتلوهم حتى تظهروا عليهم ولا يفتنوكم عن دينكم وعن ابى مسلم معناه قاتلوهم حتى لا يكون منهم القتال الذى اذا بدءوا به كان فتنة على المؤمنين لما يخافون عنده من انواع المضار ولا يخفى ان قوله وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ كله يرجح القول الاول ليكون المعنى وقاتلوهم حتى يزول الكفر ويظهر الاسلام فَإِنِ انْتَهَوْا عن الامر الذى وجب قتالهم لاجله وهو اما الكفر او القتال فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ اى فلا تعدوا على المنتهين لكون مجموع قوله إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ قائما مقام على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فنهوا عنه بدليل انحصاره فى غير المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين على الوجهين سمى جزاء الظالم ظلما للمشاكلة كما يجيئ فى قوله فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية فى الشهر الحرام وهو ذو القعدة وسنة ست من الهجرة وصدوهم عن البيت فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك فى ذى القعدة سنة سبع الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ اى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه فلما لم يمنعكم حرمته عن الكفر والافعال القبيحة فكيف يمنعنا عن القتال معكم دفعا لشركم واصلاحا لفسادكم والحرمة ما لا يحل انتهاكه والقصاص المساواة اى وكل حرمة يجرى فيها القصاص من هتك حرمة اى حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة والحرمات الشهر الحرام والبيت الحرام والاحرام فلما اضاعوا هذه الحرمات فى سنة ست فقد فوتكم حتى قضيتموها على رغمهم فى سنة سبع وان اقدموا على مقاتلتكم فقد اذنت لكم فى قتالهم فافعلوا بهم مثل ما فعلوا ولا تبالوا ثم اكد ذلك بقوله فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ حين تنتصرون ممن اعتدى عليكم حتى لا تعتدوا الى ما لا يحل لكم وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ بالنصر والتاييد والتقوية والتسديد فان الاستصحاب بالعلم او بالمكان ان جاز شامل للمتقين وغيرهم قوله عز من قائل وَأَنْفِقُوا وجه اتصاله بما قبله انه تعالى لما امر بالقتال وانه يفتقر الى العدد والعدد قد يكون ذو المال عاجزا عن القتال وقد يكون القوى على القتال عديم المال فلهذا امر الله الاغنياء بالانفاق فى سبيله اعدادا للرجال وتجهيزا للابطال ويروى انه لما نزل الشهر الحرام بالشهر الحرام قال رجل من الحاضرين والله يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا زاد وليس احد يطعمنا فامرهم ان ينفقوا فى سبيل الله وان يتصدقوا وان لا يكفوا ايديهم عن الصدقة ولو بشق تمرة ولو بمشقص يحملها فى سبيل الله فيهلكوا فنزلت هذه الاية على وفق قول الرسول صلى الله عليه وسلم والانفاق صرف المال فى وجوه المصالح فلا يقال للمضيع انه منفق وانما يقال مبذر وسبيل الله دينه فيشمل الانفاق فيه الانفاق فى الحج والعمرة والجهاد والتجهيز والانفاق فى صلة الرحم وفى الصدقات وعلى العيال او فى الزكوات والكفارات او فى عمارة بقاع الخير وغير ذلك الا ان الاقرب فى هذه الاية وقد تقدم ذكر القتال ان يراد به الانفاق فى الجهاد ولكنه تعالى عبر عنه بقوله فى سبيل الله ليكون كالتنبيه على السبب فى وجوب هذا الانفاق فالمال مال الله فيجب انفاقه فى سبيل الله ولان المؤمن اذا سمع ذكر الله اهتز نفسه ونشط وهان عليه ما دعى اليه والباء فى بايديكم مزيدة مثلها فى اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اى لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل الايدى الانفس كقوله بما كسبت ايديكم بما قدمت يداك اى لا تلقوا انفسكم الى التهلكة وقيل بل ههنا حذف اى لا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها عن ابى عبيدة والزجاج ان التهلكة والهلاك والهلك واحد ولم يوجد مصدر على تفعلة بضم العين سوى هذا الا ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها فى الاعيان التنضبة للشجر والتتفلة لولد الثعلب ويجوز ان يقال اصلها التهلكة بالكسر كالتجربة والتبصرة على انها مصدر من هلك مشددا لعين فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار فى الجوار وليس الغرض من هذا التكليف على ما اظن تصحيح لفظ القرآن كيلا تنخرم فصاحته فانه اجل من ان يحتاج فى تصحيحه الى الاستشهاد بكلام الفصحاء من البشر كيف لا وهو حجة على غيره وليس لغيره ان يكون حجة عليه وانما الغرض الضبط والتسهيل ما امكن فتنبه وللمفسرين فى هذا الالقاء خلاف فمنهم من قال انه راجع الى الانفاق روى البخارى فى صحيحه عن حذيفة قال نزلت هذه الاية فى النفقة وذلك ان لا تنفقوا فى مهمات الجهاد اموالكم فيستولى العدو عليهم ويهلكهم او ينفقوا كل ما لهم فيحتاجوا ويحتاجوا فيكونون نهيا عن التقتير والاسراف وعنهما جميعا وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا او المعنى انفقوا فى سبيل الله ولا تقولوا انا ان انفقنا هلكنا لا وفقر الهوى ان يحكموا على انفسهم بالهلاك للانفاق وانفقوا ولا تلقوا ذلك الانفاق فى التهلكة والاحباط منا او اذى او رياء او سمعة وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ومنهم من قال انه راجع الى غير الانفاق اى لا تخلوا بالجهاد فتتعرضوا للهلاك الذى هو سخط الله وعذاب النار او لا تقتحموا فى الحرب بحيث لا ترجون النفع

ولا يكون لكم فيه الا قتل انفسكم فان ذلك لا يحل كما روى عن البراء بن عازب انه قال فى هذه الاية هو الرجل يستقبل بين الصفين وانما يجب ان يتقدم اذا طمع فى النكاية وان خاف القتل روى الشافعى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الجنة فقال له رجل من الانصار ارأيت يا رسول الله ان قتلت صابرا محتسبا قال لك الجنة فانغمس فى جماعة العدو فقتلوه وان رجلا من الانصار القى درعا كان عليه حين ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الجنة ثم انغمس فى العدو فقتلوه بين يدى الرسول وروى ان رجلا من الانصار تخلف من اصحاب بئر معونة فراى الطير عكوفا على من قتل من اصحابه فقال لبعض من معه سا تقدم الى العدو فيقتلونى ولا اتخلف عن مشهد قتل فيه اصحابى ففعل ذلك فذكروا للنبى صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولا حسنا وروى اسلم ابو عمران قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم واكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس قالوا سبحان الله يلقى بيده الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصارى فقال ايها الناس انكم تأولون هذه الاية هذا التاويل وانما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار ولما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون النبى صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا فى اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا فكانت التهلكة الاقامة فى الاموال واصلاحها وترك الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا فى سبيل الله حتى دفن بارض الروم وقيل ان الاية من تمام ما قبلها اى ان قاتلوكم فى الشهر الحرام فقاتلوهم فان الحرمات قصاص فلا يحملنكم حرمة الشهر على ان تستسلموا لمن قاتلكم فتهلكوا بترككم القتال وعن النعمان بن بشير كان الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر لى فانزل الله تعالى هذه الاية وذلك انه يرى انه لا ينفعه معه عمل فيترك العبودية ويصر على الذنب فنهى عن القنوط من رحمة الله واحسنوا فى الانفاق بان يكون مقرونا بطلاقة الوجه او على قضية العدل الذى بين التقتير والاسراف وفى فرائض الله عن الحسن ان الله يحب المحسنين اذ الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا مقام القرب والقرب يقتضى الارادة الذاتية وهذا رمز والله ولى كل خير التاويل وقاتلوا من يمنعكم عن السير فى سبيل الله واراد ان يقطع عليكم طريقه من شياطين الانس والجن حتى نفوسكم التى هى اعدى عدوكم ولا تعتدوا ولا تجاوزوا عن حد الشرع فتجاهدوا بالطبع لكن كونوا ثابتين على قدم الاستقامة بقدر الاستطاعة من غير افراط وتفريط واقتلوا كفار النفس بسيف الرياضة حيث ظفرتم بهم ومجاهدة مخالفة هواها واخرجوهم من صفات النفس كما اخرجوكم من جمعية القلب وحضوره والفتنة اى المحنة التى ترد على القلب من طوارق صفات النفس الحاجبة عن الله اشد من قتل النفس بمخالفة هواها ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام لا تلتفتوا الى النفس وصفاتها اذا كنتم امنين مطمئنين فى مقامات القلب والروح حتى يزاحموكم فى الحضور وداعية الهوى فان نازعوكم فى الجمعية والحضور فاقتلوهم بسيف الصدق واقطعوا مادة تلك الدواعى عن نفوسكم بكل ما امكن لئلا يبقى لكم علاقة تصدكم عن الله فان انتهوا بان قنعت بما لا بد لها فلا تعتدوا فى مجاهدتها الشهر الحرام اى ما يفوتكم من الاوقات والاوراد بسبب النفس فى نزاعها وغلبات صفاتها فتداركوه الشهر بالشهر واليوم باليوم فمن اعتدى فكل صفة غلبت واستولت فعالجوها بضدها البخل بالسخاء والغضب بالحلم والحرص بالزهد والشهوة بالعفة واتقوا الله فى الافراط والتفريط ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالتفريط فى الحقوق والافراط فى الحظوظ وبموافقة النفوس ومخالفة النصوص وبالركون الى الغرور بالحسبان والغرور والله المستعان على ما يصفون **وَاَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّٰهِ فَاِنْ اُحْصِرْتُمْ** وتمام كنيد حج وعمره را از براى خدا پس اگر بازداشته شديد **فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتّٰى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهٗ فَمَنْ كَانَ** پس هرچه ميسر شود از هدى ومتراشيد سرهاى خود را تا برسد هدى بجاى خودش پس هر كه باشد **مِنْكُمْ مَرِيْضًا اَوْ بِهٖ اَذًى مِّنْ رَّاْسِهٖ فَفِدْيَةٌ** از شما خوش يا باو ناخوشى باشد از سرش پس فديه دهد **مِنْ صِيَامٍ اَوْ صَدَقَةٍ اَوْ نُسُكٍ فَاِذَا اَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ اِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ** از روزه يا صدقه يا عمل ديگر پس چون فارغ شديد پس هر كه بهره يافت بعمره لسوى حج پس هرچه ميسر شود **مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلٰثَةِ اَيَّامٍ** از هدى پس هر كه نيافت پس روزه بگيرد سه روز **فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ اِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذٰلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ اَهْلُهٗ حَاضِرِي** در حج وهفت روز وقتى كه برگشتيد اين ده روز تمام ميشود اين از براى كسيست كه نباشند ياران او وحاضران **الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ** مسجد الحرام وبپرهيزيد خدا را وبدانيد كه خدا سخت است القراءة من رأسه كذلك لباس الكاس كلها بغير همز ابو عمرو غير شجاع ويزيد وعفو ونش الاعشى وحمزة فى الوقف الوقوف لله ط لان عارض الاحصار خارج عن موجب الاصل من الهدى لعطف المختلفين محله ط لابتداء حكم كفارة الضرورة او نسك ج لان اذا للشرط مع الفاء وجوابه محذوف اى فاذا امنتم من خوف العدو وضعف المرض فامضوا امنتم ووقفه لحق الحذف وكذا ع بتداء الشرط فى حكم اخر وهو التمتع من الهدى ج رجعتم ط كاملة ط الحرام ط العقاب التفسير الحج فى اللغة القصد كما فى قوله فمن حج البيت او اعتمر وفى الشرع عبارة عن افعال مخصوصة وهى على ثلثة اقسام اركان وابعاض وهيئات لان كل عمل يفرض فيه فاما ان يتوقف التحلل عليه وهو الركن او لا يتوقف فاما ان يجبر بالدم وهو البعض او لا يجبر وهو الهيئة والاركان عند الشافعى خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة وحلق الراس او تقصيره وخالف ابو حنيفة فى السعى ولا مدخل للجبران فى الاركان واما الابعاض اعنى الواجبات المجبورة بالدم فالاحرام من الميقات والرمى فاما فى الوقوف بعرفة الى ان تغرب الشمس وفى المبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وفى طواف الوداع خلاف واما الهيئات فالاغتسال وطواف القدوم والرمل والاضطباع فى الطواف وفى السعى واستلام الركن وتقبيله والسعى فى موضع السعى والمشى فى موضع المشى والخطب والاذكار والادعية الى غير ذلك وبالجملة ما سوى الاركان والابعاض ولا دم فى تركها واما فى العمرة فما سوى الوقوف من اركان الحج اركان فيها ثم ان قوله عز من قائل واتموا امر بالاتمام





وهل هذا الامر مطلق او مشروط فالشافعی علی انه مطلق والمعنی افعلوا الحج والعمرة علی نعت التمام والکمال وابو حنیفة علی انه مشروط والمعنی من شرع فیهما فلیتمهما کما اذا کبر بالصلوة لزمه الاتمام تطوعا وفائدة الخلاف یظهر فی العمرة فانها تصیر واجبة علی المعنی الاول دون الثانی حجة الشافعی ان الاتمام قد یراد به فعل الشیء تاما کاملا کقوله وَاِذِ ابْتَلٰی اِبْرٰهٖمَ رَبُّهٗ بِکَلِمٰتٍ فَاَتَمَّهُنَّ ای اداهن علی التمام والکمال وقوله ثُمَّ اَتِمُّوا الصِّیَامَ اِلَی الَّیْلِ ای فعلوا الصیام تاما الی اللیل وهذا اولی من تقدیر انکم اذا شرعتم فیه فاتموه لان الاصل عدم اضمار هذا الشرط ولان المفسرین اجمعوا علی ان هذه الایة نزلت فی الحج فحملها علی الایجاب لیکون تاسیسا اولی من حملها علی الاتمام بشرط الشروع فانها تکون حینئذ تبعا ولانه قرئ واقیموا الحج والعمرة والشاذ یصلح للترجیح وان لم یصلح للقطع کخبر الواحد ولان الوجوب المطلق یستلزم الاتمام والاتمام بشرط الشروع لا یستلزم اصل الوجوب فقلنا ویلنا اکثر فائدة فیکون اولی وایضا انه احوط واعتمر النبی صلعم قبل الحج ولو لم تکن العمرة واجبة لکان الاشبه ان یبادر الی الحج الذی هو واجب قال تعالی یوم الحج الاکبر وفیه دلیل علی وجود حج اصغر وما ذاک الا العمرة بالاتفاق لکن الحج واجب علی الاطلاق لقوله وَلِلّٰهِ عَلَی النَّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ فیدخل فیه الاکبر والاصغر حجة ابی حنیفة قصة الاعرابی الذی سئل النبی صلعم عن ارکان الاسلام فعلمه الصلوة والزکوة والحج والصوم فقال الاعرابی لا ازید علی هذا ولا انقص فقال النبی صلعم افلح الاعرابی ان صدق وقال صلعم بنی الاسلام علی خمس الحدیث ولم یذکر العمرة واجیب بان العمرة حج اصغر فیدخل فی مطلق الحج قالوا روی عن جابر ان النبی صلعم سئل عن العمرة اواجبة هی ام لا فقال لا وان تعتمر خیر لک وعن ابی هریرة عن النبی صلعم الحج جهاد والعمرة تطوع واجیب بانها اخبار احاد فلا تعارض القرآن وایضا لعل العمرة ما کانت واجبة حین ما ذکر النبی صلعم تلک الاحادیث ثم نزل بعدها واتموا الحج وذلک فی السنة السابعة من الهجرة وایضا انها معارضة باخبار تدل علی وجوبها روی النعمان بن سالم عن عمرو بن اوس عن ابی رزین انه سئل النبی صلعم قال ان ابی شیخ کبیر ادرک الاسلام ولا یستطیع الحج والعمرة ولا الظعن فقال صلعم حج عن ابیک واعتمر امرهما والامر للوجوب وروی عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرینة الحج وحمله علی انهما یقترنان فی الذکر تکلف وعن ابن عمر ان رجلا قال له انی وجدت الحج والعمرة مکتوبین علی اهللت بهما جمیعا فقال هدیت لسنة نبیک حمله علی ان الوجوب مستفاد من الاهلال بهما لا یخلو من تعسف قالوا قرا علی وابن مسعود والشعبی والعمرة لله بالرفع فکانهم قصدوا بذلک اخراجها عن حکم الحج فی الوجوب واجیب بان الشاذة لا تعارض المتواترة وبانها ضعیفة من حیث العربیة لعطف الاسمیة علی الفعلیة والخبریة علی الطلبیة وبان کون العمرة عبادة لله لا ینافی وجوبها واعلم ان لاداء النسکین وجوها ثلثة الافراد والتمتع والقران فالافراد ان یحج ثم بعد الفراغ منه یعتمر من ادنی الحل او یعتمر قبل اشهر الحج ثم یحج فی تلک السنة والقران ان یحرم بالحج والعمرة معا فی اشهر الحج بان ینویهما بقلبه معا وکذلک لو احرم بالعمرة فی اشهر الحج ثم قبل الطواف ادخل الحج علیها یصیر قارنا والتمتع هو ان یحرم بالعمرة من میقات بلده فی اشهر الحج ویاتی باعمالها ثم یحج فی هذه السنة من مکة سمی تمتعا لاستمتاعه بمحظورات الاحرام بینهما بعد التحلل من العمرة وقبل الاحرام بالحج وانه ایضا یربح میقاتا لانه لو احرم بالحج من میقات بلده لکان یحتاج بعد فراغه من الحج الی ان یخرج الی ادنی الحل فیحرم بالعمرة منه واذا تمتع استغنی عن الخروج لانه یحرم بالحج من جوف مکة ولا خلاف بین ائمة الامة فی جواز هذه الوجوه وانما الخلاف فی الافضلیة فقال الشافعی افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران وقال فی اختلاف الحدیث التمتع افضل من الافراد وبه قال مالک والامامیة قالوا لا یجوز لغیر حاضری المسجد الحرام العدول عن التمتع الا لضرورة وقال ابو حنیفة القران افضل ثم الافراد ثم التمتع وهو قول المزنی وابی اسحق المروزی وقال ابو یوسف ومحمد القران افضل ثم التمتع ثم الافراد حجة الشافعی فی افضلیة الافراد قوله وَاَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ وذلک ان العطف یقتضی المغایرة وانما یحصل عند الافراد فاما عند القران فالموجود شیء واحد هو حج وعمرة معا وایضا الاعمال عند الافراد اکثر فیکون الثواب اکثر وذلک هو الفضل ومما روی عن انس انه قال کنت واقفا عند جران ناقة رسول الله صلعم وکان لعابها یسیل علی کتفی فسمعته یقول لبیک بعمرة وحجة معا معارض بما روی مسلم فی صحیحه عن عائشة ان النبی صلعم افرد الحج وهکذا روی جابر وابن عمر وقد رجح الشافعی روایة جابر وابن عمر علی روایة انس بانهما اعلم واقرب الی رسول الله صلعم والتقرب الی رسول الله صلعم واقدم صحبة وان انسا کان صغیرا فی ذلک الوقت قلیل العلم حجة القائل بافضلیة القران ان فی القران مسارعة الی النسکین وفی الافراد ترک المسارعة الی احدهما فیکون افضل لقوله وسارعوا واجیب بانا لا نقول الحجة المفردة بلا عمرة افضل من الحجة المقرونة لکنا نقول من اتی بالحج فی وقته ثم بالعمرة فی وقتها المجموع من هذین الامرین افضل من الاتیان بالحجة المقرونة واختلف فی تفسیر الاتمام فی قوله تعالی واتموا فعن علی وابن عباس وابن مسعود ان اتمامهما ان تحرم من دویرة اهلک وقال ابو مسلم المعنی ان من نوی الحج والعمرة لله وجب علیه الاتمام قال ویدل علی صحة هذا التاویل ان الایة نزلت بعد ان منع الکفار النبی صلعم فی السنة الماضیة عن الحج والعمرة فالله تعالی امر رسوله فی هذه الایة بان لا یرجع حتی یتم الفرض ویعلم منه ان تطوع الحج والعمرة کفرضهما فی وجوب الاتمام وقال الاصم المراد اتمام الاداب المعتبرة فیهما وهی عشرة علی ما ذکر فی الاحیاء الاول فی المال فینبغی ان یبدا بالتوبة ورد المظالم وقضاء الدیون واعداد النفقة لکل من یلزمه نفقته الی وقت الرجوع ویرد ما عنده من الودایع ویستصحب من المال الطیب الحلال ما یکفیه لذهابه وایابه من غیر تقتیر بل علی وجه یمکنه مع التوسع فی الزاد والرفق بالفقراء ویتصدق بشیء قبل خروجه ویشتری لنفسه دابة قویة علی الحمل او یکریها الثانی الاخوان والرفقاء المقیمون فیودعهم ویلتمس ادعیتهم فان الله تعالی جعل فی دعائهم خیرا والسنة فی الوداع ان یقول استودع الله دینک وامانتک وخواتیم عملک الثالث اذا هم بالخروج صلی رکعتین یقرا فی الاولی بعد الفاتحة قُلْ یٰاَیُّهَا الْکٰفِرُوْنَ وفی الثانیة الاخلاص وبعد الفراغ یتضرع الی الله بالاخلاص الرابع اذا حصل علی باب الدار قال بسم الله توکلت علی الله لا حول ولا قوة الا بالله وکلما کانت الدعوات اکثر کان اولی الخامس اذا رکب قال بِسْمِ اللّٰهِ وَبِاللّٰهِ وَاللّٰهُ اَکْبَرُ تَوَکَّلْتُ عَلَی اللّٰهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ اِلَّا بِاللّٰهِ





العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون السادس في النزول ان السنة يكون اكثر سيره بالليل ولا ينزل حتى يحمى النهار واذا نزل صلى ركعتين ودعا الى الله كثيرا السابع ان تصدق عدوا وسبع بالليل وبالنهار فليقرأ اية الكرسي شهد الله والاخلاص والمعوذتين ثم يقول تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت الثامن منها على نشز من الارض في الطريق يستحب ان يكبر ثلثا التاسع ان لا يكون هذا السفر مشوبا بشيء من الاغراض العاجلة كالتجارة وغيرها العاشر ان يصون لسانه عن الرفث والفسوق والجدال ثم بعد الاتيان بهذه المقدمات ياتي بجميع اركان الحج على الوجه الاصح الاقرب الى موافقة الكتاب والسنة ويكون غرضه في كل هذه الامور ابتغاء مرضات الله تعالى ليكون مؤتمرا لقوله تعالى وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ اقتداء بابرهيم عم حين ابتلي بكلمات فاتمهن وقيل المراد من قوله اتموا افردوا لكل واحد منهما بسفره ويؤيده هذا تاويل من قال الافراد افضل واقرب هذه الاقوال ما يرجع حاصله الى معنى ائتوا بالحج والعمرة تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما وادابهما لوجه الله بدليل قوله فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ قال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس ومنه الحصير للملك لانه كالمحبوس في الحجاب والحصير معروف سمي به لانضمام اجزائه الى بعض فكان كلا منهما محبوس مع غيره والحصير المجلس ايضا والاكثرون على ان لفظ الحصر مخصوص بمنع العدو يقال حصره العدو اذا منعه عن مراده وضيق عليه عن ابي عبيدة وابن السكيت والزجاج وغيرهم ان لفظ الاحصار مختص بالمرض ونحوه من خوف وعجز قال تعالى الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وقيل الاحصار مختص بمنع العدو ومنه ما يروى عن ابن عمر وابن عباس لا حصر الا حصر العدو وفائدة الخلاف في الاية تظهر في مسئلة فقهية وهي انهم اتفقوا على ان حكم الاحصار عند حبس العدو ثابت وهل يثبت بسبب المرض وسائر الموانع قال ابو حنيفة تثبت وقال الشافعي ومالك واحمد لا يثبت بل يصبر حتى يبرأ نعم لو شرط انه اذا مرض تحلل صح الشرط لما روي انه صلى الله عليه وسلم مر بضباعة بنت الزبير فقال اما تريدين الحج فقالت اني شاكية فقال حجي واشترطي ان تحلي حيث حبست وفي حكم المرض كل غرض صحيح كضلال الطريق ونفاد الزاد حجة ابي حنيفة ظاهر كلام اكثر اهل اللغة وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل وحجة الشافعي قول ابن عمر وابن عباس وطائفة من اهل اللغة وايضا الهمزة في احصره ليس للتعدية لمساواته حصر في اقتضاء المفعول فيكون للوجدان والصيرورة وتمرد ذا فيؤول المعنى الى انكم ان وجدتم وصرتم محصورين فلا يبقى النزاع وايضا المانع انما يتحقق عند وجود المقتضي والمريض لا قدرة له على الفعل فلا مانع بالنسبة اليه فثبت ان لفظ الاحصار حقيقة في العدو دون المرض وايضا لفظ المانع على المرض غير معقول لانه عرض لا يبقى زمانين وايضا لو كان المريض داخلا في المحصر لكان في قوله فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا نوع تكرار ولزم عطف الشيء على نفسه واعتذر عن هذا بان المريض انما خص بالذكر لان له حكما خاصا وهو حلق الراس فصار تقدير الاية ان منعتم لمرض تحللتم بدم وان تاذى راسكم بمرض حلقتم وكفرتم وايضا فَإِذَا أَمِنْتُمْ يناسب الخوف من العدو اذ يقال في المرض شفي وعوفي لا امن ولو قيل انه خصوص اخر الاية لا يقدح في عموم اولها قلنا لا يلزم من عدم القدح وجود المناسبة وقيل انه منع المرض خاصة وهو باطل بالدلائل المذكورة وزيادة وهي ان المفسرين اجمعوا على ان سبب نزول الاية ان الكفار حصروا النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية والائمة وان اختلفوا ان الاية هل تتناول غير سبب النزول ام لا الا انهم اتفقوا على ان خروج ذلك السبب غير جائز ثم في الاية اضماران والتقدير فحللتم او اردتم التحلل فعليكم ما استيسر او فاهدوا ما استيسر استفعل بمعنى تفعل مثل استعظم واستكبر وتكبر اما الاضمار الاول فلان نفس الاحصار لا يوجب هديا وانما الموجب هو التحلل ونية التحلل واما الاضمار الثاني فلان قوله ما استيسر مرفوع على الابتداء وخبره محذوف او منصوب على المفعولية وناصبه محذوف والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج وهي شيء محشو تحت دفتي السرج جدي وقرئ من الهدي جمع هدية كمطية ومطي وهذه لغة تميم ومعنى الكل ما يهدى الى بيت الله تقربا اليه بمنزلة الهدية عن علي وابن عباس والحسن وقتادة رض اعلاها بدنة واوسطها بقرة وادونها شاة فعليه ما تيسر له من هذه الاجناس والمحصر المحرم اذا اراد التحلل ذبح ووجب ان ينوي التحلل ولا يتحلل البتة قبل الذبح واكثر الفقهاء على ان حكم العمرة في الاحصار حكم الحج وعن ابن سيرين انه لا احصار فيها لانها غير موقتة ورد بان قوله تعالى فان احصرتم مذكور عقيب الحج والعمرة فكان عائدا اليهما وبانه صلى الله عليه وسلم تحلل بالاحصار عام الحديبية وكان معتمرا وما حد الاحصار قالت العلماء لو منعوا ولو يتمكنوا من المسير الا ببذل مال فلهم ان يتحللوا ولا يبذلوا المال وان قل اذ لا يجب احتمال الظلم في اداء الحج بل يكره البذل ان كان الطالبون كفارا والاكثرون على انه لا يجب القتال على الحج وان كان العدو كفارا وكان في مقابلة كل مسلم اقل من مشركين ولو قاتلوا فلهم لبس الدروع والمغافر لكنهم يفدون كالو لبسوا المخيط لدفع حر او برد ولا فرق على الاصح في جواز التحلل بين ان يمنعوا من المضي دون الرجوع او يمنعوا من جميع الجوانب لانهم يستفيدون بالتحلل الامن من العدو الواجبة لو صد عن طريق وهناك طريق اخر ووجد شرائط الاستطاعة فيه لزمهم سلوكه ولم يكن لهم التحلل في الحال واذا سلكوه ففاتهم الحج لخزونته او لطوله تحللوا بعمل عمرة ولا يلزمهم القضاء على الاظهر من قولي الشافعي لانهم بذلوا مجهودهم فصاروا كالمصدود بن مطلقا نعم لو استوى الطريقان من كل وجه وجب القضاء لان الموجود فوات محض في قوله وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ حذف كانه لا تحلوا لا يتحلل ببلوغ الهدي محله بل لا يحصل التحلل الا بالنحر فالتقدير حتى يبلغ الهدي محله وينحر وانما جاز تذكير الهدي لان كل ما يفرق بين واحده وجمعه بالتاء وعدمه جاز تذكيره وتانيثه قال تعالى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ وفي موضع اخر أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ والمحل اسم للزمان الذي يحصل فيه الحل ومنه محل الدين لوقت وجوب قضائه او اسم للمكان قال الشافعي يجوز ان يذبح في موضع الاحصار لا في الحرم بل حيث حبس وقال ابو حنيفة لا يجوز ذلك الا في الحرم يبعث به ويحصل المبعوث على يديه يوم امارة حجة الشافعي انه صلى الله عليه وسلم احصر بالحديبية فنحر هناك واجيب بانه محصر وطرف الحديبية الذي هو اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي



الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة ورد بقوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله فان هذه الاية صريحة
في انهم نحروا الهدي في غير الحرم ايضا قوله فان احصرتم يتناول كل من كان محصرا سواء كان في الحل او في الحرم وقوله فما استيسر يدل على وجوب النحر فيجب
ان يكون المحصر قادرا على اراقة الدم حيث احصر وايضا التحلل موقوف على النحر فلو توقف النحر على وصوله الى الحرم لم يحصل التحلل في الحال وهذا يناقض
ما هو المقصود من شرع الحكم وهو تخليص النفس من العدو في الحال وايضا لو كان الوصول الى الحرم هو المحصر فكيف يؤمر بهذا الفعل مع قيام الخوف
وان كان غيره فقد لا يجد ذلك الغير فماذا يفعل حجة ابي حنيفة ان المحل عبارة عن مكان الحل وقوله حتى يبلغ الهدي محله يدل على انه غير بالغ في الحال الى
ذلك المكان وايضا ثبت ان لفظ المحل يشمل الزمان والمكان الا ان قوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق وقوله هديا بالغ الكعبة يزيل احتمال الزمان وفي البيت
نفسه لا يراق فيه الدماء فتعين ان يكون هو الحرم واجيب بان كل ما وجب على المحرم في ماله من فدية وجزاء وهدي ولا يجزي الا في الحرم لمساكين اهله الا
اذا عطب الهدي فيذبح في طريقه ويخلي بينه وبين المساكين والا اذا احصر فانه ينحر هديه حيث حبس والدلالة المذكورة قالوا الهدية لا يكون هدية
الا اذا بعثها الى دار المهدي اليه فالهدي كذلك ورد بان هذا تمسك بالاسم وهو محمول على الافضل عند القدرة والمحصر اذا كان عادما للهدي فهل له
بدل ينتقل اليه للشافعي فيه قولان احدهما لا بدل له ويكون الهدي في ذمته ابدا وبه قال ابو حنيفة لانه تعالى اوجب الهدي وما اثبت له بدلا وعلى هذا
فماذا يفعل فيه قولان اصحهما انه يتحلل في الحال كيلا يعظم المشقة والاخر واليه ميل ابي حنيفة انه يقيم على احرامه حتى يجده والقول الثاني
ان له بدلا وهذا اصح وبه قال احمد قياسا على ساير الدماء الواجبة على المحرم وعلى هذا فما ذلك البدل الاصح الطعام لان قيمة الهدي اقرب اليه من الصيام
واذا لم يرد النص الا بالهدي فالرجوع الى الاقرب اولى ثم الصيام عن كل مد يوما وفي قول صوم المتمتع عشرة ايام وقيل صوم الاذى ثلثة ايام وبالجملة
فالاية دلت على ان المحصرين لا ينبغي لهم ان يحلوا فيحلقوا رؤسهم الا بعد تقديم ما استيسر من الهدي كما انه امرهم ان لا يتناجوا الرسول الا بعد تقديم
الصدقة ومعنى حتى يبلغ الهدي محله حتى تنحروا هديكم حيث حبستم او حتى تعلموا ان هديكم الذي بعثتموه الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه اي الحرم
ولكن الافضل في الحج منى وفي العمرة المروة ولا بد من نية التحلل عند الذبح لان الذبح قد يكون للتحلل وقد يكون لغيره فلا بد من قصد صارف فان كان مصدودا
عن البيت دون الاطراف الحرم فهل له ان يذبح في الحل اصح الوجهين عند الشافعي ان له ذلك واذا احصر فتحلل نظر ان كان نسكه تطوعا فلا قضاء عليه وبه
قال مالك واحمد لان المصدودين مع النبي ص كانوا الفا واربعمائة والذين اعتمروا معه عمرة القضاء كانوا نفرا يسيرا ولم يامر الباقين بالقضاء وقال ابو حنيفة
عليه القضاء وان لم يكن نسكه تطوعا نظر ان لم يكن مستقرا عليه كحجة الاسلام فيما بعد السنة الاولى من سني الامكان وكالنذر والقضاء فهو باق
في ذمته كما كان كما لو شرع في صلوة ولم يتمها يبقى في ذمته ومهما احصر بمرض ونحوه وقد صححناه بالاية فحكم الهدي ما مر في الاحصار بالعدو وان صححنا
بان كان قد شرط التحلل به اذا مرض فهل يلزمه الهدي للتحلل فان كان قد شرط التحلل بالهدي فنعم وان كان قد شرط التحلل بلا هدي فلا وكذا ان اطلق
على الاظهر لمكان الشرط قوله عز من قائل فمن كان منكم مريضا قيل انه مختص بالمحصر وذلك انه قبل بلوغ الهدي محله ربما لحقه مرض واذى في راسه ان
صبر فالله تعالى اذن له في جواز ذلك المؤذي بشرط بذل الفدية والاكثرون على انه كلام مستانف في كل محرم لحقه مرض في بدنه فاحتاج الى علاج
او اذى في راسه فاضطر الى الحلق والنسك العبادة وقرئ بالتخفيف قيل جمع نسيكة وهي الذبيحة قال ابن الاعرابي النسك سبائك الفضة كل سبيكة
منها نسيكة ثم قيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث ثم قيل للذبيحة نسك لانها من اشرف العبادات
التي يتقرب بها الى الله واتفقوا في النسك على ان اقله شاة كما في الاضاحي واما الصيام والاطعام فليس في الاية ما يدل على كميتهما وكيفيتهما وبماذا يحصل
بيانه فيه قولان احدهما وعليه اكثر الفقهاء ومنهم الشافعي وابو حنيفة ان بيانه في حديث كعب بن عجرة قال حملت الى رسول الله ص والقمل يتناثر
على وجهي فقال ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك هذا اما تجد شاة فقلت لا قال صم ثلثة ايام واطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق
راسك فنزلت في خاصة وهي لكم عامة وثانيهما عن ابن عباس والحسن الصيام كصيام المتمتع عشرة ايام والاطعام مثل ذلك في الفدية قال العلماء المرض
قد يحوج الى اللباس والى الطيب والى الدهن وفي كل منها نوع استمتاع فالحقوا فدية نحو هذه المحظورات بفدية الحلق لاشتراك الجميع في الترفه والحاصل انه
يدخل فيه كل محظورات الاحرام سوى الجماع ففيه بدنة ثم بقرة ثم سبع شياه ثم طعام بقيمة البدنة ثم صيام بعدد الامداد كما يجيء في قوله فلا رفث وسوى
الصيد ففيه الجزاء على ما يجيء تفصيله في المائدة وفي هذه الاية ايضا اضمار اي فحلق فعليه فدية فاذا امنتم ان كان معناه الامر بعد الخوف فهو قبل الحل
فجواب الشرط وهو فاصنعوا محذوف وان كان معناه اذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فقوله فمن تمتع الشرط مع الجزاء جواب الشرط الاول ولا وقف
على امنتم ومعنى التمتع التلذذ واصله الطول حبل ماتع اي طويل وكل من طالت صحبته الشيء فهو متمتع به قد عرفت معنى التمتع بالعمرة الى الحج وهو ان
يقدم مكة فيعتمر في اشهر الحج ثم يقيم حلالا بمكة حتى ينشئ منها الحج فيحج من عامه ذلك والتمتع بهذا الوجه صحيح لا كراهة فيه وما يروى ان عمر خطب
وقال متعتان على عهد رسول الله ص انا انهى عنهما واعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج ذكر الائمة ان تلك المتعة هي ان يجمع بين الاحرامين ثم يفسخ
الحج الى العمرة ويتمتع بها الى الحج وروي ان النبي ص اذن لاصحابه في ذلك ثم نسخ وعن ابي ذر انه قال ما كانت متعة الحج الا لنا خاصة يعني الركب الذين كانوا
مع النبي ص وكان السبب فيه انهم كانوا لا يرون العمرة في اشهر الحج ويعدونها من افجر الفجور فلما اراد النبي ص ابطال ذلك الاعتقاد عليهم بالغ فيه بان نقلهم
في اشهر الحج من الحج الى العمرة وهذا سبب لا يشاركهم فيه غيرهم فلهذا المعنى كان فسخ الحج في اشهر الحج خاصا بهم ومعنى التمتع بالعمرة الى الحج انه يتمتع بمحظور

الاحرام بسبب اتيانه بالعمرة الى اوان الحج وقيل استمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج والوجوب الدم على
المتمتع شروط منها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام لقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام ويجيء تمام الكلام فيه عما قريب ومنها ان
يحرم بالعمرة الى الميقات فان جاوزه مريدا للنسك ثم احرم بها فان كان الباقي اقل من مسافة القصر قبل اشهر الحج ثم حج فليس عليه دم التمتع ولكن يلزمه
دم الاساءة وان كان الباقي مسافة القصر فعليه دمان ومنها ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج فلو احرم وفرغ من اعمالها قبل اشهر الحج ثم حج لم يلزمه الهدي لانه اشبه
الافراد ولو احرم بها قبل اشهر الحج واتى بجميع افعالها في اشهره فاصح قولي الشافعي انه لا يلزم الدم وبه قال احمد لانه لم يجمع بين النسكين في اشهر الحج ليقدم
احد اركان العمرة ولو سبق الاحرام مع بعض الاعمال قبل اشهر الحج فعدم وجوب الدم اولى وعن مالك انه مهما حصل التحلل في اشهر الحج وجب الدم وعند
ابي حنيفة اذا اتى باكثر اعمال العمرة في الاشهر كان متمتعا ومنها ان يقع الحج والعمرة في سنة واحدة فلو اعتمر ثم حج في السنة القابلة فلا دم عليه سواء اقام بمكة
الى ان حج او رجع وعاد لان الدم انما يجب اذا زاحم بالعمرة حجة في وقتها وترك الاحرام بحجة من الميقات مع حصوله في وقت الامكان ولم يوجد وعن سعيد بن
المسيب قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتمرون في اشهر الحج واذا لم يحجوا في عامهم ذلك لم يهدوا ومنها ان يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة فان
عاد الى ميقاته الذي انشاء العمرة منه واحرم بالحج فلا دم عليه لانه لم يربح ميقاتا وفي اشتراط نية التمتع وجهان اصحهما لا يشترط كما لا يشترط نية القران وهذا
لان الدم منوط بربح احد السفرين ولا يختلف ذلك بالنية وعدمها ويخالف اشتراط نية الجمع بين الصلوتين من حيث ان اشهر الحج كما هي وقت الحج فهي وقت
العمرة بخلاف وقت الصلوة ثم ان دم التمتع دم جبران الاساءة حتى لا يجوز له ان ياكل منه ام دم نسك حتى يجوز ان ياكل ذهب ابو حنيفة الى الثاني
ومال الشافعي الى الاول لما روي ان عثمان كان ينهى عن المتعة فقال له علي رضي الله عنه اعمدت الى رخصة اثبتها رسول الله صلى الله عليه وسلم للغريب للحاجة فابطلتها فسماها
المتعة رخصة هذا دليل النقص وايضا التمتع تلذذ وانه ينافي العبادة لانها مشقة وتكليف وايضا انه تعالى اوجب الهدي على المتمتع بلا توقيت فلو كان نسكا
كان موقتا وايضا للصوم فيه مدخل ودم النسك لا يبدل بالصوم والكلام في مراتب هذه الهدي كما مر وينبغي ان يكون الابل ثنيا وهو الطاعن في السنة
السادسة وكذا البقر وهو الطاعن في السنة الثالثة ويجزي كل من الابل والبقر عن سبعة شركاء ولو اقتصر على الغنم فليكن ثني المعز وهو الذي دخل في
السنة الثانية او هي جذع الضان وهو ايضا في السنة الثانية يستوي في هذا الباب الذكر والانثى ويستحب ان يذبح يوم النحر ولو ذبح بعد ما احرم بالحج
جاز لان التمتع قد تحقق فيترتب عليه الهدي جبرا له وكذا قبل الاحرام بالحج وبعد التحلل من العمرة على الاصح لانه حق مالي يتعلق بسببين وهما الفراغ
من العمرة والشروع في الحج فاذا وجد احدهما جاز اخراجه كالزكوة والكفارة وعند ابي حنيفة لا يجوز بناء على انه نسك كدم الاضحية فيختص بيوم
النحر وبه قال مالك واحمد فمن لم يجد الهدي وقيس عليه ما اذا لم يجد ما يشتري به او بيع بثمن غال فعليه صيام ثلثة ايام في الحج قال الشافعي يصوم
بعد الاحرام بالحج لانه تعالى جعل الحج ظرفا للصوم ولا يصلح سائر افعال الحج ظرفا له فلا اقل من الاحرام وايضا ما قبل الاحرام بالحج ليس وقتا للهدي
الذي هو الاصل فكذا البدل وقال ابو حنيفة في وقت الحج وهو اشهره فيجوز ان يصوم بعد الاحرام بالعمرة وبمثله قال احمد في رواية وفي اخرى قال
يجوز بعد التحلل من العمرة ولا يجوز ان يصوم شيئا منها في يوم النحر ولا في ايام التشريق كما مر في الصوم والمستحب ان يصوم الايام الثلثة قبل يوم
عرفة فان الاحب للحاج يوم عرفة ان يفطر بعرفة ويحكى عن ابي حنيفة ان الشخص ان كان بحيث لا يضعف فالاولى ان يصوم يوم عرفة ليكون جامعا للفضيلتين ويعلم مما ذكرنا انه
يستحب ان يحرم بالحج قبل يوم عرفة بثلثة ايام ليصوم فيها واما الواجد للهدي فالمستحب له ان يحرم يوم التروية بعد الزوال متوجها الى منى لما روي عن
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا توجهتم الى منى فاهلوا بالحج واذا فاته صوم الايام الثلثة في الحج لزمه القضاء عند الشافعي لانه صوم واجب فلا يسقط بفوات
وقته كصوم رمضان واذا قضاها لم يلزمه دم خلافا لاحمد وعند ابي حنيفة يسقط الصوم بالفوات ويستقر الهدي في ذمته وسبعة اذا رجعتم للشافعي
في المراد من الرجوع قولان اصحهما الرجوع الى الاهل والوطن لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال للمتمتعين من كان معه هدي فليهد ومن لم يجد فليصم ثلثة ايام في الحج
وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والثاني ان المراد منه الفراغ من اعمال الحج وبهذا قال ابو حنيفة واحمد كانه بالفراغ رجع عما كان مقبلا عليه
من الاعمال وعلى الاصح لو توطن مكة بعد فراغه من الحج صام وان لم يتوطنها لم يجز صومه بها ولا في الطريق على الاصح لانه تقديم العبادة البدنية
على وقتها ثم اذا لم يصم الثلثة في الحج حتى فرغ ورجع لزمه صوم العشرة عند الشافعي وهل يجب التفريق في القضاء بين الثلثة والسبعة لا
عند امام الحرمين وطائفة وبه قال احمد لانه لا يجب التفريق في الاداء يتعلق بالوقت فلا يبقى حكمه في القضاء كالتفريق في الصلوات المؤداة والاصح عند
اكثر اصحاب الشافعي وجوب التفريق كما في الاداء ويفارق التفريق الصلوات فان ذلك التفريق يتعلق بالوقت وهذا يتعلق بالفعل وهو الحج والرجوع
وما قدر ما يقع به التفريق اصح الاقوال باربعة ايام ومدة امكان مسيره الى اهله على العادة الغالبة بناء على اصلين سبقا احدهما ان المتمتع ليس
له صوم ايام التشريق والثاني ان المراد بالرجوع الرجوع الى الاهل تلك عشرة كاملة طعن فيه بعض الملحدين ان هذا من ايضاح الواضحات فمن
المعلوم بالضرورة ان الثلثة والسبعة عشرة وايضا قوله كاملة يوهم ان ههنا عشرة غير كاملة وهو محال فذكر العلماء من فوائده ان الواو في قوله
وسبعة ليس نصا قاطعا في الجمع بل يكون للاباحة بمعنى او كما في قوله مثنى وثلث ورباع وكما في قولك جالس الحسن وابن سيرين لو جالسهما جميعا او
واحدا منهما كان ممتثلا فبذلك نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففايدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلى هذا مدار علم الحساب
وكفى به فائدة وايضا المعتاد ان البدل اضعف حالا من المبدل كالتيمم من الوضوء فلعل المراد ان هذا البدل كامل في كونه قائما مقام المبدل وهما في الفضيلة سواء

وذكر العشرة لصحة التوصل به الى هذا الوصف اذ لو اقتصر على تلك لجاز ان يعود الى الثلثة او الى السبعة وايضا قوله تلك عشرة كاملة يدفع التخصيص الذي يتطرق الى كثير من العمومات في الشرع ويصرف الكلام الى التنصيص وفي بيان مراتب الاعداد ثلث الاحاد والعشرات والمآت فهذه من وسطاها فكانه قال انما اوجبت هذا العدد لكونه موصوفا بصفة التوسط والكمال وايضا التوكيد طريقة مسلوكة في كلام العرب يعرف منه كون المذكور مما يعتد به ففيه زيادة توصية بصيانتها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها وايضا هذا الخطاب مع العرب ولم يكونوا اهل حساب فبين الله تعالى بذلك بيانا قاطعا كما روي انه صلعم قال في الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم اشار بيده ثلث مرة اخرى وامسك ابهامه في الثالثة تنبيها بالاشارة الاولى على الثلثين وبالثانية على التسعة والعشرين وايضا فيه ازالة الاشتباه والتصحيف الذي يمكن ان يتولد من تشابه سبعة وتسعة في الخط وايضا يحتمل ان يراد كاملة في الاجزاء حتى لا يتوهم انها بسبب التفرق غير مجزية كما لا يجزي في كفارات الظهار والقتل ووقاع رمضان الا الصوم المتتابع وايضا يحتمل ان يكون خبرا في معنى الامر اي فليكن تلك الصيامات كاملة لتسد الخلل ويكون الحج المامور به تاما كاملا كما قال وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّٰهِ واعلم ان الصوم مضاف الى الله تعالى في قول النبي صلعم حكاية عن الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به والحج ايضا مضاف اليه تعالى في الاية وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّٰهِ وكما دل النقل على هذا الاختصاص فالعقل ايضا يدل على ذلك اما الصوم فلانه عبادة لا يطلع عليها الا الله سبحانه وهو مع ذلك شاق على النفس جدا واما الحج فلانه عبادة لا يطلع العقل البتة على وجوه الحكم فيها وهو مع ذلك شاق جدا لانه يوجب مفارقة الاهل والولد ويقتضي التباعد من اكثر اللذات والاستمتاعات فكل منهما لا يوتى به الا لمحض ابتغاء مرضاة الله تعالى ثم ان هذا الصوم بعضه واقع في زمان الحج فيكون جمعا بين مشقتين وبعضه واقع بعد الفراغ من الحج وهو انتقال من مشقة الى مشقة والاجر على قدر النصب فلا جرم وصفه الله تعالى بالكمال في باب العبادة والتكثير في اللفظ ايضا يؤيد ذلك زادنا الله اطلاعا على لطائف قرآنه العظيم ذٰلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ واختلف العلماء في ان المشار اليه ماذا فقال ابو حنيفة واصحابه انه اشارة الى التمتع وما ترتب عليه لانه ليس البعض اولى من البعض فيعود الى كل ما تقدم فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام وقال الشافعي بل عوده الى الاقرب اولى وهو الحكم بوجوب الهدي على المتمتع وايضا قوله فَمَنْ تَمَتَّعَ عام يشمل الحرمي والميقاتي والافاقي وايضا انه تعالى شرع القران والمتعة ابانة لنسخ ما كان عليه اهل الجاهلية في تحريمهم العمرة في اشهر الحج والنسخ يثبت في حق الناس كافة ويتفرع على مذهب ابي حنيفة ان من تمتع او قرن من حاضري المسجد الحرام كان عليه دم وهو دم جناية لا ياكل منه وعلى مذهب الشافعي ان يصح تمتعهم وقرانهم ولا يجب عليهم شيء فان لزوم الهدي على الافاقي بسبب انه احرم في الميقات عن العمرة ثم احرم عن الحج لا عن الميقات فيلزمه جبر الخلل بدم والمكي لا يجب عليه ان يحرم عن الميقات فلو خلل في حجة تمتع او قران او افراد فلا يلزمه الهدي ولا بدله ثم اختلفوا في حاضري المسجد الحرام فعن مالك انهم اهل مكة واهل ذي طوى وعن طاوس هم اهل الحرم وعن الشافعي هم الذين يكونون على اقل من مسافة القصر من مكة فان كانوا على مسافة القصر فليسوا من الحاضرين وبه قال احمد وعن ابي حنيفة انهم اهل المواقيت فمن دونها الى مكة والمواقيت ذو الحليفة وهي على عشر مراحل من مكة وعلى ميل من المدينة والجحفة وهي ميقات الشام ومصر والمغرب على خمسين فرسخا من مكة ويلملم من توب اليمن وقرن لنجد الحجاز وذات عرق من حدود ميقات العراق والخراسان وكل هذه الثلثة من مكة على مرحلتين فهذه هي المذاهب فاما قول مالك فلان اهل مكة هم الذين يحضرون المسجد الحرام الا ان الشافعي قال قد يطلق المسجد الحرام على الحرم قال تعالى سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ورسول الله صلعم اسري به من الحرم لا من المسجد وقد يقال الحضر فلان فلانا اذا دنا منه ومن كان مسكنه دون مسافة القصر فهو قريب فان له منزلة المقيم في نفس مكة وفي مذهب ابي حنيفة بعد فانه يؤدي الى اخراج القريب من الحاضرين وادخال البعيد فيهم لتفاوت مسافات المواقيت ثم ان مسافة القصر مرعية من نفس مكة او من الحرم الاعرف هو الثاني لما قلنا ان مسجد الحرام يراد به جميع الحرم قال الفراء ذٰلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ معناه ذلك الفرض الذي هو الدم او الصوم لازم على من لم يكن من اهل مكة كقوله صلعم اشترطي لهم الولاء اي عليهم وذكر حضور الاهل لا حضور المحرم لان الغالب على الرجل انه يسكن حيث اهله ساكنون فَاتَّقُوا اللّٰهَ في محافظة حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لمن تهاون بحدوده قال ابو مسلم العقاب والمعاقبة سيان واشتقاقهما من العاقبة كانه يراد عاقبة فعل السوء كقول القائل لتذوقن فعلك التاويل الحج الحواضر حج رب البيت وشوده وهذه سيرة ابرهيم صلعم كما قال اني ذاهب الى ربي ولكنه احصر في السماء السابعة فلا جرم اهدى باسمعيل ولما اسري بالنبي صلعم كان ذهابه بالله ما احصر بشيء فقال له وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّٰهِ وجرى ما جرى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ثم قال لامته اسعوا في اتمام صورة الحج بقدر استطاعتكم وفي الحقيقة بان تخرجوا من وجودكم فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ بمانعة النفس والهوى او بملال القلب او لكلال الروح بما استيلاء الاحوال وتتبع الامال فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ اعلاها الروح واوسطها القلب وادناها النفس هكذا كان الاحصار به وَلَا تَحْلِقُوا لا تشتغلوا بغير الله حتى تبلغوا المقصد فان عرض مرض في الارادة او يعلوه اذى من المزاحمات من غير فترة من نفسه فلم يجد بدا من الاقامة بفناء الرخص فليجتهد ان يتداركه بالفدية فقد قيل من اقبل على الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله فالصيام هو الامساك عن المشارب والصدقة الخروج عن العلوم والنسك ذبح النفس في مقاساة الشدائد فَإِذَا أَمِنتُمْ الاحصار واقبل الجد الصاعد لزمان المساعد فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ واستراح في الطلب فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ من ترك مشارب الروح والقلب والنفس فَمَن لَّمْ يَجِدْ لم يستطع ترك تلك المشارب لعلو شانها وعظم مكانها فعليه الامساك عن مشاربها القوى الثلث المدركة للمعاني المتصرفة فيها وهي الوهم والحافظة والمتخيلة هذا اذا كان في عالم المعنى فاذا رجع الى عالم الصورة امسك عن القوى السبع مشاربها



وهي الحس المشترك والخيال لان الاولى مدركة الصور والثانية معينتها على الحفظ وبعدهما الحواس الخمس الظاهرة تلك عشرة كاملة هي الحواس الظاهرة والباطنة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام لان الحاضر في مقام القرب والانس لا يخاطب ولا يعاتب وانما يلزم العتب والطلب للسالك والسائر فاذا وصل فقد استراح واتقوا ان تسكنوا الى فترة او وقفة وتركنوا الى مشرب من هذه المشارب واعلموا ان الله شديد العقاب للغافلين عن هذا الخطاب الغافلين بذل المجاهدة

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا

حج كردن در ماههای چندیست شناخته پس هر که واجب کرد بر خود حج را پس جماع مکند وگناه مکند و دشمنی مکند در حج و هر چه را که میکنید از خوبی میداند او را خدا و توشه بردارید

ع ٩

فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات

پس بدرستی و بهترین توشها پرهیزکاریست و بپرهیزید مرا ای صاحبان خرد نیست بر شما حرجی اگر خواهش کنید زیادتی را از پروردگارتان پس چون برگشتید از عرفات

فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس

پس یاد کنید خدا را در نزد مشعر الحرام و یاد آورید او را بجهة آنکه هدایت کرد شما را اگر چه پیش از آن بودید هر آینه از گمراهان پس مراجعت کنید از آن طرف که مراجعت کردند مردم

واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من

و طلب آمرزش کنید از خدا که خدا آمرزنده و مهربانست پس چون ادا کردید مناسک خود را پس یاد آورید خدا را چون یاد کردنتان پدرانتان را یا سختتر پس از مردمان کسی است که



يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة

میگوید پروردگارا بده ما را در دنیا و نیست برای او در آخرت هیچ بهره و از ایشان کسی است که میگوید پروردگارا بده ما را در دنیا خوبی و در آخرت

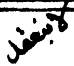
حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب واذكروا الله في ايام معدودات

خوبی و نگاهدار ما را از عذاب آتش آن گروه مر ایشان راست بهره از آنچه کسب کردند و خدا زود محاسبه است و یاد آورید خدا را در روزهای شمرده شده

فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون القراءة فلا رفث

پس هر که شتابد در دو روز پس نیست گناهی بر او و هر که پس اندازد پس عقوبتی نیست بر او مر آن که بپرهیزد و بپرهیزید خدا را و بدانید که شما بسوی او گرد آئید ولا فسوق بالرفع فيهما

ابو عمرو ويعقوب وابن كثير ويزيد زاد يزيد لا جدال بالرفع الباقون بفتح الثلثة وكذلك يروي الضطعي من طريق الحسن الهاشمي واتقون بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل بالياء ومن تاخر روى هبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش والشموني وحمزة في الوقف بالتليين الوقوف معلومات ج في الحج ط يعلمه الله ط التقوى ن للعارض بين الجملتين المتفقتين الالباب ه من ربكم ط لان اذا اجيبت بالفاء فكانت شرطا في ابتداء حكم اخر الحرام ص لعطف المتفقتين هداكم ج لان الواو تصلح حالا واستينافا الضالين ه واستغفروا الله ج رحيم ه ذكرا ط من خلاق ه النار ه مما كسبوا ط الحساب ه نصف الجزء معدودات ط لان الشرط في بيان حكم اخر عليه لا ولمن ج لابتداء شرط اخر مع العطف عليه اتقى ط الثانية لا لتعلق اللام اتقوا ط لاختلاف النظم تحشرون ه التفسير من المعلوم ان الحج ليس نفس الاشهر فالتقدير اشهر الحج او وقته اشهر معلومات كقولك البلد شهران والحج حج اشهر معلومات اى لا حج الا فيها خلاف ما كان عليه اهل الجاهلية من النسيء وقيل يمكن ان يقال جعل حج نفس الاشهر كما في قولهم ليل قائم ونهار صائم واتفق المفسرون على ان شوالا وذا القعدة من اشهر الحج واختلفوا في ذي الحجة فعن عروة بن الزبير ومالك كله لان اقل الجمع ثلثة وقد يفعل الانسان بعد النحر ما يتصل بالحج من رمي الجمار ونحوه والمرأة اذا حاضت فقد تؤخر الطواف الذى لا بد منه الى ايام بعد النحر ومن هنا ذهب عروة الى جواز تاخير طواف الزيارة الى اخر الشهر وعن ابي حنيفة عشر ذي الحجة وهو قول ابن عباس وابن عمر والنخعي والشعبي ومجاهد والحسن قالوا لفظ الجمع يشترك فيما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما او نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما راه في ساعة منها ورمي الجمار يفعله الانسان وقد حل بالحلق والطواف والنحر من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحائض اذا طاف بعده فهو في حكم القضاء وانما قلنا ان يوم النحر من اشهر الحج لانه وقت لركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة ومن المفسرين من زعم ان يوم الحج الاكبر يوم النحر وعن الشافعي التسعة الاولى من ذي الحجة مع ليلة النحر لان الحج يفوت بطلوع يوم النحر ولا يفوت العبادة مع بقاء وقتها قيل انه تعالى جعل كل الاهلة مواقيت للحج في قوله قل هي مواقيت للناس والحج وفي هذه الاية جعل وقت الحج اشهر معلومات واجيب بان تلك الاية عامة وهذه خاصة والخاص مقدم على العام واقول الميقات علامة الوقت فلولا الاهلة لم يعلم مدخل كل شهر على التعيين فجميع الاهلة في الاعلام سواء بالنسبة الى وقت مفروض فلا منافاة بين كون جميع الاهلة علامات الحج من حيث انها تؤذن بما بقي من السنة الى اوان الحج وبين كون الاشهر المعلومات وقت الحج ومعنى قوله معلومات ان الحج انما يكون في السنة مرة واحدة في اشهر معينة من شهورها ليس كالعمرة التي يؤتى بها في السنة مرارا واحالهم في معرفة تلك الاشهر على ما كانوا علموه قبل نزول هذا الشرع وعلى هذا فهذا الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء موافقا مقررا والمراد انها معلومات ببيان الرسول والمراد انها موقتة باوقات معينة لا يجوز تقديمها وتاخيرها كما يفعله اصحاب النسيء ثم ان الشافعي استدل بالاية على انه لا يجوز لاحد ان يحرم بالحج قبل اشهر الحج وبه قال احمد واسحق وحجته ان الاحرام بالعبادة قبل وقت الاداء لا يصح قياسا على الصلوة وايضا الخطبة في صلوة الجمعة لا يجوز قبل الوقت لانها اقيمت مقام ركعتين من الظهر حكما فلان لا يصح الاحرام وهو شروع في العبادة اولى وايضا الاحرام لا يبقى صحيحا لاداء الحج اذا ذهب وقت الحج قبل الاداء فلان





لا ينعقد صحيحا الا اداء الحج قبل الوقت اولى لان البقاء اسهل من الابتداء وعن ابي حنيفة ومالك والثوري جواز الاحرام في جميع السنة لقوله تع قل هي
مواقيت للناس والحج والجواب ما مر قالوا الاحرام التزام الحج فجاز تقدمه قبل الوقت كالنذر والجواب الفرق بين النذر والاحرام فان الوقت معتبر
للاداء ولا اتصال للنذر بالاداء بدليل ان الاداء لا يتصور الا بعقد مبتدأ واما الاحرام مع كونه التزاما فهو ايضا شروع في الاداء وعقد عليه فلا
جرم افتقر الى الوقت قالوا اشتهر من اكابر الصحابة انهم قالوا من تمام الحج ان يحرم المرء من دويرة اهله وقد يبعد داره بعدا شديدا يحتاج الى ان يحرم
قبل شوال والجواب ان النص لا يعارضه الاثر على انه يمكن تخصيص الاثر بمن هو قريب ممن لا يكون داره سحيقا فمن فرض فيهن الحج فمن الزم نفسه في هذه الشهور
ان يحج وبماذا يحصل هذا الالزام المسمى بالاحرام انه يحرم عليه شيئا كانت حلالا له قال الشافعي انه ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى
التلبية نعم لها سنة عند النية وبه قال احمد ومالك لقوله تع فمن فرض وفرض الحج على النية ادل منه على التلبية وسوق الهدي وفرض الحج موجب لانعقاد
الحج بدليل قوله فلا رفث فوجب ان يكون النية كافية في انعقاد الحج وايضا قال ع لكل امرئ ما نوى وايضا انه عبادة ليس في اخرها ولا في اثنائها نطق واجب
فكذلك في ابتدائها كالطهارة والصوم وعند ابي حنيفة التلبية شرط في انعقاد الاحرام لاطباق الناس على الاعتناء به عند الاحرام الا ان سوق الهدي
وتقليده والتوجه معه يقوم مقام التلبية وعن ابن عمر انه قال اذا قلد واشعر فقد احرم وعن ابن عباس قلد الهدي وصاحبه يريد العمرة او الحج فقد
احرم وروى ابو منصور الماوردي في تفسيره عن عايشة انها قالت لا يحرم الا من اهل ولبى وايضا ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع فيها بنفس النية
كالصلوة وصورة التلبية ما روي عن النبي ص انه قال لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولا تكره الزيادة
على هذا روي عن ابن عمر انه كان يزيد فيها لبيك لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغبى اليك والعمل فان راى شيئا يعجبه قال لبيك ان
العيش عيش الاخرة ثبت ذلك عن رسول الله ص وفي بعض الروايات انه قال في تلبيته لبيك حقا حقا تعبدا ورقا قال الشافعي في اصح قوليه الافضل ان
ينوي ويلبي حين تنبعث به دابته ان كان راكبا وحين يتوجه الى الطريق ان كان ماشيا لما روي انه ص لم يهل حتى انبعثت به دابته قال امام الحرمين ليس
المراد من انبعاث الدابة ثورانها بل المراد استواؤها في صوب مكة فاذا استوت به راحلته متوجها الى الطريق نوى اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله
مني ولبى ان كان يريد القران نوى الحج والعمرة وان كان يريد العمرة نوى العمرة ولبى والقول الثاني وبه قال احمد ومالك وابو حنيفة ان الافضل ان ينوي
ويلبي كما تحلل من الصلوة اي من ركعتي الاحرام وهو قاعد ثم ياخذ في السير لرواية ابن عباس ان النبي صلى بذي الحليفة ركعتين ثم احرم وتكثير
التلبية في دوام الاحرام مستحب قائما كان او قاعدا راكبا او ماشيا حتى في حالة الجنابة والحيض لانه ذكر لا اعجاز فيه فاشبه التسبيح قال ع لعايشة
حين حاضت فعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت قوله عز من قائل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال من قرا بفتح الثلثة او برفعها فلا اشكال
ومن قرا برفع الاولين وفتح الاخير فقيل لان الاولين محمولان على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق ثم اخبر بانتفاء الجدال اي لا شك ولا خلاف
في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرون سنة
سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تع انه قد ارتفع الخلاف في الحج ومما يستدل على ان المنهي عنه هو
الرفث والفسوق دون الجدال قوله ص من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه فانه لم يذكر الجدال وقيل الاهتمام بنفي الجدال اشد
من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق ولذلك قرئ كذلك اما الاول فلان الرفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك لان المجادل
يشتهي تمشية قوله والفسوق عبارة عن مخالفة امر الله والمجادل لا ينقاد للحق وكثيرا ما يقدم على الايذاء والايحاش ويؤدي الى العداوة والبغضاء
فدل على ان الجدال مشتمل على جميع انواع القبح واما ان القراءة تفيد ذلك فلان الفتح يقتضي نفي الماهية وانتفاؤها يوجب انتفاء جميع افرادها
واما الرفع فلا يوجب انتفاء جميع افراد الماهية بل يجوزه فيكون الفتح ادل على عموم النفي اما تفسير الرفث فعن ابن عباس هو الجماع وله في العمرة وفي الحج
نتايج منها افساد النسك يروى ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من الصحابة واتفق الفقهاء عليه بعدهم وانما يفسد الحج بالجماع اذا وقع
قبل التحللين لقوة الاحرام ولا فرق بين ان يقع قبل الوقوف بعرفة او بعده خلافا لابي حنيفة حيث قال لا يفسد بالجماع بعد الوقوف ولكن
يلزمه الفدية واما الجماع بين التحللين فلا اثر له في الفساد على الصحيح وعن مالك واحمد انه يفسد ما بقي شيء من احرامه ويفسد العمرة ايضا بالجماع قبل
حصول التحلل ووقت التحلل عنها بعد الفراغ عن الحلق بناء على انه نسك وهو الاصح فيفسد العمرة بالجماع قبل الحلق واعلم ان للعمرة تحللا واحدا و
ذلك اذا طاف وسعى وحلق وللحج تحللان وذلك انه اذا اتى باثنين من الرمي والنحر والحلق والطواف على الرمي والحلق او الرمي والطواف حصل التحلل الاول
وهو اباحة جميع المحظورات من التطيب والقلم ولبس المخيط وقتل الصيد وعقد النكاح الا الجماع فانه لا يحل الا بالاتيان بالامر الثالث فاذا اتى به حل
الجماع ايضا وهو المراد بالتحلل الثاني قال الائمة الحج يطول زمانه ويكثر اعماله بخلاف العمرة فابيح بعض محظوراته دفعة وبعضها اخرى قال ع اذا رميتم
وحلقتم فقد حل لكم الطيب واللباس وكل شيء الا النساء واللواط واتيان البهيمة في الافساد كالوطي في الفرج وبه قال احمد خلافا لابي حنيفة فيهما
ولمالك في اتيان البهيمة ثم ساير العبادات لا حرمة لها بعد الفساد ويصير الشخص بالفساد خارجا منها لكن الحج والعمرة وان فسدا يجب المضي
فيهما وذلك باتمام ما كان يفعله لولا عروض الفساد روي عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من افسد حجه مضى في فاسده وقضى من قابل ومن نتايج
الفساد الكفارة ويستوي فيها الحج والعمرة وخصالها خمس على الترتيب بدنة ان وجدها الا ان الصحابة نصوا على البدنة والا فبقرة والا قومت البدنة

او الحلق والطواف

دراهم الدراهم طعاما فان لم يجد الطعام صام عن كل مد يوما ومن الينابيع القضا باتفاق لما روينا من كبار الصحابة وقضى من قابل سواء كان المقضى عنه فرضا
او تطوعا فان القضا واجب اصح الوجهين في القضا انه على الفور لا على التراخي لانه لزم وتضيق بالشروع ويدل عليه ظ قول الصحابة وقضى من قابل وعلى
هذا الكلام فيمن ترك الصوم او الصلوة بعد وان على الاشبه ان جواز التاخير نوع ترفيه وتخفيف والمتعدى لا يستحق ذلك ولو كانت المرأة محرمة فنظر ان
جامعها وهي نائمة او مكرهة لم يفسد حجها والا فسد لكن لا يجب على اصح القولين الا بدنة واحدة عنهما جميعا واذا افسد حجه بالجماع ثم جامع ثانيا فان
لم يفد عن الاول لزم بدنة اخرى وان فدى لم يلزم الا شاة وعن الحسن الرفث كل ما يتعلق بالجماع فليس للمحرم التقبيل بالشهوة ولا المباشرة فيما دون الفرج
فلو باشر شيئا منها عمدا فالفدية روى عن علي وابن عباس انهما اوجبا بالقبلة شاة وان كان ناسيا لم يلزمه شيء ولا يفسد شيء من مقدمات
الجماع الحج ولا يوجب البدنة بحال سواء انزل ولم ينزل به قال ابو حنيفة وعند مالك يفسد الحج اذا انزل وهو اظهر الروايتين عن احمد وقيل الرفث
باللسان ذكر المجامعة وما يتعلق بها والرفث باليد اللمس والغمز والرفث بالفرج الجماع وقيل الرفث هو قول الخنى والفحش لقوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم
فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم وعن ابي عبيدة الرفث الافحاش وعنه الرفث اللغو في الكلام واما الفسوق فهو الخروج عن
الطاعة وحدود الشريعة فيشمل كل المعاصي قال تعالى فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ وقيل هو التنابز بالالقاب والسباب قال تعالى وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وقال صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقيل الايذاء والاخراج وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وعن ابن زيد
هو الذبح للاصنام وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وقيل الرفث هو الجماع ومقدماته مع الحليلة والفسوق ذلك مع الاجنبية
واما الجدال فانه فعال من المجادلة واصله من الجدل الفتل كان كل واحد من الخصمين يروم ان يفتل صاحبه عن رايه واختلف المفسرون فيه فعن
الحسن هو الجدال الذي يفضي الى السباب والتكذيب والتجهيل وانه واجب الاجتناب في كل حال الا انه مع الرفقاء وفي الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة وقال
محمد بن كعب القرظي ان قريشا كانوا اذا اجتمعوا بمنى قال بعضهم حجنا اتم وقال اخرون بل حجنا اتم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وقال مالك
في الموطا الجدال في الحج ان قريشا كانوا يقفون عند المشعر الحرام في المزدلفة بقزح وانجبل هناك وغيرهم يقفون بعرفات وكل من الفريقين يقول
نحن اصوب وقال القاسم بن محمد كانوا يجعلون الشهر على العدد فيختلفون في يوم النحر بسبب ذلك فبعضهم يقولون هذا يوم عيد ويقول اخرون بل غدا
وكانه قيل لهم قد بينا لكم ان الاهلة هي مواقيت الحج فاستقيموا على ذلك ولا تجادلوا فيه قال القفال ويدخل في هذا النهي ما جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق ذلك عليهم وقالوا نروح الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا فقال صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي
ولجعلتها عمرة فتركوا الجدال حينئذ وقال عبد الرحمن بن زيد جدالهم في الحج اختلافهم في انهم المصيب مقام ابرهيم وقيل انه النسيء فهو اعز ذلك فان الزمان قد عاد الى
ما كان عليه الحج في وقت ابرهيم عليه السلام قال القاضي ابو بكر الباقلاني لو حمل النفي في الالفاظ الثلثة على الخبر وجب ان يحمل الرفث على الجماع والفسوق على الزنا
والجدال على الشك في الحج ليصح خبر الله تعالى بان هذه الاشياء لا توجد مع الحج المعتبر وان حملنا الكلام على النهي صح ان يراد بالرفث الجماع ومقدماته
وقول الفحش وبالفسوق جميع انواعه وبالجدال جميع اصنافه فعلى هذا يكون في الاية بعث على الاخلاق الحميدة والاداب الحسنة والحقيقة لا رفث
نهي عن طاعة القوة الشهوية التي توجب الهنائة والفجور ولا فسوق اشارة الى قهر القوة الغضبية الداعية الى التمرد والاستعلاء ولا جدال نهي عن الى
تسخير القوة الوهمية التي تحمل الانسان على الخلاف في ذات الله تعالى وصفاته وافعاله واحكامه فمنه نشأ الاراء المتخالفة والاهواء المتضادة والعقائد
الفاسدة والمذاهب الباطلة واعلم ان الجدل ليس منهيا عنه بجميع اقسامه وانما المذموم منه هو الذي منشأه صرف العصبية ومحض المراء لتنفيذ
الاراء الزائفة وتحصيل الاعراض الزائلة والاغراض الفارغة واما الذب عن الدين القويم والدعاء الى الصراط المستقيم والزام الخصم الالد وافحام
المعاند اللجوج بمقدمات مشهورة واراء محمودة حتى يستقر الحق في مركزه ويضمحل صولة الباطل ويركد ريحه فمامور به في قوله عز من قائل وَجَادِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وانه احد شعب البيان وقد يكون انجع من قاطعة البرهان وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ لم يتعرض لعقاب الخبر وان كان عالما
بهما لنكتة هي انه اذا علمت منك الخير ذكرته وشهرته واذا علمت منك ضده اخفيته وسترته لتعلم انه اذا كانت رحمتي بك هكذا في الدنيا فكيف
يكون في العقبى وفيه ترغيب للمطيعين وايذان بانهم من المحسنين لان الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والعبد الصالح اذا علم اطلاع
مولاه على سرائره وخفاياه اجتهد في اداء ما امره واحترز عن ان يتكاسل هناه ومن غاية عنايته حثهم على الخير بعد ما نهاهم عن الشر ليستعملوا مكان
الرفث التفث وبدل الفسوق رعاية الحقوق ومقام الجدال الشفاق الوفاق مع الرفاق تتميما لمكارم الاخلاق وتنبيها على شرف النفس وطيب
الاعراق بدليل قوله وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء القبائح فان ذلك خير الزاد وليس السفر من الدنيا
اهون من السفر في الدنيا وهذا لا بد له من زاد فكذا ذلك بل يزداد فان زاد الدنيا يخلصك عن عذاب منقطع موهوم وزاد الاخرة ينجيك
من عذاب ابدي معلوم زاد الدنيا يوصلك الى متاع الغرور وزاد الاخرة يبلغك دار السرور وزاد الدنيا سبب حصول حظوظ النفس وزاد الاخرة
سبب الوصول الى عتبة الجلال والقدس: اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ٭ اذا انت لم ترحل بزاد من التقى: ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ٭
ندمت على ان لا تكون كمثله ٭ وانك لم ترصد كما كان ارصدا ٭ وقيل نزلت في ناس من اليمن كانوا يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون
ثم كانوا يسالون الناس وربما ظلموهم وغصبوهم فامرهم الله سبحانه ان يتزودوا ما يتبلغون به فان خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال



وانفسكم عن الظلم وفيه دليل على ان القادر على استصحاب الزاد في السفر اذا لم يستصحب عصى الله في ذلك ففيه ابطال حكمة الله تعالى ورفع الوسائط والروابط التي عليها يدور المناهج وبها ينتظم المصالح روي ان بعض العارفين زهد فبلغ من زهده ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسئل احدا شيئا حتى ياتيني رزقي فاخذ يسيح فاقام في سفح جبل سبعا لم يأته شيء حتى كاد يتلف فقال يا رب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فالهمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة واقام بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ارزق العباد بايدي العباد احب الي من ان ارزقهم بيد القدرة وقيل في الاية حذف اي تزودوا لعاجل سفركم وللآجل فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ وخافوا عقابي وفيه تنبيه على كمال عظمته كقوله انا ابو النجم وشعري شعري يَا أُولِي الْأَلْبَابِ يعني ان قضية العقل تقوى الله ومن لم يتقه فلا لب له في التحقيق ولما منع عن الجدال اخلج في قلب المكلف شبهة ان التجارة لكونها مفضية في الاغلب الى النزاع في قلة القيمة وكثرتها يجب ان تكون منهية وايضا انها كانت محرمة في الجاهلية وقت الحج وانه امر مستحسن ظاهر لان المشتغل بخدمة الله تعالى يجب ان لا يتلوث بالاطماع الدنيوية وايضا كان من الممكن ان يقاس التجارة على سائر المباحات من الطيب والمباشرة والاصطياد في كونها محظورة بالاحرام فلدفع هذه الشبهة نزلت لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا اي في ان تطلبوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ عطاء منه وتفضلا او زيادة في الرزق بسبب التجارة والربح بها كقوله وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عن ابي مسلم انه حمل الاية على ما بعد الحج قال والتقدير واتقون في كل افعال الحج ثم بعد ذلك لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا كقوله فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وزيف بان حمل الاية على موضع الشبهة اولى من حملها لا على موضع الشبهة ومحل الاشتباه هو التجارة في زمان الحج واما بعد الفراغ فالحل معلوم وقياس الحج على الصلوة فاسد فان الصلوة اعمالها متصلة فلا يحل في اثنائها التشاغل بغيرها واعمال الحج متفرقة يحتمل التجارة في خلالها وايضا الفاء في قوله فَإِذَا أَفَضْتُمْ ظاهر في ان هذه الافاضة حصلت عقيب ابتغاء الفضل وذلك يدل على ان المراد وقوع التجارة في زمان الحج ويؤيده قراءة ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج وقال ابن عباس في سبب نزول الاية كانوا يأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر بالغوا في الكف عن البيع والشرى فلم يقم لهم سوق ويسمون من يخرج للتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج ومعنى الداج الاعوان والمكارون من الدجيج وهو الدبيب في السير قال ابن السكيت لا يطلق الحجيج الا اذا كان جماعة ولا يقال ذلك للواحد وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم كانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الحرج ومن المعلوم انه انما يباح ما لم يشتغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه يعني في طريق الحج وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سئل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت عنه فلم يرد عليه حتى نزل لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وعن جعفر الصادق عليه السلام ان ابتغاء الفضل ههنا طلب اعمال اخر زائدة على اعمال الحج موجبة لفضل الله تعالى ورحمته كاعانة الضعيف واغاثة الملهوف واطعام الجائع وارواء العطشان واعلم ان الفضل ورد في القرآن بمعان منها ما يتعلق بالمصالح الدنيوية من المال والغذاء واللباس وهو المسمى بالرزق فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ومنها ما يتعلق بالمصالح الاخروية وهو الفضل والثواب والجنة والرحمة تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ومنها ما يتعلق بمواهب القربة ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ورفع الجناح قد يستعمل في الواجب والمندوب مثل ما يستعمل في المباح كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما فَإِذَا أَفَضْتُمْ اي دفعتم بكثرة ومنه فاضت الماء وهو صبه بكثرة والتقدير افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في قولهم دفعوا من موضع كذا وصبوا وعرفات جمع عرفة وكلاهما علم للموقف كان كل قطعة من تلك الارض عرفة فسمي مجموع تلك القطعة بعرفات كما قيل في باب الصفة ثوب اخلاق وبرمة اعشار ثم سئل هلا منعت الصرف وفيها سببان التعريف والتأنيث فقيل انه لم يبق علما بعدما جمع ثم جعل علما لمجموع القطع فتركوها بعد ذلك على اصلها في الصرف وقيل ان هذا التنوين تنوين المقابلة في نحو مسلمات ومن ذهب الى ان تنوين المقابلة لا وجه لها كجار الله وكثير من المتأخرين وان هذا التنوين تنوين الصرف قالوا انما لم يسقط لان التأنيث في نحو مسلمات وعرفات ضعيف فان التاء التي هي لمحض التأنيث سقطت والباقية علامة لجمع المؤنث وزيف بان عرفات مؤنث وان قلنا انه لا علامة تأنيث فيها لا متمحضة للتأنيث ولا مشتركة لانه لا يعود الضمير اليها الا مؤنثا تقول هذه عرفات مباركا فيها ولا يجوز مباركا فيه الا بتأويل بعيد كما في قوله ولا ارض ابقل ابقالها فانها لا تقصر عن تأنيث مصر الذي هو بتأويل البقعة وقال بعض المتأخرين الاولى ان يقال ان التنوين للصرف وانما لم يسقط في نحو عرفات لانه لو سقط لتبعه الكسر في السقوط وتبع النصب وهو خلاف ما عليه الجمع السالم اذ الكسر فيه متبوع لا تابع فهو فيه كالتنوين في غير المنصرف للضرورة لم يحذف المانع هذا مع انه جوز المبرد والزجاج ههنا مع العلمية حذف التنوين وابقاء الكسر كبيت امرء القيس في رواية شعر تنورتها من اذرعات واهلها: بيثرب ادنى دارها نظر عال: وبعضهم يفتح التاء في مثله مع حذف التنوين كسائر ما لا ينصرف وعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف والاشهر بقاء التنوين في مثله مع العلمية وقيل التنوين عوض من منع الفتحة واعلم ان اليوم الثامن من ذي الحجة يسمى يوم التروية واليوم التاسع منه يسمى يوم عرفة وعرفة وعرفات هي الموضع المخصوص فقيل التروية التفكر وسببه ان آدم عليه السلام لما امر ببناء البيت فبناه تفكر فقال يا رب ان لكل عامل اجرا فما اجري على هذا العمل ثم غفرت

ومعاني الفضل

لك ذنوبك ما اول شرط من طوافك قال يا رب زدني قال اغفر لك ولذريتك اذا طافوا به قال زدني فقال اغفر لكل من استغفر له الطائفون من موحدي اولادك قال حسبي
حسبي وقيل ان ابراهيم عليه السلام رأى في منامه ليلة التروية انه يذبح ابنه فاصبح متفكرا اهذا من الله او من الشيطان فلما رآه ليلة عرفة يؤمر به اصبح فقال عرفت
يا رب انه من عندك وقيل ان اهل مكة يخرجون يوم التروية الى منى فيروون في الادعية التي يذكرونها في الغد بعرفات وقيل التروية الارواء فان اهل مكة
كانوا يجمعون الماء للحجيج الذين يقصدونهم من الآفاق فيسقون في الماء بعدما تعبوا في الطريق من قلة الماء او لانهم يتروون الماء الى عرفة او لان
المذنبين كالعطاش وردوا بحار الرحمة فشربوا منها حتى رووا واما يوم عرفة فقيل انه من المعرفة لان آدم وحواء عليهما السلام التقيا بعرفة فعرف احدهما صاحبه عن
ابن عباس او لان جبرئيل عليه السلام علم آدم مناسك الحج فلما وقف بعرفات قال له اعرفت قال نعم او لان ابراهيم عليه السلام عرفها حين رآها بما تقدم من النعت والصفة عن
علي عليه السلام وابن عباس وعطاء والسدي او لان جبرئيل عرفها ابراهيم المناسك وقدم في قوله وارنا مناسكنا او لان ابراهيم وضع ابنه اسمعيل وامه هاجر بمكة ورجع
الى الشام ولم يلتقيا سنين ثم التقيا يوم بعرفات وقد سبقت القصة في بناء البيت في قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد ولما ذكرنا انفا من منام ابرهيم او لان
الحاج يتعارفون فيه اذا وقفوا او لانه تعالى يتعرف فيه الى الحاج بالمغفرة والرحمة وقيل اشتقاقها من الاعتراف لان الناس يعترفون هنالك بالحق وبالربوبية
والجلال ولانفسهم بالفقر واختلال الحال يقال ان آدم عليه السلام وحواء لما وقفا بعرفات قالا ربنا ظلمنا انفسنا فقال الله سبحانه الان عرفتما انفسكما و
قيل من العرف وهو الرائحة الطيبة لان المذنبين يكتسبون بالمغفرة روائح طيبة عند الله مقام ضدها قال عليه السلام خلوق فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك
وقد يسمى يوم عرفة يوم اياس الكفار من الاسلام ويوم اكمال الدين ويوم اتمام النعمة ويوم الرضوان اخذا من قوله تعالى في المائدة اليوم يئس الذين كفروا
من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا عن عمر وابن عباس نزلت هذه الاية عشية
يوم عرفة وكان يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة في موقف ابراهيم عليه السلام في حجة الوداع وقد اضمحل الكفر وهدم منار الجاهلية فقال النبي لو يعلم الناس ما لهم
في هذه الاية لقرت اعينهم فقال اليهودي لعمر لو ان هذه الاية انزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال عمر اما نحن جعلناه عيدين وكان ذلك يوم
عرفة ويوم جمعة يوم صلة الواصلين اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي يوم قطيعة القاطعين ان الله بريء من المشركين ورسوله يوم اقالة
عثرة النادمين وقبول توبة التائبين ربنا ظلمنا انفسنا يوم وفد الوافدين في خبر الحاج وفد الله والحاج زوار الله وحق على المزور الكريم ان يكرم
زائره يوم الحج الاكبر واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر يوم خص صومه بكثرة الثواب قال عليه السلام صوم يوم التروية كفارة سنة وصوم يوم عرفة
كفارة سنتين وقال من صام يوم التروية اعطاه الله مثل ثواب ايوب على بلائه ومن صام يوم عرفة اعطاه الله مثل ثواب عيسى بن مريم اقسم الله تعالى
به في قوله عز من قائل والشفع والوتر عن ابن عباس الشفع يوم التروية وعرفة والوتر يوم النحر يوم خص بكثرة الرحمة وسعة المغفرة وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من يوم اكثر ان يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو ويتجلى ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما اراد هؤلاء اشهدوا ملائكتي اني
قد غفرت لهم ولا ضير ان نشير ههنا الى اعمال الحج اشارة خفيفة اعلم انه من دخل مكة محرما في ذي الحجة او قبله فان كان مفردا او قارنا طاف طواف القدوم
واقام على احرامه حتى يخرج الى عرفات وان كان متمتعا طاف وسعى وحلق وتحلل من عمرته واقام الى وقت خروجه الى عرفات ثم يحرم من جوف مكة بالحج
ويخرج وكذلك من اراد الحج من اهل مكة والسنة للامام ان يخطب بمكة اليوم السابع من ذي الحجة بعدما صلى الظهر خطبة واحدة يأمر الناس فيها بالذهاب
غدا بعدما صلوا الصبح الى منى ويعلمهم تلك الاعمال ثم ان القوم يذهبون يوم التروية الى منى بحيث يوافون الظهر بمنى ويصلون بها مع الامام الظهر
والعصر والمغرب والعشاء والصبح من يوم عرفة ثم اذا طلعت الشمس على ثبير توجهوا الى عرفات فاذا دنوا منها فالسنة ان لا يدخلوها بل يضرب قبة الامام
بنمرة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم مكث حتى طلعت الشمس ثم ركب وامر بقبة من شعر ان يضرب له بنمرة فنزل بها فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبتين يبين
لهم مناسك الحج ويحرضهم على اكثار الدعاء والتهليل بالموقف وبعد الفراغ من الخطبة الاولى جلس ثم قام وافتتح الخطبة الثانية والمؤذنون يأخذون في الاذان
معه ويخفف بحيث يكون فراغه منها مع فراغ المؤذنين من الاذان ثم ينزل فيقيم المؤذنون فيصلي بهم الظهر ثم يقيمون في الحال فيصلي بهم العصر وهذا
الجمع متفق عليه ثم بعد الفراغ من الصلوة يتوجهون الى عرفات فيقفون عند الصخرات لان النبي صلى الله عليه وسلم وقف هناك واذا وقفوا استقبلوا القبلة و
يذكرون الله تعالى ويدعونه الى غروب الشمس والوقوف ركن لا يدرك الحج الا به ومن فاته ذلك فقد فاته الحج لقوله عليه السلام الحج عرفة فمن فاته عرفة فقد فاته الحج
وقد يستدل بالاية على ذلك لانها دلت على ذكر الله عند المشعر الحرام عقيب الافاضة من عرفات والافاضة من عرفات لا يتصور الا بعد الحصول بعرفات
وجمهور الفقهاء على ان الوقوف بالمشعر الحرام ليس بركن لانه تعالى امر بالذكر عنده فالوقوف به تبع لا اصل بخلاف الوقوف بعرفة لانه جعله اصلا حيث
لم يقل فاذا افضتم عن الذكر بعرفات ووقت الوقوف يدخل بزوال الشمس يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة
واذا حضر الحاج هنالك في هذا الوقت لحظة واحدة من ليل او نهار كفى وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر يوم النحر واذا
غربت الشمس دفع الامام من عرفات واخر صلوة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بالمزدلفة قيل سميت بها لانهم يقربون فيها من منى والازدلاف القرب
وقيل لان الناس يجتمعون بها والازدلاف الاجتماع وقيل لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها ويقال للمزدلفة جمع لانه يجمع فيها بين صلوتي المغرب
والعشاء عن قتادة وقيل لان آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها ثم اذا اتى الامام المزدلفة جمع بين المغرب والعشاء باقامتين ثم يبيتون
بها فان لم يبيتوا بها فعليهم دم شاة فاذا طلع الفجر صلوا الصبح بغلس والتغليس بالفجر ههنا اشد استحبابا منه في غيرها وهو متفق عليه فاذا صلوا الصبح اخذوا

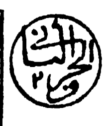
منها الحصى للرمي يأخذ كل انسان سبعين حصاة ثم يذهبون الى المشعر الحرام وهو جبل يقال له قزح فيرقى فوقه ان امكنه و وقف بالقرب منه ان لم يمكنه ويحمد الله
ويهلله ويكبره ولا يزال كذلك حتى يسفر جدا ثم يدفع قبل طلوع الشمس ويكفي المرور كما في عرفة ثم يذهبون منه الى وادي محسر فاذا بلغوا بطن محسر فمن كان
راكبا يحرك دابته ومن كان ماشيا يسعى سعيا شديدا قدر رمية حجر فاذا اتى منى رمى جمرة العقبة من بطن الوادي بسبع حصيات ويقطع التلبية اذا رمى ثم
بعد ما رمى جمرة العقبة ذبح الهدي ان كان معه هدي وذلك سنة لو تركه لا شيء عليه الا ان يكون نذرا الا يكون معه هدي ثم بعد ما ذبح الهدي يحلق راسه او يقصر
ثم بعد الحلق يأتي مكة ويطوف بالبيت طواف الافاضة وهو الركن ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروة ثم بعد ذلك يعود الى منى في بقية يوم النحر
وعليهم البيتوتة بمنى ليالي التشريق لاجل الرمي واعلم ان من مكة الى منى فرسخين ومن منى الى عرفات فرسخين ومزدلفة متوسط بين منى وعرفات منها
الى كل واحد منهما فرسخ ولا يقفون بها في سيرهم من منى الى عرفات والحاصل ان اعمال الحج يوم النحر الى ان يعود الى منى اربعة رمي جمرة العقبة والذبح
والحلق او التقصير والطواف طواف الافاضة ويسمى طواف الزيارة ايضا لانهم يأتون من منى زائرين للبيت ويعودون في الحال والترتيب في الاعمال الاربعة
على النسق المذكور مسنون وليس بواجب اما انه مسنون فلان النبي صلعم كذلك فعلها واما انه ليس بواجب فلما روي عن عبد الله بن عمرو قال وقف رسول الله صلعم
بمنى للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله صلعم اني حلقت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج واتاه آخر فقال اني ذبحت قبل ان ارمي قال ارم ولا
حرج واتاه آخر فقال اني افضت الى البيت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج فما سئل عن شيء قدم او اخر الا قال افعل ولا حرج وعن مالك واحمد وابي حنيفة
ان الترتيب بينها واجب لو تركه فعليه دم على تفصيل ليس ههنا موضع بيانه ثم ان اهل الجاهلية كانوا قد غيروا مناسك الحج من سنة ابرهيم عم ومن ذلك
ان الحمس كانوا لا يقفون بعرفات ويقولون لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعة وكان غيرهم يقفون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون
قبل ان يغرب الشمس والذين يقفون بمزدلفة يفيضون اذا طلعت الشمس ويقولون اشرق ثبير كيما نغير اي نسرع للنحر وقيل اي ندفع من مزدلفة فندخل
في غور الارض وثبير جبل هناك فامر الله تعم نبيه صلعم بمخالفة القوم في الدفعتين فامره بان يفيض من عرفات بعد غروب الشمس وبان يفيض من
المزدلفة قبل طلوع الشمس وان السنة ايضا من قبل الوحي قال الواحدي المشعر الحرام هو المزدلفة سماه الله تعم بذلك لان الصلوة والمقام والمبيت به والدعاء
عنده وقال في الكشاف المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة اي يوقد هناك النار في الجاهلية قال وقيل المشعر الحرام ما بين
جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام قال والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلعم لما صلى الفجر بالمزدلفة بغلس
ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقال عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من
جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وجعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لعبادته ووصف
بالحرام لحرمته واما الذكر المأمور به هناك فقيل هو الجمع بين صلوتي المغرب والعشاء والصلوة تسمى ذكرا قال تعم واقم الصلوة لذكري والدليل عليه
ان فاذكروا امر فهو للوجوب ولا ذكر يجب هناك الا هذا والجمهور على ان المراد ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل عن ابن عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال
لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون كما هديكم ما مصدرية او كافة اطلق الامر بالذكر اولا ثم قيده ثانيا والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم
هداية حسنة لكي تكونوا شاكرين على الهداية اما كل انواع الهدايات والهداية الى سنة ابرهيم في مناسك الحج واذكروا كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا
عنه بحسب الرأي والقياس فان اسماء الله تعم توقيفية او الذكر الاول محمول على الذكر باللسان والثاني على الذكر بالقلب او المعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم
بهدايته والمراد بتثنيته الامر تكثره وتكثيره كقوله يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وعلى هذا فيكون قوله كما هديكم متعلقا بالامرين جميعا او
الذكر الاول مقيد بانه عند المشعر الحرام والثاني مطلق يدل على وجوب ذكره في كل مكان وعلى كل حال فالاول قائم للوظيفة الشرعية والثاني اذ تقائم
الى معارج الحقيقة وهو ان ينقطع القلب عن المشعر الحرام بل عن كل ما سواه من حلال وحرام او المراد بالاول الجمع بين الصلوتين هناك وبالثاني
التسبيح والتحميد وان كنتم من قبله من قبل الهدى او من قبل الرسول ومن قبل انزال الكتاب الذي بين فيه معالم دينكم لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون
كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ثم افيضوا في هذه الافاضة قولان احدهما انه الافاضة
من عرفات وعلى هذا فالاكثرون قالوا انه امر لقريش وحلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا يتجاوزون المزدلفة ويتعللون بان الحرم اشرف من غيره فالوقوف
به اولى ولانهم اهل الله وقطان حرمه فلا يليق بحالهم ان يساووا الناس في الموقف ترفعا وكبرا وروي ان النبي صلعم لما جعل ابا بكر اميرا في الحج امره باخراج الناس
الى عرفات فلما ذهب مر على الحمس وتركهم فقالوا له الى اين وهذا مقام آبائك وقومك فلم يلتفت اليهم ومضى بامر الله الى عرفات ووقف بها وامر سائر
الناس الواقفون بعرفات لا من المزدلفة ومعنى ثم التفاوت بين الافاضتين وان الافاضة المأمور بها صواب والاخرى خطاء كما تقول احسن الى
الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبهذا التحقيق لا يلزم عطف الشيء على نفسه صورة والمعنى
فاذا افضتم من عرفات ولا يقدح تقديم هذه الآية على ما قبلها في الوضع من القائلين بان المراد الافاضة من عرفات من قال انه امر للناس جميعا
وقوله من حيث افاض الناس المراد به ابرهيم عم واسمعيل عم فان من سنتهما ذلك وروي ان النبي صلعم كان يقف في الجاهلية بعرفة كسائر الناس ويخالف الحمس
وايقاع اسم الجمع على الواحد جائز اذا كان رئيسا مقتدى به ان ابرهيم كان امة الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس يعني ابا سفيان
ووجه ثالث وهو ان يكون قوله من حيث افاض الناس عبارة عن تقادم الافاضة من عرفات وان ما عداه مبتدع كما يقال هذا ما فعله الناس قديما

لانه معلم

في ذكر اللسان وذكر القلب

بالوقوف

فافيضوا من عرفات



القول الثاني عن الضحاك ان المراد الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وقوله من حيث افاض الناس يعني ابرهيم واسمعيل و
ومتبعيهما فان طريقتهم الافاضة من المزدلفة قبل طلوع الشمس على ما جاء به الرسول صلعم والعرب الذين كانوا واقفين بالمزدلفة كانوا يفيضون بعد طلوع
الشمس فامرهم الله تعالى بان يكون افاضتهم من المزدلفة في الوقت الذي كان يحصل فيه افاضة ابرهيم واسمعيل واورد على هذا القول ان استعمال حيث للزمان
قليل ويمكن ان يجاب بان القران اولى ما يحتج به عن الزهري ان الناس في هذه الاية ادم عم واحتج بقراءة سعيد بن جبير من حيث افاض الناسي بكسر السين
اكتفاء من الياء بالكسرة من قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تتركوه واستغفروا الله عن مخالفتكم في
الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم وليكن الاستغفار باللسان مع التوبة بالقلب وهي ان يندم على كل تقصير منه في طاعة الله ويعزم ان لا يقصر فيما
بعده ابتغاء لمرضاة الله لا للمنافع العاجلة والاستغفار بالحقيقة يجب على كل مكلف وان لم يعلم من ظاهر حاله الخطيئة فان النقص لازم الامكان و
القصور من خصائص الانسان وكيف لا وقد قالت الملائكة وانهم ارضع حالا ما عبدناك حق عبادتك وصورة الاستغفار على ما روى البخاري في صحيحه
عن شداد بن اوس ان النبي صلعم قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ولو اقتصر على قوله استغفر الله كفى ولو زاد فقال
اللهم اني استغفرك واتوب اليك وانت التواب الرحيم او قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ذو الجلال والاكرام من كل ذنب اذنبته ومعصية
ارتكبتها واتوب اليه من الذنب الذي اعلم ومن الذنب الذي لا اعلم كان حسنا ان الله غفور رحيم بناء ان للمبالغة كما مر مرارا واختلف اهل العلم في المغفرة
الموعودة في هذه الاية فمن قائل انها عند الدفع من عرفات الى جمع بناء على القول الاول في الافاضة ومن قائل انها عند الدفع من جمع الى منى بناء على
القول الاخر قوله عز من قائل فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من عباداتكم التي امرتم بها في الحج ومن اعمال مناسككم اذ المناسك جمع المنسك وانه يحتمل
ان يكون مصدرا وان يكون اسم مكان وعن مجاهد ان قضاء المناسك هو اراقة الدماء عن ابن عباس ان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم بعد ايام التشريق
يقفون بين مسجد منى وبين الجبل ويذكر كل واحد منهم فضائل اباءه في السماحة والحماسة وصلة الرحم ويتناشدون فيها الاشعار وغرضهم الشهرة
والترفع بماثر سلفهم فلما انعم الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لربهم لا لابائهم ثم الفاء في قوله فاذكروا الله يدل على ان الفراغ من المناسك
يوجب هذا الذكر فلهذا قيل هو الذكر على الذبيحة وقيل هو التكبيرات بعد الصلوة في ايام النحر والتشريق وقيل هو الاقبال على الدعاء والاستغفار
بعد الفراغ من الحج كالادعية الماثورة عقيب الصلوات المكتوبة وقيل معناه فاذا قضيتم مناسككم وازلتم اثار البشرية وقهرتم القوى الطبيعية
واطعتم الاذى من طريق السلوك فاشتغلوا بعد ذلك بتنوير القلب بذكر الله فان التخلية ليست مقصودة بالذات وانما الغرض منها التحلية
بموجب السعادات الباقيات فالاول نفي والثاني اثبات ومعنى كذكركم اباءكم توفروا على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الاباء واقيموا الثنا
على الله مقام تعداد مفاخر الاباء فانه ان كان كذبا اوجب الدناءة في الدنيا والعقوبة في العقبى وان كان صدقا استتبع العجب والتباهي و
ان كانوا يذكرون الاباء ليتوسلوا بذلك الى اجابة الدعاء فالاقبال بالكلية على مولى النعماء اولى مع ان حسنات ابائهم محبطة بسبب شركهم وعن
الضحاك والربيع اذكروا الله كذكركم اباءكم وامهاتكم وذلك قول الصبي اول ما يتطوق به ابه امه اي كونوا مواظبين على ذكر الله كما يكون الصبي في
صغره مواظبا على ذكر ابيه وامه فاكتفى بالاباء عن الامهات كقوله سرابيل تقيكم الحر وقال ابو مسلم جرى ذكر الاباء مثلا لدوام الذكر والمعنى كما ان الرجل
لا ينسى ذكر ابيه فكذلك يجب ان لا يغفل عن ذكر الله قال ابن الانباري العرب اكثر اقسامها في الجاهلية بالاباء فقال تعالى عظموا الله كتعظيمكم اباءكم
وقد نهى رسول الله صلعم عن الحلف بالاباء وقال من كان حالفا فليحلف بالله اوليصمت وقيل اذكروا الله بالوحدانية كذكركم اباءكم بالوحدانية
فان الواحد منكم لو نسب الى والدين تاذى منه واستنكف وقيل كما ان الطفل يرجع الى ابيه في طلب المهمات وكفاية الملمات فكونوا انتم في ذكر الله
كذلك وعن ابن عباس معنى الاية ان تغضب لله اذا عصي اشد من غضبك لوالديك اذا ذكرا بسوء وقوله او اشد ذكرا اما في موضع جر عطفا على ما
اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا واما في موضع نصب عطف على اباءكم بمعنى واشد ذكرا من اباءكم
على ان ذكرا من فعل المذكور وهو الاباء لا من فعل الذاكر وهو الابناء فان الذكر بل كل فعل متعد له اعتباران اعتبار وقوعه على المفعول واعتبار صدوره
عن الفاعل وذلك الفعل باحد الاعتبارين مغاير له بالاعتبار الاخر وانما لزم اعتبار الفعل ههنا من جهة وقوعه على المفعول لان الاباء المفضل
عليهم هم المذكورون لا الذاكرون ويحتمل ان يقال المعنى فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم اباءكم او ذكرا اشد ذكرا ولكن يرد عليه ان افعل انما يضاف
الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك وجهك احسن وجه اي احسن الوجوه فاذا نصبت ما بعده كان غير الذي قبله كقولك زيد افره عبدا فالفرهة
للعبد لا لزيد المذكور وقيل اشد ههنا هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال اشد ذكرا انما قياسه ان يقال الذكر اشد ذكر بجر الاضافة وجه نصبه على ما قال
ابو علي ان يجعل الذكر ذاكرا مجازا ويجوز نسبة الذكر الى الذكر بان يسمع نشان الذكر فيذكر فكان الذكر قد ذكر لحدثه بسببه على جميع الوجوه فمعنى
او ههنا ليس هو التشكيك وانما المراد به النقل عن الشيء الى ما هو اقرب وادلى كقول رجل لغيره افعل هذا الى شهر او اسرع منه وانما امر الله تعالى ان يكون
ذكره اشد لان مفاخر ابائهم متناهية وصفاته الكمالية غير متناهية وتلك مشكوكة وهذه متيقنة وغاية الاول تضييع وحرمان ولازم الثاني
نور وبرهان ثم انه تعالى بعد ما امر بالعبادة مصفية للنفس وتخليتها عن ظلمات الكبر والضلال ثم عقب ذلك بتنوير الباطن بنور الجلال والجمال بكثرة







الاشتغال بذكر الكبير المتعال نبه على حسن طلب مزيد الانعام والافضال فذكر ان الناس فريقان منهم من قصر دعاءه على طلب اللذات العاجلة ومنهم من اضاف الى ذلك الطلب نعيم الآخرة واهمل القسم الثالث وهو ان يكون دعاؤه مقصورا على طلب الآخرة تنبيها على ان ذلك غير مشروع ومن حقه ان لا يؤخذ فان الانسان خلق ضعيفا لا طاقة له بآلام الدنيا ولا بعذاب الآخرة فالاولى به ان يستعيذ بربه من آفات الدنيا والآخرة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على رجل يعوده وقد انهكه المرض فقال له ما كنت تدعو الله به قال كنت اقول اللهم ما كنت تعاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله انك لا تطيق ذلك الا قلت ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فشفي والانصاف انه سبحانه لو سلط الالم على عرق واحد في البدن او على منبت شعرة واحدة عجز الانسان عن الصبر عليه وقد يفضي ذلك به الى الجزع ويعوقه عن اكتساب الكمالات ويحمله على اهمال وظائف الطاعات فمن ذا الذي يستغني عن امداد الله اياه في دنياه وعقباه ثم المقتصرون في الدعاء على طلب الدنيا من هم عن ابن عباس هم المشركون كانوا يقولون اذا وقفوا اللهم ارزقنا ابلا وبقرا وغنما واماء وعبيدا وذلك لانكارهم البعث والمعاد وعن انس كانوا يقولون اسقنا المطر واعطنا على عدونا الظفر ويحكى عن ابي علي الدقاق انه قال اهل النار يستغيثون ثم يقولون افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله في الدنيا طلب المأكول والمشروب وفي النار طلب المأكول والمشروب فلما غلبتهم شهواتهم افتضحوا في الدنيا والآخرة وقال الآخرون يحتمل ان يكونوا مسلمين وعوتبوا لانهم سألوا الله في اعظم المواقف واشرف المشاهد لاخس البضائع ودون المطالب المشتبه تارة بكنيف واخرى باجمر من جناح بعوضة معرضين عن العيش الباقي والنعيم المقيم وقوله ربنا آتنا في الدنيا متروك المفعول الثاني لانه كالمعلوم ويحتمل ان يكون من قولهم فلان معطي اي موجد للاعطاء معناه اجعل اعطاءنا في الدنيا خاصة واعلم ان مطامح النفوس في الدنيا احدى ثلث خصال روحانية هي تكميل القوة النظرية بالعلم وتتميم القوة العملية بتحصيل الاخلاق الفاضلة وبدنية هي الصحة والجمال وخارجية هي الجاه والمال وكل من لا يؤمن بالبعث فانه لا يطلب فضيلة روحانية ولا جسمانية الا لاجل الدنيا فيطلب العلم لاجل الترفع على الاقران ويكتسب الاخلاق لتدبير الامور المنزلية والمدنية فلما قال عز من قائل وما له في الآخرة من خلاق اي طلب نصيب حذف مفعول آتنا لان كل من ليس له في الآخرة طلب ولا همة الى اقتناء السعادات الباقيات نزاع وطموع فمطلوبه عبث وسفه وماذا بعد الضلال اي شيء فرضت علما وعملا روحانيا او جسمانيا اللهم اجعلنا ممن لا ينظر في اي شيء ينظر الا اليك ولا الا اليك ولا يرغب في كل ما يرغب الا لاجل ما لديك ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ثم انه سبحانه لم يذكر في هذه الآية ان هذا الفريق مجابة دعوتهم او لا فقال طائفة من العلماء انهم ليسوا باهل للاجابة لان كون الانسان مجاب الدعوة صفة مدح ولا يليق الا باولياء الله والمرء من عبيده وقال آخرون قد يكون الانسان مجابا لا اكراما واجتباء بل مكرا واستدراجا ويؤيده قوله سبحانه من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وعلى هذا يصح ان يقال في الآية اضمار اي يقول ربنا آتنا في الدنيا فيؤتيه الله في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق لان همته مقصورة على الدنيا والحسنتان في دعاء الصالحين اما في الدنيا فالصحة والامن والكفاية والولد الصالح والزوجة الصالحة والنصرة على الاعداء وقد سمى الله تعالى الخصب والسعة في الرزق وما اشبه ذلك حسنة ان تصبك حسنة تسؤهم قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين قيل اما النصرة واما الشهادة واما في الآخرة فالفوز بالثواب والخلاص من العقاب لان دفع الضرر اهم من جلب النفع صرح بذلك في قوله وقنا عذاب النار وهذه بالجملة كلمة جامعة لجميع خيرات الدنيا والآخرة روى حماد بن سلمة عن ثابت انهم قالوا لانس ادع لنا فقال اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فقالوا زدنا فاعادها فقالوا زدنا فقال ما تريدون قد سألت لكم خير الدنيا والآخرة وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقيل الحسنة في الدنيا العلم النافع وهو الايمان والطاعة وفي الآخرة التنعم بذكر الله والانس به وبرؤيته قلت لا تلذذ في الدنيا والآخرة الا بهذا الجسم مني للجليس مجالس وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي وعن قتادة الحسنتان طلب العافية في الدارين وعن الحسن هي في الدنيا فهم كتاب الله وفي الآخرة الجنة ومنشأ البحث مجيء الحسنة منكرة في حيز الاثبات فكل من المفسرين حمل اللفظ على ما رآه احسن انواع الحسنة عقلا او شرعا ويمكن ان يقال التنوين للتعظيم اي حسنة واي حسنة او يريد حسنة توافق حال الداعي وحكمة المدعو وفيه حسن الطلب وغاية الطلب لادب ليس في التصريح به فانه لا يكون الا ما يشاء او يريد حسنة ما وان كانت قليلة فان النظر الى المنعم لا الى الانعام قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل . اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب اي نصيب مما كسبوا من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة فمن للابتداء ويحتمل التعليل اي من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا والكسب ما يناله المرء بعمله ومنه يقال للارباح المكاسب فلان او لهم نصيب مما دعوا به يعطيهم بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب السرعة نقيض البطؤ والحساب مصدر كالمحاسبة وهو العد قال الزجاج هو مأخوذ من قولك حسبك كذا اي كفاك وذلك ان فيه كفاية وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان ومعنى كون الله محاسبا للخلق قيل انه يعلمهم ما لهم وعليهم بان يخلق العلم الضروري في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب والعقاب ووجه هذا المجاز ان الحساب سبب لحصول علم الانسان بما له وعليه فاطلاق الحساب على هذا الاعلام اطلاق اسم السبب على المسبب عن ابن عباس انه قال لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدي الله يعطون كتبهم بايمانهم فيها سيئاتهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسناتهم ويقال هذه حسناتكم قد ضعفتها لكم وقيل انما

في بيان حسنة الدنيا وحسنة الآخرة



المجازاة وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا ووجه المجاز أن الحساب سبب للأخذ والإعطاء وقيل إنه تعالى يكلم العباد في أحوال أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب والعقاب فمن قال إن كلامه ليس بحرف ولا صوت قال إنه تعالى يخلق في أذن المكلف سمعا يسمع به كلامه القديم كما يخلق في عينه رؤية يرى بها ذاته القديمة ومن قال إنه صوت قال إنه تعالى يخلق كلاما يسمعه كل مكلف إما بأن يخلق ذلك الكلام في أذن كل واحد منهم وفي جسم تقرب من أذنه بحيث لا يبلغ قوة ذلك الصوت مبلغا يمنع الغير من فهم ما كلف به فهذا هو المراد من كونه محاسبا للخلق ومعنى كونه سريع الحساب أن قدرته تعالى متعلقة بجميع الممكنات من غير أن يفتقر في إحداث شيء إلى فكر وروية ومدة وعدة ولذلك ورد في الخبر أنه يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة وروي في لمحة وأنه سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم لأنه قادر على أن يعطي مطالب جميع الخلائق في لحظة واحدة كما ورد في المأثور يا من لا يشغله سمع عن سمع وأن وقت جزائه وحسابه سريع يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد كقوله اقترب للناس حسابهم قوله تعالى واذكروا الله أي بالتكبير في أدبار الصلوات وعند الجمار يكبر مع كل حصاة وفيه دليل على وجوب الرمي لأن الأمر بالتكبير أمر بالذي يتوقف التكبير على حضوره وإنما خص هذه السنة لأنهم ما كانوا منكرين للرمي وإنما كانوا يتركون ذكر الله تعالى عنده في أيام معدودات هي أيام التشريق ثلثة أيام بعد النحر أولها يوم القر لأن الناس يستقرون فيه بمنى والثانية يوم النفر الأول لأن بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر الثاني عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي أن رسول الله صلعم أمر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج وأيام منى ثلثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه واعلم أن التكبير المشروع في غير الصلوة وخطبة العيدين نوعان مرسل ومقيد فالمرسل هو الذي لا يتقيد ببعض الأحوال بل يؤتى به في المنازل والمساجد والطرق ليلا ونهارا كما مر في تفسير قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم وذكرنا صورة التكبير هناك أيضا ولا فرق في التكبير المرسل بين عيد الفطر والأضحى وأما التكبير المقيد فأظهر الوجهين أنه لا يستحب في عيد الفطر لم ينقلوا ذلك عن رسول الله صلعم ولا أصحابه وإنما يستحب في الأضحى وتقييده هو أن يؤتى به في أدبار الصلوات خاصة واختلفوا في ابتدائه وانتهائه فقيل من ظهر يوم النحر إلى ما بعد طلوع الصبح من آخر أيام التشريق فيكون التكبيرات على هذا في خمس عشرة صلوة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال مالك والشافعي في أشهر قوليه وحجتهم أن الناس فيه تبع للحاج وهم يبتدئون التكبير عقيب الظهر يوم النحر إلى مضي خمس عشرة صلوة فيكون آخرها صلوة الصبح من آخر أيام منى وذكرهم قبل ذلك التلبية والقول الثاني للشافعي أنه يبتدئ به من صلوة المغرب ليلة النحر إلى الصبح من آخر أيام التشريق فيكون التكبير في أعقاب ثماني عشرة صلوة المغرب والقول الثالث أنه يبتدئ من صلوة الفجر يوم عرفة وينقطع بعد صلوة العصر من يوم النحر فيكون التكبيرات بعد ثماني صلوة وهو قول علقمة والأسود والنخعي وأبي حنيفة رح اعترض عليه بأن هذه التكبيرات تنسب إلى أيام التشريق فوجب أن يؤتى بها فيها وإن انضم بها زمان آخر فلا أقل من أن يكون هي الأغلب والقول الرابع يبتدئ بها من صلوة الفجر يوم عرفة وينقطع بعد صلوة العصر من آخر أيام التشريق فيكبر عقيب ثلث وعشرين صلوة وهو قول أكابر الصحابة كعمر وعلي رض وابن مسعود ومن الفقهاء قول الثوري وأبي يوسف ومحمد وأحمد وإسحق والمزني لما روى جابر أن النبي صلعم صلى الصبح يوم عرفة ثم أقبل علينا وقال الله أكبر ومد التكبير إلى العصر من آخر أيام التشريق ولأن هذا هو الأحوط فتكثير التكبير خير من تقليله وعلى هذا القول إنما يكون التكبيرات مضافة إلى أيام التشريق لأنها أكثر تلك المدة قال الجوهري تشريق اللحم تقديده ومنه أيام التشريق لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها في الشمس وقيل هو من قولهم أشرق ثبير كيما نغير وقيل سميت بذلك لأن الهدي لا ينحر حتى تشرق الشمس ولما رمى في أيام التشريق فإنه يجب أن يرمي كل يوم بين الزوال والغروب بكل جمرة من الجمرات الثلث التي تمم مبتدأ من الجمرة الأولى من جانب المزدلفة ويختتمها برمي جمرة العقبة وهي التي تلي مكة رميات سبعا في سبع دفعات لأن النبي صلعم كذلك رماها وقال خذوا عني مناسككم فجملة ما يرمي في الحج سبعون حصاة يرمي إلى جمرة العقبة يوم النحر سبع حصاة وإحدى وعشرون في كل يوم من أيام التشريق إلى الجمرات الثلث إلى كل واحدة سبع لتواتر النقل به قولا وفعلا ويكبر مع كل حصاة وعلى الحجيج أن يبيتوا بمنى الليلتين الأوليين من ليالي التشريق فإذا رموا اليوم الثاني من أراد منهم أن ينفر قبل غروب الشمس فله ذلك ويسقط عنه مبيت الليلة الثالثة والرمي من الغد وذلك قوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه فمن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه أن يبيت الليلة الثالثة ويرمي يومها وبه قال أحمد ومالك والشافعي وعند أبي حنيفة يسوغ النفر ما لم يطلع الفجر فإذا طلع لزم التأخر إلى تمام الأيام الثلثة وذلك قوله تعالى ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى قال في الكشاف تعجل واستعجل يجيئان متعديين مثل تعجل الذهاب واستعجله ويجيئان مطاوعين بمعنى عجل وهذا أوفق لقوله ومن تأخر والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند أبي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز كسائر الأيام وقد سئل ههنا أن المتأخر قد استوفى ما عليه من العمل فكيف ورد في حقه فلا إثم عليه وهذا إنما يقال في حق المقصر الذي يظن أنه قد قصر وأثم فيما أقدم عليه وأجيب بأن الرخصة قد يكون عزيمة كالقصر عند أبي حنيفة والشيعة لا يجوز في السفر غيره فلما كان هذا الاحتمال رفع الحرج في الاستعجال والتأخر دلالة على أن الحاج مخير بين الأمرين وبأن أهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من يجعل المتعجل آثما ومنهم من يجعل المتعجل آثما ومنهم من يجعل المتأخر آثما مخالفا لسنة الحج فبين الله تعالى أن لا إثم على واحد منهما وقيل المبالغة في إزالة الإثم عن المتأخر إنما هو لمن زاد على مقام الثلثة فكأنه قيل إن أيام منى التي ينبغي المقام بها فيها ثلثة فمن نقص فلا إثم عليه ومن زاد على الثلثة ولم ينفر مع عامة الناس فلا شيء عليه وقيل إن الآية سيقت لبيان أن الحج مكفر للذنوب والآثام لا لبيان أن التعجل وتركه سيان كما أن الإنسان إذا تناول الترياق فالطبيب يقول له الآن إذا تناولت السم فلا بأس وإن لم تتناول فلا بأس مريدا أن الترياق دواء كامل في دفع المضار لا أن تناول السم وعدم تناوله يجريان مجرى واحدا وقيل إن مجاورة البيت مكروه عند كثير من العلماء لأن ذلك ربما يفضي إلى نقص حشمته



البيت وقعت في قلبه هيبة فامكن ان يختلج في قلب احد ان التعجيل افضل بناء على هذا المعنى ولما في التعجيل من المسارعة الى طواف الزيارة فبين تعالى انه لا حرج في واحد منهما وقال الواحدي هذا من باب رعاية المقابلة والمشاكلة مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها بل ههنا اولى لان المندوب يصدق عليه انه لا اثم على صاحبه وجزاء السيئة ليس بسيئة اصلا واما قوله تعالى لمن اتقى اى ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي كيلا يتخالج في قلبه اثم منهما فان ذا التقوى متحرز من كل ما يريبه وقيل معناه ان هذه المغفرة انما يحصل لمن كان متقيا قبل حجه كقوله انما يتقبل الله من المتقين اولمن كان متقيا عن جميع المحظورات حال اشتغاله بالحج وقوله واتقوا الله اى فيما يستقبل فيه حث على ملازمة التقوى فيما بقي من عمره وتنبيه على مجانبة الاغترار بالحج السابق كما ان قوله واعلموا انكم اليه تحشرون توكيد للامر بالتقوى وبعث على التشدد فيه لان الحشر وهو اسم يقع على ابتداء خروج الناس من الاجداث الى انتهاء الموقف يوجب تصوره لزوم سيرة الاتقاء عن ترك الواجبات وفعل المحظورات والمراد من قوله اليه انه حيث لا مالك سواه ولا ملجأ الا اليه ولا مستعان الا هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله التاويل الحج اشهر معلومات هي مدة الحيوة الفانية وقيل الى اربعين سنة ولهذا قيل الصوفي بعد الاربعين بارد نعم لو صدق طلبه قبل الاربعين لما امكنه الوصول فرب من يحصل مقصوده بعد الاربعين ومن فاته الطلب في عنفوان شبابه الى ان بلغ الاربعين فيجري منه عليه الحيف او ضيع اللبن في الصيف لكنه يصلح للعبادة التي اجرها الجنة فلا رفث لا يميل الى الدنيا وزينتها ويهجرها كالمحرم بعد الاغتسال بماء الانابة متزر بازار التواضع والانكسار ومتردي برداء التذلل والافتقار ولا فسوق ولا خروج من الاوامر والنواهي بل لا يخرج من حكم الرفث ولا يدخل فيما يورث المقت ولا جدال في الحج لا نزاع للسالك الصادق في طلب الوصول لا بالفروع ولا بالاصول فلا في ظاهرها مع احد يخاصم ولا في خفيها لاحد يزاحم فمن نازعه في شيء من ذلك يسلمها اليه ويسلم عليه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وتزودوا ولكل سالك زاد فزاد اولي القشور كعك وسويق وهم الذين مقصدهم البيت ومقصودهم الجنة وزاد اولي الالباب التقوى وهم من مقصدهم ومقصودهم رب البيت وتقوى اهل القشور مجانبة الزلات وطول الطاعات وتقوى اولي الالباب مجانبة الصفات بالصفات والذات بالذات فلما كان مقصودهم خير المقاصد كان زادهم خير الزاد ان تبتغوا فضلا مقام ابتغاء الفضل يعني الرحمة بترك الوجود وبذل المجهود وهو في سيره الى عرفات ومقام ابتغاء بمعنى الرزق هو قبل سيره الى عرفات وقال جمع من المحققين انه بعد استكمال الحج الحقيقي لانه لقوة عرفانه بالله لا يضره الدنيا بل يكون تصرفه فيها بالله في الله لله عند المشعر الحرام يعني القلب الذي حرام عليه الاطمينان بغير ذكر الله واذكروه كما هديكم اى كما علمكم اهدكم بهدي نفوسكم كيلا تقع في خطر حب الدنيا وان كنتم من قبله الوقوف بعرفات المعرفة من الظالمين وحظوظ النفس ثم من حيث افاض الناس يعني محمدا وسائر الانبياء والاولياء اى ليكن الافاضة من عرفات المعرفة لاجل اداء الحقوق بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واستغفروا الله لاجل ما ذا لتغين المخالطة مع الخلق كقوله اذا جاء نصر الله الى قوله واستغفره اى اذا وجدت هذا لا يخلو عن حظ ما فاستغفره فاذا قضيتم مناسككم الوصال وبلغتم مبلغ الرجال فلا تامنوا مكر الله وواظبوا على الذكر كذكركم اباءكم في صغركم للافتقار وفي كبركم للافتخار او اشد ذكرا لانه يمكن الاستغناء من الاب ولا يمكن الاستغناء من الله والله سريع الحساب لان الطاعة واثر المعصية تظهر في الحال على القلب في ايام معدودات هي ايام البداية والوسط والنهاية فمن تعجل في يومين وقف على الوسط ليكون من اهل الجنة فلا اثم عليه ومن تاخر الى ان يصل يوم النهاية حتى يكون من اهل الله فذلك لمن اتقى الرجوع والوقوف والله ولي التوفيق وهو حسبي

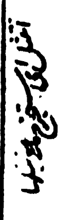
ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام *وبعضی از مردمان کسی است که شگفت آرد ترا گفتار او در زندگانی دنیا و گواه کرد خدا را بر آنچه در دل اوست و او سخت ترین دشمنان* واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد *و چون رو گرداند بشتابد در زمین تا فساد کند در آن و نابود کرد کشت و نطفه را و خدا دوست ندارد فساد را* واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد *و چون گفته شود با او که بپرهیز از خدا او را در راو عزت بر گناه پس کافی است او را دوزخ و بد آرامگاهی است* ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد *و از جمله مردمان کسی است که میفروشد نفس خود را بجهة خواهش خوشنودی خدا و خدا مهربانست ببندگان* يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة *ای آنچنان کسانی که گرویده اید در آیید در اسلام همه* ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين *و پیروی مکنید گامهای شیطان را بدرستی که او مر شما را دشمنی است هویدا* فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم *پس اگر رو گردانیدید پس از آنکه آمد شما را گواهان پس بدانید که خدا غالب است* هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور *آیا انتظار دخول کشند مگر آنکه در رسد فرمان خدا در سایهای ابر و فرشتگان و تمام شود فرمان و بسوی خدا بر گردد کارها*

القراءة مرضات بالامالة والوقف بالهاء علي وكذلك يقف على هيهات هيهات وعلى ذات ولات وعلى افرايتم اللات والعزى وعلى مريم ابنة ابنه وافق ابو عمرو في لات حين بالهاء السلم بفتح السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وعلي الباقون بالكسر والملائكة بالجر يزيد عطفا على ظلل او على الغمام والجوار وان كان فاعل ايتهم الباقون بالرفع ترجع الامور حيث كان بفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي وخلف وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بضم التاء وفتح الجيم الوقوف قلبه لا لان الواو للحال الخصام والنسل ط الفساد ط جهنم ط المهاد ط مرضات الله ط بالعباد ط كافة ص لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط لاحتمال الجواز مبين حكيم وقضي الامر ط الامور ولما بين الحج الى التعديد فرق الناس بحسب اغراضهم في الدعاء ناسب ان يعطف على ذلك تقسيم اخر يعرف منه طائفة انظار الناس على الاطلاق ليعرف ذلك ذناب النفاق من اصحاب الوفاق عن السدي نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وهو حليف بني زهرة اقبل

بیان اهل التقوی و قول الالباب

طلب الدنیا

الى النبي صلعم بالمدينة فاظهر له الاسلام وزعم انه يحبه فقال والله يعلم اني لصادق فلما خرج من عند النبي صلعم مر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فاحرق الزرع و
عقر الحمر وقيل انه اشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر فقال لهم ان محمدا صلعم ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه سائر الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس
به فقالوا نعم الرأي ما رأيت ثم خنس بثلثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلعم فسمي بهذا السبب خنس وكان اسمه ابي بن شريق فبلغ ذلك رسول الله
فاعجبه وعن ابن عباس والضحاك ان كفار قريش بعثوا الى النبي صلعم انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك فبعث اليهم جماعة فلما كانوا ببعض
الطريق ركب من الكفار سبعون راكبا فاحاطوا بهم فقتلوهم وصلبوهم ففيهم نزلت وقوله بعد ذلك ومن الناس من يشري اشارة الى هؤلاء الشهداء
واختيار المحققين من المفسرين انه لا يمتنع ان يكون الاية نازلة في الرجل ثم تكون عامة في امثاله فهذه الاية عامة في المنافقين فان السنتهم
محلولية وقلوبهم امر من الصبر والضمير في يعجبك قوله يعود الى من ويحتمل ان يكون جمعا ولكنه افرد نظرا الى اللفظ ومعنى يعجبك يروقك ويعظم في قلبك وفي
الحيوة الدنيا اما ان يتعلق بقوله اي يعجبك ما يقوله في باب الدنيا لطلب المصالح العاجلة فقط كالامان من القتل والاخذ من المغانم واما ان يتعلق
بيعجبك لان قوله حلو وكلامه مما يعجب السامع في الدنيا ولا يعجبه في الاخرة لما يرهقه في الموقف من الهيبة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام والخطاب
اما للنبي صلعم او لكل سامع ويشهد الله على ما في قلبه يحتمل ان يكون ذلك الاستشهاد بالحلف او ان يكون بقوله يشهد الله على ما في قلبي من محبتك ومن
الاسلام وهو الد الخصام الالد الشديد الخصومة واللديدان جانبا الوادي كان كلا من المتخاصمين في جانب ومنه اللدود وهو ما يصب من الادوية
في احد شقي الفم واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر وقيل لطف وجعل الخصام الد على المبالغة نحو جد جده والخصام جمع خصم كصعاب
في صعب والمعنى هو اشد الخصوم خصومة والحاصل انه جدل بالباطل شديد الفسق في معصية الله عالم اللسان جاهل العمل واذا تولى عنك وذهب بعد
الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل باموال المسلمين من احراق الزرع وعقر المواشي واصل السعي المشي بسرعة وقد يستعار
لايقاع الفتنة والتضريب بين الناس وقيل لما انصرف من بدر مر ببني زهرة وكان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم
وعلى هذا فيقع قوله ويهلك الحرث والنسل تفصيلا للاجمال في قوله ليفسد وقيل فساده هو القاء الشبه في عقائد المسلمين وعلى هذا فيكون اهلاك
الحرث والنسل بمعنى اخر وهذا التفسير مناسب لان كمال الانسان بالعلم والعمل ونقصه بضدهما فيكون الافساد اشارة الى نقص قوته النظرية والاهلاك
عبارة عن فعل المنكرات وفيه نقصان قوته العملية وقيل واذا تولى اي اذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث و
النسل فالحرث الزرع والنسل الولد وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل فالحرث الزرع والنسل الولد وتنسلت الناقة
تولد كثيرا والتركيب يدل على الخروج وقيل اهلاك الحرث قتل النسوان نساؤكم حرث لكم واهلاك النسل افناء الصبيان والله لا يحب الفساد قالت
المعتزلة معناه لا يريد الفساد وفيه دليل على انه لا يريد القبائح واذا لم يردها لم يخلقها لان الخلق لا يمكن الا بالارادة ومنع من ان المحبة نفس الارادة
بل المحبة عبارة عن مدح الشيء وذكره بالتعظيم ثم الدليل الدال على ان لا مرجح لاحد جانبي كل ممكن على الاخر الا الله والا انسد باب اثبات الصانع يدل على
ان الكل بارادته ومشيته وقد مر تحقيق ذلك فيما سلف واعلم انه سبحانه حكى عن المنافق جملة من الافعال الذميمة اولها حسن كلامه في طلب الدنيا وثانيها
استشهاده بالله كذبا وبهتانا وثالثها الحاحه في ابطال الحق واثبات الباطل ورابعها سعيه في الارض للافساد وخامسها سعيه في اهلاك الحرث والنسل ووقع
قوله والله لا يحب الفساد جملة معترضة ثم ذكر خصلة سادسة اشنع الكل دالة على جهله المركب وخروجه عن ان يرجى منه خير وذلك قوله واذا قيل له اتق الله
في ارتكاب شيء من هذه المنهيات والقائل اما الرسول قولا خاصا او عاما لجميع المكلفين فيدخل المنافق فيه واما كل واعظ وناصح اخذته العزة بالاثم
من قولهم اخذته بكذا اي الزمته ذلك وحملته عليه اي اخذته الغلبة والاستيلاء والانفة وحمية الجاهلية ان يعمل الاثم وذلك الاثم هو ترك الالتفات
الى هذا الوعظ وعدم الاصغاء اليه ومن قولهم اخذته الحمى لزمته واخذه الكبر اعتراه ذلك والمعنى لزمته عزة العزة الحاصلة بسبب الاثم الذي في قلبه وذلك

الاثم هو الكفر والجهل وعدم النظر في الدلائل فحسبه جهنم كافية هي جزاءه يستوي فيه الواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث لانه مصدر ورفعه على الخبرية له
الابتداء اذا كان ما بعده معرفة وعلى الابتداء فقط ان كان نكرة مثل حسبك درهم وعلى هذا يكون الاضافة معنوية البتة وعلى تقدير كونه خبرا لو وقع
المعرفة بعده يكون الاضافة لفظية اي محسبه كافيه قال يونس واكثر النحويين جهنم اسم للنار التي يعذب الله بها في الاخرة وهي عجمية وفيها العلمية والتانيث
وقال اخرون انه اسم عربي سميت نار الاخرة بها لبعد قعرها حكي عن رؤبة انه قال ركية جهنام بكسر الجيم والهاء اي بعيدة القعر وقيل اشتقاقها من الجهومة
وهي الغلظ ومنه رجل جهم الوجه اي غليظه سميت بذلك لغلظ امرها في العذاب والعقاب ولبئس المهاد اي ما مهد لاجله وان المعذب في النار يلقى على النار
كما يوضع الشخص على الفراش ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى التمهيد والتوطئة قوله ومن الناس من يشري الاية قال سعيد بن المسيب اقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلعم

فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته واخذ قوسه ثم قال والله لا تصلون الي او ارمي بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شئتم
دللتكم على مالي دفنته بمكة وخليتم سبيلي ففعلوا فلما قدم على رسول الله صلعم نزلت فقال رسول الله صلعم ربح البيع ابا يحيى وتلا الاية وقيل اخذ المشركون
صهيبا فعذبوه فقال لهم صهيب اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني وديني ففعلوا ذلك وكان قد شرط
عليهم راحلة ونفقة فخرج الى المدينة فتلقاه ابو بكر وعمر في رجال فقال له ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى فقال صهيب وبيعك فلا تخسر ما ذاك فقال نزلت
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سمع عمر بن الخطاب انسانا يقرا هذه الاية فقال عمر انا لله قام رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل وقيل نزلت

فی علی حین بات علی فراش رسول الله صلی الله علیه وسلم لیلة خروجه الی الغار ویروی انه لما نام علی فراشه قام جبرئیل عند رأسه ومیکائیل عند رجلیه وجبرئیل ینادی بخ بخ من مثلک یا ابن ابی طالب یباهی الله بک الملائکة ونزلت الایة ثم ان الایة تدل علی ان ههنا مبایعة فاکثر المفسرین علی ان العامل هو البایع ومعنی یشری یبیع ویشروه بثمن بخس والله هو المشتری ان الله اشتری من المؤمنین انفسهم واموالهم وعمل المکلف هو بذله نفسه فی طاعة الله من الصلوة والصیام والحج والجهاد وهو الثمن والجنة هی الثمن وقیل یحتمل ان یراد بالشری ههنا الاشتراء وذلک ان من قدم علی الکفر والمعاصی فکان نفسه خرجت عن ملکه وصار حقا للنار واذا اقدم علی الطاعة صار کانه اشتری نفسه من النار فصار حال المؤمن کالمکاتب یبذل دراهم معدودة ویشتری بها نفسه والمؤمن یبذل انفاسا معدودة ویشتری بها نفسه لکن المکاتب عبد ما بقی علیه درهم فکذا المکلف لا ینجو عن ربقة العبودیة ما دام یبقی له نفس واحد فی الدنیا وهذا قول عیسی واوصانی بالصلوة والزکوة ما دمت حیا وقوله عز من قائل لنبیه فاعبد ربک حتی یاتیک الیقین وابتغاء مرضات الله ای طلب رضوانه علی العلة الغائیة وفیه دلیل علی ان کل مشقة یحتملها الانسان یجب ان یکون علی وفق الشرع ومطلوبا بها جانب الحق والا کان عمله ضلالا وکده وبالا والله رؤف بالعباد فمن رافته جعل النعیم الدائم جزاء علی العمل القلیل وجوز لهم کلمة الکفر ابقاء علی النفس الا من اکره وقلبه مطمئن بالایمان ومن رافته انه لا یکلف نفسا الا وسعها ومن رافته ان المصر علی الکفر مائة سنة اذا تاب ولو فی لحظة اسقط عقابه واعطاه ثوابه ومن رافته ان النفس له والمال له ثم انه یشتری ملکه بملکه فضلا منه وامتنانا ورحمة واحسانا قوله سبحانه یا ایها الذین امنوا ادخلوا فی السلم کافة اصل السلم بالکسر والفتح الاستسلام والطاعة ویطلق ایضا علی الصلح وترک الحرب والمنازعة وهو ایضا یرجع الی هذا وانه یذکر ویؤنث واختلف فی المخاطبین فقیل المراد المسلمین بما یضاد حال المنافقین ای الذین امنوا بالالسنة والقلوب ودوموا علی الاسلام فیما تستأنفونه من ایامکم ولا تخرجوا منه ولا من شیء من شرائعه ولا تتبعوا خطوات الشیطان لا تلتفتوا الی الشبهات التی یلقیها الیکم اهل الغوایة والکائن فی الدار اذا علم ان له فی المستقبل خروجا منها لا یمتنع ان یؤمر بدخولها فی المستقبل حالا بعد حال معلوم وان المؤمنین قد یخرجون من خصال الایمان بالنوم والسهو وغیرهما من الاحوال فلا یبعد ان یامرهم الله بالدخول فی الاسلام فیما یستأنف من الزمان وامرهم بان یکونوا مجتمعین فی نصرة الدین واحتمال البلوی فیه ولا تتبعوا اثار الشیطان بالاقبال علی الدنیا والجبن والخور فی امر الدین مثل ولا تنازعوا فتفشلوا او یکون المراد الرضاء بالقضاء والتلقی لجمیع المکاره بالبشر والطلاقة کما ورد فی الخبر الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم او یکون المراد ترک الانتقام وسلوک طریق العفو والاغماض واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله کافة یصلح ان یکون حالا من المامورین ای ادخلوا باجمعکم فی السلم ولا تتفرقوا ولا تختلفوا وان یکون حالا من السلم علی انها مؤنث کالحرب ای ادخلوا فی شرائع الاسلام کلها واصل الکف المنع فیسمی الجمیع کافة لان الاجتماع یمنع التفرق والتبدد ورجل مکفوف ای کف بصره من ان ینظر وکفة القمیص لانها یمنع الثوب من الانتشار والکف طرف الید لانه یکف بها عن سائر البدن وقیل الخطاب للمنافقین والتقدیر یا ایها الذین امنوا بالسنتهم ادخلوا بکلیتکم فی الاسلام ولا تتبعوا اثار تزیین الشیطان وتسویله بالاقامة علی النفاق وقیل نزلت فی مسلمی اهل الکتاب کعبد الله بن سلام واصحابه حین ارادوا ان یقیموا علی بعض شرایع موسی کتعظیم السبت وقراءة التوریة واستاذنوا رسول الله صلی الله علیه وسلم فی ذلک فامروا ان یدخلوا فی شرایع الاسلام کافة ولا یتمسکوا بشیء من احکام التوریة لثبوت نسخها بالکلیة فان التمسک بها بعد ما تبین نسخها من اتباع اثار الشیطان وقیل السلم الاسلام والخطاب لاهل الکتاب والمعنی یا ایها الذین امنوا بالکتاب المتقدم کملوا طاعتکم بالایمان بجمیع انبیائه وکتبه ولا تتبعوا خطوات الشیطان بالشبهات التی یتمسکون بها فی بقاء تلک الشریعة انه لکم عدو مبین عن ابی مسلم ان المبین من صفات البلیغ الذی یعرب عن ضمیره ولا یخفی انه اعرب عن عداوته لادم ونسله وقیل مبین من الابانة القطع وذلک انه یقطع المکلف بوسوسته عن طاعة الله وثوابه ورضوانه قوله فان زللتم المخاطبون ههنا هم المخاطبون فی قوله ادخلوا فیجیء الخلاف ههنا بحسب الخلاف هناک والمعنی العام فان دحضت اقدامکم وانحرفتم عن الطریق الذی امرتم به من بعد ما جاءتکم البینات الدلائل العقلیة والسمعیة علی ان ما دعیتم الی الدخول فیه هو الحق فاعلموا ان الله عزیز غالب لا یعجزه الانتقام منکم وهذه نهایة فی الوعید کما قال الوالد لولده ان عصیتنی فانت عارف بی وبشدة سطوتی کان ابلغ فی الزجر من التصریح بضرب من ضروب العذاب وکما ان قوله عزیز یشتمل علی الوعید البلیغ فقوله حکیم یشتمل علی الوعد الحسن فان اللائق بالحکمة تمییز المحسن من المسیء وان لا یسوی بینهما فی الثواب والعقاب روی ان قارئا قرأ غفور رحیم فسمعه اعرابی فانکره ولم یقرأ القرآن وقال ان کان هذا کلام الله فلا یقول کذا الحکیم لا یذکر الغفران عند الزلل لانه یکون اغراء علیه قوله هل ینظرون الا ان یاتیهم الله الایة معنی النظر ههنا الانتظار واما اتیان الله فقد اجمع المفسرون علی انه سبحانه منزه عن المجیء والذهاب لان هذا من شان المحدثات المرکبات فانه تعالی ازلی فرد فی ذاته وصفاته فذکروا فی الایة وجهین الاول وهو مذهب السلف الصالح السکوت فی مثل هذه الالفاظ من التاویل وتفویض معناه الی مراد الله تعالی کما یروی عن ابن عباس انه قال نزل القرآن علی اربعة اوجه وجه لا یعرف احد بجهالته ووجه یعرفه العلماء ویفسرونه ووجه یعرفه من قبل العربیة فقط ووجه لا یعلمه الا الله الثانی وهو قول جمهور المتکلمین انه لا بد من التاویل علی سبیل التفصیل فقیل جعل مجیء الایات مجیئا له تفخیما لها کما یقال جاء الملک اذا جاء جیش عظیم من جهته وقیل المراد اتیان امره وباسه فحذف المضاف بدلیل قوله فی موضع اخر او یاتی امر ربک فجاءهم باسنا وایضا اللام فی قوله وقضی الامر یدل علی معهود سابق وما ذاک الا الذی اضمرناه لا یقال امر الله عندکم صفة قدیمة فالاتیان علیها محال وعند المعتزلة اصوات فیکون اعراضا فالاتیان علیها ایضا محال لانا نقول الامر قد یطلق علی الفعل وما امر فرعون برشید ای فالمراد مایلیق





بتلك المواقف من الاهوال واظهار الآيات المهيبة وان حملنا الامر على ضد النهي فالمعنى بعد ان مناديا ينادي يوم القيمة الا ان الله يامركم بكذا ومعنى كونه في ظلل من الغمام ان سماع ذلك النداء ووصول تلك الظلل يكون في آن واحد ويكون المراد حصول اصوات مقطعة مخصوصة في تلك الغمامات تدل على حكم الله تعالى على كل احد بما يليق به من السعادة والشقاوة او انه تعالى يخلق نقوشا منظومة في ظلل من الغمام لشدة بياضها وسواد تلك الكتابة يعرف بها حال اهل الموقف في الوعد والوعيد ويكون فائدة الظلل انه تعالى جعلها امارة لما يريد انزاله بالقوم ليعلموا ان الامر قد حضر وقيل المأتي به محذوف والمعنى الا ان ياتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله عزيز وفائدة الحذف كونه ابلغ في الوعيد لانقسام خواطرهم وذهاب فكرتهم في كل وجه وقيل ان في بمعنى الباء اي ياتيهم الله بظلل من الغمام والمراد العذاب الذي ياتيهم في الغمام مع الملائكة وقيل الغرض من ذكر الاتيان ان الله تصوير غاية الهيبة ونهاية الفزع كقوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا قبض ولا طي ولا يمين وانما الغرض تصوير عظمة شانه وقيل بناء على ان الخطاب في ادخلوا وذللتم لليهود المراد انهم لا يقبلون دين الحق الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وذلك ان اليهود كانوا على اعتقاد التشبيه يجوزون المجيء والذهاب على الله تعالى ويقولون انه تعالى تجلى لموسى على الطور في ظلل من الغمام فطلبوا مثل ذلك في زمن محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون الكلام حكاية عن معتقد اليهود ولا يبقى اشكال فان الآية لا تدل الا على ان قوما ينتظرون اتيان الله وليس فيها دلالة على انهم محقون في ذلك الانتظار ام مبطلون والظلل جمع ظلة وهي ما اظلك والغمام لا يكون كذلك الا اذا كان مجتمعا ومتراكما فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة منها تكون في غاية الكثافة والعظم فكل قطعة ظلة والجمع ظلل والاستفهام ههنا في معنى النفي اي ما ينتظرون الا ان ياتيهم عذاب الله في ظلل من الغمام وفيه تفظيع شان العذاب وتهويله لان الغمام مظنة الرحمة واذا نزل منه العذاب كان اشنع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يتوقع الخير ونزول الغمام علامة لظهور الاهوال في القيمة قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا واستعير لتتابع العذاب تتابع القطر واتيان الملائكة ليقيموا بما امروا به من تعذيب وتخريب ولا حاجة الى التاويل لان اتيانهم ممكن وقضي الامر فرغ من امر اهلاكهم وتدميرهم او عما كانوا يوعدون به فلا يقال لهم عثرة ولا يصرف عنهم عقوبة ولا ينفع في دفع ما نزل بهم حيلة والتقدير الا ان ياتيهم الله ويقضي الامر فوضع الماضي موضع المستقبل اما للتنبيه على قرب العذاب او السا عة كل ما هو آت قريب واما لان اخبار الله تعالى كالواقع المقطوع به وقيل الامر المذكور ههنا هو فصل القضا بين الخلائق واخذ الحقوق لاربابها وانزال كل احد من المكلفين منزلته من الجنة او النار وعن معاذ بن جبل وقضاء الامر مصدر مرفوع عطفا على لفظ الله والملائكة والى الله ترجع الامور وذلك انه ملك في الدنيا عباده كثيرا من امورهم وخلقهم ما اذا صار والى الآخرة فلا مالك للحكم بين العباد سواه وهذا كقوله امر كل امير اذا كان هو مختص بالنظر فيه وعلى المكلفين ان يدخلوا في السلم كافة وان يحترزوا عن اتباع آثار الشيطان كما نهى ثم ان الامور ترجع اليه جل جلاله وهو تعالى يرجعها الى نفسه بافناء الدنيا واقامة القيمة فهذا معنى القراءتين في ترجع وايضا قراءة ضم التاء وفتح الجيم على مذهب العرب في قولهم فلان معجب بنفسه يقول الرجل لغيره الى اين يذهب به وان لم يكن احد يذهب به والمراد ان العباد يردون امورهم الى خالقهم ويعترفون برجوعها اليه اما المؤمنون فبالمقال واما الكافرون فبشهادة الحال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال التاويل النفس الامارة تظهر الاشياء المموهة والاقوال المزخرفة وترى انها اولى الاولياء ولكنها الد الاعداء وليسعى في تخريب من القلب وابطال حرث الصدق في طلب السعادة واهلاك نسل ما يتولد من الاخلاق الحميدة وتشمخ بانفها عن قبول الحق فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري هذا شان الاولياء باعوا انفسهم خالصا لوجه الله لا لاجل الجنة ادخلوا في السلم كافة اي بجميع الاجزاء والاعضاء الظاهرة والباطنة ودخول القلب في الاسلام يكون بدخول الايمان في القلب ودخول الروح في الاسلام يكون بتخلقه باخلاق الله وتسليم الاحكام والاقضية لله ودخول السر في الاسلام بفنائه في الله وبقائه بالله هذا مقام يضيق عن علمه نطاق النطق ولا يسع اظهاره في ظروف الحروف شعر وان قميصا خيط في نسج تسعة وعشرين حرفا من معانيه قاصر والله ولي التوفيق وحسبي

سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب

بپرس از بنی اسرائیل که چه قدر آوردیم ایشان را دلیلهای هویدا وهر که تغییر دهد نعمت خدا پس از آنکه بیاید او را نعمت پس خدا سخت عقوبت است آراسته شده از برای آنها که کافر شدند زندگانی دنیا ومسخرہ میکنند بر آنها که گرویدند وآنها که پرهیز کردند در مرتبه بالای آنهایند در روز قیامت وخدا روزی دهد آنرا که خواهد بدون حساب بودند مردمان طائفه یگانه پس برانگیخت خدا پیغمبرانرا مژده دهندگان وترسانندگان وفرستاد با هریک کتاب براستی تا حکم کند در میان مردم در آنچه اختلاف کردند واختلاف نکردند در آن مگر آنها که داده شده بودند کتاب را پس از آنکه آمد ایشان را گواهان بجهت کفری که در میان ایشان بود پس هدایت کرد خدا آنها را که گرویدند بجهت آنچه که اختلاف در آن کردند حق بفرمان او وخدا هدایت کند هر که را خواهد بسوی راه راست یا چنان پنداریدکه در آئید در بهشت وهنوز نرسیده باشد بشما سرگذشت آنها که پیش بودند از شما رسید بآنها سختی فقر وناخوشی وهراسان بودند تا آنکه گفت پیغمبر

ع ١٠



القراءة ليحكم بضم الياء وفتح الكاف يزيد وكذلك في آل عمران والنور في موضعين الباقون بفتح الياء وضم الكاف يقول برفع اللام نافع الباقون بالنصب الوقوف
بينة ط لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع تقدير حذف اى فبدلوا ومن يبدل العقاب من الذين امنوا م لان الذين مبتداء وفوقهم خبر ولو وصل صار
ظرفا ليسخرون وحالا لفاعل يسخرون وقبحه ظاهر يوم القيمة ط حساب ۵ ومنذرين ص لعطف المتفقين فيما اختلفوا فيه ط بينهم ج لعطف المختلفين
باذنه ط مستقيم من قبلكم ط للفصل بين الاستفهام والاخبار لان قوله ولما يأتكم عطف على ام حسبتم تقديره احسبتم ولم يأتكم متى نصر الله ط قريب التفسير
انه سبحانه لما امر بالسلم ونهى عن مقابلها ثم قال فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات اى فان اعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد ثم
بين ذلك التهديد بقوله فاعلموا ان الله عزيز حكيم ثم ثنى ذلك التهديد بقوله هل ينظرون الاية ثم ثلث التهديد بقوله سل بني اسرائيل والخطاب
للرسول صلعم او لكل احد وهذا السؤال تقريع كما يسئل الكفرة يوم القيمة والا فكثرة الايات التي اوتوها معلومة باعلام الله تعالى والمراد سل هؤلاء الحاضرين
انا لما اتينا اسلافهم ايات بينات فانكروها لا جرم استوجبوا العقاب من الله تعالى وذلك تنبيه هؤلاء الحاضرين على انهم لو زلوا عن ايات الله لوقعوا
في العذاب كما وقع اولئك المتقدمون كي يعتبروا ويتعظوا وكم يحتمل الاستفهامية والخبرية ومن اية مميزها وقد فصل بين المميز وبينها بالفعل فان كانت
استفهامية فالتقدير سلهم عن عدد ما اتيناهم الايات ليخبروك عن كيفيتها وان كانت خبرية فالمعنى سلهم عن كثير من الايات اتيناهم والايات
الواضحات اما معجزات موسى عم كفرق البحر وتظليل الغمام وتكليم الله اياه والعصا واليد ونحوها وهي تسع لقد اتينا موسى تسع ايات بينات واما
الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام فمنهم من امن واقر ومنهم من جحد بدل ومن يبدل نعمة الله قيل انها الايات والدلائل وهي اجل اقسام النعم لانها
اسباب الهدى والنجاة من الضلالة ثم ان قلنا الايات معجزات موسى فتبديلها ان الله تعالى اظهرها ليكون اسباب هدايتهم فجعلوها اسباب ضلالتهم
كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وان قلنا الاية البينة هي ما في التورية والانجيل من الدلائل على صحة نبوة محمد صلعم فتبديلها تحريفها وادخال الشبه
فيها وقيل المراد بنعمة الله ما اتاهم من اسباب الصحة والامن والكفاية فتبديلها ان لم يجعلوها واسطة الطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكاليف
بل استعملوها في غيرها او تبديلها لاجله وعلى هذا فقوله من بعد ما جاءته معناه ظاهر واما على القول الاول وهو ان المراد من النعمة الايات فمعنى مجيئها
التمكن من معرفتها او عرفانها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة فان الله شديد العقاب
قال الواحدي الرابطة محذوفة اى له والتحقيق ان ترك هذا الاضمار اولى فانه اذا علم كونه تعالى موصوفا بهذا الوصف لزم من ذلك انه يعاقب المبدل ان
شاء ولكن لا يلزم من كونه شديد العقاب للمبدل كونه متصفا بذلك صفة ذاتيا ثم قال الواحدي والعقاب عذاب يعقب الجرم ثم انه تعالى ذكر السبب
الذي لاجله كان التبديل مستمرا فقال زين للذين كفروا الاية والغرض تعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار في ترجيح الفاني من زينة الدنيا على
الباقي من نعيم الاخرة والتذكير في زين اما لان الحيوة والاحياء واحد او للفصل مع ان التانيث ليس بحقيقي عن ابن عباس ان الاية نزلت في ابي جهل
واضرابه من كبار قريش وقيل في رؤساء اليهود وعلمائهم وعن مقاتل نزلت في المنافقين ولا مانع من نزولها في جميعهم لان كلهم وهم في التنعم والراحة
كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين المهاجرين ثم المزين من هو فعن المعتزلة انهم غواة الجن والانس فحسنوا امر الاخرة في اعين الكفار وقالوا لا صحة لها
فلا تنقصوا عيشكم في الدنيا كقول من قال أأترك لذة الصهباء نقدا بما وعدوه من لبن وخمر قالوا واما الذي يقوله المجبرة من انه تعالى زين ذلك فباطل
لان المزين للشيء هو المخبر عن حسنه فاذا كان المزين هو الله تعالى فلا بد ان يكون صادقا في ذلك الاخبار فيكون فاعله المستحسن له مصيبا وان كان كافرا
واصابة الكافر كفر فهذا القول كفر وزيف بان مزين الكفر لجميع الكفار لا بد ان يكون خارجا منهم وقولهم المزين للشيء هو المخبر عن حسنه مردود وانما
المزين من يجعل الشيء موصوفا بالاوصاف الحسنة سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان الله تعالى يكون مخبرا عن حسنه من حيث انه اخبر عما فيهما من اللذات والراحات
وهذا الاخبار عما ليس بكذب والتصديق به ليس بكفر قال ابو مسلم الكفار زينوا لانفسهم والعرب يقولون اين يذهب بك لا يريدون ان ذاهبا ذهب به
ومنه قوله تعالى انى يؤفكون انى يصرفون ولما كان الشيطان لا يملك ان يحمل الانسان على الفعل قهرا فالانسان بالحقيقة هو الذي زين لنفسه والتحقيق
ان المزين هو الله تعالى كما صرح بذلك في قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وكيف لا وانتهاء جميع الحوادث اليه ظهرت في الدنيا
من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وركب في الطبائع حب الشهوات والميل الى الطيبات لا على سبيل الالجاء الذي لا يمكن تركه بل مع امكان رد
النفس عنها ليجاهد المؤمن هواه فيقصر نفسه على المباح ويكفها عن الحرام ويتم غرض الابتلاء او نقول المراد من التزيين انه تعالى امهلهم في الدنيا ولم
يمنعهم عن الاقبال عليها والحرص الشديد في طلبها وقيل ان الله تعالى زين من الحيوة الدنيا ما كان من المباحات دون المحظورات وهو ضعيف لان الله
تعالى خص هذا التزيين بالكفار والمباحات لا يختص بها الكفار وان قيل المراد من تزيين المباح للكافر انه دايم السرور به وان قلت ذات يده لكونه معقود
الهمة به لا عيش عنده الا عيش الدنيا بخلاف المؤمن فانه يتنغص من طيبات الدنيا وبهجتها وان كثر ماله وجاهه مكدرا بالخوف والوجل من الجانب الاخر
قلنا تزيين المباح في نظر الكافر بحيث يفضي به الى الاشتغال عن الاخرة مستقبح ايضا فالكلام فيه كالكلام في تزيين المحظور فيبقى الاشكال بحاله
ولا مخلص الا باسناد الكل اليه تعالى بعد تذكر ما سلف لنا مرارا في حقيقة الجبر والقدر ولما اخبر الله تعالى عنهم بانه زين لهم الحيوة العاجلة اخبر عنهم
بعد ذلك بفعل يديمونه فقال ويسخرون من الذين امنوا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم يقولون هؤلاء المساكين تركوا طيبات الدنيا و
تحملوا المتاعب لطلب الاخرة ولا يخفى انه لو بطل حديث المعاد لكان لهذه السخرية وجه لكنه لو ثبت القول بالمعاد وصح كانت السخرية منقلبة



عليهم لانهم اعرضوا عن الملك الابدى والنعيم المقيم بسبب لذات حقيرة فى انفاس معدودة فلهذا قال سبحانه والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اما
بالمكان فلانهم فى عليين وهم فى سجين فاما بالرتبة والشرف فلانهم فى معارج الانس وهم فى مهاوى الهوان ويحتمل ان يراد انهم فوقهم بالحجة لان حجج
الكفار وشبههم كانت تؤثر بوسوسة الشيطان وبمجرد استبعاد امر المعاد وحجج المتقين يوم القيمة يستند الى العيان وبمد الرحمن ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا قالوا نعم او يراد ان سخرية المؤمنين بالكافرين يوم القيمة
لكونها حقة وباقية فوق سخرية الكافرين بالمؤمنين فى الدنيا لكونها باطلة ومنقضية وفى قوله والذين اتقوا دون ان يقول امنوا كما قال من
الذين امنوا بعث على التقوى وان كرامة المؤمن منوطة بها والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير وذلك ان الكفار كانوا يستدلون بحصول
الزخارف الدنيوية لهم على انهم على الحق وبحرمان المؤمنين على انهم على الباطل فرد الله تعالى عليهم قولهم بان ذلك متعلق بمحض المشية وقد يستتبع غاية هى الاستدراج فى حق
الكافر والابتلاء فى حق المؤمن او يرزق من يشاء من مؤمن وكافر بغير حساب يكون لاحد عليه ولا مطالبة ولا سؤال سائل فالامر امره والحكم حكمه
ولا يسئل عما يفعل او من حيث لا يحتسب كما يقول الرجل اذا جاءه ما لم يكن قد قدره ما كان هذا فى حسابى فالمعنى ان الكفار وان كانوا يسخرون من فقراء
المؤمنين فلعل الله تعالى يرزق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا ولقد فعل ذلك بهم فاغناهم بما افاء عليهم من اموال صناديد قريش ورؤساء اليهود
ويسر لهم الفتوح حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصر او المراد ان ما يرزق العبد فى الدنيا من الدنيا فلحرامها عذاب ولحلالها حساب وما يرزق العبد فى الاخرة من
النعيم المقيم فبغير عذاب وبغير حساب ويحتمل ان يخص الرزق فى الاية بالمؤمنين وفى الاخرة وعلى هذا يكون معنى بغير حساب اى رزقا واسعا رغدا لا فناء له
ولا انقطاع ولا حصر كقوله يرزقون فيها بغير حساب او يقال ان المنافع الواصلة اليهم فى الجنة بعضها ثواب وبعضها تفضل كما قال ليوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله فالفضل بلا حساب ذو الحساب مما يحتاج اليه اذا اعطى شيئا ينقص قدر الواجب عما كان والثواب ليس كذلك فانه بعد انقضاء الادوار والاعصار
يكون الثواب المستحق بحكم الوعد والفضل باقيا فعلى هذا لا يتطرق الحساب البتة الى الثواب او المراد ان الذى يعطى لا نسبة له الى ما فى خزائن ملكه وقدرته فلا نسبة
للمتناهى الى غير المتناهى ومعنى بغير حساب بغير استحقاق وانما يعطى بمجرد الفضل والاحسان او معناه انه يزيد على قدر الكفاية الى عشرة بل سبعمائة من قولهم
فلان ينفق بلا حساب اذا كان لا يزيد على قدر الكفاية او انه لا يخاف نفاد ما عنده فيحتاج الى حساب ما يخرج منه قوله سبحانه كان الناس امة واحدة
الاية فيه اشارة الى ان التباغى والتحاسد والتنازع فى طلب الدنيا وطيباتها لا يختص بهذا الزمان وانما ذلك فى قديم فى الانسان ثم الامة الواحدة
كانوا على الحق او على الباطل فيه للمفسرين اقوال الاول انهم كانوا على الحق واختاره المحققون لوجوه منها قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
وهذا يدل على ان النبيين انما بعثوا حين الاختلاف وصيرورة بعضهم مبطلا ولو كانوا قبل ذلك مجتمعين على الكفر لكان بعث الانبياء اليهم اولى ومنها
النقل المتواتر ان ادم واولاده كانوا مسلمين مطيعين لله تعالى الى ان قتل قابيل هابيل حسدا وبغيا وعن ابن عباس انه كان بين ادم وبين نوح عشرة قرون
على شريعة من الحق ومنها ان وقت الطوفان لم يبق الا اهل السفينة وكلهم كانوا على الحق والدين الصحيح فلعل الناس اشارة اليهم ومنها ان الدين الحق
يتوقف على النظر والنظريات مستندة بالاخرة الى مقدمات يعلم صحتها بضرورة العقل والى ترتيب كذلك فالعقل السليم لا يغلط لو لم يعرض له سبب
من خارج فالصواب له بالذات والخطاب بالعرض وما بالذات قدم مما بالعرض بحسب الاستحقاق وبحسب الزمان ايضا فالاولى ان يقال كان الناس على
الحق ثم اختلفوا لاسباب خارجة كالبغى والحسد ويؤيده قوله تعالى كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه القول الثانى وهو مروى
عن ابن عباس والحسن وعطا انهم كانوا على الباطل لانه بعثة الانبياء مترتبة على ذلك ولو كانوا على الحق لم يحتج الى بعثتهم ولو قيل ان تقديره الاية فاختلفوا
فبعث الله كما قرأ ابن مسعود فالاصل عدم الاضمار والقراءة الشاذة لا يعتد بها ومتى كان الناس متفقين على الكفر فالوا من وفات ادم الى زمان
نوح كانوا كفارا وبحكم الاغلب وان كان فيهم بعض المسلمين كهابيل وشيث وادريس كما يقال دار الكفر وان كان فيها مسلمون القول الثالث عن
ابى مسلم والقاضى ابى بكر انهم كانوا امة واحدة فى التمسك بالشرايع العقلية وهى الاعتراف بوجود الصانع وصفاته والاشتغال بخدمته وشكر
نعمته والاجتناب عن القبائح العقلية كالظلم والكذب والعبث واحتجا بان لفظ النبيين جمع معرف فيفيد العموم والفاء يوجب التعقيب فيعلم من
ذلك ان تلك الواحدة متقدمة على جميع الشرايع فلا يكون الاستفادة من العقل ثم سئل القاضى نفسه فقال اوليس اول الناس ادم وانه كان
نبيا مبعوثا واجاب بانه يحتمل ان يكون مع اولاده متمسكين بالشرايع العقلية اولا ثم ان الله تعالى بعثه الى اولاده ويحتمل ان شريعته قد صارت مندرسة
ثم رجع الناس الى الشرايع العقلية القول الرابع التوقف فلا دلالة فى الاية على انهم كانوا محقين او مبطلين القول الخامس ان المراد من الناس اهل
الكتاب الذين امنوا بموسى ثم اختلفوا بسبب البغى والحسد فبعث الله النبيين معهم الكتاب كما بعث داود ومعه الزبور وعيسى ومعه الانجيل و
محمدا ومعه الفرقان ليكون تلك الكتب حاكمة فى تلك الاشياء التى اختلفوا فيها وهذا القول يوافق قول من قال ان الخطاب فى يا ايها الذين امنوا
ادخلوا فى السلم لاهل الكتب فيراد بالناس اذن ناس معهودون ثم انه تعالى وصف النبيين بصفات ثلث الاولى كونهم مبشرين والثانية كونهم
منذرين وقدمت البشارة على الانذار لان البشارة تجرى مجرى حفظ الصحة والانذار يجرى مجرى ازالة المرض والاول اى تناول الدواء والاول
لكونه مقصودا الغذاء والثانى كتناول الدواء والاول لكونه مقصودا بالذات مقدم على الثانى لانه مقصود بالعرض الثالثة قوله وانزل معهم
الكتاب بالحق وفى قوله معهم والضمير يعود الى عامة النبيين دليل على انه لا نبى الا ومعه كتاب منزل فيه بيان الحق والباطل طال ذلك الكتاب ام قصر

على اللغو وجه انفراد المؤمنين منها م



دون ذلك الكتاب ام لم يرد دون معجز اكان او غير معجز قبل انزال الكتاب قبل وصول الامر والنهي الى المكلفين وصول الامر والنهي اليهم قبل التبشير والانذار
فلم قدم التبشير والانذار على انزال الكتاب قلت ان الوعد والوعيد منهم قبل بيان الشرع ممكن فيما يتصل بالعقليات من المعرفة بالله وترك الظلم
وغيرهما وبان المكلف انما يتحمل النظر في دلالة المعجز على الصدق وفي الفرق بين المعجز والسحر اذا خاف انه لم ينظر فربما ترك الحق فيصير مستحقا للعقاب
والخوف انما يقوى عند التبشير والانذار فلهذا قدم ذكرهما على انزال الكتاب قلت فيه فائدة اخرى لفظية هي ان لا يقع فاصلة كثيرة بين الثالثة وبين
الاوليين او بين الثالثة وبين ما رتب عليها من قوله ليحكم اي الكتاب لانه اقرب لا محذور في نسبة الحكم اليه يجوز كما لا محذور في كونه هدى وشفاء
واللام للجنس او اريد مع كل واحد كتابه وقيل ليحكم الله لانه الحاكم في الحقيقة لا الكتاب وقيل ليحكم النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه اي في
الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق او في كل ما اختلفوا فيه ولم يعرفوا وجه الصواب في ذلك بحسب حكم الله وما اختلف فيه في الحق
الا الذين اوتوه اي اعطوا الحق وادوه لمباشرة اسبابه القريبة التي هي مجيء البينات وقيل الضمير للكتاب اي الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة
الاختلاف كانهم عارضوا الكتاب بنقيض ما انزل لاجله انزل لئلا يختلفوا فازدادوا في الاختلاف وفيه دليل على ان الاختلاف في الحق لم يوجد الا بعد بعثة
الانبياء وانزال الكتب كما في القول الاول قال كثير من المفسرين المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واختلافهم اما تكفير بعضهم بعضا
واما تحريفهم او تبديلهم من بعد ما جاءتهم البينات يحتمل ان يكون كالبيان لايتاء الكتاب اي وما اختلف فيه ممن اختلف الا من بعد مجيء البينات
التي هي الكتب كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ويحتمل ان يكون هذه البينات مغايرة لايتاء الكتاب ويعني
بها الدلائل العقلية التي نصبها الله تعالى على اثبات الاصول التي لا يمكن اثباتها بالدلائل السمعية واذا حصلت الدلائل العقلية والسمعية لم يكن
في العدول عذر ولا علة ولو حصل الاعراض كان بسبب بغيا بينهم وحسدا وظلما لحرصهم على الدنيا ولقلة الانصاف وكثرة الاعتساف وعن
الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف واللام بمعنى الى اي هداهم الى ما اختلفوا فيه كقوله ثم
يعودون لما قالوا باذنه قال الزجاج بعلمه وقيل بامره وبالامر يحصل التمييز بين الحق والباطل فيحصل الهداية وقيل في الايراد انما اي هداهم فاهتدوا
باذنه اذ لا يجوز ان يأذن لنفسه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هو الحق الموصل الى كمال الدين وهو طلب الجنة ولما كان ذلك الحق
او الطلب لا يتأتى الا باحتمال شدائد التكليف واعباء الاشادة والتعليم قال سبحانه ام حسبتم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ تشجيعا للرسول ص
والمؤمنين على الثبات والصبر مع المخالفين من اهل الكتاب والمشركين فان من كان نظره على مراتب قرب المولى فبلاؤه اقوى وهو بالابتلاء اولى قال في الكشاف
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده قال القفال تقدير الاية فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه حين صبروا على استهزاء
قومهم افتسلكون سبيلهم ام تحسبون ان تدخلوا الجنة من غير سلوك سبيلهم ولما يأتكم فيه معنى التوقع وفيه دليل على ان الاتيان متوقع منتظر عن
ابن عباس لما دخل النبي ص المدينة اشتد الضر عليهم لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم في ايدي المشركين واظهرت اليهود العداوة له فانزل الله
تعالى تطييبا لقلوبهم ام حسبتم وقال قتادة والسدي نزلت في غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد والخوف وكان كما قال سبحانه و
بلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت في حرب احد لما قال عبد الله بن ابي لاصحاب النبي ص الى متى تقتلون انفسكم وتصرون الباطل لو كان محمد ص نبيا ما
سلط الله عليكم الاسر والقتل والمعنى ام حسبتم ايها المؤمنون انكم تدخلون الجنة بمجرد الايمان بي والتصديق لرسولي دون ان تعبدوا الله بكل ما تعبدكم
به وابتلاكم بالصبر عليه وان ينالكم من اذى الكفار ومن احتمال الفقر والفاقة ومكابدة الضر والبؤس في المعيشة ومقاساة الاهوال في جهاد العدو كما نال
ذلك من قبلكم من المؤمنين ومثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل
فقيل مستهم البأساء وهي عبارة عن تضييق جهات الخير والمنفعة عليهم والضراء وهي اشارة الى انفتاح ابواب الشر والافة اليهم وزلزلوا حركوا وازعجوا
بانواع البلايا والرزايا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة وهي زل الشيء عن مكانه والتضعيف في اللفظ للتضعيف في المعنى وقيل معناه خوفوا وليس ببعيد لان
الخائف لا يستقر بل يضطرب بقلقه ولهذا لا يقال ذلك الا في الخوف المقيم المقعد ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك شيئا هو الغاية في الدلالة على كمال الضر والبؤس و
المحنة فقال حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك غاية
في الشدة لا مطمح وراءها من قرأ يقول بالنصب فعلى اضمار ان ومعنى الاستقبال بالنظر الى ما قبل حتى وان لم يكن مستقبلا عند الاخبار ومن رفع فعلى
الحال الماضية المحكية كقولهم شرب الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا ان نصر الله قريب فقيل لهم ذلك اجابة الى طلبتهم فكونوا انتم معاشر المؤمنين كذلك
في تحمل الاذى والمتاعب في طلب الحق فان نصر الله قريب لانه ات وكل ما هو ات قريب والحاصل ان اصحاب رسول الله ص كان ينالهم من المشركين والمنافقين
اذى كثير ولما اذن لهم في القتال نالهم من الجراح وذهاب الاموال والانفس ما لا يخفى فعزاهم تعالى في ذلك وبين ان حال من قبلهم في طلب
الدين كان كذلك والمصيبة اذا عمت طابت وذكر الله تعالى من قصة ابراهيم ع والقائه في النار ومن ايوب ع وما ابتلاه به ومن سائر الانبياء في مصابرتهم على
انواع المكاره ما صار ذلك سلوة للمؤمنين روي عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله ص وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر
لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد
ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون



وههنا سؤال وهو انه كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله ووعيده ان يقول على سبيل الاستبعاد متى نصر الله والجواب ان كونه رسولا لا يمنع من ان يتاذى من كيد الاعداء فاذا ضاق قلبه وقلت حيلته وكان قد سمع من الله تعالى انه ينصره الا انه ما عين له ذلك الوقت قال عند ضيق قلبه متى نصر الله حتى انه ان علم قرب الوقت زال همه وطاب قلبه ولهذا اجيب بان نصر الله قريب اى ان نصر الله كائن وهذا الجواب يحتمل ان يكون من الله ويحتمل ان يكون قولا لقوم منهم اذا رجعوا الى انفسهم علموا ان الله لا يخلف الميعاد وقيل انه تعالى اخبر عن الرسول والذين امنوا انهم قالوا قولا ثم ذكر كلاما من احدهما متى نصر الله والثانى الا ان نصر الله قريب فهذا الثانى قول الرسول والاول قول المؤمنين كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله والمعنى لتسكنوا فى الليل ولتبتغوا من فضله بالنهار ثم فى الاية دليل على ان كل من لحقه شدة يجب ان يعلم انه سيظفر بزوالها لانه اما ان يتخلص عنها واما ان يموت واذا مات نقله وصل الى من لا يهمل امره ولا يضيع حقه وذلك من اعظم النصرة اللهم انصرنا من عندك فانك نعم المولى ونعم النصير وبلغنا انه تعالى اذا فتح ابواب الملكوت على قلب عبد من خواصه بريه اياته وكراماته فان تغير باحواله وتعجب بكماله فيقبل على حظوظ النفس وبيدل نعمة الله بمواقفها ورضاها فان الله شديد العقاب بان يغير حاله ويسلب عنه كماله كان الناس امة واحدة على الحق وعلى الفطرة يوم الميثاق وانزل معهم الكتاب الذى جف به القلم بالسعادة او الشقاوة كقوله مامن منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة او النار وما اختلف كل فريق الا وقد اوتوا السعادة والشقاوة فى حكم الله وقضائه ولكن ما حصلت السعادة والشقاوة للفريقين الا من بعد البينات وهى معاملاتهم فيها يتبين السعيد من الشقى وبالعكس والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا اَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْاَقْرَبِيْنَ وَالْيَتَامٰى وَالْمَسَاكِيْنِ وَابْنِ السَّبِيْلِ وَمَا

سئوال كنند ترا كه چيست آنچه انفاق ميكنند بگو كه آنچه انفاق ميكنيد از مال پس از براى والدين است و خويشان و يتيمان و فقيران و راهگذريان و هرچه

تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللّٰهَ بِهٖ عَلِيْمٌ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسٰى اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَّهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسٰى اَنْ تُحِبُّوْا

ميكنيد از خوبى پس بدرستيكه خدا بآن داناست نوشته شده است بر شما جهاد و حال آنكه مكروه است شما را و شايد كه مكروه داريد چيزى و حال آنكه آن بهتر است شما را و شايد كه دوست داريد

شَيْئًا وَّهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيْهِ قُلْ قِتَالٌ فِيْهِ كَبِيْرٌ وَصَدٌّ عَنْ

چيزى را و حال آنكه آن بد است شما را و خدا ميداند و شما نميدانيد. ميپرسند ترا از ماه حرام از جهاد در آن بگو كه قتال در آن بزرگ است گناهش و باز داشتن است

سَبِيْلِ اللّٰهِ وَكُفْرٌ بِهٖ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاِخْرَاجُ اَهْلِهٖ مِنْهُ اَكْبَرُ عِنْدَ اللّٰهِ وَالْفِتْنَةُ اَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُوْنَ يُقَاتِلُوْنَكُمْ

از راه خدا و كفر است باو و بمسجد الحرام و بيرون كردن اهل آن او را از آن بزرگتر است نزد خدا و فتنه انگيختن بزرگتر است گناهش از قتل و هميشه در مقاتله باشند با شما

حَتّٰى يَرُدُّوْكُمْ عَنْ دِيْنِكُمْ اِنِ اسْتَطَاعُوْا وَمَنْ يَّرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهٖ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَاُولٰٓئِكَ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فِى الدُّنْيَا

تا كه برگردانند شما را از دين شما اگر قدرت داشته باشند و هركه برگردد از شما از دين خود پس بميرد و حال آنكه او كافر است پس آنگروه باطل است كردهاى ايشان در دنيا

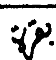
وَالْاٰخِرَةِ وَاُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا وَجٰهَدُوْا فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اُولٰٓئِكَ

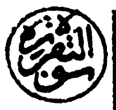
و آخرت و آنگروه ياران آتش اند ايشان در آن جاويدانند بدرستيكه آنها كه گرويدند و آنها كه هجرت كردند و جهاد كردند در راه خدا آنگروه

يَرْجُوْنَ رَحْمَتَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ

اميد دارند رحمت خدا را و خدا آمرزنده مهربانست

الوقوف ينفقون ط السبيل ط للابتداء بالشرط عليم كره لكم ج لتفصيل الاحوال خير لكم ج شر لكم ط لا تعلمون ع قتال فيه ط كبير ط على ان قوله وصد مبتدأ وما بعده معطوف عليه وقوله اكبر عند الله خبره وقد يقال وصد عطف على كبير اى القتال فيه كبير وسبب صد عن سبيل الله وكفر بالله تعالى وبنعمة المسجد الحرام او صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فيوقف فيهما ويجعل اخراج اهله مبتدأ وقيل وصد عطف والوقف على سبيل الله كفر به مبتدأ والوجه هو الاول لانتظام المعنى اى القتال منا وان كان كبيرا ولكن الصد والكفر والاخراج التى كانت منكم اكبر من القتل ط استطاعوا ط والاخرة ج لان الجملتين ان اتفقتا فتكرار اولئك تنبيه على الابتداء مبالغة فى تعظيم الامر النار ج خالدون ط فى سبيل الله لا لان ما بعده خبر ان رحمة الله ط رحيم التفسير انه سبحانه لما بالغ فى وجوب الاعراض عن العاجل والاقبال على الاجل بكل ما يمكن من الدخول فى السلم وبذل المجهود فى الاموال والصبر على مواجب التكاليف والدعاء الى الدين القويم انتظار النصرة الله شرع بعد ذلك فى بيان الاحكام وهو من هذه الاية الى قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم جريا على سنته المرضى من خلط بيان التوحيد وذكر النصيحة والوعظ ببيان الاحكام ليكون كل منها مؤكدا للاخر الحكم الاول بيان مصرف الانفاق يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس نزلت الاية فى رجل اتى النبى فقال ان لى دينارين فقال انفقهما على اهلك فقال ان لى ثلثة فقال انفقها على خادمك فقال ان لى اربعة قال انفقها على والديك قال ان لى خمسة قال انفقها على قرابتك قال ان لى ستة قال انفقها فى سبيل الله وهو اخسها اى اقلها ثوابا وعنه فى رواية ابى صالح انها نزلت فى عمرو بن الجموح وهو الذى قتل يوم احد كان شيخا كبيرا هرما وعنده مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها اما بحث ماذا فقد تقدم فى قوله ماذا اراد الله بهذا مثلا واما ان القوم سئلوا عما ينفقون لا عن مصرف النفقة اليهم فكيف طابق قوله فى الجواب قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين الاية فالوجه فيه انه حصل فى الاية ما يكون جوابا عن السؤال وضم اليه زيادة بها يكمل المقصود وذلك ان قوله ما انفقتم من خير تضمن بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا اذا صرفت الى جهة الاستحقاق وقال القفال السؤال وان كان واردا بلفظ ما الا ان المقصود هو الكيفية فمن المعلوم لهم ان الذى امروا بانفاقه مال يخرج قربة الى الله تعالى فصح ان يكون الجواب مطابقا للسؤال كما طابق قوله قالوا





بقرة لا ذلول سؤالهم عن البقرة ما هي حيث كان المعلوم ان البقر بهيمة شانها كذا وكذا فتوجه الطلب الى تعيين الصفة لا الماهية وقيل انهم لما سألوا عن المنفق
اجيبوا بان السؤال فاسد انفق اي شيء كان ولكن بشرط كونه من الحلال ومصروفا الى مصرفه كما لو سأل شخص صحيح المزاج طبيبا حاذقا اي طعام
اكل والطبيب يعلم انه لا يضره اكل الطعام اي طعام كان فيقول له كل في اليوم مرتين اي كل ما شئت لكن بهذا الشرط فكذا ههنا المعنى لينفق اي شيء اراد
لكن بشرط وهو ان يراعي الترتيب في الانفاق فيقدم الوالدين لانهما كالسبب لوجوده وقد ربياه صغيرا ثم الاقربين لان الانسان لا يمكنه ان يقوم بمصالح
جميع الفقراء والترجيح لا بد له من مرجح والقرابة تصلح للترجيح لانه اعرف بحاله والاطلاع على غنى الغني مما يحمل المرء على الانفاق وايضا لو لم يعطه قريبه
احتاج الى الرجوع الى غيره وذلك عار وشنار وفي رواية قريب المرء كجزء منه والانفاق على النفس اولى من الانفاق على الغير ثم اليتامى لعدم قدرتهم على
الاكتساب لصغرهم ثم المساكين الذين هم غير اليتامى وابناء السبيل لانهم بسبب الاشتراك في دار الاقامة من نفسهم ثم ابناء السبيل المنقطعون عن بلادهم
وما لهم ما يبلغون به الى اوطانهم وما تفعلوا من خير من انفاق شيء من مال بناء على ان الخير هو المال ومن كل ما يتعلق بالبر والطاعة طلبا للجزاء
الثواب هربا من اليم العقاب فان الله به عليم فيجازيكم احسن الجزاء عن السدي ان الآية منسوخة بفرض الزكوة وقال المحققون ويروى عن الحسن
انها ثابتة فقد يكون الانفاق على الفروع والاصول واجبا ويحتمل ان يكون المراد من احب التقرب الى الله تعالى في باب النفقة تطوعا فليراع هذا الترتيب
قوله تعالى كتب عليكم القتال كان النبي ص غير ماذون في القتال مدة اقامته بمكة فلما هاجر اذن في قتال من يقاتله من المشركين ثم اذن في قتال
المشركين عامة ثم فرض الله تعالى الجهاد قال بعض العلماء ان هذه الآية تقتضي وجوب القتال على الكل فرض عين لا كفاية اما الوجوب فمستفاد من لفظ
الايجاب ويكفي العمل به مرة واحدة وقوله كتب واما العموم فلان قوله عليكم لا يمنع من الوجوب على الموجودين وعلى من سيوجد كما في قوله كتب عليكم
القصاص كما كتب عليكم الصيام وعن مكحول انه كان يحلف عند البيت بالله ان الغزو واجب وعن ابن عمر وعطاء ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي
العمل به مرة واحدة وقوله عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت والعموم في عليكم الصيام مستفاد من دليل منفصل هو الاجماع
وذلك الدليل مفقود ههنا بل الاجماع منعقد على انه من فروض الكفاية الا ان يدخل المشركون ديار المسلمين فانه يتعين الجهاد على الكل وهو كره
لكم ليس المراد ان المؤمنين ساخطون لاوامر الله تعالى فان ذلك ينافي الاسلام وانما المراد كون القتال شاقا على النفس وكذا شان سائر التكاليف وكيف
لا والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة وانها في القتال اكثر لان الحيوة اعظم ما يميل اليه الطباع فبذلها ليس بهين والجود بالنفس اقصى غاية الجود
وايضا كراهتهم للقتال قبل ان فرض لما فيه من الخوف من كثرة الاعداء واثارة نوائر الفتن فبين تعالى ان الذي تكرهونه من القتال خير لكم من تركه للمصالح التي
نذكرها والكره الكراهة وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ويجوز ان يكون بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي هو مكروه لكم وقرئ بالفتح بمعنى المضموم
كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته
كرها وقال بعضهم الكره بالضم ما كرهته مما لم تكره عليه واذا كان الاكراه فبالفتح وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فربما كان الشيء شاقا عليكم في الحال
وهو سبب للمنافع الجليلة في الاستقبال وبالضد ولهذا احسن شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في الاستقبال وحسن تحمل الاخطار في الاسفار
لتحصيل الربح في المال وكذا تحمل المتاعب في طلب العلم للفوز بالسعادة العظمى في الدنيا والعقبى شعر العلم اوله مر مذاقته لكن آخره احلى من العسل وههنا كذلك
لان ترك الجهاد وان كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل وصون المال عن الانفاق ولكن فيه انواع من المفاسد والمضار ادناها تسلط الكفار
واستيلاؤهم على ديار المسلمين وربما يؤدي الى ان استباحوا بيضة الاسلام واستباحوا حريمهم واستأصلوهم عن آخرهم واما منافع الجهاد فمنها
الظفر بالغنائم ومنها الفرح العظيم بالاستيلاء على العدو واما ما يتعلق بالدين فالثبات عليه والثواب في الآخرة وترغيب الناس في الاسلام واعلاء
كلمة الله وتوطين النفس للفراق عن دار البلاء والانقطاع عن عالم الحس وقال الخليل عسى من الله واجب في القرآن قال فعسى الله ان ياتي بالفتح وقد وجد
عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وقد حصل والتحقيق ان معنى الرجاء فيه يعود الى المكلف وان كان المرجو له معلوما لله تعالى كما بينا في لعل والله يعلم وانتم
لا تعلمون وذلك ان علمه تعالى فعلي يعلم الاسباب وما يترتب عليها والحوادث وما تنشأ هي منها يحيط علمه بالمبادي والغايات ولا يعزب عنه مثقال
ذرة في الارض ولا في السموات وعلمكم انفعالي فلعلكم تعكسون التصورات فتظنون المبادي غايات وبالعكس والمصالح مفاسد وبالضد وفيه ترغيب عظيم
في اداء وظائف التكاليف وتخويف شديد عن تبعة العصيان والمرود فان الانسان اذا تصور قصور نفسه وكمال علم الله تعالى علم انه لا يامر العبد الا بما فيه خيره
وصلاحه فيلزم نفسه امتثاله وان كرهه طبعه فكانه تعالى يقول يا ايها العبد علي كل من عملك فكن مشتغلا بطاعتي ولا تلتفت الى مقتضى طبعك مع
ان هذه الآية في هذا المقام يجري مجرى قوله تعالى في جواب الملائكة اني اعلم ما لا تعلمون الحكم الثاني في قوله سبحانه يسئلونك عن الشهر الحرام اكثر
المفسرين على ان هؤلاء السائلين هم المسلمون حيث اختلج في صدورهم ان يكون الامر بالقتال مقيدا بغير الشهر الحرام والمسجد الحرام فسألوا النبي ص هل
لهم القتال في هذا الزمان وهذا المكان ام لا ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان رسول الله ص بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبي ص في جمادى الآخرة
قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابي وقاص الزهري وعكاشة بن
محصن الاسدي وعتبة بن غزوان السلمي وابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم
عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا

تستكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من
اصحابك حتى تنزل على بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تأتينا منه بخبر فلما نظر عبد الله في الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه قد نهاني
ان استكره احدا منكم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع قد اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فاستاذنا ان يتخلفا في طلب بعيرهما
فاذن لهما فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت بهم عير قريش تحمل زبيبا وادما وتجارة
من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا وقالوا قوم عمار فحلقوا راس
عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهي رجب فتشاور
القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن
الحضرمي بسهم فقتل فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المؤمنون
العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس لمعايشهم
يسفك فيه الدماء واخذ فيه الحرائب وعير بذلك اهل مكة من كان فيها من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر
الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ من ذلك شيئا فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقطوا في ايديهم وقالوا يا رسول الله
انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فنزلت يسئلونك عن الشهر الحرام
فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان اول خمس في الاسلام وقسم الباقي بين اصحاب السرية فكان اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل مكة في فداء
اسيرهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمن بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق على المسلمين
فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية وقيل ان
هذا السؤال كان من الكفار سئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام حتى لو اخبرهم بانه حرام استحلوا قتاله فيه فنزلت يسئلونك عن الشهر
الحرام قتال فيه خفض على انه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة ابن مسعود عن قتال فيه بتكرير العامل وقرا عكرمة قتل فيه قل قتال فيه كبير اي
عظيم مستنكر كما يسمى الذنب العظيم كبيرة وانما جاز وقوع قتال مبتدأ لكونه موصوفا بالظرف فان قيل كيف نكر القتال في قوله تعالى قل قتال
ومن حق النكرة اذا تكررت ان يكون المذكور ثانيا معرفا مشارا به الى الاول والا كان الثاني مغايرا للاول قلنا لان المراد بالقتال الاول الذي
سئلوا عنه القتال الذي اقدم عليه عبد الله بن جحش فلو جيء بالثاني معرفا لزم ان يكون ذلك من الكبائر مع ان الغرض منه كان نصرة الاسلام
والاعلاء كلمته فاختير التنكير ليكون تنبيها على ان القتال المنهي عنه هو الذي فيه تقوية الكفر وهدم قواعد الدين لا الذي سئلوا عنه ثم الجمهور اتفقوا
على ان حكم هذه الاية حرمة القتال في الشهر الحرام وهل بقي ذلك الحكم او نسخ عن ابن جريج انه قال حلف لي بالله عطاء انه لا يحل للناس الغزو في الحرم
ولا في الشهر الحرام الا على سبيل الدفع وروى جابر قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام الا ان يغزى وسئل سعيد بن المسيب هل يصلح للمسلمين
ان يقاتلوا الكفار في الشهر الحرام قال نعم قال ابو عبيد والناس بالثغور اليوم جميعا على هذا القول يرون الغزو مباحا في الاشهر الحرم كلها ولم ار
احدا من علماء الشام والعراق ينكره عليهم وكذلك احسب قول اهل الحجاز والحجة في اباحته قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويمكن ان يقال
ان قوله قتال فيه كبير نكرة في حيز الاثبات فيتناول فردا واحدا لا كل الافراد فلا يلزم منه تحريم القتال في الشهر الحرام مطلقا فلا حاجة فيه الى تقدير
النسخ والله اعلم وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله من القتال في الاشهر الحرم فاذا لم تمتنعوا منها في الشهر
الحرام فكيف تعيبون عبد الله بن جحش على ذلك القتال مع انه ظن انه في جمادى واعلم ان قوله وصد قد مر وجوه اعرابه في الوقوف اما قوله والمسجد الحرام فعند
انه معطوف على الهاء في به عند من يجوز العطف على المضمر المجرور من غير اعادة الجار كقراءة حمزة تساءلون به والارحام بالخفض والكفر بالمسجد
الحرام منع الناس عن الصلوة فيه والطواف به وقيل انه معطوف على سبيل الله اي صد عن سبيل الله وصد عن المسجد الحرام واعترض بانه يلزم
الفصل بين صلة المصدر الذي هو الصد وبين المصدر بالاجنبي الذي هو قوله وكفر به واجيب بان الصد عن سبيل الله والكفر به كالشيء الواحد
في المعنى فكانه لا فصل وبان التقديم لفرط العناية مثل ولم يكن له كفوا احد وكان حق الكلام ولم يكن احد كفوا له وقيل والمسجد الحرام عطف على الشهر
الحرام اي يسئلونك عن قتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهذا قول الفراء وابي مسلم وقيل الواو في والمسجد الحرام للقسم والصد عن سبيل الله هو
المنع عن الايمان بالله وبمحمد او عن الهجرة وقيل منعهم المسلمين عام الحديبية عن عمرة البيت وزيف بان الاية نزلت قبل غزوة بدر كما مر في قصة ابن
جحش وعام الحديبية كان بعد غزوة بدر ويمكن ان يجاب بان معلوم الله كالواقع والمراد باخراج اهله اخراج المسلمين من مكة وانما جعلهم اهلا له لانهم كانوا هم
القائمين بحقوق المسجد لهذا قال عز من قائل وكانوا احق بها واهلها وانما كانت هذه الامور اكبر لان كل واحد منها كفر والكفر اعظم من القتال وايضا
انها اكبر من قتال في الشهر الحرام وهو قتال عبد الله بن جحش ولم يكن قاطعا بانه وقع في الشهر الحرام واما الكفار فيعلمون بان هذه الامور يصدر عنهم



فی الشهر الحرام والفتنة ای الشرك او القاء الشبهات فی قلوب المؤمنین او التعذیب كفعلهم ببلال وصهیب وعمار اكبر من القتل لان الفتنة تفضی الی القتل
فی الدنیا والی استحقاق العذاب الدائم فی الاخرة فیصح ان الفتنة اكبر من القتل فضلا عن ذلك القتل الذی وقع السؤال عنه وهو قتل ابن الحضرمی یروی انها
نزلت الایة كتب عبدالله بن جحش الی مؤمنی مكة اذا عیركم المشركون بالقتال فی الشهر الحرام فعیروهم انتم بالكفر واخراج الرسول من مكة ومنع المؤمنین عن البیت
الحرام ولا یزالون یقاتلونكم اخبار عن استمرار الكفار علی عداوة المسلمین حتی یردوكم عن دینكم كی یردوكم عنه كقولك اسلمت حتی ادخل الجنة بمعنی كی
ادخل ویجوز ان یكون بمعنی الی كقوله ولن ترضی عنك الیهود ولا النصاری حتی تتبع ملتهم وقوله ان استطاعوا استبعاد لاقتدارهم كقول الرجل لعدوه
وهو واثق بانه لا یظفر ان ظفرت بی فلا تبق علی ومن یرتدد ومن یرجع منكم عن دینه فیمت وهو كافر باق علی الردة فاولئك حبطت اعمالهم فی الدنیا
والاخرة اما فی الدنیا فلما یفوته من فوائد الاسلام العاجلة فیقتل عند الظفر به ویقاتل الی ان یظفر به ولا یستحق من المؤمنین موالاة ولا نصرا ولا ثناء
حسنا وتبین زوجته عنه ویحرم المیراث واما فی الاخرة فیكفی فی تقریره قوله اولئك اصحاب النار هم فیها خالدون واعلم ان الردة اغلظ انواع الكفر
حكما وانها تارة یحصل بالقول الذی هو كفر كجحد مجمع علیه وكسب نبی من الانبیاء واخری بالفعل الذی یوجب استهزاء صریحا بالدین كالسجود للشمس او الصنم والقاء
المصحف فی القاذورات وكذا لو اعتقد وجوب ما لیس بواجب ویشترط فی صحة الردة التكلیف فلا یصح ردة الصبی والمجنون وههنا بحث اصولی وهو ان جماعة
من المتكلمین ذهبوا الی ان شرط صحة الایمان والكفر حصول الموافاة فالایمان لا یكون ایمانا الا اذا مات المؤمن علیه والكفر لا یكون كفرا الا اذا مات
الكافر علیه لان من كان مؤمنا ثم ارتد والعیاذ بالله فلو كان ذلك الایمان الظاهر ایمانا فی الحقیقة لكان قد استحق علیه الثواب الابدی فاما ان یبقی الاستحقاق فان
ان الطاری یزیل السابق وهو ایضا محال لانهما متنافیان ولیس احدهما اولی بالتاثیر من الاخر بل السابق بالدفع اولی من اللاحق بالرفع لان الدفع اسهل من الرفع
وایضا شرط طریان الطاری زوال السابق فلو عللنا زوال السابق بطریان الطاری لزم الدور وبحث فروعی وهو ان المسلم اذا صلی ثم ارتد ثم اسلم فی الوقت
فعند الشافعی لا اعادة علیه لان شرط حبوط العمل ان یموت علی الردة لقوله تعالی عطفا علی الشرط فیمت وهو كافر وعند ابی حنیفة لزمه قضاء ما ادی وكذا
الحج لما جاء فی موضع اخر مطلق ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا یعملون والحبط فی اللغة ان یاكل الابل شیئا یضرها فیعظم بطونها فیهلك وفی الحدیث ان مما
ینبت الربیع ما یقتل حبطا او یلم سمی بطلان الاعمال بهذا لانه كفساد الشیء بسبب ورود المفسد علیه ولا شك ان المراد من احباط العمل لیس هو ابطال نفس
العمل لان العمل شیء كما وجد فنی وزوال واعدام المعدوم محال فقال المثبتون للاحباط والتكفیر المعنی ان عقاب الردة الحادثة یزیل ثواب الایمان السابق
اما بشرط الموازنة كما هو مذهب ابی هاشم وجمهور المتاخرین من المعتزلة او لا بشرطهما كما هو مذهب ابی علی وقال المنكرون للاحباط المراد بالاحباط الوارد فی كتاب الله
تعالی هو ان المرتد اذا اتی بالردة فتلك الردة عمل محبط لانه یمكنه ان یاتی بدلها بعمل یستحق به ثوابا فمعنی حبط عمله انه اتی بعمل لیس فیه فائدة بل فیه مضرة عظیمة او
المراد انه تبین ان اعماله السابقة لم تكن معتدة بها شرعا وروی ان عبدالله بن جحش واصحابه حین قتلوا الحضرمی ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم لم یكن لهم
اجر فنزلت ان الذین امنوا الایة لان عبدالله كان مؤمنا وكان مهاجرا وصار بسبب هذا القتال مجاهدا وقیل انه تعالی لما اوجب الجهاد بقوله كتب علیكم
القتال وبین ان تركه سبب للوعید اتبع ذلك بذكر من یقوم به فقال ان الذین امنوا الایة ولا یكاد یوجد وعید الا ویعقبه وعد ومعنی هاجروا فارقوا اوطانهم
وعشائرهم من الهجر الذی هو ضد الوصل والهجر الكلام القبیح لانه مما ینبغی ان یهجر وجاز ان یكون المراد ان الاحباب والاقارب هجروه بسبب هذا الدین وهو ایضا هجرهم
بهذا السبب فكان ذلك مهاجرة والمجاهدة من الجهد بالفتح الذی هو المشقة او من الجهد بالضم الطاقة لانه یبذل الجهد فی قتال العدو عند فعل
العدو مثل ذلك ویجوز ان یكون معناها ضم جهده الی جهد اخیه فی نصرة دین الله كالمساعدة ضم ساعده الی ساعد اخیه لتحصیل القوة اولئك یرجون
رحمة الله یحتمل ان یكون الرجاء بمعنی القطع والیقین ولكن فی اصل الثواب والظن انما دخل فی كمیته وكیفیته وفی وقته ویحتمل ان یراد المنافع التی یتوقعونها
فان عبدالله بن جحش ما كان قاطعا بالثواب فی عمله بل كان یظن ظنا وانما جعل الوعد معلقا بالرجاء لیعلم ان الثواب علی الایمان والعمل غیر واجب وانما
ذلك بفضله ورحمته كما هو مذهبنا ولو وجب ایضا صح لانهم لا یعلمون ان لا یكفر بعد ذلك وهذا الشرط مشكوك وایضا المذكور ههنا هو الایمان والهجرة والجهاد
ولا بد للانسان مع ذلك من سائر الاعمال والتوفیق فیها مرجو من الله وایضا المراد وصفهم بانهم یفارقون الدنیا مع هذه الخصال مستقصرین انفسهم
فی نصرة دین الله فیقدمون علیهم راجین رحمته خائفین عقابه الذین یؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الی ربهم راجعون والله غفور رحیم
یحقق لهم رجاءهم ان شاء بعمیم فضله وجسیم طوله عن قتادة هؤلاء خیار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف
هرب قال شاه الكرمانی علامة الرجاء حسن الطاعة وقیل الرجاء رؤیة الجلال بعین الجمال وقیل قرب القلب من ملاطفة الرب وروی عن لقمن انه
قال لابنه خف الله تعالی خوفا لا تامن فیه مكره وارجه اشد من خوفك قال فكیف استطیع ذلك وانما لی قلب واحد قال اما علمت ان المؤمن له قلبان یخاف
باحدهما ویرجوا بالاخر وهذا لانهما من حكم الایمان وهما للمؤمن كالجناحین للطائر اذا استویا استوی الطیر ثم فی طیرانه ومن ههنا قیل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا

یَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَیْسِرِ قُلْ فِیهِمَا اِثْمٌ كَبِیرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَاِثْمُهُمَا اَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَیَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا یُنْفِقُونَ

سؤال كنند ترا از شراب و قمار بگو در انها گناهی بزرگست و منفعتهاست از برای مردمان وگناه‌شان بزرگترست از نفع انها وسؤال كنند از تو كه چه انفاق كنند در راه خدا

قُلِ الْعَفْوَ كَذٰلِكَ یُبَیِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰیَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِی الدُّنْیَا وَالْاٰخِرَةِ وَیَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْیَتَامٰی قُلْ اِصْلَاحٌ

بگو افزون از حاجت را همچنین ظاهر میسازد خدا برای شما ایات خود را كه شاید اندیشه كنید در دنیا و اخرت وسؤال كنند ترا از یتیمان بگو نیكوئی كردن با ایشان



لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم ولا تنكحوا
مر ایشان را بهتر است و اگر بیامیزید با ایشان پس برادران شما اند و خدا میداند مفسد را از مصلح و اگر خواستی خدا هر آینه تنگ گیرد بر شما بدرستی که خدا غالب محکم کار است و نکاح مکنید

المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن
کافره را تا وقتی که ایمان آورند و هر آینه کنیزک گرونده بهتر است از زن مشرکه و اگر شگفت آورد شما را و نکاح مکنید مردان مشرک را تا آنکه ایمان آورند و هر آینه بنده گرونده

خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم
بهتر است از مرد مشرک و هر چند شگفت آورد شما را آن گروه میخوانند بسوی آتش و خدا میخواند بسوی بهشت و آمرزش بفرمان خود و ظاهر میسازد آیات خود را از برای مردم تا ایشان

يتذكرون. القراءة اثم كثير بالثاء المثلثة حمزة وعلي والباقون بالباء قل العفو بالرفع ابو عمرو والباقون بالنصب لأعنتكم بغير همز روى ابو ربيعة عن
متنبه شوند
اصحابه عن حمزة وجهان في الوقف ترك الهمزة لبيان المذهب والهمزة ليدل على اصل الكلمة الوقوف والميسر ط للناس ز فقد يجوز مع اتفاق الجملتين تنبيها على ان بيان الثانية اهم من الاولى من نفعهما ط ينفقون ط العفو ط تتفكرون لا لتعلق الجار والآخرة ط اليتامى ط خير ط فإخوانكم ط المصلح ط لأعنتكم ط حكيم ط يؤمن ط لاجل لام الابتداء بعده اعجبتكم ج لوقوع العارض وان اتفقت الجملتان يؤمنوا ط اعجبكم ط الى النار ج والوصل اجوز لان مقصود الكلام بيان تفاوت الدعوتين مع اتفاق الجملتين ومن وقف اراد الفصل بين ذكر الحق والباطل بإذنه ج لان جملة والله يدعو يقابل الجملة الاولى فلم يكن قوله ويبين الله من تمامها اذ ليس في الجملة الاولى ذكر بيان ومن وصل فلعطف المستقبل على المستقبل يتذكرون ه التفسير الحكم الثالث بيان حرمة الخمر والميسر قالوا نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من صحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فقام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله ص فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والحكمة في وقوع التحريم على هذا الوجه ان القوم قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فلو منعوا دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فان الفطام من المألوف شديد فلا جرم استعمل في التحريم هذا التدريج والرفق واختلف العلماء في مفهوم الخمر



فقال الشافعي كل شراب مسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب احتج الشافعي بما روى ابو داود في سننه عن الشعبي عن ابن عمر عن عمر قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وهذا دليل ان الخمر عندهم كل ما خامر العقل اي خالطه والتركيب يدل على الستر والتغطية ومنه خمار المرأة وكذا ما روي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ص ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا قال الخطابي انما خص ذكر هذه الاشياء مخصوصا لكونها معهودة في ذلك الزمان وكل ما في معناها من ذرة او سلت او عصارة شجر فحكمها حكم هذه الخمسة كما ان تخصيص الاشياء الستة في خبر الربوا لا يمنع من ثبوت حكم الربوا في غيرها وعن نافع عن ابن عمر ان رسول الله ص قال كل مسكر خمر وكل خمر حرام فمراد الشارع ان كل مسكر فهو خمر لغة او شرعا فيكون حقيقة لغوية او شرعية كالصلوة وان منع ذلك فلا اقل من ان يكون معناه كالخمر في الحرمة وهو المراد وعن عائشة قالت سئل رسول الله ص عن البتع وهو شراب يتخذ من العسل فقال ص كل شراب اسكر فهو حرام وعن ام سلمة قالت نهى رسول الله ص عن كل مسكر ومفتر قال الخطابي المفتر كل شراب يورث الفتور والخدر في الاعضاء وايضا الآيات الواردة في الخمر منها اثنتان بلفظ الخمر وغيرها بلفظ السكر مثل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وفيه دليل على ان المراد بالخمر هو المسكر كذا في قول عمر ومعاذ الخمر مذهبة للعقل فانه يوجب ان كل ما كان مساويا للخمر في هذا المعنى اما ان يكون خمرا واما ان يكون مساويا للخمر في علة التحريم وايضا قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ولا شك ان هذه الافعال معللة بالسكر فيعلم منه ان حرمة الخمر معللة بالاسكار فاما ان يجب القطع بان كل مسكر خمر واما ان يلزم الحكم بالحرمة في كل مسكر حجة ابي حنيفة قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا امتن الله علينا باتخاذ السكر والرزق الحسن من النبيذ سكرا ورزقا حسنا فوجب ان يكون مباحا الا ان المنة لا تكون الا بالمباح وايضا ما روي في الصحيحين عن جابر ان رسول الله ص استسقى فقال رجل يا رسول الله ص الا اسقيك نبيذا قال بلى فخرج يسعى فجاء بقدح فيه نبيذ فشرب واعلم ان المسكر حرام جنسه قل ام كثر نيا او مطبوخا لقوله ص ما اسكر كثيره فقليله حرام وعن عائشة قالت سمعت رسول الله ص يقول كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام قال الخطابي الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا وفيه ابين البيان ان الحرمة شاملة لجميع اجزاء الشراب وعن ابن عباس انه جاءه رجل فسأله عن العصير فقال اشربه ما كان طريا قال اني طبخته وفي نفسي منه شيء قال اكنت شاربه قبل ان تطبخه قال لا قال فان النار لا تحل شيئا وقد حرم وقال ابو حنيفة المطبوخ من عصير العنب ان ذهب اقل من ثلثيه فهو حرام لكن لا حد على شاربه الا اذا اسكر و ان ذهب ثلثاه فهو حلال الا القدر المسكر فحرام ويتعلق بشربه الحد يروى ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحدا ونقيع التمر والزبيب اذا اشتد فهو حرام لكن لا حد فيه ما لم يسكر فان طبخ فهو حلال الا المقدار الذي



بسكر فان ذلك حرام ويحد ولا يعتبر في النقيع ذهاب الثلثين ونبيذ الحنطة والشعير والعسل وغيرها حلال نيا كان ومطبوخا ولا يحرم منه الا القدر المسكر وذكروا في حد السكران عبارات فعن الشافعي انه الذي اختلط كلامه المنظوم وانكشف سره المكتوم وقيل الذي لا يفرق بين السماء والارض وقيل الذي يقع بل في مشيه ويهذي في كلامه والاقرب الرجوع فيه الى العادة ثم ان قوله تعالى يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ليس فيه بيان انهم عن اي شيء سئلوا فيحتمل انهم سئلوا عن حقيقته وماهيته ويحتمل انهم سئلوا عن حل الانتفاع وحرمته ويحتمل انهم سئلوا عن حل شربه وحرمته الا انه تعالى لما اجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على ان ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة اي يسئلونك عما في تعاطيهما واما كيفية دلالة الاية على الحرمة فهي انها مشتملة على ان في الخمر اثما والاثم حرام لقوله تعالى قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ ومما يؤكد ان هذا السؤال كان واقعا عن مطلق الخمر وقد جعل الله تعالى الاثم لازما لهذه الماهية فيلزم منها الاثم على جميع التقادير من الشرب وغير ذلك من وجوه الانتفاع والاستعمال وصرح ايضا بان الاثم الحاصل منهما اكبر من النفع المتوهم فيهما عاجلا وانما لم يقنع كبار الصحابة بهذه الاية طلبا لما هو اكد في التحريم تقوية واطمينانا كما التمس ابراهيم مشاهدة احياء الموتى طلبا لمزيد الايقان وعدولا الى سكون النفس بالعيان فان قيل لما كان الاثم لازما لماهية الخمر من حيث هي فلم لم تكن محرمة في سائر الشرائع قلت كم من نقص في الاديان السالفة تمم بشرع خاتم النبيين وايضا هذا اللزوم شرعي ويمكن ان يختلف الشرائع بحسب اختلاف الازمان ولا سيما اذا اعتبرت مصالح الانسان والميسر القمار مصدر ميمي كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اي قمرته مشتق من اليسار لانه سلب يساره عن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله او من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد وتعب قال ابن قتيبة الميسر من التجزية والاقتسام يقال يسروا الشيء اذا اقتسموه فالجزور نفسه يسمى ميسرا لانه يجزأ اجزاء والياسر الجازر ثم يقال للقامر ياسر لانه بسبب ذلك الفعل يجزئ لحم الجزور وقال الواحدي يسر الشيء اي وجب والياسر الواجب بسبب القدح واما صفة الميسر على ما في الكشاف فهي انه كانت لهم عشرة اقدح وهي الازلام والاقلام اساميها الفذ والتوام والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا لثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوام سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم قال العلماء وفي حكم الميسر سائر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما من ميسر العجم وعن ابن سيرين ومجاهد وعطا كل شيء فيه خطر فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وروي ان عليا مر بقوم وهم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون الا ان الشافعي رخص في الشطرنج اذا خلا عن الرهان وكف اللسان عن الطغيان وحفظ الصلوة عن النسيان فان الميسر ما يوجب دفع مال او اخذ مال وهذا ليس كذلك فيحكم باللعب به عن ابن الزبير وابي هريرة وكثير من السلف واما السبق في النصل والخف والحافر فجائز بالاتفاق لقوله صلى الله عليه وسلم لا سبق الا في نصل او خف او حافر وذلك لما فيهما من التأهب للجهاد والكلام في تفاصيلها وشروطها مذكور في كتب الفقه قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ اي انهما من الكبائر ومن قرأ بالثاء فمعناه الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام من وجوه كثيرة اما في الخمر فلانها علة والعقل الذي هو عقال الطبع واشرف خصائص الانسان ومقابل الاشرف يكون اخس الاشياء حكى بعض الادباء انه مر على سكران وهو يبول في يده ويمسح وجهه كهيئة المتوضئ ويقول الحمد لله الذي جعل الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له في الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جرائتك فقال انا ما اخذ جهلي بيدي فادخله في جوفي ولا ارضى ان اصبح سيد قوم وامسي سفيههم ثم من خواصها ان الانسان كلما كان اشتغاله بها اكثر كان الميل اليها اتم وقوة النفس عليها اقوى بخلاف سائر المعاصي كالزنا وغيره وكفى بقوله إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر ام الخبائث ذما لها وتقريرا للاثم شاربها وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الخمر عشرة وقال صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وكذا الكلام في الميسر مع ان فيه اكل الاموال بالباطل واما المنافع المذكورة فهي انهم كانوا يتغالون بها اذا جلبوها من النواحي وكان المشتري اذا ترك المماكسة في الثمن يعد ذلك فضيلة ومكرمة فكان يكثر ارباحهم بذلك السبب قال ابو محجن الثقفي اقومها زقا بحق فذلكم يساق الينا تجرها وكسوقها قال ابقراط في الخمر عشرة منافع خمس جسمانية وخمس نفسانية فالجسمانية انها تجود الهضم وتدر البول وتحسن البشرة وتطيب النكهة وتزيد في الباه والنفسانية انها تسر النفس وتعرض الامل وتشجع النفس وتحسن الخلق وتزيل البخل ومن منافع الميسر التوسعة على ذوي الحاجة لانهم كانوا يفرقونه على المساكين فيكتسبون به الثناء والمدح ولا ريب ان منافع الخمر والميسر لكونها مظنونة عاجلة اقل من اثمهما لكونه متيقن الحصول الدائم العذاب والعاقل لا يختار النفع القليل الزائل على العقاب الابدي الذي لا نهاية له الحكم الرابع وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ وقد تقدم ذكر هذا السؤال واجيب عنه بذكر المصرف واعيد ههنا فاجيب بذكر الكمية وذلك ان الناس لما رأوا الله ورسوله يحضان على الانفاق ويبينان ما على عظم ثوابه سئلوا عن مقدار ما كلفوا به هل هو كل المال او بعضه ومعنى العفو تيسر وسهل مما يكون فاضلا عن الكفاية ويشبه ان يكون العفو عن الذنب راجعا الى التيسير والتسهيل ويقال للارض السهلة العفو ومن قال ان العفو هو الزيادة فهو ان الغالب في ذلك مما يكون فيما يفضل عن حاجة الانسان في نفسه وعياله وحاصل الامر يرجع الى التوسط في الانفاق والنهي عن التبذير



والتقتير وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحبس لاهله قوت سنته وقال صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما ابقت غنى ولا يلام على كفاف وللعلماء في هذا الانفاق خلاف فعن ابي مسلم انه يجوز
ان يكون العفو هو الزكوات ذكرها ههنا مجملة وتفصيلها في السنة وقيل انه تطوع ولو كان مفروضا لبين مقداره ولم يفوض الى راي المكلف وقيل
ان هذا كان قبل نزول آية الصدقات وكانوا مامورين بان ياخذوا من مكاسبهم ما يكفيهم في عامهم وينفقون ما فضل ثم نسخ بالزكوة كذلك يبين
الله لكم الآيات اي كما بين لكم وجوه الانفاق ومصارفه فهكذا يبين لكم في مستانف ايامكم جميع ما تحتاجون اليه لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة
فتاخذون بما هو اصلح لكم من سلوك سبيل العدالة في الانفاق وغيره او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون
اشارة الى قوله وإثمهما اكبر من نفعهما اي لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا لا لتختاروا الادنى على الاعلى ويجوز ان يتعلق بيبين اي
يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون الحكم الخامس ويسئلونك عن اليتامى عن سعيد بن جبير قال لما نزلت ان الذين ياكلون
ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اموالهم عن اموالهم فنزلت وعن ابن عباس قال لما انزل الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله
ان الذين ياكلون انطلق من كان عنده مال اليتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه وجعل يحبس له ما يفضل من طعامه حتى ياكله او يفسد فاشتد ذلك عليهم
فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير وهو كلام جامع لمصالح اليتيم والولي اما لليتيم فلانه يتضمن صلاح نفسه بالتقويم والتاديب
وصلاح ماله بالتنمية والتثمير لئلا ياكله النفقة عليه والزكوة منه واما الولي فلان احراز الثواب خير له من التحرز عن مال اليتيم حتى يختل مصالحه وتفسد
معيشته وقيل الخير عائد الى الولي يعني اصلاح اموالهم من غير عوض ولا اجرة خير للولي واعظم اجرا وقيل عائد الى اليتيم اي مخالطتهم بالاصلاح خير لهم من
التفرد عنهم والاعراض عن امورهم والاصوب هو القول الاول فان جهات المصالح مختلفة غير مضبوطة فينبغي ان يكون نظر المتكفل لامور اليتيم على
تحصيل الخير في الدنيا والآخرة لنفسه ولليتيم في ماله ونفسه وان تخالطوهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الاسلام والمخالطة جمع يتعذر فيه التمييز قيل المراد
وان تخالطوهم في الطعام والشرب والمسكن والخدم بما لا يتضمن افساد اموالهم فذلك جائز كما يفعله المرء بمال ولده ومع اخوانه في الدين فان هذا
ادخل في حسن العشرة والمؤالفة وقيل المراد بهذه المخالطة اخذ مقدار اجرة المثل في ذلك العمل وسنشرح المذاهب في ذلك اذا انتهينا الى تفسير قوله
تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وقيل المراد ان يخالطوا اموال اليتامى باموالهم وانفسهم على سبيل الشركة بشرط رعاية
جهات المصلحة والغبطة للصبي وحمل بعضهم المخالطة على المصاهرة واختاره ابو مسلم لان هذا خلط لليتيم نفسه والشركة خلط لماله وايضا الشركة داخلة
في قوله اصلاح لهم خير والخلط من جهة النكاح وتزويج البنات منهم لم يدخل في ذلك فحمل الكلام على هذا الخلط اقرب وايضا وانه تعالى قال بعد هذه الآية
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فكان المعنى ان المخالطة المندوب اليها انما هي في اليتامى الذين هم لكم اخوان في الاسلام ليتاكد الالفة بالمناكحة فان كان
اليتيم من المشركين فلا تفعلوا ذلك والله يعلم المفسد لامورهم من المصلح لها ويعلم ضمائر من اراد الافساد والطمع في مالهم بالنكاح من المصلح فيجازي
على حسب غرضه ومقصده فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح وفيه تهديد عظيم فكانه قال انا المتكفل بالحقيقة لامر اليتيم فانا المطالب لوليه ان قصر ولو
شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت والمشقة بان ضيق عليكم طريق المخالطة معهم وعن ابن عباس لو شاء الله لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى موبقا
وذلك انهم كانوا في الجاهلية قد اعتادوا الانتفاع باموال اليتامى وربما تزوجوا باليتيمة طمعا في مالها او يزوجها من ابن له كيلا يخرج مالها من يده
وقد يستدل بالآية على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه وعلى انه تعالى قادر على خلاف العدل لانه لو امتنع وصفه بالقدرة على الاعنات ما جاز ان
يقول ولو شاء لاعنتكم ولهذا قال ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم الحكم السادس ولا تنكحوا
المشركات اكثر المفسرين على ان هذه الآية ابتداء شرع وحكم آخر في بيان ما يحل وما يحرم وعن ابي مسلم انه متعلق بقصة اليتامى ترغيبا في مخالطتهن دون
مخالطة المشركات عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان حليفا لبني هاشم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى
امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستامره فنزلت هذه الآية ثم العلماء اختلفوا في الآية في موضعين الاول في لفظ النكاح فقال اكثر اصحاب الشافعي انه حقيقة في العقد لقوله صلى الله عليه وسلم
لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل ولا شك ان المتوقف على الولي والشاهد هو العقد لا الوطء ولقوله ايضا ولدت من نكاح لا من سفاح ولقوله تعالى وانكحوا
الايامى وقال الجمهور من اصحاب ابي حنيفة انه حقيقة في الوطء لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره والنكاح الذي ينتهي اليه الحرمة ليس هو العقد بل هو الوطء
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وقال صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون وناكح البهيمة ملعون ومن الناس من قال النكاح عبارة عن الضم
يقال نكح المطر الارض اذا وصل اليها ونكح النعاس عينيه والضم حاصل في العقد وفي الوطء فيحسن استعمال اللفظ فيهما جميعا قال ابن جني سألت ابا علي
عن قولهم نكح المراة فقال فرقت العرب بالاستعمال فرقا لطيفا فاذا قالوا نكح فلان فلانة ارادوا انه تزوجها وعقد عليها واذا قالوا نكح امراته او زوجته
لم يريدوا غير المجامعة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالنكاح في هذه الآية هو العقد اي لا تعقدوا على المشركات الثاني لفظ المشرك هل يتناول
الكفار من اهل الكتاب ام لا قال الاكثرون نعم لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون و
لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كفر اليهود والنصارى غير الشرك لاحتمل ان يغفر الله لهم وذلك باطل
بالاتفاق وايضا النصارى قائلون بالتثليث وليس ذلك في الصفات فان اكثر المسلمين ايضا يثبتون لله تعالى صفات قديمة فاذن هو في الذات وهذا



مرد



شرك محض وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم امر امراء وقال اذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد
الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم سمى من يقبل الجزية وعقد الذمة
بالمشرك وقال ابو بكر الاصم كل من جحد رسالته فهو مشرك من حيث ان تلك المعجزات التي ظهرت على يده كانت خارجة عن حد البشر وهم انكروها
واضافوها الى الجن والشياطين فقد اثبتوا شريكا لله سبحانه في خلق هذه الاشياء الخارجة عن قدرة البشر واعترض عليه بان اليهودي من حيث لا
يسلم ان ما ظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم هو من جنس ما لا يقدر العباد عليه لم يلزم ان يكون مشركا بسبب اضافته ذلك الى غير الله والجواب انه لا اعتبار باقراره
وانما الاعتبار بالدليل فاذا ثبت بالدليل ان ذلك المعجز خارج عن قدرة البشر فمن اضاف ذلك الى غير الله كان مشركا كما لو اسند خلق الحيوان و
النبات الى الافلاك والكواكب احتج المخالف بانه تعالى فصل بين اهل الكتاب والمشركين في الذكر حيث قال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والعطف يقتضي التغاير واجيب بان كفر الوثني اغلظ وهذا القدر يكفي في العطف ولعله خص ثم عمم هذا
وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل فلا تجعلوا لله اندادا ان اكثر عبدة الاوثان مقرون بان اله العالم واحد وانه ليس له في الالهية على خلق
العالم وتدبيره شريك ونظير فظهر ان وقوع اسم المشرك عليهم ليس بحسب اللغة بل بالشرع كالصلوة والزكوة واذا كان كذلك فلا يبعد بل يجب اندراج
كل كافر تحت هذا الاسم لا سيما وقد تواتر النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بانه يسمى كل من كان كافرا بانه مشرك التفريع ان قيل المشركات تشمل الحربيات والكتابيات
جميعا فالاية منسوخة او مخصصة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم لان سورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ شيء منها قط وهو
قول ابن عباس والاوزاعي لا يقال لعل المراد من من بعد ان كان من اهل الكتاب لان قوله والمحصنات من المؤمنات يشمل من امن منهن فيبقى قوله
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ضايعا وللاجماع الصحابة على جواز نكاح الكتابيات نقل ان حذيفة تزوج بيهودية او نصرانية فكتب اليه عمر ان
خل سبيلها فكتب اليه اتزعم انها حرام فقال لا ولكني اخاف وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نتزوج نساء اهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا
وعن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم ولو لم يكن نكاح نسائهم جائزا لكان هذا
الاستثناء خاليا عن الفائدة وان قيل ان المشركات يختص بالحربيات فالاية ثابتة وباقية على عمومها ومن الناس من زعم ان هذه الاية ناسخة لما
كانوا عليه من التزوج بالمشركات وحكي هذا عن الحسين بن فضيل وهو ضعيف لان رفع مباح الاصل ليس بنسخ لان الناسخ والمنسوخ يجب ان يكونا حكمين شرعيين الا ان يقال
ان تجويز نكاح المشركة قبل نزول الاية كان ثابتا من قبل الشرع قوله حتى يؤمن اتفق الكل على ان المراد منه الاقرار بالشهادة والتزام احكام الاسلام
ولكنه لا يدل هذا على ان الايمان في عرف الشرع عبارة عن الاقرار فقط لما مر في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب انه لا بد في الايمان الحقيقي من
التصديق القلبي الا انه اكتفى ههنا بالاقرار اللساني لانه هو امارة الايمان بالنسبة الينا فلا اطلاع لنا على صميم القلب والسريرة موكولة الى علام الخفيات
فان وافق سره العلن كان مؤمنا حقا والا كان منافقا جاحدا ولامة مؤمنة هذه اللام في افادة التوكيد تشبه لام القسم المراد بالامة وكذا بالعبد في
قوله ولعبد مؤمن من اماء الله وعبده لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة خير من مشركة ولو اعجبتكم المبالغة
والجواب محذوف اي ولو كانت المشركة تعجبكم بمالها وجمالها ونسبها فالمؤمنة خير منها لان الايمان يتعلق بالدين والمال والجمال والنسب يتعلق بالدنيا
ورعاية الدين اولى من رعاية الدنيا ان لم يتيسر الجمع بينهما وقد يحصل المحبة والتالف عند التوافق في الدين فيكمل منافع الدنيا ايضا من حسن الصحبة
والعشرة وحفظ الغيب في ضبط الاموال والاولاد واما عند اختلاف الدين فينعكس هذه القضايا وقد يحدث اضداد ما توقع منها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسنها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وقد ظن بعضهم ان المراد بالامة ضد الحرة فقال التقدير ولامة
مؤمنة خير من حرة مشركة ولهذا ذهب بعض اخر الى ان في الاية دلالة على ان القادر على طول الحرة يجوز له التزوج بالامة على ما هو مذهب ابي حنيفة لان الاية
دلت على ان الواجد لطول الحرة المشركة يكون لا محالة واجدا لطول الحرة المسلمة لانه لا بسبب التفاوت في الايمان والكفر لا يتفاوت قدر المال المحتاج
اليه في اهبة النكاح فيلزم قطعا ان يكون الواجد لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الامة ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لا خلاف ههنا في ان المراد به الكل
وان المؤمنة لا يحل تزويجها من الكافر على اختلاف اقسام الكفرة اولئك المشركات والمشركون يدعون الى النار اي الى ما يؤدي اليها فان الزوجية مظنة
الالفة والمحبة في الظاهر وقد يحمل المودة على الاتفاق في الدين فلعل المؤمن يوافق الكافر والاحتراز عن مظنة الارتداد اهم من الطموح الى اسلام المشرك نحوهم
ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال وقيل المراد انهم يدعون الى ترك المحاربة والجهاد وفي ترك الجهاد استحقاق
النار والعذاب وغرض هذا القائل ان يجعل هذا فرقا بين الذمية وغيرها فان الذمية لا تحمل زوجها على ترك الجهاد وقيل ان الولد الذي يحدث بما
دعاه الكافر الى الكفر فيصير الولد من اهل النار فهذا هو الدعوة الى النار والله يدعوا الى الجنة حيث امر بالتزوج بالمسلمة حتى يكون الولد مسلما من اهل
الجنة او المراد اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يؤدي اليهما فهم الذين يجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه
بتوفيق الله وتيسيره للعمل الذي يستحق به الجنة والغفران وقرأ الحسن المغفرة بالرفع على الابتداء واي المغفرة كائنة بتيسيره ويبين اياته للناس لعلهم
يتذكرون معناه واضح وقد عرفت فيما مر ان التذكر هو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة فكان الايات تنبيه على ما هو مركوز في العقول من حقية دين
الاسلام فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون التاويل ان هو الظاهر كما يتخذ من اجناس مختلفة

كالعنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وغيرها فكذلك خمر الباطن من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذا يسكر النفوس والعقول الانسانية التي هي مناط التكليف فلهذا حرمت في عالم التكليف واما ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الواردات في اقداح المشاهدات من سقاة تجلي الصفات اذا دارت الكؤس بحذبات شهوات النفوس فتسكر القلوب بالمواجد عن المواجيد والارواح بالشهود على الوجود والاسرار بمطالعة الجمال من ملاحظة الكمال وهذا شراب حلال لانه فوق عالم التكليف فانه يمزج اللطيف باللطيف فيه منافع للناس وملازلة اهل القرب والاستيناس فصحوك من لفظي هو الوصل كله وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا فما مل ساقيها وما مل شارب عقار لحاظ كأسه يسكر اللباقو اسكرهم وجود الشراب قوم اسكرهم شهود الساقي فاسكر القوم دور كاس وكان سكرى من المدير الكاس الشراب والساقي والمسقي ههنا واحد كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح لا خمر واثم الاعراض عن كؤس الوصال في النهاية اكبر من نفع الطلب في البداية اما الميسر فاثمه كبير عند الاخيار وانه بعيد عن خصال الابرار ولكن نفعه عدم الالتفات الى الكونين وبذل نفوس العالمين في قربانية نفس الكعبتين واثمهما اكبر من نفعهما للعوام ونفعهما للخواص والعوام اكثر من الخواص وبعبارة اخرى الاثم في الخمر الظاهر والميسر الظاهر والنفع في الخمر الباطن والميسر الباطن واهل الظاهر اكثر من اهل الباطن والله اعلم **وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ اَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتّٰى يَطْهُرْنَ فَاِذَا**

وسؤال كنند ترا از حيض زنان بگو كه آن رنجيست پس دوری كنيد از زنان در حال حيض و نزديكی مكنيد ايشان را تا كه پاك شوند پس چون

تَطَهَّرْنَ فَاْتُوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ اَمَرَكُمُ اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوَّابِيْنَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِيْنَ نِسَاۤؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاْتُوْا حَرْثَكُمْ

پاك شوند پس مباشرت كنيد ايشان را از جهتی كه فرموده است شما را خدا بدرستيكه خدا دوست ميدارد توبه كنندگان را و دوست ميدارد پاكيزه شوندگان را زنان شما كشت زار اند مر شما را پس بيائيد بكشت زار خود

اَنّٰى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوْا لِاَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْا اَنَّكُمْ مُّلٰقُوْهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَلَا تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً لِّاَيْمَانِكُمْ

هرگونه كه خواهيد و در پيش فرستيد از برای خودتان و بپرهيزيد خدا را و بدانيد كه شما رسيدگانيد بدو را و مژده ده گروندگان را و مگردانيد نام خدا را بهانه از برای قسمهای خود

اَنْ تَبَرُّوْا وَتَتَّقُوْا وَتُصْلِحُوْا بَيْنَ النَّاسِ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِيْۤ اَيْمَانِكُمْ وَلٰكِنْ يُّؤَاخِذُكُمْ

بكه نيكوئی كنيد و پرهيز كنيد و اصلاح كنيد در ميان مردمان و خدا شنوای داناست فرا نگيرد شما را خدا بيهوده در سوگندهای شما وليكن فرا گيرد شما را

بِمَا كَسَبَتْ قُلُوْبُكُمْ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ حَلِيْمٌ لِلَّذِيْنَ يُؤْلُوْنَ مِنْ نِّسَاۤئِهِمْ تَرَبُّصُ اَرْبَعَةِ اَشْهُرٍ فَاِنْ فَاۤءُوْ فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ

بانچه كسب كرده است دلهای شما و خدا آمرزنده بردبار است مر آنكه سوگند ميخورند از زنان خود انتظار بردن چهار ماه است پس اگر باز آيند پس بدرستيكه خدا آمرزنده مهربان است

وَاِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَاِنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ القراءة حتى يطهرن بالتشديد والاصل يتطهرن فادغم التاء في الطاء حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص الباقون يطهرن بالتخفيف من الطهارة اي بالامالة المفرطة حمزة وعلي

واگر قصد كنند طلاق را پس بدرستيكه خدا شنونده داناست

وخلف وقرأ العباس بالامالة اللطيفة كل القرآن الباقون بالتفخيم لا يؤاخذكم وبابه كل همزة متحركة وتحرك ما قبلها مثل يؤخر ويؤده فاشباه ذلك بغير همز يزيد وورش والشموني وحمزة في الوقف الوقوف عن المحيض ط اذى ط لان لكونه اذى تاثيرا بليغا في وجوب الاعتزال في المحيض لا للعطف حتى يطهرن ج لان اذا متضمنة الشرط للفاء في جوابه مع فاء التعقيب فيها امركم الله ط المتطهرين حرث لكم ص لان الفاء للجزاء اي اذا كن حرثا فاتوهن والا فقد اختلف الجملتان شئتم ز لقد يجوز لوقوع العارض لانفسكم ط ملاقوه ط المؤمنين بين الناس ط عليم قلوبكم ط اشهر ج عليم حليم رحيم ج عليم التفسير والحكم النازل **وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ** قيل انه تم جمع في هذا الموضع بين ستة اسئلة فذكر الثلثة الاول بغير الواو والباقية بالواو والسبب ان سؤالهم عن تلك الحوادث وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من تلك السؤالات مبتدأ وسئلوا عن الوقائع الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن كذا وعن كذا روي ان اليهود والمجوس كانوا يبالغون في التباعد عن المرأة حال حيضها والنصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض وكان اهل الجاهلية اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت فقال ناس من الاعراب يا رسول الله صلى الله عليه وسلم البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهم بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فنزلت الاية فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت يعني ان المراد من قوله تعالى فاعتزلوا النساء فاعتزلوا مجامعتهن اتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمان الحيض واتفقوا على حل الاستمتاع بالمرأة بما فوق السرة وتحت الركبة واختلفوا فيما دون السرة وفوق الركبة والشافعي وابو حنيفة وابو يوسف قالوا يجب اعتزال ما اشتمل عليه الازار بناء على ان المحيض مصدر كالمجيء والمبيت والتقدير فاعتزلوا تمتع النساء في زمان الحيض ترك العمل بالاية فيما فوق السرة وتحت الركبة للاجماع فبقي الباقي على الحرمة وعن زيد بن اسلم ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها وقيل ما سوى الفرج حلال لان المراد بالحيض موضع الحيض والمعنى فاعتزلوا موضع الحيض من النساء نعم المحيض لا يصلح ان يكون مصدرا ليصلح عوّد الضمير اليه في قوله قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة وكراهة على انه يحتمل ان يكون بمعنى المكان والتقدير هو ذو اذى وانما قدم قوله هو اذى لترتب الحكم وهو وجوب الاعتزال عليه وذلك ان دم الحيض دم فاسد يتولد من فضلة يدفعها طبيعة المرأة من طريق الرحم حتى لو احتبست تلك الفضلة لمرضت المرأة فذلك الدم جار مجرى البول والغائط فكان اذى وقذرا ولا يرد عليه دم الاستحاضة حيث لا يوجب الاعتزال لان ذلك دم صالح يسيل من عرق ينفجر في عنق الرحم ويؤيده ما روي في الصحيحين عن عائشة قالت جاءت فاطمة بنت ابي حبيش فقالت يا رسول الله

كانما قدح

لان انما

ع ١٢

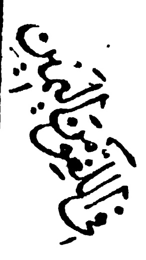
فى المرأة



الى امراة استحاض فلا اطهر افادع الصلوة فقال لا انما ذلك عرق وليست بالحيضة فاذا اقبلت الحيضة فدعى الصلوة فاذا ادبرت فاغسلى عنك الدم وصلى
ومعنى العرق انه علة حدثت بها من تصدع العروق واصل الحيض فى اللغة السيل يقال حاض السيل وفاض قال الازهرى منه قيل الحوض لان الماء يحيض اليه اى
يسيل والواو والياء من جنس واحد وقد ورد فى الحديث لدم الحيض صفات منها السواد والمراد انه يعلوه حمرة متراكبة فيضرب من ذلك الى السواد ومنها الثخانة
ومنها المحتدم وهو المحرق من شدة حرارته ومنها انه ذو دفعات اى يخرج برفق ولا يسيل سيلا ومنها ان له رائحة كريهة ومنها انه بحرانى وهو الشديد الحمرة
وقيل ما يحصل فيه كدورة تشبيها له بماء البحر فمن الناس من قال ان كان الدم موصوفا بهذه الصفات فهو الحيض والا فلا وما اشتبه الامر فيه فالاصل
بقاء التكليف وزوالها انما كان بعارض الحيض فاذا كان غير معلوم الوجود بقيت التكاليف الواجبة على ما كان ومنهم من قال هذه الصفات قد تشتبه
على المكلف فايجاب التامل فى تلك الدماء وفى تلك الصفات يقتضى عسرا ومشقة فالشارع قدر وقتا مضبوطا متى حصلت الدماء فيه كان حكمها
حكم الحيض ومتى حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض كيف كانت صفة تلك الدماء اما السن المحتمل للحيض فاصح الوجوه انها تسع سنين
فاذا رات الصبية دما قبل استكمال التسع فهو دم فساد قال الشافعى واعجل من سمعت من النساء يحضن نساء تهامة يحضن بتسع سنين وقيل ان اول
وقت الامكان يدخل بالطعن فى السنة التاسعة وقيل بمضى ستة اشهر من السنة التاسعة والاعتبار على الوجوه بالسنين القمرية تقريبا على الاظهر لا
تحديدا حتى لو كان بين رؤية الدم وبين استكمال التسع على الوجه الاصح ما لا يسع حيضا وطهرا كان ذلك الدم حيضا والا فلا واقل مدة الحيض عند
الشافعى يوم وليلة وعند ابى حنيفة ثلثة ايام وعند مالك لا حد لاقله واما اكثر الحيض فهو خمسة عشر يوما وليلته بالقول على كرم الله وجهه ما زاد على خمسة
عشر فهو استحاضة وعن عطاء رايت من تحيض خمسة عشر يوما واما الطهر فاكثره لا حد له فقد لا ترى المراة الدم فى عمرها الا مرة واحدة واقله خمسة عشر
يوما وقال احمد اقله ثلثة عشر وقال مالك ما اعلم بين الحيضتين وقتا يعتمد عليه لنا الرجوع الى الوجود وقد ثبت ذلك من عادات النساء وروى انه صلعم قال
تمكث احداهن شطر دهرها لا تصلى اشعر ذلك بان اقل الطهر واكثر الحيض وغالب عادات النساء فى الحيض ستا وسبع فى الطهر باقى الشهر قال صلعم لحمنة بنت
جحش تحيضى فى علم الله ستا او سبعا كما تحيض النساء ويطهرن ومعنى فى علم الله اى بما علمك الله من عادات او من غالب عادات النساء ويحرم فى الحيض عشرة
اشياء الصلوة والصوم والاعتكاف والمكث فى المسجد والطواف ومس المصحف وقراءة القران والسجود والغشيان بنص القران والطلاق فى حق بعضهن
ثم ان اكثر فقهاء الامصار على ان المراة اذا انقطع حيضها لا يحل مجامعتها الا بعد ان تغتسل عن الحيض وهذا قول مالك والاوزاعى والشافعى . والثورى
والمشهور عن ابى حنيفة انها ان رات الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها حتى تغتسل او يمضى عليها وقت صلوة وان راته عشرة ايام جاز له ان يقربها قبل
الاغتسال حجة الشافعى ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قراءتان متواترتان وجب الجمع بينهما ما امكن فمن قراء يطهرن بالتخفيف فانتهاء
الحرمة عنده انقطاع الدم ومن قراء يطهرن بالتثقيل فالنهاية تطهرها بالماء والجمع بين الامرين ممكن بالماء فى الجمع بين الامرين ممكن بان يكون النهاية
حصول الشيئين ومعنى قوله ولا تقربوهن اى لا تجامعوهن وهذا كالتاكيد لقوله فاعتزلوا ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن المباشرة فى موضع الدم وهذا
نهيا عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع وايضا قوله فاذا تطهرن فاتوهن تعليق للاتيان على التطهر بكلمة اذا فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم
التطهر والمراد بالتطهر الاغتسال لان هذا الحكم عائد الى ذات المراة فوجب ان يحصل فى كل بدنها لا فى بعض من ابعاض بدنها وعن عطاء وطاوس هو ان تغسل
الموضع وتتوضاء وقال بعضهم غسل الموضع ثم القائلون بوجوب الاغتسال اجمعوا على ان التيمم يقوم مقامه عند عوز الماء من حيث امركم الله اى من
المأتى الذى امركم به وحلله لكم وهو القبل عن ابن عباس ومجاهد وابرهيم وقتادة وعكرمة وقال الاصم والزجاج فاتوهن بحيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان
لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات وعن محمد بن الحنفية فاتوهن من قبل الحلال دون الفجور ان الله يحب التوابين مما عسى ان يبدو منهم من ارتكاب
ما نهوا عنه من ذلك كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان الدبر ويحب المتطهرين المتنزهين عن تلك الفواحش فالتائب هو الذى فعله ثم تركه
والمتطهر هو الذى ما فعله تنزها عنه لان الذنب كالنجاسة روحانية حكمية انما المشركون نجس او يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهر التوبة
من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار والاوزار الحكم الثامن نساؤكم حرث لكم وانه جار مجرى البيان فاتوهن من حيث امركم الله دلالة على ان
الغرض الاصلى فى الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فينبغى ان يوتى المأتى الذى هو مكان الحرث عن جابر قال كانت اليهود يقول اذا جامعها
من ورائها جاء الولد احول فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله صلعم هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلى
الليلة قال فلم يرد عليه شيئا فاوحى الى رسول الله صلعم هذه الاية وتحويل الرحل قبل ظاهره الكناية عن الاتيان فى غير المحل المعتاد وقيل انه الاتيان فى المحل
المعتاد لكن من جهة ظهرها وعنه كانت الانصار تنكر ان ياتى الرجل المراة مجبية اى فى قبلها من دبرها وكانوا اخذوا ذلك من اليهود وكانت قريش تفعل
ذلك فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته فبلغ ذلك رسول الله صلعم فنزلت نساؤكم حرث لكم
فاتوا حرثكم انى شئتم اى مقبلات ومدبرات ومستلقيات بعد ان يتقى الدبر والحيضة وذلك ان قوله حرث لكم اى مزدرع ومنبت للولد وهذا على سبيل
التشبيه ففرج المراة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات وانما وحد الحرث لانه مصدر اقيم مقام المضاف اى هن موضع حرث فاتوهن كما تاتون اراضيكم
التى تريدون ان تحرثوها من اى جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث اعنى القبل دون الدبر هذا ما عليه
اكثر العلماء ويؤيده قوله عز من قائل قل هو اذى فاعتزلوا اجعل ثبوت الاذى علة للاعتزال ولا معنى للاذى الا ما يتاذى الانسان منه بنتن وتلوث

والتوضيح لقوله

وتنفر لجميع الاذى وفى الدبر حاصل بل فالاعتزال عنه اولى بالوجوب فمعنى انى شئتم كيف شئتم من قبلها او قائمة او باركة او مضجعة وقيل انى بمعنى
اى فأتوا حرثكم اى وقت شئتم من اوقات الحل يعنى اذا لم تكن اجنبية ومحرمة او صائمة او حائضا وعن ابن عباس المعنى ان شاء عزل وان شاء لم يعزل وقيل
متى شئتم من ليل ونهار والاصح الاول وعن مالك والشيعة تجويز اتيان النساء فى ادبارهن ويحكى ان نافعا نقل عن ابن عمر مثل ذلك واحتجوا بان الحرث
اسم المرأة لا للموضع المعين وبان قوله انى شئتم معناه من اين شئتم كقوله انى لك هذا اى من اين كلمة اين تدل على تعدد الامكنة فيلزم ان يكون المأتى متعدد
وبقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ترك العمل بعمومه فى حق الذكور لدلالة الاجماع فوجب ان يبقى معمولا به فى حق الاناث ولا يخفى ضعف هذه
الحجج ولو سلم مساواتها لادلة الحرمة فى القوة فالاجتناب احوط وكيف لا وقد روى عن رسول الله ملعون من اتى امرأة فى دبرها ولو لم يكن فيه الا فوات
غرض التوالد والتناسل الذى به بقاء النوع الانسانى الذى هو اشرف انواع الكائنات لكفى منقصة وذما واذا كان الزنى لكونه مزيلا للنسب محرما وكذا
الخمر لكونها دافعة للعقل والقتل لكونه مفنيا للشخص فلأن يحرم هذا الفعل لكونه متضمنا لفناء النوع اولى كاللواط واتيان البهيمة والاستمناء
ولهذا عقبه بقوله وقدموا لانفسكم اى افعلوا ما تستوجبون به الجنة والكرامة كقول الرجل لغيره قدم لنفسك عملا صالحا وذلك ان الاية اشتملت
على الاذن فى احد الموضعين والمنع عن الموضع الآخر فكأنه قيل لا تكونوا فى قيد قضاء الشهوة وانما يجب ان تكونوا فى ربقة الاخلاص وتقديم الطاعة ثم انه
اكد ذلك بقوله واتقوا الله ثم زاد التأكيد بقوله واعلموا انكم ملاقوه وهذه التهديدات الثلاثة المتوالية لا تحسن الا اذا كان مسبوقة بالنهى عن
مشتهى فقوله وقدموا لانفسكم تحريض على فعل الطاعات ويندرج فيه ابتغاء الولد والتسمية عند الوقاع وغير ذلك من آداب الخلوة وقوله
واتقوا الله زجر عن المحظورات والمنكرات وقوله واعلموا انكم ملاقوه تذكير ليوم البعث والحساب الذى لولاه لضاع فعل الطاعات وترك المنهيات
وما احسن هذا الترتيب ثم قال وبشر المؤمنين كيلا يخلو الوعيد من الوعد ولم يذكر المبشر به وهو الثواب والكرامة ونحوهما اما لانه كالمعلوم من نحو
قوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات واما لان الغرض نفس البشارة مثل فلان
يعطى الحكم الناسع ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وهو نهى عن الجرأة على الله بكثرة الحلف فان من اكثر ذكر شىء فى معنى من المعانى فقد جعله عرضة
اى معرضا له قال فلا تجعلونى عرضة للوائم وقد ذم الله تعالى من اكثر الحلف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين والحكمة فيه ان من حلف فى كل قليل
وكثير بالله انطلق لسانه بذلك فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة وايضا كلما كان الانسان اكثر تعظيما لله كان اكمل فى العبودية ومن كمال التعظيم
ان يكون ذكر الله تعالى اجل واعلى عنده من ان يبتذله ويستشهد به فى غرض من الاغراض الدنيوية وقوله ان تبروا علة النهى اى ارادة ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا بين الناس لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا فاذا ترك الحلف لاعتقاده ان الله اعظم واجل من ان يستشهد باسمه
العظيم فى مطالب الدنيا اعتقد الناس فى صدق لهجته وبعده من الاغراض الفاسدة فعدوه برا متحرزا من الاخلال بواجب حق الله فيدخلونه فى
وساطاتهم واصلاح ذات بينهم ومعنى آخر وهو ان يكون العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة فيكون اسما للشىء الذى يوضع فى عرض
الطريق فيصير مانعا الناس من السلوك ومنه عرض العود على الاناء ويقول فلان عرضة دون الخير وذلك ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات
من صلة الرحم واصلاح او احسان او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث فى يمينى فيترك البر ارادة البر فى يمينه فقيل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا لما
حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا للتلبس باليمين كما قال النبى لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر
عن يمينك اى على شىء مما تحلف عليه فيكون قوله ان تبروا عطف بيان لايمانكم اى للامور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى والاصلاح بين الناس وعلى هذا
فاللام فى لايمانكم اما ان يتعلق بالفعل اى ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا واما ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوا شيئا
يعترض البر ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالعرضة اى لا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا والله سميع ان حلفتم به عليم
بنياتكم ان تركتم الحلف اجلالا لذكره واليمين فى الاصل عبارة عن القوة فسمى الحلف بذلك لان المقصود بها تقوية جانب البر على جانب الحنث اللغو الساقط
الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولهذا قيل لما لا يعتد به من اولاد الابل فى الدية لغو وهو فى الاصل مصدر لغا يلغو وفى الخبر من قال يوم الجمعة لصاحبه صه والامام
يخطب فقد لغا واختلف الفقهاء فى اللغو من اليمين فمذهب الشافعى وهو قول عائشة والشعبى وعكرمة انه قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون
به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف فلو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف فى المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة ومذهب ابى حنيفة وهو قول
ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعى والزهرى وسليمان بن يسار وقتادة والسدى ومكحول ان اللغو هو ان يحلف على شىء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وفائدة
الخلاف ان الشافعى لا يوجب الكفارة فى قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شىء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بالضد
من ذلك حجة الشافعى ان الاية تدل على ان لغو اليمين كالمقابل المضاد لما يحصل بسبب كسب القلب لكن المراد من قوله بما كسبت قلوبكم هو الذى يقصده
الانسان على سبيل الجد ويربط به قلبه فيكون اللغو ما يعتاده الناس فى الكلام لا والله وبلى والله فاما اذا حلف على شىء انه كان حاصلا جدا ثم ظهر انه لم
يكن فقد قصد الانسان بذلك اليمين تصديق قوله وربط قلبه بذلك فلم يكن لغوا البتة وايضا انه سبحانه ذكر قبل هذه الاية النهى عن كثرة الحلف فذكر عقيب
ذلك حال هؤلاء الذين يكثرون الحلف على سبيل الاعتياد فى الكلام لا على سبيل القصد الى الحلف وبين انه لا مؤاخذة عليهم ولا كفارة لان ايجاب الكفارة
والمؤاخذة عليهم يفضى بهم الى ان يمتنعوا عن الكلام ويلزمهم فى كل لحظة كفارة وكلاهما حرج فى الدين فظهر ان تفسير اللغو بما ذكرنا هو المناسب ويؤيده ما روى





عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لغو اليمين قول الرجل في كلامه كلا والله وبلى والله وروي انه صلى الله عليه وسلم مر بقوم ينتضلون ومعه رجل من اصحابه فرمى رجل من القوم فقال اصبت
والله ثم اخطأ فقال الذي مع النبي صلى الله عليه وسلم حنث الرجل يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم كل ايمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة وعن عائشة انها قالت ايمان اللغو
ما كان في المراء والهزل والمزاحة والحديث الذي لا يعقد عليها القلب واثر الصحابي في تفسير كلام الله حجة وقال ابو حنيفة اليمين معنى لا يلحقه الفسخ فلا يعتبر فيه القصد كالطلاق
والعتاق وايضا انه صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اوجب الكفارة على الحانث مطلقا من غير فصل
بين الجد والهزل وقيل ان يمين اللغو هو الحلف على ترك طاعة او فعل معصية فبين الله تعالى انه لا يؤاخذ بترك هذه الايمان وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ
اي اقامتكم على ذلك الذي حلفتم عليه من ترك الطاعة وفعل المعصية عن الضحاك ان اللغو هي اليمين المكفرة كانه قيل لا يؤاخذكم الله بما سمي الحلف اذا كفرتم
وقيل هي ما يقع سهوا والمراد بما كسبت قلوبكم هو العمد اختاره القاضي ابو بكر ثم ان الشافعي قال معنى لا يؤاخذكم لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد
معه ولكن يلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت في الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده وقال ابو حنيفة معناه لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه
احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس وقال
مالك في الموطأ احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة قال والذي يحلف على شيء
وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم ان يكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشيء
المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك ويحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وَاللّٰهُ
غَفُورٌ حَلِيمٌ حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم واخر عقوبتكم بما كسبت قلوبكم لعلكم تتفكرون او تتوبون عنها الحكم العاشر لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ
يقال في اللغة آلى يولي ايلاء وائتلى ائتلاء وتألى تأليا والالية والقسم واليمين والحلف كلها واحد وفي الحديث القدسي ايت ان افعل خلاف المقدر من
الايلاء في الشرع هو الحلف على الامتناع من وطي الزوجة مطلقا او مدة تزيد على اربعة اشهر وكان الايلاء طلاقا في الجاهلية فغير الشرع حكمه قال سعيد بن
المسيب كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب ان يزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها وكان يتركها بذلك لا ايما ولا ذات بعل والغرض منه مضارة المرأة ثم ان اهل الاسلام
كانوا يفعلون ذلك ايضا فازال الله تعالى ذلك وامهل الزوج مدة حتى يتروى ويتأمل فان رأى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها وان رأى المصلحة في المفارقة
عن المرأة فارقها ثم المتعارف ان يقال آلى على كذا وانما عدي ههنا بمن لانه اريد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كما يقال لي منك كذا او ضمن فيه هذا
القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم او يعتزلون مولين او مقسمين التربص التلبث في الانتظار واضافته الى اربعة اشهر اضافة
المصدر الى الظرف كقولهم بينهما مسيرة يوم اي مسيرة في يوم فَإِنْ فَاءُوا فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر للمولين
ما عسى يقدمون عليه من طلب الضرار بالايلاء وهو الغالب وان كان من الجائز كونه على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل ولغير ذلك
من الاسباب وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ مما عقدوا القلب على حل رابطة النكاح فَإِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة التي هي مثل التوبة واعلم
ان الايلاء له اركان اربعة الحالف والمحلوف به والمحلوف عليه ومدة هي ظرف المحلوف عليه الركن الاول الحالف وهو كل زوج يتصور منه الوقاع وكان تصرفه
معتبرا في الشرع فيصح ايلاء الذمي لعموم قوله لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ وبه قال ابو حنيفة وقال ابو يوسف ومحمد لا يصح ايلاؤه بالله ويصح بالطلاق والعتاق وايضا
لا فرق عندنا بين الحر والرقيق في الحد وعند ابي حنيفة ينتصف برق المرأة وعند مالك برق الرجل كما قالا في الطلاق ولنا ان التخصيص خلاف الظاهر ولان تقدير
هذه المدة ان كان لاجل معنى يرجع الى الجبلة والطبع وهو قلة الصبر على مفارقة الزوج فيستوي فيه الحر والرقيق كالحيض ومدة الرضاع ومدة العنة و
يصح الايلاء في حالتي الرضاء والغضب لعموم الاية وقال مالك لا يصح الا في حال الغضب وايضا يصح الايلاء عن المرأة سواء كانت في صلب النكاح او
مطلقة طلقة رجعية لان الرجعية تصدق عليها انها من نسائه بدليل انه لو قال نسائي طوالق وقع الطلاق عليها فتدخل تحت ظاهر قوله يُؤْلُونَ
مِنْ نِسَائِهِمْ ولهذا لو قال للاجنبية والله لا اجامعك لم يكن موليا وايلاء الخصي صحيح لانه يجامع كما يجامع الفحل غير انه لا ينزل ومن جب جميع ذكره لم يصح
ايلاؤه على الاظهر لانه لا يتحقق منه قصد الايلاء لامتناع الامر في نفسه وكذا الاشل ومن بقي من ذكره بعد الجب ما دون قدر الحشفة فان آلى
ثم جب فالاصح ثبوت الخيار لها فان لم تفسخ بقي الايلاء على الاظهر لان العجز عارض وقد قصد الاضرار في الابتداء واذا كانت المرأة رتقاء او قرناء
فالحكم كما في الجب ولا يصح ايلاء الصبي والمجنون بحال الركن الثاني المحلوف به وهو اما الله تعالى وصفاته او غيره فان حلف بالله كان موليا ثم ان جامعها
في مدة الايلاء خرج عن الايلاء وهل يجب عليه كفارة اليمين الجديد وهو قول ابي حنيفة انه يجب عليه كفارة اليمين لان الدلائل الدالة على وجوب
الكفارة عند الحنث باليمين عامة واي فرق بين ان يقول والله لا اقربك ثم يقربها وبين ان يقول والله لا اكلمك ثم يكلمها وانما ترك ذكر الكفارة
في الاية لانها مبينة في سائر المواضع من القرآن وعلى لسان الرسول وقوله تعالى فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يدل على عدم العقاب لا انه لا ينافي الكفارة كما
ان التائب عن الزنا والقتل لا عقاب عليه ومع ذلك يجب عليه الحد والقصاص واما ان كان الحلف في الايلاء بغير الله كما اذا قال ان وطئتك فلله علي عتق رقبة
او صدقة او حج او صوم او صلوة فهل يكون موليا الجديد وهو قول ابي حنيفة ومالك وجماعة من العلماء انه يكون موليا لان العتق والطلاق المعلقين
بالوطي يحصلان لو وطي فيكون مما يلزمه بالوطي ما يناله من الوطي ويكون هو بتعليقه بالوطي مضرا بها فيثبت لها المطالبة كما في اليمين بالله تعالى حتى
يضيق الامر عليه بعد مضي اربعة اشهر ليفيء او يطلق ولا يخفى انه لو كان المعلق به التزام قربة في الذمة فعليه ما في نذر اللجاج وفيه اقوال اصحها ان عليه



عليه كفارة اليمين والثانى عليه الوفاء بما سمى والثالث التخيير بين كفارة اليمين بين الوفاء الركن الثالث المحلوف عليه وهو الجماع هذا من صرائح الفاظه و كذا النيك والوطى والاصابة من كناياتها المباضعة والملامسة والمباشرة فلا تعمل الا بالنية الركن الرابع المدة فعن ابن عباس انه لا يكون موليا حتى يحلف ان لا يطأها ابدا وعن الحسن واسحق انه مول ان حلف يوما وهذان المذهبان فى غاية البعد وعن ابى حنيفة والثورى انه لا يكون موليا حتى يحلف على ان لا يطأها اربعة اشهر اجل الاربعة اشهر وهذه المدة يكون حقا للزوج فاذا مضت طالبت المرأة الزوج بالفيئة او الطلاق فان امتنع الزوج منهما طلقها الحاكم عليه وعند ابى حنيفة اذا مضت اربعة اشهر يقع الطلاق بنفسه حجة الشافعى ان الفاء فى قوله فان فاؤا يقتضى كون ما بعده من حكمى الفيئة والطلاق مشروعا متراخيا عن انقضاء الاشهر الاربعة وايضا قوله وان عزموا الطلاق فان الله سميع صريح فى ان وقوع الطلاق انما يكون بايقاع الزوج وفى ان الزوج لا بد ان يصدر عنه شئ يكون مسموعا وما ذاك الا ايقاع الطلاق اجاب ابو حنيفة بان قوله فان فاؤا تفصيل الحكم المتقدم كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والالم اقم الا ريثما اتحول وايضا الايلاء طلاق فى نفسه فالطلاق اشارة اليه وايضا الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة لا يخلو من مقاولة ودمدمة وحديث نفس فذلك الذى يسمعه الله كما يسمع وسوسة الشيطان واستدل على صحة مذهبه ان الفيئة لا بد ان تقع فى الاشهر بقراءة عبد الله بن مسعود فان فاؤا فيهن ورد بانها شاذة فلا معول عليها والرجوع الى الحق اولى والله حسبى التأويل كان للنساء محيضا فى الظاهر وهو سبب نقصان ايمانهن يمنعهن عن الصلوة والصيام فكذا للرجال محيض فى الباطن وهو سبب نقصان ايمانهم يمنعهم عن حقيقة الصلوة وهى المناجاة ومن حقيقة الصوم وهى الامساك عن مشتهيات النفوس كان المحيض هو غلبة الدم فكذلك الهوى هو غلبات دواعى الصفات البشرية والحاجات الانسانية فكلما غلب الهوى انكدر الصفا وحصل الاذى وقد قيل قطرة من الهوى يكدر بحرا من الصفاء ولذلك نودى من سرادقات الجلال فاعتزلوا الرجال اعتزلوا نساء النفوس فى محيض غلبات الهوى حتى يطهرن يعنى عن قضاء الحوائج الضرورية للانسان من المأكول والمشروب والمنكوح فاذا تطهرن بماء التوبة والانابة ورجعن الى الحضرة فى طلب القربة فأتوهن من حيث امركم الله يعنى طهروا شواهد الحق لزهوق باطل النفس واضمحلال هواها ان الله يحب التوابين عن اوصاف الوجود ويحب المتطهرين باخلاق المعبود بل يحب التوابين عن بقاء الوجود ويحب المتطهرين ببقاء الشهود نساؤكم حرث لكم الرجال البالغون الواصلون الى عالم الحقيقة المتصرفون فيما سوى الله بخلافة الحق فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم وهم الانبياء والاولياء القائمون بالله الداعون الى الله باذنه فكما ان الدنيا مزرعة الآخرة لقوم فالدنيا والآخرة مزرعتهم ومحرثهم يحرثون فيهما انى شاؤا وكيف شاؤا وما يشاؤن الا ان يشاء الله فقد تثبت مشيتهم فى مشيته تعالى وبقيت قدرة تصرفهم بتقويته لا يؤاخذكم الله القلب كالارض للزراعة والجوارح كالات الحراثة والاعمال والاقوال كالبذر فالبذر ما لم يقع فى الارض لم تنبت للزراعة لا ينبت وان كان فى آثر من الآلات الحراثة اما ان كان لما يجرى على الظواهر من الجوارح اثر فى القلب ولو كان مثقال ذرة فان الله تعالى من كمال فضله وكرمه لا يضيع بل يضاعفه وان كان ما يجرى عليه فى الظاهر ان لم يكن له اثر فى القلب كان لغوا ولا يؤاخذه وان كان له اثر فى القلب فهو بصدد المؤاخذة وان شاء الله عفره للذين يؤلون من نسائهم من وقع له من اهل القصة وقفة او فترة فى اثناء السلوك من ملالة النفس ونفرة الطبع فعلى الشيخ والاصحاب ان لا يفاوقوه فى الحقيقة ويعاونوه بالهمم العلية ويتربصوا اربعة اشهر للرجوع لان هذه مدة تعلق الروح بالجنين كما جاء فى الحديث ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك الى آخره فان فاؤا الفيئة الى صدق الطلب ورعاية حق الصحبة ونفخ فيه روح الارادة مرة اخرى لا حظوة بعين القبول فان هذا ربيع لا يرعاه الا ايسام الاطهر ولون ربيع لا يسكنه الا المعزولون بل شراب لا يذوقه الا العارفون وغناء لا يطرب عليه الا العاشقون وان عزموا الطلاق لعزمه على طلاق المواصلة فان الله سميع لمقالتهم عليم بحالهم وهو حسبى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن ان كن

وزنان طلاق داده شده انتظار كشند بنفسهاى خود سه پاكى و روا نباشد مر ايشانرا كه بپوشانند چيزى را كه آفريده است خدا در رحمهاى ايشان اگر باشند

يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن احق بردهن فى ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف

كه بگروند بخدا و روز پسين و شوهرهاشان سزاوارترند برگردانيدن ايشان درين اگر خواسته باشند اصلاح كردن را و مر ايشانراست مانند حقهاى مردان بر زنان به نيكوئى

وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان

و مر مردانرا بر زنان افزونى بمرتبه و خدا غالب و استكار است طلاق شرعى دوبار است پس نگاه داشتنى به نيكوئى يا رها كردن بخوبى و روا نيست مر شما را كه

تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما

فرا گيريد از آنچه داديد بايشان چيزى مگر آنكه بترسند كه برپاى ندارند احكام خداى پس اگر بترسيد كه برپاى ندارند احكام خداى را پس نيست باكى بر ايشان

فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون فان طلقها فلا تحل له

در چيزى كه زن بدهد بعوض آن اينست احكامهاى خدا پس از حد درمگذريد در آن و هركه از حد درگذرد از احكام خدا پس آن گروه ايشانند ستمكاران پس اگر طلاق داد او را اين دو بار مرد

من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله

پس طلاق سيوم تا آنكه نكاح كند مردى غير آن زن پس اگر اين مرد طلاق داد او را پس نيست باكى بر ايشان كه باز گردند اگر گمان دارند كه برپاى دارند احكام خدا را و اينست احكام خدا

يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن

[illegible]

ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ

ضرر رسانده تا که عدوان کنید وهرکه بکند این را پس ستم کرده است بر نفس خود و فرا مگیرید آیات خدا را ریشخند و یاد کنید نعمت خدا را که بر شماست و آنچه فرستاد

عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا

بر شما از کتاب و حکمت پند میدهد شما را بآن و بپرهیزید خدا را و بدانید که خدا بهمه چیزی داناست و چون طلاق دادید زنان را پس رسیدند بآخر مدت خود پس

تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذٰلِكُمْ أَزْكَىٰ

منع مکنید ایشان را که نکاح کنند شوهران خود را اگر راضی شوند درمیان خود بشایستگی این است که پند داده شود بآن هرکه هست از شما که بگرود بخدا و روز واپسین این بهتر پاکیزه تر

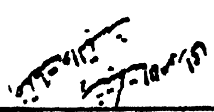
لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ القراءة أن يخافا بضم الياء يزيد وحمزة ويعقوب الباقون بفتح الياء يبينها بالنون المفضل الباقون بالياء

مر شما را و پاکیزه تر و خدا میداند و شما نمیدانید

العيبة يفعل ذلك مدغما حيث كان أبو الحرث عن علي فقد ظلم مظهر ابن كثير وأبو جعفر ونافع غير ورش وعاصم غير الأعشى الوقوف قروء ط الآخر ط إصلاحا ط بالمعروف ص لعطف المتفقتين ولا تمام المقصود في تفضيل الرجال درجة ط حكيم مرتان ص لطف المتفقتين بإحسان ط حدود الله الأول ط افتدت به ط تعتدوها ج الظالمون ربع الجزء عمر ط لأن الطلاق للزوج الثاني على خطر الوجود لا منتظر معهود فكان خارجا من مقتضى الجملة الأولى أن يقيما حدود الله ط يعلمون ط وسرحوهن بمعروف ص لطول الكلام لتعتدوا ج نفسه ط هزوا ط لطول ما بعد يعظكم به ط بالمعروف ط الآخر ط وأطهر ط لا تعلمون التفسير الحكم الحادي عشر الطلاق ويشتمل على أحكام أولها وجوب العدة واعلم أن المطلقة وهي التي وقع الطلاق عليها إما أن يكون أجنبية ولا يقع الطلاق عليها في عرف الشرع بالإجماع وإما أن يكون منكوحة وح إما أن لا يكون مدخولا بها ولا عدة عليها لقوله تعالى إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وإما أن يكون مدخولا بها وح إن كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل قال تعالى وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن وإن كانت حائلا فإن امتنع الحيض في حقها إما للصغر المفرط والكبر المفرط فعدتها بالأشهر لا بالأقراء لقوله سبحانه واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم ثلثة أشهر واللائي لم يحضن وإن كان الحيض في حقها ممكنا فإن كانت رقيقة فعدتها قرءان وإن كانت حرة فعدتها ثلثة أقراء فهذه الآية فظاهر أن قوله والمطلقات لا يتناول إلا المنكوحة الحرة المدخول بها من ذوات الحيض الحائل فيقال العام إنما يحسن تخصيصه إذا كان الباقي أكثر من حيث إن جرت العادة بإطلاق لفظ الكل على الغالب لا المغلوب فيقال للثوب سود إذا كان الغالب عليه السواد لا البياض وههنا الباقي قسم واحد من الأقسام الخمسة فكيف يحسن إطلاق لفظ العام عليه قلنا نقول أما الأجنبية فتخرج بعرف الشرع كما مر وأما غير المدخول بها فالقرينة تخرجها لأن المقصود من العدة براءة الرحم وكذا الحامل والآيسة لأن إيجاب الاعتداد بالأقراء إنما يكون حيث يحصل الأقراء ولا أقراء في حقهما وأما الرقيقة فنزر وجودها كالنادر فثبت أن اللفظ باق على تناوله للأغلب وإنما لم يقل وليتربص المطلقات بل أخرج الأمر في صورة الخبر إشعارا بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن فهو يخبر عن موجود وبناء الكلام على المبتداء مما زاده أيضا فضل تأكيد تقوو ولو قيل ليتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة وفي ذكر الأنفس دون أن يقال يتربصن ثلثة قروء تهييج لهن على التربص لأن فيه ما يستنكفن منه فإن أنفس النساء طوامح إلى الرجال نوازع إليهم فأمرن أن يقمعن أنفسهن القروء جمع قرء وقرء بفتح القاف وضمها والراء ساكنة في الحالين وفي الصحاح بفتح القاف فقط ولا خلاف أن اسم القرء يقع على الطهر والحيض والمشهور أنه حقيقة فيهما وقيل حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس وقيل إنه موضوع لمعنى واحد مشترك بينهما إما لأن القرء هو الاجتماع ثم في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع الدم في البدن وهو قول الأصمعي والأخفش والفراء والكسائي وإما لأنه عبارة عن الانتقال من حالة إلى حالة وهو قول أبي عبيد وإما لأن القرء هو الوقت يقال هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها ولا يخفى أن لكل من الطهر والحيض وقتا معينا وهذا قول أبي عمرو بن العلاء ثم إن الله تعالى أمر المطلقة بثلثة أشياء تسمى أقراء لكن العلماء أجمعوا على أن الثلثة يجب أن يكون من أحد الجنسين ثم اختلفوا فذهب الشافعي إلى أنها الأطهار ويروى ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة ومالك وربيعة وأحمد في رواية وقال عمر وعلي وابن مسعود هي الحيض وهو قول أبي حنيفة والثوري والأوزاعي وابن أبي ليلى وفائدة الخلاف أن مدة العدة عند الشافعي أقصر حتى لو طلقها في حال الطهر يحسب بقية الطهر قرءا وإن حاضت عقيبه في الحال فإذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند أبي حنيفة ما لم تطهر من الحيضة الثالثة إن كان الطلاق في حال الطهر أو من الحيضة الرابعة إن كان في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم قال إذا طهرت لأكثر الحيض تنقضي عدتها قبل الغسل وإن طهرت لأقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء أو يمضي عليها وقت صلوة حجة الشافعي قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن أي في زمان عدتهن وأجيب بأن معنى الآية مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلث بقين من الشهر أي مستقبلا للثلث وقيل هذا يقوي استدلال الشافعي لأن قول القائل لثلث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشروع في الثلث عقيبه فمعنى الآية طلقوهن بحيث يحصل الشروع في العدة عقيبه ولما كان الإذن حاصلا بالتطليق في جميع زمان الطهر وجب أن يكون الطهر الحاصل عقيب زمان التطليق من العدة وروي عن عائشة أنها قالت هل تدرون ما الأقراء الأقراء الأطهار ثم قال الشافعي النساء بهذا أعلم وأيضا التركيب يدل على الجمع وأكثر أحوال الرحم اجتماعا واشتمالا على الدم آخر الطهر إذ لو لم تمتلئ تلك الفضاء لما سالت إلى الخارج فمن أول الطهر يأخذ في الاجتماع والازدياد إلى آخره والآخر هو حال كمال الاجتماع فآخر الطهر هو القرء بالحقيقة وأيضا الاعتداد بالأطهار أقل زمانا من الاعتداد بالحيض فيلزم المصير إليه لأن الأصل أن لا يكون لأحد على غيره حق الحبس والمنع وكلما كانت المدة أقل كان أقرب إلى

فعدتهن

هذا الاصل و قوله تعالى في الاية يدل على انها اذا اعتدت بثلثة اشياء تسمى قرءا خرجت عن العهدة فيكون متمكنة من الاعتداد بالاطهار التي
مدتها اقل ومن الاعتداد بالحيض التي مدتها اكثر فيكون الاعتداد بالقدر الزائد على مدة الاطهار غير واجب حجة ابي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلوة
ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولان الغرض الاصلي من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام ولان
الاصل في الابضاع الحرمة وفي تقليل مدة العدة تحليل بضعها للزوج الثاني فالتكثير احوط ولان الطلاق في طهر كامل على بعض الطهر خلاف الظاهر
واذا تعارضت الوجوه ضعفت الترجيحات ويكون حكم الله تعالى في كل احد ما ادى اجتهاده اليه وانتصاب ثلثة قروء على انه مفعول به كقولهم
المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلثة قروء او على الظرفية اي مدة ثلثة قروء وانما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء للاتساع فانهم يستعملون
كل واحد من الجمعين مكان الاخر ولهذا قال بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة وايضا فلعل القروء اكثر استعمالا في القليل فنزلة المهمل فيكون مثل
قولهم ثلثة شسوع ثم ان امر العدة لما كان مبنيا على انقضاء القرء في حق ذوات الاقراء وعلى وضع الحمل في حق الحامل وكان الوصول الى معرفة
ذلك متعذرا على الرجال جعلت المرأة امينة في العدة وجعل القول قولها اذا ادعت انقضاء قرئها في مدة يمكن ذلك فيها وهو عند الشافعي
اثنان وثلثون يوما وساعة لانها اذا طلقت طاهرا فحاضت بعد ساعة ثم حاضت يوما وليلة وهو اقل الحيض ثم طهرت خمسة عشر يوما
وهو اقل الطهر ثم حاضت مرة اخرى يوما وليلة ثم طهرت خمسة عشر ثم رأت الدم فقد انقضت عدتها لحصول ثلثة اطهار فمتى ادعت هذا او اكثر
منه قبل قولها وكذلك اذا كانت حاملا فادعت سقوط الولد كان القول قولها لانها على اصل امانتها ولهذا قال سبحانه ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن فاكثر المفسرين قالوا ان الكتمان راجع الى الحبل والحيض معا وذلك ان المرأة لها اغراض كثيرة في كتمانها اما كتمان الحمل فاذا
كتمت الحمل قصرت مدة عدتها فتزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة الزوج الاول وربما احبت التزوج بزوج اخر واحبت ان تلصق ولدها بالزوج الثاني
واما كتمان الحيض فغرضها فيه ان المرأة اذا طلقها الزوج وهي من ذوات الاقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الاول وقد تحب تقصير عدتها
لتبطل رجعته فاذا حاضت اولا فكتمته ثم اظهرت عند الحيضة الثانية ان ذلك اول حيضها فقد طولت العدة وكذا ان كتمت الحيضة الثالثة
واذا كتمت ان حيضها باق فقد قطعت الرجعة على زوجها وقيل المراد النهي عن كتمان الحبل فقط لان المخلوق في الارحام هو الحبل لا الحيض ولان حمل
المعنى على ما هو شريف اولى لقوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وقيل المراد النهي عن كتمان الحيض لان الاية وردت عقيب ذكر الاقراء
ولم يتقدم ذكر الحمل وقيل يجوز ان يراد اللائي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية
عن اسقاطه وفي قوله ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن ان من امن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وفيه ان من جعل امينا في شيء
فخان فيه فامره عند الله شديد الحكم الثاني للطلاق الرجعة وذلك قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن والبعل الزوج والجمع البعولة والتاء لتاكيد التانيث
في الجماعة كصقورة وليس هذا في كل جمع انما هو مقصور على السماع يقال للمرأة ايضا بعل وبعلة كما يقال زوج وزوجة والبعل السيد المالك يقال من
بعل هذه الناقة اي من ربها وصاحبها ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة وعلى هذا فالمضاف محذوف اي اهل بعولتهن
احق بردهن برجعتهن قال تعالى في موضع ولئن رددت الى ربي وفي موضع اخر ولئن رجعت فكأنه بردها من التربص له خلافا ومن الحرمة الى الحل في ذلك
اي في مدة التربص لانه اذا انقضى ذلك الوقت بطل حق الرد والرجعة وانما يكون البعولة احق عند الله تعالى برجعتهن ان ارادوا اصلاحا لما بينهم
وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا الاضرار وتطويل العدة كما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فلو راجعها لقصد المضارة استوجب من الله العقاب وان صحت
رجعته شرعا لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان قيل كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها فالجواب ان الرجل ان اراد الرجعة
وابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها فهذا هو المعنى بالاحقية او نقول نهين ان يكتمن ما في ارحامهن لاجل ان يتزوج بهن اخر فاذا فعلن ذلك كان
الزوج الاول احق بردهن وان ثبت للزوج الثاني حق في الظاهر ولهن من الحق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع
وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فاذا غسلت
ثيابه وخبزت لا يجب عليه ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال قال ابو هريرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي النساء خير قال التي تسر اذا نظر
وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها وما لها بما يكره وفي حديث حجة الوداع الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن
فرشكم من تكرهون ولا ياذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن وعن ابن عباس انه قال اني لاتزين لامرأتي
كما تتزين لي لقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وقيل معنى الاية ولهن على الزوج من ارادة الاصلاح عند المراجعة مثل ما عليهن من ترك الكتمان
وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة وهي واحدة الدرجات الطبقات من المراتب واصلها من درج الرجل والضب يدرج درجا اي مشى
ودرج اي مضى لسبيله ودرج القوم اذا انقرضوا وفي المثل اكذب من دب ودرج اي اكذب الاحياء والاموات وقد فضل الله الرجال على النساء
في امور في العقل وفي الدية وفي الميراث وفي نصيبه من الغنيمة وفي صلاحية الامامة والقضاء والشهادة وفي ان له ان يتزوج عليها ويتسرى وليس
لها ذلك وفي ان له ان يطلقها واذا طلقها راجعها شاءت المرأة ام ابت ولا قدرة للمرأة على التطليق ولا على الرجعة فان المرأة كالاسير العاجز في يد
الرجل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان وفي خبر اخر اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة وذلك ان من كانت نعمة الله



عليه كثر كان اصلح والذب عنه اقبح واستحماقه للزوج اشد وقيل بل الغرض من الآية ان فوائد الزوجية هي السكن والازدواج والالفة والمودة واشتباك الانساب واستكثار الاعوان والاحباب وحصول اللذة وكل ذلك مشترك بين الجانبين بل يمكن ان يقال نصيب المرأة منها اوفر ثم ان الزوج اختص بانواع من الكلفة وهي التزام المهر والنفقة والذب عنها والقيام بمصالحها فيكون وجوب الخدمة على المرأة اشد رعاية لهذه الحقوق الزائدة فيكون هذا كقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لغير الله لامرت المرأة ان تسجد لزوجها والله عزيز حكيم غالب لا يمنع مصيب في افعاله واحكامه لا يتطرق اليها احتمال العبث والسفه والغلط والباطل الحكم الثالث للطلاق هو الطلاق الذي يثبت فيه الرجوع وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يطلق امرأته ثم يراجعها قبل ان تنقضي عدتها ولو طلقها الف مرة كانت القدرة على المراجعة ثابتة له فجاءت امرأة الى عائشة فشكت ان زوجها يطلقها ويراجعها يضارها بذلك فذكرت عائشة ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل الطلاق مرتان فعلى هذا يكون الآية متعلقة بما قبلها والمعنى ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثلث وهذا تفسير من جوز الجمع بين الطلقات الثلث وهو مذهب الشافعي وهو اليق بنظم الكلام لانه تعالى بين في الآية الاولى ان حق الرجعة ثابت للزوج ولم يذكر ان ذلك الحق ثابت دائما او الى غاية معينة فكان ذلك كالمجمل والعام فيفتقر الى مبين او مخصص فذكر عقيبه ان الطلاق المعهود السابق الذي يثبت فيه للزوج حق الرجعة هو ان يوجد طلقتان فقط فاذا وصلت التطليقة الى هذه الغاية بطل حق الرجعة والطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم وقيل ان هذا كلام مبتدأ والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة وقولهم لبيك وسعديك وفي هذا التفسير قول من قال الجمع بين الثلث حرام وزعم ابو زيد الدبوسي في الاسرار ان هذا هو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعمران بن الحصين وابي موسى الاشعري وابي الدرداء وحذيفة رضي الله عنهم ويؤكده العدول عن لفظ الامر طلقوا مرتين اي دفعتين الى لفظ الخبر كما مر في قوله والمطلقات يتربصن ثم من هؤلاء من قال لو طلقها اثنتين او ثلثا لا يقع الا واحدة وهذا هو الاقيس واختاره كثير من علماء اهل البيت لان النهي يدل على اشتمال المنهي عنه على مفسدة راجحة والقول بالوقوع سعي في ادخال تلك المفسدة في الوجود ومنهم من قال وهو اختيار ابي حنيفة انه وان كان محرما الا انه يقع ويكون بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه وهذا منه بناء على ان النهي لا يدل على الفساد ومما يؤيد مذهب الشافعي حديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه ومما يؤكد مذهب ابي حنيفة حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة اما قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان اي امركم بعد هذا بمعرفة كيفية التطليق احد هذين فالتسريح الارسال والاطلاق والامساك نقيضه ومعنى الامساك بالمعروف هو ان يراجعها لا على قصد المضارة بل على قصد الاصلاح وحسن العشرة وتبعه ومعنى التسريح باحسان قيل هو ان يوقع عليها الطلقة الثالثة روي انه لما نزل قوله الطلاق مرتان قيل له صلى الله عليه وسلم فاين الثالثة فقال هو قوله او تسريح باحسان وقيل هو ان يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة ويروى عن الضحاك والسدي وهو اقرب لولا الخبر المذكور وبناه لان الفاء في قوله فان طلقها يقتضي وقوع هذه الطلقة متأخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح هو الطلقة الثالثة لكان قوله فان طلقها طلقة رابعة وانه غير جائز وايضا لو حملنا التسريح على ترك المراجعة كانت الآية متناولة لجميع الاقسام لانه بعد الطلقة الثانية اما ان يراجعها وهو قوله فامساك بمعروف او لا يراجعها بل يتركها حتى تنقضي عدتها وتحصل البينونة وهو قوله او تسريح باحسان او يطلقها وذلك قوله فان طلقها فلو جعلنا التسريح طلاقا لزم اهمال احد الاقسام وتكرير بعضها واما الحكمة في اثبات حق الرجعة فهي ان النعم مجهولة اذا فقدت عرفت فلو كان الطلقة الواحدة مانعة عن الرجعة فربما تظهر المحبة بعد المفارقة وعظمت المشقة ثم ان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة فلهذا اثبت حق المراجعة بعد المفارقة مرتين ليجرب الانسان احوال قلبه فان كان الاصلح امساكها راجعها وامسكها بالمعروف وان كان الاصلح تسريحها سرحها على احسن الوجوه وهو ان يؤدي حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وهذا التدريج والترتيب يدل على كمال رأفته بعبيده الحكم الرابع من احكام الطلاق بيان الخلع وفي ذلك قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا مما اعطيتموهن من المهر والثياب وسائر ما تفضل به عليها لانه ملك بضعها واستمتع بها في مقابلة ما اعطاها الا اذا فارقها على عوض ويدخل فيه النهي عن ان يضيق عليها ليلجئها الى الافتداء كما قال في سورة النساء ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والخطاب في قوله ولا يحل لكم للازواج وفي قوله فان خفتم للائمة والحكام ويجوز ان يكون الخطاب الاول ايضا للائمة لانهم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون روي ان الآية نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وفي سنن ابي داود ان المرأة كانت حبيبة بنت سهل الانصارية كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه اشد البغض وكان يحبها اشد الحب فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت فرق بيني وبينه والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقال ثابت مرها فلترد علي الحديقة التي اعطيتها فقال لها ما تقولين قالت نعم وازيده فقال صلى الله عليه وسلم لا حديقته فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل وكان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى قوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية واختلفوا في مقدار ما يجوز به الخلع فعن الشعبي والزهري والحسن وعطاء وطاوس انه لا يجوز ان يأخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي كرم الله وجهه لقوله



وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ثم قال فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا اي فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به فيما افتدت

نفسها واختلعت به فوجب ان يكون هذا راجعا الى ما آتاها ولقوله صلعم لا حديقته فقط حين قالت جميلة نعم وزيادة لان ذلك اجحاف بجانب المرأة و

ضرار بالمرأة بعد ما استبيح من بضعها ولهذا قال سعيد بن المسيب لا ياخذ الا دون ما اعطاها حتى يكون الفضل له واما سائر الفقهاء فانهم قالوا

الخلع عقد معاوضة فينبغي ان لا يتقيد بمقدار معين فكما ان للمرأة عند النكاح ان لا ترضى الا بالصداق الكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالعة

الا بالبدل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته ويتاكد هذا بما روي ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى

عمر فباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال عمر لزوجها اخلعها

ولو بقرطها حتى قرطها ولهذا قال قتادة يعني بمالها كله وقيل هو من قولهم خذه ولو بقرطي مارية وذلك انه كانت فيهما درتان قيمتهما اربعون

الف دينار ويصح الخلع في حالتي الشقاق والوفاق عند اكثر المجتهدين لقوله تعم فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا فاذا جاز

لها ان تهب مهرها من غير ان يحصل لنفسها شيئا بازاء ما بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة لنفسها اولى وذهب الزهري والنخعي

وداود الى انه لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله كما في الآية وان وقع الخلع في غير هذه الحالة فالخلع فاسد والجمهور على

انه لا كراهة في الخلع ان جرى في حال الشقاق او كانت تكره صحبته لسوء خلقه او دينه كما في الآية وان وقع وتحرجت عن الاخلال ببعض حقوقه لما بها

من الكراهة فافتدت لتتخلص منه وان كان الزوج مكره صحبتها فاساء العشرة ومنعها بعض حقها حتى ضجرت وافتدت فالخلع مكروه وان كان

نافذا والزوج ماثوم بما فعل والخلع المباح هو ان تكون المرأة بحيث تخاف الفتنة على نفسها والزوج يخاف انها اذا لم تطعه اعتدى عليها

ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن كما سبق في قوله فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا ومن قرأ الا ان يخافا على البناء للمفعول جعل الا يقيما بدلا من ألف

الضمير بدل الاشتمال مثل خيف زيد تركه اقامة حدود الله ثم الفرقة الحاصلة على العوض ان كان بلفظ الطلاق فهو طلاق وان لم يجر الا لفظ الخلع

فللشافعي فيه قولان الجديد انه طلاق وينقص به العدد واذا خالعها ثلث مرات لم ينكحها الا بمحلل ويروى هذا عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه

قال ابو حنيفة ومالك واختاره المزني ووجهه انها فرقة لا يملكها غير الزوج فيكون طلاقا كما لو قال انت طالق على كذا ولانه لو كان فسخا لما صح بالزيادة

على المهر المسمى كالاقالة في البيع واذا خالعها ولم يذكر المهر وجب ان يرد عليها المهر كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكراه والقديم انه فسخ لا ينتقص

به العدد ويجوز تجديد النكاح بعد الخلع من غير حصر يروى هذا عن ابن عمر وابن عباس قالوا لانه لو كان طلاقا وقد قال عقيب ذلك فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ

لَهُ مِنْ بَعْدُ لكان الطلاق اربعا ولان النبي صلعم اذن لثابت في مخالعته امرأته ولم يستكشف عن الحال مع ان الطلاق في زمان الحيض وفي الطهر الذي حصل

الجماع فيه حرام ولما روى عكرمة عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس لما اختلعت منه جعل النبي صلعم عدتها حيضة ولو كانت مطلقة لم يقتصر لها

على قرء واحد تِلْكَ اي المذكورات من احكام الطلاق حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا فلا تتجاوزوا عنها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

والظالم اسم ذم وتحقير فوقوع هذا الاسم عليه يكون جاريا مجرى الوعيد كيف لا والظالم ملعون أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ثم انه ظلم من لا نسان

على نفسه حيث قدم على المعصية وظلم على الغير ايضا بتقدير ان لا تتم المرأة عدتها او كتمت شيئا مما خلق في رحمها او ترك الرجل الامساك بالمعروف

او التسريح باحسان واخذ من جملة ما آتاها شيئا الا بسبب نشوز من جهة المرأة الحكم الخامس من احكام الطلاق بيان ان الطلقة الثالثة قاطعة لحق

الرجعة وذلك قوله فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ والسبب في ايقاع آية الخلع بين آية الرجعة وبين هذه بعد ما مر من مناسبتها

للتسريح باحسان هو ان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة ومعنى الآية فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا يحل له من بعد ذلك التطليق

حتى تنكح اي تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان اي لها زوج منهم هذا عند من يفسر

قوله الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ بالطلاق الرجعي واما عند من يفسره بان التطليق الشرعي الذي يوقع على التفريق فالمعنى عنده انه ان طلقها الطلاق الموصوف

بالتكرار في قوله الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ واستوفى نصابه فلا تحل له من بعد ذلك حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ومذهب جمهور المجتهدين ان النكاح ههنا بمعنى

الوطي لان قوله زَوْجًا يدل على العقد قد نقلنا هذا عن ابي علي فيما سلف في تفسير قوله وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ ويؤيد هذا ما روي عن عائشة ان

امرأة رفاعة جاءت الى النبي صلعم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال

رسول الله صلعم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك كنى بالعسيلة عن لذة الجماع والعسل انما انث لان من العرب من يؤنثه

ويروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله

فاتت ابا بكر فقالت أرجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال

ان اتيتني بعد مرتك هذه لا رجمنك فمنعها وايضا المقصود من توقيف حصول الحل على هذا الشرط زجر الزوج عن الطلاق لان الغالب ان الزوج يستنكر

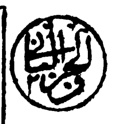
ان يستفرش زوجته رجل آخر ولهذا قال بعض اهل العلم انما حرم الله على نساء النبي صلعم ان ينكحن زوجا غيره لما فيه من الغضاضة ومعلوم ان هذا الزجر انما

يحصل بتوقيف الحل على الدخول فاما مجرد العقد فليس منه زيادة نفرة فلا يصلح جعله مانعا وزجرا ثم قال الشافعي اذا طلق زوجته واحدة وثنتين

ثم نكحت زوجا آخر وابانها ثم عادت الى الاول بنكاح جديد لم يكن له عليها الا طلقة واحدة وهي التي بقيت من الطلقات لان هذه طلقة ثالثة من حيث



انما وجدت بعد طلقتين والطلقة الثالثة توجب الحرمة الغليظة وقال ابو حنيفة بل يملك عليها ثلثا لو نكحت زوجا بعد الثلث واذا تزوج
الغير بالمطلقة ثلثا على انه اذا احلها للاول بان اصابها فلا نكاح بينهما فهذا نكاح متعة باجل مجهول وهو باطل ولو تزوجها بشرط ان يطلقها
اذا احلها للاول ففيه قولان احدهما لا يصح والثاني يصح ويبطل الشرط وبه قال ابو حنيفة ولو تزوجها مطلقا مضمرا انه اذا احلها طلقها فالنكاح
صحيح ويكره ذلك ويأثم به وقال مالك واحمد والثوري هذا النكاح باطل وحيث حكمنا بفساد النكاح فالوطي لا يقع به التحليل على الاصح وعن النبي ص
انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما فان طلقها اي الزوج الثاني الذي تزوجها بعد الطلقة الثالثة فلا جناح
عليهما على المراة المطلقة والزوج الاول في ان يتراجعا بنكاح جديد الى ما كانا عليه من النكاح فهذا تراجع لغوي وظاهر الاية يقتضي ان يحل للزوج
الاول هذا التراجع عقيب ما يطلقها الزوج الثاني من غير عدة بدلالة فاء التعقيب في قوله فلا جناح عليهما ولهذا ذهب سعيد بن المسيب الى
ان النكاح ههنا بمعنى العقد وانما التحليل يحصل بمجرد العقد لان الوطي لو كان معتبرا لكانت العدة واجبة والجواب ان الاية مخصوصة بقوله تع
والمطلقات يتربصن ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما وفي غريمتهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما لانه لا يجوز ان يقسم
الظن ههنا مقام العلم لان اليقين في الاستقبال مغيب عن الانسان فان لم يحصل هذا الظن وخافا عند المراجعة من نشوز منهما او اضرار منه
فالرجوع مذموم الا انه يصح شرعا ومن قرا نبينها بالنون فمن طريقة الالتفات والنون للتعظيم ومن قرأها بالياء فظاهر وصيغة المضارع اريد بها
ههنا الحال فلا اشكال وجوز بعضهم ان يكون المراد بها الاستقبال وذلك ان النصوص التي تقدمت اكثرها عامة يدخل فيها التخصيص وذلك يعرف
بالسنة فكان المراد والله اعلم ان هذه الاحكام التي تقدمت هي حدود الله وسيبينها الله على لسان نبيه كمال البيان فهو كقوله تع وانزلنا اليك
الذكر لتبين للناس وانما خص البيان بالعلماء لانهم هم المنتفعون بذلك ثم انه تع لما بين الاحكام المهمة للطلاق استانف حكمي الامساك والتسريح
ببيانين اخرين في ايتين متعاقبتين لان جملة الامرين في الطلاق يؤول الى احد هذين الاول قوله سبحانه واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل ويتسع في البلوغ
ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقول الرجل لصاحبه اذا بلغت مكة فاغتسل بذي طوى يريد به مشارفة البلوغ فهذا من باب المجاز الذي
يطلق فيه اسم الكل على الاكثر ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له
عليها فامسكوهن بمعروف فراجعوهن من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف خلوها حتى تنقضي عدتها وتبين ولما امر بعد الطلاق
باحد الامرين استانف حكم كل منهما فقدم حكم الامساك على طريقة النهي لا الامر لان المامور يمتثل بمرة واحدة فلعله يمسكها بمعروف في الحال لكن في قلبه
ان يضارها في الاستقبال والمنهي لا يمتثل الا اذا انتهى في كل الاوقات فيكون ادل على الدوام والثبات فقال ولا تمسكوهن ضرارا مضارة تشتمل انواع
النفرة والعداوة كلها وروي ان الرجل كان يطلق المراة ثم يدعها فاذا قارب انقضاء القرء الثالث راجعها وهكذا يفعل بها في العدة تسعة اشهر او اكثر و
قيل الضرار سوء العشرة وقيل تضييق النفقة وكانوا يفعلون في الجاهلية اكثر هذه الافعال رجاء ان تختلع المرءة منه بمالها ومعنى قوله لتعتدوا اي لا
تضاروهن ليكون عاقبة امركم الاعتداء كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا او لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن فتكونون عاصين
لتلك العصية وقيل لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله وبتفويته عليها منافع الدنيا والدين اما الدنيا
فلانه اذا اشتهر بتلك المعاملة لم يرغب في التزويج منه ولا في معاملته احد واما منافع الدين فالثواب الحاصل على حسن العشرة مع الاهل وعلى الانقياد
لاحكام الله تع وتكاليفه ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي من قرب بحيث يطاع الله وطاعة رسوله ثم وصلت اليه هذه التكاليف المذكورة في ابواب العدة
والرجعة والخلع وترك المضارة ولم يتشمر لادائها كان كالمستهزئ بها او المراد لا تتهاونوا بتكاليف الله كما يتهاونون بما يكون من باب الهزء والعبث وعن
ابي الدرداء كان الرجل يطلق في الجاهلية ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت فقرأها رسول الله ص وقال ثلث جدهن جد وهزلهن جد
الطلاق والنكاح والرجعة وروي الطلاق والعتاق والنكاح وعن عطاء المعنى المستغفر من الذنب ان كان مصرا عليه او على مثله كان كالمستهزئ بآيات
الله ثم انه تع لما رغبهم في اداء التكاليف بما ذكر من التهديد رغبهم ايضا في ادائها بان ذكرهم اقسام نعمه عليهم فبدا اولا بذكرها على الاجمال فقال
واذكروا نعمة الله عليكم وهذا يتناول كل نعمة الله على العبد في الدنيا والدين وقيل المراد بها الاسلام ونبوة محمد ص ثم خصص نعم الدين بالذكر لشرفها
فقال وما انزل عليكم عطفا على النعمة من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به في محل النصب حالا مما انزل
او من فاعل انزل ويحتمل ان يكون ما انزل الصلة والموصول مبتدا وقوله يعظكم به خبر واتقوا الله في اوامره ونواهيه واعلموا ان الله بكل شيء عليم
فيه وعد ووعيد وترغيب وترهيب الثاني هو حكم المراة المطلقة بعد انقضاء العدة قوله عز من قائل واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن بلوغ الاجل ههنا
على الحقيقة عن الشافعي بدلالة سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن لا تحبسوهن ولا تضيقوا عليهن واصل العضل الضيق ومنه عضلت
الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وعضلت الارض بالجيش اذا ضاقت بهم لكثرتهم واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم والعضلة اللحمة المجتمعة المكتنزة في
عصبة والخطاب للازواج الذين يمنعون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية من ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون
لهن اذا تراضوا اي الرجال والنساء تراضيا واقعا بينهم بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط كالعقد الحلال والمهر الجائز والشهود العدول



قبل مهر المثل وفرعوا عليه مسئلة فقهية وهو انه مذهب ابي حنيفة وهي انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فالنكاح صحيح لكن للولي ان يعترض عليها
بسبب النقصان عن المهر دفعا للشين عن الاولياء فان النساء العشيرة يتضررن بذلك فقد يعتبر مهورهن بمهرها وزعم كثير من المفسرين ان الخطاب
في قوله فلا تعضلوهن للاولياء لما روى البخاري في صحيحه ان معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتى ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا
ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت خطبت الي فمنعتها الناس وآثرتك بها
وزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك رجعة ثم تركتها حتى انقضت فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها ابدا قال ففي نزلت هذه الآية فكفرت
عن يميني وانكحتها اياه وعن مجاهد والسدي ان جابر بن عبد الله كانت له بنت عم فطلقها زوجها واراد رجعتها بعد العدة فابى جابر فنزلت واجيب بان
رعاية نظم كلام الله اولى من محافظة خبر الواحد لا يخفى تفكك النظم لو قيل واذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء لانه لا
يبقى بين الشرط والجزاء مناسبة قالوا ليس بعد انقضاء العدة قدرة للزوج على عضل المرأة والجواب انه قد يقدر على الظلم وقد يجحد الطلاق او يدعي انه
كان راجعها في العدة او يدس اليها من يخطبها او يوعد الخاطب بالتهديد او ينسبها الى امر ينفر الناس عنها قالوا ان ينكحن ازواجهن يدل على ان الاولياء كانوا
يمنعونهن من العود الى اولئك الذين كانوا ازواجا لهن والجواب ان العرب قد تسمي الشيء بما يؤول اليه فالمراد من يريدون ان يتزوجنهم فيكونوا ازواجا
لهن وقيل الوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين ثم ان الشافعي تمسك بالآية
في ان النكاح لا يجوز الا بولي لانه لو جاز للمرأة ان تتزوج نفسها او توكل من يزوجها لما كان الولي قادرا على عضلها من النكاح وهذا مبني على ان
الخطاب في لا تعضلوهن للاولياء وفيه ما فيه وسلم فلم لا يجوز ان يكون الاستبداد الشرعي حاصلا لهن لكن يمنعها الولي من بعض الجهات التي قلنا
في الزوج سابقا فثبوت العضل في حق الولي ممتنع لانه مهما عضل نعزلها اذا نعزلها لا يبقى لعضله اثر وتمسك ابو حنيفة بقوله تعالى ان ينكحن ازواجهن
على ان النكاح بغير ولي جائز وذلك انه تعالى اضاف النكاح اليها اضافة الفعل الى فاعله والتصرف الى مباشره ونهى الولي عن منعها من ذلك ولو كان ذلك
التصرف فاسدا لما نهى الولي عن منعها منه ويتأكد هذا النص بقوله حتى تنكح زوجا غيره واجيب بان الفعل كما يضاف الى المباشر فقد يضاف ايضا الى السبب
مثل بنى الامير دارا وانما ذهبنا الى هذا وان كان مجازا للدلالة الحديث على بطلان هذا النكاح هذا واما قوله ذلك يوعظ به فالخطاب فيه اما للرسول
ولكل احد على الانفراد كما ان الخطاب في قوله في سورة الطلاق ذلكم يوعظ به من كان للمكلفين مجموعين وقوله من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر تخصيص
لهم بالوعظ لانهم هم المنتفعون بذلك ومن استدل بهذا على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع يكذبه التكاليف العامة كقوله ولله على الناس
حج البيت وايضا لا يلزم من تخصيص العظة بالمؤمنين تخصيص التكليف بهم ذلكم ازكى لكم اي انمى وهو اشارة الى استحقاق الثواب الدائم واطهر من
ادناس الآثام والله يعلم وانتم لا تعلمون لان علمه تعالى فعلي كامل وعلمنا انفعالي ناقص فقد يخفى المصلحة والعاقبة علينا او يشتبه المصلحة بالمفسدة
فلا صلاح للمكلف الا في طاعة علام الغيوب ليحوز سعادة الدارين والله ولي التوفيق التأويل انه سبحانه من كمال الكرم والاصطناع اذا صدر من العبد اما
النشوز والانقطاع امهله الى انقضاء عدة الجفاء فلعله يعود الى اقامة شرائط الوفاء ويتحرك داعية في صميم قلبه من نتائج محبة ربه اذ لم يكن له
ان يكتم ما خلق الله في رحم قلبه من المحبة وان ابتلاه الله بمحنة الفرقة فيقرع باصبع الندامة باب التوبة ويقوم على قدم الغرامة في طلب الرجعة والاوبة
فيقال له من غاية الفضل والنوال يا قارع الباب ادع نفسك تعال من طلب منا فلاحا فليلزم عتبتنا مساء وصباحا وبعولتهن احق بردهن في ذلك
ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن اي للعباد حق في ذمة كرم الربوبية كما ان لله تعالى حقا في ذمة عباده فاذا تقرب العبد اليه شبرا فالله احق
برعاية الحق فيقرب اليه ذراعا والفضل له على الاطلاق لا بدرجة بل بدرجات غير متناهية والله عزيز اعز من ان يراعي العباد مع عجزهم كمال الحقوق
حكيم لا يقتضي حكمته ان يطالبهم بما ليس في وسعهم بل يقبل منهم القليل ويوفيهم الثواب الجزيل الطلاق مرتان يعني اهل الصحبة لا يفارقون بجرم
وجرمين كما في قصة موسى والخضر ثم في الثالثة ان سلكوا سبيل الهجران فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى يصاحب الخائن صديقا مثله
فان ندم بعد ذلك عن افعاله وتدارك الصديق وسامحه وامثاله ورجع الى صحبة اشكاله فلا جناح في التراجع ان ظنا فيه خيرا ولا يجوز لاحد من الاخوان
ان يعضله من صحبة الاقران فيه ان الله تعالى يتجاوز عن زلات العبد مرة بعد اخرى فاذا اصر العبد ابتلاه بالخذلان وجعله قرين الشيطان كما قال
ومن يعش عن ذكر الرحمن فان طلق قرين الشيطان ورجع الى باب الرحمن تداركه بالغفران والرضوان واما قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا مما
آتيتموهن شيئا فاشارة الى انه ليس لاهل الصحبة وان اتفقت المفارقة ان يستردوا خواطرهم عن الوفاء بالكلية فان العائد في هبته كالكلب
تعود في قيئه الا ان يؤدي الى مداهنة واهمال حق من حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به كان لم يكن بينهما صحبة والله ولي التوفيق

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ
و مادران شیر میدهند فرزندان خود را در مدت دو سال تمام از برای کسی که بخواهد که تمام کند شیر دادن را و بر پدر که فرزند مراو راست روزی ایشان و پوشش ایشان

بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ
بطور معروف تکلیف نمیشود هیچ نفسی مگر بقدر وسعت آن ضرر نرسد بوالده در آن ولد و نه از پدر بفرزندش و بر وارث است مانند همین

فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ
پس اگر خواستند جدائی انقطاع از شیر بخواهش و مشورت یکدیگر پس گناه نیست بر ایشان و اگر خواستید که بدایه دهید شیر دهند فرزندان شما را پس باکی نیست

عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ

برشما چون تسلیم کردید برضع آنچه را اقرار داده اید بنوع متعارف و پرهیزید خدا را و بدانید که بدرستی که خدا بآنچه میکنید بیناست و آنان که میمیرند از مردان شما

وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ

و واگذارند زنها را فرمان چنانست که نگاه دارند خود شان را در مدت چهار ماه و ده روز پس چونکه رسیدند بمنتهای مدت پس باکی نیست بر اینها در آنچه کرده اند

فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ ع ١٥

در نفسهای خود شناخته شده و خدا بآنچه میکنید باخبرست و باکی نیست برشما در آنچه که متعرض بآن از خواستگاری زنان یا آنکه پنهان کردید

فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا

در نفسهای خود میداند خدا که شما زود است که ظاهر سازید اینها را ولیکن وعده مکنید اینها را در خفیه بجز آنکه بگویید گفتاری شناخته شده و آماده نشوید

عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

بستن نکاح را تا آنکه برسد مدت عده بآخر و بدانید که بدرستی که خدا میداند هر آنکه در ضمیر شماست پس بترسید از او و بدانید که خدا آمرزنده

حَلِيمٌ ۝ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ

بردبار است نیست باکی برشما اگر رها کردید زنها را مادامیکه مباشرت نکرده اید ایشان که قرار دهید از برای اینها حصه و بهره دهید اینها را بر مالدار است اندازه خودش و

عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ۝ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً

بر فقیر است اندازه او بهره متداول و این ثابت است بر خوبان و اگر طلاق دادید زنان را پیش از آنکه مباشرت کنید با اینها و حال آنکه قرار داده اید مر اینها را حصه

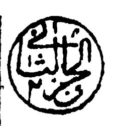
فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ

پس نصف آنچه قرار داده اید ثابت است مگر آنکه درگذرند یا درگذرد آنکه در دست اوست بستن نکاح و درگذشتن از آن نزدیکتر است بپرهیزگاری و فراموش مسازید فضل را

بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝

در میان خودتان بدرستی که خدا بآنچه میکنید بیناست

القراءة لا تضار بضم الراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون بفتح الراء والاختلاف في قوله ولا يضار كاتب ما آتيتم مقصورا ابن كثير الباقون بالمد يتوفون بفتح الياء وما بعده المفضل الباقون بضم الياء النساء او بهمزتين عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن عامر الباقون النساء بواو وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة النساي او تماسوهن حيث وقع علي وحمزة وخلف الباقون تمسوهن قدره بالتحريك يزيد وابن ذكوان وحفص وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بالاسكان الوقوف الرضاعة ط بالمعروف ط وسعها ج لاستيناف اللفظ مع قرب المعنى مثل ذلك ج عليهما ط لابتداء الحكم في استرضاع الاجنبية بالمعروف ط بصير ه وعشرا ج بالمعروف ط خبير ه في انفسكم ط معروفا ط اجله ط لابتداء الامر فاحذروه ج للفصل بين موجبي الخوف والرجاء ولهذا كررت كلمة واعلموا ان الله غفور حليم فاحذروه والوقف الى حليم فريضة ج لعطف المختلفين ومتعوهن ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى لان الجملة الثانية لتقدير المامور في الاولى قدره الثاني ج لان متاعا مصدر متعوهن او الوقف لبيان انه غير متصل بما يليه من الجملتين العارضتين بالمعروف ج لان حقا يصلح نعتا للمتاع اي متاعا حقا ويصلح مصدر المحذوف اي حق ذلك حقا المحسنين ه النكاح ط للتقوى ط بينكم ط بصير ه التفسير الحكم الثاني عشر الارضاع والوالدات قيل هي المطلقات والمزوجات لان ظاهر اللفظ مشعر بالعموم وقيل المطلقات فلهذا ذكرت عقيب اية الطلاق وتحقيقه انه اذا حصلت الفرقة استتبعت التباغض والتعاند المفضي الى ايذاء الولد ليتأذى الزوج وربما رغبت في الزوج بزوج اخر فيهمل امر الطفل فندب الله تعالى الوالدات المطلقات الى رعاية جانب الاطفال والاهتمام بشأنهم وايضا انه تعالى قال في الاية وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ولو كانت الزوجية باقية لوجب ذلك للزوجية لا للرضاع ذكره السدي وقال الواحدي في البسيط الاولى ان يحمل على المزوجات في حال بقاء النكاح لان المطلقة لا تستحق النفقة وانما تستحق الاجرة ثم ان النفقة والكسوة يجبان في مقابلة التمكين فاذا اشتغلت بالارضاع والحضانة لم تتفرغ لخدمة الزوج فلعل متوهما يتوهم ان مؤنتها قد سقطت بالخلل الواقع في الخدمة فازال ذلك الوهم بايجاب الرزق والكسوة وان اشتغلت بالارضاع ويرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد وهذا الامر على سبيل الندب بدليل قوله تعالى فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الارضاع لم تستحق الاجرة وانما كان ندبا من حيث ان تربية الطفل بلبن الام اصلح ولان شفقتها اكثر ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة عن نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق وقد يجب على الام الارضاع اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه ولم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار حولين اي عامين والتركيب يدل على الانقلاب فالحول ينقلب من الوقت الاول الى الثاني كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة وقد يقال اقمت عند فلان حولين وانما اقام حولا وبعض الاخر وليس التحديد بايجاب لقوله تعالى بعد ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الارضاع او اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الاباء لان الاب عليه الرضاع للولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه ثم المقصود من ذكر التحديد قطع التنازع بين الزوجين اذا تنازعا في مدة الرضاعة فان اراد احدهما ان يفطمه قبل الحولين ولم يرض الاخر لم يكن له ذلك اما اذا اجتمعا على ان يفطماه قبل تمام الحولين فلهما ذلك وايضا فللرضاع حكم خاص في الشريعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فعلم من التحديد بان



الارضاع ما لم يقع فى هذا الزمان لا يفيد هذا الحكم هذا هو مذهب الشافعى وبه قال على وابن مسعود وابن عباس وابن عمرو وعلقمة والشعبى والزهرى وعن ابى حنيفة

ان مدة الرضاع ثلثون شهرا وقرئ ان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما فى التاويل اى فى المصدر لان كلمة ما تارة تقع مصدرية فلا تنصب

وقرئ الرضاعة بكسر الراء وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ وعلى الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم فى المغضوب عليهم انما قيل المولود له دون

الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وفيه تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه كما قال

الولد للفراش وفيه ان نفع الاولاد عائد الى الاباء فيجب عليهم رعاية مصالحه كما قيل كلهم لك فكله عليك فعليهم رزقهن وكسوتهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر

الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذه المعانى مقصودة وذلك قوله وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا

بالمعروف تفسيره ما يتلوه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس فى وسعه ولا يتضاروا وليس المعروف فى هذا الباب قد يكون محدودا بشرط وعقد وقد يكون

غير محدود الا من جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها فى طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة اذ لو كان ذلك اقل من قدر الكفاية لحقها ضرر

من الجوع والعرى وبتعدى ذلك الضرر الى الولد وفى الاية دليل على ان حق الام اكثر من حق الاب لانه ليس بين الام والطفل واسطة وبين الاب وبينه واسطة

فانه يستأجر المرأة على الارضاع والحضانة بالنفقة والكسوة والتكليف الالزام وقيل اصله من الكلف وهو اثر على الوجه فمعنى تكلف الامر اجتهد

ان يبين فيه اثره وكلفه الزمه ما يظهر فيه اثره والوسع ما يسع الانسان ولا يعجز عنه ولهذا قيل الوسع فوق الطاقة من قرأ لا تضار بالرفع فعلى

الاخبار فى معنى النهى ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على ان الاصل لا تضارر ولا تضارر بكسر الراء وبفتحها ومن قرأ بالفتح فعلى النهى صريحا ويحتمل البنائين ايضا

ويتبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وكسر الراء الاولى وفتحها والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه

ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بسبب التفريط فى شأن الولد وان تقول بعدما الفها الصبى اطلب له ظئرا ونحو ذلك ولا يضار مولود له

امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من الرزق والكسوة او يأخذه منها وهى تريد ارضاعه ويكرهها على الارضاع وهكذا اذا كان

مبنيا للمفعول كان نهيا عن ان يلحقها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويحتمل ان يكون تضار بمعنى تضر والباء من صلته

اى لا تضر والدة بولدها بان تسئ غذائه وتعهده او تفرط فيما ينبغى له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر

فى شأنها فتقصر هى فى حق الولد انما قيل بولدها وبولده لان المرأة لما نهيت عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبى منها

فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد قوله سبحانه وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ للعلماء فيه اقوال من حيث انه تقدم ذكر الوالد والولد والوالدة واحتمل فى

الوارث ان يكون مضافا الى كل واحد من هؤلاء فعن ابن عباس ان المراد وارث الاب وقوله وعلى الوارث عطف على قوله وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ

وما بينهما تفسير للمعروف فالمعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اى ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه

فى ان يرزقها ويكسوها بالشرط المذكور من العدل وتجنب الضرار وقيل المراد وارث الولد الذى لو مات الصبى ورثه فيجب عليه عند موت الاب كل ما

كان واجبا على الاب وهذا قول الحسن وقتادة وابى مسلم والقاضى ثم اختلفوا فى انه اى وارث هو فقيل العصبات دون الام والاخوة من الام وهو قول

عمر والحسن ومجاهد وعطاء وسفيان وابرهيم وقيل هو وارث الصبى من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث وهو قول قتادة وابن ابى ليلى وقيل على

الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون غيرهم من ابن العم والمولى عن ابن ابى حنيفة واصحابه وعند الشافعى لا نفقة فيما عدا الولاد اى الاب والابن وقيل المراد

من الوارث هو الصبى نفسه فانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه فى ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل

قيل المراد من الوارث الباقى من الابوين كما فى الدعاء المروى واجعله الوارث منا اى الباقى وهو قول سفيان وجماعة فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا اى فطاما

وليس من باب المفاعلة وانما هو مثال ثانى على فعال كالغثار والاباق وذلك ان الولد ينفصل عن الاغتذاء بثدى امه الى غيره من الاقوات وعن ابى مسلم انه

يحتمل ان يكون المراد من الفصال ايقاع المفاصلة بين الولد والام اذا حصل التراضى والتشاور فى ذلك ولم يرجع ضرر الى الولد وليكن الفصال صادرا

عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ مع ارباب التجارب واصحاب الرأى فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فى ذلك زائدا على الحولين لضعف فى تركيب الصبى او نقصا منهما لقوة

بعد التحديد ذلك لان الام قد تمل من الارضاع فتحاول الفطام والاب ايضا قد يمل اعطاء الاجرة على الارضاع فيطلب الفطام دفعا لذلك لكنهما

قد يتوافقان على الاضرار بالولد لغرض النفس فلهذا اعتبرت المشاورة ومع ذلك يبعد موافقة الكل على ما يكون فيه اضرار الولد وان اتفقوا على الفطام

قبل الحولين وهذه غاية العناية من الرب بحال الطفل الضعيف ومع اجتماع الشروط لم يصرح بالاذن بل رفع الحرج فقط ولما بين حكم الام وانها

احق بالرضاع بين انه يجوز العدول فى هذا الباب عنها الى غيرها فقال وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَيُّهَا الْمُرْضِعُ أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ يقال

ارضعت المرأة الصبى واسترضعتها الصبى بزيادة السين مفعولا ثانيا كما يقول انجح الحاجة واستنجحته اياها فحذف احد المفعولين للعلم به اى عن الوالدات

التقدير ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف اللام للعلم به مثل واذا كالوهم او وزنوهم اى كالوا لهم او وزنوا لهم ومن موانع الارضاع للام ما اذا تزوجت

بزوج اخر فقيامها بحق ذلك الزوج يمنعها عن الارضاع ومنها انه اذا طلقها الزوج الاول فقد تكره الارضاع ليتزوج بها زوج اخر ومنها ان تأبى

المرأة قبول الولد ايذاء للزوج المطلق ومنها ان تمرض او ينقطع لبنها فعند احد هذه الامور اذا وجد نا مرضعة اخرى وقبل الطفل لبنها جاز العدول

عن الام الى غيرها فان لم يجد مرضعة اخرى او وجدنا ولكن لا يقبل الطفل لبنها فالارضاع واجب على الام اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما آتيتموه



في عدة الوفاة

المرأة اي ما اردتم ايتاءه مثل اذا قمتم الى الصلوة ومن قرء ما اتيتم بالقصر فهو من اتى اليه احسانا اذا فعله كقوله انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما اتاكم الله فقدركم عليكم من الاجرة وليس التسليم شرطا للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى وفيه بحث على الذي يعطي المرضعة يجب ان يكون يدا بيد حتى يكون اهنأ واطيب لنفسها ليحتاط في شان الصبي لهذا قيد التسليم بان يكون بالمعروف وهو ان يكون مستبشر الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن قطعا للمعاذير ثم اكد الجميع بان ختم الآية بنوع من التحذير فقال واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير الحكم الثالث عشر عدة الوفاة والذين يتوفون ومعناه يموتون ويقبضون قال الله يتوفى الانفس حين موتها واصل التوفي اخذ الشيء كاملا وافيا ويبنى للمفعول ومعناه ما قلنا وللفاعل ومعناه استوفى اجله ورزقه وعليه قراءة علي يتوفون بفتح الياء والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله فكان احد الاسباب الباعثة لعلي على ان امره بان يضع كتابا في النحو فلعل السبب فيه ان ذلك الشخص لم يكن بليغا وهذا المعنى من مستعملات البلغاء فلهذا لم يعتد بقوله وحمله على متعارف الاوساط ويذرون يتركون ولا يستعمل منه الماضي والمصدر استغناء عنهما بتصاريف ترك والازواج ههنا النساء يتربصن بانفسهن اربعة اشهر مثل قوله يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء وقد مر وعشرا اي يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وانما قيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها قال في الكشاف ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام وقيل في سبب التغليب ان مبدأ الشهر من الليل والاوائل اقوى من الثواني وايضا هذه الايام ايام الحزن وايام المكروه خليق بان تسمى ليالي استعارة او المراد عشر مدد كل منها يوم بليلته ذهابا وزاعوا والاصل الى ظاهر الآية واما اذا انقضت لها اربعة اشهر وعشر ليال حلت للازواج نقل عن الحسن وابي العالية انه تعالى انما حد العدة بهذا القدر لان الولد ينفخ فيه الروح في العشر بعد الاربعة قلت ولعل هذا من الامور التي لا يعقل معناه كاعداد الركعات ونصيب الزكوات وانما الله ورسوله العلم بذلك وهذه العدة واجبة على كل امرأة مات زوجها الا اذا كانت امة فان عدتها نصف عدة الحرة عند اكثر الفقهاء وعن الاصم ان عدتها عدة الحرائر تمسكا بظاهر عموم الآية وقياسا على وضع الحمل والا اذا كانت المرأة حاملة فانها اذا وضعت الحمل حلت وان كان بعد وفاة الزوج بساعة لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ولو زعم قائل ان ذلك في الطلاق فليعول على قصة سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حللت فانكحي من شئت وعن علي ان الحامل تتربص ابعد الاجلين ولا فرق في عدة الوفاة بين الصغيرة والكبيرة وذات الاقراء وغيرها والمدخول بها وغيرها وقال ابن عباس لا عدة عليها قبل الدخول ورد بعموم الآية ولهذا ايضا لم يفرق بين ان ترى المعتدة في المدة المذكورة دم الحيض على عادتها او لا تراه خلافا لمالك فانه قال لا تنقضي عدتها حتى ترى عادتها من الحيض في تلك الايام مثل التي كانت عادتها فان كانت عادتها ان تحيض في كل شهر مرة فعليها في عدة الوفاة اربع حيض وان كانت عادتها ان تحيض في كل شهر مرة فعليها حيضتان وان كانت عادتها ان تحيض في كل اربعة اشهر مرة يكفيها حيض واحد ان كانت عادتها ان تحيض في كل خمسة اشهر مرة فههنا يكفيها الشهور ثم مذهب الشافعي انها ان ارتابت استبرأت نفسها من الريبة كما ان ذات الاقراء لو ارتابت وجب عليها ان تحتاط وتعتبر المدة بالهلال ما امكن فان مات الزوج في خلال شهر هلالي والباقي اكثر من عشرة ايام فتعتد ما بقي وتحسب ثلاثة اشهر بعده بالاهلة وتكمل ذلك الباقي ثلاثين وتضم بها عشرة ايام فاذا انتهت من اليوم الاخير الى الوقت الذي مات فيه الزوج فقد انقضت العدة وان كان الباقي دون عشرة ايام فتعتده وتحسب اربعة اشهر بالاهلة وتكمل الباقي عشرة من الشهر السادس وان كان الباقي عشرة ايام فتعتد بها وباربعة اشهر بالاهلة بعدها وان انطبق الموت على اول الهلال فتعتد باربعة اشهر بالاهلة وبعشرة ايام من الشهر الخامس واختلفوا في ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فعن بعضهم ويوافقه جديد قول الشافعي انها ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الايام في العدة لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرأة المفقود امرأته حتى يأتيها يقين موته او طلاقه وايضا فالنكاح معلوم بيقين فلا يزال الا بيقين وقال الاكثرون السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها ثم بلغها خبر وفاة الزوج وجب ان تعتد بما انقضى والدليل عليه ان الصغيرة التي لا علم لها تكفي في انقضاء عدتها هذه المدة ثم المراد من تربصها بنفسها الامتناع عن النكاح بالاجماع والامتناع عن الخروج عن المنزل الا عند الضرورة والحاجة والاحداد ويعني به ترك التزين بثياب الزينة وترك التحلي والتطيب والتدهن والاكتحال بالاثمد ويحرم عليها ان تختضب بالحناء ونحو ذلك فيما يظهر من البدن كاليدين والرجلين والوجه ولا منع منه فيما تحت الثياب ولا منع من التزين في الفرش والبسط والستور واثاث البيت ومن التنظيف بغسل الرأس والامتشاط وقلم الاظفار والاستحداد ودخول الحمام وازالة الاوساخ والعدة تنقضي وان تركت الاحداد ولكنها تعصي لما روي انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا وعن الحسن الشعبي انه غير واجب لان الحديث يقتضي حل الاحداد لا وجوبه لكنه صلى الله عليه وسلم قال المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل والممشقة المصبوغة بالمشق وهو الطين الاحمر فقد يحتج بقوله والذين يتوفون منكم من قال الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع والا لم يخص الخطاب في منكم بالمؤمنين والجواب انما خصوا بالخطاب لانهم هم العاملون بذلك لقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها مع انه منذر للكل ليكون للعالمين نذيرا فاذا بلغن اجلهن اذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء لانهم الذين يتولون العقد او ايها الحكام وصلحاء المسلمين لانهن اذا تزوجن في مدة العدة وجب على كل احد منعهن عن ذلك فان عجز استعان بالسلطان وذلك لان المقصود من هذه العدة الامن من اشتمال فرجها على ماء زوجها الاول وقيل معناه لا جناح عليكم وعلى النساء فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالتزين والتطيب ونحوهما مما تنفرد المرأة بفعله وفيه دليل على وجوب الاحداد





الحكم الرابع عشر

بالمعروف الوجه الذي يحسن عقلا وشرعا وقد يحمل اصحاب ابي حنيفة الفعل ههنا على التزويج فيستدلون به على جواز النكاح بلا ولي والجواب بعد تسليم ان المراد من الفعل
هو التزويج ان الفعل قد يسند الى المسبب مثل بني الامير دارا وقد تقدم في قوله ان ينكحن ازواجهن ثم ختم الاية بالتهديد المشتمل على الوعد فقال والله
بما تعملون خبير الحكم الرابع عشر خطبة النساء وذلك قوله سبحانه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء والتعريض ضد التصريح ومعناه ان
تضمن كلامك ما يصلح للدلالة على المقصود وعلى غير المقصود الا ان اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح ولهذا قد يقال انه سوق الكلام لموصوف غير مذكور كما يقول المحتاج جئتك
لانظر الى وجهك الكريم ومنه قول الشاعر وحسبك بالتسليم مني تقاضيا واصله من عرض الشيء وهو جانبه كانه يحوم حوله ولا يظهره ولهذا قيل ان في المعاريض
لمندوحة من الكذب وهو قسم من اقسام الكناية والخطبة اصلها من الخطب وهو الامر والشان خطب فلان فلانة اي سألها امرا وشانا في نفسها وكذا
في الخطبة والخطاب فان في كل منهما شانا ثم النساء على ثلثة اقسام احدها ان يجوز خطبتها تعريضا وتصريحا وهي الخالية عن الزوج والعدة الا اذا كان قد
خطبها اخر واجيب اليه وعليه يحمل قوله صلعم لا يخطب احدكم على خطبة اخيه فان وجد صريح الاباء ولم يوجد صريح الاجابة ولا صريح الرد فالاصح انه يجوز
خطبتها لان السكوت لا يدل على الرضا خلافا لمالك وثانيها ما لا يجوز خطبتها تعريضا ولا تصريحا وهي منكوحة الغير لان خطبتها ربما صارت سببا
لتشويش الامر على زوجها ولامتناع المرأة عن اداء حقوق الزوج اذا وجدت راغبا فيها وكذا الرجعية فانها في حكم المنكوحة بدليل انه يصح طلاقها
وظهارها ولعانها وتعتد منه عدة الوفاة ويتوارثان وثالثها ما يفصل في حقها بين التعريض والتصريح وهي المعتدة غير الرجعية سواء كانت معتدة
عن وفاة او عن طلقات ثلث او عن بائنة كالمختلعة او عن فسخ وسبب التحريم انها مستوحشة بالطلاق فربما تكذب في انقضاء العدة بالاقراء مسارعة
الى مكافاة الزوج واما المعتدة عن وفاة فظاهر الاية تدل على انها في حقها لانها ذكرت عقيب اية عدة الوفاة عنها زوجها ثم انه خص التعريض بعدم الجناح فوجب
ان يكون التصريح بخلافه ثم المعنى يؤكد ذلك وهو ان التصريح لا يحتمل غير النكاح فالغالب انه يحملها الحرص على النكاح على الاخبار عن انقضاء العدة قبل اوانها
بخلاف التعريض فانه يحتمل غير ذلك فلا يدعوها الى الكذب قال الشافعي والتعريض كثير كقوله رب راغب فيك ومن يجد مثلك ولست بايم واذا حللت
فاذنيني وعد اخرون من الفاظ التعريض ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو
ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه والتصريح ان يقول اني اريد ان انكحك واتزوجك واخطبك وعن ابي جعفر
محمد بن علي انها دخلت على امراءة وهي في العدة فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلعم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت غفر الله لك اتخطبني
في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من نبي الله فقد دخل رسول الله صلعم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم
يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده فما كانت تلك خطبة او اكننتم في انفسكم اي سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم
لا معرضين ولا مصرحين اباح التعريض في الحال ولا ثم اباح ان يعقد قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء العدة ثم ذكر الوجه الذي لاجله
اباح التعريض فقال علم الله انكم ستذكرونهن لان شهوة النفس اذا حصلت في باب النكاح لم يكد المرء يصبر عن النطق بما ينبئ عن ذلك فاسقط الله
تع عنه الحرج ثم قال ولكن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطي لانه مما يسر ثم عبر عن النكاح الذي
هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمعنى لا تواعدوهن مواعدة سرية الا مواعدة
الاحسان اليها والاهتمام بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الاشياء مؤكدا لذلك التعريض فالمواعدة المنهي عنها اما ان يكون المواعدة في السر بالنكاح
فيكون منعا من التصريح واما المواعدة بذكر الجماع كقوله ان نكحتك اتيتك لاربعة والخمسة عن ابن عباس او كقوله دعيني اجامعك فاذا اتممت
عدتك اظهرت نكاحك عن الحسن او يكون ذلك نهيا عن مسارة الرجل المرأة الاجنبية لان ذلك نوع ريبة او نهيا ان يواعدها الا تتزوج باحد
سواه ويحتمل ان يكون السر صفة للموعود اي لا تواعدوهن بشيء يوصف بكونه سرا الا ان تقولوا قولا معروفا وهو التعريض وعن ابن عباس
هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه والعزم عقد القلب على فعل من الافعال معناه ولا
تعزموا عقدة النكاح ان تعقدوها واذا نهى عن العزم فعن نفس الفعل اولى وقيل معنى العزم القطع اي لا تحققوا ذلك ولا توجبوه ومنه قوله
لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام وقيل لا تعزموا عليهن ان يعقدن النكاح مثل عزمت عليك ان تفعل كذا واصل
العقد الشد والعهود والانكحة تسمى عقودا تشبيها بالحبل الموثوق بالعقد حتى يبلغ الكتاب اجله المراد منه المكتوب اي حتى يبلغ العدة المفروضة
اخرها وانقضت ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الفرض اي حتى يبلغ هذا التكليف نهايته وباقي الاية بيان موجبي الخوف والرجاء كما تقدم الحكم الخامس
عشر حكم المطلقة قبل الدخول وقبل فرض المهر وذلك قوله عز من قائل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة
واعلم ان عقد النكاح يوجب بدلا على كل حال وذلك البدل اما ان يكون مذكورا او غير مذكور فان كان مذكورا فان حصل الدخول استقر كله وعدتها
ثلثة قروء كما سبق وان لم يحصل الدخول سقط نصف المذكور بالطلاق كما يجيء في الاية الثانية وان لم يكن البدل مذكورا فان لم يحصل الدخول
فحكمها في هذه الاية هو ان لا مهر لها ويجب لها المتعة وان حصل الدخول فحكمها غير مذكور في هذه الايات الا انهم اتفقوا على ان الواجب فيها مهر المثل
قياسا على الموطوءة بالشبهة بل اولى لوجود النكاح الصحيح وقد يستنبط حكمها من قوله تع فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن ويحتمل ان يقال هذه
الاية تدل على انه لا مهر للتي لا يكون ممسوسة ولا مفروضا لها فيعرف من ذلك وجوب المهر للممسوسة غير المفروض لها وللمفروض لها غير الممسوسة وقد سلف



المسمى المفروض لها فتبين اشتمال القرآن على احكام جميع الاقسام فان قيل ظاهر الاية مشعر بان نفي الجناح عن المطلق مشروط بعدم المسيس وليس كذلك فانه لا جناح عليه ايضا بعد المسيس قلنا لعل الاية وردت لبيان اباحة الطلاق على الاطلاق وهذا الاطلاق لا يصح الا قبل المسيس اذ بعده الى ان يكون الطلاق في طهر لم يجامعها فيه ولعل ما بمعنى التي لا للمدة والتقدير لا جناح عليكم ان طلقتم النساء اللاتي لم تمسوهن ولا يلزم منه وجود الجناح في تطليق غيرهن او المراد من الجناح في الاية لزوم المهر اي لا مهر عليكم ولا تبعة في تطليقهن فان الجناح في اللغة الثقل يقال جنحت السفينة اذا مالت بثقلها ومما يؤكد ذلك انه نفى الجناح ممدودا الى غاية هي اما المسيس او الفرض والجناح الذي يثبت عند احد هذين الامرين هو لزوم المهر فحصل القطع بان الجناح المنفي في اول الاية هو لزوم المهر وايضا ان تطليق النساء قبل المسيس اما ان يكون قبل تقدير المهر او بعده وفي القسم الثاني وجب نصف المفروض كما يجيء فيجب ان يكون المنفي في القسم الاول مقابل المثبت في الثاني واتفقوا على ان المراد بالمسيس والمماسة في الاية الجماع ولا يخفى حسن موقع هذه الكناية وفيه تاديب للعباد في اختيار احسن الالفاظ للتخاطب والتفاهم والفرض في اللغة التقدير اي تقدروا مقدارا من المهر ومعنى او ههنا ان رفع الجناح منوط بعدم المسيس او بعدم الفرض على سبيل منع الخلو فقط ولهذا اصح اجتماعهما في هذا الحكم وقيل انها بمعنى الواو وقيل بمعنى الا وقيل بمعنى حتى والكل تعسف ثم انه تعالى لما بين انه لا مهر لها قبل المسيس والتسمية ذكر ان لها المتعة فقال ومتعوهن فذهب الشافعي وابو حنيفة الى انها واجبة نظرا الى الامر وانه للوجوب ظاهرا وقول شريح والشعبي والزهري وعن مالك ويروى عن الفقهاء السبعة من اهل المدينة انهم كانوا لا يرونها واجبة لانه تعالى قال في اخر الاية حقا على المحسنين فجعلها من باب الاحسان ورد بان لفظ على ينبئ عن الوجوب وكذا قوله حقا واصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا منقضيا ولهذا قيل الدنيا متاع وسمي التلذذ تمتعا لانقطاعه بسرعة على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اوسع الرجل اذا كان في سعة من ماله واقتر ضده من القترة وهي الغبار فكانه بالارض لصيق فات بيده وقدره اي قدر امكانه وطاقته فحذف المضاف وقدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به والقدر والقدر لغتان في جميع معانيهما وفي الاية دليل على ان تقدير المتعة مفوض الى الاجتهاد كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان الموسع يخالف المقتر قال الشافعي المستحب على الموسع خادم وعلى المتوسط ثلثون درهما واقلها مقنعة واي قدر ادى جاز في جانبي الكثرة والقلة والنظر في اليسار والاقتار الى العادة وقال ابو حنيفة المتعة لا يزاد على نصف مهر المثل لان حال المراة التي سمى لها المهر احسن من حال التي لم يسم لها ثم لما لم يجب لها زيادة على نصف المسمى اذا طلقها قبل الدخول فهذه اولى متاعا تاكيد لمتعوهن اي تمتيعا بالمعروف الذي يحسن في الدين والمروة وعلى قدر حال الزوج في الغنى والفقر وعلى ما يليق بالزوجة بحسب الشرف والوضاعة ونحو ذلك حقا على المحسنين لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان او من اراد ان يكون محسنا فهذا شانه وطريقته وعلى المحسنين الى انفسهم في المسارعة الى طاعة الله تعالى الحكم السادس عشر حكم المطلقة قبل الدخول وبعد فرض المهر وذلك قوله سبحانه وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الاية واعلم ان مذهب الشافعي ان الخلوة لا تقرر المهر وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر وهي ان لا يكون هناك مانع حسي او شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن والمرض وبكون معهما ثالث وان كان نائما والشرعي كالحيض والنفاس وصوم الفرض وصلوة الفرض والاحرام المطلق فرضا كان او نفلا وقوله وقد فرضتم في موضع الحال ومعنى قوله فنصف ما فرضتم فعليكم نصف ذلك او فنصف ما فرضتم ساقط او ثابت الا ان يعفون اي المطلقات عن ازواجهن فتقول المراة ما راني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف اخذ منه شيئا والفرق بين قولك النساء يعفون وبين الرجال يعفون هو ان الواو في الاول لام الفعل والنون ضمير جماعة النساء ولم يحذف منه شيء وانما وزنه يفعلن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل والواو في الثاني ضمير جماعة الذكور واللام محذوف ووزنه يفعون والنون علامة الرفع فقوله او يعفو عطف على محل ان يعفون والذي بيده عقدة النكاح الولي وهو قول الشافعي ويروى عن الحسن ومجاهد وعلقمة وقيل الزوج وهو مذهب ابي حنيفة ويروى عن علي وسعيد بن المسيب وكثير من الصحابة والتابعين قالوا ليس للولي ان يهب مهر موليته صغيرة كانت او كبيرة وايضا الذي بيد الولي هو عقدة النكاح فاذا عقد حصلت العقدة اي المعقودة كالاكلة واللقمة ثم هذه العقدة بيد الزوج لا الولي وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وحجة الاولين ان الصادر عن الزوج هو ان يعطيها كل المهر وذلك يكون هبة والهبة لا تسمى عفوا اللهم الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او يقال سماه عفوا على طريقة المشاكلة او لان العفو التسهيل فعفو الرجل هو ان يبعث اليها كل الصداق وعلى وجه السهولة وحجة اخرى لو كان المراد به الزوج وقد قال ولا وان طلقتموهن ناسب ان يقال الا ان يعفون او تعفو على سبيل الخطاب ايضا واجيب بان سبب العدول عن الخطاب الى الغيبة هو التنبيه على المعنى الذي لاجله يرغب في العفو والمعنى الا ان يعفون او يعفو الزوج الذي حبسها بان ملك عقد نكاحها عن الازواج ثم لم يكن منها سبب في الفراق وانما فارقها الزوج فلا جرم كان حقيقا بان لا ينقصها من مهرها ويكمل لها صداقها ثم قال الشافعي ثبت ان الذي بيده عقدة النكاح هو الولي فهم منه ان النكاح لا ينعقد بدون الولي وذلك للحصر المستفاد من تقديم بيده على عقدة النكاح فتبين انه ليس في يد المراة من ذلك شيء وان تعفوا اقرب للتقوى قبل اللام بمعنى الى والتقدير العفو اقرب الى التقوى والخطاب للرجال والنساء جميعا الا انه غلب الذكور لاصالتهم وكمالهم وانما كان عفو البعض عن البعض اقرب الى حصول معنى الاتقاء لان من سمح بترك حقه فهو اقرب الى ان يتقي من ان ياخذ حق غيره بعد لانه اذا استحق بذلك الصنع الثواب فقط اتقى العقاب واحترز عنه ولا تنسوا الفضل لا تتركوا التفضل والتسامح فيما بينكم وليس هذا من النسيان فان ذلك غير مقدور بل



المراد منه الترك وذلك ان الرجل اذا تزوج المرأة فقد تعلق قلبها به فاذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سببا لتأذيها منه وايضا اذا كلف الرجل ان يبذل
لها مهرها من غير ان يكون قد انتفع بها صار ذلك سببا لتأذيه منها فلاجرم ندب الله تعالى كلا منهما الى تطييب قلب الآخر بان يبذل كل المهر او يترك و
الا فالتنصيف عن جبير بن مطعم انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل
له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ثم انه تعالى ختم الآية بما يجري مجرى الوعد والوعيد على العادة
المعلومة فقال ان الله بما تعملون بصير **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلّٰهِ قَانِتِينَ فَإِنْ**
محافظت كنيد بر نمازها خصوصا نماز صبح و بايستيد براى خدا فرمان برداران پس اگر
خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ
ترسيد از دشمن پس پياده يا سواره نماز گذاريد پس چون ايمن شديد پس ياد آوريد خدا را كه آموخت شما چيزهائى كه نميدانستيد و انهائى كه وفات كنند از شما و
يَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ
واگذارند زنان خود را وصيت كنند وصيتى از براى زنان خود بهره تا ام سال كه بيرون نروند پس اگر بيرون رفتند پس باكى نيست بر شما در آنچه كردند در نفسهاى خود
مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
از شناخته وخدا غالب حكيم است واز براى رها شده كان است بهره بمقدارى معين و اين ثابت بر پرهيزكاران اينچنين ظاهر ميسازد خدا آيات خود را كه شايد
تَعْقِلُونَ القراءة وصية بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب غير روح الباقون بالرفع الوقوف قانتين ج او ركبانا ج لان
دريابيد اذا في معنى الشرط مع فاء التعقيب تعلمون ه ازواجا ج لانقطاع النظم ومكان الحذف لان التقدير فعليهم وصية او فليوصوا وصية و
الوصل اجوز لاتصال المعنى فان وصية او وصية قام مقام خبر المبتدأ اخراج ج من معروف ط حكيم ط بالمعروف ط المتقين ط تعقلون ه التفسير الحكم
السابع عشر الصلوة وذلك انه سبحانه لما بين للمكلفين ما بين من معالم الدين وشعائر اليقين اعقبها بذكر الصلوة التي تفيد انكسار القلب
من هيبة الله تعالى وزوال التمرد وحصول الانقياد للاوامر والانتهاء عن المناهي فيحصل السعادات الطرفين وتكميل المصالح الدارين وقد
اجمع المسلمون على ان الصلوات المكتوبة خمس وفي الآية اشارة الى ذلك لان الصلوات جمع واقلها ثلث والصلوة الوسطى تدل على شيء زائد والا
لزم التكرار وذلك الزائد لو كان الرابع لم يكن للمجموع وسطى فلا اقل من خمسة والمراد بمحافظتها رعاية جميع شرائطها من طهارة البدن والثوب
والمكان ومن ستر العورة واستقبال القبلة والاتيان باركانها وابعاضها وهيآتها والاحتراز عن مفسداتها من اعمال القلب واعمال اللسان
والجوارح ومعنى المفاعلة في المحافظة اما لانها بين العبد والرب كانه قيل احفظ الصلوة يحفظك الاله الذي امرك بالصلوة كقوله فاذكروني اذكركم
وفي الحديث احفظ الله يحفظك واما لانها بين المصلي والصلوة فمن حفظ الصلوة حفظته الصلوة عن المناهي ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وحفظته عن الفتن والمحن واستعينوا بالصبر والصلوة وكيف لا وفي الصلوة القراءة والقرآن شافع مشفع في الخبر تجيء البقرة وآل عمران
كانهما غمامتان فتشهدان وتشفعان وان سورة الملك تصرف عن المتهجد بها عذاب القبر وتجادل عنه في الحشر وتقف في الصراط عند قدمه



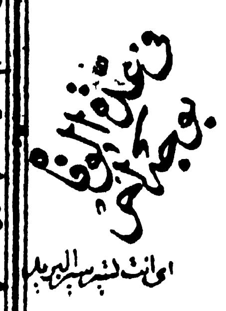
تقول للنار لا سبيل لك عليه وفي الصلوة الوسطى سبعة اقوال الاول انه تعالى امرنا بالمحافظة على الصلوة الوسطى ولم يبين لنا انها اي الصلوات
وما يروى من اخبار الآحاد لا معول عليها فيجب ان نؤدي كلها على نعت الكمال والتمام ولعل هذا هو الحكمة في ابهامها ولمثل ذلك اخفى الله تعالى
ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في يوم الجمعة واسمه الاعظم في اسمائه ووقت الموت في الاوقات ليكون المكلف خائفا عازما على التوبة
في كل الاوقات وهذا القول اختاره جمع من العلماء عن محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلوة الوسطى فقال حافظ على الصلوات
تصبها وعن الربيع ارأيت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن قال السائل لا قال الربيع فان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى
القول الثاني ان الوسطى مجموع الصلوات الخمس فان الايمان بضع وسبعون درجة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق
والصلوات المكتوبات واسطة بين الطرفين القول الثالث انها صلوة الصبح وهو قول علي وعمر وابن عباس وابن عمر وجابر وابي امامة ومن التابعين قول طاوس
وعطاء وعكرمة ومجاهد وهو مذهب الشافعي قالوا هذه الصلوة تصلى في الغلس فبعضها في ظلمة الليل وآخرها في ضوء النهار وايضا ان في النهار صلوتين
الظهر والعصر وفي الليل صلوتين المغرب والعشاء والصبح متوسط بينهما وايضا الظهر والعصر يجمعان في السفر وكذا المغرب والعشاء والفجر منفرد بينهما قال
القفال وتحقيق هذا يرجع الى ما يقول الناس فلان متوسط اذا لم يمل الى احد الخصمين وكان منفردا بنفسه عنهما وقد اقسم الله تعالى بها في قوله والفجر وليال
عشر وايضا قال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا واتفقوا على ان المراد منه صلوة الفجر فخصها في تلك الآية بالذكر للتأكيد كما خص الصلوة
الوسطى في هذه الآية بالذكر للتأكيد فيغلب على الظن انهما واحد وايضا قرن هذه الصلوة بذكر القنوت في قوله وقوموا لله قانتين وليس في المفروضة
صلوة صح فيها القنوت الا الصبح وايضا لاشك انه تعالى افردها بالذكر لاجل التأكيد والصبح احوج الصلوات الى ذلك ففيه ترك النوم اللذيذ واستعمال الماء
البارد والخروج الى المسجد في الوقت الموحش وايضا الافراد بالذكر ينبئ عن الفضل لا ريب في فضيلة صلوة الصبح لهذا جاء والمستغفرين بالاسحار وروي ان التكبيرة
الاولى منها في الجماعة خير من الدنيا وما فيها وخصت بالاذان مرتين اولاهما قبل الوقت ايقاظا للناس حتى لا تفوتهم السنة وخص اذانها بالتثويب وهو



يقول بين الحيعلتين الصلوة خير من النوم وان الانسان اذا قام من منامه فكانه صار موجودا بعد العدم وعند ذلك يزول عن الخلائق ظلمة الليل ظلمة النوم والغفلة هو ظلمة النوم والغفلة وظلمة العجز والحيرة ويملأ العالم نورا والابدان حيوة وعقلا وقوة وفهما فهذا الوقت اليق الاوقات بان يشتغل العبد باداء العبودية واظهار الخضوع والاستكانة لفاطر السموات والارض وجاعل الظلمات والنور وعن علي رضي الله عنه انه سئل عن الصلوة الوسطى فقال كنا نرى انها الفجر وعن ابن عباس انه صلى الصبح ثم قال هذه هي الصلوة الوسطى القول الرابع انها صلوة الظهر ويروى عن عمر وزيد بن ابي بكر وابي سعيد الخدري واسامة بن زيد وهو قول ابي حنيفة واصحابه لان الظهر كان شاقا عليهم لوقوعه في وقت القيلولة وشدة الحر فصرف المبالغة اليه اولى وعن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالهاجرة وكانت اثقل الصلوات على اصحابه فربما لم يكن وراءه الا الصف والصفان فقال لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم فنزلت هذه الاية وايضا هي في المكتوبات صلوة وقعت في وسط الليل والنهار الا هذه وانما صلوة بين صلوتين نهاريتين الفجر والعصر وانها صلوة بين البردين برد الغداة وبرد العشي وان اول امامة جبرئيل كان في صلوة الظهر كما ورد في الاحاديث الصحاح وان صلوة الجمعة مع ما ورد في فضلها تنوب عن الظهر لا عن غيرها وعن عائشة انها كانت تقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر كانت تقول سمعت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغلب على الظن ان المعطوف عليه العصر هو الظهر الذي قبله وروي ان قوما كانوا عند زيد بن ثابت فارسلوا الى اسامة بن زيد فسألوه عن الصلوة الوسطى فقال هي صلوة الظهر كانت تقام في الهاجرة القول الخامس انها صلوة العصر روي عن علي وعن ابن مسعود وابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم ومن الفقهاء النخعي وقتادة والضحاك وهو مروي عن ابي حنيفة ايضا لما ورد من التأكيد فيه كقوله صلى الله عليه وسلم من فاته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله وقد اقسم الله بها في قوله والعصر ان الانسان لفي خسر ولما يحتاج في معرفة وقتها الى تأمل اكثر من حال الظهر فالمغرب يعرف بغروب جرم الشمس والعشاء بغروب الشفق والفجر بطلوع الصبح الصادق والظهر بدلوك الشمس عن دائرة نصف النهار ولما في وقتها من اشتغال الناس بحوائجهم عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى حتى غابت الشمس عن دائرة نصف النهار ولما في وقتها من اشتغال ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا رواه البخاري ومسلم وسائر الائمة وهو عظيم الموقع في المسئلة وفي صحيح مسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر عن النبي صلى الله عليه وسلم انها صلوة التي شغل عنها سليمن بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املي عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر القول السادس انها صلوة المغرب عن قبيصة بن ذويب لانها بين بياض النهار وسواد الليل ولانها وسط في الطول والقصر القول السابع انها صلوة العشاء لانها متوسطة بين صلوتين لا تقصران المغرب والصبح لما ورد من فضلها عن عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء الآخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة وقال اهل التحقيق القلب هو الذي في وسط الانسان بل هو واسطة بين الروح والجسد فكانه قيل حافظوا على سورة الصلوات بشرائطها حافظوا على معاني الصلوة وحقايقها بدوام شهود القلب للرب في الصلوة بعدها ثم ان الشافعي احتج بالاية على ان الوتر ليس بواجب ولو كانت الصلوة ستا فلم يكن لها وسطى وهذا انما يتم لو كان المراد الوسطى في العدد لكنه يحتمل ان يكون الوسطى في الفضل من قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا او الوسطى في الزمان وهو الظهر او الوسطى في المقدار كالمغرب فانه ثلث ركعات فهو وسط بين الاثنين والاربع او الوسطى في الصفة كصلوة الصبح يتوسط بين صفتي الظلام والضياء وقوموا لله قانتين عن ابن عباس القنوت هو الدعاء والذكر لقوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما ولان قوله حافظوا على الصلوات امر بما في الصلوة من الفعل فيكون القنوت عبارة عن كل ما في الصلوة من الذكر عن الحسن الشعبي وسعيد بن جبير وطاوس وقتادة والضحاك ومقاتل قانتين اي مطيعين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كل قنوت في القرآن فهو الطاعة ومن يقنت منكن لله ورسوله فالصالحات قانتات فالقنوت عبارة عن كمال الطاعة والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وسننها وادابها وفيه زجر لمن لم يبال كيف صلى فخفف واقتصر على ما لا يجزئ وذهب الى انه لا حاجة بالله الى صلوة العباد ولو كان كما قالوا لوجب ان لا يصلي اصلا لانه تعالى كما لا يحتاج الى الكثير من عبادتنا فكذلك لا يحتاج الى القليل وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الرسل والسلف الصالح فطالوا وخشعوا واستكانوا وكانوا اعلم بالله من هؤلاء الجهال وقيل قانتين ساكتين عن زيد بن ارقم وعبد الله بن مسعود كنا نتكلم في الصلوة يكلم الرجل صاحبه هو الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وعن مجاهد القنوت عبارة عن الخشوع وخفض الجناح وسكون الاطراف وكان احدهم اذا صلى خاف ربه فلا يلتفت ولا يقلب الحصى ولا يعبث بشئ من جسده ولا يحدث نفسه بشئ من الدنيا حتى ينصرف ويحتمل ان يكون المراد وقوموا لله مديمين لذلك القيام في اوقات وجوبه واستحبابه فان خفتم عدوا فحذف المفعول للعلم به او فان حصل لكم خوف وكنتم على حالة الخوف على انه متروك المفعول فرجالا او ركبانا اي فصلوا راجلين او راكبين قيل المعنى فان خفتم فوات الوقت ان اخرتم الصلوة الى ان تفرغوا من حربكم فصلوا رجالا او ركبانا وعلى هذا فالاية تدل على تأكيد فرض الوقت حتى يترخص لاجل فرض المحافظة عليه بترك القيام والركوع والسجود ورجال جمع راجل كقيام جمع قائم وتجار جمع تاجر وجمع رجل يقال رجل رجل اي راجل والركبان جمع راكب كفارس وفرسان ولا يقال راكب الا لمن كان على ابل فان كان على فرس فانما يقال له فارس لكن المراد في الاية اعم وتخصيص اللفظ بالركبان لانه الغالب فيهم واعلم ان صلوة الخوف اما ان يكون في غير حال القتال وسوف يجيء بيانها في سورة النساء ان شاء الله تعالى واما ان يكون عند التحام القتال فهو المراد بهذه الاية ومذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على دوابهم ومشاة على اقدامهم الى القبلة والى غير القبلة ويقتصرون من الركوع والسجود على الايماء الا انهم يجعلون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصيحات لانه لا ضرورة اليه بل الشجاع الساكت اهيب وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر لانه صلى الله عليه وسلم اخر الصلوة يوم الخندق واجيب بان الاية ناسخة



لذلك الفعل ويدخل في الخوف المفيد لهذه الرخصة الخوف في القتال الواجب كالقتال مع الكفار او مع اهل البغي وفي القتال المباح كالدفع عن النفس او حيوان محترم او عن المال اما القتال المحظور فانه لا يجوز فيه صلوة الخوف لان الرخص لا تناط بالمعاصي والخوف الحاصل لا في القتال كالهارب من الحرق و الغرق والسبع كذا الطالب اذا كان معسرا خايفا من الحبس عاجزا عن بينة الاعسار يرخص في هذه الصلوة لان قوله فان خفتم مطلق يتناول الكل فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وبما بينه من شروطها واركانها والصلوة قد تسمى ذكرا فاسعوا الى ذكر الله وقيل فاذكروا الله اي فاشكروا الله لاجل انعامه عليكم بالامن وقيل فاشكروه على الامن اذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع على لسان نبيه كيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن وما في كما علمكم اما مصدرية او كافة الحكم الثامن عشر عدة الوفاة بوجه آخر والذين يتوفون منكم الاية من قرأ وصية بالرفع فوصية مبتدأ وخبره لازواجهم و جاز وقوع النكرة مبتدأ لتخصيصه بما يخصص به سلام عليكم او التقدير فعليهم وصية لازواجهم فالخبر مضمر ايضا او المراد امر والحكم وصية فالمبتدأ مضمر او كتب عليهم وصية او ليكن بينهم وصية او وصية الذين يتوفون وصية او والذين يتوفون اهل وصية الى الحول كل هذه الوجوه جائزة ومن قرأ بالنصب فعلى تقدير فليوصوا وصية او يوصون وصية مثل انت سير البريد او والزم الذين يتوفون منكم وصية متاعا نصب على المصدر على معنى فليوصوا لهن وصية وليمتعوهن متاعا والتقدير جعل الله لهن ذلك متاعا لان ما قبله من الكلام يدل عليه او نصب على الحال او نصب بالوصية غير اخراج نصب على المصدر المؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون منكم عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهم واكثر المفسرين على ان ذلك كان في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا ونسخ ما زاد على هذا القدر ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن لقوله صلعم الا لا وصية لوارث وعن علي وابن عمر ان لها النفقة وان كانت حاملا واما السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن وهو قول علي وابن عباس وعائشة واختاره المزني قياسا على النفقة وفرق بان النفقة في مقابلة التمكين ولا تمكين واما السكنى فللتحصين لما وهو موجود وعند الشافعي لهن ذلك على الاظهر وهو قول عمر وعثمان وابن مسعود وابن عمر وام سلمة وبه قال مالك والثوري واحمد ومبنى الخلاف على خبر فريعة بنت مالك اخت ابي سعيد الخدري قتل زوجها قالت فسألت رسول الله صلعم ان ارجع الى اهلي فان زوجي ما ترك لي منزلا املكه كذا في التفسير الكبير وهو في مكة فقال نعم فانصرفت حتى اذا كنت في المسجد او في الحجرة دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله فحمل بعضهم الامر الثاني على النسخ واخرون على الاستحباب وعن مجاهد انها ان اختارت السكنى في دار زوجها ولم تأخذ النفقة من مال زوجها كانت عدتها اربعة اشهر وعشرا وان اختارت السكنى في داره والاخذ من ماله وتركته فعدتها الحول قال وانما نزلت الاية على هذين التقديرين ليكون كل واحد منهما معمولا به وعن ابي مسلم انكم تضيفون الوصية الى حكم الله تعالى فيلزمكم القول بالنسخ ونحن نضيف الحكم الى الزوج حتى يصير معنى الاية الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وقد وصوا وصية لازواجهم بالنفقة والسكنى حولا فهذا المجموع شرط وجوابه فان خرجن اي قبل ذلك وخالفن وصية الزوج بعد ان يقمن المدة التي ضربها الله تعالى فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف اي نكاح صحيح لان اقامتهن بهذه الوصية غير لازمة والسبب فيه انهم كانوا في زمان الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولا وكانوا يوجبون على المرأة الاعتداد بالحول فبين الله تعالى في هذه الاية ان ذلك غير واجب ويؤكده ما روت زينب بنت ابي سلمة قالت سمعت امي ام سلمة تقول جاءت امرأة الى رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها افنكحلها فقال رسول الله صلعم لا مرتين او ثلثا كل ذلك يقول لا ثم قال رسول الله صلعم انما هي اربعة اشهر وعشر وقد كان احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على رأس الحول فقالت كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا اي بيتا صغيرا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى يمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة او طائر فتفتض به قال مالك اي تمسح به جلدها فقلما تفتض بشيء الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد بما شاءت من طيب او غيره فلا جناح عليكم يا اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من التزين والاقدام على النكاح ومن قطع نفقتهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول ومن ترك منعهن من الخروج لان مقامها حولا في بيت زوجها ليس بواجب عليها وانما قال ههنا من معروف منكرا لان المراد به وجه من الوجوه التي لهن ان يأتينه وفي الاية السابقة اراد بالوجه المعروف من الشرع ويمكن ان يقال ان تلك الاية متأخرة في النزول عن هذه باجماع المفسرين فلهذا نكر اولا ثم عرف لان النكرة اذا تكررت صارت معرفة قال سبحانه كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول الحكم التاسع عشر وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها للواحدة منهن وهي المذكورة في الحكم الخامس عشر وروي انها لما نزلت ومتعوهن الى قوله متاعا بالمعروف حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل فنزلت هذه الاية اي حقا على من كان متقيا عن الكفر والمعاصي واعلم ان المطلقات قسمان مطلقة قبل الدخول فلها المتعة ان لم يفرض لها مهر كما مر في الحكم الخامس عشر وان فرض لها مهر فلا متعة لها وحسبها نصف المهر لانه تعالى اقتصر على ذلك ولم يذكر المتعة فهي مستثناة من عموم هذه الاية ومطلقة بعد الدخول سواء فرض لها ام لم يفرض واختلفوا في استحقاقها المتعة فالقديم من قول الشافعي وبه قال ابو حنيفة لا متعة لها لانها تستحق المهر كالمطلقة بعد الفرض وقبل الدخول والجديد ان لها المتعة وهو قول علي وابن الحسن وابن عمر لعموم هذه الاية ولقوله تعالى فتعالين امتعكن وذلك في حق نساء كان





دخل بهن النبي وليست كالمطلقة المذكورة لانها استحقت الصداق لا مقابلة عوض وهذه استحقت الصداق في مقابلة استباحة البضع فيجب لها المتعة
للايحاش وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة تمسكا بظاهر عموم الآية وقيل المراد بهذه المتعة النفقة في العدة بدليل متاعا الى الحول والله اعلم

ع

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ
آيا ندانى حكايت آنها را كه بيرون رفتند از خانهاى خود و حال آنكه چند هزار بودند از ترس مرگ پس گفت مر ايشان را خدا كه بميريد پس زنده گردانيد ايشان را بدرستى كه خدا هر آينه صاحب فضل است
عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ مَنْ ذَا الَّذِي
بر مردمان وليكن بيشترى از مردمان سپاس نميكنند وجهاد كنيد در راه خدا وبدانيد كه بدرستى كه خدا شنونده داناست كيست آنكس كه او
يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ القراءة فيضاعفه
وام دهد خدا را وامى نيكو پس بيفزايد خدا از براى او مانندهاى بسيار وخدا فقير كند ووسعت دهد وبسوى او بازگرديد
بالالف والنصب عاصم غير المفضل وسهل فيضعفه بالتشديد والنصب ابن عامر ويعقوب غير روح فيضعفه بالتشديد والرفع ابن كثير ويزيد وروح الباقون فيضاعفه بالالف و
الرفع وكذلك في سورة الحديد ويبصط بالصاد ابن كثير وابو جعفر ونافع غير الخزاعي عن ابن فليح وابن مجاهد وابو عون عن قنبل وسهل وعاصم وابن ذكوان و
غير ابن مجاهد والنقاش وشجاع وعلي الحلواني عن قالون مخير الباقون بالسين الوقوف الموت ص احياهم ط لا يشكرون ه عليم ه كثيرة ط يبسط ص ترجعون ه
التفسير قد جرت عادته سبحانه ان يذكر بعد بيان الاحكام القصص عبارا للسامعين ليحملهم ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد ومزيد الخضوع
والانقياد فقال الم تر وفيه تقرير لمن سمع بقصتهم ووقف على اخبار الاولين وتعجيب من حالهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام
جرى مجرى المثل في معنى التعجب ويكون الرؤية بمعنى العلم والمعنى الم ينته علمك لهذا ولهذا عدي بالى وعلى هذا يجوز ان يكون النبي لم يعرف هذه القصة الا
بهذه الآية ويجوز ان يقال كان العلم بها سابقا على نزول هذه الآية ثم انه تعالى انزل الآية على وفق ذلك روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع
فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وروي ان حزقيل النبي الذي يقال له ذو الكفل مر
عليهم بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب مما رأى فاوحى الله اليه تريد ان اريك كيف احييهم فقال نعم فقيل له نادها
العظام ان الله يامرك ان تجتمعي فجعلت العظام يطير بعضها الى بعض حتى تمت العظام ثم اوحى الله اليه نادها ان الله يامرك ان تكتسي لحما فصارت
لحما ودما ثم نادها ان الله يامرك ان تقومي فقامت فلما احياهم ثم كانوا يقولون سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم
بعد حيوتهم وكان يظهر امارات الموت في وجوههم الى ان ماتوا بعد ذلك بحسب آجالهم وعن ابن عباس ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امر عسكره بالقتال
فخافوا القتال فهربوا وقالوا لملكهم ان الارض التي نذهب اليها فيها الوباء فنحن لا نذهب اليها حتى يزول ذلك الوباء فاماتهم الله باسرهم وبقوا ثمانية
ايام حتى انتفخوا وبلغ بني اسرائيل موتهم فخرجوا لدفنهم فعجزوا من كثرتهم فحظروا عليهم الحظائر فاحياهم الله تعالى بعد الثمانية فبقي فيهم شيء من ذلك النتن و
بقي ذلك في اولادهم الى هذا اليوم وقيل ان حزقيل النبي ندب قومه الى الجهاد فكرهوا وجبنوا فارسل الله تعالى عليهم الموت فلما كثر فيهم الموت خرجوا
من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى حزقيل ذلك قال اللهم اله يعقوب واله موسى ترى معصية عبادك فارهم آية في انفسهم تدلهم على نفاذ قدرتك وانهم
لا يخرجون عن قبضتك فارسل الله عليهم الموت فلما رآهم ضاق قلبه فدعا مرة اخرى فاحياهم الله تعالى اما قوله سبحانه وهم الوف ففيه دليل على
الالوف الكثيرة ولكنهم اختلفوا فقيل عشرة الاف وقيل ثلثون وقيل اربعون وقيل سبعون وعن بعضهم ان الالوف جمع الف كقعود جمع قاعد اي خرجوا
وهم مؤتلفوا القلوب وزيف بان ورود الموت عليهم وهم كثرة يفيد مزيد اعتبار بحالهم بخلاف ما لو كانوا نفرا يسيرا فاما ورود الموت على قوم
بينهم ايتلاف ومحبة فكوروده على قوم بينهم اختلاف في ان وجه الاعتبار لا يتغير وقد يوجه بان المراد الفهم بالدنيا ومحبتهم لها فاهلكوا ليعلم
ان حرص الانسان على الحيوة لا يعصمه عن الموت حذر الموت مفعول لاجله فقال لهم الله موتوا معناه فاماتهم وجيء بهذه العبارة للدلالة على
انهم ماتوا ميتة رجل واحد لانها خارجة عن العادة ولا امر ولا قول كما في قوله سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويدل عليه قوله
ثم احياهم واذا صح الاحياء بلا قول فكذا الاماتة ويحتمل انه تعالى امر الرسول بان يقول لهم موتوا والظاهر انهم لم يكونوا رأوا عند الموت من الاهوال
والاحوال ما يصير بها معارفهم ضرورية ويمنع من صحة التكليف بعد الاحياء كما في الآخرة وقال قتادة انما احياهم ليستوفوا بقية آجالهم ان الله
لذو فضل على الناس تفضل عليهم بان خرجوا من الدنيا على المعصية فاعادهم الى الدنيا ومكنهم من التوبة والتلافي وتفضل على منكري المعاد
بما قص من خبرهم ليستبصروا ويعتبروا ذلك ان تركب الاجزاء على الشكل المخصوص ممكن والا لما وجد اولا واذا كان ممكنا في نفسه وقد اخبر الصادق بوقوعه
وجب القطع به وفي القصة تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم ينفع منه الفرار فاولى ان يكون في سبيل الله ولهذا اتبعه
بقوله وقاتلوا في سبيل الله ثم ان كان هذا الامر خطابا للذين احياهم على ما قال الضحاك احياهم ثم امرهم بان يذهبوا الى الجهاد فلا بد من اضمار تقديره
وقلنا لهم قاتلوا وان كان استينافا فخطاب للحاضرين على ما هو اختيار الجمهور من المفسرين فلا اضمار وفيه ترغيب لهذا الباب كيلا ينكص على عقبيه محب
الحيوة بسبب خوف الموت فان الحذر لا يغني عن القدر واعلموا ان الله سميع عليم يسمع ما يقوله القاعدون والمجاهدون ويعلم ما يضمرونه وهو
من وراء الجزاء ولما امر المكلفين بالقتال في سبيل الله اردف ذلك بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي في باب الجهاد وكانه ندب العاجز

عن الجهاد ان ينفق على الفقير القادر على الجهاد وامر القادر على الجهاد ان ينفق على نفسه في طريق الجهاد وذا في من ذا اما زائدة ومن استفهام في موضع الرفع والذي مع صلتها خبره وموصولة والذي بدلها او اسم اشارة خبر من والذي نعت له او بدل منه قال ابو البقا ولا يجوز ان يكون من وذا بمنزلة اسم واحد كما كانت ماذا لان ما اشد ابهاما من من اذ كانت من لمن يعقل وقد بني الكلام على طريقة الاستفهام لان ذلك ادخل في الترغيب والحث على الفعل من ظاهر الامر وقيل ان هذا الكلام مبتدأ لا تعلق له بما قبله وانما ورد مستأنفا في الانفاق ما على الاطلاق وهو لا يليق بعموم لفظ القرض ولا ما الواجب منه لان قوله واليه ترجعون كالزجر وهو انما يليق بالواجب لا بغير الواجب لكن القرض بالتبرع اشبه وهذا قول الاصم وقد روي عن بعض اصحاب ابن مسعود ان المراد من هذا القرض هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن النبي صلعم من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن اليهود فانه له صدقة ويشبه ان يكون الفقير الذي لا يملك شيئا اذا كان في قلبه انه اذا قدر انفق واعطى قامت تلك النية مقام الانفاق وعن الزجاج ان لفظ القرض حقيقة في كل ما يفعل ليجازى عليه واصل القرض القطع ومنه المقراض لانقطاع الاثر ومن اقرض فكانما قطع له من ماله او عمله قطعة يجازى عليها وقيل ان لفظ القرض في الاية مجاز فان القرض انما ياخذه من يحتاج اليه لفقره وذلك في حق الله محال ولان البدل في القرض المعتاد لا يكون الا بالمثل وههنا يضاعف ولان المال الذي ياخذه المستقرض لا يكون ملكا له وههنا المال الماخوذ ملك لله ثم مع حصول هذه الفروق سماه الله تعالى قرضا تنبيها على ان ذلك لا يضيع عند الله فكما ان القرض يجب اداؤه ولا يجوز الاخلال فكذا الثواب المستحق على هذا الانفاق واصل الى المكلف لا محالة وقوله قرضا حسنا يحتمل كونه اسم مصدر وكونه مصدرا بمعنى الاقراض ومعنى كونه حسنا حلالا لا خالصا لا يختلط به الحرام ولا يشوبه به من ولا اذى ولا يفعله رياء وسمعة وانما يفعله خالصا لوجه الله تعالى واضعافا فانتصب على الحال او على المفعول الثاني ان ضمن ضاعف معنى صير ويجوز ان يكون مصدرا لان الضعف وان كان مصدرا الا انه قد يقع موقع المصدر كالعطا فانه اسم للمعطى وقد يستعمل بمعنى الاعطاء قال القطامي اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا وانما جاز جمع المصدر بحسب اختلاف انواع الجزاء لاختلاف الاغراض في المقدار والاخلاص وغير ذلك والضعف المثل والتضعيف والاضعاف والمضاعفة كلها الزيادة على اصل الشيء حتى يصير مثلين او اكثر قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي ان هذا التضعيف لا يعلم احدكم هو وما هو وانما ابهمه تعالى لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط يقتر على عباده ويوسع فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة وايضا من كتب له الفقر لا لا ذلك سوا انفق او لم ينفق ومن كتب له الغنى فليس له الا ذلك فعلى التقديرين يكون انفاق المال في سبيل الله اولى واذا علم المكلف ان القبض والبسط بالله انقطع نظره عن مال الدنيا وبقي اعتماده على الله فحينئذ يسهل عليه الانفاق في مرضات الله ويحتمل ان يكون المعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا يقدم على هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يسهل عليه البذل وصرف المال واليه ترجعون فيجازيكم بحسب ما قدمتم من اعمال الخير والله ولي التوفيق واليه انتهاء الطريق

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ

آیا ننگریستی بسوی گروهی از بنی اسرائیل از پس موسی چون گفتند از برای پیغمبری از ایشان که برانگیز از برای ما پادشاهی در راه خدا گفت

هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا

آیا امید دارید که اگر نوشته شود بر شما جهاد را که جهاد نکنید گفتند که چه شده است ما را که قتال نکنیم در راه خدا و حال آنکه بیرون شدیم از خانهای خود و از فرزندان

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا

پس چون که نوشته شد بر ایشان قتال روگردانیدند مگر کمی از ایشان و خدا داناست بستمکاران و گفت ایشان را پیغمبر ایشان بدرستی که خدا برانگیخت از برای شما طالوت را

قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ

گفتند که کجا میباشد از برای او پادشاهی بر ما و ما سزاوارتریم بپادشاهی از او و حال نداده شد زیادتی از مال گفت بدرستی که خدا برگزید او را بر شما و افزود او را

بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ

زیادتی در علم و جسم و خدا میدهد پادشاهی خود را بهر که خواهد و خدا محیط داناست و گفت مر ایشان را پیغمبر ایشان بدرستیکه نشانه پادشاهی او اینست که بیاید بشما صندوق

فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا

که در آن سکینه است از پروردگار شما و بازمانده از آنچه واگذاشت اهل موسی و هرون که برمیدارند او را فرشتگان بدرستیکه در این هر آینه نشانیست اگر هستید گروندگان پس چون

فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً

جدا شد طالوت بالشکر گفت که بدرستیکه خدا ابتلا نماید شما را بنهری پس هرکه بیاشامد از آن پس نیست از من و هرکه نیاشامد از آن پس او از من است مگر آنکه بیاشامد کفی

ع ١٧

بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ

بدست خود پس آشامیدند از آن مگر کمی از ایشان پس چون که درگذشتند از آن نهر او و آنانکه گرویده بودند با طالوت گفتند که توانائی نیست ما را امروز با جالوت و لشکرش گفتند

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ

آنان که یقین داشتند که ایشان ملاقات کننده خدااند بسیار گروه کمی که غالب شدند گروه بسیار را بفرمان خدا و خدا با صابرانست و چون ظاهر شدند

وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ

با جالوت و لشکرش گفتند پروردگارا بریز بر ما صبر را و محکم کن قدمهای ما را و یاری ده ما را بر گروه کافران پس فرار دادند ایشان را بفرمان خدا

دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّٰهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللّٰهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ

داود جالوت را وداد داود را خدا پادشاهی و حکمت و آموخت او را از آنچه خواست و اگر نباشد دفع خدا مردم را بعضی از ایشان را ببعضی هر آینه فاسد میشد زمین ولیکن خدا

ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ القراءة عسيتم بكسر السين حيث كان نافع البا قون بالفتح وزاده بالامالة حمزة ونصير وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بسطة بالصاد

صاحب فضل است بر عالميان ابو نشيط والشموني غير النقاد وكذلك يبسط ويبسط الرزق لا تبسطها كل البسط فما اسطاعوا وما اشبه ذلك متى

الا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالسكون غرفة بفتح الغين ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالضم وفي الذين بالادغام

روى ابن مهران ومحمد العطار عن ابي شعيب وابن شجاع وكذلك ما اشبهها فئة ومئة وبابهما بغير همز وتين يزيد وشمني وحمزة في الوقف دفاع الله

كذلك في سورة الحج ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون دفع الله الوقوف من بعد موسى م لانه لو وصل صار اذ ظرفا لقوله الم تر ويجوز

في سبيل الله ط الا تقاتلوا ط وابنائنا ط تعظيما الابتداء امر معظم منهم ط بالظالمين ملكا ط من المال ط والجسم ط من يشاء ط عليم الملائكة مؤمنين

بالجنود لا لان قال جواب لما بتهر ج للابتداء بالشرط مع الفاء فليس مني ج للابتداء بالشرط مع اتحاد المقصود بيده ج لعطف المختلفتين منهم ج

تعظيما الابتداء امر معظم لان قالوا جواب لما وجنوده ط ملاقوا الله لا لان ما بعده مفعول قال باذن الله ط الصابرين ط الكافرين ط لان ما قبله دعاء

وما بعده خبر ماض متصل بكلام طويل تعده ولا وقف على باذن الله لاتصال اللفظ واتساق المعنى فان الهزيمة كانت منهم قبل داود جالوت مما يشاء ط العالمين

التفسير القصة الثانية قصة طالوت والملأ اسم جماعة من الناس كالقوم والرهط لانهم يملؤن العيون هيبة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة

وجمعه املاء قال شعر وقال لها الاملاء من كل معشر وخير اقاويل الرجال سديدها قال الزجاج الملأ الرؤساء سموا بذلك لانهم ملؤا بما يحتاج

اليه من كفايات الامور وتدبيرها من قولهم ملؤ الرجل ملاءة فهو ملئ اذا كان مطيقا له او لانهم بما لا اوتاد اي يتظاهرون ويتساندون

والغرض من ايراد هذه القصة عقيب آية القتال ترغيب المكلفين على الجهاد وان لا يكونوا كمن امروا بالقتال فخالفوا وظلموا اذ قالوا لنبي لهم لم

يحصل العلم بذلك النبي وباولئك الملأ من الخبر المتواتر وخبر الواحد لا يفيد الا الظن لكن المقصود والحث على الجهاد حاصل منهم من قال ان النبي

هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف لقوله تعالى من بعد موسى ولكنه لا يلزم منه حصوله من بعده على الاتصال والاكثرون على انه شمويل واسمه

بالعربية اسمعيل وعن السدي هو شمعون سمته امه بذلك لانها دعت الله ان يرزقها اياه فسمع دعاءها فسمته شمعون والسين يصير شينا بالعبرانية

وهو من ولد لاوي بن يعقوب ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وينتظم به كلمتنا وكان قوام بني اسرائيل بملك يجتمعون

عليه يجاهد الاعداء ويجري الاحكام ونبي يطيعه الملك ويقيم امر دينهم ويأتيهم بالخبر من ربهم نقاتل في سبيل الله بالنون والجزم على الجواب وهي

القراءة المشهورة وقرئ بالنون والرفع على انه حال اي ابعث لنا ملكا مقدرين القتال واستينافا كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل

وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا هل عسيتم خبره ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما وجواب الشرط محذوف يدل

عليه المذكور اي ان كتب عليكم القتال هل يتوقع منكم الجبن والخور واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه وما لنا

الا نقاتل قال المبرد ما نافية اي ليس لنا ترك القتال والاكثرون على انه للاستفهام واورد عليه انه خلاف المشهور فانه لا يقال ما لك ان لا تفعل كذا

وانما يقال ما لك لا تفعل وعن الاخفش ان ان زائدة اي ما لنا لا نقاتل ورد بان الزيادة خلاف الاصل ولا سيما في كلام رب العزة وعن الفراء ان الكلام

محمول على المعنى لان قولك ما لك لا تقاتل معناه ما منعك ان تقاتل فلما ذهب الى معنى المنع حسن ادخال ان فيه وعن الكسائي واستحسنه الفارسي ان التقدير اي

شئ لنا او اي داع او غرض في ترك القتال فسقطت كلمة في على القياس وقد اخرجنا اي وحالنا انا اخرجنا من ديارنا وابنائنا بالسبي والقهر على نواحيها ومن

بلغ منه العدو هذا المبلغ فالظاهر منه الاجتهاد في قمع عدوه روي ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء

ملوكهم اربعمائة واربعين وههنا محذوف التقدير فسأل الله تعالى ذلك فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب القتال تولوا الا قليلا منهم وهم

الذين عبروا النهر وسيأتي ذكرهم وانهم كانوا ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم ولكل مكلف في الاسلام على القعود عن القتال

واي وعيد ابلغ من ان وضع الظالمين موضع الضمير العائد اليهم قوله سبحانه وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت اسم اعجمي كجالوت

وداود امتنع من الصرف للعلمية والعجمية المعتبرة وقد يمكن تكلف اشتقاقه من الطول لما يجيء من وصفه بالبسطة في الجسم فلعله وافق العبراني العربي

وملكا نصب على الحال او التمييز او مفعول ثان على ان بعث بمعنى صير وفي الآية تقرير لتوليهم تأكيد لذلك فان اول ما تولوا هو نكارهم امر النبي المبعوث انهم بالتناسم

وذلك انهم قالوا انى يكون كيف ومن اين يصح يصلح له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى للحال والثانية للعطف

فانضمت الجملتان في سلك الحالية استبعدوا تملكه من وجهين الاول ان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب منه موسى وهرون والملك كان في

يهوذا ومنه داود وسليمان وان طالوت ما كان من احد هذين السبطين بل كان من ولد بنيامين الثاني انه كان فقيرا ولا بد للملك من مال يعتضد به فعن وهب

انه كان دباغا وعن السدي كان مكاريا وقال الآخرون كان سقاء فازيلت شبههم بوجوه الاول قال ان الله اصطفيه عليكم اختاره دونكم واستخلصه

من بينكم وامره عليكم ولا اعتراض لاحد على حكم الله ويروى ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت

الثاني وزاده بسطة في العلم والجسم طعنوا فيه بنقصان الجاه والمال فقابلهما الله تعالى بوصفين العلم والقدرة وانهما اشد مناسبة لاستحقاق الملك من النسب

وقف طالوت

ن ز الضعف تحتہ

بیان ۱



والمال لان العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية دونهما وبالعلم والقدرة يتوسل الى الجاه والمال ولا ينعكس ولان العلم والقدرة من الكمالات الحاصلة
الانسان والمال والجاه امران منفصلان عن ذات الانسان وانهما لا يمكن سلبهما عن ذات الانسان بخلافهما وان العالم بامر الحروب والقوي والبطش يكون
الانتفاع به في مصالح البلاد والعباد اتم من النسيب الغني اذا لم يكن له علم يضبط المصالح وقدرة على دفع الاعداء والظاهر ان المراد بالبسط في العلم هو وجدانه
فيما طلبوا لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وذلك ان الملك ينبغي ان يكون عالما والا كان مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما
يملأ العين مهابة وحشمة والبسطة السعة والامتداد وطول القامة روي انه كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقيل المراد منه الجمال وكان اجمل بني
اسرائيل والاظهر ان يراد بها القوة لانها المنتفع بها في دفع الاعداء لا الطول والجمال الوجه الثالث قوله والله يؤتي ملكه من يشاء فالملك له والعبيد له والمالك
اذا تصرف في ملك نفسه فلا اعتراض لاحد عليه الوجه الرابع والله واسع عليم فاذا فوض الملك اليه فان علم ان الملك لا يتمشى الا بالمال فتح عليه باب
الرزق ويوسع عليه قوله عز من قائل وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الآية اعلم ان ظاهر قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا
يدل على انهم كانوا معترفين بنبوة ذلك النبي ثم انه لما قال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا كان هذا دليلا قاطعا على انه ملك لكنه تعالى لكمال رأفته
بالمكلفين ضم الى ذلك الدليل دليلا آخر دالا على صدق النبي واكثار الدلائل من الله تعالى جائز ولهذا كثرت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزات موسى وعيسى ثم ان
مجيء التابوت لا بد ان يقع على وجه يكون خارقا للعادة حتى يصح ان يكون معجزة وآية من عند الله دالة على صدق ذلك المدعي فقيل ان الله تعالى انزل
على آدم تابوتا فيه صور الانبياء من اولاده فتوارثوه الى ان وصل الى يعقوب ثم بقي في ايدي بني اسرائيل فكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم
واذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة
استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم
النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره وكان الكفار الذين سلبوا التابوت جعلوه في موضع البول والغائط فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم في ذلك
الوقت فسلط الله على اولئك الكفار البلاء حتى ان كل من بال عنده او تغوط ابتلاه الله بالبواسير فعلم الكفار ان ذلك لاجل استخفافهم بالتابوت
فاخرجوه ووضعوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فعلى هذا اتيان التابوت
مجاز لانه اتى به ولم يأت هو بنفسه وقيل انه صندوق من خشب كان موسى يضع التوراة فيه وكان يعرفونه ثم ان الله تعالى رفعه بعد ما قبض موسى عليه السلام
لسخطه على بني اسرائيل ثم قال نبي ذلك القوم ان آية ملك طالوت ان يأتيكم التابوت من السماء فنزل من السماء والملائكة كانوا
يحفظونه والقوم ينظرون حتى نزل عند طالوت وعلى هذا الاتيان حقيقة واضيف الحمل الى الملائكة في القولين جميعا لان من حفظ شيئا
في الطريق جاز ان يوصف بانه حمل ذلك الشيء اما شكل التابوت فقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرأ
ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار واما وزن التابوت فلا يخلو اما ان يكون فعلوتا او فاعولا لا سبيل الى الثاني لقلة باب سلس
وقلق ولانه تركيب غير معروف فهو فعلوت من التوب الرجوع لانه ظرف فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه
فيما يحتاج اليه من مودعاته والظاهر ان مجيء التابوت كان معجزة لنبي ذلك الزمان ومع كونه معجزة له كان آية قاطعة في ثبوت ملك طالوت
وقيل ان طالوت كان نبيا واتيان التابوت معجزته لانه كان مقرونا بالتحدي والجواب ان التحدي كان من النبي لا منه فيه سكينة فعيلة من
السكون ضد الحركة ومعناه الوقار مصدر وقع موقع الاسم كالعزيمة واما البقية فبمعنى الباقية يقال بقي من الشيء بقية والمراد بالسكينة والبقية اما
ان يكون شيئا حاصلا في التابوت او لا الثاني قول الاصم على هذا فمعناه انه متى جاءهم التابوت من السماء وشاهدوا تلك الحالة اطمأنت نفوسهم
واقروا له بالملك وانتظم امرها بقي من دين موسى وهرون ومن شريعتهما فهذا كقوله صلى الله عليه وسلم في النفس المؤمنة مائة من الابل اي بسببها وعلى الاول قول
فعن ابي مسلم كان في التابوت بشارات من كتب الله المنزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الانبياء عليهم السلام بان الله تعالى ينصر طالوت وجنوده
فيزول خوف العدو عنهم عن ابن عباس هي صورة من زبرجد وياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو
وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر عن علي عليه السلام كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة اي طيبة واما البقية فهي رضاض
الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وقفيز من المن الذي انزل عليهم قال بعض العلماء انما اضيف ذلك الى آل موسى وآل هرون لان ذلك
التابوت قد تداولته القرون بعدهما الى وقت طالوت وفي التابوت اشياء يوارثها العلماء من اتباع موسى وهرون فيكون الآل هم الاتباع
قال تعالى ادخلوا آل فرعون واذ نجيناكم من آل فرعون ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون وآل مقحم لتفخيم شأنهما كقوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري
لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود واراد به داود نفسه اذ لم يكن لاحد من آل داود من الصوت الحسن ما كان لداود ان في ذلك لآية لكم ان
كنتم مؤمنين بدلالة المعجزة على صدق المدعي وههنا محذوف والتقدير فاتاهم التابوت فاذعنوا لطالوت واجابوا الى المسير تحت رايته فلما
فصل طالوت بالجنود اصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي والمعنى انفصل عن بلده مع الجنود والجند الاعوان و
الانصار وكل صنف من الخلق جند قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة روي انه قال للقوم لا ينبغي ان يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا
تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت





قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال نبيهم على قول او طالوت على الاظهر وذلك اما باخبار النبي او بالوحي له ان كان نبيا إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
بما اقترحتموه من النهر قيل في حكمة هذا الابتلاء انه لما كان من عادة بني اسرائيل مخالفة الانبياء والملوك مع ظهور الآيات الباهرة اظهر الله علامة
قبل لقاء العدو يتميز بها الصابر على الحرب من غير الصابر لان الرجوع قبل لقاء العدو لا يؤثر كتأثيره حال لقاء العدو عن ابن عباس والسدي انه نهر
فلسطين وعن قتادة والربيع انه نهر بين الاردن وفلسطين والنهر بفتح الهاء وسكونها مجرى الماء وتكبنها الغدران ومبتليكم اي ممتحنكم ولما كان الابتلاء
من الناس انما يكون بظهور الشيء وثبت ان الله لا يبتلي اي لا يعاقب على علمه بما يفعل لذلك بظهور الافعال من الناس وذلك لا يحصل الا
بالتكليف لا جرم سمي التكليف ابتلاء فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي هو كالزجر اي ليس بمتصل بي ولا بمتحد معي من قولهم فلان مني كانه
بعضه لاختلاطهما واتحادهما او ليس من اهل ديني وطاعتي ومن حزبي واشياعي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء
لمذاقه واعلم ان الفقهاء اختلفوا في ان من حلف ان لا يشرب من هذا النهر كيف يحنث فقال ابو حنيفة لا يحنث الا اذا كرع في النهر حتى لو اغترف
بالكوز ماء من ذلك النهر وشربه لا يحنث لان الشرب من الشيء هو ان يكون ابتداء شربه متصلا بذلك الشيء وقال الباقون بل اذا اغترف
الماء بالكوز من ذلك النهر وشربه يحنث لان هذا وان كان مجازا الا انه مجاز مشهور فلما كان من المحتمل في اللفظ الاول ان يكون النهي مقصورا
عن الشرب من النهر حتى لو اخذه بالكوز وشربه لا يكون داخلا تحت النهي ذكر في اللفظ الثاني ما يزيل هذا الابهام فقال ومن لم يطعمه فانه
مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ليصح النظم وانما فصل قوله ومن لم يطعمه بين المستثنى والمستثنى
منه للعناية ومعنى الاستثناء الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف بملء الكف
عن ابن عباس كانت الغرفة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها ولعل ذلك من معجزات نبي ذلك الزمان كما روي عن نبينا من ارواء الخلق
العظيم من الماء القليل ويحتمل انه كان مأذونا ان يأخذ من الماء كم شاء مرة واحدة بقربة او جرة بحيث كان المأخوذ في المرة الواحدة
يكفيه ولدوابه ولخدمه ولان يحمله مع نفسه الا ان قوله بيده لا يساعد هذا الاحتمال فشربوا منه كرعوا فيه الا قليلا منهم وقرأ ابي والاعمش الا قليل
منهم وهذا من باب الميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم فبهذا تميز الموافق عن المنافق والصديق عن
الزنديق يروى ان اصحاب طالوت لما هجموا على النهر بعد عطش شديد وقع اكثرهم في النهر واكثروا الشرب فاسودت شفاههم وغلبهم
العطش وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو واطاع قوم قليل منهم امر الله تعالى فلم يزيدوا على الاغتراف فقوي قلبهم وصح ايمانهم وعبروا
النهر سالمين والمشهور انهم كانوا على عدد اهل بدر لما روي ان النبي قال لاصحابه يوم بدر انتم اليوم على عدد اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز
معه الا مؤمن قال البراء بن عازب وكنا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل انهم كانوا اربعة آلاف ولا خلاف بين المفسرين ان الذين عصوا
الله وشربوا من النهر رجعوا الى بلدهم ولم يتوجه معه الى لقاء العدو الا من اطاع وانما الخلاف في انهم رجعوا قبل عبور النهر او بعده والحق
انه ما عبر معه الا المطيعون لقوله تعالى فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ولقوله فليس مني اي ليس من اصحابي في سفري لان المقصود من الابتلاء
ان يتميز المطيع عن العاصي واذا تميز فالظاهر انه لم يأذن للعاصين وصرفهم عن نفسه قبل ان يرتدوا عند لقاء العدو وقيل انه استصحب كل جنوده
لانهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق بالمؤمن المنقاد لامر ربه بل لا يصدر الا عن المنافق والفاسق والجواب
لعل طالوت والمؤمنين لما جاوزوا النهر وراوا القوم تخلفوا وما جاوزوه سألوهم عن سبب التخلف فذكروا ذلك وما كان النهر في العظم بحيث
يمنع المكالمة او المراد بالمجاوزة قرب حصول المجاوزة او المؤمنون الذين عبروا النهر كانوا فريقين منهم من يكره الموت ويغلب الخوف والجزع على طبعه و
هم الذين قالوا لا طاقة لنا ومنهم من كان شجاعا قوي القلب هم الذين اجابوا بقولهم كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً او انهم لما شاهدوا قلة عسكرهم
قال بعضهم لا طاقة لنا فلا بد ان نوطن انفسنا للقتل وقال الآخرون بل نرجو من الله الفتح والظفر فكان غرض الاولين الترغيب في الشهادة والفوز
بالجنة وغرض الآخرين التحريض على رجاء الفتح والظفر وكلا الغرضين محمود والطاقة اسم بمنزلة الاطاقة يقال اطقت الشيء اطاقة وطاقة ومثلها
اطاع اطاعة وطاعة والاسم الطاعة واغار اغارة والاسم الغارة واجاب يجيب اجابة والاسم الجابة وفي المثل اساء سمعا فاساء جابة اي جوابا ومعنى قوله
يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ يغلب على ظنونهم انهم لا يتخلصون من الموت عن قتادة او يظنون انهم ملاقوا ثواب الله بسبب هذه الطاعة وذلك ان احدا
لا يعلم عاقبة امره عن ابي مسلم او يظنون انهم ملاقوا طاعة الله من غير رياء وسمعة وبنية خالصة او انهم عرفوا مما في التابوت من الكتب الالهية
يقين النصر والظفر الا ان حصول ذلك في المرة الاولى ما كان الا على سبيل الظن والمراد بقوله يظنون يعلمون ويوقنون لما بين اليقين والظن من المشابهة
في تأكد الاعتقاد والفئة الجماعة لان بعضهم قد فاء الى بعض فصاروا جماعة وقال الزجاج هي من قولهم فأوت رأسه بالسيف وفأيت اي قطعت
كان الفئة قطعة من الناس والمراد تقوية قلوب الذين قالوا لا طاقة لنا اذ العبرة بالتأييد الالهي والنصرة الالهية فاذا جاءت الدولة فلا مضرة في القلة
والذلة واذا جاءت المحنة فلا منفعة في كثرة العدد والعدة ومحل كم رفع بالابتداء وغلبت الجملة خبره بِإِذْنِ اللَّهِ بتيسيره وتسهيله وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ
بالمعونة والتأييد يحتمل ان يكون من قوله تعالى وان يكون من قول الذين يظنون قوله سبحانه وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ الآية البراز الارض
الفضاء ومنه البروز والمبارزة في الحرب كان كل واحد منهما حصل بحيث يرى صاحبه وفي علم ان العلماء والاقوياء من عسكر طالوت لما قرروا مع ضعفاء

القربة بالكسر الوطب من اللبن وقد يكون للماء والوطب سقاء من جلد الجذع والجرة قربة



وعلموا انهم ان الغلبة لا تتعلق بكثرة العدد وان النصر والظفر باعانة الله اشتغلوا بالدعاء وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا وهكذا كان يفعل نبينا صلى الله عليه وسلم كما روي في قصة بدر انه كان يصلي ويستنجز من الله وعده وكان متى لقي عدوا قال اللهم اني اعوذ بك من شرورهم واجعلك في نحورهم اللهم بك اصول وبك احول و الافراغ الاخلاء الاناء مما فيه وانما يخلو بصب كل ما فيه فمعناه اي صب علينا اتم صب وابلغه وهذا هو الركن الاعظم في المحاربة فانه ان كان جبانا لم يجد بطائل ثم ان الشجاع مع ذلك يحتاج الى الآلات والعدد والاتفاقات الحسنة حتى يمكنه ان يقف ويثبت ولا يصير ملجأ الى الفرار فاقترحوها بقولهم وثبت اقدامنا ثم انه مع كل هذه الاشياء يفتقر الى ان يزيد قوته على قوة عدوه حتى يغلبهم وهو المراد بقولهم وانصرنا على القوم الكافرين فلا جرم استجاب الله دعاءهم فهزموهم كسروهم باذن الله بتوفيقه واعانته وقتل داود جالوت عن ابن عباس ان داود كان راعيا ومعه سبعة اخوة مع طالوت فلما ابطا خبر اخوته على ابيهم ايشا ارسل ابنه داود وكان صغيرا اليهم ليأتيه بخبرهم فأتاهم فهم في المصاف وبرز جالوت الجبار وكان من قوم عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل من الحديد فلم يخرج اليه احد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على الحق لبارزني بعضكم فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فسكتوه فذهب الى ناحية من الصف ليس فيها اخوته فمر به طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون لمن يقتل هذا فقال طالوت انكحه ابنتي واعطيه نصف مملكتي فقال داود فانا خارج اليه وكانت عادته انه يقاتل بالمقلاع الذئب والاسد في المرعى وكان طالوت عارفا بجلادته فلما هم داود بان يخرج الى جالوت مر بثلثة احجار فقلن يا داود خذنا معك ففينا ميتة جالوت ثم لما خرج الى جالوت رماه فاصابه في صدره ونفذ الحجر فيه وقتل بعده ناسا كثيرا فحسده طالوت ولم يف له بوعده ثم ندم على صنيعه فذهب يطلبه الى ان قتل وآتاه الله الملك في مشارق الارض ومغاربها والحكمة اي النبوة لان الحكمة وضع الامور مواضعها على الوجه الاصوب والنحو الاصلح وكمال هذا المعنى انما يحصل بالنبوة والمشهور من احوال بني اسرائيل ان الله تعالى كان يبعث اليهم نبيا وعليهم ملكا كان ذلك الملك ينفذ امور ذلك النبي وكان نبي ذلك الزمان اشمويل وملكه طالوت فلما توفي اشمويل اعطى الله داود النبوة ولما توفي طالوت اعطى الله الملك اياه ولم يجتمع الملك والنبوة على احد من بني اسرائيل قبله ويروى انه بين قتله جالوت وبين ما اعطاه الله الملك والحكمة سبع سنين قال بعضهم هذا الايتاء جبر له على ما فعل من الطاعة وبذل النفس في سبيل الله ولا يمتنع في جعل النبوة جزاء على بعض الطاعات كما قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته ولهذا ذكر تعالى هذا بعد حديث الهزيمة والقتل وترتب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية لا سيما وقد نطقت الاخبار ومعه تقرر العداوة العظيم المهيب بالآلة الحقيرة وقال آخرون ان النبوة لا يجوز جعلها جزاء على الاعمال ولكنها محض عناية الله تعالى ببعض عبيده كما قال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فان قيل لم قدم الملك على الحكمة مع انه ادون منها فالجواب انه تعالى اراد ان يذكر كيفية ترقي داود عليه السلام في معارج السعادات والتدرج في مثل هذا المقام من الادون الى الاشرف هو الترتيب الطبيعي وعلمه مما يشاء قيل هو صنعة الدروع لقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل منطق الطير علمنا منطق الطير وقيل ما يتعلق بمصالح الملك فانه ما تعلم ذلك من آبائه فانهم كانوا رعاة وقيل علم الدين والقضاء وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ولا يبعد حمل اللفظ على الكل والغرض منه التنبيه على ان العبد لا ينتهي قط الى حالة يستغني عن التعلم سواء كان نبيا او لم يكن ولهذا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب زدني علما ولولا دفع الله معناه ظ واما من قرأ بالالف فاما ان يكون مصدر الدفع نحو جمع جماعا وكتب كتابا وقام قياما واما ان يكون بمعنى انه سبحانه يكف الظلمة والعصاة عن المؤمنين على ايدي انبيائه وائمة دينه فكان يقع بين اولئك المحقين واولئك المبطلين مدافعات كقوله ان الذين يحاربون الله ورسوله واعلم انه تعالى ذكر في الآية المدفوع وهو بعض الناس والمدفوع به وهو البعض الآخر واما المدفوع عنه فغير مذكور للعلم به وهو الشرور في الدين كالكفر والفسوق والمعاصي فعلى هذا الدافعون هم الانبياء وائمة الهدى ومن يجري مجراهم من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والشرور في الدنيا كالهرج والمرج واثارة الفتن فالدافعون اما الانبياء والملوك الذابون على شرائعهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الملك والدين توأمان الاسلام اس والسلطان حارس فما لا اس له فهو منهدم وما لا حارس له فهو ضائع على هذا فمعنى قوله لفسدت الارض لبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وغير ذلك من سائر اسباب العمران وقيل المراد بالدفع نصر المسلمين على الكفار ومعنى فساد الارض عبث الكفار فيها وقتلهم المسلمين وقيل المعنى لو لم يدفع الكفار بالمسلمين لعم الكفر ونزل سخط الله فاستؤصل اهل الارض ويعضد ذلك ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدفع بمن يصلي من امتي عمن لا يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يجاهد عمن لا يجاهد ولو اجتمعوا على ترك هذه الاشياء لما انظرهم الله طرفة عين ثم تلا هذه الآية ولكن الله ذو فضل على العالمين بسبب ذلك الدفاع وفيه ان الكل بقضاء الله وقدره وبقهره ولطفه وبعدله وفضله التأويل فقوله الم تر الى الملأ ان القوم لما اظهروا خلاف ما اضمروا وزعموا غير ما كانوا فعرض نقد دعواهم على محك معناهم فما افلحوا عند الامتحان اذ عجزوا عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل ويهان وهذا حال اكثر مدعي الاسلام والايمان بالارتياب يزعمون نصلي ونصوم ونحج ونزكي لله وفي الله باللسان دون صدق الجنان وسيظهر ما كان لله وما كان للهوى في كفتي الميزان فلما كتب عليهم القتال تبين الابطال من البطال فتولوا الا قليلا منهم وان اهل الحق اعز من العنقاء واعوز من الكيمياء تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل تعيرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل وانما لم ينل الدعوى مقصودهم لانه لم يخلص لله قصودهم ولو انهم قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد امرنا ربنا واوجب القتال علينا وانه سيدنا ومولانا فلعل الله صدق دعويهم واعطى مناهم واكرم مثواهم كما قال قوم في اثناء البكاء والسعداء وما لنا الا نتوكل



الاقلف من لم يختتن ومن العيش الرغد الناعم



بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فلاجرم اثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها و
ذلك جزاء المحسنين ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فيه اشارة الى ان الحكم الالهية حلت وتجلت في جلباب تعاليها عن ادراك العقول
البشرية بكنه معنى من معانيها ولهذا قالوا انى يكون له الملك علينا وليس هذا باعجب من قول المقربين المؤيدين بالانوار القدسية اتجعل فيها من
يفسد فيها استحقارا لشان آدم وتعجبا بالحجب لانانية والبحثية فلما تكبر بنو اسرائيل وقالوا نحن احق بالملك منه وضعهم الله وحرموا الملك ولما نوه
طالوت لله وقال كيف يستحق الملك سبطي في اسباط بني اسرائيل وبليني ادني بيت بني اسرائيل فعله الله واعطاه الملك ولما فوق الملائكة
ترفعوا بقولهم ونحن نسبح بحمدك امرهم بسجود آدم ولما عرضت الخلافة على آدم فتواضع لله وقال انا للتراب ربنا ظلمنا انفسنا اكرمه الله تعالى بسجود الملائكة
وحمل اعباء الامانة ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه اشارة الى ان آية خلافة العبد ان يظفر بتابوت قلبه فيه سكينة من ربكم وهي الطمأنينة
بالايمان والانس مع الله الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقية مما ترك آل موسى هو عصا الذكر كلمة لا اله الا الله فهي الثعبان الذي اذا فغرفاه تلقف
عظيم سحرة صفات فرعون النفس فان تابوتهم الذي فيه سكينتهم كان يتداوله ايدي الحدثان وتابوت قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن وان كان في تابوتهم بعض التورية ففي تابوت قلب المؤمن جميع القرآن وان كان في تابوتهم صور الانبياء ففي تابوت المؤمن رب الارض والسماء
كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن فاذا حصل لطالوت الروح الانساني تابوت القلب الرباني سلم له ملك الخلافة
وانقاد له جميع اسباط صفات الانسان فلا يركن الى الدنيا ويتجهز لقتال جالوت النفس الامارة ان الله مبتليكم بنهر هو نهر الدنيا وما
زين للخلق فيها زين للناس حب الشهوات ليظهر المحسن من المسيء ويميز الخبيث من الطيب الا من اغترف غرفة بيده تمتع من متاع الدنيا بما لابد منه
من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن لصحة الخلق على حد الاضطرار وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا اي ما يمسك
رمقهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لان من شرب من نهر الدنيا ماء شهواتها ولذاتها وتجاوز عن حد الضرورة فيها لا يطيق قتال
جالوت النفس وجنود صفاتها وعسكر هواها لانه صار معلولا مريض القلب فبقي على شط نهر الدنيا رضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها ولما برزوا
لجالوت وجنوده فيه اشارة الى ان المجاهد في الجهاد الاكبر لا يقوم بحوله وقوته لقتال النفس الا اذا رجع الى ربه مستعينا مستغيثا عن غيره فقالوا
ربنا افرغ علينا صبرا على الايثار بطاعتك والانزجار عن معاصيك ومخالفة الهوى والاعراض عن زينة الدنيا وثبت اقدامنا على التسليم
في الشدة والرخاء ونزول البلاء وهجوم احكام القضاء في السراء والضراء وانصرنا على القوم الكافرين وهم اعداؤنا في الدين عموما والنفس الامارة
وصفاتها التي هي اعدى عدو ما بين جنبينا خصوصا فهزموهم باذن الله بنصرته وقوته وقتل داود القلب جالوت النفس اخذ حجر الحرص على الدنيا
وحجر الركون الى العقبى وحجر التعلق الى نفسه بالهوى حتى صار الثلاثة حجرا واحدا وهو الالتفات الى غير المولى فوضعه في مقلاع التسليم والرضا فرمى
جالوت النفس فسخر الله له ريح العناية حتى اصاب انف بيضة هواها وخالط دماغها فاخرج منه الفضول وخرج من قفاها وقتل من ورائها
ثلثين من صفاتها واخلاقها وداعيها وهزم الله باقي جيشها وهي الشياطين اخوانها وآتاه ملك الخلافة وحكمة الالهامات الربانية وعلمه
مما يشاء من حقائق القرآن واشاراته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعني ارباب الطلب بالمشايخ البالغين الواصلين الهادين المهديين
كما قال ولكل قوم هاد لفسدت ارض استعداداتهم المخلوقة في احسن التقويم عن استيلاء جالوت النفس بتبديل اخلاقها وتكدير صفاتها
ولكن الله ذو فضل على العالمين فمن كمال فضله ورحمته حرك سلسلة طلب الطالبين والهم اسرارهم ارادة المشايخ الكاملين ووفقهم للتمسك بذيول
تربيتهم ووفقهم على التشبث باهداب سيرهم وثبتهم على الرياضات في حال تزكيتهم كما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ولكن الله يزكي

من يشاء تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم

اين آيات خداست ميخوانيم آنرا بر تو براستي وبدرستي كه تو از فرستادگاني اين رسولان افزوني داديم ما برخي از ايشانرا بر برخي از ايشان

من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله

كسي بود كه سخن گفت با او خدا وبرداشت برخي ايشانرا مرتبها ودادیم عیسی پسر مریم را نشانهای ظاهر ونیرو دادیم اورا بروح پاکیزه واگر خواستی خدا

ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا

اختلاف نكردندي آنها كه از پس ايشان بودند از پس آنكه آمد بايشان نشانهای ظاهر وليكن اختلاف كردند پس از ايشان كسي هست كه گرويد واز ايشان كسي هست كه كافر شد واگر ميخواستي خدا

ولكن الله يفعل ما يريد يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا

وليكن خدا ميكند آنچه ميخواهد اي زمره گروندگان خرج كنيد از آنچه روزي كرديم شمارا از پيش آنكه بيايد روزي كه نيست خريد وفروخت ونه دوستي ونه

شفاعة والكافرون هم الظالمون القراءة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير منون ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير الباقون بالرفع

درخواست كردن وكافران ايشانند ستمكاران

والتنوين وكذلك في سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك في سورة الطور لا لغو فيها ولا تأثيم فيها
الوقوف المخطوط للابتداء بان المرسلين الجزء الثالث على بعض م لانه لو وصل الجار والمجرور صفة لبعض فينصرف بيان تفضيل الرسل الى
بعض فيكون موسى من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم درجات ط للعدل القدس ط من كفر ط ما يريد ولا شفاعة



الظالمون التفسير تلك القصص المذكورة من حديث الالوف واماتتهم ثم احيائهم ومن تمليك طالوت وظهور الاية في اتيان التابوت وغلبة الجبابرة
على يد داود وهو صبي فقير آيات الله الباهرة الدالة على كمال قدرته وحكمته ورحمته نتلوها عليك بتلاوة جبرئيل وفيه تشريف عظيم لجبرئيل
كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك من غير تفاوت ولان في تلاوتها
حكمة شريفة وهي اعتبار المكلفين من مثل ليحتملوا شدائد الجهاد كما احتملها الامم السالفة ولانها تدل على نبوتك من قبل انها اخبار بالغيب
ولما فيها من الفصاحة والبلاغة ثم اكد ذلك بقوله وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة ودراسة وفيها ايضا تسلية للنبي
فيما يراه من الكفار واهل النفاق من الخلاف والشقاق كما راه الرسل قبله فالمصيبة اذا عمت طابت ولمثل هذا ذكره فقال تلك الرسل اى
الذين تعرفهم وانت من جملتهم فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله بان كلمه الله من غير سفير وهو موسى ورفع بعضهم درجات
قيل ان درجات نصب بنزع الخافض وقيل رفع لبعضهم كقوله ورفعناه مكانا عليا اى له وقيل حال من بعضهم اى ذا درجات وقيل مصدر في
موضع الحال وقيل انتصابه على المصدر لان الدرجة بمعنى الرفعة فكانه قال ورفعنا بعضهم رفعات وايدنا عيسى بروح القدس ومع ذلك فقد نالهم
من قومهم ما ذكرناه لك بعد مشاهدة المعجزات وانت رسول مثلهم فلا تحزن على ما ترى من قومك ولو شاء الله لم يختلف امم اولئك ولكن ما قضاه
الله فهو كائن وما قدره فهو واقع واعلم ان الامة اجمعت على ان بعض الانبياء افضل من بعض وعلى ان محمدا افضل الكل لوجوه منها قوله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين ومنها قوله ورفعنا لك ذكرك قرن ذكره بذكره محمد في الشهادة وفي الاذان وفي التشهد ولم يكن ذلك لساير الانبياء
ومنها انه قرن طاعته بطاعته من يطع الرسول فقد اطاع الله وبيعته ببيعته ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وعزته بعزته ولله العزة ولرسوله
ورضاه برضاه والله ورسوله احق ان يرضوه واجابته باجابته يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول ومحبته بمحبته قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ومنها ان معجزاته اكثر وقد ينتهي الى الف من جملتها القرآن بل القرآن تشتمل على الفي معجزة او ازيد لان التحدي وقع باقصر
سورة وهي الكوثر وانه ثلث ايات فكل ثلث ايات من القرآن تصلح للتحدي فيكون معجزا براسه ومنها ان معجزته وهي القرآن باقية على وجه الدهر ومعجزاتهم
قد انقضت وانقرضت مع ان معجزته من جنس ما لا يبقى زمانين هي الاصوات فهي الحروف ومعجزاتهم من جنس ما يبقى مدة طويلة ومنها اجتمع فيه من
الخصال الجميلة والخلال المرضية ما كان متفرقا فيهم واليه الاشارة بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده اى اطلعناك على احوالهم وسيرهم
فاخترت منها اجودها واحسنها فانه لا يجوز ان يكون مامورا بالاقتداء بهم في اصول الدين لانه تقليد ولا في الفروع فان شرعه ناسخ الشرايع فاذن
المراد محاسن الاخلاق ومنها انه بعث الى الخلق كافة وكان يتحمل اعباء الرسالة اكثر فيكون ثوابه ازيد ومنها ان هذا الدين افضل والاسلام ينسخ به
ساير الاديان فيكون شارعه افضل ومنها ان يكون امته افضل كنتم خير امة اخرجت للناس واذا كان التابع افضل فالمتبوع افضل ومنها ان امته اكثر
لكونه مبعوثا الى الجن والانس ولا يخفى ان لكثرة التابعين اثرا قويا في علو شان المتبوع ومنها ان كل نبي نودي في القرآن فقد نودي باسمه يا آدم اسكن
يا موسى اني انا الله وناديناه ان يا ابراهيم يا عيسى اني متوفيك واما النبي صلعم فانه نودي بقوله يا ايها النبي يا ايها الرسول بل اقسم بحيوته
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واما الاحاديث في هذا الباب فعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله يتذاكرون وهم ينتظرون
خروجه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تبارك وتعالى اتخذ من خلقه خليلا وقال اخر ماذا باعجب
من كلام موسى كلمه تكليما وقال اخر فماذا باعجب من جعل عيسى كلمة الله وروحه وقال اخر من آدم اصطفاه الله عليهم خلقه بيده ونفخ فيه من روحه
واسجد له ملائكته فسلم رسول الله صلعم على اصحابه فقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وان موسى نجي الله وهو كذلك
وان عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وان آدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اكرم
الاولين والاخرين على الله ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي
فقراء المؤمنين ولا فخر وفي الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله صلعم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت
الى كل احمر واسود واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلوة صلى حيث كان ونصرت
بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وروى البيهقي في كتابه فضايل الصحابة ظهر علي بن ابي طالب من البعيد فقال النبي صلعم
هذا سيد العرب فقالت عايشة الست سيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب ومما يؤكد هذه المعاني ما ركز في العقول ان نحارير
كل ملك ينبغي ان يكون على مقدار من تحت تملكه فامير المدينة يحتاج الى عدة اكثر من عدة رئيس القرية ولما كانت نبوة محمد صلعم اعم من نبوة ساير
الانبياء فانه مبعوث الى الثقلين كافة فلا جرم اعطى من كنوز العلم والحكمة وذخاير المعارف والحقايق ومن جوامع الكلم وبدايع الحكم ومحاسن
العادات ومكارم الاخلاق ما لم يؤت نبي قبله ولن يؤت احد بعده هذا وقد طعن فيه بعض الملحدين بان معجزات ساير الانبياء كانت اعظم
من معجزاته فادم جعل مسجود الملائكة وابراهيم القي في النار فانقلبت روحا وريحانا واوتي موسى العصا واليد البيضاء وداود لان الحديد
في يده وسليمان اعطي ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وكان الجن والانس والطير مسخرين له وقد اعترف محمد بفضلهم حتى قال لا تفضلوني على يونس
بن متى وقال لا تخيروا بين الانبياء وقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا وذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها والجواب ان كون آدم مسجود الملائكة





لا يوجب كونه افضل من محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة وقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ونقل ان جبرئيل اخذ
ركاب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهذا اعظم من السجود وانه تعالى يصلي بنفسه على محمد الى القيمة وسجود الملائكة لآدم ما كان الا مرة واحدة على ان ذلك السجود
ايضا انما كان لاجل نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان في جبهته وان اول الفكر آخر العمل ولهذا قال لولاك لما خلقت الافلاك ومن تأمل كتب اهل النبوة
وجد في مقابلة كل معجز كان لنبي قبله معجزة افضل منها لمحمد صلى الله عليه وسلم واما قوله لا تفضلوني فلا تخيروا فنوع من التواضع وسلوك طريق الادب وايضا ان
التمييز بين الشخصين انما يمكن بعد الاحاطة بفضائلهما جميعا وذلك مرتبة لا يليق بكل احد فورد النهي عنه حتى لا يؤدي الى محذور والحاصل
التوفيق بين قوله لا تفضلوني وبين ما مر من الاحاديث ان كلا منها ورد في مقام آخر ولغرض آخر فحيث انهم يريدون بشانه ويتجبون
من الانبياء السالفة منعهم عن ذلك فقال انا اكرم الاولين والآخرين وانا سيد العالمين وحيث انهم يريدون بشان بعض الانبياء جزمهم
عن ذلك فقال لا تفضلوني على انه لا يلزم من النهي عن شيء عدم مطابقة ذلك الشيء للواقع فقد يكون الشيء حقا في الواقع وينهى عن
الاشتغال به لكونه غير مهم بالنسبة الى المكلف فالمراد بهذا الامر لا تشتغلوا بتفضيلي فانه لا يهمكم وانما المهم لكم ان تعرفوا حقية جميع الانبياء
وتؤمنوا بهم ولنرجع الى ما كنا فيه فقوله من كلم الله النقدير من كلمه فحذف العائد وقرئ كلم الله بالنصب ليس يقوى فان كل مصل فانه يكلم الله
قال صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه انما الشرف في ان يكلمه الله قال الاشعري المسموع هو الكلام القديم الازلي ولا يستبعد سماع ما ليس بحرف ولا صوت
كما لا يمتنع رؤية ما ليس بكيف ولا في جهة وقالت المعتزلة سماع ما ليس بحرف ولا صوت محال واتفقوا على ان موسى قد كلمه الله واختلف في ان محمدا
ليلة المعراج هل كلمه الله ام لا منهم من قال نعم بدليل قوله فاوحى الى عبده ما اوحى واورد ههنا ان التكليم لا يدل على فضل ومنقبة فقد كلم الله
ابليس حيث قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الآيات واجيب بان قصة ابليس ليس فيها ما يدل على انه تعالى كلمه من غير واسطة فلعل
الواسطة كانت موجودة قلت هذا خلاف الظاهر والحق ان المكالمة قسمان مكالمة الرضا وهي الموجبة للتشريف كمكالمة موسى ومكالمة الغضب وهي
الموجبة للعن كما في حق ابليس وان عليك اللعنة الى يوم وكما في اهل النار اخسئوا فيها ولا تكلمون اما قوله ورفع بعضهم درجات فقيل ان المراد
بيان ان الرسل مراتبهم متفاوتة فاتخذ ابرهيم خليلا واعطى داود الملك والنبوة وسخر لسليمان الجن والانس والطير والريح وخص يحيى بالعفة
والطهارة وعدم الحاجة الى النسوان وخص محمدا صلى الله عليه وسلم بالبعث الى الثقلين وكونه خاتم النبيين الى سائر خصائصه هذا اذا حملنا الدرجات على
المناصب والمراتب واما اذا حملناها على المعجزات ففيه ايضا وجه وذلك ان كل واحد من الانبياء اوتي نوعا آخر من المعجزة لائقا بزمانه فمعجزات موسى
من قلب العصا حية ومن اليد البيضاء وفلق البحر كانت شبيهة بما عليه اهل زمانه من السحر ومعجزات عيسى من ابراء الاكمه والابرص مناسبة للطب
لان كل ذلك غالب على قومه ومعجزة محمد هي القرآن تضاهي ما عليه الناس في زمنه من الفصاحة والبلاغة وانشاء الخطب وقرض الشعر وبالجملة فالمعجزات
متفاوتة بالقلة والكثرة وبالبقاء وعدم البقاء وبالقوة وعدم القوة وفيه وجه ثالث وهو ان يكون المراد بتفاوت الدرجات ما يتعلق بالدنيا وهو كثرة
الامة والصحابة وقوة الدولة واذا تاملت الوجوه الثلث علمت ان محمدا كان مستجمعا للكل فمنصبه اعلى ومعجزته ابقى وقومه اكثر ودولته اعظم
واوفر وقيل المراد بهذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل على الكل وانما قال ورفع بعضهم درجات على سبيل التنبيه والرمز كمن فعل فعلا عظيما فيقال
له من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم ويريد به نفسه ويكون ذلك افخم من التصريح به وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم
قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يبق فيه فخامة وليس قوله ورفع بعضهم درجات تكرارا لقوله
فضلنا بعضهم على بعض لان المفهوم من قوله فضلنا هو وجود نفس الفضل والمفهوم من قوله ورفع بعضهم درجات هو التفاوت بالدرجات
الكثيرة وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس قد سبق تفسيره وانما عدل عن الغيبة الى الحكاية لان الضمير في قوله وآتينا
للتعظيم وتعظيم المؤتى يدل على عظمة الايتاء واما قوله كلم الله فاهيب من قوله كلمنا فلهذا اختير الغيبة وسبب تخصيص موسى وعيسى بالذكر
هو ان امتهما موجودون حاضرون فنبه على ان هذين الرسولين مع علو درجتهما وتبين معجزاتهما لم يحصل الانقياد من امتهما لهما بل نازعوا
وخالفوا وعن الواجب عليهم في طاعتهما اعرضوا ثم ان الرسل بعد مجيء البينات ووضوح الدلائل اختلف اقوامهم فمنهم من آمن ومنهم من كفر وبسبب ذلك
الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا فلهذا قال تعالى ولو شاء الله اي ان لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضا و
لكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر باعراضه ولو شاء الله ما اقتتلوا اكرر الكلام تكذيبا لمن زعم انهم فعلوا ذلك من عند
انفسهم ولكن الله يفعل ما يريد وفي الآية دلالة على صحة مسئلة خلق الاعمال ومسئلة ارادة الكائنات وان الكل بقضاء الله وقدره لان الدواعي
تستند لا محالة الى داعية يخلقها الله عز وجل في العبد والمعتزلة تقيد المطلق في الآيتين فيقولون المراد ولو شاء الله مشية الالجاء وقسر كما يقال لو شاء
الامام لم يعبد المجوس النار في مملكته ولم يشرب النصارى الخمر ويقولون المراد يفعل ما يريد من افعال نفسه ثم انه تعالى لما امر بالقتال فيما سبق بقوله
وقاتلوا في سبيل الله واعقبه بقوله من ذا الذي يقرض الله والغرض منه الانفاق في الجهاد ثم اكد الامر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت اعقبه
تارة اخرى بالامر بالانفاق في الجهاد بقوله يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم وعن الحسن انه مختص بالزكوة لان قوله من قبل ان ياتي يوم كالوعيد انه لا





الا بنوحيه لا على الواجب وفي الاكثرون على انه عام يتناول الواجب والمندوب وليس في الاية وعيد انما الغرض ان يعلم ان منافع الآخرة لا تكتسب الا في الدنيا وان
الانسان يجيء وحده وما معه الا ما قدم من اعماله ومعنى قوله لا بيع انه لا تجارة فيه فيكتسب ما يفتدى به من العذاب او يكتسب ما لا حتى ينفق منه ولا
خلة لا مودة لان كل احد يكون مشغولا بنفسه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه او لان الخوف الشديد غالب على كل احد تذهل كل مرضعة
عما ارضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقيبه قوله والكافرون هم الظالمون ليدل على ان ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا فتصير
الاية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق ونقل عن عطاء بن يسار انه كان يقول الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون
هم الكافرون وقيل اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فقال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فان الله
غني عن العالمين اي ومن لم يحج وقيل المراد ان الكافرين اذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا انفسهم باختيار الكفر والفسوق
فهو كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقيل هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها لتوقعهم الشفاعة من الاصنام ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله من قوله آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا واما المسلم فانه
ينفق في سبيل الله قل ام كثر وفائدة الفصل انهم الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم اه وتلك آيات الله اسراره وانواره ورموزه



واشاراته نتلوها عليك بالحق نجلوها عليك بالحقيقة كما هي وانك لمن المرسلين الذين عبروا هذه المقامات وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات
وصح لهم صفاء الاوقات ولذة المناجات في الخلوات ثم فطموا عن البان تلك اللذات في حجر القربات وارسلوا الى اهل الغفلات وعبدة طواغيت
الهوى واصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور ويخرجوهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات فانهم بقوا في السموات
وانت عبرت المكونات فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فوصلت من العبدية الى العندية ثم فطمت عن رضاع لي مع الله
وقت وابتليت بمفارقة جبرئيل ثم لقيت من القوم ما لقيت حتى قلت ان تقول ما اوذي نبي مثل ما اوذيت لان غيرك ما سقى من شرب سقيت فما
اوذي بفطام مثل ما اوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض اشارة الى ان التفاضل في الدين والدنيا بين العباد ليس بسعيهم ومنامهم
وانما هو بتفضيل الله اياهم فلكل من اهل الفضل انوار ولانوارهم آثار على قدر استعلاء اضواء انوارهم لا على قدر سعيهم واختيارهم وهذا
التفاوت صادر من تلك الاقسام حين جرت به الاقلام كما قال عليه السلام ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى
ومن اخطأه ضل وغوى ثم الفضل فضلان عام مما ذكر عن المردودين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وخاص مما
به عن المقبولين كما ثبت لسيد المرسلين والتفاوت في الانوار على قدر التفاوت في الظلمات المخلوقة المستعدة لقبول النور في بدء الخلقة
لا في حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا ورد بلفظ الوحدة في قوله جعل الظلمات والنور ويخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة في
الدرجات على قدر قوة الاستعلاء كما قال والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم ازداد الدرجة
وعلى قدر غلبات انوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضها فوق بعض فقد بقي بعضهم في مكان من اماكن السموات
كما روي عنه عليه السلام انه راى آدم ليلة المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس في السماء الرابعة وهرون في السماء
الخامسة وموسى في السماء السادسة وابراهيم عليه السلام في السماء السابعة وان محمدا عليه السلام ما بقي في مكان بل رفع به الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين
او ادنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة وجوده باقيا بنور شهود ربه ولهذا سماه الله نورا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم اخبر عن
فضيلة الخواص بانها كانت تفضيلا بهم اخبر عن اختلاف العوام وافتراقهم انه كان بمشيئته لا بمشيئتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين
من بعدهم ثم اخبر عن جزاء الفضل انه في الانفاق والبذل فخاطب اهل الايمان لئن كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار
حقا فتصدقوا من كل ما رزقناكم من المال والجاه والقوة والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها في مصارفها العامة والخاصة انفقوا مما كان ما
لنا في صلاح انفسكم واغتنموا مساعدة الامكان في تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل ان ياتي يوم لا يشترى فيه ما يباع من الاموال والانفس
في سوق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ولا ينفع خلة خليل سوى خلة الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لانا ارسلنا الرسل وانزلنا الكتب وامرناهم بالانفاق واعددنا لهم
الثواب وحذرناهم العقاب فما اعذرنا من انذر والله المستعان اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ
مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ
خداى بحق نيست معبودى بجز او زنده پاينده فرو نگيرد او را مقدمهٔ خواب و نه خواب مر او راست
عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
آنچه در آسمانها و آنچه در زمين هاست كيست آنكه درخواست كند
مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَ
در نزد او مگر باذن او ميداند آنچه پيش ايشانست و آنچه بعد از ايشانست و احاطه نكنند بچيزى
الْأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ
از دانش او مگر بآنچه خواسته است فرا گرفته كرسى او آسمانها و
قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ
زمين را و گران نكند او را نگاه داشتن آنها و اوست بلند بزرگ نيست اكراه در دين
يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللّٰهُ
بدرستى كه ظاهر شده راستى از گمراهى پس هركه كافر شود به بت و



سَمِيعٌ عَلِيمٌ اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ اٰمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا اَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ

شنوای داناست خدا دوست آنانست که گرویدند بیرون آورد ایشانرا از تاریکیها بسوی روشنی وآنانکه کافر شدند دوستان ایشانند بتهایند بیرون آرند ایشانرا

مِنَ النُّورِ اِلَى الظُّلُمَاتِ اُولٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ القراءة نعم فيما الوقوف الا هو ج لان قوله الحي يصلح بدلا

از روشنی بسوی تاریکیها آنگروه یاران آتشند که ایشان در ان جاویدانند عن الضمير وخبرا بعد خبر او خبر محذوف القيوم ج لاختلاف الجملتين ولا

نوم ط وما في الارض ط لابتداء الاستفهام باذنه ط لانتهاء الاستفهام وما خلفهم ج للفرق بين الاخبار عن علمه الكامل مطلقا واثبات علم

الخلق المقيد لمشيته مبتداء ما بالنفي بما شاء ج لاختلاف الجملتين والارض ج لاختلاف الجملتين حفظهما ج العظيم الغي ج لان من الشرط مع

فاء التعقيب الوثقى قد قيل للاستيناف بالنفي والوجه الوصل على جعل الجملة حالا للعروة اي مستمسك بها غير منفصمة لها ط عليم امنوا

لان يخرجهم حال والعامل معنى الفعل في ولي تقديره الله يليهم مخرجا لهم او مخرجين الى النور ط للفصل بين الفريقين الطاغوت لا لان يخرجونهم

حال الى الظلمات ط النار ج خالدون التفسير قد جرت عادته سبحانه في هذا الكتاب الكريم انه يخلط الانواع الثلثة اعني علم التوحيد وعلم الاحكام

وعلم القصص ما تقرير دلائل التوحيد واما المبالغة في الزام الاحكام والتكاليف وفي هذا التنويع رحمة شاملة ولطف كامل فان طبع الانسان

جبل على الملال فكلما انتقل من اسلوب الى اسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه وتكامل ذوقه ولذته ويصير اقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه وقد

تقدم من علم الاحكام والقصص ما اقتضى المقام ايراده ثم ذكر الان ما يتعلق بعلم التوحيد فقال اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال ما قرئت هذه الاية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وعن علي سمعت نبيكم وهو

على اعواد المنبر يقول من قرأ اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها

اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القران فقال لهم علي اين انتم عن اية الكرسي ثم قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وعن علي انه قال لما

كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ماذا يصنع قال فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم جئت

وهو يقول ذلك فلا ازال اذهب وارجع وانظر اليه وكان لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له واعلم ان الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم واشرف

المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال هو اشرف من غيره لان ذلك يقتضي نوع مشاكلة ومجانسة وهو مقدس عن مجانسة

ما سواه ولما كانت الاية مشتملة من نعوت جلاله واوصاف كبريائه على الاصول والمهمات فلا جرم وصلت في الشرف الى اقصى الغايات ونهاية

النصورات ولنشتغل بتفسيرها اما لفظ الله فقد مر تفسيره في اول الكتاب واما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره في قوله وَاِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَاحِدٌ لَا

اِلٰهَ اِلَّا هُوَ واما الحي القيوم فقد سلف ايضا معناهما في شرح الاسماء الا انا نزيد ههنا فنقول عن ابن عباس ان اعظم اسماء الله الحي القيوم ويؤكده

ما روينا من قصة بدر ولو كان ذكر اشرف منه لذكره وقت الشدة في السجود واما الدليل العقلي فان الحي قيل هو الذي يصلح ان يعلم ويقدر واهو

المدرك الفعال فاورد عليه ان هذه لا يقتضي المدح لمشاركة اخس الحيوانات اياه في ذلك فنحن نقول ان الحي في اللغة ليس عبارة عمن يوجد فيه هذه

الصفة من هذه الحيثية فقط بل كل شيء يكون كاملا في جنسه فانه يسمى حيا ومن ههنا يصح ان يقال الموات احيي الله الارض فان كمال حال الارض

ان يكون معمورة وكمال حال الاشجار ان تكون مورقة نضرة ولما كان كمال حال الجسم ان يكون بحيث يصح ان يعلم ويقدر فلا جرم سميت تلك الصفة

حيوة فالمفهوم من الحي هو الكامل في جنسه والكامل في الوجود هو الذي يجب وجوده بذاته فلا حي بالحقيقة الا واجب الوجود لذاته واما القيوم فيطلق

لمجموع اعتبارين احدهما انه لا يفتقر في قوامه الى غيره والثاني ان غيره يفتقر في قوامه اليه وبهذا الثاني يزيد على مفهوم الحي ومن هذين الاصلين

يتشعب جميع مسائل التوحيد والمعرفة فمنها ان واجب الوجود واحد في ذاته وفي جميع جهات الوحدة اذ لو فرض فيه تركب بوجه من الوجوه افتقر في

تحققه الى وجود ذينك الجزئين فيقدح في كونه قيوما ومنها انه لا شريك له والا اشتركا في الوجوب وتباينا بالتعين فيكون كل منهما مركبا من جزئين

فلا يكون قيوما ولا حيا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها ان لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم وقد ثبت انه واحد ومنها انه ليس في

جهة لانها والا كان متحيزا ومنها انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك

ومنها انه عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعلم الاحضور حقيقة المعلوم للعالم واذا كان حيا كاملا قيوما كانت حقيقته حاضرة عند ذاته و

ذاته مقوم لغيره والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها انه قادر على كل المقدورات والا لم يكن قيوما بمعنى كونه مقوما

لغيره ويعلم منه استناد كل الممكنات اليه بواسطة او غير واسطة ويلزم منه القول بالقضاء والقدر والحي اصله حيي كحذر وطمع فادغمت الياء في

الياء عند اجتماعهما وكلا اليائين اصل وقال ابن الانباري اصله حيو بدليل الحيوان فلما اجتمعت الواو والياء ثم كان السابق ساكنا جعلتا ياء

مشددة وزيف بكونه عديم النظير فانه لم يوجد ما عينه ياء ولامه واو والقيوم مبالغة قائم اصله قيووم على فيعول فجعلت الياء الساكنة

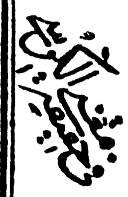
والواو الاولى ياء مشددة ولو كان فعولا لقيل قووم وعن عمر انه قرأ الحي القيام وقرئ القيم ثم لما بين انه حي قيوم اكد ذلك بقوله

لَا تَاْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ولهذا فقد العاطف بينهما وكذا فيما بعدهما والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس اي لا تاخذه

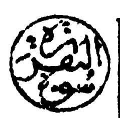
الربع الثالث في نصف ...

انت سيد العالمين

نعاس فضلا ان ياخذه نوم او نقول نفى الاخص اولا ثم نفى الاعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفى النوم اولا ضمنا ثم ثانيا صريحا ولو اقتصر على الاخص
لم يلزم منه نفى الاعم والمعنى انه لا يفتر عن تدبير الخلق لان القيم بامر الطفل لو غفل عنه ساعة اختل امر الطفل وهو كما يقال لمن ضيع واهمل انك لوسنان
نائم ومما يدل على ان السنة هى الغفلة والنوم على الله محال هو ان هذه الاشياء اما ان يكون عبارات عن عدم العلم او عن اضداد العلم وعلى التقدير
فجواز طريانها يوجب جواز زوال علم الله تعالى فلا يكون العلم مقتضى ذاته فيفتقر الى فاعل فواجب الوجود لذاته لا يكون واجبا بجميع صفاته فلا يكون
حيا ولا قيوما هذا خلف وروى عن النبى صلعم ان موسى عم سئل الملائكة هل ينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ولا يتركوه ينام ثم اعطاه قارورتين
مملوتين فى كل يد واحدة وامره بالاحتفاظ فكان يتحرز بجهده الى ان نام فى اخر الامر فضرب احدهما على الاخرى فانكسرتا وكان ذلك مثلا فى بيان انه
لو كان ينام لم يقدر حفظ السموات والارضين هذه الرواية ان صحت وجب ان ينسب هذا السؤال الى جهال قوم موسى كطلب الرؤية والا فكيف يجوز
على نبى الله تجويز النوم على الحى القيوم والتجويز شك والشاك فى مثله كفر ثم لما بين كونه قيوما واكده بما اكد رتب عليه حكما وقوله له ما فى السموات وما
فى الارض لان كل ما سواه فانما تقومت ماهيته وتحصل وجوده به فيكون ملكا له فيلزم منه ان يكون حكمه جاريا فى الكل ولا يكون لغيره فى شىء
من الاشياء حكم الا باذنه وامره وهو المراد بقوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ومعنى الاستفهام ههنا الانكار اى لا يشفع وفيه رد على المشركين
والقائلين بالاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويلزم من كونه غير متصرف فى ملكه بوجه من الوجوه الا بامره كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم
بالكل الا باعلامه فاشار الى الاول بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الثانى بقوله ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء والمعنى يعلم ما كان
قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء فغلبوا ولما دل عليه قوله من ذا من الملائكة والانبياء والصالحين
عن مجاهد وعطاء والسدى يعلم ما كان قبلهم من امور الدنيا وما كان بعدهم من امور الاخرة الضحاك والكلبى ما بين ايديهم الاخرة لانهم يقدمون
عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس يعلم ما بين ايديهم من السماء الى الارض وما خلفهم يريد ما فى السموات و
قيل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك والغرض انه سبحانه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب لانه
عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية والشفعاء لا يعلمون من انفسهم ان لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا
يعلمون ان الله تعالى اذن لهم فى تلك الشفاعة ام لا فانهم لا يحيطون بشىء من علمه اى من معلوماته الا بما علم كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل ان
يراد ولا يعلمون الغيب الا بتعليمه باعلامه كقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واذا كان الشفعاء وهم الملائكة والانبياء
لا يعلمون شيئا الا بتعليم الله فغيرهم بعدم العلم اولى ثم انه لما بين كمال ملكه وحكمته فى السموات وفى الارضين ذكر ان ملكه فيما عدا السموات و
والارضين اعظم واجل وان ذلك مما ينقطع دون الانتهاء الى ادنى درجة من درجاتها اوهام المتوهمين فقال وسع كرسيه السموات والارض
يقال وسع فلان الشىء اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به قال صلعم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى اى لم يحتمل غير ذلك واما الكرسى فاصله
التركيب والتلبيد ومنه الكرسى بالكسر للابوال والابعار يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتراكب بعض اوراقها على بعض والكرسى لما يجلس عليه لتركب
خشباته وللمفسرين فى معناه ههنا اقوال فعن الحسن انه جسم عظيم يسع السموات والارض وهو نفس العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش
وبانه كرسى لان كل واحد منهما يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا وعن السدى انه تحت الارض
وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال الكرسى موضع القدمين وينبغى ان يحمل هذه الرواية ان صحت على ما لا يفضى الى التشبيه ككونه موضع قدم
الروح الاعظم او ملك اخر عظيم القدر عند الله تعالى وههنا اسرار لا احب اظهارها ولو شاء الله ان يطلع عليها عبدا من عبيده فهو اعلم بمحارم اسراره
وقيل المراد من الكرسى السلطان والقدرة والملك لان الالهية لا تحصل الا بهذه الصفات والعرب تسمى اصل كل شىء الكرسى لانه تسمية
للشىء باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسى وقيل المراد به العلم لان موضع العالم هو الكرسى وايضا العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء كراسى
الارض كما قال اوتاد الارض وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه ولا كرسى ثم ولا قعود ولا قاعد واختاره جمع المحققين كالقفال
والزمخشرى وتقريره انه خاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه فى ملوكهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت
ملوكهم وامر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر فى الحجر الاسود انه يمين الله فى ارضه ثم جعله مقبل الناس كما يقبل ايدى الملوك وكذلك
ما ذكر فى القيمة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ووصف
عرشه فقال وكان عرشه على الماء ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش ثم قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم اثبت لنفسه كرسيا او
لما توافقنا ان المراد من الفاظ الموهمة للتشبيه فى الكعبة والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة فى العرش والكرسى ولا يؤوده
لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وفيه ان نفاذ حكمه وامره مع كونه مقوما للممكنات مقيما للارضين والسموات متعال عن التحيز
ومقدس عن التغيرات فقال وهو العلى العظيم والمراد منهما علو الرتبة وعظمة الشرف لا الحيز والجهة وكيف لا وهو مقيم المكان ومديم الزمان قوله
سبحانه لا اكراه فى الدين الاية لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للاعذار ذكر بعد ذلك انه لم يبق للكافر عذر فى اقامته على الكفر الا ان يقسر على الا
ويجبر عليه وذلك لا يجوز فى دار الدنيا التى هى مقام الابتلاء والاختبار اذ فيه بطلان الاكراه والاجبار ومما يؤكد ذلك قوله قد تبين الرشد من الغى يقال بان



الشىء



الشيء واستبان وتبين وبين أي اتضح وظهر ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين والرشد إصابة الخير والغي نقيضه أي تميز الحق من الباطل والإيمان
من الكفر والهدى من الضلال بكثرة الحجج والبينات وظهور الدلائل والآيات فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون وزنه فعلوت نحو جبروت وأصله طغيوت
إلا أن لام الفعل قلبت إلى موضع العين ثم صيرت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وذكر الفارسي أنه مصدر كالرغبوت والرهبوت والدليل على ذلك أنه يقع
في موضع الجمع كما يقال هم رضا وعدل ولهذا قال تعالى أولياؤهم الطاغوت والأصل فيه التذكير قال تعالى يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا
أن يكفروا به فأما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها فالتأنيث لإرادة الآلهة وأما معنى الطاغوت فعن عمر ومجاهد وقتادة هو الشيطان
وعن سعيد بن جبير الكاهن قال أبو العالية الساحر وعن بعضهم الأصنام وقيل مردة الجن والإنس وكل ما يطغى وإنما جعلت هذه الأشياء أسبابا للطغيان
لحصول الطغيان عندها لاتصالهم بها كقوله رب إنهن أضللن كثيرا من الناس ويعلم من قوله فمن يكفر بالطاغوت ثم من قوله ويؤمن بالله أن الكافر
لا بد أن يتوب أولا ثم يؤمن بعد ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى استمسك وتمسك بمعنى والعروة واحدة عرى الدلو والكوز ونحوهما مما يتعلق
به والوثقى تأنيث الأوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول لأن الإسلام أقوى ما يتشبث به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد
المحسوس وهو الحبل الوثيق المحكم حتى يتصور السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيزول شبهته بالكلية والفصم كسر الشيء من غير أن يبين فصمته فانفصم والمقصود
من قوله لا انفصام لها هو المبالغة لأنه إذا لم يكن لها انفصام فإن لا يكون لها انقطاع أولى وقيل إن الموصول ههنا محذوف أي التي لا انفصام لها
كقوله وما منا إلا له مقام معلوم أي من له وقيل معنى قوله لا إكراه في الدين لا تكرهوا في الدين على أنه إخبار في معنى النهي والإكراه إلزام الغير فعلا
لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ثم قال بعضهم إنه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو في أهل الكتاب خاصة لأنهم إذا قبلوا الجزية سقط
القتل عنهم وفي حكمهم المجوس أما الكفار الذين تهودوا أو تنصروا فقيل إنهم لا يقرون على ذلك وفي يكرهوا على الإسلام وقيل يقرون على ما انتقلوا إليه
ولا يكرهون روي أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما
حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأنصاري يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا إكراه أي
لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب إنه دخل مكرها لأنه إذا رضي بعد الحرب وصح إسلامه فليس بمكره ومعناه لا تنسبوه إلى الإكراه فيكون كقوله ولا تقولوا
لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا والله سميع عليم يسمع قول من يتكلم بالشهادة وقول من يتكلم بالكفر ويعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطيب
وما في قلب الكافر من العقد الخبيث وعن عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب إسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان
يسأل الله ذلك سرا وعلانية فقيل له والله سميع لدعائك يا محمد صلى الله عليه وسلم عليم بحرصك واجتهادك قوله سبحانه الله ولي الذين آمنوا أي متولي أمورهم
وكافل مصالحهم فعيل بمعنى فاعل والتركيب يدل على القرب فالمحب ولي لأنه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الوالي لأنه يلي القوم بالتدبير وفيه دليل على أن
ألطاف الله تعالى في حق المؤمنين وفيما يتعلق بالدين أكثر من ألطافه في حق الكافر وذلك أنه يخرجهم من الظلمات إلى النور من الكفر إلى الإيمان ومن
الضلالة إلى الهدى ومن الشك إلى اليقين والإخراج يشمل الكافر إذا آمن والمؤمن الأصلي ولا يبعد أن يقال يخرجهم إلى النور من الظلمات وإن لم يكونوا
في الظلمة البتة فإن العبد لو خلا عن توفيق الله تعالى لحظة لوقع في ظلمات الجهالات والضلالات فصار توفيقه تعالى سببا لدفع تلك الظلمات عنه وبين
الدفع والرفع تشابه ومثله قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ومعلوم أنهم لم يكونوا قط في النار ويروى أنه صلى الله عليه وسلم سمع إنسانا قال أشهد
أن لا إله إلا الله فقال على الفطرة فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج من النار ومن المعلوم أنه ما كان فيها قال الواحدي كل ما في القرآن
من الظلمات والنور فإنه أراد بهما الكفر والإيمان إلا قوله في أول الأنعام وجعل الظلمات والنور فإنه عنى به الليل والنهار قال وإنما جعل الكفر ظلمة
لأنه كالظلمة في المنع من الإدراك وجعل الإيمان نورا لأنه كالسبب في حصول الإدراك قلت قد مر أن الإيمان والعلم وجميع الكمالات النفسانية
والمعارف اليقينية أنوار تزداد النفس بها نورية وإشراقا فلا حاجة إلى هذا التكلف والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت مصدر ولهذا وحد في
موضع الجمع يخرجونهم من النور إلى الظلمات وإنما وحد النور وجمع الظلمة لأن الحق ما يرجع إلى طريقة واحدة وهو أنه في نفسه واحد وأما الباطل
فلا حصر له ولطرقه كما أن الخط المستقيم الواصل بين النقطتين واحد والمنحنية غير محدودة وإسناد الإضلال إلى الطاغوت وهو كل من يتسبب إلى
الطغيان كالمجاز فإن الحوادث بأسرها تستند إلى المبدأ الأول بالحقيقة وينتهي إلى قضائه وقدره كما سبق تحقيقه مرارا أولئك الكفار وهم مع
من يدعيهم من الوسائط والوسائل أصحاب النار فيكون زجرا للكل ووعيدا لهم أعاذنا الله من ذلك التأويل الحي القيوم أشير بهما إلى الاسم الأعظم لأن
اسم الحي مشتمل على جميع أسمائه وصفاته فإن من لوازم الحي أن يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا إلى غير ذلك من نعوت الكمال واسم القيوم
دال على افتقار كل المخلوقات إليه فإذا تجلى الله للعبد بهاتين الصفتين انكشف للعبد عند تجلي صفة الحي معاني جميع أسمائه وصفاته وعند تجلي صفة
القيوم فناء جميع المخلوقات إذ كان قيامها بقيومية الحق لا بأنفسهم فلما جاء الحق وزهق الباطل فلا يرى في الوجود إلا الحي القيوم إذ سلب الحي جميع
أسماء الله وسلب القيوم قيام الممكنات فنفى التعدد بعينية الوحدة فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الإنسانية
فيذكره بالاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى لأنه ينطق بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه فأما الذاكر عند غيبته عن عظمة
الوحدانية فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الأعظم بالنسبة إلى حال غيبته وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الأعظم كما سئل أبو يزيد عن الاسم



الاعظم فقال الاسم الاعظم الذى هو محمد ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باى اسم شئت لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لان النوم اخو الموت والموت ضد الحيوة وهو الحى الحقيقى فلا يلحقه ضد الحيوة مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ هذا الاستثناء راجع الى النبى كانه قيل من ذا الذى يشفع عنده يوم القيمة الا عبده محمد صلى الله عليه وسلم فانه ماذون فى الشفاعة موعود بها عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا يعلم محمد صلى الله عليه وسلم مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ من اوليات الامور قبل خلق الخلائق كقوله عليه السلام اول ما خلق الله نورى اول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفى الف عام وَمَا خَلْفَهُمْ من احوال القيمة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسى نفسى ورجوعهم اليه بالاضطرار وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ وانما هو شاهد على احوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم كُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ ويعلم امور اخرتهم واحوال اهل الجنة والنار وهم لا يعلمون شيئا من ذلك إِلَّا بِمَا شَاءَ ان يخبرهم عنه وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مثال العرش فى عالم الانسان قلبه ومثال الكرسى سره وسوف يجئ تمام التحقيق ان شاء الله تعالى فى قوله الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ وان العرش مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى سعة قلب المؤمن وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا لا يثقل الروح الانسانى حفظ اسرار السموات والارض وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ولما اظهر المخلوقات من العرش والكرسى لقلب المؤمن وسره علوا فى المرتبة وعظمة فى الخلافة اظهارا لكمال القدرة والحكمة يرتدى برداء الكبرياء واتزر بازار العظمة والبهاء هو اولى بالمدح والثناء فقال وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ فمن على فى الاخرة واولى فباعلائه ومن عظم فبتعظيمه ثم اخبر عن عزة الدين لارباب اليقين بقوله لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ كما قال عليه السلام ليس الدين بالتمنى مع ان التمنى نوع من الاختيار فكيف يحصل بالاكراه وهو الاجبار فان الدين هو الاستسلام للاوامر والنواهى ظاهرا والتسليم لاحكام الحق باطنا من غير حرج وضيق عطن ثم شرع فى مزيد شرح هذا الدين بقوله فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ تبرأ منه فطاغوت العوام الاصنام وطاغوت الخواص هو النفس وطاغوت خواص الخواص ما سوى الله وايمان العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان الخواص عزوف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن فى طاعة الله واتيانه والقلب الى الفناء فى الله واخلاء السر للبقاء بالله هذا هو السكر الموجب للشكر ولهذا قال موسى بعد الافاقة عن سكر سطوات شراب التجلى تُبْتُ إِلَيْكَ اى عن هذه الافاقة وكان مخصوصا عن غالب امته بالايمان العيانى وشريكا مع القوم بالايمان البيانى كما قيل شعر لى سكرتان وللندمان واحدة شئ خصصت به من بينهم وحدى ثم العروة الوثقى التى استمسك بها المؤمن لا يمكن ان يكون من الحدثان المخلوقات لقوله كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ولا يكون اتقى من بطشه الا كانت منفصمة بل يكون من بطشه إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامه فى الايمان فهى للعوام توفيق الطاعة وللخواص مزيد العناية بالمحبة يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ولخواص الخواص الجذبة الالهية التى تفنيه عن ظلمات الغيرية وتبقيه بنور الربوبية ولهذا قال عليه السلام جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين لان الثقلين اعمالهما فانية من عالم الحدوث وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام فالمجذوب لا يخلص منها ابد الابدين ثم اخبر عن تصرفات جذباته فقال اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يخرج العوام من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان والهداية والخواص من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص من ظلمات الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان والاولياء بلفظ الجمع ليعلم ان الولاء والمحبة من قبل الكفار اى هم اولياء الطاغوت كقوله أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ فان الطاغوت لو فسر بالاصنام فهى بمعزل عن الولاية وان فسر بالشيطان او النفس فهم الاعداء لا الاولياء يُخْرِجُونَهُم من نور الروحانية وصفاء الفطرة الى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها فوق بعض دركات بعضها تحت بعض أُولَٰئِكَ اى ارواح الكفار مع النفس والشيطان والاصنام أَصْحَابُ النَّارِ لان الارواح وان لم يكن من جملتهم لكن من تشبه بقوم فهو منهم والله المستعان أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِى

آيا نديدى بسوى آنكه حجت كرد با ابراهيم در پروردگارش كه داده بود خدا او را پادشاهى چون گفت ابراهيم كه پروردگار من آنست

يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ

كه زنده ميكند و ميميراند گفت من هم نيز زنده ميكنم و ميميرانم گفت ابراهيم پس بدرستيكه خدا مياورد آفتاب را از سمت مشرق پس بيار تو آنرا از سمت مغرب پس درمانده شد آنكه كافر بود

وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِى هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا

و خدا راه ننمايد گروه ستمكاران را يا چون آنكه گذشت بر دهى كه آن فرود آمده بود ديوارهايش بر سقفهايش گفت كه چگونه زنده كند اين را خدا پس از مرگش

فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ

پس ميراند او را خدا در صد سال پس زنده كرد او را گفت چه قدر درنگ كردى گفت درنگ كردم روزى يا بعض روز گفت نه بلكه درنگ كردى صد سال پس بنگر بسوى طعام خود و شراب خود

لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ

كه متغير نشده و بنگر بسوى خر خود و تا بگردانيم ترا نشانه از براى مردمان و بنگر بسوى استخوانها كه چگونه بر روى هم گذاريم پس ميپوشانيم از گوشت پس چون كه ظاهر شد مراو را گفت كه ميدانم

أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ

ع



فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز

پس فراگیر چهار عدد از مرغان پس جمع کن آنها را بسوی خود پس بگذار بر هر کوهی از آن مرغان جزئی را پس بخوان آنها را بیایند بسوی تو شتاب و بدان که بدرستی خدا غالب

حكيم القراءة ربي الذي مرسلة الياء حمزة الباقون بالفتح انا احيي بالمد ابو جعفر ونافع وكذلك ما اشبهها من المفتوحة والمضمومة وزاد ابو نشيط بالمد في المكسورة في قوله تعالى ان انا الا نذير واشباه ذلك متعه وبابه مثل فئة فلم يتسنه وبابه بالاظهار ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب لم يتسنه في الوصل والوقف بالهاء حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت وهاء السكت تزاد للوقف الباقون بالهاء الساكنة في الحالين والهاء اما اصلية مجزومة بلم او هاء سكت واجروا الوصل مجرى الوقف الى حمارك كمثل الحمار بالامالة على غير ليث وابي حمدون وحمدويه النجاري عن ورش وابن ذكوان وابو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو وابن شنبوذ عن اهل مكة ننشرها بالراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالزاي قال اعلم موصولا والابتداء بكسر الهمزة على الامر حمزة وعلي الباقون مقطوعا والميم مضمومة على الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة وخلف ورويس والمفضل جزا بالتشديد بالزاي يزيد وجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف جزؤا ابو بكر وحماد جزءا مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاء مهموزة الوقوف الملك م لان اذ ليس بظرف لايتاء الملك ويميت لا لان قال عامل اذ واميت ط كفر ط الظالمين ج لا للعطف وللتعجب عروشها ج لان ما بعده من تتمة كلام قبله من غير عطف مع احتياج تمام المقول مع العطف بفاء الجواب او الجزاء بعثه ط كم لبثت ط يوم ط لم يتسنه ج وان اتفقت الجملتان لوقوع الحال المعترض بينهما مع وصل حسن له الوقف على حمارك لان ما بعده مما يعطف عليه قوله ولنجعلك اي لتستيقن ولنجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لحاط التمام البيان له الا لان قال جواب لما قدير ط الموتى ط تؤمن ط قلبي ط سعيا ط لاعتراض جواب الامر حكيم ه التفسير انه سبحانه ذكر ههنا قصصا ثلاثا اولها في اثبات العلم بالصانع والباقيان في اثبات البعث والنشور فالقصة الاولى مناظرة ابراهيم ملك زمانه عن مجاهد هو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة بالحجة والضمير في ربه لابراهيم ويحتمل ان يكون لنمرود والهاء في ان اتاه قيل لابراهيم لانه اقرب في الذكر ولانه لا يجوز ان يؤتي الكافر الملك والتسليط ولانه يناسب قوله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذي حاج ابراهيم ولا يبعد ان يعطي الله الكافر بسطة وسعة في الدنيا و معنى ان اتاه الله اي لان الله اتاه الملك فابطره واورثه الكبر والعتو وجعل محاجته في ربه شكرا له كقولك عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز ان يكون المعنى حاج وقت ان اتاه عن مقاتل ان هذه المحاجة كانت حين كسر ابراهيم الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت وهذا دليل في غاية الصحة لان الخلق عاجزون عن الاحياء والاماتة فلا بد ان يستند الى مؤثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان واشكاله بصير باعضائه واحواله ولامر ما ذكره الله تعالى في مواضع من كتابه فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو الذي خلقكم من تراب الم نخلقكم من ماء مهين وروي ان الكافر دعا شخصين فاستبقى احدهما وقتل الاخر وقال انا ايضا احيي واميت ثم للناس في هذا المقام طريقان الاول وعليه اكثر المفسرين ان ابراهيم عليه السلام لما راى من نمرود انه القى تلك الشبهة عدل من ذلك الى دليل اخر ومثال اخر اوضح من الاول فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب قالوا وفي هذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة واورد عليه ان الشبهة اذا وقعت في الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب ان يذكر الجواب في الحال ازالة لذلك الجهل واللبس ولما طعن الملك الكافر في الدليل الاول وفي المثال الاول بتلك الشبهة كان الاشتغال بازالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم ان يترك ذلك الواجب مع ان فيه ايهام ان كلامه الاول كان ضعيفا ولئن سلمنا ان الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب ان يكون المنتقل اليه اوضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع اظهر واقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان جنس الحياة لا قدرة للخلق عليه واما جنس تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه وايضا دلالة الاحياء والاماتة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات اقوى من دلالة طلوع الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وايضا فان نمرود لما لم يستحي من معارضة الاحياء والاماتة الصادرين عن الله بالقتل والتخلية فكيف يؤمن عنه عند استدلال ابراهيم بطلوع الشمس ان يقول بل طلوع الشمس من المشرق مني فان كان لك اله فقل له حتى يطلعها من المغرب وعند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك فقالوا انه لو اورد هذا السؤال لكان من الواجب ان يطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم ان الاشتغال باظهار فساد سؤاله في الاحياء والاماتة اسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فما الذي حمل ابراهيم على ان ترك الجواب عن ذلك السؤال الركيك والتزم الانقطاع واعترف بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب ولما كانت هذه الاعتراضات واردة على الطريق الاول عدل بعض المحققين الى طريق اخر فقالوا ان ابراهيم عليه السلام لما احتج بالاحياء والاماتة قال المنكر تدعي الاحياء والاماتة من الله ابتداء من غير واسطة الاسباب الارضية والسماوية اما الاول فلا سبيل اليه واما الثاني فنظيره او ما يقرب منه حاصل للبشر فان الجماع يفضي الى الولد بتوسط الاسباب وتناول السم يفضي الى الموت فاجاب ابراهيم عليه السلام بناء على معتقدهم وكانوا اصحاب تنجيم بان الاحياء والاماتة وان حصلا بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات والاتصالات لا بد لها من فاعل ومدبر وليس ذلك هو البشر فانه لا قدرة لهم على الفلكيات فهو اذن محرك للارض والسموات قلت وفيه نهج طريق اخر نذكره في التأويلات ان شاء الله تعالى فبهت الذي كفر يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم مثله وقد قرئ بهما و



واشهر منها القراءة المشهورة فبهت على البناء للمفعول لانه يقال رجل مبهوت ولا يقال باهت ولا بهيت قاله الكسائي والله لا يهدي القوم الظالمين
فلهذا لم ينفعهم الدليل وان بلغ في الظهور الى حيث صار المبطل مبهوتا متحيرا فيعلم منه ان الكل بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته القصة الثانية
قوله سبحانه أو كالذي مر ذهب الكسائي والفراء والفارسي واكثر النحويين الى انه معطوف على المعنى والتقدير أرأيت كالذي حاج ابراهيم أو كالذي
مر ونظيره من القرآن قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كأنه قيل لمن السموات فقيل لله مثله قول الشاعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا: وعن الاخفش ان الكاف زائدة
والتقدير ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو الى الذي مر وعن المبرد انما يضمر الفعل في الثاني والتقدير ألم تر الى الذي حاج الى ابرهيم أو لم تر الى مثل الذي
مر واختلف في المار بالقرية فعن مجاهد وعليه اكثر المفسرين من المعتزلة ان المار كان رجلا كافرا شاكا في البعث لان قوله أنى يحيي استبعاد وانه لا يليق
بالمؤمن ولانه تعالى قال في حقه فلما تبين له وفيه دليل على ان ذلك التبيين لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله اعلم أن الله على كل شيء قدير وذهب
سائر المفسرين الى انه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير وقال عطاء عن ابن عباس هو ارميا ثم من هؤلاء من قال ان
ارميا هو الخضر وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال وهب بن منبه ان ارميا هو النبي الذي بعثه الله عند ما خرب
بختنصر بيت المقدس واحرق التوراة وقيل هو عزير على ما يجيء حجة هؤلاء ان قوله أنى يحيي هذه الله بعد موتها يدل على انه كان عالما بالله و
بانه تعالى يصح منه الاحياء في الجملة والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وايضا قد شرفه الله تعالى بالتكلم في قوله قال كم لبثت وفي قوله وانظر ولنجعلك
وفي نفس قصته من الاعادة وغيرها اكرام له ايضا روي عن ابن عباس ان بختنصر غزا بني اسرائيل فسبى منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء
بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف في القرية فلم ير فيها احدا فعجب من ذلك وقال أنى يحيي هذه الله
بعد موتها اي من اين يتوقع عمارتها لا على سبيل الشك في القدرة بل بسبب اطراد العادة في ان مثل ذلك الموضع الخراب قلما يصير
معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فأماته الله في منامه مائة عام وهو شاب ثم اعمى
عنه في موته ايضا ابصار الانس والطير والسباع ثم احياه بعد المائة ونودي من السماء يا عزير كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتسنه فنظر فاذا التين والعنب كما شاهدهما ثم قال وانظر الى حمارك فنظر فاذا
عظام بيض تلوح وقد تفرقت اوصاله فسمع صوتا ايتها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل
عضو بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت
الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا وقال أعلم ان الله على كل شيء قدير ثم انه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا
آباؤنا ان عزير بن شرخيا مات ببابل وقد كان بختنصر قتل ببيت المقدس اربعين الفا من قراء التوراة وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا انه
يقرأ التوراة فلما اتاهم بعد مائة عام جدد لهم التوراة واملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التوراة قد دفنت في موضع
فاخرجت وعورضت بما املاه فما اختلفا في حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وعن وهب وقتادة وعكرمة والربيع ان القرية ايليا وهو بيت
المقدس وقال ابن زيد هي القرية التي خرجت منها الالوف حذر الموت ومعنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من خوى النجم اذا
سقط والعروش الابنية والسقوف من الخشب كأن حيطانها كانت قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت
على سقوفها المنهدمة وهذا من احسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل ان يكون من خوى المنزل اذا خلا عن اهله وخوى بطن الحامل وعلى
بمعنى عن اي خالية عن عروشها ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها قال في الكشاف ويجوز ان يكون على عروشها خبرا
بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها اي هي قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان
وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع كون اشجارها معروشة وكان التعجب من ذلك اكثر لان
الغالب من القرية الخالية ان يبطل ما فيها من عروش الفواكه فأماته الله مائة عام لان الاحياء بعد مدة طويلة اغرب فيكون ادخل في كونه آية
ثم بعثه اي احياه كما كان اولا عاقلا فهما مستعدا للنظر والاستدلال في المعارف الالهية ولو قال احياه لم يحصل هذه الفوائد قال كم لبثت اي
كم مدة فحذف المميز والحكمة في السؤال هو التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق والا فمن المعلوم ان الميت لا يمكنه بعد ان صار حيا ان يعلم
ان مدة موته طويلة او قصيرة قال بناء على الظن لا بطريق الكذب لبثت يوما او بعض يوم روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب
الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم والظاهر انه علم ان ذلك اللبث كان بسبب الموت بامارات
شاهدها في نفسه وفي حماره لم يتسنه لم يتغير واصله من السنة اي لم يأت عليه السنون لان مر السنين لما لم يغيره فكأنها لم تأت عليه وعلى هذا فالهاء
اما للسكت بناء على ان اصل سنة سنوة بدليل سنوات في الجمع وسنية في التحقير وقولهم سانيت الرجل مساناة اذا عاملته سنة واما اصلية على
ان نقصان سنة هو الهاء بدليل سنيهة في التصغير وقولهم اجرت الدار مسانهة وقيل اصله يتسنن من السن هو التغير قال تعالى من حمأ مسنون
اي متغير منتن واما من السنة ايضا بناء على ما نقل الواحدي من ان اصل سنة سنية يجوز ان يكون سنة بدليل سنينة في تحقيرها وان كان قليلا وعلى



التقدير بين ابدلت النون الاخيرة ياء مثل تقضى البازى فى تقضض ثم حذفت الياء للجزم وزيدت هاء السكت فى الوقف وعن ابى على الفارسى انه
من السن هو الصب فقوله لم يتسن اى الشراب بقى بحاله لم ينصب فعلى هذا يكون قوله لم يتسنه عائدا الى الشراب وحده ويوافقه قراءة ابن مسعود
فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن واما على سائر الاقوال فيكون عدم التغير صالحا لان يعود الى الطعام والى الشراب جميعا فان قيل
انه تعالى لما قال بل لبثت مائة عام كان من حقه ان يذكر عقيبه ما يدل على ذلك ولكن قوله فانظر يدل ظاهرا على ما قاله من انه لبث يوما او بعض يوم قلنا الجواب
انه كلما كانت الشبهة اقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها اشد ولهذا قيل وانظر الى حمارك فراه عظاما نخرة فعظم تعجبه حيث راى
ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقيا وما يمكن ان يبقى زمانا طويلا وهو الحمار غير باق فعرف طول المدة لبثه بان شاهد عظام حماره
رميما وهذا بالحقيقة لا يدل بذاته لان القادر على احياء الحيوان قادر على اماتته وجعل عظامه نخرة فى الحال ولكن انقلاب عظام الحمار الى
حالة الحيوة كانت معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام ولنجعلك آية قال الضحاك معناه انجعله دليلا على صحة البعث وقال
غيره كان آية للناس لان الله تعالى بعثه شابا اسود الراس وبنو بنيه شيوخ بيض اللحى والمفارق وقيل انه كان يقرأ التورية عن ظهر قلبه فذلك كونه آية وقيل
انه حماره لم يمت والمراد وانظر الى حمارك سالما فى مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه
وشرابه من التغير واما فائدة الواو فى قوله ولنجعلك فقد قال الفراء انما دخلت لنية فعل بعدها مضمر كانه قال وانظر الى حمارك ولنجعلك آية
كان النظر الى الحمار شرطا وجعله آية جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام بل المعنى ولنجعلك آية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء ومثله
فى القرآن كثير وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وانظر
الى العظام كيف ننشرها بالراء المهملة اى كيف نحييها وقرئ كيف ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم ويحتمل ان يكون من النشر ضد الطى فان
الحيوة تكون بالانبساط وقد وصف الله العظام بالاحياء فى قوله من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة ومن قرأ بالزاء فمعناه
نحركها ونرفع بعضها الى بعض والتركيب للنشز ما ارتفع من الارض ومنه نشوز المرأة لانها ترتفع عن حد رضا الزوج وكيف فى موضع الحال من العظام
والعامل فيه ننشرها لا انظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم اكثر المفسرين على ان المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من
الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد ان العظام عظام هذا الرجل نفسه قالوا انه تعالى احيا راسه وعينيه وكانت بقية بدنه عظاما نخرة وكان
ينظر الى اجزاء عظام نفسه فراها تجتمع وينضم البعض الى البعض وكان يرى حماره واقفا كما ربطه وزيف بان قوله لبثت يوما او بعض يوم انما
يليق بمن لا يرى فى نفسه اثر التغير لا لمن شاهد اجزاء بدنه متفرقة وعظامه رميمة وقوله ثم بعثه يدل على ان المبعوث هو تلك الجملة التى اماتها وقيل
هى عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شىء قدير فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كما
فى قولهم ضربنى وضربت زيدا والتقدير فلما تبين له ما اشكل عليه من امر الاماتة والاحياء قال اعلم وتأويله انى قد علمت مشاهدة ما كنت
اعلمه قبل ذلك استدلالا وقرئ اعلم على لفظ الامر ومعناه انه عند التبين امر نفسه بذلك والله تعالى امره بذلك كما فى اخر قصة ابرهيم واعلم ان الله
عزيز حكيم قال القاضى القراءة الاولى اولى لان الامر بالشىء انما يحسن عند عدم المأمور به وههنا العلم حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا
يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك اما الاخبار عن انه حصل فجائز قلت ليس هذا من باب الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر فيه عائد الى شىء اخر
غير حاصل هو عدم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فان من قدر على ايجاد امر مستبعد الحصول كان قادرا على نظائره من الغرائب والعجائب لا محالة ولهذا
اوردت القضية كلية نعم لو قيل اعلم ان الله قادر على احياء الموتى لاشبه ان يكون امرا بتحصيل الحاصل على ان ذلك ايضا ممنوع فان الامر يعود الى شىء
اخر غير حاصل هو عدم الشك فيما يستأنف من الزمان اى ليكن هذه الآية على ذكر منك كيلا يعرض لك شك فيها بعد ذلك كقولك للمتحرك تحرك اى
واظب على الحركة ولا تفتر وليت شعرى كيف يطعن بعض العلماء فى بعض القراءة السبع مع ثبوت التواتر وكونها كلها كلام الحكيم العليم تقدس وتعالى
الثالثة قوله عز طوله واذ قال ابرهيم التقدير واذكر وقت قول ابرهيم قيل معطوف على قوله الى الذى اى الم تر الى وقت قول ابرهيم وههنا دقيقة وهو انه
لم يسم عزيرا فى قصته بل قال او كالذى مر على قرية وههنا سمى ابرهيم لان عزيرا لم يحفظ الادب بل قال ابتداء انى يحيى هذه الله بعد موتها وابرهيم
اثنى على الله اولا بقوله ربى فادى ذلك غيره ومعنى ارنى بصرنى وذكروا فى سبب سؤال ابرهيم وجوها الاول قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء
وابن جريج انه راى جيفة مطروحة على شط النهر فاذا مد البحر اكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت فاذا اكل السباع جاءت الطيور
فاكلت وطارت فقال ابرهيم رب ارنى كيف تجمع اجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل اولم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب
بالسؤال ان يصير العلم الاستدلالى ضروريا الثانى قال محمد بن اسحق والقاضى انه فى مناظرته مع نمرود لما قال ربى الذى يحيى ويميت قال الكافر انا
احيى واميت فاطلق محبوسا وقتل اخر فقال ابرهيم ليس هذا باحياء واماتة وعند ذلك قال رب ارنى كيف تحيى الموتى لينكشف هذه المسئلة عند
نمرود واتباعه يروى ان نمرود قال له قل لربك يحيى والا قتلتك فسأل الله ذلك وقوله ليطمئن قلبى بنجاتى من القتل او
قلبى بقوة حجتى وبرهانى وان عدولى الى غيرها كان بسبب جهل المستمع الثالث عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدى ان الله تعالى اوحى اليه انى متخذ بشرا
خليلا فاستعظم ذلك ابرهيم ع وقال الهى ما علامة ذلك فقال علامته انه يحيى الميت بدعائه فلما عظم مقام ابرهيم ع فى درجات العبودية واداء الرسالة

نكات



خطر ببالي لعلي اكون لك خليلا فسأل الله احياء الموتى فقال الله أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي على انى خليلك الرابع لا يبعد ان يقال
انه لما جاء الملك الى ابرهيم واخبره بان الله بعثك رسولا الى الخلق طلب المعجزة ليطمئن قلبه على انه الآتى ملك كريم لا شيطان رجيم الخامس لعله طالع في
الصحف المنزلة عليه ان الله تعالى يحيي الموتى بدعاء عيسى فطلب ذلك ليطمئن قلبه انه ليس اقل منزلة عند الله من عيسى لانه من اولاده السادس امر بذبح الولد
فسارع الى ذلك فقال الهي امرتني ان اجعل ذا روح بلا روح فامتثلت فشرفني بان يجعل بدعائي فاقد الروح ذا روح السابع اراد ان يخصصه الله بهذا
التشريف في الدنيا بان جميع الخلايق يشاهدون الحشر في الآخرة الثامن لعل ابرهيم لم يقصد احياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة واما
ان ابرهيم عم كان شاكا في المعاد فلا ينبغي ان يعتقد فيه ومن كفر النبي المعصوم فهو بالكفر اولى وكيف يظن ذلك بابرهيم عم وقوله بلى اعتراف بالايمان
وقوله لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي كلام عارف طالب لمزيد اليقين والشك في قدرة الله يوجب الشك في نبوة نفسه والذي جاء في الحديث من قوله عم نحن احق
بالشك من ابرهيم فذلك انه لما نزلت هذه الآية قال بعض من سمعها شك ابرهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله عم تواضعا منه وتقديما لابرهيم
على نفسه نحن احق بالشك منه والمعنى انا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هو والاستفهام في قوله أَوَلَمْ تُؤْمِن للتقرير كقوله الستم خير من ركب المطايا
وايضا المقصود من هذا السؤال ان يجيب بما اجاب به ليعلم السامعون انه عم كان مؤمنا بذلك عارفا به وان المقصود من هذا السؤال شيء اخر واللام
في قوله ليطمئن يتعلق بمحذوف اي ولكن سألت ليزيد قلبي سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال فان تعرض الخواطر للمستدل بخلاف
المعاين هذا اذا قلنا المطلوب حصول الطمأنينة في اعتقاد قدرة الله تعالى على الاحياء اما اذا قلنا ان الغرض شيء اخر فلا اشكال فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ
عن ابن عباس هن طاوس ونسر وغراب وديك وفي قول مجاهد وابن زيد حمامة بدل النسر فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ بضم الصاد وكسرها من صاره يصوره
ويصيره اي املهن واضممهن اليك قال الاخفش يعني وجههن اليك وفائدة امره بضمها الى نفسه بعد اخذها ان يتأملها ويعرف اشكالها وهيآتها
وحلاها كيلا يلتبس بعد الاحياء ولا يتوهم انها غيرها وفي الآية حذف كأنه قيل املهن وقطعهن ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ومعنى صرهن
قطعهن فلا اضمار روى انه امر بذبحها ونتف ريشها وان يقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط دماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل
اجزاءها على الجبال التي بحضرته وفي رواية على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم
اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها وانكر ابو مسلم هذه القصة وقال ان ابرهيم عم لما طلب احياء الموتى من الله اراه الله تعالى مثالا قرب الامر
عليه والمراد بصرهن اليك الامالة والتمرين على الاجابة اي فعود الطيور الاربعة بحيث اذا دعوتها اجابتك حال الحيوة والغرض منه ذكر مثال محسوس
لعود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثُمَّ ادْعُهُنَّ اي الطيور لا الاجزاء يَأْتِينَكَ سَعْيًا وزيف قول ابي مسلم بانه خلاف
اجماع المفسرين وبان ما ذكره غير مختص بابرهيم فلا يلزم له مزية وايضا ان ظاهر الآية يدل على انه اجيب الى ما سأل وعلى قوله لا يكون الاجابة حاصلة
ولان قوله عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا دليل ظاهر على تجزية الطيور وحمل الجزء على احد الطيور الاربعة بعيد ثم ظاهر قوله عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ جميع جبال الدنيا
فذهب مجاهد والضحاك الى العموم بحسب الامكان كأنه قيل فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه وقال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع اربعة جبال
على حسب الطيور الاربعة والجهات الاربع وقال السدي وابن جريج المراد كل جبل كان يشاهده ابرهيم وكانت سبعة اما قوله ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا
فقيل عدوا ومشيا على ارجلهن لان ذلك ابلغ في الحجة وقيل طيرانا ورد بانه لا يقال للطير اذا طار سعى واجيب بان السعي هو الاشتداد في الحركة
مشيا كانت او طيرانا واحتج الاصحاب بالآية على ان البنية ليست شرطا في صحة الحيوة لانه تعالى جعل كل واحد من تلك الاجزاء والابعاض حيا قادرا
على السعي والعدو قال القاضي دلت الآية على انه لا بد من البنية من حيث انه وجب التقطيع بطلان حيوتها والجواب ان حصول المقارنة لا يدل على وجوب
المقارنة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الآية على حصول الحيوة لتلك الاجزاء حال تفرقها كان دليلا قاطعا على ان البنية ليست
شرطا للحيوة وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غالب على جميع الممكنات حَكِيمٌ عالم بعواقب الامور وغايات الاشياء التأويل ان الله تعالى لما اعطى نمرود ملكا ما اعطى احدا
قبله ادعى الربوبية وما ادعاها احد قبله وسبب ذلك ان الانسان لحسن استعداده للطلب غاية لطافته في الجوهر دائم الحركة في طلب الكمال لا يتوقف
لحظة الا لمانع ولكنه جبل ظلوما جهولا فيتوكل الى نفسه مال الى عالم الحس موافقا للبشرية الطبيعية لانه مخلوق من تراب في طبعه الميل الى السفل فيرى الكمال
في جمع المال ثم في طلب الجاه فيصرف المال فيه ثم في الحكم والتسلط فاذا ملك السفليات باسرها وقهر ملوك الارض اراد ان ينازع ملك الملوك وجبار
الجبابرة فيقول انا احيي واميت البس للعالم رب انا جهلا بالكمال وذلك عند فساد جوهره وبطلان استعداده كما انه اذا اصلح جوهره بحسن تربية
النبي او من ينوب منابه وهو الشيخ قال ليس في الوجود سوى الله هذا هو حقيقة فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ يعني كن فانيا عن وجودك
بالكلية واستغفر لذنب حسبان وجود غير وجوده فانه جد وان لم تكن جدا فان الجد من يدق بمطرقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس لئلا
ان يؤمن بالله ويكفر بطاغوت وجوده ووجود كل ما سوى الله قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ عراض على
قول الكافر انا احيي واميت والمراد ان ارسال النفس الناطقة لتدبير البدن الطالع شمس الحيوة من افق البدن فان كنت صادقا في دعواك ان هذا
يأتي منك فامسكها عندك وهو الاتيان بالشمس من مغربها وانه ابقاها ثم مات فقد امات قيامته فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ لانه ان امكنه
ان يدعي الاحياء بمعنى الابقاء وهو اطلاع الشمس من المشرق فلن يمكنه ان يدعي الاماتة بمعنى قبض الروح من غير آلة القتل وهو الاتيان بالشمس من

المغرب



المغرب فهذه طريقة عذبة لا يرد عليها شيء من الاعتراضات المذكورة في التفسير ثم اخبر عن اظهار قدرته في احياء الموتى بعد انقطاع المدعي في حجته عقيب الدعوى بقوله تعالى اَوْ كَالَّذِيْ مَرَّ عَلٰى قَرْيَةٍ وذلك ان قوما انكروا حشر الاجساد بعد عزائهم بحشر الارواح وزعموا ان الارواح اذا خرجت من سجن الاشباح وتفوقت بالعلوم بالكلية التي استفادتها من عالم الحس فما حاجتها ان ترجع الى السجن ابعيد كما ان الصبي اذا استفاد العلوم في المكتب وكبر قدره وعظم وقعه لم يحتج الى ان يرجع الى المكتب في حال صباه فهو سبحانه لكمال فضله ورافته دفع هذه التسويلات النفسية ورفع هذه الشبهات الفلسفية بانه اماتت عزيرا مائة سنة وحماره معه ثم احياهما جميعا ليعلم ان الله تعالى مهما احيى عزيرا الروح حيي معه حمار الجسد كما ان عزيز الروح يكون عند الملك الجبار يكون حمار الجسد في جنات تجري من تحتها الانهار فلعزيز الروح مشرب من كؤوس تجلي صفات الجلال والجمال وسقيهم ربهم شرابا طهورا ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولحمار الجسد مرتع من الرياض ومشرب من الحياض فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قد علم كل اناس مشربهم شربنا واهرقنا على الارض قسطها وللارض من كاس الكرام نصيب ثم اكد حديث الحشر بقصة عن خليله عليه السلام وذلك قوله رَبِّ اَرِنِيْ كَيْفَ تُحْيِي الموتى فيفوح منه رائحة قول موسى رَبِّ اَرِنِيْ اَنْظُرْ اِلَيْكَ الا ان موسى لم يحفظ الادب في الطلب فرأى غيرة الغضب في التعب ودب بتاديب لن تراني الجاني وعرك بتعريك لن تراني وذلك انه كان صاحب شرب وكان الخليل صاحب ري وصاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح شعر شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت فلسكر موسى كان يبسط تارة مع الحق بقوله رَبِّ اَرِنِيْ اَنْظُرْ اِلَيْكَ ويعربد اخرى بقوله اِنْ هِيَ اِلَّا فِتْنَتُكَ ومن كمال صحو الخليل عارف قدمه في اداب العبودية في الحضور والغيبة فلا جرم اكرم اليوم بكرامة الشيبة اول ما شاب شيبة ابراهيم بحرمة غدا بالكسوة ان اول من يكسى ابراهيم ولما ابتلي في ماله فبذل للضيفان وابتلي بولده فاسلم وتله للجبين وابتلي في نفسه فاسلم للمنجنيق ابن كنعان وابتلي بجبرئيل فقال اما اليك فلا جرم اكرمه الله بالامامة اني جاعلك للناس اماما ومن امامته انه كان اول من دق باب طلب الحق وقال هذا ربي واول من سلك طريق الحق وقال اني ذاهب الى ربي واول من نطق بالمحبة وقال اني لا احب الآفلين واول من اظهر الشوق وقال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين واول من اظهر العداوة لغير المحبوب فانهم عدو لي الا رب العالمين واول من اشتاق فسئل الرؤية وقال رب ارني ولكن ما صرح ان شئنا فتلطف الرب بما يكون وقت سؤاله شعر ولست حديث العهد شوقا ولوعة حديث هواكم في حشاي قديم : ولكنه من حفظ اداب الاجلال كان لا يفتح على نفسه باب السؤال ويقول حسبي من سؤالي علمه بحالي الى ان ساقته التقدير الى حسن التدبير وسأله نمرود من ربك فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه رَبِّيَ الَّذِيْ يُحْيٖ وَيُمِيْتُ فقال نمرود هل رأيت منه ما تقول فوجد الخليل فرصة للمأمول فادرج في السؤال السؤال فاخفى سره وهو ادنى في علته وهو كيف تحيي الموتى وهو يعلم انه يعلم السر واخفى فاول باب فتح عليه من مقصوده ان اسمعه من كلامه بفضله وجوده قال اَوَلَمْ تُؤْمِنْ فكان في هذه الكلمة من اعجاز القرآن ثلثة معان مضمرة اولم تؤمن وقت ما امنت عند نمرود باني احيي واميت فما كان ايمانك حقيقيا اولم تؤمن لميعاد رؤيتي في الجنة فاريك ثمة اولم تؤمن بما طلبت من الاحياء مضمر في كل منها الاثبات في لفظة النفي فاجاب الخليل عن الاستفهامات الثلثة بلى بسر السري بلى امنت وكان ايماني حقيقيا ولكن ما كان مقصودي الايمان الا الايقان فانه حاصل ولا احياء الموتى فاني فارغ من الموتى واحيائهم ولكني سئلت ليطمئن قلبي بما تريد او بلى امنت بميعاد رؤيتك في الجنة ولكن ليطمئن قلبي برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق فاضطرب قلبي من غاية يقيني او بلى امنت بقدرتك على الاحياء ولكن ما سألتك عن الاحياء وانما سألتك عن كيفية الاحياء ففي ضمن ذلك يحصل مقصودي كما ان من له معشوق خياط وهو يريد مشاهدة معشوقه ويحتشم ان يقول ارني وجهك لانظر اليك لانه يعلم ان الدلال قرين الجمال وان العزة والحسن توأمان وفي مذهب الملاح الطلب رد والسبيل سد فيقول ارني كيف تخيط الثياب فكل صانع فاخر في صنعته يريد ان يرى جودة عمله فيحضر المعشوق عنده بلا حجاب هو يخيط الثوب فيقول انظر الى كيف خيطه فالعاشق ينظر بعلة الصنع الى الصانع ويحظى منه بلا مانع ودافع ويطمئن قلبه بذلك فالخليل لما اعتذر عن الجليل من اضطراب قلبه واضطراره حاله وتضرع بين يدي مولاه وهو الذي يجيب المضطر اذا دعاه وحقق رجاه وقال خذ اربعة من الطير الآية والمراد انك محجوب بك عني فبحجاب صفاتك عن صفاتي محجوب وبحجاب ذاتك عن ذاتي ممنوع فبها تموت عن صفاتك تحيى بصفاتي فاذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتي فخذ اربعة من الطير وهي الصفات الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي خمرت طينة الانسان منها فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينها وهو الماء تولدت الحرص والبخل وهما قرينان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها لتسكن اليها فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر وللشهوة اختصاص بزوج معين هي كالمعشوقة بين الصفات فتعلق بها كل صفة فهن الابواب السبعة للدركات السبع من جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعني من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار من ذلك الباب فامر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الاربعة طاوس البخل فلو لم يزين المال في نظر البخيل ما بخل به وغراب الحرص يكون من حرصه وديك الشهوة ونسر الغضب لترفعه في الطيران وهذه صفة الغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولداتها ما بقي له باب يدخل به النار فصارت النار عليه لما القي فيها بردا وسلاما والمبالغة في تقطيعهن ونتف ريشها وخلط اجزائها اشارة الى محو آثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها على يدي ابراهيم الروح بامر الشرع ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ الجبال الاربعة التي جبل الانسان عليها النفس النامية وهي النباتية والارواح الثلثة الحيواني والطبيعي والانساني الملكي فهذه الجبال كالاشجار



والزروع واجزاء الطبوخ كالتراب المخلوط بالزبل يجعل على الزروع فيتقوى كل واحد من هؤلاء بقوة واحد من اولئك فيربي بتربيتها ويتصرف فيها الروح الانساني فيجيبها بنور هو من خصايص ارواح الانسان فيكون تلك الصفات مينة عن صافها حيته باخلاق الروحانيات هذا الخواص الخلق الذي الغالب على احوالهم الروح واما خواص الخواص فلمن ادركته العناية كالخليل فالله تعالى بعد محو هذه الصفات يتجلى له بصفة المحي فيحيي هذه الصفات الفانية عن اوصافها بنور صفة المحبية فيكون العبد في تلك الحالة حيا بحيوته محببا بصفاته كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش كما ان اميا يقول للكاتب ربي كيف تكتب فيجعل الكاتب قلمه في يد الامي واخذ يده بيده ويكتب فيظهر الكتابة من يد الامي على الصحيفة ففي تلك الحالة يظن الامي انه صار كاتبا فيقول انا الكاتب كقوله شعر عجبت منك ومني فنيتني بك عني ؛ ادنيتني منك حتى ظننت انك اني ؛ فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامي فيعلم الامي انه امي والكاتب هو الكاتب فيستغفر عن ذنب حسبانه انه هو الكاتب والى هذه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك اي ذنب حسبان انك كاتب وانت مني امي عربي بما وصلت اليه ما وصلت الا بفضلنا وكان فضل الله عليك عظيما ثم ان الله تعالى تجلى لخليله بصفة واحدة وهي صفة المحي ليريه من اياته وهي كيفية الاحياء فقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج كما قال لقد راى من ايات ربه الكبرى والخليل طلب الرؤية لنفسه رب ارني والحبيب طلبها له ولامته ارنا الاشياء كما هي وذلك لعلو مرتبته وهمته ورفعته وكمال معرفته فلعلو همته قال ارنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء فان فيه مع رعاية الادب اخفاء المقصود فكان قول الخليل بالنسبة الى هذا تصريحا وان كان بالنسبة الى قول الكليم تعريضا وفيه ايضا طلب كمال الرؤية بجميع الصفات فان جميعها داخلة في الاشياء ولكمال معرفته طلب رؤية الاشياء وقال كما هي وهذا هو الملك الحقيقي الذي لا يكتنه كنهه ثم قيل للخليل واعلم ان الله عزيز اعز من ان يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على اسرار الامن يليق بذلك من مخلوقاته مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ

مثل آنهایی که خرج کنند مالهای خود را در راه خدا چون مانند دانه‌ایست که برویاند هفت خوشه که در هر خوشه صد

حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا

دانه باشد و خدا بیفزاید از برای آنکه خواهد و خدا محیط و داناست آنانکه خرج کنند مالهای خود را در راه خدا پس از پی در نیاورند آنچه را که خرج کرده اند

مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى

منت و نه آزاری مرایشان راست مزد ایشان نزد پروردگارشان نه ترسی بر ایشان است و نه ایشان اندوهناک شوند گفتار نیکو و آمرزش بهتر است از صدقه که در پی آن رنجی باشد

وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

و خدا بی نیاز و بردبار است ای گروهی که گرویده اید باطل مسازید صدقهای خود را بمنت نهادن و آزار کردن چون کسی که خرج کند مال خود را جهة نمایش بمردمان و نگرود بخدا

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

و روز واپسین پس مانند او مانند سنگی که بر روی آن خاکی باشد پس برسد او را بارانی پس بگذارد او را سنگ و توانا نباشند بر چیزی از آنچه کسب کردند و خدا راه نماید

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا

گروه کافران را و مانند آنانکه خرج کنند مالهای خود را از جهة خواهش خوشنودی خدا و از جهة پایداری نفسهای خود چون مانند بستانیست در بلندی که برسد او را

وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ

بارانی پس بدهد میوهای خود دو چندان پس اگر نرسد او را باران پس شبنمی و خدا بآنچه میکنید بیناست آیا دوست دارد یکی از شما که باشد مر او را بستانی از درختان خرما

وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ

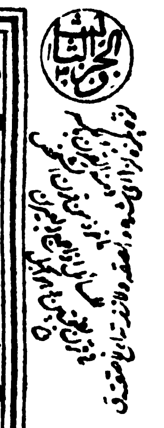
و انگورها که روان باشد از زیر آن جویها و مر او را باشد در آن از هر میوه پس برسد او را پیری و مر او را فرزندان کوچک باشد پس برسد او را بادتندی که در آن

نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ القراءة انبتت سبع بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف

آتش است پس بسوزد همچنین ظاهر کند خدا از برای شما نشانها را که شاید شما اندیشه نمایید هشام وسهل يضعف بالتشديد ابن عامر ويزيد ويعقوب ابن كثير لا يأتون يضاعف رئاء الناس غير مهموز حيث كان يزيد والشموني والخراعي عن ابن فليح وحمزة في الوقف لا يأتون بالهمزة الكافرين بالامالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابي حمدون وحمدويه وورش ورويس عن يعقوب وكذلك ما كان محله النصب من الاعراب كل القرآن بربوة بفتح الراء حيث كان ابن عامر وعاصم الباقون بضمها اكلها وبابه ساكنة الكاف ابن كثير ونافع وابو عمرو وفيما اتصلت بالهاء والالف بما يعملون بصير بالياء التحتانية ابو عون عن قنبل الباقون بالتاء للخطاب الوقوف مائة حبة ط لمن يشاء ط عليم عند ربهم ج لعطف المختلفين يحزنون اذى ط حليم والا اي لا للعلو كاف التشبيه اي ابطالا مثل ابطال الذي الاخر ط صلدا ط كسبوا ط الكافرين ضعفين ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واتحاد الكلام فطل ط بصير الانهار لا لان ما بعده صفة لجنة ايضا الثمرات لا لان الواو للحال ضعفاء من والوصل اولى والوقف على احترقت ط لنا هي مقصود الاستفهام والمعنى ايجب احدكم احتراق جنة صفتها كذا في حال كذا تتفكرون نصف السبع التفسير انه سبحانه لما ذكر من اصول المبدأ والمعاد ما اقتضاه المقام اتبعه ببيان التكاليف والاحكام قال القاضي في كيفية النظم انه تعالى لما اجمل في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة

فصل بعد ذلك بهذه الاية الاضعاف في ما ذكر من الايتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود الاله المثيب المعاقب بعد الحشر
لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كانه قال قد عرفت اني خلقتك واكملت نعمي عليك بالاحياء والاقدار وقد علمت قدرتي على
المجازاة فليكن علمك بهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه يجازي القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو من الواحد الى سبعمائة وعن
الاصم انه تع ضرب هذا المثل بعد ما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبي ليرغبوا في المجاهدة بالنفس والمال في نصرته واعلاء شريعته وقيل انه تع
لما بين انه ولي المؤمنين وان الكفار اولياؤهم الطاغوت بين مثل ما ينفق المؤمن في سبيل الله وما ينفق الكافر في سبيل الطاغوت قلت
لما بين صحة المعاد ولا بد له من زاد ولا يمكن التزود من الاموال التي يملكها العباد الا بالانفاق اتبعه احكامه فقال مثل الذين ولا بد من اضمار
ليصح التشبيه اي مثل صدقاتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة وسبيل الله دينه فقيل الجهاد وقيل جميع ابواب الخير والمنبت هو الله ولكن
الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان يخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب
لكل واحد سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف سواء وجدت في الدنيا سنبلة بهذه الصفة او لم توجد على انه قد يوجد في الجاورس والذرة و
غيرهما مثل ذلك وسبع سنابل مثل ثلثة قروء في اقامة جمع الكثرة مقام القلة والله يضاعف اي تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق
لتفاوت احوال المنفقين في الاخلاص او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستحق ذلك في مشيته والله واسع كامل القدرة على
المجازاة لانه فيضه غير متناه عليم بمقادير الانفاقات وبمواقعها ومصارفها وباخلاص صاحبها واذا كان الامر كذلك فلن يضيع عمل عامل
عنده ثم لما عظم امر الانفاق ردف ببيان الامور التي يجب رعايتها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك المن والاذى والمن قد يراد به الانعام قال
تع ولا تمنن تستكثر وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم ولهذا قيل صفوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وذلك لما فيه من
انكسار قلب الفقير ومن تنفير ذوي الحاجة عن صدقته ومن عدم الاعتراف بان النعمة نعمة الله والعباد عباده وان المعطي هو الله اذ كان العبد
في هذه الدرجة كان محروما عن مطالعة الاسباب الربانية الحقيقية وكان في درجة البهائم التي لا يتجاوز نظرهن من المحسوس الى المعقول ومن الاثار
الى المؤثرات واما الاذى فمنهم من حمله على اذى المؤمنين على الاطلاق والمحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو ان يتطاول على الفقير بما
انفق اليه يقول له لست الامير بها وما انت الا ثقيل وباعد الله ما بيني وبينك ومعنى ثم تراخي الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى
وان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما اولى لانهما نكرتان في سياق النفي لهم اجرهم وقال فيما يجيء فلهم اجرهم لان الموصول هاهنا لم يضمن معنى
الشرط وضمنه ثمة وفرق معنوي هو ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق سبب استحقاق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة ثم انه ذكر هنالك
الانفاق ثم على سبيل المواظبة والاستمرار فكان التاكيد بما يوجب الربط بينهما هنالك انسب لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي لا يخافون
فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما او المراد انهم يوم القيمة لا يخافون العذاب
ولا يحزنهم الفزع الاكبر ويعلم من قوله في سبيل الله ان قوله لهم اجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون ان المن والاذى من قبيل
الكبائر حيث يخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها احتجت المعتزلة بالاية من وجهين الاول ان العمل يوجب الاجر لقوله لهم اجرهم واجيب بان
ذلك بسبب الوعد لا بسبب نفس العمل الثاني ان الكبائر تحبط ثواب فاعلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين ثواب الانفاق واجيب بان الانفاق على تقدير المن والاذى لم
يترتب له ثواب اصلا فكيف يتصور رفع ما لم يوجد قول معروف يقبله القلوب ولا تنكره وذلك ان يرد السائل بطريق حسن وعدة حسنة ومغفرة عفو من
السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول لانه اذا رده بغير مقصوده فربما حمله ذلك على بذاءة اللسان وقيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل وعفو عن جهة السائل
بان يعذره المسؤول اذ رده ردا جميلا خير من صدقة يتبعها اذى لانه اذا اتبع الاعطاء الايذاء فقد جمع بين الانفاع والاضرار وربما لم يف ثواب
النفع بعقاب الضرر واما القول المعروف ففيه نفع من حيث ايصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فكان الاولى ومن الناس من خصص الاية بالتطوع
لان الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل فيه ورد بان الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير والله غني عن صدقة كل منفق فما وجه المن حليم
عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تع ضرب لكل واحد من المؤذي وغير المؤذي مثلا فقال يا ايها الذين امنوا لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى للفقير كالذي اي كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس وهو ان يرائي بعمله غيره ولا يريد به رضا الله وثواب
الاخرة ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فمثله الضمير اما ان يكون عائدا الى المنافق على انه تع شبه
المنافق بالحجر واما ان يعود الى المان المؤذي على انه شبهه بالمنافق ثم شبههما بالحجر والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر العظيم القطر والصلد الاجرد النقي
ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق وهذا المثل ضربه الله لعمل المان المؤذي ولعمل المنافق فان الناس يرون في الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا
الصفوان فاذا كان يوم القيمة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله تع ولم يؤت بها على وجه يستحق الثواب كما اذهب الوابل ما كان
على الصفوان من التراب واما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة اوجبت الاجر والثواب ثم ان المن والاذى ازالا ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط
والتكفير فعلى مذهبنا العمل كالتراب والمان المؤذي والمنافق كالصفوان ويوم القيمة كالوابل وعلى قولهم المن والاذى كالوابل وعن القفال ان عمل
المان مشبه بما اذا طرح بذرا في صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا اصابه مطر جود بقي مستودع بذره خاليا لا شيء فيه الا ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة

المان بالمرائي المنافق ثم شبه



فوق ربوة وعلى هذا فقوله لا يقدرون على شيء الضمير فيه عائد الى معلوم غير مذكور اى لا يقدر احد من الخلق على ترك ابتداء الملقى فى ذلك التراب الذى على الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به فكذا المان والمؤذى والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيمة وناهيك بكون المان والمنافق مقرونين فى قرن شناعة شان المن والاذى وقيل الضمير عائد الى الذى مالان من والذى متعاقبان فكانه قيل كمن ينفق واما لان المراد الفريق الذى واما لانه اشير بالذى الى الجنس والجنس فى حكم العام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تقدروا على شيء مما كسبتم فالتفت من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم والله لا يهدى القوم الكافرين معناه على قولنا سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة انه يضلهم عن الثواب وطريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله طلب المرضاته وتثبيتا من انفسهم قيل اى يوطنون انفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا من بعض انفسهم عند المؤمنين انها صادقة فى الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من البيان وقيل ان النفس لا ثبات لها فى موقف العبودية الا اذا صارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها امران الحيوة العاجلة والمال فاذا بذل ماله دون روحه معا فقد ثبتت نفسه كلها وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم واذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه فعلى هذا من للتبعيض ذكره فى الكشاف قال الزجاج تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم جازمين بان الله تعالى لا يضيع ثوابهم فمن على هذا للابتداء وجزمهم بالثواب هو المراد بالتثبيت وعن الحسن ومجاهد وعطاء المراد انهم يثبتون انفسهم تثبيتا فى طلب المستحق وصرف المال فى وجهه قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة يتثبت فان كان لله امضى وان خالطه شك امسك وقيل انه اذا انفق لاجل عبودية الحق لا لاجل غرض النفس وحظ من حظوظها فهناك اطمئن قلبه واستقرت نفسه ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه فذلك الاستقرار هو التثبيت ويحتمل ان يكون المراد به حصول ملكة الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق البحث والاتفاق فان الاخلاق ما لم تصر ملكات لصاحبها لم تكد تظهر على جوهر النفس صفاؤه ونوريتها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء فى زكاتها عند الله كمثل جنة وهى البستان وقرئ كمثل حبة بربوة بمكان مرتفع من ربا الشيء يربو اذا زاد وارتفع ومنه الربو لزيادة النفس والربا فى المال قيل وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا واعترض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ريعه لبعده عن الماء ويضربه الرياح كان الوهاد لكونها مصب المياه قلما يحسن ريعها فان البستان لا يصلح له الا الارض المستوية فالمراد بالربوة ارض طيبة حرة تنتفخ وتربو اذا نزل عليها المطر فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر دخلها وكمل شجرها كقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ومما يؤكد ما ذكرنا ان هذا المثل فى مقابلة المثل الاول فكما ان الصفوان لا يربو ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه فينبغى ان يكون هذه الارض بحيث تربو وتنمو فآتت اكلها اى ثمرها وما يؤكل منها ضعفين مثلى ما كان يعهد قيل مثلى ما يكون فى غيرها فان لم يصبها وابل فطل يصيبها ولا ينقص شيء من ثمرها الكرم منبتها او المراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من ان تثمر قل ام كثر وكذلك من اخرج صدقة لوجه الله لا يضيع كسبه قل ام كثر ويحتمل ان يمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم تزيد فى زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون من وجوه الانفاق وكيفيتها والاموال المعتبرة عليها بصير فيجازى بحسب النيات وخلوص الطويات ثم انه سبحانه رغب فى الانفاق المعتبر الجامع لشرائطه وحذر عن ضده بان ضرب مثلا اخر فقال ايود احدكم والهمزة للانكار البالغ اى لن يود وقرئ لجنات وقد وصف الله تعالى الجنة بثلاثة اوصاف الاول كونها من نخيل واعناب كان الجنة انما تكون منها لكثرتهما فيها الثانى تجرى من تحتها الانهار ولا شك ان ذلك يزيد فى رونقها وبهائها الثالث فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب اولا بالذكر لانهما اكرم الشجر واكثرها منافع قال فى الكشاف ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل ثم شرع فى بيان شدة حاجة المالك الى هذه الجنة فقال واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء وقرئ ضعاف اى صبيان واطفال فاصابها اعصار ريح تستدير فى الارض ثم تستطع نحو السماء كالعمود فيه نار فاحترقت اى الجنة ولا يخفى ان هذا المثل فى المقصود ابلغ الامثال فان الانسان اذا كان له جنة فى غاية الكمال وكان هو فى نهاية الاحتياج الى المال وذلك اوان الكبر مع وجود الاولاد الاطفال فاذا اصبح وشاهد تلك الجنة محترقة بالصاعقة فكم يكون فى قلبه من الحسرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج يوم القيمة فاذا اتبع الانفاق والمن والاذى كان ذلك كالاعصار الذى يحرق تلك الجنة ويورثه الحسرة والندامة التاويل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون ارواحهم وقلوبهم فى سبيل الله فلهم الله ومن اعطى تمرة الى فقير فاخذها الله بيمينه ويربيها كما يربى احدكم فلوه او فصيله حتى يكون اعظم من الجبل فمن اعطى قلبه الى الله فهو يربيه بين اصبعى جلاله حتى يصير اعظم من العرش بما فيه وان قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الحال بايثار صفاء الاوقات وفتوحات الخلوات على طلاب الحق وارباب الصدق للقيام بامورهم فى تشفى ما فى صدورهم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فبذلوا ليحصلوا وحصلوا لينفصلوا وانفصلوا ليتصلوا واتصلوا ليصلوا الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله فى طلبه لا فى طلب غيره من الثناء والجزاء انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على الله بان يقول عملت هذا العمل لاجلك فوجب لى عليك اجر ولا اذى بان يطلب من الله غير الله راى احمد خضرويه ربه فى المنام فقال له كل الناس يطلبون منى الا ابا يزيد فانه يطلبنى لهم اجرهم عند ربهم نزلهم فى مرتبة العندية عند مليك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بالله فى طلب المعروف ومغفرة له



وان لم يكن عنده ما يتصدق به خير له عند ربه من صدقة يتبعها من الجهل اذ ىٔ طلب غير الحق من الحق والله غنى عن غيره حليم لا يعجل بالعقوبة من يختار
فى الطلب غيره ولولا حلمه فما للتراب ورب الارباب يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض
ففيها نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن بطل حقوقه فى الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال ولو كان قصدك فى الصدقة
طلب الحق لما منت على الفقير بل كنت ممتنا منه من حيث صار سبب وصولك الى الحق ولهذا قال صلعم لولا الفقراء لهلك الاغنياء اى لم يجدوا سبيلا
الى الحق وفسر بعضهم اليد العليا بيد الفقير واليد السفلى بيد الغنى لان الفقير ياخذ منه الدنيا ويعطيه الاخرة كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن
بالله واليوم الاخر لانه لو كان مؤمنا بالله لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالاخرة لانفق للاخرة لا للناس فمثل المرائى كمثل صفوان عليه تراب
هو عمله فاصابه وابل هو وابل الرد فاغنى الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا مفلسا خائبا لا يقدرون على شئ مما كسبوا اليه وسلوا به الى الله والله
لا يهدى القوم الكافرين بنعمة طلبه وتوجه الحق مواهبه ولتوصله تثبيتا من انفسهم وتخليصا لقيامهم فى طلب الحق ومرضاته من حظوظ
نفسهم كمثل جنة هى قلب المخلص بربوة فى رتبة عالية عند الحق اصابها وابل الواردات الربانية فان لم يصبها وابل فطل الالهامات فاتت
اكلها ضعفين ضعف من نعيم الجنة وضعف من دولة الوصال وشهود ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الله تعم كما يعطى
اهل الاخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية ولا يعطى اهل الدنيا نصيبا من الاخرة فكذلك يعطى اهل الله نصيبا من الاخرة بالتبعية ولا يعطى اهل
الاخرة ما لاهل الله من القربة والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضات او لاستيفاء اللذات واستيفاء الحيوة ثم
ضرب مثلا لروح الانسان وقلبه بجنة له فيها من كل الثمرات اذ خلق فى احسن تقويم مستعد الجميع الكرامات مشرفا بعلم الاسماء منورا بانوار العقل والحواس
السليمات متوحدا بحمل الامانة متفردا برتبة الخلافة فجنته هى منظور نظر العناية تجرى من تحتها الانهار الهداية واصاب لصاحبها ضعف الانسانية
وله ذرية ضعفاء من متولدات القوى البشرية فى غاية الافتقار الى التربية باغذية ثمراتها فاصابها اعصار من اعمال البر فيه نار من الرياء و
النفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية بالنفسية والملكية بالشيطانية كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون فى احسانه معكم باينا الاستعداد الفطرى فلا تبطلوه بقبيح فعالكم ولا تضيعوا اعماركم فى طلب امالكم واستعدوا للموت قبل حلول
اجالكم والله المستعان وهو حسبى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا

ای زمره گروندگان خرج کنید از پاکیزهای آنچه کسب کردید واز آنچه برون آوردیم از برای شما از زمین وقصد مکنید

الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد الشيطان يعدكم الفقر و

ناپاکیزه را از ان خرج کنید وحال آنکه نیستید گیرندهٔ آن مگر که چشم پوشانید دران وبدانید که خدا بی نیاز ستوده است شیطان بترساند شما را از فقر و

يأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد

وادار دشما را بناشایسته وخدا وعده کند شما را آمرزش از او وزیادتی وخدا محیط داناست وبدهد حکمت را بآنکه خواهد وهرکه داده شود حکمت پس

اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين

داده شده خوبی بسیار ومتذکر نشوند مگر صاحبان خرد وآنچه خرج کردید از مخارج یا نذر کردید شما از نذرها پس بدرستی که خدا میداند او را ونیست

من انصار ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله

از یاوری اگر ظاهر سازید صدقها را پس خوبست آن واگر پنهان دارید آنرا وبدهید آنرا بفقرا پس آن بهترست مر شما را وبر دارد از شما گناهان شما را وخدا

بما تعملون خبير ليس عليك هديهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء

بآنچه میکنید با خبرست نیست بر تو هدایت ایشان ولکن خدا راهنما بد آنرا که خواهد وآنچه انفاق کنید از مال پس مر نفسهای شما راست وآنچه خرج کنید مگر بجهة خواستن

وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون

رضای خدا وآنچه خرج کنید از مال تمام باز داده شود بسوی شما وشما ستمکرده نشوید مر درویشان راست آنان که باز داشته شدند در راه خدا نتوانند

ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله

رفتن در زمین را پندارد ایشان بیخبر مالداران از خودداری میشناسی ایشانرا بعلامتها سؤال نکنند مردم را بالحاح وآنچه خرج کنید از خوبی پس بدرستی که خدا

به عليم الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

بان داناست آنانکه خرج کنند مالهای خود را در شب وروز در پنهانی وآشکارا پس برای ایشانست مزد ایشان در نزد پروردگار ایشان ونیست ترسی بر ایشان ونه ایشان اندوهناک شوند

القراءة ولا تيمموا بتشديد التاء ومد الالف البزى وابن فليح الباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب اى من يؤتيه الله الباقون بالفتح
فنعما هى ساكنة العين ابو عمرو والمفضل ويحيى وابو جعفر ونافع غير ورش فنعما هى بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلى وحمزة وخلف والخزاز الباقون فنعما
بكسر النون والعين والميم مشددة فى القراءات ونكفر بالنون والراء ساكنة ابو جعفر ونافع وحمزة وخلف وعلى ويكفر بالياء والراء مرفوعة ابن عامر
وحفص والمفضل الباقون ونكفر بالنون ورفع الراء يحسبهم بابه بفتح السين ابن عامر ويزيد وعاصم غير الاعشى وهبيرة بسيماهم بالامالة حمزة وعلى

افبل على الباطل فقد

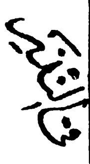
ع

ابن شاذان عن خلاد مخيرا وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على ميزان فعلى الوقوف من الارض ن لعطف المتعففين تغمضوا فيه ط حميد ٥ بالفحشاء ج
وان اتفقت الجملتان ولكن للفصل بين تخويف الشيطان الكاذب ووعد الله الحق الصادق وفضلا ط عليم ٥ وقد يوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء ج
لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت بالكسر فالوصل اجوز كثيرا ط الالباب ٥ يعلمه ط انصار ٥ فنعما هي ج خير لكم ط لمن قرأ ونكفر مرفوعا بالنون
او الياء على الاستئناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم لم يقف سيئاتكم ط خبير ٥ من يشاء ط لابتداء الشرط فلانفسكم ط لابتداء النفي
وجه الله ط لا يظلمون ٥ في الارض ز لان يحسبهم وان صلحت حالا ابعد حال نظما ولكن لا يليق بحال من احصر التعفف ج لان تعرفهم يصلح استئنافا
والحال وجواب يحسبهم الجاهل اغنياء وانت تعرفهم بحقيقة ما في بطونهم من الضر وهم لا يسئلون الناس على الحال وقد يجعل لا يسئلون استئنافا
فيجوز الوقف على بسيماهم الحافا ط عليم ٥ عند ربهم ج يحزنون ٥ التفسير لما رغب في الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك و
شرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك ان المال الذي امر بانفاقه في سبيل الله كيف يجب ان يكون فقال
انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا اي من طيبات ما اخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن ان المراد من هذا الانفاق الفرض
بناء على ان مطلق الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكوة وساير النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روي عن علي ع والحسن ومجاهد ان بعض
الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضعه
في الصدقة لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله صلعم فقال النبي ع بئسما صنع صاحب هذا فنزلت وقيل يشمل الفرض والنفل
لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط ويتفرع على قول الوجوب وجوب الزكوة في كل مال يكتسبه الانسان فيشمل زكوة التجارة
وزكوة الذهب والفضة وزكوة النعم وزكوة كل ما ينبت من الارض الا ان العلماء خصصوها بالاقوات لما روي انه ع قال الصدقة في اربعة
في التمر والزبيب والحنطة والشعير وليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر ينفي الزكوة في غير الاربعة لكن ثبت اخذ الزكوة من الذرة وغيرها بامر رسول الله ع
فعلم وجوب الزكوة في الاقوات دون غيرها ولا يكفي في وجوب الزكوة كون الشيء مقتاتا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة
ومثله الشافعي بالقت وحب الحنظل وساير البذور البرية وشبهها ببقرة الوحش لا زكوة فيها لان الناس لا يتعهدونها وايضا لا يجب الزكوة
في القوت ما لم يبلغ خمسة اوسق وبه قال مالك واحمد لرواية ابي سعيد الخدري ان النبي ع قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وقال ابو حنيفة
يجب العشر في القليل والكثير استدلالا بعموم الاية وتفصيل الكلام في الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منها فهو مذكور في الفروع
فلذلك لم نطول الشرح فيها وما المراد بالطيب في الاية قيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الردي لما مر في سبب النزول انهم كانوا يتصدقون بر
ذالة اموالهم فنهوا عن ذلك ولان المحرم لا يجوز اخذه بالاغماض وبغيره والاية دلت على جواز اخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود
ومجاهد ان الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى ولستم باخذيه وانتم تعلمون
انه محرم الا ان ترخصوا لانفسكم اخذ الحرام ولا تبالوا من اي وجه اخذتم المال من حلاله او من حرامه ويحتمل ان يراد بهما ان يكون طيبا من جميع
الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة ايضا لان الاستطابة قد يكون شرعا وقد يكون عقلا واعلم ان المال الزكوي ان كان كله شريفا
وجب ان يكون الماخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلافا للاية لان الماخوذ في هذه الحالة لا
يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان في المال جيد وردي فحينئذ يقال للانسان لا يجعل الزكوة من ردي ماله ولا يكلف ان يعطي جيده
لقوله ع لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن اعلمهم ان عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم واياك وكرائم اموالهم بل الواجب هو
الوسط ثم ان قلنا المراد من الانفاق في الاية التطوع او هو والفرض جميعا فالمعنى ان الله تع ندبهم الى ان يتقربوا اليه بافضل ما يملكونه قضاء
لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى لا تيمموا الخبيث لا تقصدوه يقال تيممه وتأممه كلاهما بمعنى قصده ومحل تنفقون نصب على الحال وقدم منه عليه
ليعلم ان المنهي عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه اذا كان في المال طيب وخبيث ويحتمل ان يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم
ابتداء مستفهما بطريق الانكار فقال منه تنفقون وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا بالاغماض وهو غض البصر واطباق جفن على جفن
واصله من الغموض وهو الخفاء يقال للبايع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر واصله ان الانسان اذا رأى ما يكره اغمض عينيه لئلا يرى
ذلك فكثر حتى جعل كل مسامحة اغماضا اي لو اهدي لكم مثل هذه الاشياء لما اخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لها لا ترضونه
لانفسكم ويحتمل ان يراد الا اذا اغمضتم بصر البايع اي كلفتموه الحط من الثمن عن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه
واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد محمود على ما انعم من البيان والتكليف بما تحوزون به النعيم الابدي وحامد شاكر على انفاقكم كقوله فاولئك
كان سعيهم مشكورا ثم ان الله تع لما رغب في اجود ما يملكه الانسان ان ينفق حذر عن وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر اما
الشيطان فيشمل ابليس وجنوده وشياطين الانس والنفس الامارة بالسوء والوعد يستعمل في الخير والشر قال تع النار وعدها الله الذين كفروا ويمكن
ان يكون استعماله في الشر محمولا على التهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم واصل الفقر في اللغة كسر الفقار وقرئ الفقر بضمتين والفقر بفتحتين ويامركم
بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق ان لكل خلق طرفين ووسطا فالطرف الكامل

للانفاق



للانفاق هو ان يبذل كل ماله فى سبيل الله والطرف الاخس ان لا ينفق شيئا الا الجيد وفى الردى والوسط ان يبخل بالجيد وينفق الردى فالشيطان اذا اراد نقله من الافضل الى الاخس فمن خفى حيلته ان يجره الى الوسط وهو وعده بالفقر ثم الى الطرف وهو امره بالفحشاء وذلك ان البخل صفة مذمومة عند كل احد فلا يمكنه ان يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة هى التخويف بالفقر اذا انفق الجيد من ماله فاذا اطاعه زاد فيمنعه من الانفاق بالكلية وربما تدرج الى ان يمنع الحقوق الواجبة فلا يؤدى الزكوة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه ويتسع الخرق فيقدم على المعاصى كلها ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان اردفها بذكر الهامات الرحمن فقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالمغفرة اشارة الى منافع الاخرة والفضل اشارة الى ما يحصل فى الدنيا من الخلف عن النبى ان الملك ينادى كل ليلة اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا فالشيطان يعدكم الفقر فى غد الدنيا والرحمن يعد المغفرة فى غد العقبى ووعد الرحمن بالقبول اولى لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه وغد العقبى مقطوع به وعلى تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بافة اخرى وعند وجدان العقبى لا بد من حصول المغفرة فان الله تعالى لا يخلف الميعاد ولو فرض بقاء المال فقد لا يتمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف او مرض او هم بخلاف الانتفاع بما فى الاخرة فانه لا مانع منه وبتقدير التمكن من الانتفاع بالمال فان ذلك ينقطع ويزول بخلاف الموعود فى الاخرة فانه باق لا يزول وايضا لذات الدنيا مشوبة بالالام والمضار البتة فلا لذة الا وفيه الم من وجوه كثيرة بخلاف لذات الاخرة فانه لا نغص فيها ولا نقص وفى المغفرة تكفير الذنوب وفى التنكير فيه الدلالة على الكمال والتعظيم ولا سيما وقد قرن به لفظة منه فانه غاية كرمه ونهاية وجوده مما يعجز عن ادراكها عقول الخلائق ويحتمل ان يكون نوعا من المغفرة وهو المشار اليه فى اية اخرى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وان يجعل شفيعا فى غفران ذنوب اخوانه المؤمنين واما الفضل فيحتمل ان يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهى ملكة الجود والسخا وذلك ان المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجى وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية فمتى لم يحصل الانفاق حصل الكمال الخارجى والنقصان الداخلى واذا حصل الانفاق وجد الكمال الداخلى والنقصان الخارجى فيكون الانفاق اولى وافضل وايضا متى حصلت ملكة الانفاق زالت عن النفس هيئة الاشتغال بنعيم الدنيا والتهالك فى طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وايضا مهما عرف من الانسان انه منفق كانت الهمم معقودة على ان يفتح الله عليه ابواب الرزق ولمثل ذلك من التاثير ما لا يخفى والله واسع كامل العطاء كافل الخلف قادر على انجاز ما وعد عليم يحال من ينفق تقربا بوعده ويحال من لم ينفق طاعة للشيطان ثم نبه على الامر الذى لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما ترجحه الشهوة والنفس عن مقاتل ان تفسير الحكمة فى القران على اربعة اوجه احدها مواعظ القران وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم واتيناه الحكم صبيا ولقد اتينا لقمن الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة واتاه الله الملك والحكمة ورابعها القران بما فيه من الاسرار يؤتى الحكمة من يشاء وجميع هذه الوجوه عند التحقيق يرجع الى العلم فتامل يا مسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قل متاع الدنيا قليل وذلك ان الدنيا متناهية العدد متناهية المقدار متناهية المدة والعلم لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمدة بقائها والسعادات الحاصلة منها واعلم ان كمال الانسان فى شيئين ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فمرجع الاول الى العلم والادراك المطلق ومرجع الثانى الى فعل العدل والصواب لذلك سئل ابرهيم رب هب لى حكما وهو الحكمة النظرية والحقنى بالصالحين وهو الحكمة العملية ونودى موسى انى انا الله لا اله الا انا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدنى وهو العملية وحكى عن عيسى انه قال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت وكلها النظرية واوصانى بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا وجميعها العملية وقال فى حق محمد فاعلم انه لا اله الا الله وهو النظرية ثم قال واستغفر لذنبك وهو العملية وقال فى حق جميع الانبياء ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا وانه الحكمة العلمية ثم قال فاتقون وهو الحكمة العملية فعلم من هذه الايات وامثالها ان كمال حال الانسان فى هاتين القوتين والحكمة فعلة من الحكم كالنحلة من النحل ورجل حكيم اذا كان ذا حجى ولب واصابة راى وفعيل بمعنى فاعل ويجىء بمعنى مفعول فيها يفرق كل امر حكيم اى محكوم وفى الاية دليل على ان جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية بما هى بايتاء الله تعالى والذين حملوا الايتاء على التوفيق والاعانة كالمعتزلة ما زادوا الا ان وسعوا الدائرة اذ لا بد من الانتهاء اليه نه سلكوا وما يذكر الا اولوا الالباب الذين اذا حصل لهم الحكم والمعارف لم يقفوا عند المسببات فلم ينسبوا هذه الاحوال الى انفسهم بل يرقون الى اسبابها حتى يصلوا الى السبب الاول واما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم ووضع الدلائل قالوا هذه الحكمة لا تفيد بنفسها وانما ينتفع بها المرء اذا تدبر وتذكر فعرف ما له وما عليه عند ذلك تقدم او تحجم ثم انه تعالى نبه على انه عالم بما فى قلب العبد من نية الاخلاص او الرياء وانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب على تلك الدواعى والنيات فلا يهمل شيئا منها فقال وما انفقتم من نفقة لله او للشيطان او نذرتم من نذر فى طاعة الله او معصيته فان الله يعلمه وتذكير الضمير اما لانه عائد الى ما واما لانه عائد الى الاخير كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وهذا قول الاخفش والنذر ما يلزمه الانسان بايجابه على نفسه واصله من الخوف كانه يعقد على نفسه خوف التقصير فى الامر المهم عنده ومنه الانذار ابلاغ مع تخويف واعلم ان النذر قسمان نذر اللجاج والغضب ونذر التبرر اما الاول فهو ان يمنع نفسه من الفعل او يحثه عليه بتعليق التزام قربة بالفعل والترك كقوله ان كلمت فلانا او فعلت كذا او دخلت الدار او لم اخرج من البلد فلله على صوم شهر او صلوة او حج او اعتاق رقبة ثم انه اذا كلمه





ودخل او لم يخرج فللعلماء ثلثة اقوال احدها يلزمه الوفاء بما التزم والثاني وهو الاصح ان عليه كفارة يمين لما روي انه صلعم قال كفارة النذر كفارة يمين والثالث
التخيير بين الوفاء وبين الكفارة واما نذر التبرر فنوعان نذر المجازات وهو ان يلتزم قربة في مقابلة حدوث نعمة واندفاع نقمة مثل ان شفى الله مريضي او
رزقني ولدا فلله علي ان اعتق رقبة او اصوم او اصلي كذا فاذا حصل المعلق عليه لزمه الوفاء بما التزم لقوله صلعم من نذر ان يطيع الله فليطعه ونذر التبرر وهو ان
يلتزم ابتداء غير معلق على شيء كقوله لله علي ان اصوم او اصلي او اعتق فالاصح انه يصح ويلزم الوفاء به لمطلق الخبر وما يفرض التزامه بالنذر اما المعاصي
واما الطاعات واما المباحات فالمعاصي كشرب الخمر والزنا ونذر المرأة صوم ايام الحيض ونذر قراءة القرآن في حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لانه لا نذر
في معصية الله تع ومن هذا القبيل نذر ذبح الولد او ذبح نفسه واذا لم ينعقد نذر فعل المعصية فعليه ان يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روي انه
قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين محمول على نذر اللجاج واما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوة الخمس وصوم رمضان لا معنى
لالتزامها بالنذر معلقا او غير معلق وكذا لو نذر ان لا يشرب الخمر ولا يزني واذا خالف ما ذكره فلا يلزمه الكفارة على الاصح واما غير الواجبات فالعبادات
المقصودة وهي التي وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق بايقاعها عبادة فيلزم بالنذر وذلك كالصوم والصلوة والصدقة و
والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات التي يحتاج فيها الى معاناة تعب وبذل مال كالجهاد وتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين وفي الصلوة
على الجنازة والامر بالمعروف وما ليس فيه بذل مال وكثير مشقة الاظهر اللزوم ايضا وكما يلزم اصل العبادات بالنذر يلزم رعاية الصفة المشروعة فيها
اذا كانت من المحبوبات كالصلوة بشرط طول القراءة او الركوع او السجود او الحج بشرط المشي اذا جعلناه افضل من الركوب هو الاصح ولو افرد الصفة بالالتزام
والاصل واجب كتطويل الركوع والسجود والقراءة في الفرائض فالاشبه اللزوم لانها عبادات مندوب اليها واما الاعمال والاخلاق المستحسنة كعيادة
المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها ايضا بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وقد رغب
الشارع فيها واما المباحات التي لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها او تركها لم ينعقد نذره روي ان النبي صلعم راى رجلا
قائما في الشمس فسأل عنه فقالوا نذر ان لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال صلعم مروه فليتكلم وليستظل وليتم صومه ولو قال لله علي نذر من غير
تسميته لزمه كفارة يمين لقوله صلعم من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات
او ينفقون اموالهم في المعاصي وللرياء او لا يفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه وانما لا ارجع انصار
كاصحاب في صاحب جمع نصير كاشراف في شريف وقد يتمسك المعتزلة بهذا في نفي الشفاعة لاهل الكبائر فان الشفيع ناصر ورد بان الشفيع في العرف
لا يسمى ناصرا والا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله ولا يقبل منها شفاعة تكرارا وايضا ان هذا الدليل النافي عام في حق كل الظالمين وفي كل
الاوقات والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض وفي بعض الاوقات والخاص مقدم على العام وايضا اللفظ لا يكون قاطعا في الاستغراق بل ظاهرا
على سبيل الظن القوي فصار الدليل ظنيا والمسئلة ليست ظنية فكان التمسك به ساقطا سألوا رسول الله صلعم اصدقة السر افضل ام صدقة العلانية
فنزلت ان تبدوا الصدقات والتركيب موضوع للصحة والكمال ومنه فلان صادق المودة وهذا خل صادق الحموضة وصدق فلان في خبره
اذا اخبره على وجه الصحة والكمال ومنه الصداق لان عقد النكاح به يتم ويكمل والزكوة صدقة لان المال بها يصح ويبقى وبها يستدل على صدق العبد
كماله في ايمانه فنعما هي من قرأ بسكون العين فمحمول على انه وقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس والا لزم التقاء الساكنين على غير حده ومثله
ما يروى في الحديث انه صلعم قال لعمرو بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح بسكون العين ومن قرأ بكسر النون والعين فلتحصيل المشاكلة و
من قرأ بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة نعم الساعون في الامر المبر قال سيبويه ما في تأويل الشيء اي نعم الشيء هي وقال ابو علي الجبائي تمام
ان يقال ما في تأويل شيء لان ما ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة بقيت بلا صلة فان هي مخصوص بالمدح فالتقدير نعم شيئا ابداء الصدقات
فحذف المضاف للدلالة او نعم شيئا تلك الصدقات وتلك الخصلة وهي الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع لقوله تع وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاخفاء في صدقة التطوع افضل كما ان الاظهار في الزكوة افضل اما الاول فلان ذلك اشق على النفس
فيكون اكثر ثوابا ولانه ابعد عن الرياء والسمعة قال صلعم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته لا شك انه يطلب السمعة
والمعطي في ملاء من الناس يطلب الرياء وقد بالغ قوم في الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم الآخذ فبعضهم كان يلقي الصدقة في يد اعمى وبعضهم يلقيها
في طريق الفقير او في موضع جلوسه بحيث يراها ولا يرى المعطي وبعض يشدها في ثوب الفقير وهو نائم وبعض يوصل الى الفقير على يد غيره وقال صلعم
افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال ايضا ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل
من السر والعلانية وكتب في الرياء وقال صلعم صدقة السر تطفئ غضب الرب واما ثانيا فلان في الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف وربما انكر
الناس على الفقير اخذ تلك الصدقة لظن الاستغناء به فيقع الفقير في المذمة والناس في الغيبة ولان في الاظهار اذلالا للآخذ واهانة له واذلال
المؤمن من غير جائز ولان الصدقة كالهدية وقال صلعم من اهدي اليه هدية وعنده قوم فهم شركاء فيها وربما لا يدفع الفقير اليهم شيئا فيقع في حيز
اللوم والتعنيف نعم لو علم انه اذا اظهرها اقتدى غيره به ولم يبعد الحال ان يكون الاظهار افضل وروى ابن عمر انه صلعم قال السر افضل من العلانية
والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء واعلم ان الانسان اذا اتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفي نفسه شهوة ان يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع تلك



الشهوة فههنا الشيطان يرد عليه كرة بعد اخرى والخلق والنفس والقلب يتكرر فيه فهذا الانسان في محاربة الشيطان فيكون اخفاؤه يفضل علانيته سبعين ضعفا
كما روى عن ابن عباس صدقات السر في التطوع يفضل علانيتها سبعين ضعفا ثم ان الله تعالى عباداً راضوا انفسهم حتى من الله عليهم بانوار هدايته
وذهب عنهم وساوس النفس لان الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم في بحار عظمة الله فلم يحتاجوا الى المجاهدة فاذا اعلنوا بالعمل رادوا ان
يقتدي بهم غيرهم فهم كاملون في انفسهم ويسعون في تكميل غيرهم كما قال تعالى وممن خلقنا امة يهدون بالحق واجعلنا للمتقين اماما فهؤلاء ائمة الهدى
واعلام الدين وسادة الخلق بهم يقتدى في الذهاب الى الله واما ان الاظهار في اعطاء الزكوة افضل فلان الله امر الائمة بتوجيه السعاة لطلب
الزكوات وفي دفعها الى السعاة اظهارها ولانه ينفي التهمة ولهذا ما روي انه صلى الله عليه وسلم كان اكثر صلوته في البيت الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة الفريضة
علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكي ممن لا يخفى يساره فان لم يعرف باليسار كان الاخفاء له افضل ولا سيما اذا خاف
الظلمة ان يطمعوا في ماله وعن بعضهم ان معنى قوله خير لكم انه في نفسه خير من الخيرات كما يقال الثريد خير من الله وانما قيل وتؤتوها الفقراء لان المقصود
من بعث المتصدقات ان يتحرى موضع الصدقة فيصير عالما بالفقراء مميزا لهم عن غيرهم فاذا تقدم منه هذا الاستظهار ثم اخفاها حصلت الفضيلة
فلهذا اشرط في الاخفاء ان يحصل معه ايتاء الفقراء واما في الابداء فقلما يخفى حال الفقير فلهذا لم يصرح بالشرط ونكفر عنكم من قرأ بالنون مرفوعا
فهو عطف على محل ما بعد الفاء لان الاصل في الشرط والجزاء ان يكونا فعلين فاذا وقع الجزاء فعلا مضارعا مع الفاء كان خبر مبتدأ محذوف فقوله
فهو خير في تأويل فيكون خيرا لكم ونكفر بالرفع عطف عليه ويحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر وان يكون جملة من فعل وفاعل مستأنفة
ومن قرأ بالجزم فهو عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط كانه قيل وان تخفوها تكن اعظم اجرا واما من قرأ ويكفر بياء الغيبة مرفوعا
فالاعراب كما مر في النون والضمير لله وللاخفاء وقرئ وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والضمير للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان و
معناه وان تخفوها يكن خيرا لكم وان نكفر عنكم خيرا لكم والتكفير في اللغة الستر والتغطية ومنه كفر عن يمينه اي ستر ذنب الحنث وقوله من سيئاتكم يحتمل
ان يكون من للتبعيض لان السيئات كلها لا تكفر وانما تكفر بعضها ثم ابهم الكلام في ذلك البعض لانه بيانه كالاغراء على ارتكابها واحسن حوال العبد
ان يكون بين الخوف والرجاء ويحتمل ان يكون للتعليل اي من اجل سيئاتكم كما لو قلت ضربتك من سوء خلقك اي من اجل ذلك وقيل انها زائدة
والله بما تعملون خبير كانه ندب بهذا الكلام الى الاخفاء الذي هو ابعد من الرياء عن الكلبي انه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وكانت معه
اسماء بنت ابي بكر فجاءتها امها قتيلة وجدتها تسئلانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما لستما على
ديني فاستأمرته في ذلك فانزل الله تعالى ليس عليك هديهم فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها ان تتصدق عليهما فاعطتهما ووصلتهما قال الكلبي
ولها وجه آخر وذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفعونهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم
وارادوهم ان يسلموا واستأمروا رسول الله فنزلت فاعطوهم بعد نزولها وعن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا الا على اهل دينكم
فانزل الله ليس عليك هديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا على اهل الاديان وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك
والعلماء اجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكوة الى غير المسلم فيكون الاية مخصوصة بالتطوع وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه
غيره ومعنى الاية ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم
وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان شديد الحرص على ايمانهم فاعلمهم الله تعالى انه بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله ومبينا للدلائل فاما كونهم مهتدين فليس ذلك
منك ولا بك فالهدى ههنا بمعنى الاهتداء فسواء اهتدوا او لم يهتدوا فلا تقطع معونتك وبرك وصدقتك عنهم وفيه وجه آخر ليس عليك ان تلجئهم
الى الاهتداء بواسطة توقيف الصدقة على ايمانهم فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا واختيارا
ولكن الله يهدي من يشاء اثبات للهداية التي نفاها اولا لكن المنفي اولا هو الهداية اي الاهتداء على سبيل الالجاء وهذا الثاني ومنه يعلم
ان الاهتداء الاختياري واقع بتقدير الله تعالى وتخليقه وتكوينه وهذا التفسير هو المناسب لسبب النزول وفي الكشاف ان المعنى لا يجب عليك
ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي
من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه ثم ظاهر قوله ليس عليك هديهم انه خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به هو وامته لان ما قبله
عام ان تبدوا الصدقات وما بعده عام وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم ثوابه فليس يضركم كفرهم ولا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم
بالتطاول عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله اي لستم في صدقتكم على اقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله من صلة رحم وسد خلة
مضطر فقد علم الله هذا من قلوبكم وقيل خبر في معنى نهي اي لا تنفقوا الا لله وقيل معناه لا تكونوا منفقين مستحقين لهذا الاسم المفيد للمدح حتى تبتغوا
وجه الله وقيل ليست نفقتكم الا لطلب ما عند الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وفائدة اقحام الوجه انك اذا
قلت فعلته لوجه زيد كان اشرف من قولك فعلته له لان وجه الشيء اشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به عن الشرف مطلقا وايضا قول القائل فعلت هذا
الفعل له يحتمل الشركة وان يكون قد فعله لاجله ولغيره اما اذا قال فعلت لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا وما تنفقوا من خير يوف اليكم جزاؤه في الاخرة
اضعافا مضاعفة وانما حسن قوله اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا ثم لما بين انه

يجوز صرف الصدقة الى فقير كان اراد ان يبين ان اشد الناس استحقاقا من هو فقال للفقراء اي ذلك الانفاق لهؤلاء الفقراء كما لو تقدم ذكر رجل فيقول عاقل لبيب اي ذلك الذي مر وصفه عاقل لبيب وقيل اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقون للفقراء او المراد صدقاتكم للفقراء قيل نزلت في فقراء المهاجرين وكانوا نحوا من اربعمائة رجل وهم اصحاب الصفة لم يكن لهم سكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين للمسجد يتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون في كل غزوة فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى عن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي ثم انه تعالى وصف هؤلاء الفقراء بخمس صفات الاولى قوله الذين احصروا في سبيل الله اي حصروا انفسهم ووقفوا على الجهاد في سبيل الله لان سبيل الله مختص بالجهاد في عرف القرآن ولان وجوب الجهاد في ذلك الزمان كان آكد فكانت الحاجة الى من يحبس نفسه للمجاهدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد فوضع الصدقة فيهم يكون اوقع سد الخلتهم وتقوية لقلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب واختاره الكسائي ان هؤلاء قوم اصابتهم جراحات في الغزوات فاحصرهم المرض والزمانة وعن ابن عباس هؤلاء قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد فعذرهم الله الثانية لا يستطيعون ضربا في الارض اي سيرا فيها وذلك اما لاشتغالهم بالعبادة او بالجهاد فلا يفرغون للكسب والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر واما لان مرضهم وعجزهم يمنعهم منه الثالثة يحسبهم يظنهم الجاهل بحالهم من لم يختبر امرهم اغنياء من التعفف من اجل تركهم المسئلة واظهارهم التجمل تكلفا منهم التعفف اظهار العفة وهي ترك الشيء والكف عنه الرابعة تعرفهم اي انت يا محمد او كل احد بسيماهم والسيما والسيمياء العلامة التي يعرف بها الشيء من السمة العلامة فوزنه عفلى قال مجاهد سيماهم التخشع والتواضع الربيع والسدي اثر الجهد من الجوع والفقر الضحاك صفرة الوانهم من الجوع ابو زيد رثاثة ثيابهم وقيل الهيئة في العيون وقيل اثار الفكر روي انه صلى الله عليه وسلم كان كثير الفكر الخامسة لا يسئلون الناس الحافا اي الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطى والتركيب يدل على الستر كانه لزم المسئول لزوم الساتر للمستور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف قيل معنى الآية انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحفوا واورد عليه انه ينافي التعفف الذي وصفوا به قبل فالوجه ان يراد نفي السؤال والالحاف جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي ضب لا انجحار ليكون موافقا لوصفهم بالتعفف فائدة الكلام التنبيه على سوء طريقة الملحف كما اذا حضر عندك رجلان احدهما عاقل وقور والآخر طياش خفيف واردت ان تمدح احدهما وتذم الآخر قلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بخواص ولا مهذار لم يكن غرضك من قولك ليس بخواص ولا مهذار وصفه بذلك لان ما تقدم من الاوصاف الحسنة يغني عنه بل غرضك التنبيه على سوء طريقة الثاني وقيل معناه انه لا يكون السؤال الا بالحاح شديد منهم على انفسهم لشدة حاجتهم كقوله تعالى فقل وقولا له اذا ما تنازعني لعلي او عسى وقيل ان عدم السؤال بطريق الالحاف يتضمن نفي السؤال عنهم راسا لان كل سائل فلا بد ان يلح في بعض الاوقات كانه يقول ذا ارقت ماء وجهي فلا ارجع بغير مقصود وقيل لعل الساكت عن السؤال يظهر من نفسه امارات الحاجة فيكون في حال سكوته انطق مما يكون في رقة القلوب فالمراد انهم وان سكتوا عن السؤال لكنهم لا يضمون الى ذلك السؤال من رثاثة الحال واثار الانكسار ما يقوم مقام السؤال فان ذلك نوع الحاف بل يتجملون للخلق بحيث لا يطلع على سرهم غير الخالق وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفتح احد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله لان يأخذ احدكم حبلا يحتطب به فيبيعه بمد من تمر خير له من ان يسئل الناس وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيه ان ثواب هذا الانفاق الذي هو اعظم المصارف لا يكتنه كنهه فلذلك وكل الى علم الله تعالى بخلاف الآية المتقدمة فانه لما رغب في التصدق على اهل الاديان قال في آخره وما تنفقوا من خير يوف اليكم كما لو قال السلطان لعبده الذي حسن عنده موقع خدمته ان جنس خدمتك عالم ولحقك عارف كان ابلغ مما لو قال ان اجرك واصل اليك ثم انه تعالى ارشد في خاتمة الآيات الى اكمل وجوه الانفاقات بقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الآية وذلك ان الذين يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة يكون ذلك منهم دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام كلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه متعللين بوقت وحال والباء بمعنى في اي في الليل او النهار وسرا وعلانية منصوبان على الظرفية ايضا اي في اوقات السر والعلن او على وصف المصدر اي انفاقا سرا او على الحال لكونه بيانا عن كيفية الانفاق قيل لما نزل للفقراء الذين احصروا بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير الى اصحاب الصفة وبعث علي بوسق من تمر ليلا فنزلت الآية وفي تقديم ذكر الليل تقدم السر على العلانية دليل على ان صدقة علي كانت اكمل وعن ابن عباس ما كان علي يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم نهارا وبدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا فقال ان استوجب ما وعدني ربي فقال لك ذلك فنزلت الآية وقيل نزلت في ابي بكر حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وقيل في علف الخيل والمرتبطة في سبيل الله وكان ابو هريرة اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية والله تعالى اعلم بحقيقة التأويل انفقوا من طيبات ما كسبتم فيه صلاح المتصدق من وجوه احدها لو فسر الطيب بالحلال فليتقبل منه ولو فسر بالجودة فليجز به بقدر جودته وثانيها الثواب على التعظيم لامر الله وثالثها الثواب على الشفقة على خلق الله ورابعها الثواب على الايثار ويؤثرون على انفسهم وخامسها ليستحق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وسادسها الثواب على زيادة الايمان وان المتصدق في صدقته كالزارع في زراعته فكان الزارع كلما ازداد ايقانه بحصول الثمرة اجتهد في جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانه بالبعث والجزاء زاد في جودة صدقته لتحققه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقدم ذكر الكسب على ذكر المخرج من الارض لقوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما يأكل الرجل من كسب يده وفي الآية



معنى خر لطيف انفقوا من طيبات نيات كسبتم من تزكية النفوس وتصفية القلوب ومما اخرجنا لكم من ارض طينتكم فى تحلية سرائركم بمكارم الاخلاق
وليكن النفقة طيبة من خباثة الشبهات طيبا انفاقها من خباثة الاغراض الدنيوية والاخروية طيبا منفقها من خباثة الالتفات والنظر فى الانفاق
الى غير الله فاذا كانت النفقة طيبة فى نفسها فلله قبول طيب من الوسايط فياخذها بيده ويربيها قبل ان يقع فى يد الفقير واذا كانت اليد طيبة فى
انفاقها فلله قبول طيب فانما ابلغ عند الله من علمها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فلله قبول طيب عن الاغيار بين اصبعين من
اصابع الرحمن وهذا تحقيق قوله عم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وفى لستم باخذى هذا الخبيث لا فى اصل الفطرة ولا فى عهد الخلقة لانكم خلقتم من
اصل طيب وفى طينة طيبة فالروح من الطيب الطائب لا نه اقرب الاقربين الى حضرة رب العالمين والجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم
احياكم بالايمان فلنحيينه حيوة طيبة ثم يرزقكم من الطيبات كلوا من طيبات ما رزقناكم فليس منكم شئ خبيث فى الظاهر والباطن الا ان تغمضوا
فيه فتقبلوه تكلفا وفيه قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما لم يكن الخباثة ذاتية للانسان بل كانت طارية عليه
عارية لديه انزل الله تعم كلمة طيبة هى لا اله الا الله ليطيب بالمواظبة عليها اخلاقهم وليستحقوا يوم القيمة ان يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين واعلموا ان الله غنى فمن كمال غناه اراد ان يغنيكم بثواب الانفاق حميد على ما انعم بهذا التكليف ليتوسل به الى الكمال الابدى الشيطان يعدكم
الفقر ظاهر فهو يامركم بالفحشاء باطنا لانها اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل والحرص واليأس من الحق والشك فى مواعيد الحق بالخلف والتضعيف
وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفو والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو راس كل خطيئة
ومنشأ كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسته فسوف يبتلى بهذه الافات واضعافها ومن فتح على نفسه باب عدة الحق فاض عليه سجال غفرانه وبحار فضله
واحسانه فالمغفرة تكفير الذنوب والاثام والفضل ما لا يدركه الاوهام للذين احسنوا الحسنى وزيادة فمن ذلك ان يفتح على قلبه باب حكمته عاجلا كما
قال يؤتى الحكمة من يشاء وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه اهل الانكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات فى بين الاسرار والحكم الالهيات فالمعقولات
تكتسب بالبرهان وهى مشتركة بين اهل الاديان والاسرار فى الاسرار الالهية مواهب الحق لا ترد الا على قلوب الانبياء والاولياء نور على نور يهدى الله
لنوره من يشاء وما يذكر الا اولوا الالباب الذين لم يقفوا عند القشر وارتقوا الى عالم النور ثم اخبر عن توفية الاجر للمنفق فى المفروض والمنذور وما
للظالمين الذين وضعوا الشئ فى غير موضعه فبدلوا الاخلاص بالرياء والانفاق بالنفاق من انصار ولا ناصر بالحقيقة الا الله ومن اذن له الله ابد الصدقات
ضد اخفائها واخفاؤها تخليتها عن شوب الحظوظ واليه الاشارة فى قوله عم سبعة يظلهم الله فى ظله ثم قال ورجل تصدق بيمينه فاخفاها عن شماله اى
عن حظوظ نفسه ليكون خالصة لوجه الله فصاحبها يكون فى ظل صدقته يوم القيمة اى ان كانت صدقته لله كان فى ظل الله وان كانت للجنة كان فى ظل الجنة
وان كانت لطلب الهوى كان فى ظل الهاوية فنعم قوله ان تبدوا الصدقات اى تظهروها بالطمع ثواب الجنة فان طمع الثواب شوب بحظ فنعما هى فانها مرتبة
الابرار ان الابرار لفى نعيم وان تخفوها عن كل حظ ونصيب وتؤتوها الفقراء الذين يعطونها اياهم لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لان جزاءها
لقاء الله ثم اخبر عن الهداية وان ليس لاحد عليها الولاية وان الله فيها ولى الكفاية يا محمد لك المقام المحمود واللواء المعقود ولك الوسيلة وعلى الانبياء
الفضيلة وانت سيد الاولين والاخرين وانت اكرم الخلايق على رب العالمين لكن ليس عليك هديهم ولكن الهداية مرجعها بمرضاتنا ولوايح برهانك
انت تدعوهم ونحن نهديهم ثم نبه على ان افضل وجوه الانفاق هو الفقير الذى احصره المحبة فى الله عن طلب المعاش لا الذى احصره الفقر والعجز عن طلب الكفاف
اخذ عليه سلطان الحقيقة كل طريق فلا له فى المشرق مذهب ولا فى المغرب مضرب ولا منه الى غيره مهرب كان فجاج الارض ضاقت برحبها عليه فما يزدادون
طولا ولا عرضا يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف لانهم مستورون تحت قباب الغيرة محجوبون عن معرفة اهل العزة اوليائى تحت قبابى لا يعرفهم
غيرى يا محمد تعرفهم بسيماهم لانك لست بك فلست غيرى ما رايت اذ رايت وما رميت ولكن الله رمى وان سيماهم
لا يرى بالبصر الانسانى بل يرى من نور الربانى فمن سيماهم فى الظاهر ظهور اثار احوال الباطن انهم لا يسئلون الناس الحافا لا بقليل ولا بكثير لان
اثار انوار قلوبهم انعكست على ظواهرهم فتنورت بالتعفف نفوسهم واضمحلت ظلمة فقرهم وفاقتهم وما تنفقوا من خير من المال والجاه او
خدمة بالنفس او اكرام وارادة حتى السلام على هؤلاء السادة استحقاقا واجلالا لا استخفافا واذلالا فان الله به عليم ومن سيماهم فى الظاهر انهم اذا وجدوا
مالا لم يبيعوا عزة الفقر به بل ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم عند مليك مقتدر ولا هم يحزنون فى الدنيا
على ما يفوتهم لانهم تركوها لله وهو لهم خلف عن كل تلف ولا فى الاخرة لا يحزنهم الفزع الاكبر الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبٰوا
آنانكه ميخورند سود را برنخيزند مگر چنانكه برخيزد كسى كه بر با ميندازد ديوان از رسيدن اين بآنجهت است كه ايشان گفتند كه جز اين نيست كه بيع مانند ربواست
وَأَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهٰى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّٰهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ
و حلال كردانيد خدا بيع را و حرام كرد ربا را پس هر كه آمد او را پندى از جانب پروردگارش پس باز ايستاد پس مر او راست آنچه پيش فرستاد و كار او با خداست و هر كه بر گردد پس آن گروه ياران
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَمْحَقُ اللّٰهُ الرِّبٰوا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
آتشند ايشان در آن جاويدانند نابود ميكند خدا سود را و زياده ميكند صدقات را و خدا دوست نميدارد هر ناسپاس گنهكار را بدرستيكه آنانكه ايمان آوردند و كردند كارهاى شايسته



وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتَوُا الزَّكٰوةَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ يٰاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ

و برپای داشتند نماز را و دادند زکوة را مر ایشانراست مزد ایشان در نزد پروردگار ایشان و نه ترسی بر ایشان و نه ایشان اندوه یابند ای گروه آنانکه گرویده اید بپرهیزید خدا را

وَذَرُوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰوا اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ فَاِنْ لَّمْ تَفْعَلُوْا فَاْذَنُوْا بِحَرْبٍ مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَاِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوْسُ اَمْوَالِكُمْ

و واگذارید آنچه را که باقی مانده از سود اگر هستید باور دارندگان پس اگر نکنید پس اعلام کنید بجنگ از خدا و رسول او و اگر توبه کنید پس شما راست سرمایهای شما

لَا تَظْلِمُوْنَ وَلَا تُظْلَمُوْنَ وَاِنْ كَانَ ذُوْ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ اِلٰى مَيْسَرَةٍ وَاَنْ تَصَدَّقُوْا خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ وَاتَّقُوْا

ستم نکنید و ستمکرده نشوید و اگر بوده باشد تنگدست پس مهلت دهید او را تا زمان دست و صدقه دادن بهتر است مر شما را اگر باشید دانشمندان و بپرهیزید

يَوْمًا تُرْجَعُوْنَ فِيْهِ اِلَى اللّٰهِ ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ القراءة الربوا حيث كان بالامالة حمزة وعلى وخلف وهذا

از روزی که باز گردید در آن بسوی خدا پس تمام داده شود هر نفسی آنچه کسب نموده و ایشان ستمکرده نشوند اذا كان معرفا ولا يميلون المنكر في الوصل لاجل التنوين كقوله

وما اتيتم من ربوا ويميلون في الوقف لزوال التنوين فاذنوا ممدودة مكسورة الذال حمزه وحماد وابو بكر غير ابن غالب والبرجمي حمزه يقف بغير

همزة اى بالتليين الباقون فاذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لا تظلمون ولا تظلمون الاول مبني للمفعول والثاني للفاعل المفضل الباقون بالعكس ميسرة

بضم السين نافع ميسرة بضم السين واثبات الياء زيد عن يعقوب الباقون بفتح السين وعدم الياء وان تصدقوا خفيفا عاصم الباقون بتشديد

الصاد لادغام تاء التفعل في الصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم ابو عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون مبنيا للمفعول الوقوف من السرطمثل الربوا

كيلا يظن ان ما بعده من قولهم ان امكن جعل واحل حالا لا بابعاد وقد وحرم الربوا ط لابتداء الشرط واستيناف المعنى ما سلف ط لتناهي الجزاء الى الله ج

الی الله خالدون الصدقات ط اثيم عند ربهم ط يحزنون مؤمنين ورسوله ج اموالكم ج لان ما بعده مستانف وحال عامله معنى الفعل في لام

التمليك ولا تظلمون ميسرة ط تعلمون لا يظلمون التفسير الحكم الثاني من الاحكام المذكورة في هذا الموضع حكم الربوا وذلك ان بين الصدقة وبين الربوا

مناسبة التضاد فان الصدقة تنقيص ما مور بها والربوا زيادة منهي عنها وايضا لما امر بالانفاق من طيبات المكاسب وجب ان يردف بالكسب الحرام وهو

الربوا والحلال وهو البيع وما يناسب من الدين والرهن وغيرهما فقال الَّذِيْنَ يَاْكُلُوْنَ الرِّبٰوا اما الاكل فيعم جميع التصرفات الا انه عبر عن الشيء بمعظم

مقاصده وكيف لا وقد لعن رسول الله صلعم اكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له وايضا نفس الربوا لا يمكن ان يؤكل ولكن يصرف الى الماكول فيؤكل

فالمراد التصرف فيه والربوا في اللغة الزيادة من ربا يربو ومن اما لها فلمكان كسرة الراء وهو في المصاحف مكتوب بالواو وانت مخير في كتابتها بالالف

والواو وفي الكشاف كتبت بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع ثم الربوا قسمان ربا النسيئة

وربوا الفضل اما الاول فهو الذي كانوا يتعارفونه في الجاهلية كانوا يدفعون المال مدة على ان ياخذوا كل شهر قدرا معينا ثم اذا حل الدين طالبوا

المديون براس المال فان تعذر عليه الاداء زادوا في الحق والاجل واما ربوا الفضل فان يباع من من الحنطة بمنوين منها والمروي عن ابن عباس انه

كان لا يحرم الا القسم الاول كان يقول لا ربوا الا في النسيئة ويجوز ربا النقد فقال له ابو سعيد الخدري اشهدت ما لم نشهد اسمعت ما لم نسمع فروى

الحديث المشهور في هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا

بيد فمن زاد واستزاد فقد اربى الاخذ والمعطي فيه سواء ثم قال ابو سعيد لا اواني واياك في ظل بيت ما دمت على هذا فروي انه رجع عنه قال محمد بن

سيرين كنا في بيت معنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة ما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما كنت استحللت الصرف برائي ثم بلغني ان رسول الله

حرمه فاشهدوا اني قد حرمته وبرئت الى الله منه حجة ابن عباس قوله تع واحل الله البيع يتناول بيع الدرهم بالدرهمين قوله وحرم الربوا لا يتناوله

لان كل زيادة ليست محرمة توجب ان يبقى على الحل وانما يخرج الا العقد المخصوص الذي كان يسمى فيما بينهم ربوا وهو ربوا النسيئة ويد تاكد هذا الراي

في السنة وفي رواية ولا ربوا الا فيما كان يدا بيد ذكر ابو المنهال انه سئل البراء بن عازب وزيد بن ارقم فقالا كنا تاجرين في عهد رسول الله صلعم فسألنا

رسول الله صلعم عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا باس وان كان نسيئة فلا يصح واما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربوا في القسمين اما النسيئة

فبالقران واما النقد فبالخبر ثم ان الخبر دل على حرمة ربوا النقد في الاشياء الستة النقدان والمطعومات الاربعة ولا شك ان الربوا انما ثبت

فيها لمعنى فاذا عرف ذلك المعنى الحق بها ما يشاركها فيه اما الاشياء الاربعة فللشافعي في علة الربوا فيها قولان الجديد ان العلة الطعم لما روي عن معمر بن

عبد الله قال كنا نسمع رسول الله صلعم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل علق الحكم باسم الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق

كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزاني والقديم ان العلة فيها الطعم مع الكيل او الوزن لما روي انه صلعم قال الذهب بالذهب وزنا

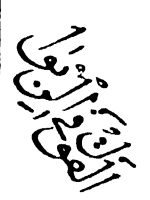
بوزن والبر بالبر كيلا بكيل فعلى هذا يثبت الربوا في كل مطعوم مكيل او موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز

وقال مالك العلة الاقتيات فكل ما هو قوت ويستصلح به القوت كالملح يجري فيه الربوا وعند ابي حنيفة العلة الكيل حتى يثبت الربوا في الجص والنورة

وعن احمد روايتان كابي حنيفة والاخرى كالجديد اما النقدان فعن بعض الاصحاب ان العلة فيهما عينهما لا العلة والمشهور ان العلة فيهما صلاحية الثمنية

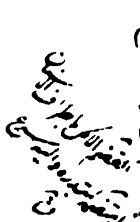
الغالبة فليشمل التبر والمضروب والحلي والاواني المتخذة منها ولا يتعدى الحكم الى الفلوس على الاصح وان راجت رواج الذهب والفضة لانتفاء العلة وقال

احمد وابو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الى كل موزون كالحديد والرصاص فهذا ضبط المذاهب وتفاريعها الى الفقه واما السبب في تحريم الربوا



مما روي عن ابن زيد ان النبي صلعم قال الربا ... صح

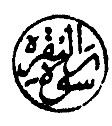
نهوا من بيع الدرهم بالدرهمين نقدا او نسيا يحصل له زيادة درهم من غير عوض فاخذ مال المسلم من غير عوض محرم لقوله صلعم حرمة مال المسلم كحرمة دمه
ابقاء راس المال في يده مدة مديدة وتمكينه من ان يتجر فيه وينتفع به امر موهوم فقد يحصل وقد لا يحصل واخذ الدرهم الزايد متيقن وتفويت المتيقن
لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه انه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربوا من تحصيل الدرهم
الزايد نقدا او نسيا اعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقيل انه يفضي الى انقطاع المعروف بين الناس من القراض ولانه تمكين للغني من ان ياخذ
مالا زايدا من الفقير وقيل ان حرمة الربوا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكمة كل تكليف معلومة لنا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس التخبط الضرب على غير استواء ومنه خبط العشواء وتخبط الشيطان قيل من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع فورد
على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون رجل ممسوس مسه الجني فاختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربته الجن وهذا ايضا من زعماتهم وقيل من عادة الناس اذا
ارادوا تقبيح شئ ان يضيفوه الى الشيطان كما في قوله تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين فورد القران على ذلك وقيل ان الشيطان يمسه بالوسوسة
المؤذية التي يحدث عندها الفزع فيصرع كما يصرع الجبان في الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء وارباب الحزم واللب واكثر المسلمين على ان
الشيطان لا يبعد ان يكون قويا على الصرع والقتل والايذاء بتقدير الله تعالى وللمفسرين في الاية اقوال احدها ان اكل الربوا يبعث يوم القيمة مجنونا وذلك
سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقوله من المس متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع او يتعلق بيقوم اي كما يقوم
المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة يوم اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا
فارباه الله في بطونهم فاثقلهم وقيل انه ماخوذ من قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وذلك ان الشيطان يدعوه الى الطمع
والملك يجره الى التقوى فيقع هناك حركات مضطربة وافعال مختلفة وهو الخبط فاذا مات اكل الربوا على ذلك ورثه الخبط في الاخرة واوقعه ذل الحجاب بينه
وبين الله تعالى ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به
البيع والا كان حق النظم في الظاهر ان ينعكس فيقال انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع ومن حق القايلين ان يشبه محل الخلاف بمحل الوفاق
ثم انهم كانوا يقولون في تحليل الربوا على هذه الشبهة وهي ان من اشترى ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا ونسية فهذا حلال وكذا اذا اعطى العشرة
باحد عشر لا فرق بين الصورتين اذا حصل التراضي من الجانبين والبياعات انما شرعت لدفع الحاجات ولعل الانسان يكون صفر اليد في الحال وسيحصل
له مال كثير في المال فاعطاه الزيادة عند وجدان المال اسهل عليه من البقاء في الحاجة قبل وجدان المال فاجاب الله تعالى عنها بحرف واحد هو قوله
احل الله البيع وحرم الربوا وحاصله انكار التسوية وان النص لا يعارض القياس فان ذلك من عمل ابليس لعنه الله تعالى بالحجة فعارض النص بالقياس وقال
انا خير منه ثم ظاهر الاية يدل على ان الوعيد انما لحقهم باستحلالهم الربوا دون الاقدام على اكله مع اعتقاد التحريم وعلى هذا التقدير لا يثبت بهذه الاية كون اكل
الربوا من الكباير ويجب ان يعلم مقدمة الاية بان المراد من اكلهم الربوا استطابته واستحلاله كما يقال فلان ياكل مال الله قضما وخضما اي يستحل التصرف فيه
الا ان جمهور المفسرين حملوا الاية على وعيد من يتصرف في مال الربوا لا على وعيد من يستحل هذا العقد وقيل ويحتمل ان يكون قوله واحل الله البيع وحرم
من تمام كلام الكفار على سبيل الاستبعاد واكثر المفسرين على خلافه لانه لا يجعل من كلام الكفار لا يتم الا باضمار وهو ان يحمل ذلك على الاستفهام بطريق الانكار
او على الرواية عن قول المسلمين والاضمار خلاف الاصل وايضا لو كان من تمام كلامهم فلم يكشف الله تعالى عن فساد شبهتهم فلم يكن لقوله بعد ذلك فمن جاءه
موعظة لايقا بالمقام وايضا المسلمون لم يزالوا متمسكين في البيع بهذه الاية ولولا انهم علموا ان ذلك كلام الله لا كلام الكفار لم يصح منهم الاستدلال بها
وههنا بحث للشافعي وهو ان الاية من المجملات التي لا يجوز التمسك بها بناء على ان الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم ولكن فيه الا تعريف الماهية فيكفي
في العمل به ثبوت صورة واحدة ولو سلم افادة العموم فلا شك ان افادته اضعف مما لو قيل واحل الله البياعات بلفظ الجموع ومع ذلك فقد تطرق اليه
تخصيصات خارجة عن الحصر والضبط ومثل هذا العموم لا يليق بكلام الله لانه قريب من الكذب نعم اطلاق اللفظ المستغرق على الاغلب عرف مشهور وايضا
روي ان عمر قال خرج رسول الله صلعم من الدنيا وما سألناه عن الربوا ولو كان لان الربوا هو الزيادة ولا بيع الا ويقصد به الزيادة واذا تعارضا تساقطا و
وجب الرجوع الى بيان النبي فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من ربه فانتهى امتنع من استحلال الربوا وتبع النهي فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه
لانه اخذ قبل نزول التحريم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف عن الزجاج التنوين في موعظة للتعظيم والتقليل اي موعظة بليغة او شئ من المواعظ
وقيل النهي المتاخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف نيا فالمراد له ما اكل من الربوا وليس عليه رد ما سلف عن السدي والسلوف التقدم
ومنه الامم السالفة وسلافة الخمر صفوتها لانه اول ما يخرج من عصيرها وامره الى الله لانه ان انتهى عن اكل الربوا كان انتهى عن استحلاله فهو المقر بدين الله
العامل بتكليفه فيستحق المدح والثواب وان انتهى عن الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء ومن عاد الى استحلال الربوا وانه مثل البيع فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانه كفر باستحلال ما هو محرم اجماعا اما
القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى اكل الربوا ثم انه تعالى لما بالغ في الزجر عن الربوا وكان بالغ في الاي السالفة في الحث على الصدقات ذكر ما
يجري مجرى الداعي الى ترك الربوا وفعل الصدقة فقال يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والمحق نقص الشئ حالا بعد حال ومنه محاق القمر وكل من محق
الربوا واربا الصدقات اما في الدنيا واما في الاخرة وذلك ان الغالب في المربي وان كثر ماله ان يؤل عاقبته الى الفقر وتزول البركة عن ماله عن ابن مسعود



ان النبي ﷺ قال الربوا وان كثر الى قل وذلك لدعاء الناس عليه ببغضهم اياه لسقوط عدالته وشهرته بالفسق والعدوان وربما يطمع الظلمة في ماله ولما
منهم ان المال في الحقيقة ليس له وعن ابن عباس في تفسير هذا المحق ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ثم ان مال الربوا لا يبقى عند
الموت ويبقى التبعة عليه وقد ثبت في الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام هذا حال الغني من الحلال فكيف حال الغني من الحرام
المقطوع بحرمته قال القفال نظير قوله يمحق الله الربوا المثل الذي ضربه فيما تقدم كمثل صفوان عليه تراب ونظير قوله ويربي الصدقات المثل
المثل الآخر كمثل جنة بربوة كمثل حبة انبتت سبع سنابل عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب
ويأخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم مهره او فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وايضا المتصدق يزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل ويميل القلوب اليه
وينقطع الاطماع عنه متى اشتهر منه انه متشمر لاصلاح مهمات الضعفاء وسد خلة الفقراء فتبين ان الربوا وان كان زيادة في المال الا انه نقصان
في المآل والصدقة ان كان نقصانا في الحال الا انها زيادة في الاستقبال فعلى العاقل ان لا يلتفت الى ما يقضي به الحس والطبع ويعول على ما ندبه اليه العقل
والشرع والله لا يحب كل كفار اثيم الكفار فعال من الكفر ومعناه المقيم على الكفر لان الصيغة للمزاولة كما روى تواب والاثيم فعيل بمعنى فاعل وهو فعيل
للمبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام وذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربوا فيكون جاحدا وفيه وجه آخر وهو ان يكون الكفار راجعا الى المستحل والاثيم
الى الآكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل ان يعود كلاهما الى آكل الربوا ويكون تغليظا في امر الربوا وايذانا بانه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفي الآية دلالة
على انه تعالى سبقت رحمته غضبه بيانه انه لم ينف المحبة الا عن الجامع بين الاصرار على الكفر وبين المواظبة على سائر الآثام كالربوا فان استحلاله كفر وهو في
نفسه اثم مذموم في جميع الاديان لانه سلب مال المحتاج بنوع من الاكراه والالجاء فتبقى الآية ساكتة عمن جمع بين الامرين لا على سبيل الاصرار و
المواظبة وعن الذي لم يجمع بينهما ثم قد عرف بدليل آخر ان الكفار الذي لم يواظب على سائر الآثام لم يسلبها اهل محبة الله تعالى وذلك لا ينافي السكوت عن
حكمه ههنا والله اعلم ثم ذكر الترغيب عقيب الترهيب على عادته من ذكر الوعد مع الوعيد فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية فاحتج به من قال العمل الصالح
خارج عن مسمى الايمان كما مر واجيب بانه قال في الآية واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة مع ان الصلوة والزكوة من الاعمال الصالحة ورد بان الاصل حمل كل لفظ
على فائدة جديدة ترك العمل به عند التعذر فيبقى في غيره على الاصل لهم اجرهم عند ربهم لم يقل على ربهم لان الاول يجري مجرى ما اذا باع النقد لك النقد حاضر
متى شاء البائع اخذه والثاني جار مجرى البيع بالذمة نسيئة ولا شك ان الاول افضل ولا خوف عليهم عن ابن عباس رضي فيما يستقبلهم من احوال القيمة ولا هم يحزنون
بسبب ما تركوه في الدنيا فان المنتقل من حال الى حال اخرى فوقها ربما يتحسر على بعض ما فاته من الاحوال السالفة وان كان مغتبطا بالثانية لاجل الف وعادة
فبين تعالى ان هذا القدر من الندامة لا يلحق اهل الثواب والكرامة وقال الاصم لا خوف عليهم من عذاب يومئذ ولا هم يحزنون بسبب انهم فاتهم النعيم الزائد الذي حصل
لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة في الآخرة وايضا انهم لا يحزنون بسبب انه لم يصدر منا طاعة ازيد مما صدر حتى صرنا اهلا مستحقين لثواب ازيد مما وجد
لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة وههنا سؤال وهو ان المرأة اذا بلغت عارفة بالله ولما بلغت حاضت وعند انقطاع حيضها ماتت والرجل بلغ عارفا بالله
وقبل ان يجب عليه الصلوة والزكوة مات فهما بالاتفاق من اهل الثواب مع خلوهما عن الاعمال فكيف علق الله ههنا حصول الاجر على حصول الاعمال والجواب
ان الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها وقد دلت الآية على ان كل مؤمن عمل صالحا فله الاجر فلا يلزم العكس الكلي ثم انه تعالى لما بين ان من انتهى عن الربوا فله ما سلف
كان يجوز ان يظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا فبين انه يحرم اخذ
ما بقي من الربوا في ذممهم فان قيل كيف قال يا ايها الذين آمنوا ثم قال في آخره ان كنتم مؤمنين فالجواب هذا كما يقال ان كنت اخا فاكرمني معناه ان
كان اخا ومعناه اذ كنتم مؤمنين او ان كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالايمان او يا ايها الذين آمنوا بلسانكم ذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين
بقلوبكم قال القاضي وفيه دلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا اصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا بالاطلاق متى اجتنب كل الكبائر واجيب بان المراد ان كنتم
عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان وانما شدد الله في ذلك لان المنتظر لحلول الاجل اذا حضر الوقت وطمع
على ان تلك الزيادة حصلت له فقطامه عنها يكون شديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون باتقاء ما نهى عنه وهذه الآية اصل كبير في احكام
الكفار اذا اسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى ولا ينقض ولا يفسخ وما لم يوجد منه في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولا يجوز
في الاسلام فهو عفو لا يتعقب فان كان النكاح وقع على مهر حرام فقبضته المرأة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمي وهذا مذهب
الشافعي واما سبب نزول الآية فعن ابن عباس بلغنا والله اعلم انها نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف في بني المغيرة من بني مخزوم كانت بنو
المغيرة يربون لثقيف فلما اظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربوا كله فاتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة الى عتاب بن اسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة
ما جعلنا اشقى الناس بالربوا وضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك الى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية والتي بعدها
فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو ان لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله قال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب
وعثمن بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر الجداد قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي ان انتما اخذتما حقكما كله فهل لكما ان تأخذا النصف
ونؤخر النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهما ونزلت الآية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما وقال السدي
نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربوا فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربوا فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي

سؤال

الا ان



الا ان كل ربا من ربا الجاهلية موضوع واول ربا اضعه ربا العباس بن عبد المطلب فان لم تفعلوا فاذنوا قيل خطاب مع الكفار المستحلين للربا ومعنى
قوله ان كنتم مؤمنين معترفين بتحريم الربا فان لم تفعلوا اي فان لم تكونوا معترفين بتحريمه فاذنوا ومن ذهب الى هذا القول قال فيه دليل على ان
من كفر بشريعة واحدة من شرائع الاسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرائعه وعلى هذا يكون مالهم فيئا للمسلمين وقيل خطاب مع المؤمنين المصرين على
معاملة الربا لانه خطاب مع قوم تقدم ذكرهم وما هم الا المخاطبون بقوله يا ايها الذين آمنوا ومعنى قوله فاذنوا عند من جعله من الايذان اعلموا
من لم ينته عن الربا بحرب من الله فالمفعول محذوف واذا امروا باعلام غيرهم فهم ايضا قد علموا ذلك لكن ليس في علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهذه القراءة
في الابلاغ آكد ممن قرأ فاذنوا من اذن بالشيء اذا علم به اي كونوا على اذن وعلم فان قيل كيف امر بالمحاربة مع المسلمين قلنا هذه اللفظة قد تطلق على
من عصى الله غير مستحل كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله
وقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اصلا في قطاع الطريق من المسلمين فثبت ان ذكر هذا النوع
من التهديد مع المسلمين وارد في كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيه ان المصر على عمل الربا ان كان شخصا قدر الامام عليه قبض عليه واجرى عليه
حكم الله من التعزير والحبس الى ان يظهر منه التوبة وان كان له عسكر وشوكة حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب ابو بكر مانعي الزكوة وكذا
القول لو اجمعوا على ترك الاذان وترك دفن الموتى فانه يفعل بهم ما ذكرناه وان تبتم من استحلال الربا وعن معاملة الربا فلكم رؤس اموالكم لا
تظلمون الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون انتم بنقصان رأس المال وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو اعسار على ان كان
هي التي تسمى تامة بمعنى وجد الشيء وحدث في نفسه لا بمعنى وجدت موصوفة بشيء فانها حينئذ يكون ناقصة يحتاج الى الخبر وقرأ عثمان ذا عسرة بمعنى وان
كان الغريم والمشتري ذا عسرة وقراءة المشهورة اولى كيلا يكون النظرة مقصورة على الغريم المشتري بل يعمه وغيره من ارباب العسرة وهي اسم من الاعسار
وهو تعذر الموجود من المال فنظرة النظرة التأخير والامهال وفي الآية حذف والتقدير فالحكم او فالامر نظرة وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره
على لفظ الامر اي فسامحه بالانظار وناظره اي صاحب الحق منظرة او هو ذو نظرة مثل مكان عاشب اي ذو عشب الى ميسرة الى يسار ضد الاعسار وقرئ بضم السين
كمقبرة ومقبرة ومن قرأ بالاضافة الى الضمير فقد حذف التاء كقوله واقام الصلوة واختلفوا في ان حكم الانظار مختص بالربا او عام في الكل فعن ابن عباس
وشريح والضحاك والسدي وابراهيم الآية في الربا قال الكلبي قال بنو عمرو لبني المغيرة هاتوا رؤس اموالنا ولكم الربا ندعه لكم فقال بنو المغيرة نحن اليوم اهل
عسرة فأخرونا الى ان ندرك الثمرة فابوا ان يؤخروهم فنزلت وان كان ذو عسرة وعن مجاهد وسائر المفسرين انها عامة في كل دين ولهذا ورد كان تامة ولو
فرض ان سبب النزول خاص فلا بد من الحاق سائر الصور به لان العاجز عن اداء المال لا يجوز تكليفه به وهو قول اكثر الفقهاء كمالك وابي حنيفة والشافعي والاعسار
في الشرع هو ان لا يجد في ملكه ما يؤديه بعينه ولا يكون له ما لو باعه لامكن اداء الدين من ثمنه فمن وجد دارا وثوبا لا يعد من ذوي العسرة اذا امكنه
بيعها واداء ثمنها ولا يجوز له ان يحبس الا قوت يوم لنفسه وعياله وما لا بد لهم من كسوة لصلوتهم ودفع الحر والبرد عنهم هل يلزمه ان يؤجر نفسه من صاحب
الدين او غيره الاصح انه لا يلزمه وكذا لو بذل غيره له ما يؤديه لا يلزمه القبول فاما من له بضاعة كسدت عليه فواجب عليه ان يبيعها بالنقصان ان لم يمكن الا
ذلك واذا علم الانسان ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وان يطالبه بما له عليه ووجب الانظار الى وقت اليسار فاما ان كان له ريبة في اعساره جاز ان يحبسه الى
ظهور الاعسار وكذا اذا ادعى الغريم فان كان الدين الذي لزمه حصل له عن عوض كالبيع او القرض فلا بد له من اقامة شاهدين عدلين على ان ذلك العوض قد هلك
وان لم يكن عن عوض كالاتلاف وضمان ونحوه صدق في القول قوله وعلى الغريم البينة لان الاصل هو الفقر وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين بدل
على انه ترك المسند وذكر رأس المال خير لكم لحصول الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى ان كنتم تعلمون ان التصدق خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل
بما علمه كانه لا يعلمه وتعلمون فضل التصدق على الانظار والقبض بعده او تعلمون ان ما يأمركم به ربكم اصلح لكم وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة وزيف بان الانظار ثبت وجوبه بالآية الاولى فلا بد من فائدة جديدة ولان قوله خير لكم انما
يليق بالمندوب لا بالواجب ثم ان المتعاملين بالربا كانوا اصحاب ثروة وجلالة واعوان وتغلب على الناس فاحتاجوا الى مزيد زجر ووعيد فلا جرم وقع ختم احكام
الربا بقوله واتقوا يوما والمراد اتقاء ما يحدث فيه من الشدائد والاهوال لا اتقاء ذلك لا يمكن الا باجتناب المعاصي وفعل الاوامر في الدنيا فهذا القول
يتضمن الاتيان بجميع التكاليف وانتصب يوما على انه مفعول به والمعنى تأهبوا لما تسلفون من العمل الصالح للقاء يوم ترجعون فيه الى الله اي الى ما اعد
لكم من ثواب او عقاب او الى علمه وحفظه وذلك ان الانسان له احوال ثلث على الترتيب الاولى كونه جنينا لا يملك تصرفا فلا تصرف فيه الا لله الثانية خروجه الى
الفضاء وهناك يرى للابوين وللغير فيه تصرف في الظاهر الثالثة ما بعد الموت وهنالك لا يكون التصرف فيه ظاهرا وفي الحقيقة الا لله تعالى فكانه عاد الى
الحالة الاولى وهذا معنى الرجوع الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي جزاء ذلك والمكتسب هو الجزاء كما يقال كسب الرجل المال يحصله بتجارته والمراد ان كل
مكلف فانه يصل اليه جزاء عمله بالتمام عند الرجوع الى الله تعالى كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم كان لقائل ان يقول
كيف يليق باكرم الاكرمين ايصال العذاب الى عبيده الكفار والفساق فقال وهم لا يظلمون بل العبد هو الذي اوقع نفسه في تلك الورطة لان الله تعالى مكنه
وازاح عذره وسهل طريق الاستدلال عليه وامهله هذا على اصول المعتزلة واما على اصول الاصحاب فهو اشارة الى انه تعالى مالك الملوك وخالق الخلائق و
المالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء واراد لم يكن ظلما عن ابن عباس انها آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بها جبرئيل وقال ضعها على رأس المائتين والثمانين

واذا ادعى الاعسار

من البقرة وعاش النبي بعدها احدا وثمانين يوما وقيل احدا وعشرين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات والله تعالى اعلم بحقيقة الحال لما قيل
اخبر عن حرص اهل الدنيا وهم اكلة الربوا بعد ذكر قناعة اهل العقبى فمثل اكل الربوا كمثل من له جوع الكلب يأكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم
الا كما يقوم المصروع لانه كلما قام صرعه ثقل بطنه ومثله قوله عليه السلام ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم الا آكلة الخضر فانها اكلت حتى
اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت فمن اخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ومن اخذه بغير حقه كان كالذي يأكل
ولا يشبع في الحديث مثلان احدهما للمفرط بحيث يفضي به الى الهلاك في الدنيا والعقبى في جميع الدنيا واشار اليه بقوله وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم و
ذلك ان الربيع ينبت احرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها اياها حتى ينتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فيشق امعاؤها فتهلك او يقارب
الهلاك والآخر للمقتصد وذلك قوله الا آكلة الخضر وذلك ان الخضر ليست من احرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي امطاره ولكنها من كلاء الصيف التي
ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا ترى الماشية تكثر منها وهو مثل التاجر يكتسب المال بطريق البيع والشرى ويؤدي حقه وان كان
له حرص في الطلب والجمع لكن لما كان بامر الشرع وطريق الحل ما اضربه واحل الله البيع وحرم الربوا يعني كيف يكون مما ازال نور الامر ظلمته مثل ما ازداد ظلمة ارتكاب
المنهي مرتكب الربوا في ظلمات ثلث ظلمة الحرص وظلمة المعصية وامره الى الله يرزقه من حيث لا يحتسب والله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع وانواره اثيم
عامل بالطبع مقيم في ظلمة اصراره ثم اخبر عن العاملين بالشرع الخارجين عن الطبع الذين امنوا ايمان التصديق بالتحقيق مقرونا بالتوفيق ثم خرجوا عن ظلمة
اتباع الهوى باقامة الصلوة وعن ظلمة الركون الى الدنيا بايتاء الزكوة فجذبتهم العناية من حضيض العبدية الى ذروة العندية لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم من الرجوع الى ظلمات الطبيعة ولا هم يحزنون لفوت انوار الشريعة ثم اخبر عن اهل الايمان المجازي فقال يا ايها الذين امنوا باللسان
اتقوا الله اي بالله كما جاء كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله عليه السلام اي جعلناه قدامنا ومن شرط المؤمن الحقيقي اتقاؤه بالله في ترك الزيادات كما قال من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقي من الربوا اي اتركوا ما سوى الله في طلبه ان كنتم مؤمنين ايمانا حقيقيا فان لم تفعلوا لم تتركوا اكل زيادة تمنعكم
فأذنوا بحرب من الله ورسوله ببعد منهما وبغض وان تبتم تركتم غيره فلكم رؤس اموالكم وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة
يحبهم ويحبونه لا تظلمون بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون بوضع محبتكم في غير موضعها وان كان ذو عسرة لم يصل اليه ما
ما اعد له اجلا عاجلا فنظرة الى ميسرة وهو وقت وصوله اليه اجلا وان تصدقوا بذلوا فيما يتمنون من صنوف برنا في الدنيا والعقبى على قدر
همتكم فهو خير لكم لانا نجازيكم على قدر مواهبنا ان كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته
افضل ما اعطي السائلين ثم انه سبحانه كما جمع القرآن خلاصة الكتب كلها وبرجمع في خاتمة الوحي خلاصة القرآن فقال واتقوا يوما الاية وذلك ان
فائدة جميع الكتب جعلها معينين النجاة من الدركات السفلى وهي سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف و
حجاب النفس والفوز بالدرجات العلى وهي ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته
فقوله واتقوا شامل لما يتعلق بالسعي الانساني من هذه المعاني لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام الخروج بسبب الاقامة
بشرايط جاهدوا فينا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من ههنا
تقوى الخاص يخرجهم جذبات لنهدينهم سبلنا من حجب صفاتهم الى رحبة تجلي صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فيتنعمون
بمواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى ثم من ههنا تقوى خاص الخاص فتخرجه العناية بجذبات ما زاغ البصر وما طغى من سدرة المنتهى الاوصاف الى قاب قوسين
نهاية حجاب النفس بداية انوار القدس وهناك من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام او ادنى ترجعون فيه الى الله لا بمبدأ وجودك النفخة واخرجالات الجذبة
وبها اصطفى ادم وكرم بنيه لهذا لم يقل ولقد كرمنا اولاد ادم لان اهل الكرامة منهم من هو بوصف الرجال دون النساء ثم وصف الرجال بقوله لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال في المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء في الحقيقة وفي هذا
الرجوع وعد وبشارة للاولياء ووعيد وانذار للاعداء ثم توفى كل نفس ما كسبت فبقدر مراتبه في العبودية والتقوى يهتدي الى مقامات القرب من المولى
وبحسب فنائه عن حجاب نفسه يبقى ببقاء ذاته وهويته وهم لا يظلمون فان دخول النور في البيت وخروج الظلمة منه انما يكون على مقدار سعة فتح الروزنة
وضيقه ولا يظلم الشمس عليه مثقال ذرة فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان
الجنة هي المأوى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ

ای گروه آنانکه گرویده چون معامله کنید با یکدیگر بوامی تا مدتی نام برده پس بنویسید آنرا والبته باید بنویسد در میان شما نویسنده بعدالت و اباء نکند نویسنده

أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ

که بنویسد چنانکه آموخته او را خدا پس بنویسد و باید که املا کند آنکه بر اوست حق و باید که بپرهیزد از خدا که پروردگار اوست و کم نکند از آن چیزی را پس اگر بوده باشد آنکه بر اوست حق

سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ

بی خرد یا ناتوان یا آنکه نتواند که املا کند او پس املا کند ولی او بعدل و گواه گیرید دو نفر را از مردان شما پس اگر نبوده باشند دو مرد پس یک مرد و دو زن

مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا

از آنکه خواهید از گواهان تا اگر فراموش کند یکی از ایشان پس یاد آورد یکی از ایشان دیگری را و سرباز نزنند گواهان چون خوانده شوند و ملول نشوید

أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً

که بنویسید آنرا چه کم باشد یا بسیار تا مدت آن این راست‌تر است در نزد خدا و درست‌تر برای گواهی و نزدیکتر است که بشک نیوفتند مگر آنکه بوده باشد سوداگری نقدی

تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا

که دست‌گردان کنید در میان پس نیست بر شما باکی که ننویسید آنرا و گواه گیرید چون خرید و فروخت کنید و زیان نرسانند نویسنده و نه گواهی و اگر چنین کنید

فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ

پس بدرستی که نامسترا گنجوران و بپرهیزید خدا را و میاموزد شما را خدا و خدا بهر چیزی داناست و اگر بوده باشید در سفر و نیابید نویسنده پس گرو بهید گرفته شده

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ

پس اگر ایمن داند بعضی از شما بر چیزی پس باید که واداد آنکه امین شده امانت او را و بپرهیزید از خدائی که پروردگار اوست و مپوشانید گواهی را و هر که بپوشید آنرا پس آن گناه کرده است دل او و خدا

بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ القراءة الا ان يمل هو بسكون الهاء قتيبة والحلوانى عن قالون الباقون بالضم على الاصل ان تضل بكسر الهمزة على الشرط حمزة والمفضل

با نچه میکنید داناست الباقون بالفتح على انها ناصبة فتذكر بالتشديد والرفع حمزة وحبلة فتذكر بالرفع ومن الاذكار ابو زيد عن المفضل فتذكر من الاذكار

وبالنصب ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون فتذكر بالتشديد والنصب تجارة حاضرة بالنصب فيهما عاصم الباقون بالرفع فيهما فرهن

بضم الراء والهاء ابن كثير وابو عمرو الباقون فرهان الوقوف فاكتبوه ط للعدل بالعدل ص لعطف المتفقين فليكتب ج شيئا ط بالعدل ط من رجالكم

للشرط مع فاء التعقيب الاخرى ط دعوا ط للعدول الى اجله ط الا تكتبوها ط للابتداء الا مر تبايعتم ص لعطف المتفقين ولا شهيد بكم ط واتقوا الله ط ويعلمكم

الله ط عليم مقبوضة ط للابتداء بشرط واستيناف معنى آخر ربه ط للعدول الشهادة قلبه ط عليم التفسير الحكم الثالث المداينة وسبب النظم ان الحكمين المتقدمين

وهما الانفاق وترك الربوا كانا سببين لنقصان المال فارشد الله تعالى في هذه الآية بكمالها الى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن التلف والبوار

ورعاية وجوه الاحتياط فان مصالح المعاش والمعاد موقوفة على ذلك ولهذه الدقيقة بالغ في الوصاية والطنب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال

لما حرم الربوا اباح السلف وانزل فيه اطول آية ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل اليها بالطريق الحرام الا وقد جعل الله سبحانه

لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل من الدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا والمراد اذا

تعاملتم بما فيه دين وذلك ان البياعات على اربعة اوجه احدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فيبقى

ههنا بيعان بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيئا بثمن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما داخلان تحت الآية واما القرض

فلا يدخل فيه وانه غير الدين لغة فان الدين يجوز فيه الاجل والقرض لا يجوز فيه الاجل والفائدة في قوله بدين تخليص التداين بمعنى المجازات او

التاكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه وليشمل اي دين كان صغيرا او كبيرا سلما او غيره وفي الكشاف فائدته رجوع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر

لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن لانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فانه كالمطابقة ودلالة تداينتم على ذلك كالتضمن وقيل

ليكون المعنى تداينا يحصل فيه دين واحد فيخرج بيع الدين بالدين وانما لم يقل كلما تداينتم ليكون نصا في العموم لان الكلية تفهم من بيان العلة في قوله

ذلكم اقسط عند الله فان العلة قائمة في الكل او نقول العلة هي المداين والعلة لا ينفك عنها معلولها فيكون القضية كلية كما في قوله اذا قمتم الى

الصلوة فاغسلوا والاجل مدة الشيء ومنه اجل الانسان لمدة عمره وفائدة قوله مسمى ان يعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة

والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد او الى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم انه تعالى امر في المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كل المتداينين او ثق

وآمن من النسيان والتفاوت والتخالف في مقدار الدين وفي انقضاء الاجل وفي سائرها تشارطا عليه هذا الامر قيل للوجوب وهو مذهب عطا

وابن جريج والنخعي وجمهور المجتهدين على انه للندب لاجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالاثمان المؤجلة من غير كتبة ولا اشهاد ولان في ايجابهما

حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين فنسخا بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهذا مذهب الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم

المخاطب بقوله فاكتبوه فليس كل احد لوجود ميين كثير من في الدنيا لا يحسن الكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب والمراد بذلك انه على الاملاء

ولكنه يجب ان يكون الكاتب متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص عنه ولا يخص احدهما بالاحتياط دون الآخر ويحترز عن الالفاظ

المجملة التي يقع النزاع في المراد منها وهذا بالحقيقة امر للمداينين بتخيير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا قال بعض الفقهاء العدل ان تكتبه

متفقا عليه بين المجتهدين ولا يكون بحيث يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا الى ابطاله ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى التنكير في كاتب

ان يكتب وقوله كما علمه الله اما ان يكون متعلقا بما قبله فالتقدير ولا يأب كاتب ان يكتب مثل ما علمه الله ثم يقع قوله بعد ذلك فليكتب تاكيدا للاولى

فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله تعالى اياها او بما بعده فيكون الاول نهيا عن الامتناع مطلقا والثاني امرا بالكتابة المقيدة والمطلق لا دلالة له على المقيد

فلا يكون الثاني تاكيدا للاول وانما يكون بيانا له ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب انما هو على سبيل الارشاد والاولى تحصيلا لحاجة

المسلم وشكرا لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله واحسن كما احسن الله اليك وقيل انه على سبيل الايجاب ولكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا

شهيد وعن الشعبي انه فرض كفاية فان لم يجد الا كاتبا واحدا وجبت الكتبة عليه وان وجد اشخاصا فالواجب كتبة احدهم وقيل متعلق الايجاب هو

فيكون الحكم حاصلا في الكل

لا يكون ما

ان يكتب كما علمه الله يعني انه يتقيد بان يكتب فالواجب ان يكتب كما علمه الله وان لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم باهماله واعلم ان الكتابة بعد حصولها لكاتب العارف بشروط الصكوك والسجلات لا يتم الا باملاء من عليه الحق ليدخل في جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته واجله الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي عليه الحق والاملال والاملاء لغتان قال الفراء امللت عليه الكتاب لغة الحجاز وبني اسد وامليت لغة بني تميم وقيس وقد نطق القرآن بهما قال فهي تملى عليه بكرة واصيلا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا امر ان لهذا المملي الذي عليه الحق بان يقر بتمام المال الذي عليه ولا ينقص منه شيئا والبخس النقص فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف وضعف عقله او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه بالعدل والمراد بولي الذي عليه الحق الذي يلي امره ويقوم بمصالحه من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وفائدة توكيد المتصل بالمنفصل في قوله ان يمل هو انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع ان الضمير في وليه عائد الى الذي اي الذي له الدين يمل قيل وفيه بعد لان قول المدعي كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا فاي حاجة الى الكتبة والاشهاد ثم المقصود من الكتابة هو الاستشهاد ليتمكن بالشهود من التوصل الى تحصيل الحق ان جحد فلهذا قال تعالى واستشهدوا اي اشهدوا والاشهاد والاستشهاد بمعنى لان معنى استشهدته سألته ان يشهد شهيدين اي شاهدين فعيل بمعنى فاعل واطلاق الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيل لما يشارف منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم اي من رجال اهل ملتكم وهم المسلمون وقيل يعني الاحرار وقيل من رجالكم الذين تعدونهم للشهادة من اهل العدالة فان لم يكونا اي الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان اي فليكن اي فليشهد او فالشاهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يشهدون جميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره علي بن عيسى ممن ترضون من الشهداء وفيه دليل على انه ليس كل احد صالحا للشهادة والفقهاء قالوا شرائط قبول الشهادة ان يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما يشهد به لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة وعن علي عليه السلام لا يجوز شهادة العبد في شيء وبه قال الشافعي وابو حنيفة وذلك لانه تعالى قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا والاجماع منعقد على ان العبد لا يجب عليه الذهاب بل يحرم عليه ذلك اذا لم يأذن له السيد فعلم منه ان العبد لا يجوز ان يكون شاهدا وعند شريح وابن سيرين واحمد يجوز شهادة العبد قالوا لان العقل والعدالة والدين لا يختلف بالحرية والرق وعند ابي حنيفة يجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل ان تضل ان لا تهتدي احديهما للشهادة بان تنساها والغلبة البرد والرطوبة على امزجتهن او احد النفسين فان الانسان لا يخلو من النسيان فتذكر احديهما الاخرى وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل قال في الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الاخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قوله اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وفي التفسير الكبير ان ههنا غرضين احدهما حصول الاشهاد وذلك لا يتأتى الا بتذكير احدى المرأتين والثاني بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يبين ان اقامة المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية وذلك لا يتأتى الا بضلال احدى المرأتين فلهذا صار كل من الغرضين صحيحا ولا محذور ومن قرأ بكسر ان على الشرط والجزاء فلا اشكال وروي عن سفيان بن عيينة انه قال فتذكر معناه فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يخفى ما فيه من التعسف واعلم ان الشهادة خبر قاطع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد او فدع وقد يقام الظن المؤكد فيه مقام اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد لا يكفي للحكم به الا في هلال رمضان كما مر ولا يحتاج الى ازيد من اثنين الا في الزنى لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء وقال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ولا يعتبر فيه شهادة النساء عن الزهري انه قال مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده ان لا يقبل شهادة النساء في الحدود وغير هلال رمضان والزنى اما عقوبة او غيرها فان كان عقوبة فلا يثبت الا برجلين لما مر من حديث الزهري يستوي فيه حق الله تعالى كحد الشرب وقطع الطريق وحق العباد كالقصاص وحد القذف واما غير العقوبات فالذي ليس بمال ولا يقصد به المال ان كان مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والرجعة والطلاق والعتاق والاسلام والردة والبلوغ والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود وتعديلهم والعفو عن القصاص فكل ذلك لا يثبت الا برجلين ايضا وان كان مما يختص بمعرفته النساء غالبا فتقبل فيه شهادتهن على انفرادهن لما روي عن الزهري انه قال مضت السنة ان يجوز شهادة النساء في كل شيء لا يليه غيرهن وذلك كالولادة والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع وعيب المرأة من برص وغيره تحت الازار ولا يثبت شيء من ذلك باقل من اربع نسوة تنزيلا لاثنتين منهن منزلة رجل وما يثبت بهن يثبت برجل وامرأتين وبرجلين بالطريق الاولى واما ما هو مال او يقصد به المال كالاعيان والديون والعقود المالية من البيع والاقالة والرد بالعيب والاجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح والقرض فيثبت بشهادة رجل وامرأتين ثبوتها بشهادة رجلين بنص القرآن منزل على هذا القسم الذي قبله وجوز الشافعي القضاء بالشاهد واليمين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قضى بالشاهد واليمين وانكره ابو حنيفة ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ما زائدة مبهمة اي اذا دعوا وقيل اي الى اداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق اليها وقيل الى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال قال كما امر الكاتب ان لا يأبى الكتابة امر الشاهد ان لا يأبى تحمل الشهادة وقيل امر بالتحمل



اذا لم يوجد غيره وحمله الزجاج على مجموع الامرين التحمل اولا والاداء ثانيا والقول الاول اصح لانه اطلق عليهم لفظ الشهداء والاصل في الاطلاق الحقيقة
وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل اليه الا لضرورة وايضا التحمل غير واجب على الكل بخلاف الاداء بعد التحمل وايضا الامر بالاشهاد يتضمن الامر بتحمل
الشهادة فكان صرف قوله ولا يأب الشهداء الى الامر بالاداء اولى ليفيد فائدة جديدة وهي ان الشاهد ان كان متعينا وجب عليه اداء الشهادة
وان كان فيهم كثرة كان الاداء فرضا على الكفاية ولا تسأموا لا تضجروا ولا تملوا ان تكتبوه اي الدين والحق لتقدم ذكرهما على اي حال كان الحق
صغيرا او كبيرا الا ما جرت العادة بكتبه كالحبة والقيراط فان القليل من المال ربما افضى الى نزاع كثير وانما نهى عن السأمة لانها من الكسل والكسل صفة
المنافق وايضا من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل لكثرة الكتب فقضى المقام ترهيبه والمبالغة ويجوز ان يكون الضمير
للكتاب قوله ان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا يخل بكتابته الى اجله الى وقته الذي تفقا على تسميته ذلكم الكتب وذلكم الذي مر تكميم من الكتب في الاشهاد اقسط
اعدل عند الله واقوم للشهادة اعون على اقامة الشهادة وهما امران سقط وقام فيكون محمولا على قولهم فلان اشد الحلق او اما من قويم وقاسط
بمعنى ذو قسط على طريقة النسب لا فالقاسط الجائر ولا يصح ان المعنى هنا يقال قسط اذا جار واقسط اي عدل وادنى الا ترتابوا اقرب من انتفاء
الريب نبه الله تعالى على الكتبة والاشهاد ثلث فوائد الاولى يتعلق بالدين لانه اذا كان مكتوبا كان الى اليقين اقرب عن الجهل بعد فيكون اعدل
عند الله والثانية تتعلق بالدنيا وهو كونه ابلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج واعون للحفظ والذكر والثالثة انه يرفع الضرر عن نفسه بان لا
يضل في امره ولا يتردد وعن غيره بان لا ينسبه الى الكذب والخيانة فلا يقع في الغيبة والجهالة فما احسن هذه الفوائد مما دخلها في الضبط والترتيب
الا ان تكون تجارة قيل هو راجع الى قوله اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه فان البيع بالدين قد يكون الى اجل قريب وقد يكون الى اجل بعيد فاستثنى
عن الامر ما يكون اجله قريبا ويحتمل ان يكون استثناء من قوله ولا تسأموا ان تكتبوه وقد يقال انه استثناء منقطع والتقدير لكنه اذا كان التجارة
حاضرة فليس عليكم جناح فيكون كلاما مستأنفا على سبيل الاضراب عن الاول والتجارة تصرف في المال لطلب الربح سواء كانت المبايعة بدين
او بعين فالتجارة حاضرة فاذن المراد بالتجارة ههنا ما يجري فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد
ومن قرأ تجارة بالرفع فعلى كان التامة او الناقصة والخبر تديرونها ومن قرأ بالنصب فالتقدير الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله لكان يعني
اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما والبوم الاشنع هو الذي تفع شره وعلا وذو كواكب اي شديد يقال
اشتد حتى لا رأينك الكواكب ظهرا وقال الزجاج تقديره الا ان تكون المداينة تجارة حاضرة اي يكون دينا قريب الاجل فليس عليكم جناح الا تكتبوها
ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم الاثم والا لزم ان يكون الكتابة المذكورة اولا واجبة وقد اثبتنا خلاف ذلك وانما خص تعالى في هذا النوع من التجارة
لكثرة جريانها فيما بين الناس فتكليفهم الكتابة في كل حط حرج عليهم من حوف التجاحد في مثله قليل واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع كانه لما رفع
عنهم الكتابة في التجارة الحاضرة كرر الامر بالاشهاد ليعلم ان حكمه باق فيها لان الاشهاد بلا كتابة تخف مؤنته ويحتمل ان يكون امرا بالاشهاد
مطلقا ناجزا كان التبايع او كالئا لانه احوط عن الحسن ان شاء اشهد ان شاء لم يشهد عن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار
كاتب ولا شهيد يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل فيكون اصله لا يضارر بكسر الراء ويؤيده قراءة عمر وعليه اكثر المفسرين والحسن وطاوس وقتادة ومعناه
نهي الكاتب ان يزيد او ينقص والشاهد ان يحرفا او يتركا الاجابة الى ما يطلب منهما ولهذا قال وان تفعلوا فانه فسوق بكم فان التحريف في الكتابة
والشهادة فسوق واثم وعن ابن مسعود وعطاء ومجاهد ان التقدير لا يضارر بفتح الراء ويؤيده قراءة ابن عباس وانه نهي للمداينين عن الضرار بالكاتب
والشهيد كان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل ويحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وان تفعلوا ما نهيتكم عن الضرار او كل ما نهيتكم
عنه من فعل معصية وترك طاعة ليكون عاما فانه فان الضرار وارتكاب المنهي فسوق بكم خروج عن امر الله طاعته ومعنى بكم اي ملتصق بكم
واتقوا الله في اوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما فيه صلاح الدارين والله بكل شيء من مصالح عباده عليم واعلم انه سبحانه جعل البياعات في هذا
المقام على ثلثة اقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالامانة ولما بين القسم الاول شرع في الثاني وقال وان كنتم على سفر
ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة واتفق الفقهاء على ان الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب كيف وقد ثبت ان رسول الله
رهن درعه في غير سفر ولكنه وردت الاية على الغالب فان الغالب انه لا يوجد الكاتب في السفر او لا يوجد الكاتب في السفر او لا يوجد دوات الكتابة ولهذا قال
ابن عباس ارأيت ان وجدت الكاتب لم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ولم تجدوا كتابا ونظيره فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم
وليس الخوف من شرط جواز القصر وكان مجاهد والضحاك يذهبان الى ان الرهن لا يجوز في غير السفر اخذا بظاهر الاية ولا يعمل بقولهما اليوم واصل
الرهن من الدوام رهن الشيء اذا دام وثبت ونعمة راهنة اي دائمة ثابتة والرهن مصدر جعل اسما وزال عنه عمل الفعل فاذا قلت رهنت عنده رهنا لم يكن
انتصابه انتصاب المصدر ولكن انتصاب المفعول به كما تقول رهنت ثوبا ولهذا جمع جمع الاسماء وله جمعان رهن بضمتين كسقف في سقف ورهان
مثل كباش في كبش وقيل احدهما جمع الاخر وفي الكلام حذف تقديره فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين او فعليه رهن او فالوثيقة والذي تستوثق
به رهن ويعلم من قوله مقبوضة ان الرهن لا بد في لزومه من القبض والمراد باللزوم ان لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن ولا للمرتهن عن الارتهان
وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل وقبل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم واما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية الراهن او كيله



بينه وبين المرتهن او وكيله ويمكنه منه بتسليم المفتاح فيما له مفتاح وقبض المنقول يحصل بالنقل من موضعه الى موضع لا يختص بالراهن كالشارع
والمسجد وملك المرتهن وان كان المنقول مقدرا فلا بد من التقدير ايضا بوزن او كيل او ذرع ولو نقل من بيت من دار الراهن الى بيت آخر
باذنه او وضعه الراهن بين يدي المرتهن اذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم انه تعالى ذكر بيع الامانة فقال فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فان امن بعض
الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وثقته بانه لا يجحد الحق ولا ينكره فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ فليكن المديون عند ظن الدائن به و
سمى الدين امانة وان كان مضمونا لايتمانه عليه بترك الارتهان منه والحاصل انه مجاز مستعار وذلك انه لما اشترك هذا الدين مع
الامانة الشرعية في وصف وجود الامانة اللغوية اطلق احدهما على الاخر والايتمان افتعال من الامن وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ حتى لا يدخل في خلده
جحود واخيان وفي الاية قول اخر وهو انها خطاب للمرتهن بان يؤدي الرهن عند استيفاء المال فانها امانة في يده والصحيح هو الاول
ومن الناس من قال هذه الاية ناسخة للايات المتقدمة الدالة على وجوب الكتبة والاشهاد واخذ الرهن والحق ان تلك الاوامر محمولة على
الارشاد ورعاية وجوه الاحتياط وهذه الاية محمولة على الرخصة وعن ابن عباس انه قال في اية المداينة نسخ ثم قال وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وفيه
وجوه الاول عن القفال انه تعالى لما اباح ترك الكتبة والاشهاد والرهن عند اعتقاد كون المديون امينا ثم كان من الجائز ان يكون الظن خطأ
وان يخرج المديون جاحدا للحق وكان من الممكن ان يكون بعض الناس مطلعا على احوالهم ندب الله ذلك الانسان ان يشهد لصاحب الحق
بحقه سواء عرف صاحب الحق تلك الشهادة ام لا وشدد فيه بان جعله اثم القلب لو تركه وعلى هذا يمكن ان يحمل قوله صلعم خير الشهود من شهد
قبل ان يستشهد وقيل المراد من كتمان الشهادة ان ينكر العلم بتلك الواقعة وقيل المراد بالكتمان الامتناع من ادائها عند الحاجة الى اقامتها فان
في ذلك ابطال حق المسلم وحرمة مال المسلم كحرمة دمه فلهذا بالغ في الوعيد فقال وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ والاثم الفاجر والاثم مرتفع بانه
خبر ان وقلبه فاعله ويجوز ان يكون قلبه مبتداء واثم خبره مقدما عليه والجملة خبر ان وفائدة ذكر القلب والتخصيص بجملته اثم لا قلبه وحده هو ان افعال
الجوارح تابعة لافعال القلوب ومتولدة مما يحدث في القلب من الدواعي والصوارف واسناد الفعل الى القلب الذي هو محل الاقتراف ومعدن
الاكتساب ابلغ كما يقال عند التوكيد هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني وعرفه قلبي وعن النبي صلعم ان في جسد ابن ادم لمضغة اذا صلحت صلح
بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب وزعم كثير من المتكلمين ان الفاعل والعارف والمأمور والمنهي هو القلب وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ فيه تحذير للكاتم ولهذا يروى عن ابن عباس اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وشهادة الزور وكتمان
الشهادة التأويل انه تعالى كما امر العباد ان يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليه العدول فقد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين
عباده في الميثاق إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ الى قوله فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ واشهد الملائكة
الكرام وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ وانه تعالى كما امركم ان لَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا امر الملائكة ان يكتبوا معاملاتكم الصغيرة
والكبيرة ثم عند خروجكم من الدنيا يجعلون ذلك في اعناقكم وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ثم نودي من سرادقات الجلال يا قوي الظلم
ضعيف الحال اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ثم ان الكتاب يكتبون عليه في صباحه ومسائه وما يكتبون الا من املائه وانه بالقليل
والكثير يملي يخاطب بالنقير والقطمير على ما يميل عن الحق يعاتب فليحاسب نفسه قبل ان يحاسب فعليه ان يملي الحق بالحق فان كان الذي عليه
الحق سفيها جاهلا باملاء الحق لاشتغاله بالباطل او ضعيفا عاجزا مغلوبا بغلبات نفسه او لا يستطيع ان يمل هو لكونه ممنوعا بالعوائق
والعلائق لا قدرة له على املاء ما ينفعه ولا يضره ولا قوة له في ما لا يجزئه بسره فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ فان لكل قوم وليا يخرجهم من الاحزان
الى السرور ومن الاشجان الى الحبور ومن العجز والفتور الى القوة والحضور اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ استصحبوا من ارباب القلوب اثنين مِنْ رِجَالِكُمْ الذين هم بالنسبة اليكم رجال وانتم نساء فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
من ارباب القلوب فرجل منهم وَامْرَأَتَانِ اي رجلان من اهل الصلاح ليكونا بمثابة رجل من اهل الولاية في فائدة الصحبة مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ
الشُّهَدَاءِ ممن يصلح ان يكون من شهداء الله كما قال انتم شهداء الله في ارضه أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا عن جادة الاستقامة في بادية النفس المملوة من
شياطين الهوى فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى فالرفيق ثم الطريق واعلم ان اهل الدين طائفتان الواقفون والسائرون والمراد بالواقف من وقف
في عالم الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى كالفرخ المحبوس في قشر البيضة فيكون شربه من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته
فهو محبوس في سجن الجسد عليه موكلان من الكرام يكتبان عليه من اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ واما
السائر فلا يقف في محل ولا ينزل في منزل يسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار
فالسيار من يسير بقدمي الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحي العشق والهمة في فضاء الحقيقة وفي جملة الشريعة فالاشارة
في قوله وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا اي السيار الذي يخلص من سجن الجسد وقيد الحواس وربقة التوكيل فلم يوجد له كاتب يكتب عليه كما
قال بعضهم ما كتب علي صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشفني صاحب اليمين وقال لي امل علي شيئا من معاملات قلبك
لاكتبه فاني اريد ان اتقرب به الى الله فقلت له حسبك الفرائض فالحاصل انه فقد التوكيل لمن يؤدي حق صاحب الحق ويكون هاربا منه فاما الذي





اناء الليل واطراف النهار بغدو ويروح في طلب غريمه وما يبرح في حريمه فلا يحتاج الى التوكيل والتقييد فالذي هو موكل على الطالب يكون وكيلا وحفيظا للطالب له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وللسائرين رهان مقبوضة عند الله رهان واية رهان قلوب الناس فيها غير الله قبض واى قبض مقبوضة بين اصبعين من اصابع الرحمن اما الطيار الذي هو عاشق مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب اسرار الايمان بالرهن فانه مبطوش ببطشه الشديد مشغوف شغفا منها ما ضاق مذهبه فهوى من عز مطلبه كل امرئ في الهوى عجب وطلاحي منه عجبه وانما يحتاج الى الرهن المتهم بالخيانة المتعين للامانة فلم يوجد في السموات والارض ولا في الدنيا والاخرة امين يؤتمن لتحمل عباء امانة الا العاشق السكران لما نظر اليها كان فراش تلك الشمعة عشقها فطار فيها وانى يحملها فلما حملها واستحق منه ما تفرد به من صحابه جاءته من الحضرة القابل فنسب في البداية الى الافساد وسفك الدماء اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولقب في النهاية بالظلم والجهل انه كان ظلوما جهولا هذا امر عجيب وبعض غريب من لم يطع في حمل الامانة وابى نسب الى المكانة والطاعة والامانة مكين ثم مطاع ثم امين ومن اطاع في حمل الامانة واتى نسب الى الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون ذلك لوجهين احدهما ان الذلة والمسكنة وقعت في قسم العاشق كما ان العزة والعظمة وقعت في طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا في مرآة ذلة العاشق وثانيهما ان من كمال عزة الامانة يلزم كمال ذلة المؤتمن في الظاهر بصلاح كتمان امر الامانة وقد يختص غير المؤتمن بحسن الثناء عليه ليكون عزته في الظاهر وذلته في الحقيقة بدله على حقيقة حفظ السر خطاب اسجدوا لادم وعتاب اني اعلم ما لا تعلمون فان امن بعضكم بعضا كما اخترناك من بين الخليفة واصطفيناك على البرية بحمل الامانة فليؤد الذي اؤتمن امانته ولا تكتموا الشهادة اشهدتكم على انفسكم يوم الميثاق باقرار قبول الامانة فقلتم بلى شهدنا فاليوم اطالبكم باداء حقها فادوها الى ملفوفة بلفاف التقوى لا بيان عريان ولباس التقوى وكتمان الشهادة ان يكون شهودك مع غير شواهدك وهذا من نتائج خيانة قلبك في امانته بك بربك فلا يشاهد قلبك لا شواهدك لا يؤدي سرك حقيقة امانة ربك الا اليك بربك لربك لله ما في السموت وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء

خدا راست انچه در اسمانهاست وانچه در زمین است واگر ظاهر سازید انچه را که در نفسهای شماست یا پنهان دارید از ان حساب کند شما را خدا پس بیامرزد ان را که خواهد وعذاب کند ان را که خواهد

والله على كل شيء قدير امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا

و خدا بر هر چیزی تواناست ایمان اورد پیغمبر بانچه فرستاده شد باو از پروردگارش و مومنان هر یک گرویدند بخدا و فرشتگان او و کتابهای او و پیغمبران او

نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها

جدائی نیست در میان ایچ کدام از پیغمبرانش وگفتند که شنیدیم و پیروی کردیم بخشش داریم امرزش تو را و بسوی تو باز گشت تکلیف نکند خدا ایچ نفسی را مگر بقدر گنجایش او

ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولنا فانصرنا

مراورا است انچه کسب کرد وبر اوست عقوبت انچه کسب کرده پروردگارا و سوار مکن بر ما انچه که یارائی نیست مر ما را بان و درگذر از ما و بیامرز ما را و ترحم کن بر ما توئی اقای ما پس نصرت ده

على القوم الكافرين

بر گروه کافران

القراءة فيغفر لمن يشاء بادغام الراء في اللام ابو عمرو وجملة اهل العلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر ويعذب بوقع الراء والباء يزيد وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب فرا حمزة غير ابي عمرو والحلواني عن قالون وابن مجاهد وابو ربيعة عن البزي وخلف لنفسه يعذب من بالاظهار ابو عمرو يدغم ويعذب من يشاء كل القرآن وكتابه على وخلف الباقون وكتبه جمعا لا يفرق بياء الغيبة يعقوب الباقون بالنون اخطانا مثل فادارأتم الوقوف وما في الارض ط بالله ط لمن قرأ فيغفر بالرفع على الاستيناف اى فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من يشاء ط قدير والمؤمنون ه لمن لم يقف على من ربه ط المصير وسعها ط ما اكتسبت ط او اخطانا ج من قبلنا ج لان النداء للابتداء ولكن الواو لعطف السؤال لنا به ج واعف عنا وقفه واغفر لنا كذلك وارحمنا كذلك لتفصيل بين انواع المقاصد لا عتراف بان اطاعنا غير واحد الكافرين التفسير نعم انما جمع في هذه السورة اشياء كثيرة من علم الاصول وهي دلائل التوحيد والنبوة والمعاد واشياء كثيرة من بيان الشرايع والتكاليف كالصلوة والزكوة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع والبيع والربوا والمداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وهو قوله لله ما في السموات وما في الارض وعلى كمال علمه وهو قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعلى كمال قدرته وهو قوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير وفي ذلك غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين عن ابي مسلم انه لما قال والله بما تعملون عليم ذكر عليه دليلا عقليا فان كان فاعل هذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع الفاخرة لا بد ان يكون محيطا باجزائها وجزئياتها وقيل لما امر بالوثائق من الكتبة والاشهاد والرهن ذكر ما علم منه ان المقصود يرجع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع به قال الشعبي وعكرمة ومجاهد انه لما اوعد على كتمان الشهادة ذكر ان له ما في السموات والارض فيجازي على الكتمان والاظهار عن ابن عباس وابي هريرة واللفظ له لما نزل وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والصدقة وقد انزلت عليك هذه الاية ولا نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم



اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقراها
القوم وذلت بها السنتهم انزل الله فى اثرها امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله عز وجل لا
يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا على القوم

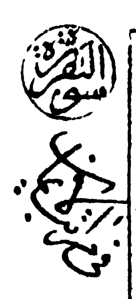
قال نعم



الكافرين قال نعم واعلم ان العلماء اتفقوا على ان الامور التى تخطر بالبال مما يكرهها الانسان ولا يمكنه ازالتها عن النفس لا يؤاخذ بها لانها تجرى
مجرى تكليف ما لا يطاق واما الخواطر التى يوطن الانسان نفسه عليها ويعزم على ادخالها فى الوجود فقد قيل انه يؤاخذ بها لقوله تع ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع وانه من افعال القلوب ثم قال بعضهم انما يؤاخذ بها فى الدنيا لما روى الضحاك عن
عايشة انها قالت ما حدث العبد به نفسه من شر كانت محاسبة الله عليه بغم يبتليه فى الدنيا او حزن واذى فاذا جاءت الاخرة لم يسئل عنه ولم يعاقب
وروت انها سئلت النبى عم عن هذه الاية فاجابها بما هذا معناه وقيل ان كل ما كان فى القلب مما لا يدخل فى العمل فانه فى محل العفو لما روى انه
قال بعد نزول قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان الله يجاوز لامتى ما حدثوا به انفسهم ما لم يعملوا او يتكلموا وقيل معنى قوله وان تبدوا ما فى
انفسكم او تخفوه ان يدخل ذلك العمل فى الوجود اما ظاهرا واما على سبيل الخفية وعلى هذا فلا حاجة الى التزام النسخ وكذا لو قيل ان معنى كونه
حسيبه ويحاسبا كونه عالما بما فى الضمائر والسرائر فيغفر لمن يشاء وان كان من اصحاب الكبائر لعموم اللفظ وعند المعتزلة لمن استوجب المغفرة
بالتوبة وهو تخصيص بغير دليل ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير مستول على كل الممكنات بالقهر والغلبة والايجاد والاعدام فعلى كل عاقل
ان يكون له عبدا منقادا خاضعا لاوامره ونواهيه محترزا عن سخطه ومناهيه ليستحق المدح والثناء بقوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون فان كمال الربوبية فى الواجب يستلزم كمال العبودية فى الممكن وكمال العبودية فى الممكن يستتبع كمال الرحمة عليه ذلك قوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الى اخر السورة او نقول انه بدأ السورة بذكر المتقين الذين يؤمنون بالغيب فبين فى اخرها ان الذين مدحهم فى اول السورة
هم امة محمد والمؤمنون كل امن بالله ثم قال ههنا وقالوا سمعنا واطعنا كما قال هنالك ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون وقال ههنا

ربنا

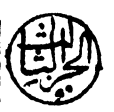
غفرانك واليك المصير كما قال هنالك وبالاخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم الى ربهم بقوله ربنا لا تؤاخذنا الى اخر السورة كما قال هنالك
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون او نقول انه تع سبحانه لما ذكر فى هذه السورة انواع الشرائع والاحكام بين ان الرسول عرف
بالمعجزة دلت له على صدق الملك ان ذلك وحى من الله وصل اليه وان الذى اخبره ذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف والتبديل شيطان
مضل ثم ذكر عقيبه ايمان المؤمنين بذلك لمعجزات اظهرها الله تع على يد الرسول حتى استدلت الامة بها على انه صادق فى دعواه وهو المرتبة
المتاخرة ومن تامل فى نظم هذه السورة وفى بدايع ترتيبها علم ان القرآن كما انه معجز بسبب فصاحة الفاظه وبلاغة معانيه فهو ايضا معجز بحسب ترتيبه
ونظم مبانيه ولعل الذين قالوا انه معجز بحسب اسلوبه ارادوا ذلك ثم ههنا احتمالان احدهما ان يكون تمام الكلام عند قوله والمؤمنون فيكون المعنى
امن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم ابتداء بقوله كل امن فيكون الضمير الذى التنوين نائب عنه فى كل عائدا الى الرسول والمؤمنين اى كلهم
امن بل كل واحد ممن تقدم ذكره من الرسول والمؤمنين امن ولهذا وحد ومثل هذا الضمير يجوز ان يفرد بمعنى كل واحد ويجوز ان يجمع كقوله
وكل اتوه داخرين وهذا الاحتمال يشعر بانه تع ما كان مؤمنا بربه ثم من فيحمل عدم الايمان على وقت الاستدلال وذلك انه عرف بما ظهر من
المعجزات على يد جبرئيل تع ان هذا القران وجملة ما فيه من الشرايع والاحكام منزل من عند الله تع وليس من باب القاء الشياطين ولا
من نوع السحر والكهانة والشعبدة والاحتمال الثانى ان يتم الكلام عند قوله من ربه ثم ابتداء من قوله والمؤمنون كل امن وفى هذا الاحتمال
اشعار بان الذى حدث هو ايمانه بالشرايع التى نزلت عليه كما قال ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اما الايمان بالله وملائكته و
كتبه ورسله على الاجمال فقد كان حاصلا منذ خلق من اول الامر بل كان نبيا وادم بين الماء والطين كما ان عيسى خلق كامل العقل حتى قال
فى المهد انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وعلى هذا فانما خص الرسول بذلك لان الذى نزل اليه من ربه قد يكون متلوا ليسمعه الغير
ويعرفه فيمكنه ان يؤمن به وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون هو مختصا بالايمان به ولا يتمكن الغير من الايمان به فلهذا علم ان الاية دلت
على ان معرفة هذه المراتب الاربع من ضروريات الايمان المرتبة الاولى الايمان بالله سبحانه فان صدق المبلغ والرسول يتوقف على وجود المبلغ
والمرسل والثانية الايمان بالملائكة فانهم وسائط بين الله وبين البشر ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده علمه شديد القوى
والثالثة الكتب فانه الوحى الذى يتلقفه الملك ويوصله الى النبى فمثال الملك فى عالم الصور جرم القمر ومثال الوحى نور القمر فكما ان القمر يستفيد
من الشمس ويوصله الينا فكذا الملك ياخذ الوحى من الله تع ويلقيه على الانبياء فلا جرم وقع الرسل فى المرتبة الرابعة وهذا الترتيب مما
تقتضيه حكمة عالم التكليف والوسايط والا فمقام لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل معلوم للانبياء وهذا سر تطلع منه
على اسرار اخرى ان كنت من اهلها ثم الايمان بالله عبارة عن الايمان بوجوده وبصفاته وبافعاله وباحكامه وباسمائه اما الايمان بوجوده فهو



ان تعلم ان وراء المتحيزات موجودا خالقا لها وعلى هذا التقدير فالمجسم يكون مقرا بوجود الاله تعالى فيكون الخلاف معهم في ذات الله تعالى واما الفلاسفة
والمعتزلة فالخلاف معهم في الصفات لا في الذات لانهم مقرون بوجود موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز واما الايمان بصفاته فالصفات اما
ثبوتية او سلبية واضافية وقد عرفت في تفسير البسملة ما يصح صفة له تعالى وما لا يصح كذا في تفسير آية الكرسي واما الايمان بافعاله فان تعلم ان
كل ما سواه فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الافعال التي تسمى اختيارية للحيوانات وذلك لان مشية الانسان محدثة منتهية الى الله سبحانه فهو مضطر
في صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم واما الايمان باحكامه فان تعلم انها غير معللة بغرض وان كان
يترتب عليها الفوائد وان تعلم ان المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد لا الى الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وان تعلم ان له
الالزام والحكم في الدنيا كيف شاء واراد وان تعلم انه لا يجب على الخلق بسبب الاعمال شيء وانه في الاخرة يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء
بعدله ولا يقبح منه شيء لان الكل ملكه وملكه واما الايمان باسمائه وهي الاسماء الواردة في كتب الله المنزلة وفي كلمات انبيائه المرسلة وقد
مر في تفسير البسملة فهذا هو الاشارة الى معاقد الايمان بالله واما الايمان بالملائكة فهو الايمان بوجودها فاما البحث عن انها روحانية محضة
او جسمانية محضة او مركبة من القسمين وبتقدير كونها جسمانية فلطيفة او كثيفة وان كانت لطيفة فنورانية او هوائية فذلك مقام العلماء الراسخين
في العلوم القرآنية والبرهانية ويدخل في الايمان بالملائكة اعتقاد انهم معصومون وان لذتهم بذكر الله وحيوتهم بمعرفته وطاعته وانهم
وسائط بين الله وبين البشر وبهم وصلت الكتب الى الانبياء ولكل طائفة منهم مقام معلوم وجزء مقسوم من اقسام هذا العالم واما الايمان
بالكتب فان تعلم ان كلها وحي من عند الله ليس لاحد من المخلوقات ان يلقي فيها شيئا من ضلالاتهم ولا سيما في القرآن العظيم وان من قال
ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء فعله عثمان فقد اخرج القرآن عن كونه حجة وطرق اليه التغيير والتحريف وان القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه
ومحكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فان تعلم كونهم معصومين عن الذنوب في باب الاعتقاد وفي امر التبليغ وفي الفتيا وفي الاخلاق والافعال
كما مر في قصة آدم وان تعلم ان النبي افضل ممن ليس بنبي خلافا لبعض الصوفية وان بعض الانبياء افضل من بعض كما قال تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ واما فضلهم على الملائكة فقد قال بعضهم ان الانبياء افضل من الملائكة وقال كثير من العلماء ان الملائكة السماوية افضل منهم
وانهم افضل من الملائكة الارضية وقد مر تحقيق ذلك في قصة آدم ايضا وان تعلم ان شرعهم وان صار منسوخا الا ان نبوتهم لم تصر منسوخة وانهم
الآن انبياء ورسل كما كانوا وناقش بعض المتكلمين في ذلك فهذه اشارة الى اصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واما من قرأ وكتابه
على الوحدة فاما ان يراد به القرآن ثم الايمان به يتضمن الايمان بمجموع الكتب والرسل واما ان يراد به جنس الكتب السماوية فان اسم الجنس المضاف
قد يفيد العموم كقوله وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا وقال أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ وهذا الاحلال شائع في جميع الصيام قال العلماء قراءة
الجمع اولى لمشاكلة ما قبله وما بعده وقيل قراءة الافراد اولى لان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ومن هنا قال ابن عباس الكتاب اكثر من الكتب ومن

الكتاب به

قرأ لا نفرق بالنون فلا بد من اضمار اي يقولون لا نفرق ومن قرأ بالياء على ان الفعل للكل فلا احتياج الى الاضمار ثم ان الجملة خبر بعد خبر وحال واحد
في معنى الجمع اي بين كل منهم وبين آخر منهم فان النكرة في سياق النفي تعم ولذلك صلحت لدخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل
لقوله تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ بل المراد عدم التفريق في الايمان بهم وفي اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على ايديهم حسب دعاويهم
والغرض منه تزييف معتقد اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى دون نبوة محمد وعن ابي مسلم لا نفرق ما جمعوا كقوله وَاعْتَصِمُوا
بِحَبْلِ اللَّهِ جميعا وَلَا تَفَرَّقُوا واعلم ان قوله آمَنَ الرَّسُولُ الى قوله مِنْ رُسُلِهِ اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقوله
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا اشارة الى استكمال القوة العملية بالاعمال الفاضلة الكاملة او نقول ان للانسان اياما ثلاثة الامس والبحث عنه يسمى معرفة
المبدأ واليوم والبحث عنه يسمى بالوسط والغد والفحص عنه يسمى بعلم المعاد فقوله آمَنَ الرَّسُولُ الى قوله مِنْ رُسُلِهِ اشارة الى معرفة المبدأ وقالوا سَمِعْنَا وَ
أَطَعْنَا اشارة الى الوسط وغُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ علم المعاد ومثله في آخر سورة هود وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
وهو معرفة المبدأ لان الكمالات الحقيقية ليست الا العلم والقدرة وقوله في لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فيه بيان كمال العلم وقوله وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ
فيه كمال القدرة واما علم الوسط وهو علم ما يجب ان يشتغل به اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فَاعْبُدْهُ ونهايته قطع النظر عن الاسباب
وتفويض الامور كلها الى مسبب الاسباب وهو قوله وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ واما علم المعاد فقوله وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ اي ليوم غد سيصل اليك فيه
نتائج اعمالك ومثله سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وهو معرفة المبدأ وسلام على المرسلين وفيه اشارة الى علم الوسط وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اشارة
الى علم المعاد كقوله وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ والوقوف على هذه الاسرار مما يكون يجذب به من حضيض عالم الاسرار الى فسحة عالم الانوار و
نقول في الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ اشارة الى الاحكام العقليات وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا اشارة الى الاحكام السمعيات قال الواحدي اي سمعنا قوله
واطعنا امره وقيل حذف المفعول صورة ومعنى ههنا اولى ليفيد انه ليس في الوجود قول يجب سمعه الا قوله ولا امر يجب طاعته الا امره والسماع ههنا بمعنى
القبول اي سمعناه باذان عقولنا وعرفنا صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد على لسان الملائكة والانبياء عليهم السلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال
واطعنا فدل هذا على انه كما صح اعتقادهم في هذه التكاليف فهم ما اخلوا بشيء منها فجمع الله تعالى بهذين اللفظين كل ما يتعلق بابواب التكاليف علما و



عليه غفرانك مصدر منصوب باضمار فعله اي اغفر ويقال غفرانك اللهم اي نغفرانك من قوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي لن تعدموا جزاءه وفي
الكشاف اي نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسألك غفرانك فيكون مفعولا به والاشهر انه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال واستغنى بالمصدر عن فعله
نحو سقيا ورعيا وههنا سؤال وهو ان القوم لما قبلوا التكليف وعملوا به فاي حاجة بهم الى طلب المغفرة والجواب لعلهم خافوا ان يكون فرط منهم تقصير فيما
ياتون ويذرون ولعلهم كانوا يترقون في درجات العبودية فيستغفرون مما قد خلفوها ومن ههنا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وقد حمل
قوله واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة على مثل هذا ولان جميع الطاعات في جنب مواجب حقوق الالهية جنايات وتقصير وقصور ولهذا حكي
عن اهل الجنة دعواهم فيها سبحانك اللهم اي نحن ننزه عن تسبيحنا وتقديسنا وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين اي كل الحمد له وان كنا لا نقدر
على فهم ذلك الحمد بعقولنا ولا على ذكره بالسنتنا ثم ان طلب هذا الغفران مقرون بامرين احدهما بالاضافة اليه والثاني بقوله ربنا اما القيد الاول
فمعناه اطلب المغفرة منك فانت الكامل في هذه الصفة والمطلوب من الكامل في صفة ان يعطي عطية كاملة وذلك لا يكون الا بان يغفر جميع الذنوب ويبدلها
حسنات ويكون الاضافة اشارة الى ما ورد في الحديث ان لله تعالى مائة جزء من الرحمة قسم جزء منها على الملائكة والجن والانس وجميع الحيوانات
فبها يتراحمون ويتعاطفون واخر تسعة وتسعين جزءا ليوم القيمة ولعل العبد يقول كل صفة من صفاتك فانما يظهر اثرها في محل معين فلولا الوجود
بعد العدم لما ظهرت اثار قدرتك ولولا الترتيب العجيب والتاليف الانيق لما ظهرت اثار علمك ولولا جرم العبد وجنايته وعجزه وحاجته لم يظهر اثار مغفرتك
ورافتك فانا اطلب الغفران الذي لا يمكن ظهوره الا في حقي وفي حق امثالي من المذنبين واما القيد الثاني فمعناه ربيتني اولا وجدتني مع انك لو لم
تربني في ذلك الوقت لم تتضرر به لاني كنت باقيا في العدم والان لو لم تربني تضررت به فاسألك ان لا تهملني وربيتني حين لم اذكرك بالتوحيد فكيف يليق
بكرمك ان لا تربيني وقد افنيت عمري في توحيدك وربيتني في الماضي فاجعل تربيتك لي في الماضي شفيعا اليك في ان تربيني في المستقبل وربيتني
فيما مضى فاتمم هذه التربية فيما يستقبل فان اتمام المعروف خير من ابتدائه واليك المصير حيث لا حكم الا حكمك ولا يشفع احد الا باذنك وفيه اعتراف
بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له المحيا وله الممات قوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان قلنا انه من تمام كلام المؤمنين فوجه
النظم انهم قالوا كيف نسمع ولا نطيع وانه تعالى لا يكلفنا الا ما في وسعنا وطاقتنا وان قلنا انه من كلام الله تعالى مستانفا فالوجه انهم لما قالوا سمعنا واطعنا ثم طلبوا
المغفرة دل ذلك على انه لا يصدر عنهم زلة الا على سبيل السهو والنسيان فلا جرم خفف الله تعالى عنهم ذلك اجابة لدعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق
عليه كالصلوات الخمس وصوم رمضان والحج فانه كان من امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة ولكنه تعالى
ما جعل في الدين من حرج لكمال رحمته وشمول رافته واعلم ان المعتزلة عولوا في نفي تكليف ما لا يطاق على هذه الاية ثم استنبطوا منها اصلين الاول ان
العبد موجد لافعال نفسه اذ لو كان بتخليق الله تعالى لم يكن للعبد قدرة على دفعها لضعف قدرته ولا على فعلها اذ الموجود لا يوجد ثانيا فتكليف العبد
بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق الثاني ان الاستطاعة قبل الفعل والا لكان المامور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق واما الاشاعرة
فقالوا تكليف من مات على الكفر كابي لهب مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب ان العلم بعدم الايمان ليس تكليفا بعدم الايمان
حتى يلزم التكليف بالنقيضين وفي التكليف بما هو ممكن لذاته ممتنع لغيره غير التكليف بما هو مستحيل لذاته الذي هو محل النزاع لكن الاشعري لما كانت حجته قوية
عنده خصص الاية بانها انما وردت في التكاليف الممكنة اذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو اعلام واشعار بانه خلق من اهل النار على
انه لو جعلت من قول المؤمنين لم يبق فيها حجة ويحتمل ان يقال لما حكاه عنهم في معرض المدح وجب ان يكونوا صادقين فيه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
قال الواحدي ان الكسب والاكتساب واحد قال تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها وقيل الاكتساب اخص لان الكسب لنفسه ولغيره والاكتساب ما يكتسب لنفسه
خاصة وقيل في الاكتساب مزيد اعتمال وتصرف فلهذا اختص بجانب الشر دلالة على ان العبد لا يؤاخذ من السيئات بما عقد الهمة عليه وربط القلب به
بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيف ما صدر عنه قالت المعتزلة في الاية دليل على ان الخير والشر كلاهما مضاف الى العبد فلو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه
الاضافة وجرى صدور افعاله منه مجرى لونه وطوله وشكله مما لا قدرة له بتا عليه البتة ولا نتفت فائدة التكليف وقد سبق تحقيق المسئلة
مرارا وكذا تفسير الكسب وبيان المذاهب فيه في تفسير قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم واحتج الاصحاب بالاية على فساد القول بالاحباط
لانه تعالى بين ان لها ثواب ما كسبته وعليها عقاب ما اكتسبته وهذا صريح في ان الاستحقاقين يجتمعان وانه لا يلزم من طريان احدهما زوال الاخر قال
الجبائي تقدير الاية لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت اذا لم يكفره بالتوبة وانما اضمرنا هذا الشرط لان الثواب منفعة
دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالاية في ان الله تعالى لا يعذب الاطفال بذنوب ابائهم والفقهاء تمسكوا بها في
اثبات ان الاصل في الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل منها ان المضمونات لا تملك باداء الضمان لان المقتضي لبقاء الملك قائم
وهو قوله لها ما كسبت والعارض الموجود اما الغصب واما الضمان وهما لا يوجبان زوال الملك بدليل ام الولد والمدبر ومنها انه لا شفعة للجار لان
المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل في الشريك لكثرة تضرره بالشركة فيبقى في الجار على الاصل ومنها ان القطع
لا يسقط الضمان لوجود المقتضي والقطع لا يوجب زوال الملك بدليل ان المسروق متى كان باقيا وجب رده على المالك ومنها ان منكري وجوب الزكوة
احتجوا به والجواب ان دلائل وجوب الزكوة اخص والخاص مقدم على العام ثم انه تعالى حكى عن المؤمنين اربعة انواع من الدعاء الاول ربنا لا تؤاخذنا

ان نسينا



ان نسينا او اخطأنا ومعنى لا تؤاخذنا لا تعاقبنا وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافرت وعاقبت اللص وقيل معنى المشاركة ههنا ان الناسي قد امكن من نفسه
وطرق السبيل اليها بفعله فصار من يعاقب بذنبه كالمعين لنفسه في ايذاء نفسه وفي التفسير الكبير ان الله يأخذ المذنب بالذنب والمذنب يأخذ ربه بالعفو و
الكرم اي يتمسك عند الخوف من عذابه برحمته وهذا معنى المؤاخذة بين العبد والرب والمراد بالنسيان اما الترك وهو ان يترك الفعل لتأويل فاسد كما ان الخطاء
هو ان يفعل الفعل لتأويل فاسد ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا العمل لله فتركهم ان يثيبهم واما ضد الذكر واورد عليه ان النسيان والخطأ معفو
عنهما في قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من وجوه الاول ان النسيان منه ما يعذر صاحبه فيه ومنه ما لا
يعذر فمن رأى دما في ثوبه واخر ازالته الى ان نسي فصلى وهو على ثوبه عد مقصرا اذ كان لزمه المبادرة الى ازالته وكذا اذا تغافل عن تعاهد القرآن حتى
نسي فانه يكون ملوما بخلاف ما لو واظب على القراءة ومع ذلك نسي فانه يكون معذورا وروي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يذكر حاجته شد خيطا في اصبعه فثبت
ان الناسي قد لا يكون معذورا وذلك اذا ترك التحفظ واعرض عن اسباب التذكر واذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعاء والحاصل انه ذكر النسيان والخطاء
والمراد بهما ما هما مسببان عنهما من التفريط والاغفال الثاني ان هذا على سبيل الفرض والتقدير وذلك انهم كانوا متقين بالله حق تقاته فما كان يصدر عنهم
ما لا ينبغي الا على وجه الخطاء والنسيان فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به فكانه قيل ان كان النسيان مما
يجوز المؤاخذة به فلا تؤاخذنا به الثالث العلم بان النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه بالدعاء فربما يدعو الانسان بما يعلم انه حاصل له
قبل الدعاء من فضل الله اما لاستدامته واما لاعتداد تلك النعمة او لغير ذلك كقوله قل رب احكم بالحق ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
وقالت الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الرابع ان مؤاخذة الناسي غير ممتنعة عقلا وانما عرف عدم المؤاخذة بالآية والحديث فلما كان
ذلك جائزا في العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء وقد يتمسك به من يجوز تكليف ما لا يطاق فيقول الناسي غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا انه
جائز من الله تعالى عقلا لما ارشد الله تعالى الى طلب ترك المؤاخذة عليه وقد يستدل به على حسن العفو لاهل الكبائر فلو ان النسيان والخطاء لا بد ان يعتبرا
بما بين العمل والقصد الى فعل ما لا ينبغي اذ لو فعل بما لا عهد فيه فالمؤاخذة على ذلك قبيحة عند الخصم وما يقبح من الله فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء واذا
فسر بما ذكرنا وقد امر الله المسلمين ان يدعوه بترك المؤاخذة على تعمد المعصية دل ذلك على انه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو لصاحب الكبيرة
مرجوا النوع الثاني من الدعاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر الثقل والشدة ثم سمي العهد اصرا لانه ثقيل والاصر
العطف لان من عطفت عليه ثقل على قلبك ما يصل اليه من المكاره يقال ما تأصرني على فلان آصرة اي ما تعطفني عليه قرابة ولا منة والمعنى لا تشدد
علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع اموالهم في الزكوة ومن اصاب
ثوبه نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا في الدنيا فاجاب الله تعالى دعاءهم كما قال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال صلى الله عليه وسلم رفع عن
امتي المسخ والخسف والغرق وانما طلبوا هذا التخفيف لان التشديد مظنة التقصير والتقصير موجب للعقوبة وقيل معناه لا تحمل علينا عهدا وميثاقا
يشبه ميثاق من قبلنا في الغلظ والشدة وهو قريب من الاول قال بعض العلماء ان اليهود لما كانت الفظاظة وغلظ القلب غالبة عليهم كانت مصالحهم
في التكاليف الشديدة الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم الخلق غالب عليهم وكانت مصلحتهم في التخفيف وترك التغليظ واما ان اليهود لم خصت بغلظ
الطبع وهذه الامة باللطافة والكرم فليس لنا ان نعلم تفاصيل جميع الكائنات وما لا يدرك كله لا يترك كله النوع الثالث من الدعاء ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به من الاصحاب من تمسك به في جواز تكليف ما لا يطاق اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء واجاب المعتزلة عنه بان
معنى قوله لا طاقة لنا اي يشق فعله لا الذي لا قدرة لنا عليه في الحديث ان النبي قال في المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق اي لا
يشق عليه وزيف بان معناه ومعنى الآية المتقدمة يكون حينئذ واحدا فعدلوا عن ذلك فقالوا المراد منه العذاب اي لا تحملنا عذابك الذي لا نطيق احتماله
سلمنا انهم سألوا الله تعالى ان لا يكلفهم ما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز ان يفعل خلاف ذلك كما ان قوله رب احكم بالحق لا يدل
على جواز ان يحكم بباطل وكذا قول ابراهيم ع ولا تخزني يوم يبعثون لا يدل على ان خزي الانبياء جائز وقيل لم خص التكليف الشاق بالحمل والتكليف الذي
لا قدرة عليه بالتحميل واجيب بان الحامل فيما لا يطاق هو التحميل دون الحمل مثل ما طاق لا يكلف بالفعل الشاق كان من لوازمه ان لا يكلف بما لا يطاق فكان
المناسب طرح هذا الدعاء الا انه من مكمل الترتيب الجواب على تفسير المعتزلة ظاهر اي لا تحملنا عذابك فانهم طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي
كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها واما على تفسير الاشاعرة فهو انهم سألوا ان لا يكلفهم تكليفا شاقا مقيدا
وهو التكليف بما كلف من قبلهم ثم سألوا ان لا يكلفهم التكليف الشاق الذي لا قدرة لهم عليه مطلقا سواء كلف بذلك من قبلهم ام لا وقيل الاول طلب
ترك التشديد في مقام القيام بظاهر الشريعة والثاني طلب ذلك في مقام الحقيقة وهو مقام الاشتغال بمعرفة الله وخدمته وشكر نعمه اي لا نطيق
حمدا يليق بجلالك ولا شكرا يليق بآلائك ونعمائك ولا معرفة تليق بقدس عظمتك وكمالك وما الفائدة في حكاية هذه الادعية بصيغة الجمع في لا تؤاخذنا
ولا تحمل علينا فذلك انه اذا اجتمعت النفوس والهمم على شيء كان حصوله ارجى النوع الرابع من الدعاء واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وانما حذف النداء
وهو قوله ربنا ههنا لان النداء يشعر بالبعد فترك النداء يؤذن بان العبد اذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القرب والزلفى من الله و
الفرق بين العفو والمغفرة والرحمة ان العفو اسقاط العذاب والمغفرة ان يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب التخجيل والفضيحة فان الخلاص



عذاب النار انما يطلب اذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب الجسماني والثاني هو العذاب الروحاني وبعد التخلص منهما اقبل على طلب الثواب وهو ايضا قسمان جسماني وهو نعيم الجنة وطيباتها وهو قوله وارحمنا وروحاني وهو اقبال العبد بالكلية على مولاه وهو قوله انت مولينا ففيه الاعتراف بانه سبحانه هو المتولي لكل نعمة ينالونها وهو المعطي لكل مكرمة يفوزون بها وانهم بمنزلة الطفل الذي لا تتم مصلحته الا بتدبير قيمه والعبد الذي لا ينتظم شمل مهماته الا باصلاح مولاه وبهذا الاعتراف يحق الوصول الى الحق من عرف نفسه بطابع الامكان والنقصان عرف ربه بالوجوب والتمام ثم اذا وصل الى الحق اعرض بالكلية عما سواه وهو قوله فانصرنا على القوم الكافرين اعنا على قهر كل من خالفك وناواك وعلى غلبة القوى الجسمانية الداعية الى ما سواك عن رسول الله ص السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة وعنه ص من قرا الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه ص اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يوتهن نبي قبلي وعنه ص انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قراهما بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وروى الواحدي عن مقاتل بن سليمان انه لما اسرى بالنبي ص الى السماء اعطى خواتيم سورة البقرة فقالت الملائكة له ان الله عز وجل اكرمك بحسن الثناء بقوله امن الرسول فسله وارغب اليه فعلمه جبرئيل ع كيف يدعو فقال النبي ع غفرانك ربنا فقال الله قد غفرت لكم فقال لا تؤاخذنا فقال الله لا اؤاخذكم فقال لا تحمل علينا اصرا فقال لا اشدد عليكم فقال لا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقال لا احملكم ذلك فقال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فقال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم وانصركم على القوم الكافرين وفي بعض الروايات ان محمدا ص كان يذكر هذه الدعوات والملائكة كانوا يقولون امين التاويل الانسان مركب من عالمي الامر والخلق له روح نوراني من عالم الامر والملكوت وله نفس ظلمانية من عالم الخلق والملك ولكل منهما نزاع وشوق الى عالمه فغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها وتحليتها بانوار الارواح وحاصل تسويل الشيطان عكس هذه القضية واليه الاشارة في قوله ان تبدوا ما في انفسكم مودع من انوار الاخلاق الروحانية في الظاهر باعمال الشريعة وفي الباطن باحوال الحقيقة او تخفوه بابراز ظلمات الاوصاف النفسية في الظاهر بمخالفات الشريعة وفي الباطن بموافقات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة النفس لقبول انوار الروح او بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس فيغفر لمن يشاء فينور نفسه بانوار الروح وروحه بانوار الحق ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه بنور قرب العلي الكبير والله على كل شيء قدير من اظهار اللطف والقهر على تركيب عالمي الامر والخلق قدير لما عرج بالنبي ص الى سدرة المنتهى وبلغ المقصد الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اكرم بالسلام قبل الكلام فقيل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فاجاب بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقيل له امن الرسول عيانا بما انزل اليه من ربه فقال من كمال رافته بامته والمؤمنون كل امن بالله الى قوله سمعنا واطعنا فقال الله تم ما يطلبون مني في جزاء السمع والطاعة فقال النبي ص غفرانك ربنا واليك المصير هم ما يطلبون الان لسترهم بسترها بل فضلك ويكون مصيرهم اليك لا الى غيرك كما كان مصيري اليك لا الى من سواك قال الله في جوابه لا يكلف الله نفسا الا وسعها انك في مقام لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولهذا قال لك جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت وان الانبياء والمرسلين الذين اصطفيناهم على العالمين وكل طائفة منهم في سماء واقفون حسبتهم وحتى كاد يحرقهم سبحات وجهي وسطوات قهري فكيف كلف مثلك المذنبين المرحومين بهذا المصير وانا بضعفهم بصير وانما بلغك هذا المقام حتى جاوزت الى الكرام ان اتخذتك حبيبا قبل ان اخلقك وخلقت الكائنات لمحبتك ولان امتك اكرم الامم ولهم بسبب شفاعتك اختصاص بمحبتي اياهم ما داموا في متابعتك فقل لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فبقدر ما اكتسبت امتك من انوار متابعتك يستحق المصير الى حضرة جلالنا وشواهد جمالنا وعلى قدر ما اكتسبت بالتواني عن ظل متابعتك نشا اهل المصير في دركات السعير فتارة اسكره لذة هذا الخطاب واخرى اقحمه سطوة هذا العتاب فقال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تعاقب منا ان نسيت عهدك الذي عاهدتهم ان يحبوك ولا يحبوا غيرك واخطانا طريق طلبك ولكن ما اخطانا طريق عبوديتك فلم نعبد واغيرك وانت قلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا بان تجعلنا اسير النفس الامارة فنعبد عجل الهوى ونار الشهوات كما عبد الذين من قبلنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا بالصبر عن شهود جمالك واعف عنا حجب انانيتنا واغفر لنا بشواهد هويتك وارحمنا برفع البينونة من بيننا انت مولينا ووليّنا في رفع وجودنا وناصرنا في نيل مقصودنا فانصرنا على القوم الكافرين بجذبات عنايتك وطاعاتنا في المصير اليك على قمع كفار الانانية التي تمنعنا من حد نلك البيو وبينك اني نزا جو ما رفع بجودا انى من البين وحسبو الله

سورة ال عمران وهي مدنية حروفها ١٤٦٢٤ كلماتها ٣٤٨٠ اياتها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداي بخشنده مهربان



الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل

منم خداي كه نيست معبودي بجز او آن زنده پاينده فرو فرستاد بر تو قرآن را براستي تصديق كننده مر آنها را كه پيش از اوست و فرستاد توريه و انجيل را



من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام

از پيش راهنماي مردمان و فرستاد قرآن را بدرستي كه آنها كه كافر شدند بايات خدا مر آنها راست عذابي سخت و خدا غالب خداوند انتقام است

إِنَّ اللّٰهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

بدرستی خدا پوشیده نیست بر او چیزی در زمین و نه در آسمان اوست آنکه بصورت آرد شما را در رحمها چنانکه میخواهد نیست معبودی بجز او غالب استوار

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ

اوست آنکه فرستاد بر تو قرآن که برخی از آن آیتهای استوار است که آنها ام الکتاب بند و دیگرها مانند هم اند پس اما آنها که در دلهای ایشانست میل پس متابعت میکنند

مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّٰهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ

متشابه از آن بجهة خواهش فتنه و جستن تاویل آن و نداند تاویلش را مگر خدا و ثابت قدمان در دانش گویند که گرویدیم بآن همه

مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ

از نزد پروردگار ماست و آگاه نگردند بجز خداوند خرد پروردگارا میل مده دلهای ما را پس از راه نمودنت ما را و ببخش ما را از نزد خود رحمتی بدرستی که توئی

الْوَهَّابُ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ

بخشنده پروردگارا توئی گردکننده مردمان از برای روزی که شکی در آن نیست بدرستی که خدا خلف نمیکند وعده خود را بدرستی که آنها که کافر شدند کفایت نکند از ایشان مالهاشان

وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا وَأُولٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّٰهُ

و نه فرزندانشان از خدا چیزی و آنگروه ایشانند هیزم آتش چون خوی آل فرعون و آنان که پیش بودند که تکذیب کردند آیتهای ما را پس گرفت ایشان را

بِذُنُوبِهِمْ وَاللّٰهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ

بگناهانشان و خدا سخت عقوبتست

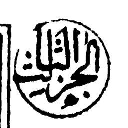
القراءة الٓمٓ اللّٰه مقطوعة الالف والميم ساكنة يزيد والمفضل والاعشى والبرجمي الباقون موصولة بفتح الميم الثورية ممالة حيث كان ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف والنجاد عن ورش والخزاز عن هبيرة وابن ذكوان عن ابن مجاهد حيث كان بغير همز ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش والخزاز عن هبيرة وحمزة في الوقف الوقوف الٓمٓ ج لمختلف فان غير الاعشى والبرجمي ويزيد والمفضل يصلون الاهوج القيوم ط والانجيل لا الفرقان ط شديد ط انتقام في السماء ط كيف يشاء ط الحكيم متشابهات ط للاستيناف تفصيل وابتغاء تاويله ج لان الواو وتصلح استينافا والحال الى الا الله م عند اهل السنة لانه لو وصل فهم ان الراسخون يعلمون تاويل المتشابه كما يعلم ومن لم يجز نعم هذا وجعل المتشابه غير صفة الله ذاتا وفعلا من الاحكام التي يحلها القياس التاويل وجعل المحكمات الاصول المنصوص عليها فعطف قوله والراسخون على اسم الله وجعل يقولون حالا لهم ساغ له ان لا يقف على الا الله آمنا به لا لان قوله كل من عند ربنا من مقولهم فان التسليم من تمام الايمان من عند ربنا ج لاحتمال ان ما بعده مقولهم الالباب ج لابتداء بان ولاحتمال لام التعليل وفاء التعقيب للتسبيب الوهاب فيه ط الميعاد شيئا ط النار لا لتعلق كاف التشبيه فرعون لا للعطف من قبلهم ط بآياتنا ج للعدل مع فاء التعقيب بذنوبهم ط العقاب التفسير اما قراءة عاصم فلها وجهان الاول نية الوقف ثم اظهار الهمزة لاجل الابتداء الثاني ان يكون ذلك على لغة من يقطع الف الوصل واما من فتح الميم ففيه قولان احدهما قول الفراء واختيار كثير من البصريين وصاحب الكشاف ان اسماء الحروف موقوفة الاواخر تقول الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلثة وعلى هذا وجب الابتداء بقوله الله فاذا ابتدأنا به تثبت الهمزة متحركة الا انهم اسقطوا الهمزة للتخفيف والقيت حركتها على الميم لتدل حركتها على انها في حكم المبقاة بسبب كون هذه اللفظة مبتدأ بها فكانت ساقطة بصورتها باقية بمعناها وثانيهما قول سيبويه انه لما وصل الله بالم التقى ساكنان ضرورة سقوط الهمزة في الدرج فوجب تحريك الاول وكان الاصل هو الكسر الا انهم فتحوا الميم محافظة على التفخيم فالفتحة على هذا القول ليست المنقولة من همزة الوصل فلا يرد عليه ما يرد على القول الاول من ان الهمزة حيث لا وجود لها في الوصل اصلا فكيف تنقل حركتها قال الواحدي نقل المفسرون انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وثلاثة منهم كانوا اكابر القوم احدهم اميرهم واسمه عبد المسيح والثاني مشيرهم وذو رأيهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم يقال له ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وكان ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما قدموا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان الى جنبه اخوه كرز بن علقمة فبينما بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو حارثة بل تعست امك فقال ولم يا اخي فقال انه والله النبي الذي ننتظره فقال له اخوه كرز فما يمنعك منه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا منا كل هذه الاشياء فوقع ذلك في قلب اخيه كرز وكان يضمره الى ان اسلم وكان يحدث بذلك ثم تكلم اولئك الثلثة الامير والسيد والحبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختلاف من اديانهم فتارة يقولون عيسى هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلثة ويحتجون لقولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون في قولهم انه ولد الله بانه لم يكن له اب يعلم ويحتجون على ثالث ثلثة بقول الله تعالى فعلنا وجعلنا ولو كان واحدا لقال فعلت فلما حانت وقت صلوتهم قاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا فقالوا قد اسلمنا قبلك فقال كذبتم كيف يصح اسلامكم وانتم تثبتون لله ولدا وتعبدون الصليب وتاكلون الخنزير قالوا فمن ابوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في ذلك اول سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها آية المباهلة ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يناظرهم فقال الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفناء قالوا بلى قال الستم



ان ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئا من ذلك قالوا لا قال ألستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال ﷺ فكيف يكون هو كما زعمتم فسكتوا ثم ابوا الا الجحود ثم قالوا يا محمد ألست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فنزل فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية وتمام القصة سيجيء في اية المباهلة ان شاء الله تعالى واعلم ان مطلع هذه السورة له نظم عجيب وذلك ان اولئك النصارى كانه قيل لهم اما ان تنازعوه في معرفة الاله او في امر النبوة اما الاول فالحق فيه معه لانه تعالى حي قيوم كما مر في تفسير اية الكرسي وان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان يأكل ويشرب ويحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدر على دفع القتل من نفسه فهذه الكلمة اعني قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى بالتثليث واما الثاني فقوله نزل عليك الكتاب بالحق كالدعوى وقوله وانزل التوراة والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريرها انكم وافقتمونا على ان التوراة والانجيل كتابان الهيان لانه تعالى قرن بانزالهما المعجزة الدالة على الفرق بين قولهما وبين اقوال الكاذبين ثم ان المعجزة قائمة في كون القرآن نازلا من عند الله كما قام في الكتابين واذا كان الطريق مشتركا فالواجب تصديق الكل كما فعله المسلمون اما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد واذا لم يبق بعد ذلك عذر لمن ينازع في دينه فلا جرم ختم بالتهديد والوعيد فقال ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد وانما خص القرآن بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير حاصلا فيه وهما نزلا جملة واما قوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فالمراد هناك نزوله فقط من غير اعتبار التنجيم قال ابو مسلم معنى قوله بالحق انه صدق فيما تضمنه من الاخبار عن الامم او ان ما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق في العقائد والاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق الباطل وانه قول فصل وليس بالهزل وقال الاصم اي بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية ولبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف في المعاملات وقيل مصونا من المعاني الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل له عوجا قيما لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفي قوله مصدقا لما بين يديه انه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لان من هو على مثل حاله من كونه اميا لم يخالط اهل الدرس والقراءة ان كان مفتريا استحال ان يسلم من التحريف والخرافات وفيه انه تعالى لم يبعث نبيا قط الا بالدعاء الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق والامر بالعدل والاحسان وبالشرائع التي هي صلاح كل زمان فان قيل كيف سمي ما مضى بانه بين يديه فالجواب ان هذا اللفظ صار كالمثل في معنى التقدم والغاية لظهور تلك الاخبار جعلها كالحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدمه من الكتب مع انه ناسخ لاحكامها اكثرها قلنا اذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول ودالة على احكامها تثبت الى حين بعثته ثم تصير منسوخة عند نزول القرآن كانت موافقة للقرآن وكان القرآن مصدقا لها فاما فيما عدا الاحكام فلا شبهة في ان القرآن مصدق لها لان المباحث الالهية والقصص والمواعظ لا يختلف والتوراة والانجيل اسمان اعجميان احدهما بالعبرية والآخر بالسريانية فالاشتغال باشتقاقهما لا يفيد الا ان بعض الادباء قد تكلف ذلك فقال الفراء التوراة معناها الضياء والنور من ورى الزند يرى اذا قدح وظهرت النار وقال واصلها تورية بفتح الياء والراء وبهذا قلبت الياء الفا وتورية بكسر الراء تفعلة مثل توفية الا ان الراء فتحت على لغة طي فانهم يقولون في بادية باداة وزعم الخليل والبصريون ان اصلها وورية فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث واما الانجيل فالزجاج افعيل من النجل الاصل اي هو الاصل المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من نجلت الشيء استخرجته اي انه تعالى اظهر الحق بسببه ابو عمرو الشيباني التناجل التنازع سمي بذلك لان القوم تنازعوا فيه ومعنى قوله من قبل اي من قبل ان ينزل القرآن وهدى للناس اما ان يكون عائدا الى الكتابين فقط فيكون قد وصف القرآن بانه حق ووصف التوراة والانجيل بانه هدى وانما لم يوصف القرآن بانه هدى مع انه قال في اول البقرة هدى للمتقين لان المناظرة ههنا مع النصارى وهم لا يهتدون بالقرآن فذكر انه حق في نفسه سواء قبلوه او لم يقبلوه واما الكتابان فهم قائلون بصحتهما فخصهما بالهداية لذلك واما ان يكون راجعا الى الكتب الثلاثة وهو قول الاكثرين وانزل الفرقان قيل اي جنس الكتب السماوية لانها كلها يفرق بين الحق والباطل وقيل اي الكتب التي ذكرها كانه وصفها بوصف آخر فيكون كما قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقيل انه الكتاب الرابع وهو الزبور ورد بان الزبور ليس فيه شيء من الشرائع والاحكام وانما هو مواعظ ويحتمل ان يجاب بان غاية المواعظ هي التزام الاحكام المعلومة فيؤول الى ذلك وقيل كرر ذكر القرآن بما هو مدح له ونعت بعد ذكره باسم الجنس تفخيما لشأنه واظهارا لفضله وفي التفسير الكبير انه تعالى لما ذكر الكتب الثلاثة بين انه انزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز الباهر الذي يدل على صحتها ويفيد الفرق بينها وبين كلام الخلق ثم انه تعالى بعد ذكر الالهيات والنبوات زجر المعرضين عن هذه الدلائل وهم اولئك النصارى او كل من اعرض عن دلائله فان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فقال ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها من دلائله لهم عذاب شديد والله عزيز لا يغالب ولا احد لقدرته ذو انتقام والانتقام عقاب شديد لا يقدر على مثله منتقم والتنكير للتعظيم والتفخيم اذا كان اعتبار ما ضم فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب وذو انتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثاني صفة الفعل قوله سبحانه ان الله لا يخفى عليه شيء لما ذكر انه حي قيوم والقيوم هو القائم باصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع امرين ان يكون عالما بكميات حاجاتهم وكيفياتها و

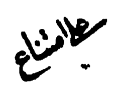


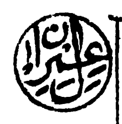
وكلياتها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على ترتيبها والاول لا يتم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات واشار الى ذلك بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء و
الثاني لا يتأتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات فاشار اليه بقوله هو الذي يصوركم ثم فيه لطيفة اخرى وهي انه لما ادعى كمال علمه بقوله ان الله
لا يخفى عليه شيء والطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لا يجوز ان يكون هو السمع لان معرفة صحة السمع موقوفة على العلم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات
بل الطريق الى ذلك ليس الا الدليل العقلي فلا جرم قال هو الذي يصوركم في ظلمات الارحام هذه البنية العجيبة والتركيب الغريب من اعضاء
مختلفة في الشكل والطبع والصفة بعضها عظام وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الى بعض على التركيب الاحسن والتاليف الاكمل
وذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن لا يصدر الا من العالم بتفاصيله ثم انه تعالى لما كان قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانية
واشرفها تعديل المزاج واشار اليها بقوله هو الذي يصوركم وروحانية واشرفها العلم فلا جرم اشار الى ذلك بقوله هو الذي انزل عليك
الكتاب ويحتمل ان ينزل هذه الآيات على سبب نزولها وذلك ان النصارى ادعوا الهية عيسى وعولوا في ذلك على نوعين من الشبه احدهما يتعلق
بالعلم وهو ان عيسى كان يخبر عن الغيوب وفي ذلك قوله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم والثانية يتعلق بالقدرة كاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى شبهة غيرهاتين فازال الشبهة الاولى بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء فمن المعلوم بالضرورة من حال عيسى
انه ما كان عالما بجميع المعلومات فعدم احاطته بجميع الاشياء فيه دلالة قاطعة على انه ليس باله ولكن احاطته ببعض الغيبيات لا يدل على كونه الها لاحتمال
انه علم ذلك بالوحي او الالهام وازال الشبهة الثانية بقوله هو الذي يصوركم وذلك ان الاله هو الذي يقدر على ان يصور في الارحام من قطرة صغيرة من
النطفة هذا التركيب العجيب والتاليف الغريب ومعلوم ان عيسى لم يكن قادرا على الاحياء والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لامات اولئك
الذين اخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاماتته بعض الاشخاص واحياؤه لا يدل على الالهية لجواز كونه باظهار الله تعالى المعجزة على يديه والعجز عن اماتته
البعض او احيائه يدل على عدم الالهية قطعا واما الاحياء والاماتة لجميع الحيوانات فيدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات الشافية
الى مقدمات الزامية وهو انكم ايها المسلمون توافقوننا على انه ما كان له اب من البشر فيكون ابا لله والجواب عنه بقوله ايضا هو الذي يصوركم
لان هذا التصوير لما كان منه فان شاء صوره من نطفة الاب وان شاء صوره ابتداء من غير اب وايضا قالوا للرسول الست تقول ان عيسى كلمة الله
وروحه وهذا يدل على انه ابن الله فاجاب الله تعالى عنه بان هذا الزام لفظي واللفظ محتمل الحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل
العقلي كان من باب المتشابهات فوجب رده الى التاويل وتفويضه الى علم الله وذلك قوله هو الذي انزل عليك الكتاب الآية فظهر انه ليس في السلم
حجة ولا شبهة الا وقد اشتملت هذه الآيات عليها والجواب عنها فان قيل ما الفائدة في قوله في الارض ولا في السماء مع انه لو اطلق كان ابلغ قلت
الغرض تفهيم العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض اقوى لعظمتهما في الحس والحس متى اعان العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك
اكمل وهذا فائدة ضرب الامثلة في العلوم قال الواحدي التصوير جعل الشيء على صورة والصورة هيئة حاصلة للشيء عند ايقاع التاليف بين
اجزائه واصله من صاره اذا اماله وذلك ان الصورة مائلة الى شكل ابويه والارحام جمع الرحم والتركيب يدل على الرقة والعطف كما سلف و
قيل سمي رحما لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده وكيف في موضع الحال اي على اي حال اراد
طويلا او قصيرا اسود او ابيض حسنا او قبيحا الى غير ذلك من الاحوال المختلفة ثم انه تعالى لما اجاب عن شبههم اعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى القائلين
بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى فان العلم ببعض الغيوب
واحياء بعض الاشخاص لا يكفي في كونه الها ولنذكر ههنا مسائل الاولى القرآن دل على انه بكليته محكم وذلك قوله الر كتاب احكمت آياته الر تلك
آيات الكتاب الحكيم والمراد كونه كلاما حقا فصيح الالفاظ صحيح المعاني وانه بحيث لا يتمكن احد من الاتيان بمثله لوثاقة مبانيه وبلاغة معانيه
ودل على انه بتمامه متشابه كتابا متشابها مثاني والمراد انه يشبه بعضه بعضا في الحسن والاعجاز والبراءة من التناقض والتناقص ثم ان هذه
الآية هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات دلت على ان بعض القرآن محكم وبعضه متشابه فيعني
ههنا بالمحكم ما هو المشترك بين النص والظاهر وبالمتشابه القدر المشترك بين المجمل والمؤول كما تقرر في المقدمة التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والاحكام
في اللغة المنع وكذا سائر تراكيبه فالحاكم يمنع الظالم من الظلم وحكمة اللجام تمنع الفرس من الاضطراب وفي حديث النخعي احكم اليتيم كما تحكم ولدك اي امنعه
من الفساد وسميت الحكمة حكمة لانها تمنع عما لا ينبغي واما التشابه فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال لكل ما لا يهتدي
الانسان اليه متشابها اطلاقا لاسم السبب على المسبب ونظيره المشكل لانه اشكل اي دخل في شكل غيره ثم ان كل احد من اصحاب المذاهب يدعي ان الآيات
الموافقة لمذهبه محكمة وللقول خصمه متشابهة فالمعتزلي يقول فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤن الا ان يشاء الله متشابه
والسني يقلب الامر في ذلك وكذا المعتزلي يقول لا تدركه الابصار محكم وقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة متشابه والسني بالعكس فلا بد من
قانون يرجع اليه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظي او عقلي والدليل اللفظي لا يكون قاطعا البتة لتوقفه
على نقل اللغات وعلى وجوه التصريف والاعراب وعلى عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلي والعقلي
وكل ذلك مظنون والموقوف على المظنون اولى ان يكون مظنونا فلا يجوز التعويل عليه في المسائل الاصولية فاذن لا سبيل الى صرف اللفظ عن معناه





الراجح الى معنى المرجوح الا بالدلائل القطعية العقلية على ان معناه الراجح محال عقلا فاذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف انه ليس مراد الله تعالى من هذا اللفظ ما اشعر به ظاهره فعند هذا لا يحتاج الى ان يعرف ان ذلك المرجوح الذي هو المراد ماذا لان السبيل الى ذلك انما يكون بترجيح مجاز على مجاز وترجيح تاويل على تاويل وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدلائل اللفظية وهي ظنية كما بينا ولا سيما المستعملة في ترجيح مرجوح على مرجوح اخر فاذن الخوض في تعيين التاويل غير جائز والله اعلم المسئلة الثانية في حكاية اقوال الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس ان المحكمات هي الآيات الثلث في سورة الانعام قل تعالوا اتل الى اخرها وعلى هذا فالمحكم عنده ما لا يتغير باختلاف الشرائع لان هذه الآي كذلك والمتشابهات هي التي اشتبهت على اليهود كاوائل السور اولوها على حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه الامة فاختلط الامر عليهم وثانيها عنه ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم المحكم هو الذي يكون دلائلها واضحة لائحة كانشاء الخلق في قوله فخلقنا النطفة علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته الى التدبر والتامل كايات البعث فان التامل يجعلها محكمة فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة فان عنى الاصم بوضوح الدلائل جلائها وبالخفاء خلاف ذلك فهذا هو الذي ذكرنا من ان المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه عبارة عن المجمل والمأول وان عنى بالواضح ما يعلم صحته بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف صحته بدليل العقل فكل القران متشابه فان انشاء الخلق ايضا يفتقر الى دليل عقلي فان الدهري يسند ذلك الى الطبيعة والمنجم الى تاثير الكواكب لعل الاصم يسمي ما هو ابعد عن الغلط لقلة مقدماته وضبطها محكما والذي هو غير ذلك متشابها وقيل كل ما امكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي او بدليل خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل الى معرفته كالعلم بوقت القيمة وبمقادير الثواب والعقاب في حق كل مكلف فذلك متشابه المسئلة الثالثة في انه لم جعل بعض القران محكما وبعضه متشابها من الملحدة من طعن فيه وقال كيف يليق بالحكيم ان يجعل كتابه المرجوع اليه في دينه الموضوع الى يوم القيمة بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب فمثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والنافي فيها يتشبث بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى والنافي ليس كمثله شيء فكل منهم يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما آل الامر في ترجيح بعضها على بعض الى وجوه ضعيفة وتراجيح خفية وهذا لا يليق بالحكمة مع انه لو جعل كله ظاهرا جليا خالصا عن المتشابه نقيا كان اقرب الى الغرض والجواب انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق اصعب واشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب وايضا لو كان كله محكما كان مطابقا لمذهب واحد فقط فكان ينفر ارباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به فاذا كان مشتملا على القسمين فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يؤيد مقالته فيجتهد في فهم معانيه وبعد الفحص والاستكشاف صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات فيتخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق وايضا اذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة بالدلائل العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد الى ضياء البينة والاستدلال الى الطمانينة وافتقر ايضا الى تحصيل علوم اخر كالصرف والنحو والمعاني والبيان واصول الفقه واصول الكلام الى غير ذلك ولما في المتشابهة من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب قوي هو ان القران كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطباع العامة تنبو في الاغلب عن ادراك الحقائق فمن سمع منهم في اول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما توهموه وتخيلوه مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالاول وهو الذي يخاطبون به في اول الامر من باب المتشابهات والثاني وهو الذي يكشف لهم اخر الحال من قبيل المحكمات قوله هن ام الكتاب الام في اللغة الاصل الذي يتكون منه الشيء فلما كانت المحكمات مفهومة بذواتها والمتشابهات انما تصير مفهومة باعانة المحكمات فلا جرم صارت المحكمات اصولا للمتشابهات وانما لم يقل امهات الكتاب ليطابق المبتدأ لان مجموع المحكمات في تقدير شيء واحد هو الاصل لمجموع المتشابهات وهذا كقوله وجعلنا ابن مريم وامه اية على معنى ان مجموعهما اية واحدة واخر ومنه ايات اخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق فيتبعون ما تشابه منه لا يتمسكون الا بالمتشابه قال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلعم في المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله وروحا منه قال بلى قالوا حسبنا وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الامة من الحروف المقطعة في اوايل السور وقال قتادة والزجاج هم منكرو البعث لانه قال في اخره وما يعلم تاويله الا الله وما ذاك الا وقت القيامة فانه تعالى اخفاها عن الخلق حتى الملائكة والانبياء والتحقيق انه عام لكل مبطل متشبث بامثال المتشابهات لان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عن عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله به الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون ائتنا بعذاب الله ومتى الساعة ولو ما تاتينا بالملئكة فموهوا الامر على الضعفة قال اهل السنة ويدخل في هذا الباب استدلال المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت بصريح العقل امتناع كون الاله في مكان والا لزم انقسامه وكل منقسم مركب وكل مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل بالكلية الى العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلي ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي وانه من الله تعالى والا لتسلسل فيكون حصول الفعل مع تلك الداعية واجبا وعند عدمها ممتنعا فيبطل التفويض ويثبت ان الكل بقضاء الله وقدره واذا لاحت الدلائل العقلية فكيف يجوز للعاقل ان يسمي الايات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه بناء على ما اشتهر بين الجمهور من ان كل اية يوافق مذهبهم فهي المحكمة وكل اية تخالفهم فهي المتشابهة والانصاف ان الايات ثلثة اقسام احدها ما يتاكد ظواهرها بالدلائل العقلية فذلك هو المحكم حقا وثانيها التي قامت الدلائل القاطعة





امتناع ظواهرها فذلك هو الذي يحكم فيه بان مراد الله غير ظاهره وثالثها الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى ان
الامر اشتبه فيه ولم يتميز احد الجانبين عن الآخر لكن ههنا عقدة اخرى وهي ان الدليل العقلي يختلف فيه ايضا بحسب ما يتبعه كل فريق ويتخيله صادقا في
نفسه مادة وصورة فكل فريق يدعي بمقتضى فكره ان الدليل العقلي قد قام على ما يوافق مذهبه تاكيدا للفظ الذي يتعلق به فلا خلاص من البين الا بتأييد سماوي
ونور الهي وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ثم انه تعالى بين ان للزائغين غرضين احدهما ابتغاء الفتنة وهي في اللغة الاستهتار بالشيء والغلو فيه
فلان مفتون بطلب الدنيا والرجل مفتون بانية وبشعره فكان التمسك بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا عاشقا لا ينقطع
عن تخيله البتة وقيل الفتنة في الدين وهو الضلال عنه اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وعن الاصم انهم متى اوقعوا تلك المتشابهات في
البين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي الى التقاتل والهرج والمرج فذلك هو الفتنة الغرض الثاني ابتغاء تأويله اي طلب المعنى الذي يرجع
اليه اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير ان يكون قد وجد له في كتاب الله بيانا قال القاضي ابو بكر هؤلاء الزائغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين احدهما
ان يحملوه على غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة والثاني ان يحكموا بحكم في الموضع الذي لا دليل فيه وهو قوله وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ثم قال عز من قائل وَمَا
يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ والعلماء اختلفوا في هذا الموضع منهم من يقف ههنا فعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعائشة والحسن و
مالك بن انس والكسائي والفراء ومن المعتزلة قول ابي علي الجبائي ومنهم من لم يجعل الواو في والراسخون للابتداء وانما يجعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه
حاصلا عند الله وعند الراسخين لان وصفهم بالرسوخ في العلم وهو الثبوت فيه والتعمق وبعد الغور فيه يناسب ذلك وهذا قول مجاهد والربيع بن انس واكثر
المتكلمين وقد روي عن ابن عباس ايضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه كثير من العلماء ان اما فيه معنى التفصيل البتة وهذا انما يستقيم لو قيل
واما الراسخون في العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علم ان مراد الله بعض مجازات
تلك الحقيقة وفي المجازات كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالتراجيح اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصلح الاستدلال به في المسائل القطعية مثاله
الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ فانه دل الدليل على ان الاله يمتنع ان يكون في المكان فعرفنا انه ليس مراد الله من هذه الآية ما اشعر به ظاهرها الا ان
في مجازات هذا اللفظ كثرة لا يتعين احدها الا بدليل لغوي ظني والقول بالظن في ذات الله وصفاته غير جائز باجماع المسلمين ولهذا قال مالك بن
انس الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومنها ان ما قبل هذه الآية ذم لطالب تأويل المتشابه حيث قال فأما
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة ونحوه ترجيح من غير مرجح فالذم يتوجه على الكل
وهو المطلوب ومنها انه تعالى مدح الراسخين في العلم بانهم يقولون آمنا به وقال تعالى في اول البقرة فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ فهؤلاء
الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل ذلك المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح ولا في قولهم كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا لان كل من عرف شيئا
على التفصيل فانه لا بد ان يؤمن به انما الراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها وعلموا ان القرآن
كلام الله تعالى وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا آية ودلت الدلائل القاطعة على انه لا يجوز ان يكون ظاهرها مراد الله تعالى عرفوا ان مراد الله تعالى
شيء غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى اي شيء كان فهو الحق والصواب فهؤلاء هم الراسخون في العلم بالله
بحيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد عن الايمان بالله والجزم بصحة القرآن ولم يصر كون ظاهره مردودا واشتباهه هم في الطعن في كلام
الله تعالى ثم ان جعل قوله والراسخون عطفا على اسم الله فقوله يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هم يقولون آمنا بالمتشابه
كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا اي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفي زيادة عند ربنا توضيح وتاكيد وتفخيم لشأن القرآن ويحتمل ان يعود الضمير في آمنا به
الى الكتاب اي يقولون آمنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه ويحتمل ان يكون قوله يقولون
حالا الا ان فيه اشكالا وهو ان ذا الحال هو الذي تقدم ذكره وههنا قد تقدم ذكر الله وذكر الراسخين والحال لا يمكن الا من الراسخين
فيلزم ترك الظاهر وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ما يتعظ الا ذوو العقول الكاملة الذين يستعملون اذهانهم في فهم القرآن فيعلمون ما الذي يطابق
ظاهره دلائل العقل فيكون محكما وما الذي هو بالعكس متشابها ثم يعتقدون ان الكل كلام من لا يجوز في كلامه التناقض فيحكمون بان ذلك المتشابه
لا بد ان يكون له معنى صحيح عند الله وان دق عن فهومنا وقيل هو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل حتى علموا من التأويل ما علموا ثم انه تعالى
حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول قولهم رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اي بعد وقت هدايتنا والثاني قولهم وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ
رَحْمَةً سألوا ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويزين جوارحهم واعضاءهم
بزينة الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها ان يحصل لهم في الدنيا سهولة اسباب المعيشة من الامن والصحة والكفاية ورابعها ان يحصل عند الموت
سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة السؤال والظلمة والوحشة في القبر وسادسها في القيامة سهولة العقاب والخطاب وغفران السيئات
وتبديلها بالحسنات وسابعها في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وثامنها في الحضرة رفع الاستار ورؤية الملك الجبار وفي قولهم من لدنك
تنبيه على ان هذا المقصود لا يحصل الا من عنده ويؤكده قوله إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ فالمطالب وان كانت عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية
كرمك ونهاية جودك وموهبتك ولنعد الى ما يتعلق بالدعاء الاول قال اهل السنة القلب صالح لان يميل الى الايمان وصالح لان يميل الى الكفر



منها يتوقف على داعية ينشئها الله تعالى فيلزم لو حدثت بنفسها انسد باب اثبات الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد والختم
والطبع والرين وغيرها مما ورد في القرآن وان كانت داعية الايمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها وكان رسول الله صلعم
يقول قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يعني الداعيين ومما يؤكد ذلك ان الله تعالى مدح هؤلاء الراسخين بانهم لا يتبعون المتشابهات
بل يؤمنون بها على سبيل الاجمال ويتركون الخوض فيها فيبعد منهم في مثل هذا الوقت ان يتكلموا بالمتشابه فيكون هذه الاية من اقوى المحكمات
وهو ظاهر في ان الازاغة والهداية كلتيهما من الله تعالى اما المعتزلة فقد قالوا لما دلت الدلائل على ان الازاغة لا يجوز ان يصدر من الله تعالى لان
ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الاية الى التاويل فقال الجبائي واختاره القاضي المراد ان يمنع قلوبهم الالطاف التي معها يستمر قلبهم على صفة الايمان وزيف
بان اللطف ان صح في حقهم وجب عندكم على الله ان يفعل ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الهيته ولصار محتاجا وقال الاصم لا تبتلنا ببلوى يزيغ عندها قلوبنا
والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا نامن معه الزيغ وقد يقول القائل لا تحملني على ايذائك اي لا تفعل ما اصير عنده موذيا لك وزيف بان التشديد في
التكليف قبيح ان علم الله تعالى ان له اثرا في حمل المكلف على القبيح والا فوجوده كعدمه فلا فائدة في صرف الدعاء اليه وقال الكعبي لا تسمنا باسم الزيغ
كما يقال فلان يكفر فلانا اي يقول انه كافر وزيف بان التسمية دائرة مع الفعل فحصل الزيغ باختيار العبد عندكم فالتسمية ايضا بسببه
وقال الجبائي ايضا لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك وهو كالاول الا ان يحمل على شيء آخر وهو انه تعالى اذا علم انه مؤمن في الحال وعلم انه لو بقي الى السنة الثانية
لكفر اماته في هذه السنة ويرد عليه انه لو كان علمه بانه يكفر في السنة الثانية فوجب عليه ان يميته لكان علمه بانه لا يؤمن قط ويبقى على الكفر طول
عمره فوجب ان لا يخلقه وعن الاصم ايضا لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل ولا يخفى تعسفه وعدم مناسبته لقوله فاما
الذين في قلوبهم زيغ وقال ابو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شرور انفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا ان يصونهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية
والرحمة فكانهم قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن الغرض ما يتعلق بالاخرة فانا نعلم انك جامع الناس
للجزاء في يوم لا ريب فيه اي في وقوعه فاللام للوقت وجامع الناس لجزاء يوم فحذف المضاف ان الله لا يخلف الميعاد قيل هو كلام الله تعالى كانه يصدقهم
فيما قالوه ولو كان من تمام قول المؤمنين لقيل انك لا تخلف الا ان يحمل على الالتفات ومعناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد
لا يخيب سائله ولا سيما وعد الحشر والجزاء لينتصف للمظلومين من الظالمين والميعاد المواعدة والوقت والموضع فانه في الصحاح واعلم انه لا يلزم منه
انه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة لان كل ما ورد في وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو بدليل منفصل قال
الواحدي ولم لا يجوز ان يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب قال بعضهم اذا وعد السراء انجز وعده *
وان وعد الضراء فالعفو مانعه * وناظر ابو عمرو بن العلاء عمرو بن العبيد فقال ما تقول في اصحاب الكبائر فقال ان الله وعد وعدا واوعد ايعادا
فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال ابو عمرو انك اعجم لا اقول اعجم اللسان ولكن اعجم القلب لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الايعاد
كرما وانشد اني وان اوعدته او وعدته * لمكذب ايعادي ومنجز موعدي وذلك ان الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود
والكرم ومن اسقط حق غيره فذلك هو اللوم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على انا لا نسلم ان الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو مشروط بعدم
العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله تعالى ثم انه سبحانه لما حكى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عذابهم فقال
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وقيل المراد وفد نجران وذلك انا روينا في قصتهم ان ابا حارثة بن علقمة قال لاخيه
اني اعلم انه رسول الله حقا ولكني ان اظهرت ذلك اخذ ملوك الروم مني ما اعطوني من المال فالله تعالى بين ان اموالهم واولادهم لا يدفع عنهم عذاب الله
في الدنيا والاخرة لكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ واعلم ان كمال العذاب هو ان يزول عنه كل ما كان منتفعا به ويجتمع عليه جميع الاسباب
المولمة اما الاول فالى الاشارة بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم لانهما اقرب الامور التي يفزع اليها المرء عند الخطوب واذا لم يفد اقرب الطرق
الى دفع المضار في ذلك اليوم فما عداه بالتعذر اولى ومثله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحيوة الدنيا
والباقيات الصالحات خير واما الثاني فالاشارة بقوله واولئك هم وقود النار فانه لا عذاب ازيد من ان تشتعل النار فيهم كاشتعالها في
الحطب اليابس ومن في قوله من الله للبدل مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدله والمضاف محذوف تقديره لن تغني عنهم بدل
رحمة الله وطاعته شيئا وفي الحديث لا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه في الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وانشد
ابو علي شعر فليت لنا من ماء زمزم شربة * مبردة باتت على طهيان وطهيان من بلاد الازد قلت يجوز ان يقال من للابتداء تقديره من عذاب
الله والجار والمجرور مقدم حالا من شيئا ومن زائدة لتاكيد النفي اي لن تغني عنهم عذاب الله شيئا من الغناء اي لن تدفع وقال ابو عبيدة من
بمعنى عند والمعنى لن تغني عند الله شيئا قوله تعالى كداب آل فرعون يقال داب فلان في عمله اي جد وتعب دابا ودؤوبا فهو دائب والدائبان
الليل والنهار والداب العادة والشان وكل ما عليه الانسان من صنيع وحالة وقد يحرك واصله من دابت فالاسم الخاص على العام
اي جد هؤلاء الكفار واجتهادهم او شانهم وصنيعهم في تكذيب محمد وكفرهم بدينه كداب آل فرعون مع موسى ثم انا اهلكنا اولئك بذنوبهم
فكذلك نهلك هؤلاء فقوله كذبوا باياتنا تفسير لدابهم على انه جواب سؤال مقدر كانه قيل ما فعلوا وما فعل بهم فقيل كذبوا باياتنا

كانه بالاتفاق مشروط بشرط عدم التوبة ١٢

التقديرية

بالمجران

بالمعجزات الدالة على صدق رسلنا فاخذهم الله بذنوبهم اى صاروا عند نزول العذاب كالماخوذ المأسور الذى لا يقدر على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى
كدأب الله في آل فرعون اى يجعلهم الله وقود النار كعادته وصنيعه في آل فرعون والمصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول وقال القفال
يحتمل ان يكون الاية جامعة للعادة المضافة الى الله تعالى وللعادة المضافة الى الكفار كانه قيل ان عادة هؤلاء الكفار ومذهبهم في ايذاء محمد كعادة من قبلهم
في ايذاء الرسل وعادتنا ايضا في اهلاك هؤلاء كعادتنا في اهلاك اولئك الكفرة وقيل الدؤوب والدأب اللبث والدوام والتقدير دأبهم في النار
كدأب آل فرعون وقيل مشقتهم وتعبهم في الدنيا كمشقة آل فرعون بالعذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا
آل فرعون اشد العذاب وقيل المشبه هو ان اموالهم واولادهم لا تنفعهم مع نزول العذاب والمعنى انكم قد عرفتم ما حل بآل فرعون ومن قبلهم
المكذبين بالرسل من العذاب الذى عنده لم ينفعهم مال ولا ولد فكذلك حالكم ايها الكفار المكذبون بمحمد فينزل بكم مثل ما نزل بهم ولا يغني عنكم الاموال
والاولاد ويحتمل ان يكون وجه التشبيه انه كما نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستيصال وهو قوله فاخذهم الله بذنوبهم ثم صاروا الى دوام
العذاب وهو قوله والله شديد العقاب فسينزل بمن كذب بمحمد امران احدهما المحن المعجلة من القتل والسبي والاذلال وسلب الاموال واليه الاشارة
بقوله فيما بعد قل للذين كفروا ستغلبون والثاني المصير الى العذاب الدائم وذلك قوله وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد التأويل الم الالف ظاهر
الوحدة مطلقا ذاتا وصفة فان الالف واحد في ذاته وصفاته في وضع الحساب منفرد بالاولية والاستواء والانقطاع عن غيره في وضع الحروف ويشير باستقامته
وعدم تغيره في جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود الوحداني ازلا وابدا فان الالف مصدر جميع الحروف فان من استقامته يخرج كل حرف
معوج ثم في اللام المتصل بكل حرف منها بالاخر اشارات الى ان كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك قسمان قسم لم يكن فكان ثم يزول
وقسم ما كان فكان ولا يزول وهذان قسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذى لا يزال كان ولا يزال يكون واليه الاشارة بالالف اما اللام فاشارة
الى القسم الذى لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصورة والملك والاجساد ووقوعه في المرتبة الثانية من الالف اشارة الى انه مسبوق بالوجود الواجب
والالف سابق عليه وفي الانكسار فيه يشير الى تغيره وزواله والميم اشارة الى القسم الذى لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والارواح
وذلك ان الميم اول حرف من اسم المبدئ واخر حرف من اسم القيوم فيشير الى انه كما ابدأ المبدأ حين لم يكن يقيمه القيوم حين كان لا يزال وبوجه اخر
الالف اشارة الى وجود حقيقي قائم بذاته واللام يشير الى اثبات ونفي فالاثبات في لام التمليك له ما في السموات وما في الارض والنفي في لا النافية اى لا
وجود لشيء بالحقيقة سواه والميم يشير ايضا الى اثبات ونفي فالاثبات ميم اسم القيوم والنفي ما النافية اى ما في الوجود حقيقة الا هو ودليل الوجهين
في الم الله لا اله الا هو الحي القيوم فالله اثبات ذاته القديم ولا اله الا هو نفي الشرك عن وجوده واثبات وحدته في وجوده والحي القيوم اثبات
جميع صفات كماله ونفي جميع صفات النقص عن ذاته وقد اودع مجموع معاني هذه الاية في قوله الم فمعنى قوله الله اودع في اول حرف من حروفه
وهو الالف ومعنى قوله لا اله الا هو اودع في اول حرف من حروفه وهو اللام ومعنى قوله الحي القيوم اودع في آخر حرف من حروفه وهو الميم وانما
اودع في آخر حرفه ههنا ليكون السر مودعا في الاية من اول حروفها مكتوبا فيما بينهما والحروف الثلثة من قوله الم يكون الالف من اولها دالا على
المعنى الذى هو في الكلمة الاولى وهي الله واللام من وسطها دالا على المعنى الذى في الكلمة الثانية وهي لا اله الا هو والميم من آخرها دالا على المعنى
الذى مودع في الثالثة وهو الحي القيوم فيكون الاسم الاعظم مودعا في الم كما روي عن سعيد بن جبير وغيره وهو القرآن وضمونه كما روي عن
ابي بكر وعلي ثم انه تعالى بعد ان اظهر اسرار الوهيته المودعة في الم بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم اظهر الطاف ربوبيته المكنونة في اسرار العزة
مع حبيبه محمد صلعم فقال نزل عليك الكتاب بالحق نزل حقائق القرآن وانواره على قلبك بالحقيقة متجليا لسرك مخفيا عن غيرك فصرت مشاهدا
لسر الله المودع في الم وهو الذى بين يديك الله لا اله الا هو الحي القيوم فصرت مصدقا له تصديق تحقيق لا تصديق تقليد فانهم اذ لم تعلم
تعلم انك لا تفهم لانه منطق الطير وانت بعد بيضة لا من الطيارين ولا من السايرين وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس فلا تظن
يا محمد ان انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل القرآن بالحقيقة على قلبك حتى صرت مكاشفا عند تجلي انواره باسراره وحقايق بيني وبينك
لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانما انزال الكتب على الانبياء كان بالصورة مكتوبة في صحائف والواح يقرأها كل قارئ ويستوي في هداها
الانبياء والامم قاطبة هدى للناس وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلي انوار القرآن بالتنزيل على قلبك وبين انزال الكتب على صورة الانبياء و
يفرق بين تعليمك القرآن وبين تعلمهم الكتب فانهم كانوا يتدارسون الكتب فانت مخلق بالقرآن فشتان بين نبي يجيء وهو بذاته نور ومعه كتاب
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وبين نبي يجيء معه بنور من الكتاب قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس وشتان
بين نبي تشرف بكتابة الموعظة له في الالواح وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وبين نبي تشرف امته بكتابة الايمان لهم في قلوبهم اولئك كتب
في قلوبهم الايمان ان الذين كفروا بآيات الله ليسيرون بحجب الغفلات وتتبع الشهوات قلوبهم فتعمى عن مشاهدة هذه الايات البينات لهم
عذاب شديد من هذا العمى والحرمان وهم في خسران من الركون الى هذا النقصان والله عزيز ذو انتقام يعز اهل العزائم بنيل المرام وينتقم
من اهل السلوة بحجاب العزة ثم اخبر تعالى عن كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وكيف يخفى وانه هو الذى يصوركم
في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز عن نقص الاحكام الحكيم فيما يجري من الازل الى الابد جفت به الاقلام وفي الاية اشارة الى

آل عمران

للعادة م

التأويل

الى آخر حروفها م

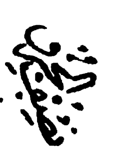
اذا سقطت من صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة في رحم قلب مريد صادق ليسلم لتصرفات ولاية الشيخ وهي بمثابة ملك الارحام وتصرف المريد احواله الظاهرة والباطنة على وفق امر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة لئلا يصيبه منه حركة عنيفة او يجد له بحجة غريبة يلزم منه سقوط النطفة وفسادها ويقعد بامر الشيخ وتدبيره فالله تعالى يتصرف في ولاية الشيخ المؤيد بتاييد الحق بمرور كل اربعين عليه بشرائطها يحولها من حال الى حال ومن مقام الى مقام الى ان يرجع الى حظائر القدس ورياض الانس التي منها صدر الى عالم الانس فيكون الجنين في رحم القلب هو طفل خلقه الله في ارضه فيستحق الا ان ينفخ فيه الروح المخصوص بانبيائه واوليائه يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه فاذا نفخ فيه الروح يكون آدم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم اجمعون الآيات المحكمات تنزيلها شرب الخواص والعوام لبسط الشرع والاهتداء والمتشابهات تاويلها شرب الخواص وخواص الخواص لاخفاء الاسرار عن الاغيار وللابتلاء فاما الذين في قلوبهم زيغ الخبث قلوبهم غطاء الريب فحجبوا بانوار الغيب وهم اهل الاهواء والبدع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا باهوائهم وابتغاء تاويله ليضلوا الناس بارائهم والراسخون في العلم يقولون آمنا به بما شاهدوا من انوار الحق في تحقيق الآيات كل من عند ربنا بتوفيقه واعلامه وتعريفه وما يذكر الا اولوا الالباب الذين خرجوا في متابعة النبي عم من ظلمات قشور وجودهم النفساني الى نور الباب وجودهم الروحاني وهم الراسخون في قشور العلوم الكسبية الواصلون الى حقائق الباب العلوم اللدنية من لدن حكيم خبير وفي الآية اشارة الى ان علوم الراسخين كلها بتعليم الله تعالى اياهم في الميثاق اذ تجلى لصفة الربوبية للذرات واشهدهم على انفسهم بشواهد الربوبية ألست بربكم فشهدوا تلك الشواهد وكن في جبلة الذرات علم التوحيد فقالوا بلى ويندرج في علم التوحيد كل العلوم كما قال وعلم آدم الاسماء كلها فلما ردت الذرات الى الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت الى الارحام وتنقلت بقدم الاربعينات من حال الى حال ومن مقام الى مقام بمقامات البعد عن الحضرة الى ان وضع الحمل وردت النفس العالمة بعلم التوحيد الناطقة ببلى الى اسفل سافلين القالب محتجبة بحجب البشرية ناسية تلك العلوم والنطق بها ثم ابواه يذكرانه تلك العلوم بالرموز والقرائن حتى يتذكر بعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية واستار الاطوار وينطق بلسان الابوين لا بلسانه الذي اجاب به الرب فقال بلى فان ذلك اللسان كان لب هذا اللسان وهذا قشر ذلك وكذلك جميع وجود ظاهر الانسان وباطنه قشور الباب ذلك الوجود المستمع المجيب في الميثاق فسمعه قشر ذلك السمع الذي استمع خطاب الحق وبصره قشر ذلك البصر الذي ابصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب الذي فقه خطاب الحق وعلومه قشر تلك العلوم التي تعلمت من الحق فالنبي عم انما بعث ليذكره حقيقة تلك العلوم التي كان ابواه يذكرانه قشرها كما قال فذكر انما انت مذكر فالتذكير عام ولكن التذكر خاص فلهذا قال وما يذكر الا اولوا الالباب انما يتذكر اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن صراط بغلبات ظلمات طبايعنا وطباعنا بعد اذ هديتنا الى حضرة جلالك ونور جمالك حتى سمعنا بلب سمعنا لب التنزيل وشاهدنا بلب ابصارنا لب التاويل وتذكرنا بلب عقولنا لب علومنا وهب لنا من لدنك رحمة تجذبنا من لدنا الى لدنك وتغنينا عنا بك انك انت الوهاب وفيه اشارة الى ان وظيفة الطالب ان لا يسكن في مقام ولا يقف مع حال بل يكون الى الابد طالبا كما كان الله من الازل الى الابد وهابا وكما انه لا نهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب طالبه فان بعد هذه الدار دار هي دار القرار توفى فيها جزاء الابرار والفجار فحصول الارب بقدر رعاية الادب في الطلب وفي مقاساة التعب والنصب وان التقوى خير زاد للمعاد ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا ستروا انوار روحانيتهم بظلمات صفات نفسانيتهم لن تغني عنهم طاغوت اموالهم ولا اولادهم من انوار الله التي حجبوا عنها واولئك هم وقود النار نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التي لا تحرق الا قشور الجلود ولا يخلص الى القلوب فان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب فرقة القلوب وحرقة القطيعة عن الله كنسيم الحيوة الى سموم الممات شعر تعني فؤاد المحب نار هواه وحر نار الجحيم ابردها وكذلك دأب جميع الكفار الذين ستروا انوار روحانيتهم بظلمات صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة انوارنا ومحافظة اسرارنا فاخذهم الله فعاقبهم بحجاب ذنوبهم وحرقة قلوبهم والله شديد العقاب اليم نار فراقه عظيم عذاب بعده واشرا منها بالنار خوفني قومي فقلت لهم النار ترحم من في قلبه نار

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل

بگو مر آنها را که کافر شدند زود است که مغلوب شوند و محشور شوند بسوی دوزخ و بد جایگاهست تحقیق که هست شما را نشانی در دو طائفه که ملاقات کردند گروهی کارزار کند

في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار

در راه خدا و طائفه دیگر که کافر بود که میدیدند آنها را دو چندان در بادی نظر و خدا قوت دهد بیاری خود هر که را که خواهد بدرستی که در این هر آینه عبرتست صاحبان بصر را



زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام

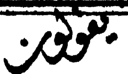
آراسته شد از برای مردمان دوستی شهوات را از زنان و فرزندان و پوستهای پر از طلا و نقره و اسبان با نشان و حیوانات

والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم

و زراعت این بهره زندگانی دنیا و خدا در نزد اوست بهتر بازگشتی بگو آیا خبر دهم شما را به بهتر از این مر آنهارا که پرهیزکردند در نزد پروردگار

جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين

بهشتها که روانست در زیر آنها جویها جاوید ایشند در آن و زنان پاکیزه و خوشنودی از خدا و خدا بینا است به بندگان آنان





يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ

میگویند که پروردگارا بدرستی که ما گرویدیم پس بیامرز گناهان ما را ونگاهدار ما را از عذاب آتش — صبر کنندگان وراستگویان وفرمان برندگان وانفاق کنندگان

وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۝ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

واستغفار کنندگان — گواهی داده است خدا باینکه نیست خدا بجز او وفرشتگان وصاحبان دانش ایستاده کار بعدالت نیست خدائی بجز او که غالب است ودرستکار

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ

بدرستی که دین در نزد خدا اسلام است واختلاف نکردند آنها که داده شدند کتاب مگر پس از آنکه رسید ایشان را دانش از روی رشک در میان ایشان وهر که کافر شود بآیتهای

اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ

خدا پس بدرستی که خدا زود حساب است پس اگر محاجه کنند با تو پس بگو که تسلیم کرده ام خود را از برای خدا وهر که تابع من است وبگو آنها را که داده شده اند کتاب را وبیسوادان آیا اسلام آوردید

فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ

پس اگر اسلام آوردند پس بتحقیق هدایت یافته اند واگر رو گردانند پس جز این نیست که بر تو رسانیدن است وخدا بیناست به بندگان بدرستی که آنها که کافر شوند بآیتهای خدا ومیکشند

النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

پیغمبرانرا بدون حق ومیکشند آنهارا که امر میکنند بعدالت از مردمان پس مژده ده آنها را بعذاب دردناک آنگروه آنهایند که باطل است کردارشان

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ

در دنیا وآخرت ونیست از برشان یاوری — آیا ندیدی آنها را که داده شدند بهره از کتاب را که خوانده میشوند بسوی کتاب خدا تا حکم کند

بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا

در میان آنها پس روگردانند گروهی از ایشان درحالیکه روگردانند این بجهت آنست که گفتند نرسد ما را آتش مگر در روزهای شمرده چند وفریب داد ایشان را در دین آنها آنچه

كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ القراءة سيغلبون ويحشرون

بودند که دروغ گفتند پس چگونه است وقتی که گرد کنیم آنها را از برای روزیکه نیست شکی در آن وداده شود هر نفسی آنچه را که کسب کرده ونیستند ستم کرده شده بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف

وعباس مخير الباقون بتاء الخطاب ترونهم بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون بالياء مثليهم بضم الهاء سهل ويعقوب وكذلك ما انفتح قبل الياء مثل يحيينهم رأى العين بغير همزة ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف الباقون بهمزة ساكنة او نبئكم بهمزة غير ممدودة بعدها واو مضمومة ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب غير عباس واوقية وابو شعيب ونافع غير قالون أؤنبئكم بالمد والواو المضمومة يزيد وقالون وعباس واوقية وابو شعيب الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة ورضوان بضم الراء حيث كان الاعشى والبرجمي وافق يحيى وحماد الا في من اتبع رضوانه في المائدة ان الدين بفتح ان علي الباقون بالكسر وجهي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر غير البخاري عن هشام وحفص والمفضل والاعشى والبرجمي ومن اتبعني باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ابو جعفر ونافع غير قالون في الوصل ويقاتلون الذين حمزة ونصير في رواية علي بن نصير الباقون ويقتلون ليحكم بضم الياء وفتح الكاف ابو جعفر الباقون بالعكس الوقوف جهنم ط المهاد ه التقتا ط لان التقدير منهما فئة واحديهما العين من يشاء ط الابصار ه والحرث لا احتياج للفصل بين النقيضين مع اتفاق الجملتين المآب ه من ذلكم ط لتناهي الاستفهام من الله ط بالعباد ج للآية على جعل الذين خبر مبتداء محذوف اي هم الذين او مدحا على اعني الذين ولجواز انه نعت للعباد وللمتقين التارج لان الصابرين يصلح بدلا للذين والوقف اجوز نصبا على المدح بالاسحار ه الا هو ط للعطف ولو وقف احتراز اعن وهم دخول الملائكة واولو العلم في الاستثناء والمشاركة في الالوهية كان جيدا بالقسط ط الحكيم ط الا لمن قرأ ان بالفتح على البدل من انه الاسلام بينهم ط للاطلاق حكم غير مخصوص بما قبله الحساب ه ومن اتبعن ط لابتداء امر يشمل اهل الكتاب والعرب والاول مختص باهل الكتاب فلم يكن الثاني من جملة اجزاء الشرط اسلمتم ط لتناهي الاستفهام الشرط اهتدوا ج لابتداء شرط آخر مع العطف البلاغ ط بالعباد ه بغير حق لا لمن قرأ ويقاتلون لعدم المعنى من قوله يقتلون اليم والآخرة ز للابتداء بالنفي مع اتحاد المقصود من ناصرين ه معرضون ه معدودات ص لان الواو للعطف او للحال يفترون ه لا يظلمون ه التفسير عن ابن عباس في رواية ابي صالح عنه قال لما هزم الله المشركين يوم بدر قالت يهود المدينة هذا والله النبي الذي بشرنا به موسى نجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية واراد واتصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وقالوا لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة ابي سفيان واصحابه فوافقوهم واجمعوا امرهم وقالوا لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار في رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك



لقيت قوماً اغماراً لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة اما والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون ثم تموتون وتحشرون الى جهنم في الآخرة ومعنى جهنم قد مر في البقرة في قوله فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقيل هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر ومن قرأ بتاء الخطاب فمعناه الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر باي لفظ اراده ومن قرأ بالياء فالامر متوجه الى حكاية هذا اللفظ اي قل لهم قولي لك ستغلبون وفي الاية احتجاج القائل بتكليف ما لا يطاق فانه تعالى اخبر عنهم بانهم يحشرون الى جهنم فلو امنوا واطاعوا لانقلب الخبر كذبا وفيها دليل على صحة البعث والحشر باخبار الصادق وقوله ستغلبون وقد وقع كما اخبر اخبار عن الغيب فيكون معجزا دالا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم نظيره في حق عيسى عليه السلام وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ثم انه تعالى ذكر ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك الحكم فقال قد كان لكم آية في فئتين التقتا يوم بدر فئة احداهما جماعة تقاتل في سبيل الله وهم المسلمون لانهم يقاتلون لنصرة دين الله واعلاء كلمته وفئة اخرى كافرة هم كفار قريش وبيان كون تلك الواقعة آية من وجوه احدها ان المسلمين كان قد اجتمع فيهم من اسباب الضعف امور منها قلة العدد فانهم كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا مع كل اربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان ومنها انهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتاهبوا ومنها ان ذلك ابتداء غازية في الحرب لانها اول غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حصل في المشركين اضداد هذه المعاني كانوا تسعمائة وخمسين رجلا وفيهم ابو سفيان وابو جهل ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير واهل الخيل كلهم دارعون وكان معهم دروع سوى ذلك وكانوا قد مرنوا على الحروب والغارات واذا كان كذلك كان غلبة المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة وثانيها انه صلى الله عليه وسلم كان قد اخبر عن ذلك باخبار الله تعالى في قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني جمع قريش او عير ابي سفيان وكان اخبر قبل الحرب بان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان والاخبار عن الغيب معجزة وثالثها امداد الملائكة كما سيجيء في هذه السورة وزاد بعضها قوله يرونهم مثليهم وفيه اربع احتمالات لان الضمير في يرون اما ان يعود الى الفئة الكافرة او الى الفئة المسلمة وعلى كلا التقديرين يجوز عود الضمير في مثليهم الى كل منهما فهذه اربعة الاول ان الفئة الكافرة رات المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين الثاني انها رات المسلمين مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة من قرأ ترونهم بتاء الخطاب اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي انفسهم ودليل الاحتمالين جميعا ان عود الضمير في يرون الى الاقرب هو الفئة الكافرة اولى ولانه سبحانه جعل هذه الحالة آية للكفار حيث خاطبهم بقوله قد كان لكم آية فوجب ان يكون الراؤن هم الكفار حتى تكون حجة عليهم لو كانت الاية مما شاهدها المؤمنون لم يصلح جعلها حجة على الكفرة والحكمة في ذلك انه تعالى كثر المسلمين في اعين المشركين ليهابوا ويجبنوا عن قتالهم وهذا لا يناقض قوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم لاختلاف الوقتين فكانهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا على ان تقليلهم تارة في اعينهم وتكثيرهم اخرى ابلغ في القدرة واظهر للآية الاحتمال الثالث ان الرائين هم المسلمون والمرئيين هم المشركون فالمسلمون راوا المشركين مثلي المسلمين والسبب فيه ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والكافرون كانوا قريبا من ثلثة امثالهم فلو راوهم كما هم لجبنوا وضعفوا الاحتمال الرابع ان يكون رائيهم المسلمون ثم انهم راوا المشركين على الضعف من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن ان يقول به احد لان هذا يوجب نصرة الكفار وايقاع الخوف في قلوب المؤمنين والاية تنافي ذلك وفي الاية احتمال خامس وهو ان اول الاية قد عينا انه خطاب مع اليهود فيكون المراد ترون ايها اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة وههنا بحث وهو ان الاحتمالين الاولين الثاني يقتضي ان المعدوم صار مرئيا والاحتمال الثالث يوجب ان يكون الموجود الحاضر غير مرئي اما الاول فهو محال عقلا والقول به سفسطة فلهذا قيل لعل الله تعالى انزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيرا وهذا يكون الرؤية رؤية البصر ويكون مثليهم نصبا على الحال ويحمل الرؤية على الظن والحسبان فان من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل انه في غاية الكثرة لكن قوله راي العين لا يحاوب ذلك ومعناه رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات واما الثاني فهو جائز عند الاشاعرة اذ عند حصول الشرائط وصحة الحاسة لا يكون الادراك واجب الحصول بل يكون عندهم جائزا لا واجبا والزمان زمان خوارق العادات واما المعتزلة فعندهم الادراك واجب الحصول عند استجماع الشروط وسلامة الحس فاعتذروا عن ذلك بان الانسان عند الخوف لا يتفرغ للتامل البالغ فلذلك يرى البعض دون البعض ولعل الغبار صار مانعا عن ادراك البعض او خلق الله تعالى في الهواء ما صار مانعا عن رؤية ثلث العسكر او يحدث في عيونهم ما يستقل به الكثير كما احدث في عين الاحول ما يرون به الواحد اثنين كل ذلك محتمل والله يؤيد بنصره من يشاء اما بالغلبة كيوم بدر واما بالحجة والعاقبة كيوم احد ان في ذلك الذي ذكره من الآية لعبرة نوع عبور وهو المجاوزة من منزل الجهل الى مقام العلم لاولي الابصار ذوي العقول اليقظة والبصائر المستبصرة او لمن ابصرهم والقضايا بامعها كالمشاهد للمعاين ثم ذكر ما هو كالشرح والبيان لعبرة الانسان وهو انه زين للناس اللذات الجسمانية والآخرة وهي عالم الروحانيات خير وابقى لانها معدة لمن واظب على العبودية واتصف بالخصال الحميدة واما ما يتعلق بالقصة فانا روينا ان ابا حارثة بن علقمة النصراني اعترف لاخيه بانه يعرف صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا انه يمنعه من اتباعه حب المال والجاه وروينا ايضا انه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر اظهروا من انفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدد والعدة فبين الله تعالى في هذه الآية ان تلك الاشياء متاع الدنيا وزينتها والآخرة خير والمزين هو الله تعالى اما عند الاشاعرة فلانه خالق افعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان واما عند جمهور المعتزلة فلحكمة الابتلاء انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ولانها وسائل الى منافع الآخرة وهو ان يتصدق بها او يتقوى بها



على طاعة الله والاشتغال بشكرها كان الصاحب بن عباد يقول شرب الماء البارد في الصيف يستخرج الحمد لله من اقصى القلب وثانيها ان القادر على وجوه اللذات
اذا تركها واقبل على اداء وظايف الخدمة كان اشق واكثر ثوابا وعن الجبائي واختاره القاضي ان كل ما كان واجبا او مندوبا او مباحا فالتزيين
فيه من الله تعالى وكل ما كان حراما فالتزيين فيه من الشيطان وحكى عن الحسن انه قال الشيطان زينها لهم وكان يحلف بالله على ذلك واحتجا في الاية
بانه اطلق الشهوات فيدخل فيها المحرمات فان تزيينها وظيفة الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وحب المال الكثير الى هذه الغاية لا يليق الا بمن جعل
الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده وفانه في معرض الذم ذلك متاع الحيوة الدنيا والذام للشيء لا يكون مزينا له قال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم
والغرض تقبيح الدنيا فكيف يكون مزينا لها ثم انه تعالى جعل الاعيان المشتهيات شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها
وذلك للتعلق والاتصال كما يقال للمقدرة مقدور وللمرجو رجاء وفيه فائدة اخرى هي ان الشهوة صفة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها
شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها قال المتكلمون في الاية دليل على ان الحب غير الشهوة لان المضاف
يجب ان يكون مغايرا للمضاف اليه والشهوة من فعل الله تعالى والمحبة من افعال العباد وهي ان يجعل الانسان كل همته مصروفة الى اللذات والطيبات
واعلم ان الانسان قد يحب شيئا ولكنه يحب ان لا يحبه وقد يحبه ويحب ان يحبه يعتقد مع ذلك ان تلك المحبة حسنة وفضيلة وهذا هو كمال المحبة
ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمان ع اني احببت حب الخير ومعناه احب الخير واحب ان اكون محبا للخير فقوله حب الشهوات قريب من ذلك لان
الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام فظاهره يقتضي ان هذا المعنى عام لجميع الناس ولا شك انه موجود في الاغلب في اكثر الاوقات فلا بعد
التعميم فظاهر ما اعطى للاغلب حكم الكل على ان من همته بجمعها مقصورة على طلب اللذات الروحانية في غاية الندرة وبقاء ذلك النادر في جميع
الاحيان على ذلك الخاطر اعز وامنع ثم شرع في بيان تلك الاعيان المشتهيات فذكر منها ما هي لا نهاية رتبها في جميع مراتب الاولى النساء
لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال ع ان اخوف ما اخاف
على امتي النسوان الثانية الاولاد ولا سيما البنين ولهذا خصوا بالذكر ومحبة النسوان والاولاد كانها امر غريزية ولولاها لم يتصور بقاء النسل
الحيوان الثالثة والرابعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار ماخوذ من عقد الشيء واحكامه ومنه القنطرة والمال الكثير قنطار لان
الانسان يتوثق بها في عقد النوائب ابو عبيدة انه وزن لا يحد ابو هريرة عن النبي ع القنطار اثنا عشر الف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن
وزعم الكلبي ان القنطار بلسان الروم ملؤ مسك ثور من ذهب او فضة وعن سعيد بن جبير ثمانون الف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار
للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة وابل مؤبلة قال الكلبي القناطير ثلثة والمقنطرة المضاعفة وكان المجموع ستة وانما كان الذهب
والفضة محبوبين لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فمالكهما كالمالك لجميع الاشياء وفي كل المتبد بوجد في الشعر ولولا التقى لقلت جلت قدرته وصفته
المال الكثير هي المقدرة وانها صفة كمال والكمال محبوب لذاته الخامسة الخيل المسومة قال الواحدي الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء والرهط
وسميت الافراس خيلا لاختيالها وهو جولانها في مشيتها ويسمى الخيال خيالا لجولان هذه القوة في استحضار الصور والمسومة قيل المرعية اسمت
الدابة وسومتها اذا ارسلتها في مرجها للرعي ولا شك انها اذا رعت ازدادت حسنا وبهاء وقيل هي المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا في تلك العلامة
عن ابي مسلم الغرة والتحجيل وقال الاصم هي البلق وقال قتادة الشية وقيل الكي وعن مجاهد وعكرمة المسومة المطهمة اي الحسان قال الاصمعي يجعل مطهم اي
تام كل شيء على حدة فهو بارع الجمال السادسة الانعام وهو جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانها غلب
عليها السابعة الحرث وهو الزراعة ذلك الذي ذكر متاع الحيوة الدنيا لان وجوه الانتفاعات الدنيوية للانسان اما ان يكون من بني نوعه
او من غيره والاول اصل وهو المراة او فرع وهو الولد وانما فرض الكلام في الذكور لشرفهم والثاني اما ان يكون من المعدنيات واكثرها
فائدة واعمها عائدة الجوهران الثمينان فخصا بالذكر واما ان يكون من الحيوانات للركوب والكر والفر وهو الخيل او للحمل واللحم وهو الانعام واما ان
يكون من النباتات والحاصل من الزراعة وانما لم يتعرض للدور والقصور لانها لم تكن معتادة عند العرب والقران يخاطبهم او لانهم والله
عنده حسن المآب اي المرجع وانما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لانها غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولهذا قال
سبقت رحمتي غضبي ثم بين ان ذلك المرجع كما انه حسن في نفسه فهو احسن وافضل من هذه الدنيا والمقصود ان يعلم العبد انه كما ان الدنيا اطيب
وافسح من بطن الام فكذلك الاخرة افسح واوسع من الدنيا ولانه لما علم نعم الدنيا ان منافع الاخرة خير منها فقال مستفهما على سبيل التقرير
أؤنبئكم بخير اي بشيء هو خير من ذلكم الذي عددناه ثم استانف بيانه وتقريره فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات كما يقول هل ادلكم على
خير خير من فلان عندي رجل من صفته كيت وكيت بيان الخيرية ظاهر من وصف الجنات والازواج مع قيد الخلود فان النعمة وان عظمت
فتوهم الانقطاع والزوال ينغص صفوها وينقص لذتها وبعد زوال هذا الوهم لن تتكامل طيبها الا بالنساء فبهن يحصل الانس ثم وصف
الازواج بصفة واحدة جامعة فقال مطهرة اي من الاقذار والمنفرات وبعد ذكر تمام النعمة ذكر ما هو فوق التمام فقال ورضوان من الله
ويندرج فيه جميع المطالب والمقاصد لان العبد اذا رضي عنه المولى لم يتصور منصب اجل منه وكان المولى وما يملكه للعبد كما ان العبد
وما يملكه للمولى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ويحتمل ان يكون اللام في قوله للذين اتقوا متعلقا بخير واختص المتقون لانهم

الثروة الغنى والثروة

الشيا الفرس قائم على رجليها



هو المتضمون بتر برتفع جنات على الخبر اى هو جنات وبعضه قراءة بعضهم جنات بالجر على البدل من خير وذلك ان اللام في هذه القراءة يتعين ان يكون متعلقا بخير وقوله عند ربهم يحتمل ان يتعلق بما تعلق به قوله للذين اى ثبت لهم عند ربهم ويحتمل ان يكون صفة لخير ويحتمل ان يكون من تمام قوله اتقوا فيكون اشارة الى ان هذا الثواب لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تع فلا يدخل فيه الا من كان مؤمنا في علم الله والله بصير بالعباد عالم بمصالحهم فيجب ان يرضوا لانفسهم ما اختار لهم من نعيم الاخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه من امور الدنيا او بصير بهم يثيب ويعاقب بحسب استحقاقهم او بصير بالذين وما حوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد حكى الله تع ذلك عنهم في معرض المدح لهم والثنا عليهم فقيل دل ذلك على ان الايمان هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما زعموا كان ادخاله في النار قبيحا عندهم فيكون ممتنع الوقوع من الله تع وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب وقوعه عبث فلا يصلح للمدح ويمكن ان يجاب عنه بان العبد قد يدعو بما يعلم انه حاصل لاظهار الذل والعبودية وابداء للاستكانة والخشوع وايضا صورة العمل الصالح لا يفيد ما لم يقع في حيز القبول فعلى المتقي ان لا يتكل عليها ويبتهل الى الله في مواجب الغفران ثم عدد من اوصاف عباده خمسة ووسط العاطف بينها دلالة على كمالهم في كل واحد منها او اشارة الى ان كل واحد منها يكفي في استحقاق المدح والثواب فقال الصابرين اى في اداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن والشدائد وقف رجل على الشبلي فقال اى صبر اشد على الصابرين فقال الصبر في الله تع فقال لا فقال الصبر لله قال لا قال فاى شئ قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كاد يتلف روحه والصادقين اى في الاقوال وفي الافعال بان لا ينصرف عنها قبل تمامها وفي النيات بان يمضي العزم على الخيرات والقانتين المقيمين على الطاعات والمواظبين عليها والمنفقين ما تيسر على ما تيسر من شروطه مصارفه وجوبا وندبا والمستغفرين بالاسحار اى فيها والسحر قبيل طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا ليلهم وذلك نهارهم وللاستغفار بالاسحار مزيد اثار وانوار لان السحر وقت النوم والغفلة فاذا اعرض العبد عن تلك اللذة وعرض الذلة على حضرة العزة لا يبعد ان يفيض عليه سجال المغفرة وان يطلع صبح العالم الصغير عند طلوع صبح العالم الكبير فيستنير قلب المؤمن بانوار المعارف واثار اللطائف واما بيان ترتيب الاوصاف فالصبر يشمل اداء جميل التكاليف ثم الانسان قد يلتزم من نفسه ما هو غير واجب عليه فالصادق من يخرج عن عهدة ذلك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات امر محمود فاشير الى ذلك بقوله والقانتين ثم ان ههنا امرين يعينان على الطاعة الخدمة بالمال والابتهال والتضرع الى حضرة القدس والجلال وذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله والمنفقين معناه الشفقة على خلق الله وباقي الاوصاف حاصله التعظيم لامر الله قال الكلبي لما ظهر رسول الله صلعم بالمدينة قدم عليه حبران من احبار اهل الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلعم الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا على النبي عرفاه بالصفة والنعت فقالا له انت محمد صلعم قال نعم قالا وانت احمد قال نعم قالا انا نسئلك عن شهادة فان انت اخبرتنا بها امنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله صلعم سلاني قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله فانزل الله على نبيه شهد الله انه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا رسول الله صلعم ووجه النظم انه مدح المؤمنين واثنى عليهم بقوله ربنا اننا امنا ثم بين ان دلائل الايمان ظاهرة جلية واعلم ان الشهادة من الله تع ومن الملائكة ومن اولى العلم يحتمل ان يكون بمعنى واحد ويحتمل ان لا يكون كذلك اما الاول فنقرره من وجهين احدهما ان الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل في حق الله تع وفي حق الملائكة وفي حق اولى العلم اما من الله فذلك انه اخبر في القران انه اله واحد لا اله الا هو وذلك في مواضع كثيرة كالاخلاص واية الكرسي وغيرهما والتمسك بالدلائل السمعية في هذه المسئلة جائز لان العلم بنبوة محمد صلعم لا يتوقف على العلم بها واما من الملائكة واولى العلم وهم الذين عرفوا وحدانية الله تع بالدلائل القاطعة فكلهم اخبروا ايضا ان الله واحد لا شريك له وثاني الوجهين ان تجعل الشهادة عبارة عن الاظهار والبيان فالله تع اظهر ذلك وبين بان خلق ما يدل على ذلك والملائكة واولوا العلم اظهروا ذلك وبينوه ايضا الملائكة للرسل والرسل للعلماء والعلماء لعامة الخلق فالتفاوت انما وقع في الشئ الذي به حصل الاظهار والبيان فاما مفهوم الاظهار والبيان فشئ واحد في حق الكل فكانه قيل للنبي صلعم ان وحدانية الله تع امر قد ثبت بشهادة الله وشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المبين والمنهج القويم لا يضعف بمخالفة بعض الجهال من النصارى وعبدة الاوثان فاثبت انت وقومك يا محمد صلعم على ذلك فانه هو الاسلام واما الثاني فهو قول من يقول شهادة الله تع على توحيده عبارة عن انه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة واولى العلم عبارة عن اقرارهم بذلك ونظيره قوله تع ان الله وملائكته يصلون على النبي فالصلوة من الله غير الصلوة من الملائكة فان قيل المدعى للوحدانية هو الله فكيف يكون المدعي شاهدا فالجواب انه ليس الشاهد بالحقيقة الا الله لانه خلق الاشياء وجعلها دلائل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل والتوصل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم حتى ارشدوا غيرهم الى ذلك ولهذا قال قل اى شئ اكبر شهادة قل الله وفي انتصاب قائما بالقسط وجوه الاول انه حال مؤكدة والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط وهذا وجه لكون الالهية والتفرد بها مقتضيا للعدالة مثل هذا ابوك عطوفا ولا رجل الا عبد الله شجاعا ويحتمل ان يكون حالا من اولى العلم اى حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط في اداء هذه الشهادة الثاني ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو وقد راينا هم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف الثالث ان يكون نصبا على المدح وان كان نكرة

اتقوا عند ربهم

الصبر لله فقال لا فقال ثم



والدين عند الله هو الاسلام

قائما بالقسط

كقوله

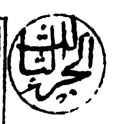


كقوله شعر وَيَا وِي إلى بيوتِ عُطَّلٍ وَشُعْثًا ۞ مَرَاضِيعَ مِثْلَ السَّعَالِي ۞ ومعنى كونه قائما بالقسط قائما بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير اى يجريه على سنن
الاستقامة او مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب فيما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم
واعلم ان وجوب الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات و
عدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شئ من الاشياء وعدم النقص والنقص فى شئ من الافعال والاحكام الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات
العليا ومركوز فى العقل السليم ان من هذا شانه لا يصدر منه شئ الا على وفق العدالة وقضية التسوية ورعاية الاصلح عموما او خصوصا فكل
ما يخيل الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة او يشبه الجور والقبيح وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه عن احاطته التامة بسلسلة الاسباب
والمسببات والمبادى والغايات فانظر فى كيفية خلق اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف احوال الخلق
فى الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل وصواب ثم انظر فى كيفية خلق العناصر و
اجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة فكلها حكمة وعدالة وانظر الى تفاوت الخلائق فى العلم والجهل والفطانة
والبلادة والهداية والغواية واقطع بان كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى مخلوق مستعد الادراك تفاصيل كمالات
الله فالخوض فى ذلك خوض فيما لا يعنيه بل لا يسعه ولا ينفعه الا العلم الاجمالى بانه تعالى واحد فى ملكه وملكه لا منازع له ولا مضاد ولا مانع لقضائه ومراده وان لكل بقضائه وقدره وفى كل واحد من مصنوعاته ولكل شئ من افعاله حكم ومصالح لا يحيط بذلك علما الا موجده وخالقه يفعل ما
يشاء ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم العدول عنه مراء والجدال فيه هراء فمن ينسب الى الجور فى فعل من الافعال فهو
الجائر لا على غيره بل على نفسه اذ لا يعترف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الخفيات المطلع على الكليات والجزئيات من ازل الازال
الى ابد الاباد ومن زعم ان شيئا من الاشياء خير او شر فى اعتقاده حسنا او قبيحا بحسب نظره خارج عن مشيته وارادته فقد كذب ابن اخت خالته
لانه يدعى التوحيد ثم يثبت قادرا اخر وخالقا غير الله تعالى ولا خالق الا هو فلهذا كرر مضمون الشهادة وقال لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ واذا شهد بذلك فقد
صح انه لا اله الا هو كقولك الدليل دل على وحدانية الله ومتى كان كذلك فقد صح القول بوحدانية الله وفيه ايقاظ الامة محمد ان يقولوا على وفق
شهادة الله والملائكة واولى العلم لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ واعلام بان هذه الكلمة يجب ان يكررها المسلم ما امكن ۞ هُوَ الْمِسْكُ مَا كَرَّرْتَهُ يَتَضَوَّعُ ۞ ثم اكد
كونه متفردا بالالوهية وقائما بالعدل بقوله الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا يتم القدرة الا بالتفرد
والاستقلال والعدالة الا بالاطلاع على المصالح والاحوال إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّٰهِ الْإِسْلَامُ جملة مستانفة مؤكدة للاولى والدين فى اللغة الجزاء ثم
الطاعة سمى الدنيا لانه سبب الجزاء والاسلام فى اللغة الانقياد والدخول فى السلم او السلامة او فى اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشئ اى
خلص له والاسلام فى عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان فى الظاهر ومنه قوله تعالى قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ويطلق اخرى على الانقياد
الكلى وهو المراد ههنا وفيه ايذان بان الدين هو العدل والتوحيد اما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا نظير فى الذات ولا فى صفة من الصفات
كما شهد هو به واما العدل فهو ان يعلم ان كل ما خلق وامر المكلف به ونهاه عنه فانه عدل وصواب فيه حكم ومصالح فيأتمر بذلك وينتهى عنه ليكون عبدا
منقادا معترفا بانه تعالى قائم بالقسط ومن قرأ بفتح ان فتقديره عند البصريين ذلك بدل من الاول بدل الكل فكانه قيل شَهِدَ اللّٰهُ أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّٰهِ
الْإِسْلَامُ فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا ارى الموت يسبق الموت شئ وقيل تقديره شَهِدَ اللّٰهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّٰهِ
الْإِسْلَامُ وقيل شَهِدَ اللّٰهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّٰهِ الاسلام لان كونه تعالى واحدا يوجب ان يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام مشتمل
على هذه الوحدانية وقرئ الاول بالكسر والثانى بالفتح على ان الفعل واقع على الثانى وما بينهما اعتراض ثم ذكر انه اوضح الدلائل وازال الشبهات والقوم
ما قصروا الا لعصبيتهم وتقصيرهم فقال وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ قيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عم لما قرب فاته سلم التورية الى سبعين
رجلا من الاحبار وجعلهم امناء عليهم واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم التورية بغيا بينهم وتحاسدا
على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم فى امر عيسى عم بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى واختلافهم هو
انه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وانكروا نبوة محمد صلعم وقالوا نحن احق بالنبوة من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ اى الدلائل التى لو نظروا فيها لحصل لهم العلم لانا لو حملناه على العلم لزم نسبة العناد الى جميع عظيم وهو بعيد قال فى
تفسير الكبير وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّٰهِ فَإِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ لا يصعب عليه عد افعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة والمراد انه سيصل الى الله سريعا فيحاسبه
يجازيه على كفره ثم بين للرسول ما يقوله فى محاجتهم فقال فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ قال الفراء اى اخلصت عملى لله فعلى هذا الوجه فى معنى
العمل وقيل اى اسلمت وجهى على الله فحذف المضاف والمعنى كل ما يصدر منى من الاعمال فالوجه فى الاتيان بها هو عبودية الله والانقياد لالهيته وحكمه
وقيل الوجه مقحم والتقدير اسلمت نفسى لله وليس فى العبادة مقام اعلى من اسلام النفس كانه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه قوله وَمَنِ
اتَّبَعَنِ معطوف على الضمير المرفوع فى اسلمت لحسن الفصل او مفعول معه والواو بمعنى مع ثم فى كيفية ايراد هذا الكلام طريقان احدهما ان هذا اعراض
عن المحاجة لانه عم كان قد اظهر المعجزات كالقران ودعاء الشجرة وكلام الذئب وغيرها وقد عم فى هذه السورة ابطال الهيته عيسى واثبات نبوة محمد صلعم

والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو صح

ورائعوا

تشریح



بين نفي الضد والند والصاحبة والولد بقوله شهد الله وذكر ان اختلاف هؤلاء اليهود والنصارى انما هو لاجل البغي والحسد فلم يبق الا ان يقول
اما انا ومن اتبعن فمنقادون للحق مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق قد يذكر المحتج المحق مع المبطل المصر في اخر كلامه وثانيها ان
قوله اسلمت محاجة وبيانه ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع وكونه مستحقا للعبادة فكانه صلى الله عليه وسلم قال هذا القول متفق عليه بين الكل فانا متمسك
بهذا القدر المتفق عليه وداعي الخلق اليه وانما الخلاف في امور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون
يدعون وجوب عبادة الاوثان فهؤلاء هم المدعون فعليهم اثباتها ونظير هذه الاية قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وعن ابي مسلم ان الاية في هذا الموضع كقول ابرهيم عليه السلام اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض كانه قيل
فان نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابرهيم وانتم معترفون بانه كان محقا في قوله صادقا في دينه فيكون من باب
التمسك بالالزامات وداخلا تحت قوله وجادلهم بالتي هي احسن وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين وهم مشركو العرب الذين
لا كتاب لهم أأسلمتم ومعناه الامر وفائدته التعيير بالعناد وقلة الانصاف كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تأل جهدا في سلوك طريقة الكشف
والبيان له هل فهمتها فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله في اية تحريم الخمر فهل انتم منتهون اشارة الى التقاعد عن الانتهاء
فان اسلموا فقد اهتدوا الى ما هداكم الله اليه ونالوا الفوز والنجاة في الاخرة وان تولوا اعرضوا عن الاسلام لي واتباع لك فانما عليك البلاغ
ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الرشاد والله بصير بالعباد يوفق للصلاح من يشاء ويترك على الضلالة من اراد ثم وصف المتولي
بصفات ثلث واردفه بوعيده فقال ان الذين يكفرون بايات الله اي ببعضها هؤلاء اليهود كانوا مقرين ببعض الايات الدالة على وجود الصانع
وقدرته وعلمه وشيء من المعاد او بكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف وتوجيهه ان المكذب ببعض ايات الله كالكافر بجميعها ويقتلون النبيين اي
المعهودين لانهم قتلوا كلهم لا اكثرهم بغير حق من غير ما شبهة عندهم ويقتلون ويقاتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس عن الحسن في الاية
دلالة على ان الامر بالمعروف والناهي عن المنكر تلي منزلته عند الله منزلة الانبياء فلهذا ذكرهم عقيبهم وروي ان رجلا قام الى رسول الله فقال
اي الجهاد افضل فقال صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فان قيل اذا كان قوله ان الذين يكفرون في حكم المستقبل لا اقل من الحال لانه
وعيد لمن هو في زمن رسول الله ولم يقع منهم قتل الانبياء ولا القائمين بالقسط فكيف يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله
والمؤمنين جميعا الا انه تعالى عصمهم منهم فصح اطلاق القاتل عليهم كما يقال السم قاتل اي ذلك من شانه ان وجد القابل ويقول وصفوا
بذلك اسلافهم لانهم راضون بذلك عن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا
امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرا هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة
واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفاء
لتضمن اسم ان معنى الشرط فان لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل واعلم انه تعالى قسم وعيدهم الى ثلثة اقسام الاول اجتماع اسباب الالام
والمكاره عليهم وهو العذاب الاليم واستعارة البشارة ههنا للتهكم الثاني زوال اسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله اولئك الذين حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فابدال المدح بالذم والثناء باللعن واسباب الاحترام والاحتشام باصناف الذل والهوان من السبي والقتل
والجزية واما في الاخرة فكما قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك في حقهم وهو قوله وما لهم من
ناصرين ثم ذكر غاية عناد اهل الكتاب فقال الم تر الى الذين عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله
فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد صلى الله عليه وسلم فقال على ملة ابرهيم فقالا ان ابرهيم كان يهوديا فقال رسول الله فهلموا
الى التورية فهي بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقال الكلبي نزلت في اللذين زنيا من خيبر وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما بالرجم وانكر اليهود عليه وسوف
تجيء القصة في سورة المائدة مفصلة وقيل دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم واياهم والنصارى الى الايات الدالة على صحة نبوته من التورية ومنها ومن الانجيل
فابوا فنزلت ومعنى قوله اوتوا نصيبا اي حظا وافرا من علم الكتاب يريد احبار اليهود ومن اما للتبعيض واما للبيان والكتاب يراد به غير القران
من الكتب التي كانوا مقرين بحقيتها وقيل اي حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم ثم بين سبب التعجب بقوله يدعون
الى كتاب الله وهو التورية كما مر في اسباب النزول لانه تعالى عجب رسوله من تمردهم واعراضهم وانما يتوجه التعجب اذا تمردوا عن حكم الكتاب الذي
يعتقدون صحته وعن ابن عباس انه القران وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجج على انه كتاب من عند الله ليحكم اي الكتاب بينهم اي
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحذف الثاني للعلم به ويراد الحكم في الاختلاف الواقع بينهم كما في قصة الزانيين ولهذا راجعوا في ذلك رسول الله
رجاء ان يكون عنده رخصة في ترك الرجم قال في الكشاف والوجه انه اراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم
يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الرؤساء والاحبار
او الذين لم يسلموا من احبارهم ومعنى ثم استبعاد ما بين رتبتي الدعاء والتولي وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وهجيراهم والضمير
في هم اما ان يرجع الى الفريق اي هم جامعون بين التولي والاعراض عن استماع الحجة في ذلك المقام فقط بل عنه وعن سائر المقامات واما

القلم



ان يرجع الى الباقين منهم فيكون قدح صف العلماء والرؤساء بالتولي والباقين بالاعراض لاجل علمائهم ومنقلديهم واما ان يرجع الى كل اهل الكتاب
اى هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق ذلك التولي والاعراض وذلك العقاب والوعيد بسبب انهم كانوا يتساهلون فى امر العقاب لا يفرقون بين
ما يتعلق باصول الدين وبين ما يتعلق بفروعها فقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات هى ايام عبادة العجل فاستوجبوا الاثم من وجوه احدها
استقصار مدة العذاب فى من اين لهم العلم بذلك وثانيها ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق به الكافر عذابا دائما وثالثها ان استثناء الايام المعدودة
فقط فيه دليل على انهم استحقروا تكذيب محمد والقرآن وذلك كفر صريح وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون بالنبوة من قريش ومن زعمهم ان اباءهم
الانبياء ليشفعون لهم فكيف يصنعون او فكيف حالهم فى هذا الحذف فخامة لما فيه من تحريك النفس على استحضار كل نوع من العذاب اذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء جمعوا اليوم الخميس معناه جمعوا لفعل يوجد فى يوم الخميس اما اذا قلت جمعوا فى يوم الخميس فلا تضمر فعلا وتم
من المعلوم ان ذلك اليوم لا فائدة فيه الا المجازاة والفرق بين المثاب والمعاقب ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب وعقاب جزاء ما عملت وهم لا
يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه فى معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسى وروى ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار
راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار التأويل ستغلبون اشارة الى ان المبتلى بالكفر مغلوب الحكم الازلى بالشقاوة ربنا غلبت
علينا شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس والشيطان ولذات الدنيا فبغلبات النفس والهوى يرد الى اسفل سافلى الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما
عاش فيه ويحشر على ما مات عليه فى قعر جهنم وبئس المهاد مهاد مهده فى معاشه قد كان لكم اية فى فئتين التقتا ان الله تعالى فى الظاهر من المؤمن والكافر
وفئتين فى الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها الذميمة ولهما الحرب والالتقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر والله يؤيد بنصره من يشاء من
القلب وجنوده وهم الروح والسر والاوصاف الحميدة والملائكة ومن النفس واعوانها وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم اخبر عن
جنود الفئتين واعوان الفرقتين بقوله زين للناس واعلم ان الله خلق الخلق على طبقات ثلث العوام ويعبر عنهم بلفظ الناس والغالب عليهم الهوى
وهم اصحاب النفوس والخواص ويذكرهم بلفظ الولى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيهم المحبة والشوق ثم ان جهنم سبع دركات
محفوفة بالشهوات فاشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة الحيوانية المائلة الى الولد وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
الى شهوة الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء بالركوب عليها وبالانعام الى شهوة الجمال والاقتناء ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا واهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثمانية للخواص منها التقوى للذين اتقوا
والرضاء بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا اننا امنا والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالاسحار هذه جنات
عاجلة تجرى من تحتها الانهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة والاخلاق الفاضلة التى تتولد منها فاذا عاش فى الجنات مات وحشر كذلك
ثم اشار الى احوال خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظة عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما احلولى لهم الدنيا فى مرعى اوليا
ولا وقفوا عند جنة المأوى ما زاغ البصر وما طغى انما طلبوا قرب المولى للذين احسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلى عن علمه السرمدى على ذاته
الاحد وكونه الصمد انه لا اله الا هو وهى شهادة الحق للحق بالحق انه الحق وهو متفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا يشاركه فيها احد فكما ان ذاته
لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بجلال قدره على كمال عزه حين لا حين ولا اين ولا عقل ولا جهل
ولا غير ولا شرك ولا عرش ولا فرش ولا الجنة ولا النار ولا الليل ولا النهار ولا الجن ولا الانس ولا الملائكة ولا اولوا العلم ولا الانكار ولا الاقرار فاخبر
الذى كان عما كان كما كان وهو انه لا اله الا هو ثم ابدع الموجودات كما شاء على ما شاء لما شاء فكل جزء من اجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفصح
ولربوبيته موضح وعلى فردانيته شاهد ولكن ماء التوحيد القدم يجرى فى مجارى انهار المحدثات الى ان ظهر من عيون الملائكة واولى العلم ثم الملائكة وان
كانوا مظهر ماء التوحيد كما كان اولوا العلم ولكن اختص اولوا العلم منهم بمشربية والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها لى سكرتان وللندمان وجعل
شئ خصصت به من بينهم وحدك تحقيقه معنى الاية شهد الله انه لا اله الا هو وهو قائم بالقسط على امور عباده حتى يشهد على شهادته الملائكة واولوا
العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو عائد الى اولى العلم الذين لهم شركة مع الملائكة فى مظهرية ماء التوحيد بالشهادة ولهم اختصاص بالمشربية لماء
التوحيد فشاهدوا حقيقة لا اله الا هو العزيز الذى لا يشاهد عزته الا اعزته من بين البرية الحكيم الذى بحكمته اختارهم لهذه العزة من جملة الخليقة
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الاختلاف فى الصورة من نتائج تناكر الارواح فى عالم المعنى والارواح فما تعارف منها فى الميثاق لتقاربهم فى الصف
او لتقابلهم فى المنزل ائتلف وما تناكر منها لتباعدهم فى الصف ولتدابرهم فى المنزل اختلف الا من بعد ما جاءهم العلم فيه ان العلم مظنة الحسد لكن المحمود
منه ما يخص باسم الغبطة ويقتلون النبيين الانسان يخلق مستعد القبول فيض صفات لطف الحق وقهره فكما ان كمال الانسان فى قبول فيض اللطف
ان يفدى نفسه فى متابعة الانبياء حتى يكون خير البرية فنقصانه فى قبول فيض القهر ان يقتل الانبياء حتى يكون شر البرية فلهذا يحبط اعماله ولا يرجى
توبته ابليس الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب فيه اشارة الى ان من اوتى حظا من العلم فعليه ان يدعى الى حكم من احكام الله والى ترك الدنيا ومخالفة الهوى
ان يمتثل وينقاد الا ان كان مغرورا بالدنيا الدعوى وهذه حال اكثر من اوتى نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم اهل الغرة بالله
فكيف حال المغرورين اذا جمعهم الله قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من

تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ

کہ خواہی وخوار کنی ہر کرا کہ میخواہی در دست تست نیکوئی ہرستی کہ تو بر ہر چیزی توانائی در آری شب را در روز و در آری روز را در شب و بیرون آوری زنده را

مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ

از مرده و بیرون آوری مرده را از زنده و روزی دہی آنرا که خواہی بی اندازه فرا نگیرند مؤمنان کافرانرا دوستان بجز مؤمنان و ہر که کند

ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ

اینرا پس نیست از خدا در چیزی مگر آنکه بترسید از ایشان ترسیدنی و میترساند شما را خدا از خودش و بسوی خدا است بازگشت بگو که اگر نہان دارید آنچه را که در سینہای شما است یا ظاہر کنید

يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ

میداند آنرا خدا و میداند آنچه در آسمانہا و آنچه در زمین است و خدا بر ہر چیزی توانا است روزی که بیابد ہر نفسی آنچه را که کرده از نیکوئی آماده و آنچه کرده است از

سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ

بدی دوست دارد که بودی میان آن و میان او زمانی دور و میترساند شما را خدا از ذات خود و خدا مہربانست به بندگان بگو که اگر میباشید که دوست دارید خدا را پس پیروی کنید مرا تا دوست دارد شما را خدا

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ

و بیامرزد مر شما را گناہان شما را و خدا آمرزنده مہربانست بگو که اطاعت کنید خدا را و رسول را پس اگر رو گردانیدند پس بدرستی خدا دوست ندارد کافران را بدرستی خدا برگزید آدم را

وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ القراءة الحيّ من الميت والميت من الحي بالتشديد

و نوح را و آل ابراہیم را و آل عمران را بر جہانیان فرزندانی که بعضی از بعضی اند و خدا شنونده داناست

علي فعيل حيث كان ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب غاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بالتخفيف على فيل منهم تقية بكسر القاف وفتح الياء وتشديدها ابو زيد عن المفضل وسهل ويعقوب الباقون تقاة بضم التاء وقرأ حمزة وعلي وخلف بالامالة الوقوف من تشاء ط لتناهي الجملتين المتضادين معنى الجملتين مثلها وتذل من تشاء ط الخير ط قدير ه في الليل ز للفصل بين الجملتين المتضادين من الحي ز لعطف المتفقتين حساب ه المؤمنين ج تقاة ط نفسه ط المصير ه نصف الجزء يعلمه الله ط وما في الارض ط قدير ه محضرا ج لا جوزان يوقف على سوء تقديره وما عملت من سوء كذلك بعيدا ط نفسه ط بالعباد ه ذنوبكم ط رحيم ه والرسول ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الكافرين ه العالمين ه لا ان ذرية بدل من بعض ج عليم ه لاحتمال ان اذ متعلق بالوصفين اي سمع دعاءها وعلم رجاءها حين قالت واصطفى آل عمران وقت قولها ولاحتمال نصبت بمضمر اذكر التفسير انه سبحانه لما ذكر من طريقة المعاندين ما ذكر علم نبيه صلى الله عليه وسلم طريقة مباينة لطريقتهم من كيفية التمجيد والتعظيم فقال قل اللهم معناه عند سيبويه يا الله والميم المشددة عوض عن الياء وانما اخرت تبركا باسم الله تعالى وهذا من خصائص اسم الله كما اختص بدخول تاء القسم وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع همزته في يا الله عند الكوفيين اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا فلما كثر في الكلام حذفوا حرف النداء وخففت الهمزة من ام وزيف بان التقدير لو كان كذلك لزم ان يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم واغفر لنا ولجاز ان يتكلم به على اصله من تحقيف الهمزة وباثبات حرف النداء واجيب بانه انما لم يوسط العاطف لئلا يصير السؤال سؤالين ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه بخلاف ما لو جعل الثاني تفسيرا للاول فيكون اكد وبان الاصل كثيرا ما يصير متروكا مثل ما اكرمه فانه لا يقال شيء ما اكرمه في التعجب ومالك الملك نداء مستانف عند سيبويه فان النداء باللهم لا يوصف كما لا يوصف اخواته من الاسماء المختصة بالنداء نحو يا هناه ويا نومان ويا ملكعان وقيل واجاز المبرد نصبه على النعت كما جاء في يا الله عن ابن عباس انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد صلى الله عليه وسلم ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك فنزلت الاية وعن عمرو بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال عليه السلام اضاءت لي قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال عليه السلام اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت وقال الحسن ان الله تعالى امر نبيه ان يسأله ان يعطيه ملك فارس والروم ويرد ذل العرب عليهما وامره بذلك دليل على انه يستجيب له هذا الدعاء وهكذا منازل الانبياء اذا امروا بدعاء استجيب دعاؤهم مالك الملك اي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وفيه ان قدرة الخلق في كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى ثم لما بين كونه مالك الملك وانه هو الذي يقدر كل قادر على مقدوره ويملك كل مالك مملوكه فصل ذلك بقوله تؤتي الملك من تشاء اي النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك فالاول عام والاخر بعض من الكل وهذا الملك قيل ملك النبوة لانها اعظم مراتب الملك لان العلماء لهم امر على بواطن الخلق والجبابرة لهم امر على ظواهر الخلق والانبياء امرهم نافذ في البواطن والظواهر فعلى كل احد ان يقبل شريعتهم ولهم ان يقتلوا من اراد و

ع ١٢

المتمردين ولهذا استبعد بعض الجهلة ان يكون النبي بشرا ابعث الله بشرا رسولا ومن المجوزين من كان يقول ان محمدا فقير يتيم فكيف يليق به هذا المنصب العظيم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود يقولون النبوة في اسلافنا فنحن احق بها وقد روينا في تفسير قوله قل للذين كفروا ستغلبون ان اليهود تكبروا على النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة عددهم وعددهم فرد الله تعالى على جميع هؤلاء الطوائف بانه سبحانه مالك الملك تؤتي الملك وهو النبوة من تشاء وتنزع الملك النبوة ممن تشاء لا بمعنى انه يعزله عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى انه ينقلها من نسل الى نسل كما نزع من بني اسرائيل ووضع في العرب او بمعنى انه لا يعطيه النبوة ابتداء كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه وليّنا ولي من لم يكن في ظلمة الكفر قط ومثله او لتعودن في ملتنا مع ان الانبياء لم يكونوا في ملتهم قط حتى يتصور العود اليها وقيل المراد من الملك التسلط الظاهر وهو الاقتدار على المال بانواعه وعلى الجاه وهو ان يكون مهيبا عند الناس محبوبا لهم مطاعا ومن المعلوم ان كل ذلك بايتاء الله تعالى فكم من عاقل قليل المال ورب جاهل غافل رخي البال وقد راينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الحشمة والجاه وما ازدادوا الا حقارة وخمولا فعلمنا ان الكل بايتاء الله تعالى سواء في ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفاعل ففيه سد باب اثبات الصانع وان حصل بفعل المتغلب فكل احد يتمنى حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلم يبق الا ان يكون من مسبب الاسباب وفاعل الكل ومدبر الامور وناظم مصالح الجمهور: لو كان بالحيل الغنى لوجدتني ... بنجوم اقطار السماء تعلقي : لكن من رزق الحجى حرم الغنى ... ضدان مفترقان اي تفرق : ومن الدليل على القضاء وكونه : بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق : وكذا الكلام في نزع الملك فانه كما ينزع الملك من الظالم ينزعه من العادل المصلح ونقيض ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى والقدرة والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم كما تكونون يولى عليكم والصحيح ان الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك النفاذ والقدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد الى غير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل من الاعزاز والاذلال في الدنيا والاخرة في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده ولا ذلة كذلة الكفر وعزة الدنيا كاعطاء الاموال الكثيرة من الناطق والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب والقاء الهيبة في قلوب الخلق وكل ذلك بتيسير الله تعالى وتقديره بيدك الخير بقدرتك تحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شيء وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك او لان جميع افعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وان كنا لا نعلم تفصيله والشر والنفع والضر او لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة اي بيدك الخير فكلها خير او لان القادر على ايصال الخير قادر على ايصال الشر فاكتفى بالاول عن الثاني وللاحتراز عن لفظ الشر مع ان ذلك صار مذكورا بالتضمن في قوله انك على كل شيء قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وذلك بان يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك القدر في النهار وبالعكس ففي كل منهما قوام العالم ونظامه او ياتي بالليل عقيب النهار فيلبس الدنيا ظلمته بعد ان كان فيها ضوء النهار ثم ياتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوءه فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الاخر والاول اقرب الى اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا ازداد من هذا في ذلك فقد ادخله فيه وتخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر او من كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه او الطيب من الخبيث والحيوان من النطفة والطير من البيضة وبالعكس والنطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم او يخرج السنبلة من الحبة وبالعكس تقدم مثله في البقرة واذا كان كذلك فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله اراد ان يرشد الى الشفقة على خلق الله لما ذكر انه مالك الملك وبيده العزة والذلة والخير كله بين انه ينبغي ان يكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه دون اعدائه فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين بالجزم ولكن كسر لالتقاء الساكنين قال الزجاج ولو رفع على الخبر جاز ولكنه لم يقرأ والخبر والطلب يقام كل منهما مقام الاخر وقوله من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد هؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود فابى اولئك النفر الا مباطنتهم فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس في رواية الضحاك نزلت في عبادة بن الصامت الانصاري وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال له عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رايت ان يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد كرر ذلك في ايات اخر كثيرة لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وكون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل ان يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الاية لقوله يا ايها الذين امنوا وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك ممنوع منه والثالث

كالمتوسط بين القسمين وهو الركون اليهم والمعونة والمظاهرة لقرابة او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك ولهذا قال مقاتل نزلت في حاطب بن
بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد ان دينهم باطل فهذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه حذرا من ان يجره الى استحسان طريقته
والرضاء بدينه حتى يخصه بالموالاة دون المؤمنين فلا جرم هدد فقال وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ اي من ولايته ومن دينه في شيء يقع عليه
اسم الولاية يعني انه منسلخ عن ولاية الله راسا وهذا كالبيان لقوله مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ليعلم ان الاشتراك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة
غير متصور وهذا امر معقول فان الموالاة الولي وموالاة عدوه ضدان قال تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي ... صَدِيقُكَ لَيْسَ النُّوكُ عَنْكَ بِعَازِبِ قال
بعض الحكماء هذا ليس بكلي فانه قد يكون الشفوق على العدو مشفقا على العدو الاخر كالملك العادل فانه محب لهما اذا ارادان يعم الحكم لا بد له ان يريد عليه
اذا كانوا في مرتبة واحدة إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً قال الجوهري يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة والتاء فيهما واو كتراث فالتقاة اسم وضع موضع
المصدر قال الواحدي ويجوز ان يجعل تقاة ههنا مثل رماة فيكون حالا مؤكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا او تخافوا
ولهذا عدي بمن ويحتمل ان يكون التقاة او التقية بمعنى المتقي مثل ضرب الامير لمضروبه فالمعنى ان يخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه رخص لهم في موالاتهم
اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار
الطوية كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا اي ليكن جسدك بين الناس وقلبك مع الله وللتقية عند العلماء احكام منها اذا كان الرجل في
قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له ان يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط ان يظهر خلافه ويعرض في كل ما يقول ما امكن فان التقية تأثيرها في
الظاهر لا في احوال القلب ومنها انها رخصة فلو تركها كان افضل لما روى الحسن انه اخذ مسيلمة الكذاب رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما
اتشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم انه رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الاخر
وقال اتشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم نعم نعم فقال اتشهد اني رسول الله فقال اني اصم ثلاثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئا له واما الاخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظيره هذه الاية إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ
ومنها انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعاداة وقد يجوز ان يكون ايضا فيما يتعلق باظهار الدين فاما الذي يرجع ضرره الى الغير كالقتل
والزنا وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة ومنها ان الشافعي جوز
التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكافرين محاماة على النفس ومنها انها جائزة لصون المال على الاصح كما انها جائزة لصون النفس لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال
المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون ماله فهو شهيد لان الحاجة الى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على التيمم اذا بيع
الماء بالغبن قال مجاهد كان هذا في اول الاسلام فقط لضعف المؤمنين وروى عوف عن الحسن انه قال التقية جائزة الى يوم القيامة وهذا ارجح
عند الائمة وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ قيل اي عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة اعدائه لان شدة العقاب على حسب قدرة
المعاقب وفي فائدة ذكر النفس تصريح بان الذي حذر منه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاولياء اي ينهاكم الله
عن نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر في وقت التقية فقال قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ اي قلوبكم وضمائركم لان
القلب في الصدر مجاز اقامة الظرف مقام المظروف أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ يتعلق به علمه الازلي ثم استانف بيانا اشمل فقال وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ثم قال انما ما للتحذير وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثم خلط الوعيد بالوعد الترهيب بالترغيب فقال يَوْمَ تَجِدُ وفي عامله وجوه قال
قال ابن الانباري وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ يَوْمَ تَجِدُ وقيل وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَوْمَ تَجِدُ وخص ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة
الله تعالى تعظيما لشانه مثل مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ وقيل انتصابه بمضمر اي اذكروا والاظهر ان العامل فيه تود والضمير في بينه لليوم اي تود كل نفس
يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا ايضا لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله أَمَدًا بَعِيدًا والامد الغاية التي ينتهى اليها كما
كانت او زمانا والمقصود تمني بعده كقوله يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ومعنى كون العمل محضرا اهون يكون ما كتب فيه العمل من الصحائف
حاضرا او يكون جزاؤه حاضرا اذ العمل عرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل ان يكون تود صفة سوء والضمير في بينه يعود اليه واحتمل
ان يكون حالا واحتمل ان يكون ما عملت مبتدأ من الصلة والموصول وتود خبره وهو الاكثر واحتمل ان يكون ما شرطية وتود جزاء له وهو قليل
كقوله وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ ... يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمُ وقراءة عبد الله ودت تحملها على السواء الا ان الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى
لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ تاكيد للوعيد وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ قال الحسن من رافته ان حذرهم نفسه وعرفهم كمال
علمه وقدرته ليمهل ولا يهمل ورغبهم في استيجاب رحمته وحذرهم من استحقاق غضبه ويجوز ان يراد انه رؤف بهم حيث امهلهم للتوبة والتلافي
او هو وعد كما ان التحذير وعيد والمراد بالعباد عباده المخلصون كقوله عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ كما هو منتقم من الفساق ويحذرهم نفسه فهو
رؤف بالعباد المطيعين المحسنين ثم انه تعالى دعى القوم الى الايمان به وبرسوله من طريق اخر سوى طريق التهديد والتحذير فقال قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
قال الحسن وابن جريج زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله هذه الاية وروى الضحاك عن
ابن عباس قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون

لهم فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابيكم ابرهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انما نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى
فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام ليقربكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم
وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت حين زعمت اليهود انهم ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا انهم يعظمون
المسيح ويعبدونه حبا لله وتعظيما له والحاصل ان كل من يدعي محبة الله تعالى من فرق العقلاء فلا بد ان يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا
قامت الدلائل العقلية والمعجزات الحسية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وجبت متابعته فليس في متابعته الا انه يدعوهم الى طاعة الله وتعظيمه
وترك المحبوبات والاعراض بالكلية عن غيره وقد مر في تفسير قوله والذين امنوا اشد حبا لله تحقيق المحبة وانها من الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب فقال
ويغفر لكم ذنوبكم ليدل مع ابقاء الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور في الدنيا يستر على عبده انواع المعاصي
رحيم في الاخرة يثيبه على مثقال الذرة من الطاعة والحسنة يروى انه لما نزل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال عبد الله بن ابي ان محمدا
يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احب النصارى عيسى فنزلت قل اطيعوا الله والرسول وذلك ان الاية الاولى لما اقتضت وجوب متابعته
ثم ان المنافق القى شبهة في البين امر الله تعالى ان يقول انما اوجب الله عليكم متابعتي لا كما يقوله النصارى في عيسى بل لكوني رسولا من عند الله مبلغ
تكاليفه فان تولوا اعرضوا او تعرضوا على ان يكون الناء الاولى محذوفة ويدخل في جملة ما يقوله الرسول لهم فانه لا يحصل للكافرين محبة الله
لانها عبارة عن الثناء لهم وايصال الثواب اليهم والكافر يستحق الذم واللعن وهذا ضد المحبة ثم انه تعالى لما بين ان محبته لا تتم الا بمتابعة الرسل بين علو
درجات الرسل وسمو طبقاتهم فقال ان الله اصطفى ادم ونوحا الاية اي جعلهم صفوة خلقه والمختارين من بينهم تمثيلا بما يشاهد من الشيء
الذي يصفو وينقى من الكدورة وذلك باستخلاصهم من الصفات الذميمة وتحليتهم بالخصال الحميدة كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقيل
المعنى ان الله اصطفى دين ادم ودين نوح ولكن الاصل عدم الاضمار وذكر الحليمي في كتاب المنهاج ان الانبياء عليهم السلام يخالفون لغيرهم في القوى الجسمانية
والقوى الروحانية اما القوى الجسمانية فهي اما مدركة او محركة اما المدركة فهي الحواس الظاهرة او الباطنة اما الظاهرة فقوله صلى الله عليه وسلم زويت لي
الارض فاريت مشارقها ومغاربها وقوله اقيموا صفوفكم وتراصوا فاني اراكم من وراء ظهري وهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما
حصل لابرهيم عليه السلام وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض ذكروا في تفسيره ان الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وليس يستبعد
فانه يروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلثة ايام ويقال ان النسر وغيره من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من مائة فرسخ وقال عليه السلام
اطت السماء وحق لها ان تئط فسمع اطيط السماء ومثله ما زعمت الفلاسفة ان فيثاغورس راض نفسه حتى سمع حفيف الملك وقد سمع سليمان
كلام النمل وفهمه ومثله ما يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم مع الذئب ومع البعير وقد وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ايام وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الذراع يخبرني
انه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على ابرهيم قيل فهو دليل قوة اللمس كما في النعامة والسمندل وفيه نظر اذ لا ادراك
ههنا فكيف يستدل به على قوة الادراك بل يجب ان يحمل هذا على معنى اخر وهو انه تعالى لا يبعد ان يجعل المنافي ملائما اللاعجاز او لخاصية اودعها في
المنافي حتى يصير ملائما واما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال تعالى سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال علي عليه السلام علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الف باب
من العلم فاستنبطت من كل باب الف باب فاذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي واما القوة المحركة فكعروج النبي وعروج عيسى الى السماء و
كرفع ادريس والياس على ما وردت في الاخبار واما القوة الروحانية العقلية فنقول ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس
كالمخالفة صفاء ونورية وانجذابا الى عالم الارواح فلا جرم يجري عليها الانوار الفائضة من المبادي العالية اتم من سائر النفوس واكمل ولهذا
بعث مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين مرشدة للطالبين مصطفاة على العالمين من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك افضل من
البشر ومن سكان السموات ايضا عند من يرى البشر افضل المخلوقات ثم ان القران دل على ان اول الاشياء صطفى الله وخليفته ثم انه وضع كمال
القوة الروحانية في شعبة معينة من اولاد ادم وهم شيث واولاده الى ادريس ثم الى نوح ثم الى ابرهيم ثم انشعب من ابرهيم عليه السلام شعبتان اسمعيل
واسحق فجعل اسمعيل مبدءا لظهور الروح القدسية المحمدية وجعل اسحق مبدءا لشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب و
وضع الملك في نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم نقل نور النبوة ونور الملك اليه وبقي الدين والملك في امته الى يوم
القيمة فالمراد بال ابرهيم اولاده عليه السلام وهو المطلوب بقوله ومن ذريتي بعد قوله اني جاعلك للناس اماما واما ال عمران فقيل اولاد عمران بن يصهر
والد موسى وهرون وقيل المراد بال عمران والد مريم وهو عمران بن ماثان بدليل قوله عقيبه اذ قالت امرأت عمران ولا شك ان عمران بن ماثان
جد عيسى من قبل الام ولان الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على الهية عيسى بالخوارق التي ظهرت على يده عليه السلام فالله تعالى يقول ان ذلك باصطفاء
الله اياه لا لكونه شريكا لله ولان هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى وجعلناها وابنها اية للعالمين ذرية بدل من ادم بعضها من بعض
قيل اي في التوحيد والاخلاص والطاعة كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم في النفاق وقيل معناه ان غير ادم
كانوا من الذين من ادم وقيل يعني ان الال ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر
ويصهر من فاهث وفاهث من لاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى من مريم ومريم بنت عمران بن ماثان ثم قال في الكشاف

اصطفى ادم

سليمان بن داود بن ايشا ابن عوبد بن يهودا بن يعقوب بن اسحق وفيه نظر لان بين ماثان وسليمان قوما آخرين وكذلك بين ايشو ويهوذا والله سميع لاقوال العباد عليم بضمائرهم وافعالهم فيصطفى من خلقه من يعلم استقامته قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه تقريرا للعوام ببطلان هذا الكلام فيكون اول الكلام تشريفا للمرسلين واخره تهديدا للمبطلين كانه قيل والله سميع لاقوالهم الباطلة عليم باغراضهم الفاسدة فيجازيهم بحسب ذلك ويحتمل ان يتعلق بما بعده كما مر في الوقوف لنا وبل مالك الملك هو ملك الوجود فلا وجود بالحقيقة الا له تؤتي الوجود من تشاء وتنزع الوجود ممن تشاء فتخلق بعض الموجودات مستعدا للبقاء كالملائكة والانسان وتوجد بعضها قابلا للفناء كالنبات والحيوان غير الانسان وتعز من تشاء بعزة الوجود النوري وتذل من تشاء بذل القبض القهري بيدك الخير انك على كل قدير تضمين للدعاء بذكر السبب كما يقال للجواد انك الذي يقدر على اعطاء كل خير فاتنا واعزنا يا مفيض كل خير ويا كاشف كل ضير تولج ليل ظلمات الصفات البشرية النفسانية في نهار انوار الصفات الروحانية وبالعكس وتخرج القلب الحي بالحيوة الحقيقية من النفس الميتة وتخرج القلب الميت عن الحيوة الحقيقية من النفس الحية بالحيوة المجازية الحيوانية لا يتخذ القلب المؤمن والروح والسر وصفاتها الكافرين من النفس الامارة والشيطان والهوى والدنيا اولياء من دون المؤمنين من القلب والروح والسر ومن يفعل ذلك من القلوب فليس من انوار الله والطافه في شيء الا ان تتقوا من هلاك النفوس فالنفس مركب الروح فتواسوها كيلا تعجز عن السير في الوجوع وتهلك في الطريق من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات ويحذركم الله نفسه اي من صفات قهره قل ان تخفوا ما في صدوركم من معادات الحق في ضمن موالاة النفس ويعلم ما في سموات قلوبكم وما في الارض نفوسكم يوم تجد كل نفس ما عملت اثر الخير والشر ظاهرا في ذات المرء وصفاته بحسب ذلك يبيض وجه قلبه ويسود ولكنه في غفلة من هذا محجوب عنه بحجاب النفس والجسم كمثل نائم لدغته حية كحية الكفر والخصال الذميمة فلا يحس بها ما دام نائما نوم الغفلة فاذا مات انتبه واحس ثم اخبر عن الوصول في متابعة الرسول واعلم ان للاتباع ثلث درجات وللمحبة المحب ثلث درجات ولمحبة الله للمحب التابع على حسب الاتباع ثلث درجات اما درجات الاتباع فالاولى درجة عوام المؤمنين وهي متابعة اعماله والثانية درجات الخواص وهي متابعة اخلاقه والثالثة درجة اخص الخواص وهي متابعة احواله واما درجات محبة المحب فالاولى محبة العوام وهي مطالعة المنة من رؤية احسان المحسن جبلت القلوب على حب من احسن اليها وهذا حب يتغير بتغير الاحسان وهو لمتابعي الاعمال الذين يطمعون اجرا على ما يعملون وفيه قال ابو الطيب وما انا بالباغي على الحب رشوة ؛ ضعيف هوى يرجى عليه ثواب والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين يحبونه اعظاما واجلالا له ولانه اهل لذلك كما قالت رابعة احبك حبين حب الهوى وحب لانك اهل لذاكا ؛ ويضطر هذا المحب في هذه الدرجة الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الابد لبقاء الكمال والجلال على السرمد وفيه قال شعر سا عبد الله لا ارجوا مثوبته لكن تعبد اعظام واجلال ؛ والثالثة محبة خص الخواص المتبعين للاحوال وهي الناشية من الجذبة الالهية في مكان من كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف فاهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة لسبق العناية شعر غذينا بالمحبة يوم قالت له الدنيا اتينا طائعينا ؛ وحقيقة هذه المحبة ان يفنى المحب بسطوتها ويبقى المحبة فيه بلا هو كالنار يفنى الحطب بسطوتها ويبقى النار منه بلا هو نار ولا انت واما درجات محبة الله للعبد فاعلم ان كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها فانها لا تشبه في الحقيقة صفات المخلوقين حتى الوجود فانه وان عم الخالق والمخلوق الا ان وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن في ذاته واجب به فليس في الكون الا الله وافعاله وقرأ القارئ بين يدي الشيخ ابي سعيد ابي الخير قوله يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس في الوجود الا هو وما سواه فهو من صنعة الصانع اذا مدح صنعه فقد مدح نفسه والغرض ان محبة الله للخلق عائدة اليه حقيقة الا انه لما كان مرودها على الخلق بحسب ذلك اختلفت مراتبها مع انها صدرت عن محل واحد كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فما تعلقت الا باهل المعرفة وذلك قوله فخلقت الخلق لاعرف لكنها تعلقت بالعوام من اهل المعرفة بالرحمة ومشربهم الاعمال فقيل لهم فاتبعوني بالاعمال الصالحة يحببكم الله يخصكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم التي صدرت منكم على خلاف المتابعة وتعلقت بالخاص من اهل المعرفة بالفضل ومشربهم الاخلاق فقيل لهم فاتبعوني بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل بتجلي صفات الجمال ويغفر لكم ذنوبكم بستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من اهل المعرفة بالجذبات ومشربهم الاحوال فقيل لهم فاتبعوني ببذل الوجود يحببكم الله يخصكم بجذبكم الى نفسه ويغفر لكم ذنوب وجودكم فيمحوكم عنكم ويثبتكم به كما قال فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبهم يبين روضة المحو وغدير الاثبات احياء غير اموات فيكون في هذا المقام المحب والمحبوب والمحبة واحدا كما ان الرائي في المرآة يشاهد بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائي والمرئي والرؤية واحدا قل اطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبة الحق وصدرة محبته لكم ان الله اصطفى آدم وذلك ان الله تعالى خلق العالمين سبعة انواع الجماد والمعدن والنبات والحيوان والنفوس والعقول والارواح وجمع في آدم جميع الانواع وخصه بتشريف ثم من هو تشريف فنفخت فيه من روحي فهو المظهر لجميع آياته وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفة ومعنى قوله ان الله خلق آدم على صورته ثم ذكر خواص اولاد آدم نوحا وآل ابرهيم وآل عمران والمراد بالآل كل مؤمن تقي بعضها من بعض بالوراثة الدينية العلماء ورثة الانبياء فالعالم كشجرة وثمرتها اهل المعرفة والله سميع لدعائهم عليم باحوالهم وخصالهم اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت

بهم بصيرون وبهم يرزقون چون گفت زن عمران پروردگارا نذر کردم از برای تو آنچه در شکم من است آزاد پس بپذیر از من بدرستی که تو

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ

شنونده دانا است پس چون که نهاد حمل را گفت ای پروردگار من بدرستی که من نهادم حمل را که دختر است و خدا داناتر است بآنچه نهاد و نیست پسر مانند دختر و من نام نهادم او را مریم

وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا

و من پناه میدهم او را بتو با فرزندانش از شیطان رانده شده پس قبول کرد او را پروردگارش قبولی نیکو و تربیت داد او را پرورشی نیکو و پذیرفت او را زکریا هر وقت که

دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

در آمدی بر آن برزکریا در محراب یافتی در نزد او روزی گفت که ای مریم چگونه شد مر ترا این گفت که آن رزق نزد خدا است بدرستی که خدا روزی میدهد آنرا که خواهد بی اندازه

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي

از آن زمان خواند زکریا پروردگارش را گفت که پروردگارا ببخش مرا از نزد خود فرزندان پاک نهاد بدرستی که تو شنونده دعا پس ندا کردند او را فرشتگان در حالتی که ایستاده بود نماز

فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ

در محراب که خدا شرده میدهد ترا بیحیی باور دارنده مر بنده را از خدا و پیشوا و پارسا و پیغمبری از نیکوان گفت که پروردگارا از کجا

لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

مرا فرزند شود و حال آنکه دریافت مرا پیری و زنم نیز نازا است گفت که اینچنین است خدا که میکند هرچه خواهد گفت پروردگارا قرار ده از برای من نشانه گفت نشان تو آنکه گفتگو نکنید با مردم در سه روز

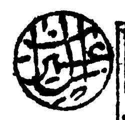
إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ القراءة مني انك بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو بما وضعت على الحكاية ابن عامر

مگر بطریق رمز و یاد آور پروردگارت را بسیار و بپاکی یاد کن در شام و بامداد

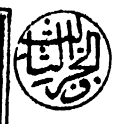
ويعقوب وابو بكر وحماد الباقون وضعت على الغيبة واني اعيذها بفتح الياء ابو جعفر ونافع وكفلها مشددة عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون خفيفا زكريا مقصورا كل القرآن حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وقرأ ابو بكر وحماد بالمد النصب ههنا الباقون بالمد الرفع فناديه بالياء والامالة علي وحمزة وخلف الباقون فنادته بتاء التانيث في المحراب بالامالة حيث كان مخفوضا قتيبة وابن ذكوان ان الله بكسر ان ابن عامر وحمزة الباقون بالفتح يبشرك وما بعده من البشارة خفيفا حمزة وعلي الباقون بالتشديد لي آية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن شنبوذ عن ابن كثير الوقوف منهج ج للابتداء ولاحتمال الانك العليم انثى ط لمن قرأ بما وضعت بالساكنة ومن قرأ على الحكاية لم يقف لانه يجعلها من كلامها بما وضعت ط كالانثى ج للابتداء بان ولاحتمال ان المجموع كلام واحد من قولها على قراءة من قرأ وضعت بالضم الرجيم حسنا ص لمن قرأ كفلها مخففا لتبدل فاعله فان فاعل المخفف زكريا وفاعل المشدد الرب تعالى المفعول كقوله اكفلنيها المحراب لا لان وجد جواب كلما رزقا ج لاتحاد فاعل الفعلين مع عدم العاطف هذا ط من عند الله ط حساب به ج لما قلنا في رزقا طيبة ج للابتداء ولجواز ان لانك الدعاء في المحراب لا وان كسر لان من كسر جعل النداء في معنى القول الصالحين عاقر ط ما يشاء آية ط رمزا ط والابكار التفسير انه سبحانه ذكر في هذا المقام قصصا القصة الاولى قصة حنة ام مريم البتول وجد عمران بن ماثان بنت فاقود اخت ايشاع التي كانت تحت زكريا بن اذن وكانت حنة كانت عاقرا لم تلد الى ان كبرت وعجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل قال الحسن انما فعلت ذلك بالهام الله تعالى كما الهم موسى فقذفته في اليم عن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وتحرير العبد تخليصه من الرق وحررت الكتاب اذا اصلحته وخلص من الغلط ورجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لاحد عليه يد وتصرف قال الاصم لم يكن لبني اسرائيل غنيمة ولا سبي كان في دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من الانتفاع ويجعلون الاولاد محررين لخدمة المسجد وطاعة الله تعالى حتى اذا بلغ الحلم كان مخيرا فان ابى المقام واراد ان يذهب ذهب وان اختار المقام فلا اختيار له بعد ذلك ولم يكن نبي الا ومن نسله محرر في بيت المقدس وما كان هذا التحرير الا في الغلمان لان الجارية يصيبها الحيض والقذر ثم انها نذرت مطلقا اما بناء الامر على الفرض والتقدير واما لانها جعلت النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر ومحررا حال من ما وعن ابن قتيبة المعنى نذرت لك ان اجعل ما في بطني محررا فلما وضعتها يعني ما في بطنها لانها كانت انثى في علم الله او على تاويل النفس او النسمة او الحبلة والحبل بفتح الباء مصدر بمعنى المحبول كاسمي بالحمل ثم دخلت عليه التاء للاشعار بمعنى الانوثة ومنه الحديث نهى عن حبل الحبلة ومعناه ان يبيع ما سوف يحمله الجنين الذي في بطن الناقة على تقدير ان يكون انثى قالت رب اني وضعتها انثى حال كونها انثى ثم من قرأ والله اعلم بما وضعت على الحكاية فمجموع الكلام الى آخر الآية من قولها ويكون فائدة قولها اني وضعتها انثى الاعتذار عن اطلاق النذر الذي تقدم منها والخوف من انها لا يقع الموقع الذي يعتد به والتحزن الى ربها والتحسر على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها ثم خافت ان يظن بها انها قالت ذلك لا علام الله تعالى فقالت والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى ليس جنس الذكور كجنس الاناث لا سيما في باب السدانة فان تحرير غير الذكور لم يكن جائزا في شرعهم والذكر يمكن له الاستمرار على الخدمة دون الانثى لعوارض النسوان ولان الانثى لا تقوى على الخدمة ولانها محل التهمة عند الاختلاط ويحتمل ان تكون عارفة بالله واثقة بان كل ما صدر عنه فانه يكون خيرا وصوابا فقالت رب اني وضعتها انثى ولكنك عرفت واعلم بحال ما وضعت فلعل



لك فيه سر او ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لي لانك لا تفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام في الذكر وفي الانثى للعهد وهو حاضر ذهنى
لكنها في الذكر لحاضر ذهنى تقديرا لدلالة ما في بطنى عليه ضمنا وفي الانثى لحاضر ذهنى حقيقة لتقدم لفظة انثى ومن قرا بما وضعت بسكون
التاء للتانيث فالجملتان اعنى قوله والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى معترضتان ومعناه والله اعلم بالشئ الذى وضعت لما
علق به من عظائم الامور وجعلها وولدها اية للعالمين وهي جاهلة بذلك ثم زاده بيانا وايضاحا فقال وليس الذكر الذى طلبت كالانثى
التي وهبت لها واني سميتها مريم وذلك ان اباها قد مات عنها وضعها فلهذا تولت الام تسميتها ومريم في لغتهم العابدة فارادت بقولها ذلك التقرب
والطلب الى الله ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ولهذا اردف ذلك بطلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان فتقبلها ربها الضمير يعود الى
امراة عمران ظاهرا بدليل انها التي خاطبت ونادت بقولها رب اني وضعتها ويحتمل ان يعود الى مريم فيكون فيه اشارة الى انه كان رباها في بطنها
فسر بها بعد ذلك بقبول حسن تقبلت الشئ وقبلته اذا رضيته لنفسك قبولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكى انه لم يسمع غيره واجاز
الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء في قوله بقبول بمنزلة الباء في قولك كتبت بالقلم وضربته بالسوط وفي التقبل نوع تكلف فكانه انما حكم
بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال في الكشاف معناه فتقبلها بذى قبول حسن اى بامر ذى قبول وهو اختصاصها باقامتها مقام الذكر في النذر
ولم يقبل قبلها انثى في النذر او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة قال ويجوز ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشئ
كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معناه فاستقبلها مثل تعجل بمعنى استعجل ومن ذلك قولهم استقبل
الامر اذا اخذه باوله اى فاخذها من اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا قيل كان تنبت في اليوم مثل ما ينبت المولود في عام وقيل
المراد نماؤه في الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا روى ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها
عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم
وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندى خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها
فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة والوحى على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلاث
مرات في كل مرة كان يرتفع قلم زكريا ويرسب اقلامهم فاخذها زكريا فعلى هذه الرواية تكون كفالة زكريا اياها من اول امرها وهو قول
الاكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد ان فطمت ونبتت النبات الحسن على ترتيب المذكور والارجح انها لم ترضع ثديا قط وكانت تتكلم في الصغر
وكان رزقها من الجنة وان زكريا بنى لها محرابا وهي غرفة يصعد عليها بسلم وقيل هو اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف
موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب والتركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس يسمى محرابا لطلب الناس اياه وكان
اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وذلك قوله عز من قائل
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذى لا يشبه ارزاق الدنيا وهو ات
في غير حينه والابواب مغلقة قالت هو من عند الله فلا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم
وان يكون معترضا من كلام الله تعالى واعلم ان الامور الخارقة للعادة في حق مريم كثيرة منها انه روى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد
الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها قلت وذلك لدعاء حنة واني اعيذها ومنها تكلمها
في الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رغيفين وبضعة لحم اثرته بها فرجع بها
اليها وقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم انى لك هذا فقالت
هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع رسول الله
على بن ابى طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها وفي امثال هذه الخوارق
من غير الانبياء دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب الفعل الخارق في الاول يدعى النبوة وفي
الثانى يدعى الولاية والنبى يدعى المعجز ويقطع به والولى لا يمكنه ان يقطع به والمعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة والكرامة بخلافها وقال
بعضهم الانبياء مامورون باظهار المعجزة والاولياء مامورون باخفاء الكرامات اما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها
دلالات صدق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبى كما ان الفعل المحكم لما كان دليلا على ان فاعله عالم فلا جرم لا يوجد في غير
العالم واجابوا عن حديث ابى هريرة بعد تسليم صحته ان استهلال المولود صارخا من مس الشيطان تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه
يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه فمعنى الحديث ان كل مولود فانه يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم
جميع من كان في صفتهما من عباد الله المخلصين قال في الكتاب واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس
ينخسهم لامتلات الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه قلت وعجيب من مثله مثل هذا الكلام فانه لا يلزم من الاحساس بمس الشيطان
والصراخ منه في وقت الولادة وانه قريب العهد بعالم الارواح وبزمان المكاشفة وبعيد العهد عن عالم الغفلة والالف بالمحسوسات ان يحس به في وقت



اخر ويصرح على ان اثر من الشيطان ونخسه يظهر في هيئات النفس واحوالها ولها امور لا يحس بها الا بعد المفارقة او قطع العلائق البدنية والكلام فيه يستدعي فهم استعداد اخر غير العلوم الظاهرة قال الجبائي انه يجوز ان يكون تلك الخوارق من معجزات زكريا وبيانه ان زكريا دعا لها على الاجمال ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا من تفاصيل ما يأتيها من الارزاق من عند الله فاذا رأى شيئا بعينه في وقت معين قال لها أنى لك هذا قالت هو من عند الله فعند ذلك يعلم انه من الله تعالى ظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل ان يكون زكريا يشاهد عند مريم رزقا معتادا الا انه كان يأتيها من السماء وكان زكريا يسألها عن ذلك حذرا من ان يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت هو من عند الله لا من عند غيره على انا لا نسلم انه ظهر لها شيء من الخوارق بل كانوا يرغبون في الانفاق على الزاهدات العابدات فكان زكريا اذا رأى شيئا من ذلك خاف ان ذلك الرزق اتاها من حيث لا ينبغي فكان يسألها عن كيفية الحال قلت امثال هذه الشبهات يوجبها الشك في القرآن وفي الحديث والعصبية المحضة على انا نقول لو كان معجزا لزكريا لكان مأذونا من عند الله في طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال ايضا كيف قنع بمجرد اخبارها في نوال النعمة وكيف مدح الله تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر ممن اخبر الله تعالى بانه اصطفاها على نساء العالمين وقال وجعلناها وابنها آية للعالمين القصة الثانية واقعة زكريا ام وذلك قوله سبحانه هنالك اي في ذلك المكان الذي كانا فيه في المحراب او في ذلك الوقت الذي شاهد فيه تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان دعا زكريا ربه وهذا يقتضي ان يكون قد عرف في ذلك الزمان والمكان امرا له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من العلماء المحققين على ان زكريا رأى عند مريم من فاكهة الصيف في الشتاء والعكس وان ذلك خارق للعادة نطمع هو ايضا في امر خارق هو حصول الولد من شيخ كبير من امرأة عاقر وهذا لا يقتضي ان يكون زكريا قبل ذلك شاكا في قدرة الله تعالى غير مجوز وقوع الخوارق فان من حسن الادب رعاية الوقت لانه في الطلب واما المعتزلة الذين انكروا كرامات الاولياء وارهاص الانبياء قالوا ان زكريا لما رأى آثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة في حق مريم تمنى ان يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء النبي لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال ان لا يكون الاجابة مصلحة فيصير دعوته مردودة وذلك نقص في منصبه واقول ان دعاء النبي لا يكون بمجرد التشهي فلا حاجة له في كل دعاء الى اذن مخصوص بل يكفي له الاذن في الدعاء على الاطلاق والغالب في دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالضد على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الاصلح ويضمر في دعائه انه لو لم يكن اصلح لم يعطه الله عليه فيصير غيره ومعنى قوله من لدنك ان حصول الولد في العرف والعادة له اسباب مخصوصة وكانت مفقودة في حقه فكانه قال اريد منك يا رب ان تعزل الاسباب في هذه الواقعة وتخلق هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسيط الاسباب والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد كما قال فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وانث الطيبة لتانيث لفظ الذرية في الظاهر فالتذكير والتانيث تارة يجيء على اللفظ واخرى على المعنى وهذا في اسماء الاجناس بخلاف الاعلام فانه لا يجوز ان يقال جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير انك سميع الدعاء يعني سامع اجابة وذلك لما عهد من الاجابة في غير هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم اكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة ظاهر اللفظ للجمع وهذا في باب التشريف اعظم ثم روي ان المنادي كان جبرئيل فالوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل ويأكل الاطعمة النفيسة اي يركب من هذا الجنس ويأكل منه او لان جبرئيل كان رئيس الملائكة وقلما يبعث الا ومعه آخرون يبشرك بيحيى ان زكريا قد عرف انه سيكون في الانبياء رجل اسمه يحيى وله درجة عالية فاذا قيل له ان ذلك النبي المسمى بيحيى هو ولدك كان بشارة له ويحتمل ان يكون المعنى يبشرك بولد سميه يحيى كما يجيء في سورة مريم انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانه اسم اعجمي كموسى وعيسى ومن جوز ان يكون عربيا فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا بكلمة من الله وهو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى معرفة قال ابو عبيدة اي مؤمنا بكتاب الله وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والجمهور على ان المراد بكلمة من الله هو عيسى قال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى وهما حاملان بهما فقالت يا مريم اشعرت اني حبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت امرأة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن عباس ان يحيى اكبر سنا من عيسى بستة اشهر وكان يحيى اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى وسمي عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا بكلمة الله وهي كن من غير واسطة اب وزرع كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء او لكونه متكلما في اوان الطفولية او لانه منشأ الحقائق والاسرار كما لهذا سمي روحا ايضا لانه سبب حيوة الارواح وقد يقال للسلطان العادل ظل الله ونور الله لانه سبب ظهور ظل العدل ونور الاحسان او لانه وردت البشارة به في كلمات الانبياء وكتبهم كما لو اخبرت عن حدوث امر ثم حدث ذا احدث قلت قد جاء قولي وكلامي اي كنت قولي وتكلمت به منها قوله وسيدا والسيد الذي يفوق قومه في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه بل للناس كلهم في الخصال الحميدة وقال ابن عباس السيد الحليم وقال ابن المسيب الفقيه العالم وقال عكرمة الذي لا يغلبه الغضب منها قوله وحصورا قيل اي محصورا عن النساء لضعف في الآلة وزيف بانه من صفات النقص فلا يليق في معرض المدح والمحققون على انه فعول بمعنى فاعل هو الذي لا يأتي النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس النفس عنهن وفيه دليل على ان ترك النكاح كان افضل في تلك الشريعة فلولا ان الامر بالنكاح والحث عليه ورد في شرعنا كان الاصل بقاء الامر على ما كان ومنها قوله ونبيا واعلم ان السيادة لا تتم الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة الى الزهد التام وهو منع النفس عما لا ينبغي روي انه مر وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت فقوله ونبيا اشارة الى ما عدا الامور



فانه ليس بعدهما الا النبوة ثم قال من الصالحين اي من اولاده لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن
الصالحين ولان صلاحه كان أتم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا فانه لم يعص ولم يهم فيه ان الختم على الصلاح
هو الغرض الاعظم والغاية القصوى وان كان نبيا ولهذا قال سليمان بعد حصول النبوة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف توفني
مسلما والحقني بالصالحين ثم ان الملائكة لما نادوه قال زكريا مخاطبا لله تعالى ومناجيا اياه رب اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر ادركني السن
العالية واثر في طول العمر واضعفني قال اهل اللغة كل شيء صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك وذلك اذا امكن تصور الطلب من الجانبين فيجوز
بلغت الكبر وبلغني الكبر لان الكبر كالشيء الطالب للانسان فهو يأتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا يأتيه بمرور العمر عليه ولا يجوز بلغني البلد في موضع بلغت
البلد ليس كالطالب للانسان الذاهب وامرأتي عاقر هي من الصفات الخاصة بالنساء وقيل رجل عاقر اي لا تلد شيئا فان قيل لما كان زكريا هو
الذي سأل الولد ثم اجابه الله تعالى الى ذلك فما وجه تعجبه واستبعاده بقوله اني يكون من اين يحصل لي غلام فالجواب على ما في الكشاف ان الاستبعاد
انما جاء من حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فسبق لسانه ونقل عن سفيان بن عيينة انه دعا وكان قبل البشارة بستين سنة فكان
قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة في زمان الشيخوخة استغرب وكان له يومئذ مائة وعشرون سنة او تسع وتسعون ولامرأته
ثمان وتسعون وعن السدي ان الشيطان جاءه عند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه عليه الامر ولا سيما انه
كان من مصالح الدنيا ولم يتأكد بالمعجزة فرجع الى الله ليزيل ذلك الخاطر فسئل ما سئل والجواب المعتمد ان زكريا لم يسئل عما سئل استبعادا او تشككا في
قدرة الله تعالى وانما اراد تعيين الجهة التي بها يحصل الولد فان الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقارتها فاجيب بقوله كذلك الله يفعل
ما يشاء وهو اما جملة واحدة اي الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر واما جملتان
فيكون كذلك الله مبتدأ وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيانا للذي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه لفرط
سروره وثقته بكرم ربه وانعامه سأل عن تعيين الوقت فقال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها العلوق فان ذلك لا يظهر من اول الامر فقال
آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام اي بلياليها ولهذا ذكر في سورة مريم ثلاث ليال ومعنى قوله الا تكلم الناس قال المفسرون اي لا تقدر على التكلم
حبس لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح ليكون في تلك المدة مشتغلا بذكر الله بالطاعة وبالشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير الشيء
الواحد علامة على المقصود واداء لشكر النعمة فيكون جامعا للمقاصد وفي هذه الآية اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر مع العجز
عن التكلم بكلام البشر ومنها العجز مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر
وقع على وفق هذا الخبر وعن قتادة انه عوتب بذلك حيث سأل بعد بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصير بحيث لا يقدر على الكلام قلت واحسن
العتاب ما كان منتزعا من نفس الواقعة ومناسبا لها وفيه لطيفة اخرى وهي انه طلب الآية على الاطلاق فاحتمل ان يكون قد طلب علامة للعلوق
واحتمل ان يكون قد طلب دلالة على احداث الخوارق ليصير علم اليقين فصار حبس لسانه آية العلوق ودلالة على الفعل الخارق جميعا مع مناسبته
للواقعة حيث سأل ما كان من حقه ان لا يسأل وزعم ابو مسلم ان المعنى آيتك ان تصير مامورا بعدم التكلم ولكن بالاشتغال بالذكر والتسبيح الا رمزا
اشارة بيد او رأس او بالشفتين ونحوها واصل التركيب للتحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الراموز للبحر وهو استثناء من قوله الا تكلم وجاز وان
لم يكن الرمز من جنس الكلام لان مؤداه مؤدى الكلام ويجوز ان يكون استثناء منقطعا وقيل الرمز الكلام الخفي وعلى هذا فالاستثناء متصل
من غير تكلف وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس
دفعة بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم واذكر ربك كثيرا قيل انه لم يكن عاجزا الا عن تكلم البشر وقيل المراد الذكر بالقلب
وانه كان عاجزا عن التكلم مطلقا وسبح حمله بعضهم على صل لكيلا يكون تكرارا للذكر وقد يسمى الصلوة تسبيحا فسبحان الله حين تمسون لا
لاشتمالها عليه بالعشي مصدر على فعيل وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر ابكر يبكر اذا خرج
للامر من اول النهار وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار التأويل ان الله تعالى في كل ذرة من ذرات الموجودات حركة من حركاتها اسرارا
لا يعلمها الا الله فانظر ماذا اخرج الله من الاسرار عن طعام طائر فرخه وماذا اظهر من الآيات والمعجزات من تلك الساعة الى يوم القيمة
بواسطة مريم وعيسى فتقبل مني راجع الى المحرر لا الى النذر اي تقبلها مني ان تكفلها وتربيها تربية المحررين فتقبلها ربها اي تقبلها
ربها ان يربيها بقبول حسن كقبول زكريا وقبول لا اخرج منها مثل عيسى وكفلها زكريا من كمال فتنته تعالى كفالتها الى زكريا حيث اراد ان يخرج
عيسى منها بلا اب لئلا يدخل عليها غيره فيكون ابعد من التهمة وجد عندها رزقا اي فتوحات الغيب الذي يطعم الله به خواص عباده الذين
يبيتون عنده لا عند انفسهم لا عند الخلق كقوله صلى الله عليه وسلم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بما لم يكن في حسابها
من الولد بلا اب ومن الفاكهة بلا شجرة ومن المعجزات بلا نبوة ومن العلوم اللدنية بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه كما انه تعالى جعل الطعام
الطائر فرخه سبب تحريك قلب حنة بطلب الولد فكذلك جعل حال مريم وما كان يأتيها من الرزق خارقا للعادة سبب تحريك قلب زكريا
قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي ولدا يكون روحه من الصف الاول من صفوف الارواح المجندة وهو المطهر من لوث الحجاب بالواسطة

بما نادوه

لان البلد

صير اليقين

الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصف الثاني الذي هو لارواح الاولياء المحبين بينه وبين الله ثم حجاب الصف الاول بخلاف الصف الثالث الذي هو
لارواح المؤمنين بخلاف الصف الرابع الذي هو لارواح المنافقين والمشركين فنادته الملائكة وهو قائم بالله يصلي بتابعيته في الملكوت
يحارب بنفسه وهواه في المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لانه منذ خلق ما ابتلي بالموت كما يموت القلب بالمعاصي ولا يموت الشهوة
لانه استشهد والشهداء لا يموتون بل احياء عند ربهم يرزقون مصدقا بكلمة من الله وهي قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا
اي حرا من رق الكونين وحصورا اي منعته عن التعلق بالكونين ونبيا من الصالحين من اهل الصف الاول قال رب انى يكون لي غلام لم يكن
من قبل القدرة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه الكرامة آيتك الا تكلم الناس لغلبات الصفات الروحانية عليك واستيلاء سلطان
الحقيقة على قلبك فان النفس اللطيفة تكون مغلوبة في تلك الحالة تشبه اهل عالم الغيب فلا تفرغ لاجراء عاداتها في الشهادة من الكلام الا رمزا
لهذا يقوى الروح الحيواني ويستمد منه القوة البشرية فيحيي الله تعالى الشهوة الميتة فيحيى ما تولد من الشهوة الميتة التي احياها الله يحيى ولاستمرار
هذه الحالة في الايام الثلاثة امر بالمراقبة ليلا ونهارا وعشيا وابكارا واحسبي لله وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ

وچون گفتند فرشتگان ای مریم بدرستی که خدا برگزید ترا

وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ

و پاک ساخت ترا و برگزید ترا بر زنان جهانیان ای مریم فرمان برداری کن پروردگار خود را و سجده کن و رکوع کن با رکوع کنندگان این از اخبار پوشیده است

نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ

که وحی میکنیم آنرا بسوی تو و نبودی تو نزد ایشان چون انداختند قرعهای خود را که کدام از ایشان در پذیرد مریم را و نبودی نزد ایشان وقتی که نزاع میکردند چون گفتند فرشتگان

يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي

ای مریم بدرستی که خدا مژده میدهد ترا بکلمه از او که نام او مسیح عیسی پسر مریم است با جاه در دنیا و در آخرت و از نزدیکان است و سخن گوید با مردمان

الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا

در گهواره و در سستی و از نیکوکاران گفت مریم ای پروردگار من چگونه باشد مرا فرزندی و حال آنکه مس نکرده مرا آدمی گفت همچنین خدا می آفریند آنچه میخواهد چون حکم کند کاری را پس

يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ

میگوید مر او را که باش پس میباشد و بیاموزد او را کتاب و نبوت و توریة و انجیل را و پیغمبری بسوی بنی اسرائیل و میگوید ایشان را که آورده ام بشما نشانه

رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ

از خدا که میسازم از برای شما از گل چون صورت مرغ پس میدمم در او پس میگردد مرغی بفرمان خدا و شفا میدهم کور مادرزاد را و خوشی پیس را و زنده میکنم مردگان را

بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا

بفرمان خدا و خبر میدهم شما را بآنچه میخورید و آنچه را که پنهان دارید در خانهای خود بدرستی که در این هر آینه نشانه است شما را اگر هستید گروندگان و باور دارنده مر آنرا

بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي

که پیش از من بود از توریة و تا حلال گردانم شما را پاره چیزی که حرام شده بود بر شما و آورده ام بشما نشانه از پروردگار شما پس بپرهیزید از خدا و اطاعت کنید مرا بدرستی که خدا پروردگار من

وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ

و پروردگار شماست پس عبادت کنید او را این راه راست است پس چون دریافت عیسی از ایشان کفر را گفت کیست یاوران من بسوی خدا گفتند حواریون که ماییم یاوران

اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَكَرُوا وَ

دین خدا گرویدیم بخدا و گواهی ده باینکه ما مسلمانانیم پروردگارا گرویدیم بآنچه فرو فرستادی و پیروی کردیم پیغمبر را پس بنویس ما را با گواهی دهندگان و مکر کردند

مَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ

و مکر کرد خدا و خدا بهترین مکر کنندگانست چون گفت خدا ای عیسی بدرستی که میرانم ترا و بالا برنده ام ترا بسوی خود و پاک کننده ام ترا از آنها که کافر شدند و گرداننده

الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ

آنها را که متابعت کردند ترا در بالای آنان که کافر شدند تا روز قیامت پس بسوی منست بازگشت شما پس حکم کنم در میان شما در آنچه بودید که در آن اختلاف میکردید پس اما آنان

كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ

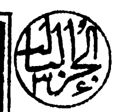
که کافر شدند پس عذاب کنم ایشان را عذابی سخت در دنیا و در آخرت و نیست مر ایشان را یاوران و اما آنان که گرویدند و کردند کارهای شایسته پس تمام دهد

أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ

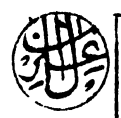
مزدهای ایشان را و خدا دوست ندارد ستمکاران را این میخوانیم بر تو از نشانها و پند استوار بدرستی که مانند عیسی در نزد خدا چون مانند آدم است که آفرید او را

مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ القرآة وتعليماء الغيبة ابو جعفر ونافع وعاصم وسهل

از خاک پس گفت مر او را که بشو پس بود حق از پروردگار تست پس مباش از شک آرندگان



ويعقوب الباقون بالنون اني اخلق بكسر الهمزة وبفتح الياء نافع اني اخلق بالفتح فيهما ابن كثير وابو عمرو ويزيد كهيئة بتشديد الياء يزيد وحمزة
في الوقف وكان ابن مقسم يقول بلغني ان خلفا يقول ان حمزة كان يترك الهمزة ويحرك الياء بحركتها الباقون بالياء والهمزة الطائر يزيد الباقون
الطير فيكون بياء التانيث المفضل الباقون بياء الغيبة طائرا ابو جعفر ونافع ويعقوب وكذلك في المائدة الباقون طيرا انصاري الى
بفتح الياء ابو جعفر ونافع وقرا قتيبة وابو عمرو وطريق ابي الزعرا بالامالة فيوفيهم بياء الغيبة حفص ورويس وزاد رويس ضم الهاء الباقون بالنون
الوقوف العالمين الراكعين اليك ط يكفل مريم ص لعطف المتفقتين يختصمون منه قد قيل لتذكير الضمير وتانيث الكلمة في اسمه ولكن المراد
من الكلمة الولد فلم يكن تانيثا حقيقيا فالوجه ان لا يوقف الى الصالحين لان وجيها حال وما بعده معطوف عليه على تقدير وكائنا من
المقربين ومكلما وكائنا من الصالحين المقربين الصالحين بشر ط يشاء ط فيكون ه والانجيل ج لان ورسولا يجوز ان يكون معطوفا على
ومن الصالحين ومنصوبا بمحذوف اي ويجعله رسولا والوقف اجوز لتباعد العطف من ربكم ج لمن قرا اني اخلق بالكسر باذن الله ج
والثاني كذلك للتفصيل بين المعجزات في بيوتكم ط مؤمنين ج للعطف واطيعون فاعبدوه ط مستقيم الى الله ط انصار الله ج لان
امنا في نظم الاستيناف مع امكان الحال اي وقد امنا بالله كذلك لانقطاع النظم مع اتحاد مقصود الكلام مسلمون الشاهدين ومكر الله ط
الماكرين القيمة ج لان ثم لترتيب الاخبار والاخرى للابتداء بالنفي مع ان النفي تمام المقصود ناصرين اجورهم ط الظالمين الحكيم ادم ط لان
الجملة لا يتصف بها المعرفة فيكون ط الممترين التفسير القصة الثالثة قصة مريم والعامل في اذ ههنا هو ما في قوله اذ قالت امراة عمران لمكان
العطف فالمراد بالملائكة ههنا جبرئيل كما يجيء في سورة مريم فارسلنا اليها روحنا واعلم ان مريم ما كانت من الانبياء لقوله تعالى وما
ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فارسال جبرئيل اليها اما ان يكون كرامة لها عند من يجوز كرامات الاولياء واما ان يكون ارهاصا
لعيسى وهو جائز عندنا وعند الكعبي من المعتزلة او معجزة لزكريا وهو قول جمهور المعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث
في الروع والالهام كما في حق ام موسى واوحينا الى ام موسى ثم انه تعالى مدحها بالاصطفاء ثم بالتطهير ثم بالاصطفاء ولا يجوز ان يكون الاصطفاءان
بمعنى واحد للتكرار الصرف فحمل المفسرون الاصطفاء الاول على ما اتفق لها من الامور في اول عمرها منها قبول تحريرها مع كونها انثى
ومنها قال الحسن ما غذتها امها طرفة عين بل القتها الى زكريا وكان رزقها من عند الله ومنها تفريغها للعبادة ومنها اسماعها كلام
الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لانثى غيرها الى غير ذلك من انواع اللطف والهداية والعصمة في حقها واما التطهير فتطهيرها عن الكفر
والمعصية كما قال في حق ازواج النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته ويطهركم تطهيرا وعن مسيس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا كانت لا تحيض وعن
الافعال الذميمة والاقوال القبيحة واما الاصطفاء الثاني فهو ما اتفق لها في اخر عمرها من ولادة عيسى بغير اب وشهادته ببرائتها عما قذفها
اليهود وقيل المراد اصطفاؤها على نساء عالمي زمانها لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كمل من نساء العالمين اربع مريم واسية امراة فرعون وخديجة
وفاطمة ثم لما بين اختصاصها بمزيد المواهب والعطايا اوجب عليها مزيد الطاعة شكرا لتلك النعم فقوله اقنتي امر بالعبادة على العموم واسجدي
امر بالصلوة تسمية للشيء باعظم اركانه كما في قوله وادبار السجود وفي الخبر اذا دخل احدكم المسجد فليسجد سجدتين ولا ريب ان السجود اشرف الاركان
لقوله اقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد ثم قال واركعي مع الراكعين فالاول امر بالصلوة مطلقا والثاني امر بالصلوة في الجماعة
وانما عبر عن الصلوة ههنا بالركوع اما لتغير العبارة وقد يسمى باجزاء اركانه واما تسمية للشيء باعظم اركانه بناء على ما قيل الركوع افضل
من السجود لان الراكع حامل نفسه في الركوع فالمشقة فيه اكثر والتمييز عن صلوة اليهود وقيل واركعي مع الراكعين امر بالخضوع والخشوع
بالقلب ويحتمل ان يراد بقوله اقنتي الامر بالصلوة لان القنوت احد اجزائها وان يراد بقوله واسجدي واركعي استعمال كل منهما في وقته اللائق به
الواو يفيد التشريك لا الترتيب او المراد انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم لا في عداد غيرهم وانما لم يقل مع الراكعات اما للتغليب واما
لان الاقتداء بالرجل حال الاختفاء من الرجال افضل من الاقتداء بالنساء روي ان مريم بعد ذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها
وسال الدم والقيح منها اللهم لا تواخذنا باسم الرجولية ونحن اقل في خدمتك من احدى النساء ذلك الذي سبق من انباء حنة
وزكريا ويحيى ومريم من اخبار الغيب نوحيه اليك قد ورد الكتاب بالايحاء على معان مختلفة يجمعها تعريف الوحي اليه بامر خفي من اشارة
او كتابة او غيرها وبهذا التفسير يعد الالهام وحيا كقوله واوحى ربك الى النحل وقال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا فلما كان الله سبحانه القى هذه الانباء الى النبي بواسطة جبرئيل بحيث يخفى على غيره سماه وحيا وما كنت لديهم نفي
المشاهدة وانتفاؤها معلوم وترك نفي استماع الانباء من حفظتها وهو موهوم لانه كان معلوما عندهم علما يقينيا انه ليس من اهل
السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة الممتنعة في حقه فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي ومثله في القران غير
عزيز وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور اذ يلقون اقلامهم ينظرون وليعلموا او يقولون ايهم يكفل مريم حذف متعلق
الاستفهام لدلالة الالقاء عليه وظاهر الاية يدل على انهم كانوا يلقون الاقلام في شيء على وجه يظهر به امتياز بعضهم عن البعض في استحقاق
ذلك المطلوب وليس فيها دلالة على كيفية ذلك الالقاء الا انه روي في الخبر انهم كانوا يلقونها في الماء بشرط ان من جرى قلمه على خلاف جري الماء



فالبدله ثم انه حصل هذا المعنى لزكريا فصار اولى بكفالتها وقيل عرف برسوب الاقلام وارتفاعها كما مر وعن الربيع انهم القوا عصيهم في الماء الجاري فجرت عصاء زكريا على ضد جرية الماء فغلبهم قال ابو مسلم المراد بالقاء الاقلام ما كانت تفعله الامم من المساهمة عند التنازع فيطرحون منها ما يكتبون عليها اسمائهم فمن خرج له السهم سلم له الامر قال تعالى فساهم فكان من المدحضين وهو شبيه بالقداح التي يتقاسم بها العرب لحم الجزور وانما سميت تلك السهام اقلاما لانها تقلم وتبرى قال القاضي وقوع لفظ القلم على هذه الاشياء وان كان صحيحا نظرا الى اصل الاشتقاق الا ان العرف الظاهر يوجب اختصاص القلم بهذا الذي يكتب به فوجب حمل اللفظ عليه وما كنت لديهم اذ يختصمون يتنازعون في تكفيل تكفلها قيل هم خزنة البيت وقيل بل العلماء والاحبار وكتاب الوحي والاشبه انهم كانوا من الخواص واهل الفضل في الدين والرغبة في طريق الخير ثم المراد بهذا الاختصام يحتمل ان يكون ما كان قبل الاقتراع وان يكون اختصاما اخر حصل بعد الاقتراع وبالجملة فالمقصود شدة رغبتهم في التكفل بشأنها والقيام باصلاح مهامها اما لان عمران كان رئيسا لهم فارادوا قضاء حقوقه واما لاجل حيث كانت محررة لخدمة بيت العبادة واما لانهم وجدوا في الكتب الالهية ان لها ولابنها شأنا القصة الرابعة حكاية ولادة عيسى وذكر طرف من معجزاته اذ قالت الملائكة يعني جبرئيل كما مر متعلق اذ هو متعلق واذ قالت لان هذا بدل من ذلك ويجوز ان يكون بدلا من قوله اذ يختصمون قال في الكشاف هذا على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا يعني وانما لقيته في ساعة منها فيكون الزمان الواسع زمانا للكل منهما فيكون الثاني بدل الكل من الاول ويجوز ان يتعلق بيختصمون ولا يحتاج الى زمان واسع بناء على ما روي عن الحسن انها كانت عاقلة في حال الصغر وان كان ذلك من كراماتها فجاز ان يرد عليها البشرى في حالة الصغر ولا يفتقر الى ان يؤخر الى حين العقل واعلم ان حدوث الشخص من غير نطفة الاب امر ممكن في نفسه وكيف لا وقد يشاهد حدوث كثير من الحيوانات على التولد كتولد الفار عن المدر والحيات عن الشعر العفن والعقارب عن الباذروج غاية الاستبعاد عرفا وعادة وهذا لا يوجب عند الحكماء ظنا قويا فضلا عن العلم ثم ان الصادق اخبر عن وجود ذلك الممكن فيجب القطع بصحته مما يزيده في العقل بيانا ان التخيلات الذهنية كثيرا ما تكون اسبابا لحدوث الحوادث كتصور حضور المنافي للغضب وكتصور السقوط للحصول السقوط للماشي على جذع ممدود فوق فضاء بخلاف ما لو كان على قرار من الارض وقد جعلت الفلاسفة هذا كالاصل في بيان جواز المعجزات والكرامات فما المانع ان يقال انها لما تخيلت صورة جبرئيل كفى ذلك في انعلاق الولد في رحمها فان مني الرجل ليس الا لاجل العقد فاذا حصل الانعقاد لمني المرأة بوجه اخر امكن علوق الولد قوله بكلمة منه لفظة من ههنا ليست للتبعيض كما توهمت النصارى والحلولية لانه تعالى غير متبعض بوجه من الوجوه ولكنها لابتداء الغاية اي بكلمة حاصلة من الله وذلك ان عيسى لما خلق من غير واسطة اب صار تأثير كلمة كن في حقه اظهر واكمل فكان كانه نفس الكلمة كما ان من غلب عليه الجود والكرم والاقبال يقال انه محض الجود ونفس الكرم وصريح الاقبال والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع اما احتمال اشتقاق عيسى من العيس البياض الذي تعلوه حمرة فبعيد اما احتمال المسيح من المسح فقريب وعليه الاكثرون عن ابن عباس سمي بذلك لانه ما كان يمسح ذا عاهة الا برأ وقال احمد يحيى لانه كان يمسح الارض اي يقطعها وعلى هذا يجوز ان يقال المسيح بالتشديد كشريب وقيل لانه مسح من الاوزار والاثام وقيل لانه لم يكن في قدمه خمص كان ممسوح القدمين وقيل لانه ممسوح بدهن طاهر مبارك يمسح به الانبياء ولا يمسح به غيرهم قالوا ويجوز ان يكون هذا الدهن جعله الله علامة للملائكة يعرفون بها الانبياء حين يولدون وقيل لان جبرئيل مسحه بجناحه وقت الولادة صيانة له عن مس الشيطان وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن واما المسيح الدجال فسمي بذلك لانه ممسوح احدى عينيه او لانه يمسح الارض اي يقطعها في المدة القليلة قالوا ومثله الدجال لضربه في الارض اي قطعها وقيل الدجال من دجل الرجل اذا موه ولبس وتقديم المسيح وهو اللقب على الاسم وهو عيسى للتشريف والتنبيه على علو درجته وانما نسبه الى مريم والخطاب لمريم تنبيها على انه لا اب له حتى ينسب اليه كما في سائر الابناء فلا ينسب الا الى امه وذلك من جملة ما اصطفيت به وانما ذكر ضمير الكلمة في اسمه لان المسمى بها مذكر وانما قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم والاسم من المجموع عيسى والمسيح لقب والابن صفة لان المراد التعريف والتمييز والذي يتميز به عن غيره هو مجموع الثلثة وجيها ذو الجاه والشرف والقدر وقيل الكريم لان اشرف اعضاء الانسان هو الوجه في الدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة والبراءة عن العيوب وفي الاخرة بالشفاعة وفي الاخرة بشفاعة الامة المحقين وعلو الدرجة في الجنة ونصبه على الحال من النكرة الموصوفة وهي كلمة وكذا انتصاب ما بعده كما في الوقوف اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وكونه من المقربين هو رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد قيل حجر امه وقيل الالة المعروفة لاضجاع الصبي كيف كان فالمراد انه يكلم الناس في الحالة التي يحتاج الصبي فيها الى المهد وكهلا عطف على الظرف اي يكلم الناس في الصغر وفي الكهولة والكهل في اللغة الذي اجتمع قوته وكمل شبابه من قولهم اكتهل النبات اي قوي روي ان عمره بلغ ثلثا وثلثين ثم رفع الى السماء ولا ريب ان اكمل احوال الانسان ما بين الثلثين والاربعين فيكون عيسى قد بلغ سن الكهولة وعن الحسين بن الفضل المراد ان يكون كهلا بعد نزوله من السماء وانه يكلم الناس ويقتل الدجال فان قيل ان تكلمه في المهد من المعجزات ولكن تكلمه في حالة الكهولة ليس من المعجزات فما الفائدة في ذكره فالجواب من وجوه قال ابو مسلم معناه انه يتكلم حال كونه في المهد كهلا على حد واحد



وصفة واحدة ولا شك انه غاية في الاعجاز وقيل المراد الرد على نصارى نجران وبيان كونه متقلبا في الاحوال من الصبا الى الكهولة والتغير على الاله محال وقيل المراد انه يكلم الناس مرة واحدة في المهد لاظهار طهارة امه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي والنبوة قال الاصم المراد انه يبلغ حال الكهولة ويخرج من قول الحسين بن الفضل جواب آخر وههنا بحث للنصارى قالوا ان كلامه في المهد من اعجب الامور واغربها ولا شك ان مثل هذه الواقعة يكون بحضر جمع عظيم ويتوفر الدواعي على نقلها فيبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان اولى الناس بمعرفتها النصارى لانهم افرطوا في محبته حتى ادعوا الهيته لكنهم اطبقوا على انكاره فعلمنا انها لم توجد اصلا والجواب ان اطباق النصارى على انكاره ممنوع ولو سلم فان كلام عيسى في المهد انما كان للدلالة على براءة مريم مما نسبت اليه من السوء وكان الحاضر ون جمعا قليلا ولا يبعد في مثلهم التواطؤ على الاخفاء وبتقدير ان يذكروا ذلك فان غيرهم كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم الى البهت فهم ايضا قد سكتوا لهذه العلة فلهذه الاسباب بقي الامر مكتوما الى ان نطق القرآن بذلك ثم ختم اوصاف عيسى بقوله ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ كما ختم بذلك اوصاف يحيى وفيه ان الدخول في زمرة الصالحين والانتظام في سلكهم هو المقصد الاسنى والامد الاقصى ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ لم تقل ذلك استبعادا او تشككا وانما ارادت تعيين الجهة كما مر في قصة زكريا فاجيبت بقوله ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ وقد سبق نظيره الا انه عبر عن الفعل ههنا بالخلق لان القدرة ههنا اتم وهو تخليق المولود بغير اب ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ وقد تقدم تفسيره في السورة التي يذكر فيها البقرة ويعلمه بالياء عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق لان قوله يخلق ما يشاء وهو عام يتضمن قوله يخلقه ويحتمل ان يكون كلاما مبتدأ وكذا من قرأ بالنون لان المنة في قوة انا نبشرك ونحن نخلقه ثم الذي علمه امور اربعة اولها الكتاب كان المراد به الخط وثانيها الحكمة وهو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وثالثها التورية لان البحث عن اسرار الكتب الالهية لا يمكن الا بعد الاطلاع على العلوم الحقة ورابعها الانجيل وفيه العلوم التي خصه الله تعالى بذلك وشرفه بانزالها عليه وهذه هي الغاية القصوى والرتبة العليا في العلم والفهم والاحاطة بالحقائق والاطلاع على الدقائق ثم قال ورسولا عطفا على وجيها وما بعده الى بني اسرائيل اي الى كلهم لانه جمع مضاف وفيه رد على اليهود القائلين بانه مبعوث الى قوم مخصوصين منهم اني قد جئتكم يتعلق بمحذوف يدل عليه لفظ الرسول اي ناطقا باني قد جئتكم وانما وجب هذا الاضمار للعدول عن الغيبة الى التكلم واما قوله ومصدقا لما بين يدي فمعطوف على قوله باية اي بآية والتقدير جئتكم مصاحبا لآية من ربكم ومصدقا لما بين يدي جئتكم لاحله وفي الكشاف تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي لان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وعن الزجاج ان التقدير ويكلم الناس رسولا باني قد جئتكم باية من ربكم والمراد بالآية الجنس لا الفرد لانه عدد انواعا من الآيات ثم ابدل عن الآية قوله اني اخلق فيمن قرأ بفتح اني ويحتمل ان يكون ان مع ما بعده اي هي اني اخلق ومن قرأ اني اخلق فللاستيناف والبيان كقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب هذا احسن ليوافق قراءة الفتح والمعنى اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير من هيأت الشيء اذا اصلحته فانفخ فيه اي في ذلك الطير المصور والشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا وهو اسم الجنس يقع على الواحد وعلى الجمع يروى انه خلق انواعا من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرأ طائرا وذلك انه لما ادعى النبوة واظهر المعجزات اخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن عيونهم سقط ميتا باذن الله بتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين دلت الآية على ان الروح جسم رقيق كالريح ولذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو انه هل يجوز ان يقال انه تعالى اودع في نفس عيسى خاصية بحيث انه متى نفخ في شيء كان نفخه موجبا لصيرورة ذلك الشيء حيا وذلك انه يتولد من نفخ جبرئيل في مريم وجبرئيل روح محض فكانت نفخة عيسى سببا لحصول الارواح في الاجساد او يقال ليس الامر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحيوة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى فيه على سبيل اظهار المعجزات هذا هو الحق لقوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ ولقوله حكاية عن ابراهيم في المناظرة ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فلو حصل لغيره هذه الصفة بطل ذلك الاستدلال ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ ذهب اكثر اهل اللغة الى ان الاكمه هو الذي يولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وقيل الاكمه من عمي بعد ان كان بصيرا رواه الخليل عن مجاهد انه الذي لا يبصر بالليل واما البرص فانه بياض يظهر في ظاهر البدن فقد لا يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو الى البرودة وغلبة البلغم على الدم الذي يغذوه فيضعف القوة المغيرة من تمام التشبيه وقد يغلب البرد والرطوبة حتى يصير لحمه كلحم الاصداف فيحيل الدم السائر اليه مزاجه ولونه وان كان ذلك الدم جيدا في جوهره نقيا من البلغم حارا وهو داء عياء عسر البرء لا يكاد يبرأ وخاصة المزمن منه والآخذ في الازدياد والذي يرجى برؤه من البرص ما اذا دلك احمر بالدلك يكون معه خشونة ما والشعر الذي ينبت عليه لا يكون شديد البياض واذا غرز جلده بالابهام والسبابة وشيل عن اللحم وغرزت فيه الابرة خرج منه دم او رطوبة موردة ولا شك ان برء مثل هذا المرض من قبيل الاعجاز فيروى انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من طاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده واحيي الموتى احيا عاذر وكان صديقا له ودعا سام بن نوح من قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله عليه فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له وقال الكلبي كان عيسى

يحيي الاموات بيا حي يا قيوم و كرر قوله باذن الله رفعا لوهم من توهم فيه الالوهية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم قيل انه كان من اول امره يخبر بالغيوب وروى السدي انه كان يلعب مع الصبيان ثم كان يخبرهم بافعال آبائهم وامهاتهم وكان يخبرهم بان امك خبأت لك كذا فرجع الصبي الى اهله ويبكي الى ان ياخذ ذلك الشيء فقالوا للصبيان لا تلعبوا مع الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا في البيت فقال فمن في هذا البيت فقالوا خنازير فقال عيسى كذلك يكونون فاذا هم خنازير وقيل ان الاخبار عن الغيوب انما ظهر من وقت نزول المائدة وذلك ان القوم نهوا عن الادخار فكانوا يخونون ويدخرون وكان عيسى يخبرهم بذلك والادخار افتعال من ادخر قلبت كل من التاء والدال الاولى دالا ثم ادغم واعلم ان الاخبار عما غاب معجز دال على ان ذلك المخبر صار معلوما بالوحي ما لم يستعن فيه بآلة ولا تقديم مسئلة بخلاف ما يقوله المنجمون والكهان فان ذلك استعانة من احوال الكواكب او الجن ولهذا يتفق لهم الغلط كثيرا ثم لما قرر المعجزات الباهرة وبين بها كونه رسولا من عند الله ذكر انه لماذا ارسل فقال ومصدقا لما بين يدي من التوراة وذلك انه يجب على كل نبي ان يكون مصدقا لمن تقدمه من الانبياء لان الطريق الى ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب الاعتراف بنبوته ولعل من جملة الاغراض في بعثة عيسى تقرير احكام التوراة وازالة شبهات المنكرين وتحريفات المعاندين الجاهلين ثم ذكر غرضا آخر في بعثته فقال ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وهذا لا يناقض تصديقه لما في التوراة اذ المعنى بالتصديق هو اعتقاد ان كل ما فيه حكمة وصواب وذلك لا يمكن الا بتأبيد مذكور فالناسخ والمنسوخ كلاهما حق في وقته واذا كانت البشارة بعيسى موجودة في التوراة وعن وهب بن منبه ان عيسى ما غير شيئا من احكام التوراة وانه ما وضع الاحد بل كان يقرر السبت ويستقبل بيت المقدس ثم فسر الاحلال بامرين احدهما ان الاحبار كانوا قد وضعوا من عند انفسهم شرائع باطلة ونسبوها الى موسى فجاء عيسى ورفعها واعاد الامر الى ما كان والثاني ان الله تعالى كان قد حرم بعض الاشياء على اليهود عقوبة لهم كما قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واستمر ذلك التحريم فجاء عيسى ورفع تلك التشديدات عنهم كانوا قد حرم عليهم الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا صيصية له وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض وانما جعل القول آية من ربه لان الله تعالى جعل له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل ويجوز ان يكون تكرير القوله اني قد جئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم من المعجزات ومن ولادتي بغير اب فاتقوا الله لما خصكم به من الآيات واطيعون فان طاعة الرسول من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله ان الله ربي وربكم اظهارا للخضوع واعترافا بالعبودية وردا لما يدعيه عليه الجهلة من النصارى الضالين المنحرفين عن الصراط المستقيم القصة الخامسة ذكر عاقبة امر عيسى ثم شرع في بيان ان عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات فهم بماذا عاملوه فقال فلما احس اي علم عيسى منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس وانهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك باذنه قال السدي لما بعثه الله تعالى رسولا الى بني اسرائيل جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم ثم كان امر عيسى في قومه كامر محمد عليه السلام بمكة وكان مستضعفا فخرج هو وامه يسيحان في الارض فاتفق انه نزل على رجل في قرية فاحسن ذلك الرجل ضيافته وكان في تلك المدينة رجل جبار فجاء ذلك الرجل يوما حزينا فسأله عيسى عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك انه جعل على كل رجل منا يوما ان يطعمه ويسقيه مع جنوده وهذا اليوم نوبتي والامر متعذر علي فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدي ادع الله ليكفي ذلك فقال عليه السلام يا اماه اني ان فعلت ذلك كان فيه شر فقالت قد احسن واكرم ولا بد من اكرامه فقال عيسى عليه السلام اذا قرب مجيء الملك فاملأ قدورك وخوابيك ثم اعلمني فلما فعل دعا الله تعالى فتحول ما في القدور طبيخا وما في الخوابي خمرا فلما جاء الملك اكل وشرب وسأله من اين هذه الخمر فتوقف الرجل في الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى اخبره بالواقعة فقال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمرا اذا دعاه حتى يحيي ولدي اجابه وكان ابنه قد مات في تلك الايام فدعا عيسى عليه السلام وطلب منه ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال ما ابالي ما كان فدعا الله تعالى فعاش فلما رآه اهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح واقتتلوا وصار امر عيسى عليه السلام مشهورا وقصد اليهود قتله عليه السلام واظهروا الطعن فيه وقيل ان اليهود كانوا عارفين انه هو المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من اول الامر طالبين قتله قال من انصاري الى الله قيل انه لما دعا عليه السلام بني اسرائيل الى الدين وتمردوا عليه فر منهم واخذ يسيح في الارض فمر بطائفة من صيادي السمك منهم شمعون ويعقوب من جملة الحواريين الاثني عشر فقال عيسى انكم تصيدون السمك فهل لكم ان تصيروا بحيث تصيدون الناس لحيوة الابد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة في الماء فما اصطاد شيئا فامره عيسى بالقاء شبكته في الماء مرة اخرى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى وقيل ان اليهود لما طلبوه اخذ امره للقتل وكان هو في الهرب منهم فقال لاولئك الاثني عشر من الحواريين ايكم يحب ان يكون رفيقي في الجنة على ان يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فاجابه الى ذلك بعضهم ومما ذكره النصارى في انجيلهم ان اليهود لما اخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب به عبدا كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرمى باذنه فقال له عيسى حسبك ثم اخذ الاذن العبد فردها الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل ان المراد بطلب النصرة اقدامهم على دفع الشر عنه عليه السلام وقيل انه دعاهم الى القتال مع القوم كما قال

موضع اخر فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومعنى الى الله قيل من يضيف
نصرته اياه الى نصرة الله عز وجل اياي وقيل من انصاري الى الله ان اظهر دين الله فالجار على القولين من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة
وقيل من انصاري حال ذهابي الى الله او حال التجائي اليه وقيل من انصاري فيما يكون قربة الى الله ووسيلة الى رحمته وفي الحديث انه كان
يقول اذا ضحى اللهم منك واليك اي تقربا اليك فالجار على هذين القولين يتعلق بالمحذوف وقيل الى بمعنى اللام وقيل بمعنى في اي في سبيل الله
وهذا قول الحسن قال الحواريون نحن انصار الله اعوان دينه ورسوله وحواري الرجل صفيه وخالصته ومنه يقال للحضريات الحواريات لخلوص
الوانهن ونقاء بشرتهن والحور نقاء بياض العين وحورت الثياب بيضتها والحواري واحد نظيره الحوالي وهو الكثير الحيلة عن سعيد بن جبير سموا
بذلك لبياض ثيابهم وعن مقاتل بن سليمان لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة اخلاقهم ومنه قولهم فلان
نقي الجيب طاهر الذيل للكريم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذي يغسل الثياب يسمى بلغة النبط هواري فعرب واما ان الحواريين من هم فقيل هم
الذين كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى وآمنوا به كما حكينا وقيل ان امه دفعته الى صباغ فكان اذا اراد ان يعلمه شيئا كان هو اعلم به منه
فغاب الصباغ يوما لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة وقد اعلمت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فطبخ عيسى حبا واحدا
وجعل الجميع فيه وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ وسأله فاخبره بما فعل فقال قد افسدت علي الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوبا احمر
وثوبا اخضر وثوبا اصفر كما كان يريد فتعجب الحاضرون منه وآمنوا به فهم الحواريون وقيل كانوا اثني عشر اتبعوا عيسى كانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله
جعنا فيضرب بيده على الارض فيخرج لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الارض فيخرج الماء فيشربون فقالوا
من افضل منا اذا شئنا اطعمنا واذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك فقال افضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب
فسموا حواريين وقيل ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه كان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا ينتقص فذكروا هذه
الواقعة لذلك الملك فقال تعرفونه قالوا نعم فذهبوا اليه بعيسى فقال من انت قال عيسى بن مريم قال فاني اترك ملكي واتبعك فتبعه ذلك الملك
مع اقاربه فاولئك هم الحواريون قال القفال يجوز ان يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين جميعا
بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى المخلصين في محبته وطاعته آمنا بالله يجري مجرى السبب لقولهم نحن انصار الله فان الايمان بالله يوجب
نصرة دين الله والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون منقادون لما تريده منا في نصرتك والذب عنك مستسلمون
لامر الله تعالى وهو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين كل الانبياء عليهم السلام وانما طلبوا شهادته لان الرسل يشهدون للامم يوم القيمة ثم
تضرعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضي ان يكون للشاهدين فضل يزيد
على فضل الحواريين فقال ابن عباس اي مع محمد وامته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس وعنه ايضا اكتبنا في زمرة الانبياء لان كل نبي شاهد لقومه ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل اكتبنا في جملة من شهد لك
بالتوحيد وللانبياء بالتصديق وقرنت ذكرهم بذكرك في قولك شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقيل اجعلنا ممن
هو مستغرق في شهود جلالك بحيث لا نبالي بما يصل الينا من المشاق والآلام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك واكتب
ذكرنا في زمرة من شهد حضرتك من الملائكة المقربين كقوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ومكروا يعني كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى
منهم الكفر ومكر الله المكر في اللغة السعي بالفساد في خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وامكر اذا اظلم وقيل اصله من اجتماع الامر و
احكامه ومنه امراة ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان المكر رأيا محكما قويا مصونا عن جهات النقص والفتور لا جرم سمي مكرا اما مكرهم بعيسى
فهو انهم هموا بقتله واما مكر الله بهم فهو ان رفعه الى السماء وما مكنهم من ايصال الشر اليه وروي ان ملك اليهود اراد قتل عيسى وكان جبرئيل
لا يفارقه ساعة فامره جبرئيل ان يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخلوا البيت اخرجه جبرئيل من تلك الكوة وكان قد القى شبهه على غيره فمن وكل به
ليقتله غيلة فاخذ وصلب فتفرق الحاضرون ثلث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب واخرى قالت كان ابن الله واخرى قالت كان عبد الله
ورسوله وقيل ان الحواريين كانوا اثني عشر وكانوا مجتمعين في بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود عليه فالقى الله شبهه عليه ورفع عيسى وذكر
محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد ان رفع عيسى فشمسوهم ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل انه
قتل رجلا من بني اسرائيل ممن يحب امرك وكان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل ما فعل فقال لو علمت
ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى فاخبروه فتابعهم على دينهم وانزل المصلوب
فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك
طيباريس وهو صار نصرانيا الا انه ما اظهر ذلك ثم انه جاء بعده ملك آخر يقال له طيطوس وغزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من
اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله
تعالى على تكذيب المسيح والهم بقتله وقيل انهم مكروا في اخفاء امره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث اعلى دينه واظهر شريعته وقهر بالذل اعداءه



وسموا

الروزنة

طيباريس

اليهود



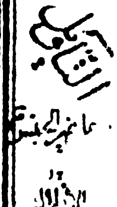
اليهود والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب واعلم ان المكر ان كان عبارة عن الاحتيال في ايصال الشر فهو في حق الله تعالى محال فاللفظ اذن من المتشابهات فيجب ان يؤول بان جزاء المكر يسمى مكرا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او بانه تعالى عاملهم معاملة من يمكر وهو عذابهم على سبيل الاستدراج وان كان المكر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابها لانه ممتنع في حق الله تعالى الا انه قد اختص في العرف بالتدبير في ايصال الشر الى الغير اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله او مفعول اذكر يا عيسى اني متوفيك اي متمم عمرك وعاصمك من ان يقتلك الكفار الآن بل رافعك الى سمائي واصونك من ان يتمكنوا من قتلك وقيل متوفيك اي مميتك كيلا يصل اعداؤك من اليهود الى قتلك ثم رافعك الي وهذا القول مروي عن ابن عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفي ثلث ساعات ثم رفع واحيي وقال محمد بن اسحق توفي سبع ساعات ثم احياه الله ورفعه وقال الربيع بن انس انه نومة ورفعه الى السماء نائما حتى لا يلحقه خوف ورعب اخذه من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل التوفي اخذ الشيء وافيا اي اخذك بروحك وجسدك جميعا فرافعك الي فعالوهم من يتوهم انه اخذ بروحه دون جسده وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اي استوفيته وقيل جاعلك كالمتوفى لانه اذا رفع الى السماء انقطع خبره واثره عن الارض فيكون من باب اطلاق الشيء على ما يشابهه في اكثر خواصه وصفاته وقيل المضاف محذوف اي متوفي عملك ورافع طاعتك فكانه بشره بقبول طاعته وان ما وصل اليه من المتاعب في تمشية دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع اجره فهذا كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل في نسق الكلام تقديم وتاخير فان الواو لا يقتضي الترتيب والمعنى اني رافعك الي ومتوفيك بعد انزالك الى الدنيا ويؤيده ما ورد في الخبر انه سينزل ويقتل الدجال ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك اما قوله ورافعك الي فالمشبهة تمسكوا بمثله في اثبات المكان لله تعالى وانه في السماء لكن الدلائل القاطعة دلت على انه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر على التاويل بان المراد الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومثله قوله ابرهيم اني ذاهب الى ربي انما ذهب من العراق الى الشام وقد سمي الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم والتعظيم والمراد الى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فان في الارض ملوكا مجازية ولئن سلم انه تعالى يمكن ان يكون في مكان فليس رفع عيسى عم الى ذلك المكان سببا للشارة ما لم يتيقن الثواب والكرامة والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ عن ظاهره وهو ان يقال المراد رفعه الى محل كرامته واذا لم يكن بد من الاضمار فلم يبق في الآية دلالة على اثبات المكان له تعالى ثم انه كما عظم شانه بلفظ الرفع اليه عبر لذلك عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال ومطهرك من الذين كفروا اي من خبث جوارهم وسوء عشرتهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة وليس هذا فوقية المكان بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة والدليل واما الفوقية بالقهر والاستيلاء وفيه اخبار عن ذل اليهود ومسكنتهم الى يوم القيمة ولعمري انه كذلك فلا يرى ملك يهودي في الدنيا ولا بلد لهم مستقل بخلاف النصارى على انا نقول المراد بمتبعي المسيح هم الذين كانوا يؤمنون بانه عبد الله ورسوله ثم امنوا ثم بمحمد بعده فصدقوه في قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد والمتبعون هم المسلمون الذين اتبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى واعلم ان نص القرآن دل على انه تعالى حين رفعه القى شبهه على غيره قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فاورد بعض الملحدة عليه اشكالات الاول انه يوجب ارتفاع الامان عن المحسوسات فاني اذا رايت ولدي ثم رايته ثانيا فحينئذ اجوز ان هذا الذي اراه ثانيا ليس ولدي بل هو انسان آخر القي شبهه عليه وكذا الصحابة الذين راوا محمدا يامرهم وينهاهم احتمل ان يكون محمدا انسانا آخر القي شبهه عليه وانه يفضي الى سقوط الشرائع وكذا الى ابطال التواتر لان مدار الامر في الاخبار المتواترة على ان يكون المخبر الاول انما اخبر عن المحسوس وانتم جوزتم وقوع الغلط في المبصرات ففتح هذا الباب اوله سفسطة واخره ابطال النبوات الثاني ان جبرئيل كان معه حيث سار ثم ان طرف جناح واحد منه يكفي لاهل الارض فكيف لم يكف في منع اولئك اليهود وانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فكيف لم يقدر على اماتة اولئك الذين قصدوه بالسوء والقاء الفلج والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث انه تعالى كان قادرا على تخليصه من الاعداء بان رفعه الى السماء فما الفائدة في القاء شبهه على الغير وهل فيه الا ايقاع مسكين في القتل من غير فائدة مع ان ذلك يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا ان المصلوب هو عيسى وانه لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع ان النصارى على كثرتهم في المشارق والمغارب وافراطهم في محبة عيسى اخبروا انهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن في المتواتر يوجب الطعن في النبوة جميع الانبياء الخامس ثبت بالتواتر ان المصلوب بقي حيا زمانا طويلا فلو كان هو غير عيسى لاظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل ذلك اشتهر وتواتر والجواب عن الاول ان كل من اثبت القادر المختار سلم انه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك في وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثاني والثالث ان ذلك يفضي الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافي التكليف والتلبيس المذكور تدارك له بان امده عيسى الحاضرون منه العالمون بالواقعة وعن الرابع انه تواتر منقطع الاول لانهم كانوا قليلين في ذلك الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء الطرفين والوسط وعن الخامس ما روي ان الذي القي عليه الشبه كان من خواص اصحابه فلهذا صبر على انا نقول قد ثبت بالمعجزات القاطع صدق محمد صلعم في كل ما اخبر عنه فهذه

بأنه ثم

اليهود

الاحتمالات يمتنع ان تصير معارضة للنص القاطع والله ولي الهداية قال ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وفيه بشارة
لعيسى بانه سيحكم بين المؤمنين وبين الجاحدين وتفسيره قوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل والسبي والذلة
وانواع المصائب والرزايا التي لا ثواب عليها والاخرة بدخول النار خالدين فيها وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين الواضعين الشيء في غير موضعه التكذيب في مقام التصديق والعمل السيء مكان العمل الصالح
وذلك ان المحبة عبارة عن ايصال الخير اليه هو وان اراد كفر الكافر الا انه لم يوصل الثواب اليه قالت المعتزلة المحبة والارادة واحدة فالمعنى
انه لا يريد ظلم الظالمين ذلك الذي سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه عليك والتلاوة والقصص كلاهما يؤول الى معنى واحد
هو ذكر الشيء بعضه على اثر بعض جعل تلاوة الملك لما كانت بامره كتلاوته من الايات خبر بعد خبر وخبر مبتدا محذوف والمراد بها الايات القران
ويحتمل ان يراد انه من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب او من يوحى اليه وظاهر انك لا تكتب ولا تقرأ
فبقي ان يكون من الوحي ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الايات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر
الحكيم القران وصف بصفة من هو سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه وهو بمعنى الحاكم كالعليم بمعنى ان الاحكام تستفاد منه او بمعنى المحكم لانه
احكمت اياته اي عن تطرق وجوه الخلل اليه وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذي منه نقلت جميع كتب الله المنزلة على الانبياء اخبر انه تعالى انزل
هذه القصص مما كتب هناك قال المفسرون ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد
قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا قط من غير اب فان كنت صادقا فارنا مثله
فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم اي حاله الغريبة كحاله ووجه الشبه ان كلا منهما وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة بل
الوجود من غير اب وام اغرب فشبه الغريب بالاغرب لان المشبه به ينبغي ان يكون اقوى حالا من المشبه في وجوه الشبه ثم فسر كيفية خلق ادم بقوله
خلقه من تراب اي قدره جسدا من طين قبل اشتقاق ادم من الادمة وقال ابن عباس سمي ادم لانه خلق من اديم الارض كلها احمرها و
اسودها وطيبها وخبيثها فلذلك كان في ولده الاسود والاحمر والطيب والخبيث وقيل انه اسم اعجمي كازر وزنه فاعل لا افعل والضمير عائد
الى ادم الموجود كقولك هذا الكوز لعصله من الطين ثم قال له اي لذلك المقدر كن فيكون وهذا كقوله ثم انشاناه خلقا اخر وانما لم يقل فكان
اما لانه حكاية حال ماضية واما تصوير لتلك الحالة العجيبة كقوله فاضرب به بلا دهش تحرزا والمراد اعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم ان ما قال له ربك كن
فانه يكون لا محالة وقيل معنى ثم تراخي الخبر عن الخبر لا تراخي المخبر عن المخبر كقول القائل اعطيت زيدا الفا اليوم ثم انا اعطيته امس الفين ثم انا اخبركم اني
اعطيته امس الفين فكذا قوله خلقه من تراب صيره بشرا سويا ثم انه يخبركم انه انما خلقه بان قال له كن وقيل ان معنى الخلق يرجع الى علمه تعالى
بكيفيته وقوعه وارادته لا يقاعه على الوجه المخصوص والمراد بكن ادخاله في الوجود قالت الحكماء وانما خلق ادم من التراب لوجوه ليكون متواضعا
وليكون ستارا وليكون اشد التصاقا بالارض فيصلح للخلافة فيها لما فيه من الطهارة والقدرة فخلق الشياطين من النار التي هي اضوء الاجرام
السفلية وابتلاهم بظلمات الضلالة وخلق الملائكة من الهواء الذي هو ارق الاجرام واعطاهم كمال القوة والقدرة وخلق السموات من امواج
مياه البحار وابقاها معلقة في الفضاء وخلق ادم من التراب الذي هو اكثف الاجرام فاتاه النور والهداية وكل ذلك برهان باهر ودليل ظاهر
على انه تعالى هو المدبر بغير احتياج الخالق بلا امتزاج علاج خلق البشر من التراب لاطفاء نيران الشهوة والحرص والغضب وخلقه من الماء خلق من الماء
بشرا فجعله نسبا وصهرا ليكون صافيا يتجلى فيه صور الاشياء ثم مزج بين التراب والماء لامتزاج اللطيف بالكثيف فصار طينا اني خالق
بشرا من طين ثم انه سلّ من الطف اجزاء الطين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعل طينا لازبا انا خلقناهم من طين لازب
ثم بيّنه وغيّر رائحته ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون عن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه
لا اب له قال فادم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيى حزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ
الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو الحق يعني الذي انباتك من شان عيسى
لا الذي اعتقد النصارى فيه انه اله ولا الذي يزعم اليهود من رميها بيوسف النجار او الحق مبتدا ومن ربك خبره كما يقال الحق من الله والباطل
من الشيطان فلا تكن من الممترين الشاكين قال ابن الانباري اصله من مريت الناقة والشاة حلبتها فكان الشاك يجتذب بشكه شرا
وفي هذا النهي مع عليه في زيادة الثبات والطمانينة ولطف للامة وقد مر نظائره في سورة البقرة التاويل الاصطفاء ثلثة انواع اصطفاء
على غير الجنس ان الله اصطفى ادم ولم يكن من جنسه حين خلقه واسجد له ملائكته واصطفاء على الجنس كاصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم على الكائنات كقوله
لولاك لما خلقت الكونين وقال صلى الله عليه وسلم ادم ومن دونه تحت لوائي واصطفاء على الجنس كقوله يا موسى اني اصطفيتك على الناس لمريم ان الله اصطفاك
لاصطفائنا اياه وطهرك عن الالتفات بغيره واصطفاك على نساء العالمين لتبلغ درجة الكمال وان لم يكن ذلك من شان النساء ان الله
يبشرك بكلمة كل صنف من اصناف الخلق حرف من حروف كلمة معرفة الله تعالى والعالم بما فيه كلمة المعرفة لقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت
ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف والانسان وان كان صنفا من اصناف العالم وهو حرف من حروف كلمة المعرفة لكنه خلق نسخة العالم بما فيه

عن المخبر



بشرهو



فيه فهو ابن كلمة المعرفة كالعالم لكنه خص من العالم بما فيه بكراهة معرفة نفسه معرفة ربه ومعرفة العالم بما فيه وهذا مقام مخصوص بالانسان الكامل
المركب بتركيبة الشريعة المربى بتربيتها وآداب الطريقة وانما خص عيسى عم بهذا الاسم اعنى الكلمة من بين ساير الانبياء والاولياء لانه خلق مستعدا
لهذا الكمال في بداية امره قد فهم من كلمة نفسه معرفة ربه كما قال عم من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان من اختصاصه بالكلمة انه قال في
المهد اني عبد الله آتاني الكتاب وروى مجاهد قال قالت مريم بنت عمران كنت اذا خلوت انا وهو حدثته وحدثني فاذا شغلني عنه انسان
سبح في بطني وانا اسمع وسمى المسيح لانه حين مسح الله تعالى ظهر آدم فاستخرج منه ذرات ذريته لم يرده الى مقامه كما جاء في الخبر ان الله تعالى اذن للذرات
بالرجوع الى ظهر آدم وحفظ ذرة عيسى وروحه عنده حتى لقاها الى مريم فكان قد بقي عليه اسم المسيح اي الممسوح وكهلا اي كما هو حال النبوة لان بلوغ
الانبياء عند الكهولة ومن الصالحين يعني صلاحية قبول الفيض بلا واسطة كما هو حال جميع الانبياء في تعليم الكتاب والحكمة والتورية والانجيل
الروح الانساني الذي هو خليفة الله في ارضه قابل لجميع انوار الصفات خلافته حتى القدرة على الخلق والاحياء والابراء والانباء وغير
ذلك من الآيات التي هي من نتايج القدرة لكنه لتعلقه بالجسد الكاين من العناصر لاحتجابه بظلمات شهوات الابوين امتنعت عن قبول
انوار الصفات الى ان يخرجه مدد العناية بطريق الهداية وقوة استعداد الروحية والجسمية من تلك الظلمات فيظهر على النبي آيات المعجزات
وعلى الولي امارات الكرامات ولما كان روح عيسى وذرة طينته المستخرجة من ظهر آدم محتبسة عند الله حتى القاها الى مريم من غير شايبة
ظلمات شهوة الابوين ولهذا سمى روح الله كان قابل انوار الصفات في بداية امره فكلم الناس في المهد وكتب ويقرأ التورية والانجيل من غير تعلم
ويحيى ويبرئ وغير ذلك من الآيات فلما احس عيسى منهم الكفر فيه اشارة الى ان عيسى الروح لما احس من النفس وصفاتها الكفر قال من انصاري
الى الله قال الحواريون وهم القلب وصفاته نحن انصار الله آمنا بالله اي بوحدانيته والتبري عن غيره واشهد بانا مسلمون منقادون
لاحكامه راضون بقضائه صابرون على بلائه ربنا آمنا بما انزلت من الحكم والاسرار واللطايف والحقايق واتبعنا الرسول الوارد من
نفحات الطافك فاكتبنا مع الشاهدين المشاهدين لانوار جلالك ومكروا اي النفس وصفاتها والشياطين واتباعها في هلاك عيسى الروح
ومكر الله بتجلي صفات قهره في فناء النفس وصفاتها والله خير الماكرين في قهر النفس الامارة بالسوء وقمع صفاتها وقلع شهواتها اذ قال الله
يا عيسى اني متوفيك عن الصفات النفسانية والسمات الحيوانية ورافعك الي بجذبات العناية كما اسرى بعبده الى قاب قوسين او ادنى
ومن خواص الجذبة الربوبية خمود الصفات البشرية ثم الي مرجعكم باللطف والقهر بالاختيار على قدم السلوك او بالاضطرار عند نزع الروح
فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بحجاب الغفلة والاشتغال بغير الله وفي الآخرة بالقطيعة والبعد عن الله والله لا يحب الظالمين الذين يظلمون
انفسهم بانقضاء العمر في طلب غير الله تعالى ثم قال له كن فيكون هذه السنة في تكوين الارواح والملكوت لا الاجساد والملك ولكنه اجراها
في تكوين آدم من تراب بلا اب وام وخلق حوا بلا ام وخلق عيسى من مريم بلا اب خرقا للعادة ودلالة على اختياره ودفعا لما يتوهم من قال بالايجاب
في الايجاد فلا تكن من الممترين في الكينونة قاله في الازل فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع
فما كان من الممترين ولا يكون الى الابد — پس هر که حجت کند با تو دران پس انکه آمد ترا از دانش پس بگو که بیایید تا بخوانیم

ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو
فرزندان مارا و پسران شمارا و زنهای مارا و زنهای شمارا و خودهای مارا و خودهای شمارا پس سوگند خوریم پس گردانیم لعنت خدای را بر دروغ گویان بدرستی که این آینه

القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب
حکایت راست و نیست هیچ خدای بجز خدای و بدرستیکه خدا هر آینه اوست غالب استوار پس اگر برگردید پس بدرستی که خدا داناست بتباه کنندگان بگو ای اهل کتاب

ع ١٠

تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا
بیایید بسوی سخنی که برابرست در میان ما و میان شما که نپرستیم بجز خدا را و انباز نیاوریم با و چیزی را و فرا نگیرد برخی از ما برخی را خدایان از غیر خدای پس اگر برگشتند

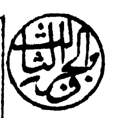
فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون
پس بگویید گواه باشید بانکه ما مسلمانیم ای اهل کتاب چرا حجت کنید در ابراهیم و حال آنکه فرو فرستاده نشد توریه و انجیل مگر از بعد او آیا پس درک نکنید

ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا
آگاه باشید ای گروه که حجت کردید در آنچه شما را بان دانش است پس چرا حجت کنید در آنچه نباشد شما را بان دانشی و خدا میداند و شما نمیدانید نبود ابراهیم یهودی

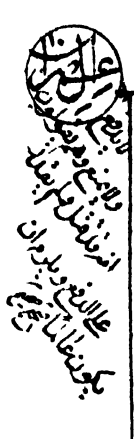
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين
و نه ترسا ولیکن بودی یگانه منقاد و نبود او از مشرکان بدرستی که سزاوارتر بابراهیم هر آینه آنهایند که پیروی کردند او را و این پیغمبر و آنان

آمنوا والله ولي المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب
که گرویدند و خدا دوست گروندگانست دوست داشتند گروهی از اهل کتاب که گمراه کنند شمارا و گمراه نسازند مگر خودشان را و درک نکنند ای اهل کتاب

لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون القراءة ها انتم بالمد
چرا کافر میشوید بآیات خدا و حال آنکه شما گواهی میدهید ای اهل کتاب از برای چه میپوشانید حق را بباطل و پنهان دارید حق را و حال آنکه میدانید



وغير الهمزة حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وروى ابن مجاهد وابو عون عن قنبل ها انتم على وزن هعنتم الباقون بالمد والهمز الوقوف الكاذبين ٥ القصص
الحق ج الا الله ط الحكيم ٥ المفسدين ٥ من دون الله ط لنا هي جملة واقعة الى ابتداء شرط مسلمون ٥ من بعده ط تعقلون ٥ ليس لكم به علم ط لا
تعلمون ٥ لا مسلما ط المشركين ٥ والذين امنوا ط المؤمنين ٥ لو يضلونكم ط يشعرون ٥ تشهدون ٥ تعلمون ٥ التفسير روى انه صلعم لما اورد الدلائل
على نصارى نجران ثم انهم اصروا على جهلهم قال صلعم ان الله امرني ان لم تقبلوا الحجة ان اباهلكم فقالوا يا ابا القاسم بل نرجع فننظر في امرنا ثم نأتيك
فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى قال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام
الفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستيصال فان ابيتم الا الاصرار
على دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلعم وقد خرج وعليه صلعم مرط من شعر اسود وكان صلعم
قد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه صلعم وعلي رضه خلفها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني
لارى وجوها لو سألت الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة ثم قالوا يا ابا القاسم
رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك فقال صلعم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال صلعم
فاني اناجزكم اي احاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب المسلمين طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل
عام الفي حلة الفا في صفر والفا في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك قال صلعم والذي نفسي بيده ان الهلاك قد
تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما
حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروي عن عايشة انه صلعم لما خرج في المرط الاسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم
علي ثم قال صلعم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث
فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من العلم من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله وذلك بطريق
الوحي والتنزيل فقل تعالوا هلموا والمراد المجيء بالراي والعزم كما تقول تعال نتفكر في هذه المسئلة وهو في الاصل لطلب العلو من العلو وذلك ان
بيوتهم كانت على اعالي الجبل فكانوا ينادون تعال يا فلان اي ارتفع الا انه كثر حتى استعمل في كل مجيء فصار بمنزلة هلم ندع ابناءنا وابناءكم
اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ويأت بنفسه وبمن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم اتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضار
من هم اعز من النفس ويعلم اتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة ان الانسان لا يدعو نفسه ثم نبتهل ثم نتباهل وقد يجيء افتعل بمعنى
تفاعل نحو اختصم بمعنى تخاصم والمباهلة ان يقول كل واحد بهلة الله على الكاذب منا اي لعنته ويقال بهله الله اي لعنه وابعده من
رحمته ومنه قولهم ابهله اي اهمله وناقة باهل لا صرار عليها بل هي مرسلة مخلاة فكل من شاء حلبها واخذ لبنها لا قوة بها على الدفع من نفسها
فكان المباهل يقول ان كان كذا فوكلني الله الى نفسي وفوضني الى حولي وقوتي وخلاني من كلاءته وحفظه هذا اصل الابتهال ثم استعمل في كل دعاء
يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وهو المراد في الاية لئلا يلزم التكرار اي ثم نجتهد في الدعاء فنجعل اللعنة على الكاذب بان نسئل الله ان يلعنه
وفي الاية دلالة على ان الحسن والحسين هما ابنا البنت يصح ان يقال انهما ابنا رسول الله صلعم لانه صلعم وعد ان يدعو ابناءه ثم جاء بهما وقد
يتمسك الشيعة قديما وحديثا بها في ان عليا افضل من سائر الصحابة لانها دلت على ان نفس علي مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان في
الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان متكلم الاثنا عشرية يزعم ان عليا افضل من سائر الانبياء سوى محمد قال وذلك انه ليس
المراد بقوله وانفسنا نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره واجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن ابي طالب فاذا نفس علي هي
نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا علي قال ويؤكده ما يرويه المخالف والموافق انه صلعم قال من اراد ان يرى ادم
في علمه ونوحا في طاعته وابرهيم في خلته وموسى في قربته وعيسى في صفوته فلينظر الى علي بن ابي طالب رضه فدل الحديث على انه اجتمع فيه
ما كان متفرقا فيهم واجيب بانه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا
الانسان على ان النبي صلعم افضل ممن ليس بنبي واجمعوا على ان عليا رضه ما كان نبيا فعلم ان ظاهر الاية كما انه مخصوص في حق محمد صلعم فكذا في حق
سائر الانبياء واما فضل اصحاب الكساء فلا شك في دلالة الاية على ذلك ولهذا ضمهم الى نفسه بل قدمهم في الذكر وفيها ايضا دلالة على
صحة نبوة محمد صلعم فانه لو لم يكن واثقا بصدقه لم يتجرأ على تعريض اعزته وخويصته وافلاذ كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستيصال ولولا
ان القوم عرفوا من التورية والانجيل ما يدل على نبوته صلعم لما احجموا عن مباهلته واما قول المشركين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء فليس من قبيل المباهلة واما قولهم فان النبي صلعم لم يعرض نفسه لذلك فلم يكن ذلك القول في معرض الاحتجاج
والادعاء ولا باذن من الله تعالى لرسوله ان هذا الذي تلي عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وما من اله الا الله وهو في افادة
معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح وفيه رد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم فيه جواب
عن شبهة النصارى ان عيسى يقدر على الاحياء ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل يجب ان يكون الاله



غالبا بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك فان تولوا عما وصفت من التوحيد وان الخالق يجب ان يكون غالبا لا يدفع ولا يمنع
وهم يقولون انه قد قتل ولم يقدر على الدفع ويلزم ان يكون قادرا على الكل وان يكون عالما بجميع المعلومات فاعلم ان اعراضهم ليس الا لاجل
العناد فاقطع كلامك منهم وفوض امرهم الى الله فانه عليم بحال المفسدين في الدين ودنياتهم واغراضهم الفاسدة فيجازيهم باعمالهم
الخبيثة ثم انه تعالى لما اورد على نصارى نجران من الدلائل ما انقطعوا ثم دعاهم الى المباهلة فانخزلوا ورضوا بالصغار وقبلوا الجزية
امره الله تعالى بنمط آخر من الكلام مبني على الانصاف يشهد به كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال قل يا اهل الكتاب يعني نصارى نجران لان الآية
من تمام قصتهم او لانه كلام منصف فخوطب بما يطيب به قلوبهم كما قيل لحامل القرآن يا حافظ كتاب الله وقيل المراد به يهود المدينة وقيل اليهود
والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ يتناولهما ولما روي ان اليهود قالوا للنبي صلعم ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى و
قالت النصارى يا محمد صلعم ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى هذه الآية والمراد من قوله تعالوا تعيين ما دعوا
اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان والمعنى هلموا الى كلمة سواء فيها انصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه لاحد على
صاحبه والسواء هو العدل والانصاف لان حقيقة الانصاف اعطاء النصف فيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه والمراد الى كلمة سواء مستوية
بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله فمحل ان لا نعبد خفض على البدل من كلمة او رفع على الخبر اي هي ان لا نعبد وانما ذكر امورا ثلثة لان النصارى
جمعوا بين الثلثة فعبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به غيره لانهم اثبتوا اقانيم ثلثة ابا وابنا وروح القدس ثم قالوا ان اقنوم الكلمة تدرعت
بناسوت مريم ولولا كون هذين الاقنومين ذاتين مستقلين لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى بن مريم وحيث
اثبتوا ثلثة ذوات مستقلة فقد اشركوا ثم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا لانهم اطاعوهم في التحليل والتحريم من تلقاء انفسهم
من غير شريعة وبيان ولانهم يسجدون لهم ويطيعونهم في المعاصي وهو النفس في رؤية الامور من الوسائط افرأيت من اتخذ الهه هواه
ولان من مذهبهم ان الكامل في الرياضة يظهر فيه اثر اللاهوت ويحل فيه فيقدر على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا
عليهم اسم الرب الا انهم اثبتوا في حقهم معنى الربوبية فثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلثة وبطلانها كالامر المتفق عليه بين العقلاء
فان قيل المسيح ما كان المعبود الا الله فوجب ان يبقى الامر بعد ظهور المسيح على هذا القول بالاشتراك ايضا ضائع واذا لم يكن الحكم الا لله وجب ان لا يرجع
في التحليل والتحريم والانقياد والايمان الا اليه عن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله صلعم قال عليه السلم اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتاخذون بقولهم قال نعم قال صلعم هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة فان تولوا عن
التوحيد فقولوا ايها المسلمون لاهل الكتاب اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع لزمتك الحجة فاعترف
باني انا الغالب او يكون من باب التعريض ومعناه فاعترفوا بانكم كافرون حيث اعرضتم عن الحق بعد ما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون
ان ابرهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك بان التورية والانجيل ما انزلا الا من بعده فكيف يعقل ان يكون يهوديا
او نصرانيا لا يقال هذا ايضا لازم عليكم لانكم تدعون ان ابرهيم كان على دين الاسلام والاسلام انما انزل بعده بزمان اطول مما بينه
وبين انزال التورية والانجيل لانا نقول القرآن اخبر بان ابرهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وليس في الكتابين
انه كان يهوديا او نصرانيا فظهر الفرق وايضا المسيح ما كان موجودا في زمان ابرهيم حتى يعبد وعبادة المسيح هي النصرانية عندكم وايضا لا نسخ في
دين اليهود والنسخ جائز في ملة ابرهيم ها انتم هؤلاء ها حرف التنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للاولى
يعني انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل من نعت محمد صلعم او ليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة
انما اراد هب انكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له في كتابكم
وعن الاخفش ها انتم اصله ءانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من جهالتهم ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم
كيف كان حال هذه الشرايع في الموافقة والمخالفة وانتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلا فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن
كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن يهوديا ولا نصرانيا او عرض بالمشركين من اليهود والنصارى لاشراكهم بالله عزيرا والمسيح
فان قيل قولكم ابرهيم على دين الاسلام ان اردتم به الموافقة في الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان اردتم به الموافقة في الفروع
لزم ان لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقررا الشرع من قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى مخالفون
للاصول في زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح افعالهم او الثاني ولا يلزم ما ذكرتم لجواز انه تعالى نسخ
تلك الفروع بشرع موسى ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التي كانت ثابتة في زمان ابرهيم فيكون محمد صاحب الشريعة مع
موافقة شرعه شرع ابرهيم في معظم الفروع روى الواحدي عن اصحاب رسول الله صلعم قالوا لما هاجر جعفر بن ابي طالب واصحابه الى الحبشة
واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله صلعم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند

النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط مع هدايا الادم
وغيره فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون و
انهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله صلعم ولم يتابعه احد منا الا
السفهاء وانا كنا ضيقنا عليهم الامر والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل اليهم منا احد عليهم ولا يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما
اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك
لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستاذن عليك حزب
الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه
فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به النجاشي فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم
يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك
وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام تحية اهل
الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك
من ملوك اهل الارض ومن اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما و
لينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذا الرجل اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا
فارددنا اليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية قال جعفر للنجاشي سلهما هل اهرقنا دما بغير حق
فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي يا عمرو ان كان قنطارا فعلي
قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا
غيره ولزمناه ونحن فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي تبعوه اصدقني قال جعفر
اما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وامره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام
جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب بالناقوس
فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم بالله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيمة نبيا مرسلا
فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما
يامركم به وما ينهاكم عنه قال يقرأ علينا كتاب الله ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويامر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله
وحده لا شريك له فقال اقرأ علي شيئا مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت اعين النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا يا جعفر
زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما تقولون
في عيسى وامه فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي بقشة من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد المسيح
على ما يقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم شيوم بارضي يقول آمنون من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا
دهورة اليوم على حزب ابرهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابرهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك
المشركون وادعوا انهم في دين ابرهيم ثم رد النجاشي على عمرو واصحابه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني
ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر وانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله عز وجل ذلك اليوم في خصومتهم في ابرهيم على رسول الله صلعم وهو بالمدينة
قوله ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته في زمانه وهذا النبي يعني محمدا صلعم والذين آمنوا في آخر الزمان والله ولي المؤمنين
بالنصرة والتائيد للتوفيق والتشديد معنى اولى الناس اخصهم به واقربهم منه من الولي القرب وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه
وبالجر عطفا على ابرهيم عن رسول الله صلعم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم ابي وخليل ربي ابرهيم ثم قرأ ان اولى الناس الاية ثم بين انهم
لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في اضلال المؤمنين بالقاء الشبهات وابداء المكايد كما ارادوا بحذيفة وعمار ومعاذ بن جبل وقد
ذكرنا في سورة البقرة وما يضلون الا انفسهم لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال وما يقدرون
على اضلال المؤمنين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم وبخهم على قبائح افعالهم بطريق
الاستفهام فقال لم تكفرون بآيات الله قيل اي التوراة والانجيل لما فيهما من البشارة بنبوة محمد صلعم وان ابرهيم كان حنيفا مسلما وان
الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتوراة والانجيل ما الكفر بما يدل عليهما فيكون قد اطلق اسم الدليل على المدلول والكفر بنفس التوراة
لانهم كانوا يحرفونها وينكرون وجود تلك الآيات الدالة على نبوة محمد صلعم ومعنى وانتم تشهدون انهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم
كانوا ينكرون اشتمال التوراة والانجيل على نعت محمد صلعم واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها وعلى هذا فيكون في الآية اخبار عن الغيب

بالتحية التي تحييك

انزل

فيكون



فيكون معجزا وقيل آيات الله هي القرآن وشهادتهم انهم يعرفون في قلوبهم انه حق وقيل آيات الله جملة المعجزات على النبي ص فمعنى تشهدون انكم تعترفون بدلالة المعجزة على صدق المدعي ثم لما وبخهم على الغواية اردفه التوبيخ بالاغواء وهو اما بالقاء الشبهات في الدين وهو معنى لبسهم الحق بالباطل واما باخفاء الدليل وهو كتمانهم الحق عن الحسن وابن زيد حرفوا التورية فخلطوا المنزل بالمحرف وعن ابن عباس اظهروا الاسلام اول النهار ثم رجعوا عنه في آخره تشكيكا للناس وقيل ان في الكتابين ما يدل على نبوة محمد ص والبشارة به وفيهما ما يوهم خلاف ذلك فيكون كالمحكم والمتشابه في القرآن في القرآن فلبسوا على الضعفاء احد الامرين بالآخر كما يفعل كثير من المشبهة وهذا قول القاضي وقيل كانوا يقولون ان محمدا معترف بان شرع موسى حق ثم ان التورية دلت على انه لا ينسخ وكل ذلك القاء الشبهات واما كتمان الحق فان الآيات الدالة في التورية على نبوة محمد ص كان الاستدلال بها مفتقرا الى التدبر والتأمل والقوم كانوا يجتهدون في اخفاء تلك الالفاظ التي بمجموعها يتم الاستدلال كما يفعل المبتدعة في زماننا وانتم تعلمون انكم انما تفعلون ذلك عنادا وحسدا او تعلمون انكم اهل المعرفة او تعلمون حقيتها او ان عقاب من يفعل هذه الافعال عظيم جسيم

ع وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم

وگفتند گروهی از اهل کتاب که بگروید بانکه فرو فرستاده شده بر آنها که گرویده اند در اول روز و کافر شوید در آخر آن شاید

يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم

که برگردند و مگروید مگر مر آنرا که پیروی کرد دین شما را بگو که هدایت راه خدا است که داده شود یکی مانند آنچه را که داده شدید یا حجت کنند شما را در نزد پروردگار

قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن

بگو که بدرستی افزونی در دست خدا است میدهد آنرا هر که میخواهد و خدا محیط و دانا است مخصوص گرداند برحمت خود آنرا که میخواهد و خدا صاحب افزونی بزرگ است و از

اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا

اهل کتاب کسی هست که اگر امانت دهی او را مبلغ زیادی باز گرداند بتو و از آنها کسی است که اگر امانت دهی یک دینار باز نگرداند مگر همانا میکه هر بر او ایستاده این بجهت آنست که آنها گفتند

ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين

نباشد بر ما در زنا نویسندگان راهی و میگویند بر خدا دروغ را و حال آنکه میدانند آری هر که وفا کرد بعهد خود و پرهیز کرد پس بدرستیکه خدا دوست دارد

ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم

بدرستی که آنها که میفروشند بعهد خدا و سوگندهاشان بهای کمی آن گروه بهره نیست آنها را در آخرت و سخن نگوید با آنها خدا و ننگرد بسوی ایشان

يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب

در روز قیامت و پاک نکند آنها را و مر آنها است عذابی دردناک و بدرستی از آنها گروهی که میپیچانند زبانهاشان را بکتاب تا پندارید آنرا از کتاب و نیست آن از کتاب

ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ما كان لبشر ان يؤتيه الله

و میگویند که آن از نزد خدا است و حال آنکه از نزد خدا نیست و میگویند بر خدا دروغ را و ایشان میدانند سزاوار نیست هر آدمی که بدهد او را خدا

الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب

کتاب و داوری و پیغمبری پس آنگاه بگوید بمردم که باشید بندگان من غیر از خدا ولیکن بگوید که باشید خداپرستان بجهت یاد گرفتن شما کتاب را

وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون القراءة ان

و بجهت خواندن آن الکتاب را و نفرماید شما را که فرا گیرید فرشتگان و پیغمبران را خدایان آیا بفرماید شما را بکفر پس از آنکه شما مسلمانانید

يؤتى بهمزتين وتليين الثانية ابن كثير الباقون بهمزة واحدة يؤده وكلا يؤده هي ابن كثير ونافع غير قالون وابن عامر وعلي وخلف وحفص والمفضل وعباس وسهل ويزيد عن يعقوب وقرأ ابو جعفر وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو في رواية الزيدي طريق ابي ايوب الهاشمي بالاختلاس الباقون ساكنة الهاء تعلمون بالتشديد عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن عامر بحذف المفعول الاول العلم به وهو الناس الباقون تعلمون بالتخفيف من العلم ولا يأمركم بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلي والاعشى والبرجمي وابو زيد عن المفضل وقرأ ابو عمرو بالاختلاس الباقون بالنصب الوقوف يرجعون ج للعطف دينكم ط هدى الله لا لان التقدير ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله قل مع مقوله معترض ومن قرأ أن يؤتى مستفهما وقف عليها عند ربكم ط بيد الله ج لان يؤتيه لا يتعلق بما قبله مع ان ضمير فاعله عائد الى الله من يشاء ط عليم ط لاحتمال الاستيناف والصفة من يشاء ط العظيم اليك الاولى ج لتضاد الجملتين معنى مع تعادلهما لفظا قائما ط سبيل ج لان الواو للاستيناف مع اتساق معنى الكلام يعلمون المتقين يزكيهم ص اليم وما هو من الكتاب ج لعطف المتفقتين مع وقوع العارض وما هو من عند الله ج يعلمون تدرسون لا لمن قرأ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ان يؤتيه اربابا ط مسلمون التفسير هذا نوع آخر من تلبيساتهم وقوله بالذي انزل يحتمل ان يراد كل ما انزل الله عليهم ويحتمل ان يراد بعض ما انزل والاحتمال الاول قول الحسن السدي تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم ادخلوا في دين محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار اي اوله والوجه في اللغة مستقبل كل شيء لانه اول ما يواجه منه

ثعلب عن ابن الاعرابي اتيته بوجه نهار وصدر نهار وشباب نهار وانشد الربيع بن زياد : من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا
بوجه نهار : يجد النساء حواسرا يندبنه قد قمن قبل تبلج الاسحار وذلك انه كان من عادتهم ان لا يظهروا الجزع على المقتول الى ان يدركوا الثار فمعنى
البيت من كان مسرورا فليأت تر تشفي الغيظ ودرك الثار قبل ان يمضي على المقتول تمام يوم وليلة واكفروا آخره اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا
وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بذلك فان اصحابه متى شاهدوا هذا غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد
والا لما امنوا به في اول الامر وانما ذلك لاجل انهم اهل كتاب قد تفكروا في امره وفي دلائل نبوته فلاح لهم بعد التامل التام والبحث الشافي انه
كذاب فيكون في هذه الطريق تشكيك لضعفة المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال ابومسلم معنى وجه النهار واخره ان رؤساء اليهود والنصارى
قال بعضهم لبعض نافقوا واظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط ان تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من اهل الكتاب فان امر هؤلاء في اضطراب
فزجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف امرهم واضمحل دينهم ويرجعوا الى دينكم فيكون هذه الاية كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تفريق احكام الاسلام الى قسمين وذلك انه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه
في جميع ما جاء به علم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه في بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم
ويرجعوا من دين الاسلام والرغبة فيه واما الاحتمال الثاني فقول من قال انها نزلت في شان القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار اوله
وهو صلوة الصبح واخره صلوة الظهر وتقريره انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الى بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلوة الظهر
قال كعب بن الاشرف وغيره امنوا بالقبلة التي صلى اليها صلوة الصبح فهي الحق وقال مجاهد ومقاتل والكلبي لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود
لمخالفتهم فقالوا امنوا بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها من اول النهار ثم اكفروا بالكعبة اخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة
لعلهم يقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه مكر هؤلاء واطلعه على سرهم كيلا يؤثر الحيلة في قلوب
ضعفاء المؤمنين ولان القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة لم يقدموا على امثالها من الحيل ويصير ذلك واعظا لهم وفيه ايضا انه اخبار عن الغيب
فيكون معجزا ثم قال تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم واتفق المفسرون على انه من بقية حكاية كلام اهل الكتاب واتفقوا على ان قوله قل ان الهدى
هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى اخرها كلام الله الا انهم اختلفوا في ان قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند
ربكم من جملة كلام الله او من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فهذان احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل
منهما يحتاج في تصحيح المعنى الى تقدير واضمار فلهذا عدت الاية من المواضع المشكلة اما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذا في
قراءة من قرا بهمزة واحدة ويقدر همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ وكذا لام الجر وهذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى بن عمر والمعنى الان اي
امن اجل ان يؤتى احد شرايع مثل ما اوتيتم تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب
وعدد ذنوبه عليه وقد احسن اليه من قبل احساني اليك امن اهانتي لك والمعنى امن هذا فعلت ما فعلت ام من ذاك ونظيره قوله امن هو
قانت اناء الليل ساجدا او قائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا
تصدقوا الا نبيا يقرر شرائع التورية فاما من جاء بتغيير شيء من احكام التورية فلا تصدقوه وهذا مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة
مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلانا ولا يقال صدقت لفلان فامر الله نبيه ان يقول لهم في الجواب ان الدين دين الله فكل ما رضيه دينا
فهو الدين الذي يجب اتباعه كقوله في جواب قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور
ويحتمل ان يكون المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان
ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد
الضعيف ثم استفهم فقال الان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لا لشيء اخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ثم قال او يحاجوكم يعني دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل بالانبياء عند كفركم به
من محاجتهم لكم عند ربكم لان ما اوتوا مثل ما اوتيتم فحين لم تؤمنوا به ثبت لهم حجة عليكم واما ان لم يقدر همزة الاستفهام فالتقدير كما
سبق او يقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقدير قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ويكون او بمعنى حتى ويتم الكلام
بمحذوف اي حتى يحاجوكم عند ربكم فيقضي لهم عليكم ويدحض حجتكم او يقال ان يؤتى مفعول فعل محذوف هو لا تنكروا لانه لما كان الهدى
هدى الله كان له ان يؤتيه من يشاء من عباده ومتى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح ان يقال لا تنكروا ان يؤتى احد سواكم من الهدى
ما اوتيتم او يحاجوكم يعني هؤلاء المسلمين بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم او يقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بدله يضمر لا بعد ان
مثل ان تضلوا اي لا تضلوا والتقدير قل يا محمد لامتك ان بيان الله هو ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وهو دين الاسلام الذي هو
افضل الاديان وان لا يحاجوكم يعني هؤلاء اليهود عند ربكم في الاخرة لانه يظهر لهم في الاخرة انكم محقون وانهم ضالون
واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من تتمة كلام اليهود وقوله قل ان الهدى هدى الله جملة معترضة



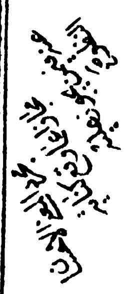
فمعناه لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ولا تقروا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم
فحذف حرف الجر من ان على القياس قال في الكشاف واداسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى
اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله اَوْ يُحَاجُّوكُمْ عطف على ان يؤتى والضمير
في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة قال و
معنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وذيكم اي سركم
تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قُلْ اِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّٰهِ مؤكد للاعتراض الاول وهو اعتراض في بعض نحو يجيء بعد تمام الكلام كقوله
وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ بعد قوله اِنَّ الْمُلُوْكَ اِذَا دَخَلُوْا قَرْيَةً اَفْسَدُوْهَا فان قيل ان جد القوم في حفظ اتباعهم عن قبول دين محمد كان اعظم
من جدهم في حفظ غير اتباعهم عنه فكيف يليق ان يوصي بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل على صحة دين محمد صلعم عند اتباعهم وان يمتنعوا من ذلك
عند الاجانب فالجواب ليس المراد من هذا النهي الامر بافشاء هذا التصديق فيما بين اتباعهم بل المراد انه ان اتفق منكم تكلم بهذا فلا يكن الا
عند خويصتكم واصحاب اسراركم على انه يحتمل ان يكون شائعا ولكن البغي والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فان قيل كيف وقع قوله
قُلْ اِنَّ الْهُدٰى هُدَى اللّٰهِ فيما بين جزئي كلام واحد هذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل ان يكون هذا كلاما امر الله نبيه ان يقوله
عندما وصل الكلام الى هذا الحد كانه لما حكى عنهم في هذا الموضع قولا باطلا لاجرم ادب رسول الله صلعم بان يقابله بقول حق ثم يعود الى الحكاية
تمام كلامهم كما اذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولا فيه كفر فيقول عند بلوغه الى تلك الكلمة امنت بالله لا اله الا الله او تعالى الله ثم يعود الى تلك
الحكاية وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم اَنْ يُّؤْتٰۤى اَحَدٌ مِّثْلَ مَاۤ اُوْتِيْتُمْ اَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ اِنَّ
الْهُدٰى هُدَى اللّٰهِ اِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِهٖ واعلم انه تعالى حكى عن اليهود امرين احدهما ان يؤمنوا وجه النهار ويكفروا اخره ليصير ذلك شبهة للمسلمين
في صحة الاسلام فاجاب بقوله قُلْ اِنَّ الْهُدٰى هُدَى اللّٰهِ وذلك ان مع كمال هداية الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة الركيكة عين
ولا اثر وثانيهما انهم استنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتوا من الكتاب والحكمة والنبوة فاجاب عنه بقوله قُلْ اِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّٰهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَآءُ والمراد بالفضل
الرسالة وهو في اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ومعنى قوله بيد الله انه مالك له
غالب عليه يوضحه قوله يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَآءُ وفيه دليل على ان النبوة تحصل بالتفضل لا بالاستحقاق لانه جعلها من باب الفضل الذي لفاعله ان يفعله
وان لا يفعله ولا يصح ذلك في المستحق الا على وجه المجاز وَاللّٰهُ وَاسِعٌ كامل القدرة عَلِيْمٌ بالحكم والمصالح وبمواقع فضله فلهذا يختص برحمته
من يشاء والحاصل انه بين بقوله اِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّٰهِ انه قادر على ان يؤتي بعض عباده مثل ما اتيكم من المناصب العالية ويزيد عليها من جنسها
فان الزيادة من جنس المزيد عليه ثم قال يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهٖ مَنْ يَّشَآءُ والرحمة المضافة اليه تعالى امر اجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنس ما اتاهم
بل يكون اشرف واعظم وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ فمن قصر نعمائه واكرامه على مراتب معينة وعلى اشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تعالى
في قدرته وحكمته ثم انه تعالى كذبهم في دعويهم الاختصاص بالمناصب العالية فان فيهم الخيانة المستقبحة في جميع الاديان ونقض العهد و
الكذب على الله الى غير ذلك من القبائح فقال وَمِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ الاية وفيها دلالة على انقسامهم الى قسمين اهل الامانة واهل الخيانة فقيل
ان اهل الامانة هم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم انه يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين و
اخذ اموالهم وقيل ان اصحاب الامانة هم النصارى لغلبة الامانة عليهم واهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس مَنْ اِنْ تَاْمَنْهُ
بِقِنْطَارٍ يُّؤَدِّهٖۤ هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه وَمَنْ اِنْ تَاْمَنْهُ بِدِيْنَارٍ لَّا يُؤَدِّهٖۤ هو فنحاص بن عازوراء
استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقال اهل الحقيقة هي فيمن يؤتى كثيرا من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات اليه و
قطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلا عليه واكتفاء به وفيمن يحظى بالدنيا فيكون همه مقصورا عليها معرضا عما سواها غير مؤد حقوقها ويقال
امنته بكذا وعلى كذا فمعنى الباء الصاق الامانة بحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها والاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار
ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة الى تعيينه واما الاقوال فيه فقد مرت في اوائل السورة وقد يستدل بما روينا عن ابن عباس
ان القنطار الف ومائتا اوقية ويدخل تحت القنطار والدينار العين والعين والدين لان الانسان قد يأتمن غيره على الوديعة وعلى
المبايعة وعلى المقارضة وليس في الاية ما يدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس انه محمول على المبايعة فقال منهم من تبايعه بثمن القنطار
فيؤده اليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤده اليك ونقلنا عنه ايضا انها نزلت في الوديعة واما قوله اِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا فمنهم من حمله
على حقيقته قال السدي يعني الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه مجتمعا معه ملازما اياه فان انظرته واخرته انكره ومنهم
من يحمله على الالحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة اصله ان الطالب للشيء يقوم به والتارك له يقعد عنه ومنه قوله تعالى اُمَّةٌ
قَآئِمَةٌ اي عاملة بامر الله غير تاركة وقال ابو علي الفارسي انه في اللغة الدوام والثبات ومنه قوله دينا قيما اي ثابتا لا ينسخ فمعنى الاية الا
دائما ثابتا في مطالبتك اياه بذلك المال ذلك الاستحلال وترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده بسبب انهم يقولون ليس علينا فيما اصبنا من اموال

الفضل



العرب تسبل بالخطاب والعتاب اما لانهم بالغوا في التعصب لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف واخذ ماله باي طريق كان واما لانهم قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا ويحتمل ان يكونوا اعتقدوا في الاسلام انه كفر فيحكمون على المسلمين
بالردة فيستحلون دماءهم واموالهم وروى ان اليهود عاملوا رجالا في الجاهلية من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا
حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فلا جرم قال تعالى ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم
يعلمون انهم كاذبون وهذه غاية الجراءة والجهالة او يعلمون حرمة الخيانة او يعلمون ما على الخائن من الاثم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند
نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله
رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك باس قال هذا كما قال
اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيب انفسهم بلى قال الزجاج عندي وقف التمام ههنا
لانه مجرد نفي ما قبله اي بلى عليهم سبيل في ذلك وما بعده استيناف وقال غيره انه يذكر في الابتداء كلام يقع جوابا عن المنفي قبله فقولهم ليس
علينا جناح قائم مقام قوله نحن احباء الله تعالى فقيل لهم ان اهل الوفاء بالعهد واهل التقى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف
على بلى وقيل ان اليهود ليسوا من الوفاء والتقى في شيء ولو انهم اوفوا بالعهود وفوا اول كل شيء بالعهد الذي اخذه الله تعالى في كتابهم من
الايمان بنبي اخر الزمان وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولو انهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه صلى الله عليه وسلم ولم يحرفوا كتابه وعموم لفظ المتقين قائم مقام الضمير العائد الى المبتدا
والضمير في بعهده يجوز ان يرجع الى من ويجوز ان يرجع الى اسم الله كقوله في الاية التالية بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى اصلان لجميع مكارم
الاخلاق فالوفاء بالعهد يشمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى تتممها وتزينها حتى ياتي بها
على وجه الكمال من غير شائبة الاختلال فكل متق موف بالعهد ولا يلزم العكس فلهذا اقتصر على قوله يحب المتقين دون ان يقول يحب المؤمنين
او الموفين والمتقين فافهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة في اموال الناس والخيانة فيها لا يتمشى الا بالايمان الكاذبة غالبا لا جرم اردفها
بالوعيد عليها وايضا الخيانة في العهود وفي تعظيم اسماء الله تناسب الخيانة في الاموال فلا جرم قال ان الذين يشترون الاية واختلفت
الروايات في سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الايات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من خصها بغيرهم والروايات هذه قال عكرمة
نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم من رؤس اليهود كتموا ما عاهد الله اليهم في التورية في شان محمد
وبدلوه وكتبوه بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله كيلا يفوتهم الرشى والماكل التي كانت لهم على اتباعهم وقال الكلبي ان ناسا
من علماء اليهود اولي فاقة اصابتهم سنة فاقتحموا الى كعب بن الاشرف بالمدينة فسألهم كعب هل تعلمون ان هذا الرجل رسول
الله صلى الله عليه وسلم في كتابكم قالوا نعم وما تعلمه انت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله قال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم
علي وانا اريد ان اميركم واكسو عيالكم فحرمكم الله وحرم عيالكم فقالوا فانه شبه لنا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفة
سوى صفته ثم انتهوا الى رسول الله فكلموه وسألوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى انه رسول الله فلما اتيناه اذا هو ليس بالنعت
الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا واخرجوا الذي كتبوا فنظر اليه كعب ففرح ومارهم وانفق عليهم فنزلت وعن الاشعث بن
قيس خاصمت رجلا في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق
بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت الاية على وفقه وقيل نزلت في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه
ومعنى يشترون يستبدلون بعهد الله مواثيقه والايمان هو الذي يؤكد الانسان بها خبره من وعد او وعيد او انكار او اقرار بذكر الله تعالى او
صفة من صفاته وما يجري مجراه والثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه ونحوهما ثم انه تعالى رتب على الشرى بعهد الله وبايمانهم ثمنا
قليلا خمسة انواع من الجزاء فقوله اولئك لا خلاق لهم في الاخرة اشارة الى انه لا نصيب لهم في منافعها ونعيمها وقوله ولا يكلمهم الله ولا
ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم اشارة الى حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب وقوله ولهم عذاب اليم اشارة الى ما يحصل
لهم هنالك من صنوف الالام وضروب الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم
لان من منع كلامه في الدنيا غيره فانما ذلك لسخطه عليه وقد يامره بحجبه عنه ويقول لا اكلمك ولا اري وجهك واذا جرى ذكره لا يذكره بالجميل قال في
الكشاف ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه كناية فيمن يجوز عليه النظر لان
من اعتد بالانسان التفت اليه واعاده نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز
عليه النظر وفي التفسير الكبير لا يجوز ان يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز ان يكون المراد من النظر تقليب
الحدقة الى جانب المرئي التماسا لرؤيته لان هذا من صفات الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج الخلق بهذه الاية على ان النظر المقرون
بحرف الى ليس بمعنى الرؤية والا لزم من هذه الاية ان لا يكون الله رائيا وذلك باطل قلت يجوز ان يراد بهذا النظر النظر المعهود وهو الذي سيخص الله
تعالى به اولياءه من انه ينظر اليهم وهم ينظرون اليه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعلى هذا جاز ان يكون النظر بمعنى الرؤية لانه لا يلزم

قدحتم



مونة



من نفي رؤيته اياه العباد ايضا وحينئذ نفي رؤيته لا يرد منه حينئذ فَاِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف
غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلعم فاخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم يَلْوُونَ اَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ
قال القفال معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفوها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان الليّ عبارة عن عطف الشيء ورده عن
الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية وانما كانوا يفعلون مثل ذلك في الايات الدالة على نبوة
محمد صلعم وفي غيرها بحسب اغراضهم الفاسدة وفي الكشاف اي يقلبونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف اقول وذلك ان لي اللسان اشبه بالتشدق
والتنطع والتكلف مذموم فعبر الله عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلي اللسان ذما لهم وتقريعا ولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق
بين الفاظ المدح والذم في الشيء الواحد لتحسبوه اي المحرف الذي دل عليه يلوون ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي يعطفون السنتهم بشبه
الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ نفي اولا كونه من الكتاب ثم
عليه نفي العلم ليعلم انه كما ليس من الكتاب ليس بسنة ولا اجماع ولا قياس فان كل هذه يصدق عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من
احكامه المستنبطة من الاصول ويجوز ان يراد بالكتاب التورية فقط وبقولهم هو من عند الله انه موجود في كتب سائر الانبياء وذلك ان
القوم في نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا متحيرين خابطين فان وجدوا قوما من الاغمار الجاهلين بالتورية قالوا انه من التورية وان
وجدوا قوما عقلاء زعموا انه موجود في كتب سائر الانبياء واعلم انه ان كان المراد من التحريف تغيير الفاظ التورية او اعراب الفاظها
فالذين اقدموا على ذلك يجب ان يكون طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان المعنى تشويش دلالة تلك الايات على نبوة محمد صلعم
بسبب القاء الشكوك والشبهات في وجوه الاستدلالات كما يفعله المبطلون في ملتنا اذا استدل المحقون بانه من كتاب الله تعالى لم يبعد اطباق
الخلق الكثير والجم الغفير عليه احتج الجبائي والكعبي بالاية على ان فعل العبد ليس بخلق الله تعالى والا صدق اليهود في قولهم هو من عند الله لكن الله كذبهم و
الغلط فيه ان القوم ما ادعوا ان التحريف من عند الله بخلقه وانما ادعوا ان المحرف منزل من عند الله او هو حكم من احكامه فتوجه التكذيب
تكذيب الله اياهم الى هذا الذي زعموا الا الى ما لم يزعموا فلم يتوجه لهما في الاية استدلال ثم من جملة ما حرفه اهل الكتاب انهم زعموا ان عيسى كان يدعي
الالهية وامر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قائل مَا كَانَ لِبَشَرٍ الاية وقيل ان ابا رافع القرظي من اليهود والسيد من نصارى نجران
قالا لرسول الله صلعم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل ان رجلا قال يا رسول الله صلعم نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان نسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله وقيل زعمت اليهود ان احد الابناء من درجات الفضل ما نالوه فقال لهم الله ان كان الامر كما قلتم وجب ان لا تشتغلوا
باستعباد الناس واستخدامهم هذا الوجه يحتمله وصل لفظ الاية فان قوله ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله كقوله اِتَّخَذُوْا
اَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ اَرْبَابًا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ ومعنى قوله مَا كَانَ لِبَشَرٍ قال الاصم لو ارادوا ان يقولوا ذلك يمنعهم الله منه نظيره وَلَوْ
تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْاَقَاوِيْلِ لَاَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِيْنِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِيْنَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ اِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيْلًا اِذًا لَاَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيٰوةِ
وَضِعْفَ الْمَمَاتِ وقيل معناه انه تعالى لا يشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم انه منه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعي تبليغ الاحكام
عن الله تعالى ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو امرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على كونه صادقا والتحقيق ان الانبياء موصوفون بصفات
لا يحصل معها هذا الادعاء لان النفس ما لم تكن كاملة بحسب قوتيها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول نزول الكتاب السماوي عليه و
للحكم وهو فهم ذلك الكتاب وبيانه وقد يعبر عنه بالسنة والنبوة وهو كونه مامورا بتبليغ ما فهمه الى الخلق واحسن هذا الترتيب واذا كانت
كاملة بحسب القوتين وما يتبعهما امتنع من مثله هذا القول والاعتقاد لان غاية جهد النبي وقصارى امره صرف القلوب والارواح
من الخلق الى الحق فكيف يعقل منه ضده فتبين انه ليس المراد من قوله مَا كَانَ لِبَشَرٍ الى قوله كُوْنُوْا عِبَادًا لِّيْ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ انه يحرم عليه هذا
الكلام لان ذلك محرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب للنصارى في ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على رجل
فعلا فقيل له ان فلانا لا يحل له ان يفعل ذلك لم يكن مكذبا له فيما ادعاه عليه ومثله مَا كَانَ لِلّٰهِ اَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ على
سبيل النفي لذلك عن نفسه لا على وجه التحريم والحظر وكذا قوله مَا كَانَ لِنَبِيٍّ اَنْ يَغُلَّ فمعناه النفي لا النهي ومعنى ثم في قوله ثم يقول تبعيد
هذا القول عن مثل ذلك البشر وَلٰكِنْ يقول كُوْنُوْا رَبَّانِيِّيْنَ قال سيبويه الرباني منسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته
كما يقال رجل الهي اذا كان مقبلا الى معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون في النسبة فقط للدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا
شعراني ولحياني ورقباني للموصوف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدها رباني وهو
الذي يرب العلم ويرب الناس بتعليمهم واصلاحهم والقيام بهم والالف والنون كما في ريان وعطشان لا يختص بحال النسبة فالربانيون على هذا
التفسير يشمل الولاة ايضا قال القفال يحتمل ان يكون الوالي سمي ربانيا لانه يطاع كالرب تعالى فينسب اليه فمعنى الاية ولكن يدعوكم الى ان
تكونوا ملوكا وعلماء باستعمالكم امر الله تعالى ومواظبتكم على طاعته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست بعربية انما هي عبرانية او سريانية

كونوا ولكن م

دسوائ

وسواء كانت عربية يدل على الانسان الذي علم وعمل بما علم ثم اشتغل بتعليم طرق الخير عن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس مات ربانی هذه الامة والباء في قوله بما كنتم للسببية وما مصدرية وتعلمون من التعليم والعلم على القرائتين فيعلم منه ان التعليم والعلم والدراسة وهي القراءة يوجب على صاحبها كونه ربانيا والسبب لا محالة مغاير للمسبب فهذا يقتضي ان يكون كونه ربانيا امرا مغايرا لكونه عالما ومعلما و مواظبا على قراءة العلم وما ذاك الا ان يكون تعلمه لله وتعليمه لله ودراسته لله فمن اشتغل بالعلم والتعليم والدراسة لا لهذا الغرض خاب وخسر وكان السبب بينه وبين ربه منقطعا وكان مثله كمن غرس شجرة توقعه بمنظرها ولا ننفعه بثمرها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من قلب لا يخشع ومن علم لا ينفع وفي الاية دليل على صحة قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء تأمل تفهم باذن الله ولا يأمركم من قرأ بالنصب فوجهان احدهما ان يجعل لا مزيدة لتاكيد النفي المتقدم اي ما ينبغي لبشر ان ينصبه الله منصب الدعاء الى اختصاص الله بالعبادة ثم يدعو الى ان يأمر الناس بعبادة نفسه و يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخفني والثاني ان يكون حرف النفي زائدة فيرجع المعنى الى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح بحيث قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء فيكون عدم الامر في معنى النهي ويراد بالنبيين غيره صلى الله عليه وسلم كانه اخرج نفسه بتلك الدعوى عن زمرة الانبياء ومن قرأ بالرفع على الاستيناف فظاهر تنصره قراءة عبد الله بن مسعود ولن يأمركم والضمير فيه على قراءة الرفع قال الزجاج لله وقال ابن جريج لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل لعيسى وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح ايأمركم اي البشر وقيل الله بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ومعنى الاستفهام الانكار اي انه لا يفعل ذلك قيل وفيه دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسجدوا له صلى الله عليه وسلم قلت وضع الشيء ابتداء اسهل من رفع نقيضه ثم وضعه فيحتمل ان يكون المراد ما صح ولا يعقل ان يأمر النبي صلى الله عليه وسلم امته بعبادة نفسه اول ما استنبئ فكيف يعقل ان يأمرهم بذلك بعد الفهم بالاسلام واستنارة باطنهم بنور الهدى الايمان بالله وفي التوفيق

وَإِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ

وچون گرفت خدا پیمان پیغمبران را چونکه دادم شما را از کتاب و دانش پس آید شما را پیغمبری باور دارنده مر آنچه را که با شماست هر آینه گرویده

بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ

باشید بآن و هر آینه یاری دهید او را گفت که آیا اقرار کردید و فرا گرفتید بر این عهد مرا گفتند که اقرار کردیم گفت که پس گواهی دهید و من با شما از گواهانم پس هر که برگشت

بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ أَفَغَيْرَ دِينِ اللّٰهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

پس از این پس آن گروه ایشانند فاسقان آیا پس غیر از اسلام را میخواهند و مر او را اسلام آورده هر که در آسمانها و زمین است برغبت و اکراه و بسوی او باز گردانیده شوند

قُلْ آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ

بگو که گرویدیم بخدا و آنچه فرستاده شد بما و آنچه فرستاده شد بر ابراهیم و اسمعیل و اسحق و یعقوب و فرزندان او و آنچه که داده شد موسی و عیسی

وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

و پیغمبران از پروردگار شان جدائی نمیداریم در میان احدی از ایشان و ما او را تسلیم کننده گانیم و هر که خواهش کند بجز اسلام دینی را پس پذیرفته نشود از او و در آخرت

مِنَ الْخَاسِرِينَ كَيْفَ يَهْدِي اللّٰهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي

او از زیانکاران است چگونه هدایت کند خدا گروهی را که کافر شدند پس از گرویدن شان و گواهی دادند که پیغمبر حق است و آمد ایشان را گواهان و خدا راه نمی‌نماید

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّٰهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ

گروه ستمکاران را آن گروه پاداش ایشان آنست که بر ایشان است دوری خدا و فرشتگان و مردمان همه جاویدان در آن که سبک نشود از ایشان عذاب

وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا

و ایشان مهلت داده نشوند بجز آنان که توبه کردند از پس این و صلاح کردند پس بدرستی که خدا آمرزنده مهربان است بدرستی که آنانکه کافر شدند پس از ایمان پس افزودند

كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا

در کفر پذیرفته نشود توبه ایشان و آن گروه ایشانند گمراهان بدرستی که آنانکه کافر شدند و مردند کافران پس قبول نشود از یکی ایشان پری زمین از طلا

وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ

ما اگرچه فدیه دهند آنرا آن گروه مر ایشان راست عذاب دردناک و نیست ایشان را یاوران

القراءة لما بكسر اللام حمزة والخزاز الباقون بفتحها اتيناكم على صيغة جمع المتكلم ابوجعفر ونافع الباقون اتيتكم على الوحدة يبغون بياء الغيبة وترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول ابوعمرو غير عباس وقرأ عباس وسهل وحفص بالياء التحتانية فيهما وقرأ يعقوب يبغون بالياء التحتانية يرجعون بالتحتانية مبنيا للفاعل الباقون بتاء الخطاب فيهما ملاء بالهمزة الارض بغير الهمزة روى البخاري عن ورش وروى الاصفهاني عنه بغير همزة فيهما الباقون بالهمزة فيهما الوقوف ولتنصرنه ط اصري ط اقررنا ط الشاهدين الفاسقون يرجعون من ربهم ص منهم ج مسلمون منه ج لعطف المختلفين الخاسرين البينات ط الظالمين ه اجمعين لا ينظرون لا للاستثناء رحيم توبتهم الظالون افتدى به ط





التفسير الغرض من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قطعا لاعذارهم واظهارا لعنادهم من جملتها
اخذ ميثاق النبيين قال الزجاج تقديره واذكر يا محمد في القرآن اذ اخذ الله وقيل واذكروا يا اهل الكتاب واضافة الميثاق الى النبيين اما
ان يكون من اضافة العهد الى المعاهد منه وهم ومن اضافة العهد الى المعاهد كما تقول ميثاق الله وعهد الله اما الاحتمال الاول فيؤيده ما
يشعر به ظاهر اللفظ من ان اخذ الميثاق هو الله والماخوذ منهم النبيون وهو قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس ثم على هذا القول نقل
عن علي عليه السلام انه ما بعث آدم ومن بعده من الانبياء الا اخذ عليه العهد لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه والذي يدل على صحته ما
روي انه صلى الله عليه وسلم قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية اما والله لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي فهذا على سبيل الفرض والتقدير وهو انهم
لو كانوا احياء لوجب عليهم الايمان بمحمد لان الميت لا يكون مكلفا وقيل المراد اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف وامة
النبيين فقد ورد كثيرا في القرآن لفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويراد به الامة كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقيل النبيون اهل الكتاب قد ورد
على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويؤكده قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب وفي الاحتمال الثاني فالمعنى على ان الانبياء عليهم السلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم
فانه يجب عليهم ان يؤمنوا به ويؤكده انه تعالى حكم بانهم ان تولوا كانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم وروي عن
ابن عباس انه قيل له ان اصحاب عبد الله يقرؤن واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونحن نقرأ واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال
انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم لما آتيتكم من قرأ بفتح اللام ففيه وجهان احدهما ان ما تكون موصولة واللام للابتداء وخبره لتؤمنن و
اللام فيه جواب القسم المقدر والعائد الى الموصول في آتيتكم محذوف وفي جاءكم ما يدل عليه لما معكم لانه في معنى ما آتيتكم والتقدير للذي
آتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له والله لتؤمنن به ثانيهما واختاره سيبويه وغيره كيلا يفتقر الى تكلف الرابط ان يقال
اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وما هي المتضمنة لمعنى الشرط ولما كان يحتاج القسم الى الجواب والشرط الى الجزاء وليس ههنا ما يصلح لكل منهما الا
والنصرة فالاصح في هذا المقام ان يجعل المذكور جوابا للقسم ظاهرا ولهذا ادخل اللام والنون المؤكدة في لتؤمنن ولتنصرن وادخل اللام في
الشرط وتسمى موطئة لانها تعين من اول الامر وتمهد ان المذكور هو جواب القسم لا الشرط ثم ان الشرط يكون مستغنيا عنه لان جواب القسم
يسد مسده ومن قرأ بكسر اللام للتعليل ففيه وجهان احدهما ان يكون ما مصدرية اي اخذ الله ميثاقهم لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب
والحكمة لمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم موافق لكم في الاصول لتؤمنن به لان من يؤتى الكتاب والحكمة فان اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب عليه تصديق
سائر الانبياء والثاني ان يكون ما موصولة وبيان الرابط كما مر وعن سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين قيل اصله لمن ما اي لمن اجل
ما آتيتكم ادغمت النون في الميم فاجتمعت ثلث ميمات فحذفوا احداهما للتخفيف فيؤل المعنى الى قراءة حمزة وفي جميع القرآت قيل لا بد من
اضمار بان يقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال مخاطبا لهم لما آتيتكم قلت هذا من باب الالتفات فلا حاجة الى الاضمار وقيل واذ اخذنا
او اخذنا ولما في اخذ الميثاق من معنى القول ومن العلماء من قدر الاضمار بنوع آخر واستحسنه في التفسير الكبير مع انه متكلف فقال واذ
اخذ الله ميثاق النبيين لتبلغن الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم ان جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه و
النبيون عام وليس كلهم اصحاب كتاب لكنه وصف الكل بوصف اشرفهم والكتاب لذوي الكتب والحكمة لغيرهم او جعل الداعي الى الكتاب والى
العمل به كالذي انزل عليه الكتاب ومن للبيان او للتبعيض وقوله ثم جاءكم والرسول لا يجيء الى النبيين انما يجيء الى الامم معناه اي في زمانكم وان
كان المراد من النبيين اولادهم او اممهم فلا اشكال والمراد بتصديقه لما معهم موافقته في التوحيد والنبوات واصول الشرائع فاما تفاصيلها وان
وقع الخلاف فيها فذلك في الحقيقة ليس بخلاف لان جميع الانبياء متفقون على ان الحق في زمان موسى ليس الا شرعه وان الحق في زمان محمد صلى الله عليه وسلم
ليس الا شرعه ولو قلنا ان المراد بالرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد اما ما ذكرنا او ان نعته وصفته واحواله مذكورة في الكتب المتقدمة فكان نفس
مجيئه تصديقا لما كان معهم الظاهر ان المراد بهذا الميثاق هو التوصية بان يؤمنوا بكل رسول يجيء مصدقا لما معهم قيل يحتمل ان يكون الميثاق
اشارة الى ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على ان الانقياد لامر الله واجب فاذا جاء الرسول فهو انما يكون رسولا عند ظهور المعجزات
الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه وقيل المراد باخذ الميثاق انه تعالى شرح صفاته في
كتب الانبياء المتقدمين فاذا صارت احواله مطابقة لما جاء في الكتب الالهية وجب الانقياد له وانما يصح لو كان المراد بالنبيين اولادهم او
اممهم وميثاق النبيين من الامم او ميثاق الله من النبيين على تقدير كونهم احياء اقول والله اعلم يحتمل ان يراد بقوله ثم جاءكم المجيء في الزمان الثاني
فيكون معنى الآية ان الله تعالى اخذ ميثاقه من كل نبي اوتي كتابا وحكمة ان يؤمن بكل رسول كان قد جاء قبله موافقا لما معه وينصره بنية بان
يظهر حقيته في وقته وانه من عند الله سبحانه وانه موافق له في اصول العقائد وفي قواعد مكارم الاخلاق فيكون هذه الآية تمهيدا لما يجيء بعد من
قوله قل آمنا بالله الآية قال الله او كل نبي لا منه مستفهما بمعنى الامر أقررتم بالايمان به والنصرة والاقرار في الشرع اخبار عن ثبوت حق سابق وفي اللغة
منقول بهمزة التعدية من قر الشيء يقر اذا ثبت ولزم مكانه واخذتم اي قبلتم على ذلكم اصري عهدي فالاخذ بمعنى القبول كثير قال تعالى لا يؤخذ منها



علينا اي لا يقبل وباخذ الاصر فانه اي يقبلها سمى العهد اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد ثم بعد المطالبة بالاقرار كذلك بالاشهاد وقال
فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وفي قوله وانا معكم من الشاهدين وانه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيد عليهم وتحذير من
الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا خطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل احد نفسه شاهدا على نفسه
كقوله واشهدهم على انفسهم وقيل بينوا هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر في الجهل به واصله ان الشاهد هو الذي يبين
تصديق الدعوى وقيل استيقنوا وكونوا كالمشاهد للشيء المعاين له ويكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد
الوعيد بقوله فمن تولى بعد ذلك الميثاق وصنوف التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله وطاعته ووعيد
الفساق المردة معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة فقال افغير دين الله يبغون ويحتمل ان
يراد يتولون فغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون من قرا بتاء الخطاب فيهما فلان ما قبله خطاب
في اقررتم واخذتم او للالتفات بعد قوله اولئك هم الفاسقون ومن قرا بياء الغيبة فلرجوع الضمير في الاول الى الفاسقين وفي الثاني الى جميع
المكلفين والاصل افيبغون غير دين الله لان الاستفهام انما يكون على الحوادث الا انه قدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو فائدة الهمزة
ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس ان اهل الكتابين اختصموا الى رسول الله فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم فكل واحد من الفريقين ادعى
انه اولى به فقال كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وعلى هذا يكون الاية كالمنقطعة عما قبلها
ولكن الاستفهام على سبيل الانكار يقتضي تعلقها بما قبلها فالوجه ان هذا الميثاق لما كان مذكورا في كتبهم ولم يكن لكفرهم سبب الا مجرد البغي و
العناد كانوا طالبين دينا غير دين الله فاستنكر ان يفعلوا ذلك وقرر انهم يعلمون ان الاعراض عن دين الله خارج عن قضية العقل
وكيف لا وقد اخلص له تعالى الانقياد وخص له الخضوع كل من سواه لان كل ما عداه ممكن وكل ممكن لذاته فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه
فهو ذليل بين يدي قدرته خاضع لجلال قدرته في طرفي وجوده وعدمه عقلا كان او نفسا او روحا او جسما او جوهرا او عرضا او فاعلا او فعلا او
نظير الاية ولله يسجد من في السموات والارض فلا سبيل لاحد على الامتناع عن مراده طوعا او كرها وهما مصدران وقعا موقع الحال الا انهما
من جنس الفعل اي طائعين وكارهين كقولك اتاني ركضا اي راكضا ولو قلت اتاني كلاما اي متكلما لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان
فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها في غيره من الالام والمكاره التي تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضائه وقدره
واما الكافرون فينقادون في الدين كرها اي خوفا من السيف وعند الموت ونزول العذاب عن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل
الارض قول وذلك لان السفلي ينجذب بالطبع الى السفل فحمله نفسه على ما يخالف طبعه هو الكره وبلسان الصوفية من شاهد الجمال اسلم طوعا ومن
شاهد الجلال اسلم كرها فليس لاعتبار بذلك الاسلام الفطري بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبي واليه ترجعون اي الى حيث لا مالك سواه
ظاهرا او باطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم انه سبحانه لما بين اخذ الميثاق على الانبياء في تصديق كل رسول كان قبله
امر النبي بذلك ليعرف منه غاية اذعانه ونهاية استسلامه اما وجه التوحيد في قل فظ بناء على ما قلنا واما وجه الجمع في امنا فلتشريف امته
بانضمامهم معه في سلك الاخبار عن الايمان وليعلم ان هذا التكليف ليس من خواصه وانما هو لازم لجميع المؤمنين كقوله والمؤمنون كل امن
بالله وملائكته او لاجلال قدر نبيه حيث امره ان يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه اصل جميع العقايد ثم ذكر الايمان
بما انزل الله اليه لان كتب سائر الانبياء محرفة احوالها الا بالقرءان المنزل على محمد ثم ذكر الايمان بما انزل على مشاهير الانبياء اذ لا سبيل الى حصر الكل
لا سبيل الى معرفته
وفي ذلك تنبيه على سوء عقيدة اهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبياء فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا ورمز الى انهم ليسوا من الدين في شيء حيث خالفوا
مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى اخذ الميثاق على كل نبي ان يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور في تفسير قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين
فههنا قد اخذ الميثاق على محمد بان يؤمن بكل رسول كان قبله ولم ياخذ عليه الميثاق لمن ياتي بعده فيكون في الاية دليل على انه لا نبي بعده
واعلم ان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فيجوز ان يعدى تارة بعلى كما في هذه الاية وبحرف الانتهاء اخرى كما في البقرة فنطق القرءان بالعبارتين
جميعا وقيل عدى ههنا بالى لمكان قولوا فان الوحي ياتي الامة بطريق الانتهاء وعدى ههنا بعلى لمكان قل فان الرسول ياتيه الوحي بطريق الاستعلاء
وزيف في الكشاف بقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب وبقوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا والانصاف ان هذا القائل لم يدع ان هذه
المناسبة يجب اعتبارها في كل موضع وانما ادعى اعتبارها في الموضعين فيصلح حجة للتخصيص والله اعلم ونحن له مسلمون فائدة تقديم الجار
ان يعلم ان هذا الاذعان والايمان والاستسلام لا غرض فيه الا وجه الله دون شيء اخر من طلب المال والجاه بخلاف احبار اليهود الذين يشترون
بايات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام في شيء ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فماذا بعد الحق الا الضلال وهو في الاخرة
من الخاسرين حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون فقط عند اهل السنة ومع اصحاب الكبائر عند المعتزلة
وقد يستدل بالاية على ان الايمان والاسلام واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام كان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول
عند الله للاية وقد ذكرنا مرارا ان النزاع لفظي لان الاسلام ان اريد به الانقياد الكلي فلا فرق بينه وبين الايمان كما في هذه الاية وان اريد به



الاقرار وباللسان فالفرق بناء على ان الاعتقاد القلبي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ثم بين وعيد
من ترك الاسلام فقال كيف يهدي الله واختلف في سبب النزول ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا
بالنبي بعد ان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم بالبينات والمعجزات كفروا به بغيا وحسدا وعنادا
ولددا وفي رواية اخرى عنه نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم اخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى
التائب بقوله الا الذين تابوا وعن مجاهد قال كان الحرث بن سويد قد اسلم وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لحق بقومه وكفر فانزل الله هذه
الاية الى قوله فان الله غفور رحيم فحملهن اليه رجل من قومه فقراهن عليه فقال الحرث والله انك لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصدق
منك وان الله اصدق الثلثة ثم رجع فاسلم اسلاما حسنا قالت المعتزلة في الاية اصولنا تشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف
ووضع الدلائل والا لكان الكافر معذورا ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لم يهد هؤلاء الكفار فلا بد من تفسير الاية بشيء اخر سوى نصب
الدلائل قالوا فالمراد بهذه الهداية منع الالطاف التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم على ايمانهم كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقال والذين اهتدوا زادهم هدى او المعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقوله يهديهم ربهم بايمانهم تجري من
تحتهم الانهار وقال اهل السنة المراد بالهداية خلق المعرفة وقد جرت سنة الله في باب التكليف في دار العمل انه كل فعل يقصده العبد الى تحصيله
فان الله يخلقه عقيب قصد العبد فكانه تعالى قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر وارادوه وقال اهل التحقيق كيف يهدي
الله اليه قوما احتجبوا بالصفات الانسانية والطبائع الحيوانية عن الاخلاق الربانية وقوله وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل انه في
في تقدير ان امنوا كقوله تعالى فاصدق واكن ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد اي كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق وكيف ما كان
فمعنى الاية يؤل الى انه تعالى لا يهدي قوما كفروا بعد الايمان وبعد الشهادة بان الرسول حق في نفسه غير باطل ولا مما يسوغ انكاره بعد ان جاءتهم
الشواهد الدالة على صدقه من القران وغيره لكن الشهادة هو الاقرار باللسان فيكون المراد من الايمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف
مغايرا للمعطوف عليه والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين الشيء في غير موضعه ذلك ان الخصال الثلث اعني الايمان والشهادة ومشاهدة
المعجزات توجب مزيد الايمان بالنبي المبعوث في اخر الزمان فالكفر والعناد فيه دليل على ان ذلك العالم اقبح من ذلك الجاهل ولهذا صرح في اخر
الاية بانه تعالى لا يهديهم بعد ان عرض بذلك في اول الاية ثم اردفه بغاية الوعيد قائلا اولئك جزاؤهم الى قوله ولا هم ينظرون وقد مر مثله في البقرة
وهو تحقيق قول المتكلمين بان العذاب الملحق بالكافر مضرة خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم
ولا يكفي التوبة وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال واصلحوا اي باطنهم مع الحق بالمراجعات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات واظهروا
انا كنا على الباطل حتى لو اغتر بطريقتهم المنحرفة مغتر رجع عنها فان الله غفور في الدنيا بالستر رحيم في الاخرة بالعفو وغفور بازالة العقاب
رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر
الى كفره وهو المراد في الاية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل انهم اهل الكتاب امنوا بمحمد قبل مبعثه ثم كفروا به عند المبعث ثم ازدادوا
كفرا بسبب طعنهم فيه في كل وقت وانكارهم لكل معجز يظهر عليه الى غير ذلك من تخليطاتهم وتغليطاتهم وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا
بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقران وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وقيل نزلت في الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازديادهم
الكفر انهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة
في الكفر ثم انه تعالى حكم في الاية الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم تعالى في هذه الاية بعدم قبولها وهذا يوهم التناقض وايضا ثبت بالدليل ان التوبة
بشروطها مقبولة فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قال الحسن وقتادة وعطاء المراد بازدياد الكفر اصرارهم عليه فلا يتوبون الا عند حضور الموت
والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان وقيل هو محمول على
ما اذا تابوا باللسان لا عن الاخلاص قال القاضي والقفال وابن الانباري هي من تتمة قوله الا الذين تابوا يريد انه لو كفر بعد التوبة
الاولى فان التوبة الاولى لا تكون مقبولة وقيل لعل المراد ان التوبة من تلك الزيادة لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المزيد عليه قوله
ويحتمل ان يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين المصرين على الكفر مايتون على الكفر لما في
فعلهم من قساوة القلوب والافضاء الى الرين والانجرار الى الموت على حالة الكفر وفائدة هذه الكناية تصويرهم بصورة الايسين من الرحمة هذا
اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين اما على تقدير التعميم فنقول انما يجعل الموت على الكفر لازما لازدياد كفرهم لان القضية لا تكون
كلية فكم من مرتد ويهودي مزداد للكفر لا بمعنى الاصرار يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فاكتفى بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول
التوبة حتى يبرز الكلام في معرض الكناية ومن المعلوم انها ذكر اللازم وارادة الملزوم وانه لا بد للعدول من فائدة فصح ان يبين فائدة العدول على
وجه يصير القضية كلية وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الايسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال
واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف لاجل الياس من الرحمة وهذا هو الذي عول عليه في الكشاف والحاصل انه كانه قيل ان اليهود



المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا من حتمهم ان لا تقبل توبتهم واولئك هم الضالون الكاملون في الضلال ضلوا في تيه الاوصاف البهيمية والاخلاق
السبعية فلم يكادوا يخرجون منها بقدم الانابة واعلم ان الكافرين على ثلثة اقسام احدها الذي يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذي سيق
لاجله الاية التي دونها الاستثناء وثانيها الذي يتوب توبة فاسدة وهو المذكور في قوله لن تقبل توبتهم على وجه وثالثها الذي يموت على
الكفر من غير توبة فذكره في الاية الاخيرة وملء الشئ قدر ما يملاءه وذهبا نصب على التمييز وربما يقال على التفسير ومعناه ان يكون الكلام تاما
الا انه يكون مبهما كقولك عندي عشرون فهذا العدد معلوم والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسرت العدد ومعنى الفاء في فلن يقبل ان يعلم ان
الكلام مبني على الشرط والجزاء واذا ترك كما في الاية الاولى فلعدم قصد التسبب والاكتفاء بمجرد الحمل والوضع هذا ما قاله النحويون ومنهم صاحب
الكشاف وليت شعري انهم لو سئلوا عن تخصيص كل موضع بما خصص به فماذا يجيبون لعل ولعل عقيدتهم في امثال هذه المواضع انها من الاشياء
المتقلبة وهو وهم والسر في التخصيص هو انه لما قيد في الجملة الثانية انهم قد ماتوا على الكفر زيدت فاء السببية الجزائية تاكيد اللزوم وتغليظا في الوعيد
والله اعلم اما الواو في قوله فلو افتدى به فانها يشبه عطف الشئ على نفسه لانه كالمكرر فلهذا كثرت اقاويل العلماء فيه فقال الزجاج وابن الانباري
انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه قيل انها لبيان التفصيل بعد
الاجمال فان اعطاء ملء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفي القبول بجهة الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية و
يقبلون الفدية فاذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فعبر بنفي قبول الفداء عن شدة الغضب وقيل انه محمول على المعنى كانه قيل
فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا وقيل يجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله فلو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلامهم مثل ضربت ضرب زيد اي مثل ضربه ابو يوسف ابو حنيفة اي مثله كما انه يراد به في
نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا اي انت وذلك ان المثلين يقوم احدهما مقام الاخر في اغلب الامور فكانا في حكم شئ واحد فان قيل من المعلوم ان
الكافر لا يملك يوم القيمة شيئا وبتقدير ان يملك فلا نفع في الذهب هناك فما فائدة هذا الكلام فالجواب انه على سبيل الفرض والتقدير والذهب
كناية من اعز الاشياء والمراد انه لو قدر على اعز الاشياء وفرض ان في بذله نفعا للاخذ وان المبذول في غاية الكثرة لعجز ان يتوسل بذلك الى
تخليص نفسه من عذاب به ثم صرح بعقابهم ونفى من يشفع لهم فقال اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين قال اهل التحقيق ماتوا
اي ماتت قلوبهم اولئك لهم عذاب اليم بموت القلب وفقد المعرفة وما لهم من ناصرين على احياء القلب بنور المعرفة حسبي الله ونعم الوكيل

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم ۝ كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما

هرگز نرسید بنکوئی را تا که خرج کنید از آنچه که دوست میدارید و آنچه که خرج کنید از مال پس بدرستی که خدا بآن داناست همه خوردنیها بود حلال از برای بنی اسرائیل مگر آنچه

حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورىة قل فاتوا بالتورىة فاتلوها ان كنتم صادقين ۝ فمن افترى على الله الكذب

که حرام کرد اسرائیل بر خودش از پیش آنکه نازل شود توریة بگو ای محمد بیاورید توریة را پس بخوانید آنرا اگر بوده باشید راستگویان پس هر که دروغ بندد بر خدا

من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون ۝ قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين ۝ ان اول بيت وضع

پس از این پس آن گروه ایشانند ستمکاران بگو راستگو است خدا پس پیروی کنید دین ابراهیم را که پاکیزه است و نبود از مشرکان بدرستی که نخست خانه که بنا

للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ۝ فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا ولله على الناس

از برای مردم هر آینه آنست که در مکه است بابرکت و راه نماینده مر جهانیانرا در آن ایات روشن است جای ابراهیم و هر که درآید در ان میباشد آسوده و مر خدا راست بر مردم

حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين ۝ قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله

قصد خانه کعبه هر که بتواند بسوی او راهی و هر که کافر شود پس بدرستی که خدا بی نیازست از جهانیان بگو ای اهل کتاب چرا باز دارید از راه خدا

من امن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ۝ يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين

از آنکه گروید میطلبید در ان کجی را و شما گواهانید و نیست خدا بی خبر از آنچه میکنید ای زمره آنهائی که گرویده اید اگر پیروی کنید گروهی را از آنان که

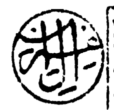
اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ۝ وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم

داده شده اند کتاب را برگردانند شما را پس از ایمانتان کافران و چگونه کافر شوید بخدا و حال آنکه خوانده شود بر شما ایات خدا و در شما پیغمبر اوست و هر که در آویزد

بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ۝ القراءة ان تنزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد حج البيت بكسر الحاء

بخدا پس بدرستی که راه نموده شده براه راست يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بفتحها الوقوف الجزو الرابع تحبون ط عليم

تنزل التورىة ط صادقين الظالمون حنيفا ط المشركين للعالمين ج لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا مقام ابرهيم ج للابتداء بالشرط
مع الواو ولان الامن من الايات امنا ط سبيلا ط العالمين بايات الله ط قد قيل والوجه الوصل لان الواو للحال تعملون شهداء ط تعملون
كافرين رسوله ط لتناهي الاستفهام الى الشرط مستقيم التفسير انه سبحانه لما ذكر ان الانفاق لا ينفع الكافر البتة علم المؤمنين كيفية الانفاق
الذي ينتفعون به في الاخرة وهو الانفاق من احب الاشياء اليهم وههنا لطيفة وهي انه سبحانه وتعالى جمع جوامع خصال الخير في قوله تعالى



ولكن البر من آمن بالله الآية وذكر في هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فالمعنى انكم وان اتيتم بكل الخيرات لم تفوزوا باجر
خصلة البر ولم تبلغوا حقيقتها حتى تكون نفقتكم من الاموال التي تحبونها وتؤثرونها وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه
لله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان لي حائطا بالمدينة يعني به رحى وهو احب اموالي الي اصدقه فقال عم بخ بخ ذاك مال
رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وروي انه جعلها بين حسان بن ثابت وابي بن
كعب وروي ان زيد بن حارثة جاء عند نزول الآية بفرس له كان يحبه وجعله في سبيل الله فحمل عليه رسول الله عم اسامة فوجد زيد في نفسه وقال
انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله عم اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم
فتحت مداين كسرى فلما راها اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ولم يصب منها وعن نزل بابي ذر
ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتك اليه فقال ان يوم
حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وفي تفسير البر قولان احدهما ما به يصيرون ابرارا ليدخلوا في قوله ان الابرار لفي نعيم ليكون المراد بالبر ما
يصدر منهم من الاعمال المقبولة المذكورة في قوله ولكن البر من آمن وجعلها التقوى لقوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون
والثاني الجنة اي تنالوا ثواب البر وقيل المراد بر الله اولياءه واكرامه اياهم من قول الناس برني فلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عني
قال تعالى ان تبروا وتقسطوا ومن في قوله مما تحبون للتبعيض نحو اخذت من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود بعض ما تحبون وفيه
ان انفاق كل المال غير مندوب بل غير جائز لمن يحتاج اليه والمراد بما تحبون قال بعضهم هو نفس المال لقوله تعالى وانه لحب الخير لشديد وقيل
هو ما يكون محتاجا اليه كقوله ويطعمون الطعام على حبه ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل هو اطيب المال وارفعها هو كل
كما روي عن ابن عباس اراد به الزكوة اي حتى تخرجوا زكوة اموالكم ويرد عليه انه لا يجب على المزكي ان يخرج اشرف امواله واكرمها وقال الحسن
ما انفقه المسلم من ماله يطلب به وجه الله ونقل الواحدي عن مجاهد والكلبي انها منسوخة باية الزكوة وضعف بان ايجاب الزكوة لا ينافي
الترغيب في بذل المحبوب لوجه الله ومن في شيء للتبيين يعني من اي شيء كان طيب او خبيث فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه او يعلم الوجه الذي
لاجله تنفقون من الاخلاص والرياء ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد عم وبعد توجيه الالزامات الواردة على اهل
الكتاب في هذا الباب اجاب عن شبهة للقوم وتقريرها من وجوه احدها انهم كانوا يقولون في انكار شرع محمد عم على انكار النسخ فارد عليهم
ان الطعام الذي حرمه اسرائيل على نفسه كان حلالا لابيه ثم صار حراما عليه وعلى اولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا ان
ذلك كان حراما من لدن آدم ولم يحدث نسخ فامر النبي بان يطالبهم باحضار التورية الزاما لهم وتفضيحا ودلالة على صحة نبوة محمد عم لانه كان اميا
فامتنع ان يعرف هذه المسئلة الغامضة من علوم التورية الا بخبر من السماء وثانيها ان اليهود قالوا له انك تدعي انك على ملة ابرهيم فكيف
تاكل لحم الابل والبانها وتفتي بحلها مع ان ذلك كان حراما في دين ابرهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا
ان يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكروا ذلك فامروا بالرجوع الى التورية وثالثها انه لما نزل
قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى غير ذلك من الآيات
الدالة على انه انما حرم عليهم كثير من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم غاظهم ذلك واشمأزوا وامتعضوا من قبل ان ذلك يقتضي وقوع النسخ
ومن قبل انه تسجيل عليهم بالبغي والظلم وغير ذلك من مساويهم فقالوا لسنا باول من حرمت هي عليه وانما هو قديم فنزلت كل الطعام اي
المطعومات كلها لدلالة لفظ كل على العموم وان كان لفظه مفردا سواء قلنا الاسم المفرد المحلى بالالف واللام يفيد العموم او لا والطعام اسم
لكل ما يطعم ويؤكل وعن بعض اصحاب ابي حنيفة انه اسم البر خاصة ويرد عليه ان المستثنى في الآية عن الطعام كان شيئا سوى الحنطة وما يتخذ
منها قال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحة لهم مع انها طعام وكذا القول في الخنزير فيحتمل ان يكون المراد الاطعمة التي كان يدعي اليهود
في وقت نبينا عم انها كانت محرمة على ابرهيم عم وعلى هذا يكون اللام في الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز والذل ولذا
استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم والوصف بالمصدر يفيد المبالغة واما الذي حرم اسرائيل على نفسه فروى ابن عباس
عن النبي عم ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام والشراب اليه لحمان
الابل والبانها وهذا قول ابي العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النساء فنذر ان شفاه الله ان لا ياكل شيئا من العروق وجاء
في بعض الروايات ان الذي حرمه على نفسه زوائد الكبد والشحم الا ما على الظهر وههنا سؤال وهو ان التحريم والتحليل خطاب الله تعالى فكيف صار
تحريم يعقوب سببا للحرمة فاجاب المفسرون بان الاطباء اشاروا اليه باجتنابه ففعل ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء
وايضا لا يبعد ان يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق في تحريم المرأة والجارية وايضا الاجتهاد جائز على الانبياء لعموم
فاعتبروا ولقوله في معرض المدح لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولان الاجتهاد طاعة شاقة فيلزم ان يكون للانبياء منها نصيب ولا
سيما ومعارفهم اكثر وعقولهم انور واذهانهم اصفى وتوفيق الله وتسديده لهم معهم ومن ثم اذا حكموا بالحكم بسبب الاجتهاد يحرم على الامة مخالفة

الا تحريم



في تلك الحكم كما ان الاجماع اذا انعقد عن الاجتهاد فانه يحرم مخالفته والاظهر ان ذلك التحريم ما كان بالنص لا لقليل الا ما حرم الله على
اسرائيل فلما انتسب الى اسرائيل دل على انه باجتهاده كما يقال الشافعي يحلل لحم الخيل وابو حنيفة يحرمه وقال الاصم لعل نفسه تتوق الى هذه الانواع
فامتنع من اكلها قهرا للنفس كما يفعله الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين انه يجوز من الله تعالى ان يقول لعبده
احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فلعل هذه الواقعة كانت من هذا الباب وفي معنى قوله من قبل ان تنزل التورية ان هذا الاستثناء انما كان
قبل نزول التورية اما بعده فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا الى آخر الآية ثم ان القوم
نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الله تعالى فامروا بالرجوع الى كتابهم كما سبق تقريره فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا فلزمت الحجة
عليهم وظهر اعجاز النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه فلهذا قال فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك الذي ظهر من الحجة الباهرة فاولئك هم الظالمون
الواضعون الباطل في موضع الحق والكذب في مقام الصدق والعناد في محل الانصاف وايضا ان تكذيبهم وافتراءهم ظلم منهم لانفسهم ولمن
يقتدي بهم من اشياعهم قل صدق الله في جواب الشبه الثلث وفيه تعريض بتكذيبهم فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن
تبعه حتى تتخلصوا من اليهودية التي فيها فساد دينكم ودنياكم حيث الجاءتكم الى تحريف كتاب الله لاغراضكم الفاسدة والزمتكم تحريم الطيبات
التي احلت لابرهيم ولمن يقتدي به وما كان من المشركين وفيه تنبيه على ان محمدا على دين ابرهيم في الفروع لما ثبت ان الذي حكم صلى الله عليه وسلم بحله حكم
ابرهيم بحله وفي الاصول لان محمدا وابرهيم كليهما لم يدعوا الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى خلاف اليهود والنصارى
وخلاف عبدة الاوثان والكواكب قوله سبحانه ان اول بيت وضع للناس قال مجاهد هو جواب عن شبهة اخرى لليهود وذلك انهم قالوا بيت
المقدس افضل من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وارض المحشر وقبلة الانبياء فكان تحويل القبلة منه الى الكعبة كالطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
ان الآية المتقدمة سيقت لجواز النسخ وان اعظم الامور التي اظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم نسخه هو القبلة فذكر عقيب ذلك ما لاجله حولت القبلة الى الكعبة
وقيل لما انجر الكلام في الآية المتقدمة الى قوله فاتبعوا ملة ابرهيم وكان الحج من اعظم شعائر ملته اردفها بفضيلة البيت ليفرع عليها
ايجاب الحج وقيل زعم كل من اليهود والنصارى انه على ملة ابرهيم فبين الله تعالى ما يدل على كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابرهيم
واهل الكتاب لا يحجون قالت العلماء الاول هو الفرد السابق فلو قال اول عبد اشتريته فهو حر فلو اشترى عبدين في المرة الاولى لم يعتق واحد
منهما لفقد قيد الفرد ولو اشترى في المرة الثانية عبدا واحدا لم يعتق ايضا لفقدان قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس انه جعل متعبدا لهم
وموضع طاعتهم يتوجهون نحوه من جميع الاقطار وليس كل اول يقتضي ان يكون له ثان فضلا ان يشاركه في جميع خواصه فلا يلزم
من كونه اول ان يكون بيت المقدس مثلا ثانيا له ولا مشاركا في وجوب الحج والاستقبال وغيرهما من الخواص ثم ان كونه اول بيت وضع للناس
يحتمل ان يكون المراد انه اول في البناء والوضع ويحتمل ان يكون المراد انه اول في الوضع وان كان متاخرا في البناء فلا جرم حصل فيه للمفسرين قولان الاول
انه اول في بنائه ووضعه جميعا روى الواحدي رحمه الله في البسيط باسناده عن مجاهد انه قال خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض بالفي سنة
وفي رواية اخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض وان قواعده لفي الارض السابعة السفلى وروى ايضا عن محمد بن
علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عن ابيه قال ان الله تعالى بعث ملائكة فقال ابنوا لي في الارض بيتا على مثال البيت المعمور وامر الله تعالى من في
الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق آدم وقد ورد في سائر كتب التفسير عن عبد الله بن عمر وابن مجاهد
والسدي انه اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض
تحته وعن الزهري قال بلغني انهم وجدوا في مقام ابرهيم ثلثة صفوح منها كان في الصفح الاول انا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس
والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفا وباركت لاهلها في اللحم واللبن وفي الثاني انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته
ومن قطعها قطعته وفي الثالث انا الله ذو بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه وويل لمن كان الشر على
يديه وقد يستدل على صحة هذا القول بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة الا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا
وجودها ولانه تعالى سماها ام القرى وهذا يقتضي سبقها على سائر البقاع ولان تكليف الصلوة كان ثابتا في اديان جميع الانبياء وايضا قال
تعالى في سورة مريم اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم الى قوله خروا سجدا وبكيا والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلتهم
غير الكعبة لم يكن هي اول بيت وضع للناس هذا خلف القول الثاني روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم
بيت المقدس فسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له هو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس
مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واعلم ان الغرض الاصلي من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة وترجيحه على بيت المقدس لا اثبات الاولية في البناء
وهذا المقصود وان كان لا يتم الا بثبوت تلك الاولية ايضا كما روينا آنفا وفي سورة البقرة ايضا من الاخبار والآثار فمن فضائل البيت ان
الآمر ببنائه الرب الجليل والمهندس جبرئيل والباني ابرهيم الخليل وتلميذه ابنه اسمعيل ومنها انه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات
ومصعد الصلوات والطاعات ومنها مقام ابرهيم كما يجيء ومنها قلة ما يجتمع من الحصى في الجمار فانه منذ الوف سنة يرمى في كل سنة خمسمائة

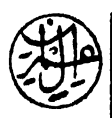


الف انسان كل واحد منهم سبعون حصاة ثم لا يرى هناك الا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي يرمى اليه الجمرات مسيل ماء ولا مهب رياح شديدة وقد جاء في الآثار ان من كانت حجته مقبولة رفعت جمرته الى السماء ومنها ان الطيور تترك المرور فوق الكعبة وتتحرف عنها البتة اذا وصلت الى محاذاتها ومنها ان الحيوانات المتضادة في الطبايع لا يؤذي بعضها بعضا كالكلاب والظباء ومنها امن سكانها فلم ينقل البتة ان ظالما هدم الكعبة او خرب مكة بالكلية واما بيت المقدس فقد هدمه بختنصر بالكلية وقصة اصحاب الفيل سوف تجيء في موضعها ان شاء الله العزيز ومنها انه تعالى وضعها بواد غير ذي زرع لفوائد منها انه قطع بذلك رجاء اهل حرمه وسدنة بيته عمن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله ومنها انه مع كونه كذلك يجبى اليه ثمرات كل شيء بدعوة خليله ابراهيم وانه من عظم الآيات ومنها ان لا يسكنها احد من الجبابرة لانهم يميلون الى الطيبات الدنيا فينبغي ذلك الموضع المنيف والمقام الشريف مطهرا عن لوث جود ارباب الحمم الدنية ومنها ان لا يقصدها الناس للتجارة بل يأتون لمحض العبادة والزيارة ومنها انه تعالى اظهر بذلك شرف الفقر حيث وضع اشرف البيوت في اقل المواضع نصيبا من الدنيا فكانه تعالى يقول جعلت الفقراء في الدنيا اهل البلد الامين لاجعلهم في الآخرة اهل المقام الامين ومنها كانه قيل كما لم اجعل الكعبة الا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا اجعل كعبة المعرفة الا في قلب خال عن محبة الدنيا للذي ببكة للبيت الذي ببكة قال في الكشاف هي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان نحو راتب وراتم وضربة لازم ولازب مما يعتقب فيه الميم والباء لتقارب مخرجيهما وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وفي الصحاح بكة اسم لبطن مكة واما اشتقاق بكة فمن قولهم بكه اذا زحمه ودفعه وعن سعيد بن جبير سميت لانهم يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر يصلي فيمر امرأة بين يديه فذهبت ادفعها فقال دعها فانها سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا تمر المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي ولا بأس بذلك في هذا المكان ويؤكد هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد لان التطاف هناك وفيه الازدحام ولا شك ان بكة غير البيت لان الآية تدل على ان البيت حاصل في بكة والشيء لا يكون ظرفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه واما مكة فاشتقاقها من قولك مك الفصيل ضرع امه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجذب الناس من كل جانب وقطر ولقلة مائها كان ارضها امتص ماءها وقيل ان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكان الارض كلها تمك من ماء مكة ثم انه تعالى وصف البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين وانتصابه فعلى الحال من الضمير المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه معنى الاستقرار واما معناه فالبركة اما النمو والتزايد كثرة الخير واما البقاء والدوام وكل شيء ثبت ودام فقد برك ومنه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة شبه الحوض لثبوت الماء فيها وتبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال والبيت مبارك لانه يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب قال صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ولو استحضر العاقل في نفسه ان الكعبة كالنقطة وصفوف المتوجهين اليها في الصلوات في اقطار الارض واكنافها ولعمري انها غير محصورة كالدوائر المحيطة بالمركز ولا شك انه يحصل فيما بين هؤلاء المصلين اشخاص ارواحهم علوية وقلوبهم قدسية واسرارهم نورانية وضمائرهم ربانية علم انه اذا توجهت تلك الارواح الصافية الى كعبة المعرفة واستقبلت اجسادهم هذه الكعبة الحسية اتصلت انوار اولئك الارواح بنوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية في سره قال القفال يجوز ان يكون بركته ما ذكر في قوله يجبى اليه ثمرات كل شيء فيكون كقوله الى الارض المقدسة التي باركنا فيها وان فسرنا البركة بالدوام فلا شك انه لا ينفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود واذا كانت الارض كرة وكان ان يفرض فانه صبح لقوم ظهر لآخرين وعصر لغيرهم ومغرب او عشاء فلا يخلو الكعبة عن توجه قوم اليها البتة وايضا بقاء الكعبة على هذه الحالة الوفا من السنين دوام واما كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم ومتعبدهم ولانه يدل على وجود الصانع وصدق محمد صلعم بما فيه من الآيات والاعاجيب او لانه هدى الى الجنة ومعنى هدى هاديا او ذا هدى قال الزجاج ويجوز ان يكون محله رفعا اي وهو هدى فيه آيات بينات يحتمل ان يراد بها ما عددنا من بعض فضائله ويكون قوله مقام ابراهيم غير متعلق بما قبله فكانه قيل فيه آيات بينات ومع ذلك فهو مقام ابراهيم وموضعه الذي اختاره وعبد الله فيه وقال الاكثرون ان الآيات هي بيانه وتفسيره قوله مقام ابراهيم اما بان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لانه معجز رسول وكل معجز ففيه دليل اي على علم الصانع وقدرته وارادته وحيوته وتعاليه عن مشابهة المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع كقوله ان ابراهيم كان امة واما بان يجعل المقام مشتملا على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانه بعض الصخرة دون بعض آية وابقاء هذا الاثر دون آثار سائر الانبياء آية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوفا من السنين آية قال الزجاج قوله ومن دخله كان آمنا من تتمة التفسير للآيات وهذه الجملة وان كانت من مبتداء وخبر او من شرط وجزاء الا انه في تقدير مفرد من حيث المعنى فكانه قيل فيه آيات بينات وامن من دخله كما لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا كان معناه فيه آية بينة امن من دخله وهذا التفسير بعد تصحيحه مبني على ان الاثنين جمع كما قال صلعم الاثنان فما فوقهما جماعة وفي القرآن هذان خصمان اختصموا وقيل ذكر آيتان وطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما ومنه قوله صلعم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة ومنهم من تمم الثلثة فقال مقام ابراهيم وامن من دخله ولله على الناس حجه وقال المبرد مقام مصدر فلم يجمع



والمراد مقامات ابرهيم هي ما اقامه من المناسك فالمراد بالآيات شعائر الحج وقرأ ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية
على التوحيد قال في الكشاف وفيه توكيد لكون مقام ابرهيم وحده بيانا واما حد من دخله فقد ذكر اختلاف العلماء وفيه في سورة
البقرة في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقيل كان امنا من النار لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة
امنا وعنه الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون
وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير
حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه
جهنم مسيرة مائتي عام ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ لما ذكر فضائل البيت ردفه بايجاب الحج وهما لغتان الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد وكلاهما
مصدر كالمدح والذم والذكر والعلم وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر ومحل ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ﴾ خفض على البدل من الناس والمعنى ﴿وَلِلَّهِ
عَلَى مَنِ اسْتَطَاعَ مِنَ النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ قال الفراء يجوز ان ينوي الاستئناف بمن والخبر او الجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فلله عليه حج البيت قال ابن الانباري يحتمل ان يكون محله رفعا على البيان كانه قيل من الناس الذين عليهم لله حج البيت فقيل
هم من استطاع والضمير في اليه للبيت او الحج واستطاعة السبيل الى الشيء هي امكان الوصول اليه واحتج اصحاب الشافعي بالآية على ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرايع لان الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان لا يصلح ان يكون معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الدهري مكلف بالايمان
بمحمد مع ان شرط صحة الايمان بمحمد غير حاصل والمحدث مكلف بالصلوة مع ان الوضوء الذي هو شرط صحة الصلوة ليس بحاصل واحتج جمهور المعتزلة بالآية على ان الاستطاعة
قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله التكليف المذكور وذلك باطل بالاتفاق اجابه الاشاعرة
بان هذا ايضا لازم عليكم لان القادر اما ان يكون مامورا بالفعل قبل حصول الداعي الى الفعل وهو محال لانه تكليف بما لا يطاق او بعد حصول
الداعي وح يكون الفعل واجب الحصول فلا يكون في التكليف به فائدة واذا كانت الاستطاعة منتفية في الحالين وجب ان لا يتوجه التكليف والحق ان
وجوب الفعل بالقدرة والارادة لا ينافي توجيه التكليف اليه واعلم ان الحج لا يجب باصل الشرع في العمر الا مرة واحدة لما روي عن ابن عباس قال
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقام اقرع بن حابس فقال افي كل عام يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو قلتها لوجبت
ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع وقد يجب اكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء ولصحة الحج على الاطلاق شرط واحد هو
الاسلام فلا يصح حج الكافر كصومه وصلوته ولا يشترط فيها التكليف بل يجوز للولي ان يحرم عن المجنون وعن الصبي الذي لا يميز وح يصح حجه
لما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بامرأة وهي في محفتها فاخذت بعضد صبي كان معها فقالت ألهذا حج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ولك اجر وعن جابر
قال حججنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم ولصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام وهو التمييز فلا يصح مباشرة
الحج من المجنون والصبي الذي لا يميز كسائر العبادات ويصح من الصبي المميز ان يحرم ويحج باذن الولي ولا يشترط فيها الحرية كسائر العبادات و
لوقوعه عن حجة الاسلام والمعنى فيه ان الحج عبادة عمر لا يتكرر فاعتبر وقوعها في حالة الكمال ولان التكليف تابع للتمييز فشرط هذا الحكم ان
يعود الى ثلثة الاسلام والتكليف والحرية ولو تكلف الفقير الحج وقع حجه عن الفرض كما لو تحمل الغني خطر الطريق وحج وكما لو تحمل المريض المشقة
وحضر الجمعة ولوجوب حجة الاسلام شرط زائد على الثلثة المذكورة انفا وهو الاستطاعة بالآية والاستطاعة نوعان استطاعة
مباشرة بنفسه واستطاعة تحصيله بغيره النوع الاول يتعلق بامور اربعة احدها الراحلة والناس قسمان احدهما من بينه وبين مكة
مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد راحلة سواء كان قادرا على المشي او لم يكن لما روي انه فسر استطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد
والراحلة نعم لو كان قادرا على المشي يستحب له ان لا يترك الحج وعند مالك القوي على المشي يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل
ايضا ان كان لا يستمسك على الراحلة ويلحقه مشقة شديدة ثم العادة جارية بركوب اثنين في المحمل فان وجد مؤنة محمل او شق محمل ووجد
شريكا يجلس في الجانب الاخر لزمه الحج وان لم يجد الشريك فلا والقسم الثاني من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشي لزمه الحج
والا فلا يجب الا مع الراحلة ومعها ومع المحمل كما في حق البعيد المراد بوجود الراحلة ان يقدر على تحصيلها ملكا او استيجارا بثمن المثل او باجرة
المثل وكذا في المحمل المتعلق الثاني الزاد واوعيته وما يحتاج اليه في السفر مدة ذهابه وايابه سواء كان له اهل وعشيرة يرجع اليهم او لا لحب
الوطن من الايمان وكذا الراحلة للاياب واجرة البذرقة كل ذلك بعد قضاء جميع الديون ورد الودايع ونفقة من يلزمه نفقتهم الى العود
ويعد مؤن النكاح ان خاف العنت وبعد مسكن ودست ثوب يليق به وخادم يحتاج اليه لزمانته او لمنصبه ولو كان له راس مال يتجر فيه وينفق
من ربحه ولو نقص لبطلت تجارته او كان له مستغلات يرتفع منها نفقته فالاصح عند الائمة انه يكلف بيعها لانه واجد للزاد والراحلة في الحال
ولا عبرة لخوف الفقر في الاستقبال المتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن الامن على النفس من نحو سبع من عدو والامن على المال
من عدو او رصدي وان رضي بشيء يسير والامن على البضع للمرأة بخروج زوج او محرم او نسوة ثقات وفي البحر يعتبر غلبة السلامة وفي البر وجود علف
الدابة المتعلق الرابع البدن ويشترط فيه ان يقوى على الاستمساك على الراحلة فان ضعف عن ذلك لمرض او غيره فهو غير مستطيع للمباشرة

مع ان شرط صحة الايمان بمحمد



بلا عوض من نائبه وعند ابي حنيفة لا حج عليه ويروى انه يستنيب قال الائمة لا بد مع الشرائط من امكان المسير وهو ان يبقى من الزمان بعد الاستطاعة
ما يمكنه المسير فيه الى الحج اكثر المعهود فان احتاج الى ان يقطع في يوم مرحلة او اكثر لم يلزمه الحج ولو خرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة
اهل بلده بالخروج فيه لم يلزمه الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلوة في وقتها فيجوز التراخي فان دامت الاستطاعة وتحقق الامكان
ولم يحج حتى مات عصى على الاظهر وان كان شابا وقال احمد ومالك وابو حنيفة في رواية انه على الفور حجة الشافعي ان فريضة الحج نزلت سنة
خمس من الهجرة واخره النبي صلى الله عليه وسلم من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع لقضاء العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث ابا بكر اميرا على الحاج سنة
تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين يوما واما النوع الثاني فهو الاستطاعة الاستنابة فانها جائزة في الحج وان كانت العبادات بعيدة
عن الاستنابة لان المحجوج عنه قد يكون عاجزا عن المباشرة بسبب الموت والكبر او زمانة او مرض لا يرجى زواله وعن ابن عباس ان رجلا جاء الى النبي
فقال يا رسول الله صلى ان اختي نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج افاحج عنها فقال لو كان على اختك دين اكنت قاضيه قال نعم قال فاقضوا حق الله
تعالى فهو احق بالقضاء عنه وان امرأة من خثعم قالت يا رسول الله ان فريضة الله تعالى على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك
على الراحلة افاحج عنه قال نعم وقد يكون الاستنابة بطريق الاستيجار لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستيجار كتفريق الزكوة وعند ابي حنيفة
واحمد لا يجوز ولكن يرزق عليه ولو استاجر كان ثواب النفقة للامر وسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق ان يقول حج عني
واعطيك نفقتك وهذا ايضا جائز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز ان يقول استاجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لا بد ان تكون
معلومة فهذه جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم
ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج وفي الاية انواع من التوكيد والتغليظ منها قوله وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ اي حق واجب
له عليهم لكونه الها فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها ام لم يعرفوا فان كثيرا من اعمال الحج تعبد محض ومنها بناء الكلام على الابدال
ليكون تثنية للمراد وتفصيلا بعد الاجمال وايرادا للغرض في صورتين تقريرا له في الاذهان ومنها ذكر من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ
ما فيه ولهذا قال رسول الله صلى من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونظيره قوله صلى من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها اظهار
الغنى وتهويل الخطب بذكر اسم الله دون ان يقول فانه او فاني فانه يدل على غاية السخط والخذلان ومنها وضع المظهر مقام المضمر حيث قال
عَنِ الْعَالَمِينَ ولم يقل عنه لانه تعالى اذا كان غنيا عن كل العالمين فلان يكون غنيا عن طاعة ذلك الواحد اولى ومن العلماء من زعم ان هذا الوعيد
عام في كل من كفر ولا تعلق له بما قبله ومنهم من حمله على اعتقاد عدم وجوب الحج ويؤكده ما روي عن سعيد بن المسيب انها نزلت في اليهود فانهم قالوا ان
الحج الى مكة غير واجب وعن الضحاك لما نزلت اية الحج جمع رسول الله صلى اهل الاديان الستة المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين
فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامن به المسلمون وكفرت به الملل الخمس وقالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزلت ومن كفر ومن الاحاديث
الواردة في تاكيد امر الحج قوله صلى حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر جانبه
ان يتعذر عليكم الذهاب الى مكة من جانب البر لعدم الامن او غيره وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة
الا نفقت اي هلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا اي يعجل عقوبتهم ويستاصلوا ثم انه سبحانه لاين اهل الكتاب في الخطاب
فقال قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ التي دلتكم على صدق محمد صلى بعد ظهور البينات ووضوح الشبهات او بعد معرفة فضيلة الكعبة
ووجوب الحج وَاللّٰهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ فيجازيكم عليه وهذه الحال توجب ان لا يجسروا على الكفر باياته ودلالتها على نبوة محمد صلى ثم انه تعالى لما
نكر عليهم في ضلالهم وبخهم على اضلالهم فقال لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ مَنْ آمَنَ قال المفسرون وكان صدهم عن سبيل الله القاء الشكوك
والشبهات في قلوب ضعفة المسلمين وانكارهم نعت محمد صلى في كتابهم ومنع من اراد الدخول في الاسلام بجهدهم وكيدهم او بتذكير ما كان بينهم
في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله ومحل تَبْغُونَهَا عِوَجًا نصب على الحال او بدل وهو بكسر العين الميل عن الاستواء في كل ما لا
يرى كالدين والقول واما الشيء الذي يرى فيقال فيه عوج بالفتح كالحائط والقناة ولهذا قال الزجاج العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان
وتبغون بمعنى تطلبون ويقتصر على مفعول واحد اذا لم يكن معها اللام مثل بغيت المال والاجر فان اريد تعديتها الى مفعولين زيدت اللام فالتقدير
تبغون لها عوجا كما تقول صدتك ظبيا اي صدت لك ظبيا والضمير عائد الى السبيل فانها تذكر وتؤنث والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم
ان فيها زيغا كقولكم ان النسخ يدل على البداء وان شريعة موسى باقية الى الابد وان محمدا ليس بذلك المنعوت في كتابنا والمراد انكم تتعبون انفسكم
في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم ويحتمل ان يكون عوجا حالا بمعنى ذا عوج وذلك انهم كانوا ابدا
اليهم انهم على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون سبيل الله ضالين وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل قال ابن عباس
او انتم تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد صلى او انتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم الامور يعني الاحبار
وفيه ان من كان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على الباطل والكذب والضلال ثم وعدهم بقوله وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ كقول السيد لعبده وقد
انكر طريقته لا يخفى علي سيرتك ولست بغافل عنك وانما ختم الاية الاولى بقوله وَاللّٰهُ شَهِيدٌ وهذه بقوله وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ لان ذلك فيما

والاضلال



اظهروه من الكفر بنبوة محمد (ص) وهذا فيما اضمروه وهو الصد بالاحتيال والقاء الشبهة وفي تكرير الخطاب في الآيتين بقوله يا أهل الكتاب توبيخ
لهم على توبيخ لهم على توبيخ بالطف الوجوه والين المقال لعلهم يتفكرون فينصرفون عن سلوك سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة و
يروى عن زيد بن اسلم وجابر انهما قالا ان شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين مر على نفر من الانصار من الاوس و
الخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا
قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل
وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين اوس بن قيظي
احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئت والله رددتها الآن جذعة وغضب
الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهي حرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا
عليها في الجاهلية واصطفوا للقتال فنزلت يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
الآيات فجاء النبي (ص) حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته فلما سمعوا صوته (ص) انصتوا له (ص) وجعلوا يستمعون فلما فرغ القوا السلاح
وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفي رواية زيد بن اسلم خرج اليهم رسول الله فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها
نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله (ص) سامعين مطيعين فانزل الله
عز وجل الآيات قال قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع اكره الينا من رسول الله (ص) فاومى الينا بيده وكففنا واصلح الله ما بيننا
فما كان شخص احب الينا من رسول الله (ص) فما رأيت يوما اقبح ولا اوحش ولا احسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون استفهام
بطريق الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول (ص) في كل واقعة وبين اظهركم رسول الله
يبين لكم كل شبهة ويزيح عنكم كل علة ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلال عين ولا اثر فعليكم ان لا تلتفتوا الى قول المخالف وترجعوا في
ما يعن لكم الى الكتاب والنبي (ص) قلت اما الكتاب فانه باق على وجه الدهر واما النبي (ص) فان كان قد مضى الى رحمة الله في الظاهر ولكن نور سره باق
بين المؤمنين فكانه باق على ان عترته (ص) وورثته يقومون مقامه بحسب الظاهر ايضا ولهذا قال (ص) اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا
كتاب الله وعترتي وقال ان العلماء ورثة الانبياء اللهم اجعلنا من ورثتهم بعصمتك وهدايتك وفي هذا بشارة لهذه الامة انهم لا يضلون ابدا الى
يوم القيمة ثم بين ان الكل بعصمة الله وتوفيقه فقال ومن يعتصم بالله يتمسك بدينه ويلتجئ اليه في دفع شرور الكفار فقد هدي الى صراط مستقيم
والاعتصام الاستمساك بالشيء في منع نفسه من الوقوع في آفة اما المعتزلة فحيث لم يجعلوا الاعتصام بخلق الله وهدايته بل قالوا انه بفعل
العبد اولوا الآية بان المراد بالهداية الزيادة في الالطاف المترتبة على اداء الطاعات او المراد الهداية الى الجنة قال في الكشاف فقد هدي اي
فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم
بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده انتهى ولنا تأويل لن تنالوا البر وهو صفة الله حتى تنفقوا احب الاشياء اليكم وهو انفسكم
ان الفراش لا ينال من نار الشمع وهو شعلته حتى ينفق ما احبه وهو نفسه كل الطعام كان حلا الخلق ثلثة اصناف الملك النوراني العلوي
وغذاؤه الذكر وخلق للعبادة والحيوان الظلماني السفلي وغذاؤه الطعام وخلق للخدمة والانسان المركب من القبيلتين وغذاؤه روحانية
الذكر وجسمانية الطعام وخلق للمعرفة والخلافة وهذا الصنف على ثلثة اقسام منهم ظالم لنفسه وهو الذي بالغ في غذاء جسمانيته وقصر في
غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت نفسه اولئك كالانعام بل هم اضل ومنهم مقتصد وهو الذي تساوى طرفاه خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي بالغ في غذاء روحانيته وهو المذكور وفرط في غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه
وقوي روحه اولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلا للانسان كالعيون الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس
وحيوة القلب واستيلاء الروح من قبل ان ينزل الوحي والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فمن افترى على الله الكذب بان يريد ان يهتدي الى الحق من غير جهاد النفس قل صدق الله في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا فاتبعوا
ملة ابرهيم وكان من ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم الولد للقربان وما كان من المشركين الذين يتخذون
مع الله خليلا آخر ان اول بيت وضع للناس سر لا الله لانه غني عن العالمين وان انموذج بيت الله في الانسان وهو العالم الصغير القلب
الذي وضع ببكة صدر الانسان مباركا وهدى يهتدي به جميع اجزاء وجوده الى الله بجوده فان النور الالهي اذا وقع في القلب ينفسح له وانشرح فبه
يسمع وبه يبصر وبه يعقل وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن فيه آيات بينات يصل بها الطالب الى مطلوبه والقاصد الى مقصوده
منها مقام ابرهيم وهو الخلة التي توصل الخليل الى خليله ومن دخله يعني مقام ابرهيم ببذل المال والنفس والولد لرضا خليله كان آمنا
من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم اخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الخليل ان استطاع اليه السبيل وذلك بان وجد شرائط السلوك وامكانه

وآداب السير وكانه منها الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن الثياب والمألوفات والتطهير عن الاخلاق المذمومة والتوجه الى فاطر الارض والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ومنها الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف بالخروج عن الاطوار البشرية السبعية بالاطواف الستة حول الكعبة الربوبية ومنها السعي بين صفاء الصفات ومروة الذات ومنها الحلق بمحو آثار العبودية بموسى انوار الالهية وقس سائر المناسك على هذا ومن كفر بعد ان الحق ولا يتعرض لنفحات الالطاف ولا يترقب لجذبات الاعطاف التي توازي عمل الثقلين وهي الاستطاعة في الحقيقة فان الله غني عن العالمين لا يستكمل هو منهم وانما يستكملون منه قل يا اهل الكتاب الخطاب معهم بالطنة مع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون وما العصمة عن الهوى الا منه تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا

ای زمره آنان که گرویده اید بپرهیزید خدا را سزاوار ترسیدن و میرید مگر آنکه شما مسلمانان باشید و در آویزید برشته خداوندی همه و پراکنده

تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ

نشوید و یاد آورید نعمت خدا را بر شما چون بودید دشمنان پس دوستی انداخت در میان دلهای شما پس صبح شدید بنعمت او برادران و بودید بر لب گودی

مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

جهنم پس نجات داد شما را از آن اینچنین ظاهر میکند خدا از برای شما آیات خود را شاید که راه یابید و باید که باشد از شما گروهی که بخوانند بسوی نیکی و امر کنند

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ

بنیکی و نهی کنند از ناخوشنود و آن گروه ایشانند رستگاران و نباشید چون آنان که پراکنده شدند و اختلاف کردند پس از آنکه آمد ایشان

الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ

گواهان و آن گروه مر ایشانراست عذاب بزرگ در روزی که سفید شود روها و سیاه شود روها پس اما آنها که سیاه است روهاشان گویندشان که آیا کافر شدید

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

پس از ایمانتان پس بچشید عذاب را بجهة آنکه کافر شدید و اما آنها که سفید است روهای ایشان پس در رحمت خدایند یعنی بهشت ایشان در آن جاویدان

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ

هست آیات خدا که میخوانیم آنرا بر تو براستی و نیست خدا که بخواهد ستم را از برای جهانیان و مر خدا راست هرچه در آسمانها و هرچه در زمین است و

إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

ع٣

بسوی خداست بازگشت کارها بودید شما بهترین گروهی بیرون آورده شده از برای مردمان که امر میکردید بنیکوئی و نهی میکردید از بدی و ایمان آوردید بخدا

وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ

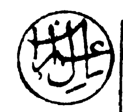
و اگر گرویدندی اهل کتاب هر آینه بهتر بود مر ایشانرا برخی از ایشان مؤمنانند و بیشتر ایشان فاسقانند ضرر نرسانند شما را مگر آزاری کم و اگر کارزار کنند با شما

يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ

برگردانند بشما پشت پس یاری کرده نشوند

القراءة حق تقاته بالامالة علي ولا تفرقوا بتشديد التاء البزي وابن فليح الوقوف مسلمون ولا تفرقوا لعطف المتفقين اخوانا ج لاحتمال الواو للحال والاستيناف منها ط تهتدون المنكر ط للعدول المفلحون البينات ط عظيم لا لتعلق الظرف بلهم على الاصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود ضه وجوه ج اسودت وجوههم ز لان التقدير فيقال لهم اكفرتم تكفرون ففي رحمة الله ط خالدون بالحق ط للعالمين ما في الارض ط الامور وتؤمنون بالله ط خيرا لهم ط الفاسقون قيل لا وقف عليه وقفة لان المعرف لا يتصف بالجملة الا اذى ط والادبار وقفة لان ثم لترتيب الاخبار اي ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا لكان ثم لا ينصروا التفسير انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار امرهم في هذه الآيات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فاولها لزوم سيرة التقوى عن ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وهو ان يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى او هو القيام بالمواجب كلها والاجتناب عن المحارم باسرها وان لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او الوالدين والاقربين شق ذلك على المسلمين فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم والجمهور على انها غير منسوخة لان معنى حق تقاته واجب تقواه كما يحق ان يتقي وهو ان يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز ان ينسخ والا كان اباحة لبعض المعاصي ولا يجوز ان يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف كالصادر على سبيل الخطاء والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فعلى هذا لا يبقى فرق بين الآيتين لناصر القول الاول ان يقول ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون كمال قهره وقدرته وعزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق الاتقاء واذا كان كذلك فيجوز ان يؤمر بالاتقاء الاغلظ والاخف ثم ينسخ الاغلظ ويبقى الاخف ونزول هذه بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع ولا تموتن الا وانتم مسلمون ليس نهيا عن الموت وانما نهي عن ان يدركهم الموت على خلاف حال الاسلام وقد مر في البقرة مثله ثم انه تعالى امرهم بما هو كالاصل لجميع الخيرات في صلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك بدين الله والاتفاق على اعلاء كلمته فقال واعتصموا

بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعاً حال كونهم مجموعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلاً لاستظهاره به ووثوقه بعنايته بامساك المتدلّى على مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه لان وجه الشبه صفة غير حقيقى ومنتزع من عدة امور ويجوز ان يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه بالعهد بناء على ان فى الكلام تشبيهين فيجوز ان يفرض الاستعارة فى الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحاً لها والحاصل ان طريق الحق دقيق والسائر عليه غير مأمون ان يزلّ قدمه على الجادة فيراد بالحبل ههنا ما يتوسل به الى الثبات على الحق وانكانت عبارات المفسرين مختلفة فعن ابن عباس هو العهد كما يجيء اِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللّٰهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وقيل انه القرآن كما روى عن على بن ابيطالب عن النبى انه قال اما انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروى ابن مسعود عن النبى هذا القرآن حبل الله وعن ابى سعيد الخدرى عن النبى انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل متين ممدود من السماء الى الارض وعترتى اهل بيتى وقيل انه دين الله وقيل انه طاعة الله وقيل اخلاص التوبة وقيل الجماعة لقوله تعالى عقيب ذلك وَلَا تَفَرَّقُوا لان الحق لا يكون الا واحداً وَمَا بَعْدَ الْحَقِّ اِلَّا الضَّلَالُ ويد الله مع الجماعة قال ستفترق امتى على نيف وسبعين فرقة الناجى منهم واحدة فقيل ومن هم يا رسول الله قال الجماعة وروى السواد الاعظم وروى ما انا عليه واصحابى وقال لا تجتمع امتى على الضلالة وقد يتمسك بالآية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية ان احتيج فيها الى الدلائل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلائل الظنية فالقول بجواز القياس لكل احد يوجب التفرق والاختلاف وهو منهى عنه واجيب بان الدلائل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله وَلَا تَفَرَّقُوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمته عليهم فى ذلك انهم كانوا فى الجاهلية بينهم الاحن والبغضاء والحروب المتطاولة فالّف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخواناً فى الله متراحمين متناصحين ذلك ان من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومناقشة بسبب الاغراض الدنيوية اما العارف الناظر من الحق الى الخلق فانه يرى الكل اسيراً فى قبضة القضاء فلا يعادى احداً البتة لانه مستبصر بسرّ الله فى القدر فاذا امر بروق ناصح لا بعنف معيّر وكان نحبه لله محبة ونظرته فى الدين ورفقائه فى طلب اليقين اشد من حب الوالد لولده فكانوا كالاقربين فى الاخوان بل كجسد واحد كنفس واحدة وقيل يريد الاخوان فى النسب وفى ذلك ان الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام وكان بينهما العداوة والحروب وبقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والّف بينهم برسول الله فذكرهم الله تعالى تلك النعمة وفيه دليل على ان المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام انما حصلت من الله تعالى حيث خلق فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبى ان ذلك بالهداية والبيان والتحذير والمعونة والالطاف لا بخلق الفعل واجيب بان كل هذا كان حاصلاً قبل ذلك فاختصاص احد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لا بد ان يكون لامر زائد على ما ذكرتم هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله وَكُنْتُمْ عَلٰى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَاَنْقَذَكُمْ مِنْهَا وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ومنه يقال اشفى على الشيء اذا اشرف عليه كانه بلغ شفاه اى حده وطرفه وانقذه واستنقذه خلصه ونجاه والضمير فى منها للحفرة او للنار او للشفا اما لانه فى معنى الشفة واما لاضافته الى الحفرة وهو بعضها كقوله كما شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ قال بعضهم الشفة اصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال ولذلك قال نوح عليه السلام ليس بى ضلالة لما قال له قومه اِنَّا لَنَرٰيكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ اى ليس فىّ صغير من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الآية انكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم تشبيهاً لها بالحفرة التى فيها النار وتمثيلاً لحيوتهم التى يتوقع بعدها الوقوع فى النار بالقعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحيوة وان طالت كانه ليس بين الحيوة وبين الموت المستلزم للوقوع فى الحفرة الا ما بين طرف الشيء وبين ذلك الشيء قالت المعتزلة معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بالرسول وسائر الالطاف حتى آمنوا وقال اهل السنة جميع الالطاف مشتركة بين المؤمن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذى انقذ نفسه من النار لكن الآية دلت على ان الله تعالى هو المنقذ فعلم ان خالق افعال العباد هو الله تعالى كَذٰلِكَ مثل ذلك البيان البليغ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ارادة ان تزدادوا هدى او لتكونوا على رجاء هداية فالاول قول المعتزلة والثانى لاهل السنة وقد مرّ نحوه اول سورة البقرة ثم رغب المؤمنين الكاملين فى تكميل غيرهم فقال وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ اُمَّةٌ يَدْعُونَ اِلَى الْخَيْرِ وهو جنس تحته نوعان الترغيب فى فعل ما ينبغى والكف عما لا ينبغى من محرماته ومكروهاته فلذا اتبعه النوعين زيادة فى البيان فقال وَيَاْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ واختلفوا فى ان كلمة من فى قوله مِنْكُمْ للتبيين او للتبعيض فذهب طائفة الى انها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه كيف لا وقد وصفهم الله تعالى بذلك فى قوله كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَاْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فهذا كقولك لفلان من اولاده جند وللامير من غلمانه عسكر تريد جميع الاولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان واجباً على الكل الا انه متى قام به بعض سقط عن الباقين كسائر فروض الكفايات وقال آخرون انها للتبعيض اما لان فى القوم من لا يقدر على الدعوة وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كالنساء والمرضى والعاجزين واما لان هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر فى اقامتهما وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ فى موضع اللين ويلين فى موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تمادياً وايضاً فقد اجمعنا على ان ذلك واجب على الكفاية فكان هذا ايجاباً



ايجابا على البعض الذي يقوم به ثم ان نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب واعلم ان الامر بالمعروف على ثلثة اضرب احدها ما يتعلق
بحقوق الله تعالى وهو نوعان احدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الجمعة حيث يجتمع شرائطها فانه ان تواعدوا يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب
لا يراه فلا يأمرهم بما لا يجوزه ولا ينهاهم عما يرونه فرضا عليهم ويأمرهم بصلوة العيد الثاني ما يؤمر به الافراد كما اذا اخر بعض الناس الصلوة
عن الوقت فان قال نسيتها حثه على المراقبة ولا يعترض على من اخرها والوقت باق وثانيها ما يتعلق بحقوق الآدميين وينقسم الى عام كالبلد اذا
تعطل شربه او انهدم سوره او طرقه ابناء السبيل المحتاجون وتركوا معونتهم فان كان في بيت المال مال لم يؤمر الناس بذلك وان لم يكن
امروا والمكنة بوغايتها والى خاص كمطل المديون الموسر بالدين فالمحتسب يأمره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين وليس له الحبس وثالثها
الحقوق المشتركة كامر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء احكام العدد واخذ السادة بحقوق الارقاء وارباب البهائم بتعهدها وان لا
يستعملوها فيما لا تطيق ومن يغير هيئات العبادات كالجهر في الصلوة السرية وبالعكس او تزيد في الاذان يمنعه وينكر عليه ومن يتصدى
للتدريس والوعظ وهو ليس من اهله ولم يؤمن اغترار الناس به في تأويل وتحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر امره لئلا يغتر به واذا راى رجلا
واقفا مع امرأة في شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان في طريق خال فهو موضع ريبة فينكر ويقول ان كانت ذات محرم فصنها عن
مواضع الريب وان كانت اجنبية فخف الله معها في الخلوة ولا ينكر في حقوق الآدميين كتعدي الجار في جدار الجار الا باستعداء صاحب الحق
وينكر على من يطيل الصلوة من ائمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا حجبوا الخصوم وقصروا في النظر في الخصومات والسوقي المختص
بمعاملة النساء يختبر امانته فان ظهرت منه خيانة منع من معاملتهن وبالجملة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق فلينظر الداعي الى الخير في حال كل مكلف وغير مكلف حتى الصبيان ليتمرنوا والمجانين كيلا يضروا وليعود
الى ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب في الامر والانكار كل ذلك ايمانا واحتسابا لا سمعة ورياء ولا لغرض من الاغراض النفسانية
والجسمانية وذلك ان هذه الدعوة منصب النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين بعده ومن هنا ذهب الضحاك الى ان المراد من المذكورين في هذه الآية
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يتعلمون من الرسول ويعلمون الناس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه
وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن علي افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنأ الفاسقين غضب الله له
وكفى بقوله تعالى واولئك هم المفلحون اي الاختصاص بالفلاح مدحا لهم وقد يتمسك بهذا في ان الفاسق ليس له ان يأمر بالمعروف وينهى
عن المنكر لانه ليس من اهل الفلاح واجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر ان الامر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يشرع فيه الا بعد
اصلاح احوال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير وقلما يتفق ممن يزني بامرأة ان يأمرها بالمعروف في انها كشفت عن وجهها قال
بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهي عنه والنهي عن ارتكاب المنهي واجبان على الفاسق فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن
بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال وايّنا يفعل ما يقول ودّ
الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق في هذه القضية ما قيل : وغير تقي يأمر الناس بالتقى * طبيب
يداوي الناس وهو مريض : والقرآن ينعي عليهم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون أتأمرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم وقد سلف تقريره في البقرة وعن داود الطائي انه سمع صوتا من قبر المارك الواصل الى اصحابه افعل كذا وكذا اجيب بلى
يا عدو الله لكن انك اذا خلوت بارزتني بالمعاصي لم تراقبني قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا في النظم وجهان احدهما انه تعالى ذكر في الآيات
المتقدمة انه بين في التوراة والانجيل ما يدل على صحة دين الاسلام ثم ان اهل الكتاب حسدوا فاحتالوا لالقاء الشكوك في تلك النصوص
ثم انجر الكلام الى امر المؤمنين بالدعاء الى الخير فختم الكلام بتحذير المؤمنين من مثل فعل اهل الكتاب من القاء الشبهات في النصوص واستخراج
التأويلات الفاسدة فعلى هذا يكون الآية من تتمة الآيات المتقدمة وثانيهما انه لما امر الامة بالمعروف ونهى عن ضده وكان ذلك مما لا يتم
الا بقدرة على تنفيذه كيف وفي الناس ظلمة ومتغلبون فلا جرم حذر اهل الحق ان يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام
بهذا التكليف وعلى هذا يكون الآية من تتمة الآية السابقة فقط قال بعضهم تفرقوا واختلفوا مؤداهما واحد والتكرير للتاكيد وقيل
معناهما مختلف تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين او تفرقوا بسبب التأويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بان حاول كل منهم نصرة
قوله او تفرقوا بابدانهم بان صار كل من الاحبار رئيسا في بلد واختلفوا بان صار كل منهم يدعي انه على الحق وصاحبه على الباطل ولعل الانصاف
ان اكثر علماء الزمان بهذه الصفة فنسئل الله العصمة والسداد واولئك اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءهم الدلالات
الواضحة والنصوص الظاهرة او اولئك الذين اقتفوا آثارهم من مبتدعة هذه الامة لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وفي
تعليق الظرف بقوله لهم فائدتان احدهما ان ذلك العذاب في هذا اليوم والاخرى ان من حكم هذا اليوم ان يبيض بعض الوجوه ويسود بعضها
ونظير ذلك في القرآن وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه عليها غبرة ترهقها قترة وفي امثال هذه الالوان قولان احدهما
واليه ميل ابي مسلم ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ولما سلم

وبغضب الله

نا.فسيرين صح



الحسن بن علي الا معاوية فقال له رجل يا مسود وجوه المؤمنين وتمام الخبر سوف يجيء ان شاء الله في تفسير سورة القدر ولبعض الشعراء في الشيب بابياض
القرون سودت وجهي عند بيض الوجوه سود القرون وثانيهما ان السواد والبياض محمولان على ظاهرهما وهما النور والظلمة اذ الاصل في الاطلاق
الحقيقة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل
ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكمده واسودت صحيفته واحاطت به الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة في ذلك ان يعرف اهل الموقف كل صنف
فيعظمونهم او يصغرونهم بحسب ذلك ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرور او ويل وثبور وايضا اذا عرف المكلف في الدنيا انه يحصل له في الاخرة احد
الحالتين ازداد رغبة في الطاعات وترك المحرمات قلت والتحقيق فيه ان الهيئات والاخلاق الحميدة انوار والملكات والعادات الذميمة
ظلمات وكل منهما لا يظهر اثارهما كما هي الا بعد المفارقة في الاخرة انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واحتج اهل السنة
بالاية على ان المكلف اما مؤمن واما كافر وانه ليس ههنا منزلة بين المنزلتين لانه قسم اهل القيامة الى قسمين مبيض الوجوه وهم المؤمنون
ومسودها وهم الكافرون كقوله تعالى في اخر الاية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واعترض القاضي عليه بان عدم ذكر القسم الثالث لا
يدل على عدمه وايضا لفظ وجوه نكرة فلا يفيد العموم وايضا المذكور في الاية هم المؤمنون والذين كفروا بعد الايمان ولا شبهة ان الكافر الاصلي
من اهل النار مع انه غير داخل تحت هذين القسمين فكذا القول في الفساق والجواب لم لا يجوز ان يكون المراد ان كل احد اسلم وقت استخراج
الذرية من صلب ادم فيكون الخطاب لجميع الكفار وانه ايضا جعل موجب العذاب في اخر الاية هو الكفر من حيث انه كفر لا الكفر من حيث انه بعد
الايمان فان قيل لم قدم البياض على السواد اولا وعكس اخرا فالجواب بعد تسليم افادة الواو الترتيب انه بدأ بذكر اهل الثواب وختم بهم ايضا تنبيها على ان ارادة
الرحمة اكثر من ارادة الغضب كما قال سبقت رحمتي غضبي ولما في ذلك من رعاية حسن المطلع والمقطع فانه فن بديع في الفصاحة ومن المراد
بالذين كفروا بعد ايمانهم قال ابي بن كعب هم جميع الكفار لانهم امنوا وقت الميثاق ورواه الواحدي في البسيط باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد
اكفرتم بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو ما نصبه الله من الدلائل على التوحيد والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج انهم اهل الكتاب امنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وكفروا به بعد بعثته وقال قتادة انهم المرتدون وقال الحسن هم المنافقون وقيل هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين
كما يمرق السهم من الرمية ولما راى ابو امامة رؤساء منصوبة على درج مسجد دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم
السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برايك ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من
رسول الله ولو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلاثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام
فكفروا ثم قرا هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم هذا مما اخرجه الامام ابو عيسى الترمذي في جامعه ولكن
المشهور من مذهب اهل السنة ان الخروج على الامام لا يوجب الكفر البتة والاستفهام في قوله تعالى اكفرتم بمعنى الانكار قال القاضي وفيه
وكذا في قوله بما كنتم تكفرون دليل على ان الكفر منهم لا من الله فالحيثية فيه دلالة على ان العذاب لا يكون الا للكافر اما قوله ففي رحمة الله
فالمراد بها الجنة التي هي محل الرحمة وموقع قوله هم فيها خالدون موقع الاستئناف كانه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك اي لا يظعنون عنها
ولا يموتون وفي اقامة الرحمة مقام الجنة دليل على ان العبد وان كثرت طاعته فانه لا يدخل الجنة الا بفضل الله وبرحمته وفي اضافة
الرحمة الى نفسه وتعليل العذاب بكفرهم والنص على خلود اهل الثواب دون اهل النار وان كانوا مخلدين ايضا لامل واشارات الى ان جانب
العفو والمغفرة والرحمة مغلب كيف لا وقد اردفه بقوله تلك الاحكام التي وردت في خبر الوعيد والوعد وانقضى ذكرها تلك آيات الله نتلوها
عليك متلبسة بالحق العدل من جزاء المحسن باحسانه وجزاء المسيء باساءته او متلبسة بالمعنى الحق لان معنى المتلو حق وما الله يريد ظلما
للعالمين ولكن مصالح الخلق لا ينتظم الا بتهديد المذنبين واذا حصل التهديد فلابد من التحقيق دفعا للكذب عمن هو اصدق القائلين
قال الجبائي قوله ظلما نكرة في سياق النفي فوجب ان لا يريد شيئا مما يكون ظلما سواء فرض منه او من العبد على نفسه او على غيره واذا لم يرد
لم يفعل اذ لو كان فاعلا لشيء من الاقسام الثلاثة كان مريدا له هذا خلف فثبت بهذه الاية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد
اذ من جملتها القبائح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح بانه لا يريد ذلك والتمدح انما يصح لو صح منه فعل ذلك الشيء وصح منه كونه مريدا
له فدلت الاية على انه قادر على الظلم وعلى ان يمنع من الظلم الظلمة على سبيل الالجاء والقهر فلهذا قال ولله ما في السموات وما في الارض وايضا
لما ذكر انه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح للجهل او العجز او الحاجة وكل ذلك على الله تعالى محال لانه مالك
لكل ما في السموات وما في الارض بل لكل ما في الوجود وربما يقال معنى الاية اما ان يكون انه لا يريد ان يظلمهم او انه لا يريد ان يظلم بعضهم
بعضا والاول لا يستقيم على مذهبكم لان من مذهبكم انه تعالى لو عذب البريء من الذنب اشد العذاب لم يكن ظالما بل كان عادلا لان الظلم
تصرف في ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف في ملك نفسه فتصور الظلم منه محال عندكم فلا يلزم منه مدح والثاني ايضا محال على قولكم لان كل
بارادة الله وبتكوينه عندكم فثبت انه لا يمكن حمل الاية على وجه صحيح في مذهبكم اجاب اهل السنة من وجهين الاول انه لا يتوقف التمدح
صفة على امكان تصور ذلك الشيء منه بدليل قوله لا تأخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم فانه لا يتوقف التمدح بذلك على صحة النوم

والاكل عليه الثاني انه تعالى لن عذب من ليس يستحق الظلم لم يكن ظالما لكنه في صورة الظلم وقد يطلق اسم احد المتشابهين على الآخر كقوله وجزاء
سيئة مثلها والحق في هذا المقام ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه واذا كان اللطف والقهر من ضروريات صفات الكمال فوضع كل منهما في
مظهره يكون وضع الشيء في موضعه فلا يكون ظلما واحتجت الاشاعرة بقوله ولله ما في السموات وما في الارض على ان افعال العباد مخلوقة
لله تعالى لانها من جملة ما في السموات وما في الارض اجابت المعتزلة بان قوله لله اضافة فعل كما يقال هذا البناء لفلان يراد انه مملوكه لا انه مفعوله
وايضا الاية مسوقة في معرض المدح ولا مدح في نسبة الفواحش والقبائح الى نفسه وايضا قوله ما في السموات وما في الارض يتناول ما كان ظرفا
لهما وذلك من صفات الاجسام لا من صفات الافعال التي هي اعراض وعورض بان الاضافة اضافة فعل لان المؤثر في حصول فعل العبد هو
مجموع القدرة والداعية المنتهية الى تخليق الله دفعا للتسلسل والترجيح من غير مرجح قالت الحكماء تقديم السموات في الذكر على الارض دليل
على ان جميع الاحوال الارضية مستندة الى الاسباب السماوية ولا شك ان الاحوال السماوية مستندة الى خلقه وتكوينه تعالى فيكون الجبر
لازما من هذا الوجه والى الله اي الى حكمه حيث لا مالك سواه ترجع الامور فالاول اشارة الى انه تعالى مبدأ المخلوقات كلها وهذا اشارة الى
معاد الكل اليه قوله عز من قائل كنتم خير امة في النظم وجهان احدهما انه لما امر المؤمنين بما امرهم ونهاهم عما نهاهم عدل الى طريق آخر يقتضي حملهم على
الانقياد والطاعة لان كونهم خير الامم مما يقوي دواعيهم في ان لا يبطلوا على انفسهم هذه المرتبة وذلك انما يكون بالتزام التكاليف الشرعية
وثانيهما انه لما ذكر حال الاشقياء وحال السعداء نبه اولا على ما هو السبب لوعيد الاشقياء بقوله وما الله يريد ظلما للعالمين بمعنى انهم
استحقوا ذلك بافعالهم القبيحة ثم نبه على سبب وعد السعداء بقوله كنتم خير امة اي تلك الكرامات والسعادات انما فازوا بها في الآخرة
لانهم كانوا في الدنيا خير امة واقول لما انجر الكلام في مخاطبة المؤمنين الى بيان ان كل ما في الوجود ملكه وملكه ابداعا واختراعا وان منتهى
الكل اليه اتبع ذلك مرتبة هذه الامة ليعلم انها بسابقة العناية الازلية انجعلهم مظهر الالطاف وذكر بعدها رذيلة اهل الكتاب ليعرف
انها لوقوعهم في طريق القهر ولا اعتراض لاحد على ما يفعله المالك في ملكه عن عكرمة ومقاتل ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين
قالا لابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة ان ديننا خير مما تدعوننا اليه ونحن خير وافضل منكم فانزل الله هذه الآية
قال بعض المفسرين كان ههنا تامة وانتصاب خير امة على الحال اي حدثتم والاكثرون على انها ناقصة فجاء ايهام انهم كانوا موصوفين بالخيرية
في الزمان الماضي دون ما يستقبل فاجيب بان كان لا يدل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما وقيل
المراد كنتم في علم الله او في اللوح المحفوظ خير امة او كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة كقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل
وقال ابو مسلم هذا تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم وما بينهما اعتراض والتقدير انه يقال لهم عند الخلود في الجنة كنتم في دنياكم
خير امة فلهذا نلتم من الرحمة وبياض الوجه ما نلتم وقال بعضهم لو شاء الله لقال انتم فكان هذا التشريف حاصلا لكلنا ولكنه مخصوص
بقوم معينين من اصحاب رسول الله صلعم وهم السابقون الاولون ومن صنع مثل صنيعهم وقيل انها زائدة والمعنى انتم خير امة وزيفه ابن
الانباري بان الزائد لا يقع في اول الكلام ولا تعمل كقول العرب عبد الله كان قائم وعبد الله قائم كان ولا يقولون كان عبد الله
قائم على ان كان زائدة لان البداية بها دليل شدة العناية والملغى لا يكون في محل العناية وقيل انها بمعنى صار اي صرتم خير امة واصل الامة الطائفة
المجتمعة على الشيء الواحد وامة محمد صلعم هي الطائفة الموصوفة بالايمان به والاقرار بنبوته واذا اطلقت الامة في نحو قول العلماء اجمعت الامة في
نحو قول العلماء اجمعت الامة وقعت عليهم وقد يقال لكل من جمعتهم دعوته انهم امة الدعوة ولا يطلق عليهم لفظ الامة الا بهذا القيد
قال الزجاج ظاهر الخطاب في كنتم مع اصحاب النبي صلعم ولكنه عام في حق كل الامة ونظيره كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام وقوله للناس
اما ان يتعلق باخرجت والمعنى كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخراجها انها اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل
بينها وبين غيرها واما ان يتعلق بكنتم اي كنتم للناس خير امة ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستئناف بقوله تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالآية على ان اجماع هذه الامة
حجة لانها لو لم يحكم بالحق لم يكن خيرا من المبطل ولان اللام في المعروف وفي المنكر للاستغراق فيقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين
عن كل منكر فيكون اجماعهم حقا واما انه من اي وجه يقتضي ذلك كون هذه الامة خير الامم مع ان الصفات الثلث كانت حاصلة لسائر
الامم فذلك ان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد واقواها ما يكون بالقتال لانه القاء النفس في خطر القتل واعرف المعروفات
الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وانكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين تحملا لاعظم المضار لغرض ايصال الغير الى اعظم المنافع
وتخليصه من اعظم المضار فكان من اعظم العبادات ولما كان امر الجهاد في شرعنا اقوى منه في سائر الشرائع كما قال النبي صلعم انا نبي السيف امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فلا جرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على سائر الامم وهذا معنى ما روي عن ابن عباس في
قوله كنتم خير امة تأمرونهم ان يشهدوا ان لا اله الا الله ويقروا بما انزل الله ويقاتلونهم عليه ولا اله الا الله اعظم المعروف والتكذيب انكر
المنكر وفائدة القتل على الدين لا ينكره منصف فان اكثر الناس يحبون ما الفوه من الاديان الباطلة ولا يتاملون في الدلائل التي تورد عليهم
فاذا خوف بالقتل دخل في دين الحق مكرها الى ان يالفه متدرجا واما الايمان بالله فلا شك انه في هذه الامة اكمل لانهم آمنوا بكل ما يجب

ملك لا اصاحبهم

او جعلهم خير امة

الايمان به من رسول وكتاب وبعث وحساب وثواب وعقاب الى غير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وانما اقتصر في وصف الامة على
الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة وبسائر ما عداه والا لم يكن في الحقيقة ايمانا ولهذا نفى عن اهل الكتاب في قوله ولو امن اهل الكتاب وانما
قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان مقدم على كل الطاعات لان الاية سيقت لبيان فضل الامر بالمعروف و
ما كد القيام به ولهذا اكد بعد قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف فكانت العناية به اشد فكان تقديمه اهم ولنعلم
ان التكميل افضل من الكمال بنفسه ولهذا استلزم الاول الثاني دون العكس ولان التكميل يتضمن الكمال فكان في تاخير الايمان بالله تكرير
له مرة بالتضمن واخرى بالمطابقة على ان الواو لا يفيد الترتيب وايضا اراد ان يبني عليه قوله ولو امن وفي التفسير الكبير ان اصل الايمان مشترك فيه بين الاديان
فلا تتبين فيه الخيرية لكن الاية سيقت لبيان الخيرية وليس ذلك الا لان هذه الامة اقوى في باب الامر بالمعروف فلهذا قدم ثم اتبع ذكر الايمان
بالله ليعلم ان شرط تاثير الامر بالمعروف في الخيرية حاصل ولا يخفى ان هذا الجواب مبنى على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعلى ان ايمان اهل
الكتاب معتد به وليس كذلك ولهذا قال تعالى ولو امن اهل الكتاب يعني ايمانا معتبرا وهو الايمان بالله وبسائر ما لا بد منه من الامور المعتدة
لكان خيرا لهم لحصلت لهم صفة الخيرية ايضا لانضمامهم في زمرة هذه الامة او لحصلت لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما تركوا
هذا الدين لاجله لان الحاصل على هذا التقدير عزة الاسلام مع الفوز بما وعد من ايتاء الاجر في الاخرة مرتين على ما هم فيه من الاستتباع
بعض الجهلة مع العوام وشئ نزر من الرشى وبعد ذلك خلود في النار ثم فصل اهل الكتاب على سبيل الاستيناف فقال منهم المؤمنون
كعبد الله بن سلام ورهطه وكالنجاشي واصحابه فاللام للعهد والسابق واكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله تعالى وعن دينهم فيما زاد
الكفر او يراد فيه والمراد انهم ليسوا بعدول في دينهم ايضا فهم مردودون باتفاق الطوايف كلهم فلا ينبغي ان يقتدى بهم البتة ثم اخبر عن حالهم
وكان كالتتمة وهو اية الاعجاز بجملة مستانفة هي لن يضروكم الا اذى لا اضرارا الا ايجاء واذى بقول كطعن في الدين وتهديد وتحريف
نص والقاء شبهة واظهار كلمة الكفر باشراك عزير والمسيح والاذى مصدر كالاسى يقال اذاه يؤذيه اذى واذاة واذية والاذى نوع من الضرر
فصح استثناؤه منه والتقدير لن يضروكم شيئا من انواع الضرر الا ضررا يسيرا ومن هذا تبين ان الاستثناء ليس بمنقطع على ما ظن وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون وانما لم يجزم بالعطف على يولوكم لئلا يصير نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم بل رفع ليكون نفي النصر
وعدا مطلقا وتكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم وابشركم ان النصر والقوة منتف
عنهم راسا فلن يستقيم لهم امر البتة ومعنى ثم افادة التراخي في الرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم ايما كانوا اعظم من الاخبار بانهزامهم
عند القتال فان قيل هب ان اليهود كذلك لكن النصارى قد يوجد لهم قوة وشوكة في ديارهم قلنا هذه الايات مخصوصة باليهود واسباب
النزول تدل على ذلك فكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع واهل خيبر ولعل المراد نفي النصرة عنهم بعد القتال فلم يوجد
نصراني بهذه الحالة وفي الاية تشجيع للمؤمنين وتثبيت لمن امن من اهل الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلاتهم وتحريفاتهم التاويل
اتقوا الله حق تقاته لاهل العزائم وقوله فاتقوا الله ما استطعتم لاهل الرخص والمعنى اتقوا عن وجودكم بالله بوجوده ولا تموتن الا و
انتم مسلمون لا ينتفي وجودكم المجازي الا وقد سلمتم لتصرفات الاحكام الالهية والجذبات الربانية واستفدتم الوجود الحقيقي وهو البقاء
بالله واعتصموا اهل الاعتصام طائفتان اهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال البر واهل المعنى وهم المنقطعون
عن الاسباب لان مشربهم الاحوال فقيل لهم واعتصموا بالله هو مولىكم مقصودكم او ناصركم ولا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي
الباطن وهو الميل الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهي عداوة بعضكم لبعض وعداوتكم لله ولانفسكم فانقذكم منها بالهداية
والايمان وتاليف القلوب كذلك مثل ما بين ابناء الاوس والخزرج حتى صاروا اخوانا يبين لكم ايها الطلاب اياته وهي الجذبات الالهية
وتجلي صفات الربوبية ولتكن منكم امة يدعون الى الخير بالافعال دون الاقوال واولئك هم المفلحون من وعيد من يامر بالمعروف ولا
ياتيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه لان الوجوه تحشر بلون القلوب كقوله يوم تبلى السرائر اي يجعل ما في الضمائر على الظواهر اكفرتم بعد
ايمانكم لهم ارباب الطلب السائرين الى الله انقطعوا في بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتدوا على اعقابهم القهقرى فذوقوا العذاب
لان الناس نيام لا يذوقون الم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله فاذا ماتوا انتبهوا وذاقوا وفي رحمة الله في الدنيا بالجمعية والوفاق
مع اهل الله هم فيها خالدون في الاخرة ولانه يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه تلك الاحوال ايات الله مخصوصة نتلوها عليك
بالحق نظهرها مجليك بالتحقيق وما الله يريد ظلما للعالمين بان يضع السواد والبياض في غير موضعها كنتم خير امة اخرجت من العدم
الى الوجود مستعدة لقبول كمالية الانسان من جملة الخيرية تخفيف التكليف وضمان التضعيف ومنها عاقبة مطيعهم بشؤم عصاتهم وعفو
عصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها زكاتهم لعشر وزكاة سائر ربع ومنها شكا منهم الينا وشكرنا اليهم قبل وجودنا ولو امن اهل
الكتاب يعني علماء السوء لن يضروكم ايها المحققون الا اذى من طريق الانكار والحسد وان يقاتلوكم ينازعوكم ويخاصموكم يولوكم
الادبار من صدق نباتكم لا ينصرون لانكم اهل الحق وحزب الله وان حزب الله هم الغالبون ضرب

عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا

برانها بينوائى اين بانجهت است كه بودند كه كافر شدند بآيات خدا وميكشتند پيغمبرانرا بدون حقى اين بانجهت است كه نافرمانى كردند وبودند

يعتدون ۝ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ۝ يؤمنون

درگذشتگان نيستند يكسان از اهل كتاب طائفه كه برپا ايستاده‌اند ميخوانند آيات خدارا در ساعتهاى شب وايشان سجده ميكردند ميگروند

بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ۝

بخدا وروز واپسين وميفرمايند به نيكوئى ونهى ميكنند از بدى وپيشى ميگيرند در خوبى وآنگروه از نيكانند

وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ۝ إن الذين كفروا لن تغني عنهم ولا أولادهم من الله

وآنچه ميكنيد از خوبى پس كافر نشويد آنرا وخدا داناست باحوال پرهيزكاران بدرستيكه آنهاكه كافر شدند بى‌نياز نشوند از مال ونه اولاد از خدا

شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ۝ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها

چيزيرا وآنگروه ياران آتش‌اند ايشان در آن جاويدانند مانند آنچه خرج كنند در اين زندگانى دنيا چون مانند بادى كه در آن

صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ۝ يا أيها الذين

سرمائى باشد كه برسد بكشت گروهى كه ستمكردند نفسهاى خودرا پس نابود كند آنرا وستم نكرد ايشانرا خدا وليكن خود خودرا ستمكردند اى زمره آنانكه

آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي

گرويديد فرا مگيريد اسرارى يعنى آشنائيكه از غير شماست كه تقصير نكنند در تباهى شما دوست دارند مشقت شمارا بدرستيكه آشكار شده عداوت از كلام ايشان وآنچه پنهانست

صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ۝ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب

در سينهاى ايشان بزرگتر است ظاهر كرديم از براى شما آياترا اگر باشيد دانشمندان آگاه باشيد شما آنگروه دوست داريد ايشانرا ودوست ندارند شمارا وايمان آوريد بكتاب

كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات

همه آن وچون ببينند شمارا گويند كه گرويديم وچون با هم شدند گزيدند بر شما انگشتانرا از خشم بگو كه بميريد بخشم خود بدرستيكه خدا داناست بآنچه در

الصدور ۝ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم

سينهاست اگر برسد شمارا خوبى بد آيد ايشانرا واگر برسد شمارا بدى شاد شوند بآن واگر صبر كنيد وپرهيز كنيد ضرر نرساند شمارا كيد ايشان

شيئا إن الله بما يعملون محيط ۝ القراءة ويسارعون ونا بركسارعوا ونسارع بما التقيبة وابو عمرو وطريق ابن عبدوس ما

چيزى بدرستيكه خدا بآنچه ميكنند محيط است يفعلوا فلن يكفروه بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وحفص ابو عمرو مخير الباقون بتاء الخطاب تسؤهم

وبابه من كل همزة مجزومة بغير همزة الاعشى واوقية والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف لا يضركم من الضير ابو عمرو وسهل ويعقوب

ابن كثير ونافع وقرأ المفضل لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضر مجزوما ثم محركا للساكنين بالفتح للخفة والضم للاتباع تعملون

محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الغيبة الوقوف المسكنة ط بغير حق ط يعتدون قيل لا ووقف عليه لان ضمير ليسوا يعود اليه ضمير منهم موقف

المؤمنون لبيان الفصل بين الفريقين الذين عصوا واعتدوا احد الفريقين سواء ط يسجدون قيل لا وقف على جعل يؤمنون حالا

لضمير يسجدون ولا يصح بل الايمان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما عنتم ج لاحتمال كون قد بدت حالا اكبر ط تعقلون كله ج للعطف مع

الحذف اى وهم لا يؤمنون بكتابكم آمنا ق قد قيل والوصل اولى لان المقصود بيان تناقض حاليهم في النفاق من الغيظ ط بغيظكم ط الصدور

تسؤهم للابتداء بشرط آخر والوصل اجوز اذ الغرض تقرير تضاد الحالين منهم يفرحوا بها ط لتناهي وصف الزمهم والابتداء شرط على المؤمنين

شيئا ط محيط التفسير هذا اخبار عن مستقبلات احوال اليهود المعلومة بالوحي والمعنى ضربت عليهم الذلة والهوان في عامة الاحوال بالقتل

والسبي والنهب اينما وجدوا الا معتصمين ومتلبسين اى الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل من الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين

فهما في حكم واحد اى لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة بقبول الجزية فح يكون دمهم محقونا ومالهم مصونا وهو نوع من

العزة وقيل حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا يكون الواو بمعنى او وقيل ذمة الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس

ما يزيد الامام عليها او ينقص بالاجتهاد وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا

تنفك عنهم وباؤا بغضب من الله قيل انه من قولك تبوأ فلان منزل كذا والمعنى مكثوا في غضب الله وسواء قولك حل لهم الغضب وحلوا

بالغضب وضربت عليهم المسكنة عن الحسن ان المراد بها الجزية وانما افردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم انها باقية غير زايلة بعد اعتصامهم بالذمة

وقال الخرون المراد انك لا ترى منهم ملكا قاهرا ولا رئيسا مطاعا لكنهم مستخفون في جميع النواحي والاكناف يظهرون من انفسهم الفقر

والمدقعة البتة وباقي الآية قدم تفسيره في البقرة الا انه سبحانه قال في هذا الموضع من هذه السورة وفي النساء الانبياء بغير حق لان جمع

التكسير يفيد التكثير فذكر في الموضعين اعني في البقرة وفي اول السورة ما ينبئ عن القلة مع ان ذلك موافق لما بعده من جموع السلامة



النفس

كالذين والصابئين وغيرهما ثم تدرج إلى ما هو نص في الكثرة في الموضعين الآخرين نعيا عليهم وتقطيعا لشأنهم ولمثل هذا عرف الحق في البقرة
إشارة إلى الحق الذي أذن الله أن يقتل النفس به وهو قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ثم نكر في المواضع الباقية أي بغير ما حق أصلا
في نفس الأمر ولا بحسب معتقدهم وتدينهم ليسوا سواء كلام تام وما بعده كلام مستأنف للبيان قال الفراء وابن الأنباري تقديره من أهل
الكتاب أمة قائمة ومنهم أمة مذمومة إلا أنه ترك ذكر هذا القسم على مذهب العرب من الاكتفاء بأحد الضدين لخطورهما بالبال معا غالبا
قال أبو ذؤيب: عصاني إليها القلب إني لأمره مطيع فما أدري أرشد طلابها أراد أم غي فاكتفى بذكر الرشد عن ضده وتقول زيد وعبد الله لا
يستويان زيد عاقل دين زكي فيغني هذا عن أن يقال وعبد الله ليس كذلك قيل وهو اختيار أبي عبيدة أن أمة مرفوعة بليس على لغة
من قال أكلوني البراغيث وهو بدل من الضمير على نحو وأسروا النجوى الذين ظلموا والتقدير ليسوا سواء أمة قائمة وأمة مذمومة وفي
تفسير أهل الكتاب قولان الأول وعليه الجمهور أنهم اليهود والنصارى قال ابن عباس ومقاتل لما أسلم عبد الله بن سلام وأضرابه قال الأحبار
اليهود ما آمن بمحمد إلا أشرارنا ولو كانوا من خيارنا لما تركوا دين آبائهم وقالوا لهم لقد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره فنزلت و
عن عطاء أنها نزلت في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى صدقوا بمحمد الثاني أنهم كل
من أوتي الكتاب من أهل الأديان فعلى هذا يكون المسلمون منهم عن ابن مسعود قال أخر رسول الله ﷺ ليلة صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد
فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله في هذه الساعة غيركم وفي رواية فبشرهم أنه لا يصلي هذه
الصلاة أحد من أهل الكتاب فأنزل الله هذه الآيات ليسوا سواء إلى قوله والله عليم بالمتقين قال القفال ولا يبعد أن يقال أولئك الحاضرون
كانوا نفرا من مؤمني أهل الكتاب فقيل ليس يستوي من أهل الكتاب هؤلاء الذين آمنوا بمحمد فأقاموا صلاة العشاء في الساعة التي ينام
فيها غيرهم من أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا ولا يبعد أيضا أن يقال المراد كل من آمن بمحمد فسماهم الله أهل الكتاب كأنه قيل أولئك الذين سموا
أنفسهم بأهل الكتاب حالهم وصفتهم تلك الخصال الذميمة والمسلمون الذين سماهم الله تعالى أهل الكتاب حالهم وصفتهم كذا فكيف يستويان
فيكون الغرض من هذه الآية تقرير فضيلة أهل الإسلام تأكيدا لما تقدم من قوله كنتم خير أمة كقوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
لا يستوون ثم إنه تعالى مدح الأمة المذكورة بصفات ثمان الأولى أنها قائمة قيل أي في الصلاة وقيل ثابتة على التمسك بالدين الحق ملازمة
له غير مضطربة وقيل أي مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وههنا نكتة وهي أن الآية دلت على أن المسلم قائم بحق العبودية
وقوله قائما بالقسط دل على أن المولى قائم بحق الربوبية وهذه حقيقة قوله أوفوا بعهدي أوف بعهدكم الصفة الثانية يتلون أي أمة
قائمة يتلون آيات الله آناء الليل فالتلاوة القراءة وأصل الكلمة الاتباع فكأن التلاوة هي اتباع اللفظ آيات الله القرآن وقد يراد
بها أصناف مخلوقاته الدالة على صانعها وآناء الليل ساعاته واحدها إنى مثل معى وأنى وإنو مثل نحى ونحو الصفة الثالثة وهم يسجدون
يحتمل أن يكون حالا من يتلون كأنهم يقرؤون القرآن في السجدة تخشعا إلا أن ما روي عن النبي ﷺ ألا إني نهيت أن أقرأ راكعا وساجدا يأباه
وأن يكون كلاما مستقلا أي يقومون تارة ويسجدون أخرى ويبتغون الفضل والرحمة بكل ما يمكن كقوله يبيتون لربهم
سجدا وقياما قال الحسن يريح رأسه بقدميه وقدميه برأسه وفي ذلك إحداث النشاط والراحة وأن يكون المراد وهم يصلون ويتهجدون والصلاة
تسمى سجدة وركعة وسبحة وأن يراد وهم يخضعون لله كقوله ولله يسجد من في السموات والأرض وعلى هذين الاحتمالين لا منع من كونه
حالا الصفة الرابعة يؤمنون بالله واليوم الآخر فالصفات المتقدمة إشارة إلى كمال حالهم في القوة العملية وهذه إشارة إلى كمالهم
بحسب القوة النظرية فإن حاصل المعارف معرفة المبدأ والمعاد ولا يخفى أن غير مؤمني أهل الكتاب ليسوا من القبيلين في شيء بسبب
تحريفاتهم واعتقاداتهم الفاسدة الخامسة والسادسة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان إشارة إلى أنهم فوق
التمام وذلك لسعيهم في تكميل الناقصين بإرشادهم إلى ما ينبغي ومنعهم عما لا ينبغي وفيه تعريض بالأمة المذمومة أنهم كانوا مداهنين
وعن سفيان الثوري إذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند إخوانه فاعلم أنه مداهن الصفة السابعة ويسارعون في الخيرات أي المذكورات
كلها وهي من صفات المدح لأن المسارعة في الخير دليل فرط الرغبة فيه حتى لا يفوت ففي التأخير آفات وما روي أنه ﷺ قال العجلة من الشيطان
مخصوص بهذه الآية على أنها لا تفيد كلية الحكم لأن القضية أهملت إما لأن الأمور متفاوتة فمنها ما يجب فيه التأخير لكونه مما يحصل
على مهل وتدريج فلو طلب منه خلاف ضعفه فات الغرض وضاع السعي ولكونه غير معلوم العاقبة فيفتقر إلى مزيد تدبر وتأمل ومنها ما
يجب فيه التعجيل لضد ما قلنا فتنتهز فيه الفرصة وتغتنم فإن الفرص تمر مر السحاب قال ﷺ اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك
وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك الصفة الثامنة وأولئك من الصالحين وذلك
أن الأمور بخواتيمها والعاقبة غير معلومة إلا في علم الله تعالى فإذا أخبر عنهم بانخراطهم في سلك الصالحين فذلك المقصود وقصارى
المجهود ثم شرط للأمة الموصوفة بل لجميع المكلفين إيصال الجزاء إليهم البتة تأكيدا للإخبار عنهم بقوله وأولئك من الصالحين فقال وما
تفعلوا من خير فلن يكفروه أي لن تحرموا ثوابه بل لن تمنعوه وضمن الكفر معنى الحرمان ولهذا يعدى إلى مفعولين مع أن الأصل فيه التعدية
إلى واحد نحو شكر النعمة وكفرها وسمي منع الجزاء كفرا لأنه سمي إيصال الثواب شكرا في قوله فإن الله شاكر عليم ثم ختم الكلام بقوله والله
عليم بالمتقين مع أنه عالم بجميع الأشياء بشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده بالكرامة إلا أهل التقوى وتنبيها على أن التقوى

لوعدهم هو معبودهم الحق القادر الغني الجبار الذي لا غاية لكرمه ولا نهاية لعلمه فما ظنك بمثيب هذا شانه ثم بين احوال اهل الشقاء بقوله ان
الذين كفروا الاية وقد سبق تفسير مثله في اول السورة ثم انه لما بين ان اموال الكفار لا تغني عنهم شيئا امكن ان يخطر ببال احد ان الذي
ينفقون منه في وجوه الخيرات لعلهم ينتفعون بذلك فازال ذلك الوهم بقوله مثل ما ينفقون الاية قال اكثر المفسرين واهل اللغة الصر البرد
الشديد وهو منقول عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد وفي الصحاح الصر بالكسر برد يضرب النبات والحرث وعلى هذا فمعنى الاية كمثل
ريح فيها برد وذلك ظاهر وجوز في الكشاف ان يكون الصر صفة معناه البارد فيكون موصوفه محذوفا بمعنى صرة فيها صر كما تقول برد بارد
على المبالغة او يكون في تجريديه كما يقال رايت فيك اسدا اي انت اسد ان ضيعني فلان ففي الله كاف كما قال وقيل الصر السموم الحارة وروى ابن
الانباري باسناده عن ابن عباس فيها صر قال فيها نار وعلى جميع الاقوال الغرض من التشبيه حاصل سواء كان بردا مهلكا او حرا محرقا فانه
مبطل للحرث فيصح التشبيه وهذا من التشبيه المركب الذي مر ذكره في اول سورة البقرة ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك الريح
او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث والمراد ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين
الناس لا يبتغون بها وجه الله ولهذا قيده بقوله في هذه الحيوة الدنيا فشبه ذلك بالزرع الذي حسه البرد فصار حطاما وقيل مثل ما
ينفقون يعني ابا سفيان واصحابه من سفلة اليهود المنفقين على احبارهم في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي جمع العساكر عليه في كونه مبطلا
لما تواتر وقيل ذلك من اعمال البر كمثل ريح فيها صر في كونه مبطلا للحرث والظاهر ان الضمير في ينفقون عائد الى جميع الكفار وذلك ان انفاقهم
اما ان يكون لمنافع الدنيا فلا يبقى له اثر في الاخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر واما ان يكون لمنافع الاخرة فالكفر مانع عن الانتفاع و
لعلهم كانوا ينفقون في الخيرات نحو بناء الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والارامل ويرجون خيرا كثيرا في المعاد لكنهم اذا قدموا
الاخرة راوا كفرهم مبطلا لاثار تلك الخيرات فكان كمن زرع وتوقع منه نفعا كثيرا فاصابه جائحة فلا يبقى معه الا الحزن والاسف ولعلهم
كانوا ينفقون فيما ظنوه خيرا وهو معصية كانفاق الاموال في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفي تخريب ديار المسلمين ولا يبعد في تفسير الاية تجنبهم
في الدنيا فانهم انفقوا اموالا كثيرة في تجهيز الجيوش والاغراء على المسلمين وتحملوا المتاعب ثم انقلب الامر عليهم واظهر الله الاسلام واعز اهله
فلم يبق مع الكفار من ذلك الانفاق الا الحيرة والحسرة وقيل المراد بالانفاق ههنا هو جميع اعمالهم التي يرجون الانتفاع بها في الاخرة كقوله
لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل والمراد جميع الانتفاعات ما فائدة قوله ظلموا انفسهم وعدم الاقتصار على قوله اصابت حرث قوم فهي
الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه اثر ولا عثر وحرث المسلم المطيع ليس كذلك لانه اذا اصابته جائحة في الدنيا ابدله
خيرا منه في الدنيا او في الاخرة فان المسلم مثاب على كل الم يصيبه حتى الشوكة يشاكها اما الذين عصوا الله فاستحقوا اهلاك حرثهم عقوبة
لهم فحرثهم هو الذي لا يتصور منه بعد الاهلاك فائدة اصلا ويحتمل ان يراد بالظلم ههنا وضع الزرع في غير موضعه فان من زرع لا في
موضعه او في غير اوانه ثم اصابته الافة كان اولى بان يصير ضائعا والضمير في وما ظلمهم للمنفقين اي ما ظلمهم بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم
ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث اي ما ظلمهم باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا
به العقوبة ثم انه تعالى لما بالغ في شرح احوال المؤمنين والكافرين شرع في تحذير المؤمنين من مخالطة الكافرين قال ابن عباس ومجاهد نزلت
في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويواطؤن رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف في الجوار والرضاع
فنهاهم الله عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم وبطانة الرجل خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره اي اموره اللاصقة بالقلب
المتهم له الواحدة شقر واصله من البطن خلاف الظهر ومنه بطانة الثوب للذي يلي منه الجسد خلاف الظهارة نهاهم عن موادة كل كافر
لان قوله بطانة نكرة في سياق النفي وقوله من دونكم يتكد ذلك وهو اما ان يتعلق بلا تتخذوا او يكون صفة لبطانة اي بطانة كائنة من
دونكم مجاوزة لكم والاول اولى لان الغرض ليس هو النهي عن اتخاذ البطانة وانما المقصود النهي عن الاتخاذ من غير ابناء جنسهم واهل
ملتهم بطانة وانهم يقدمون الاهم والذي هم بشانه اعنى ومن للتبيين وقيل زائدة ثم ذكر علة النهي فقال لا يالونكم خبالا يقال الا في الامر
يالو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا الوك نصحا وجهدا على التضمين اي لا امنعك نصحا والخبال الفساد والنقصان ومنه
رجل مخبول ومخبل ناقص العقل فاسده وقيل خبالا انتصب على التمييز وقيل مصدر في موضع الحال والمعنى لا يتركون جهدهم في مضرتكم وفسادكم
ودوا ما عنتم اي عنتكم على ان ما مصدرية والعنت الوقوع في امر شاق ومنه يقال للعظم المجبور اذا اصابه شيء فهاضه قد اعنته والمراد جو
تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر والحاصل من الجملتين انهم لا يقصرون في افساد اموركم فان لم يمكنهم ذلك لمانع من خارج فحب ذلك
غير زائل عن قلوبهم قد بدت البغضاء هي شدة البغض كالضراء شدة الضر والافواه جمع الفم واصله فوه بدليل تكسيره كسوط واسواط فحذفت
الهاء تخفيفا واقيمت الميم مقام الواو ولانهما حرفان شفويان وظهور البغضاء من اليهود واضح لقشرهم العصا وكسرهم عن الانياب وعند
النقمة في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب واما من المنافقين فذلك ان المداجي لا بد ان ينفلت من لسانه ما يكشف عن نفاقه وخبث طويته
وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على بعض ذلك وما تخفي صدورهم اكبر لان فلتات



اللسان متناهية وكوامن الصدر تكون غير متناهية ثم بين ان اظهار هذه الاسرار للمؤمنين من غاية العناية وحثهم على اعمال العقل في مدلولات هذه النصائح فقال قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون من اهل العقول وقيل ان كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحقه العدو والولي ثم ان سياق هذه الجمل يحتمل ان يكون على سبيل تنسيق الصفات للبطانة كانه قيل لا تتخذوا بطانة غير مؤمنين لا يألونكم خبالا وادين عنتكم بادية بغضاؤهم وما قد بينا فكلام مبتداء واحسن من ذلك وابلغ ان يكون الجمل مستانفات كلها على جهة التعليل للنهي كما قلنا فكانه قيل لم لا نتخذهم بطانة فقيل لانهم لا يقصرون فقيل لم يفعلون ذلك فقيل لانهم يودون عنتكم ثم قيل وما اية ودادة العنت فقيل قد بدت والله اعلم اما كون هذا التقدير احسن فلان الجمل المتعاقبة على سبيل التنسيق يتوسط بينها العاطف ولا عاطف ههنا واما كونه ابلغ فلبناء الكلام على السؤال والجواب وتقليل اللفظ وتكثير المعنى ولاثبات الدعاوي بالبراهين ولا يخفى جلالة قدر هذه الفوائد ثم استانف للتحذير نمطا اخر من البيان مشتملا على التوبيخ فقال ها انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطاء وهو قوله تحبونهم ولا يحبونكم لانكم تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ويريدون لكم الكفر وهو اقبح الاشياء او تحبونهم لما بينكم وبينهم من الرضاعة والقرابة ولا يحبونكم لاختلاف الدين او تحبونهم لانهم اظهروا لكم الايمان ولا يحبونكم لتمكن الكفر في باطنهم او تحبونهم لانهم يظهرون لكم محبة الرسول ومحب المحبوب محبوب ولا يحبونكم لانكم تحبون الرسول وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض او تحبونهم فتفشون اليهم اسراركم في امور دينكم ولا يحبونكم لانهم لا يفعلون مثل ذلك بكم او تحبونهم لانكم لا تريدون وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لانهم يتربصون بكم الدوائر والحدثان هذه الاعتبارات وامثالها لا تكاد تنحصر داخلة في الاية ثم ذكر سببا اخر بما ابي ان يكون بينهما جامع فقال وتؤمنون بالكتاب كله واضمر قرينه وهو وهم لا يؤمنون به لان ذكر احد الضدين يغني عن الاخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس وفي الكشاف ان الواو في وتؤمنون للحال واللام في الكتاب للعهد اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وفيه توبيخ شديد لانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ثم ذكر مضادة اخرى فقال واذا لقوكم قالوا امنا احدثنا الدخول في الايمان واذا خلوا عضوا وهو وصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام لان هذا الغيظ وهو شدة الغضب لما راوا من ائتلاف المؤمنين وعلو دينهم وارتفاع شانهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز اهله فان ذلك يتضمن ذلهم وخزيهم والحاصل انه امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم بان الله تعالى اتاح ان يظهر دين الاسلام على الاديان كلها والمقدر كائن فان كان هذا سبب الغيظ فلا محالة يكون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله ان الله عليم بذات الصدور اي بصواحباتها وهي الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه ان كان داخلا في جملة المقولة فمعنا اخبرهم بما يسرونه من الغيظ وقل لهم ان غيظكم سيزداد الى ان يذيبكم او تموتوا عليه وقل لهم ان الله يعلم ما هو اخفى مما تسرونه وهو مضمرات القلوب وخفياتها وان كان خارجا فالمعنى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني اعلم ما اضمره الخلائق ولم يظهروه على السنتهم اصلا ويجوز ان لا يكون امرا بالقول لفظا بل يراد حدث نفسك بانهم سيهلكون غيظا وحسدا فيكون امرا بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله نصره ثم ذكر نوعا اخر من مضادتهم ومعاداتهم فقال ان تمسسكم حسنة اي حسنة كانت من منافع الدنيا كالصحة والخصب والغنيمة والظفر على الاعداء والايتلاف بين الاحباء تسؤهم ساءه يسوءه نقيض سره يسره وان تصبكم سيئة ضد من اضداد ما عددنا يفرحوا بها ولم يفرق صاحب الكشاف ههنا بين المس والاصابة وجعل المعنى واحدا واقول الاشبه ان يكون المس اقل من الاصابة وانه ادخل في بيان شدة العداوة وذلك ان الحسد لا ينهض لقليل من الخير الا ان يكون هناك كمال البغض والشماتة فلا توجد اذا اصاب العدو بلية عظمى كما قيل عند الشدائد تذهب الاحقاد الا ان يكون ثمة غاية الحقد اذا كان حال القوم مع المسلمين في القسمين بالخلاف دل ذلك على شدة بغضهم ونهاية حقدهم وعلى هذا فلا يبعد ان يقال التنوين في حسنة للتقليل وفي سيئة للتعظيم وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او ان تصبروا على اوامر الله تعالى وتتقوا محارمه لا يضركم كيدهم وهو احتيال الانسان لايقاع غيره في مكروه وقال ابن عباس هو العداوة شيئا من الضرر بل كنتم في كنف الله وحفظه وفيه اشارة من الله تعالى الى انه يستعان على دفع مكائد الاعداء بالصبر والتقوى ومن كان لله كان الله له وفي كلام الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك وقال بعضهم اذا ما شئت ارغام الاعادي بلا سيف تسل ولا سنان فزد في مكرماتك فهي اعدى على الاعداء من نوب الزمان ان الله بما تعملون في عداوتكم او تعملون انتم من الصبر والتقوى محيط فيجازي كل احد بما هو اهله التاويل ضربت عليهم ذلة الطمع ومسكنة الحرص الا ان تعصموا بحبل الله وطلبه وحبل من الناس يعني متابعة النبي وسيرته ويقتلون الانبياء يميتون سنتهم وسيرهم ليسوا اي العلماء الربانيون والمدعون فلن تكفروه لانه من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا ثم اخبر عن نفقات اهل الشهوات في استيفاء اللذات الجسمانية بقوله مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح هي هواء الهوى فيها صر الشهوة اصابت حرث قوم هو الحرث الروحاني ظلموا انفسهم بابطال الاستعداد الانساني ثم نهى اهل المحبة عن مباطنة اهل السلو من هذا الحديث فقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون في انكاركم والاعتراض عليكم والطعن فيكم ودوا من نعيم الدنيا ومشتهياتها ما عنتم ما مقتموه وتركتموه ولدناءة هممهم وعلو همتكم او فرحوا بما قاسيتم


والمجاهدات

من المجاهدات والتزام الفقر والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من افواههم باعتراضاتهم الفاسدة وما تخفي صدورهم الحاسدة من الغل والحقد اكبر تحبونهم محبة الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الارواح واختلاف حال الاشباح وتؤمنون بالكتاب كله بجميع ما في القران من ترك الدنيا وجهاد النفس عليم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور وان موتها في الغيظ والحسد ان تمسسكم حسنة كرامة من الله وقبول من الخلق سيئة انكار من الجهال وطعن واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم

وچون صبح کردی از اهل خود که جای دادی مؤمنان را در جای خود از برای جهاد و خدا شنونده داناست

اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وانتم

چون قصد کردند دو طائفه از شما که متفرق شوند و خدا دوست ایشانست و بر خدای پس توکل کنند گروندگان و هر آینه یاری کرد شما را خدا در بدر و شما

اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة

خواران بودید پس بترسید خدا را شاید که سپاس گزارید چون گفتید مر مؤمنان را که آیا بس نیست شما را که یاری دهد شما را پروردگار شما به سه هزار از فرشتگان

منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين

فرود آمدگان آری اگر صبر کنید و بپرهیزید و بیایند شما از عقب اینها که گفته شد که امداد کند شما را پروردگار شما به پنج هزار از فرشتگان نشان دار

وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين

و نگردانید آن را خدا مگر مژده از برای شما و تا محکم شود دلهای شما بان و نیست یاری مگر از نزد خدای غالب استوار تا ببرد جانبی از آنها را

كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ولله

که کافر شدند یا اگر نگون سار کند پس برگردند زیانکار نیست بر تو از کار آنها چیزی تا توبه پذیرد بر آنها یا که عذاب کند آنها را پس آنها ستمکارانند و مر خدای راست

ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم القراءة تبوئ المؤمنين بغير همز

آنچه در آسمانهاست و آنچه در زمین است می‌آمرزد از برای آنکه خواهد و عذاب کند آن را که خواهد و خدا آمرزنده مهربانست

ابو عمرو غير شجاع وورش والاعشى وحمزة في الوقف منزلين بالتشديد وفتح الزاي ابن عامر الباقون بالتخفيف والفتح ايضا مسومين بكسر الواو ابو عمرو وابن كثير وعاصم وسهل ويعقوب الباقون بفتح الواو الوقوف للقتال ط عليم لا لان اذ بدل من اذ غدوت ويتعلق بالوصفين او بقوله تبوئ ان تفشلا لا لان الواو للحال وليهما ط المؤمنون اذلة ج للفاء تشكرون منزلين ط لتمام القول بلى لا لاتحاده مع ما بعده مسومين قلوبكم به ط الحكيم لا لتعلق اللام بمعنى النصر خائبين ربع الجزء ظالمون وما في الارض ط من يشاء ط رحيم التفسير انه سبحانه لما وعدهم النصر على الاعداء ان هم صبروا واتقوا اخلاف في ذلك ان لم يصبروا اتبعه قوله واذ غدوت من اهلك فقد نصركم الله ببدر يعني انهم يوم احد كانوا كثيرين مستعدين للقتال فلما خالفوا امر الرسول انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم اطاعوا امر الرسول فغلبوا واستولوا على خصومهم ووجه اخر في النظم وهو ان الانكسار يوم احد انما حصل بسبب تخلف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وذلك يدل على انه لا يجوز اتخاذ المنافقين بطانة قال ابو مسلم هذا كلام معطوف بالواو على قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا اي قد كان لكم مثل تلك الاية اذ غدا الرسول يبوئ المؤمنين والجمهور على انه منصوب باضمار اذكر عن الحسن ان هذا الغدو كان يوم بدر وعن مجاهد انه يوم الاحزاب واكثر العلماء بالمغازي على ان هذه الاية نزلت في واقعة احد وهو قول ابن عباس والسدي وابن اسحق والربيع والاصم وابي مسلم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم فقال صلى الله عليه وسلم اني رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة من المدينة قالوا من منزل عائشة وهو المراد بقوله من اهلك وعن مجاهد والواقدي انه مشى على رجليه الى احد واصبح بالشعب منها يوم السبت للنصف من شوال وجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من ورائنا وقال لاصحابه اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم وولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خالف راي عبد الله بن ابي شق عليه ذلك فقال اطاع الصبيان وعصاني ثم قال لاصحابه



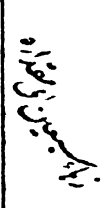
ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما يظفر بعدوكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رايتم اعداءكم انهزموا فليستيقنوا ان نصيركم على خلاف ما ذكر
محمد صلى الله عليه وسلم فلما التقى الفريقان انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل اولادنا وانفسنا وكان جملة عسكر الاسلام الفا
وقيل تسعمائة وخمسين فبقي نحو من سبعمائة وكان المشركون ثلاثة الاف وقواهم الله مع ذلك حتى هزموا المشركين لكنهم لما راى الرماة انهزام
القوم وكان الله تعالى بشرهم بذلك طمعوا ان يكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وتركوا ذلك الموضع وخالفوا امر الرسول
ولم يعلموا ان ظفرهم الله يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين فكروا
على المسلمين وتفرق العسكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم وشج وجه رسول الله
وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة دونه ولم يبق معه الا ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكر ان محمدا قتل فاشرف
ابو سفيان وقال افي القوم محمد صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال افي القوم ابن ابي قحافة فقال لا تجيبوه فقال افي القوم ابن الخطاب فقال ان
هؤلاء قتلوا فلو كانوا احياء لاجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله ابقى الله لك ما يخزيك فقال ابو سفيان اعل هبل اعل
هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجيبوه فقالوا ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل فقال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال
قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال ابو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا لا سواء قتلانا
في الجنة وقتلاكم في النار ولنرجع الى التفسير بوأته منزلا وبوأت له منزلا انزلته فيه ومقاعد اي مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى
استعمل المقعد والمقام في المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك اي من موضع حكمك ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم لما امرهم
ان يثبتوا في تلك الامكنة ولا ينتقلوا عنها شبهت بالمقاعد لذلك ويحتمل ان المقاتلين قد يقعدون في الامكنة المعينة الى ان يلاقيهم العدو
فيقوموا فلهذا سميت تلك المواضع مقاعد والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم ونياتكم فانا بينا انه كان في القوم موافق ومنافق اذ همت
طائفتان منكم هما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان ان تفشلا والفشل الجبن والخور والظن
انهما ما كانت عزيمة ممضاة ولكنها كانت حديث نفس وقلما تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع فان ساعدها صاحبها ذم وان ردها
الى الثبات والصبر فلا باس بما فعل وعن معوية انه قال عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبت مني الا قول عمرو بن
الاطنابة شعر اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي ومما يدل على ان ذلك الهم لم يفض الى حد العصيان قوله تعالى والله وليهما اذ لو كانت
ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ولا يتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون والتوكل تفعل من وكل امره الى فلان اذا اعتمد في كفايته عليه ولم يتوله بنفسه وفيه اشارة الى ان الانسان يجب ان يدفع ما يعرض له من
مكروه وآفة بالتوكل على الله وان يصرف الجزع عن نفسه بذلك عن جابر فينا نزلت اذ همت طائفتان نحن الطائفتان بنو حارثة
وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقول الله والله وليهما اخرجاه في الصحيحين ومع ذلك قال بعض العلماء ان الله ابهم ذكرهما وستر عليهما فلا
يجوز لنا ان نهتك ذلك الستر ولقد نصركم الله ببدر وانه ماء بين مكة والمدينة عن الواقدي انه اسم الماء بعينه وعن الشعبي انه سمي
باسم رجل كان ذلك الماء له وانتم اذلة انما جاء بجمع القلة دون الذلان الذي للكثرة ليدل على انهم مع قلة العدد وهو المراد بذلتهم
كانوا قليلي العدة كما مر في تفسير قوله قد كان لكم آية ولم يعن بالذلة ههنا نقيض العزة لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولعل
المراد انهم كانوا اذلة في زعم المشركين في اعتقادهم لقلة عددهم وسلاحهم كما حكى عنهم ليخرجن الاعز منها الاذل ولعل الصحابة كانوا قد شاهدوا
الكفار في مكة في غاية القوة والشوكة والى هذا الوقت ما اتفق لهم استيلاء على اولئك الكفار فكانت هيبتهم باقية في نفوسهم فاتقوا الله
في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بسبب تقويكم ما انعم به عليكم من نصرة او لعل الله ينعم عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر
موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول للمؤمنين اختلف المفسرون في ان هذا الوعد حصل يوم بدر فيكون العامل في قوله اذ نصركم او حصل
يوم احد فيكون بدلا ثانيا من اذ غدوت والاول قول اكثر المفسرين لان الكلام متصل بقصة بدر ولان العدد والعدد يوم بدر اقل
وكان الاحتياج الى المدد اكثر والثاني مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحق لان المدد يوم بدر كان بالف
من الملائكة لقوله تعالى في سورة الانفال فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة دون ثلاثة الاف وخمسة فصاروا وخمسة الاف واجيب
بانهم امدوا بالف ثم زيد الفان فصاروا ثلاثة الاف ثم زيدت الفان اخريان فصاروا خمسة الاف فكانه قيل لهم الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بالف من الملائكة فقالوا بلى ثم قيل الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف فقالوا بلى ثم قيل لهم ان تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة الاف
وهو كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ايسركم ان تكونوا ربع اهل الجنة قالوا نعم قال ايسركم ان تكونوا ثلث اهل الجنة قالوا نعم قال فاني ارجو
ان تكونوا ثلث اهل الجنة ولعل اهل بدر انما امدوا بالف ثم بلغهم ان بعض المشركين يريد امداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك عليهم لقلة
عددهم فوعدهم الله بان الكفار ان جاءهم مدد فانا امدكم بخمسة الاف من الملائكة ثم انه لم يات قريشا ذلك المدد بل انصرفوا حين
بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن امداد المسلمين بالزيادة على الالف قالوا ان الكفار كانوا يوم بدر الفا والمسلمون على الثلث منهم

فانزل الله الفا من الملائكة بعدكل الكفار ايضا ثم وعدهم ان يجعل الثلثة الالاف خمسة الاف ان صبروا واتقوا واجيب بان هذا تقريب حسن
لكنه لا يغلب على الظن ان يكون الامر كذلك لانهم قالوا فالتقوا ويأتوكم من فورهم يوم احد هو الذي كان ياتيهم الاعداء اما يوم بدر فهم ذهبوا
الى الاعداء واجيب بان المشركين لما سمعوا يوم بدر ان الرسول صلعم واصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم واجتمعوا وقصدوا النبي
ثم ان الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فاخبرهم الله تعالى انهم ان ياتوكم من فورهم يمددكم ربكم بخمسة الاف ثم قالوا وفي وجه النظم انه تعالى ذكر قصة احد ثم
قال وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ اي يجب ان يكون توكلكم على الله لا على كثرة عددكم وعددكم وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَدْرٍ وَاَنْتُمْ اَذِلَّةٌ ثم عاد الى قصة
احد ثم انزل خمسة الاف كان مشروطا بشرط ان يصبروا ويتقوا ثم انهم لم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا بل خالفوا امر الرسول فلما فات الشرط لا
جرم فات المشروط واما انزال ثلثة الاف فانه وعدهم ذلك بشرط ان يثبتوا في تلك المقاعد فلما اهملوا الشرط لم يحصل المشروط روى الواقدي
عن مجاهد انه قال حضرت الملائكة يوم احد لكنهم لم يقاتلوا وروى عن رسول الله صلعم انه اعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه ملك في
صورة مصعب فقال رسول الله صلعم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول صلعم انه ملك امد به وعن سعد بن ابي وقاص انه
قال كنت ارمي السهم يومئذ فيرده على رجل ابيض حسن الوجه ما كنت اعرفه فظننت انه ملك هذا حاصل تقرير القولين واختلفوا ايضا في عدد
الملائكة فمنهم من ضم العدد الناقص الى العدد الزائد لان الوعد بامداد الثلثة الالاف لا شرط فيه والوعد بامداد خمسة الالاف مشروط بالصبر
والتقوى ومجيء الكفار من فورهم فلا بد من التغاير وعلى هذا ان حملنا الاية على قصة بدر فقد ورد فيها ذكر الالف في موضع اخر فيكون المجموع
تسعة الاف وان حملناها على قصة احد كان الجميع ثمانية الاف ومنهم من ادخل الناقص في الزائد فقال انه وعدوا بالف ثم زيد الفان فصح
ان يقال وعدوا بثلثة الالاف ثم زيد الفان اخران فوعدوا بخمسة الاف واجتمع اهل التفسير والسير انه تعالى انزل الملائكة يوم بدر وانهم
قاتلوا الكفار وعن ابن عباس انه لم يقاتل الملائكة سوى يوم بدر وفيما سواه كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون ومنهم من قال ان
نصر الملائكة بالقاء الرعب في قلوب الكفار وباشعار المؤمنين بان النصرة لهم واما ابو بكر الاصم فقد انكر امداد الملائكة وقال ان الملك
الواحد يكفي في اهلاك اهل الملائكة وايضا فان اكابر الكفار كانوا مشهورين وقاتل كل منهم من الصحابة معلوم وايضا لو قاتلوا فاما ان يكون
بحيث يراهم الناس اولا وعلى الاول كان المشاهد من عسكر الرسول ثلثة الاف او اكثر ولم يقل احد بذلك ولانه خلاف قوله وَيُقَلِّلُكُمْ فِي اَعْيُنِهِمْ
ولو كانوا في غير صورة الناس لزم وقوع الرعب الشديد في قلوب الخلق ولم ينقل ذلك البتة وعلى الثاني كان يلزم جز الرؤس وتمزق البطون
واسقاط الكفار من غير مشاهدة فاعل لهذه الافعال ومثل هذا يكون من اعظم المعجزات فكان يجب ان يتواتر ويشتهر بين الكافر والمسلم و
الموافق والمخالف وايضا انهم لو كانوا اجساما كثيفة وجب ان يراهم الكل وان كانوا اجساما لطيفة هوائية فكيف ثبتوا على الخيول واعلم ان هذه
الشبه لا يليق ايرادها بمن يقر بالقرآن والشريعة وبمن يدعي التمسك بها ويعترف بانه تعالى قادر على ما يشاء فاعل لما يريد فما كان يليق بالاصم ايرادها
مع ان نص القرآن ناطق بها وورودها في الاخبار قريب من التواتر روى عبيد بن عمير قال لما رجعت قريش من احد جعلوا يتحدثون في انديتهم
بما ظفروا ويقولون لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر والتحقيق في هذا المقام ان التكليف ينافي الالجاء وانه
تعالى قادر على اهلاك جميع الكفار في لحظة واحدة بملك واحد بل بادنى من ذلك او بلا سبب كذا على ان يجبرهم على الاسلام ويقسرهم لكنه اراد
اشارة هذا الدين على مهل وتدريج وبواسطة الدعوة وبطريق الابتلاء والتكليف فلا جرم اجرى الامور على ما اجرى فلله الحمد على ما اولى و
وله الحكم في الاخرة والاولى والحاصل ان اهلاك قوم لوط كان بعد انقضاء تكليفهم وهو حين نزل الباس فلا جرم اظهر القدرة و
جعل عاليها سافلها وفي حرب احد كان الزمان زمان تكليف فلا جرم اظهر الحكمة ليتميز الموافق عن المنافق والثابت من المضطرب فانه
جرى الامر في احد كما جرى في بدر لا شبه ان يفضي الامر الى حد الالجاء وينافي التكليف منوط الثواب والعقاب وبمثل ذلك مد الملائكة جعل
امد على عادة الامداد بالعساكر والا فملك واحد يكفي في اهلاك كثير من الناس فاعلم ولنعد الى تفسير الالفاظ قال صاحب الكشاف انما قدم
لهم الوعد بنزول الملائكة ليقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى اَلَنْ يَكْفِيَكُمْ انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الاف من الملائكة
وانما جيء بلن الذي هو تاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم كالآيسين من النصر ومعنى الكفاية سد الخلة
والقيام بما يجب ومعنى الامداد اعطاء الشيء حالا بعد حال قال بعضهم ما كان على جهة القوة والاعانة قيل فيه امده يمده وما كان على جهة
الزيادة قيل فيه مده يمده وقرئ منزلين بكسر الزاء بمعنى منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم
ثم قال اِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوْا وَيَاْتُوْكُمْ يعني المشركين مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا اي من ساعتهم هذه والفور مصدر من فارت القدر اذا غلت
ثم استعمل في معنى السرعة يقال جاء فلان ورجع من فوره ومنه قول الاصوليين الامر للفور او للتراخي ثم سميت به الحالة التي لا ريث
فيها على صاحبها فقيل خرج من فوره كما يقال من ساعته لم يلبث جعل مجيء خمسة الاف مشروطا بثلثة اشياء الصبر والتقوى ومجيء الكفار
على الفور فلما لم يوجد هذه الشرائط بكلها او ببعضها فلا جرم لم يوجد المشروط ويحتمل ان يتعلق قوله مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا بما بعده اي يمددكم
ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر النزول عن الاتيان وفيه بشارة بتعجيل النصر والفتح ان صبروا عن الغنائم واتقوا مخالفة الرسول

الارض كما فعل جبريل بمدائن قوم لوط فاذا حضر هو يوم بدر فاي حاجة الى مقاتلة الناس مع الكفار وبتقدير حضوره فاي فائدة في ارسال سائر الملائكة



وقوله مسومين من السومة العلامة وقد يعلم الفارس يوم اللقاء ليعرف بها فمن قرأ بكسر الواو فمعناه معلمين انفسهم او خيلهم بعلامات مخصوصة
ومن قرأ بالفتح فالمعنى ان الله سومهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الخيل
واذنابها وعن مجاهد مجزورة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة
كذلك وعن رسول الله صلعم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقيل مسومين مرسلين من اسمت الابل وسومتها ارسلتها
للرعي فالمعنى ان الملائكة ارسلت خيولهم على الكفار لقتلهم واسرهم او ان الله تعالى ارسلهم على المشركين ليهلكوهم كما تهلك الماشية النبات في المرعى
وما جعله الله الضمير عائد الى المدد او الامداد الدال عليه الفعل قال الزجاج وما جعل الله ذكر المدد الا بشرى هي اسم من البشارة اي الا لتبشروا
بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل طمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من المقاتلة اذا تكاثروا ولا
من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على ان ايمان العبد لا يكمل الا عند
الاعراض عن الاسباب والاقبال بالكلية على مسببها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا
يعجز عن انجاحها ليقطع طرفا اي طائفة وقطعة من الذين كفروا وانما حسن في هذا الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط
الا بعد الاخذ من الطرف كما قال اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها قاتلوا الذين يلونكم من الكفار او يكبتهم والكبت في اللغة صرع
الشيء على وجهه وفسره الائمة ههنا بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب فينقلبوا خائبين
ظافرين بمبتغاهم قيل الخيبة لا يكون الا بعد التوقع كنقيضه الظفر واما اليأس فقد يكون قبل التوقع وبعده ونقيضه الرجاء واللام في ليقطع
يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد نصركم او بقوله وما النصر ويحتمل ان يكون من تمام قوله ولتطمئن ولكنه ذكر بغير العاطف لانه اذا كان البعض قريبا
من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتريتك لتخدمني لتعينني لتقوم بخدمتي قوله عز من قائل ليس لك من الامر شيء فيه
قولان احدهما وهو الاشهر انه نزل في قصة احد عن انس بن مالك قال كسرت رباعية رسول الله صلعم يوم احد ودمي وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج راسه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته
فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول الحديث فنزلت وفي رواية عن ابن عمر ان النبي صلعم لعن اقواما فقال اللهم العن ابا سفيان اللهم العن الحرث بن
هشام اللهم العن صفوان بن امية فنزلت هذه الاية وفيه او يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء وحسن اسلامهم وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب
وذلك انه صلعم لما رآه ورأى ما فعلوا به من المثلة قال لامثلن منهم بثلثين فنزلت وقيل اراد ان يلعن المسلمين الذين خالفوا امره والذين انهزموا
فمنعه الله عن ذلك يروى عن ابن عباس وقيل اراد ان يستغفر للمسلمين الذين عصوا امره فنزلت قال القفال كل هذه الامور وقعت



يوم احد فلا يمتنع حمل نزول الاية في الكل القول الثاني واليه ذهب مقاتل انها نزلت في واقعة اخرى وهي ان النبي بعث جمعا من خيار الصحابة
وهم سبعون الى بني عامر ليعلموهم القرآن فلما وصلوا الى موضع يقال له بئر معونة ذهب اليهم عامر بن الطفيل مع عسكره واخذهم وقتلهم فجزع
من ذلك رسول الله صلعم شديدا ودعا على الكفار في القنوت اربعين يوما يقول بعدما يرفع راسه من الركعة الثانية في الصبح اللهم العن
لحيانا والعن رعلا وذكوان اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها
عليهم سنين كسني يوسف حتى انزل الله عز وجل ليس لك من الامر شيء ولا يخفى ان ظاهر الاية يدل على انه كان يفعل فعلا فمنع منه وح يتوجه
الاشكال بان فعل ذلك الفعل ان كان من الله تعالى فكيف منعه منه والا هو قدح في عصمته ومناف لقوله وما ينطق عن الهوى والجواب ان المنع
من الفعل لا يدل على ان الممنوع مشتغل به كقوله ولا تطع الكافرين مع انه ما اطاعهم وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه ما اشرك قط و
لعله صلعم شاهد من قتل حمزة وغيره ما اورثه حزنا شديدا وكان من الممكن ان يحمله ذلك على ما لا ينبغي من الفعل والقول فنص الله تعالى على المنع
تقوية لعصمته وتاكيدا لطهارته وان سلمنا انه كان مشغولا بذلك الفعل والقول فانه محمول على ترك الاولى والنهي ارشاد الى اختيار الافضل والاولى
وايضا ان دعاء النبي صلعم لا يكون لمجرد التشهي وانما هو بطلب الاصلح فالذي يظن به انه خلاف مسؤوله وقد وقع فهو بالحقيقة سؤاله صلعم ولهذا
سئل الله تعالى ان يجعل لعنه على من لا يستحقه طهرا وزكوة ورحمة والله اعلم وقوله ليس لك من الامر شيء معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة
ومن شأن هذه الحادثة شيء فاني اعلم بمصالح عبادي او المراد بالامر الذي هو خلاف النهي اي ليس لك امر خلقي بشيء انما يكون امري و
حكمي او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم و
يجوز ان يكون معطوفا على شيء والحاصل منع رسول الله صلعم من كل فعل وقول الا ما كان باذنه وامره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وان لا يخوض
العبد في اسرار ملكه تعالى وملكوته وعن الفراء والزجاج ان قوله او يتوب عليهم عطف على ليقطع وما بعده وقوله ليس لك من الامر شيء كالكلام
الاجنبي الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذاك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او
يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي والمعنى ليس لك من امرهم شيء
الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشتفي منهم ثم التوبة عليهم مفسرة عند اهل السنة بخلق الندم فيهم على ما مضى وخلق
العزم فيهم على ان لا يفعلوا مثل ذلك في المستقبل واكدوا هذا التفسير ببرهان عقلي وهو ان الندم كراهية تحصل في القلب عما سلف فيه والعزم

اذنابها

لبشارة بالنصر

ارادة

ارادة يتعلق بترك ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل العبد لافتقر في فعلها الى ارادة اخرى و تسلسل فهو اذن بخلق الله ثم
واما المعتزلة فيفسرون التوبة عليهم اما بفعل الالطاف و بقبول التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل حسن التعذيب بسبب شركهم او
عصيانهم ثم اكد ما ذكر من قوله ليس لك من الامر شيء بقوله ولله ما في السموات وما في الارض اي هما والحقائق والماهيات التي فيهما لله
فليس الحكم عنده فيهما الا له ثم ذكر لازم الملك والحكم فقال يغفر لمن يشاء بعميم فضله وان كان مرائيا بالسنة الفراعنة و يعذب من يشاء بحكم الالهية
والقدرة وان كان من الملائكة المقربين والصديقين كل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا والا لم يحصل كمال الملك والحكم الا ان جانب الرحمة
والمغفرة غالب و لهذا ختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما روي عن ابن عباس في تفسير الآية يهب الذنب
الكبير خلق الله ارادة الطاعة اطاع واذا خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد ومعصيته ينتهي الى الله وفعل الله لا يوجب على الله شيئا اما المعتزلة
فناقشوا في ذلك وردوا وعن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين
للعذاب والحق ان العذاب لازم ملكة العصيان وكذا القرب منه تعالى لازم ملكة الطاعة فان اريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان اريد غير ذلك فممنوع
والله اعلم التاويل الخبر عن النصر بعد الصبر بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى جوهر السالك الصادق والسائر العاشق وذلك ان يغدو في
طلب الحق والرجوع الى المبداء من اهله اي صفات نفسه الحيوانية والبهيمية تبوئ المؤمنين اي صفاته الروحانية مقاعد للقتال بالنفس والشيطان
والدنيا والله سميع لدعائكم بالاخلاص للخلاص عن ورطة تيه الهوى عليم بصدق نياتكم في طلب الحق اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا
يعني القلب وصفاته والروح واخلاقه والله وليهما ليخرجهما من ظلمات البشرية الى نور الربوبية ولقد نصركم الله ببدر الدنيا وانتم
اذلة من غلبات شهوات النفس اذ تقول للمؤمنين فيه اشارة الى ان نور النبي يلهم ارواح المؤمنين على الدوام عند مقاتلة الشيطان
ومجاهدة النفس ومكائد الهوى في الركون الى زخارف الدنيا وثلثة الاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية التي لا يدركها الحواس
كقوله وانزل جنودا لم تروها بلى ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا بالله عما سواه يزدكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا ليقهر بعضا من
الصفات النفسانية التي منشأ الكفر بنصر الروح وصفاته او يكبتهم او يغلبهم ويظفر بهم وما النصر الا من عند الله بعزته بحكمه من يشاء
على ما يشاء والله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار

المستعان على ما تصفون — اى زمرهٔ انسانى كه گرويديد مخوريد سود را افزوده تو بر تو و پرهيز كنيد خدا را شايد كه رستگار شويد و بترسيد از آتشى

التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها

كه آماده شده از براى كافران و پيروى كنيد خدا و پيغمبر را شايد كه رحم كرده شويد و بشتابيد بسوى آمرزشى از جانب پروردگار و بهشتى كه عرض

كعرض السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن

وسعت آسمانها و زمين است آماده شده از براى ترسندگان آنان كه خرج كنند در خوشى و تنگدستى و فرو برندگان خشم و در گذرندگان از

الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر

مردمان و خدا دوست دارد نيكوكاران را و آنان كه كردند كرده زشتى يا ستم كردند نفسهاى خود را ياد كردند خدا را پس طلب آمرزش كردند مر گناهان خود را و كيست كه

الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها

گناهان را بجز خدا و اصرار نكردند بر آنچه كردند و ايشان ميدانند آن گروه مزدشان آمرزشست از پروردگارشان و بهشتها كه روانست از زيران

الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان

جويها جاويدان در آن و خوبست مزد كاركنان بدرستى كه گذشت از پيش شما طريقتها پس بگرديد در زمين پس بنگريد كه چگونه بوده

عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون

عاقبت تكذيب كنندگان اين بيانيست از براى مردم و راستى و پنديست مر پرهيزكاران را و سست مشويد و محزون نگرديد و شما بلند مرتبها

ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين

اگر باشيد گروندگان اگر برسد شما را زخمى پس بدرستى كه رسيد كفار را زخمى مثل آن و اين روزهايى است كه بگردانيم در ميان مردمان و تا بيازمايد خدا آنان را كه

امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين القراءة سارعوا

گرويدند و فرا گيرد از شما گواهان را و خدا دوست ندارد ستمكاران را و تا پاك كند خدا آنها را كه گرويدند و برطرف كند كافران را

بغير واو العطف ابو جعفر و نافع و ابن عامر قرح بالضم حيث كان حمزة و علي و خلف و عاصم غير حفص و جبلة الباقون بالفتح الوقوف مضاعفة ص لعطف المتفقين
تفلحون ج للعطف للكافرين ه ترحمون ه ومن قرأ سارعوا بغير واو فوقفه مطلق والارض ج لان ما بعده صفة لجنة ايضا اي جنة واسعة
معدة للمتقين لا لان الذين صفتهم عن الناس ط المحسنين ج لان والذين يصلح مبتدأ وخبره اولئك جزاؤهم فلا وقف الى يعلمون ويصلح
معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيوقف على يعلمون لينصرف عموم اولئك الى المتقين السابقين منهم بعصمة الله والذين



بهم بوجه الله والوقف لطول الكلام على لذنوبهم للابتداء بالاستفهام وعلى الا الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب بان يقول الروح
لا احد يغفر الذنوب الا انت خالدين فيها ط العاملين ه سنن لا لتعقب الامر بالاعتبار بعد الاخبار بالنبأ المكذبين ه للمتقين ه مؤمنين ه مثله ط
بين الناس ج لان الواو مقحم او عاطفة على محذوف اي ليعتبروا وليعلم شهداء ط الظالمين ه لا للعطف على ليعلم الكافرين ه التفسير قال القفال
يحتمل ان يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهة ان اكثر اموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربوا وكانوا ينفقون تلك الاموال
على العساكر وكان من الممكن ان يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربوا لكي يجمعوا الاموال وينفقوها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام
منهم فورد النهي عن ذلك نظرا لهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه الآيات ابتداء امر ونهي وترغيب وترهيب تتميما لما سلف من الارشاد الى
الاصلح في امر الدين وفي باب الجهاد وليس المراد النهي عن الربوا في حال كونه اضعافا فانا علم انه منهي عنه مطلقا وانما نهي عنه مع توبيخ بما كانوا عليه
في الغالب والمعتاد من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل وهكذا مرة بعد اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فيه ان اتقاء الله في هذا النهي واجب وان الفلاح يتوقف عليه فلو اكل ولم يتق زال الفلاح ويعلم منه ان الربوا من الكبائر
لا من الصغائر ويؤكده قوله وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ كان ابو حنيفة يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار
المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وكون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول الفساق وهم مسلمون فيها لان اكثر اهل النار الكفار
فغلب جانبهم كما لو قلت اعددت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمتنع من تركبها لبعض حوائجك ومثله قوله في صفة الجنة أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ فانه
لا يدل على انه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ فيه ان رجاء الرحمة
موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول فلهذا يتمسك به اصحاب الوعيد في ان من عصى الله ورسوله في شيء من الاشياء فهو ليس اهلا للرحمة وغيرهم
يحمل الآية على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قرأ بغير الواو فلانه جعل قوله سارعوا وقوله اطيعوا الله كالشيء الواحد
لانهما متلازمان وتمسك كثير من الاصوليين به في ان ظاهر الامر يوجب الفور قالوا في الكلام محذوف والتقدير سارعوا الى ما يوجب
مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ونكر المغفرة ليفيد المغفرة العظيمة المتناهية في العظم وليس ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع
الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات وهذا قول عكرمة عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو اداء الفرائض وعن عثمان بن عفان انه الاخلاص لانه المقصود
من جميع العبادات وعن ابي العالية انه الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق انه الجهاد لانه من تمام قصة احد وقال الاصم بادروا الى التوبة من
الربوا لانه ورد عقيب النهي عن الربوا ثم عطف عليه المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب ولابد
للمكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن البين ان نفس السموات لا يكون عرضا للجنة فالمراد كعرض السموات
لقوله في موضع آخر كَعَرْضِ السَّمَاءِ والمراد المبالغة في وصف سعة الجنة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه ونظيره خَالِدِينَ فِيهَا
مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لانها اطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد انه لو جعلت السموات والارضون طبقا طبقا بحيث يكون
كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من اجزاء لا تتجزى ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية من
السعة لا يعلمها الا الله تعالى وقيل ان الجنة التي عرضها عرض السموات والارض انما يكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له
فلابد ان يكون الجنة المملوكة لكل احد مقدارها هكذا وقال ابو مسلم معنى العرض القيمة ومنه عارضت الثوب بكذا معناه لو عرضت السموات
والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة والاكثرون على ان المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة ادنى من الطول
واذا كان العرض هكذا فما ظنك بالطول ونظيره بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ لان البطائن في العادة يكون ادون حالا من الظهائر واذا كانت البطانة
كذلك فكيف الظهارة وقال القفال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق
ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء واجيب بعد
تسليم كونها الآن مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال صلى الله عليه وسلم في صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن وروي ان رسول هرقل سأل
النبي صلى الله عليه وسلم وقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله و
رسوله اعلم انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل
وسئل انس بن مالك عن الجنة أفي الارض ام في السماء فقال واي ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش
ثم ذكر صفات المتقين حتى يتمكن الانسان من الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات منها قوله الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
في حال الغنى والفقر لا يخلون بان ينفقوا ما قدروا عليه عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب فكان
الفقير انكر عليها فقالت احسب كم هي من مثقال ذرة وقيل في عرس او حبس والمراد في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة فهم لا
يدعون الاحسان الى الناس في حالتي فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان الانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم او ساءهم بان
كان على خلاف طبعهم لا يتركونه وفي افتتاحه بذكر الانفاق دليل على عظم وقعه عند الله لانه طاعة شاقة او لانه كان اهم في ذلك الوقت لاجل

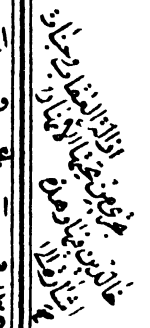




الحاجة اليه في الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ويقال كظم غيظه اذا سكت عليه
ولم يظهره لا بقول ولا بفعل كانه كتمه على امتلائه وردد غيظه في جوفه وكف غضبه عن الامضاء وهو من اقسام الصبر والحلم قال صلعم من كظم
غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل ان يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربوا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة
فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ويحتمل انه صلعم غضب على المشركين حين مثلوا بحمزة فقال لأمثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ و
الصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع المكلفين في الاحوال اذ جنى عليهم احد لم يؤاخذوه قال صلعم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل
من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم صلعم ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذلك مكافاة انما الاحسان ان تحسن الى من
اساء اليك والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة
الى هؤلاء وذلك ان من انواع الاحسان ايصال النفع الى الغير وهو المعنى بالانفاق في السراء والضراء في وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم
وبالنفس فهو الجود والجود بالنفس اقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة اخرى وهو
المعبر عنه بكظم الغيظ واما في الآخرة بان يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الاخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الآية دالة على جميع جهات
الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد اعظم درجات الثواب قال ابن عباس في رواية عطاء ان
نبهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبي صلعم وذكر ذلك له فنزلت والذين اذا فعلوا فاحشة الآية
وقال في رواية الكلبي ان رجلين انصاريا وثقفيا آخى رسول الله صلعم بينهما فكانا لا يفترقان في احوالهما فخرج الثقفي مع رسول الله صلعم بالقرعة في
السفر وخلف الانصاري في اهله وحاجته فاقبل ذات يوم فابصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن
حتى انتهى اليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى فادبر راجعا فقال سبحان الله خنت امانتك وعصيت
ربك ولم تصب حاجتك قال فندم على صنيعه فخرج ليسيح في الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فاخبرته اهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل
عليه فوافقه ساجدا وهو يقول ربي ذنبي قد خنت اخي فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلعم فاسأله عن ذنبك لعل الله ان يجعل
لك فرجا وتوبة فاقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذات يوم عند صلوة العصر نزل جبريل عم بتوبته فتلا على رسول الله صلعم والذين اذا
فعلوا فاحشة الى قوله ونعم اجر العاملين فقال عمر يا رسول الله اخاص هذا لهذا ام للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة
وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبي صلعم ابنوا اسرائيل كانوا اكرم على الله منا كانوا اذا اذنب احدهم اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة
بابه اجدع اذنك اجدع انفك افعل كذا فسكت النبي صلعم فنزلت فقال النبي صلعم الا اخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم فبين انهم اكرم على الله
منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة نعت محذوف اي فعلوا فعلة فاحشة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم اذنبوا اي ذنب
كان مما يؤاخذ الانسان به قيل الفاحشة هي الزنا لقوله تعم ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة
وهذا القول انسب بسبب النزول الذي رويناه وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار منها لانه
كان مأمورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الا عن الصغائر بل ترك الاولى ذكروا الله اي وعيده او عقابه او انه
سائلهم او هيبته وجلاله الموجب للخشية والحياء منه او ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلا بد من مضاف محذوف و
يكون الذكر بمعنى ضد النسيان واليه ذهب الضحاك ومقاتل والواحدي ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا
هم مبصرون وقيل المراد ذكر الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من آداب المسئلة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم
يقال استغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى والمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله
في المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذاك لا اثر له في ازالة الذنب وانما يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه منقطعا
الى الله تعم ومن يغفر الذنوب الا الله لان كمال قدرته وغناه كما انه يقتضي ايقاع العبد في العقاب فكمال رحمته وعفوه يقتضي ازالة ذلك
العقاب عنه لكن صفة الرحمة عنه بالذات سبقت رحمتي غضبي فجانب العفو والمغفرة ارجح ولا سيما اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار
والتنصل باقصى ما يمكن للعبد وفي كتاب مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون
فيغفر لهم وعن انس قال سمعت رسول الله صلعم يقول قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن آدم
لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن آدم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا
لاتيتك بقرابها مغفرة وعن علي عم قال حدثني ابو بكر قال سمعت رسول الله صلعم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الله
الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم
يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صررت الصرة شددتها وصر الفرس اذنيه ضمها الى رأسه واصر



ايضا عن النبي ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل
اصروا وحرف النهي منصب عليهما معا كما لو قلت ما جاءني زيد وهو راكب واردت نفي المجيء والركوب معا وذلك ان المقام مقام مدح لهم
بعدم الاصرار والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد عليها لانه قد يعذر الجاهل ولا يعذر
العالم ويحتمل ان يراد بالعلم العقل والتمييز والتمكن من الاحتراز عن الفواحش فيجري مجرى قوله رفع القلم عن ثلث وعلى هذا يجوز ان يراد نفي
الاصرار في حالة العلم لا نفيه مطلقا كما لو اردت في المثال المذكور نفي الركوب في حال المجيء لا نفي المجيء على الاطلاق اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم
وهي اشارة الى ايصال الثواب ونعم اجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضي وهذا يبطل قول من قال ان الثواب تفضل من الله وليس جزاء على
عملهم وذلك انه سمى الجزاء اجرا والاجر واجب مستحق فكذلك الجزاء ولقائل ان يقول انه على وجه التشبيه لا التحقيق واستدلوا ايضا بالاية على ان
اهل الجنة هم المتقون والتائبون دون المصرين لقوله ولم يصروا والجواب ما مر ان كون الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب ان لا
يدخلها غيرهم بفضل الله وبرحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تأمل احوال القرون الخالية فقال
قد خلت من قبلكم سنن واصل الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة
الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهي فعلة بمعنى مفعول من سن الماء يسنه اذا والى صبه كانه اجراه على نهج واحد او من سننت النصل احددته
او من سن الابل اذا احسن الرعي والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى في الامم السالفة يعني سنن الهلاك والاستيصال بدليل قوله فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب
في الآخرة هذا قول اكثر المفسرين قال مجاهد المراد سنن الله في الكافرين والمؤمنين فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر
ولكن المؤمن بقي له الثناء الجميل والثواب الجزيل وللكافر اللعن والعقاب ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التأمل في حال احد
القسمين يكفي في معرفة حال القسم الآخر ولان الغرض زجر الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بتأمل احوال امثالهم وليس المراد من قوله فسيروا
في الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت هذه المعرفة بغير المسير في الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد ان يقال ندب الى
السير لان لمشاهدة آثار الاقدمين اثرا اقوى من اثر السماع كما قيل ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار هذا بيان المشار اليه
اما ان يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث
على الايمان وما يستحق به من الاجر واما ان يكون ما حثهم عليه من النظر في سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم
اما البيان والهدى والموعظة فلا بد من الفرق بينها لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات وتحته نوعان
احدهما الكلام الذي يهدي المكلف الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص
الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل البيان عام للناس والهدى والموعظة خاصان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط
كونها موصلة الى البغية واقول يشبه ان يكون البيان عاما لجميع المكلفين باي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهاني
والجدلي والموعظة يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وخص
المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير مثمر ولما بين هذه المقدمات ومهدها ذكر المقصود وهو قوله ولا تهنوا كانه قال اذا بحثتم عن احوال القرون
الخالية علمتم ان صولة الباطل تضمحل وان العاقبة والغلبة لارباب الحق والوهن الضعف اي لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثنكم ما اصابكم يوم احد
وهنا وجبنا ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم
يوم احد وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله وقتالهم للشيطان وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وانتم الاعلون بالحجة والعاقبة
الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين وفي هذا تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما ان يكون قيدا لقوله وانتم الاعلون اي ان
كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة واما ان يكون قيدا لقوله ولا تهنوا اي ان صح ايمانكم بالله وبحقية هذا الدين فلا
تضعفوا لثقتكم بان الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله يوم احد فبينا هم كذلك اذ اقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين
يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فانزل
الله تعالى هذه الآية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله وانتم الاعلون وقال
راشد بن سعد لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد كئيبا حزينا جعلت المرأة تجيء بزوجها وابيها وابنها مقتولين فقال رسول الله اهكذا
تفعل برسولك فنزلت ان يمسسكم قرح بفتح القاف وبضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد وقيل بالفتح لغة تهامة والحجاز و
قيل بالفتح مصدر وبالضم اسم وقال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم الم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا ان المفتوحة توهم انها جمع
قرحة ومعنى الآية ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبل ذلك في يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال فانتم اولى بان لا تفتروا ولا
تجبنوا ونظيره فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل القرحان في يوم احد وذلك انه قتل يومئذ خلق من الكفار نيف



وعشرون رجلا وقتل صاحب لوائهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم اول النهار كما يحكى من قوله تعالى
وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ والمماثلة في عدد القتلى والجرحى غير لازم وانما تكفي المثلية في نفس
القتل والجراحة وتلك الايام موصوف وصفة مبتدأ وخبره نداولها او تلك مبتدأ والايام خبره كقولك هي الايام تبلى كل جديد والغنيم
لا بوصف فيكون تلك اشارة الى الوقائع والاحوال العجيبة التي يعرفها اهل التجارب من ابناء الزمان والمراد بالايام ما في تلك الاوقات
من الظفر والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدم والمداولة نقل الشيء من واحد الى آخر ويقال تداولته الايدي اي تناقلته
والدنيا دول اي تنتقل لما تقدم تفسيره من قوم الى آخرين لا يدوم مسارها ومغامها فيوم يحصل فيه السرور وللعدو الغم لغده ويوم آخر بالعكس
فلا يبقى شيء من احوالها ولا يستقر اثر من آثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلاء لكونها تارة مملوة واخرى فارغة وليس المراد
من هذه المداولة انه تعالى تارة ينصر المؤمنين واخرى ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا يناله الكافرون بل المراد انه تارة يشدد
المحنة على المؤمنين وذلك انه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان
حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فالحكمة في المداولة ان يكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة
النظر في الدلائل على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله تعالى والى هذا اشير في قوله سبحانه وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وحذف المعطوف عليه ليذهب الوهم كل
مذهب في تقرير الفوائد والتقدير نداولها بين الناس ليكون كيت وكيت وليعلم وفيه ايذان بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة
ولكن في ضمنها مصالح جمة لو عرفوها انقلبت مساءتهم مسرة منها ان يعلم الله وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الآية ونحوها
كقوله وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا على انه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها في تفسير قوله تعالى وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
رَبُّهُ ونأويل الاية ان اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان او قدرته والمراد معلومه
او مقدوره فكل آية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير في علم الله تعالى محال فمعنى الاية ليظهر معلومنا وهو المخلص
من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان
يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة يقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل ليعلم اولياء الله فاضاف الى نفسه تفخيما لهم و
على الاقوال العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذي يتعدى الى مفعولين والتقدير ليعلمهم مميزين
عن غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق ليعلم بعده ومعناه وليتميز الثابتون على الايمان من المضطربين فعلنا ما فعلنا
ومن حكم المداولة قوله وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة كقوله لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فان كونهم كذلك
منصب شريف لا يناله الا هذه الامة ولن يكونوا من الامة الا بالصبر على ما ابتلوا به من الشدائد والمراد ليكرم ناسا منكم بالشهادة
والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمى شهيدا قال النضر بن شميل لانهم احياء حضروا
دار الاسلام كما قال تعالى ابن الانباري لان الله وملائكته شهدوا له بالجنة وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ اي المشركين إِنَّ الشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ قاله ابن عباس وقيل لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان الصابرين على البلوى وهو اعتراض بين بعض العلات
وبعض وفيه ان دولة الكافرين على المؤمنين للفوائد المذكورة لا لانه يحبهم ومن الحكم قوله وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ
والمحص في اللغة التنقية والمحق النقصان وقال المفضل هو ان يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء قال الزجاج معنى الاية انه ان حصلت
الغلبة للكافرين على المؤمنين كان المراد تمحيص ذنوب المؤمنين اي تطهيرهم وتصفيتهم وان كان بالعكس فالمراد محو آثار الكفار وهذه
مقابلة لطيفة لان تمحيص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك باهلاك انفسهم لا بالكلية فان ذلك غير واقع بل بالتدريج ونحو
لِيَقْطَعَ طَرَفًا بعضها من اطرافها التأويل لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ما يؤدي الى الحرص على طلب الدنيا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً الى ما لا نهاية فلا
يملأ جوف ابن آدم الا التراب وَاتَّقُوا اللَّهَ خطاب للخواص اي اتقوا بالله عن غير الله في طلب الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ عن حجب ما سوى الله وتظفروا
بالوصول الى الله ثم خاطب العوام الذين هم ارباب الوسائط بقوله وَاتَّقُوا النَّارَ اي نار الحرص التي تورى منها نار القطيعة وجوروا
بقدمه طاعة الله ورسوله وطاعة رسوله ثم اخبر عن المسارعة الى الجنان بمصارعة النفس والجنان عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ اي المسافة بين العبد وبينها هذا الاذن
الوصول اليها بعد العبور عما في السموات والارض وهو عالم المحسوسات كما قال النبي عن عيسى انه قال لم يلج ملكوت السموات والارض
من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هي الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها والولوج للملكوت هو التحلية بالصفات الروحانية
يُنْفِقُونَ اموالهم فِي السَّرَّاءِ وارواحهم فِي الضَّرَّاءِ بل من سوى الله في طلب الله فَعَلُوا فَاحِشَةً هي رؤية غير الله أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بالتعلق
بما سوى الله ذَكَرُوا اللَّهَ بالنظر اليه ورؤيته وَمَنْ يَغْفِرُ ومن يستر بكنف عواطفه ذنوب وجود الاغيار إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا من رؤية
الوسائط والتعلق بها وَهُمْ يَعْلَمُونَ ان كل شيء ما خلا الله باطل أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ اي هم مستحقون لمقامات القرب مِنْ رَبِّهِمْ و
في اصناف الطاعة تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ انهار العناية وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ لان نيل المقصود في بذل المجهود قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ امم لهم سنن

على الكافرين واخرى

بالقناعة

تنا

الدنيا والآخرة لانكم من
اهلهم

فسيروا في الارض نفوسكم الحيوانية بالعبور على اوصافها الدنية لتبلغوا سماء قلوبكم الروحانية فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية ولا تهنوا ايها السائرون في السير الى الله ولا تحزنوا على ما فاتكم من اللذات الفانية وانتم الاعلون من اهل الله ان يمسسكم في اثناء المجاهدات قرح ابتلاء وامتحان فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس السائرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما منحة ويوما محنة وليتخذ منكم شهداء ارباب المشاهد والمكاشفات وليمحص الله فيه اشارة الى ان كل الم ونصب يصيب المؤمن فهو تطهير لقلبه وتكفير لسره وما يصيب الكافر من نعمة ودولة وغنى ومنى فهو سبب لكفرانه ومزيد لطغيانه وبوجه اخر البلاء لاهل الولاء تمحيص القلوب عن ظلمات العيوب وتنويرها بانوار الغيوب ومحو صفات نفوسهم الكافرة ومحو سمات اخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا عن قفص الاشباح الى حظائر الارواح أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا

الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ

مبهشت را و هنوز خدا معلوم نکرده است خدا انهارا که جهاد کردند از شما و معلوم نکرده است صابرانرا و هر آینه بودید شما که ارزو میکردید مرگرا از پیش آنکه ببینید

فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۝ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ

پس هر آینه دیدید انرا و حال انکه مشاهده میکردید و نیست محمد مگر پیغمبری که گذشت از پیش او پیغمبران ایا پس اگر بمیرد یا کشته شود برگردید

عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ

بر پاشنهای تان و هر که برگردد بر پاشنهای خود پس ضرر نرساند خدا را چیزی و زود است که مزد دهد خدا شاکرانرا و نباشد مر نفسی را که بمیرد

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ

مگر بفرمان خدا نوشته است با مدت و هر که بخواهد ثواب دنیا را بدهیم او را ازان و هر که بخواهد ثواب اخرت را بدهیم او را ازان و هر آینه زود است که مزد دهیم شاکرانرا

وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ

و چه بسیار از پیغمبری که مبارزت کردند با او طائفه بسیاری پس سست نشدند با انچه رسید ایشانرا در راه خدا و ناتوان نشدند و مستاصل نشدند و خدا

يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

دوست دارد صابرانرا و نبود گفتار ایشان مگر انکه گفتند ای پروردگار ما بیامرز مارا گناهان مارا و زیادروی مارا در کار ما و استوار کن قدمهای ما

وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

و یاری ده مارا بر گروه کافران پس داد ایشان ثواب دنیا و خوبی ثواب آخرت و خدا دوست دارد خوبکارانرا ای زمره انانکه

آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ

گرویدید اگر پیروی کنید انهارا که کافر شدند برگردانند شمارا بر پاشنهای تان پس برگردید زیانکاران بلکه خداست صاحب اختیار شما و اوست بهتر یاری دهندگان

القراءة رايتموه بغير همزة يعني بالياءين وبحوه راوك وراوه روى هبة الله بن جعفر عن الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف يرد ثواب وبابه مدغما ابو عمرو وهشام وابن عامر وسهل وحمزة وعلي وخلف نؤته مثل يؤده وكائن بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن كثير وقرا يزيد وكاين بالمد بغير همزة وقرا ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي بغير نون في الوقف وكاي الباقون وكاين في الحالين قتل ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة والمفضل الباقون قاتل الوقوف الصابرين تلقوه ص لطول الكلام الرسل ج لان ما بعده يصلح صفة واستينافا الرسل ط اعقابكم ط لتناهي الاستفهام شيئا ط الشاكرين مؤجلا ج لابتداء الشرط مع نهاج للعطف منها الشاكرين قتل ط ليكون قتل النبي الزاما للحجة على من اعتذر في الانهزام بما سمع من نداء ابليس الا ان محمدا قد قتل و التقدير ومعه ربيون كثير ولو وصل كان الربيون مقتولين ومن قرا قاتل فله ان لا يقف كثير لابتداء النفي مع فاء التعقيب استكانوا ط الصابرين الكافرين لا الاخرة ط المحسنين خاسرين مولاكم ج الناصرين التفسير انه سبحانه لما ذكر فوائد مداولة الايام وحكمها اتبعها ما هو السبب الاصلي في ذلك فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما بمعنى لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفي العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفي المعلوم وانما حسن اقامة ذلك مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة احدهما مقام الاخر تقول ما علم الله في فلان خيرا اي ما فيه خير حتى يعلمه فحاصل الكلام لا تحسبوا ان تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا وانما انكر هذا الحسبان لانه تعالى اوجب الجهاد قبل هذه الواقعة واوجب الصبر على تحمل متاعبها وبين وجوه المصالح المنوطة بها في الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال مثل هذه الطاعة والواو في قوله ويعلم الصابرين واو الجمع في قولهم لا تاكلوا السمك وتشرب اللبن كانه قيل ان دخول الجنة وترك المصابرة على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من اقر بدين الله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكروهات ومخالفات النفس فان الحب هو الذي لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل النقد ير الظننتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الصابرين وحاصله هو ان يكون مجموع ما

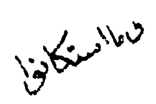
[illegible]



ايضا لكن الميمين حركت للساكنين حركت بالفتحة اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما قرئ ولما يعلم الله بفتح الميم الا ان يراد ولما يعلمن الله بفتح الميم الا ان يراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت وقرأ الحسن ويعلم بالجزم على العطف وروى عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على الحالية كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت الخطاب فيه للذين الحوا على رسول الله صلعم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة ويراد بالموت سببه هو الجهاد والقتل قال المحققون انه لم يكن تمنيهم للموت تمنيا لان يقتلوا لان قتل المشركين لهم كفر ولا يجوز للمؤمن ان يتمنى الكفر او يريده او يرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبهوا ذلك بمن شرب دواء الطبيب النصراني فان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر بباله جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق صناعته قالت الاشاعرة ههنا من اراد شيئا اراد ما هو من لوازمه وثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة ولا ريب انه تعالى اراد ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين ولهذا ورد من الترغيبات ما ورد فاراد صيرورتهم شهداء الا اذا قتلهم الكفار فلا بد ان يريد ان يقتلهم الكفار وذلك القتل كفر ومعصية فثبت انه تعالى مريد للكفر والايمان والطاعة والعصيان من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وانتم تنظرون قال الزجاج اي وانتم بصراء كقولهم رأيته بعيني اي رأيتموه معاينين حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم وشارفتم ان تقتلوا ويحتمل ان يراد رأيتم اقدام القوم وشدة حرصهم على قتلكم وعلى قتل الرسول ثم بعيتم انتم تنظرون اليهم من غير جد في دفعهم ولا اجتهاد في مقاتلتهم وفيه توبيخ على تمنيهم الجهاد وعلى الحاحهم في الخروج اليه ثم انهزامهم وقلة ثباتهم عنده قال ابن عباس ومجاهد والضحاك لما نزل النبي صلعم بالشعب امر الرماة ان يلزموا اصل الجبل ولا ينتقلوا سواء كان الامر لهم او عليهم فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم وقتل علي عم طلحة بن ابي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم حمل الرسول صلعم مع صحابه فهزموا ابا سفيان ثم ان بعض القوم لما رأوا انهزام الكفار بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار فلما رأى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلعم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة واحتمل طلحة بن عبيد الله رسول الله ودافع عنه ابو بكر وعلي عم وظن ابن قمئة انه قتل رسول الله صلعم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل قيل وكان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله عم فانكفأوا وجعل رسول الله صلعم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله صلعم فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فنزلت وما محمد الا رسول اي مرسل قال ابو علي وقد يكون في غير هذا الموضع بمعنى الرسالة اي حاله مقصور على الرسالة لا يتخطاها الى البقاء والدوام قد خلت من قبله الرسل فيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا انتم كذلك لان الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة لا وجودهم بين اممهم ابدا افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء للتسبيب الجملة الشرطية عن الجملة التي قبلها والهمزة لانكار الجزاء لانه في الحقيقة كأنه دخل عليه والمعنى افتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وسبب الانكار ما تقدم من الدليلين احدهما ان الحاجة الى الرسول هي التبليغ وبعد ذلك لا حاجة اليه فيلزم من قتله او موته الادبار عما كان هو عليه من الدين وما يلزمه كالجهاد وثانيهما القياس على موت سائر الانبياء وقتلهم فان موسى عم مات فلم يرجع امته عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى عم قتل وهم لم يرجعوا عن دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله يعصمك من الناس لو سلم انه متقدم في النزول فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على انه ليس نصا في العصمة على القتل بل يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت يراد به المفارقة الى الآخرة بأي طريق كان بدليل فانهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن ان يقال صدق القضية الشرطية لا يتوقف على صدق جزئيها الصدق قولنا ان كانت الخمسة زوجا فهي تنقسم بمتساويين مع كذب جزئيها ومعناه هو الترديد والتشكيك اي سواء فرض وقوع الموت والقتل فلا تأثير له في ضعف الدين ووجوب الادبار والارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بل لا يضر الا نفسه وهذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب ان هذا الذي تأتي به من الافعال لا يضر السماء والارض يريد انه يعود ضرره عليه وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلعم روي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلعم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم فنعى امثالهم قال تعالى وسيجزي الله الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر والثبات ثم قال وما كان لنفس ان تموت ووجه النظم ان المنافقين ارجفوا ان محمدا قد قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الاديان فابطل قولهم



بان القتل مثل الموت في انه لا يحصل الا في الوقت المقدر وكما انه لو مات في بلده لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا لو قتل وفيه تحريض المؤمنين
على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يغني عن القدر وان احدا لا يموت قبل الاجل وان خوض المهالك واقتحام المعارك او الغرض بيان حفظه
وكلائته للنبي ص فانه ما بقي في تلك الواقعة سبب من اسباب الهلاك والشر الا وقد حصل الا انه تعالى لما كان حافظا للنبي ص ولم يقدر في ذلك
الوقت اجله ص لم يضره ذلك وفيه تقريع لاصحابه ص انهم قد قصروا في الذب عنه ص وجواب عما قاله المنافقون للصحابة لما رجعوا لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الاخفش والزجاج تقدير الكلام وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقال ابن عباس الاذن هو قضاء
الله وقدره فانه لا يحدث شيء الا بمشية الله وارادته فاورد الكلام على سبيل التمثيل كانه فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان باذن الله
فيه وذلك ان اسناد الموت الى النفس نسبة الفعل الى القابل لا الى الفاعل وقال ابو مسلم الاذن هو الامر والمعنى انه تعالى يامر ملك الموت
فاقيم القابل مقام الفاعل
بقبض الارواح فلا يموت احد الا بهذا الامر وقيل المراد التكوين والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت والحيوة احد الا الله وقيل التخلية
والاطلاق وترك المنع بالقهر والاجبار والمعنى ما كان لنفس ان تموت بالقتل الا باذن يخلي الله بين القاتل والمقتول وفيه انه تعالى لا يخلي
بين نبيه وبين احد ليقتله ص ولكن جعل من بين يديه ص ومن خلفه رصدا ليتم على يديه بلاغ ما ارسل به فلا تهنوا في غزواتكم بعد ذلك
بارجاف مرجف وقيل الاذن العلم اي لن يموت نفس الا في الوقت الذي علم الله موتها فيه وفي الاية دليل على ان المقتول ميت باجله
وان تغير الاجال ممتنع ولذا اكد هذا المعنى بقوله كتابا مؤجلا وهو مصدر مؤكد لنفسه لدلالة ما قبله عليه لانه كانه اي كتب الموت كتابا
مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر وقيل الكتاب المؤجل هو المشتمل على الاجال وقيل هو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع الحوادث
من الخلق والخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة قال القاضي الاجل والرزق مضافان الى الله تعالى واما الكفر والفسق والايمان و
الطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد فاذا كتب تعالى ذلك فانما يكتب ما يعلمه من اختيار العبد وذلك لا يخرج العبد من ان يكون مذموما او ممدوحا
والحق ان هذا تعكيس للقضية فان الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال ان ياتي هو بالايمان والا انقلب علم الله جهلا واذا كان هو غير قادر
على الايمان فما معنى اختياره ثم انه كان في الذين حضروا يوم احد من يريد الدنيا ومن يريد الاخرة كما اخبر الله تعالى في هذه السورة فقوله
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها اي من ثوابها تعريض بالفريق الدنيوي وهم الذين شغلتهم الغنائم وباقي الاية مدح للفريق الاخروي
وان فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين لكن ثواب الفريق الثاني هو المعتد به في الحقيقة ولهذا ختم الكلام بقوله وسنجزي الشاكرين
فابهم الجزاء واضافه الى نفسه تنبيها على ان جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم يشغلهم عن الجهاد شيء لا يكتنه كنهه ويقصر عنه العبارة وانما كان يليق
بعميم فضله وجسيم طوله وهذه الاية وان وردت في الجهاد لكنها عامة في جميع الاعمال بالنيات وذلك لان المؤثر في جانب الثواب والعقاب
كما قال ص انما الاعمال
القصود والدواعي فمن وضع الجبهة على الارض والوقت ظهور الشمس امامه فان قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان من الايمان وان قصد
تعظيم الشمس كان من الكفر وكاين الاكثرون على انها في الاصل مركبة من كاف التشبيه واي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة فكما
ان كذا مركبة من الكاف وذا المقصود به الاشارة فكاين مثل كذا في كون المجرورين مبهمين عند السامع الا ان في ذا اشارة في الاصل الى
ما في ذهن المتكلم بخلاف اي فانه للعدد المبهم وتمييزها منصوب ومفرد على الاصل والاكثر ادخال من في تمييز كاين وبه ورد القران والتمييز بعد كذا و
كاين في الاصل عن الكاف لانه مرفوع واي كانت في مثل رجلا الا انك تبين في كذا رجلا وكاين رجلا ان مثل العدد المبهم من اي جنس هو ولم تبين العدد
المبهم في الاصل كان معربا لكنه انمحى عن الجزئين معناهما الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كانه اسم مبني على السكون
اخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن فلهذا يكتب بعد الياء نون مع ان التنوين لا صورة له خطا ولاجل التركيب تصرف فيه فقيل
كائن مثل كاعن وربما ظن بعضهم انه اسم فاعل من كان ولكنه بني لكثرة الاستعمال وهما اللغتان فيه مشهورتان وبهما قرئ
وفيه لغات اخر غير مشهورة تركنا ذكرها لانه لم يقرأ بها لعلك تجدها في كتبنا الادبية ومحل كاين ههنا رفع على الابتداء وقوله قتل
او قاتل خبره والضمير يعود الى لفظ كاين فانه مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى والربيون معناه الالوف والجماعات الكثيرة الواحد ربي عن
الفراء والزجاج قال ابن قتيبة اصله من الربة الجماعة فحذفت الهاء في النسبة ويقال تربيوا اي تجمعوا وقال ابن زيد الربانيون الائمة و
الولاة والربيون الرعية والكسر فيه من تغييرات النسب كالضم في دهري والقياس الفتح ثم من قرا قتل فمعنى الاية ان كثيرا من الانبياء قتلوا
والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم وكان ينبغي ان يكون لكم فيهم اسوة حسنة فيكون المقصود
من الاية حكاية ما جرى لسائر الانبياء ليقتدي هذه الامة بهم ومن قرا قاتل فالمعنى وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم
قروح فما وهنوا فعلى هذا يكون الغرض من الاية ترغيب الذين كانوا مع النبي ص في القتال وربما يؤيد هذه القراءة بما روي عن سعيد بن
جبير انه قال ما سمعنا بنبي قتل في القتال ويحتمل ان ينزل القراءة الاولى على هذه الاية ايضا بان يقال المعنى وكاين من نبي قاتل من
كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما وهن وضعف الباقون وما استكانوا لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم انه تعالى
مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا ولا بد من تغايرها فقيل فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعد



وما استكانوا للعدو اي لم يخضعوا له وفيه تعريض بما اصاب المسلمين من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك
عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وقيل الوهن استيلاء
الخوف عليهم والضعف ضعف الايمان واختلاج الشبهات في صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقيل الوهن ضعف
يلحق القلب والضعف مطلق الاختلال في القوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك العجز والضعف واستكان قيل افتعل من السكون كانه سكن
لصاحبه ليفعل به ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ كقولهم هو منه بمنتزاح اي بعيد يريد بمنتزح والاصح انه استفعل من كان والمد قياسي كان صاحبه
تغير من كون الى كون اي من حال الى حال والله يحب الصابرين بان يريد اكرامهم والحكم بالثواب والجنة لهم ثم اخبر انهم كانوا مستعينين عند ذلك
بالصبر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر من الله والغرض ان يقتدي هذه الامة بهم فان من عول في تحصيل مهماته على نفسه
وعلى عدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله والتجاء اليه فاز بالظفر وفي اضافتهم الذنوب والاسراف الى انفسهم وهم ربانيون هضم للنفس واستصغار
لها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بانه تعالى ضمن نصر المؤمنين فاذا لم يحصل النصرة وظهر امارات استيلاء الاعداء دل ذلك على
صدور ذنب وتقصير من المؤمنين فيلزم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة واقرب
الى الاستجابة ثم انهم عموا الذنوب اولا الصغائر والكبائر بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصصوا الذنوب الكبائر بقولهم واسرافنا في امرنا
لان الاسراف في كل شيء هو الافراط فيه والمراد بتثبيت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد
بالنصر الامور الزائدة على القوة والعدة والشدة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء وكاحداث احوال سماوية وارضية توجب انهزامهم كهبوب
ريح تثير الغبار في وجوههم واجراء سيل في مواضع وقوفهم وفي الاية تاديب وارشاد من الله تعالى في كيفية الطلب عند النوائب جهادا كان
او غيره فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وانشراح الصدر وثواب الاخرة هو الجنة وما فيها من المنافع و
اللذات وذلك غير حاصل في الحال والمراد انه حكم لهم بحصولها في الاخرة وحكم الله بالحصول كنفس الحصول او المراد انه سيؤتيهم مثل الذي اراه الله
سيأتي قال القاضي ولا يمتنع ان يكون الاية مختصة بالشهداء وانهم في الجنة عند ربهم كما ماتوا احياء وثواب الاخرة كله حسن فما ظنك
بحسن ثوابها وانما لم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدورة صفوها بالانقطاع والزوال قال القفال يحتمل ان
يكون الحسن هو الحسن كقوله وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان غاية في الجود ونهاية في العدل
وههنا نكتة وهي انه ادخل من التبعيضية في الاية المتقدمة في قوله نؤته منها في الموضعين ولم يذكر في هذه الاية لان اولئك اشتغلوا بالثواب عن
العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هؤلاء فانهم لم يذكروا انفسهم الا بالعيب والقصور ولم يشتغلوا بهم الا بما يوجب اعلاء كلمته فلا جرم فازوا
بالكل وفيه تنبيه على ان من اقبل على خدمة الله اقبل على خدمته كل ما سوى الله ثم قال والله يحب المحسنين والاحسان ان تعبد الله كانك تراه
وههنا سر وهو انه تعالى وفقهم للطاعة ثم اثابهم عليها ثم مدحهم على ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد ان الكل بعنايته وفضله يا ايها الذين آمنوا
ان تطيعوا الذين كفروا عن السدي المراد بالذين كفروا هو ابو سفيان واصحابه فانه كان كبير القوم في ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا لهم
وتستأمنوهم وعن علي هم المنافقون عبد الله بن ابي واشياعه قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن
الحسن هم اليهود والنصارى يستغوونهم ويوقعون لهم الشبهة في الدين ولا سيما عند هذه الواقعة كانوا يقولون لو كان نبيا حقا
لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه والاقرب انه عام في جميع الكفار وان خصوص
السبب لا ينافي ارادة العموم فعلى المؤمنين ان لا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم
وهو المراد بقوله يردوكم على اعقابكم اي الى الكفر بعد الايمان فتنقلبوا خاسرين في الدنيا وهو استبدال ذلة الكفر بعزة الاسلام
والانقياد للاعداء الذي هو اشق الاشياء لدى العقلاء وفي الاخرة بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد بل الله
مولاكم ناصركم وهو اضراب عما كانوا بصدده من طاعة الكفار والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا
خطأ وجهالة لانهم عاجزون مثلكم متحيرون وبغير اذن الله لا ينفعون ولا يضرون وهو خير الناصرين لو فرض ان لاحد سواه قدرة
على النصر لانه خبير بمواقع الحاجات قدير على انجاز الطلبات في الدنيا والاخرة بلا شائبة علة من العلل في نصرة غيره لو فرض
فانه مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفي بعض الاوقات وللغرض من الاغراض الفاسدات كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه التأويل
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ان تلجوا عالم الملكوت ولما تظهر منكم مجاهدات تورث المشاهدات والصبر على تزكية النفوس وتصفية القلوب
على وفق الشريعة وقانون الطريقة ليتجلى الارواح بانوار الحقيقة ولقد كنتم يا ارباب الصدق واصحاب الطلب تمنون الموت موت النفوس
عن صفاتها وتزكيتها من قبل ان تلقوه بالمجاهدات والرياضات في خلاف النفس وقهرها عند لقاء العدو في الجهاد الاصغر ظاهرا
وفي الجهاد الاكبر باطنا فقد رأيتموه هذه الاسباب التي كنتم تمنونها عيانا وانتم تنظرون لا تقدرون ارواحكم ولا تجاهدون حق الجهاد
في الله بارواحكم واشباحكم افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فيه ان الايمان التقليدي لا اعتبار له فينقلب المقلد عن ايمانه عند



اعدام المقلد من ابوالدين او الاستاد وكذا عند موت المقلد فيعجز عند سوال الملكين في قولهما لمن ربك فيقول هاه لا ادرى فيقولان
زمانك تقول في هذا الرجل فيقول هاه لا ادرى كنت اقول فيه ما قال الناس فيقولان لا دريت ولا تليت وسيجزي الله بالايمان بالايمان الحقيقى
الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدى باداء حقوقه وهو الايتمار باوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه وما كان لنفس ان تموت عن
اوصافها الذميمة واخلاقها الردية وتتخلص عنها بطبعها الا بتوفيق الله وجذبة اشراق نوره كما ان ظلمة الليل لا ينتهى الا باشراق طلوع الشمس
ثم اثبت للعبد كسبا في طلب الهداية واستجلاب العناية بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وهذه رتبة الخواص اى من عمل شوقا الى الحق
فقد ادى نعمة وجود المنعم فثوابه نقد في الدنيا لانه حاضر لا غيبة له وهو معنى قولهم الصوفي ابن الوقت وفيه انشد خليلي هل ابصرتما او
سمعتما باكرم من مولى تمشى الى عبد اتى زائرا من غير وعد فقال لى لانه اصونك عن تعذيب قلبك بالوعد ومن عمل شوقا الى الجنة فنظره
على النعمة فثوابه في الاخرة وسيجزي الله الشاكرين اى كلا الفريقين على قدر شكرهما وكاين من نبي قاتل اعدى العدو الذى بين جنبيه
ومعه ربيون متخلقون باخلاق الرب فما وهنوا لما اصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا في طلب الحق وما استكانوا باحتمال الذلة
والالتفات الى ان تطيعوا الذين كفروا اى النفوس الكافرة سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
وصفاتها يردوكم الى اسفل سافلين بشريتكم وطبيعتكم

مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ

حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ

الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى

أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ثُمَّ أَنْزَلَ

عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ

الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ

لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ

وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى

الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا

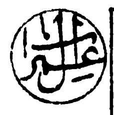
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ فَبِمَا رَحْمَةٍ

مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ

مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ القراءة الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلى ويزيد وسهل ويعقوب الباقون باسكون
العين وماويهم وبابه بغير همز ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهانى عن ورش وحمزة





فى الوقف ولقد صدقكم وبابه بادغام الدال فى الصاد حمزه وعلى وخلف وابو عمرو وهشام وسهل وتغشى بتاء فوقانية وبالامالة حمزه وعلى وخلف
الباقون بياء الغيبة كله بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب يصير بياء الغيبة ابن كثير وعباس وعلى وخلف وحمزه
الباقون بالخطاب متم ومتنا بكسر الميم من مات يمات حيث كان نافع وعلى وحمزه وخلف وافق حفص الا ههنا الجواز قتلتم الباقون
بضم الميم من مات يموت يجمعون بياء الغيبة حفص والمفضل وسائر القراء بتاء الخطاب الوقوف سلطانا ج لعطف المختلفتين النار ط
الظالمين ه باذنه ج لانه حتى يحتمل انتهاء الحسن ووجه الابتداء اظهر لاقترانه اذا مع حذف الجواب اى اذا فعلتم وفعلتم انقلب الامر ومنعكم
نصره والوقف على تحبون ط فى الوجهين الاخرة ج لان ثم لترتيب الاخبار وقيل لعطف صرفكم على الجواب المحذوف ليبتليكم ج عنكم ط
المؤمنين اصابكم ط تعملون طائفة منكم لا لان الواو للحال الجاهلية ط من شىء ط لله ط يبدون لك ط ههنا ط مضاجعهم ج لان الواو
مقحم او عاطفة على محذوف اى لينفذ الحكم فيكم وليبتلى ما فى قلوبكم الصدور الجمعان لا لان خبر ان كسبوا ج لاحتمال الواو حالا واستئنافا
عنهم ط حليم وما قتلوا ج لان لام ليجعل قد يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم او بمحذوف اى ذلك ليجعل فى قلوبهم ط ويميت ط بصير تجمعون
تحشرون لنت لهم ج لان الواو للعطف ولو للشرط من حولك ص والوصل اولى ليعطف الامر بالرحمة على النهى عن الغلظة تعريضا الامر ج
لفاء التعقيب مع اذا الشرطية على الله ط المتوكلين لكم ج لابتداء شرط اخر مع الواو من بعده ط المؤمنون التفسير انه تعالى ذكر فى هذه الايات
وجوها كثيرة فى باب الترغيب فى الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب فى قلوب الكفرة ولا شك ان هذا من معاظم اسباب
الاستيلاء ثم ان هذا الوعد مخصوص بيوم احد او هو عام فى جميع الاوقات الاظهر الثانى كانه قيل انه وان وقعت لكم هذه الواقعة فى يوم
احد الا انا سنلقى الرعب فى قلوب الكفار بعد ذلك حتى يظهر هذا الدين على سائر الاديان ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وذهب
كثير من المفسرين الى انه مختص بيوم احد لورود ه فى سياق تلك القصة قال السدى لما ارتحل ابو سفيان والمشركون يوم احد متوجهين الى
مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستاصلوهم
فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب فى قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير سبب حتى روى ان ابا سفيان صعد الجبل من الخوف وقال اين ابن
ابى كبشة يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ابن ابى قحافة اين ابن الخطاب فاجابه عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذى يملأ القلب
فزعا ومنه سيل راعب اذا ملأ الاودية والانهار والقاء الرعب فى قلوبهم لا يقتضى القاء جميع انواعه فيها وانما يقتضى وقوع هذه
الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله فى قلوب الذين كفروا يقتضى وقوع الرعب فى قلوب جميع الكفرة وهكذا هو فى الواقع لانه
لا احد يخالف دين الاسلام الا وفى قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما فى الحرب واما فى المحاجة وقيل انه مخصوص باولئك الكفار بما اشركوا
اى بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول وهو ان الدعاء انما يصير فى محل الاجابة عند الاضطرار كما قال امن يجيب المضطر اذا دعاه و
العتقد ان لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينصرنى فذاك الاخر ينصرنى فلا يحصل له الاجابة فيلزمهم الرعب
والخوف هذا على تقدير ان معبوديهم يصح منهم الاجابة كيف وانهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ما لم ينزل به سلطانا اى الهة لم ينزل الله باشراكها
حجة والتركيب يدل على القدرة والشدة والحدة ومنه يقال للوالى سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كانه يستخرج بالعصر
قال الجوهرى السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد ان ههنا حجة الا انها لم تنزل لان الشرك لن يقوم عليه حجة
ولكن المراد نفى الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر قال المتكلمون التقليد باطل لان كل ما لا دليل عليه لم يجز اثباته ومنهم
من بالغ فيقول ما لا دليل عليه فيجب نفيه ومنهم من احتج بهذا الحرف على وحدانية الصانع فقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا باحتياج المحدثات
اليه ويكفى فى دفع هذه الحاجة اثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل الى اثباته فلم يجز اثباته اقول هذا اذا لم يكن اسند للنافى بعد الدليل
على وجود الشريك على نفيه واما اذا استند للنافى بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشتراك لوجود الدليل على نفى
الشريك ولما ذكر حال الكفرة فى الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم اتبعه حالهم فى الاخرة فقال ومأواهم اى المكان الذى ياوون اليه
النار وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوى اذا قام به ثم اكد وعد القاء الرعب بقوله ولقد صدقكم الله
وعده اذ تحسونهم تستاصلونهم قتلا قال اصحاب الاشتقاق حسه قتله لانه ابطل حسه بالقتل كما يقال بطنه اذا اصاب بطنه وراسه
اذا اصاب راسه باذنه بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد انه صلى الله عليه وسلم راى فى المنام انه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين
يوم احد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ما ذكره من قوله ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الا ان
الا ان هذا كان مشروطا بشرط التقوى والصبر وقيل المراد هو ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم فيه فلما
اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على اثارهم يقتلونهم وقيل لما رجعوا الى
المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت حتى اذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم قال بعض العلماء
هذا ليس بشرط فلهذا لم يقتض الجواب والمعنى قد نصركم الله الى حين كان منكم الفشل الا ان وعدهم بالنصر كان مشروطا بالصبر فلما اخرى

انه للمجازاة ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه احدها قال البصريون انه محذوف كأنه في الوقوف وذلك لدلالة سياق الكلام عليه وثانيها قال
الكوفيون جوابه عصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع اخرجهم من المكان الذي امرهم
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثالثها قال ابو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم ههنا كالساقطة والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع ان الرماة لما رأوا هزيمة
المشركين ورماتهم يصعدون الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخيلهن قالوا الغنيمة فقال عبد الله بن جبير امير الرماة عهد الينا
ان لا نبرح هذا المكان فابوا عليه وذهبوا الى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى ان قتلهم المشركون وقوله في الامر اما ان يكون
بمعنى الشان والقصة اي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشان او بمعنى الامر الذي يضاده النهي اي تنازعتم فيما امركم الرسول به وعصيتم بترك
ملازمة ذلك المكان وانما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية لانهم فشلوا اي ضعفت انفسهم عن الثبات طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول في
انا نذهب في طلب الغنيمة ام لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد الخطاب عاما وان كانت المعصية من نفر ترك ذلك الموضع خاصة بالبعض
اعتمادا على المخصص بعده وهو قوله ومنكم من يريد الآخرة وفائدة قوله من بعد ما اراكم ما تحبون التنبيه على عظم شان المعصية لانهم
لما شاهدوا ان الله اكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم ان يمتنعوا عن المعصية فلما اقدموا عليها سلبهم ذلك الاكرام واذاقهم وبال
امرهم قوله ثم صرفكم عنهم قالت الاشاعرة معنى هذا الصرف انه تعالى رد المسلمين عن الكفار وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى وقعت الهزيمة
على المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال لان مذهبهم ان الخير والشر بارادة الله وتخليقه واما المعتزلة فلم
يرضوا بهذا التفسير وقالوا كيف يضيف الصرف بهذا المعنى الى نفسه والصرف عن الكفار معصية وقد اضافها الى الشيطان في قوله انما
انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وايضا انه تعالى عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة
على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا في تأويل الآية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا المكان اولا
لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هناك الى ان احاط بهم العدو وعلموا انهم لو استمروا على المكث هناك لقتلهم العدو من غير فائدة اصلا فلهذا السبب
جاز لهم ان ينتحوا عن ذلك الموضع ويتحرزون فيه عن العدو الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجبل في جماعة من اصحابه فتحصنوا به فلما كان ذلك الانصراف
جائزا اضافه الله الى نفسه بمعنى انه كان بامره واذنه ثم قال ليبتليكم والمراد انه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه امرهم هناك بالجهاد
والذب عن بقية المسلمين ولا شك ان الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهدوا في تلك المعركة قتل اقاربهم واحبائهم من اعظم
انواع الابتلاء فاذن الآية مشتملة على المعذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وسبب
العفو ما علم من ندمهم على ما افرط منهم من عصيان امر رسول الله وقال الكعبي ثم صرفكم عنهم بان لم يامركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم
بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال ابو مسلم الاصفهاني المعنى من الصرف انه تعالى ازال ما كان في قلوب الكفار من الرعب من المسلمين
عقوبة لهم على عصيانهم وفشلهم ومعنى الابتلاء انه جعل ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا عما خالفوا فيه امره ثم اعلمهم انه قد عفى عنهم قال
القاضي ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضي تقدم ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغائر صح ان يصف نفسه بالعفو عنهم من
غير توبة وان كان من باب الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم لقيام الدلالة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب لم يكن اهلا للعفو وقالت الاشاعرة
لا شك ان ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح نص الرسول وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام ولقتل
جم غفير من الصحابة ثم ان ظاهر الآية يدل على انه تعالى قد عفى عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة فصارت الآية دليلا على انه قد يعفو عن
اصحاب الكبائر والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كانت الدولة لهم او عليهم
لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وقد يستدل بالآية على ان صاحب الكبيرة مؤمن لانه سماهم مؤمنين خلاف ما يقوله المعتزلة
من انه لا مؤمن ولا كافر قوله سبحانه اذ تصعدون اما مستانف باضمار واذكروا واما ان يتعلق بما قبله اي عفى عنكم اذ تصعدون
ما صدر عنكم من مفارقة ذلك المكان والاخذ في الوادي كالمنهزمين دون ذنب فتنزهوا او المعنى ليبتليكم اذ تصعدون او ثم صرفكم حين اصعادكم
والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيها قال معاذ النحوي كل شيء له اسفل واعلى كالوادي والنهر والازقة فيقال فيه اصعد اذا اخذ
من اسفله الى اعلاه واما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد ولا تلوون على احد لا تلتفتون اليه واصله ان المعرج على الشيء يلوي
اليه عنقه او عنان دابته والرسول يدعوكم كان يقول الى عباد الله انا رسول الله من كر فله الجنة ويحتمل انه كان يدعوهم الى نفسه حتى
يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل انه كان يدعوهم الى محاربة العدو في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى لان القوم بسبب الهزيمة قد
تقدموه صلى الله عليه وسلم وبقي هو في الجماعة المتاخرة يقال جئت في اخر الناس واخرهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى
فاثابكم قال في الكشاف انه عطف على صرفكم واقول لا يبعد ان يعطف على تصعدون لانه بمعنى اصعدتم بدليل انه يقال ثاب اليه اي
رجع والمراة تسمى ثيبا لان واطئها عائد اليها فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله خيرا كان او شرا الا ان العرف خصه
بالخير فان حملنا لفظ الآية على اصل اللغة استقام بلا تأويل وان حملناه على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك





السيف تحيتك الضرب اى جعل مكان ما يرجون من الثواب الغم وهو فى الاصل التغطية ومنه الغمام فكان الغم يستر وجه اللذة والسرور والباء
فى بغم يحتمل ان يكون بمعنى المعاوضة نحو بعت هذا بذاك ويحتمل ان يكون بمعنى المصاحبة اما الاحتمال الاول ففيه وجوه قال الزجاج انكم
لما اذقتم الرسول غما بسبب عصيانكم امره اذاقكم الله غم الانهزام وقيل الاحباب والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد
غم يوم احد للمسلمين بغم يوم بدر للمشركين وفى الكشاف يجوز ان يكون الضمير فى فاثابكم للرسول اى فآساكم فى الاغتمام فكما غمكم ما نزل به من
كسر رباعيته وشج وجهه وقتل عمه وغيره غمه ما نزل بكم من قتل الاعزة ومن الانضمام فى سلك العصاة لطلب الغنيمة ثم الحرمان عنها واما
الاحتمال الثانى ففيه وجهان احدهما ان يكون هناك غمان الاول ما اصابهم عند الفشل والتنازع والثانى ما حصل عند الهزيمة او
الاول غم فوت الغنايم والثانى ان اباسفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم وقتلوا منهم جمعا عظيما او الاول هذا والثانى
خوفهم من رجوع المشركين واستيصال المسلمين او الاول ما اصابهم فى انفسهم واموالهم والثانى غم الارجاف بقتل الرسول او الاول
خوف عقاب العصيان والثانى غم التوبة فانها لا تتم الا بالعود الى المحاربة واذا امر بالمعاودة بعد القلة والذلة فان فعل غلب على ظنه القتل وان لم يفعل
خاف الكفر وعقوبة الآخرة وثانيهما ان يراد بغم مع غم مواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها فيشمل جميع الغموم المعدودة وما ينخرط فى سلكها
ثم اللام فى قوله لِكَيْلَا تَحْزَنُوا يحتمل ان يتعلق بقوله وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ لان فى عفوه تعالى ما يزيل كل هم وحزن واما ان يتعلق بقوله فَأَثَابَكُمْ فيكون
المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بغم الهزيمة ليتمرنوا على تجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا يحزنوا فيما بعد على فايت من المنافع ولا على مصيب
من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف امر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم احد فى مقابلة
ما جعلهم مغمومين يوم بدر لِكَيْلَا تَحْزَنُوا بادبار الدنيا ومصايبها ولا تفرحوا باقبالها وعلى عوائدها قالت الاشاعرة معنى اثابته الغم
من الله تعالى خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شئ واما المعتزلة فانهم يقولون الغم فعل العبد لكنه اسند اليه تعالى لانه طبع العباد طبعا يغتمون بالمضار
وهم لا يحمدون على ذلك ولا يذمون وان سلم انه يخلق الله فلغاية المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان ذلك كفر ومعصية
ولكن الغرض ان لا يبقى فى قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله ولا يحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل الاثابة مسندا الى الرسول
فانما فعل ذلك ليسليهم وينفس عنهم لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ من نصر الله ولا على ما اصابهم من غلبة العدو وان جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى
كما فى قول الزجاج او المراد انكم قلتم لو بقينا فى هذا المكان وامتثلنا وقعنا فى غم فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما خالفتم امر الرسول وطلبتم الغنيمة
وقعتم فى غموم اخر كل واحد منها اعظم من ذلك فيصير هذا مانعا لهم من ان يحزنوا على فوات الغنيمة فى وقعة اخرى ثم كما زجرهم على تلك المعصية
بزاجر دنيوى زجرهم بزاجر اخروى فقال وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ عالم بجميع اعمالكم ومقصودكم ودواعيكم فيجازيكم بحسب ذلك ثم اخبر ان
الذين كانوا مع النبى يوم احد فريقان احدهما الجازمون بحقيقة هذا الدين وان هذه الواقعة لا تؤدى الى الاستيصال لاخبار
الصادق ان هذا الدين سيظهر على ساير الاديان فخاطب جماعتهم بقوله ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا واراد هؤلاء بقوله
يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ والامنة مصدر كالامن ومثله من المصادر العظمة والغلبة والنعاس فتور فى اوائل النوم وانتصاب منه على انها
حال متقدمة من نعاسا مثل رايت راكبا رجلا او مفعول له بمعنى نعستم امنة او على انه حال من المخاطبين بمعنى ذوى امنة او على انه جمع امن
كبار وبررة او على انه مفعول انزل ونعاسا بدل منه قال ابو طلحة غشانا النعاس ونحن فى مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه
ثم يسقط فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير كنت مع الرسول حين اشتد الخوف فارسل الله علينا
النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى يقول لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا وعن ابن مسعود النعاس فى القتال
امنة والنعاس فى الصلوة من الشيطان وذلك انه فى القتال لا يكون الا من غاية الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا ولا يكون فى الصلوة
الا من غاية البعد عن الله وكان فى ذلك النعاس فوايد منها ان شموله للمؤمنين كلهم لا فى الوقت المعتاد معجزة ظاهرة جديدة له موجبة
لزيادة وثوقهم بان الله ينجز وعده وينصرهم فيزداد جدهم واجتهادهم فى الجهاد ومنها ان الارق والسهر يوجبان الفتور والكلال والنعاس
يجلب القوة والنشاة ومنها اشغلهم عن مشاهدة قتل الاعزة والاحبة ومنها ان الاعداء كانوا حراصا على قتلهم فبقاؤهم
سالمين فى تلك المعركة وهم فى النوم من ادل الدلائل على حفظ الله وكلاءته معهم ومن الناس من زعم ان ذكر النعاس ههنا كناية عن غاية
الامن وهذا صرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة مع ان فيه ابطال الفوائد والحكم المذكورة واعلم ان من قرأ تغشى بالتاء فللعود الى
النعاس ونصره كونه اقرب وكون المبدل فى حكم المنحى وموافقته لقوله فى قصة بدر اذ يغشاكم النعاس ولان العرب يقول غشيه النعاس
وقلما يقولون غشيه الامن ولان النعاس هو الامنة لما كانا شيئا واحدا كان التذكير والتانيث واما الفريق الثانى فهم المنافقون
الذين كانوا فى شك من نبوته صلعم وما حضروا الا لطلب الغنيمة كعبد الله بن ابى ومعتب بن قشير ونظرائهم فاخبر عنهم بقوله
وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم النبى والمسلمين المهم الامر الشديد يقال اهمنى ذلك الامر اى قلقنى و
احزننى فالمعنى اوقعتهم انفسهم وما حل بهم فى الهموم والاشجان فهم فى التشاكى والتباكى والتحقيق فيه ان الانسان اذا اشتد اشتغاله بالشئ و

واستغراقه فيه صار غافلا عما سواه فلما كان أجنبيًا لا شيئا عندهم هو النفس كانت سبب الخوف لنفس هناك موجودة والدافع لذلك وهو
الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم فلم يكن هناك الا هم انفسهم يظنون بالله غير الحق وهو في حكم المصدر أي غير الظن الحق الذي يجب ان
يظن به ظن الجاهلية بدل منه والفائدة في هذا الترتيب ان غير الحق اديان كثيرة واردأها مقالات اهل الجاهلية فذكروا اولا انهم يظنون بالله
ظنا باطلا ثم بين انهم اختاروا من الاديان اردأها كما يقال فلان دينه ليس بحق دينه دين الملاحدة أو ظن الجاهلية مصدر غير الحق تأكيدًا يظنون
كقولك هذا القول غير ما تقول في ظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق مما أضيف للملابسة أي الظن المختص بالملة الجاهلية
وهي زمان الفترة قبل الاسلام او يظن اهل الجاهلية وهم اهل الشرك الجاهلون بالله فالجاهلية مصدر كالعالمية والقادرية قيل ان ذلك
الظن انهم كانوا ينكرون الاله العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وينكرون النبوة والمعاد فلا جرم ما وثقوا بقول
النبي ان الله يقويهم وينصرهم وقيل الظن هو انهم كانوا يقولون لو كان محمد حقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا ظن فاسد اما عند اهل
السنة فلانه تعالى فاعل ما يشاء ولا اعتراض لاحد عليه واذا شرف المولى عبده بخلعة لم يجب ان يشرفه من بعد المصالح في افعاله واحكامه فلا
يبعد ان يكون في التخلية بين الكافر والمسلم وغير ذلك من المصائب حكم خفية ولو كان كون المؤمن محقا يوجب زوال المصائب عنه اضطر
الناس الى معرفة الحق وكان منافيا للتكاليف واستحقاق الثواب والعقاب وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز
الاستدلال بالدولة والشوكة ووفور القوة والمال والجاه على حقية صاحبها والله اعلم يقولون هل لنا من الامر من شيء حكاية شبهة تمسك
بها اهل النفاق فاستفهموا عنها على سبيل الانكار وانما يحتمل وجوها احدها هل لنا من التدبير من شيء يعنون رأي عبد الله بن ابي
وان النبي لم يقبل قوله حين امره ان يسكن في المدينة ولا يخرج منها ونظيره ما حكي منه لو اطاعونا ما قتلوا وثانيها من عادة العرب
انه اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه قالوا عليه الامر اي هل لنا من الشيء الذي كان يعدنا به محمد وهو النصر والقدرة
شيء وثالثها انها الطمع ان يكون لنا الغلبة على هؤلاء والغرض منه تعيير المسلمين على التشدد في الجهاد فامر الله تعالى ان يجيب عنها بقوله قل ان الامر
والحوادث باسرها مستندة الى قضاءه وقدره فاذا كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك
واذا اراد اعلاء كلمة الاسلام واظهار هذا الدين على الاديان وقع لا محالة يخفون في انفسهم في ضمائرهم او فيما بينهم ما لا يبدون لك وذلك
المخفي قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على من يذب عنه ولما قتل من المسلمين من قتل
في هذه المعركة فامر الله تعالى نبيه ان يجيبهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهي مصارعهم التي قتلوا
فيها لان ما كتب في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولم
تتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على ان البروز الى هذه المصارع لا يخلو عن الفوائد وذلك قوله وليبتلي الله ما في صدوركم
وليمحص ما في قلوبكم خص الابتلاء بما في الصدور والتمحيص بما في القلوب لاختلاف العبارة واما لان الابتلاء محله القلب الذي
في الصدر والتمحيص مورده الشبهات والعقائد التي في القلب واعلم ان نسق هذه الآية انيق ونظمه عجيب اما نسقه فقوله وطائفة مبتدأ وهمتهم
صفته ويظنون خبره ويحتمل ان يكون خبره محذوفا اي ومنا او ومنهم طائفة اهمتهم ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى اهمتهم انفسهم
ظانين او استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون او بيان وانما صح وقوع القول الذي مقوله انشاء بدلا من الاخبار
بالظن لان سؤالهم كان صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال فمن قرأ كله بالرفع
فلانه مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان ومن قرأ بالنصب فلكونه تأكيدا للامر ولله خبر ان كما لو قلت ان الامر جميعه لله وقوله يقولون استئناف
وقوله وليبتلي تقدم ذكره في الوقوف واما نظمه فانه لما اخبر عن هذه الطائفة بانهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بانهم يقولون
هل لنا من الامر من شيء لان هذا القول لا يصدر الا عمن كان ظانا بل شاكا في حقية هذا الدين وفي المبدأ والمعاد وفي القضاء و
القدر فازال ذلك الظن بقوله قل ان الامر كله لله بيده الاماتة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم لما كان سؤالهم ذلك
مظنة ان يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين من المنكرين اراد ان يكشف عن حالهم ويبين مقالهم كيلا يغتر بهم المؤمنون فقال
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اي ذلك القول انما صدر عنهم في هذه الحالة وكان لسائل ان يسأل ما الذي يخفونه في انفسهم فقيل
يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وقد مر تفسيره ويحتمل ان يراد لو كان لنا رأي مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل
هاهنا فيكون كالطعن في قوله قل ان الامر كله لله قال في التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة الدائرة بين السني والمعتزلي فذاك يقول
والعصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء آمن وان شاء كفر فامر النبي ان يجيب عن هذه الاعتقادات
بان ما قضى الله فهو كائن والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يبطل التقدير وان شئتم المصالح ففائدته الابتلاء وهو ان يتميز الموافق من
المنافق لا تكرهوا الفتن فانها حصاد المنافقين وتطهير القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصي والسيئات ثم قال والله عليم
بذات الصدور صاحبتها وهي الاسرار والضمائر ليعلم ان ابتلاءه ليس لانه لا يخفى عليه شيء وانما ذلك لمحض الالهية او للاستصلاح

باخره واما عنده

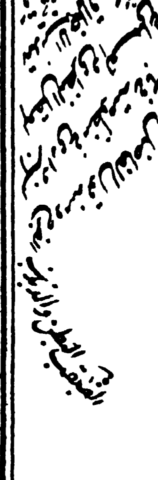
عن البناني



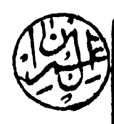
قوله عز من قائل إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ يوم احد ذكر محمد بن اسحق ان ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان اولهم سعد بن عثمان اخبر ان رسول الله صلعم قتل ثم بعده رجال فدخلوا على نسائهم وجعل النساء يقلن اعن رسول الله صلعم تفرون وكن يحثين التراب في وجوههم ويقلن هناك المغزل اغزل قال بعض الرواة ان المسلمين لم يعدوا الجبل قال القفال الذي يدل عليه الاخبار في الجملة ان نفرا قليلا تولوا وابعدوا فمنهم من دخل المدينة ومنهم من ذهب الى سائر الجوانب واما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هنالك ومن المنهزمين عمر الا انه لم يكن في اوائل المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على الجبل الى ان صعد النبي صلعم ومنهم ايضا عثمان انهزم هو مع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم رجعوا بعد ثلثة ايام فقال لهم النبي صلعم لقد ذهبتم فيها عريضة واما الذين ثبتوا مع الرسول صلعم فكانوا اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين ابو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله وابو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحباب بن المنذر وابو دجانة وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف واسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر ان ثمانية من هؤلاء كانوا بايعوه يومئذ على الموت ثلثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار ابو دجانة والحرث بن الصمة وحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم احد وروي ان ابن عتيبة انه اصيب بين يدي رسول الله صلعم نحو من ثلثين كلهم يجيء ويجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء وعليك السلام غير مودع انما استزلهم الشيطان تقول زللت يا فلان تزل زليلا اذا زل في طين او منطوق الاسم الزلة واستزله غيره كانه طلب منه الزلة ودعاه اليها والباء في بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا للاستعانة مثلها في كتبت بالقلم والمعنى انه كان قد صدر عنهم خيانات فبواسطة تلك الخيانات قدر الشيطان على استزلالهم في التولي وعلى هذا التقدير وجوه قال الزجاج انهم لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على جهة الفرار من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حال يرضونها والا بعد الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين فيه وقيل انهم لما اذنبوا بسبب مفارقة المركز اوقعهم الشيطان بشوم تلك المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فبشومها قدر الشيطان على دعائهم الى التولي لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وانما قال بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا لان الكسب قد يكون جزاء كقوله لها ما كسبت ولان جميع الذنوب لا يؤاخذ بها الله تعالى كقوله وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة ويحتمل ان يكون الباء بمعنى في اي السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان في بعض الاعمال اما قبل هذه الغزوة واما فيها كالفشل والتنازع والتحول عن المركز وطلب الغنيمة فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولي وانما يكون عملا آخر اما في هذه الغزوة او قبلها وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ فيه بيان انهم ما كفروا وما تركوا دينهم لان العفو عن الكفر لا يجوز بقي البحث في انه اي ذنب هو والظاهر انه التولي لان التوبيخ وقع عليه والاية سيقت لاجله ثم انه من الصغائر او من الكبائر قالت المعتزلة كلاهما محتمل لكنه ان كان من الصغائر فلا حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم وان كانت غير مذكورة في الاية قال القاضي الاقرب انه من الصغائر لانه لا يكاد يقال في الكبائر انها زلة ولانهم ظنوا ان الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق في ثباتهم حاجة فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة والخطأ في الاجتهاد ليس من الكبائر وقالت الاشاعرة انه من الكبائر لانهم خالفوا النص وحيث عفى عنه من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار فليغلب على الظن ان العفو عن الكبائر واقع من غير شرط ثم ندب المؤمنين الى ما يزيل غبنهم في الجهاد فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا قيل انه عام وقيل يعني المنافقين وقيل منافقي يوم احد كعبد الله بن ابي واصحابه وفيه دليل على ان الايمان ليس عبارة عن مجرد الاقرار باللسان كما يقوله الكرامية والا لم يسم المنافق كافرا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ مثل وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وذلك انهم قالوا لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا والميت والمقتول لا يكلم وعلى تقدير فرض التكلم كان المناسب ان لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب فلعل المقتولين كانوا اقارب المنافقين وكانوا مسلمين او اتفاق الجنس فلعل بعض المنافقين صار مقتولا في بعض الغزوات والضرب في الارض الابعاد فيها للتجارة وغيرها والغزو قصد محاربة العدو قريبا كان او بعيدا والفاعل غاز والجمع غزى مثل سائق وسوق وراكع وركع وانما قال اذا ضربوا دون ان ضربوا او حين ضربوا ليشاكل في المعنى قوله وَقَالُوا لاخوانهم حكاية الحال الماضية والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا في الارض فالكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فمن حيث انهم بعد ذلك لا بد ان يقولوا قالوا ويجوز ان يكون قالوا في تقدير يقولون لكنه وقع التعبير عنه بلفظ الماضي لانه لازم الحصول في المستقبل مثل اتى امر الله وفيه دلالة على ان جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة وقال قطرب كلمة اذ واذا يجوز اقامة كل منهما مقام الاخرى وهذا وان لم يوجد له في كلام العرب نظير لكن القرآن اولى ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه وقال الواحدي في الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا واما اللام

اي لاجل اخوانهم

في قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فمتعلقه وجهان الاول انه قالوا اي قالوا ذلك الكلام واعتقدوه ليجعل الله ذلك حسرة فيكون
لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكيف تستعقب تلك القول حصول الحسرة فيه وجوه فقيل لان اقارب
ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا انهم لو بالغوا في منعه عن ذلك السفر والغزو لم يمت ولم يقتل فازدادت حسرتهم وتلهفهم
بسبب انهم قصروا في منعه بخلاف المسلم المعتقد في ان الحيوة والموت لا يكونان الا بتقدير الله فانه لا يحصل له شيء من هذا النوع من الاسف
وقيل لانهم اذا القوا هذه الشبهة الى اخوانهم تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المسلمون في الجهاد غنيمة بقي اولئك المتخلفون في الخيبة والندامة
وقيل المراد حسرتهم يوم القيمة اذا راوا ثواب المجاهدين وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعد ما اعلم الله المؤمنين بطلانها
وقيل الغرض ان جدهم واجتهادهم في تكثير الشبهات يعمي قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك في الحيرة والحسرة الوجه الثاني ان تتعلق
اللام بقوله لا تكونوا وذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونكم مثلهم حسرة لان مخالفتهم
فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لجهالتهم وجواب عن مقالتهم اي الامر بيده والخلق له فقد يحيي المسافر
والغازي ويميت المقيم والقاعد فعلى المكلف ان يتلقى اوامره بالامتثال فالله اعلم بحقيقة الاحوال ولا يجري الامور الا على وفق مرضاته
واحكامه ونقضه وابرامه كل ميسر لما خلق له عن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت
كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء وفي امثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف
ضربة بالسيف اهون من موت على فراش ويجوز ان يكون المراد والله يحيي قلوب اوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب اعدائه
بظلمة الشك والخذلان والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم ومن قرا على الغيبة فالضمير للذين كفروا ويكون وعيدا لهم ثم انه لما كذب
الكافرين في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ونهى المؤمنين عن كونهم مثلهم لانه سبب التقاعد عن الجهاد وتنفر الطبع
عنه رغبهم فيه بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون فاللام الاولى هي الموطئة
والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا في الاية الاخرى والمعنى ان القتل والموت في السفر غير لازم الحصول لان ذلك منوط بالقدر لا
بالسفر ولئن سلم انه لازم فانه يستعقب المغفرة ويستجلب الرحمة من الله وانهما لتلك خير مما يجمعون من الدنيا ومافيها لو لم تموتوا
وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء ومن قرا بالياء فالضمير للكفار لان الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من باب الحلال

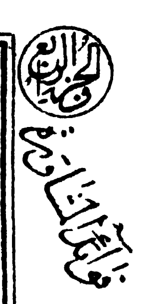


الذي يعد خيرا او ورد على حسب معتقدهم ان اموالهم خيرات لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذي يجمع لاجل الغد
فقد يموت صاحبه قبل الغد وان لم يمت فلعل المال لا يبقى في الغد فكم من امير اصبح اسيرا وعلى تقدير بقاء المال وبقاء صاحبه الى الغد فلعل
مانعا من مرض او خوف يمنعه عن الانتفاع به وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالالام ومنافعها مخلوطة بالمضار وبتقدير
صفائها عن الشوائب فلا بد لها من الزوال والانقطاع ومنافع الاخرة اصفى واضفى وابقى وانقى ولا سيما منافعها العقلية واي نسبة
لانتفاع الحمار بلذة قبقبه وذبذبه الى ابتهاج الملائكة المقربين بشروق انوار العزة عليهم ثم رغبهم بنوع اخر فقال ولئن متم او قتلتم
لالى الله تحشرون كانه قيل ان تركتم الجهاد وتم لكم الاحتراز عن الموت والقتل بقيتم اياما قلائل في الدنيا مع اللذات الخسيسة الحسية و
الخيالية ثم تركتموها لا محالة فيكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ولو عرضتم عن اللذات الفانية وبذلتم النفس والمال في دين الله وصلتم
الى اعلى الدرجات وهي مقام العندية وانما قدم القتل على الموت في الاية الاولى وعكس في الثانية ليقع الابتداء والختم على ما هو افضل
او لان الاية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل في سبيله فقدم ما هو الاغلب من حال المجاهدين الذين يفارقون الدنيا
وهو القتل والثانية سيقت لبيان ان حشر الخلائق كلهم اليه باي وجه يفارقون الدنيا ولا شك ان الغالب على احوال الخلق كلهم
الموت ولهذا السر اطلق القتل اطلاقا ليعم انواع القتل كلها وفي قوله لالى الله تحشرون لطائف منها تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر اي
وانهم لا يحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد في ذلك اليوم الا له ومنها تخصيص اسم الله بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على
اللطف اعظم انواع الوعد ولدلالته على كمال القهر اشد انواع الوعيد ومنها ادخال لام التوكيد القسمي في الحرف المتصل باسم الله تنبيها على
ان الالهية تقتضي هذا الحشر لحكمة المجازاة ومنها بناء تحشرون على المفعول تعويلا على ما هو مركوز في العقول من انه هو الذي يبدئ
ويعيد لا قدرة على الاعادة لاحد غيره ومنها انه اضاف حشرهم الى غيرهم ليعلم انهم احياء كانوا او امواتا لا يخرجون عن قبضته ومنها انه
خاطب الكل ليعلم ان القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم في بساط العدل وفضاء القضاء موقوفون واعلم انه
تعالى ذكر في الايتين المغفرة والرحمة والحشر فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثاني اشارة الى من يعبده طمعا في ثوابه و
الثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهم اهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه ما احسن هذا التنويه روي ان
عيسى عليه السلام مر باقوام نحفت ابدانهم واصفرت وجوههم وراى عليهم سيماء الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال
هو اكرم من ان لا يخلصكم من عذابه ثم مر باخرين فراى عليهم تلك الاثار فسالهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو اكرم من ان



ان يمنعكم رحمته ثم تر بقوم ثالث ورأى عليهم سيماء العبودية اكثر فقالوا انعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرهبة ولا لرغبة فقال انتم
المخلصون والمتعبدون المحقون قال القاضي في الآية دليل على ان المقتول ليس بميت الا كان قوله ولئن متم او قتلتم عطفا للشيء على
نفسه قلت لا ولكنه عطف الاخص على الاعم ثم انه سبحانه لما ارشدهم في الآيات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان من
جملة ذلك ان عفى عنهم زاد في الفضل والاحسان بان مدح الرسول صلعم حين عفى عنهم وترك التغليظ عليهم في انهزامهم وروي ان امراة عثمان
دخلت على النبي صلعم وكان النبي وعلي يغسلان السلاح فقالت ما فعل ابن عثمان اما والله لا تجدونه امام القوم فقال لها علي ان عثمان
فضح الذمار اليوم فقال رسول الله صلعم مه وروي انه قال اعياني ازواج الاخوان ان يتحابوا ولما دخل عثمان مع صاحبيه ما زاد على ان قال
لقد ذهبتم فيها عريضة وعنه انه قال انما انا لكم مثل الوالد لولده فاذا ذهب احدكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وقال
لا حلم احب الى الله من حلم امام ورفقه ولا جهل ابغض الى الله من جهل امام وخرقه فلما كان صلعم امام العالمين وجب ان يكون اكثرهم حلما و
احسنهم خلقا لان الغرض من البعثة وهو التزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت قلوب الامة اليه وسكنت نفوسهم لديه وراوا فيه اثار الشفقة
وامارات النصيحة عن بعض الصحابة انه قال لقد احسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله صلعم بهذا الدين جملة وبالقرآن
دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما
وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم ان من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فانه
يعلم ان الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان الحذر لا يدفع القدر فلا جرم اذا فاته مطلوب لم يغضب واذا حصل له
مطلوب لم يأنس به لانه مطلع على الروحانيات التي هي اشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع احدا في هذا العالم في طلب شيء من لذاتها وطيباتها
ولا يغضب على شيء بسبب فوات شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العشرة مع الخلق ولما كان صلعم اكمل البشر في القوتين النظرية و
العملية وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وجب ان يكون اكمل الناس خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال فبما رحمة من الله لنت
لهم وما مزيدة للتوكيد اما الحكم بزيادتها فبالنظر الى اصل المعنى وعمل حرف الجر فيما بعدها فكانه قال فبرحمة واما افادتها التوكيد فلا يحتمل
زيادة حرف لا فائدة فيه اصلا وجوز بعضهم ان يكون استفهامية للتعجب والتقدير فبأي رحمة واذ كان لينه ورفقه رحمة من الله لان
الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا له ولا رحيم الا هو لان كل رحيم سواه فانه يستفيد برحمته عوضا
كالخوف من العقاب والطمع في الثواب او الثناء او يحمله على ذلك رقة طبع او حمية او عصبية الى غير ذلك من الاغراض وايضا رحمة المخلوق على غيره
لا تتم ولن ينتفع بها المرحوم الا بعد موافاة سائر الاسباب السماوية من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باعانة الله وتوفيقه وربطه
على جاش الراحم وضبط حال المرحوم ثم بين ان الحكمة في لين جانبه ما هي فقال ولو كنت فظا سيء الخلق واصله فظظ كحذر فظظت يا رجل بالكسر
فظاظة غليظ القلب قاسيه بحيث لا يتأثر عن شيء يوجب الرقة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك
احد وهذا التركيب يدل على التفريق ومنه فض الختام ويقال لا يفضض الله فاك اي اسنانك ومنهم من حمل الآية على واقعة احد فقال
فبما رحمة لنت لهم يوم احد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب تشافههم بالملامة على ذلك لانفضوا
هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم فكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم وههنا دقيقة هي ان اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال
حق من حقوق الله ولهذا امر بالغلظة في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في الزاني والزانية ولا تأخذكم
بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومثله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اشداء على الكفار رحماء بينهم
فيعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع آخر ان الفضيلة هي الوسط وهو استعمال كل شيء في موضعه وان طرفي
الافراط والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى واحتجت الاشاعرة بالآية في مسألة القضاء والقدر وذلك ان
حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في حق جميع المكلفين فكل ما فعله مع محمد صلعم من الهداية والدعوة والبيان
والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وابي جهل وابي لهب فلطف الله ورحمته مشترك بين اصفى الاصفياء وبين اشقى الاشقياء
فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستفادا من رحمة الله هذا خلاف نص الآية فاذن جميع افعال العباد بقضاء
الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف واستبعده الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الالطاف فقد فعله في حق كل
المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الالطاف بالجنة فهو مكتسب بنفسه ويجب عندهم ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله
ثم قال فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم قيل في فاء التعقيب دلالة على انه اوجب عليه ان يعفو
عنهم في الحال كما انه تعالى قد عفى عنهم كأنه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت عنهم قبل عفوك عنهم واستغفر لهم فاني غفرت لهم قبل ان
تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله بهذه الامة ثم قال وشاورهم في الامر المشاورة مأخوذة من قولهم شرت العسل اي اجتنيتها و
استخرجتها من موضعها وقيل من شرت الدابة شورا عرضتها على البيع اقبلت بها وادبرت والمكان الذي تعرض فيه الدواب مشوار

من الله تعالى



يقال فلان قد خطف فما شوار كثير المشاورة والتركيب يدل على الاظهار والكشف فبالمشاورة يظهر خير الامور وحسن الاراء وقد ذكر العلماء لامر
الرسول بالمشاورة مع انه اعلم الناس واعقلهم فوايد منها انها توجب علو شانهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم وفي ترك
ذلك نوع من الاهانة والفظاظة وكانت سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم ومنها ان علوم الانسان متناهية فلا يبعد
ان يخطر ببال احد ما لم يخطر بباله ولا سيما فيما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن سفيان بن عيينة قد علم الله انه ما به اليهم حاجة و
لكنه اراد ان يستن به من بعده ومنها انه شاورهم في واقعة احد فاخطأوا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك كان مظنة انه قد بقي في قلبه اثر
من تلك الواقعة ومنها ان يظهر له مقادير عقولهم فينزلهم على قدر منازلهم ومنها ان تتميز النفوس الطاهرة مطابقة على تحصيل اصلح
الوجوه فيكونون اعوانا على الظفر بالمقصود ولهذا قالوا ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وهذا هو السر في الجماعات ومنها انه
ما امر رسوله بالمشاورة قبل تلك الواقعة وامره بها بعدها مع صدور المعصية عنهم ليعلم انهم الان اعظم حالا مما كانوا وان عفوه اعظم
من كل ذنب وان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على ان كل ما نزل فيه وحي لم يجز للرسول ان يشاور الامة
فيه لانه اذا جاء النص بطل الرأي والقياس كما قيل اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى فيما وراء ذلك هل يجوز المشاورة في كلها ام لا قال الكلبي
وكثير من العلماء ان الامر بها مخصوص بالحرب لان الالف واللام في لفظ الامر ليس للاستغراق لخروج ما نزل فيه الوحي بالاتفاق فهو اذن لمعهود
سابق وليس ذلك الا ما جرى من امر الحرب في قصة احد وقد اشار الحباب بن المنذر يوم بدر على النبي ﷺ بالنزول على الماء فقبل منه واشار
عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة فينصرفوا فقبل منهما وخرق
الصحيفة ومنهم من قال اللفظ عام خص عنه ما نزل فيه وحي فيبقى حجة في الباقي وكيف لا وانه كان مأمورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه وحي
لعموم فاعتبروا يا اولي الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر في الاسارى وكان من امور الدين ثم
عد المشاورة من جملة ما خص النبي ﷺ بالوجوب عليه لان ظاهر الامر للوجوب وقد يروى عن الشافعي انه حمله على الندب قال وهذا كقوله
البكر تستأمر في نفسها ولو اكرهها الاب على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا لنفسها فكذا ههنا فاذا عزمت اي قطعت الرأي
على شيء بعد الشورى فتوكل على الله لا في الاعتماد في جميع الامور عليه لا على الفكر والتدبير والرأي الحسن عن جابر بن زيد انه قرأ فاذا عزمت بالضم اذا
ارشدتك الى شيء والزمتك اياه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم
احد وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه لانه لا له الفعل عليه وهو من قولك ليس لك من
يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقيل ان ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وان يخذلكم بترك الجذبات
فمن ينصركم بعده من الانبياء والاولياء فانه القادر على الاخراج عن هذا الوجود كما انه القادر على الادخال فيه وعلى الله وليخص المؤمنون
اياه بالتوكل لما علموا ان الامر كله له ولا راد لقضائه ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك ويقتضيه ليس المراد بالتوكل ان يهمل الانسان
حال نفسه بالكلية ويرفض الوسايط والاسباب كما يتصور الجهال والا كان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل هو ان يراعي
الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتاييده وتوفيقه وتسديده التأويل ولقد صدقكم الله ايها
الطلاب وعده الامن طلبني وجدني اذ تقتلون جنود الصفات البشرية بامره لا على وفق الطبع حتى اذا تركتم قتال النفس وخالفتم في امر
الطلب وعصيتم الدليل المربي من بعد ما اريكم الدليل بالتربية ما تحبون من دلالة الطريق وانما عصيتم الدليل اذ دلكم على الله لان منكم
من كان همته زخارف الدنيا ومنكم من كان همته طلب نعيم الاخرة قرئ هذه الاية عند الشبلي فصاح صيحة وقال ما كان من احد بقي
له ومنكم من يريد الله ثم صرفكم عن جهاد النفس وقتل صفاتها باستيلاءها عليكم ليمتحنكم بالستر بعد ما تجلى لكم انوار المشاهدات
وبالصحو بعد ما اسكركم باقداح الواردات وبالفطام بعد ما ارضعكم بالبان الملاطفات ولقد عفى عنكم يعني بعد ابتلائكم عفى عن
التفاتاتكم الى الدنيا والاخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل على المؤمنين في الازل اذ تصعدون في طريق الحق طالبين بعد ما كنتم هائمين
ولا تلتفتون الى احد من الامرين الدنيا والاخرة والرسول الوارد من الحق يدعوكم الى عبادي الى عبادي فجازاكم بدل غم الدنيا والاخرة غم طلب
الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من زخارف الدنيا ولا ما اصابكم من نعيم الاخرة والله خبير بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والاخرة في طلبي
فلا يخيب رجائكم ويوفي جزائكم ثم اخبر عن انزال حقايق اصناف الطافه على عباده في صور مختلفة فانزل الامنة في صورة النعاس على الصحابة
واخرج جواهر الوقايع السنية لارباب القلوب المكاشفات من معدن النعاس فان اكثرها يقع بين النوم واليقظة وطائفة من ارباب
النفوس ومدعي الاسلام لا همّ لهم الا همّ انفسهم من استيفاء حظوظها واستيفاء لذاتها ظن الجاهلية وهو ان الامور الى الخلق لا الى
الله ولا بقضائه وقدره هل لنا من امر النصرة والظفر من شيء ما قتلنا ههنا بالباطل على ايدي حزب الشيطان وليبتلي الله
ما في صدوركم ايها المنافقون لان الصدر معدن النفاق والغل ووسوسة الشيطان ونزعنا ما في صدورهم من غل يوسوس في صدور
الناس وليمحص ما في قلوبكم ايها المؤمنون لان القلوب محل الايمان والاطمئنان كتب في قلوبهم الايمان الا بذكر الله تطمئن القلوب ونسبه

الاسلام باللسان الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب ثم انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار فلهذا استحوذ
من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولي ليجعله مرآة ظهور صفات العفو والمغفرة والحلم ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم
ليعلم ان الله تعالى في كل شيء من الخير والشر اسرار الا يعلمها الا هو ومن هنا قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم
اذا ضربوا في الارض سافروا في البلاد مستفيدين من العباد وسلكوا في ارض نفوسهم سبيل الرشاد او كانوا غزى مجاهدين مع كفار
النفس والهوى والشيطان لو كانوا عندنا ما ماتوا بمقاساة الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك القول
حسرة في قلوب الصديقين والله يحيي قلوب اهل المجاهدة بانوار المشاهدة فلا يحسرون على ما يقاسون ويميت قلوب المنكرين بظلمة
الانكار وغلبة صفات النفس فيحسبون انهم يحسنون وباقي الحقائق قد مرت في التفسير وقد سنح عند تحرير هذا الموضع ان قوله فبما رحمة
من الله لنت لهم يمكن ان يفهم منه الخطاب مع الروح الانساني انه لان برحمة الله لصفات النفس وقواها الشهوة والغضبية حتى استوفى
كل منها حظها وارتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى ونقصت من الجوانب تلاشت ولتعطلت
حكمة التمدن ولفقدت الكمالات التي خلق الانسان لاجلها ثم الكلام في ان هذا اللين لا بد له من الغلظة حتى لا يتجاوز عن الوسط
ولا يخرج عن قانون الشرع والعقل كما نقده الله حسيبه

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
و سزاوار نیست مر پیغمبری را که خیانت کند و هر که خیانت کند بیاید بجزای خیانت در روز قیامت پس تمام یابد هر نفسی آنچه را کسب و ایشان
يُظْلَمُونَ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ
ستم نشوند ایا پس آنکه پیروی کرد خوشنودی خدا را چون آنست که باز آمد با زیانی از خدا و قرارگاهش دوزخ است و بد جایگاهی است آنها صاحبان پایه‌اند در نزد خدا
بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
بیناست بآنچه میکنند هر آینه منت نهاد خدا بر مومنان وقتی که برانگیخت در ایشان پیغمبری از ایشان که میخواند بر ایشان آیات او را و پاک میگرداند ایشان را و میآموزد ایشان را
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا
کتاب و حکمت را و اگرچه بودند پیش از آن هر آینه در گمراهی ظاهر ایا هرگاه برسد شما را واقعه که رسید شما را دو مانند آن گفتید که از کجاست این
قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
بگو که آن از نزد خود شماست بدرستی که خدا بر هر چیزی تواناست و آنچه که رسید شما را روز بهم رسیدن دو طائفه پس بفرمان خدا بود و تا بداند گروندگان
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ
و تا بداند آنان که نفاق ورزیدند و گفته شد بایشان که بیائید جهاد کنید در راه خدا یا دفع کنید گفتند که میدانستیم کارزاری هر آینه پیروی کردیم شما را ایشان برای کفر در آن روز
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
نزدیکتر بودند از ایشان از برای ایمان میگویند بدهانهای خود آنچه نیست در دلهاشان و خدا داناتر است بآنچه پنهان دارند آنان که گفتند مر برادران خود را و نشستند
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا
که اگر پیروی کردندی ما را کشته نشدندی پس دفع کنید از خودتان مرگ را اگر باشید راستگویان و مپندار آنها را که کشته شدند در راه خدا مردگان
بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ
بلکه زندگانند در نزد پروردگارشان روزی داده میشوند شادمانند بآنچه که داد ایشان را خدا از فضلش و شادکامی دهند بآنها که نرسیده‌اند بایشان از عقب آنها که نیست ترسی
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ
بر ایشان و نه ایشان اندوه یابند مژده دهند بنعمت از خدا و زیادتی و بدرستی که خدا ضایع نگرداند مزد گروندگان را آنانکه اطاعت کردند مر خدا را و
الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا
و پیغمبر را پس از آنکه رسید بایشان خستگی مر آنها را که نیکوئی کردند از ایشان و پرهیز نمودند مزدی بزرگست آنان که گفتند مر آنها را مردم که مردم جمعیت کردند
لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا
از برای شما پس بترسید از ایشان پس افزود ایشان را ایمان و گفتند کافیست ما را خدا و خوب کارگذاریست پس برگشتند با نعمت از خدا و زیادتی که نرسید ایشان را بدی و پیروی کردند
رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
خوشنودی خدا را و خدا خداوند زیادتی بزرگست جز این نیست که این شیطانست که میترساند دوستان خود را پس مترسید از ایشان و بترسید از من اگر هستید گروندگان

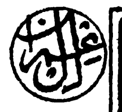
القراءة يغل بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وابو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غيره وبرد الباقون بالضم والفتح على البناء للمفعول
ولا يحسبن بياء الغيبة الحلواني عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف وان الله بالكسر

على الباقون بالفتح وخافوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الباقون بالحذف
الوقوف ان يغل ط لابتداء الشرط يوم القيمة ج لانتهاء جزاء الشرط مع العطف لا يظلمون نصف الجزء وجهنم ط المصير عند الله ط بما يعملون
والحكمة ج لمكان العطف مبين مثليها ج لان استفهام الانكار دخل على قلتم هذا ط انفسكم ط قدير وليعلم المؤمنين لا نافقوا ج لاحتمال
العطف والاستيناف والوصل على تقدير وقد قيل لهم او ادفعوا ط لاتبعناكم ط للايمان ج لاحتمال الحال والاستيناف في قلوبهم ط بما يكتمون ج
لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون او خبر مبتدأ محذوف ما قتلوا ط صادقين امواتا ط عند ربهم ص يرزقون لا لان فرحين
حال لهم من فضله لا للعطف من خلفهم لا لتعلق ان بيحزنون م للآية واستيناف الفعل اذ يستحيل ان يكون الاستبشار حالا للذين يحزنون
وفضل لا لان التقدير وبان ومن كسر وقف الجملة ح اعتراضية المؤمنين ج لان الذين يصلح صفة للمؤمنين ومبتدأ خبره للذين احسنوا
او نصبا على المدح الاول اوجه لاتحاد الصفة القرح ط لمن لم يقف على المؤمنين عظيم ج لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدأ محذوف ايمانا ق و
الوصل اولى للعطف واتصال التوكل بالسابق بيقين الغالب الوكيل سوء لا للعطف رضوان الله ط عظيم اولياءه ص لوصل النهي عن الخوف بعد
ذكر التخويف مؤمنين التفسير هذا حكم من احكام الجهاد واصل الغلول اخذ الشيء في خفية يقال اغل الجازر والسالخ اذا ابقى في الجلد شيئا من
اللحم ليسرق والغل الحقد الكامن في الصدر والغلالة الثوب الذي يلبس تحت الدرع والثياب والغلل الماء الذي يجري في اصول الشجر لانه مستتر
بالاشجار وقال ص من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقال ايضا هدايا الولاة غلول وقال الجوهري غل يغل غلولا اي خان
واغل مثله الا ان العرف جعله في الغالب مخصوصا بالخيانة في الغنيمة حتى قال ابو عبيدة الغلول في المغنم خاصة وقد جعله النبي ص من الكبائر عن
ثوبان عن ثوبان عن رسول الله ص من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلث دخل الجنة الكبر والغلول والدين وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال
قام فينا رسول الله ص ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله
اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك
لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك
لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله ص اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم
يجيء يوم القيمة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله ص اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على
رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك معنى الآية فيمن قرأ بفتح الياء وضم العين ما كان
لنبي ان يخون اي ما صح وما ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها اعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا ونار
في الآخرة كيف وانه امين على الوحي النازل عليه من فوق سبع سموات فلا يكون امينا في الارض هيهات فاللام منقولة والتقدير
وما كان نبي ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ما كان الله ليتخذ ولدا ومن قرأ بضم الياء وفتح الغين ففيه وجهان احدهما
يخان اي يؤخذ من غنيمته وفي تخصيصه بهذه الحرمة والخيانة محرمة على الاطلاق فوائد منها ان المجني عليه كلما كان اجل منصبا كانت
الخيانة في حقه افحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي فكان فيه مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا ومنها ان المسلمين في ذلك الوقت
كانوا في غاية الفقر فكانت تلك الخيانة وقتئذ افحش وثانيهما يخون اي ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد يقول العرب اكفرت
الرجل جعلته كافرا ونسبته الى الكفر قال القتيبي لو كان هذا هو المراد لقيل يغلل كما يقال يفسق ويكفر والاولى ان يقال هو من اغللته اي
وجدته غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر على هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل
وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبي ان يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى ان الانكار لا يتوجه اذا كان اغل بمعنى وجده غالا وانما
يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله ص اخذها
وقد طعن بعضهم في هذه القراءة وقال ان اكثر ما جاء من هذا القبيل في التنزيل اسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان لا نشرك ما
كان ليأخذ اخاه ما كان لنفس ان تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى ابو عبيدة عن يونس انه قال ليس
في الكلام ما كان لك ان تضرب بضم التاء والحق ان القرآن حجة على غيره لا بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روي انه ص لما وقعت غنائم
هوازن في يده غله رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متعاضدتان ويوافقهما
اسباب النزول اكثر ما روي انه ص اخر قسمة الغنيمة في بعض الغزوات لمانع فجاء قوم وقالوا الا تقسم غنائمنا فقال ص لو كان لكم مثل احد
ذهبا ما حبست منكم درهما اترون اني اغلكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان اشراف الناس طمعوا ان يخصهم النبي ص من الغنائم
بشيء زائد فنزلت وقال الكلبي ومقاتل نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من
اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم ص الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية
اخواننا وقوفا فقال ص بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم وروي انه ص بعث طلايع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلايع فنزلت

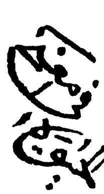


مبالغة في النهي لرسوله يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا
وتقبيحا بصورة الامر وقيل نزلت في اداء الوحي كان يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه ان يترك ذلك فقيل ما كان لنبي
ان يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس او رهبة عنهم ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة اكثر المفسرين اجروه على ظاهره و
نظيره في مانع الزكوة يوم يحمى عليها في نار جهنم ويدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس انه قال يمثل له ذلك الشيء في قعر جهنم
ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه هذه
الآية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل قلت فذلك الشقي قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم ان ذلك المسك في قيد ويكون
انتن من الجيفة واثقل من الجبل وذلك ليذوق وبال امره ويكون نفتضح مقصوده قال المحققون والفائدة فيه انه اذا جاء يوم القيمة وعلى
رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله لكل غادر لواء يوم القيمة وقال ابو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير لوباله
وتبعته والمراد انه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويقرره عليه يوم القيمة ويجازيه لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشتهر بذلك مثل
اشتهار من يحمل ذلك الشيء وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل ولا ضرورة ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات للجزاء لكل كاسب على
سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب هذا ابلغ مما لو خص الغال بتوفية الجزاء فقيل ثم توفى ما كسب ثم فصل
ما اجمل فقال أفمن اتبع والهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أمن اتقى فاتبع قال الكلبي والضحاك أفمن اتبع رضوان الله
في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله رجع منه بشدة ارادة انتقام لاجل الغلول وقال الزجاج أفمن اتبع رضوان الله بامتثال امر
النبي حين دعاهم الى دفع المشركين يوم احد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والآخرون المنافقون
وقيل أفمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول اقرب لتكون
الآية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله ومأواه جهنم من تمام صلة من باء وقوله وبئس المصير اعتراض قال القفال لا
يجوز في الحكمة ان يسوي بين المسيء والمحسن فلا كان اغراء بالمعاصي واباحة لها واهمالا للطاعات وتنفيرا عنها هم درجات قيل اي لهم درجات
وحسن هذا الحذف لان اختلاف اعمالهم كانه قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية
يدل عليها اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا قال الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم في انفسهم درجات لا ان لهم
درجات وقيل المراد ذوو درجات ثم الضمير الى اي شيء يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب في العرف استعمال الدرجات في اهل الثواب
والدركات في اهل العقاب ولانه قد ذكر وصف من باء بسخط من الله وهو ان مأواه جهنم فيكون هذا وصفا لمن اتبع الرضوان و
يؤيده قوله عند الله وهذا وان كان معناه في علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا ولا يراد به عندية المكان لتنزهه تعالى عن
ذلك الا انه يفيد في الجملة تشريفا وانه يليق باهل الثواب قال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه اقرب ولانهم متفاوتون في العذاب عن رسول الله
ان منهم لمن في ضحضاح وعنه قال ان اهون اهل النار عذابا رجل يحذى له نعلان من نار يغلي من حرهما دماغه ينادي يا رب وهل يعذب احد
عذابي والاوجه ان يكون عائدا الى الكل لان درجات اهل الثواب متفاوتة وكذا دركات اهل العقاب حسب تفاوت اعمال الخلق وقد
يستعمل الدرجات في مراتب اهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا والله بصير بما يعملون فيجازيهم بحسبها قوله عز من قائل لقد من الله
على المؤمنين في النظم وجوه منها ان هذا الرسول نشأ فيما بينهم لم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق بمن هذا حاله الخيانة
ومنها انه تعالى قال لا اكتفي في وصفه بان انزهه عن الخيانة ولكني اقول ان وجوده فيكم من اعظم نعمي عليكم ومنها انكم كنتم خاملين جاهلين
وانما حصل لكم الشرف في العلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه الطعن فيكم ومنها ان مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل ان يعينه بما قصد ما
يقدر عليه يكون بآلة اللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد ومعنى المن ههنا الانعام على
من لا يطلب الجزاء منه والوجه في المنة اما ان يعود الى اصل البعثة واما ان يعود الى بعثة هذا الرسول فمن الاول ان الخلق مجبولون على
النقصان والجهالة والنبي يورد عليهم وجوه دلائل الكمال ويزيح عللهم في كل حال وايضا انهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم
لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى ان يشرحها النبي لهم وايضا انهم جبلوا على الكسل والملل فهو يورد عليهم انواع الترغيبات والترهيبات
فيزول فتورهم ويتجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة انوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما لا يتم الانتفاع بنور البصر الا عند
سطوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم ينضم اليه ارشاد النبي ومن الثاني ان هذا الرسول بعث من انفسهم اي
من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من آمن مع الرسول من قومه وخص المؤمنين
منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة انه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم اخذ ما يجب اخذه عنه واذا كانوا واقفين على احواله في الصدق
والامانة كان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفيه ايضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك ان الافتخار بابرهيم
كان مشتركا فيه بين اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى بالتورية والانجيل وما كان للعرب ما

يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وانزل القرآن صار شرف العرب بذلك زايدا على شرف جميع الامم وقيل من انفسهم اى من جنس الانس لا من الملك
لان المجنس لان الجنس الى الجنس ميل ويروى عن النبى ص وعن فاطمة رضى الله عنها انهما قرا من انفسهم بفتح الفاء اى اشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون
عاما ويحتمل ان يراد بهم العرب ليصح لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة
ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد ص واما سائر اوصافه من قوله يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيٰتِهٖ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ
فقد مر تفسيرها فى البقرة عند قوله رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلًا واعراب قوله وَاِنْ كَانُوْا مِنْ قَبْلُ لَفِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ كما سلف فى قوله وَاِنْ كَانَتْ
لَكَبِيْرَةً ومعنى المنة فيه ان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها اعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين يكون اعم نفعا
واتم وقعا ثم لما اجاب عن نسبة النبى ص الى الغلول حكى عنهم شبهة اخرى وهى قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله
انى هذا واجاب عنها بقوله قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِكُمْ والواو فى قوله اَوَلَمَّا اَصَابَتْكُمْ لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قصة
احد الا ان حرف الاستفهام قدم على واو العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومقول القول انى هذا واصابتكم فى محل الجر باضافة لما
اليه والتقدير اقلتم حين اصابتكم ويجوز ان يكون الجملة معطوفة على محذوف كانه قيل فعلتم كذا وقلتم حينئذ من اين اصابنا هذا وكيف نصر واعلينا
ونحن على الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبى معهم والمراد بالمصيبة واقعة احد بمثليها واقعة بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين
يوم احد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل اراد نسبة الضعف فى الهزيمة لا فى عدد القتلى والاسرى فالمسلمون
هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم ايضا فى الاولى يوم احد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل
مرة واحدة لخرج عن قوله قَدْ اَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا جواب ضمنى يعنى ان احوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا اصبتم منهم مثلى ما نالوا منكم فما
وجه الاستبعاد لكنه صرح بجواب اخر فقال قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِكُمْ وفى تقريره وجهان الاول ان هذه المصيبة بشوم معصيتكم وذلك انهم
عصوا الرسول فى امور فى الخروج عن المدينة وكان رايه فى الاقامة ثم فى الفشل وفى التنازع وفى مفارقة المركز وفى الاشتغال بطلب الغنيمة
الثانى ما روى عن على رض عنه انه قال جاء جبرئيل ع الى النبى ص يوم بدر فقال يا محمد ص ان الله قد كره ما صنع قومك فى اخذهم الفداء من الاسارى
وامرك ان تخيرهم بين ان يقدموا الاسارى فيضربوا اعناقهم وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله ص ذلك
لقومه فقالوا يا رسول الله عشايرنا واخواننا فاخذ الفداء منهم فيقوى به على قتال العدو ونرضى ان نستشهد بنا بعددهم فقتل يوم
احد سبعون رجلا بعدد اسارى بدر فمعنى هُوَ مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِكُمْ هو باخذكم الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالاية على ان للعبد
اختيارا فى الفعل والترك وانه من عند نفسه وعارضهم الاشاعرة بقوله اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون
الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد امتنع من الله ان يقدر عليه لانه لا قدرة على ايجاد الموجود والحق ان وجود الواسطة لا ينافى انتهاء
الكل الى مسبب الاسباب يؤيده قوله وَمَا اَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعٰنِ فَبِاِذْنِ اللّٰهِ قال ابن عباس اى وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية
لِلْمُؤْمِنِيْنَ لان الرضاء بالقضاء لازم وقيل بتخليته لان الاذن يخل بين الماذون ومراده فاستعير الاذن للتخلية وان اعتبر المصالح
فذلك قد وقع ليعلم المؤمنين اى ليتميزوا عن اهل النفاق وانما لم يقل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان الغرض تصوير
انهم شرعوا فى الاعمال اللايقة بالنفاق فى ذلك الوقت واحدثوها ولانه عطف على الصلة وقيل لهم قال الاصم هذا القايل رسول الله
كان يدعوهم الى القتال وقيل هو ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى لما انخزل عبد الله بن ابى بثلث الناس تبعهم وقال انشدكم الله
فى نبيكم وانفسكم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله ان كان فى قلبكم حب هذا الدين او ادفعوا عن انفسكم واهليكم واموالكم ان لم يكن بكم غم الاخرة
وطلب مرضات الله اى كونوا من رجال الدين او من رجال الدنيا وقال السدى وابن جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا
معنا لان الكثرة احد اسباب الهيبة والرعب ثم انه كان سائل ان يسئل فماذا اجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فقيل
قالوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنٰكُمْ كانهم جحدوا ان يكون بين الفريقين قتال البتة والمراد لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لوافقناكم عليه
لكنكم تلقون بايديكم الى التهلكة وذلك ان راى عبد الله كان فى الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم
الجواب فاسد اما الاول فلان ظهور امارات الحرب كاف فى وجوب القتال والدفع عن النفس والمال والظن فى امور الدنيا قائم مقام العلم
والامارة اقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل احد واما الثانى فلانه تعالى لما وعدهم النصر والغلبة اِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوْا لم يكن الخروج
الى ذلك القتال لقاء النفس الى التهلكة ولكن كانت حوابهم فالهم لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ اَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْاِيْمَانِ لانهم تباعدوا بهذا الجواب المنبئ عن الدغل و
النفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم او المراد انهم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال
تقوية لجانب المشركين وعلى الاول قال اكثر العلماء انه تنصيص من الله تعالى على انهم كفار لان القرب من الكفر حصول الكفر قال الحسن اذا قال
الله اقرب فهو اليقين بانهم مشركون كقوله مِائَةِ اَلْفٍ اَوْ يَزِيْدُوْنَ فهذه الزيادة لا شك فيها وقال الواحدى فيه دليل على ان الاتى بكلمة
التوحيد لا يكفر لانه تعالى لم يطلق القول بتكفيرهم يَقُوْلُوْنَ بِاَفْوَاهِهِمْ مَّا لَيْسَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ اى لا يتجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم



خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم ما نطقوا به من التوحيد والله أعلم بما يكتمون من بغض الاسلام والمسلمين وسائر مجاري احوالهم فيما بينهم وذلك ان المؤمنين قد علموا بعض ذلك بالقرائن والامارات وهو تعالى عالم بتفاصيل ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء الذين قالوا منصوب على الذم او على البدل من الذين نافقوا او مرفوع على الذم اي هم الذين او على البدل من ضمير يكتمون وقيل يجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين يوم احد اخوة في النسب او في سكنى الدار او في الجنسية في النفاق والقائلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن ابي واصحابه وعن الاصم بانه قد خرج يوم احد فكيف وصف بالقعود في قوله وقعدوا اي والحال انهم قد قعدوا عن القتال والجواب ان القعود عن القتال هو الجبن عنه وتركه لا ينافي الخروج لو اطاعونا في امرنا اياهم بالقعود ما قتلوا كانهم قعدوا ولم يكتفوا بذلك بل ارادوا تثبيط غيرهم وذلك لما في الطباع من محبة الحيوة وكراهة الموت ومن يسمع يخل فلعل بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك رغب في القعود ونفر طبعه عن الجهاد فاجابهم الله تعالى بقوله قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين في ان الحذر يغني عن القدر وان سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغيره من اسباب النجاة وفيه استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادفعوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا جميع ذلك بناء على ان القتل امر مكروه يجب على العاقل ان يتحرز عنه لو امكنه لكنا لا نسلم ذلك وهو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا والخطاب للرسول او لكل احد ومن قرأ على الغيبة فالضمير للرسول والمراد لا يحسبن حاسب او لا يحسبنهم امواتا وضمير المفعول للذين قتلوا اي لا تحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فحذف المفعول الاول لدلالة الكلام عليه مذكور كلاهما كحذف المبتدأ في قوله بل احياء اي هم احياء للدلالة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغكم عنهم فانزل هذه الاية وعن جابر بن عبد الله قال نظر الي رسول الله صلعم فقال ما لي اراك مهتما قلت يا رسول الله قتل ابي وترك دينا وعيالا فقال الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا فقال يا عبدي سلني اعطك فقال اسألك ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون فقال يا رب فابلغ من ورائي فنزلت وقال جماعة من اهل التفسير نزلت الاية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان اولياء الشهداء كانوا اذا اصابتهم نعمة او سرور تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الاية تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم انهم احياء متنعمون واختلف العلماء في معنى هذه الحيوة فعن طائفة انها على سبيل المجاز وقال الاصم والبلخي اريد بها الذكر الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وروي ان عبد الملك بن مروان لما رأى الزهري وعلم فقهه وتحقيقه قال ما مات من خلف مثلك ومن هذه الطائفة من قال مجاز هذه الحيوة ان اجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض البتة وروي انه لما اراد معوية ان يجري العين الى قبور الشهداء امر بان ينادى من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانقطرت دما ومن هؤلاء من قال المراد انهم لا يغسلون كما لا يغسل الاحياء وذهبت طائفة من متكلمي المعتزلة الى ان المراد انهم سيصيرون احياء والغرض تكذيب منكري المعاد وزيف بانه عدول عن الظاهر وبان عذاب القبر ثابت فالثواب اولى وبانه نهى عن حسبانهم امواتا والذي يزيل هذا الحسبان هو اعتقاد انهم احياء في الحال لا اعتقاد انهم احياء في القيمة فان ذلك مما لا يشك النبي والمؤمنون فيه وبما رويناه عن ابن عباس ان ارواحهم في اجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا والاستبشار بمن يكون في الدنيا لا بد ان يكون قبل يوم القيمة وذهب كثير من المحققين الى انهم احياء في الحال لكن بحيوة روحانية وان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيمة وذلك ان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان اجزاء البدن في الذوبان والانحلال ويعرض لها السمن والهزال والقوة والكلال وكلنا يجد من نفسه انه شيء واحد من اول عمره الى آخره والباقي مغاير للمتبدل ولان الانسان يكون عالما بنفسه حال ما يكون غافلا عن جميع اعضائه واجزائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ثم ذلك الشيء المغاير لهذا البدن المحسوس سواء كان جسما مخصوصا ساريا او جوهرا مجردا لا يبعد ان ينفصل بعد موت البدن حيا او اماته الله ثم يعيده حيا وبهذا يثبت عذاب القبر وثوابه ويزول الشبهات ومن تأمل في الامور الواردة عليه وجد احوال النفس مضادة لاحوال البدن ووجد قوة احدهما مقتضية لضعف الآخر كما ان البدن يضعف وقت النوم ويقوى النفس على مشاهدة الغيبيات وتقوى على عالم الارواح واذا اعرضت النفس عن الطعام والشراب واقبلت على مطالعة العالم العلوي زادت سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت له المعارف الالهية واكثر ارباب الشرع على انهم احياء في الحال بحيوة جسمانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد اجسادهم الى السموات والى قناديل تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها ومن الناس من طعن في هذا القول وقال ان تجويز كون البدن الميت الملقى في التراب حيا متنعما عاقلا عارفا نوع من السفسطة



في هذه المسئلة عندنا كخلاف ما يقوله اهل التناسخ من ان النفس بعد موت بدنها تنتقل الى بدن آخر وتعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله
الفلاسفة من ان النفس ينقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما تلتذ او تتألم بما اكتسبت من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة او بالعقائد
الباطلة والملكات الذميمة والذي نقوله ان النفس يبقى لها علاقة مع بدنها لا بالتحريك واكتساب الاعمال ولكن بالتلذذ والتألم والتعقل ونحوها
وليس ببدع ان يتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير في مدة العمر بحسب الاسنان والامزجة والتحقيق فيه ان النفس في هذا العالم جعلت متصرفة
في البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات وانه يفتقر الى تحريك الاعضاء واعمال الجوارح والالات وبعد الموت يجعل متصرفة فيه من جهة الجزاء
والحساب فكيف ينبغي ان يقاس احدهما على الآخر فلعله يكفي بعد الموت ان يكون له علاقة التلذذ والتألم والادراك فقط الى ان يقوم القيمة
الكبرى وهذا القدر لا ينافي كون البدن مشاهدا في القبر من غير تحرك ولا احساس ونطق ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر وقال يا
يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم
اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا وفي حديث عذاب القبر انه ليسمع
قرع نعالهم ولعل السر في انه اكتفى بهذا القدر من التصرف انه ان كان اكثر من ذلك كما سيكون في القيمة الكبرى نافى تكليف سائر الاحياء وافضى
الامر الى الالجاء وهو السر في اخر حديث عذاب القبر فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين واما الشهداء فلا يبعد ان يجازيهم الله تعالى
بمزيد التلذذ بنعيم الآخرة كما قتلوا لتعجيل الثواب كما عجلوا الى الانقطاع عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان جزاء كل طائفة ينبغي ان يناسب
عملهم فافهم هذه الاسرار فانها اعلق مضنة به تثبت جميع ما ورد في الشريعة الحقة والله اعلم ومعنى عند ربهم انهم مقربون ذوو اكرامه
كقوله فالذين عند ربك او المراد بحيث لا يملك احد سوى ربهم او المراد في علمه وفي حكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا يرزقون كما
يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث فرحين
بما آتيهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما خصهم به من التفضيل على غيرهم من قبل تعجيل رزق الجنة ونعيمها وقال المتكلمون
الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى المنفعة وقوله فرحين اشارة الى الابتهاج الحاصل بسبب
التعظيم وبلسان الحكماء يرزقون اشارة الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية فرحين رمز الى ابتهاجها بالنظر الى ينبوع النور
مصدر الكمال ويستبشرون بالذين باخوانهم من المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم والاستبشار السرور الحاصل بالبشارة ومعنى من خلفهم
انهم بقوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم اي لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك ان الله
يبشرهم بان من ترك خلفهم من المؤمنين يبعثون آمنين يوم القيمة فهم مستبشرون بانه لا خوف عليهم انما بشرهم الله بذلك لانهم لما فارقوا
الدنيا بغتة كان ذلك مظنة ان يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو شبه تألم فاكرمهم الله تعالى بان ازال عنهم ذلك التعلق واعلمهم امن اخوانهم
من عذاب الله فحصل لهم سروران من قبل حال انفسهم وذلك قوله فرحين بما آتيهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم واعزتهم وذلك قوله
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم كرر هذا المعنى لمزيد التأكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهي الثواب وفضل وهو التفضل الزائد
وهذا هو سرورهم بسعادة انفسهم وان الله اي وبان الله لا يضيع اجر المؤمنين وهذا سرورهم بسعادة اخوانهم المؤمنين ثم انه تعالى
مدح المؤمنين بغزوتين متصلتين بغزوة احد يعرفان اولاهما بغزوة حمراء الاسد الثانية بغزوة بدر الصغرى اما الاولى فما روي
ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا اكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم فهموا
بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فاراد ان يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن اصحابه قوة فندب اصحابه الى الخروج في طلب ابي سفيان وقال
لا اريد الا ان يخرج معي الا من حضر يومنا بالامس فخرج في سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال
فالقى الله الرعب في قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم باتيان
جميع المأمورات واتقوا بالانتهاء عن المحظورات او احسنوا في طاعة الرسول واتقوا مخالفته وان بلغ الامر بهم الى الجراحات روي انه
كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة اخرى وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ساعة ومن في قوله للذين
احسنوا منهم للتبيين لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وقال ابو بكر الاصم نزلت في يوم احد لما رجع النبي
بالناس بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد ان مثلوا بحمزة فصلى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم و
دفنهم بدمائهم وذكروا ان صفية جاءت لتنظر الى اخيها حمزة فقال صلى الله عليه وسلم للزبير ردها لئلا تجزع من مثلة اخيها فقالت قد بلغني ما فعل
به وذلك يسير في جنب طاعة الله تعالى فقال للزبير فدعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت له وجاءت امرأة قد قتل زوجها وابوها واخوها
وابنها فلما رأت الرسول وهو حي قالت ان كل مصيبة بعدك جلل واما الثانية فروي عن ابن عباس ان ابا سفيان لما عزم ان ينصرف
من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى نقاتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله فلما حضر
الاجل خرج ابو سفيان مع قومه حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا



فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان
خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة وثبطهم ولكن عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا
بالرأي اتوكم في دياركم وقراركم فقتلوا اكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم احد فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لاخرجن اليهم وحدي فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وهي ماء
لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات
فوافوا السوق فباعوا ما معهم واشتروا بها ادما وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين و
رجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فانزل الله في المؤمنين الذين قال لهم الناس يعني
نعيم بن مسعود كما ذكرناه وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولان
الواحد اذا قال قولا وله اتباع يقولون مثل قوله ويرضون به حسن اضافة ذلك الفعل الى الكل كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا وحين قال
نعيم ذلك القول لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق مر ركب من عبد القيس
بابي سفيان فدسهم الى المسلمين ليجبنوهم وضمن لهم عليه جعلا حمل بعير من زبيب قال السدي هم منافقو المدينة كانوا يثبطون المسلمين
عند الخروج يقولون ان الناس قد جمعوا لكم يعني ابا سفيان واصحابه والمفعول محذوف اي جمعوا لكم الجموع والعرب يسمي الجيش جمعا فاخشوهم
فزادهم نعيم او قول المثبطين ايمانا لانهم لم يسمعوا قولهم واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام فكان ذلك اثبت
ليقينهم واقوى لاعتقادهم واستدل بالاية من قال ان الطاعات داخلة في مسمى الايمان وانه يزيد وينقص بحسب تلك زيادتها ونقصانها
واما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق فقال ان الزيادة وقعت في ثمرات الايمان ولكنها جعلت في الايمان مجازا وقد مر تحقيق
الكلام لنا في هذا المعنى في اوائل الكتاب وكما انهم اضمروا ذلك بحسب الاعتقاد وافقوا الخليل عليه السلام حين القي في النار فاظهروه باللسان و
قالوا حسبنا الله وقد مر اعراب مثله في قوله فحسبه جهنم ونعم الوكيل والكافي والكافل والموكول اليه هو ثم عملوا بما اعتقدوه وقالوه فخرجوا
فانقلبوا بنعمة من الله وهي العافية وفضل هو الربح بالتجارة او النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الاخرة لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل
ولا جراح في صفهم وانه حصل لهم الملايم ولم يحصل لهم المنافي وهذه غاية المطالب ونهاية الاماني ولان ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله
سبحانه وتعالى ثم روي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله وليعلموا ان لهم ثواب المجاهدين حيث قضوا
ما عليهم ثم قال والله ذو فضل عظيم تنبيها على ان السبب الكلي في ثواب المطيعين هو فضل بهم ورحمة عليهم لم ينج احد بعمله الا
ان يتغمده الله برحمته فعلى المؤمن ان لا يثق الا بالله ولا يخاف احدا الا اياه وذلك قوله انما ذلكم الشيطان والشيطان لعتوه وتمرده
واغوائه ثم بين شيطنته بقوله يخوف اولياءه او الشيطان صفة اسم الاشارة وهذه الجملة خبر والمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه فلا
تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس الذين هم اولياء المثبطين والاولياء هم ابو سفيان
واصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف والتقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن
الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالضمير في فلا تخافوهم للناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم وقيل التقدير يخوفكم باوليائه كقوله ويخوفونك
بالذين من دونه فحذف حرف الجر قال الفراء والزجاج وابو علي وزيفه ابن الانباري بان التخويف قد يتعدى بنفسه الى مفعولين فلا ضرورة
الى اضمار حرف الجر الله حسبي التأويل قد ذكرنا ان النفس يبقى لها نوع تعلق ببدنها فالان نقول ان روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق
ببدنه جزاء له على تعجيل ذائقة مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا لا تبلى اجساد اكثرهم تبقى غضة طرية وكانهم هم الشهداء في الحقيقة وهكذا
الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا انفسهم بسيوف الرياضات ومطارق الاذكار واسنة السنة الطاعنين وتجرعوا غموم
مخالفات النفس ومكايدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة وحيوا بالطبيعة ولهم كل طبيعة وليس كل تعلق بهذا العالم سببا للتالم بل بعضه
سبب اللذة والابتهاج يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وكما ورد في حديث الشهداء من مبلغ اخواننا عنا
انا في الجنة والذي جاء فيه ان ارواحهم في اجواف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والابخرة اللطيفة منهم ظلما فمن الممكن ان يخلق الله
في ذلك جسما لطيفا شبه طائر يكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى يتحرك ويطير حيث شاء من السماء والارض والى الجنة باذن الله تعالى واما
كون الطير خضراء فاما لان بدن الميت يميل الى الخضرة واما ان يكون عبارة عن النضارة تعرف في وجوههم نضرة النعيم واما لان حالهم بالنسبة الى ما
سيؤول اليه اهل الجنة والنار يوم القيامة كالمتوسط بين الحالين الذين يعبر عنهما بالبياض والسواد في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
وهذه المعاني ما وجدتها في كتب التفسير فلنا وبالله رجوان اكون مصيبا فيها العرض والله تعالى ورسوله اعلم بمراده هنا ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم ان

ولهم



الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم
آنان که خریدند کفر را بایمان ضرر نرسانند خدا چیزی و مر ایشانراست عذابی دردناک و مپندارند آنانکه کافر شدند که آنچه مهلت میدهیم ایشانرا بهتر است مر خود ایشانرا

انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
جز این نیست که مهلت میدهیم ایشانرا تا زیاده کنند گناه را و مر ایشانراست عذابی خوار کننده نباشد خدا که واگذارد گروندگانرا بر آنچه که شما بر آنید تا که جدا کند ناپاک را از پاک

وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فامنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا
و نباشد خدا که آگاه کند شما را بر غیب و لیکن خدا اختیار کند از پیغمبران هر کرا خواهد پس بگروید بخدا و پیغمبران او و اگر بگروید و پرهیز کنید

فلكم اجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما
پس مر شماراست مزدی بزرگ و مپندارند آنانیکه بخل کنند بآنچه که داد بایشان خدا از افزونی خود آن بهتر است مر ایشانرا بلکه بد است ایشانرا زود در گردن طوق نهاده کرده شود

ع ١٠

بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
آنچه را که بخل کردند بآن در روز قیامت و مر خدا راست میراث آسمانها و زمین و خدا بکردهای شما مطلع است بدرستی که شنید خدا گفتار آنانرا که گفتند که بدرستی که خدا محتاج

ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم
و مائیم توانگران هر آینه ثبت کنیم آنچه را که گفتند و کشتن ایشان پیغمبرانرا بدون حق و میگوئیم که بچشید عذاب سوزانرا این بآنچه است که از پیش فرستاد دستهای شما

وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار
و آنکه خدا نیست ستمکننده مر بندگانرا آنانکه گفتند بدرستی که خدا عهد کرد با ما که نگرویم مر پیغمبری را تا که بیاید ما را قربانی که بخورد او را آتش

قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب
بگو که هر آینه آمد شما را پیغمبران پیش از من با گواهان و بآنچه که گفتید پس چرا کشتید ایشانرا اگر بوده باشید راستگویان پس اگر تکذیب کردند ترا پس تکذیب کرده شد

رسل من قبلك جاءو بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة
پیغمبرانرا از پیش تو که آورده بودند گواهان و نوشتها و کتاب واضح هر نفسی چشنده است مرگ را و جز این نیست که تمام داده شوید مزدهای خود را در روز قیامت

فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في اموالكم وانفسكم
پس هر که منع کرده شود از آتش و در آید در بهشت پس بدرستیکه بهره مند گردیده و نیست زندگانی دنیا مگر بهره فریب هر آینه آزموده شوید در مالهاتان و در نفسهاتان

ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك
و هر آینه بشنوید از آنان که داده شدند کتاب را از پیش شما و از آنانکه انباز آوردند آزارهای بسیار و اگر تحمل کنید و پرهیز نمائید پس بدرستیکه این

من عزم الامور واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم
از تیه در کار است و چون فرا گرفت خدا پیمان آنانرا که داده شدند کتاب را هر آینه ظاهر نمائید از برای مردمان و پنهان نسازید پس در عقب انداختند آنرا

واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
و خریدند بآن بهای کم را پس بد است آنچه را که میخرند و مپندار تو آنانرا که شاد کردند بآنچه یافتند و دوست دارند که ستایش کرده شوند بآنچه نکرده‌اند

فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير
پس مپندار ایشانرا رستگاران از عذاب و مر ایشانراست عذابی دردناک و مر خدا راست پادشاهی آسمانها و زمین و خدا بر هر چیزی توانا است

القراءة ولا يحزنك من الافعال حيث كان الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر نافع ومثله ليحزنني وليحزن الذين امنوا و تريد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاء ولا خلاف في مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم ولا يحسبن وثلثة بعدها بالياء التحتانية مع ضم الباء في فلا تحسبنهم ابو عمرو وابن كثير وقرا حمزة كلها بتاء الخطاب وقرا ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء الباقون الاوليان على الغيبة والاخريان بالخطاب يميز بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب عباس مخير الباقون خفيف بفتح الياء وكسر الميم يعملون خبير بياء الغيبة ابن كثير ويعقوب وابو عمرو ولقد سمع وبابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام سيكتب بضم الياء وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما على التكلم وبنصب اللام في وقتلهم وبالزبر ابن عامر وبالكتاب الحلواني عن هشام الباقون بغير اعادة الخافض فيهما زحزح عن مدغما شجاع وابو شعيب من طريق العطار وابن مهران ليبيننه ولا يكتمونه بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير وابو عمرو ويعقوب غير روح وابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم الوقوف الكفر ج للابتداء بان مع احتمال اضمار اللام او الفاء شيئا ط في الاخرة ج لعطف المختلفين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم ط شيئا ج لما ذكر في الاخرة اليم لانفسهم ط اثما ج لما ذكر اية مهين من الطيب ط ورسله ط عظيم خير لهم ط شر لهم ط القيمة ط والارض خبير اغنياء م لئلا يصير ما بعده من مقولهم ومن قرا بضم الياء فوقفه مطلق بغير حق ج لمن قرا ويقول بالياء لان التقدير ويقول الله او يقول الزبانية فلا يعطف

ع



على قوله سيكتب مع اتساق لفظ الحريق للعبيد لاحتمال الصغيرة وان يكون المراد بهم الذين والوقف ولكانه لا يظلم العبيد ومكم العبيد الموّ
نعم لو كان بدلا من الذين قالوا ان الله فقير صح تاكله النار طصادقين المنير الموت ط يوم القيمة ط لابتداء شرط في امر معظم فقد فاز ط
الغرور كثيرا ط الامور ولا تكتمونه نزلت الجملتين وان اتفقا لم يكن النبذ متصلا باخذ الميثاق فلم يضف الى ظرفه قليلا ط يشترون
من العذاب ج لما ذكر اليم والارض ط قدير التفسير نزلت في كفار قريش وانه تعالى جعل رسوله امنا من شرهم واتاح العاقبة له وان جمعوا
الجموع وجهزوا الجيوش حتى يظهر هذا الدين على الاديان كلها وقيل في المنافقين ومسارعتهم هي انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب واقعة
احد ويؤيسونهم النصر والظفر وربما يقولون ان محمدا طالب الملك فتارة يكون الامر له وتارة يكون عليه ولو كان رسولا ما غلب احد
قيل ان قوما من الكفار اسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش فاغتم النبي لذلك فبين الله تعالى ان ردتهم لا تؤثر في لحوق ضرر بك وضعف بعضهم
هذا القول بان المسارعة وهي شدة الرغبة في الكفر انما تناسب من كفر بعد الايمان المستمر على الكفر وبان ارادته ان لا يجعل لهم في الاخرة حظا
انما يليق بمن امن فاستوجب الحظ ثم احبط وبان الحزن انما يكون على فوات امر مقصود وذلك هو ما قدر للنبي من الانتفاع بايمانهم و
انتفاعهم بالايمان فبين الله تعالى انه لا يلحق بسبب فوات ذلك ضرر بالدين وان وبال ذلك يعود عليهم كما دل عليه بقية الاية فان قيل الحزن
على كفر الكافر وعلى معصية العاصي طاعة فكيف نهى نبي الله عن ذلك فالجواب انه نهى عن الاسراف في الحزن بحيث يأتي عليه نظيره لعلك باخع
نفسك الا يكونوا مؤمنين او المراد لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله اي دينه شيئا من الضرر يريد الله
الا يجعل لهم حظا في الاخرة فيه دليل على ان ارادة الله تتعلق بالعدم وتنصيص على ان الخير والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنى قوله ولهم
عذاب عظيم انه كما لا حظ لهم من منافع الاخرة فلهم حظ عظيم من مضارها وفي الاخبار عن ارادة عدم الجعل دون الاخبار عن عدم الجعل
اشعار بان استحقاقهم للحرمان بلغ الى حد اراد ارحم الراحمين ان لا يرحمهم وان الداعي الى تعذيبهم خلص خلوصا لم يبق معه صارف
البتة ثم انزل في اليهود خاصة وهو الاشبه او في الكفار عامة ان الذين اشتروا الاية والغرض تاكيد تقوية قلب الرسول كانه قيل ان اكثرهم
ينازعونك في الدين لا لاجل شبهة بل بناء على الحسد والمنازعة في منصب الدنيا ومن كان عقله هذا القدر وهو انه يبيع بالقليل
من الدنيا السعادة الكثيرة في الاخرة كان في غاية الحماقة ومثله لا يقدر على الحاق الضرر بالغير ولو قيل ان الاية في المرتدين فالمعنى
ان اختيار دين بعد دين ثم الارتداد على العقبين يدل على الاضطراب وضعف الراي والانسان المضطرب الحال لا قدرة له على ايصال
الضرر الى الغير ثم بين ان بقاء المنافقين المتخلفين عن الجهاد والكفار الذين بقوا بعد شهداء احد لا خير فيه فقال ولا يحسبن من قرا
بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وان مع ما في حيزه ساد مسد مفعوليه ومن قرا بتاء الخطاب فالذين كفروا مفعول اول وان مع ما في
حيزه بدل منه وصح الابدال وان لم يمض لاحد المفعولين لان المبدل في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع
السكوت على متاعك والتقدير ولا تحسبن الذين كفروا ان املاءنا خير لهم على ان ما مصدرية ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي لا تحسبنهم
الاصحاب ان الاملاء خير لهم او لا يحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم قال الاصمعي يقال املى عليه الزمان اي طال واملى له
وامهله قال ابو عبيدة ومنه الملاء الارض الواسعة الطويلة والملوان الليل والنهار ويقال اقمت عنده ملاوة من الدهر اي حينا و
برهة وانما نصب على التمييز وفي وصف العذاب اولا بالعظم ثم بالالم ثم بالاهانة تدرج من الاهون الى الاشق وفيه من الوعيد والسخط ما لا
يخفى قالت الاشاعرة ههنا ان اطالة المدة من فعل الله لا محالة والاية دلت على انها ليست بخير فيه لانه على انه سبحانه فاعل الخير والشر
وايضا انه نص على ان الغرض من هذا الاملاء ان يزدادوا اثما فاذن الكفر والمعاصي بارادة الله وايضا اخبر عنهم انه لا خير لهم فيه وانهم لا يحصلون
منه الا على ازدياد الغي والاثم والاتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا انهم مجبورون وعلى ذلك في صورة مختارين اجابت المعتزلة بان المراد ان هذا
الاملاء ليس خيرا من موتهم شهداء اذ الاية من تتمة قصة احد لانه ليس بخير مطلق وزيف بان بناء المبالغة لا يجوز ذكره الا مع المفضل عليه لكنه
لم يذكر فعلمنا انه لنفي الخيرية لا لنفي كونهم خيرا من شيء اخر وعن الثاني ان ازدياد الاثم علة للاملاء وليس كل علة بغرض كقولك قعدت
عن الغزو للعجز والفاقة ومثله وجعلوا لله اندادا ليضلوا وهم ما فعلوا ذلك الا للاضلال ويقال ما كانت موعظتي لك الا للزيادة في
تماديك في الغي اذا كانت عاقبة الموعظة ذلك ورد بان حمل اللام على لام العاقبة عدول عن الظاهر على انا نعلم بالبرهان ان علمه تعالى بانهم
يزدادون اثما على تقدير الامهال علة فاعلية لازديادهم اثما فكان تعالى فاعلا للازدياد ومريدا له قالوا في الكلام تقديم وتاخير وترتيبه
لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم ويعضده قراءة يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية و
رد بان التقديم والتاخير خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع ان الواحدي انكرها ثم انه تعالى اخبر انه لا يجوز في حكمته
ان يترك المؤمنين على ما هم عليه من اختلاط المخلص بالمنافق ولكنه يعزل احد الجنسين عن الاخر ابقاء الحوادث وابداء الوقايع كما في قصة
احد لله در الثابت فانها صيد اللئام وصيقل الاحرار فقال ما كان الله ليذر اللام لتاكيد النفي والخطاب في انتم للمصدقين جميعا من
اهل الاخلاص والنفاق خوطبوا بانه ما كان في حكمة الله ان يترك المخلصين على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وهما لغتان نزت

اي طوله تعالى



الشيء بعضه من بعض لهوه ميزا وميزه تمييزا وفي الحديث من ماز اذى عن الطريق فهو له صدقة وجمع ولفظ الطيب والخبيث وان كان مفردا
الا انه للجنس والمراد جميع المنافقين من المؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل الميز عليه ليعلم انه المطرح من الشيئين الملقى لرداءته فان
الميز يقع على الادون والاهون وبم يحصل هذا الميز قيل بالمحن والمصايب كالقتل والهزيمة وكاد غاهم النبي صلعم الى الخروج مع ما بهم من القروح
ففعل ذلك ليظهر الثابت من المتزلزل والساكن من المتقلقل وقيل باعلاء كلمة الدين وقلة شوكة المخالفين ليظهره على الدين كله وقيل
بالوحي الى نبيه ولهذا اردفه بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي اي يصطفي ويختار من رسله من يشاء وبنا الكلام
على ثلث مراتب الاولى ان هذا المنصب الذي استأثر الله تعالى بعلمه لا يليق بكل احد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثانية ان الرسول
ايضا لا يعلم المغيبات بان يطلع عليه من تلقاء نفسه بخاصية فيه لكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحي واطلاع الله تعالى اياه عليه ان هذا مؤمن
وذاك منافق الثالثة ان هذا ايضا مختص ببعض الرسل في بعض الاوقات حسب مشيته وارادته فآمنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان بالله
ان تعتقدوه وحده علاما للغيوب ومن جملة الايمان بالرسل ان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبيدا مصطفين لا يعلمون من الغيب
الا ما علمهم الله تعالى ووجه النظم على القول الاول لا تظنوا ان هذا التمييز يحصل بان يطلعكم الله على غيبه ويقول ان فلانا مؤمن وفلان
منافق فان سنة الله جارية بانه لا يطلع العوام على غيبه لا يكون لهم سبيل الى معرفة الامور الا بالامتحان والقرائن المفيدة للظن الغالب
ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم ان هذا مؤمن وذاك منافق ويختارهم للرسالة ووضع التكاليف الشاقة التي يتميز بها الفريقان
ويخلص اهل الوفاء من اهل الجفاء والمراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول
ولكنه يخص من يشاء بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل فآمنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن اقر
بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبعه الوعد بالثواب فقال وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم قال السدي قال رسول الله صلعم
عرضت على امتي في صورها كما عرضت على آدم واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فاستهزؤا فقالوا زعم محمد انه يعلم من يؤمن
به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين وقال الكلبي قالت قريش تزعم يا محمد ان من خالفك فهو في النار
والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو من اهل الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فنزلت وقال
ابو العالية نزلت حين سئل المؤمنون ان يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق ثم انه عز من قائل لما بالغ في التحريض على بذل
النفس في الجهاد حرض على بذل المال في سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون من قرأ بتاء الخطاب قدر مضافا اي لا تحسبن بخل
الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعله ضمير النبي او احد ومن جعل الموصول فاعلا فالمفعول الاول يحذف لدلالة
التقدير ولا يحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا وهو صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين على ان هذه الاية نزلت في مانعي الزكوة ثم ترتيب
الوعيد عليه وسوق الكلام في معرض الذم ولان تارك التفضل لا وعيد عليه ولم يتخلص الانسان من البخل الا باخراج جميع المال وفي
حكم الزكوة ساير المصارف الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفي الذب عن المسلمين اذا قصدهم
عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد ونبوته واراد بالبخل كتمان العلم
الذي آتاهم الله وعلى هذا يكون عودا الى ما انجر منه الكلام الى قصة احد وذلك هو شرح احوال اهل الكتاب ويعضده ان كثيرا من آيات
بقية السورة فيهم ثم على هذا التفسير فمعنى سيطوقون ان الله تعالى يجعل في رقابهم طوقا من النار كقوله صلعم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم
بلجام من نار والسر فيه انهم لم ينطقوا بافواههم والسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فاما ان يكون محمولا على ظاهره وهو ان يجعل
ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه يقول انا مالك عن ابن مسعود عن النبي صلعم ما من رجل
له مال لا يؤدي حق ماله الا جعل طوقا في عنقه شجاع اقرع وهو يفر منه وهو يتبعه ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل ولا يحسبن الذين
يبخلون الاية وعن ابن عمر قال قال صلعم ان الذي لا يؤدي زكوة ماله يخيل اليه ماله يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان فيلزمه او يطوقه يقول
انا كنزك واما ان يكون على طريق التمثيل لا على ان ثمة اطواقا اي سيلزمون اثمه في الاخرة الزام الطوق ومن امثالهم تقلدها طوق
الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون ان ياتوا بما بخلوا به يوم القيمة ونظيره ما روى عن ابن عباس
انه كان يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية قال المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه اي يؤمرون باداء ما منعوه حتى لا يمكنهم الاتيان
به فيكون ذلك توبيخا على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما
من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير من
من المفسرين المقصود انه يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانباري يقال ورث فلان علم فلان
اذا تفرد به بعد ان كان مشاركا له فيه ومثله وورث سليمان داود اي انفرد بذلك بعد ان كان مشاركا له فيه والله بما
تعملون خبير من قرأ على الغيبة فظاهر اي يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرأ على الخطاب فللالتفات وهي ابلغ في الوعيد لان الغضب



كانه تناهى الى حد اقبل على الخطاب وشافهم بالعتاب ثم شرع فى حكاية شبه الطاعنين فى نبوة محمد صلعم وذلك انه لما امر بالانفاق فى سبيل الله قالوا لو كان
محمد صادقا فى ان الله تعالى يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن اغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق وايضا لو كان نبيا لكان انما
يطلب المال لاجل ان يجئ نار من السماء فتحرقه كما كان فى الازمنة السالفة فلما لم يفعل ذلك عرفنا انه ليس بنبى فهذا بيان النظم وليس
فى الاية تعيين القائلين الا ان العلماء نسبوا هذا القول الى اليهود لعنهم الله لقولهم فى موضع اخر يد الله مغلولة زعموا انه بخيل
وذلك الجهل يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات واذا عجز
عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان انه غنى ولما روى عكرمة ومحمد بن اسحق والسدى ومقاتل ان رسول الله صلعم كتب مع ابى بكر الى يهود
بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان تقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء وهو
من علمائهم انزعم ان ربنا يستقرضنا اموالنا فهو اذن فقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر ولطم فى وجهه قال لولا الذى بيننا
وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله صلعم وقال يا محمد انظر الى ما صنع بى صاحبك فقال رسول الله صلعم لابى بكر
ما الذى حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال هكذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الاية تصديقا لابى بكر
وايضا ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا فلا يبعد ان محمدا صلعم لما طلب منهم الجهاد
ببذل النفوس قالوا الة الاموال كانوا افقر قالوا لما كان لا لاغنيا فاى حاجة الى اموالنا ثم ان القائل لو كان فنحاص وحده فانما يستقيم قوله
لقد سمع الله قول الذين قالوا لان اتباع الرجل والمقتدين به حكمهم حكمه ثم انه تعالى انه لم يجبهم عن شبهتهم اما على قواعد اهل السنة فبان
يقول ها يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد ان يامر عبيده ببذل الاموال مع كونه اغنى الاغنياء واما على قوانين المعتزلة
فبان فى هذا التكليف فوائد منها ازالة حب المال عن القلب ومنها التوسل الى الثواب المخلد ومنها تسخير البعض للبعض وبذلك يرتبط امور
التمدن وينتظم احوال صلاح المعاش والمعاد وانما لم يجب لكثرة ورودها فى القران لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من ذا الذى
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان وجوب الوجود عبارة عن الغنى المطلق حتى
لا يحتاج فى ذاته ولا فى شئ من صفاته ولا بجهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم شك فى كمال غناه فى وجوده فقد عاد
بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند اولى الالباب وانما يستاهل صنوفا من العتاب وضروبا من العذاب فلهذا قال على جهة
الوعيد سنكتب ما قالوا فى صحايف الحفظة ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على انهم كالمرتقين والله حوقلة حتى نسبوا اليه ما
نسبوه فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء ففعلوا بهم ما فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق وهو من اسماء جهنم فعيل بمعنى مفعول
كالاليم بمعنى المولم او سميت باسم صاحبها اى ذا نحرقه والمعنى ننتقم منهم فيقول لهم ذوقوا عذاب النار كما اذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا
القول يحتمل ان يقال عند الموت او عند الحشر او عند قراءة الكتب ويحتمل ان يكون كناية عن الوعيد وان لم يكن ثمة قول ذلك العذاب او
او الوعيد بما قدمت ايديكم من السب والقتل وذكر الايدى لان اكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب
وان كان بعضه باللسان او بساير الجوارح والالات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت يداك مثنى كما فى سورة الحج
قال الجبائى قوله وان الله اى وبان الله ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على ان فعل العقاب بهم كان يكون ظلما بتقدير ان لا يقع منهم الذنوب
وفيه بطلان قول المجبرة ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز ان يعذب البالغين بغير ذنب ويدل على كون العبد فاعلا والا لكان
الظلم حاصلا والجواب انه لم ينف الظلم عن نفسه بمعنى ان الجزاء لما كان مرتبا على الذنب الصادر بكسب العبد وفعله فلا ظلم بل بمعنى انه مالك
الملك والمالك اذا تصرف فى ملكه كيف شاء لم يكن ذلك ظلما فخلق ذلك الفعل فيهم وترتيب العذاب عليه لا يكون ظلما قيل انه نفى الظلم الكثير
عن نفسه وذلك يوهم ثبوت اصل الظلم له اجاب القاضى بان العذاب الذى توعد بان يفعله بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على
حد عظمه لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكرنا ان ايصال العقاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين اقول انه تعالى نفى حقيقة الظلم
عنه فى قوله وما ظلمناهم وهم لا يظلمون وتحقيقه ما ذكرناه انه مالك الكل له ان يتصرف فى ملكه كيف يشاء ولكنه نفى ههنا كثرة الشر والظلم
ان تصدر عنه كانه قال ان خيل اليكم ان فى الوجود شرا بناء على ما فى ظنكم من ان الحكيم قد يصدر عنه الشر القليل ليتبعه الخير الكثير فاعلموا انه
منزه عن صدور الشر الكثير منه وان هذا من الشر القليل الذى فى ضمنه خيرا كثيرا ونقول اراد نفى الشر القليل واصل الظلم عنه ولكنه القليل
من الظلم بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلهذا عبر عنه بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قرر الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا
قال الكلبى نزلت فى كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وزيد بن التابوه وفنحاص بن عازوراء وحيى بن اخطب اتوا رسول
فقالوا انزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك الكتاب وان الله قد عهد الينا فى التورية الا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند
الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك فنزلت قال عطا كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فياخذون
الثروب واطايب اللحم فيضعونها فى وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبى فى البيت ويناجى ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون

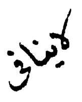
في عليا للانبياء [illegible]

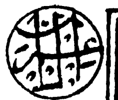


حول البيت فينزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فيأكل ذلك القربان وهو البر الذي يتقرب به الى الله واصله مصدر كالكفران و
الرجحان ثم سمي به نفس المتقرب به الى الله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلوة قربان اي بها يتقرب الى الله ويستشفع في الحاجة لديه و
للعلماء فيما ادعاه اليهود قولان قال السدي ان هذا الشرط جاء في التورية مع الاستثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم
بقربان تأكله النار الا المسيح ومحمد فكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل انه افتراء لان المعجزات كلها في كونها خارقة للعادة
واية لصحة النبوة سواء فاي فائدة في تخصيصها ولانه اما ان يكون في التورية ان مدعي النبوة وان جاء بجميع الآيات لا تقبلوا قوله الا
ان يجيء بهذه الآية المعينة وح لا يكون ساير المعجزات دالة على الصدق واذا جاز الطعن فيها جاز في هذه واما ان يكون فيها ان مدعي النبوة
يطالب بالمعجزة اية كانت وح يكون طلب هذا المعجز المعين عبثا فلهذا نسبهم الله تعالى الى الجحود والعناد فقال قل قد جاءكم رسل من
قبلي بالبينات وبالذي قلتم اي بدليله ومؤداه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين انما الايمان يجب عند الاتيان بالقربان وانما ذكر
مجيء الرسل بالبينات ولم يقتصر على مجيء القربان ليتم الالزام وذلك ان القوم يحتمل ان يقولوا ان الاتيان بهذا القربان شرط للنبوة
لا موجب لها والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط فلو اكتفى بذكر القربان لم يتم الالزام وحيث اضاف
اليه البينات ثبت انهم اتوا بالموجب وبالشرط جميعا فكان الاقرار بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك في اصل الشريعة
والنبوة او في قولك ان الانبياء الاقدمين جاؤهم بالبينات وبالقربان فقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك اي رسل في المصيبة
اذا عمت طابت جاؤا بالبينات وهي الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر هي الصحف جمع زبور بمعنى مزبور اي مكتوب وقال الزجاج
الزبور كل كتاب ذي حكمة فليشبه ان يكون من الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه سمي زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب المنير او
المستنير ويعلم من عطف الزبر والكتاب على البينات ان معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وانها لم تكن معجزة لهم والاعجاز من خواص القران وعطف
الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب بوصفه بالانارة والاستنارة اشرف من مطلق الزبر فخص بعد العموم لشرفه مثل وملائكته وجبريل وميكال
وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التورية والانجيل والزبور ثم اكد التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت لان تذكر الموت واستحضاره مما
يزيل الغموم والاشجان الدنيوية وكذا العلم بان وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن والمسيء ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد بكل نفس ذائقة الموت
فالقضية لا يمكن اجراؤها على عمومها لاستثناء الله تعالى منها تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك كذا الجمادات لان لها ذوات ولقوله
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولانه لا موت لاهل الجنة ولاهل النار فالمراد المكلفون الحاضرون في دار
التكليف والملائكة عند من يجوز الموت عليهم روي عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملائكة مات اهل الارض فلما
نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة متنا وفي الاية دليل على ان المقتول ميت وعلى ان النفس باقية بعد البدن لان الذائق لابد ان يكون
باقيا حال حصول الذوق قالت الحكماء الموت واجب الحصول عند هذه الحيوة الجسمانية لانها لا تحصل الا بالرطوبة الغريزية والحرارة الغريزية
ثم الحرارة الغريزية تؤثر في تقليل الرطوبة الغريزية واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة الغريزية ولا يزال يستمر هذه الحالة الى
ان تفنى الرطوبة الاصلية وح فينطفي الحرارة الغريزية ويحصل الموت فبهذا الطريق كان الموت ضروريا في هذه الحيوة قالوا والارواح
المجردة لا موت لها وما قسم المسلمون فيه وانما توفون اجوركم يوم القيمة في ذكر التوفية اشارة الى ان بعض الاجور يعطى قبل ذلك اليوم
كما قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار الزح التنحية والابعاد والزحزحة تكريره فقد فاز لم يقيد
الفوز بشيء لانه لا فوز وراء هذين الامرين الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب فمن حصل له هذان فقد فاز الفوز المطلق المتناول
لكل ما يفاز به قال صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان
يؤتى اليه فالاول غاية حقوق الله والثاني محافظة حقوق العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم
تبين له فساده ورداءته وذلك ان لذاتها تفنى وتبعاتها تبقى والغرور بالضم مصدر والغار المدلس هو الشيطان عن علي بن ابي طالب
لين مسها قاتل سمها وعن بعضهم الدنيا ظاهرها مظنة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن اثرها
على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون في اموالكم اللام جواب القسم المقدر والنون دخلت مؤكدة وضمت
الواو لالتقاء الساكنين ولم يجب قبلها من الضم المراد ما نالهم من الفقر والضر والقتل والجرح والتكاليف الشاقة البدنية والمالية من
الصلوة والزكوة والصوم والجهاد والذي كانوا يسمعونه من الكفرة كالطعن في الدين الحنيف واهليه واغراء المخالفين وتحريضهم
عليهم ومن المنافقين وتنفيرهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة او تصبروا على اداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات
فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها التي لا يترخص العاقل في تركه لكونه حميد العاقبة بين الصواب وهو من عزائم
الله ومما الزمكم الاخذ به قال الواحدي كان هذا قبل نزول اية القتال وقال القفال الظاهر انها نزلت بعد قصة احد فلا يكون منسوخا
باية السيف والمراد الصبر على ما يؤذون به الرسول على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم في كثير الاحوال والامر بالقتال

الموضح

كل نفس





لدنيا في الامر بالصبر على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودي كان شاعرا وكان يهجو النبي ويحرض عليه كفار قريش في شعره
وكان النبي صلعم قدم المدينة واهلها اخلاط المسلمون والمشركون واليهود فاراد النبي صلعم ان يستصلحهم كلهم فكان المشركون واليهود يؤذونه
ويؤذون اصحابه اشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك فنزلت الاية وروي ان رسول الله صلعم ركب على حمار واردف اسامة بن زيد
وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن خزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي وذلك قبل ان يسلم عبد الله فاذا في المجلس
اخلاط من المسلمين والمشركين واليهود وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه وقال لا
تغبروا علينا فسلم رسول الله صلعم فنزل ودعاهم الى الله وقرا عليهم القران فقال عبد الله بن ابي ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا
فلا تؤذينا به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله صلعم فاغشنا به في مجالسنا فانا
نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلعم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلعم دابته فسار حتى دخل
على سعد بن عبادة فقال له يا سعد الم تسمع ما قال ابو حباب يريد عبد الله بن ابي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله صلعم
اعف عنه واصفح فوالذي انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي نزل عليك وقد اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصابة
فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك فعفى عنه رسول الله صلعم وانزل الله هذه الاية ثم انه تعالى عجب من حال اليهود انه كيف يليق
بحالهم ايراد الطعن في نبوته مع ان كتبهم ناطقة بها فيه من جملة ايذائهم الرسول انهم يكتمون نعته وصفته فلهذا قال وَإِذْ أَخَذَ اللهُ باضما
اذكر الضمير في لتبيننه قيل لمحمد لانه معلوم وان كان غير مذكور اي لتبينن حاله وهذا قول سعيد بن جبير والسدي وقال الحسن وقتادة يعود
الى الكتاب كانه اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن ولا تكتمونه قيل الواو
للحال اي غير كاتمين ويحتمل ان يكون للعطف وان لم يكن مؤكدا بالنون والامر بالبيان يتضمن النهي عن الكتمان لكنه صرح به للتاكيد
فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ جعلوه كالشئ المطروح المتروك نحن على ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا و
قال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا ياكل ولا يشرب طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا
علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه ومعنى قوله وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا انهم كتموا الحق ليتوسلوا بذلك الى وجدان حظ يسير من الدنيا
فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ هو ويدخل في الوعيد كل من كتم شيئا من امر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب
لمسارهم واستجذاب لمبارهم او لتقية من غير ضرورة او لبخل بالعلم وغيره ان ينسب اليه غيره ثم ذكر نوعا آخر من ايذاء اليهود واوعدهم عليه تسلية
رسوله بذلك فقال لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ من قرا بتاء الخطاب وفتح الباء فالخطاب للرسول ولكل احد واحد المفعولين الذين يفرحون
والثاني بمفازة وقوله فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ اعادة للعامل لطول الكلام وافادة التاكيد ومن ضم الباء في الثاني مع تاء الخطاب فالخطاب للمؤمنين
ومن ضمها مع ياء الغيبة فالضمير للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف اي لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين والثاني للتاكيد ومعنى
بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال تعالى إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ومعنى بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ بمنجاة منه اي بمكان
الفوز وقال الفراء اي ببعد منه لان الفوز التباعد عن المكروه وفي الصحيحين ان مروان قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس فقل له لئن كان
كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذا انما دعا النبي صلعم يهود فسألهم
عن شئ فكتموه اياه واخبروه بغيره فاروه ان قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه وفرحوا بما اتوا من كتمانهم اياه ثم قرا ابن عباس وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ
مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ الايتين وقال الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها
ان محمدا ليس بنبي الله فاثبتوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقران ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذي
جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن اهل الصوم والصلوة نَحْنُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فذلك قوله يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا بما فعلوا وَيُحِبُّونَ أَنْ
يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فانزل الله هذه الآية يعني بما ذكروا من الصوم والصلوة والعبادة وعن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين
كانوا اذا خرج رسول الله صلعم الى الغزو تخلفوا عنه فاذا قدم اعتذروا عنه وحلفوا واحبوا ان يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فانزل الله هذه الاية
وهذه الوجوه كلها مشتركة في الاتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد عليه ووصفه بسداد السيرة وحسن السريرة ونحن اذا انصفنا من انفسنا وجدنا
اكثر مجاري امورنا على هذه الحالة فنسأل العصمة والهداية ثم ختم الكلام بقوله وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ والغرض انه كيف يرجو
النجاة من كان معذبه هذا القادر الغالب التاويل هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ كل واحد من صفتي البخل والسخاء بمنزلة الاكسير حتى يجعل
الخير شرا او بالعكس سيطوقون شبه بالطوق لانه يحيط بالقلب وينشأ منه معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر
والغضب والبخل حب الدنيا راس كل خطيئة وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الانسان وارث الدنيا والآخرة أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ اذا مات
من غير وارث فميراثه لبيت المال فالاشارة فيه ان من غلب عليه هذه الصفات مات قلبه فقد بطل استعداد وراثته فميراثه لله إِنَّ اللَّهَ



فقیر ونحن اغنیاء فیا ان الانسان لیطغی ان راٰه استغنی فیعکس القضایا فیصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب وذلک لغلبة الصفات
الذمیمة واستیلاء سلطان الهوی والشیطان فیقول تارة انا ربکم الاعلی وتارة ان الله فقیر ونحن اغنیاء بقربان تاکله النار قالت
یهود صفات النفس البهیمیة السبعیة والشیطانیة لا نتقاد لرسول ای لخاطر رحمانی والهام ربانی حتی یاتینا بقربان هو الدنیا وما فیها یجعلها
نسیکة لله عز وجل تاکله نار الله الموقدة التی تقدح من زناد محبتهم فان کثیرا من الطالبین الصادقین یجعلون الدنیا وما فیها قربانا لله
فلا تاکل نار الله قل یا وارد الحق قد جاءکم رسل من قبلی ای واردات الحق بالبینات بالحجج الباهرة وبالذی قلتم ای یجعل الدنیا قربانا
فلم قتلتموه غلبتموهم ومحوتموهم حتی لم یبق اثر الوارد کل نفس ذائقة الموت کلهم مستعدون للفناء ولا بد لهما من موت فمن کان
موته بالاسباب یکون حیوته بالاسباب ومن کان فناؤه فی الله یکون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد الاکبر ولتسمعن من اهل العلم الظاهر
ومن اهل الریاء اذی کثیرا بالغیبة والملامة والانکار والاعتراض وان تصبروا علی جهاد النفس وتتقوا بالله عما سواه فان ذلک من عزم
الامور ای من امور اولی العزم فاصبر کما صبر اولوا العزم من الرسل والله اعلم ان فی خلق السموات والارض واختلاف الیل و

بدرستی که در آفریدن آسمانها وزمین وگردش شب و

النهار لایات لاولی الالباب ﴿١٩٠﴾ الذین یذکرون الله قیاما وقعودا وعلی جنوبهم ویتفکرون فی خلق السموات والارض

وروز هرآینه نشانهاست مر صاحبان خرد را آنانکه یاد آورند خدا را ایستادگان ونشستگان وبر پهلوهاشان واندیشه نمایند در آفرینش آسمانها وزمین

ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانک فقنا عذاب النار ﴿١٩١﴾ ربنا انک من تدخل النار فقد اخزیته وما للظالمین

پروردگارا نیافریدی اینرا باطل منزهی تو پس نگاهدار ما را از عذاب آتش پروردگارا بدرستی که تو هر که را در آری در آتش پس بتحقیق رسوا کردی او را ونیست ستمکاران را

من انصار ﴿١٩٢﴾ ربنا اننا سمعنا منادیا ینادی للایمان ان امنوا بربکم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وکفر عنا سیئاتنا

یاوری پروردگارا ما شنیدیم بانگی را که ندا میکرد از برای گرویدن که بگروید به پروردگارتان پس گرویدیم پس بیامرز کناهان ما را وبر انداز گناهان ما را

وتوفنا مع الابرار ﴿١٩٣﴾ ربنا واتنا ما وعدتنا علی رسلک ولا تخزنا یوم القیمة انک لا تخلف المیعاد ﴿١٩٤﴾ فاستجاب

وبازدار ما را با خوبان پروردگارا بده ما را آنچه وعده کردی تو بر پیغمبرانت ورسوا مکن ما را در روز قیامت بدرستی تو خلاف نمیکنی وعده را پس مستجاب کرد

لهم ربهم انی لا اضیع عمل عامل منکم من ذکر او انثی بعضکم من بعض فالذین هاجروا واخرجوا من دیارهم واوذوا فی

از برای ایشان پروردگارشان که من بدرستیکه ضایع نکنم کردار شما را از مرد وزن برخی از ایشان از برخی پس آنان که ترک وطن کردند وبرون شدند از خانهاشان وآزار کشیدند در

سبیلی وقاتلوا وقتلوا لاکفرن عنهم سیاتهم ولادخلنهم جنات تجری من تحتها الانهار ثوابا من عند الله

راه من وکشتند وکشته شدند هرآینه بر اندازم از ایشان گناهان ایشان را وهرآینه در آورم ایشان را در بهشتها که روانست از زیر آنها جوها ثوابها از نزد خدا

والله عنده حسن الثواب ﴿١٩٥﴾ لا یغرنک تقلب الذین کفروا فی البلاد ﴿١٩٦﴾ متاع قلیل ثم ماویهم جهنم وبئس المهاد

وخدا در نزد اوست نیکی ثواب فریب ندهد ترا گردش آنها که کافر شدند در شهرها بهره ایست کم پس آرامگاه ایشان دوزخ است وبد جایگاهیست

لکن الذین اتقوا ربهم لهم جنات تجری من تحتها الانهار خالدین فیها نزلا من عند الله وما عند الله خیر للابرار

لیکن آنهائی که پرهیز کردند پروردگارشان را بهشتها که روانست از زیر آن جوها جاویدانند در آن نعمتی از نزد خدا وآنچه در نزد خداست بهترست مر خوبانرا

وان من اهل الکتاب لمن یؤمن بالله وما انزل الیکم وما انزل الیهم خاشعین لله لا یشترون بایات الله ثمنا

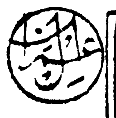
وبدرستی که از اهل کتاب هرآینه کسی هست که میگرود بخدا وآنچه فرستاده شد بسوی شما وآنچه فرستاده شد بایشان فروتنان مر خدا را نفروشند آیات خدا را ببهای

قلیلا اولئک لهم اجرهم عند ربهم ان الله سریع الحساب ﴿١٩٩﴾ یا ایها الذین امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله

کمی آن گروه مزدشان نزد پروردگارشان بدرستی که خدا زود حسابست ای زمره آنها که گرویده اید صبر کنید وام بصبر کنید وپیوند کنید وپرهیزید خدا را

لعلکم تفلحون ﴿٢٠٠﴾ القراءة الابرار بالامالة ابو عمرو وحمزة غیر خلاد ورجا الکسائی والبخاری عن ورش وخلف وابن مجاهد والنقاش

شاید که رستگار شوید عن ابن ذکوان وکذلک کل ما تکرر فیه الراء غیر ابن مجاهد والنقاش فی جمیع القران وقتلوا وقاتلوا حمزة وعلی
وخلف وقرا ابن کثیر وابن عامر وقتلوا مشددا الباقون وقاتلوا وقتلوا مخففا لا یغرنک بالنون الخفیفة رویس الباقون بالتشدید
الوقوف حیث کان ما ختلاس عباس الوقوف الالباب ج لاحتمال الذین صفة صفة او مستانفا نصبا او رفعا علی المدح بتقدیر اعنی
الذین او هم الذین والوصل اشهر والارض ج لحق المحذوف ای یقولون ربنا بالطلاق للابتداء سبحانک تعظیما والا فالقول متحد
التعقیب متعقب النار اخزیته ط انصار فامنا قیل والوصل اولی لان کلمة ربنا تکرار لمزید الابتهال وقوله فاغفر لنا معطوف
علی امنا ای انا امنا فاغفر الابرار ج للایة وللعطف یوم القیمة ط المیعاد انثی ج لاتحاد الکلام والا فبعضکم مبتدا من بعض ج و
الانهار ز لان ثوابا مفعول له او مصدر من عند الله ط الثواب البلاد ط لان التقدیر لهم متاع او ذلک متاع جهنم المهاد من
عند الله ط للابرار لله لا لان ما بعده حال اخر قلیلا ط عند ربهم ط الحساب تفلحون التفسیر انه لما طال الکلام فی تقریر القصص والاحکام



عاد الى ما هو الغرض الاصلي من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والاسرار بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة
اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجيب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة
هل لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت
فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القران وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع
يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وعن علي ان النبي كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ الى ان عد ثمانية دلائل وههنا اقتصر منها على الثلثة الاول تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لا بد له من
من تقليل الدلائل ليكمل له الاستغراق في معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى اخر كالبصر اذا حدق الى مرئي امتنع
تحديقه نحو اخر واليه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعني المقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو وادي قدس الوحدانية وانما
وقع الاقتصار على الدلائل السماوية لانها اقهر وابهر والعجائب فيها اكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله اتم وانما قال في تلك السورة
لايات لقوم يعقلون وفي هذه السورة لَاٰيٰتٍ لِّاُولِي الْاَلْبَابِ لان العقل له ظاهر ولب ففي اول الامر يكون عقلا وفي كمال الحال
يكون لبا وباقي التفسير قد مر هنالك ثم بعد دلائل الالهية ذكر وظائف العبودية وهي ان يكون باللسان وبسائر الاركان وبالجنان
مع الوحي فقوله الَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ اشارة الى عبودية اللسان وقوله قِيَامًا وَّقُعُوْدًا وَّعَلٰى جُنُوْبِهِمْ وهو في موضع حال اخرى معطوفة
على الجنب اشارة الى عبودية سائر الجوارح والاركان والمراد انهم ذاكرون في اغلب احوالهم كما قال صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر
ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلوة اي يصلون في حال القيام فان عجزوا ففي حال القعود فان عجزوا ففي حال الاعتماد وهذا موافق
لمذهب الشافعي في ترتيب صلوة المريض العاجز ويوافق بحثا طبيا وهو ان الاستلقاء يمنع من استعمال الفكر والتدبر بخلاف الاضطجاع
على الجنب والصلوة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت اولى ولان الاستغراق في النوم يكون في هيئة الاستلقاء اكثر فذلك وضع الغافلين
وقال ابو حنيفة بل يصلي مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد قوله وَيَتَفَكَّرُوْنَ فِيْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اشارة الى عمل
الجنان وقد عرفت معنى الفكر في البحث الخامس من تفسير قوله وَعَلَّمَ اٰدَمَ الْاَسْمَآءَ وانما لم يقل ويتفكرون في الله كما قال يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ
لقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في المخلوق ولا تتفكروا في الخالق والسبب فيه ان الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة فانا نستدل
بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالفكر في المخلوقات ممكن وفي الخالق غير ممكن كيف وان
الفكر ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لا بد من تصورهما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشيء عبارة عن
حصول صورة الشيء في النفس فيكون الصورة مخالطة والنفس محيطة بها ولا يحيط بالواجب شيء الا انه بكل محيط لكنه اذا تفكر في مخلوقات
سيما السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف
اولا ان لها ربا وصانعا فيقول ربنا ثم يعرف ما بني في كل من ذلك حكما ومقاصد وفوائد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ما
خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس احوال هذه المصنوعات الى صانعها علم ان ذاته تعالى منزه عن مشابهة شيء من هذه المصنوعات فيعلم انه
ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف ولا في حيز وجهة فيقول سبحانك اي نزهتك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ
من الاستغراق في بحار العظمة وجهة الجلال هذا المبلغ وجد نفسه نزرة من ذرات الكائنات واقعة في حضيض عالم البشرية مخالطة بالطبائع
والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض ان يخلصه من قيد العناصر ويعرج به من الارض ويقيه عذاب كرة النار ويوصله الى معارج
السموات وذلك قوله فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله رَبَّنَآ اِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ اَخْزَيْتَهٗ اي ابلغت
في اخزائه نظيره قوله فَقَدْ فَازَ وفي كلامهم من ادرك مرعى الضمان فقد ادرك ثم توسل الى المسائل بالايمان بمحمد وذلك قوله رَبَّنَآ
اِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا الاية فهذا بيان وجه النظم في هذه الكلمات والايات على وجه القي في روعي والله اعلم باسرار كلامه عن النبي
بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وعنه
لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب
لان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض وعنه لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ الخلق على انه بمعنى المخلوق
او الى السموات والارض بتاويل المخلوق وفي كلمة هذا ضرب من التعظيم كانه لعظم شانه معقود به الهمم حتى صار حاضرا في خزانة الخيال و
باطلا انتصب على المصدر اي خلقا باطلا او على الحال وقيل بنزع الخافض اي بالباطل او للباطل قالت المعتزلة فيه دليل على ان كل ما يفعله الله
تعالى فهو انما يفعله لغرض الاحسان الى العبد لاجل حكمة وغاية وقوله سُبْحٰنَكَ جملة معترضة نزه بها ان يخلق شيئا بغير حكمة

ولعله اراد بيوم عمل التفكر في خلق السموات والارض ١٢ منه



فوجه النظم في قوله فقنا عذاب النار ان الحكمة في خلق الارض والسموات ان يجعلها مساكن المكلفين وادلتهم على معرفته ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان احد طرفي الممكن لا يترجح الا بمرجح تام وذلك المرجح لا بد ان ينتهي الى الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن ان يعلل افعال الله بمصالح العباد بل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء والباطل في اللغة الذاهب الزائل الذي لا يكون له قوة ولا صلابة فيكون بصدد التلاشي والاضمحلال والمراد انا خلقتهما خلقا محكما متقنا كقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك وان خلقتهما في غاية متانة التركيب وبصدد البقاء الا انك غني عن الاحتياج اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم لما وصفته بالغنى اقر لنفسه بالعجز والحاجة اليه في الدنيا والاخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام بالاية على انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب واودع في كل واحد منها قوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع قطان العالم السفلي قالوا لانها لو لم تكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن ان يقصر منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهواء والماء يشاركها في ذلك فلا يبقى لخصوصياتها فائدة وهو خلاف النص وناقشهم المتكلمون في ذلك قالوا ان الفلكيات اسباب للارضيات على مجرى العادة لا على سبيل الحقيقة والانصاف في هذا المقام ان وجود الوسائط لا ينافي استناد الكل الى مسبب الاسباب وان تكون افعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد لا ينافي جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سئلوا ربهم ان يقيهم عذاب النار اتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون اقرب الى الاستجابة كما انهم قدموا الثناء على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون اقرب الى الادب واحرى بالاجابة وكل ذلك تعليم من الله تعالى عباده في حسن الطلب قال الواحدي الاخزاء جاء لمعان متقاربة عن الزجاج اخزى الله العدو اي ابعده وقيل اهانه وقيل فضحه وقيل اهلكه وقال ابن الانباري الخزي في اللغة الهلاك بتلف او انقطاع حجة او بوقوع في بلاء قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد اخزاه الله والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه واجيب بانه لا يلزم من ان لا يكون من آمن مع النبي يخزى ان لا يكون غيره وهو مؤمن يخزى وايضا الاية ليست على عمومها لقوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فثبت ان كل من يدخل النار فانه ليس بمخزى وعن سعيد بن المسيب والثوري وغيرهما ان هذا في حق الكفار الذين دخلوا النار للخلود وايضا انه يخزى حال دخوله وان كانت عاقبته الخروج وقوله لا يخزي نفي على الاطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهي نفي الخزي المخلد ويحتمل ان يقال الاخزاء مشترك بين التخجيل وبين الاهلاك واذا كان المثبت هو الاول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي واحتجت المرجئة بالاية على ان صاحب الكبيرة لا يدخل النار لانه مؤمن لقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والمدخل في النار مخزى بهذه الاية والمقدمات باسرها يدخلها المنع اما الاولى فباحتمال ان لا يسمى بعد القتل مؤمنا وان كان قبله مؤمنا واما الاخريان فبخصوص المحمول لجزئية الموضوع كما تقرر انفا وقد يتمسك حكماء الاسلام بهذا في ان العذاب الروحاني اشد لانه بين سبب الاستعاذة بالاخزاء الذي هو التخجيل وهو امر نفساني وقد يتمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين اي الداخلين في النار من انصار في نفي الشفاعة للفساق لانها نوع نصرة ونفي الجنس يقتضي نفي النوع والجواب ان الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هم الظالمون وايضا لا تأثير للشفاعة الا باذن الله فيؤول معنى الاية الى ان الامر يومئذ لله وعلى هذا ففائدة تخصيص الظالمين بهذا الحكم انه وعد المتقين الفوز فلهم هذه الحجة بخلاف الفساق وايضا دلائل الشفاعة مخصصة لعموم الاية قالوا الفاسق لا يخرج من النار والا كان مخرجه ناصرا له وعورضوا بالايات الدالة على العفو ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي تقول سمعت رجلا يتكلم بكذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به او جعلته حالا عنه والمنادي عند الاكثرين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ادع الى سبيل ربك ادعو الى الله وداعيا الى الله وقيل القران كما نسب اليه الهداية في قوله ان هذا القران يهدي كانه يدعو الى نفسه وينادي بما فيه من الدلائل كما قيل في جهنم تدعوا من ادبر وتولى والفصحاء يصفون الدهر بانه ينادي ويعظ لدلائل تصاريفه قال يا واضع الميت في قبره خاطبك الدهر فلم تسمع ويقال ينادي الى كذا ولكذا ودعاه اليه وله وهداه للطريق واليه فيقام كل من اللام والى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا وقال ابو عبيدة هذا على التقديم والتاخير اي سمعنا مناديا للايمان ينادي كما يقال جاء مناد للامير فنادى بكذا وقيل معناه لاجل الايمان ولهذا الغرض ولهذا فسر بقوله ان آمنوا وان مفسرة او مخففة معناه اي آمنوا او بان آمنوا والفائدة في الجمع بين المنادي وينادي للايمان هو فائدة الاطلاق ثم التقييد او الاجمال ثم التفصيل من رفع شان المطلق والمجمل وكونه اوقع في النفس فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية واما الذنوب والسيئات فقيل هما واحد والتكرار للتاكيد والالحاح ان الله يحب الملحين في الدعاء



وقيل الاول الكبائر والثاني الصغائر وقيل الاول ما بعدها والثاني ما تقدم منهم الثاني المستانف وقيل الاول ما اتى به الانسان مع العلم بكونه معصية و
ذنبا والثاني ما اتى به مع الجهل بكونه ذنبا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ اى معدودين منهم واتباعهم او مشاركين لهم في الثواب او على مثل اعمالهم
ودرجاتهم كقول الرجل انا مع الشافعي في هذه المسئلة اى مساو له في ذلك الاعتقاد احتجت الاشاعرة بالاية على ان العفو غير مشروط
بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بدون ذكر التوبة بل بدون ذكر التوبة بل بدون التوبة بدلالة التعقيب في فاغفر بعد قولهم امنا ثم انه تعالى
اجابهم الى ذلك بقوله فاستجاب لهم ويعلم منه ثبوت شفاعة النبي صلعم لاصحاب الكبائر بالطريق الاولى رَبَّنَا وَاٰتِنَا مَا وَعَدْتَّنَا عَلٰى
رُسُلِكَ لانها مذكورة عقيب ذكر المنادي للايمان وهو الرسول عقيب قوله امنا وهو التصديق فيكون على صلة للوعد كقولك
وعد الله الجنة على الطاعة ويحتمل ان يتعلق بمحذوف اى ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما
عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والمتعلق كما ذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعد مع علمهم
بانه لا يخلف الميعاد كما صرحوا به في اخر الادعية لان معظم الغرض في الدعاء اظهار سيماء العبودية والمراد وفقنا للاعمال التي بها نصير اهلا
لوعدك واعصمنا عما بها نكون اهل الاخزاء وطلبوا تعجيل النصرة على الاعداء والمراد احفظ علينا اسباب انجاز الميعاد وقيل معناه ليل
على انهم طلبوا منافع الاخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ
الْقِيٰمَةِ لان التخجيل والتفضيح يكدر صفو كل من وعطاء الحاصل من هذه الايات انهم نظروا في المصنوع فعرفوا منه الصانع فقالوا
ربنا ثم تفكروا في عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا ان صانعه حكيم والحكيم لا يخلو افعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا
بها فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تاملوا في غاية الغايات ونهاية الحركات فوجدوها الانسان المكلف على السنة الرسل ووجدوا عاقبة
التكليف الجنة والنار فتضرعوا الى معبودهم في توفيق الوصول الى الجنة والاخلاص من النار ولان دفع الضرر اهم من جلب المنفعة جعلوا
اول دعائهم واخرهم الاستعاذة من العذاب ولان العذاب الروحاني عند العقلاء اشد من العذاب الجسماني فلا جرم وقع الختم على الاستعاذة
من الاخزاء اللهم شاركنا في هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين في ملكوت الارض والسماء انك واهب العطايا وكاشف
الغطاء عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد لان الله تعالى حكى عنهم في هذه الايات
انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ اى اجابهم اَنِّيْ اى بانى لَآ اُضِيْعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثٰى من في منكم للتبعيض
لان كل عامل فرد من افراد المخاطبين وفي من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما انثى واضاعة العمل عبارة عن اضاعة ثوابه بَعْضُكُمْ مِّنْ
بَعْضٍ اى بجميع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الاخر اى من اصله او المراد بعضكم كانه من البعض الاخر لفرط اتصالكم واتحادكم
كما يقال فلان مني اى على خلقي وسيرتي قال صلعم من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بين بها شركة النساء
مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل روى ان ام سلمة قالت يا رسول الله صلعم اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء
فنزلت ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما لشان العمل وتنويها بذكره فقال فَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا اوطانهم مع الرسول صلعم او بعده باختيارهم واخرجوا
من ديارهم الجاءهم الكفار الى الخروج واوذوا في سبيلي يريد الذين وَقٰتَلُوْا وَقُتِلُوْا من قرا بالتشديد فللتكثير وتكرار القتل فيهم وقيل اى قطعوا
ومن قرا قتلوا وقاتلوا فاما لان الواو لا يفيد الترتيب الطبيعي فاتلوا حتى قتلوا واما من قولهم قتلنا ورب الكعبة اذا ظهرت امارات
القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما باضمار قد اى قتلوا وقد قاتلوا لَاُكَفِّرَنَّ جواب للقسم المقدر عَنْهُمْ سَيِّاٰتِهِمْ وهو الذي طلبوه بقولهم رَبَّنَا
فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّاٰتِنَا وَلَاُدْخِلَنَّهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ وهو الذي طلبوه بقولهم رَبَّنَا وَاٰتِنَا
مَا وَعَدْتَّنَا عَلٰى رُسُلِكَ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ وهو الذي طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اى ثوابا
يختص به وبقدرته وبفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه يقول الرجل عندي ما تريد اى انا مختص به وبملكه وان لم يكن بحضرته وثوابا
نصب على المصدر المؤكد اى اثابة او تثويبا من عنده لان قوله لاكفرن ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم قال الكسائي هو منصوب على الحال او على
القطع وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك هبة او بيعا او صدقة ثم ختم بقوله وَاللّٰهُ عِنْدَهٗ حُسْنُ الثَّوَابِ لانه القادر على كل المقدورات
العالم بكل المعلومات الغني عن جميع الحاجات وفي تعليقه حسن الاثابة على احتمال المشاق في دينه والصبر على صعوبة تكاليفه دليل على ان حكمة الله تعالى
تقتضي نوط الثواب والجنة بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية ولا يهملوا جانب العمل بالساعي المحسن خبر الله تعالى انه استجاب لهم لا
نه اتبع ذلك بانفع الدعاء وما يستجاب له فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء يعني قوله والعمل الصالح يرفعه ثم انه تعالى لما وعد المؤمنين
الثواب العظيم وكانوا في الدنيا في غاية الفقر والشدة والكفار كانوا في النعم اراد ان يسليهم ويصبرهم فقال لا يغرنك والخطاب لكل مكلف
يسمع اى لا يغرنك ايها السامع او للرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غروا نبي الله حتى قبضه الله او له والمراد هو فلعل السبب في
عدم اغتراره هو تواترامثال هذه الايات عليه قيل ان مشركي مكة كانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى
من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فنزلت والمراد بتقلبهم تبسطهم وتصرفهم

اى على نصب بيوم القيمة

والترتيب

على القطع



في المكاسب والمزارع والمتاجر لك التقلب في الكسب والربح متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما وعد الله للمؤمنين من الثواب
او هو قليل في نفسه لانتهائه بالنسبة لمدة تراخى ما بين امدى الازل والابد مع قلته سبب للوقوع في نار جهنم ابد الآبدين والنعمة القليلة اذا كانت
سببا للمضرة العظيمة لم يكن في الحقيقة نعمة ولهذا استدرك وقال لكن الذين اتقوا الآية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي والنزل ما
يعد للضيف ويعجل ومن هنا تمسك به بعض الاصحاب في الرؤية لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شيء آخر يكون اصلا بالنسبة
اليها قلت ويحتمل ان يكون قوله وما عند الله باق اشارة اليه وهو مقام العندية والقرب الذي لا يوازيه شيء من نعيم الجنة وقيل المعنى
وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وانتصاب نزلا على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف و
العامل معنى الاستقرار في لهم او هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء او نصب على التفسير كما قلنا في ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين
وكان قد ذكر حال الكفار بين حال مؤمني اهل الكتاب كلهم فقال وان من اهل الكتاب وفي هذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل
نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فاسلموا
وعن جابر بن عبد الله وانس وابن عباس وقتادة نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبرئيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال
رسول الله لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن قال النجاشي فخرج رسول الله الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض
الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج
حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الآية واللام في لمن يؤمن لام الابتداء الذي يدخل على خبر ان او على اسمه عند الفصل
كما في الآية والمراد بما انزل اليكم القرآن وما انزل اليهم الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع فحمل على اللفظ
تارة وعلى المعنى اخرى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من احبارهم ورؤسائهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ولا يخفى فخامة شان
هذا الوعد حسبما اشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المقدورات فيعلم ويعطي ما لكل احد من جزاء
الحسنات والسيئات والمراد سرعة موعد حسابه فيكون فيه بشارة بقرب حصول الاجر ثم ختم السورة بآية جامعة لاسباب سعادة
الدارين وذلك ان احوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فامره بالصبر ويندرج فيه الصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة
التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والصبر على اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدائد الدنيا وآفاتها و
مخاوفها الثاني ما يتعلق بالمشاركة مع اهل المنزل او المدينة فامره بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق الردية من الاقارب والاجانب و
ترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد مع اعداء الدين بالحجة وبالسيف وباللسان او بالسنان ثم انه لا بد
للانسان في تكلف اقسام الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على اضداد ذلك فامر بالمرابطة من الربط
الشد فكل من صبر على امر فقد ربط قلبه عليه ولزم نفسه اياه ثم لا بد في جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتدا بها
فلهذا امر بتقوى الله ثم لما تمت وظايف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه فظهر ان هذه الآية مشتملة
على كنوز الحكم والمعارف وجامعة لآداب الدين والدنيا ثم انها على اختصارها كالاعادة لما تقدم في هذه السورة من الاصول وهي
تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كاحكام الحج والزكوة والجهاد وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه بسبب الفقر والجوع
وصابروا عدوكم فلا تفشلوا بسبب ما اصابكم يوم احد وقال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغي ان يكونوا اصبر منكم وقال
الاصم لما كثرت تكاليف الله تعالى في هذه السورة امرهم بالصبر عليها ولما كثر ترغيب الله في الجهاد فيها امرهم بالمصابرة مع الاعداء اما المرابطة
ففيها قولان احدهما ان يربط هؤلاء خيولهم في الثغور ويربط اولئك خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا للقتال الا ترى انه
قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا
يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة وثانيهما انتظار الصلوة بعد الصلوة لما روي عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه قال لم يكن في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلوة خلف الصلوة وفي حديث ابي هريرة ذكر انتظار الصلوة بعد الصلوة ثم قال فذلكم
الرباط ثلث مرات والله اعلم التأويل ان في خلق سموات القلوب واطوارها وخلق ارض النفوس وقرارها واختلاف ليل البشرية
وصفاتها ونهار الروحانية وانوارها لآيات لاولي الالباب الذين عبروا بقدمي الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني ووصلوا الى
لب الوجود الروحاني فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر ان لهم وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا وانما نالوا
هذه المراتب لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات ويقولون ما
خلقت هذا باطلا اي خلقته لاظهار الحق على الخلق ووسيلة للخلق الى الحق سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق فقنا بالعدل عنا
عذاب نار قهرك والبعد منك ففيها كل الخزي والندامة والغواية والضلالة ثم اخبر عن شرط العبودية في استجلاب فضل الربوبية ربنا
اننا سمعنا من هاتف الحق في الغيب بالسمع الحقيقي مناديا فاغفر لنا ذنوبنا اي كما اسمعتنا النداء بالارادة القديمة لا بسعي منا قبل



ان تخلقنا فاغفر لنا بفضلك ورحمتك لا اضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر او انثى في نسويتكم ورجوليتكم فالذين هاجروا
الو عن الاوطان والاوطار الاعمال السيئة والاخلاق الذميمة واخرجوا من ديارهم من معاملات الطبيعة وديارها الى عالم الحقيقة
بسطوات تجلي صفات الربوبية واوذوا في طلبي بانواع البلاء وقاتلوا مع النبيين وقتلوا بسيف الصدق لاكفرن عنهم سيئات
وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها اشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص
والهدى والقناعة والعفة والمروة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والطلب
والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاخلاق
تجري من تحتها الانهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن الثواب لا يكون عند
الجنة وغيرها وان من اهل الكتاب من علماء الظاهر علما متقين يكون ايمانه من نتيجة نور الله
الذي دخل قلبه ويؤمن بما انزل اليكم من الواردات والالهامات والكشوف وما انزل
اليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما قال اذا تجلى الشيء خضع له لا يشترون لما اوتوا
من العلم والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب يوصلهم الى مقام العندية قبل وفاتهم
اصبروا على جهاد النفس بالرياضات وصابروا في مراقبة القلب عند الابتلاءات و
رابطوا الارواح للوصول بالله واتقوا الله في الالتفات الى ما سواه لعلكم
تفلحون تفوزوا بالبقاء بالله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين



مدنية

سورة النساء

حروفها ١٦٠٣٠ وكلماتها ٣٧٤٥ واياتها مائة وست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

ع ١

يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون

ای گروه مردمان بپرهیزید پروردگار خود را که آفرید شما را از یک نفس و آفرید از آن جفت او و پراکنده گردانید از آن دو بسیار مردان و زنان و بپرهیزید خدای که سوال میکنید

به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا واتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان

با و خویشان خود را و بترسید از قطع ارحام بدرستیکه خدای هست بر شما نگاهبان و بدهید یتیمان را اموال ایشان و بدل مکنید بد را بطیب و مخورید اموال ایشان را با اموال خود بدرستیکه آن

حوبا كبيرا وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما

گناهیست بزرگ واگر بترسید از آنکه عدالت نورزید در بارهٔ یتیمان پس نکاح کنید آنچه پاکیزه است از زنان دو تا و سه تا و چهار تا پس اگر بترسید که عدالت رفتار نکنید پس یکی را و یا آنچه

ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا واتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا

در تصرف دارید از کنیزان این پست تر باشد که میل کنید و بدهید بزنان مهرهای ایشان را که در شرع دینیست پس اگر هبه کنند از طیب نفس از مهر چیزی را پس بخورید آن را گوارا

ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا

و مدهید بی خردان مالهای خود را که قرار داده است خدا از برای شما قیام و زندگانی و روزی دهید ایشان را و بپوشانید ایشان را و بگوئید با ایشان گفتار خوش و بیازمائید یتیمان را تا که چون برسند

النكاح فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا

بحد نکاح پس اگر دریافتید از ایشان ترقی پس بسپرید بایشان مالهای ایشان را و مخورید آن مال را از روی اسراف و پیشی گرفتن بزرگ شدن ایشان و هر که صاحب چیز است پس خودداری کند و هر که بی چیز است

فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل

پس بخورد باندازه پس چون رد کردید بسوی ایشان مالهای ایشان را پس گواه گیرید بر ایشان و بس است خدا حسابگر مر مردان را بهره از آنچه گذاشتند پدر و مادر و خویشان از آنچه کم

منه او كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين

از آن یا زیاد بهرهٔ واجب و چون حاضر آیند قسمت را خداوندان خویشی و بی پدران و بینوایان پس بدهید ایشان را از آن و بگوئید مر ایشان را گفتاری خوش و باید که بترسند آنها

لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون

که وا گذارند از عقب خود فرزندان ناتوان که بترسند بر ایشان پس باید که بپرهیزند از خدا و بگویند گفتاری محکم بدرستیکه آنانی که میخورند مالهای یتیمان را بستم جز این نیست که

فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا القراءة تساءلون خفيفا بحذف التاء عاصم وحمزة وعلى وخلف عباس مخير الباقون بالتشديد لادغام التاء

در شکمهای خود آتش را و زود است که داخل شوند جهنم التفاعل فى السين والارحام بالجر حمزة الباقون بالنصب ما طاب لاما لة حمزة فواحدة بالرفع يزيد اللتى

بالنصب هنيئا مريئا بالتشديد فيهما يزيد وحمزة فى الوقف عليهما وقف واذا انفرد هنيئا همزها كل القراء يزيد قيما ابن عامر ونافع الباقون

قياما ضعافا بالامالة خلف عن حمزة وابن سعدان والعجلى وخلف لنفسه وقتيبة على اصله وسيصلون بضم الياء ابن عامر وابو بكر وحماد والمفضل

الباقون بفتحها الوقوف ونساء ج لان الجملتين وان اتفقتا الا انه اعترض المعطوفات والارحام ط رقيبا بالطيب الى اموالكم ط كبيرا ورباع

ايمانكم ط الا تعولوا ط لابتداء حكم اخر نحلة ط لان الشرط خارج عن اصل الموجب مريئا معروفا النكاح ج اموالهم ج ان يكبروا ط لابتداء الجملتين

متضادتين فليستعفف ج بالمعروف ط للعدول الى حكم الموجب بعد وقوع الدفع عليهم ط حسيبا والاقربون الاول والاخر او كثر ط منه بجعلنا نصيبا مفروضا

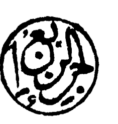
معروفا خافوا عليهم سديدا نارا ط سعيرا التفسير كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة من التعطف على الاولاد والنساء والايتام

وللیتامى حقوقهم اليهم وحفظ اموالهم عليهم ومن الامر بالطهارة والصلوة والجهاد والدية ومن تحريم المحارم وتحليل غيرهن الى غير ذلك من الشبهات ومكارم الاخلاق التي تنتظم بها صلاح المعاش والمعاد فتح السورة بما يبعث المكلفين على التقوى ومن غرائب القران ان فيه سورتين صدرهما يا ايها الناس احديهما في النصف الاول وهي الرابعة من سوره والاخرى في النصف الثاني وهي ايضا الرابعة من سوره ثم التي في النصف الاول صدرت بذكر المبدأ اتقوا ربكم الذي خلقكم والتي في النصف الثاني مصدرة بذكر المعاد اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة اما القيد الاول وهو انه خلقنا فلا شك انه علة لوجوب الانقياد للتكاليف والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هي العبودية ومن شان العبد امتثال امر مولاه في كل ما يامره وينهاه وايضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على ان مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة اخرى منه واما القيد الثاني وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما يوجب علينا الطاعة لان خلق اشخاص غير محصورة من انسان واحد مع تغاير اشكالهم وتباين امزجتهم واختلاف اخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار حكيم قدير ولو كان ذلك بالطبيعة ولعلة موجبة كان كلهم على حد واحد ولنسبة واحدة ثم في هذا القيد فوائد اخر منها انه امر عقيبه بالاحسان الى اليتامى والنسوان وكونهم متفرعين من اصل واحد او بنوا اب واحدة لعون على هذا المعنى ولهذا قال ص فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ومنها انهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة واظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها ان تصور ذلك يذكر امر المعاد فليس الاعادة باصعب من الابداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا للنبي ص لانه لم يقرا كتابا واجمع المفسرون على ان المراد بالنفس الواحدة ههنا ادم ع والتانيث في الوصف نظرا الى لفظ النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وقال ابو مسلم وخلق من جنسها زوجها لقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ولانه تع قادر على خلق حواء من التراب فاي فائدة في خلقها من ضلع من اضلاع ادم والجواب ان الامر لو كان كما ذكره ابو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف ما روى عن النبي ص ان المراة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها واحتج جمع من الطبائعيين بالاية على ان الحادث لا يحدث الا عن مادة سابقة وان خلق الشيء عن العدم المحض والنفي الصرف محال والجواب انه لا يلزم من احداث شيء في صورة واحدة من المادة لحكمة ان يتوقف الاحداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف واي انشاها وخلق منها او معطوف على خلقكم والخطاب للذين بعث اليهم رسول الله اي خلقكم من نفس ادم لانهم من جنس الفرع منه وخلق منها امكم حوا وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر اقول وانما التزم الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار بالحقيقة اذ لا يلزم من خلق بني ادم من نفس خلق زوجها منه ولا خلق الرجال والنساء من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى اخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان الاولى عدم دخول الواو الا ان المراد وصف ذاته تع بالاوصاف الثلثة جميعا من غير ترتيب يستفاد من النسق والا كان الانسب بها [illegible] بالفاء العطف بالواو وفي الجمع على ان المراد هو ما ذكرنا وان التفصيل والترتيب موكول الى قضية العقل فافهم والله تع اعلم ومعنى وبث فرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال اتم فكانت كثرتهم اظهر وفيه تنبيه على ان اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج واللائق بحال النسوان الاختفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنساء معرفين لئلا يلزم كونهما مبثوثين من نفسهما ثم ان هذا البث معنا محمول على ما هو عند من يرى ان جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعة في صلب ادم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منهما اولادهما ومن اولادهما جماعة اخرين وهلم جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام من قرء بالنصب فالعطف على اسم الله اي واتقوا الارحام فلا تقطعوها وهو اختيار اكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما العطف على محل الجار والمجرور كقوله فلسنا بالجبال ولا الحديدا وهو اختيار ابي علي الفارسي وعلي بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء اي والارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرء بالجر فلاجل العطف على الضمير المجرور في به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تتمة ما قبله ولا سيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله ص فلا يجوز الطعن فيها لغرابتها في النحو واهيته كبيت العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها من جهة اخرى وهي انها تقتضي جواز الحلف بالارحام وقد قال النبي ص لا تحلفوا بابائكم والجواب ان المنهي هو الحلف بالاباء وههنا حلف اولا بالله ثم قرن به الرحم فاين احدهما من الاخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم ايضا منهي عنها لكن لا نسلم انه نهي عنها مطلقا وانما المنهي عنها ما حلف على سبيل التعظيم واما الحلف بطريق التاكيد فلا باس بها ولهذا جاء في الحديث افلح وابيه ان صدق سلمنا انها منهي عنها مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قولهم في الاستعطاف والتسائل وهو سؤال البعض للبعض اسئلك بالله وبالرحم وانشدك الله والرحم وقرئ والارحام بالرفع على انه مبتدا خبره محذوف اي والارحام كذلك اي مما يتقى ويتسائل به ثم انه قال اولا اتقوا ربكم ثم قال بعده واتقوا الله قلنا اما تكرار الامر فللتاكيد كقولك للرجل عجل عجل واما تخصيص الرب بالاول والله بالثاني فلان الغرض في الاول الترغيب بذكر كثرة النعمة والاحسان والتربية وفي الثاني الترهيب لفظ الله تدل على كمال القدرة والقهر فكانه قيل انه ربك احسن اليك فاتق مخالفته والا فانه شديد العقاب قال العلماء في الاية دليل على جواز المسئلة بالله روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله ص من سألكم بالله فاعطوه وعن البراء بن عازب قال امرنا رسول الله ص بسبع منها ابرار القسم ولا يخفى ما في الاية من تعظيم حق الرحم وتاكيد النهي عن قطعها حيث قرن الارحام باسمه وقال في سورة البقرة لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى وعن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله ص يقول قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما



من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله ص الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص سمعت رسول الله ص يقول ليس الواصل بالمكافي الواصل من اذا انقطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر قال قال رسول الله ص
الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة فثبت بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها فلهذا بنى اصحاب ابي حنيفة
على هذا الاصل مسئلتين احديهما ان الرجل اذا ملك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الاخ والاخت والعم والخال لانه لو بقي الملك حل الاستخدام بالاجماع لكن
الاستخدام ايحاش يورث قطيعة رحم والثانية ان الهبة لذي الرحم المحرم لا يجوز الرجوع فيها احد اسباب الايحاش والقطيعة ثم انه ختم الآية بما يتضمن
الوعد والوعيد فقال ان الله كان عليكم رقيبا مراقبا يحفظ عليكم جميع اعمالكم فيجازيكم بحسبها ثم انه سبحانه بعد تقديم موجبات الشفقة على الضعفة
ومن له رحم ماسة قال وآتوا اليتامى اموالهم واصل اليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة فاليتامى هم الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم
فاليتيم لغة يتناول الصغير والكبير الا انه في عرف الشرع اختص بالذي لم يبلغ الحلم قال ص لا يتم بعد الحلم والمراد انه اذا احتلم لا يجري عليه احكام
الصغار لانه في تحصيل مصالحه يستغني بنفسه عن كافل يكفله وقيم يقوم بامره فان قيل اذا كان اسم اليتيم في الشرع مختصا بالصغير فما دام يكون
يتيما لا يجوز دفع امواله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فكيف قال وآتوا اليتامى اموالهم فالجواب طريقان احدهما
ان المراد باليتامى الكبار البالغون سماهم بذلك على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم كقوله فالقي السحرة ساجدين اي الذين كانوا سحرة قبيل
السجود ويؤكد هذا الطريق قوله فيما بعد فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم والاشهاد لا يصح قبل البلوغ بل انما يصح بعد البلوغ
وقال ص تستأمر اليتيمة في نفسها ولا تستأمر الا وهي بالغة وعلى هذا يكون في الآية اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا
ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ويوافقه ما روى مقاتل والكلبي انها نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير
لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله ص فنزلت الآية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله
من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبي ص من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله
فقال النبي ص ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي
الوزر على والده قيل لانه كان مشركا الطريق الثاني ان المراد بهم الصغار اي الذين هم يتامى في الحال آتوهم بعد ذا والصغار اليتيم اموالهم وآتوهم
من اموالهم ما يحتاجون اليه لنفقتهم وكسوتهم والخطاب للاولياء والاوصياء ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الفراء والزجاج اي لا تتبدلوا
الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه والتفعل بمعنى الاستفعال
غير عزيز كالتعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى والاعتزال عنها حتى تتلف
بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل هو ان ياخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الردي قال صاحب الكشاف
هذا ليس بتبدل وانما هو تبديل بل يريد ان التبدل يدخل على المأخوذ وفي تبديل على المعطى ولما كان المأخوذ الطيب كان تبديلا ثم وجهه بانه
لعله يكارم صديقا له فياخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي فيكون تبدلا موضعه وقيل معنى الآية ان لا تاكل مال اليتيم سلفا مع التزام بدله
فيكون مستبدلا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم منضمة الى اموالكم في الانفاق تسوية بين المالين في الحل انه اي الاكل كان حوبا كبيرا
ذنبا عظيما والحاب مثله والتركيب يدور على الضعف والمراد بالاكل مطلق التصرف الا انه خص بالذكر لانه معظم ما يقع لاجله التصرف وقيل الى
ههنا بمعنى مع والفائدة في زيادة قوله الى اموالكم واكل اموال اليتامى محرم على الاطلاق زيادة التقبيح والتوبيخ لانهم اذا كانوا مستغنين
عنها بما لهم من المال الحلال ومع ذلك طمعوا في مال اليتيم كانوا بالذم احرى ولانهم كانوا يفعلون ذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم
وان خفتم الا تقسطوا اقسط الرجل عدل ومنه قسطا قال الزجاج اصله جميعا من القسط وهو النصيب فاذا قالوا قسط فمعناه ظلم صاحبه في قسطه من
قولهم قاسطته فقسطته اي غلبته على قسطه واذا قالوا اقسط بالهمزة فمعناه صار ذا قسط مثل اضعف اذا صار ذا الضعف فيلزمه العدالة والتسوية وعلم
ان قوله ان خفتم شرط وقوله فانكحوا جوابه ولا بد من بيان ان هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا الشرط وللمفسرين فيه وجوه الاول ما روي عن عروة انه
قال قلت لعائشة ما معنى قول الله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فقالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها و
جمالها الا انه يريد ان ينكحها بادنى من صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة ردية لعلمه بانه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج
عنها فقال تعالى وان خفتم ان تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله بعد
هذه الآية فيهن فانزل الله تعالى ويستفتونك في النساء الآية فقوله فيها وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء المراد هذه الآية وهي قوله
وان خفتم الا تقسطوا وعبر في الكشاف عن هذه الرواية بعبارة اخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها
عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا
في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم الثاني وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي منقولا عن ابن عباس لما نزلت الآية
المتقدمة وهي في اكل اموال اليتامى من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب فتحرجوا من ولاية اليتامى وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج

واكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن وقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء لانهن كاليتامى
في العجز والضعف فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب وتاب عنه وهو مرتكب مثله فكانه غير متحرج الثالث كانوا لا يتحرجون من الزنى ويتحرجون
من الاثم في اليتامى فقيل ان خفتم ذلك فكونوا من الحرج خائفين من الزنى ايضا وانكحوا ما حل لكم من النساء الرابع روي عن عكرمة كان الرجل عنده
النسوة ويكون عنده الايتام فاذا انفق ماله نفسه على النسوة اخذ في انفاق اموال اليتامى عليهن فقيل ان خفتم ان لا تقسطوا في اموال اليتامى باكل اموالهم عند
كثرة الزوجات فقد حظرت لكم ان تنكحوا اكثر من اربع ليزول هذا الخوف فان خفتم في الاربع ايضا فواحدة فذكر الطرف الزائد وهو الاربع والناقص
وهو الواحدة ونبه بذلك على ما بينهما فكانه قيل ان خفتم الاربع فثلاث وان خفتم فاثنتين وان خفتم فواحدة قال الظاهريون النكاح واجب لقوله
فانكحوا وظاهر الامر للوجوب وعورض بقوله نعم ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم ولو سلم فالوجوب مشروط بحالة الخوف فلا يلزم منه
الوجوب على الاطلاق وايضا الاية سيقت لبيان وجوب تقليل الازواج لا لاصل الوجوب وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لانه اراد به الجنس تقول عندي
منها ما الرجل والمرأة تريد ما ذلك الشيء الذي عندك وما تلك الحقيقة ولان الاناث من العقلاء تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله او ما ملكت ايمانكم
ولان ما ومن يتعاقبان قال تعالى والسماء وما بناها فمنهم من يمشي على بطنه قال المفسرون معنى ما طاب لكم اي ما حل لكم من النساء لان منهن من يحرم
نكاحها كما سيجيء واعترض عليه الامام بان قوله فانكحوا امر اباحة فيؤول المعنى الى قوله ابحت لكم نكاح من هي مباحة لكم وهذا كلام مشكل سلمناه
لكن الاية تصير مجملة لان بيان الحل والاباحة غير مذكورة في هذه الاية واذا حملنا الطيب على استطابة النفس وميل القلب كانت الاية عامة دخلها التخصيص
وانه اولى من الاجمال عند التعارض لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة اصلا والجواب عن الاول ان ذكر الشيء ضمنا ثم صريحا لا يعد
تكرارا بدليل قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن الثاني ان قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم اذا كان اشارة الى ما بقي بعد ما اخرجه اية التحريم لم يوقع
اجمال واما قوله مثنى وثلاث ورباع لم يوجد في كلام الفصحاء الا هذه واما او موحد وجوز والى العشار ومعشر قياسا على قول الكميت لم يستريثوك حتى
رميت فوق الرجال خصالا عشارا فاتفق النحويون على ان فيها عدلا محققا وذلك ان فائدتها تقسيم ذي اجزاء على عدد معين ولفظ المقسوم عليه في غير العدد
مكرر على الاطراد في كلام العرب نحو قرأت الكتاب جزءا جزءا وجاءني القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة وكان القياس في باب العدد ايضا التكرير عملا
بالاستقراء والحاقا للفرد المتنازع فيه بالاعم الاغلب فلما وجد ثلاث مثلا غير مكرر لفظا حكم بان اصله لفظ مكرر وليس الا ثلاثة ثلاثة وقال سيبويه
منع صرف مثل هذا للعدل والوصف لا للوصف الاصلي فان هذا التركيب لم يستعمل الا وصفا بخلاف المعدول عنه وقيل ان فيه عدلا مكررا من حيث اللفظ
لان اصله كان ثلاثة ثلاثة مرتين فعدل الى واحد ثم الى لفظ ثلاث ومثلث وقيل ان فيه العدل والتعريف اذ لا يدخله اللام خلافا لما في الكشاف
والزاجري على النكرة فيحمل على البدل وضعف بعدم جريانه على المعارف ولو توهم ان لا فمعنى الاية فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد
ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة ومن قرأ بالنصب فاختاروا وانكحوا او الزموا واحدة ومن
قرأ بالرفع اراد فكفت واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتموه فعليكم به ثم قال او ما ملكت ايمانكم في التسوية
في السهولة بين الحرة الواحدة وبين ما شئتم من الاماء لانهن اقل تبعة واخف مؤنة من المهائر لا على المرء اكثر منهن او اقل عدل بينهن في القسم ام لم
يعدل اعتزل عنهن ام لم يعتزل وانما كان التسوية بينها وبينهن احتج بها الشافعي في بيان ان نوافل العبادات افضل من النكاح وذلك للاجماع على
ان الاشتغال بالنوافل افضل من التسري فوجبت ان يكون افضل من النكاح لان الزائد على احد المتساويين زائد على الآخر ولمانع ان يمنع التسوية فان قول الطبيب
مثلا للمريض كل التفاح والرمان يحتمل ان يكون للتسوية بينهما وقد يكون للمقاربة اي ان لم تجد التفاح فكل الرمان فانه قريب منه في دفع الحاجة
وضرورته ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال على ان فضل الحرة على الامة معلوم شرعا وعقلا وههنا مسئلتان الاولى ان اكثر الفقهاء على
ان نكاح الاربع مشروع للاحرار والعبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طاب له امرأة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه لا يمكن من النكاح
الا باذن مولاه وايضا انه قال بعد ذلك فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم وهذا لا يكون الا للاحرار فكذا الخطاب الاول لكن
لان هذه الخطابات وردت متتابعة على نسق واحد فيبعد ان يدخل التقييد اللاحق دون السابق وكذا قوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه
هنيئا مريئا والعبد لا ياكل فيكون لسيده وقال مالك يحل للعبد ان يتزوج بالاربع تمسكا بظاهر الاية ومن الفقهاء من سلم ان ظاهر الاية يتناول
العبيد الا انهم خصصوا هذا العموم بالقياس قالوا اجمعنا على ان الرق له تاثير في نقصان حقوق النكاح كالطلاق والعدة ولما كان العدد
من حقوق النكاح وجب ان يحصل للعبد نصف ما للحر الثانية ذهب جماعة الى انه يجوز التزوج باي عدد اريد لان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء
اطلاق في جميع الاعداد بدليل صحة استثناء كل عدد منه وقوله مثنى وثلاث ورباع لا يصلح مخصصا لذلك العموم لان تخصيص بعض الاعداد بالذكر لا
ينافي ثبوت الحكم في الباقي بل نقول ذكرها يدل على نفي الحرج والحجر مطلقا فان من قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدينة والى البستان
كان تصريحا في ان زمام الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وايضا ذكر جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها تنبيها على حصول الاذن في جميعها ولئن
سلمنا لكن الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن في جمع تسعة بل ثمانية عشر لتضعيف كل منها واما السنة فلما ثبت بالتواتر انه صلى الله عليه وسلم مات عن تسع ثم ندبنا
باتباعه في قوله فاتبعوه واقل مراتب الامر الاباحة وقد قال صلى الله عليه وسلم فمن رغب عن سنتي فليس مني والمعتمد عند الجمهور في جوابهم امران احدهما الخبر كما روي



ان نوفل بن معاوية اسلم وتحته خمس نسوة فقال له امسك اربعا وفارق واحدة وزيف بان القرآن دل على عدم الحصر غايته انه لم يدل على الحصر فيكون
مجملا ونسخ القرآن بخبر الواحد جائز وبان الامة فارقت الزائد فقد يكون لمانع النسب او الرضاع واقول القرآن لم يدل على عدم الحصر غايته انه لم يدل
على الحصر فيكون مجملا وبيان المجمل بخبر الواحد جائز وايضا قوله امسك اربعا على الاطلاق وكذا فارق واحدة دليل على ان المانع هو الزيادة
على الاربع لا غيرها وكذا في نظائره وهذا الحديث وثانيهما اجماع فقهاء الامصار وضعف بان الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم
فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به والجواب ان المخالف اذا كان شاذا فلا يعتد به والقرآن لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن
الاجماع دل على وجود مبين في زمان الرسول ولئن سلم ان القرآن دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود ناسخ في عهده وذلك جائز بالاتفاق
لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي ان يقال مثنى او ثلاث او رباع باو الفاصلة لانا نقول يلزم حينئذ ان لا يجوز النكاح الا على احد هذه الاقسام
فلا يجوز لبعضهم ان يأتي بالتثنية ولغيره بالتثليث ولآخرين بالتربيع فيذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة التي دلت عليه الواو ذلك
ادنى الا تعولوا اي اختيار الواحدة او التسري اقرب من ان لا تميلوا او لا تجوروا وكلا اللفظين مروي عن عائشة عن النبي ﷺ من قولهم عال الميزان
عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها وفيه الميل عن الاعتدال وقيل معناه الا تفتقروا من رجل عائل اي
فقير وذلك انه اذا قل عياله قلت نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعي انه قال معناه ان لا يكثر عيالكم وطعن فيه بعض القاصرين ان هذا في اللغة
معنى تعيلوا لا معنى تعولوا يقال عال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاوس الا تعيلوا وايضا انه لا يناسب قوله الاية وان خفتم الا تقسطوا
وايضا فهب انه يقل العيال في اختيار الحرة الواحدة فكيف يقال عند اختيار التسري ولا حصر لهن والجواب عن الاول ان الشافعي لم يذهب الى تغيير
اللغة وتمام زعم انه تعالى اشار الى الشيء بذكر لازمه اي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال لان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور وقرره
في الكشاف على وجه آخر وهو انه جعل قوله تعالى الا تعولوا من عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم ولا شك ان من
كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال فالحاصل انه ذكر اللازم وهو الانفاق واراد الملزوم
وهو كثرة العيال والحاصل على ما قلنا انه ذكر اللازم وهو الميل والجور واراد الملزوم وهو كثرة العيال والجواب عن الثاني ان تحمل الكلام على ما لا
يلزم منه تكرار اولى بتقدير التسليم فتفسير الشافعي ايضا يؤول الى تفسير الجمهور لكن بطريق الكناية كما قررنا وعن الثالث ان الجواري اذا كثرن فله
ان يكلفهن الكسب فينفقن على انفسهن وعلى مولاهن ايضا فكانه لا عيال وايضا اذا عجز المولى باعهن وتخلص منهن بخلاف المهائر فان الخلاص عنهن
يفتقر الى تسليم المهر اليهن وقال في الكشاف العزل عن السراري جائز بغير اذنهن فكن مظان قلة الولد بالاضافة الى التزوج وآتوا النساء صدقاتهن
اي مهورهن والخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج لان ما قبله خطاب للناكحين وقيل خطاب للاولياء لان العرب
كانت في الجاهلية لا تعطي البنات من مهورهن شيئا ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له ابنة هنيئا لك النافجة يعنون انك تأخذ مهرها ابلا
فتضمها الى ابلك فتنفج مالك اي تعظمه وقال ابن الاعرابي النافجة ما يأخذه الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله عن ذلك وامر بدفع الحق الى
اهله وهذا قول الكلبي وابي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة قال القفال يحتمل ان يكون المراد من الايتاء المناولة فيكونوا قد امروا بدفع المهور التي
سموها لهن ويحتمل ان يراد الالتزام كقوله حتى يعطوا الجزية عن يد اي حتى يضمنوها فيكون المعنى ان الفروج لا تستباح الا بعوض يلتزم سواء سمي
ذلك ولم يسم الا ما خص به الرسول من الموهوبة قال ويجوز ان يراد الوجهان جميعا اما قوله نحلة فقد قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد اي فريضة
ودينا فيكون مفعولا لها او حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي اي عطية وهبة فيكون نصبا على المصدر لان النحلة والايتاء
بمعنى الاعطاء او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن لان ما يؤخذ بالمطالبة لا يسمى
نحلة او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان الزوج لا يملك بدله شيئا لان البضع في ملك المرأة بعد
النكاح كهو قبله وانما الذي استحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك والنحلة العطية من غير بدل وقال قوم ان الله تعالى جعل منافع النكاح من قضاء
الشهوة والتوالد مشتركا بين الزوجين ثم امر الزوج بان يؤتي الزوجة المهر فكان ذلك عطية من الله تعالى ابتداء ثم لما امرهم بايتاء الصدقات
اباح لهم جواز قبول برها وهبتها وانتصب نفسا على التمييز وانما وحد لانه لا يلبس ان النفس لهن ولا اهن انفس ولو جمعت لجاز والضمير في منه
للصداق او للمذكور وفي قوله طبن بناء الكلام على الابهام ثم التمييز دون ان يقول سمحن او وهبن وفي قوله عن شيء منه دون ان يقول عنه تنبيه
على ان قبول ذلك انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار وسوء معاشرة من الزوج يحملهن على ذلك وبعثهن على تقليل الموهوب ولهذا
ذكر الضمير في منه لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة
منها او اكثر ومن هذا التقرير يظهر ان من في قوله منه للتبعيض اخرجا للكلام مخرج الغالب مع فائدة البعث المذكور ولانه لا يجوز هبة كل الصداق اذا
طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن هذه الدقيقة زعم ان من للتبيين والمعنى عن شيء هو هذا الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا مريئا صفتان
من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يستلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه ومنه يقال
للمريء مريء لمروء الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل اصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنيء شفاء من الجرب بالجملة فهو عبارة عن تحلل

ويلزمهم

او المبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على
قوله فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء او على انهما قاما مقام مصدريهما اي هنئا مرئا والمراد بالاكل التصرف الشامل للعين في الدين قال بعض
العلماء ان وهبته ثم طلبت علم انها لم تطب عنه نفسا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة اعطته ثم ارادت ان ترجع فلها
ذلك وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم
الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما امر بايتاء اليتامى اموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن استثنى منهم حال السفهاء وان بلغوا وان التكليف فقال
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم اكثر العلماء على ان هذا الخطاب للاولياء فورد ان الاشبه لو قيل اموالهم واجيب بانه انما حسنت اضافة الاموال
الى المخاطبين اجراء للوحدة النوعية مجرى الواحدة الشخصية كقوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ومعلوم ان الرجل منهم ما كان يقتل نفسه و
لكن كان بعضهم يقتل بعضا فقيل انفسكم لان الكل من نوع واحد فكذا ههنا المال شيء ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية
حسنت اضافة اموال السفهاء الى اوليائهم ويحتمل ان يضاف المال اليهم لا لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة
ادنى سبب وقيل خطاب للآباء نهاهم الله تعالى اذا كان اولادهم سفهاء ان يدفعوا اموالهم او بعضها اليهم فعلى هذا يكون اضافة الاموال اليهم حقيقة
والغرض الحث على حفظ المال وانه اذا قرب اجله يجب عليه ان يوصي بما له الى امين يحفظه على ورثته وقد يرجح القول الاول بان ظاهر النهي للتحريم وقد
اجمعت الامة على انه لا يحرم عليه ان يهب اولاده الصغار ومن النسوان ما شاء من ماله واجمعوا على انه يحرم للولي ان يدفع الى السفهاء اموالهم وايضا
قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا فهذه الاوامر تناسب حال الاولياء لا الآباء واقول لا يبعد حمل الآية على كلا القولين لان الاضافة
في اموالكم لا يفيد الا الاختصاص سواء كان اختصاص الملكية او اختصاص التصرف واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك انها النساء ازواجا
كن او امهات او بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه ما روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انما خلقت النار للسفهاء يقولها ثلاثا وان السفهاء النساء الا امرأة
اطاعت قيمها وقد جمع فعيلة على فعلاء كفقيرة وفقراء وقال الزهري وابن زيد هم الاولاد الخفاف العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير
اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله والصحيح ان المراد بالسفهاء كل من ليس
له عقل يفي بحفظ المال ولا يهتدي له باصلاحه وتثميره والتصرف فيه فيدخل فيه النساء والصبيان والايتام والفساق وغيرهم ممن لا وزن لهم عند اهل
الدين والعلم بمصالح الدارين فيضع المال فيما لا ينبغي ويفسده ومعنى جعل الله لكم قياما انه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم الا به فسماه بالقيام
اطلاقا لاسم المسبب على السبب ومن قرأ قيما فعلى حذف الالف من قياما وهو مصدر قام واصله قوام فقلبت الواو ياء للاعلال فعله فان لم يكن معلا
لم يعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس
الدراهم والدنانير خواتيم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال
ولا مجد الا بمال وقيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا فقال هي وان ادنتني فقد صانتني عنها وقال بعض الحكماء من اصلح ماله فقد
صان الاكرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على اهله وفيه الفقر مخذلة والغنى مجبلة والبؤس مرذلة والسؤال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم لانها
تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال ابو العتاهية اجلك قوم حين صرت الى الغنى وكل غني في العيون جليل اذا مالت الدنيا على المرء رغبت اليه وقال
الناس حيث يميل وليس الغنى الا غنى زين الفتى عشية يقري او غداة ينيل وقد اختلف اقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما احوج
من الفقر مكروه وما ابطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان الغني مقتدر والفقير عاجز والقدرة افضل من العجز وهذا مذهب
من غلب عليه حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغني ملابس وترك الدنيا افضل من ملابستها وهذا قول من غلب
عليه حب السلامة وقال الباقون خير الامور اوساطها والفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين شعر
ومن كلفته النفس فوق كفافها فما ينقضي حتى الممات عناؤه والحاصل ان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا
يكون فارغ البال الا بواسطة المال لانه بذلك يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظه ههنا وفي آية المداينة حيث امر بالكتابة
والشهادة والرهان المقبوضة فمن اراد الدنيا لهذا الغرض فنعمت المعونة هي ومن ارادها لعينها فيا لها من حسرة وندامة ثم انه سبحانه امر بعد ذلك
بثلاثة اشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وانما لم يقل منها كيلا يكون امرا بجعل بعض اموالهم رزقا لهم فيأكلها الانفاق بل امرهم ان يجعلوها
مكانا لرزقهم بان يتجروا فيها ويثمروها حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من اصول الاموال وصلبها واكسوهم كل من الرزق والكسوة بحسب المصلحة
وكما يليق بحال امثالهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج ومجاهد هو عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل ان يقول اذا ربحت
في سفري هذا فعلت بك ما انت اهله وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك
وبارك الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم مما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان صبيا فالولي يعرفه
ان المال ماله وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه كقوله فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تعاشره بالتسلط عليه كما تعاشر العبيد وان كان سفيها
وعظه ونصحه وحثه على الصلاة وعرفه ان عاقبة الاسراف فقر واحتياج وبالجملة فكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول



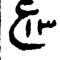
او عمل فهو معروف وما نفرت منه لقبحه فمنكر ثم بين ان السفهاء متى يؤتون اموالهم فشرط في ذلك شرطين احدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد
منهم فبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد ومناط الاحتلام خروج المني ويدخل وقت امكانه با
ستكمال تسع سنين قمرية او يبلغ خمس عشرة سنة تامة قمرية عند الشافعي وثماني عشرة عند ابي حنيفة وهذان مشتركان بين الغلام والجارية
وللنساء امارتان اخريان الحيض والحبل ولطفل الكفار امارة زائدة هي انبات الشعر الخشن على العانة واما الايناس ففي اللغة الابصار والمراد
في الاية التبيين والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ
ومن هنا قال ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المامور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا اذن له في البيع والشرى
وقال الشافعي الابتلاء قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف لان الاذن يتوقف على دفع المال اليهم ولكن لا يصح دفع المال اليهم لانه موقوف
على الشرطين بل المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء حاله حسب ما يليق بكل طائفة فولد التاجر يختبر في البيع والشرى بحضوره ثم باستكشاف
ذلك البيع والشرى منه وما فيهما من المصالح والمفاسد وقد يدفع اليه شيئا ليبيع او يشتري فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولي بعد ذلك
يتم العقد لو اراد وولد الزارع يختبر في امر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد المحترف فيما يتعلق بحرفته والمرأة في امر القطن والغزل وحفظ
الاقمشة وصون الاطعمة عن الهرة والفارة وما اشبهها ولا يكفي المرة الواحدة في الاختبار بل لا بد من مرتين او اكثر على ما يليق بالحال ويفيد غلبة الظن
انه رشيد ونوعا من الرشد بحيثية لا الرشد من جميع الوجوه على اكمل ما يمكن ولهذا ورد منكرا وقد ظهر مما ذكرنا انه لا بد بعد البلوغ من
الرشد فيما يتعلق بصلاح ماله بحيث لا يفك الحجر عليه بعده ثم ان ابا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله
وقال الشافعي لا بد مع ذلك من الاهتداء الى المصالح الدين فان الفاسق لا يخلو من اتلاف المال في الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله تعالى الرشد عن
فرعون في قوله وما امر فرعون برشيد مع انه كان يراعي مصالح الدنيا ويتفرع على القولين ان الشافعي يرى الحجر على الفاسق وابو حنيفة لا يراه ثم انه
اذا بلغ غير رشيد واستمر على ذلك لم يدفع اليه ماله بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك خلاف فعند صاحبي ابي حنيفة وعند الشافعي
لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الاية وعند ابي حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها
سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس ثم قال تعالى ولا تأكلوها اسرافا
وبدارا ان يكبروا مصدران في موضع الحال اي مسرفين ومبادرين كبرهم او مفعول لهما اي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير ضد القصد
والامساك والكبر في السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا اي اسن وكبر بالضم يكبر كبرا وكبارة اي عظم نهاهم عن الافراط في الانفاق كما تشتهون
قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايديهم ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع منه وليتركه وفي السين زيادة مبالغة كانه طلب زيادة العفة
ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وللعلماء خلاف في ان الوصي هل له ان ينتفع بمال اليتيم قال الشافعي له ان يأخذ قدر ما يحتاج اليه بقدر اجرة
عمله لان النهي في الاية عن الاسراف مشعر بان له ان يأكل بقدر الحاجة ولا سيما اذا كان فقيرا ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما
افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وروي ان عمر بن الخطاب كتب الى
عمار وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم اما بعد فاني قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود وربعها لعثمان الا
واني قد انزلت نفسي واياكم من مال الله منزلة والي مال اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وايضا قياسا
على الساعي في اخذ الصدقات وجمعها فانه يضرب له في تلك الصدقات بسهم فكذا ههنا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية ان له ان يأخذ
بقدر ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا ايسر قضاه وان مات ولم يقدر على القضاء فلا شيء عليه واكثر العلماء على ان هذا الاقراض انما جاء في اصول الاموال
من الذهب والفضة وغيرهما واما التناول من البان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح له اذا كان غير مضر بالمال وقال ابو بكر الرازي
الذي نعرفه من مذهب اصحابنا انه لا يأخذه لا على سبيل القرض ولا الابتداء سواء كان غنيا او فقيرا واحتج بقوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم واجيب
بانها عامة وقوله فليأكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما واجيب بان محل النزاع هو ان اكل
الوصي مال اليتيم ظلم ام لا وقال وان تقوموا لليتامى بالقسط وهو ايضا عين النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على ان الوصي اذا دفع المال الى اليتيم
بعد بلوغه رشيدا فالاولى والاحوط ان يشهد عليه اظهارا للامانة وبراءة من التهمة ولكن اختلفوا في ان الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه
قد دفع المال اليه فهل هو مصدق فقال ابو حنيفة واصحابه يصدق بيمينه كسائر الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة لانه تعالى نص على
الاشهاد فقال فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وظاهر الامر للوجوب لانه امين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة كالقاضي
ولا كمال الشفقة كالاب نعم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك وتنفيره الناس عن قبول الوصاية وكفى
بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا كالشريب بمعنى المشارب وفيه تهديد للولي ولليتيم ان يتصادقوا ولا يتكاذبوا
والباء في بالله زائدة نظرا الى اصل المعنى وهو كفى الله وحسيبا نصب على التمييز ويحتمل الحال ثم انه ههنا شرع في بيان المواريث والفرائض قال ابن عباس
ان اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امرأة يقال لها ام كجة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فأخذ



ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكراً إنما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون
لا نعطي إلا من قاتل على ظهور الخيل وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة قال فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أوس بن ثابت مات
وترك علي بنات وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالاً حسناً وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته من المال شيئاً
فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلاً ولا ينكأ عدواً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفوا حتى أنظر ما يحدث الله
لي فيهن فانصرفوا فأنزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون الآية فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئاً فإن الله قد جعل لهن نصيباً
ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لبني العم وسبب الإجمال في الآية ثم التفصيل فيما بعدها هو النقل
من المألوف شيئاً فشيئاً بالتدريج في الأمور دأب الحكيم وهكذا قد نزلت الأحكام والتكاليف شيئاً بعد شيء إلى أن كملت الشريعة الحقة وتم الدين الحنيفي
مما قل منه أو كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيباً مفروضاً نصب على الاختصاص بتقدير أعني نصيباً مقطوعاً مقدراً لا بد لهم أن يحوزوه
أو على المصدر المؤكد كأنه قيل قسمة مفروضة احتج بعض أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على توريث ذوي الأرحام كالعمات والخالات والأخوال وأولاد
البنات لأن الكل من الأقربين غاية ما في الباب أن مقدار نصيبهم غير مذكور ههنا إلا أنه ثبت بالآية استحقاقهم لأصل النصيب ويستفيد
المقادير من سائر الدلائل وأجيب بأنه تعالى قال نصيباً مفروضاً وبالإجماع ليس لذوي الأرحام نصيب مقدر وأيضاً الواجب عندهم ما علم ثبوته
بدليل مظنون والمفروض ما علم بدليل قاطع وتوريث ذوي الأرحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا أنه غير مراد من الآية وأيضاً ليس المراد
بالأقربين من له قرابة ما وإن كانت بعيدة وإلا دخل جميع أولاد آدم فيه فالمراد أقرب الناس إلى الوارث وما ذاك إلا الوالدان والأولاد ودخول
الوالدين في الأقربين يكون كدخول النوع في الجنس فلا يلزم تكرار ثم قال المفسرون إنه تعالى لما ذكر في الآية أن للنساء أسوة بالرجال في أن
لهن حظاً من الميراث وعلم أن في الأقارب من يرث ومنهم من لا يرث وربما حضروا القسمة فلا يحسن حرمانهم قال وإذا حضر القسمة أولوا القربى الآية
ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم من قال باستحبابه وعلى الوجوب فعن سعيد بن المسيب والضحاك أنها منسوخة بآية المواريث وعن أبي موسى الأشعري وإبراهيم
النخعي والشعبي والزهري ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير أنها محكمة ولكنها مما تهاون بها الناس قال الحسن وكان الناس وهم يقسمون على القرابات واليتامى
والمساكين من الورق والذهب فإذا آل الأمر إلى قسمة الأرضين والرقيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولاً معروفاً كانوا يقولون لهم ارجعوا بورك
فيكم وعلى الاستحباب وهو مذهب فقهاء الأمصار اليوم قالوا إن هذا الرضخ يستحب إذا كانت الورثة كباراً أما إذا كانوا صغاراً فليس إلا القول المعروف
كان يقول الولي إني لا أملك هذا المال إنما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق وإن يكبروا فسيعرفون حقكم والضمير في منه إما
أن يعود إلى ما ترك وإما إلى الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل المراد قسمة الوصية وإذا حضرها من لا يرث من الأقرباء واليتامى والمساكين أمر الله
الموصي أن يجعل لهم نصيباً من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولاً معروفاً وقيل أولوا القربى الوارثون واليتامى والمساكين الذين لا يرثون
وقوله وقولوا لهم راجع إلى هؤلاء الذين لا يرثون ويحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة الشرطية وهي لو مع ما في حيزه صلة
الذين والمعنى ليخش الذين من صفتهم وحالهم أنهم لو تركوا ذرية ضعافاً خافوا عليهم وأما المخشي فغير منصوص عليه قال بعض المفسرين هم الأوصياء
أمروا بأن يخشوا الله ويخافوا على من في حجورهم من اليتامى خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً فأمروا بأن يخشوا على اليتامى من الضياع كما يخشون
على أولادهم لو تركوهم وعلى هذا فيكون القول السديد أي الصواب العدل هو أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالقول الجميل ويدعوهم
بيا بني ويا ولدي وهذا القول أليق بما تقدم وتأخر من الآيات الواردة في باب الأيتام فهمهم الله تعالى على حال أنفسهم وذريتهم إذا تصوروها ليكون
ذلك أجلب ما يدعوهم إلى حفظ مال اليتيم كما قال القائل لقد زاد الحياة إلي حباً بناتي إنهن من الضعاف أحاذر أن يرين البؤس بعدي وأن يشربن رنقاً
بعد صاف وقيل هم الذين يجلسون إلى المريض فيقولون إن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئاً فقدم مالك ولا يزالون يأمرونه بالوصية إلى الأجانب
إلى أن يستغرق المال بالوصايا فأمروا بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض خوفهم على أولاد أنفسهم لو كانوا وعلى هذا يكون الأمر نهياً للحاضرين
عن الترغيب في الوصية والقول السديد أن يقولوا للمريض لا تسرف في الوصية فتجحف بأولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد الثلث كثير وكان الصحابة رضي الله عنهم
يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وأن الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز أن يتصل الآية بما قبلها فيكون أمراً للورثة بالشفقة
على الذين يحضرون القسمة من الضعفاء وأن يتصوروا أنهم لو كانوا أولادهم خافوا عليهم الحرمان وعن حبيب بن ثابت سألت مقسماً عن الآية فقال
هو الرجل الذي يحضره الموت ويريد الوصية للأجانب فيقول له من كان عنده اتق الله وأمسك على ولدك مالك مع أن ذلك الإنسان يحب أن يوصي
له وعلى هذا يكون نهياً عن الوصية ولا يساعده قوله لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً ثم أكد الوعيد في باب إهمال مال اليتيم فقال إن الذين يأكلون
أموال اليتامى ظلماً أي ظالمين أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته لا بالمعروف إنما يأكلون في بطونهم أي ملء بطونهم ناراً أي ما يجر إلى النار
وكأنه نار في الحقيقة وقال السدي يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان
يأكل مال اليتيم في الدنيا وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي قوماً لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم
ثم يجعل في أفواههم صخراً من النار يخرج من أسافلهم فقال جبريل هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً وسيصلون من قرأ بفتح الياء فهو من



صلي فلان النار بالكسر يصلي صليا احترق ومن قرأ بالضم فمعناه الالقاء في النار لاجل الاحراق ومن الاصلاء وقد يشدد من التصلية والمعنى واصلاً السعير النار وسعرت النار والحرب هيجتها والهبتها فهي سعير اي مسعورة والتنكير للتعظيم اي نارا مبهمة الوصف لا يعلم شدتها الا خالقها قالت المعتزلة لا يجوزان يدخل تحت هذا الوعيد اكل اليسير من ماله لانه لا بد ان يكون مقدارا حمسة دراهم لانه القدر الذي وقع عليه الوعيد في اية الكنز في منع الزكوة ولا بد مع ذلك من عدم التوبة فقيل لهم انكم خالفتم هذا العموم من جهتين من جهة شرط عدم التوبة ومن جهة شرط عدم كونه صغيرة فلم لا يجوز لنا ان نزيد فيه شرط عدم العفو وههنا نكتة وهي انه اوعد مانع الزكوة بالكي واكل مال اليتيم بامتلاء البطن من النار ولا شك ان هذا الوعيد اشد والسبب فيه ان الفقير غير مالك لجزء من النصاب حتى يملكه المالك واليتيم مالك لماله فكان منع اليتيم اشنع وايضا الفقير يقدر على الاكتساب من وجه آخر وعلى السؤال واليتيم عاجز عنهما فكان ضعفه اظهر وهذا من كمال عنايته تعالى بالضعفاء فنرجوان يرحم ذلنا وضعفنا بعزته وقوته التأويل ذكر الناس بعد خلقهم بالاشباح والارواح فخلقوا بالاشباح من آدم وبالارواح من روح محمد قال اول ما خلق الله روحي فخلقوا بالارواح وخلق من روح زوجه وهي النفس خلقها من روح في شعاع من شعاع انوار روح محمد وبث منهما رجالا كثيرا ارواحا كاملين ونساء ارواحا ناقصات واتقوا الله الذي تساءلون به اي اتقوه ان تسألوا به غيره والارحام ولا تقطعوا رحم ربي بصلة غيره وآتوا اليتامى اموالهم تزكية عن صفة الحرص والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالقناعة والمروءة وعلو الهمة والقناعة ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب تزكية عن صفة الخيانة والخديعة وتحلية بالامانة وسلامة الصدر ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم تزكية عن الجور وتحلية بالعدل فان اجتماع هذه الرذائل كان حوبا كبيرا حجابا عظيما فانكحوا ما طاب لكم تزكية عن الفاحشة وتحلية بالعفة ذلك ادنى الا تعولوا تزكية عن الحدة والغضب تحلية بالسكون والحلم وآتوا النساء صدقاتهن تزكية عن البخل والغدر وتحلية بالوفاء والكرم فكلوه هنيئا تزكية عن الكبر والانفة وتحلية بالتواضع والشفقة فهذه كلها اشارات الى تربية يتامى القلوب والنفوس بايتاء حقوق تزكيتهم عن الاوصاف وتحليتهم بهذه الاخلاق ثم نهى عن ايتاء النفوس الامارة حظوظها فقال ولا تؤتوا السفهاء وانما قال اموالكم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنيا لاجلهم ان الارض يرثها عبادي الصالحون وارزقوهم فيها قدر ما يسد الجوعة واكسوهم ما يستر العورة وما زاد فاسراف في حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا كلوا من رزق الله واشكروا نعمه بامتثال اوامره ونواهيه الادب في طعامك بذكر الله كما قال ادبوا طعامكم بذكر الله وابتلوا اليتامى اي قلوب التائبين بانواع التوسع في المعيشة بعد ان كانوا محجورين عن التصرف حتى اذا بلغوا مبلغ الرجال البالغين فان آنستم منهم رشدا بان يستمروا ابدا مع التوسع على السير وزادوا في اجتهادهم وجدهم كما قال الجنيد اشبع الزنجي وكده فادفعوا اليهم اموالهم فالعبد في هذا المقام يكون جائز التصرف في ماله سيدا كالعبد المأذون ولهذا قال ههنا اموالهم ولا تأكلوها اسرافا اي فان آنستم يا اولياء الطريقة من المريدين البالغين رشد التصرف في اصحاب الارادة فادفعوا اليهم عنان التصرف باجازة الشيخوخية ولا تعجلوا الشيخوخية ما كلة لكم غيرة وغبطة عليهم ان يكبروا بالشيخوخية ومن كان غنيا بالله من قوة الولاية مستظهرا بالعناية فليستعفف عن الانتفاع بصحبتهم ومن كان فقيرا مفتقرا الى ولاية المريد فليأكل بالمعروف فلينتفع باعانته وليجزله بالشيخوخية مع الامداد في الظاهر والباطن فاذا دفعتم اليهم اموالهم سلمتم اليهم مقام الشيخوخية فاشهدوا عليهم الله ورسوله وارواح المشايخ واوصوهم برعاية حقوقها مع الله والخلق ثم اخبر عن نصيب كل نسيب فقال للرجال وهم الاقوياء من الطلبة وللنساء وهم الضعفاء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وهم المشايخ والاخوان في الله وتركتهم بركتهم وانوارهم نصيبا مفروضا على قدر استعدادهم واذا حضر القسمة اي في محافل صحبتهم ومجالس ذكرهم اولوا القربى المنتمون اليهم والمقتبسون من انوارهم والمقتفون لآثارهم فارزقوهم من مواهب كلماتهم وقولوا لهم قولا معروفا في التشويق وارشاد الطريق وتقرير هوان الدنيا عند الله وعزة اهل الله في الدارين وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا من متوسطي المريدين او المبتدئين خافوا عليهم آفات المفارقة بسفر او موت فليتقوا الله اي يوصيهم بالتقوى وان يقولوا قولا سديدا هو لا اله الا الله فان التقوى ومداومة الذكر خطوتان يوصلان العبد الى الله ان الذين يأكلون يضيعون اطفال الطريقة بعدم التربية ورعاية وظائف النصيحة انما يأكلون في بطونهم نار الحسرة ويوم القيامة لا ينفع



يُوصِيكُمُ اللّٰهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ

میفرماید شما را خدا در بارهٔ فرزندان شما مر پسر راست مانند بهرهٔ دو دختر پس اگر بوده باشند دختران دو یا بالا تر از دو پس مر ایشانراست دو سه یک از آنچه گذارده و اگر

كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ

باشد یکی پس مر اوراست نصف ترکه و مر پدر و مادر او راست از برای هر یک از آن دو شش یک از آنچه نهاده است اگر بوده باشد مر او را فرزندی پس اگر نباشد

لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا

مر او را فرزندی و ارث برد او را پدر و مادر پس مر مادر او راست سه یک پس اگر باشد مر او را برادران پس مر مادر او راست شش یک پس از فرموده که فرماید بران

أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

یا وامی پدران شما و فرزندان شما نمیدانید کدام از ایشان نزدیکتر است مر شما را از روی نفع فرض کرده شده از خدا بدرستیکه خدا است دانای محکم کار

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ

و مر شمارا ست نصف آنچه نهادند زنان شما اگر نبوده باشد از برای ایشان فرزندی پس اگر باشد مر ایشان را فرزندی پس مر شما راست چهار یک از آنچه نهادند پس از

وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ

فرموده که بفرمایند بها یا قرضی و از برای ایشان است چهار یک از آنچه نهادید اگر نباشد مر شما را فرزندی پس اگر باشد مر شما را فرزندی پس مر ایشان راست هشت یک

مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ

از آنچه نهادید پس از فرموده که فرمایید بآن یا قرضی و اگر بوده باشد مردی که میراث برداراو کلاله یا زنی و مر او را برادری است یا خواهری

فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ

پس از برای هر یک از آن دو است شش یک پس اگر بوده باشند بیشتر از این پس ایشان انبازانند در این ثلث از پس فرموده که بفرمایند بآن یا دینی

غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي

نا گزند رساننده فرموده از نزد خدا و خدا داناست و بردبار این است قرارهای خداوندی و هر که پیروی کند خدا و رسول او را در آورد او را در بهشتها

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ

از زیر آنها جویها جاویدان در آن و این است بهره بزرگ و هر که نافرمانی کند خدا و پیغمبر او را و در گذرد از اندازهای او در آورد او را

نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً

در آتشی جاوید باشد در آن و مر او راست عذاب خوار کننده و آنهایی که مرتکب شوند زنا را از زنان شما پس گواه گیرید بر ایشان چهار نفر از شما

مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا

از شما پس اگر گواهی دادند پس حبس کنید ایشان را در خانها تا وقتی که در رسد ایشان را مرگ و قرار دهد خدا از برای ایشان راهی و آن دو مردی که بیایند زنا

مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ

از شما پس آزار کنید ایشان را پس اگر توبه کردند و باز آمدند پس رو گردانید از ایشان بدرستی که خدا توبه پذیر مهربان است جز این نیست که توبه بر خداست ایشان را که

يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

میکنند بدی را از روی نادانی پس توبه کنند بزودی پس آن گروه می پذیرد خدا توبه ایشان را و هست خدا دانای بردبار

وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ

و نیست توبه مقبول مر ایشان را که میکنند گناهان را تا آنگاه که در رسد یکی از ایشان را مرگ گوید من توبه کردم الحال و نه ایشانی که میمیرند

وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا

و حال آنکه کافرانند آن گروه مهیا کرده ایم از برای ایشان عذابی دردناک ای زمره ایشان که گرویده اید سزاوار نیست شما را که میراث برید از زنان بناخواه

وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

و که زندان سازید ایشان را که ببرید از ایشان پاره از آنچه را که داده اید بایشان از مهر مگر آنکه مرتکب شوند ناشایسته هویدائی را و رفتار کنید با ایشان به نیکوئی

فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ

پس اگر بد آید شما را از ایشان پس امید است که بد آید چیزی و بگرداند خدا در آن منفعت بسیار و اگر اراده کردید که بدل کنید زنی را در جای زنی

وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ

و داده باشید یکی از ایشان را مال بسیار پس فرا مگیرید از آن چیزی را آیا فرا گیرید آن را بهتان و گناهی هویدا و چگونه فرا گیرید آن را

وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۝ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ

و حال آنکه رسید بعضی از شما بسوی بعضی و فرا گرفتند از شما عهدی استوار و نکاح مکنید آنچه را نکاح کردند پدران شما از زنها

إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۝ القراءة واحدة بالرفع ابو جعفر و نافع البيوت بالنصب

مگر آنچه در پیش گذشته بدرستیکه آن میباشد ناشایسته و قبیح و بد راهی است

فلأمه وما بعده بكسر الهمزة لأجل كسرة ما قبلها حمزة وعلي

البيوت بالضم يوصى وما بعده مبنيا للمفعول ابن كثير و ابن عامر و يحيى و حماد و المفضل و وافق الاعشى في الاولى و حفص في الثانية البيوت مبنيا

للفاعل ندخله بالنون في الحرفين نافع و ابن عامر و ابو جعفر البيوت بالياء و كذلك في سورة الفتح و التغابن و الطلاق و اللذان بتشديد النون

ابن كثير و كذلك قوله هذان و هاتين و أرنا اللذين و اشباه ذلك و اما قوله فذانك فابن كثير و ابو عمرو و يعقوب عباس مخير البيوت بالتخفيف

كرها بالضم و كذلك التوبة حمزة و علي و خلف البيوت بالفتح مبينة مبينات بفتح الياء ابن كثير و ابو بكر و حماد و قرأ ابو جعفر و نافع و ابو عمرو

و سهل و يعقوب مبينة بالكسر مبينات بالفتح البيوت كلها بالكسر الوقوف الانثيين ما ترك فلها النصف ط لانتهاء حكم الاولاد و ان كان له ولد

فلامة الثلث او دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَبْنَاؤكم او آباؤكم ولاختمال كون آباؤكم مبتدأ وخبره لا تدرون نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ حكيما لم يكن لهن ولد دين منهما السدس ديدنا
لان غير حال عامله يوصي مضار لاحتمال النصب صفة مصدر كما يجيء من الله حليم لان تلك مبتدأ حدود الله خالدين فيها لان ما بعده اعتراض مقرر
للجزاء العظيم خالدا فيها لان ما بعده من تتمة الجزاء مهين اربعة منكم للابتداء الشرط مع الفاء سبيلا فآذوهما عنهما رحيما عليهم حكيما السيئات لان
حتى اذا يصلح للابتداء وجوابه قال اني تبت يصلح انتهاء لعمل السيئات وهم كفار كرها لتعضلوهن لعل الاخبار الى النهي مبينة للعارض بين المتفقين
بالمعروف كثيرا شيئا مبينا غليظا سلف مقتا سبيلا التفسير ثم لما بين حكم مال الايتام وما على الاولياء فيه بين ان اليتيم كيف يملك المال ارثا
ولم يكن ذلك الابيان جملة احكام الميراث وتقول اجمل حكم الميراث في قوله لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ ثم فصل ذلك بقوله يُوصِيكُمُ اللَّهُ اي
يعهد اليكم ويأمركم فِي أَوْلَادِكُمْ في شان ميراثهم واعلم ان اهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئين النسب والعهد اما النسب فكانوا يورثون الكبار
ولا يورثون الصغار والاناث كما مر واما العهد فالحلف والتبني كما سيجيء في تفسير قوله وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ وكان التوريث
بالعهد مقررا في اول الاسلام مع زيادة سببين اخرين احدهما الهجرة فكان المهاجر يرث من المهاجر وان كان اجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد المخالطة
والمخالصة ولا يرثه غيره وان كان من اقاربه والثاني المواخاة كان رسول الله يواخي بين اثنين منهم فيكون سببا للتوارث والذي تقرر عليه الامر
في الاسلام ان اسباب التوريث ثلثة قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء ان المعتق يرث بالعصوبة من المعتق روي ان رسول الله ورث بنت
حمزة من مولى لها وورا هذه الاسباب سبب عام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه بالاسباب الثلثة فماله لبيت المال يرثه المسلمون بالعصوبة
كما يحملون عنه الدية قال انا وارث من لا وارث له اعقل عنه وارثه وعن ابي حنيفة واحمد انه يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة
لانه لا يخلو عن ابن عم وان بعد فالحق بالمال لضايع الذي لا يرجى ظهور مالكه وانما بدأ سبحانه بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بولده
اشد التعلقات ثم للاولاد حال انفراد وحال اجتماع مع ابوي الميت اما حال الانفراد فثلثة ذكور واناث معا او اناث فقط او ذكور فقط اما
الحالة الاولى فبينها بقوله لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ اي للذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه احكام ثلثة احدها خلف ذكرا واحدا وانثى واحدة
فله سهمان ولها واحد ثانيها خلف ذكورا واناثا لكل ذكر سهمان ولكل انثى سهم وثالثها خلف مع الاولاد جمعا آخرين كالزوجين فهم ياخذون
سهامهم والباقي بين الاولاد لكل ذكر مثل نصيب انثيين وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضيلته كما ضوعف
حظه لذلك لان الابتداء بما ينبئ عن فضل احد ادخل في الادب من الابتداء بما ينبئ عن النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث فكانه قيل
لهم كفى للذكور ان ضوعف لهم النصيب فليقطعوا الطمع عن الزيادة واما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب النساء من المال اقل من نصيب الرجال فلنقصان
عقلهن ودينهن كما جاء في الحديث ولان احتياجهن الى المال اقل لان ازواجهن ينفقون عليهن ولكثرة الشهوة فيهن فقد يصير المال سببا لزيادة
فجورهن كما قيل ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة فكيف حال المرأة وعن جعفر الصادق ان حواء اخذت حفنة من الحنطة واكلت واخذت
حفنة اخرى وخبأتها ثم اخذت حفنة اخرى ودفعتها الى آدم فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل نصيب المرأة نصف
نصيب الرجل واما الحالة الثانية فهي اكثر من اثنتان او اثنتين او واحدة وحكم القسم الاول مبين في قوله فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وحكم
القسم الثالث في قوله وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ من قرأ بالرفع على كان التامة فظاهر ومن قرأ بالنصب فالضمير في كانت اما ان يعود
الى النساء وجاز لعدم الالتباس بدليل واحدة واما ان يعود الى غائب حكمي اي ان كانت البنت او المولودة وقراءة النصب وفق لقوله فان كن نساء
وقراءة الرفع ايضا حسنة لئلا يحتاج الى التكلف في عود الضمير وجوز صاحب الكشاف ان يكون الضمير في كن وكانت مبهما ويكون نساء وواحدة
تفسيرا لهما على ان كان تامة واما القسم الثاني وهو حكم البنتين فغير مذكور في الاية صريحا فلهذا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس ان فرضهما
النصف كما في الواحدة لان الثلثين فرض البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وعورض بان النصف ايضا مشروط
بالوحدة واقول لعله نظر الى ان الواحد من الاعداد العين المخصوص والذي فوق الاثنين سوى الثلثة والحمل على الاقرب اولى وقال الاكثرون من الصحابة
وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث بالاية فلزم ان يكون للبنتين الثلثان وايضا نصيب البنت مع الولد الذكر
الثلث فلان يكون نصيبها مع ولد اخر انثى هو الثلث اولى لان الذكر اقوى من الانثى وعلى هذا فكان قوله لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ دالا على
الاثنتين فذكر بعد ذلك انهن وان بلغن ما بلغن من العدد لم يتجاوز الثلثين وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين لكنه تعالى يقول في اخر السورة
فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ فالبنتان اولى وهذا قياس جلي ومما يؤيده انه تعالى لم يذكر ميراث الاخوات الكثيرة ليقاس ميراثهن على ميراث
البنات الكثيرة كما يقاس ميراث البنتين على الاختين وقيل لفظ فوق وهو صفة لنساء او خبر بعد خبر للتاكيد او ليخرج اقل الجمع وهو اثنان زايد
كقوله فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وقيل فيه تقديم وتاخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما وعن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة بابنتين لها
فقالت يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس او قالت سعد بن الربيع قتل معك يوم احد فقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما فقال يقضي
الله في ذلك فنزلت هذه الاية فقال رسول الله ادع لي المرأة وصاحبها فقال لعمهما اعطهما الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فلك واما الحالة الثالثة
وهو ما اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكر في الاية لانه لما علم ان للذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين ان للبنت الواحدة النصف علم منه ان

للابن



للابن الواحد الكل واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا اكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالسوية وايضا قال ﷺ ما
ابقت السهام فلاولى عصبة ذكر ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال لا محالة والنص سكت عن ولد الولد فصل
اسم الولد يقع على ولد الابن لقوله تعالى يا بني آدم يا بني اسرائيل وقيل لا يقع ولد الولد على الولد الا انه كولد الصلب في الارث والتعصيب لكنه يستحق
شيئا مع اولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب اصلا او لا يأخذ كما في مسئلة بنت واحدة وبنت ابن فلها بأخذ تكملة
الثلثين ولد الصلب كل الميراث في سائر الباب واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم مخصوص بصور منها ان العبد والحر لا يتوارثان
ومنها ان القاتل لا يرث ومنها انه لا يتوارث اهل ملتين وفي المرتد ماله لبيت المال سواء اكتسب في الاسلام او في الردة وعند ابي حنيفة ما
اكتسبه في الاسلام يرثه وارثه المسلم ومنها ان الانبياء لا يورثون خلافا للشيعة روي ان فاطمة لما طلبت الميراث احتجوا بقوله نحن معاشر
الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة واحتجت بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من آل يعقوب وبقوله وورث سليمان داود وقالوا الاصل في التوريث
للمال ووراثة العلم او الدين مجاز وبعموم قوله يوصيكم الله في اولادكم ولان المحتاج الى هذه المسئلة ما كان الا علي وفاطمة والعباس وهؤلاء
كانوا من اكابر الزهاد والعلماء في الدين واما ابو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر بباله انه يرث الرسول
عليه الصلوة والسلام فكيف يليق بالرسول ان يبلغ هذه المسئلة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها اشد الحاجة وايضا
يحتمل ان يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورث والمراد ان الشيء الذي تركناه صدقة فذلك الشيء لا يورث ولعل فائدة تخصيص
الانبياء بذلك انهم اذا عزموا على التصدق بشيء فمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم اجابوا بان فاطمة رضيت بقول ابي بكر
بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على ما ذهب اليه ابو بكر واعلم ان جميع ما ذكرنا انما هو في حالة انفراد الاولاد اما حالة اجتماعهم بالابوين
فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام فغلب جانب الاب لشرفه ومثله من التغليب
في التثنية القمران والعمران والخافقان والضمير في ابويه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير
العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل لابويه السدس لاوهم اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما بالتساوي
او بالتفاوت ولو قيل لكل واحد من ابويه السدس لفاتت فائدة الاجمال والتفصيل والابهام والتفسير فقوله السدس مبتدأ وخبره لابويه وقد
توسط البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلث احوال الاولى ان يحصل معهما ولد ولا نزاع ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى
فههنا ثلثة اوجه احدها ان يحصل معهما ولد ذكر واحد او اكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالسوية وثانيها ان يحصل معهما
بنتان او اكثر فالحكم كما ذكر وثالثها ان يكون معهما بنت واحدة فههنا للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الاية والباقي للاب بحكم
التعصيب فان قيل ان حق الوالدين على الولد اكثر فما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب الاولاد اكثر ونصيب الوالدين اقل فالجواب والله اعلم ان الوالدين
ما بقي من عمرهما الا القليل غالبا اما الاولاد فهم في زمان الصبا فاحتياجهم الى المال اكثر وايضا كانهما قالا بلسان الحال للاطفال انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وايضا ولد الولد ولد ويزيد حال الولد اهم عند الوالدين من زيادة حالهما الحالة الثانية ان لا يكون
معهما احد من الاولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله وان لم يكن له ولد وورثه ابواه اي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي يكون للاب
فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين وقد يحصل للاب السدس بالفرضية والنصف بالعصوبة ولا تتعين فيه فرضية الثلث للام بان يكون
الوارث منحصرا في الابوين اختلف العلماء في انه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين فكيف يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه او الى
الزوجة نصيبها وللام الثلث بحاله والباقي للاب وذهب الاكثرون الى ان الزوج او الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع ثلث ما بقي الى الام والباقي للاب
ليكون للذكر مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكر والانثى فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا صار شيء منه مستحقا بقي
الباقي بينهما على قدر الاستحقاق الاول وايضا الزوج انما يأخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فاشبه الوصية في قسمة الباقي وعن ابن سيرين انه
وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فانا اذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام يبقى للاب الثلث ونصف السدس اكثر مما للام وخالفه في الزوج
والابوين لانه اذا دفع الى الزوج النصف والى الام الثلث يبقى للاب السدس فيكون للانثى مثل حظ الذكرين هذا عكس قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين
الحالة الثالثة ان يوجد معهما الاخوة والاخوات وذلك قوله فان كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا على ان واحدا من الاخوة او الاخوات
لا يحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا على ان ثلثة منهم يحجبون لكن الاثنين مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى ان الاثنين يحجبان كالثلثة
وقالوا ان الاثنين جمع لوجود التعدد في التثنية فما فوقها فصح ان يتناول الاخوة للاخوين واستقراء باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب
البنتين الثلثين مثل نصيب البنات وكذا للاختين والاخوات وذكر الشيخ الكامل محيي الدين الاعرابي في الفتوحات انه رأى رسول الله ﷺ
في المنام فسئله عن خلاف الائمة في ان اقل الجمع اثنان او ثلثة فعلمه ان اقل الجمع في الشفع اثنان وفي الوتر ثلثة وقال ان الاثنين فما فوقهما جماعة
وقد احتج ابن عباس بذلك على عثمان فقال كيف تردها الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال عثمان لا استطيع رد شيء كان قبلي ومضى
في البلدان فاشار الى اجماعهم قبل ان اظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين او الثلثة اذا حجبوا الام عن السدس فذلك السدس يكون لهم عند بعض



للاب الثلثان فان لا يكون لهم شيء من الميراث ويكون حجبهم الام من الثلث الى السدس لا للاب فذهب ابن عباس الى الاول وذهب الجمهور الى الثاني اذ لا يلزم من كون الشخص حاجبا كونه وارثا ولم يرد لهم ذكر الا في الحجب فوجب ان يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الابوين ثم ذكر ان هذه الانصباء انما تدفع الى هؤلاء من بعد وصية يوصي بها او دين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق واذا لم يكن دين وكان هناك وصية وفضل بعده شيء فان اوصى الميت بوصية اخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثا على فرائض الله تعالى وروي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انكم لتقرؤن الوصية قبل الدين وان الرسول قضى بالدين قبل الوصية والمراد انه لا عبرة بالتقديم في الذكر لان كلمة او لا تفيد الترتيب البتة وانما استفيد الترتيب من السنة عكس الترتيب في اللفظ وفائدة هذا العكس ان الوصية تشبه الميراث في كونها مأخوذة من غير عوض فكان اداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين فان نفوس الورثة مطمئنة الى ادائه فكان في تقديمها اثر عنيتهم في ادائها ولهذا جيء بكلمة او وللدلالة على التسوية بينهما في الوجوب لان كل ما ليس يحصل فيه الامر ان يجيء باو الفاصلة ليدل على انه ان كان احدهما فالميراث بعده وكذا ان كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة ان سهام اهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها تفارق الدين من جهة انه متى هلك من المال شيء دخل النقصان في انصباء اصحاب الوصية كما في الارث بخلاف الدين فانه يبقى بحاله ثم قال آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قال ابو البقاء ايهم مبتدأ واقرب خبره والجملة في موضع نصب بتدرون وهي معلقة عن العمل لفظا لانها من افعال القلوب اقول من الجائز ان لا يكون من افعال القلوب بل يكون بمعنى المعرفة وكان ايهم مفعوله مبنيا لحذف صدر الصلة نحو لننزعن من كل شيعة ايهم اشد قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ومن حق الاعتراض ان يناسب ما اعترض بينه ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية اي لا تدرون من انفع لكم من آبائكم وابنائكم الذين يموتون ام من اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل عن ابن عباس ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سأل ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سأل ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف ان انتفاعه في الجنة بهذا اكثر ام بذاك وقيل قدر فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدي الى كمية تلك المقادير فلو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال في غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض في الدنيا من جهة الانفاق والتربية فلا بد ان الابن يحتاج الى ان ينفق الاب عليه والاب يفتقر الى الابن وقيل المقصود جواز ان يموت هذا قبل ذلك فيرثه وبالضد والقول هو الاول فريضة من الله ينتصب على انها صفة تقوم مقام المصدر المؤكد اي فرض الله ذلك فرضا ان الله كان عليما بكل المعلومات فيكون عالما بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد حكيما لا يأمر الا بما هو الاحسن الاصلح قال الخليل كان ههنا منخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لانه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان لكنه من الازل الى الابد عليم حكيم وقال سيبويه ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة تعجبوا فقيل لهم ان الله كان كذلك لم يزل موصوفا بهذه الصفات هذا واعلم ان الوارث اما ان يكون متصلا بالميت بغير واسطة او بواسطة وعلى الاول فسبب الاتصال اما ان يكون هو النسب او الزوجية فهذه ثلاثة اقسام الاول قرابة الولاد الفروع والاصول وهو اشرف الاتصالات لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة ولغاية الالفة والشفقة ولهذا قدم في الذكر ويتلوه في الشرف القسم الثاني لمثل ما قلنا ولهذا اردفه بالقسم الاول وذلك قوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم الى قوله توصون بها او دين ثم بين احوال القسم الثالث وهو الكلالة في قوله وان كان رجل يورث كلالة فما احسن هذا التنسيق ولما جعل في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين فكذلك جعل في الموجب السببي وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وفيه تنبيه في الآية على فضل الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثماني مرات وذكرهن على الغيبة اقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن ولا فرق في الولد بين الذكر والانثى ولا بين الابن وابن الابن ولا بين البنت وبين بنت الابن ويخرج منه ولد البنت لانه لا يرث وههنا مسئلة قال الشافعي يجوز للزوج غسل زوجته لانها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم وقال ابو حنيفة لا يجوز لانها ليست زوجة ولو كانت زوجته لحل وطؤها لقوله الا على ازواجهم واجيب بانه لو لم يكن زوجة له لكان قوله ما ترك ازواجكم مجازا ولو كانت زوجة مع انه لا يحل له وطؤها لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص اولى كما بين في اصول الفقه وكيف لا وقد علم في صور كثيرة حصول الزوجية مع حرمة الوطء كزمان الحيض والنفاس ولنهار رمضان وعند اشتغالها بالصلاة المفروضة والحج المفروض وعند كونها في العدة عن الوطء بالشبهة وانما حل الوطء ثابت على خلاف الاصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شيء من تلك المصالح فعاد الى اصل الحرمة اما حل الغسل ففيه مصالح فوجب القول ببقائه واختلفوا في تفسير الكلالة فعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عمر رضي الله عنه الكلالة من لا ولد له فقط وعنه في رواية اخرى التوقف وكان يقول ثلاثة لان يكون بينهن الرسول لنا احب الي من الدنيا وما فيها الكلالة



والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من وجى حتى تلاقي محمدا فاستعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة ويحتمل ان يقال هي من الاكليل لانهم يحيطون بالانسان احاطة الاكليل بالرأس من غير جهة الولادة فانها تذهب على الاستقامة كما قال النسب تتابع كابرا عن كابر كالزج انبوبا على انبوب ايضا فانه تعالى قال في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد فاحتج عمر بذلك في الجواب انه تعالى حكم في تلك الآية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون الميت كلالة ولا شك ان الاخوة والاخوات لا يرثون حال وجود الابوين فيلزم ان لا يكون الميت كلالة حال وجود الابوين ايضا انه تعالى ذكر حكم الولد والوالدين في الآيات المتقدمة ثم اتبعها ذكر الكلالة وهذا الترتيب يقتضي ان يكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يجعل وصفا للموروث والمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والاولاد ويمكن ان يحمل عليه بيت الفرزدق اي ما ورثتم الملك عن الاعمام بل عن الآباء فسمى العم كلالة وهو ههنا موروث لا وارث وقد يجعل وصفا للوارث ومنه قول جابر مرضت مرضا اشفيت منه على الموت فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني رجل لا يرثني الا كلالة اراد انه ليس له والد ولا ولد ويقال رجل كلالة وامرأة كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والجلالة اذا جعلت صفة للوارث والموروث كانت بمعنى ذي كلالة كما يقال فلان من قرابتي اي من ذي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة يقال رجل هجاجة وفقاقة كلاهما بالتخفيف اي احمق وقوله تعالى وان كان رجل يورث منه يحتمل الامرين الاول وهو قول عطاء والضحاك ان يكون مأخوذا من ورث الرجل يرث فيكون الرجل هو الموروث منه وينتصب كلالة على الحال وعلى انه خبر كان ويورث صفة رجل ويجوز ان يكون مفعولا له اي يورث لاجل كونه كلالة والثاني وهو قول سعيد بن جبير ان يكون مبنيا للمفعول من اورث فالرجل هو الوارث وينتصب كلالة على الوجوه المذكورة وقيل ما السبب في انه قال ان كان رجل يورث كلالة او امرأة ثم قال وله اخ فكنى عن الرجل ولم يكن عن المرأة والجواب انه اذا جاء حرفان في معنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد وجاز اسناده اليهما ايضا يقول من كان له اخ او اخت فليصله او فليصلها والترجيح بالتذكير المشرف معارض بالتأنيث للقرب وان قلت فليصلهما جاز ايضا ولعل التوحيد والتذكير في الآية اولى لان الرجال في الاحكام اصل والنساء تبع لهم واما تثنية فيلا حد المذكورين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد من الاخ والاخت ههنا الاخ والاخت من الام ويدل عليه ما نسب الى سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من الام فلكل واحد منهما اي من الاخ والاخت السدس من غير مفاضلة الذكر على الانثى هذا على الاحتمال الاول وهو ان الرجل موروث منه واما على الاحتمال الثاني وهو ان الرجل وارث فالضمير عائد الى الرجل والى واحد من اخيه واخته والمعنى مثل الاول لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى ثم قال فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فيبين ان نصيبهم كيف ما كانوا لا يزاد على الثلث وقد يسند الاجماع الى هذا بيانه انه قال في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة واثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال وههنا اثبت للاخوة والاخوات السدس عند الانفراد والثلث عند الاجتماع فعلم ان المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات في تلك الآية فالمراد ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم اخياف وهناك الاخوة والاخوات من الاب والام وهم الاعيان او من الاب وهم اولاد العلات فالكلالة تكون عامة لمن عدا الوالد والولد الا انها في الآية مختصة كما بينا غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته ومن قرأ يوصى مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور اي يوصي او علم انه موصيا والضمير فيه وهو ذو الحال يعود الى رجل على تقدير انه الموروث والى الميت الذي دل عليه سياق الكلام اي ان كان الرجل وارثا ومضار الورثة بان يوصي بازيد من الثلث وبالثلث فما دونه وبنيته مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا لوجه الله وقد يقر بان الدين الذي كان له على غيره قد استوفاه او يبيع شيئا بثمن بخس او يشتري شيئا بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى بالانسان ان ينظر في قدر ما يخلف ومن يخلف ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان في المال قلة وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس اوصى على قانون العدل وقد روى عن عكرمة عن ابن عباس ان الاضرار في الوصية من الكبائر وروي مرفوعا وعن شهر بن حوشب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة فاذا اوصى وحاف في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وعنه من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة وصية من الله يصب على المصدر المؤكد وعلى انه مفعول مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد ان لا يدعهم عالة بالاسراف في الوصية والله عليم بمن جار في وصيته او عدل حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وفيه من الوعيد ما لا يخفى ثم اكد الوعيد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود الله وهو اشارة الى جميع ما ذكر في السورة من احكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها وهي الشرائع التي لا يجوز للمكلف ان يتجاوزها ويتخطاها الى ما ليس له بحق وقوله ومن يطع الله ومن يعص الله عام في هذا التكاليف وفي غيرها كما ان الوالد يعتبل على ولده ويؤدبه في امر مخصوص ثم يقول احذر مخالفتي ويكون مقصوده منعه من معصيته في جميع الامور وانما قيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب الذين خالدا على الحال ولا يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا لانهما جريا على غير من هما له وكان يلزم ان يقال خالدين هم فيها وخالدا هو فيها فالله

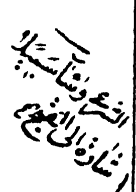
المعتزلة الآية تدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم وذلك ان التعدي في جميع حدود الله محال لان من حدوده ترك اليهودية والنصرانية والمجوسية والتعدي فيها هو الاتيان بجميعها وذلك محال فالآن المراد تعدى اي حد كان ولان الآية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد التعدي في هذه الحدود ولجيب بما مر من ان ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فاي مانع لنا من ان نزيد فيه شرطا آخر وهو عدم العفو وبان الآية لعلها مخصوصة بالكافر لان جميع المعاصي يصح استثناؤه وهذا من هذا اللفظ اي ومن يعص الله في كذا وفي كذا وكل لا يخلو الا في حق الكافر ونعم يخرج منه ما يخصصه لدليل عقلي كما ذكرنا من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية ومما يؤكد كون الآية مخصوصة بالكافر ان قوله ومن يعص الله ورسوله يفيد كونه فاعلا للمعاصي فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده ايضا ذلك لزم التكرار فوجب حمله على الكفر وان سلم ان المراد هو التعدي في حدود المواريث فلعل المراد من التعدي هو اعتقاد كونها لا على وجه الحكمة والصواب ويلزم منه الكفر والله اعلم بمراده قوله عز من قائل واللاتي يأتين الفاحشة الآية وجه النظم فيه ان التغليظ عليهن في باب الفاحشة من جملة الاحسان اليهن المأمور به في الآيات المتقدمة ومنه ان مدار الشرع على العدل والانصاف والاحتراز في كل باب من طرفي التفريط والافراط فلا ينبغي ان يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللاتي جمع التي وفيه لغات اللائي بالهمزة واللواتي واللواتي فكانهما جمعا الجمع وقد يحذف التاء من الاربعة وقد يسهل همزة اللاء بين الهمزة والياء لكونها مكسورة لقراءة ورش واللاء يئسن من المحيض وقد يقال اللاي بياء ساكنة بعد الالف من غير همزة وقد يقال اللواء بحذف التاء والياء معا وقد يقال اللات كاللاتي قال ابن الانباري العرب تقول في الجمع من غير الحيوان التي كقوله اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال في هذه الآية واللاتي لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشيء الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها متميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من يلغي هذا الفرق والفاحشة الفعلة المتزايدة في القبح مصدر كالعافية واجمعوا على انها الزنى ههنا قال المحققون حصر هذا العمل بالفاحشة لان القوى البدنية نطقية وغضبية وشهوانية وفساد الاولى الكفر والبدعة وامثالها وفساد الثانية القتل بغير حق ونحوه وفساد الثالثة الزنى واللواط والسحق وما اشبهها وهذه اخس الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم او من الحرائر او من نسائكم المؤمنات والثيبات فقوله فاستشهدوا عليهن اربعة منكم احتياطا لامر الزنى والمراد بقوله منكم اي من رجالكم قال الزهري مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده ان لا يقبل شهادة النساء في الحدود وان شهدوا مفصلا مفسرا كقولهم رأيناه ادخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة او كالرشاء في البئر ولا يقع ذلك من الوصف بالتحريم لا بمعنى عرضي كالحيض ولا مع تحليل غالب كالمتعة ولا لشبهة فامسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات في بيوتكم حتى يتوفاهن الموت اي ملكة الموت او حتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن او يجعل الله لهن سبيلا بالنكاح او بالحد واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية او اللائط والملوط فآذوهما فوبخوهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله اما لكما في النكاح مندوحة عن هذه فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والذم او خوطب الشهود الذين عثروا على سرهما ان يهددوهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عن التعرض على الامام واعلم ان للعلماء خلافا في الآيتين فعن الحسن ان الثانية مقدمة في النزول وامر بايذاء الزانيين ولا يتم امرها وامساك النساء في البيوت الى ان يتبين احوالهن وقال السدي المراد بهذه الآية البكر من الرجال والنساء وبالآية الاولى الثيب وعن ابي مسلم ان الآية الاولى في السحاقات وحدها الحبس الى الموت الا ان يخلصهن الله والثانية في اللائطين وحدهما الاذى بالقول والفعل والدليل على ذلك تذكير اللذان ولفظ منكم اي من رجالكم كما في قوله اربعة منكم واما الزنى من الرجل والمرأة فذلك في سورة النور وحده في البكر الجلد وفي المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شيء من الآيات ولا تكرار الشيء الواحد في الموضع الواحد مرتين وزيف قول ابي مسلم بانه قول لم يقل به احد وبان الصحابة اختلفوا في احكام اللواطة ولم يتمسك احد منهم بهذه الآية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى نص يدل على هذا الحكم دليل على ان الآية ليست في اللواطة اجاب ابو مسلم بانه قول مجاهد وهو من اكابر المفسرين على انه يتبين في الاصول ان استنباط تاويل جديد جائز وايضا كان مطلوب الصحابة معرفة حد اللوطي وكيفيته وذلك ليس في الآية دلالة عليه بالنفي والاثبات ومطلق الايذاء لا يصلح لحده وجمهور المفسرين على ان الآيتين في الزنى وانها منسوختان لما روى مسلم في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه فانزل عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر على ان البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط وقيل ان هذه الآية صارت منسوخة بآية الجلد وعن اصحاب ابي حنيفة ان آية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وآية الجلد نسخت بدلالة الرجم وقال في الكشاف من الجائز ان لا يكون الآية منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال وقال الشيخ ابو سليمان الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الآية ولا في الحديث وذلك ان الآية تدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني الثيب يرجم والبكر يجلد وينفى صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية لا ناسخا لها وصار ايضا مخصصا لعموم آية الجلد قوله سبحانه انما التوبة على الله الآية لما ذكر في الآية المتقدمة الاحسان في قبول التوبة فقال انما التوبة على الله واجبة وجوب الوعد والكرم لا وجوبا يستحق بتركه الذم للذين يعملون السوء بجهالة قال اكثر المفسرين كل من عصى الله



فهو جاهل وفعله جهالة ولهذا قال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لأنه حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكأنه لا علم
له وبهذا التفسير يكون المعصية مع العلم بأنها معصية جهالة وقيل المراد أنه جاهل بعقاب المعصية وقيل المراد أنه يكون جاهلا بكونها
معصية لكنه يكون متمكنا من تحصيل العلم بكونها معصية ولهذا اجمعنا على أن اليهودي يستحق على اليهودية العقاب وإن كان لا يعلم كونها
معصية لأنه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنبا ومعصية وأن النائم والساهي لا يستحق العقاب لأنه أتى بالقبيح غير متمكن من العلم
بكونه قبيحا أما المتعمد فإنه لا يكون داخلا تحت الآية وإنما يعرف حاله بطريق القياس وأنه لما كانت التوبة على الجاهل واجبة فلأن يكون
واجبا على العامد أولى لأنه عالم بقبح تلك المعصية أما قوله ثم يتوبون من قريب فقد اجمعوا على أن المراد من هذا القرب قبل حضور زمان الموت
ونزول سلطانه ومعاينة أهواله وإنما كان ذلك الزمان قريبا لأن الآجال وكل ما هو آت قريب ولأن مدة عمر الإنسان وإن طالت إذا قيست
إلى طرفي الأزل والأبد كانت كالعدم ولأن الإنسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فإنه يوصف بالقرب ومن في من قريب إما لابتداء
الغاية أي يجعل مبتدأ توبته من زمان قريب من المعصية أو للتبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت
زمانا قريبا لما قلنا أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب وإلا فهو تائب بعيد لأن الآية إلى قوله حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني
تبت الآن فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القرب مثله قوله إن الله يقبل توبة العبد ما لم
يغرغر والفائدة في قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله إنما التوبة على الله أن الأول إعلام بأنه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل
والإحسان والثاني إخبار بأنه سيفعل ذلك أو المراد بالأول التوفيق للتوبة والإعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله عليما بأنه إنما أتى بتلك
المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه حكيما يجب في كرمه قبول توبة العبد إذا تاب من قريب قال المحققون قرب الموت هو ووقوع الشدة
بحيث يغلب على ظنه نزول الموت كما في الغريق وفي حالة الطلق وعند تلاطم الأمواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة بل التوبة ح أولى بالقبول
لقوله أمن يجيب المضطر إذا دعاه وإنما المانع من قبولها معاينة سلطان الموت ومشاهدة أحواله وأهواله بحيث يصير معرفته بالله ضرورية
كما لأهل الآخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه لأنه لم يبق في يده زمام الاختيار وقضي الأمر لصدق الإلجاء والإجبار وههنا بحث للأشاعرة وهو أن
أهل القيامة لا يشاهدون إلا أنهم صاروا أحياء بعد أن كانوا أمواتا ويشاهدون أنهم أهوال القيامة فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف
يكون ذلك العلم ضروريا وبتقدير كونه ضروريا فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك أن العبد مع علمه الضروري بوجود الإله المثيب المعاقب قد يقدم
على المعصية لعلمه بأنه كريم وأنه لا تنفعه طاعة العبد ولا تضره ذنبه وأيضا العلم النظري هو الذي لا يكون معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق
بينه وبين الضروري البتة وعلى هذا فكيف يصير النظري موجبا للتكليف والضروري منافيا للتكليف فثبت ضعف هذا الفرق وأنه
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد قبول التوبة في بعض الأوقات وبعدله أخبر عن عدم قبول التوبة في وقت آخر وله أن يقلب الأمر
فيجعل المقبول مردودا والمردود مقبولا ولا يسئل عما يفعل وأقول التحقيق فيه أنه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وقوله صدق وأمره
حق وقد عين لعبيده حالتي بينا وعجزه وقد أخبر أنه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لأحد عليه اعتراض أنه لم لا يعكس الأمر ثم
إن لليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فليس يبعد أن لا يكون علم اليقين منافيا للتكليف ويكون عين اليقين منافيا
له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على
الكفر في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف إلى حضرة الموت
لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة والمعنى أنه كما أن التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت كذلك الإيمان لا يقبل عند القرب من الموت
أو المراد أن الكفار إذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الآخرة لا يقبل توبتهم أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما أعتدنا في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله
عليهم في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان لا محالة قالت الوعيدية المعطوف مغاير للمعطوف عليه لكن الطائفة الثانية كفار فالأولون
فساق لكنهما مشتركان في العذاب الأليم فثبت أن حكمهما واحد أجيب بأن أولئك إشارة إلى أقرب المذكورين وبعضد أن الكفار أشنع فعلا
من الفساق أو الطائفة الأولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا في حضرة الموت كفرعون والثانية هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه
كنمرود ومثله قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها من ههنا شروع في النهي عما كانوا عليه في الجاهلية من إيذاء
النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء وذلك أنواع الأول قوله لا يحل لكم أن ترثوا وفيه قولان أحدهما أن الوراثة تعود إلى المال أي لا يحل
لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا أموالهن وهن كارهات لإمساككم وثانيهما أنها ترجع إلى أعيانهن وكانوا إذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه
من غيرها أو بعض أقاربه فألقى ثوبه عليها وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق
الأول الذي أصدقها الميت وإن شاء زوجها من إنسان آخر وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا فنزلت النوع الثاني ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما آتيتموهن قال أكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد مفارقتها فيسيء العشرة معها ويضيق الأمر عليها حتى تفتدي منه بمالها
وتختلع فنهوا عن ذلك وقيل إنه خطاب للوارث بأن يترك منعها من التزويج لمن شاءت وأرادت لتبذل المهر للميت ما أخذت من الميراث كما كان

يفعله اهل الجاهلية وقيل انه نهى للاولياء عن عضل المرأة وللازواج كما مرّ في سورة البقرة قال في الكشاف واعراب تعضلوهن النصب عطفا على ان ترثوا
ولا لتأكيد النفي قلنا لكن ان النهي لعطف الامر وهو قوله وعاشروهن عليه صاحب الكشاف نظر الى ما قبله وقد ذهل عما بعده الا ان يأتين بفاحشة
مبينة من قرأ بالفتح فلان الفاحشة لا فعل لها في الحقيقة وانما الله تعالى هو الذي بيّنها او الشهود الا بعد هم بيّنوها ومن قرأ بالكسر فلانها اذا تبيّنت وظهرت
صارت اسبابا للبيان كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس لما صرن اسبابا للضلال ثم انه استثناء مما قبله من اخذ المال اي لا يحل له ان يحبسها
ضرارا لتفتدي الا اذا نشزت فحل للزوج ان يسألها الخلع وكان الرجل اذا اصاب امرأته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وقيل استثناء
من العضل وهو ان يحبسهن في بيوت الاولياء والازواج الا بعد الفاحشة ومن هؤلاء القائلين من زعم ان هذا الحكم منسوخ باية الجلد وقيل الفاحشة
هي النشوز وشكاسة الخلق اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فانهم معذورون في طلب الخلع النوع الثالث من التكليف المتعلق باحوال النساء
وعاشروهن بالمعروف وهو الاجمال في القول والانصاف في المبيت والنفقة فان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله
فيه خيرا كثيرا فههنا قد يميل الطبع لكم الى المفارقة ويكون الخير في الاستمرار على المواصلة منها الثناء في الدنيا بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنها الثواب
في العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنها حصول ولد نجيب ما لكثير اليمن في صحبتها قال الشؤم في المرأة والفرس والدار وقيل المعنى ان عنّتم في مفارقتهن
فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا بان تتخلص من زوج سيء العشرة وتجد زوجا آخر او فوقه النوع الرابع من التكاليف وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج وذلك انه لما اذن في مضارتهن اذا اتين بفاحشة بين تحريم المضارة في غيرها اذا الفاحشة روي ان الرجل منهم كان اذا مال الى التزوج
بامرأة اخرى رمى زوجته الاولى بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج المرأة التي يريدها فنهوا عنه والقنطار المال العظيم
وفيه دليل على جواز المغالاة في المهر روي ان عمر قال في المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة وقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنع و
تلت هذه الاية فقال عمر كل الناس افقه من عمر ورجع عن ذلك ويحتمل ان يقال ذكر ايتاء القنطار وارد على سبيل المبالغة والفرض لا الرخصة وهو
موضع الحال اي وقد اتيتم ومعنى الايتاء الالتزام ووقوع العقد عليه سواء ادى المال اليها ام لا واعلم ان النشوز ان كان من قبل الزوجة حل اخذ
مال الخلع وان كان من قبل الزوج لم يحل الا انه يفيد الملك لو خالع كما ان البيع وقت النداء منهي عنه ثم انه يفيد الملك اتاخذونه استفهام
بطريق الانكار بهتانا وهو ان يستقبل الرجل بامر قبيح يقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عنده اي يتحير وفي الحديث اذا واجهت اخاك بما
ليس فيه فقد بهته وهو مصدر في موضع الحال اي باهتين واثمين او على انه مفعول له مثل قعدت جبنا وقيل بنزع الخافض اي ببهتان وقيل بمضمر اي
تصيبون بهتانا وسبب تسميته هذا الاخذ بهتانا انه تقدم فرض لها ذلك المهر فمن استرده فكأنه يقول لم يكن ذلك بفرض فيكون بهتانا او انه عند
العقد تكفل بتسليم ذلك المهر اليها وان لا يأخذه منها فاذا اخذه منها صار القول الاول بهتانا اي باطلا او كان من عادتهم انهم اذا ارادوا تطليق الزوجة
رموها بفاحشة حتى تفتدي فلما كان هذا الامر واقعا على هذا الوجه في الاغلب سيق الكلام على ذلك او بالحقيقة ان اخذ هذا المال طعن في ذاتها
من حيث انه مشعر بانها اتت بفاحشة وقبض على مالها فهو بهتان من وجه وظلم من جهة اخرى وقيل المراد عقاب البهتان والاثم كقوله انما يأكلون
في بطونهم نارا ثم عجب من الاخذ مستعظما فقال وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض عن ابن عباس ومجاهد والسدي واختاره الزجاج وابن
قتيبة واليه ذهب الشافعي ان المراد بالافضاء الجماع اذ الافضاء الساحة ويقال افضيت اذا خرجت الى الفضاء وهذا المعنى انما يحصل في الحقيقة
عند الجماع وقيل الافضاء ان يخلو بها وان لم يجامعها وهو قول الكلبي واختاره الفراء ويوافقه مذهب ابي حنيفة ان الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح
مذهب الشافعي بان الكلام ورد في معرض التعجب وفيما بينهم اذ كان هذا الافضاء سببا قريبا في حصول الالفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد الخلوة
وايضا الافضاء لا بد ان يكون مفسرا بفعل ينتهي منه اليها لان كلمة الى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذلك اذ لم يحصل فعل من افعال احدهما الى الآخر
فان قيل على هذا يجب ان يكون التلامس والاضطجاع في لحاف واحد كافيا في تحقق الافضاء وانتم لا تقولون به فالجواب انه باطل بالاجماع اذ القائل
قائلان قائل بتفسيره الافضاء بالجماع وقائل بتفسيره بمجرد الخلوة وايضا الشرع قد علق تقرر المهر بتحقق الافضاء وقد اشتبه معناه انه الخلوة او
الجماع فوجب الرجوع الى ما قبل زمان الخلوة ومقتضى ذلك عدم تقرر المهر ثم اكد المنع من استرداد المهر بقوله واخذن منكم ميثاقا غليظا قال
السدي وعكرمة والفراء هو قولكم زوجتك هذه المرأة على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان ومعلوم انه اذا الجأها الى
ان تبذل المهر فقد سرحها بالاساءة وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقودة على الصداق واليها اشار في الحديث واستحللتم
فروجهن بكلمة الله وقال آخرون اخذ منكم بسبب افضاء بعضكم الى بعض ميثاقا غليظا ووصفه بالغلظ لقوته فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة
فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج النوع الخامس من التكاليف المتعلقة بامور النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم قال ابن عباس
وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج ابائهم فنهوا عن ذلك وههنا مسئلة خلافية قال ابو حنيفة يحرم على الرجل ان يتزوج بمزنية
ابيه وقال الشافعي لا يحرم حجة ابي حنيفة ان النكاح عبارة عن الوطي لقوله حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل بمجرد العقد
ولقوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح اي الوطي لان اهلية العقد حاصلة ابدا ولقوله الزاني لا ينكح الا زانية ولقوله ما نكح
ملفوظ فيدخل في الاية المزنية لانها منكوحة اي موطوءة وعورض بالايات الدالة على ان النكاح هو العقد كقوله وانكحوا الايامى منكم ما طاب

كُم مِنَ النِّسَاءِ وبقوله النكاح سنتي ولا شك ان الوطي من حيث انه وطي ليس سنة له وبقوله ولدت من نكاح لا من سفاح وبان من حلف من ولا ذكر انهم ليسوا من اولاد النكاح لم يحنث سلمنا ان الوطي سمي بالنكاح لكن العقد ايضا مسمى به فلم كان حمل الاية على ما ذكروه اولى من حملها على ما ذكرناه مع اجماع المفسرين على ان سبب نزول الاية هو العقد لا الوطي قالوا حقيقة في الوطي مجاز في العقد لانه في اللغة الضم وهذا المعنى حاصل في الوطي لا في العقد وانما اطلق النكاح على العقد اطلاقا لاسم المسبب على السبب والحمل على الحقيقة اولى او مشترك بينهما ويجوز استعماله في مفهوميه معا فيكون الاية نهيا عن الوطي وعن العقد معا او لا يجوز استعماله في المفهومين فيكون نهيا عن القدر المشترك بينهما وهو الضم والنهي عن المشترك يكون نهيا عن القسمين فان النهي عن التلوين يكون نهيا عن التسويد والتبييض لا محالة واجيب بانه خلاف اجماع المفسرين وبان استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه غير جائز وبان معنى الضم لا يتصور في العقد سلمنا ان النكاح بمعنى الوطي ولكن ما في قوله ما نكح لا نسلم انها موصولة لانها حقيقة في غير العقلاء وانما هي مصدرية والتقدير لا تنكحوا نكاح ابائكم فانكحتهم كانت بغير ولي وشهود وكانت مؤقتة ومن جهة فنهوا عن مثل هذه الانكحة قاله محمد بن جرير الطبري سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح اباؤكم ولكنا لا نسلم ان من يفيد العموم واذا لم تفد العموم لم يتناول محل النزاع لكن لم قلتم ان النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان النهي للتحريم لكن لا نسلم انه غير صحيح لان النهي عندكم لا يدل على الفساد كما في البيع الفاسد في صوم يوم النحر واذا كان منعقدا كان صحيحا ثم انا نستدل على جواز نكاح مزنية الاب بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نهى عن نكاحهن الى غاية نفي ايمانهن وهذا يقتضي جواز نكاحهن بعد تلك الغاية على الاطلاق مزنية كانت او غيرها الا ما اخرجه الدليل وهكذا سائر العمومات كقوله واحل لكم ما وراء ذلكم وكقوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وكقوله اذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه وقوله زوجوا بناتكم الاكفاء وبقوله الحرام لا يحرم الحلال لدخول التخصيص فيه بما لو وقع قطرة من الخمر في اناء من الماء فتحرمه لا يمنع من الاستدلال به في غيره وقد ناظر الشافعي محمد بن الحسن في هذه المسئلة فوضح الكلام على قول الشافعي وطي حمدت به ووطي حجبت به فكيف يشتبهان اما قوله الا ما قد سلف فللمفسرين فيه وجوه احسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد انه على المعنى فان النهي يدل على المؤاخذة بارتكاب المنهي عنه فكانه قيل انتم مؤاخذون بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف قبل نزول اية التحريم فانه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثنى غيران سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فان الله قد تجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي بعد موتتهم الاولى وقيل الا ما قد سلف فانكم مقرون عليه قالوا انه اقرهم عليهن مدة ثم امرهم بمفارقتهن وانما فعل ذلك ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وزيف بعضهم هذا القول قال ما اقر احدا على نكاح امراة ابيه وان كان في الجاهلية وروي انه بعث ابا بردة الى رجل عرس بامراة ابيه ليقتله وياخذ ماله انه اي ان هذا النكاح كان قبل النهي فاحشة عند الله تعالى ان هذا الفعل كان ابدا ممقوتا عند العرب وهذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام لانه كان في علم الله وحكمه موصوفا بهذا الوصف والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل ذلك بسبب امر قبيح ارتكبه صاحبه وهو من الله تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار قال بعضهم مراتب القبح ثلثة في العقول وفي الشرع وفي العادة فالفاحشة اشارة الى القبح العقلي لان زوجة الاب تشبه الام والمقت اشارة الى القبح العادي وساء سبيلا اشارة الى القبح الشرعي التاويل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم الاباء هم الذين تقدموا عليكم في الاسلام ونقلوا الى المقامات الرفيعة من المشايخ واصحاب القلوب وامثالهم والنكاح التصرف في المريدين الذين تصرفوا فيهم فهم كالامهات لهم وعليهم التسليم لتصرفاتهم معهم والاعتقاد فيهم ظاهرا وباطنا مستسلما لاحكام التسليم والتربية ليتولد السالك بالنشاة الثانية من صلب الاب ووفاء بقلبه الاباء وتحريم امهاتهم والمراد بالامهات لامتهم قال عليه السلام الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد اثنا عشر ورث اهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية والذكورة والانوثة في الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد وبتوارثهم العلوم الدينية واللدنية كقوله العلماء ورثة الانبياء وقول موسى للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم هي النفوس الامارات بالسوء فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اي من خواص العناصر الاربعة التي انتم منها مركبون وهي التراب ومن خاصيتها الخسة والذلة والماء ومن خواصه اللين والانوثة والشره والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والشهوة والنار ومن خواصها الكبر والغضب وحب الرياسة فان شهدوا بان تظهر بعض هذه الصفات من النفوس فامسكوهن في البيوت في سجن الدنيا واغلقوا عليهن ابواب الحواس الخمس حتى يتوفى النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها او يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيب واللذان ياتيانها منكم اي النفس والقالب ياتيان من الفواحش ظاهرا في الاعمال وباطنا في الاحوال والاخلاق فاذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بالرياضات وترك الحظوظ فاعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر بجهالة اي بصفة الجهولية وهي داخلة في الظلومية لان الظلومية تقتضي المعصية والاصرار عليها والجهولية تقتضي المعصية فحسب فالعمل السوء اذا كان مصدره الجهولية فحسب يكون على عقيبه التوبة كما قال ثم يتوبون من قريب اي عقيب المعصية قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل ان يقال من قريب اي قبل ان يموت القلب بالاصرار فان الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لانها تكون اضطرارية باللسان لا اختيارية بالجنان ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم فيه اشارة الى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الامهات المتصرف فيها اباؤكم العلوية الا ما قد سلف من التدبير الالهي في ازدواج الارواح لضرورة اكتساب الكمال فانا نركن الى العالم السفلي يوجب مقتا والله اعلم



الجزء الخامس

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ

حرام کرده شد بر شما مادران شما و دختران شما و خواهران شما و عمهای شما و خالهای شما و دختران برادر و دختران خواهر و مادرهای شما

اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ

آنهائی که شیر داده‌اند شما را و خواهران رضاعی شما و مادران زنان شما و دختران زنهای شما آن دختران که در حجرهای شمااند از زنان شما

اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ

از زنانی که صحبت کرده‌اید با ایشان پس اگر نبوده باشید که صحبت کرده باشید با ایشان پس نیست گناه بر شما و زنان پسران شما آنچنان پسرانی که از صلبهای شمااند و آنکه

تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ

جمع کنید میان دو خواهر مگر آنچه گذشت بدرستی که خدا هست آمرزنده مهربان و زنان پارسا از زنان مگر آنچه مالک شده

النصف

أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ

دستهای شما نوشته خدا بر شما و حلال شده بر شما آنچه غیر از این است که بجوئید بمالهای خود زن کننده‌گان نه زنا کننده‌گان

فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ

پس آنچه برخورداری کردید از ایشان پس بدهید ایشان را مزدهای ایشان را فریضه و نیست باکی بر شما در آنچه راضی شدید بآن از پس از تعیین

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ

بدرستی که خدا هست دانای داور و هر که نتواند از شما از توانگری که نکاح کند زنان پارسای مؤمنه را پس از آنچه که مالک شده است

أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ

دستهای شما از کنیزکان شما که گرویده‌اند و خدا داناتر است بایمان شما بعضی شما از بعضی پس نکاح کنید ایشان را بدستوری کسان ایشان و

آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ

بدهید ایشان را مزدهای ایشان را بوجه شایسته پارسایان از زنان نه زنا کنندگان و نه فراگیرندگان دوستان پس چون شوی دار شوند پس اگر کردند زنائی را

فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

پس بر ایشان است نصف آنچه بر زنان آزاد است از عذاب این مر آن را است که بترسد از زنا از شما و صبر کردن شما بهتر است مر شما را و خدا آمرزنده مهربان است

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَاللَّهُ يُرِيدُ

اراده کرده است خدا که واضح گرداند از برای شما و بنماید شما را طریقهای آنان که از پیش شما بودند و بپذیرد بر شما و خدا دانای داور است و خدا میخواهد

أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ۝ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ

که قبول کند توبه شما را و میخواهد آنهائی که متابعت میکنند خواهشهای نفس را که رو گردانید از حق رو گردانیدنی بزرگ اراده کرده است خدا که سبک گرداند از شما

وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ

و آفریده شده است آدمی ناتوان ای زمره آنچنان کسانی که گرویده‌اید مخورید مالهای خود را در میان خود بطور باطل مگر آنکه باشد

تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا

سوداگری که از رضای طرفین از شما باشد و مکشید نفسهای خود را بدرستی که خدا هست بشما مهربان و هر که مرتکب شود این را از روی دشمنی و ستمگری

فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا الفراءة والمحصنات كل القرآن بكسر الصاد الاولى والمحصنات من النساء

پس زود است که داخل کنیم او را در آتشی غریب و هست این بر خدا آسان

على البناء بالفتح واحل بخ مبنيا للمفعول يزيد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابو بكر وحما البناء مبنيا للفاعل احصن بفتح الهمزة والصاد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص البناء لاحصن بضم الهمزة وكسر الصاد تجارة بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص البناء بالرفع الوقوف دخلتم بهن لا اولى لابتداء الشرط مع اتحاد المقصود فلا جناح عليكم لذلك فان جملة الشرط معترضة اصلابكم للعطف سلف ط رحيما لا للعطف الجزء الخامس ايمانكم لان كتاب الله يحتمل ان يكون مصدر التحريم لانه في معنى الكتابة ويحتمل مصدر محذوف اي كتب الله كتابا والاحسن ان يكون مفعولا لاي جزموا كتاب الله من قرأ واحل بالفتح لم يحسن الوقف لعلى عليكم للعطف على كتب ومن قرأ واحل بالضم عطفا على حرمت جاز له الوقف لطول الكلام مسافحين لا لابتداء حكم المتعة فريضة ط الفريضة ط حكيما المؤمنات ط بايمانكم ط من بعض ج للعطف المختلفين اخذان ج لذلك من العذاب ط العنت منكم ط خير لكم ط رحيم ط ويتوب عليكم ط حكيم عظيما لا يخفف عنكم ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اي يخفف لضعفكم ضعيفا انفسكم ط رحيما نارا ط يسيرا التفسير انه سبحانه نص على التحريم اربعة عشر صنفا من النسوة سبعة من جهة النسب وهي الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت وسبعة اخرى لا من جهة النسب الامهات من الرضاعة والاخوات من الرضاعة وامهات النساء وبنات النساء بشرط الدخول بالنساء وازواج الابناء والآباء وهذا في الابن المنفصلة والجمع بين الاختين والمحصنات من النساء وذهب الكرخي الى ان هذه الآية



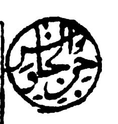
بجملة لانه اضيف التحريم فيها الى الامهات والبنات والتحريم لا يمكن اضافته الى الاعيان وانما يمكن اضافته الى الافعال وذلك غير مذكور في الاية فلابد من اضافة
هذا التحريم الى بعض الافعال التي يمكن ايقاعها في ذوات الامهات والبنات ولم يبين وهذا معنى الاجمال والجواب من العلوم بالضرورة من دين محمد ان المراد منه تحريم
نكاحهن واستمتاعهن وقد تقدم قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم وعنه قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث فانه لا شبهة ان المراد لا يحل اراقة دمه ثم ان قوله حرمت
انشاء للتحريم كقول القائل بعت وطلقت لا اخبار عن التحريم في الزمان الماضي ولا شبهة ان المحرم هو الله تعالى كقوله بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور والخطاب
لاولئك الحاضرين بالذات ولمن عداهم من الامة بالتبعية والاصل في كل حكم هو الاستمرار والتابيد ما لم يثبت ناسخ والقرينة تدل على ان المراد انه حرم على كل احد امه
خاصة وبنته خاصة واعلم ان حرمة الامهات والبنات كانت ثابتة من زمان ادم الى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن في شيء من الاديان بلى ان زردشت نبي المجوس زعم
قال بحله الا ان اكثر المسلمين اتفقوا على انه كان كذابا اما نكاح الاخوات فقد نقل ان ذلك كان مباحا في زمان ادم عليه السلام وفي ذلك للضرورة وبعض المسلمين ينكره ويقول
انه تعالى بعث الحور من الجنة فزوج بهن بني ادم ورد عليه بان هذا النسل لا يكون محض اولاد ادم وذلك بالاجماع باطل قال العلماء السبب في تحريم الامهات والبنات
ان الوطي اذلال واهانة فلا يليق بالاصل والجزء والامهات جمع الام والهاء زائدة ووزن ام فعل واصلها امهة وقد يجمع على امات وقد يقال الامهات للاناسي
والامات لغيره وكل امرأة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك ومن جهة امك بدرجة او درجات باناث رجعت اليها او بذكور فهي امك لا اشكال ان لفظ الام حقيقة
في التي ولدته اما في الجدة فيحتمل ان يكون حقيقة ايضا ويحتمل ان يكون اللفظ متواطيا فيهما ان كان موضوعا بازاء قدر مشترك بينهما ويكون الاية نصا في تحريمهما او يكون
مشتركا بينهما ومن جوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه فالاية نص في تحريمهما ايضا والا فطريقان احدهما ان تحريم الجدات مستفاد من الاجماع والثاني
انه تعالى تكلم بهذه الاية مرتين لكل من المفهومين كذا الكلام ان قلنا ان الام حقيقة في الوالدة مجاز في الجدات قال الشافعي اذا تزوج الرجل بامه ودخل بها يلزمه
الحد وقال ابو حنيفة لا يلزم حجة الشافعي ان وجود هذا النكاح وعدمه بمثابة واحدة لكونه محرما قطعا في حكم الشرع فيكون وطيها زنا محضا الصنف الثاني من
المحرمات البنات ويراد بهن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات باناث او بذكور والكلام في اطلاق لفظ البنت على بنت الابن وبنت البنت حقيقة
او مجازا كما مر في الامهات قال ابو حنيفة البنت المخلوقة من ماء الزنى تحرم على الزاني وقال الشافعي لا تحرم لانها ليست بنتا له شرعا لقوله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش
وهذا يقتضي حصر النسب في الفراش ولانها لو كانت بنتا له لاخذت الميراث ولثبت له ولاية الاجبار عليها ولوجب عليه نفقتها وحضانتها ولحل الخلوة بها والكل
التوالي باطلة بالاتفاق فكذا المقدم وايضا ان ابا حنيفة اما ان يثبت كونها بنتا له بناء على الحقيقة وهي كونها مخلوقة من مائه او بناء على حكم الشرع والاول
باطل على مذهبه طردا وعكسا اما الطرد فهو انه اذا اشترى جارية بكرا وافتضها وحبسها في داره الى ان ولدت فهذا الولد يعلم انه مخلوق من مائه قطعا مع انه لا يثبت
نسبه الا عند الاستلحاق واما العكس فهو ان المشرقي اذا تزوج بالمغربية وحصل هناك ولد فانه يثبت النسب مع القطع بانه غير مخلوق من مائه والثاني ايضا باطل
باجماع المسلمين على انه لا نسب لولد الزاني من الزاني ولو انتسب اليه وجب على القاضي منعه الصنف الثالث الاخوات ويشمل الاخوات من الاب والام ومن الاب فقط
ومن الام فقط الصنف الرابع والخامس العمات والخالات قال الواحدي كل ذكر رجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد يكون العمة من جهة الام وهي اخت اب امك وكل
انثى رجع نسبها اليك بالولادة فاختها خالتك وقد يكون الخالة من جهة الاب وهي اخت ام ابيك ولا تحرم اولاد العمات واولاد الخالات الصنف السادس والسابع
بنات الاخ وبنات الاخت القول فيهما كالقول في بنت الصلب الثامن والتاسع قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة سمى المرضعات
امهات تنبيها لشأنهن كما سمى ازواج النبي امهات لحرمتهن وليس قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم كقول القائل وامهاتكم اللاتي كسونكم او اطعمنكم ولا
كان تكرارا لقوله حرمت عليكم امهاتكم بل المراد ان الرضاع هو الذي يستحق به تسمية الامومة ويعلم من تسمية المرضعة اما والراضعة اختا انه اجرى
الرضاع مجرى النسب لان المحرمات بسبب النسب سبع اثنتان بالولادة وهما الامهات والبنات والخمسة بطريق الاخوة وهن الاخوات والعمات والخالات
وبنات الاخ وبنات الاخت فذكر من كل واحد من القسمين صورة واحدة تنبيها بها على الباقي منهما فذكر من قسم الولادة الامهات ومن قسم الاخوة الاخوات ثم
انه اكد هذا البيان بصريح قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب متفق عليه وصريح الحديث مطابق لمفهوم الاية وهذا بيان الطبقة فامك من الرضاع كل انثى ارضعتك
او ارضعت من ارضعتك او ارضعت من ولدك من الاباء والامهات وولدت المرضعة او الفحل الذي منه اللبن بواسطة او بغيرها وبنتك من الرضاع
كل انثى ارضعت بلبنك او ارضعت بلبن من ولدت من الابناء او البنات واختك من الرضاع كل انثى ارضعتها امك او ارضعت بلبن ابيك او ولدها المرضعة
او الفحل الذي در لبنه على المرضعة وعمتك كل انثى من الرضاع من جهة الاب كل انثى ارضعت بلبن واحد من اجدادك او كانت اختا للفحل الذي ارضعت بلبنه
ومن جهة الام كل انثى هي اخت ذكر ارضعت امك بلبنه بواسطة او بغير واسطة وخالتك من الرضاع من جهة الام كل انثى هي اخت امك من الرضاع او اخت من
ارضعتك من النسب او الرضاع ومن جهة الاب كل انثى هي اخت انثى ارضعت اباك من الرضاع او النسب وبنات الاخوة والاخوات من الرضاع كل انثى ولدها ابن
مرضعتك او بنتها او ولدها ابن الفحل الذي منه اللبن وبنته من الرضاع او النسب او ارضعتها اختك او ارضعت بلبن اخيك وكل حكم بنات اولاد من
ارضعته امك او ارضع بلبن ابيك وبنات اولادهما من الرضاع او النسب والرضاع المحرم قد يسبق النكاح فيمنع انعقاده وقد يطرأ عليه فيقطعه ولا نزاع
اذا كان احدها المرضع ويجب ان يكون امرأة فلبن البهيمة لا يثبت تحريما بين الذكر والانثى الذين شربا منه وكذا لبن الرجل وان يكون حية وعند ابي حنيفة
ومالك واحمد يتعلق بلبن الميتة التحريم وان يكون محتملة للولادة بان بلغت تسع سنين والثاني اللبن ويتعلق به التحريم ولو تغير بحموضة او انعقاد
او اغلاء او اتخذ منه جبن او زبد او مخيض او اقط او ثرد فيه طعام او عجن به دقيق وخبز او خلط بمائع حلالا او حراما والثالث المحل وهو معدة الصبي

قوله ارضعت بلبن
اختك او ارضعت بلبن
اخيك من الرضاع او
النسب وكل من بنات
ارضعته امك

الحرمة اثر للحقنة ولا بعد الحولين لهذا الحديث ولا للوصول الى معدة الصبي لمنبت في الابد تلك من جنس رضعة لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحرم المصة والمصتان ولا الرضعة والرضعتان
ولما روت عائشة خمس رضعات يحرمن وعند ابي حنيفة الرضعة الواحدة كافية الصنف العاشر قوله وامهات نسائكم ويدخل فيه الجدات من قبل الاب والام
الحادي عشر قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم والربائب جمع ربيبة وهي بنت امرأة الرجل من غيره ومعناها مربوبة لان الرجل يربها والحجور جمع حجر بالفتح والكسر وكونها
في حجره عبارة عن تربيته وهو بناء للكلام على الغالب مثله هو في حضانة فلان واصله من الحضن الذي هو الابط وقال ابو عبيدة في حجوركم اي في بيوتكم وعن علي
انه جعل كونها في بيته له وكونها في حجره شرطا وهو اسناد كالحسن واما سائر العلماء فذهبوا الى ان الكلام اخرج مخرج الاعم الاغلب وانه اذا دخل حرمت ابنتها عليه
سواء كانت في تربيته او لم يكن لما اشتراط الدخول بامها فلقوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وهو متعلق بربائبكم كما يقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة واما
عدم اشتراط التربية فلقوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم علق رفع الجناح بمجرد عدم الدخول وهذا يقتضي ان السبب لحصول الجناح هو مجرد الدخول
وذهب جمع من الصحابة ان ام المرأة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول علي وزيد وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس وحجتهم انه تعالى ذكر جملتين
وهو قوله وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم ثم ذكر شرطا وهو قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فوجب ان يكون ذلك الشرط معتبرا في الجملتين معا
واما الاكثرون من الصحابة والتابعين فعلى ان قوله وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها ولم يدل دليل على عود ذلك الشرط اليها لان تعلق الشرط بالثانية
واذا تعلق بالجملتين فلا حاجة الى تعليقه باخرى ولو فرض عود الشرط الى الجملة الاولى وحدها باطل بالاجماع وكذا عوده اليهما معا لان معنى من مع الاولى البيان
ومعناها مع الثانية ابتداء الغاية واستعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معا غير جائز نعم لو جعل من للاتصال كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض
امكن اعتبار الاتصال في النساء والربائب معا فامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن الا ان هذا التفسير
فيه خلل من جهة اللفظ ومن جهة المعنى اما اللفظ فلان قوله وامهات نسائكم وكذا وربائبكم يكون ح مبتدأ وقوله من نسائكم خبرا ويقع بين المعطوفين فاصلة
لان قوله وحلائل ابنائكم وما بعده معطوف على فاعل حرمت واما من جهة المعنى فلان الحكم بالاتصال او الاتحاد يقتضي التحليل لا التحريم ظاهرا ومما يدل على ان
الجملة الاولى مرسلة ما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نكح الرجل امرأة فلا يحل له ان يتزوج امها دخل بالبنت او لم يدخل واذا تزوج بالام
فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج البنت وكان عبد الله بن مسعود يفتي بنكاح ام المرأة اذا طلق بنتها قبل المسيس وهو يومئذ بالكوفة فاتفق ان ذهب الى المدينة
فصادفهم مجمعين على خلاف فتواه فلما رجع الى الكوفة لم يدخل داره حتى ذهب الى ذلك الرجل وقرع عليه الباب وامره بالنزول عن تلك المرأة وعن سعيد بن المسيب
ان زيد بن ثابت قال ان الرجل اذا طلق امرأته قبل الدخول فله ان يتزوج امها فان ماتت عنده لم يتزوج امها اقام الموت مقام الدخول في التحريم
كما قام مقامه في باب المهر والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية وقد تقدم ان الخلوة الصحيحة
عند ابي حنيفة تقوم مقام الدخول وقد تمسك ابو بكر الرازي بالاية في اثبات ان الزنا موجب للمصاهرة قال لان الدخول بها اسم لمطلق الوطء من نكاح
كان او من سفاح ورد بان تقييد قوله من نسائكم يوجب تخصيص الوطء بالحلال الصنف الثاني عشر وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم فيخرج المتبنى
كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن الى ان نزل وما جعل ادعياءكم ابناءكم لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وحكم الابن من الرضاع
حكم الابن من النسب في تحريم حليلته على ابيه لقوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وان كان ظاهر قوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وظاهر قوله
واحل لكم ما وراء ذلكم يقتضي الحل ههنا فقد خصص عموم القرآن بخبر الواحد اتفقوا على ان حرمة التزوج بحليلة الابن يحصل بنفس العقد ولا يتوقف الحرمة
على الدخول لما روي عن ابن عباس انه قال ابهموا ما ابهم الله وادبر التابعين الاثر انه قال في السبع المحرمات من جهة النسب انها من المبهمات اي من اللواتي تثبت
حرمتهن على سبيل التأبيد اتفقوا ايضا على تحريم حليلة ولد الولد على الجد اما جارية الابن فقال ابو حنيفة يجوز للاب ان يتزوج بها وقال الشافعي لا يجوز لان
الحليلة فعيلة اما بمعنى المفعول من الحل اي المحللة او من الحلول بمعنى ان السيد يحل فيها واما بمعنى الفاعل لانهما يحلان في لحاف واحد او يحل كل واحد منهما في قلب صاحبه
لما بينهما من الالفة والمودة وعلى التقادير يصدق على جارية الابن انها حليلته كما تصدق على زوجته انها حليلته فيتناولها الحرمة بالاية الصنف الثالث عشر
وان تجمعوا بين الاختين اي حرمت عليكم الجمع بينهما والتاء بنت للتغليب في لا كسائر ابوبنا وبل الخصلة ويمكن ان يقال الواو والتاء بدل لعقل المطلوب من غير اعتبار
تذكيره وتانيثه والجمع يكون اما بالنكاح او بالملك او بهما اما النكاح فلو عقد عليهما معا فنكاحهما باطل وعلى الترتيب يبطل الثاني لان الدفع اسهل من الرفع
واما الجمع بينهما بملك اليمين او بان ينكح احداهما ويشتري الاخرى فقد اختلفت الصحابة فيه فقال علي وعمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عمر لا يحل الجمع بينهما
لا ملكا ولا وطئا لانه لو جاز الجمع بينهما في الملك لجاز بينهما وطؤهما معا لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولان الاصل في الابضاع الحرمة فلو
سلم ان الاية تدل على الجواز فالاحوط جانب الترك واما سائر الصحابة والفقهاء فقد قالوا النهي في ردع نكاحهما فلو جمع بينهما في الملك جاز الا انه اذا وطئ
احداهما حرم وطء الثانية عليه الى ان يزول هذه الحرمة ما لم يزل ملكه عن الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة او تزويج قال ابو حنيفة ههنا لا يجوز نكاح الاخت في
عدة الاخت البائن لان النكاح الاول كانه باق بدليل وجوب العدة ولزوم النفقة وقال الشافعي يجوز لان نكاح المطلقة زائل بدليل لزوم الحد بوطئها
واما وجوب العدة ولزوم النفقة فمعقول لانه متى حصل النكاح حصلت القدرة على حبسها ولا يلزم من حصول القدرة على حبسها حصول النكاح لان استثناء
عين التالي لا ينتج واذا اسلم الكافر ومعه اختان فقد قال الشافعي اختار ايتهما شاء وفارق الاخرى سواء تزوج بهما معا او على الترتيب لان الكفار مخاطبون
في فروع الشرائع لا باحكام الدنيا اذ لا يتصور تكليفهم بالفروع ما داموا كفارا بل يعاقبون بترك الفروع في الاخرة كما يعاقبون على ترك الاسلام ومما يؤيد قول الشافعي



ما روي ان فيروز الديلمي اسلم على ثمان نسوة فقال له اختر منهن اربعا وفارق سائرهن اطلق ولم يتفحص عن الترتيب وقال ابو حنيفة ان تزوج بهما معا فرقهما وعلى
الترتيب فرق الثانية لان الخطاب بالفروع في قوله وان تجمعوا عام فيتناول المؤمن والكافر فخالف صلبه حيث جعل النهي لا على الفساد والكافر مخاطبا
بالفروع ومما يدل على ان الخطاب بالفروع لا يظهر اثره في حق الكافر في الاحكام الدنيوية الاجماع على انه لو تزوج بغير ولي وشهود او على سبيل القهر والغصب
ثم بعد الاسلام تقرر ذلك النكاح اما قوله تعالى الا ما قد سلف فمعناه ان جمعنا مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما وقد مر نظيره واعلم ان رسول
الله الحق بالاختين جميع المحارم حيث قال لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وضبط العلماء ذلك بان كل شخصين بينهما قرابة او رضاع لو كانت احدهما ذكرا
والاخرى انثى حرم النكاح بينهما فلا يجوز الجمع بينهما فيحرم الجمع بين المرأة وبنات بنيها وبنات الاولاد امنها وكذا بين المرأة وبنت اختها وبنات اولاد اختها
سواء كانت العمومة والخؤولة من النسب او الرضاع ولا يحرم نكاح المرأة وام زوجها ولا نكاح المرأة وبنت زوجها لانه لا يوجد الحرمة على تقدير ذكورة كل واحد
منهما وانما يوجد على تقدير ذكورة ام الزوج او بنته فقط لكان المصاهرة بخلاف ما لو فرضت المرأة ذكرا فانه لا يكون بينهما قرابة ولا رضاع وقد يضبط
تحريم الجمع بعبارة اخرى بان يقال انما يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما قرابة او رضاع بمقتضى المحرمية والثانية يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما وصلة قرابة او رضاع لو كانت
تلك الوصلة بينك وبين امرأة لحرمت عليك الصنف الرابع عشر والمحصنات من النساء وقد ورد الاحصان في القرآن بمعان احدها الحرية والذين يرمون
المحصنات فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وثانيها العفة محصنات غير مسافحات احصنت فرجها وثالثها الاسلام فاذا احصن قيل في تفسيره
اذا اسلمن ورابعها كونها ذات زوج المحصنات من النساء اي ذوات الازواج منهن والوجوه كلها مشتركة في اصل المعنى اللغوي وهو المنع مدينة حصينة ودرع حصينة
مانعة صاحبها من الآفات والجراحات والحرية سبب لمنع الانسان من نفاذ حكم الغير فيه والعفة مانعة من ارتكاب المناهي وكذا الاسلام والزوج مانع لزوجته
من كثير من الامور والزوجة مانعة من الوقوع في الزنى وقرئ بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن بالتزوج ومعنى قوله الا ما ملكت ايمانكم ان اللاتي سبين ولهن
ازواج في دار الكفر فهن حلال للغزاة المسلمين وهكذا اذا سبي الزوجان معا خلافا لابي حنيفة قياسا على شراء الامة واتهابها وارثها فان كلا منها لا يوجب
الفرقة واجيب بان الحاصل عند السبي احداث الملك فيها وعند البيع نقل الملك من شخص الى شخص والاول اقوى فظهر الفرق وقيل المعنى ان ذوات الازواج
حرام عليكم الا اذا ملكتموهن بنكاح جديد بعد وقوع الفراق بينهن وبين ازواجهن وقيل المحصنات الحرائر والمعنى حرمت عليكم الحرائر الا العدد الذي جعل الله
ملكا لكم وهو الاربع او الا ما اثبت الله لكم ملكا عليهن بحصول الشرائط المعتبرة ومن حضور الولي والشهود وغير ذلك والقول هو الاول لما روي عن ابي
سعيد الخدري قال اصبنا سبايا يوم اوطاس لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم
فاستحللناهن ثم اكد تحريم المذكورات بقوله كتاب الله عليكم قال الزجاج يحتمل ان يكون منصوبا باسم فعل ويكون عليكم مفسرا له اي الزموا كتاب الله واحل
لكم ما وراء ذلكم ما وراء هذه المذكورات سواء كن مذكورات بالقول الصريح او بدلالة جلية او خفية او بيان النبي كما قلنا في تحريم الجمع بين الاختين
وغيرهما وقد دخل تحت هذه العمومات في الآية مخصصات اخر منها ان المطلقة ثلاثا لا تحل ودليل ذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا
غيره ومنها الحربية والمرتدة بدليل قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ومنها المعتدة بدليل قوله والمطلقات يتربصن ومنها ان من في نكاحه حرة لم يحل له ان
ينكح امة بالاتفاق وعند الشافعي القادر على طول الحرة لا يجوز له نكاح الامة بدليل ومن لم يستطع منكم طولا ومنها الخامسة بدليل مثنى وثلث ورباع
ومنها الملاعنة لقوله المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وقوله ان تبتغوا مفعول له اي بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغائكم باموالكم في حال
كونكم محصنين لا في حال كونكم مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم التي جعل الله لكم قياما فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ويجوز ان يكون تبتغوا
بدلا من وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر لانه مفهوم من سوق الكلام وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ومعنى محصنين
متعففين عن الزنى وسمي الزنى سفاحا لانه لا غرض للزاني الا سفح النطفة اي صبها قال ابو حنيفة لا يجوز المهر باقل من عشرة دراهم لانه تعالى قيد التحليل
بالابتغاء بالاموال والدرهم والدرهمان لا يسمى اموالا وقال الشافعي يجوز بالقليل والكثير لان قوله باموالكم مقابلة الجمع بالجمع فيقتضي توزع الفرد على
الفرد فيتمكن كل واحد من ابتغاء النكاح بما يسمى مالا والقليل والكثير في هذه الحقيقة سواء وعن جابر عن النبي انه قال من اعطى امرأة في نكاح كف دقيق
او سويق فقد استحل وقال ابو حنيفة لو تزوج بها على تعليم سورة من القرآن لم يكن ذلك مهرا ولها مهر مثلها لان الابتغاء بالمال اسم للاعيان لا للمنافع
وكذا قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه والايتاء والاكل من صفة الاعيان ولو تزوج امرأة على خدمة سنة فان
كان حرا فلها مهر مثلها وان كان عبدا فلها خدمة سنة وقال الشافعي الآية تدل على ان الابتغاء بالمال جائز وليس فيه ان الابتغاء بغيره جائز ام لا وايضا فقد
خرج الخطاب مخرج الاغلب الاعم فلا تدل على نفي ما سواه ومما تدل على جواز جعل المنفعة صداقا قوله تعالى في قصة شعيب على ان تأجرني ثماني حجج والاصل
في شرع من قبلنا البقاء الى ان يظهر الناسخ وايضا التي وهبت نفسها لما لم يجد الرجل الذي اراد التزوج بها شيئا قال له هل معك شيء من القرآن قال نعم سورة
كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القرآن ومنه نعلم جواز اعتاق الامة صداقا لها لاستيفاء وقد روي عن النبي انه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها وكونه
من خواصه ممنوع فما استمتعتم به من المنكوحات من الجماع او عقد عليهن او خلوة صحيحة عند ابي حنيفة فآتوهن اجورهن اي عليه سقط الراجع للعلم به ويجوز
ان يراد بها النساء ومن للتبعيض او البيان لا للابتداء لا الاستمتاع ويكون رجوع الضمير اليه به على اللفظ وفي فآتوهن على المعنى والاجور المهور لان المهر
ثواب على البضع كما يسمى بدل منافع الدار والدابة اجرا وفريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او اقيمت مقام ايتاء لان الايتاء المفروض ومصدر مؤكد اي فرض



وذلك فريضة ولا يخفى أن استمتع بها لدخوله بها يجب تمام المهر وان استمتع بعقد النكاح فقط فالاجر نصف المهر قال اكثر علماء الامة ان الاية في النكاح المؤبد
قيل المراد بها حكم المتعة وهي ان يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم الى اجل معلوم فيجامعها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها واتفقوا على
انها كانت مباحة في اول الاسلام ثم السواد الاعظم من الامة على انها صارت منسوخة وذهب الباقون ومنهم الشيعة الى انها ثابتة كما كانت ويروى هذا عن ابن
عباس وعمران بن الحصين قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح قال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال هي متعة كما يقال قال قلت هل لها
عدة قال نعم عدتها حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وفي رواية اخرى عنه ان الناس لما ذكروا الاشعار في المتعة قال قاتلهم الله اني ما افتيت باباحتها على الاطلاق
لكني قلت انها تحل للمضطر كما تحل الميتة والدم ولحم الخنزير له ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي في الصرف والمتعة واما عمران بن
الحصين فانه قال نزلت اية المتعة في كتاب الله ولم ينزل بعدها اية تنسخها وامرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمتعنا معه ومات ولم ينهنا عنها ثم قال رجل برأيه ما شاء يريد
ان عمر نهى عنها وروى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن علي انه قال لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي حجة الجمهور على حرمة المتعة ان الوطء لا يحل الا في الزوجة
او المملوكة لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وهذه المرأة ليست بمملوكة ولا بزوجة والا لحصل التوارث ولثبت النسب ولوجبت العدة
عليها بالاشهر والتوالي باطلة بالاتفاق وروي عن عمر انه نهى عن المتعة على المنبر بمحضر من الصحابة ثم لم ينكر عليه احد منهم فلو سكتوا لعلمهم بحرمتها
فذاك ولو سكتوا لجهلهم بحلها وحرمتها فمحال عادة لشدة احتياجهم الى البحث عن امور النكاح ولو سكتوا مع علمهم بحلها فاخفاء الحق مداهنة وكفر وبدعة
وذلك محال منهم وما روي عن عمر انه قال لا اوتى برجل نكح امرأة الى اجل الا رجمته ثم ان الصحابة لم ينكروا عليه مع ان الرجم لا يجوز في المتعة فلعله ذكر ذلك على
سبيل التهديد والسياسة ومثل ذلك جائز للامام عند المصلحة الا ترى انه قال من منع منا الزكوة فانا آخذوها منه وشطر ماله مع ان اخذ شطر المال
من مانع الزكوة غير جائز الا للسياسة وروى الواحدي في البسيط عن مالك عن الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن ابيهما عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن متعة النساء وعن اكل لحوم الحمر الانسية قال وروى الربيع بن سبرة الجهني عن ابيه قال غدوت على رسول الله فاذا هو قائم بين الركن والمقام مسند ظهره الى
الكعبة يقول يا ايها الناس اني امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا وان الله قد حرم عليكم الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا
مما آتيتموهن شيئا القائلون باباحة المتعة قالوا الابتغاء بالاموال يتناول الاستمتاع بالمرأة على سبيل التأبيد وعلى سبيل التوقيت بل الاية مقصورة
على نكاح المتعة لما روي ان ابي بن كعب كان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فآتوهن اجورهن وبه قرأ ابن عباس ايضا والصحابة ما انكروا عليهما فكان
اجماعا وايضا امر بايتاء الاجور لمجرد الاستمتاع اي التلذذ وهذا في المتعة واما في النكاح المطلق فيلزم الاجر بالعقد ايضا قال في اول السورة فانكحوا ما طاب
ان يحمل هذه الاية على نكاح المتعة لئلا يلزم التكرار في سورة واحدة والحمل على حكم جديد اولى ومما يدل على ثبوت المتعة ما جاء في الروايات ان النبي نهى
عن المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر واكثر الروايات انه اباح المتعة في حجة الوداع وفي يوم الفتح وذلك ان اصحابه شكوا اليه يومئذ طول العزبة فقال
استمتعوا من هذه النساء وقول من قال انه حصل التحليل مرارا والنسخ مرارا ضعيف لم يقل به احد من المعتبرين الا الذين ارادوا ازالة التناقض عن هذه
الروايات ونهي عمر يدل على انه كان ثابتا في عهد الرسول وما كان ثابتا في عهده لم يكن ينسخ بقول عمر كما اشار اليه عمران بن الحصين واجيب بان المراد من قوله
وانا انهى عنها انه قد ثبت عندي نسخها في زمان الرسول وقد سلموا له ذلك فكان اجماعا ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة الذين حملوا
الاية على بيان حكم النكاح قالوا المراد انه اذا كان المهر مقدرا بمقدار معين فلا حرج في ان تحط عنه شيئا او تبرئه عنه بالكلية كقوله فان طبن لكم عن شيء
وقال الزجاج لا اثم عليكم في ان تهب المرأة للزوج مهرها او يهب الزوج للمرأة تمام المهر اذا طلقها قبل الدخول قال ابو حنيفة الحاق الزيادة بالصداق جائز لان
التراضي قد يقع على الزيادة وقد يقع على النقصان وهي ثابتة ان دخل بها او مات عنها اما اذا طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة وكان لها نصف المسمى في
العقد وقال الشافعي الزيادة بمنزلة هبة فان قبضتها ملكتها بالقبض وان لم تقبضها بطلت والدليل على بطلان هذه الزيادة انها لو التحقت بالاصل
فاما ان يرتفع العقد الاول ويحدث عقدا ثانيا وهو باطل بالاجماع واما ان يحصل عقد مع بقاء العقد الاول وهو تحصيل الحاصل والذين حملوا
الاية على حكم المتعة قالوا المراد انه ليس للرجل سبيل على المرأة من بعد الفريضة وهي المقدار المفروض من الاجر والاجل فان قال لها زيديني في الايام و
ازيدك في الاجر فهي بالخيار ان الله كان عليما حكيما لا يشرع الاحكام الا على وفق الحكمة والصواب ثم وسع الامر على عباده فقال ومن لم يستطع منكم طولا
فضلا في المال وسعة ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان وان ينكح متعلق بطولا يقال طال على الامر اذا غلبه فتمكن من فعله
والمحصنات ههنا الحرائر والمعنى ومن لم يقدر على نكاح الحرة فلينكح من الاماء التي ملكتها ايمانكم قال ابن عباس يريد جارية اخيك فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج
بجارية نفسه والفتيات المملوكات يقول العرب للامة فتاة وللعبد فتى وعن النبي لا يقولن احدكم عبدي ولكن ليقل فتاي وفتاتي قال الشافعي ان الله تعالى
شرط في نكاح الاماء ثلاث شرائط اثنتان في الناكح الاولى فقد طول الحرة وهو عبارة عن عدم ما ينكح به الحرة كما يقول الرجل لا استطيع ان احج اذا كان لا يجد
ما يحج به فاذا كان كذلك جاز له التزوج بالامة لان العادة في الاماء تخفيف مهورهن ونفقتهن لاشتغالهن بخدمة السادة والثانية خشية العنت كما يجيء في آخر
الاية والثالثة في المنكوحة وهو ان تكون الامة لمسلم ومع ذلك تكون مؤمنة لا كافرة لقوله من فتياتكم المؤمنات فالقيد الاول مستفاد من قوله من
فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين والقيد الثاني من وصف الفتيات بالمؤمنات اما فائدة القيد الاول فهي ان الولد
تابع للام في الحرية والرق فيتعلق الولد فيبقى على ملك الكافر الا ان هذا القيد الغاه اكثر الائمة لان الولد اذا رق للكافر يباع عليه في الحال واما فائدة



العقد الثاني فالحذر من اجتماع النقصانين من الكفر والرق وهذا قول مجاهد وسعيد والحسن ومذهب مالك والشافعي اما ابو حنيفة فانه يقول الغني والفقير
سواء في جواز نكاح الامة وذلك انه يحمل النكاح في الاية على الوطي ويقول المراد ان من لم يملك فراش الحرة فله ان ينكح امة ثم الامة لو كانت كتابية جاز له نكاحها
ولكن نكاح الامة المؤمنة افضل فحمل التقييد في الاية على الفضل لا على الوجوب قياسا على جواز نكاح الحرة الكتابية بالاجماع مع وصف الحرائر ايضا بالمؤمنات
واجيب بالفرق وهو اجتماع النقصانين ومن الناس من قال لا يجوز التزوج بالكتابيات البتة ولا شك ان في الاية دلالة على الحث عن نكاح الاماء وان الاولى
عليه لا يجوز الا عند الضرورة وذلك لاتباع الولد الام في الرق ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وربما تعود لتسبب ذلك لفجور او تحزن ولما للمولى عليها
من حق الاستخدام فلا يخلص للزوج وكان السيد قد يبيعها فيصير مطلقة عند من يقول بذلك ولان مهرها ملك لمولاها فلا يقدر على تهيئة مهرها من وجهها
ولا على ابرائه والله اعلم بايمانكم قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الامور والله اعلم بما في الصدور بعضكم من بعض كلكم
اولاد آدم ولا ينبغي ان يداخلكم انفة من التزوج بالاماء عند الضرورة او كلكم مشتركون في الايمان وهو اعظم المفاخر فاذا حصل الاشتراك فيه فما وراءه غير ملتفت
اليه وفيه توهين ما كانوا عليه في الجاهلية من الفخر بالانساب والاحساب وتانيس بنكاح الاماء اذا كن مؤمنات ثم شرح كيفية هذا النكاح فقال فانكحوهن
باذن اهلهن فلذلك اتفقوا على ان نكاح الامة بدون اذن سيدها باطل لان نكاحهن عين واجب فيتوجه الامر الى اشتراط الاذن ولان التزوج بها يعطل على سيدها
اكثر منافعها فوجب ان لا يجوز الا باذنه ولفظ القران مقتصر على الامة واما العبد فقد ثبت ذلك في حقه بالحديث روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا تزوج العبد بغير اذن
سيده فهو عاهر واستدل الشافعي بالاية على ان المرأة البالغة العاقلة لا يصح نكاحها الا باذن الولي لان قوله فانكحوهن الضمير فيه يعود الى الاماء والامة
ذات موصوفة بصفة الرق وصفة الرق زائلة والاشارة الى ذات موصوفة بصفة عرضية زائلة يبقى بعد زوال تلك الصفة بدليل انه لو حلف لا يتكلم مع
هذا الشاب فصار شيخا ثم تكلم معه يحنث في يمينه فعند زوال الرق عنها وهي حرة عاقلة بالغة يتوقف جواز نكاحها على اذن وليها واذا ثبت الحكم في هذه الصورة
ثبت في سائر الصور ضرورة انه لا قائل بالفرق واعترض على قول الشافعي بان ظاهر الاية يدل على الاكتفاء بحصول اذن اهلها وعنده لا يجوز للمرأة ان تزوج امتها
واجيب بان المراد بالاذن الرضا وعندنا ان رضا المولى لا بد منه فاما انه كاف فليس في الاية دليل عليه ايضا ان اهلهن عبارة عمن يقدر على انكاحهن وهو المولى
ان كان رجلا او ولي المولى ان كان امرأة سلمنا ان الاهل هو المولى لكنه عام يخصصه قوله العاهر هي التي تنكح نفسها فيلزم ان لا يكون لها عبارة في نكاح
مملوكها ضرورة انه لا قائل بالفرق قلت لا انصاف ان استدلال الشافعي لا يتم بل لقائل ان يقول لا نسلم ان صفة الرق للامة عرضية من حيث انها امة وان سلمنا
فلا نسلم ان الاشارة الى ذات الامة في الاية يبقى بعد زوال صفة الرق فكونها مثل قول القائل لا اتكلم هذا الشاب ممنوع فمن المعلوم ان المراد به ذات الشاب
من حيث هو لكنه كقول الحالف لا اتكلم شابا فكلم زيدا وزيد شاب حنث فاذا صار شيخا ثم كلمه لم يحنث وآتوهن اجورهن اي مهورهن وفيه دليل على
وجوب مهرها سمى لها المهر او لم يسم وقوله بالمعروف لا يدل على انه مبني على الاجتهاد وغالب الظن في المعتاد المتعارف وهو مهر المثل او المراد بغير مطل وضرار
واحوج الى الاقتضاء وقيل الاجور النفقة عليهن لان المهر مقدر فلا معنى لاشتراط المعروف فيه فكانه تعالى بين ان كونها امة لا يقدح في وجوب نفقتها وكسوتها
كما في حق الحرة اذا حصلت التخلية من المولى بينه وبينها على العادة وعن بعض اصحاب مالك ان الامة هي المستحقة لقبض مهرها وان المولى اذا اجرها للخدمة كان هو المستحق
للاجرة دونها واحتجوا في المهر بظاهر قوله وآتوهن اجورهن واما الجمهور فعلى ان مهرها للمولى كقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهذا ينفي
كون المملوك مالكا لشيء اصلا ولان منافعها كانت مملوكة للسيد وقد اباحها للزوج بعقد النكاح فوجب ان يستحق بدلها اما ظاهر الاية فلو حملنا
لفظ الاجور على النفقة فلا اشكال ولو حملناه على المهر فالجواب انها ثمن بضعهن فلذلك اضيف الاجور اليهن ولذلك قوله وآتوهن ما يوجب كون المهر
ملكا لهن وهب ان المهر ملك لهن ولكنه قال العبد وما بيده لمولاه او المراد وآتوا مواليهن بحذف المضاف محصنات قال ابن عباس اي عفائف وهو حال
من قوله فانكحوهن وظاهره يقتضي حرمة نكاح الزواني لكن الاكثرين على انه يجوز فالاية محمولة على الندب والاستحباب غير مسافحات قال اكثر المفسرين المسافحة
هي التي تؤاجر نفسها اي رجل ارادها ومتخذات اخدان هي التي لها صديق معين وكان اهل الجاهلية يفصلون بين القسمين وما كانوا يحكمون على ذات الخدن
بكونها زانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم فلا جرم افردهما الله تعالى بالذكر تنصيصا على حرمتهما معا والاخدان جمع خدن كالاتراب جمع ترب والخدن الذي
يخادنك اي يكون معك في كلام ظاهر وباطن يقع على الذكر والانثى فاذا احصن بالتزوج وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد او بالاسلام وهو
قول ابن عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والسدي وكانه تعالى ذكر حال ايمانهن في النكاح في قوله من فتياتكم المؤمنات ثم كرر ذلك في حكم ما يجب عليهن عند
اقدامهن على الفاحشة وههنا اشكال وهو ان المحصنات في قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يراد بها الحرائر المتزوجات والحرائر الابكار
على الاول يجب عليهن نصف الرجم وتنصيف الرجم محال وعلى الثاني يجب خمسون جلدة وهذا القدر واجب في زنى الامة محصنة كانت او لم تكن فقد تعلق
ذلك في الاية بحصول الاحصان والجواب انا نختار القسم الاول ويسقط الرجم عنهن بالدليل العقلي لان الرجم لا يتنصف والثاني والمراد
بيان تخفيف عذابهن وذلك ان حد الزنى يغلظ عند التزوج فهذه اذا زنت فقد وجب عليها خمسون جلدة لا يزاد عليها فلان يكون قبل التزوج هذا
القدر اولى واعلم ان الخوارج اتفقوا على انكار الرجم واحتجوا بان الاية تدل على ان عذاب الامة نصف عذاب الحرة المحصنة فلو كان حكم الحرة الرجم لزم تنصيف
الرجم في حق الامة وهو محال والجواب ما مر ان المخصص في حق الامة دليل عقلي والفقهاء جعلوا الاية اصلا في تنقيص حكم العبد عن حكم الحرة في غير الحد وان
كان من الامور ما لا يجب فيه ذلك بعينه كالصلوة والصوم وغيرهما ذلك اشارة الى نكاح الاماء بالاتفاق لمن خشي العنت منكم وقد عرفت فيما مر ان معنى الوقوع

في امر شاق وللمفسرين ههنا قولان احدهما ان الشبق الشديد والغلمة العظيمة ربما يدعو الى الزنى فيقع في الحد في الدنيا وفي العذاب الاليم في الآخرة والثاني ان الشبق قد يفضي الى الامراض الشديدة كاوجاع الوركين والظهر والوسواس وكاختناق الرحم للنساء والاول اليق ببيان القرآن وعليه اكثر العلماء وان تصبروا اي صبركم عن نكاح الاماء بعد شرط المبيح متعففين خير لكم لما فيه من المفاسد المذكورة وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور رحيم تاكيد لما ذكره من ان الاولى ترك النكاح الا انه اباحه لاحتياج المكلفين فهو من باب المغفرة والرحمة يريد الله ليبين لكم اقيمت اللام مقام ان في قولك اريد ان تقوم وقيل زيدت اللام وقدر ان وذلك لتاكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب وقيل في الآية اضمار والاصل يريد الله انزال هذه الاحكام ليبين لكم دينكم وشرعكم وما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم مناهج من كان قبلكم قيل المراد ان كل ما بين لنا من التحريم والتحليل في شان النساء فقد كان الحكم كذلك في جميع الشرائع والملل وقيل بل المراد ان الشرائع والتكاليف وان كانت مختلفة في نفسها الا انها متفقة في باب المصالح وقيل المعنى سنن من كان قبلكم من اهل الحق لتقتدوا بهم ويتوب عليكم قال القاضي معناه كما اراد منا نفس الطاعة فلا جرم بينها وازاح الشبهة عنها كذلك يريد ان يتوب علينا ان وقع تقصير وتفريط وفي الآية اشعار بانه تعالى هو الذي يخلق التوبة فينا فيرد عليه انه اراد التوبة منا وجب ان تحصل التوبة لكلنا وليس كذلك واجيب بان المراد التوبة في باب نكاح الامهات والبنات وسائر المنهيات المذكورة في هذه الآيات وقد حصلت هذه التوبة وكذا الكلام في قوله والله يريد ان يتوب عليكم وقالت المعتزلة يريد ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا عن الحق والقصد ميلا عظيما وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة حرام عليكم فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا فلضعفه خفف تكليفه ولم يثقل اما ضعف خلقته فبالنسبة الى كثير من المخلوقات بل الحيوانات فظاهر ولهذا اشتد احتياجه الى الغذاء وفي التمدن والاغذية والادوية والمساكن والملابس والذخائر والمعاملات الى غير ذلك من الضرورات واما ضعف غرائزه ودواعيه فلهذا لا يصبر على مشاق الطاعات وعن الشهوات ولاسيما عن النساء عن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف على النساء عن ابن عباس ثماني آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم اللهم لا تحرمنا مواعيدك انك لا تخلف الميعاد ثم انه لما ذكر في ابتداء النكاح بالاموال وامر بايفاء المهر والنفقة بين عقيب ذلك انه كيف يتصرف في الاموال فقال يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لا يبيحه الشرع بوجه وقد مر تفسيره في قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وقد سبق مثله في اخر البقرة وخص التجارة بالذكر وان كان غير ذلك من الاموال المستفادة بنحو الهبة والارث واخذ الصدقات والمهور وارش الجنايات حلالا لان اكثر اسباب الرزق متعلق بالتجارة ويدخل تحت هذا النهي اكل مال الغير بالباطل واكل مال نفسه بالباطل كما ان قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم يدل على النهي عن قتل غيره وعن قتل نفسه قال ابو حنيفة النهي في المعاملات لا يدل على البطلان وقال الشافعي يدل لان الوكيل اذا تصرف على خلاف قول الموكل فذلك غير منعقد بالاجماع فالتصرف الواقع على خلاف قول المالك الحقيقي وهو الله سبحانه اولى ان يكون باطلا واي فرق بين قوله لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين وبين قوله لا تبيعوا الحر واذا كان الثاني غير منعقد بالاتفاق فكذا الاول وقال ابو حنيفة خيار المجلس غير ثابت في عقود المعاوضات المحضة لان التراضي المذكور في الآية قد حصل وقال الشافعي ان هذا التراضي يقتضي الحل الا انا نثبت بعد ذلك للمتبايعين الخيار لقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين  لان المؤمنين كنفس واحدة او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعل بعض الجهلة حين ما يعرضه غم او خوف او مرض شديد يرى قتل نفسه سهلا عليه عن الحسن البصري قال حدثنا جندب عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رجل جراح فقتل نفسه فقال الله بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وعن ابي هريرة قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل ممن يدعي بالاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فاصابته جراح فقيل له يا رسول الله الذي قلت له انفا انه من اهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى النار وكاد بعض المسلمين ان يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل له انه لم يمت ولكن به جراح شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله اكبر اشهد اني عبد الله ورسوله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا وعن عمرو بن العاص قال احتلمت في ليلة باردة في غزاة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فتيممت ثم صليت باصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب فاخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت اني سمعت الله تعالى يقول ولا تقتلوا انفسكم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا وقيل معنى الآية لا تفعلوا ما تستحقون به القتل من القتل والردة والزنى بعد الاحصان ان الله كان بكم رحيما ولاجل رحمته نهاكم عما يضركم عاجلا وآجلا وقيل من رحمته انه لم يامركم بقتل انفسكم كما امر بني اسرائيل بذلك توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ومن يفعل ذلك القتل عدوانا وظلما لا اخطاء ولا قصاصا هذا قول عطاء وقال الزجاج ذلك اشارة الى القتل والاكل بالباطل وعن ابن عباس انه عائد الى كل ما نهى الله تعالى عنه من اول السورة ونكره النار للتعظيم والتنويع وكان ذلك على الله يسيرا مثل على وفق المتعارف كقوله وهو اهون عليه والا فلا مانع له عن حكمه ولا منازع له في ملكه

التأويل حرمت عليكم امهاتكم الآية كلها اشارات الى حرمة التعلق ومنع التصرف فى الامهات لتقلبات والمتولدات من وصفا الانسان وصفات الحيوان الآية
كان عفوًا بانواع غفرانه ظلمات الصفات الانسانية تتولد من تصرفات الحواس فى المحسوسات عند الضرورات بالامر بالطبع رحيمًا بالمؤمنين بما ابيح لهم
اليه من التصرفات بقدر الحاجة الضرورية والمحصنات من النساء هى الدنيا التى تصرف منها العلويات الا ما ملكت ايمانكم باذن الله تعالى حيث قال كلوا واشربوا
ولا تسرفوا محصنين حرائر من الدنيا وما فيها غير مسافحين فى الطلب مباه وجوهكم فما استمتعتم به منهن من الضروريات فاعطوا حقوق تلك الحظوظ
بالطاعة والشكر والذكر ان الله تعالى احب زاهدا قلب المؤمن عن دنس حب الدنيا كما احب زاهدا فراشه فقال ومن لم يستطع اى من لم يقدر ان يتجرد عن الدنيا
الصالحة باسرها ويجعلها منكوحة له ويخصها بتصرف شرائع الاسلام بحيث لا يكون لها تصرف فى قلبه بوجه ما فليتصرف فى القدر الذى ملكت ايمانه من قلبه من
الدنيا ولم يملك قلبه لانها مأمورة بخدمته وهى مؤمنة له بالخدمة كما قال حكاية عن الله تعالى يا دنيا اخدمى من خدمنى واستخدمى من خدمك محصنات بالصدق والقناعة
غير مسافحات بالتبذير والاسراف ولا متخذات اخدان من النفس والهوى فلما احصن بالاخلاص فى العطاء والمنع والاخذ والدفع فان اتين بفاحشة
غلبات شهواتها على القلب فليبدل نصف ما ملكت يمينه من الدنيا فى التقرب الى الله تعالى وعلى انه حدها كما ان حد عجوز الدنيا اذا احصنها ذو الطول من رجال
فاتت بفاحشة اهلاكها بالكلية بالبذل فى الله كما كان حال سليمان اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد لما شغلته عن الصلوة واتت بفاحشة حب الخيل
فطفق مسحا بالسوق والاعناق فى ذلك التصرف فى قدر من الدنيا لمن خشى ضعف النفس وقلة صبرها على ترك الدنيا وامتناعها عن قبول الاوامر والنواهى
وان تصبروا عن التصرف فى الدنيا بالكلية خير لكم كما قال يا طالب الدنيا لتبر فتركها ابر يريد الله ان يخفف عنكم فلكم المعونة ولغيركم المؤنة قال ابراهيم
انى ذاهب الى ربى واخبر عن حال موسى بقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وعن حال نبينا بقوله سبحان الذى اسرى بعبده وعن حال هذه الامة بقوله سنريهم
آياتنا والمعونة هى الجذبة التى توازى عمل الثقلين فلا جرم كان لغير نبينا الوصول الى السموات فقط وكان لنبينا الوصول الى مقام قاب قوسين او ادنى
ولا منه التقرب لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احببته والفرق بين النبى والولى ان النبى مستقل بنفسه والولى لا يمكنه السير الا فى متابعة النبى وسلوكه
وخلق الانسان ضعيفا ولهذا اعين بالجذبة حتى يتصل بقوة ذلك الى مقام لا يصل اليه الثقلان بسعيهم الى الابد ضعفه بالنسبة الى جلال الله وكماله
والا فهو اقوى فى حمل الامانة من سائر المخلوقات وايضا من ضعفه انه لا يصبر عن الله لحظة فانه يحبهم ويحبونه شعر الصبر يحمد فى المواطن كلها الا عليك فانه
لا يحمد وكان ابو الحسن الخرقانى يقول لولا الوهيتك ما ابو وغير الانسان يصبر عن الله لعدم المحبة ومن ضعفه انه لا يصبر مع الله عند غلبات سطوات التجلى
كما انه كان يغان على قلبه كان يقول كلمينى يا حميراء وكان الشبلى يقول لا معك قرار ولا منك فرار والمستغاث بك منك لبك فى ضعف الانسان
سبب كماله وسعة انه فتساعه بضعف صفات البهيمية وسائر بتنسم بنسيم الملك وليس لغيره هذا الاستعداد فلهذا جاء فى الحديث الربانى انا ملك حى
لا اموت ابدا فاطعنى عبدى لعلك ملكا حيا لا تموت ابدا الا ان تكون تجارة تنجيكم من عذاب اليم ولا تقتلوا انفسكم بامر ما لكم فى شهواتها فان الله
بمنعها الفائل انه كان بكم رحيما اذ بين لكم هذه الافات ودلكم على هذه التجارات ومن يفعل صرف المال الى الهوى تعديا عن امر الله وظلما على نفسه

إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۝ وَلَا تَتَمَنَّوْا
اگر پرہیز کنید گناہان کبیرہ را کہ نہی کردہ شدہ اید از ان بریزانیم از شما گناہان شما را و درآوریم شما را در جایگاہی بلند پایہ و آرزو مکنید

مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ
آنچہ را کہ زیادتی دادہ است خدا بآن برخی از شما را بر برخی از برای مردان بہرہ ایست از آنچہ کسب نمودند و از برای زنان بہرہ ایست از آنچہ کسب کردند و بخواہید خدا را

مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ
از فضل او بدرستی کہ خدا ہست بہر چیزی دانا و از برای ہر یک قرار دادیم ورثہ از آنچہ وا گذاشتند پدر و مادر و خویشان و آنان کہ بستہ شدہ

أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ
سوگندهای شما پس بدہید ایشان را قسمت ایشان را بدرستی کہ خدا ہست بر ہر چیزی گواہ مردان مہتران اند بر زنان بآنچہ کہ زیادتی داد خدا برخی را

عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ
بر برخی و بآنچہ کہ خرج کردند از مالہای ایشان پس زنان نکو عبادت کنندگان اند نگاہدارندگان اند حقوق مرد را در غیبت بآنچہ حفظ کرد خدا و آنہا از زنان کہ می ترسید از

نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
بی پروائی آنہا پس پند دہید آنہا را و ترک کنید شان در خوابگاہ و بزنید آنہا را پس اگر اطاعت کردند شما را پس نخواہید بر آنہا راہی را بدرستی خدا ہست

عَلِيًّا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ
بلند مرتبہ بزرگ و اگر بترسید نزاع را در میان آنہا پس برانگیزید داوری را از جانب مرد و داوری از جانب زن اگر خواہند صلاح را موالفت دہاند خدا

بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
در میان آنہا بدرستی کہ خدا ہست دانای باطلاع و بپرستید خدا را و انباز قرار ندہید باو چیزی را و بپدر و مادر نیکی کنید و بخداوندان

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
خویشی

اى تجارة ...
ع

أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ۝ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم

دستهای شما بدرستی که خدا دوست ندارد آنرا که متکبر و خودستا باشد ... آنان که بخل کنند و امر کنند مردم را ببخل کردن و می‌پوشانند آنچه را که داده ایشانرا

الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ۝ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله

خدا از فضل او و آماده گردانیدیم از برای کافران عذابی خوار کننده ۝ و آنانکه خرج کنند مالهای خود را بجهت نمودن بمردم و نگروند بخدا

ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ۝ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر

و نه بروز واپسین و هر که بوده باشد شیطان مر او را همنشین پس بد همنشینی است ۝ و چه میشد بر ایشان اگر گرویده بودندی بخدا و روز واپسین

وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ۝ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت

و خرج کردندی از آنچه روزی کرد ایشانرا خدا و هست خدا بایشان دانا ۝ بدرستی که خدا ستم نکند مقدار ذره و اگر باشد حسنه را بیفزاید بر آن و دهد

من لدنه أجرا عظيما ۝ القراءات بكفرو بخلكم بيا الغيبة المفضل الباقون بالنون مدخلا بفتح الميم وكذلك في الحج أبو جعفر ونافع الباقون بالضم

از نزد او مزدی بزرگ ... وسلوا وبابه مما دخل عليه واو العطف او فاؤه بغير همزة ابن كثير وعلي وخلف وسهل وحمزة في الوقف عقدت من المعاقدة عاصم

وحمزة وعلي وخلف الباقون عاقدت من المعاقدة حفظ الله بالنصب يزيد الباقون بالرفع والجار بالإمالة ابن ذكوان حماد قتيبة نصير أبو عمرو وحمزة في رواية

ابن سعدان وأبي عمرو والبخاري عن ورش والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون المفضل الباقون بضمتين بالبخل بفتحتين حيث كان حمزة وعلي وخلف

المفضل عباس مخير الباقون بضم الباء وسكون الخاء حسنة بالرفع ابن كثير وأبو جعفر ونافع الباقون بالنصب يضعفها بالتشديد ابن كثير وابن عامر

ويزيد ويعقوب الباقون يضاعفها بالألف الوقوف كريما ط على بعض ط مما اكتسبوا ط من فضله ط عليما ٥ والأقربون ط بناء على أن ما بعده مبتدأ نصيبهم ط شهيدا ٥ من

أموالهم ط لأن ما بعده مبتدأ بما حفظ الله ط واضربوهن ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب سبيلا ط كبيرا ٥ من أهلها ج لأن إن مع الشرط اتحاد الكلام بينهما خبيرا ٥

وابن السبيل ط للعطف أيمانكم ط فخورا ٥ بناء على أن الذين بدل من من فضله ط مهينا ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والعطف باليوم الآخر ط وإن جعل الذين مبتدأ

لأن خبره محذوف أي فأولئك قرينهم الشيطان قرينا رزقهم الله ط عليما ٥ ذرة ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى أي لا يظلم بنقص الثواب ومع ذلك يضاعفه

عظيما ٥ التفسير هذا كالتفصيل للوعيد المتقدم ومن الناس من قال جميع الذنوب والمعاصي كبائر روى سعيد بن جبير عن ابن عباس كل شيء عصي الله فيه فهو

كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فإن الله لا يخلد في النار من هذه الأمة إلا راجعا عن الإسلام أو جاحدا فريضة أو منكرا القدر وضعف بأن الذنوب لو

كانت كلها كبائر لم يبق فرق بين ما يكفر باجتناب الكبائر وبين الكبائر ويقوله ولا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وبأنه نص

على ذنوب بأعيانها أنها كبائر ويقوله وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ولا بد من فرق بين الفسوق والعصيان فالكبائر هي الفسوق والصغائر

العصيان وجهه ما روي عن ابن عباس أن الذنب إنما يكبر لوجهين لكثرة نعم من عصي فيه ولجلال الله ولا شك أن نعمه تعالى غير متناهية وأنه أجل الموجودات فيكون

عصيانه كبيرا وعورض بأنه أرحم الراحمين وأغنى الأغنياء عن طاعات المطيعين وكل ذلك يوجب خفة الذنب وإن سلم أن الذنوب كلها كبائر من حيث إنها ذنوب

ولكن بعضها أكبر من بعض وذلك يوجب التفاوت وإذ قد عرفنا أن الذنوب بعضها صغائر وبعضها كبائر فالكبيرة يتميز عن الصغيرة بذاتها أو باعتبار

فاعلها فذهب إلى كل فريق أما الأولون فمن قال هي ما روي عن ابن عباس كل ما جاء في القرآن مقرونا بذكر الوعيد فهو كبيرة كالقتل المحرم والزنى وأكل

مال اليتيم وغيرها وزيف بأنه لا ذنب إلا وهو متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا فيكون كل ذنب كبيرا وهو خلاف المفروض وعن ابن مسعود

أن الكبائر هي ما نهى الله تعالى في الآيات المتقدمة وضعف بأنه تعالى ذكر الكبائر في سائر السور أيضا فلا وجه للتخصيص وقيل كل عمد فهو كبيرة ورد بأنه إن أراد

بالعمد أنه ليس بساه فما هذا حاله فهو الذي نهى الله عنه فيكون كل ذنب كبيرا وقد أبطلناه وإن أراد بالعمد أن يفعل المعصية مع العلم بأنها معصية

فلا يكون كفر اليهود والنصارى كبيرا وهو باطل بالاتفاق وأما الذين يقولون الكبائر تمتاز عن الصغائر باعتبار فاعلها فهم المعتزلة قالوا لكل طاعة قدر من الثواب

ولكل معصية قدر من العقاب فإذا وجد للإنسان طاعة ومعصية فالتعادل بين الاستحقاقين وإن كان ممكنا بحسب العقل إلا أنه غير ممكن بحسب السمع وإلا

لم يكن مثل ذلك المكلف لا في الجنة ولا في النار وقد قال تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير فلا بد من ترجيح أحدهما ويلزم منه الإحباط والتكفير

والحق في هذه المسألة وعليه الأكثرون بعد ما مر من إثبات انقسام الذنب إلى الكبيرة والصغيرة أنه تعالى لم يميز جملة الكبائر عن جملة الصغائر لما بين في هذه

الآية أن الاجتناب عن الكبائر يوجب تكفير الصغائر فلو عرف المكلف جميع الكبائر اجتنبها فقط واجترأ على الإقدام على الصغائر أما إذا عرف أنه لا ذنب

إلا ويجوز كونه كبيرا صار هذا المعنى زاجرا له عن الذنوب كلها ونظير هذا في الشرع إخفاء ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الإجابة في ساعات الجمعة

ووقت الموت في جملة الأوقات هذا ولا مانع من أن يبين الشارع في بعض الذنوب أنه كبيرة كما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله

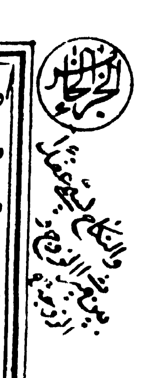
والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وذكر عند ابن

عباس أنها سبعة فقال هي إلى السبعين أقرب وفي رواية إلى السبعمائة وعن ابن عمر أنه عد منها استحلال آمين البيت الحرام وشرب الخمر وعن ابن مسعود واليأس

القنوط من رحمة الله والأمن من مكره وفي بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم شهادة الزور وعقوق الوالدين والسرقة وأما أقوال العلماء في الكبيرة فمنهم من قال



هي التي توجب الحد وقيل هي التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنة وقيل كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث صاحبها بالدين وقيل لا كبيرة مع الاستغفار
ولا صغيرة مع الإصرار ويراد بالإصرار المداومة على نوع واحد من الصغائر أو الإكثار منها وإن لم يكن من نوع واحد احتج أبو القسم الكعبي بالآية على قطع
الوعيد أهل الكبائر لأنها تدل على أنه إذا لم يجتنب الكبائر فلا يكفر عنه والجواب أن استثناء نقيض المقدم لا ينتج ويؤيده قوله تعالى فإن أمن بعضكم بعضا
فليؤد الذي اؤتمن أمانته وأداء الأمانة واجب أمنه أو لم يأمنه سلمنا أن الآية وجعلت قوله من لم يجتنب الكبائر لم يكفر عنه سيئاته فإنه يكون عاما في باب
الوعيد والجواب عنه هو الجواب عن سائر العمومات وهو أنه مشروط بعدم العفو عندنا كما أنه مشروط عندكم بعدم التوبة ثم قالت المعتزلة إن عند اجتناب
الكبائر يجب غفران الصغائر وعندنا لا يجب على الله شيء بل كل ما يفعله فهو فضل وإحسان ويدخل في الاجتناب عن الكبائر الإتيان بالطاعات لأن ترك الواجب
أيضا كبيرة وندخلكم مدخلا من فتح الميم أراد مكانا للدخول ومن فتحها أراد الإدخال ووصفه بالكرم إشعارا بأنه على وجه التعظيم خلاف إدخال أهل النار الذين يحشرون
على وجوههم إلى جهنم وهو وصف باعتبار صاحبه ثم إنه سبحانه لما أمرهم بتهذيب أعمال الجوارح وهو أن لا يقدموا على أكل الأموال بالباطل وعلى قتل الأنفس
حثهم على تهذيب الأخلاق في الباطن ونقول لما نهاهم عن الأكل والقتل ولن يتم ذلك إلا بالرضاء بالقضاء وبتطييب القلب بالمقسوم المقدر فلا جرم قال
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قالت المعتزلة التمني قول القائل ليته كذا وقال أهل السنة هو عبارة عن إرادة ما يعلم أو يظن أنه لا يكون ولهذا
قالوا إنه تعالى لو أراد من الكافر أن يؤمن مع علمه بأنه لا يؤمن كان متمنيا ثم مراتب السعادات إما نفسانية نظرية كالذكاء والحدس وحصول المعارف والحقائق
أو عملية كالأخلاق الفاضلة وإما بدنية كالصحة والجمال والعمر وإما خارجية كحصول الأولاد النجباء وكثرة العشائر والأصدقاء والرياسة التامة ونفاذ
القول وكونه محبوبا للخلق حسن الذكر مطاع الأمر فهذه مجامع السعادات وبعضها محض عطاء الله تعالى وبعضها مما يظن أنها كسبية وبالحقيقة كلها عطاء
منه تعالى فإنه لولا ترجيح الدواعي وإزالة العوائق وتحصيل الموجبات وتوفيق الأسباب فلا سبب يكون السعي والجد مشتركا فيه والفوز بالبغية والظفر بالمطلوب
غير مشترك فيه وإذا كان كذلك فما الفائدة في الحسد غير الاعتراض على مدبر الأمور وكافل مصالح الجمهور فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علما بأن ما قسم له هو
خير له ولو كان خلافه لكان وبالا عليه كما قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض وفي الكلمات القدسية من لم يستسلم لقضائي ويصبر على بلائي
ويشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليخرج من أرضي وسمائي وليطلب ربا سواي قال
المحققون لا يجوز للإنسان أن يقول اللهم أعطني دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان وإن كان هذا غبطة لا حسدا بل ينبغي أن يقول اللهم أعطني
ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي ومعاشي وعن الحسن لا يتمن أحد المال فلعل هلاكه في ذلك المال أما سبب النزول فعن مجاهد قالت أم سلمة
يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولهم من الميراث ضعف ما لنا فنزلت وعن قتادة والسدي لما نزل قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قال الرجال نرجو
أن نفضل على النساء في الآخرة كما فضلنا في الميراث وقالت النساء نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة فلنحن أحوج لأنا ضعفاء
أقدر على طلب المعاش فنزلت وقيل أتت وافدة النساء إلى الرسول وقالت رب الرجال والنساء واحد أنت الرسول إلينا وإليهم وأبونا آدم وأمنا حواء فما
السبب في أن الله يذكر الرجال ولا يذكرنا فنزلت الآية فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فما لنا فقال إن للحامل منكم أجر الصائم القائم وإذا ضربها
الطلق لم يدر أحد ما لها من الأجر فإذا أرضعت كان لها بكل مصة أجر إحياء نفس للرجال نصيب مما اكتسبوا من نعيم الدنيا وثواب الآخرة فينبغي أن يرضوا
بما قسم لهم وكذا للنساء أو لكل فريق جزاء ما اكتسب من الطاعات فلا ينبغي أن يضيعه بسبب الحسد المذموم والتلخيص لا تضيع ما لك وتتمنى ما لغيرك
أو للرجال نصيب مما اكتسبوا بسبب قيامهم بالنفقة على النساء وللنساء نصيب مما اكتسبن بحفظ فروجهن وطاعة أزواجهن والقيام بمصالح البيت
واسألوا الله من فضله نعمه من خزائن الإنعام ما لا ينفده مطالب الأنام ومن للتبعيض أي شيئا من خزائن كرمه وطوله إن الله كان بكل شيء عليما
فهو العالم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل وليفوض التفصيل إليه فإن ذلك أقرب إلى الأدب وأوفق للطلب قوله سبحانه وتعالى
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون يمكن تفسيره بحيث يكون الوالدان والأقربون وارثين وبحيث يكونان موروثا منهما والمعنى على الأول
لكل أحد جعلنا ورثة في تركته ثم إنه كأنه قيل ومن هؤلاء الورثة فقيل هم الوالدان والأقربون فيحسن الوقف على قوله مما ترك وفيه ضمير كل وأما على الثاني
فإما أن يكون في الكلام تقديم وتأخير أي لكل شيء مما ترك الوالدان والأقربون جعلنا موالي أي ورثة وإما أن يكون جعلنا موالي صفة لكل والمحذوف
والعائد محذوف وكذا المبتدأ والتقدير ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والأقربون كما يقول لكل من خلقه الله إنسانا من رزق الله أي حظ
من رزق الله والمولى لفظ مشترك بين معان منها المعتق لأنه ولي نعمة في عتقه ومنها العبد المعتق لاتصال ولاية مولاه في إنعامه عليه وهذا كما يسمى الطالب غريما
لأن له اللزوم والمطالبة بحقه ويسمى المطلوب غريما لكون الدين لازما له ومنها الحليف لأن المحالف يلي أمره بعقد اليمين ومنها ابن العم لأنه يليه بالنصرة ومنها المولى
الناصر قال تعالى ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ومنها العصبة وهو المراد في الآية وهو اللائق بها كقوله صلى الله عليه وسلم أنا أولى بالمؤمنين من مات وترك مالا فماله للموالي العصبة
ومن ترك كلا فأنا وليه أما قوله والذين عقدت أيمانكم فإما أن يكون مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع قوله فآتوهم خبره وإما أن يكون منصوبا على قولك زيدا
فاضربه مما توسط الفاء بين الفعل ومفعوله مفسرا ابتداء بتلازمهما وإما أن يكون معطوفا على الوالدان والأيمان جمع يمين اليد أو الحلف ومن الناس
من قال الآية منسوخة وذلك أن الرجل كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك أي ما يهدم دمي يهدم دمك وثأري ثأرك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك
وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض وبقوله يوصيكم الله



وايضا ان الواحد منهم كان يتخذ انسانا اجنبيا ابنا لهم وهم الادعياء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يواخي بين كل رجلين منهم فكانوا يتوارثون بالتبني والمواخاة فنسخ ومن المفسرين
من زعم انها غير منسوخة وقوله والذين معطوف على ما قبله والمعنى ان ما ترك الذين عقدت ايمانكم فله وارث هو اولى به فلا تدفعوا المال الى الحليف بل الى الوارث
فيكون الضمير في فآتوهم للموالي قاله ابو علي الجبائي او المراد بالذين عاقدت الزوج والزوجة بعد ميراث الولد والوالدين كما في قوله يوصيكم الله قاله ابو مسلم
وقيل المراد الميراث الحاصل بسبب الولاء وقيل هم الحلفاء والمراد باتيانهم نصيبهم النصرة والنصيحة والمصافاة وقال الاصم المراد التحفة بالشيء القليل كقوله
واذا حضر القسمة وذهب جمهور الفقهاء الى انه لا يرث المولى الاسفل من الاعلى وحكى الطحاوي عن الحسن بن زياد انه قال يرث لما روي عن ابن عباس ان رجلا اعتق
عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا المعتق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه للغلام والحديث عند الجمهور محمول على انه المال صار لبيت المال ثم دفعه النبي الى الغلام لفقره
وقال ابو حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث بحق الموالاة وخالفه الشافعي فيه وحكى الاوزاعي ان هذه الموالاة لا تصح عند
ابي حنيفة ايضا الا بين العرب وبين العجم لرخاوة عقدهم في امورهم ان الله كان على كل شيء شهيدا لانه عالم بجميع الجزئيات والكليات فيشهد على الخلق يوم القيمة بكل
ما عملوه وفيه وعيد للعاصين ووعد للمطيعين هذا وقد مر ان النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث ونحوه فذكر في هذه الاية ما يشتمل على بعض
اسباب التفضيل فقال الرجال قوامون على النساء يقال هذا قيم المرأة وقوامها بناء مبالغة للذي يقوم بامرها ويهتم بحفظها كما يقوم الوالي على الرعية ومنه سمي الرجال
قواما والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا اي انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية
انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء
والعلماء والحكماء وفيهم الامامة الكبرى وهي الخلافة والصغرى وهي الاقتداء بهم في الصلوة وانهم اهل الجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف والشهادة في الحدود والقصاص
بالاتفاق وفي الانكحة عند الشافعي وزيادة السهم في الميراث والتعصيب فيه والحمالة تحمل الدية في القتل الخطاء والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة و
عدد الازواج واليهم الانتساب فكل ذلك يدل على فضلهم وحاصلها يرجع الى العلم والقدرة ومنها سبب خارجي وذلك انهم فضلوا عليهن بما انفقوا اي اخرجوا في نكاحهن
من اموالهم مهرا ونفقة عن مقاتل ان سعد بن الربيع وكان من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
افرشته كريمتي فلطمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه وكانت قد نزلت اية القصاص فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبرئيل اتاني وانزل الله
هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص فلهذا قال العلماء لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها
ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما في اللطمة ونحوها فلا ثم قسم النساء قسمين فوصف الصالحات منهن بانهن قانتات مطيعات لله وللزوج
حافظات للغيب بما يجب عليهن من حقوق الزوج في غيبته والغيب خلاف الشهادة ومن واجب حفظ غيبة الزوج ان يحفظ نفسها عن الزنى لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها
ولئلا يلحق به الولد الحاصل من نطفة غيره وان يحفظ اسراره عن الافشاء وماله عن الضياع ومنزلها عما لا ينبغي شرعا وعرفا عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت
اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها وتلا الاية وما في قوله بما حفظ الله موصولة والعائد محذوف اي بالذي حفظه الله
لهن اي عليهن ان يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل فيهن في قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
فقوله بما حفظ الله يجري مجرى قولهم هذا بذاك اي هذا في مقابلة ذاك او مصدرية والمعنى انهن حافظات للغيب بحفظ الله اياهن فانهن لا يتيسر لهن حفظ الغيب الا
بتوفيق الله او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على الامانة واوعدهن العذاب الشديد على الخيانة ومن قرأ بما حفظ الله بالنصب فما اما موصولة اي
بالامر الذي يحفظ حق الله وامانته وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم او مصدرية اي بسبب حفظهن حدود الله واوامره فان المرأة لولا انها تحاول
رعاية تكاليف الله وتجتهد في حفظ اوامره والا لما اطاعت زوجها ثم ذكر غير الصالحات منهن فقال واللاتي تخافون نشوزهن تعرفون بالقرائن والامارات نشوزهن عصيانهن
والترفع عليكم بالخلاف من نشز الشيء ارتفع ومنه نشز للارض المرتفعة فعظوهن وهو ان يقول اتقي الله فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي
عليك فرض ونحو ذلك واهجروهن في المضاجع اي في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع اي بيوتهن التي
يبيتن فيها اي لا تبايتوهن وفي ضمن الهجران الامتناع من كلامها ولكن ينبغي ان لا يزيد في هجره الكلام على ثلث فاذا هجرها في المضجع فان كانت تحب الزوج شق ذلك
عليها فتركت النشوز وان كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران فكان ذلك دليلا على كمال نشوزها فيباح الضرب وذلك قوله واضربوهن والاولى ترك الضرب
لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا تضربوا اماء الله فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النساء على ازواجهن اي اجترأن فرخص في ضربهن فاطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير
يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم ومعناه ان الذين ضربوا ازواجهم ليسوا خيرا ممن لم يضربوا
واذا ضربها وجب ان لا يكون مفضيا الى الهلاك البتة وان يكون مفرقا على بدنها لا يوالي به في موضع واحد ويتقي الوجه لانه مجمع المحاسن وان يكون دون الاربعين
وقيل دون عشرين لانه حد كامل في شرب العبد ومنهم من لا يرى الضرب بالسياط ولا بالعصا وبالجملة فالتخفيف مرعي في هذا الباب ولهذا قال عطاء يضربها
بالسواك فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين وقال اخرون هذا الترتيب مرعي عند خوف النشوز
فاما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع بين الكل وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالاذى والتوبيخ واجعلوا
ما كان منهن كان لم يكن ان الله كان عليا لا بالجهة كبيرا لا بالجثة فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على ازواجكم وان عفا عنكم روي ان ابا مسعود
الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام وفيه انه مع علو وكبر سلطانه



يغصونه فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو اذا رجع الجاني عليكم او انه مع علوه وكبريائه لا يكلفكم الا ما تطيقون فكذلك لا تكلفوهن محبتكم فانهن لا يقدرن
على ذلك او انه مع علو شانه وكبريائه يكتفي من العبيد بالظواهر ولا يهتك السرائر فانتم اجدر بان لا تفتشوا عما في قلبها من الحب والبغض اذا صلح حالها في الظاهر
او انهن ان ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم فالله تعالى قادر قاهر ينتصف لهن منكم ثم بين انه ليس بعد الضرب الا التحاكم فقال وان خفتم قال
ابن عباس اي علمتم وذلك لاصرارهما على النشوز وحينئذ لم يبق الا الوعظ والهجران والضرب اعترض عليه الزجاج بانه اذا علم الشقاق قطعا فلا حاجة الى
الحكمين واجيب بان الشقاق معلوم الا انا لا نعلم ان سبب الشقاق منه او منها فالحاجة الى الحكمين لهذا المعنى او نقول المراد اذا الشقاق في الاستقبال ومعنى
شقاق بينهما شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع وهو اجراء الظرف مجرى المفعول به او على جعل البين مشاقا فالمعنى مثل نهاره صائم والضمير
للزوجين يدل عليهما مساق الكلام او ذكر الرجال والنساء فابعثوا حكما من اهله رجلا مقنعا يرضى بصلح الحكومة الاصلاح بينهما ويهتدي الى المقصود من البعث
ولا بد فيه من العقل والبلوغ والحرية والاسلام ويستحب ان يكون الحكمان من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن احوالهما وتسكن اليهما نفوس الزوجين
فيبرزان لهما ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات كل من الامرين وينبغي ان يخلو حكم الرجل بالرجل وحكم المرأة بالمرأة فيتعرفا ما عندهما
وما فيه رغبتهما واذا اجتمعا لم يخف احدهما على الاخر ما علم ثم المبعوثان وكيلان من جهة الزوجين او موليان من جهة الحكام المخاطبين بقوله فابعثوا فيه للشافعي
قولان اصحهما وبه قال ابو حنيفة واحمد انهما وكيلان لان البضع حق الزوج والمال حق الزوجة وهما رشيدان والخطاب في قوله فان خفتم شقاق فابعثوا للحكام
لانه لا يجري مجرى دفع الضرر فلكل احد ان يقوم به وثانيهما وبه قال مالك انهما موليان لانه تعالى سماهما الحكمين ولما روي ان عليا بعث حكمين من زوجين
فقال اتدريان ما عليكما ان رايتما ان تجمعا ان تجمعا وان رايتما ان تفرقا ان تفرقا وعلى الاول يوكل الرجل الذي هو من اهله بالطلاق وبقبول العوض في الخلع
والمرأة الاخر ببذل العوض وقبول الطلاق ولا يجوز بعثهما الا برضاهما فان لم يرضيا ولم يتفقا على شيء ادب القاضي الظالم واستوفى حق المظلوم وعلى الثاني لا
يشترط رضى الزوجين في بعث الحكمين ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فيه وجوه الاول ان يريد الحكمان خيرا يوفق الله بين الحكمين حتى يتفقا على ما هو خير الثاني
ان يريد الزوجان اصلاحا ابدل الله الزوجين بالشقاق وفاقا الثالث ان يريد الحكمان صلاحا يوفق الله بين الزوجين الرابع ان يريد الزوجان خيرا يوفق الله بين
الحكمين حتى يتفق كلمتاهما ويحصل الغرض والتوفيق جعل الاسباب موافقة للغرض ولا يستعمل الا في الخير والطاعة وفيه ان من لا يتم شيء من الاغراض الا بتوفيق
الله تعالى وتيسيره ان الله كان عليما خبيرا فيوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين بمقتضى علمه وارادته وفيه وعيد للزوجين والحكمين في سلوك ما يخالف
طريق الحق ووعد على الجد في حسم مادة الخصومة والخشونة ثم ارشدنا الى مجامع الاخلاق الحسنة بقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان من عبد الله
واشرك به شيئا اخر فقد حبط عمله وضل سعيه وبالوالدين احسانا فاتقدره واحسنوا بهما احسانا يقال احسن بفلان والى فلان وبذي القربى واليتامى والمساكين
وقد مر تفاسيرها في البقرة قال ابو بكر الرازي ان اضطر الى قتل ابيه بان يخاف ان يقتله ان ترك قتله جاز له ان يقتله والجار ذي القربى الذي قرب جواره
والجار الجنب الذي بعد جواره عن النبي ﷺ لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوائقه الاولى الجوار اربعون دارا وعن الزهري انه اراد اربعين من كل جانب
وقيل الجار ذي القربى الجار القريب النسب والجار الجنب الاجنبي والتركيب يدل على البعد ومنه الجانبان للناحيتين والجنبان لبعد كل منهما عن الاخر
ومنه الجنابة لبعده عن الطهارة وعن حضور الجماعة والمسجد ما لم يغتسل ومن قرا الجنب فمعناه المجنوب مثل خلق بمعنى مخلوق والمراد ذي الجنب فحذف
المضاف والصاحب بالجنب هو الذي حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او في
مسجد وغير ذلك من ادنى صحبة التقت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة فانها تكون
معك وتضطجع الى جنبك وابن السبيل المسافر الذي انقطع عن بلده او الضيف وما ملكت ايمانكم عن علي بن ابي طالب انه كان اخر كلام رسول الله
وما ملكت ايمانكم وذكر اليمين تاكيد كما يقال مشت رجلي والاحسان اليهم ان لا يكلفهم فوق طاقتهم ولا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة
جميلة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يليق بحالهم في كل وقت كانوا في الجاهلية يسيئون الى المملوك فيكلفون الاماء البغاء وهو الكسب بفروجهن
ويضعون على العبيد الخراج الثقيل وقيل كل حيوان فهو مملوك والاحسان الى كل نوع بما يليق بحاله طاعة عظيمة ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا تياها
جهولا يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه وعن الالتفات الى حالهم والتفقد لهم والتحفي بهم ويانف من اقاربه اذا كانوا فقراء ومن جيرانه اذا كانوا
ضعفاء واصله من الخيلاء الكبر والفخور المتطاول الذي يعدد مناقبه وعن ابن عباس هو الذي يفخر على عباد الله تعالى بما اعطاه من انواع نعمه ولعل
هذا يجوز على سبيل التحدث بالنعمة فقط الذين يبخلون البخل في اللغة منع الاحسان وفي الشرع منع الواجب وفيه اربع لغات البخل مثل الفقر والبخل بضم
الباء وسكون الخاء وبضمهما وبفتحهما وسبب النظم ان الاحسان الى المذكورين انما يكون في الاغلب بالمال فذم المعرضين عن ذلك الاحسان
لحب المال ويحتمل ان يشمل البخل بالعلم ايضا اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم مقتا للسخاء وهذه نهاية البخل وفي امثالهم ابخل من الضنين بنائل
غيره وقلعا بهم يكتمون نعمة الله وما اتيهم من فضل الغنى حتى اوهموا الفقر مع الغنى والاعسار مع اليسار والعجز مع الامكان فخالفوا سنة نبي الله ﷺ
حيث قال ان الله تعالى يحب ان يرى على عبده اثر نعمته وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى
اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه ثم ان هذا الكتمان قد يقع على وجه يوجب الكفر مثل ان يظهر الشكاية من الله تعالى
ولا يرضى بقضائه فلذلك قال واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ويحتمل ان يراد كافر النعمة لا كافر الايمان وقال ابن عباس ان الاية في اليهود كانوا يأتون

قوله فلان بين الجناب اي بعيد

اقتضى تخصيص



رجاء الامن لا انفسنا يخالطونهم وينتصحون لهم يقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وبقاؤهم كتموا صفة محمد لم يبينوها
للناس ثم شاركهم الذين لا ينفقون اموالهم عطف عليهم الذين ينفقون اموالهم ولكن رئاء وفخارا وليقال ما اسخاه وما اجوده لا ابتغاء وجه الله وفى
هذا الانفاق دليل على انه لا يؤمن بالله واليوم الآخر ولا انفق لله وللآخرة ومن يكن الشيطان له قرينا فى الدنيا امرا بالبخل والرياء فساء قرينا فى الآخرة
يقرن به فى النار ثم استفهم على سبيل الانكار فقال وماذا عليهم اى وما الذى عليهم فى باب الايمان والانفاق فى سبيل الله والمراد التوبيخ فكل منفعة فى ذلك
كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وكان الله بهم عليما بعث على اصلاح افعال القلوب التى يطلع عليها علام الغيوب
وردع عن دواعى النفاق والرياء والسمعة والفخار احتج القائلون بان الايمان يصح على سبيل التقليد بان قوله وماذا عليهم لو آمنوا مشعر بان الاتيان
بالايمان فى غاية السهولة والاستدلال فى غاية الصعوبة واجيب بان الصعوبة فى الايمان بالاستدلال التفصيلى لا الاجمالى وقال الجمهور والمعتزلة لو كانوا
غير قادرين لم يقل وماذا عليهم كما لا يقال للمرأة ماذا عليها لو كانت رجلا وللقبيح ماذا عليه لو كان جميلا واجيب بعدم التحسين والتقبيح العقليين وانه لا يسئل
عما يفعل ثم رغب فى الايمان والطاعة فقال ان الله لا يظلم مثقال ذرة والمثقال مفعال من الثقل كالميزان من الوزن والذرة النملة الصغيرة وعن ابن
عباس انه ادخل يده فى التراب ثم رفعها ثم نفخ فيها ثم قال كل واحد من هذه الاشياء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء فى الكوة ذرة وانتصاب مثقال على انه مفعول
ثان اى لا ينقص الناس مثقال ذرة او على المصدر اى ظلما قدر مثقال ذرة واذا نفى الظلم راسا الا انه اخرج الكلام على اصغر المتعارف وهذه الآية مما يتمسك
به المعتزلة فى انه تعالى غير خالق لاعمال العباد والا كان ظلمهم منسوبا اليه وفى ان العبد يستحق الثواب على طاعته والا كان منعه عنه ظلما واجيب بانه اذا
كان متصرفا فى ملكه كيف شاء فلا يتصور منه ظلم اصلا وقد يحتج الاصحاب ههنا على صحة مذهبهم فى عدم الاحباط بان عقاب شرب قطرة من الخمر لو كان مزيلا
لطاعات سبعين سنة كان ظلما وفى عدم وعيد الفساق بان عقاب شرب جرعة من الخمر لو كان دائما مخلدا لزم ابطال ثواب ايمان سبعين سنة وهو ظلم
ثم قال وان تك حسنة حذفت النون من هذه الكلمة بعد سقوط الواو بالتقاء الساكنين لاجل التخفيف وكثرة الاستعمال ومن قرأ حسنة بالرفع فعلى كان التامة ومن
قرأ بالنصب فالتانيث فى ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث والمراد بالمضاعفة ليس هو المضاعفة بالمدة لان مدة الثواب غير متناهية وتضعيف غير
المتناهى محال بل المراد المضاعفة بحسب المقدار كان يستحق عشرة اجزاء من الثواب فيجعله عشرين او ثلثين عن ابن مسعود انه قال يؤتى بالعبد يوم القيمة
وينادى مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له اعط هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب من اين وقد
ذهبت الدنيا فيقول الله لملائكته انظروا فى اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقى مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وادخله الجنة بفضل رحمته
ومصداق ذلك فى كتاب الله وان تك حسنة يضاعفها قال الحسن لو صار المضاعفة احب عند العلماء مما لو قال فى الحسنة الواحدة مائة الف حسنة لان
هذا يكون مقداره معلوما اما على هذه العبارة فلا يعلم كنهه الا الله تعالى وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها فى الدنيا
ويجزى بها فى الآخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله فى الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها اما قوله ويؤت من لدنه اجرا
عظيما فان لدن بمعنى عند الا ان لدن اكثر تمكنا يقول الرجل عندى مال ان كان ماله ببلد آخر ولا يقول لدى مال الا اذا كان بحضرته والمعتزلة حملوا
المضاعفة على القدر المستحق وهذا الثانى على الفضل التابع للاجر ويمكن ان يقال الاول اشارة الى السعادات الجسمانية والثانى اشارة الى الذات
الروحانية والله اعلم التأويل جملة الكبائر مندرجة تحت ثلث احدها اتباع الهوى ويتشأ منه البدع والضلالات وطلب الشهوات وحظوظ النفس
وترك الطاعات وثانيها حب الدنيا ويتشعب منه القتل والظلم واكل الحرام وثالثها رؤية غير الله وهو الشرك والرياء والنفاق وغيرها ثم اخبر ان
الدين ليس بالتمنى فقال ولا تتمنوا فانه لا يحصل بالتمنى ولكن للرجال المجتهدين فى الله نصيب مما جدوا فى طلبه وللنساء وهم الذين يطلبون من الله غير الله نصيب
على قدر هممهم فى الطلب واسئلوا الله من فضله وفيه معنيان سلوه من فضله الخاص وهو العلم اللدنى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما او سلوه
منه ولا تسئلوا منه غيره ولكل جعلنا موالى لكل طالب صادق جعلنا استعدادا فى الازل للوراثة مما ترك الوالدان وهو طلبه لعلم الاستعداد والمشيئة
والذين جرى بينكم وبينهم عقد الاخوة فى الله فاتوهم بالنصح وحسن التربية والتسليك نصيبهم الكامل فلذلك الرجال قوامون على النساء بمصالح دينهن ودنياهن
بما فضل الله وهو استعداد الخلافة والوراثة وبما انفقوا من اموالهم اى بتجريدهم عن الدنيا وتفريدهم للمولى فالصالحات اللائى يصلحن للكمال قانتات مطيعات
لله لهن قلوب حافظات للواردات الغيبية بما حفظ الله عليهن حقائق الغيب واسراره واللاتى تخافون نشوزهن اذا وردت عليهن كؤس الواردات كما قيل شعر
فاسكر القوم دور كاس وكان سكرى من المدير فعظوهن باللسان وخوفوهن بالهجران لتاديب السكران واضربوهن بسطوة الانفصال وفراق الاخوان
كما كان حال الخضر مع موسى حيث قال هذا فراق بينى وبينك هذا قانون ارباب الكمال اذا وامثل الارادة مادامت الملال وعرته من غلبات الاحوال
وان خفتم شقاق بينهما الشيخ الواصل والمريد المتكامل فابعثوا متوسطين من المشايخ الكاملين من السالكين المعتبرين ان يريدا اصلاحا يصلحان بما دابا فيه
صلاحهما يوفق الله بينهما بالارادة وحسن التربية واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا من الدنيا والعقبى لتتخلقوا باخلاق الله وتحسنوا الى الوالدين عبر بهما
احسانا بلا شرك وريا وتحرز وحبلا. والله ولى التوفيق

فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ
پس چگونه است حال چون بیاوریم از هر طائفه گواهی را و بیاوریم ترا بر اینگروه گواه درآنروز

يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين ع
دوست دارند آنان که کافر شدند و کردند پیغمبر اگر درست کرده شد باایشان زمین و پنهان نمیدارند از خدا سخنی را ای زمره آنانکه

اى فمضرة ووباله عليهم

آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا

گرویده اید نزدیک مشوید نماز را و حال آنکه شما مستانید تا بدانید آنچه را که میگوئید و نه در جنابت مگر گذر کنندگان راه تا وقتی که غسل کنید

وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا

و اگر بوده باشید ناخوشان یا در سفر یا بیاید یکی از شما از قضاء حاجت یا که مباشرة کنید زنان را پس نیافتید آبی را پس تیمم

صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا

خاک را پاکیزه پس مسح کنید روهای خودتان و دستهای خود را بدرستی که خدا میباشد درگذرنده آمرزنده آیا ندیدی آنهائی را که داده شده بهره

مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

از کتاب که میخرند شان گمراهی و میخواهند گمراه شوید راه را و خدا داناتر است بدشمنان شما و بس است خدا دوستی

وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ

یاری از آنان که یهود شدند آنان تغییر دهند کلمات را از جای خود و میگویند که شنیدیم فرمان را و سرپیچیدیم و بشنو بی آنکه شنوانیده شوی

وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ

و راعنا بکش برای پیچیدن زبانهای ایشان و طعن در دین و اگر چنانچه ایشان گفتندی شنیدیم و اطاعت کردیم و بشنو و نظر کن ما را هرآینه بود

خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

بهتر است برای ایشان و درست‌تر و لکن دور کرد ایشان را خدا بکفرشان پس ایمان نیاورند مگر کمی ای زمره آنهائی که داده شده اید کتاب را

آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا

بگروید بآنچه فرو فرستادیم تصدیق کننده مر آنچه با شماست پیش از آنکه محو کنیم روها را پس برگردانیم آنها را بر پشتها یا که دور کنیم ایشان را از رحمت خود چنانکه دور کردیم

أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ

اصحاب سبت را و میباشد فرمان خدا کرده شده بدرستی که خدا نمی آمرزد که شرک آورده شود باو و میآمرزد آنچه غیر از اینست از برای آنکه خواهد

وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ

و هر که شرک آورد بخدا پس بتحقیق که افترا کرده گناهی بزرگ را آیا نمی‌نگری بآنهائی که پاک میشمارند نفسهای خود را بلکه خدا پاک کند آنرا که خواهد و ستم کرده نشوند

فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ

بقدر رشته خرما بنگر که چگونه می‌بندند بر خدا دروغ را و بس است باو گناهی هویدا آیا ندیدی آنها را که داده شده بهره از کتاب

يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ

میگروند بجبت و طاغوت و میگویند مر آنها را که کافر شدند که ایشان راه‌یافته‌ترند از آنها که گرویدند راه را آن گروه

الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾

آنانند که لعن کرد ایشان خدا و آنرا که لعن کند خدا پس هرگز نیابی از برای او یاوری یا مر ایشان راست بهره از پادشاهی پس در آنوقت نمیدهند مردمان را بقدر نقیر

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا

یا حسد میبرند مردمان را بر آنچه که داد ایشان را خدا از فضل خود پس بتحقیق که دادیم آل ابراهیم را کتاب را و نبوت را و دادیم ایشان را پادشاهی

عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ

بزرگ را پس از ایشان کسی است که گروید بآن و از ایشان کسی که بازایستاد از آن و بس است جهنم آتش افروخته بدرستی آنها که کافر شدند بآیات ما زود باشد که درآوریم ایشان را

نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا

در آتش که هر چند بسوزد پوستهاشان بدل کنیم پوستهای دیگر غیر از آن تا بچشند عذاب را بدرستی که خدا میباشد غالب درستکار و آنانکه گرویدند

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ

و کردند شایسته زود است که داخل کنیم ایشان را در بهشتها که روانست از زیر آنها جوها جاویدان در آن همیشه مر ایشان راست در آن زنهای پاکیزه

وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

و در آوریم ایشان را در سایه گسترده

القراءة تسوّی بادغام تاء التفعل فی السین ابو جعفر و نافع و ابن عامر تسوی بالامالة و حذف التاء الاولی حمزة و علی و خلف الباقون تسوی مبنیا للمفعول من التسویة لمستم من اللمس و کذلک فی المائدة حمزة و علی و خلف و المفضل الباقون لامستم من الملامسة فتیلا انظر بکسر التنوین ابو عمرو و سهل و یعقوب و حمزة و عاصم و ابن ذکوان الباقون بالضم و فرق بعضهم بین موضع الخفض فلم یجوز الضم کراهة الانتقال من الکسر الی الضم نحو منیبا ادخلوا و خبیثة اجتثت و عذاب ارکض و اشباه ذلک نضجت جلودهم و بابه مدغما حمزة



وعلي وخلف وهشام وابو عمرو الوقوف شهيدا ط الارض حديثا ط تغتسلوا وايديكم ط غفورا السبيل ط باعدائكم ط نصيرا في الدين ط اوهم ط لا قليلا ه السبيل ط مفعولا ه
لمن يشاء ج عظيما ه يزكون انفسهم ط فتيلا ه الكذب ط مبينا ه سبيلا ه ربع الجزء لعنهم الله ط نصيرا ه لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار نقيرا ه للعطف من فضله ج لتناهي الاستفهام مع
تفنن الفاء عظيما ه صد عنه ط سعيرا ه نارا ط العذاب ط حكيما ه ابدا ط مطهرة ز لاستيناف الفعل على انه من تمام المقصود ظليلا ه التفسير انه سبحانه لما اوعد الظالمين بقوله
ان الله لا يظلم مثقال ذرة ووعد المطيعين بقوله وان تك حسنة يضاعفها اراد ان يبين ان ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله حجة على الخلق ليكون
الالزام اتم والتبكيت اعظم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود اقرأ القرآن علي قال فقلت يا رسول الله انت الذي علمتنيه فقال احب ان اسمعه من غيري قال ابن
مسعود فافتتحت سورة النساء فلما انتهيت الى هذه الاية قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قال العلماء انه بكاء فرح لما شرفه الله تعالى
بكونه مقبول الشهادة على الخلائق والمعنى كيف يصنع هؤلاء الذين شاهدتهم وعرفت احوالهم من مردة الكفر كاليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم
بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا ثم وصف ذلك اليوم فقال يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول قيل هذه الجملة معترضة والمراد وقد
عصوا والظاهر ان الواو للعطف وح يقتضي كون عصيان الرسول مغايرا للكفر لان عطف الشيء على نفسه غير جائز فاما ان يحمل الكفر على نوع منه وهو الكفر بالله
او يقال انه عام وافرد ذكر شيء منه اظهارا لشرف الرسول وتعظيما لشانه الجدير به او يحمل عصيان الرسول على المعاصي المغايرة للكفر فيكون في الاية دلالة على ان
الكفار مخاطبون بفروع الشرائع ومعنى لو تسوى لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا او انهم لم يخلقوا وانهم كانوا و
الارض سواء او يصير لهم ترابا فيودون حالها كقوله ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اما قوله ولا يكتمون الله حديثا فاما ان يتصل بما قبله والواو للعطف
اي يودون لو انطبقت عليهم الارض ولم يكونوا كتموا امر محمد ولا كفروا به ولا نافقوا او للحال والمراد ان المشركين لما رأوا يوم القيمة ان الله يغفر لاهل الاسلام
دون اهل الشرك قالوا تعالوا فلنجحد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر الله لهم فيختم على افواههم وتتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يعملون فهنالك
يودون انهم كانوا ترابا ولم يكتموا الله حديثا واما ان يكون كلاما مستانفا فان ما عملوه ظاهر عند الله فكيف يقدرون على كتمانه وان قصدوه او تمنوه
ثم اتبع وصف اليوم كيفية الصلوة التي هي سنام الطاعات واعظم المنجيات فقال يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وقد مر سبب نزوله
في البقرة وفي لفظ الصلوة ههنا قولان احدهما ان المراد منه المسجد وهو قول ابن عباس وابن مسعود والحسن واليه يذهب الشافعي والتقدير بحذف المضاف اي لا تقربوا
موضع الصلوة وثانيهما وعليه الاكثرون ان المراد نفس الصلوة اي لا تصلوا اذا كنتم سكارى ومعنى الاية على القول الاول لا تقربوا المسجد في حالتين احديهما
حالة السكر وذلك ان جمعا من اكابر الصحابة قبل تحريم الخمر كانوا يشربونها ثم ياتون المسجد للصلوة مع الرسول فنهوا عن ذلك لان الظاهر ان الانسان اذا اتى
المسجد فانما ياتيه للصلوة ولا شك ان الصلوة فيها اقوال مخصوصة يمنع السكر منها وثانيهما حالة الجنابة واستثنى من هذه الحالة حالة العبور اي الاجتياز
في المسجد بان كان الطريق الى الماء فيه او كان الماء فيه ووقع الاحتلام فيه والمعنى على القول الثاني النهي عن الصلوة في حالتين الاولى حالة السكر ايضا الا اذا علموا ما يقولون
ومعنى قربان الصلوة غشيانها والقيام اليها والثانية حالة الجنابة ويستثنى منها حالة عبور السبيل ويراد به في هذا القول السفر اي لا تقربوا الصلوة
في حالة الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر ويجوز ان يكون الا عابري سبيل صفة لقوله جنبا اي لا تقربوها جنبا غير عابري سبيل
اي جنبا مقيمين وانما استثنى حالة المسافرة لما يجيء من تفصيل منها وهو ان المسافر اذا اجنب ثم لم يجد الماء تيمم وصلى مع الجنابة ويرد عليه ان الجنب
المقيم ايضا اذا عجز عن استعمال الماء لمرض او برد يجوز له التيمم والصلوة على الجنابة اللهم الا ان يقال ان عذر السفر اعم واغلب فلهذا خصص بالذكر ولا وسكارى
جمع سكران وقوله وانتم سكارى في محل النصب على الحال ولهذا عطف عليه قوله ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى
مجرى المصدر الذي هو الاجتناب وخالف الضحاك جمهور الصحابة والتابعين فقال ان السكر ههنا يراد به غلبة النوم ويؤيده الاشتقاق فان السكر
عبارة عن سد الطريق ومنه سكر البثق لسد الطريق والسكر في الشراب هو ان ينقطع عما عليه من المضاء في حال الصحو فعند النوم يمتلئ مجاري الروح من الابخرة
الغليظة فينسد تلك المجاري بها ولا ينفذ الروح الباصر والسامع الى ظاهر البدن والجواب ان لفظ السكر حقيقة في السكر من الخمر والاصل في الاطلاق الحقيقة
ومتى يستعمل مجازا فانما يستعمل مقيدا كقولهم وجاءت سكرة الموت وترى الناس سكارى وايضا جميع المفسرين على انها نزلت في شرب الخمر وسبب النزول
يمتنع ان لا يكون مرادا من الاية ثم على قول الجمهور يمكن ادعاء النسخ في الاية بانه انما نهى عن قربان الصلوة حال السكر ممدودا الى غاية ان يصير بحيث يعلم ما يقول
والحكم الممدود الى غاية يقتضي انتهاء ذلك الحكم عند تلك الغاية فهذا يقتضي جواز الصلوة مع السكر اذا كان بحيث يعلم ما يقول وجواز الصلوة مع هذا السكر
يوهم جواز هذا السكر لكنه تعالى حرم الخمر في اية المائدة على الاطلاق فيكون ناسخا لبعض مدلولات هذه الاية ومن قال ان مدلول الكلام يرجع الى النهي عن شرب
الخمر بانه عند القرب من الصلوة وتخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه فلا يكون منسوخا يكذبه ان الصحابة لم يفهموا منها التحريم المطلق وكانوا لا
يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون الى ان نزلت اية المائدة فقالوا انتهينا
يا رب والتحقيق فيه ان النهي عن مباح الاصل في وقت ما او بوجه ما وان كان لا يدل على تحريمه ولا على اباحته في غير ذلك الوقت وبغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة
في غير ذلك الوقت وبغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة راجح بحكم الاصل فيغلب على الظن ذلك كما فهمه الصحابة ثم انه تعالى ذكر حكم المعذورين في حال الحدث فخص
اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة والمعنى
ان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذا الذين هم على حالة السفر اذا عدموه لبعده ويحتمل ان يقال قوله فلم تجدوا ماء



ليس فيه داء في حكم المرضى لانهم في الرخصة وان وجدوا ماء ثم عمم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف سبع او عدو او عدم آلة استقاء او لمحبس في مكان لا ماء
فيه او غير ذلك من الاسباب التي لا يكثر كثرة المرض والسفر ويراد بالمرض ما يخاف معه محذورا كبطؤ برء وشين فاحش ظاهر بقول طبيب مقبول الرواية الا ان يتأ
ولا يخاف روى ان بعض الصحابة اصابته جنابة وكان به جراحة عظيمة فسئل بعضهم فلم يفته بالتيمم فاغتسل فمات فسمع النبي فقال قتلوه قتلهم الله فقال مالك
وداود يجوز له التيمم بجميع انواع المرض وبمعنى المرض البرد المؤدي الى المرض لو استعمل الماء كما من حديث عمرو بن العاص في تفسير قوله ولا تقتلوا انفسكم والسفر يعم
الطويل والقصير عند مسافة القصر وما دونها للاطلاق قوله او على سفر والغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان كان الرجل اذا اراد قضاء الحاجة
طلب غائطا من الارض يغيبه فيه عن اعين الناس فكنى به عن ذلك واكثر العلماء الحقوا بالغائط كل ما يخرج من السبيلين من معتاد او نادر اما اللمس والملامسة
ففيه قولان احدهما ان المراد به التقاء البشرتين بجماع او بغيره كما هو مقتضى اللغة وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي واليه ذهب الشافعي وثانيهما المراد
به الجماع وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ومذهب ابي حنيفة والشيعة لما ورد في القرآن بطريق الكناية وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فتحرير
رقبة من قبل ان يتماسا عن ابن عباس ان الله حيي كريم يعف ويكني يعبر عن المباشرة بالملامسة وايضا ليشمل الاية الحدثين الاصغر والاكبر ثم على مذهب الشافعي
قال بعض اهل الظاهر انما ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لقوله او لمستم والصحيح انه ينتقض وضوؤهما معا لاشتراك اللامس والملموس في ابتغاء اللذة قوله فلم تجدوا ماء
قال الشافعي اذا دخل وقت الصلوة فطلب الماء ولم يجد فتيمم وصلى ثم دخل وقت الصلوة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى لان عدم الوجدان مشعر بسبق الطلب
فلا بد في كل مرة من سبق الطلب قال ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب قوله ولم تجدوا عدم وسبق الطلب في حقه تعالى محال واجيب بانه من الكلام على المجاز لما الغير كانه
طلب شيئا ثم لم يجده واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه احتاج اليه لعطشه او لعطش حيوان محترم معه جاز له التيمم لو وجد من الماء ما لا يكفيه فالاصح عنده لانه
انه يستعمله او يصبه ثم يتيمم ليكون عاملا بعموم الاية والتيمم في اللغة القصد والصعيد التراب بمعنى فاعل قال ثعلب والزجاج انه وجه الارض ترابا كان
او غيره ومن هنا قال ابو حنيفة اذا كان صخرا لا تراب عليه فضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا وقال الشافعي لا بد من تراب ليتحقق مفهوم الصاعد عليه
وليلتصق بيده فيمكن المسح ببعضه كما جاء في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ولا يفهم من قول القائل مسحت برأسي من الدهن الا معنى التبعيض
ولان الصعيد وصف بالطيب والطيب هو مسح الوجه والبلد الذي يحمل الانبات لقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ولانه خصص التراب بهذا المعنى
فقال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا اما مسح الوجه واليد فعن علي وابن عباس اختصاص المسح بالجبهة وظاهر الكفين وقريب منه مذهب مالك
لان المسح يكتفى فيه باقل ما يطلق عليه اسم المسح وقال الشافعي وابو حنيفة يستوعب الوجه واليدين الى المرفقين كما في الوضوء وعن الزهري الى الآباط لان
اليد حقيقة لهذا العضو الى الابط ثم ختم الاية بقوله ان الله كان عفوا غفورا وهو كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان عادته العفو عن المذنبين
كان اولى بان يرخص للعاجزين عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله
على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله واضع رأسه على فخذي قد نام فقال احبست رسول الله والناس
معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول فجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله على
فخذي فنام رسول الله حتى اصبح على غير ماء فانزل الله آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن الحضير وهو احد النقباء ما هي باول بركتكم يا آل ابي بكر قالت عائشة
فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته ثم انه سبحانه لما ذكر من اول السورة الى ههنا احكاما كثيرة عدل الى ذكر طرف من آثار المتقدمين واحوالهم
لان الانتقال من اسلوب الى اسلوب مما يزيد السامع هزة وجدة فقال الم تر الى الذين اي الم ينته علمك او الم تنظر الى من اوتوا حظا من علم التورية وهم احبار
اليهود وانما ادخل من التبعيضية لانهم عرفوا من التورية نبوة موسى ولم يعرفوا منها نبوة محمد فاما الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه فقد وصفهم
بان معهم علم الكتاب في قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب لانهم عرفوا الامرين جميعا يشترون الضلالة يختارونها وهذا لان
من اشترى شيئا فقد آثره واختاره قال الزجاج والمراد تكذيبهم الرسول لاغراضهم الفاسدة من اخذ الرشى وحب الرياسة وقيل المراد يستبدلون الضلالة
وهي البقاء على اليهودية بالهدى وهو الاسلام بعد وضوح الآيات على صحته ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه ولا اقبح ممن جمع بين
هذين الامرين الضلال والاضلال عن ابن عباس ان الاية نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه فيثبطانهم عن الاسلام
وقيل المراد عوام اليهود كانوا يعطون احبارهم بعض اموالهم لينصروا اليهودية فكأنهم اشتروا بها لهم الشبهة والضلالة والله اعلم منكم باعدائكم لانه عالم
بكنه ما في صدورهم من الحنق والغيظ فاذا اطلعكم على احوالهم فلا تستنصحوهم في اموركم واحذروهم وكفى بالله وليا متوليا لامور العبد وكفى بالله نصيرا
فثقوا بولايته ونصرته دونهم وكرر كفى ليكون اشد تاثيرا في القلب واكثر مبالغة وتكون الباء في الفاعل ايذانا بان الكفاية من الله ليست كالكفاية
من غيره فكانت الباء للسببية وقال ابن السراج التقدير كفى اكتفاؤك بالله وقيل فائدة الباء وهي للالصاق ان يعلم ان هذه الكفاية صدرت من الله بغير
واسطة قوله من الذين هادوا اما بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله والله اعلم الى آخر الاية معترضات بين البيان والمبين واما بيان لاعدائكم والجملتان بينهما
معترضتان واما صلة نصيرا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا واما كلام مستأنف على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا
قوم يحرفون الكلم عن مواضعه قال الواحدي الكلم جمع حروفه اقل من حروف واحده وكل جمع يكون كذلك فانه يجوز تذكيره ومعنى هذا التحريف استبدال
لفظ مكان لفظ كوضعهم آدم طوال مكان اسم ربعة وجعلهم الحد بدل الرجم واخبر عن الدلالة على الامالة والازالة واما في المائدة فقيل من بعد مواضعه

الآدم اسم للجميع تمه

نظر إليه أو الكلم كانت لهم مواضع هو فيها بأن يكون فيها حرفوه وتركوه كالغريب الذي لا موضع له وقيل المراد بالتحريف إلقاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة
كما يفعله في زماننا أهل البدعة وحمل بعض العلماء هذا القول صحيح لاستبعاد تحريف المشهور المتواتر لكن دعوى التواتر بشرطه في التورية ممنوعة وقيل
كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن أمر فيخبرهم به فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه ومن جملة تحريفاتهم أنه كان إذا أمرهم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا
وفي الباطن عصينا أو كانوا يقولون كلا اللفظين ظاهرا إظهارا للعناد لمزيد الكفر والجحود ومنها قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع غير مسمع وهو كلام ذو وجهين
أما احتماله المدح فلقول العرب اسمع فلان فلانا إذا سبه وإذا كان المراد اسمع غير مسمع مكروها كان مدحا وتوقيرا وتعظيما وأما احتمال الذم فبأن يكون معناه
اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لأن من كان أصم فإنه لا يسمع فلا يسمع أو بأن يراد اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه أي غير مسمع جوابا يوافقك أو بأن يراد
اسمع غير مسمع كلاما ترضيه وعلى هذا يجوز أن يكون غير مسمع مفعول اسمع لا حالا من ضميره أي اسمع كلاما غير مسمع إياك لنبوه سمعك عنه ومنها
قولهم له راعنا وقد عرفت احتماله الاثنين في البقرة وإنما جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد نفيهم بالعصيان على وجه لأن المواجهة بالعصيان أهون خطبا في العرف
من المواجهة بالسب ودعاء السوء ولهذا كانت الكفرة يواجهونه بالأول دون الثاني ليًّا بألسنتهم مفعول لأجله أو مصدر لمحذوف أو ليقولون لأنه في معنى اللي
يقع وصيغة واو بدليل لويت فقلبت وادغمت والمعنى يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت
مكروها أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقا أو لعلهم كانوا يفتلون أشداقهم وألسنتهم عند ذكر هذا الكلام سخرية
وطعنا على عادة المستهزئين بغير الله ثم أنهم إنما يقدمون على هذه الأشياء طعنا في الدين في نبيه بدليل على ما كانوا يقولون فيما بينهم إنا نشتمه ولا يعرف
ولو كان نبيا لعرف بإظهار ذلك عليه فما يقلبه جعلوه طعنا في الدين لا لتركها طعن على صحته لأن الإخبار عن الغيب معجزة ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا بدل قولهم
سمعنا وعصينا إذ وضح لهم الآيات وتبين لهم البينات نكران بعدها واسمع بدل أن يقال اسمع غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم
وأقوم أعدل وأشد من قولهم ذلك وهو أي مستقيم ولكن لعنهم الله بكفرهم أي بسببه فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا أو هو إيمانهم بالله وبالتورية وببعض
الأنبياء دون سائر رسله أو إلا قليلا منهم آمنوا لأن قليلا مذكر في الجمع كقوله وحسن أولئك رفيقا أو أراد بالقلة العدم ثم زجرهم عن كفر الجحود وبعنادهم
بقوله يا أيها الذين أوتوا الكتاب الآية والطمس المحو يقال طمس الطريق طموسا درس ومطموس ممحو ومفازة طامسة الأعلام وطمست الكتاب محوته وهو في الآية حقيقة
أو مجاز قولان والمعنى على الأول محو تخطيط صورها وأشكالها من عين وحاجب وأنف وفم والقفاء في قرن ها على أدبارها أما للتسبيب ليجعل الوجوه
بسبب هذا الطمس على هيئة أقفائها مطموسة مثلها لأن الوجه إنما يتميز عن سائر الأعضاء بما فيه من الحواس والتخاطيط فإذا أزيلت صحت أن لم يبق
فرق بينها وبين القفا وأما للتعقيب على أن العقوبة شيئان أحدهما عقيب الأخرى الطمس ثم نكس الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام وإنما يكون
هذا عقوبة لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة كما أنه في حق أهل النار وأما من أوتي كتابه وراء ظهره على أن وجوههم مردودة إلى أقفائهم
فيدل له الكتابة وتقرأ من هنا أما المعنى على القول الثاني عن الحسن نطمسها بالهلاك ونردها بالخذلان على أدبارها أي على ضلالتها وشبهاتها
وذلك أن المتوجه إلى عالم الحس معرض عن عالم العقل وبقدر الإقبال على ذاك يحصل الإدبار عن هذا وقال عبد الرحمن بن زيد نردهم إلى حيث جاؤوا
منه وهي أذرعات الشام يريد إجلاء بني قريظة والنضير والطمس على هذا إما بقبيح الوجوه وإما إزالة آثارهم عن ديار العرب وقيل الطمس القلب
والتغيير والمراد بالوجوه رؤساؤهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم والضمير في قوله أو نلعنهم
إما للوجوه إن أريد بها الوجهاء وإما لأصحاب الوجوه لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات فإن قيل
فأين وقوع الوعيد قال الجواب أنه مشروط بعدم إيمان جميعهم ولكنه قد آمن ناس من علمائهم كعبد الله بن سلام وأصحابه حكي أنه لما نزلت هذه الآية أتى عبد الله بن
سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله وأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي وقيل إنه ما حصل الوعيد هو الطمس
بعينه بل إياه أو اللعن فإن كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو إجلاءهم إلى الشام فقد كان أحد الأمرين وإن كان غيره فقد حصل اللعن فإنهم ملعونون
بكل لسان واللعن الموعود ظاهره اللعن المتعارف لا المسخ وقيل هو منتظر ولهذا قيل وجوها منكرة دون وجوهكم ليشمل وجوها غير المخاطبين من أبناء
جنسهم ولا بد من مسخ وطمس لليهود قبل يوم القيامة وقيل إن قوله آمنوا تكليف متوجه عليهم في جميع مدة حياتهم فلزم أن يكون قوله من قبل أن نطمس وجوها
واقعا في الآخرة فالتقدير آمنوا من قبل أن يجيء الوقت الذي نطمس فيه وجوهكم وهو ما بعد الموت وكان أمر الله مفعولا لا راد لحكمه ولا يتعذر عليه
شيء يريد أن يفعله وهذا كما يقال في الشيء الذي لا يشك في حصوله هذا الأمر مفعول وإن لم يفعل بعد فإذا حكم بإنزال العذاب على قوم فعل ذلك البتة والمراد
بالأمر الشأن والفعل الذي تعلق إرادته به لا الأمر الذي هو أحد أقسام الكلام فلا يصح استدلال الجبائي بالآية على أن كلامه تعالى مفعول أي مخلوق ثم تبين أن
مثل هذا التهديد من خواص الشرك والكفر فقال إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية ولا نزاع أن اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع لاتصافهما بصفتهم ولأنه دل
على أن ما سوى الشرك مغفور واليهودية غير مغفورة بالإجماع ومن هنا قال الشافعي المسلم لا يقتل بالذمي لأن الذمي مشرك والمشرك مباح الدم هو ولكنه
لا يجب القصاص على قاتله ولا يتوجه النهي عن قتله ترك العمل بهذا الدليل في النهي فيبقى معمولا به في سقوط القصاص عن قاتله واستدلت الأشاعرة بالآية
على غفران صاحب الكبيرة قبل التوبة لأن ما دون الشرك يشمله والمعتزلة خصصوا الثاني لمن تاب كما أن الأول مخصص بالإجماع بمن لم يتب لو ادعى نظيره
قولك إن الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء والمعنى لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله والمشيئة تكون مصداق

العقلين



الفعلين المنفي والمثبت جميعاً لا انه تعالى شاء ان لا يثيب المشرك فلا يثيب عليه ولم يغفر له وان شاء ثاب على صاحب الكبيرة فيستوجب الغفران وذكر الواحدي في البسيط باسناده
عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس
بمحضر عمر انى لارجو كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر وعن ابن عباس لما قتل وحشي حمزة يوم احد وكانوا قد وعدوه الاعتاق
ان هو فعل ذلك ثم انهم ما وفوا بذلك ندم هو واصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ندمهم وانه لا يمنعهم من الدخول في الاسلام الا قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله
الها آخر فقالوا قد ارتكبنا كل ما في الآية فنزل قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقالوا هذا شرط شديد نخاف ان لا نقوم به فنزل ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته فنزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم فدخلوا عند ذلك في الاسلام ومن يشرك بالله فقد افترى اختلق
وافتعل اثما عظيما لانه ادعى ما لا يصح كونه عن ابن عباس في رواية الكلبي ان قوما من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء ذنب فقال
لا فقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار وما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وكانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فنزل فيهم الم تر الى الذين يزكون انفسهم ويدخل فيه كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل او قبول الطاعة و
الزلفى عند الله بل الله يزكي من يشاء وان تزكيته هي التي يعتد بها كما اخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله والله انى لامين في السماء امين في الارض وكفى باظهار المعجزات
على يده تزكية له وتصديقا لقوله ولا يظلمون فتيلا هو ما فتلت بين اصبعيك من الوسخ فعيل بمعنى مفعول ابن السكيت هو ما كان في شق النواة والضمير
للذين يزكون اي يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او لمن يشاء اي يثابون على زكائهم من غير نقص شيء من ثوابهم ثم عجب النبي صلى الله عليه وسلم عن فريتهم وادعائهم
زكاءهم ومكانتهم عند الله فقال انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اي بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم قال المفسرون خرج كعب
بن الاشرف وحيي بن اخطب في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول
الله فنزل كعب على ابي سفيان والآخرون في دور قريش فقال لهم اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم
ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما فذلك قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب لاهل مكة ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق
اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا
اهدى طريقا واقرب الى الحق نحن ام محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني
ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم
والله اهدى سبيلا مما هو عليه فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعبا واصحابه فلما رجع الى قومه قالوا له ان محمدا يزعم انه نزل فيك كذا وكذا
قال صدق والله ما حملني على ذلك الا بغضه وحسده وقد مر معنى الطاغوت في تفسير آية الكرسي واما الجبت ففي الصحاح انه كلمة تقع على الصنم والكاهن
والساحر ونحو ذلك وليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي وحكى القفال عن بعضهم ان اصله جبس فابدلت السين
تاء والجبس هو الخبيث الرديء وقال الكلبي الجبت في الآية هو حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف وكانت اليهود يرجعون اليهما فسميا بهذين الاسمين لسعيهما
في اغواء الناس واضلالهم فلا جرم جزاهم الله بقوله اولئك الذين لعنهم الله وبالحري ان جعلوا من هو اضل من النعام واقل من الانعام حيث فضلوا
معبوديهم الاصنام اهدى سبيلا وافضل حالا من الذين هم اشرف الانام لاختيارهم دين الاسلام الذي هو عبادة ذي الجلال والاكرام ومن
يلعن الله فلن تجد له نصيرا وعيد لهم بلزوم الابعاد والطرد ولصوق العار والصغار ووعد للنبي والمؤمنين بالاستيلاء والاستعلاء عليهم
الى يوم القيامة والخطاب في فلن تجد للنبي او لكل طالب غرض ثم لما وصفهم بالضلال والاضلال وصفهم بالبخل والحسد اللذين هما شر الخصال لان البخيل
يمنع ما اوتي من النعمة والحاسد يتمنى ان تزول عن الغير ما اوتي من الفضيلة وام قيل انها متصلة وقد سبقها استفهام في المعنى كانه لما حكى قولهم للذين كفروا
انهم اهدى سبيلا من المؤمنين قال امن ذلك يتعجب من قولهم ام لهم نصيب من الملك مع انهم لو كان لهم ملك لبخلوا باقل القليل وقيل الميم زائدة والتقدير الهم
والاصح انها منقطعة كانه لما تم الكلام الاول قال بل الهم نصيب من الملك ومعنى الآية انهم كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فابطل الله عليهم
قولهم وقيل كانوا يزعمون ان الملك يعود اليهم في آخر الزمان ويخرج من اليهود من يجدد ملكهم ودينهم فكذبهم الله وقيل المراد بالملك التمليك يعني انهم انما يقدرون
على دفع نبوتك لو كان التمليك اليهم ولو كان التمليك اليهم لبخلوا بالنقير والقطمير فكيف يقدرون على النفي والاثبات وقال ابو بكر الاصم كانوا اصحاب بساتين
واموال وكانوا في عز ومنعة كما يكون احوال الملوك ثم كانوا يبخلون على الفقراء باقل القليل فنزلت الآية فيهم وعلى هذا فانما يتوجه الانكار على انهم لا يؤتون احدا
مما يملكون شيئا وعلى الاقوال المتقدمة يتوجه الانكار على ان لهم نصيبا من الملك فكانه جعل بخلهم كالمانع من حصول الملك لهم فان البخل والملك لا يجتمعان
كما قيل بالبر يستعبد الحر والانسان عبيد الاحسان والبخيل ينفر الطباع عن الانقياد له فلا يتيسر له اسباب المملكة وان اجتمعت بالتدريج فسوف تضمحل وانما
اذن لدخول الفاء عليه وذلك ان ما بعد العاطف من تمام ما قبله ما بطل عمله بسبب ربط العاطف بعض الكلام ببعض فيجزم بتقدير فكانه معتمد فتح العائدة وارتفاع
الفعل بعده وجاء في قراءة ابن مسعود فاذن لا يؤتوا بالاعمال وليس بقوي والنقير نقرة في ظهر النواة فعيل بمعنى مفعول ومنها تنبت النخلة وهو مثل في القلة كالفتيل
فان قيل كيف يعقل انهم لا يبذلون نقيرا وكثيرا ما نشاهد منهم بذل الاموال قلنا المدعى عدم ايتاء النقير على تقدير حصول الملك ويراد به الملك التام كالملوك
الدنيا او الباطن كما للعلماء الربانيين او كليهما كما للانبياء وحصول شيء من هذه الاقسام لهم ممنوع لما ضربت عليهم الذلة والمسكنة ولئن فرض حصول شيء



منها فانه يليه لعل الشح يغلب عليهم حتى لا يشاهد منهم بذل نقير كما اخبر عنه علام الغيوب واما على تفسير الاصم فلعل المراد لانهم لا يبذلون شيئا نسبته الى ما يملكونه كنسبة النقير الى النواة او انهم لا يطيبون بذلك نفسا لغلبة الشح عليهم والله تعالى اعلم بمراده فهذا بيان بخلهم اما بيان حسدهم فذلك قوله ام يحسدون وهي منقطعة والتقدير بل أيحسدون الناس يعني النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فان كان اللام للعهد فظ وان كان للجنس فلانهم هم الناس والباقون هم النسناس ومعنى الهمزة انكار الحسد واستقباحه والمراد بالفضل على ما آتاهم الله من فضله من اشرف المناصب وهو النبوة والخاتمية وما كان ينضم اليها كل يوم من النصرة والعزة والاستيلاء والاستعلاء والفضل محسود بكل اوان والحاسد مذموم بكل لسان ثم نبه على ما يزيل التعجب من شان محمد صلى الله عليه وسلم فقال فقد آتينا آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد الكتاب كله هو نبيا الشرائع والحكمة التي هي الوقوف على الاسرار والحقائق والعمل بما يقتضي صلاح الدارين وآتيناهم ملكا عظيما عن ابن عباس الملك في آل ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان فليس ببدع ان يؤتى النبي ما اوتي اسلافه وقيل من جملة حسدهم انهم استكثروا نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وكان لداود مائة و لسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم اي من اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل ابرهيم من آمن بابرهيم ومنهم من كفر والمعنى ان اولئك الانبياء جرت عادة اممهم فمنهم ان بعضهم آمن بهم وبعضهم بقوا على كفرهم فانت يا محمد لا تتعجب مما عليه هؤلاء والغرض تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته وكفى بجهنم سعيرا للعذاب هؤلاء الكفار المتقدمين والمتأخرين سعيرا ثم اكد وعيد الكفار بقوله ان الذين كفروا بآياتنا ويدخل فيها كل ما يدل على ذات الله تعالى وصفاته وافعاله واسمائه وملائكته والكتب والرسل وكفرهم بها ان ينكروا او كونها آيات او يغفلوا عنها ولا ينظروا فيها او يلقوا الشكوك والشبهات فيها او ينكروها مع العلم بها عنادا وحسدا وبغيا ولددا وههنا سؤال وهو انه تعالى قادر على ابقائهم في النار احياء معذبين من غير ان يحترق جلودهم فما الحكمة في انضاج جلودهم والجواب لا يسئل عما يفعل كما انه قادر على ابقاء الالم الشديد من غير ادخالهم النار مع انه لا يمكن ان يقال لم عليهم بادخالهم النار وسؤال آخر وهو انه كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص والجواب يجعل النضيج غير نضيج فالذات واحدة والمتبدل هو الصفة و يؤيده قول اهل اللغة تبديل الشيء تغييره وان لم يأت ببدل له وابدلنا الشيء تغييره فالتبديل تغيير الصفة او الذات والابدال تغيير الذات وصاحب الكشاف جزم بان المراد من هذا التبديل هو تغيير الذات فلهذا فسر التبديل بالابدال ولعله انما حمله على ذلك وصف الجلود بقوله غيرها ولقائل ان يقول المغايرة اعم من ان يكون في الذات او في الصفات فما ادريك ههنا في الآية مغايرة الذات لا الصفات اللهم الا ان يعتضد بنقل صحيح فيكون الجواب عن السؤال ان المعذب هو الانسان والجلد الملبس جزء منه مقتصرا انما هو سبب لوصول العذاب اليه وقيل المراد الدوام وعدم الانقطاع ولا احتراق اي كلما ظنوا انه احترقوا واشرفوا على الهلاك اعطيناهم قوة جديدة بحيث ظنوا انهم الآن حدثوا وجددوا وقال السدي يخرج من لحم الكافر جلدا آخر وفي هذا التأويل بعد لان لحمه متناه وعند نفاده لابد من طريق آخر في تبديل الجلد ومقول السؤال وقيل المراد بالجلود السرابيل سرابيلهم من قطران وضعف بانه ترك الظاهر وان السرابيل لا يوصف بالنضج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه او ليذوقوا بهذه الجلدة الجديدة العذاب او المراد بالذوق احساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كاحساس الذائق بالمذوق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يفعل الا الصواب ثم قرن الوعد بالوعيد على عادته فقال والذين آمنوا الآية قال الواحدي الظليل ليس ينبئ على الفعل حتى يقال انه بمعنى فاعل او مفعول بل هو مبالغة في نعت الظل مشتق من لفظه كقولهم ليل اليل قيل اذا لم يكن في الجنة شمس توذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل وايضا المواضع التي لا يصل نور الشمس اليها في الدنيا يكون هواها عفنا فاسدا فما معنى وصف هواء الجنة بذلك و الجواب المنع من انه لا شمس هنالك حتى يوجد ضوء فان هو الظل فالمراد بالظل الظليل ما كان فينانا اي منبسطا لا جوب فيه اي لا فرج لالتفاف الاغصان ودائما لا ينسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وعند الحكماء المراد بالظل الراحة لانه من اسبابها ولا سيما في البلاد الحارة كبلاد العرب فلما كان هذا مطلوبا عندهم صار موعودا لهم التأويل لو تسوى بهم الارض اي يتمنون ان يخلوا في عالم الطبيعة ولم ينكشف لهم عالم الحقيقة كيلا يروا ما يرون من عذاب القطيعة كما ان السكران ممنوع من الصلوة فسكران الغفلة والهوى محجوب عن المواصلة لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى من غلبات الاحوال فان السكارى ليفتح نافلة ولا جنبا بالالتفات الى غير الله فان الصلوة اذ ذاك باطلة ويستثنى من الحالة الاولى حالة الشعور ومن الثانية حالة العبور في الدنيا كانك غريب او كعابر سبيل فهذا القدر من الالتفات من المحظورات التي اباحها الضرورات وان كنتم مرضى بحب الدنيا او على سفر في متابعة الهوى او جاء احد منكم من الغائط في قضاء شهوة من الشهوات او لمستم عجوزة الدنيا في تحصيل لذة من اللذات فلم تجدوا ماء التوبة والاستغفار فتيمموا فتمعكوا في تراب اقدام الكرام فانه طهور الذنوب العظام من الذين هادوا يعني ذاب علماء السوء يذهب من داب الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه بأولها على حسب آرائهم ويقولون سمعنا ما في القرآن بالمقال وعصينا بالفعال او ينكرون على ارباب المقامات والاحوال ويقولون اسمع غير مسمع وراعنا يخاطبونهم بكلام ذو وجهين ليا بألسنتهم وطعنا في اهل الدين يا ايها الذين اوتوا علم الكتاب ظاهره ولم يؤتوا علم باطن الكتاب آمنوا بما نزلنا على الاولياء من علم باطن القرآن مصدقا لما معكم من العلم الظاهر لان اهل العلم اللدني يصدقون اهل العلم الظاهر ولكن اهل العلم الظاهر يصعب عليهم تصديق علوم الانبياء علوم الاولياء لانه لا يناسب عقولهم من قبل ان نطمس وجوه القلوب بالعمى والصمم فنردها على ادبارها ناظرة الى الدنيا وزخارفها بعد ان كانوا ناظرين في الميثاق الى يومها او نلعنهم بمسخ صفاتهم الانسانية بالسبعية والشيطانية كما مسخنا اصحاب السبت بالصورة ومسخ المعنى اصعب من مسخ الصورة لان فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة ان الله لا يغفر ان يشرك به للشرك ثلث مراتب وكذا المغفرة فشرك جلي بالاعيان وهو للعوام في عبدة الكواكب والاصنام فلا يغفر الا بالتوحيد هو اظهار العبودية في ابتغاء الربوبية مصدقا بالسر والعلانية وشرك خفي بالاوصاف للخواص وهو شوب العبودية بالالتفات الى غير الربوبية فلا يغفر الا بالوحدانية وهي افراد الواحد للواحد وشرك اخفى للاخص وهو رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهي فناء الناسوتية

في بقاء اللاهوتية ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم من أهل العلوم الظاهرة تعلموا العلم ليباهوا به العلماء أو ليماروا به السفهاء فحصل لهم صفات ذميمة أخرى مثل المباهاة والمماراة والكبر والعجب والحسد والرياء وحب الجاه والرياسة وغلبة الأقران والأنداد بل الله يزكي من يشاء بتسليم نفوسهم إلى أرباب التزكية من العلماء الراسخين والمشايخ المحققين كما يسلم الجلد إلى الدباغ ليجعله أديما فإذا سلموا أنفسهم إليهم وصبروا على تصرفاتهم ذاقوا أثر الزكاة فيهم ولن يضيع سعيهم يؤمنون بالجبت النفس الأمارة وطاغوت الهوى ويقولون للذين كفروا من أهل الأهواء والمبتدعة والمتفلسفة هؤلاء أهدى من الذين آمنوا بكل ما أمر الله به ورسوله ثم وصفهم بالبخل والحسد ثم قال فقد آتينا آل إبراهيم يعني أهل الخلة والمحبة الكتاب والحكمة العلم الظاهر والعلم الباطن وآتيناهم ملكا عظيما هو معرفة الله تعالى فمنهم من آمن ومنهم من صد عنه لأن من العلماء مقبلين ومنهم مدبرين وكفى بجهنم نفسهم الحاسدة سعيرا تحرق حسناتهم فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب إن الذين كفروا بآياتنا ما ولياتنا الذين هم مظاهر آيات الحق وحجج الله على الخلق سوف نصليهم نار الحسد والغضب والكبر والعجب كلما نضجت جلودهم أي انقطع بعضها في نفوسهم الأمارة ومقتضيات هواها ولا يخفى حسن استعارة الجلود للآثار التي من خبث الطبيعة والاشتمال بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فإن دواعي الحرص والغضب والشهوة لا يفنى هي البتة ما دامت النفس على صفة الأمارية فلن تزال سارية بالشهوات ذائقة لعذاب المتعلقات والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم أي نجذبهم بجذبات العناية إلى جنات الوصلة تجري من تحتها الأنهار من ماء الحكمة ولبن الفطرة وخمر الشهوة وعسل الكشوف لهم فيها أزواج من تجلي صفات الجمال والجلال مطهرة من لوث الوهم والخيال وندخلهم ظلا ظليلا هو ظل شمس عالم الوجود يوم لا ظل إلا ظله

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ
بدرستی که خدا میفرماید شما را که واپس دهید امانتها را بسوی کسان آن وچون داوری کنید در میان مردمان آنکه داوری کنید بعدالت بدرستی خدا

نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
خوب است آنچه پند میدهد شما را بآن بدرستی که خدا هست شنونده بینا ای زمره آنان که گرویده اید فرمان برید خدا را و پیروی کنید پیغمبر را

وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
وصاحبان فرمان را از شما پس اگر نزاع کنید در چیزی پس بازگردانید بسوی خدا و پیغمبر اگر بوده باشید که ایمان آورید بخدا و روز

الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ
واپسین این بهتر است و نیکوتر است عاقبت آیا ندیدی آنها را که گمان میکنند که آنها ایمان آورده اند بآنچه فرستاده شد بسوی تو و آنچه فرستاده شد

يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا
میخواهند که داوری جویند بسوی طاغوت وحال آنکه مامور شدند که کافر شوند بآن و میخواهد شیطان که گمراه کند ایشان را گمراهی دور

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا فَكَيْفَ
وچون گفته شد بآنها که رو آورید بسوی آنچه فرستاده خدا و بسوی پیغمبر ببینی اهل نفاق را که اعراض میکنند از تو اعراض کردنی پس چگونه

إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا
است چون رسید بآنها مصیبتی بسبب آنچه پیش فرستاده دستهای ایشان پس آیند ترا سوگند خوران بخدا که اراده نکردیم ما بجز نیکوئی و موافقت کردن را

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا وَمَا أَرْسَلْنَا
آنها آنانند که میداند خدا آنچه را که در دلهای ایشانست پس رو گردان از ایشان و پند ده ایشان را و بگو مر ایشان را در نفسهای ایشان گفتاری رسا و نفرستادیم

مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ
هیچ پیغمبری مگر برای آنکه اطاعت کرده شود بفرمان خدا و اگر آنها چون ستم کردند نفسهای خود را آمدندی ترا پس طلب آمرزش کردندی خدا را و طلب آمرزش کردی

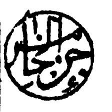
الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
پیغمبر هرآینه یافتندی خدا را توبه پذیر مهربان پس نه قسم بپروردگارت که نگروند تا آنکه حاکم سازند ترا در آنچه نزاع شد در میان ایشان پس نیابند

فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا
در نفسهای خود تنگی را از آنچه حکم کرده و گردن نهند گردن نهادنی واگر چنانچه نوشته بودیم برایشان که بکشید نفسهای خود را یا که بیرون روید

مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا
از خانهای خود نمیکردند آنرا مگر کمی از آنها واگر که آنها کردندی آنچه را که پند داده میشوند بآن هرآینه بهتر است آنها را و سخت تر است ثابت بودن

وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا وَمَن يُطِعِ اللَّهَ
وآنگاه هرآینه دادیم آنها را از نزد خود مزدی بزرگ و هرآینه هدایت کردیم آنها را براه راست و هرکه پیروی کند خدا را

وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
و پیغمبر را پس آنگروه با آنهایند که انعام فرمود خدا برایشان از پیغمبران و راستگویان و شهیدان



وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا

ونیکوکاران و خوبند این طائفه از جهت رفاقت این زیادتی است از خدا و بس است بخدا دانای

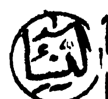
القراءة ان اقتلوا بكسر النون لالتقاء الساكنين ابو عمرو وعاصم وحمزة وسهل ويعقوب الباقون بالضم نقلا لحركة همزة الوصل الى ما قبلها او اخرجوا
بكسر الواو للساكنين عاصم وسهل وحمزة الباقون بالضم الا قليلا بالنصب ابن عامر على اصل الاستثناء او بمعنى الا فعلا او الا ابوا الا قليلا الباقون
بالرفع على البدل وهو اكثر الوقوف الى اهلها لا لان التقدير يأمركم ان تؤدوا وان تحكموا بالعدل اذا حكمتم بين الناس بالعدل ط نعما يعظكم به ط بصيرا ه منكم ج لابتداء
الشرط مع فاء التعقيب واليوم الآخر ط تأويلا ه ان يكفروا به ط بعيدا ه صدودا ه ج للآية مع فاء التعقيب مع السبع الثاني يحلفون قد قيل على ان ما بعده ابتداء القسم والاولى
تعلق الباء بيحلفون وتوفيقا ه بليغا ه باذن الله ط رحيما ه تسليما ه قليل منهم ط تثبيتا ه عظيما ه لا لان ما بعده من تتمة جواب لو مستقيما ه والصالحين ج لانقطاع النظم مع
اتفاق المعنى رفيقا ه من الله ط عليما ه التفسير لما شرح بعض احوال الكفار عاد الى ذكر التكاليف وفيه لما حكى عن اهل الكتاب انهم كتموا الحق قالوا للذين كفروا
هؤلاء اهدى من الذين آمنوا امر المؤمنين في هذه الآية باداء الامانات في جميع الامور سواء كانت من باب المذاهب والديانات ومن باب الدنيا والمعاملات وايضا
قد وعد في الآية السابقة بالثواب العظيم على الاعمال الصالحات وكان من اجلها الامانة فقال ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها روي ان عثمن بن طلحة
الحجبي من بني عبد الدار كان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل انه مع عثمان فطلب
منه فابى فقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى ركعتين فلما خرج سأله
العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له من السقاية والسدانة فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفعه الى العباس ثم قال يا عثمن خذ المفتاح على ان للعباس معك نصيبا فانزل الله
هذه الآية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال له عثمن يا علي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله
في شانك قرآنا وقرأ عليه هذه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واسلم فجاء جبرئيل وقال ما دام هذا البيت كان المفتاح والسدانة
في اولاد عثمان وقال خذوها يا بني طلحة بامانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم ثم ان عثمن هاجر ودفع المفتاح الى اخيه شيبة وهو اليوم في ايديهم ثم نزول
الآية عند هذه القصة لا يوجب خصوصها بها ولكنها تعم جميع انواع الامانات فالامانة مع الرب تعالى في كل ما امر به ونهى عنه قال ابن مسعود الامانة في الكل
لازمة في الوضوء والجنابة والصلوة والزكوة والصوم وعن ابن عمر انه تعالى خلق فرج الانسان وقال هذه امانة خبأتها عندك فاحفظها الا بحقها وهذا باب واسع
فامانة اللسان ان لا يستعمله في الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها وامانة العين ان لا يستعملها في النظر الى الحرام وامانة السمع
ان لا يستعمله في سماع الملاهي والمناهي والفحش والاكاذيب وكذا القول في سائر الاعضاء ثم الامانة مع سائر الخلق ويدخل فيه رد الودائع وترك التطفيف
وترك عيوب الناس وافشاء اسرارهم ويدخل فيه عدل الامراء مع الرعية والعلماء مع العوام بان يرشدوهم الى ما ينفعهم في دنياهم ودينهم ويمنعوهم عن
العقائد الباطلة والاخلاق غير الفاضلة وتشمل امانة الزوجة للزوج في ماله وفي بضعها وامانة الزوج للزوجة في ايفاء حقوقها وحظوظها وامانة السيد
للمملوك وبالعكس وامانة الجار للجار والصاحب للصاحب ويدخل فيه نهي اليهود عن كتمان امر محمد والامانة مع نفسه بان لا يختار لها الا ما هو انفع واصلح
في الدين وفي الدنيا وان لا يوقعها بسبب اللذات العاجلة في التبعات الآجلة وقد عظم الله تعالى امر الامانة في مواضع من كتابه انا عرضنا الامانة والذين
هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقال صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له والامانة مصدر سمي به المفعول ولذلك جمع ثم لما امر باداء ما وجب لغيرك عليك امر
باستيفاء حقوق الناس بعضهم عن بعض اذا كنت بصدد الحكم فقال واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل وفي قوله اذا حكمتم تصريح بانه ليس
لجميع الناس ان يشرعوا في الحكم والقضاء وقد عد العلماء من شرط النيابة العامة الاسلام والعقل والبلوغ والذكورة والحرية والعدالة والكفاية
واهلية الاجتهاد بان يعرف ما يتعلق بالاحكام من كتاب الله وسنة رسوله ويعرف منهما العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ
والمنسوخ ومن السنة المتواتر والآحاد والمسند والمرسل وحال الرواة ويعرف اقاويل الصحابة ومن بعدهم اجماعا وخلافا وجلي القياس وخفيه
وصحيحه وفاسده ويعرف لسان العرب لغة واعرابا خصوصا وعموما الى غير ذلك مما له مدخل في استنباط الاحكام الشرعية من مداركها ومظانها وكفى بما في هذا
المنصب الخطر انه منصب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده فعلى المتصدي لذلك ان يتأدب بآدابهم ويتخلق باخلاقهم والا فالويل له عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يجاء بالقاضي العادل يوم القيمة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى انه لم يقض بين اثنين قط واذا كان حال العادل هكذا فما ظنك بالجائر وعنه
ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واين اعوان الظلمة فيجمعون كلهم حتى من برى لهم قلما او لاق لهم دواة فيجمعون ويلقون في النار ان الله نعما يعظكم به المخصوص
بالمدح محذوف وما موصولة او مبهمة موصوفة والتقدير نعم الذي او نعم شيئا يعظكم به ذلك المأمور من اداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا
بصيرا يسمع كيف تحكمون ويبصر كيف تؤدون وفيه اعظم اسباب الوعد للمطيع واشد اسباب الوعيد للعاصي ثم انه سبحانه امر الرعاة بطاعة الولاة كما
امر الولاة في الآية المتقدمة بالشفقة على الرعاة فقال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله الآية عن علي بن ابي طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله وان
يؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا قالت المعتزلة الطاعة موافقة الارادة وقالت الاشاعرة الطاعة موافقة الامر
طلب الفعل ولا نزاع ان موافقة الامر طاعة انما النزاع في ان المأمور به كالايمان من الكافر هل يكون مرادا ام لا فعند الاشاعرة الامر قد يوجد بدون الارادة لئلا
يلزم الجمع بين الضدين في تكليف ابي لهب مثلا بالايمان وعند المعتزلة لا امر الا بارادة والخلاف بين الفريقين مشهور قال في التفسير الكبير هذه الآية مشتملة



على أنه علم أصول الفقه لأن أصول الشريعة أربعة الكتاب والسنة وأشار إليهما بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولعل العطف للمغايرة الكلية ولكن الكتاب
يدل على أمر الله ثم يعلم منه أمر الرسول لا محالة والسنة تدل على أمر الرسول ثم يعلم منه أمر الله والإجماع والقياس وأشار إلى الإجماع بقوله وأولي الأمر
لأنه تعالى أمر بطاعتهم على سبيل الجزم فوجب أن يكون معصوماً لأنه لو احتمل إقدامه على الخطأ والخطأ منهي عنه لزم اعتبار اجتماع الأمر والنهي في الفعل
الواحد وإنه محال ثم ذلك المعصوم إما مجموع الأمة أو بعضها على ما يقوله الشيعة من أن المراد بهم الأئمة المعصومون وعلى ما زعم بعضهم أنهم الخلفاء
الراشدون وعلى ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنهم أمراء السرايا كعبد الله بن حذافة السهمي وكخالد بن الوليد إذ بعثه رسول الله ﷺ في سرية
وكان معه عمار بن ياسر فوقع بينهما خلاف فنزلت الآية وعلى ما روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك أنهم العلماء الذين يفتون بالأحكام الشرعية
ويعلمون الناس دينهم لكنه لا سبيل إلى الثاني أما ما زعم الشيعة فلأنا نعلم بالضرورة أنا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم والاستفادة
منه فلو وجب علينا طاعته على الإطلاق لزم تكليف ما لا يطاق ولو وجب علينا طاعته إذا صرنا عارفين به وبمذهبه صار هذا الإيجاب مشروطاً
وظاهر الآية يقتضي الإطلاق على أن طاعة الله وطاعة رسوله مطلقة فلو كانت هذه الطاعة مشروطة لزم أن يكون للفظة الواحدة مطلقة ومشروطة
معاً وهو باطل وأيضاً الإمام المعصوم عندهم في كل زمان واحد ولفظ أولي الأمر جمع وأيضاً إنه قال فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ولو كان
هذا لوجب أن يقال فردوه إلى الإمام وأما سائر الأقوال فلا نزاع في وجوب طاعتهم لكنه إذا علم بالدليل أن طاعتهم حق وصواب وذلك الدليل ليس إلا
الكتاب والسنة فلا يكون هذا قسماً منفصلاً كما أن وجوب طاعة الزوجة للزوج والتلميذ للأستاذ داخل في طاعة الله وطاعة الرسول أما إذا حملناه
على إجماع أهل الحل والعقد لم يكن هذا داخلاً فيما تقدم إذ الإجماع قد يدل على حكم لا يوجد في الكتاب والسنة وأيضاً قوله فإن تنازعتم في شيء مشعر بإجماع
تقدم يخالف حكمه حكم التنازع وأيضاً طاعة الأمراء والخلفاء مشروطة بما إذا كانوا على الحق وظاهر الآية يقتضي الإطلاق وإذا ثبت أن حمل الآية على
هذه الوجوه غير مناسب تعين أن يكون ذلك المعصوم كل الأمة أي أهل الحل والعقد أصحاب الاعتبار والآراء فالمراد بقوله أولي الأمر ما اجتمعت الأمة
عليه هو المدعى وأما القياس فيدل عليه قوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إذ ليس المراد من رده إلى الله والرسول رده إلى الكتاب والسنة والإجماع
وإلا كان تكراراً لما تقدم ولا تفويض علمه إلى الله ورسوله والسكوت عنه لأن الواقعة ربما كانت لا تحتمل الإهمال وتفتقر إلى قطع مادة الشغب والخصومة فيها
نفياً وإثباتاً ولا الإحالة على البراءة الأصلية فإنها معلومة بحكم العقل فالرد إليها لا يكون رداً إلى الله والرسول فإذاً المراد رد هذه
الأحكام المنصوصة في الوقائع المتشابهة لها وهذا معنى القياس فحاصل الآية الخطاب لجميع المكلفين بطاعة الله ثم لمن عدا الرسول بطاعة الرسول
ثم لما سوى أهل الحل والعقد بطاعتهم ثم أمر أهل استنباط الأحكام من مداركها إن وقع اختلاف واشتباه بين الناس في حكم واقعة ما أن يستخرجوا
لها وجهاً من نظائرها وأشباهها فما أحسن هذا الترتيب ثم في إطلاق الآية دلالة على أن الكتاب والسنة مقدمان على القياس مطلقاً سواء كان القياس جلياً أو خفياً
وأنه لا يجوز معارضة النص ولا تخصيصه بالقياس وقد اعتبر هذا الترتيب أيضاً في قصة معاذ واستحسنه رسول الله ﷺ وكيف لا والقرآن مقطوع في متنه و
القياس مظنون والقرآن كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقياس نتيجة عقل الإنسان الذي هو عرضة الخطأ والنسيان وقد أجمع
العلماء على أن إبليس خصص عموم الخطاب في قوله إذ قلنا للملائكة اسجدوا بالقياس هو قوله خلقتني من نار وخلقته من طين فاستحق اللعن إلى يوم الدين
والشبهة أن تخصيص النص بالقياس تقديم القياس على النص وفيه ما فيه ثم إن كان الأمر للوجوب فقوله أطيعوا يدل على وجوب الطاعة وإن كان للندب [?]
فهيهنا ما يدل على الوجوب ظاهر الآية إنه ختم الأوامر بقوله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وهو وعيد والظاهر أنه عائد إلى جميع الأوامر لا إلى قوله فردوه
وحده وأيضاً مجرد الندب وهو أولوية الفعل معلوم من تلك الأوامر فلا بد للآية من فائدة خاصة فيحمل على المنع من الترك ليحصل من المجموع معنى الوجوب
ثم هذا الوجوب يكون دائماً إن كان الأمر للدوام والتكرار وكذا إن لم يكن غيره كذلك لأن الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورة فلو حملنا
على العموم كانت الآية مبينة وإلا كانت مجملة والمبين أولى من المجمل وأيضاً تخصيص اسم الله بالذكر يدل على أن وجوب الطاعة إنما هو لكونه إلهاً والإلهية
دائمة فالوجوب دائم وإنما كرر لفظ أطيعوا للفصل بين اسم الله تعالى وبين المخلوقين ثم نعلم من إطلاق وجوب طاعة أولي الأمر أن الإجماع الحاصل عقيب الخلاف
حجة وأنه لا يشترط انقراض العصر ومن إطلاق قوله فإن تنازعتم في شيء يعرف أن القياس يجوز إجراؤه في الحدود والكفارات أيضاً والمراد بالتنازع قال [?]
الزجاج [?] هو الاختلاف وقول كل فريق القول قولي كأن كل واحد منهما ينزع الحجة لجانبه ذلك الرد والمأمور به في الآية خير لكم وأحسن تأويلاً أي عاقبة
من آل الشيء إذا رجع وقيل الرد إلى الكتاب والسنة خير مما تأولتم أنتم ثم إنه تعالى لما أوجب على المكلفين طاعته وطاعة رسوله ذكر أن المنافقين الذين في قلوبهم
مرض لا يطيعون ولا يرضون بحكمه فقال ألم تر إلى الذين يزعمون الآية قال الليث قولهم زعم فلان معناه لا يعرف أنه صدق أو كذب ومنه تزعموا مطية
الكذب قال ابن الأعرابي الزعم قد يستعمل في القول المحقق لكن المراد في الآية الكذب بالاتفاق قال أبو مسلم ظاهر الآية يدل على أن الزاعم كان منافقاً من أهل
الكتاب مثل أن يكون يهودياً أظهر الإسلام على سبيل النفاق لأن قوله يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك إنما يليق بمثل هذا المنافق
أما سبب النزول ففيه وجوه والذي عليه أكثر المفسرين ما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن رجلاً من المنافقين يسمى بشراً خاصم يهودياً فدعاه
اليهودي إلى النبي ﷺ وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الأشرف وذلك أن اليهودي كان محقاً وكان النبي لا يقضي إلا بالحق والمنافق كان مبطلاً لأنه منصبه [?] عن قبول الرشوة وكان
كعب يبطل الحقوق بالرشى فما زال اليهودي بالمنافق حتى ذهبا إلى رسول الله ﷺ فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق إلى عمر بن الخطاب فانطلقا



عمر فقال اليهودي اختصمنا انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصم اليك وتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر واشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله وهرب اليهودي ونزلت الاية وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق وعلى هذا الطاغوت كعب بن الاشرف وقال السدي كان ناس من اليهود اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية اذا قتل قرظي نضيريا قتل به واخذ منه مائة وسق من تمر واذا كان بالعكس لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا من تمر وكانت النضير حلفاء الاوس وكانوا اكثر واشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج فقتل نضيري قرظيا واختصموا في ذلك فقال بنو النضير لا قصاص علينا انما علينا ستون وسقا من تمر على ما اصطلحنا عليه فقالت الخزرج هذا حكم الجاهلية ونحن وانتم اليوم اخوة وديننا واحد لا فضل بيننا فقال المنافقون انطلقوا الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون لا بل الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون فانطلقوا الى ابي بردة ليحكم بينهم فقال اعظموا اللقمة يعني الرشوة فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق ديتي فانا اخاف ان نفرت النضيري قتلتني قريظة وان نفرت القرظي قتلتني النضير فابوا ان يعطوه فوق عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله هذه الاية فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاهن الى الاسلام فاسلم وقال الحسن ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حق فدعاه المنافق الى وثن كان اهل الجاهلية يتحاكمون اليه ورجل قائم يترجم الاباطيل عن الوثن فالطاغوت ذلك الرجل وقيل كانوا يتحاكمون الى الوثن يضربون القداح بحضرته فما خرج على القداح عملوا به فالطاغوت هو الوثن ثم ان الطاغوت اي شيء كان من الاشياء المذكورة فانه تعالى جعل التحاكم اليه مقابلا للكفر به لكن الكفر به ايمان بالله وبرسوله فيكون نصا في تكفير من لم يرض بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم شكا او تمردا ويؤكده قوله بعد ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية ومن هنا ذهب كثير من الصحابة الى الحكم بارتداد مانعي الزكوة وقتلهم وسبي ذراريهم ثم قال ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا فاحتجت المعتزلة به على ان كفر الكافر ليس بخلق الله والا لم يتوجه الذم على الشيطان ولم يحصل التعجب والتعجيب فان لقائل ان يقول انما فعلوا لاجل انك خلقت ذلك الفعل فيهم وادعيتهم بل التعجب اولى ولقد عرفت الجواب مرارا قوله فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيه وجهان احدهما وهو قول الحسن واختيار الواحدي انه جملة معترضة واصل النظم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ثم جاؤك يعني انهم في اول الامر يصدون عنك اشد الصدود ثم بعد ذلك يجيئونك يحلفون كذبا على انهم ما ارادوا بذلك الصد الا الاحسان والتوفيق ووجه الاعتراض انه حكى عنهم التحاكم الى الطاغوت وانهم يصدون ثم ليبين ما يدل على شدة احوالهم بسبب اعمالهم القبيحة في الدنيا والاخرة والثاني انه متصل بما قبله لا على وجه الاعتراض والمعنى انه اذا كانت نفرتهم من الحضور عند الرسول في اوقات السلامة هكذا فكيف يكون نفرتهم اذا اتوا بجناية خافوا بسببها منك ثم جاؤك يحلفون بالله على سبيل الكذب ما اردنا بتلك الجناية الا الخير والمصلحة اما المصيبة فقيل انها قتل عمر صاحبهم فانهم جاؤا وطلبوا بدمه وحلفوا انهم ما ارادوا بالذهاب الى غير الرسول الا الصلاح وهو اختيار الزجاج وقال الجبائي هي ما امر الله ورسوله بها من انه لا يستصحبهم في الغزوات ويخصهم بمزيد الاذلال والمعنى ثم جاؤك وقت المصيبة يحلفون ويعتذرون ما اردنا بما كان منا من مواساة الكفار الا الاصلاح الحال وقال ابو مسلم انه تعالى بشر رسوله ان المنافقين سيصيبهم مصائب تلجئهم الى ان يظهروا الايمان ومن عادة العرب عند التبشير والانذار ان يقولوا كيف انت اذا كان كذا ومعنى الاحسان والتوفيق ما اردنا بالتحاكم الى غير الرسول الا احسانا بين الخصوم واصلاحا بينهم فانهم لا يقدرون عند الرسول ان يرفعوا اصواتهم ويتبينوا حججهم او ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بالحكم العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به وعلى هذا لا يبقى للحلف مناسبة ظاهرة او ما اردنا بالتحاكم الى غيرك يا رسول الله الا انك لا تحكم الا بالحق المر وغيرك يدور على التوسط بامر كل واحد من الخصمين بالاحسان الى الاخر وتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهما الموافقة ثم اخبر الله سبحانه بما في ضمائرهم من الدغل والنفاق فقال اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وفيه ان من اراد المبالغة في شيء قال هذا شيء لا يعلمه الا الله يعني انه لكثرته وعظم حاله لا يقدر احد على معرفته الا هو ثم علم نبيه كيف يعاملهم فامره بثلاثة اشياء الاول الاعراض عنهم والمراد به انه لا يقبل منهم ذلك العذر ويستمر على السخط او انه لا يهتك سترهم ولا يظهر لهم انه عالم بكنه ما في بواطنهم من النفاق لما فيه من حسن العشرة والحذر من اثارة الفتنة الثاني ان يعظهم فيزجرهم عن النفاق بالتخويف من عذاب الدارين الثالث قوله وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه وجوه احدها ان في الاية تقديما وتاخيرا والمعنى قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف الثاني وقل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وهو ان الله يعلم ما في قلوبكم فلن يغني عنكم الاخفاء فطهروا قلوبكم عن دنس النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك او شرا من ذلك واغلظ الثالث قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة فان النصح بين الملأ تقريع وفي السر انفع والجمع قولا يؤثر فيهم وقيل القول البليغ يتعلق بالوعظ وهو ان يكون كلاما حسنا وجيزا المباني غزير المعاني يدخل الاذن بلا اذن مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار ثم رغبهم مرة اخرى في طاعة الرسول فقال وما ارسلنا من رسول اكثر النحاة على ان من صلة تقديره وما ارسلنا رسولا وقيل المفعول محذوف التقدير وما ارسلنا من هذا الجنس احدا قال الجبائي هذه الاية من اقوى الدلائل على بطلان مذهب المجبرة لكونها مصرحة في ان معصية الناس غير مرادة لله تعالى والجواب ان ارسال الرسل لاجل الطاعة لا ينافي كون المعصية مرادة لله تعالى ثم على ان قوله باذن الله يشير ويوفقه واعانته يدل على ان الكل بقضائه وقدره وكذا لو كان المراد بسبب اذن الله في طاعة الرسول فقيل في الاية دلالة على انه لا رسول الا ومعه شريعة فانه لو دعا الى شرع من قبله لكان المطاع هو ذلك المتقدم وفيها دلالة على ان الرسل معصومون عن المعاصي والا لم يجب اتباعهم في جميع اقوالهم وافعالهم ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين عن النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار الى رسوله فاستغفر لهم الرسول



انقلب شفيعا لهم الى الله بعد اعتذارهم اليه من بذائه لوجدوا الله توابا رحيما وانما لم يقل واستغفرت لهم لما في الالتفات من الخطاب الى ذكر
الرسول تنبيه على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فالآية على هذا التفسير من تمام ما قبلها وقال ابو بكر الاصم نزلت في قوم من المنافقين اصطلحوا
على كيد في حق رسول الله ﷺ ثم دخلوا عليه لذلك الغرض فاتاه جبرئيل فاخبره به فقال ﷺ ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله حتى
استغفر لهم فلم يقوموا فقال الا تقومون فلم يفعلوا فقال ﷺ قم يا فلان حتى عد اثني عشر رجلا منهم فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله
من ظلمنا انفسنا فاستغفر لنا فقال الآن اخرجوا انا كنت في بدء الامر اقرب الى الاستغفار وكان الله اقرب الى الاجابة اخرجوا عني فلا وربك لا يؤمنون عن عطاء
ومجاهد والشعبي انها من تمام قصة اليهودي والمنافق وعن الزهري عن عروة بن الزبير انها نزلت في شأن الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله ﷺ
في شراج من الحرة والشرج مسيل الماء كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب فقال لان كان ابن عمتك وذلك ان ام الزبير
صفية بنت عبد المطلب فتغير وجه رسول الله ﷺ ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر يعني الجدار الذي يحيط بالمزرعة وهو اصغر من الجدار واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك واعلم ان الحكم في هذا ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الماء وحقه تمام السقي والرسول اذن للزبير في السقي على وجه
المسامحة فلما اساء خصمه الادب لم يعرف حق ما امره به الرسول من المسامحة لاجل امره باستيفاء حقه وحمل خصمه على مر الحق وفي قوله فلا وربك قولان احدهما
ان لا صلة لتأكيد معنى القسم والتقدير فوربك والثاني انها مفيدة وعلى هذا ففيه وجهان الاول انه يفيد نفي امر سبق والتقدير ليس الامر كما زعموا انهم آمنوا
وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم بقوله وربك لا يؤمنون الثاني انها لتوكيد النفي الذي جاء في الجواب في هذا الوجه لا يحتج بها اذا كان الجواب مثبتا
ومعنى شجر اختلف واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه والتشاجر التنازع لاختلاط كلام بعضهم ببعض والحرج الضيق او الشك لان الشاك في ضيق من امره
حتى يلوح له اليقين ويسلموا او ينقادوا ويسلم الامر الله اي سلم نفسه له وجعلها خالصة لحكمه ومن التعليمية من تمسك بالآية في انه لا يحصل الايمان الا بارشاد
النبي وهدايته والنزول عند حكمه وقضائه في كل امر ديني ومنع بان معرفة النبوة موقوفة على معرفة الاله فلو توقفت معرفة الاله على معرفة النبوة لزم الدور
فاذن الحكم غير كلي والتعليل في جميع الاحكام غير مرضي واعلم ان من يرضى بحكم الرسول قد يكون راضيا في الظاهر دون القلب فلهذا قال ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت وهو الجزم بان ما حكم به الرسول هو الحق والصدق فانه من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقا وصدقا فانه قد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد
او يتوقف في ذلك القبول فعدم الحرج اشارة الى الانقياد في الباطن والتسليم اشارة الى الانقياد في الظاهر وفي الآية دليل على عصمة الانبياء عن الخطأ في الفتاوى
والاحكام وعلى انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس والا كان في النص حرج قالت المعتزلة منها لو كانت المعاصي بقضاء الله تعالى لزم التناقض لان الرضى بقضاء
الله واجب فالرضا بالمعاصي واجب لكن الرسول قد نهى عنها فيجب ان يحصل الرضا في تركها ويلزم الرضا بالفعل والترك معا وهو محال واجيب بان المراد من
قضاء الله التكوين والايجاد فالرضى بقضائه ان يعتقد كونه لكل بايجاده والمراد من الرضا بقضاء الرسول ان يتلقى ما حكم به ويتلقى بالبشر والقبول ثم بين
ذلك من هذا قوله ولو انا كتبنا عليهم روي ان حاطبا لما احفظ رسول الله ﷺ فاستوعب للزبير حقه في صريح الحكم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان
القضاء فقال الحاطب قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ﷺ ثم يتهمونه في قضاء يقضي
بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا
فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وكذا قال ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله ﷺ
والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل
بنا ذلك ونزلت الآية فالضمير في قوله عليهم يعود الى الناس والمراد بالقليل المؤمنون منهم وعن ابن عباس ومجاهد انه يعود الى المنافقين والمراد انا لو كتبنا القتل
والخروج عن الوطن على هؤلاء المنافقين ما فعله الا قليل منهم رياء وسمعة وحينئذ يصعب الامر عليهم وينكشف كفرهم فاذ لم نفعل بهم ذلك بل كلفناهم بالاشياء
السهلة فليتركوا النفاق وليلزموا الاخلاص ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من الانقياد والطاعة لله ولرسوله وسمي التكليف وعظا لانه مقترن بالوعد
والوعيد والترغيب والترهيب لكان خيرا لهم اي انفع وافضل من غيره او خير الدنيا والآخرة لان خيرا يستعمل بالوجهين جميعا واشد تثبيتا اقرب الى ثباتهم
على الايمان والطاعة لان الطاعة تدعو الى امثالها وتجر الى المواظبة عليها ولانه حق والحق ثابت والباطل زائل ولان الانسان يطلب الخير اولا فاذا حصل
يطلب ثباته ودوامه ثم بين ان ما يوعظون به كما هو خير في نفسه فهو ايضا مستعقب للخير فقال واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما وثوابا جزيلا واذا جواب
لسؤال مقدر كانه قيل ماذا يكون لهم بعد الخير والتثبيت فقيل هو ان نؤتيهم من لدنا اجرا عظيما وفي ايراد صيغة التعظيم في آتينا ولدنا وفي قوله من لدنا
ووصف الاجر بالعظيم وفي تنكير الاجر من المبالغة ما لا يخفى والصراط المستقيم الدين الحق والطريق من عرصة القيامة الى الجنة وهذا اولى لانه مذكور بعد
استحقاق الاجر ثم اكد امر الطاعة بقوله ومن يطع الله والرسول ولا شك ان الآية عامة في جميع المكلفين الا ان المفسرين ذكروا في سببها وجوها قال الكلبي
نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن فقال له يا ثوبان ما غير لونك
فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك هناك
لاني عرفت انك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك حين لا اراك ابدا وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار
قال للنبي ﷺ اذا خرجنا من عندك الى اهالينا اشتقنا اليك فما ينفعنا شيء حتى نرجع اليك ثم ذكرت درجتك في الجنة فكيف لنا برؤيتك ان دخلنا الجنة فانزل



الله هذه الآية فلما توفي النبي اتى الانصاري ابنه وهو في حديقة له فاخبره بموت النبي فقال اللهم اعمني حتى لا ارى شيئا بعده فعمي مكانه وقال السدي ان ناسا
من الانصار قالوا يا رسول الله انك تسكن الجنة في اعلاها ونحن نشتاق اليك فكيف نصنع فنزلت وليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين في الآية
ان كلهم في درجة واحدة فان ذلك يقتضي التسوية بين الفاضل والمفضول وانه محال ولكن المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد
المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الزيارة والتلاقي قدروا على ذلك والتحقيق فيه ان عالم الانوار لا تمانع فيها ولا تدافع بل
ينعكس بعضها على بعض ويتقوى بعضها ببعض كالمرايا المجلوة المتقابلة بل اخوانا على سرر متقابلين ثم انه تعالى ذكر اصنافا اربعة النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ولا شك في تغايرها متداخلة كانت او متباينة والمراد بالتداخل انه لا يمتنع كون كل متقدم موصوفا بما يتلوه فان يكون النبي صديقا وشهيدا
وصالحا او الصديق شهيدا وصالحا وقد مر تفسير النبي في اوائل البقرة واما الصديق فمبالغة الصادق وهو من غلب عليه اقوال الصدق فهو لخصلة
مرضية في جميع الاديان وحقيقة للنطق الذي هو من مقومات الانسان وكفى به منقبة ان الايمان ليس الا التصديق وكفى بنقيضه مذمة ان الكفر ليس الا
التكذيب وذكر المفسرون اكثرهم ان الصديقين في الآية كل من صدق بكل الدين لا يتخالجه فيه شك لقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
وقال قوم هم افاضل اصحاب النبي وخصصه بعضهم بمن سبق الى تصديق الرسول فصار في ذلك قدوة الناس كابي بكر وعلي وامثالهما ولا واسطة بين الصديق
والنبي ولذلك قال في هذه الآية مع النبيين والصديقين وفي صفة ابراهيم انه كان صديقا نبيا يعني انك ان ترقيت من الصديقية وصلت الى النبوة وان نزلت
من النبوة وصلت اليهم واما الشهداء فالمراد بهم ههنا اعم من المقتولين بسيف الكفار من المسلمين عن ابي هريرة قال قال رسول الله ما تعدون الشهيد فيكم قالوا
يا رسول الله من قتل في سبيل الله قال ان شهداء امتي اذا لقليل من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد
وفي رواية ومن مات بجمع فهو شهيد ومنهم هو الذي يشهد لصحة دين الله تارة بالحجة والبيان واخرى بالسيف والسنان واقول لا يبعد ايضا ان يدخل كل هذه الامة
في الشهداء لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس واما الصالحون فالصالح هو الذي صلح في اعتقاده وفي عمله وهذه مرتبة ينبغي
ان لا يخطئها مرتبة المؤمن ثم قال في معرض التعجب وحسن اولئك رفيقا كأنه قيل وما احسن اولئك والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع
فيه وانتصابه على الحال ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وقيل معناه حسن كل واحد منهم رفيقا كما قال يخرجكم طفلا والرفق في اللغة لين الجانب
ولطافة الفعل سمي الصاحب رفيقا لارتفاقك به وبصحبته ومنه الرفقة في السفر لارتفاق بعضهم ببعض وقد يكون الانسان مع غيره ولا يكون رفيقا له
فبين الله تعالى ان الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين يكونون كالرفقاء للمطيع من شدة محبتهم له وسرورهم برؤيته ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله
خبره او ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره فالكلمة في ذلك اشارة الى الاجر العظيم وموافقة المنعم عليهم من الانبياء وهذا يعني تفضل الله به عليهم تبعا
لثوابهم الواجب على الله او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه ولولا انه اعطى العقل والقدرة وازاح الاعذار وقوى
لم يتمكن المكلف من فعل الطاعة فصار ذلك بمنزلة من وهب غيره ثوبا لينتفع به فاذا باعه وانتفع بثمنه جاز ان يوصف ذلك الثمن بانه فضل من الواهب
قال اهل السنة اشارة الى الجميع ما تقدم ولا يجب على الله شيء البتة بل الثواب كله فضل من الله وكيف يجب عليه شيء وانه هو الذي خلق القدرة والداعية
وايضا الوجوب عبارة عن استحقاق الذم عند الترك وانه ينافي الالهية وايضا كل ما فرض من الطاعات فانه في مقابلة النعم السالفة التي لا تعد ولا تحصى
فيمتنع كونها موجبة للثواب في المستقبل معنى الآية ان ذلك الثواب بكمال درجته كانه هو الفضل وما عداه غير معتد به وذلك الثواب المذكور هو من الله
لا من غيره وكفى بالله عليما بالطاعة وكيفية الثواب عليها وفيه ترغيب المكلف على كمال الطاعة والاحتراز عن التقصير فيها التأويل الوجود المجازي امانة
من الله تعالى كما ان وجود الظل امانة من الشمس فلاجرم اذا تجلت شمس الربوبية لظلال وجود النفس والقلب والروح يقول بلسان العزة ان الله يأمركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها فتلاشت الظلال واضمحلت الاغيار وامحت الآثار وبقي الواحد القهار وهذا احد اسرار قوله ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا حكمتم بعد فناء الوجود المجازي وبقاء الوجود الحقيقي بين الروح والقلب والنفس ان تحكموا بالعدل فعبر تبعته
غير ابن القلب شواهد اللقاء وبلائم الروح عقبة الفناء والسر واد سلطان البقاء يا ايها الذين آمنوا الخطاب مع القلب والروح والسر فانهم آمنوا
على الحقيقة وطاعة القلب ان يحب الله وحده وطاعة الروح ان لا يلتفت الى غيره وطاعة السر ان لا يرى غيره في الوجود واما الرسول فهو الرسول الوارد
من الحق في الباطن كما قال لو ابصرته بعيدا استنفد قلبك ما يوابصه ولوافاك المعنون واولي الامر منكم يعني مشايخكم ومن بيده اسم يتبعكم فان
تنازعتم في شيء يعني منازعة النفس القلب والروح والسر فردوه الى الكتاب والسنة او يريد منازعة القلب فيما يحكم به الكتاب والسنة نزاعا من حيث
الفهم والدراية فردوه الى الله لمراقبة القلوب بشواهد الغيوب والى الرسول فان الحق يصدقه ولينته وصفاء الطوية ذلك الايمان الايقاني به
تشتبه النور او بانحيازه من ظلم الكتاب والسنة بالتقليد دون التحقيق ثم اخبر عن حال اهل الغفال المتحاكمين الى طاغوت الهوى والخيال من اهل البدع
والضلال بقوله الم تر الى الذين يزعمون الآية انما بهم مصيبة ملامة من الخلق او سياسة من السلطان فلا وربك لا يؤمنون فيه ان الايمان
الحقيقي ليس بمجرد التصديق والاقرار ولكنه سجية على محك الاعتبار وهو تحكيم الشرع لا الطبع والنبوة لا النبوة والمولى لا الهوى ووارد الحق
لا هواجس الخلق فيما اختلف نار آرائهم وحيرت عقولهم ثم لا يجدوا في قرارة انفسهم صونا كراهة من القضاء الازلية والاحكام الالهية والقبضة
الذين لهم قدم صدق عند ربهم والشهداء اهل الجهاد الاكبر والصالحين لهم صلوح الولاية وحسن اولئك رفيقا في سلوك طريق الحق والله المستعان

يا ايها الذين

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ۝ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ

ای گروه آنانکه گرویده اید فرا گیرید سلاح خود را پس متفرق شوید فرقها یا متفرق شوید همه که و بدرستی از شما هر آینه کسی هست که البته درنگ کند پس اگر رسد بشما

مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ۝ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ

واهیه گوید که انعام فرمود بر من خدا بر من چون نبودم من با ایشان حاضر در جنگ و هر آینه اگر برسد شما را بخششی از جانب پروردگار هر آینه گوید گویا که نبود

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ

میان شما و میان او دوستی ای کاش بودم من با ایشان پس بهره مند میشدم بهره بزرگ پس جهاد کنند در راه خدا آنانکه میفروشند زندگانی

الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَمَا لَكُمْ

دنیا را عوض از آخرت و هرکه جهاد کند در راه خدا پس کشته شود یا مغلوب شود پس زود باشد که بدهیم او را مزدی بزرگ و چه شده شما را

لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

که جهاد نمیکنید در راه خدا و ناتوانان از مردان و زنان و طفلان آنهایند که میگویند پروردگارا

أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ۝ الَّذِينَ

بیرون آر ما را ازین ده که ستمکارند اهل آن و بگردان از برای ما از نزد خود کارگذاری و قرار ده از برای ما از نزد خود یاوری آنانکه

آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ

گرویدند جهاد کنند در راه خدا و آنانکه کافر شدند جهاد کنند در راه بت پس جهاد کنید دوستان شیطان را

إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

بدرستی که کید و حیله شیطان هست ضعیف آیا ندیدی آنهارا که گفته شد بایشان که باز دارید دستهای خود را و برپای دارید نماز را و بدهید زکوة را

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ

پس چون نوشته شد بر ایشان جهاد ناگاه طائفه از ایشان میترسند از مردم چون ترسیدن از خدا یا سخت تر ترسی و گویند که پروردگارا چرا نوشتی

عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝

بر ما جنگ کردن را کاش پس انداختی ما را تا زمانی نزدیک بگو که بهره دنیا کم است و آخرت بهتر است مر آنرا که پرهیز کرد و ستم کرده نشوید به ریسمان

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ۗ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ

هر جا که باشید دریابد شما را مرگ و اگر چه بوده باشید در قصرهای رفیع و اگر برسد ایشان را خوبی گفتندی که این از نزد خداست

وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ

و اگر برسد ایشان را بدی گفتندی که این از نزد توست بگو که همه از نزد خداست پس چه شده مر اینگروه را که نزدیک نیستند که

يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ

دریابند حکایتی را هرچه رسید ترا از نیکوئی پس از خداست و هرچه رسید ترا از بدی پس از خود توست و فرستادیم ترا

لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

از برای مردم پیغمبر و بس است خدا گواهی هر که پیروی کند رسول را پس بتحقیق که طاعت کرده خدا را و هر که برگشت پس نفرستاده ایم ترا برایشان

حَفِيظًا ۝ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ۖ وَاللَّهُ

نگاهبان و میگویند کار ما طاعت است پس چون بیرون آیند از نزد تو باشند گردد طائفه از ایشان بجز آنرا که میگفت و خدا

يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝

مینویسد آنچه شب سازند پس روگردان از ایشان و توکل کن بر خدا و بس است خدا کار گذاری

القراءة لیبطئن نحوه مثل فلیبتین و لیبوئنهم بالیاء الخالص یزید و الشمونی و حمزة فی الوقف کان لم تکن بالتاء العوفا بیّنه ابن کثیر و حفص و المفضل و سهل و یعقوب لیاقون بیاء الغیبة نغلب فسوف ویا به بحوان تعجب تعجب من بتعك مدغما ابو بکر و حمزة غیر خلف و علی و هشام و لا یظلمون بالیاء و الحماسه ابن کثیر و علی و حمزة و خلف و هشام و یزید و ابن مجاهد عن ابن ذکوان لیاقون بتاء الخطاب بیّت طائفة مدغما ابو بکر و حمزة الوقوف جمیعا لیبطئن لابتداء الشرط مع فاء التعقیب شهیدا عظیما بالآخرة عظیما اهلها و لیا کالمتفصیل بین الدعوات نصیرا فی سبیل الله للفصل بین الفصلین بالمتضادین و لیاء الشیطان لاحتمال الابتداء و تقدیر الفاء و اللام ضعیفا الزکوة لان جواب فلما منتظر لکن التعجب فی قوله الم تر واقع علی قوله اذا فریق منهم یخشون خشیة لانقطاع النظم مع تمام المعنی القتال لان لولا ای هلا استفهام اخو مع اتحاد المعمول قریب قلیل للوصف للفصل بین وصف الدارین فتیلا مشیدة للعدول لفظا و معنی من عند الله للفصل بین النقیضین من عندک من عند الله حدیثا من الله و صلا بینا النقیضین من نفسک رسولا شهیدا اطاع الله للعطف مع ابتداء الشرط حفیظا لامینا

الفعل بعدها طاعة لا ابتداء الشرط مع ان المضي من باب نفاقهم لانهم بعد يقولون يبيتون لاختلاف الجملتين مع الاتصال اي ذا كتب الله ما يبيتوا فاعرض
عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا التفسير انه سبحانه عاد بعد الترغيب في طاعة الله وطاعة رسوله الى ذكر الجهاد الذي هو اشق الطاعات ولانه اعظم الامور التي بها تمام تقوية
الدين فقال يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم والحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر والمثل والمثل يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر
آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر السلاح لانه ما يتقى به ويحذر فان قيل
اي فائدة في هذا الامر والحذر لا يغني عن القدر والمقدر كائن لا محالة قلت هذا من عالم الاسباب والوسائط المرتبطة ولا ريب ان الكل يقع على نحو ما هو فمن
امتثل وترتب عليه الاثر كان بقدر ومن اهمل جنى فان عدم السلامة كان ايضا بقدر وهكذا الاستعداد لجميع التكاليف فاذا اعتبرتم فانفروا الى قتال عدوكم اي انهضوا لذلك
قال واذا استنفرتم فانفروا ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واحدها ثبة محذوفة اللام واصلها ثبي عوضت الهاء عن الياء المحذوفة والتركيب يدل على
الاجتماع ومنه الثبة لوسط الحوض لان الماء يجتمع عنده وثبت الشيء جمعته او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة وهذا قريب مما قال الشاعر طاروا اليه ثبى
وزرافات والغرض النهي عن التخاذل والقاء النفس الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اللام الاولى هي الداخلة في خبر ان والثانية هي الداخلة في جواب القسم
وتقدير الكلام لمن حلف بالله ليبطئن وهو اما متعد بسبب التشديد فيكون المفعول محذوفا اي ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو كما هو دين المنافق عبد الله بن ابي
يثبط الناس يوم احد واما لازم فقد جاء بطأ بالتشديد بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اي ابطأ اي ليتثاقل وليتخلف عن الجهاد وهذا المعنى اوفق لقوله فان اصابتكم مصيبة
من قتل او هزيمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن قوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل
الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني المنادى محذوف اي يا قوم ليتني جوز ابو علي ادخال حرف النداء في الفعل والحرف من غير اضمار المنادى كنت معهم فافوز منصوب
باضمار ان اي ليت لي كونا معهم ففوزا والخطاب في قوله وان منكم للمذكورين في قوله يا ايها الذين آمنوا والاظهر ان هذا المبطئ سواء جعل لازما او متعديا كان منافقا
فلعله جعل من المؤمنين من حيث الجنس والنسب والاختلاط او لانه كان حكمه حكم المؤمنين لظاهر الايمان والمراد بايها الذين آمنوا المؤمنون في زعمكم ودعواكم
كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر ومعنى الاعتراض في البين ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل
في الباطن وقال جمع من المفسرين ان هؤلاء المبطئين كانوا ضعفة المسلمين وعلى هذا فالتبطئة بمعنى الابطاء البتة لان المؤمن لا يثبط غيره ولكنه قد يتثاقل قوله
يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم ثم لما ذم المبطئين رغب في الجهاد بقوله فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون ومعناه يشترون او
يبيعون وعلى الاول فهم المنافقون المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويجاهدوا حق الجهاد ولا يختاروا الدنيا على المعاد وعلى الثاني فهم المؤمنون الذين تركوا
الدنيا لاجل الآخرة والمراد ان ابطأ اهل النفاق وضعفة الايمان عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون وقيل يحتمل ان يراد المؤمنون على التقدير الاول ايضا لان
الانسان اذا اراد ان يبذل هذه الحيوة الدنيا في سبيل الله بخل بنفسه فاشتراها من نفسه لسعادة الآخرة ليقدر على بذلها في سبيل الله او لعل المراد بالاشتغال
بالقتال ترك ترجيح الفاني على الباقي او المراد انهم كانوا يرجحون الحيوة على الموت لاستيفاء السعادات البدنية فقيل لهم قاتلوا فانكم تستولون على الاعداء وتفوزون
بالاموال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب وعد بالاجر العظيم على تقديري المغلوبية والغالبية ليعلم انه لا عمل اشرف من الجهاد وليكون المجاهد على بصيرة
من حاله على اي تقدير كان فيقاتل ولا يحجم ثم زاد في تحريضهم فقال وما لكم لا تقاتلون ومعناه انه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ الحال الى ما بلغ وقوله
والمستضعفين اما مجرور اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين واما منصوب على الاختصاص اي واخص من سبيل الله الذي هو عام في كل خير خلاص المستضعفين
وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم اذلاء يلقون منهم اذى شديدا فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه
فيسره الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح والولدان جمع ولد كجربان في جرب وقيل الرجال والنساء الاحرار والجوار والولدان العبيد والاماء لان
العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وجمعهما الولدان والولائد الا انه خص الولدان بالذكر تغليبا كالاباء والاخوة مع ارادة الامهات والاخوات
ايضا وعن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من الولدان والنساء والظالم صفة للقرية الا انه مسند الى اهلها فتبع القرية في الاعراب وفي التذكير لاسناده الى الاهل
والاهل يذكر ويؤنث ولو انث لانث لتانيث الموصوف بل لجواز تانيث الاهل جاز وانما اشركوا الولدان في الدعاء وان كانوا غير مكلفين لان المشركين كانوا يؤذونهم
ارغاما لآبائهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس ووردت السنة باخراجهم
في الاستسقاء واجعل لنا من لدنك وليا اي كن انت لنا وليا وناصرا او ول علينا رجلا يوالينا ويقوم بمصالحنا فاستجاب الله دعاءهم لان النبي لما فتح مكة
جعل عتاب بن اسيد اميرهم فكان الولي هو الرسول وكان النصير عتاب بن اسيد كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من
الظلمة ثم شجع المؤمنين تشجيعا بان اخبرهم انهم يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الطاغوت والطاغوت الشيطان فلا ولي
لهم الا الشيطان وان كيده اوهن شيء واضعفه والكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال وفائدة ادخال كان ان يعلم انه منذ كان كان موصوفا بالضعف والذلة الا
ترى ان اهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا مدة حياتهم في غاية الخمول والفقر واما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرض اثرهم ولا يبقى في الدنيا
رسمهم ولا ظلمهم قوله سبحانه الم تر الى الذين قيل لهم فيه قولان الاول انها نزلت في المؤمنين نفر من اصحاب رسول الله منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود
وقدامة بن مظعون وسعد بن ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا ويقولون لرسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا ايديكم عنهم
فاني لم اؤمر بقتالهم فلما هاجروا الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين كره بعضهم وشق عليهم الثاني قال ابن عباس في رواية ابي صالح لما استشهد الله من



المسلمين من استشهد يوم احد قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد لو كان اخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فنزلت وقد يحتج للقول الاول بان
وصفهم في القتال او لا دليل الايمان ويمكن ان يجاب بان المنافقين ايضا كانوا يظهرون الرغبة في الجهاد الى ان امروا بالقتال فجبنوا واحتج اصحاب القول الثاني بانهم
كانوا يخشون الناس كخشية الله او اشد وكانوا يعترضون على الله ثم بقولهم لم كتبت علينا القتال وكانوا يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة فلهذا قيل لهم قل متاع
الدنيا قليل وكل هذه الامور من نعوت المنافقين واجيب بان حب الحيوة والنفرة عن القتل من لوازم الطباع وهو المعنى بالخشية والاعتراض محمول على التمني تخفيف
التكليف لا على الانكار وقوله قل متاع الدنيا قليل انما ذكر ليهون على قلبهم امر هذه الحيوة والاولى حمل الاية على المنافقين لان ما بعدها وهو قوله وان
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله في شانهم بلا اختلاف وفي الاية دلالة على ان ايجاب الصلوة والزكوة كان مقدما على الجهاد وهو ايضا ترتيب مطابق
لما في المعقول لان التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله مقدمان على الترهيب للقتال في سبيل الله واذا في اذا فريق للمفاجاة وهو مجرد عن الظرفية والعامل
فيها معنى المفاجاة اي فاجاء وقت خشية فريق زمان كتبة القتال عليهم وقوله كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحل الكاف النصب على الحال لما عطف
عليه من قوله او اشد ثم نصب خشية على التمييز والتقدير يخشون الناس مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية من خشية اهل الله نعم لو قيل اشد خشية بالاضافة
انتصب خشية الله على المصدر ولا يمكن ان يقول اشد خشية بالنصب على ان ذا المصدر اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية فقد تخشية مثل جد جده فيكون المعنى خشية مثل
خشية الله وخشية اشد خشية من خشية الله وعلى هذا يجوز ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منها وكلمة او ليست
للشك ههنا فان ذلك على علام الغيوب محال لكنها بمعنى الواو او المراد ان كل خوفين فان احدهما بالنسبة الى الاخر اما ان يكون انقص او مساويا او ازيد فبين
في الاية ان خوفهم من الناس ليس بانقص من خوفهم من الله فبقي اما ان يكون مساويا او ازيد فهذا لا يوجب كونه شاكا فيه ولكنه يوجب بقاء الابهام في
هذين القسمين على المخاطبين وهذا نظير قوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يراهم يقول هذا الكلام وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ان كانت الاية في المؤمنين فهم انما قالوا ذلك لا اعتراضا على الله ولكن جزعا من الموت وحبا للحيوة واستزادة في مدة الكف
واستمهالا الى وقت اخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق وان كان من كلام المنافقين فلا شك انهم كانوا منكرين لكتبة القتال عليهم فهم قالوا
ذلك بناء على زعم الرسول ودعواه ومعنى لولا اخرتنا هلا تركتنا حتى نموت باجالنا ثم ازال الشبهة وازاح العلة بقوله قل متاع الدنيا قليل والاخرة
خير لا لكل الناس بل لمن اتقى فان للكافر والفاسق هنالك نيرانا واهوالا ومن هنا قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واما ترجيح الاخرة فلان نعم الدنيا قليلة
ونعم الاخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الاخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالاقذار ونعم الاخرة صافية عن الاكدار ونعم الدنيا مشكوكة التمتع بها ونعم
الاخرة يقينية الانتفاع منها ثم بكت الفريق الخائفين بانهم يدركهم الموت اينما كانوا ولو كانوا في حصون مرتفعة والبروج في كلام العرب القصور والحصون و
اصلها من الظهور ومنه تبرجت المرأة اذا اظهرت محاسنها والغرض انه لا خلاص لهم من الموت والجهاد موت مستعقب للسعادة الابدية واذا كان لا بد من الموت
فوقوعه على هذا الوجه اولى قال المفسرون كانت المدينة مملوءة من النعم وقت مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم فلما ظهر عناد اليهود ونفاق المنافقين امسك الله تعالى عنهم
بعض الامساك كما جرت عادته في جميع الامم قال وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء فعند هذا قال اليهود والمنافقون
ما رأينا اعظم شوما من هذا الرجل نقصت ثمارنا وغلت اسعارنا منذ قدم فقوله وان تصبهم حسنة يعني الخصب والرخص وتتابع الامطار وان تصبهم
سيئة يعني الجدب وانقطاع الامطار قالوا هذا من شوم محمد وهذا كقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن
معه وقيل المراد بالحسنة النصر على الاعداء والغنيمة والسيئة القتل والهزيمة وقال اهل التحقيق خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ وكل ما ينتفع به فهو حسنة
فان كان منتفعا به في الدنيا فهو الخصب والغنيمة وامثالهما وان كان منتفعا به في الاخرة فهو الطاعة فالحسنة تعم الحسنات والسيئة تعم السيئات فلا جرم
اجابهم الله تعالى بقوله قل كل من عند الله وكيف لا وجميع الممكنات من الافعال والذوات والصفات لا بد من استنادها الى الواجب بالذات ولهذا تعجب
من حالهم وقال فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فنفى عنهم مقاربة الفقه والفهم فضلا عن الفقه والفهم قالت المعتزلة بل هذه الاية
حجة لنا لانه لو كان حصول الفهم والمعرفة بتخليق الله تعالى لم يبق لهذا التعجب معنى البتة لانه تعالى ما خلقها والجواب انه تعالى لا يسأل عما يفعل وايضا المعارضة بالعلم
والداعي وقالت المعتزلة ايضا الحديث فعيل بمعنى مفعول والمراد به الايات المذكورة في هذه المواضع فيلزم منه كون القران محدثا والجواب بعد تسليم ما
ذكروا انه لا نزاع في حدوث العبارات انما النزاع في الكلام النفسي قوله عز من قائل ما اصابك من حسنة فمن الله قال ابو علي الجبائي السيئة تارة تقع
على البلية والمحنة وتارة تقع على الذنب والمعصية ثم انه تعالى اضاف السيئة الى نفسه في الاية الاولى بقوله قل كل من عند الله واضافها في هذه الاية الى العبد بقوله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك فلا بد من التوفيق وازالة التناقض وما ذاك الا بان يجعل هناك بمعنى البلية وههنا بمعنى
المعصية قال وانما فصل بين الحسنة والسيئة في هذه الاية فاضاف الحسنة التي هي الطاعة الى نفسه دون السيئة مع ان كليهما من فعل العبد لان الحسنة
انما تصل الى العبد بتسهيل الله والطافه فصحت اضافتها اليه اما السيئة فلا يصح اضافتها الى الله تعالى لا بانه فعلها ولا بانه ارادها ولا بانه امر بها ولا بانه
رغب فيها وقال في الكشاف ما اصابك من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة
فمن نفسك لانك السبب فيها بما اكتسبت بذلك كما روي عن عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما
يعفو الله اكثر منه وقالت الاشاعرة كل من الحسنة والسيئة باي معنى فرض فانهما من الله تعالى لوجوب انتهاء جميع الحوادث اليه لكنه قد يظن بعض الظاهريين ان



اضافة السيئة الى الله تعالى خروج عن قانون الادب وفيه ان الآية ان كل ما يصيب الانسان من سيئة حتى الكفر الذي هو افحش القبائح فان ذلك بتخليق الله ثم الوجه
فيه ان يقال الكلام استفهام على سبيل الانكار والتقدير افمن نفسك بل كلها مضافة الى الانسان ليست مضافة الى الله من السيئات شيئا ان بعيد انه قرئ فمن نفسك
بصريح الاستفهام وما يدل عليه لا انه ظاهر على ان المراد من هذه الآيات اسناد جميع الامور الى الله تعالى قوله بعد ذلك وارسلناك للناس رسولا اي ليس لك
الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت ذلك وما قصرت وكفى بالله شهيدا على جدك وعدم تقصيرك في اداء الرسالة وتبليغ الوحي فاما حصول الهداية فليس اليك
بل الى الله قال علماء المعاني قوله رسولا حال من الكاف اي حال كونك ذا رسالة وللناس صفة رسولا لا متعلق بارسلناك والا قيل الى الناس فاصل التقلم
وارسلناك رسولا للناس فلا بد للمتقدم من خاصية هو التخصيص اعني ثبوت الحكم للمتقدم ونفيه عن غيره حقيقة او عرفا لاعتداد مطلق او بعد تقليم هل
المقدمة فاللام في قوله للناس اما ان يكون للعهد الخارجي او للجنس او للاستغراق والاول باطل لان المعهود الخارجي حصة معينة من الافراد فيلزم اختصاص
رسالته ببعض الانس لوقوع بعض الناس في مقابلة كلهم عرفا فيكون منافيا لما في الآيات الاخر كقوله يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وقوله
بعثت الى الخلق كافة والثاني وهو حمل اللام على تعريف الجنس ايضا باطل لانه يلزم اختصاص رسالته بالانس دون الجن لان ثبوت الحكم لحقيقة الانس بوساطة
التقديم ينفي الحكم عما يغايرها عرفا وهو حقيقة الجن او ينفي الحكم عما عداها من الحقائق فيشمل حقيقة الجن ضرورة وعلى التقديرين يلزم الخلف لانه صلى الله عليه وسلم
مبعوث الى الثقلين لقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية فتعين حمل اللام على الاستغراق ليثبت الحكم لكل فرد من افراد الانسان ويحصل
موجبه كليته وينفي نقيض هذا الحكم وهو ما كان يزعمه الضالة من نسائر حزبه من انه ليس مبعوثا الى بعض الناس كالعجم وانه رسول العرب خاصة وعلى
هذا يكون الجن مسكوتا عنهم بالنسبة الى هذه الآية فلا لانه دليل آخر على كونه مبعوثا الى الثقلين لا يكون منافية لدلالة هذه الآية لان التقديم قد
استوفى حظه من الخاصية من غير تعرض الجن ثم لما بين انه لكل فرد فرد من افراد الناس رسول اوجب طاعته بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله لان الطاعة
الرسول لكونه رسولا فيما امر ورسولا يكون الا طاعة لله قال مقاتل في هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله
فقال المنافقون لقد قارب الرجل الشرك هو ينهى ان يعبد غير الله ويريد ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله هذه الآية وهي من اقوى الدلائل
على انه معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي تبليغه وفي افعاله والا لم يكن طاعته فيما اخطأ طاعة لله ومن تولى قيل هو التولي بالقلب اي حملك يا محمد
على الظواهر واما البواطن فلا تتعرض لها وقيل هو التولي بالظاهر ومعناه فلا ينبغي ان تغتم بسبب ذلك التولي فما ارسلناك لتحفظ الناس عن المعاصي
فان من اضله الله لم يقدر احد على ارشاده والمعنى فما ارسلناك لتشتغل بزجرهم عند ذلك التولي كقوله لا اكراه في الدين ثم نسخ بآية الجهاد ثم حكى سيرة
المنافقين بقوله ويقولون اي حين ما امرهم بشيء طاعة اي امرنا وشأننا طاعة والنصب في مثل هذا جائز بمعنى اطعناك طاعة ولكن الرفع يدل على
ثبات الطاعة واستمرارها فلهذا لم يقرأ فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي دبرت خلاف ما امرت به وضمنت من الطاعة قال
الزجاج كل امر تفكروا فيه كثيرا وتأملوا في مصالحه ومفاسده كثيرا قيل هذا امر مبيت وفي اشتقاقه وجهان الاول ان اصلح الاوقات للفكر ان يجلس
في بيته في الليل فهناك يكون الخاطر اصفى والشواغل اقل فلاجرم سمي الفكر المستقصى تبييتا الثاني قال الاخفش اذا اراد العرب قرض الشعر
بالغوا في التفكر فيه فسمي الفكر البليغ تبييتا فاشتقاقه من بيات الشعر ثم انه تعالى خص طائفة من المنافقين بالتبييت وذكر في التخصيص
وجهين احدهما انه ذكر من علم انه يبقى على كفره ونفاقه فاما من علم انه يرجع عن ذلك فلم يذكرهم وثانيهما ان هذه الطائفة كانوا قد سهروا ليلهم
في التبييت وغيرهم سمعوا وسكتوا ولم يبيتوا فلاجرم لم يذكروا قلت وجه ثالث وهو ان هذا النوع من الكلام اجلب للقلوب وادخل في علم الايمان
والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه ويكتبه في جملة ما يوحي اليك فيطلعك على اسرارهم فاعرض عنهم وتوكل على الله شأنهم
فان الله ينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره قال بعضهم الامر بالاعراض منسوخ بآية الجهاد والاكثرون على ان الصفح مطلق فلا حاجة
الى التزام النسخ والله تعالى اعلم التأويل خذوا حذركم وهو ذكر الله فانفروا ثبات جاهدوا بالرياضات من عالم النفس وهو عالم الحيوانية او انفروا
جميعا من عالم الجسمانية وهو عالم الروحانية الى عالم الوحدة وان منكم ايها الصديقون لمن ليبطئن من المدعين المتكاسلين في السير القانعين بالاسم
النازلين على الرسم مصيبة شدة ومجاهدة فضل من الله مواهب غيبية وعلوم لدنية ومرتبة عند الخواص وقبول عند العوام يشرون الحيوة الدنيا
يشترون حظوظ النفس بحقوق الرب فيقتل نفسه بسيف الصدق ويغلب عليها بالظفر فليسلم على يده والمستضعفين من الرجال اي الارواح الضعيفة
استضعفها النفوس باستيلائها عليها والنساء اي القلوب فان القلب للروح كالزوجة للزوج لتصرفها الروح في القلب كتصرف الزوج في الزوجة
والولدان الصفات الحميدة المتولدة بين الروح والقلب هذه القرية قرية البدن الظالم اهلها وهو النفس الامارة بالسوء نصيرا يشجاعر بيا
الم تر الى الذين قيل لهم من اهل السلامة كفوا ايديكم عن الاعتصام بحبل اهل الملامة واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فانكم لستم اهل الغرام فاتقوا
بدار السلام والسلام لارباب الغرام من اهل الملام اذا فريق منهم يخشون الناس يخافون لومة الناس لو كان من شرطهم ان لا يخافوا لومة لائم
ولا يبالوا موتة نائم يتقوا عن فرقهم كالبهائم وضلوا عن طريقهم كالبهائم لولا اخرتنا الى اجل قريب فنموت بالآجال فان لنا كل الحظ موتة في
ترك حظ فيا ايها الطالبين ذي الباطل الذين غلب عليكم حب الدنيا فاقعدكم عن طلب المولى اينما تكونوا يدرككم الموت اضطرارا ان لم تموتوا قبل
ان تموتوا اختيارا ولو كنتم في بروج مشيدة اجسادكم مجسمهم وان تصبهم يعني لاهل الباطل الذي من فتوحات غيبية يقولوا هذه من عند الله لا برؤية

المستقصي
بالغوامض

للشيخ فيما عليهم حفاوات نصيبهم سيئة من الوجيه عذاب يقولوا للشيخ هذه من عندك اى بسببك وسعيك قل كل من عند الله القبض والبسط والفرح والمرح
فما اصابك من فتح وهو مبشر من الله فضلا وكرما وما اصابك من سيئة بلاء وعناء فمن شؤم صفات نفسك الامارة والصحيح منه ان كلا الامرين
التيسير والتعسير والخلق والكسب من الله ثم والكسب الفعل وهما من العبد ان كان العبد وكسبه فعله كلها مخلوقة خلقها الله ثم فما لهم دار
لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا لا يهتدون بهذا ويتبعون خطاك ويقولون اذا كانوا حاضرين في صحبتك ينعكس اشعة انوار النبوة عليهم ويصغون ما تأمرهم
الواعية الى الحكم والمواعظ الوافية السمع والطاعة فاذا برزوا من عندك لتدهبت عليهم رياح الهوى عاد الطبع المشئوم الى اصله وهكذا حال
اكثر اهل هذا الزمان الى مشايخهم والله يكتب اى يغير عليهم ما يبيتون لان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فاعرض عنهم واصبر معهم
وتوكل على الله فلعل

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا

الله يصلح بالهم — آیا پس تدبر نمیکنند قرآن را و اگر میبود از نزد غیر خدا هر آینه یافتندی در آن اختلاف بسیار

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ

و اگر آمد ایشان را کاری از ایمنی یا ترس افشا کردند آن را و اگر برگردانیدندی بسوی پیغمبر و بسوی صاحبان فرمان از ایشان

لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا

هر آینه میدانستند آن را آنها که میشنوند آن را از ایشان و اگر نبودی زیادتی خدا بر شما و مهربانیش هر آینه متابعت کردید شیطان را مگر کمی

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا

پس جهاد کن در راه خدا مؤاخذه نمیشوی مگر بفعل نفس خود و میل ده گروندگان را امید است که خدا نگاه دارد آسیب آنها را که کافر شدند

وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ۝ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ

و خدا سخت تر است آسیبش و سخت تر است عقوبت او — هر که واسطه شود واسطه نیکوئی میباشد مر او را بهره از آن — و هر که واسطه شود

شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ۝ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا

واسطه بدی میباشد مر او را عقوبتی از آن و میباشد خدا بر هر چیزی توانا — و چون دعا گفته شد بشما بدعائی پس دعا گوئید

بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ

بهتر از آن یا همان را برگردانید بدرستی که خدا بر هر چیزی نگاهبان است — آن خدائی که نیست خدائی بجز او هر آینه گرد آورد شما را تا روز

الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۝ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا

قیامت که شکی نیست در آن و کیست راستگوتر از خدا در حکایت — پس چیست شما را در منافقان که دو گروه شده اید و خدا نگونسار گردانید ایشان را بجهة

كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۝ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا

کسب کردند آیا میخواهید که هدایت کنید آن را که گمراه کرد خدا و هر که را که گمراه کند خدا پس نیابی از برای او راهی — دوست دارند که کفر شوید چنانچه

كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ

کافر شدند پس بوده باشید یکسان پس فرا مگیرید از آنها دوستان تا وقتی که هجرت کنند از وطن در راه خدا پس اگر برگشتند پس بگیرید ایشان را و بکشید ایشان را

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

هر جا که یافتید ایشان را و فرا مگیرید از آنها دوستی و نه یاوری — مگر آنها که پیوند گیرند بسوی گروهی که در میان شما و میان ایشان

مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ

پیوندی یا آمدند شما را تنگ شد سینه های ایشان که کارزار کنند با شما یا کارزار کنند قوم خود را و اگر میخواست خدا هر آینه مسلط کردی آنها را بر شما

فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝

پس هر آینه کارزار کردندی با شما پس اگر کناره گیرند از شما پس کارزار نکنند با شما و افکنند بسوی شما اختیار را پس قرار نداده است خدا از برای شما بر ایشان راهی

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ

زود است که بیابید دیگران را که میخواهند که آسوده سازند شما را و آسوده گردانند قوم خود را هر چند برگردیده شدند در فتنه نگونسار شدند در آن پس اگر

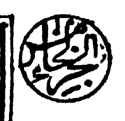
لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ

کناره نگرفتند شما را و نیفکندند بسوی شما اختیار را و باز نداشتند دستهای خود را پس بگیرید ایشان را و بکشید ایشان را هر جا که یافتید آنها را و آن گروه

جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۝ القراءة ومن اصدق وكل ساكن بعدها دال باشمام الزاي علي ويدوبس وحمزة غير العجلي

قرار دادیم از برای شما بر ایشان قوتی هویدا

حصرت صدورهم وبابه صدها ابو عمرو حمزة وعلي وخلف وابن عامر وقرا سهل ويعقوب والمفضل
حصرت صدورهم بالنصب والتنوين الوقوف القرآن لتناهي الاستفهام الى الشرط كثيرا اذاعوا به منهم قليلا في سبيل الله لان قوله لا تكلف [illegible]



الاستيناف والحال اي قابل غيرمخالف لانفسك ولعطف قوله حرض على قوله فقاتل المؤمنين لان عسى مستانف لفظا ومتصل معنى لانه ان خبّ نخج
ما امربه كفر وان نحلوا نصيب منها الابتداء شرطا اخر مع واو العطف كفل منها معينا نفسد الجزء دو ما حسبنا الا هو لا ريب فيه حديثا بما كسبوا من اضل الله
لتناهي الاستفهام الى الشرط سبيلا في سبيل الله وجدتموهم نصيرا و يقاتلوكم فلقاتلوكم السلم لان ما بعده جواب فان سبيلا قومهم اركسوا فيها ثقفتموهم
مبينا التفسير لما حكى عن المنافقين ما حكى وكان السبب فيه اعتقادهم انه غير محق في ادعاء الرسالة الزامهم بالتفكر والتدبر وهو النظر في عواقب الامور
وادبارها ومنه قول اكثم لا تدبروا اعجاز امور قد ولت صدورها ويقال في فصيح الكلام لو استقبلت من امري ما استدبرت اي لو عرفت في صدره ما عرفت
من عاقبته وظاهر الاية يدل على انه احتج بالقران على صحة نبوة محمد والا لانقطع النظم ودلالة القران على صدق النبي من ثلثة اوجه الفصاحة والاشتمال
على الغيوب والسلامة من الاختلاف وهو المقصود من الاية واختلف المفسرون في المراد من سلامته من الاختلاف فقال ابو بكر الاصم معناه ان المنافقين
كانوا يتواطؤن في السر على انواع كثيرة من المكائد والرسول كان يخبرهم عنها حالا فحالا فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لم يطرد صدقه ولظهر انواع
الاختلاف والتفاوت وقال اكثر المتكلمين المراد بتجاوب معانيه وتلاؤم مقاصده مع انه مشتمل على علوم كثيرة وفنون غزيرة ولو كان من عند غير الله لم يخل
من تناقض واضطراب الذي نطق به التناقض كقوله لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان مع قوله لنسئلنهم اجمعين وكقوله فاذا هي ثعبان مبين مع قوله كانها جان
ليس بذاك عند التدبر وملاحظة شروط التناقض من اتحاد الزمان والمكان وغيرهما وقال ابو مسلم المراد متحد نظمه وكون كله بل كل جزء من اجزائه وابعاضه بالغا
حد الاعجاز ومن المعلوم ان الانسان وان كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا مشتملا على المعاني الكثيرة فلا بد ان يظهر التفاوت في كلامه بحيث
يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا ولما لم يكن القران كذلك علمناه انه معجز من عند الله ثم في الاية دلالة على وجوب النظر والاستدلال على التدبر فيما ليس سبيل
وقال الجبائي فيها دلالة على ان افعال العباد غير مخلوقة لله لان فعل العبد لا ينفك عن التفاوت والاختلاف والجواب انه لا يلزم من كون كلام غير متفاوت ولا مختلف
ان لا يكون افعاله مختلفة بحسب اختلاف المظاهر والقوابل سلمنا لكن اختلافه وهو كونه غير مطابق للاغراض والمقاصد الانسانية قد يكون بحسب نظرنا الا بحسب الامر
نفسه ثم حكى عن المنافقين وقيل عن ضعفة المسلمين انه اذا جاءهم الخبر بامر من الامور سواء كان ذلك الامر من باب الامن او من باب الخوف اذاعوه وافشوه يقال اذاع السر
واذاع به لغتان ويجوز ان يكون معنى اذاع به فعل به الاذاعة وهو ابلغ ولا يخفى ما في ذلك الافشاء من الضرر من جهة ان الارجاف لا ينفك عن الكذب ومن جهة ان ذلك
الوباء اذا كانت في جانب الامن ولم تقع اورثت شبهة لضعفة المسلمين في صدق الرسول لان المنافقين كانوا يروونها من الرسول وان كانت في جانب الخوف حصل الاضطراب
في الضعفة ووقعوا في الحيرة وايضا البحث عن الارجاف موجب لظهور الاسرار وذلك لا يوافق مصلحة المدينة فقد يصل الخبر الى الكفار فاستعدوا للقتال او تحصنوا
وفي معنى الاية قولان الاول ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله والى اولي الامر وهم كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما
اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب مكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر
اول ما تحفر فاستعير لاستخراج المعاني والتدبير الثاني كانوا يقفون من رسول الله واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف
واستشعار فيذيعونه فتعود اذاعتهم مفسدة فقيل لهم لو فوضوه الى الرسول والى اولي الامر وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف
يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه الثالث كانوا يسمعون من افواه بعض المنافقين شيئا من خبر السرايا غير معلوم الصحة فيذيعونه فقيل لهم لو سكتوا حتى
سمعوه من الرسول واولي الامر لعلموا صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع فالمستنبطون هم المذيعون ومعنى يستنبطونه منهم يتلقونه من الرسول واولي الامر
ويستخرجون علمه من جهتهم قالت العلماء في الاية دلالة على ان القياس حجة لانهم امروا ان يرجعوا في معرفة الوقائع الى اولي الامر من المستنبطين فرقا بين النقص
لا يكون استنباطا فهو اذن رد وافقه الى نظيرها وهو القياس واعترض بان الاية ان المستنبطين هم العلماء واولو الاراء بل هم المذيعون كما في القول الثاني
سلمنا لكن الاية نزلت في الحروب فلا يلزم من جواز الاستنباط في الوقائع المتعلقة بها جواز الاستنباط في الوقائع الشرعية فان عمّم احد البابين على الاخر
كان اثباتا للقياس الشرعي بالقياس الشرعي سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون المراد استخراج الاحكام الشرعية من النصوص الخفية او من تركيبات النصوص
او بالبراءة الاصلية او بحكم العقل كما يقول الاكثرون ان الاصل في المنافع الاباحة وفي المضار الحرمة وكل هذه الامور ليس من القياس الشرعي في شيء سلمنا ان القياس
الشرعي داخل في الاية لكن بشرط كونه مفيدا للعلم بدليل قوله لعلمه الذين يستنبطونه ولا نزاع في تسليم انما النزاع في ان القياس المفيد للظن هل هو حجة
ام لا واجيب بان صرفها المستنبطين الى المذيعين ليس بالقوي اذ لو كان المراد ذلك لكان الاليق بنظم الكلام ان يقال ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر لعلموه
من غير اقامة المظهر مقام المضمر وعن الثاني بان الامن او الخوف عام في كل ما يتعلق بباب التكليف ولئن سلم انه مخصوص بامور الحرب اذ عرفنا احكام الحروب بالقياس
الشرعي لزم جواز التمسك به في سائر الوقائع اذ لا قائل بالفرق الا ترى ان من قال القياس حجة في باب البيع لا في باب النكاح لم يلتفت اليه وعن الثالث بان
من ذلك لا يسمى استنباطا وعن الرابع ان العلم قد يراد به الظن الغالب سلمنا لكن القياس الشرعي عندنا يفيد العلم لانه مهما غلب على الظن ان حكم الله
في الاصل معلل بكذا ثم غلب على الظن ان ذلك المعنى قائم في الفرع حصل ظن ان حكم الله في الفرع مساو لحكمه في الاصل وعند هذا الظن يقطع بانه مكلف
بان يعمل على وفق هذا الظن وهذا معنى قولهم الظن واقع في طريق الحكم والحكم مقطوع به كانه تعالى قال لهم اذا غلب ظنك كذا في الواقعة الفلانية فاعلم قطعا ان
حكمي فيها كذا اما قوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا فظاهره يقتضي اشكالا وهو ان قليلا من الناس لا يحتاج في عدم اتباع الشيطان الى فضل الله ورحمته
لكن الاحتياج بالنسبة الى كل واحد من الناس ثابت بالاتفاق فهذا تناقض وقد ذكر المفسرون في ازالة التناقض وجوها الاول ان الاستثناء راجع الى قوله

الا قوله



اذاعوا به كانه قيل كما اخرج بعض المنافقين من هذه الاذاعة كما اخرجهم في قوله بيت طائفة الثاني انه غاية الى قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الاول
قال الفراء والمبرد القول الاول اولى لان ما يعلم بالاستنباط فالاقل يعلمه والاكثر يجهله وصرف الاستثناء الى ما ذكروه يقتضي بعض اهله ضد ذلك قال الزجاج
هذا غلط لانه لا يراد بهذا الاستنباط ما يستخرج بنظر دقيق وفكر غامض انما هو استنباط خبر واذا كان كذلك فالاكثر يعرفونه الا البالغ في البلادة
والانصاف ان الاستنباط لو حمل على مجرد تعرف الاخبار والاراجيف فكلام الزجاج الصحيح وان كان محمولا على استخراج الاحكام الشرعية كان الحق ما
ذكره الفراء والمبرد الثالث ان الاستثناء مصروف الى ما يليه كما هو حق اللفظ لان الفضل والرحمة مفسران بشيء خاص وفيه وجهان احدهما قول جماعة
من المفسرين ان المراد انزال القرآن وبعثة محمد والتقدير لولا بعثة محمد وانزال القرآن لاتبعتم الشيطان ولكفرتم بالله الا القليل منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم
بعثة محمد ما كان يكفر بالله وهم مثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل كانوا مؤمنين بالله قبل بعثة محمد وثانيهما قول ابي مسلم ان المراد بالفضل
والرحمة ههنا نصرته ومعونته اللذان تمناهما المنافقون بقولهم فافوز فوزا عظيما والتقدير لولا حصول النصر والظفر على سبيل التتابع لاتبعتم الشيطان
الا القليل منكم وهم اهل البصائر والعزائم من افاضل المؤمنين الذين يعلمون انه ليس من شرط كونه حقا حصول الدولة في الدنيا فلا تواتر الفتح والظفر يدل على كونه
حقا ولا الاسر ولا انقطاع النصر والغلبة يدل على كونه باطلا بل الامر في كونه حقا وباطلا مبني على الدليل وهذا احسن الوجوه قوله فقاتل قيل انه جواب لقوله ومن
يقاتل في سبيل الله فيقتل كانه قيل ان اردت الفوز فقاتل وقيل انه متصل بمعنى ما ذكر من قصص المنافقين كذا وكذا فلا تعتد بهم ولا تلتفت اليهم بل قاتل فانك
لا تؤاخذ الا بفعلك فاذا اديت فرضك لم تكلف فرض غيرك ويعلم من قوله وحرض المؤمنين ان الواجب على الرسول انما هو الجهاد وتحريض الناس على الجهاد اي الحث
والاحماء عليه فاذا اتى بالامرين فقد خرج عن عهدة التكليف وليس عليه من كون غيره تاركا شيء واعلم ان الجهاد في حق غير الرسول من فروض الكفايات فما لم يغلب
على الظن انه مفيد لم يجب بخلاف رسول الله فانه على ثقة من النصر والظفر بدليل قوله والله يعصمك من الناس وبدليل قوله ههنا عسى الله ان يكف باس الذين
كفروا وعسى من الله جزم لان الرجاء عليه محال لانه اطماع والاطماع من الكريم ايجاب فلزم الجهاد وان كان وحده فلا جرم انه قال في بدر الصغرى لاخرجن وحدي فخرج معه
سبعون راكبا ولو لم يتبعه احد لخرج وحده ثم انه تعالى كف باس المشركين والقى الرعب في قلوب سفيان واصحابه حتى ندموا وتركوا الحرب في تلك السنة وفي الاية
دليل على انه كان اشجع الخلق لانه تعالى لم يأمره بالقتال وحده الا انه كذلك وقد اقتدى به ابو بكر حيث حاول الخروج وحده الى قتال مانعي الزكوة ومن عرف ان الامر
كله بيد الله وانه لا يحدث شيء الا بقضاء الله سهل عليه القتل وكان عجزه عن تنبيه الموت والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا لان عذاب الله
دائم وعذاب غيره غير دائم وعذاب غير الله يخلصه الله عنه وعذاب الله لا يقدر احد على تخليصه منه وعذاب غير الله يكون من وجه واحد وعذاب الله يصل الى جميع
الابعاض والاجزاء ويشمل الروح والجسم فهذه طرف من الفرق والله اعلم بكنه عذابه ونعوذ بالله من عذابه قوله سبحانه من يشفع شفاعة حسنة وجه النظم
يعرف من تفسيره وذلك انه قيل المراد منه تحريض النبي اياهم على الجهاد لانه اذا كان يأمرهم بالغزو فقد جعل نفسه شفعا لهم في تحصيل الاغراض المتعلقة بالجهاد
وايضا التحريض هو الحث على سبيل الرفق والتلطف والتهديد يجري مجرى الشفاعة وقيل كان بعض المنافقين يشفع لمنافق آخر في ان يأذن له الرسول
في التخلف عن الجهاد وكان بعض المؤمنين يشفع لمؤمن آخر عند مؤمن ثالث ان يحصل له آلة الجهاد فنزلت ونقل الواحدي عن ابن عباس ان الشفاعة الحسنة
ههنا ان يشفع ايمانه بالله بقتال الكفار والشفاعة السيئة ان يشفع كفره بالله بمحبة الكفار وترك ايذائهم وقال مقاتل الشفاعة الى الله انما هي دعوة
الله المسلم لما روي عن النبي من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وقال الحسن
ومجاهد والكلبي وابن زيد هي مطلق الشفاعة والحسنة منها هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة
وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في ابطال حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعلى هذا فوجه النظم ان التحريض على الجهاد بعث على الفعل
الحسن فانه نوع شفاعة كما مر في القول الاول عن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت
في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها قال اهل اللغة الكفل هو النصيب فهل لاختلاف اللفظين فائدة فاجيب بان الكفل اسم للنصيب الذي يكون عليه اعتماد الانسان
ومنه يقال اكتفل البعير اذا ادار على سنامه كساء وركب الكفيل الضامن لان الغريم اعتمد عليه النقد فمن يشفع شفاعة سيئة يكن له منها نصيب يعتمد
عليه يكون له ذخيرة في معاشه ومعاده والغرض التهكم وحصول ضد ذلك مثل فبشرهم بعذاب اليم وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا وحفيظا واشتقاقه
من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها والغرض انه قادر على كل المقدورات حفيظ لجميع المعلومات فيجازي كل شافع بما يليق بحاله ثم امر المؤمنين بالجهاد
امرهم ايضا بان الاعداء لو رضوا بالمسالمة او يلقوا في المبارزة بالتسليم فقابلوهم بالاكرام وايضا السلام دعاء بالسلامة والدعاء نوع من الشفاعة والتحية تفعلة
من الحيوة ويجيء الناقص من باب التفعيل على تفعلة مثل التسلية والتعزية لكنه ادغم ههنا لاجتماع المثلين وكانت العرب يقول عند الملاقاة حياك الله دعاء له
بالحيوة فابدل الله ذلك بالسلام ولعمري ان هذا احسن لان الحيوة ان لم تكن مقرونة بالسلامة لم يعتد بها بل لعل الموت خير منها ولان السلم اسم من اسماء الله تعالى
فالابتداء به اولى ولان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقد سلم الله على المؤمن في اثنا عشر موضعا في الاذكار لهذا سمى نفسه بالسلام وعلى لسان نوح يا نوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك والمراد امة محمد وعلى لسان جبريل تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام قال
المفسرون انه خاف على امته ان يصيروا مثل امة موسى وعيسى فقال الله تعالى لا تهتم بذلك فاني وان اخرجتك من الدنيا الا اني جعلت جبريل خليفة لك ينزل الى
امتك كل ليلة قدر ويبلغهم السلام منه وسلم عليك على لسان موسى والسلام على من اتبع الهدى وسلم عليك على لسان محمد وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى





والتحية بالسلام عليك وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم أمر المؤمنين بالسلام عليك وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها وسلم عليك على
لسان ملك الموت الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم قيل إن ملك الموت يسلم في أذن المسلم السلام يقرئك السلام ويقول أجبني فإني مشتاق
إليك واشتاقت الجنان والحور العين إليك فإذا سمع المؤمن البشارة يقول لملك الموت للبشير مني هدية لا هدية أعز من روحي فاقبض روحي هدية لك وسلم عليك من الأرواح
الطاهرة وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وسلم عليك على لسان خزنة الجنة وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
وسلم عليك على لسان الملائكة في الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وسلم عليك على لسان أهل الجنة تحيتهم يوم يلقونه سلام
وسلم عليك إلى الأبد سلام قولا من رب رحيم ولما أراد إكرام يحيى وعده بالسلام في مواطن ثلاثة هي الأشد الأوقات حاجة إلى السلام فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم
يموت ويوم يبعث حيا ولما ذكر تعظيم محمد صلى الله عليه وسلم قال إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعن عبد الله بن سلام قال
لما سمعت بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت في غمار الناس فأول ما سمعت منه يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام
تدخلوا الجنة بسلام وكانت تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الإشارة بالأصابع وتحية المجوس الانحناء وتحية الجاهلية حياك الله وتحيتهم
للملوك أنعم صباحا فشتان ما بين تحياتهم وتحيتنا السلام عليك ورحمة الله وبركاته في هذا دليل على أن هذا الدين أشرف الأديان وأكملها ومما يدل على فضيلة
السلام عقلا أن الوعد بالنفع قد يقدر الإنسان على الوفاء به وقد لا يقدر وأما الوعد بترك الضرر فإنه يقدر عليه كل أحد والسلام يدل عليه فهو أفضل أنواع التحية
قال بعض العلماء من دخل بيتا وجب عليه أن يسلم على الحاضرين لقوله فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم وقال أفشوا السلام والأمر للوجوب ولأن المسلم بشارة
بالسلامة وإزالة الضرر فهو واجب لقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولأنه من شعائر الإسلام وإظهار شعائر الإسلام واجب وعن ابن عباس والنخعي و
أكثر العلماء أن السلام سنة وأما الجواب فهو واجب بالإجماع لأن ترك الجواب إهانة والإهانة ضرر والضرر حرام ولقوله وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها
وظاهر الأمر الوجوب عن ابن عباس ما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة قال العلماء الأحسن
أن يزيد في جواب المسلم الرحمة وإن ذكر في الابتداء السلام والرحمة زاد في جوابه البركة وإن ذكر المجموع أعادها فقط فإن منتهى الأمر في السلام أن يقال السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته لأن هذا القدر هو الوارد في التشهد وروي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر
السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وجاء ثالث وقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال
يا رسول الله نقصتني فأين قول الله فحيوا بأحسن منها فقال إنك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله فقوله أو ردوها أي أجيبوها بمثلها ورد السلام كرد التحية أما شاذ
هذه السورة وأما التخيير بين الزيادة وتركها ورد الجواب فرض على الكفاية إذا قام به بعض سقط عن الباقين والأولى أن يقوم به الكل إظهارا للإكرام و
الإحسان ولا يدخل حرف العطف فيقال وعليكم السلام وهو واجب على الفور فلو بقي ما يعد بين الإيجاب والقبول في العقود فإن تأخر عن ذلك كان ابتداء سلام
لا جوابا وإذا ورد عليه سلام في كتاب فجوابه بالكتابة أيضا واجب لقوله وإذا حييتم بتحية فحيوا ومن قال لآخر أقرئ فلانا السلام وجب عليه أن يفعل قال العلماء
المبتدي يقول السلام عليكم والمجيب يقول وعليكم السلام ليقع الابتداء والاختتام بذكر الله فإن خالف المبتدي فليكن الاختتام بحاله ويجوز سلام عليكم بل الأولى
أنه أولى من المعرف لأن المنكر في القرآن أكثر وإن المنكرات وردت من الله والملائكة والمؤمنين والمعرفات وردت في تسليم الإنسان على نفسه قال موسى والسلام
على من اتبع الهدى وقال عيسى والسلام علي يوم ولدت وأيضا المعرف يدل على أصل الماهية والمنكر على الماهية مع وصف الكمال ومن السنة أن يسلم الراكب
لزيادة هيبته على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والأقل على الأكثر احتراما للجماعة والقائم لأنه الواصل على القاعد ولأن القائم أهيب
ومن السنة الجهر بالسلام لأنه نوع في إدخال السرور في القلب فمنها الابتداء به إظهارا للتواضع ومنها الإفشاء والتعميم لأن التخصيص إيحاش والمصافحة عند السلام
عادة البيعة قال إذا تصافح المسلمان تحاتت ذنوبهما كما تتحات ورق الشجر ومن استقبله رجل واحد فليقل سلام عليكم وليقصد الرجل والملكين لأنه إذا سلم
عليهما ردا السلام عليه ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب الله ومن دخل بيتا خاليا فليسلم ويكون كأنه سلم من الله على نفسه وسلم على من فيه من مؤمني الجن أو الملائكة
السلامة ببركة اسم السلام ويحيى البيت من الشياطين والموذيات ولو قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كان حسنا ومن السنة أن يكون المبتدي بالسلام
على الطهارة وكذا المجيب وعن واحد سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قضاء الحاجة فقام وتيمم ثم رد الجواب إذا دخل الجمعة والإمام يخطب فلا ينبغي أن يسلم لاشتغال
الناس بالاستماع فإن سلم ورد بعضهم فلا بأس ولو اقتصر على الإشارة كان أحسن ومن دخل الحمام فرأى الناس متزرين سلم عليهم فإن لم يكونوا
متزرين لم يسلم عليهم والأولى ترك السلام على القارئ كيلا يقطع عليه القراءة باشتغاله بالجواب كذا القول فيمن كان مشتغلا برواية الحديث ومذاكرة
العلم أو بالأذان أو الإقامة ولا يسلم على المشغول بالأكل هكذا أطلق وحمله بعضهم على ما إذا كانت اللقمة في فيه ولا يسلم على قاضي الحاجة قال أبو يوسف
ولا على لاعب النرد ولا على المغني ومطير الحمام وكل من كان مشتغلا بنوع معصية ولا منع من السلام على من هو في مساومة ومعاملة وإذا دخل الرجل
بيته سلم على امرأته فإن حضرت أجنبية هناك لم يسلم عليها وإذا سلمت الأجنبية عليه وكان يخاف في رد الجواب عليها تهمة أو فتنة لم يجبها بل الأولى أن لا يفعل
وحيث قلنا لا يسلم فلو سلم لم يجب عليهم الرد لأنه أتى بفعل منهي عنه وكان وجوده كعدمه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تبدأ اليهودي بالسلام وعن أبي حنيفة أنه
قال لا أبدأه بسلام في كتاب ولا في غيره وعن أبي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم وإذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس في الدعاء له بما يصلحه
في دنياه ورخص بعض العلماء في ابتداء السلام عليهم إذا دعت إلى ذلك حاجة أما إذا سلموا علينا فقال أكثر العلماء ينبغي أن يقول وعليك لما روي

ان اليهود

ان اليهود يقولون للمسلمين السام عليكم وعن الحسن يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام ولا يقول ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال
لنصراني سلم عليه السلام عليك ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال اليس في رحمة الله يعيش واعلم ان مذهب ابي حنيفة ان من وهب لغير ذي رحم محرم فله الرجوع فيها
ما لم يثب منها فاذا اثابه عنها فلا رجوع له فيها وقال الشافعي له الرجوع في حق الولد وليس له الرجوع في حق الاجنبي واحتج لابي حنيفة بالاية وذلك
ان التحية تشتمل جميع انواع الاكرام فتشمل الهبة ومقتضاها وجوب الرد اذا لم يحصل فالرد بالاحسن لا اقل من الجواز وقال الشافعي هذا الامر محمول
على الندب بدليل انه لو اثيب بما هو اقل منه سقطت مكنة الرد بالاجماع مع ان ظاهر الاية يقتضي الاثابة بالاحسن ثم احتج الشافعي على قوله بما روي عن ابن
عباس وابن عمر ان النبي ع قال لا يحل لرجل ان يعطي عطية او يهب هبة فيرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على
محافظة حقوق التحية وعنه انما تكونوا على حذر من مخالفته ثم اكد الوعيد بقوله الله لا اله الا هو ليجمعنكم فالاول توحيد والثاني عدل كانه
يقول من سلم عليكم وحياكم فاقبلوا اسلامه واكرموه وعاملوه بناء على الظاهر فان البواطن انما يعرفها الله الذي لا اله الا هو وانما
ينكشف بواطن الخلق للخلق في يوم القيامة الذي يجمع فيه الاولون والاخرون للجزاء والحساب وقوله لا اله الا هو اما خبر المبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم
الى يوم القيامة اي ليضمنكم اليه يجمعن بينكم وبينه بان يبعثكم فيه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب هي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال تعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا استفهام على سبيل الانكار وذلك ان الصدق من صفات الكمال والكمال للواجب
اولى واحق واقدم واتم من غيره والمعتزلة نفوا عنه الكذب بناء على انه قبيح ومن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو
غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على
حنكه من الصدق وكل هذه الامور من الحكيم تمتنع فيجب تنزيهه عنها واعلم ان المسائل الاصولية قسمان منها ما العلم بصحة النبوة يحتاج الى العلم بصحته كالعلم
بافتقار العالم الى صانع عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات فهذا القسم يمتنع اثباته بالقرآن والخبر والا وقع الدور ومنها ما عداه كالعلم باثبات
الحشر والنشر فانه يمكن اثباته بالقرآن والحديث فاعلم ثم عاد الى حكاية احوال المنافقين فقال فما لكم في المنافقين فئتين وهو منصوب على الحال والعامل
معنوي مثل ما لك قائما اي ما تصنع ومثل نصبه على انه خبر كان اي ما لكم كنتم في شان المنافقين فئتين استفهام على سبيل الانكار اي لم تختلفون في كفرهم
ولكن اقطعوا بنفاقهم فقد ظهرت دلائل ذلك وانكشفت جلية الحال وذلك انها نزلت في قوم من العرب قدموا على رسول الله ع بالمدينة فاسلموا واصابوا وباء
المدينة وحماها فقالوا يا رسول الله نريد ان نخرج الى الصحراء فاذن لنا فيه فاذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم هم مسلمون فبين الله نفاقهم وقال مجاهد فيما ذكره هم قوم هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا انا على دينك وما
اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وعن زيد بن ثابت هم الذين تخلفوا يوم احد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وطعن بعضهم في هذا القول بان
نسق الكلام وهو قوله حتى يهاجروا في سبيل الله يأباه اذ الهجرة تكون من مكة لا من المدينة وعن عكرمة هم قوم اخذوا اموال المشركين وانطلقوا بها الى
اليمامة وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا مولى النبي ع وقال ابن زيد نزلت في اهل الافك قال الحسن سماهم المنافقين لانهم اظهروا
الكفر بافعالهم وحالهم كما كانوا عليها والله اركسهم الركس والاركاس رد الشيء مقلوبا ويقال للروث الركس لانه رد الى حالة خسيسة وهي حالة النجاسة
ويسمى رجيعا ايضا لذلك والمراد ردهم الى احكام الكفار من الذل والصغار والسبي والقتل بما كسبوا اي بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على
النفاق ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا لان المخلوق لا يقدر على تبديل خلق الخالق وعلى خلاف مقتضى ارادته ومشيئته وهذا ظاهر في المقصود
والمعتزلة يقولون قوله اركسهم بما كسبوا اي بسبب كسبهم وفعلهم ينفي القول بان ضلالهم حصل بخلق الله فاذن المراد من اضلال الله حكمه بضلالهم
كما يقال فلان يكفر فلانا اي ينسبه الى الكفر ويحكم عليه بذلك او المراد اضلالهم عن طريق الجنة وهو مفسر بمنع الالطاف ثم ذكر انهم بالغوا في الكفر
الى ان تمنوا ان يصيروا كفارا فكيف تطمعون في ايمانهم وهو قوله ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء اي في الكفر والمراد فتكونون انتم وهم
سواء الا انه اكتفى بذكر المخاطبين عن ذكر غيرهم لتقدم ذكرهم وقوله فتكونون عطف على تكفرون فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا اي حتى
ينضموا الى ايمانهم المهاجرة الصحيحة المعتمدة وهي الهجرة في سبيل الله لا لغرض من الاغراض الفانية ومثله قوله ع انا بريء من كل مسلم قام بين اظهر المشركين
وانا بريء من كل مسلم مع مشرك وكانت الهجرة واجبة الى ان فتحت مكة عن ابن عباس قال قال رسول الله ع يوم فتح مكة لا هجرة بعد ذلك لكن جهاد
ونية وعن الحسن ان حكم الاية ثابت في كل من اقام في دار الحرب فرأى فرض الهجرة الى دار الاسلام قائما قال المحققون الهجرة في سبيل الله تشمل الانتقال
من دار الكفر الى دار الايمان والانتقال من اعمال الكفار الى اعمال المسلمين ولهذا قال ع المهاجر من هجر ما نهى الله عنه فان تولوا عن
الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم سائر المشركين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم في هذه الحالة وليا يتولى
شيئا من مهماتكم ولا نصيرا ينصركم على اعدائكم بل جانبوهم مجانبة كلية ثم لما امر بقتل هؤلاء الكفار استثنى عنه موضعين الاول الا الذين يصلون
اي ينتمون وينتسبون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق والمعنى ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم قال القفال وقد
يدخل في الاية ان يقصد قوم حضرة الرسول فيتعذر عليهم ذلك المطلوب فيلتجئوا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد الى ان يجدوا السبيل اليه القوم
هم الاسلميون وذلك انه ع وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من

نافقوا وقال بعضهم

الجوار مثل الذي لهلال وقال ابن عباس هم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح وقال مقاتل هم خزاعة وخزيمة وههنا نكتة وهي انه تعالى رفع السيف عمن التجأ الى الكفار المصالحين فلان يرفع النار عمن التجأ الى محبة الله ومحبة رسوله كان اولى وعن ابي عبيدة المراد بالوصلة الانتساب يقال وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه واعترض عليه بان اهل مكة اكثرهم كانوا متصلين بالرسول من جهة النسب مع انه كان قد اباح دم الكفار منهم الاستثناء الثاني قوله او جاؤكم وفي العطف وجهان احدهما ان يكون معطوفا على صفة قوم والمعنى الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم جاؤكم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم وثانيهما العطف على صلة الذين كانه قيل الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم وهذا انسب بقوله في صفتهم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم الى آخر الاية اذ بين ان كفهم عن القتال سبب استحقاقهم لنفي التعرض لهم بالاستقلال لا بواسطة الاتصال ومعنى حصرت صدورهم ضاقت والحصر الضيق والانقباض وهو في موضع الحال باضمار قد بدليل قراءة من قرأ حصرة وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف منصوب على الحال اي جاؤكم قوما حصرة وقيل هو بيان لجاؤكم وقوله ان يقاتلوكم اي عن ان يقاتلوكم ثم هؤلاء الجائون من الكفار او من المؤمنين قال الجمهور هم من الكفار بنو مدلج جاؤا رسول الله صلعم غير مقاتلين وعلى هذا يلزم النسخ لان الكافر وان ترك القتال جاز قتله وقال ابو مسلم انه تعالى لما اوجب الهجرة على كل من اسلم استثنى من له عذر فقال الا الذين يصلون فهاتان طائفتان احديهما الذين قصدوا الرسول للهجرة والنصرة الا انه كان في طريقهم كفار يغالبون فصاروا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد واقاموا عندهم الى ان يمكنهم الخلاص والثانية من صار الى الرسول لا يقاتل الرسول ولا اصحابه لانه يخاف الله فيه ولا يقاتل الكفار ايضا لانهم اقاربه او لانه بقي اولاده وازواجه بينهم فيخاف لو قاتلهم ان يقتلوا اولاده واصحابه فهذان الفريقان من المشركين لا يحل قتالهم وان كان لم يوجد منهم الهجرة ومقاتلة الكفار وعلى هذا فمعنى قوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي لو شاء لقوى قلوبهم ليدفعوا عن انفسهم ان اقدمتم على مقاتلتهم على سبيل الظلم وعلى الاول معناه ولو قوى قلوبهم عن ضيق صدورهم عن قتالكم لانه قذف الله الرعب في قلوبهم لتسلطوا عليكم ولقاتلوكم وهو جواب لو على التكرير او البدل قال الكعبي انه تعالى اخبر انه لو شاء لفعل وهذا يبنى عن القدرة على الظلم وهو صحيح عندنا ولا يدل على انه يفعل الظلم واذا ارادوا النزاع فيه فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها اي ردوا مقلوبين منكوسين فيها وهذه استعارة لشدة اصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لان من وقع في شيء منكوسا يتعذر خروجه فان لم يعتزلوكم ويلقوا اي ولم يلقوا اولم يكفوا فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم قال الاكثرون وفيه دليل على انهم اذا اعتزلوا قتالنا وطلبوا الصلح منا وكفوا ايديهم عن ايذائنا لم يجز لنا قتالهم ولا قتلهم وهذا مبني على ان المعلق بكلمة ان على الشرط يعدم عند عدم الشرط اما قوله سلطانا فمعناه حجة واضحة لانكشاف حالهم في الكفر والغدر او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً
وسزاوار نيست مر مومنی را که بکشد مومنی را مگر از روی خطا و هر که بکشد مومنی را از روی خطا

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ
پس بر او هست آزاد کردن بنده مومنی و خونبهای فرا سپرده بسوی کسان او مگر آنکه ببخشند پس اگر بود کشته از گروهی در میان شما و میان ایشان پیمانی

فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ
پس خونبهای فرا سپرده بسوی کسان او و آزاد کردن بنده مومن پس هر که نیابد پس روزه گرفتن دو ماه پی در پی این توبه ایست از جانب خدا و هست

اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ
خدا دانای ستوده و هر که بکشد مومنی را عمدا پس پاداش او دوزخست جاوید دران و خشم نمود خدا بر او و دور کرد او را و مهیا کرد

لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ
از برای او عذابی بزرگ ای گروه آنچنانکه ایمان آورده اید چون قدم زنید در راه خدا پس تفحص کنید و مگوئید مر آنرا که افگند بسوی شما کردن

السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ
تسلیم را که نیستی تو مومن که خواسته باشید خواسته زندگانی دنیا را پس در نزد خداست غنیمت بسیار همچنین بودید شما از پیش

فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ
پس منت نهاد خدا بر شما پس تمیز کنید بدرستیکه خدا هست بآنچه میکنید باخبر یکسان نیستند نشستگان از مومنان غیر از

أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
صاحبان ناخوشی و جهاد کنندگان در راه خدا بمالهای شان و نفسهای شان زیاده داد خدا جهاد کنندگان را بمالهای شان و نفسهای شان

عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا
بر نشستگان پایه و هر یکی را وعده کرده است خدا نیکوئی و زیاده داده است جهاد کنندگان را بر نشستگان مزدی بزرگ

دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي
پایهای بلند از او و آمرزش و مهربانی و هست خدا آمرزنده مهربان بدرستیکه آنها که میرانند آنها را فرشتگان ستمکنندگان

أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا

نفسهای خود را گویند که در چه حال بودید گویند که بودیم ما ناتوانان در زمین گویند فرشتگان که آیا نبود زمین خدا با وسعت پس سفر کنید

فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ

دران پس آن گروه جایگاه ایشان دوزخ است و بد جای بازگشتی است بجز ناتوانان از مردان و زنان و اطفال

لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا

که راه نبرند حیله را و راه نبرند طریقی پس آن گروه امیدست که خدا درگذرد از ایشان و هست خدا درگذرنده

غَفُورًا ۝ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا

آمرزنده و هر که سفر کند در راه خدا می یابد در زمین رحمت بسیاری و فراخی و هر که بیرون رود از خانه اش سفر کرده

إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ

بسوی خدا و پیغمبرش پس دریابد مرگ او را پس بتحقیق که واجب شد مزدش بر خدا و هست خدا آمرزنده مهربان و چون قدم زنید

فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ

در زمین پس نیست بر شما باکی که کم گردانید از نماز اگر ترسید که بفتنه اندازند شما را آنانکه کافر شدند بدرستی که

الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝ القراءة فتثبتوا من التثبت وكذلك في الحجرات حمزة وعلي وخلف الباقون فتبينوا من التبين

کافران میباشند از برای شما دشمن هویدا

السلم مقصورا ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وخلف والمفضل وسهل الباقون بالالف غير اولي الضرر بالنصب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي وخلف الباقون بالرفع الذين توفهم مشددة التاء البزي وابن فليح الوقوف لا خطأ يصدقوا الابتداء وحكم آخر حكم مؤمنة لذلك مؤمنة متتابعين لاحتمال كون توبة مصدر الفعل محذوف والاوجه كونه مفعولا له من الله حكيما عظيما مؤمنا الا ان ما بعده يصلح حالا او استفهاما الدنيا لانقطاع النظم مع اتصال الفاء كثيرة فتبينوا خبيرا وانفسهم الاولى درجة الحسنى عظيما الا ان ما بعده بدل ورحمة رحيما فيم كنتم في الارض فتهاجروا فيها للنفي والاستفهام بجواب جهنم مصيرا للاستثناء سبيلا عنهم عفوا وسعة على الله رحيما من الصلوة ولا يصح انه شرط لما بعده في حال المسافر كفروا مبينا التفسير لما لم يكن بد في مجاهدة الكفار من انه قد يتفق ان يرى الرجل رجلا يظنه كافرا حربيا فيقتله ثم يتبين انه كان مسلما ذكر الله تعالى حكم هذه الواقعة وامثالها في هذه الآيات اما سبب النزول فقد روى عروة بن الزبير ان حذيفة بن اليمان كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فاخطأ المسلمون وظنوا ان اباه اليمان واحد من الكفار فضربوه باسيافهم وحذيفة يقول انه ابي فلم يفهموا قوله الا بعد ان قتلوه فقال حذيفة يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فلما سمع الرسول ذلك ازداد وقع حذيفة عنده ونزلت الآية وقيل نزلت في ابي الدرداء وذلك انه كان في سرية فعدل الى شعب لحاجة له فوجد رجلا في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال الرجل لا اله الا الله فقتله وساق غنمه ثم وجد في نفسه شيئا فذكر الواقعة للرسول فقال هلا شققت عن قلبه فندم ابو الدرداء والاكثر عليه اكثر المفسرين ما ذكره الكلبي ان عياش بن ابي ربيعة المخزومي اسلم وخاف ان يظهر اسلامه فخرج هاربا الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمها ثم اتى اطما من آطامها فتحصن فيه فجزعت امه جزعا شديدا وقسمت لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة وكان ابو جهل اخا عياش لامه فاتياه وهو في الاطم فقال انزل فان امك لم يؤوها سقف بيت بعدك وحلفت لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى ترجع اليها ولم يزل يفتل منه ابو جهل في الذروة والغارب يقول اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل فذهب معهما فلما اخرجاه من المدينة واوثقاه بنسعة وجلده كل منهما مائة جلدة ثم قدما به على امه فقالت والله لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا في الشمس واعطاهم بعض الذي ارادوا فاتاه الحارث بن زيد فقال يا عياش والله لئن كان الذي كنت عليه هدى لقد تركت الهدى وان كان ضلالة فقد دخلت الآن فيه فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر الى المدينة واسلم الحارث بعده وهاجر وليس عياش يومئذ حاضرا ولم يشعر باسلامه فبينا هو يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث بن زيد فلما رآه حمل عليه فقتله فقال الناس اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان من امري وامر الحارث ما علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن اي ما صح له ولا استقام او ما كان له فيما اتاه من ربه وعهد اليه او ما كان له في شيء من الازمنة ذلك والغرض بيان ان حرمة القتل كانت ثابتة من اول زمان التكليف الا خطأ الا لهذا العذر وبهذا السبب فيكون مفعولا له او لا في حال الخطأ او الا قتلا خطأ قال ابو هاشم وهو احد رؤساء المعتزلة التقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا فيبقى مؤمنا الا ان يقتله خطأ فيبقى مؤمنا ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة عتاق رقبة اي نسمة مؤمنة والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل والطير لكرامتها والوجه اكرم موضع منه وعبر عن النسمة بالرقبة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق ودية مسلمة الى اهله الدية من الودي كالشية من الوشي والاصل ودية وهي عوض عنه بدل النفس دون سائر المتلفات وقد يستعمل في بدل الاطراف والاعضاء والمراد بالاهل الورثة الا ان يصدقوا اي يتصدقوا فادغم



الثاء في القصاص والتصدق الإعطاء والمراد هاهنا العفو ومحله النصب على الظرف أو الحال أي العامل مسلمًا أو عليكم أنه قتيل يجب عليه الدية أو يسلمها إلا أن
يتصدقوا أو لا متصدقين وهاهنا مسائل الأولى القتل على ثلاثة أقسام عمد وخطأ وشبه عمد أما العمد فهو أن يقصد قتله بالسبب الذي يعلم إفضاؤه
إلى الموت سواء كان ذلك جارحًا أو لم يكن وأما الخطأ فضربان أحدهما أن يقصد رمي مشرك أو طائر فأصاب مسلمًا والثاني أن يظنه مشركًا بأن كان عليه
شعار الكفار فالأول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد وأما شبه العمد فهو أن يضربه مثلًا بعصا خفيفة لا يقتل غالبًا فيموت منه فهذا خطأ
في القتل وإن كان عمدًا في الضرب الثانية قال أبو حنيفة القتل بالمثقل ليس بعمد محض بل هو خطأ أو شبه عمد فيكون داخلًا تحت الآية فيجب فيه الدية والكفارة
ولا يجب فيه القصاص وقال الشافعي إنه عمد محض يجب فيه القصاص وحجة الشافعي أنه قتل عمد عدوان أما أنه قتل فلقوله تعالى لموسى وقتلت نفسًا فنجيناك من الغم
يعني القبطي إذ وكزه موسى فقضى عليه وأما أنه عمد عدوان فظاهر فإن من ضرب رأس الإنسان بحجر الرحى وصلبه أو غرقه أو خنقه ثم قال ما قصدت قتله عُدّ
ماجنًا وإذا ثبت أنه قتل عمد عدوان فهو يوجب القصاص لقوله كتب عليكم القصاص في القتلى وأن المقصود من شرع القصاص صون الأرواح عن الإهدار
والإهدار في المثقل كهو في المحدد والعلم الضروري حاصل بأن التفاوت في الإهدار غير معتبر وحجة أبي حنيفة قوله ألا إن قتيل العمد الخطأ قتيل السوط والعصا
فيه مائة من الإبل وهذا عام سواء كان السوط والعصا صغيرًا أو كبيرًا وأجيب بأن العصا والسوط يجب حملهما على الخفيف ليتحقق معنى الخطأ فإن من ضرب رأس
إنسان بقطعة جبل ثم قال ما كنت أقصد قتله لم يعبأ بقوله الثالثة قال أبو حنيفة القتل العمد لا يوجب الكفارة لأنه شرط في الآية أن يكون القتل خطأ
وعند انتفاء الشرط لا يحصل المشروط وقال الشافعي يوجبها لما روي أن واثلة بن الأسقع قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا أوجب النار بالقتل
فقال اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار ولأنه نص الله تعالى على الكفارة في قتل الصيد عمدًا في الحرم وفي الإحرام فأوجبها على الخاطئ
بالاتفاق وهاهنا نص على الخاطئ فإن يوجب على العامد كان أولى لأنه لما أخرج نفسًا مؤمنة عن جملة الأحياء عمدًا لزمه أن يدخل نفسًا مثلها في جملة الأحرار
لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار كما أن الميت ممنوع من التصرف مطلقًا ولتحقق هذا المعنى أوجب أن تكون الرقبة
كاملة الرق وأن تكون سليمة عن عيب مخل بالعمل كهرم وعمى وجنون الرابعة قال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي لا يجزئ الرقبة إلا إذا صام وصلى لأنه تعالى أوجب
تحرير الرقبة المؤمنة والإيمان إما التصديق وإما العمل وإما المجموع وعلى التقديرات فالكل فائت عن الصبي وقال الشافعي ومالك وأبو حنيفة والأوزاعي
يجزئ الصبي إذا كان أحد أبويه مسلمًا لأن حكمه حكم المؤمن الخامسة أنه تعالى أوجب الدية في القرآن ولم يبين كميتها وإنما عرفت من السنة عن عمرو بن حزم أن النبي صلى الله عليه وسلم
كتب إلى أهل اليمن أن في النفس مائة من الإبل وهذه المائة إذا كان القتل خطأ مخمسة عشرون منها بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة
جذعة وعشرون حقة وبه قال مالك لما روي عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى في دية الخطأ بمائة من الإبل وفصلها كما ذكرنا وأبدل أبو حنيفة وأحمد بني اللبون
بأبناء المخاض لأن هذا الأقل متفق عليه والزائد منفي بالبراءة الأصلية وقد اعتبرها أبناء المخاض غير معتبرة في باب الزكاة فيجب أن لا يعتبر في الدية التي سببها
أقوى من السبب الموجب للزكاة واتفقوا على أن الدية في العمد المحض مغلظة من ذلك التثليث في الإبل وهو أن يكون ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون
خلفة في بطونها أولادها ومنه الحلول على الجاني بخلاف سائر المتلفات خلاف دية الخطأ فإنها مؤجلة الثلث في السنة الأولى والثلث الآخر في السنة
الثانية والباقي في السنة الثالثة استفاض ذلك من الخلفاء الراشدين لم ينكر عليهم أحد فكان إجماعًا ومنه ثبوتها في ذمة الجاني لا تحملها العاقلة خلاف
دية الخطأ فإنها تكون على العاقلة لما روي أن امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت إحداهما الأخرى بحجر وروي بعمود فسطاط فقتلتها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية
على عاقلة القاتلة وهذه صورة شبه العمد والتحمل في الخطأ أولى وجهة التحمل ثلاث القرابة والولاء وبيت المال والقرابة يعني بها العصبة الذين هم على
حاشية النسب هم الإخوة وبنوهم وقال أبو حنيفة ومالك يتحمل الآباء والبنون كغيرهم ويراعى الترتيب في العصبات فيقدم الأقرب فالأقرب فإن كان فيهم
وفاء إذا وزع عليهم لكثرتهم أو لقلة المال رد إلى الأسفل كهم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال أبو بكر الأصم وجمهور الخوارج الدية في الخطأ أيضًا تجب
على القاتل كما أن تحرير الرقبة أيضًا عليه ولما عطف الدية في الآية على التحرير وأيضًا الجناية صدرت عنه فلا يعقل تغريم غيره كما في سائر الإتلافات
وتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد غير جائز وأجيب بإجماع الصحابة على ذلك السادسة مذهب أكثر الفقهاء أن دية المرأة نصف دية الرجل بإجماع الأكثر
من الصحابة ولأن المرأة في الميراث وفي الشهادة نصف الرجل فكذلك في الدية وقال الأصم وابن علية ديتها مثل دية الرجل لعموم قوله من قتل مؤمنًا
السابعة إذا لم يوجد الإبل فالواجب عند الشافعي في الجديد الرجوع إلى قيمة الإبل بالغًا ما بلغت وإنما يقوم بغالب نقد البلد لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يقوم الإبل على أهل القرى فإذا غلت رفع قيمتها وإذا هانت نقص من قيمتها وقال أبو حنيفة الواجب ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وعند مالك
الدراهم اثنا عشر ألفًا الثامنة لا فرق بين هذه الدية وبين سائر الأموال في أنه يقضى منها الدين وينفذ منها الوصية ويقسم الباقي بين الورثة على
فرائض الله تعالى لما روي أن امرأة جاءت في أيام عمر تطلب نصيبها من دية الزوج فقال عمر لا أعلم لك شيئًا إنما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فشهد بعض الصحابة
بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يورث المرأة من دية زوجها فقضى عمر بذلك وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين
ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لأم الجنين وحدها وهذا خلاف الجماعة واعلم أن الله تعالى ذكر في هذه الآيات من قتل مؤمنًا خطأ فعليه تحرير الرقبة وتسليم
الدية ثم قال فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وسكت عن الدية فالسكوت عن إيجاب الدية في هذه الصورة مع ذكرها فيما قبلها
وفيما بعدها وهو قوله وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة يدل على عدم وجوب الدية هاهنا ثم المعنى بقوله

من قوم عدو لكم اما ان يكون المقتول من سكان دار الحرب او انه ذا نسب منهم مع انه في دار الاسلام والثاني باطل بالاجماع لان قتل هذا المسلم يوجب
الدية البتة فتعين الاول وانما سقطت الدية لان ايجاب الدية في قتل المسلم الساكن في دار الحرب محوج الى ان يبحث الغازي عن كل شخص من اشخاص
سكان دار الحرب هل هو من المسلمين ام لا وذلك يوجب المشقة والتنفر عن الجهاد على انه هو الذي اهدر دم نفسه بسبب اختياره السكنى فيهم واما
الكفارة فانها حق الله تعالى لانه اهلك شخصا مواظبا على طاعته فلزمه اقامة آخر مقامه يمكنه المواظبة عليها اما قوله وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق ففيه قولان احدهما ان المراد منه الذمي وعن ابن عباس هم اهل الذمة من اهل الكتاب وعن الحسن هم المعاهدون من الكفار والتقدير وان
كان المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي على دينهم ومذهبهم وثانيهما ان المراد المسلم منهم عطف على قوله فان كان من قوم عدو لكم والضمير فيه
عائد الى ما تقدم وهو المؤمن فكذا ههنا واعترض عليه بلزوم عطف الشيء على نفسه لانه المؤمن المقتول خطاء سواء كان من اهل الحرب او من
اهل الذمة داخل تحت قوله ومن يقتل مؤمنا خطأ الا انه افرد المؤمن الساكن في دار الحرب لان من حكمه سقوط ديته وههنا لا غرض في الافراد
تكرارا محضا وايضا لو كان المراد ذلك لما كانت الدية مسلمة الى اهله لان اهله كفار لا يرثونه ولكان كونه منهم مبهما مجملا لانه لا يدرى انه منهم
في اي امر من الامور بخلاف ما لو حمل كونه منهم على الوصف الذي وقع التنصيص عليه وهو حصول الميثاق بينهما واجيب بانه لما افرد حكم المؤمن
المقتول في دار الحرب للغرض الذي ذكر ثم اعاد ذكر المؤمن المقتول فيما بين المعاهدين منصيصا على الفرق بينه وبين ما قبله وبينها على التسوية
بينه وبين المسلم المقتول في دار الاسلام واما اهله فهم المسلمون الذين يصرف ديته اليهم واما الابهام فيزول اذا جعل من بمعنى في كما في الاية
المتقدمة عليه ههنا مسئلة خلافية شرعية هي ان ابا حنيفة قال دية الذمي مثل دية المسلم لقوله تعالى وان كان اي المقتول من قوم بينكم وبينهم
ميثاق فدية وقال الشافعي دية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم ودية المجوسي ثلث خمسها هكذا روي من قضايا الصحابة ولا يخفى ان استدلال ابي حنيفة
لا يتم على الثاني من قول المفسرين في الاية وعلى القول الاول ايضا لا يجوز ان يكون المراد بالدية الثانية مقدارا مغايرا للاول وههنا سؤال
وهو انه لم قدم تحرير الرقبة على الدية في الاولى وفي الاخيرة عكس الترتيب ويمكن ان يقال الفائدة فيه ان يعلم انه لا ترتيب بين التحرير والدية ايضا ليقع الافتتاح
والاختتام بحق الله تعالى ويترتب على التحرير قوله فمن لم يجد اي رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين حتى يعتبر
الاعسار المجوز له العدول الى الصوم الاصح عند الشافعي وقت الاداء وعند بعضهم وقت الوجوب اما الشهران فهما هلاليان البتة نعم لو ابتدأ
في خلال الشهر تمم المنكسر ثلاثين والمراد بالتتابع انه لا يفطر يوما منهما فلو افطر ولو بالمرض وجب الاستئناف الا ان يكون الفطر بحيض او نفاس وعن مسروق
ان الصوم بدل عن مجموع الرقبة والدية توبة من الله اي شرع لكم ما شرع قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته ومعنى التوبة عن الخطاء
لا يخلو من ترك احتياط ومن ندم واسف على ما فرط منه ويجوز ان يكون المعنى نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه اي تخفيفا منه لان التخفيف من لوازم
التوبة وكان الله عليما بانه لم يقصد ولم يتعمد حكيما في حكم القتل لا يؤاخذ الانسان بما لا يختار ولا يتعمد وعند المعتزلة معنى الحكيم ان فعاله تقع
على قانون الحكمة ونصفة العدالة ثم لما ذكر حكم القتل الخطاء اردفه ببيان حكم القتل العمد له احكام وجوب الدية والكفارة عند غير ابي حنيفة
ومالك والقصاص كما مر في البقرة فلا جرم اقتصر ههنا على بيان ما فيه من الاثم والوعيد ولا يخفى ما في الاية من التخويف والتهديد فلا جرم تمسك الوعيدية
بها في القطع بخلود الفاسق في النار واجاب بوجهين الاول اجماع المفسرين على انها نزلت في كافر قتل مؤمنا روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
ان مقيس بن صبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار وكان مسلما فاتى رسول الله صلعم فذكر له ذلك فارسل رسول الله صلعم معه رسولا من بني فهر وقال له ائت
بني النجار فاقرئهم السلام وقل لهم ان رسول الله صلعم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه فيقتص منه وان لم تعلموا له قاتلا
ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهري ذلك عن النبي صلعم فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي الدية فاعطوه مائة
من الابل ثم انصرفا راجعين الى المدينة وبينهما وبين المدينة قريب فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اي شيء صنعت تقبل دية اخيك فيكون عليك
مسبة اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الدية فرمى الفهري بصخرة فشدخ راسه ثم ركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وجعل
يقول في شعره قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت الاية فيه
ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم اهدر النبي صلعم دمه يوم فتح مكة فادركه الناس بالسوق فقتلوه الوجه الثاني انه يجوز عندنا ان يخلف الله وعيد المؤمنين فان
خلف الوعيد كرم وضعف الوجه الاول بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبان ما قبل الاية وما بعدها في نهي المؤمن عن قتل المؤمن فكذا هذه
الاية وبان ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية فيجب ان يكون الموجب لهذا الوعيد هو مجرد القتل العمد بان الكفر بالاستقلال موجب
لهذا الوعيد فاي فائدة في ضم القتل اليه اذ لا اثر للقتل في هذه الصورة فيكون الكلام جاريا مجرى قول القائل ان من يتنفس فجزاؤه جهنم وضعف
الوجه الثاني بان الوعيد قسم من اقسام الخبر واذا جاز الكذب فيه لغرض اظهار الكرم فلم لا يجوز في القصص والاخبار وغيرها لغرض المصلحة وفتح هذا
الباب يفضي الى الطعن في الشرائع قال القفال الاية تدل على ان جزاء القتل العمد هو ما ذكر وقد يقول الرجل لعبده جزاؤك ان افعل بك كذا الا اني
لا افعله ولا يخفى ضعف هذا الجواب ايضا لان سائر الايات كقوله من يعمل سوءا يجز به ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره يدل على انه يوصل الجزاء الى مستحقه
البتة ولان قوله وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما صريح في انه تعالى سيفعل به ذلك لا سيما وقد اخبر عنه بلفظ الماضي ليعلم انه كالواقع



ولذا كذب هذه المعاني نقل عن عمر وابن عباس ان توبة من اقدم على القتل العمد العدوان غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وحمله
الجمهور على التغليظ والتشديد في الايات كلها نبه صحيحا بالتوبة حتى الشرك هذا عند المعتزلة وعند الاشاعرة كل الذنوب يحتمل العفو الا الشرك لقوله تعالى
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم بالغ في تحريم قتل المؤمن فقال يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا التفعل ههنا بمعنى الاستفعال
اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه من غير روية ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام وهو السلم بمعنى الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التحية
يعني سلام اهل الاسلام قال السدي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد على سرية فلقي مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان يقول
لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يهرب ثقة باسلامه فقتله اسامة واستاق غنما كان معه فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره فقال قتلت رجلا يقول لا اله الا الله
فقال يا رسول الله انما تعوذ من القتل فقال كيف انت اذا خاصمك يوم القيامة بلا اله الا الله قال فما زال يرددها علي أقتلت رجلا وهو يقول لا اله الا الله
حتى تمنيت لو ان اسلامي كان يومئذ فنزلت الاية وقد روى الكلبي وقتادة مثل ذلك وقال الحسن ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا يتطوفون فلقوا المشركين فهزموهم
فشذ منهم رجل فتبعه رجل من المسلمين واراد متاعه فلما غشيه بالسنان قال اني مسلم فكذبه ثم اوجره السنان فقتله واخذ متاعه وكان قليلا فرفع ذلك
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلته بعد ما زعم انه مسلم قال يا رسول الله انما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه قال لم قال لتنظر اصادق هو ام كاذب قال وكنت
اعلم ذلك يا رسول الله قال ويلك انك لم تكن تعلم ذلك انما يبين عنه لسانه قال فما لبث القاتل ان مات فدفن فاصبح وقد وضع الى جنب قبره قال ثم
عادوا فحفروا له فامكنوا ودفنوه فاصبح وقد وضع الى جنب قبره مرتين او ثلاثا فلما راوا ان الارض لا تقبله القوا عليه الحجارة قال الحسن ان الارض تحبس
من هو شر منه ولكن وعظ القوم ان لا يعودوا وعن سعيد بن جبير قال خرج المقداد بن الاسود في سرية فمروا برجل في غنيمة له فارادوا قتله فقال لا اله الا الله
فقتله المقداد فقيل له اقتلته وقد قال لا اله الا الله فقال ود لو فر باهله وماله فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فنزلت قال البغوي ولا منافاة
بين هذه الروايات فلعلها نزلت عند وقوعها باسرها فكان كل فريق يظن انها نزلت في واقعته وعن ابي عبيدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشرع احدكم الرمح
الى الرجل فان كان سنانه عند نغرة نحره فقال لا اله الا الله فليرفع عنه الرمح قال الفقهاء توبة الزنديق مقبولة لاطلاق هذه الاية وقال ابو حنيفة
اسلام الصبي يصح لاطلاق الاية وقال الشافعي لا يصح والا لوجب عليه لانه لو لم يجب لكان ذلك اذنا في الكفر وهو غير جائز لكنه غير واجب عليه لقوله صلى الله عليه وسلم
رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودي والنصراني انا مؤمن او مسلم لا يحكم باسلامه لانه يعتقد ان الايمان والاسلام
هو دينه ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحصل الجزم باسلامه لان منهم من يقول انه رسول العرب وحدهم ومنهم من يقول ان محمد الذي هو
الرسول الحق المنتظر بعد فلا بد ان يعترف بان الدين الذي كان عليه باطل وان الدين الذي هو موجود فيما بين المسلمين
حق تبتغون عرض الحيوة الدنيا قال ابو عبيدة جميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء يقال ان الدنيا عرض حاضر ياخذ منها البر والفاجر فسمى عرضا لانه عارض
زائل غير باق ومنه العرض المقابل الجوهر لقلة ثباته كما قيل العرض لا يبقى زمانين فعند الله مغانم كثيرة تغنمكموها تغنيكم عن قتل من يظهر الاسلام
متعوذا به لتاخذوا ماله وقيل يريد ما اعد لعباده من حسن الثواب في الاخرة كذلك كنتم من قبل اختلفوا في وجه التشبيه فقال الاكثرون يريد انكم اول ما دخلتم
في الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحقنت دمائكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار
بالايمان وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام ما فعل بكم وان تعتبروا بان لهم ان يقولوا ما كان ايماننا مثل ايمان هؤلاء لانا
امنا بالاختيار وهؤلاء اظهروا الايمان تحت ظلال السيوف فكيف يمكن تشبيه احدهما بالاخر وعن سعيد بن جبير المراد انكم كنتم تخفون ايمانكم عن قومكم
كما اخفى ايمانه هذا الراعي عن قومه فمن الله عليكم باعزازكم حتى اظهرتم دينكم وارد عليه ان اخفاء الايمان ما كان عاما فيهم وفي التفسير الكبير المراد انكم
في اول الامر انما حدث فيكم ميل ضعيف باسباب ضعيفة الى الاسلام فمن الله عليكم بتقوية ذلك الميل وتزايد نور الايمان فكذا هؤلاء قد حدث لهم ميل
ضعيف الى الاسلام بسبب هذا الخوف فاقبلوا منهم ايمانهم الى ان يتكامل فيهم ثم قيل ان قوله فمن الله عليكم منقطع عما تقدم وذلك ان القوم لما زجرهم عن قتل
من تكلم بلا اله الا الله ذكر ان الله من عليكم بان قبل توبتكم عن ذلك الفعل المنكر ثم اعاد الامر بالتبين مبالغة في التحذير ثم حذرهم عن الاضمار وخلاف الاظهار
فقال ان الله كان بما تعملون خبيرا وفيه وعيد لو عيد فانه لما عاتبهم الله تعالى على ما صدر منهم وبكتهم كان مظنة ان يقع في قلبهم ان الاولى الاحتراز عن الجهاد
فذكر من فضل الجهاد ما يروج عليهم ويزيد رغبتهم ويقول لما نهيتهم عما نهيتهم ابتغ بفضيلة الجهاد ليبالغوا في الاحتراز عما يوجب خللا في هذا المنصب الجليل فقال
لا يستوي القاعدون عن زيد بن ثابت قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر
اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر قال زيد فتغشى النبي صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فاتكأ على فخذي فوالذي نفسي بيده لقد ثقل علي حتى خشيت
ان يرضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون فكتبتها رواه البخاري والمراد بالضرر النقصان سواء كان
في البنية كعمى وعرج ومرض او بسبب عدم الاهبة من قرا غير بالنصب فعلى الاستثناء من القاعدين او على الحال عنهم ومن قرا بالرفع فعلى انه صفة للقاعدين
ويجوز ان يكون غير صفة للمعرفة كما سبق في تفسير غير المغضوب عليهم وقرئ بالجر على انه صفة المؤمنين قال الزجاج ويجوز ان يكون رفعا على جهة الاستثناء
والمعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدون الا اولي الضرر فانهم يساوون المجاهدين بدليل قوله صلى الله عليه وسلم عند ما قفل من بعض غزواته لقد خلفتم بالمدينة اقواما
ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم اولئك اقوام حبسهم العذر وفي رواية اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدي ما كان يعمله في الصحة الى ان يبرأ

ويعلم منه ان صحة النية وخلوص الطوية لها مدخل عظيم في قبول الاعمال كما ذكر والى معنى قوله نية المؤمن ابلغ من عمله ان ما ينويه المؤمن ابلغ من عمله لان ينويه المؤمن منه وامر على الايمان والاعمال الصالحة لو بقي ابدا خير من عمله الذي ادركه في مدة حيوته وقيل انه قدم ذكر النفس على المال في قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وههنا اخر لان النفس اشرف من المال فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيها على ان الرغبة فيها اشد والبائع اخر تنبيها على ان المماكسة فيها اشد فلا يرضى ببذلها الا في اخر الامر وفائدة نفي الاستواء ومعلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فيحيي بذكر ما بينهما من التفاوت ليهتز القاعد للجهاد ويترفع بنفسه عن انحطاط مرتبته عن المجاهد كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون تحريكا للجاهل لينهض بنفسه عن ضعة الجهل الى شرف العلم ثم ان عدم الاستواء يحتمل الزيادة والنقصان فاوضح الحال بقوله فضل الله المجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك وانتصب درجة على المصدر لان الدرجة بدل على التفضيل وقيل حال اي ذوي درجة وقيل بنزع الخافض اي بدرجة وقيل على الظرف اي في درجة وكلا اي كل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة قال الفقهاء فيه دليل على ان فرض الجهاد على الكفاية اذ لو كان واجبا على التعيين لم يكن القاعد اهلا للوعد وانتصب اجرا بفضل لان التفضيل بدل على الاجر وههنا سؤال وهو انه لم ذكر اولا درجة وثانيا درجات واجيب بان اللام في قوله اولا على القاعدين للعهد والمراد بهم اولو الضرر وقوله ثانيا على القاعدين للاستغراق على الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية وقيل المراد بالدرجة حسنها الله بشمل الكثير بالنوع وهي الدرجات الرفيعة والمنازل الشريفة والمغفرة والرحمة وقيل المراد بالدرجة الغنيمة في الدنيا وبالدرجات مراتب الجنة وقيل المراد بالمجاهد الاول صاحب الجهاد الاصغر وهو الجهاد بالنفس والمال وبالمجاهد الثاني صاحب الجهاد الاكبر وهو المجاهد بالرياضة والاعمال واستدل الشيعة ههنا بان عليا افضل من غيره من الصحابة لان اكثر الصحابة مجاهدون بالاضافة اليه فان علينا بما اشتهر من قاتل ابطاله وشجاعته وحماسته واجاب اهل السنة بان جهاد ابي بكر بالدعوة الى الدين وهو الجهاد الاكبر وحين كان الاسلام ضعيفا والاحتياج الى المدد شديدا وانما جهاد علي فانما ظهر بالمدينة في الغزوات وكان الاسلام في ذلك الوقت قويا والحق انه لا يدل الاية الا على تفضيل المجاهدين على القاعدين اما على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا قالت المعتزلة ههنا فقد ظهر من الاية ان التفاوت في الفضل بحسب التفاوت في العمل فعلة الثواب هو العمل ولهذا سمي اجرا واجيب بان العمل علة للثواب لكن لانه جعل الشارع ذلك العمل موجبا له قالت الشافعية الاشتغال بالنوافل افضل من الاشتغال بالنكاح لان قوله وفضل الله المجاهدين عام يشمل الجهاد الواجب والمندوب وهو الزائد على قدر الكفاية والمشتغل بالنكاح ثم لما ذكر ثواب المجاهدين اتبعه عقاب القاعدين الراضين بالسكون في دار الكفر فقال ان الذين توفيهم وانه يحتمل ان يكون ماضيا فيكون اخبارا عن حال قوم انقرضوا ومضوا عن عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قوما من المسلمين بمكة فخرجوا في قوم من المشركين في قتال فقتلوا معهم فنزلت الاية ويحتمل ان يكون مستقبلا بحذف احدى التائين فيكون الوعيد عاما في كل من كان بهذه الصفة قال الجمهور معنى توفيهم تقبض ارواحهم عند الموت لا اماتة بينه وبين قوله الله يتوفى الانفس وقل يتوفيكم ملك الموت لان الله هو المتوفي والفاعل لكل الاشياء بالحقيقة الا انه يرسل المفوض اليه هذا العمل ملك الموت وسائر الملائكة اعوانه وعن الحسن يتوفيهم الملائكة اي يحشرونهم الى النار واما قوله ظالمي انفسهم فمنصوب على الحال عن مفعول يتوفى والاضافة فيه لفظية ولذا لم تفد تعريفها فصح وقوعها حالا والظلم قد يراد به الشرك ان الشرك لظلم عظيم فالمراد انهم ظالمون انفسهم بنفاقهم وكفرهم وتركهم الهجرة وقد يراد به المعصية فمنهم ظالم لنفسه فالمراد الذين اسلموا في دار الكفر وبقوا هناك غير مهاجرين الى دار الاسلام حين كانت الهجرة فريضة وفي خبر ان قالوا فيم كنتم والعائد محذوف للدلالة اي قالوا لهم الثاني قالوا لهم الملائكة فاولئك فيكون قالوا حالا من الملائكة بتقدير قد والثالث ان الخبر محذوف وهو هلكوا ثم فسر الهلاك بقوله قالوا فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم والمراد التوبيخ على ترك الجهاد والرضا بالسكنى في دار الكفر وهو بالحقيقة النعي عليهم بانهم لم يكونوا من الدين في شيء ولهذا لم يجيبوا عن قولهم كما في كذا ولم نكن في شيء بل اجابوا بقولهم كنا مستضعفين اعتذارا بما وبخوا به واعتلالا بانهم ما كانوا قادرين على المهاجرة من ارض مكة حتى يكونوا في شيء ثم ان الملائكة لم يقبلوا منهم هذا العذر فبكتوهم قائلين الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي تمنعون فيها من اظهار دينكم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة استثنى من اهل الوعيد المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فسلم عدا الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد ومن حق الاستثناء ان يدخل فيه المستثنى لو لم يخرج وليس الولدان من اصحاب الوعيد لانهم ليسوا من اهل التكليف واجيب بان المراد بالولدان العبيد والاماء البالغون او المراد المراهقون الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء حتى يتوجه التكليف عليهم فيما بينهم وبين الله سلمنا ان المراد بهم الاطفال لكن السبب في سقوط الوعيد هو العجز وانه حاصل في الولدان فحسن استثناؤهم بهذا الوجه وقوله لا يستطيعون قيل في موضع الحال والاصح انه صفة للمستضعفين وانما جاز ذلك والجملة نكرة لان المعرف تعريف الجنس قريب من المنكر والمعنى ان العاجزين هم الذين لا يقدرون على حيلة ولا نفقة او يكون بهم مرض وكانوا تحت قهر قاهر يمنعهم عن المهاجرة ومعنى لا يهتدون سبيلا لا يعرفون الطريق ولا يجدون من يدلهم على الطريق وانما قال سبحانه فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع بينها على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر من حقه ان يعفو الله عنه بل يكون من العفو على ظن وحسبان لا على جزم وايقان فربما ظن الانسان بنفسه انه عاجز ولا يكون في الواقع كذلك لان النفس عن المال والوطن شديد والفراق عن الاوطان شاق فلعل حب الوطن يحمله على ما دل عليه سبيله مع قيام هذا الاحتمال لا يحصل الجزم بالعفو فهذا من جانب العبد واما من الرب فعسى اطماع واطماع الكريم ايجاب فالجزم بالعفو حاصل الا انه على لفظ العفو انه لا يشعر الا مع الذنب ولا ذنب مع العجز وجوابه ما تقدم مما قلنا وكان الله عفوا غفورا قال الزجاج اي كان في الازل موصوفا بهذه الصفة او انه مع جميع العباد بهذه الصفة اي انه عادة في خلقه واتيهم لو قال انه عفو غفور كان اخبارا عن كونه كذلك وحيث قال كان دل على انه اخبار وقع مخبره على وفقه فكان ادل على كونه حقا وصدقا فانه



لا اشاعرة الخبر عن العفو والمغفرة مطمع غير مقيد بحال التوبة فدل على ان العفو مرجو من غير التوبة قال ابن عباس في رواية عطاء كان عبد الرحمن بن عوف يخبر اهل مكة
بما ينزل فيهم من القرآن فكتب اليهم ان الذين توفاهم الملائكة الآية فلما قرأها المسلمون قال جندب بن ضمرة الليثي لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين
واني لاهتدي الى الطريق فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايعك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات حميدا فبلغ خبره اصحاب النبي فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم اجرا فانزل الله تعالى فيه ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
اي مذهبا ومهربا ومضطربا قاله الفراء وفي الكشاف راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك واصله من الرغام وهو التراب فانهم يقولون
رغم انفه يريدون انه وصل اليه شيء يكرهه وذلك لان الانف عضو في غاية العزة والتراب في غاية الذلة ويمكن ان يقال ان من فارق اهل بلدته فاذا استقام امره في بلدة
اخرى رغمت انوف اهل بلدته بسبب سوء معاملتهم معه اعلم انه سبحانه لما رغب في الهجرة ذكر بعده ما لاجله يمنع الانسان عن هجرة الوطن وبين الجواب عنه فالمانع
امران الاول ان يكون له في وطنه نوع رفاهية وراحة فيخاف فوت ذلك عنه فاجاب الله تعالى عنه بقوله ومن يهاجر كانه قيل للمكلف ان كنت تكره الهجرة عن وطنك
خوفا من ان تقع في المشقة والمحنة في السفر فلا تخف فان الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب السنية في مهاجرك ما يكون سببا لرغم انوف اعدائك
ويكون سببا لسعة عيشك وانما قدم في الاية ذكر رغم الاعداء على ذكر سعة العيش لان ابتهاج المهاجر بذلك من حيث انها سبب لرغم انوف الاعداء اشد من
ابتهاجه بها من حيث انها سبب سعة رزقه وعيشه المانع الثاني ان الانسان يقول ان خرجت من بيتي في طلب العمل والجهاد والمهاجرة الى الله ورسوله وفي معناه
كل غرض ديني من طلب علم او حج او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا وابتغاء رزق طيب فربما وصلت اليه وربما لم اصل اليه فالاولى
ان لا يضيع الوقت في الحال لطلب شيء مظنون فاجاب الله سبحانه عنه بقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله
قال بعضهم يتناول اجر قصده واجر العمل لكنه اي بمقدار ذلك العمل اما اجر تمام العمل فمحال والصحيح ان المراد من قصد طاعة ثم عجز عن اتمامها فانه يثاب بتمام تلك
الطاعة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المريض اذا عجز عما كان يفعله من الطاعة في حال الصحة كتب له ثواب مثل ذلك الى ان يبرأ وايضا من المعلوم ان كل من اتى
بعمل فانه يجد الثواب المرتب على ذلك القدر فلا يبقى في الاية فائدة الترغيب وايضا لا يكون الاية جوابا عن قول الصحابة في جندب لو وافى المدينة لكان اتم اجرا فاندفع
المعتزلة في الاية دليل على ان العمل يوجب الثواب على الله لان الوقوع والوجوب السقوط قال تعالى فاذا وجبت جنوبها اي وقعت وسقطت ولفظ الاجر كلمة على يدل على
ما قلنا واجيب بانا لا ننازع في ان الثواب يتبع البنية لكن بحكم الوعد والعلم والتفضل والكرم واستدل بعض الفقهاء بالاية على ان الغازي اذا مات في الطريق وجب
سهمه في الغنيمة كما وجب اجره ورد بان سهم الغنيمة يتوقف على حيازتها بخلاف الاجر وكان الله غفورا رحيما يغفر ما كان منه من القعود الى ان خرج ويرحمه باكمال
اجر المجاهدين ومما يفتقر المجاهد اليه معرفة كيفية اداء الصلوة في زمان الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلا جرم قال واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلوة يقال قصر صلوته واقصرها وقصرها بمعنى ولفظ القصر مشعر بالتخفيف الا انه ليس صريحا في ان التخفيف في كمية الركعات او كيفية
ادائها والجمهور على ان المراد القصر في العدد وهو ان كل صلوة يكون في الحضر اربع ركعات وهي الظهر والعصر والعشاء فانها تصير في السفر ركعتين ويبقى المغرب
والصبح بحالهما وعن ابن عباس فرض الله صلوة الحضر اربعا وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف ركعة على لسان نبيكم وعنه ايضا ان المراد التخفيف في كيفية
الاداء كما يؤتى به عند شدة الالتحام لقتال من الصلوة مع تلطخ الثوب بالدم ومن الايماء مقام الركوع والسجود ويؤكد هذا الرأي بقوله ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا فان خوف فتنة العدو لا يزول فيما يؤتى به ركعتين على تمام اوصافهما وانما يزول بالتخفيف حجة الجمهور ما روي عن يعلى بن امية انه قال قلت لعمر
الخطاب كيف نقصر وقد امنا وقال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألنا النبي فقال صدقة
تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته فهذا الخبر يدل على انهم فهموا ان القصر التخفيف في اعداد الركعات ويزيده حديث ذي اليدين اقصرت الصلوة
ام نسيت واما القصر بمعنى تغيير هيئة الصلوة فيجيء بعد ذلك فحمل الكلام على ما لا يلزم منه التكرار اولى واما تقييد القصر بحالة الخوف فلان الاية نزلت على غالب
اسفار النبي واكثرها لم يخل عن خوف قتال الكفار فلا يمكن الاستدلال بمفهومها على عدم جواز القصر في حالة الامن ولا في حالة الخوف بسبب اخر على ان كل
محنة وبلية وشدة فهي فتنة ثم ان الشافعي قال القصر رخصة كسائر رخص السفر فان شاء اتم وان شاء قصر لان قوله لا جناح عليكم مشعر بعدم الوجوب
ولما روي عن عائشة قالت اعتمرت مع رسول الله من المدينة الى مكة فلما قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال
احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وما ظهر انكار من الصحابة عليه قال ابو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر اربعا ولم يقعد في الثنتين
فسدت صلوته لما روي عن ابن عباس قال كان النبي اذا خرج مسافرا صلى ركعتين ولقوله فاقبلوا صدقته وظاهر الامر للوجوب وعن عائشة اول ما فرضت
الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر قال صاحب الكشاف فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا
الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمئنوا اليه اجيب بان هذا الاحتمال انما
يخطر ببالهم لو قال الشارع لهم رخصتكم في هذا القصر اما اذا قال اوجبت عليكم هذا القصر وحرمت عليكم الاتمام وجعلته مفسدا للصلوة فلا يخطر هذا
الاحتمال ببال عاقل وحديث ابن عباس انما يدل على كون القصر مشروعا لا على ان الاتمام غير جائز وخبر عائشة لا يعاضده الاية لان تقرير الصلوة
على ركعتين لا يطلق عليه لفظ القصر ثم ان بعض الظاهرية زعموا ان قليل السفر وكثيره سواء في القصر لاطلاق قوله واذا ضربتم في الارض وجمهور الفقهاء على
ان السفر المرخص مقدر بمقدار مخصوص فعن الاوزاعي والزهري ويروى عن عمر ان القصر في يوم تام وعن ابن عباس اذا زاد على يوم وليلة قصر وقال

انس بن مالك المعتبر خمسة فراسخ وقال الحسن مسيرة ليلتين وقال الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير الكوفة الى المدائن وهو ثلثة ايام وهو قول ابي حنيفة وقيل على مد جواز المسح للمسافر واما اصحاب الشافعي فانهم عولوا على ما روى مجاهد وعطاء بن ابي رباح عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة برد من مكة الى عسفان والى الطائف وجدة وهي اربعة برد فراسخ كل فرسخ ثلثة اميال ما ميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر الف قدم وهي اربعة آلاف خطوة فان كل ثلثة اقدام خطوة قالت الفقهاء فاختلاف الناس في هذه الاقوال يدل على انعقاد الاجماع على ان الحكم غير مربوط بمطلق السفر وقال اهل الظاهر اضطراب السلف في هذه الاقاويل يدل على انهم لم يجدوا في المسئلة دليلا قويا موجبا للرجوع الى ظاهر القرآن إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا بيان العداوة الحاصلة بينكم وبينهم فلذلك فكونوا على حذر منهم التأويل ليس لمؤمن الروح ان يقصد قتل مؤمن القلب الا ان يكون قتل خطاء وذلك ان الروح اذا خلص عن حجب ظلمات الصفات البشرية يتجلى الروح للقلب فيتنور بانوار الروحانية ثم ينعكس انوار الروح عن مرآة القلب الى النفس الامارة فتموت عن صفاتها الذميمة الظلمانية وتحيى بالصفات الحميدة الروحانية وتطمئن الى ذكر الله كاطمينان القلب به ففي بعض الاحوال بتأييد الروح بوارد روح قدسي رباني ويتجلى في تلك الحالة الروح للقلب فيخر موسى القلب صعقا مغشيا بسطوة تجلي الروح القدسي الرباني ويجعل جبل النفس دكا وكان قتله خطأ لانه ما كان مقصودا بالقتل فهذا الخطأ وكان القصد تنويره وتصفيته وقتل النفس الكافرة ومن قتل مؤمنا اى قلبا مؤمنا فتحرير رقبة مؤمنة وهي السر محررة عن رق المخلوقات ودية مسلمة الى اهله يعني يسلم الغافلة هو الله تعالى دية القلب الى اهل القلب هم الاوصاف الحميدة الروحانية من جمال حيز الطائفة البصيرة الاوصاف بها اخلاقا ربانية إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا الاوصاف هذه الدية على مساكين اوصاف النفس الحيوانية والشيطانية فَإِنْ كَانَ القتيل بالتجلي مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ اى من صفات النفس وَهُوَ مُؤْمِنٌ اى هذه الصفة قد امنت بانوار الروح القدسي ودخلت من الصفات فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وهي رقبة القلب بصيرة محررة عن رق حب الدنيا ولا دية لاهل القتيل وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وهم صفات النفس وميثاقها قبول احكام الشرع ظاهرا وترك المحاربة مع القلب اوسائر فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ على عاقلة الروح الى اهل تلك الصفة المقتولة وهم بقية صفات النفس كما قال تعالى إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي وتحرير رقبة الروح بصيرها محررة عن رق الكونين من لم يجد رقبة مؤمنة من الروح والقلب والسر للتحرير بان يكون رقابهم قد حررت عن رق ما سوى الله فصيام شهرين متتابعين اى يغلبه لا يساعر مشارب العالمين على التتابع والدوام مراقبا قلبه لا يدخله شيئا من الدنيا والآخرة مراعيا ذمته فلو افطر بادنى شيء من المستلذات كما ابتنا نية الصوم ولا يفطر بشيء دون لقاء الله تعالى قال قائلهم لقد صام طرفي عن شهود سواكم وحق له لما عزاه فواكم يعيد يوم حين يبدلك هلالهم ويبدوا وهلال العيد حين يراكم تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ جذبة منه وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا اى النفس الكافرة اذا قتلت قلبا مؤمنا للعداوة الاصلية بينهما ففي حيوة احدهما موت الآخر فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ وهي سفل عالم الطبيعة اذا ضربتم في سبيل الله بقدم السلوك حتى صار الايمان ايقانا والايقان احسانا والاحسان عيانا والعيان عينا والعين شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وهذا مقام الشيخ فتبينوا عن حال المريد في الرد والقبول وَلَا تَقُولُوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا اى ولا تنفروه بالتشديدات والتصرف في النفس والمال تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا اى تهمون لاجل ذلك فان الضعيف اذا زجر نفر كَذَلِكَ كُنْتُمْ ضعفاء في الصدق والطلب محتاجين الى الصحبة في بدو الارادة فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بصحبة المشايخ وبتولهم اياكم إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هم العوام الذين ظلموا انفسهم بتدسيتها فِيمَ كُنْتُمْ اى في غفلة كنتم تضيعون اعماركم وتبطلون استعدادكم الفطري في اى وادي من اودية الهوى تهيمون وفي اى روضة من رياض الدنيا ترتعون اكنتم تؤثرون الفاني على الباقي وتنسون الشراب الطهور والشاهد مستضعفين عاجزين لاستيلاء النفس الامارة وغلبة الهوى أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ اى ارض القلب واسعة فتهاجروا عن مضيق سجن البشرية الى فضاء هواء الهوية لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً في الخروج عن الدنيا لكثرة العيال وضعف الحال وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا الى صاحب الولاية وهؤلاء مستضعفون هم الخواص المقتصدون واما خواص الخواص وهم السابقون فهم المجاهدون الجهاد الاكبر وقد مر ومن يهاجر عن بلد البشرية في طلب حضرة الربوبية يَجِدْ فِي أَرْضِ الانسانية مُرَاغَمًا كَثِيرًا ومنازل مثل القلب والروح والسر في تلك العوالم من رحمة الله ورحمتي وسعت كل شيء لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن فافهم بابصار النظر كثير الفكر قليل العبر والله اجل واكبر

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا

وچون باشی تو با ایشان پس بپای داشتی از برایشان نماز را پس باید بایستد گروهی از ایشان با تو در نماز و باید که فرا گیرند اسلحهٔ خود را پس چون بسجود روند باید که باشند

مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

از عقب شان و بیاید گروهی دیگر که نماز نگذارده اند پس نماز کنند با تو و فرا گیرند آلات حرب و اسلحهٔ خود را دوست دارند کافران

لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ

که بیخبر باشید شما از اسلحهٔ خودتان و امتعهٔ خود پس روآرند بر شما رو آوردنی یکمرتبه و نیست باکی بر شما اگر بوده باشد بشما رنجی از باران

أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ

یا بوده باشید ناخوشان که بگذارید سلاحهای خود را و برگیرید اسلحهٔ خود را بدرستیکه خدا مهیا کرده از برای کافران عذابی خوار کننده پس چون تمام کردید نماز را

فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا

پس یاد کنید خدا را در قیام و قعود [illegible]

مَوْقُوتًا ۝ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

در زمان ۔ وسست مشوید در جستن ۔ قوم ۔ اگر رنجیده ور د رسیدگان پس ایشان هم رنج دارند چنانچه شما رنج دارید و امید دارید از خدا آنچه را

يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ

که امید ندارند و هست خدا دانای محکم کار ۔ بدرستی که ما فرستادیم بسوی تو کتاب را براستی تا داوری کنی در میان مردمان بآنچه که نمود ترا خدا و مباش

لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۝ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ

مر خیانت کنندگان را دشمن ۔ و طلب آمرزش کن از خدا ۔ بدرستی که خدا هست آمرزنده مهربان ۔ و خصومت مکن از آنها را که خیانت کنند نفسهای خود را

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا

بدرستی که خدا دوست ندارد آنرا که خیانتکار گناهکار است ۔ پنهان دارند از مردمان و پنهان ندارند از خدا و حال آنکه او با ایشانست چون تدبیر کنند آنرا که

يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ

خوش نیاید از گفتار و هست خدا بآنچه میکنند محیط ۔ آگاه شما آنگروهید که خصومت کردید از ایشان در زندگانی دنیا پس هر که خصومت کند خدا را

عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا

از ایشان در روز قیامت یا کیست بر ایشان کارگذار ۔ و هر که بکند بدی را یا ستم کند نفس خود را پس طلب مغفرت کند از خدا بیابد خدا را آمرزنده

رَحِيمًا ۝ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا

مهربان ۔ و هر که کسب کند گناهی را پس جز این نیست که کسب کرده بر نفس خود و هست خدا دانای داور ۔ و هر که کسب کند گناهی را یا صغیره را

ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ

پس نسبت دهد بآن بیگناهی را پس تحقیق که متحمل شده است بهتان را و گناه هویدا ۔ و اگر نبودی زیادتی خدا بر شما و مهربانی او هر آینه قصد کردی گروهی

مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

از ایشان که گمراه کنند ترا و از راه ببرند ۔ بجز نفسهای خود را و ضرر نرسانند ترا هیچ چیز ۔ و فرو فرستاد خدا بر تو ۔ کتاب

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝ القراءة على اسلحتكم وامتعتكم عباس بخلاف

و پیغمبری را ۔ و آموخت بتو آنچه را که نبودی دانای آن ۔ و هست فضل خدا ۔ بر تو ۔ بزرگ ۔ باختلاس اطمأننتم وبابه بغير همزة ابو عمرو ويزيد

والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف بريا بالتشديد يزيد والشموني وحمزة في الوقف الوقوف ورائكم ط واسلحتهم ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى واحدة ط اسلحتكم حذركم ط مهينا ج وعلى جنوبكم ج للابتداء باذا الشرطية مع الفاء الصلوة ج لاحتمال فان ولا تهنوا موقوتا ط القوم ط كما تالمون ج لاحتمال الواو الاستئناف او الحال فما لا يرجون ط حكيما ه اراك الله ط لان ما بعده استيناف خصيما ه للعطف واستغفر الله ط رحيما ه للاية مع العطف انفسهم ط اثيما ه لاحتمال الوصف من القول ط محيطا ه وكيلا ه رحيما ه على نفسه ط حكيما ه مبينا ه يضلوك ط من شيء ط تعلم ط عظيما ه التفسير قال ابو يوسف والحسن بن زياد صلوة الخوف كانت خاصة للرسول ولا يجوز لغيره لقوله تعالى واذا كنت فيهم ولان تغيير هيئة الصلوة امر على خلاف الدليل جوزنا ذلك في حق النبي لفضيلة الصلوة خلفه فيبقى لغيره على المنع وجمهور الفقهاء على انها عامة لان ائمة الامة نواب عنه في كل عصر الا ترى ان قوله خذ من اموالهم صدقة لم يوجب كون الرسول مخصوصا به دون ائمة امته وذهب المزني الى نسخ صلوة الخوف محتجا بانه لم يصلها في حرب الخندق واجيب بان ذلك قبل نزول الاية عن ابن عباس قال خرج رسول الله في غزاة فلقي المشركين بعسفان فلما صلى رسول الله الظهر فرأوه يركع ويسجد هو واصحابه قال بعضهم لبعض كان هذا فرصة لكم لو اغرتم عليهم ما علموا بكم حتى تواقعوهم فقال قائل منهم فان لهم صلوة اخرى هي احب اليهم من اهليهم واموالهم فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها فانزل الله عز وجل على نبيه واذا كنت فيهم الى آخر الاية اما شرح صلوة الخوف فهو ان الامام يجعل القوم طائفتين ويصلي بهم الا قام ركعة اخرى ويسلم وهذا مذهب من يرى صلوة الخوف ركعة فللامام ركعتان وللقوم ركعة وهذا مروي عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وقال الحسن البصري ان الامام يصلي بتلك الطائفة ركعتين ويسلم ثم يذهب تلك الطائفة الاخرى الى وجه العدو وتأتي الطائفة الاخرى فيصلي الامام بهم مرة اخرى ركعتين كما فعل النبي ببطن النخل وليس في هذه الصلوة الا اقتداء المفترض بالمتنفل فان الصلوة الثانية نافلة للامام لا محالة وفي جواز ذلك اختلاف بين العلماء وقال الشافعي ان كان العدو في جهة القبلة صلى الامام بجميع العسكر الى الاعتدال عن ركوع الركعة الاولى فاذا مال في السجدة حرس فرقة اما صف وفرقة من صفين الى ان يفرغ الامام عن السجدتين فاذا فرغ الامام منهما سجد الفرقة الحارسة ولحقت به حيثما امكنها واذا سجد الامام للركعة الثانية حرست فرقة اما الفرقة الحارسة في الركعة الاولى او الفرقة الاخرى وفي هذا اولى فاذا فرغ الامام من السجود سجدت الحارسة ولحقت بالامام في التشهد ليسلم بهم وليس في هذه الصلوة الا التخلف عن الامام بار كان السجدتين والجلسة بينهما واحتمل الحاجة الخوف وظهور العذر وعمله صلى رسول الله بعسفان واما ان لم يكن العدو في وجه القبلة او كانوا بحيث يمنعهم شيء من ابصار المسلمين صلى الامام كالثنائية كالصبح والرباعية المقصورة بكل فرقة ركعة وذلك ان يحاول الامام بفرقة الى حيث لا يبلغهم سهام العدو

فيصلي بهم ركعة فاذا قام الى الثانية انفردوا بها وسلموا واخذوا مكان اخوانهم في الصف وانحاز الصف القائم الى الامام وهو ينتظرهم واقتدوا به
في الثانية فاذا جلس للتشهد قاموا واتموا الثانية ولحقوا به قبل السلام وسلم بهم وهذه صلاة ذات الرقاع رواه ابو داود والنسائي عن صالح بن خوات عن سهل بن
حثمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو حنيفة ويروى عن ابن عمر وابن مسعود ان الطائفة الاولى يصلي بهم الامام ركعة ويعودون الى وجه العدو وتاتي الطائفة الثانية
فيصلي بهم بقية الصلاة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الاولى فيقضون بقية صلاتهم بغير قراءة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الثانية
فيقضون بقية صلاتهم بالقراءة والفرق ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلاة فهم في حكم من خلف الامام واما الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق
فيما يقضي كالمنفرد في صلاته ولا خلاف في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهذه الصلوات في اوقات مختلفة بحسب المصالح وانما وقع الاختلاف بين الفقهاء في ان الافضل
والاشد موافقة لظاهر الآية اي هذه الاقسام فقال الواحدي دلت الآية ان طائفة اخرى لم يصلوا يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت عند اتيان الثانية
كما هو مذهب الشافعي واما عند ابي حنيفة فالطائفة الثانية تاتي والاولى بعد في الصلاة وما فرغوا منها وايضا قوله فليصلوا معك ظاهره يدل
على ان جميع صلاة الطائفة الثانية مع الامام قال اصحاب ابي حنيفة فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على ان الطائفة الاولى لم يفرغوا من
الصلاة ولكنهم يصلون ركعة ثم يكونون من وراء الطائفة الثانية للحراسة اجاب الواحدي بان هذا انما يلزم اذا جعلنا السجود والكون من ورائكم
لطائفة واحدة لكن السجود للاولى والكون من الوراء الذي بمعنى الحراسة للطائفة الثانية ومعنى سجدوا صلوا وحينئذ لا يبقى اشكال وايضا الذي
اختاره الشافعي احوط لامر الحرب فانها اخف على الطائفتين جميعا والحراسة خارج الصلاة اهون وليس فيها ما في غيرها من منافاة الصلاة كالذهاب والرجوع
وكثرة الافعال والاستدبار وليس فيها الا الانفراد عن الامام في الركعة الثانية وذلك جائز على الاصح في الامن ايضا والانتظار للامام بالطائفة الثانية
مرتين ان كانت الصلاة مغربا يصلي بالاولى ركعتين وبالثانية ركعة ويجوز العكس وان كانت رباعية يصلي بكل طائفة ركعتين ويجوز ان يفرقهم اربع
فرق ان مست الحاجة اليه بان لا يكفي نصف المسلمين لعدوهم واعلم ان الصلاة على الوجه المشروع ليست بعزيمة بل لو صلى الامام بطائفة وامر غيره فيصلي
بالآخرين او صلى بعضهم او كلهم منفردين جاز لكن كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمحون بترك فضيلة الجماعة ويتنافسون امرهم في الاقتداء به فامره الله ان يقسمهم
هكذا ليحوزوا خلفه الطائفتين فضيلة التكبير مع الاخرى وفضيلة التسليم معه والخطاب في قوله واذا كنت للنبي صلى الله عليه وسلم اي واذا كنت ايها النبي مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم
واقمت لهم الصلاة فاجعلهم طائفتين فلتقم طائفة منهم معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم فان كان الضمير لغير المصلين فلا كلام وان كان للمصلين فليأخذوا
من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ويحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط ثم قال للطائفة الثانية وليأخذوا
حذرهم وكانه جعل الحذر وهو التيقظ آلة يستعملها الغازي ونبه على ان العدو قلما يغفلون عن الحذر في الصلاة بان يجعل بعض مكره في غير الصلاة وانما امر هذه الطائفة باخذ
الحذر والاسلحة جميعا لان العدو قلما يتنبهون في اول الصلاة لكون المسلمين في الصلاة بل يظنونهم قياما للمحاربة واما في الركعة الثانية فيظهر لهم ذلك من ركوعهم
وسجودهم الاولين فربما ينتهزون الفرصة في الهجوم عليهم كما ذكرنا في سبب النزول فلا جرم خص الله تعالى هذا الموضع بزيادة تحذير ميلة واحدة ثم رخص لهم في
وضع السلاح اذا اصابهم بلل المطر فيسود ويفسد حدته او يثقل على المراد كان محشوا وحين كان الرجل مريضا فيشق عليه حمل السلاح ولكن امرهم
الامر باخذ الحذر لئلا يغفلوا عن كيد العدو لا يجوز بكل حال قال بعض العلماء اخذ السلاح في صلاة الخوف سنة مؤكدة والاصح انه واجب لان ظاهر الامر للوجوب ولان
رفع الجناح عند العذر ينبئ عن وجود الجناح في غير ذلك الوقت لكن الشرط ان لا يحمل سلاحا نجسا ان امكن ولا يحمل الرمح الا في طرف الصف وبالجملة لا يتاذى
به احد وفي هذا دليل على انه كان يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان ياتي بصلاة الخوف على جهة يكون بها حاذرا غير غافل عن كيد العدو فلا يكون شيء من الروايات الواردة
فيها على خلاف نص القرآن وكما ان الآية دلت على وجوب الحذر عن العدو كذلك تدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على
العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا قالت المعتزلة لو لم يكن العبد قادرا على الفعل والترك وعلى جميع وجوه الحذر
لم يكن للامر بالحذر فائدة والجواب انا لا ننكر الاسباب لكنا ندعي انتهاء الكل الى مسببها ولهذا ختم الآية بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ليعلموا ان
ذلك على هذا الحذر كون الكفار مخذولين مقهورين وكان كالاخبار قوله فاذا قضيتم الصلاة فيه قولان الاول فاذا قضيتم صلاة الخوف فواظبوا على ذكر الله
في جميع الاحوال فان ما انتم عليه من الخوف والحرب جدير بذكر الله واظهار الخشوع والالتجاء اليه الثاني ان المراد بالذكر الصلاة اي صلوا قياما حال
المسايفة والمقارعة وقعودا جاثين على الركب حال المراماة وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح واورد على هذا القول ان الذكر بمعنى الصلاة مجاز
وان المعنى يصير فاذا قضيتم الصلاة فصلوا وفيه بعد اللهم الا ان يقال المراد فاذا اردتم قضاء الصلاة فصلوا في شدة التحام القتال واعلم ان الآية مسبوقة
بحكمين احدهما بيان القصر في صلاة المسافر والثاني بيان صلاة الخوف فقوله فاذا اطمأننتم يحتمل ان يراد فاذا صرتم مقيمين فاتموا الصلاة تامة
من غير قصر البتة ويحتمل ان يراد فاذا زال الخوف وحصل سكون القلب فاتموا الصلاة التي كنتم تقرؤونها مع تغيير شيء من هيئاتها لان الصلاة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا اي مكتوبة موقتة محدودة باوقات لا يجوز اخراجها عنها ولو في شدة الخوف وفيه دليل للشافعي في ايجاب الصلاة على
المحارب في حال المسايفة والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها وعند ابي حنيفة هو معذور في تركها الى ان يطمئن واعلم ان الصلوات الخمس مشهورة وقد
يستدل عليها بقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فان الوسطى يجب ان يكون مغايرة للصلوات لئلا يلزم التكرار ويبنى ذلك على الثلث ولو كان
الواجب اربعا لم يوجد لها وسطى فاقلها خمس وسوف يجيء بيان انحصارها في الاوقات الخمس كقوله اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل اقم الصلاة



لدلوك الشمس وسنشرحها ان شاء الله تعالى في مواضعها قال المحققون ان للانسان عمرا بين سن النمو الى تمام سن الشباب ثم سن الوقوف وهو ان يبقى في ذلك العمر
على صفة كماله من غير زيادة ولا نقصان وسن الكهولة ويظهر فيها نقصان خفي في الانسان وسن الشيخوخة ويظهر فيها نقصان ان جلية الى ان يموت ويهلك
واما المرتبة الخامسة فهي اخبار وآثار الى ان يندرس وينطمس ويصير كان لم يكن وكذا الشمس اذا طلعت من المشرق لا يزال يزداد ضياؤها الى الطلوع حتى
يزداد ارتفاعها شيئا بعد شيء الى ان يبلغ وسط السماء ثم يظهر فيها نقصان خفي من الانحطاط وضعف النور والحرارة من العصر حين يصير ظل كل شيء
مثله ثم يظهر النقصانات الجلية الى ان يصير في زمان لطيف ظل كل شيء مثليه ثم ازداد الى ان تغرب ثم يبقى آثارها في افق المغرب وهو الشفق ثم ينمحي حتى كان الشمس
لم توجد قط فهذه الاحوال الخمس امور عجيبة لا ينفك عنها الا خالقها وخالق جميع الاشياء وموافقة لاسنان الانسان فلهذا تعينت اوقاتها للعبادة والافتقار
على المعبود الحق جل جلاله ثم عاد الى الحث على الجهاد فقال ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ لا تضعفوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بما يقلقلهم ثم الزمهم
الحجة بقوله ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ والمعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم ولكم مع ذلك رجاء الثواب على الجهاد دونهم لانهم ينكرون المعاد فانتم اولى
اولى بالصبر على القتال والجلادة منهم ويحتمل ان يراد بهذا الرجاء ما وعدهم الله من النصرة والغلبة على سائر الاديان اوبراد انكم تعبدون الاله العالم القادر
السميع البصير الذي يصح ان يرجى منه وانهم يعبدون الاصنام التي لا خير فيها يرجى ولا شر يخشى وروي ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ لا يكلفهم الا ما فيه صلاح لكم في دينكم ودنياكم ثم رجع الى ما انجر منه الكلام وهو حديث المنافقين وبين ان الاحكام المذكورة كلها بانزال
الله تعالى وليس للرسول ان يحيد عن شيء منها طلبا لرضا قوم ومنه ان كفر الكافر لا يبيح المساهلة في النظر له وان كان يجوز الجهاد معه بل الواجب ان يحكم له وعليه
بما انزل الله تعالى على رسوله قال اكثر المفسرين ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق احد بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان في جراب
فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند
طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم والله ما اخذها وما له بها من علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس
من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه في ذلك وسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وكان هواه معهم وان يعاقب اليهودي ومثل هم ان يقطع يده فانزل الله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ الآيات الى قوله ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ او في الآية دليل على ان طعمة وقومه كانوا منافقين والا لما طلبوا من الرسول نصرة الباطل والحاق السرقة باليهودي قال ابو علي قوله ﴿بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾
ليس منقولا بالهمزة من رؤية البصر لان حكم الحادثة لا يرى بالبصر ولا من رؤية القلب لانه يقتضي ثلثة مفاعيل وليس في الآية الا اثنان احدهما الكاف والآخر الضمير العائد
المحذوف فهو اذن بمعنى الاعتقاد ومعناه بما علمك الله وسمى ذلك العلم بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور
وكان عمر يقول لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه واما الرأي منا فظن وتكلف قال بعض العلماء في الآية دلالة على انه ما كان يحكم الا
بالوحي والنص وان لا اجتهاد ما كان جائزا له ويجوز ان يكون حال الامة كذلك لقوله فاتبعوه واجيب بان العمل بالقياس عمل بالنص ايضا وكانه تعالى قال له مهما غلب على
ظنك ان حكم الصورة المسكوت عنها مثل حكم الصورة المنصوص عليها بسبب امر جامع بين الصورتين فاعلم ان تكليفي في حقك ان تعمل بموجب ذلك الظن ﴿وَلَا
تَكُن لِّلْخَائِنِينَ﴾ اي لاجلهم ولا يعني طعمة ﴿خَصِيمًا﴾ مخاصما واصله من الخصم بالفتح والسكون وهو ناحية الشيء وطرفه وكان كل واحد من الخصمين في ناحية من الحجة والدعوى
قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لولا ان الرسول اراد ان يخاصم لاجل الخائن ويذب عنه الالماد رد النهي عنه ولما امر بالاستغفار والجواب ان النهي عن الشيء
لا يقتضي كون المنهي مرتكبا للمنهي عنه بل ثبت في الرواية ان قوم طعمة لما التمسوا منه ان يذب عن طعمة ويلحق السرقة باليهودي توقف وانتظر الوحي فلعله امر
بالاستغفار لانه مال طبعه الى نصرة طعمة بسبب انه كان في الظاهر من المسلمين وحسنات الابرار سيئات المقربين ولعل القوم شهدوا ببراءة اليهودي وبراءة
طعمة ولم يظهر للرسول ما يوجب القدح في شهادتهم فهم بالقضاء على اليهودي فاطلعه الله تعالى على مكيدة القوم وحقيقة الحال فلعل المراد واستغفر لاولئك الذين يذبون
عن طعمة ثم قال ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يعني طعمة ومن عاونه من قومه ممن علموا كونه سارقا والاختيان كالخيانة انه يقال خانه واختانه ولعا
خائن نفسه لانه يحرم نفسه الثواب ويوصلها الى العقاب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ قال المفسرون ان طعمة خان في الدرع واثم في نسبته اليهودي
الى تلك السرقة وانما ورد البناء على المبالغة لعموم البناء ولطعمة وكل من خان خيانة فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه لان الله لا يحبه وايضا كان الله
عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم وذكر انه هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله ومن كانت تلك خاتمة امره
لا يشك في حاله وقالت العقلاء اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها
فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة وفي الآية دليل على ان من كان قليل الخيانة والاثم لم يكن في معرض السخط من الله ﴿يَسْتَخْفُونَ
مِنَ النَّاسِ﴾ يستترون حياء منهم وخوفا من ضررهم ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ اي لا يستحيون منه لان الاستخفاء لازم الاستحياء ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بالعلم والقدرة والرؤية
وكفى بهذا زاجرا للانسان عن المعاصي ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبرون ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته وتسميته
التدبير وهو معنى في النفس قولا لان فيها اشكالا عند القائلين بالكلام النفسي واما عند غيرهم فمجاز ولعلهم اجتمعوا في الليل ورتبوا كيفية المكر فسماه
الله تعالى كلامهم ذلك بالقول المبيت الذي لا يرضاه الله والمراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ﴾ ها للتنبيه في انتم واولاء
وهما مبتدأ وخبر وقوله ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ جملة موضحة للاولى كما يقال للسخي انت حاتم تجود بمالك والمراد انتم الذين جادلتم والخطاب لقوم مؤمنين كانوا



يذبون عن طعمة وقومه لانهم في الظاهر مسلمون والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن الذي يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه
ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا عن عذاب الله وهذا الاستفهام معطوف على الاول وكلاهما للانكار والتقريع ثم اردف الوعيد بذكر التوبة فقال
ومن يعمل سوءا اي قبيحا متعديا بالسوء غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ما يختص به ويتعدى الى الغير باسم السوء لان
ايصال الضرر الى الغير سوء حاضر بخلاف الذي يعود وباله في الآخرة فان ذلك في الاكثر لا يكون ضررا عاجلا لان الانسان لا يوصل الضرر الى نفسه ثم يستغفر الله
باطلاق الاية على ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب وان كان كفرا او قتلا عمدا او غصبا للاموال بل على ان مجرد الاستغفار كاف وعن بعضهم ان الاستغفار
لا ينفع مع الاصرار ولا بد من اقترانه بالتوبة يجد الله غفورا رحيما اي لم يخذله هذا الرابط لان الكلام عليه لانه لا معنى للتعقيب بالاستغفار الا اذا
كان المراد ذلك وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ليلزمه الحجة مع العلم بما يكون
منه او بعث لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما الكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة ولذلك لم يجز وصف الباري تعالى بذلك
والمقصود منه ترغيب للعاصي في الاستغفار وكانه قال الذنب الذي يأتيه انما يعود وباله وضرره اليك لا الي فاني منزه عن النفع والضر ولا تيأس من قبول
التوبة وكان الله عليما حكيما يقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ما علم منه ومن يكسب خطيئة صغيرة او اثما كبيرة وقيل الخطيئة الذنب القاصر على فاعله
والاثم هو الذنب المتعدي الى الغير كالظلم والقتل وقيل الخطيئة ما لا ينبغي فعله سواء كان بالعمد او الخطأ والاثم ما حصل بسبب العمد ثم يرم به بريئا اي بالمذكور
او بالاثم او بذلك الذنب لان الخطيئة في معنى الذنب او بذلك الكسب فقد احتمل بهتانا واثما مبينا لانه بكسب الاثم اثم وبرميه البرئ باهت فهو جامع
بين الامرين فلا جرم يجعل المتم في الدارين ولولا فضل الله عليك ورحمته ولولا ما خصك الله بالفضل وهو النبوة وبالرحمة وهي العصمة لهمت طائفة منهم من بني
ظفر او طائفة من الناس والطائفة بنو ظفر ان يضلوك عن القضاء الحق والحكم العدل وما يضلون الا انفسهم بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان و
شهادتهم بالزور والبهتان لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما امر الانبياء الا بالاحكام على الظواهر وهو وعد بانه يعصمه
لهم ما يريدون في الاستقبال من نفاقه في الباطل ثم اكد الوعد بقوله وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي انه لما امرك بتبليغ الشريعة الى الخلق فكيف
يليق بحكمته ان لا يعصمك عن الوقوع في الشبهات والضلال لان على الاول يكون المراد انه اوجب في الكتاب والحكمة بناء احكام الشرع على الظاهر فكيف يضرك
بناء الامر عليه فكيف يجعلك في سبب حتى لا يقدر احد من المنافقين على اضلالك وعلمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين وفيه معنيان احدهما
ان يكون كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي انزل الله عليك الكتاب والحكمة واطلعك على اسرارهما ووقفك على حقائقهما مع انك ما كنت قبل ذلك
عالما بشيء منهما الثاني ان يكون المراد منها خفيات الامور وضمائر القلوب اي علمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين فكذلك يعلمك من حيل المنافقين ووجوه كيدهم
ما تقدر على الاحتراز منهم وكان فضل الله عليك عظيما فيه دليل ظاهر على شرف العلم حيث سماه عظيما وسمى متاع الدنيا باسرها قليلا التاويل الصلوة
صورة جذبة الحق ومعراج العبد فلهذا فرضت في الخوف والامن وشدة القتال والسفر والحضر والصحة والمرض ليكون العبد مجذوب العناية على الدوام فاذا
كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة اي ادمتها لهم لان النظر اليك عبادة كما ان الصلوة عبادة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فانك تنهاهم عن الفحشاء
والمنكر فلتقم طائفة هم الخواص منهم اي من عوامهم معك اي مع الله لانك مع الله كقوله لا تحزن ان الله معنا وليأخذوا ايضا طائفة من بقية القوم اسلحتهم
من الطاعات والعبادات دفعا لعدو النفس والشيطان فاذا سجدوا بعض من معك ونزلوا مقامات القربة فليكونوا اي هؤلاء القوم من ورائكم في المرتبة
والمقام والمتابعة يحفظونكم باشتغالهم بالامور الدنيا وبه يلحقوا بحكم الضرورية للانسان ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا معك في الصحبة
فلم يصلوا معك في الوصلة وليأخذوا حذرهم وهو آداب الطريقة واسلحتهم وهي احكام الشريعة ود الذين كفروا وهم عدو النفس وصفاتها
بكم اذى من مطر يعني اشتغال الدنيا وضروريات حوائج الانسان يمطر عليكم في بعض الاوقات ان تضعوا اسلحة الطاعة من الاركان ساعة فساعة
وخذوا حذركم من التوجه الى الحق ومراقبة الاحوال وحفظ القلب وحضوره مع الله وخلو السر عن الالتفات بغير الله ودوام التسليم والتفويض
الى الله والاستمداد من هم اعاظم الدين والالتجاء اليه لان اثر النبوة ان الله اعد بهذه الاسباب للكافرين من كفار النفس والشيطان عذابا مهينا
فاذا قضيتم الصلوة المكتوبة فاذكروا الله في جميع حالاتكم ... كانت في الازل على المؤمنين كتابا موقوتا موقتا الى الابد كما اشار اليه
بقوله انا فتحنا لك اي بابا من القدم الى الحدوث ليغفر لك الله ما تقدم في الازل من ذنبك ان لم تكن مصليا وما تأخر من ذنبك بان لا تكون
مصليا ويتم نعمته عليك بان يجعل سيئاتك وهي عدم صلوتك في الازل والابد مبدلة بالحسنات وهي الصلوة المقبولة من الازل الى الابد ويهديك صراطا
مستقيما من الازل الى الابد ومن الابد الى الازل ولا تهنوا في ابتغاء القوم النفس وصفاتها ان تكونوا تألمون في الجهاد بعناء الرياضات والعبادات
فانهم يألمون في طلب اللذات والشهوات كما تألمون وترجون من الله العواطف الازلية والعوارف الابدية ما لا يرجون لان همم النفس الدنية لا يجاوز
حضورها الدنية الجاذبة الفانية بما اراك الله حين **لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح**
اوحي اليك بلا واسطة ما اوحي واراه آياته الكبرى — خير نيست در بسياري از رازها — مگر آنكه فرمود به صدقه يا نيكوئي كردن يا اصلاح كردن
بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد
در ميان مردم و هر كه بكند اين را براى طلب خوشنودى خدا پس زود باشد كه بدهيم او را مزد بزرگ و هر كه مخالفت كند رسول را



مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ

آنچه ظاهر شد مر او را راستی و پیروی کند بجز راه مؤمنان را باز گردانیم او را آنچه اختیار کرده و داخل کنیم او را در جهنم و بد جایگاهیست جهنم بدرستیکه خدا نیامرزد

أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ

که شریک قرار داده شود و میامرزد آنچه را که غیر از این است مر آنرا که خواهد و هر که شرک آورد بخدا پس بتحقیق که گمراه شده گمراهی دوری نمیخوانند غیر از خدا

إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ

مگر ماده هائی و نمیخوانند مگر شیطان اغواکار را دور کرد او را خدا و گفت که هر آینه فرا گیرم از بندگان تو بهره معین را و هر آینه از راه برم

وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ

و در آرزو دارم ایشان را و بفرمایم ایشان را تا ببرند گوشهای چارپایان را و بفرمایم ایشان را که تا تغییر دهند آفریده های خدا را و هر که فرا گیرد دیو را دوست خود از غیر

اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ

خدا پس بتحقیق زیان کرده زیانی هویدا وعده میدهد ایشان را و بآرزو دارد ایشان را و وعده نمیدهد ایشان را دیو بجز آرزوی فریب آن گروه جای ایشان در

جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

جهنم است و نمییابند از جهنم نجاتی و آنان که گرویدند و کردند کردار شایسته زود است که در آریم ایشان را در بهشتها که روانست از زیر آنها

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ

جویها جاویدان در آن همیشه وعده نهاده است خدا برقرار و کیست راستگوتر از خدا در گفتار نیست کار بآرزوی شما و نه بآرزوی اهل کتاب

مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ

هر که بکند بدی را جزا داده شود بآن و نیابد از برای خود غیر از خدا دوستی و نه یاوری را و هر که بکند از کردار شایسته از مرد

أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ

یا زن و حال آنکه او مؤمن باشد پس آن گروه داخل شوند در بهشت و ستم کرده نشوند مقدار شکاف هسته خرمائی و کیست نیکوتر در کیش از آنکه تسلیم نمود کار خود را

لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ

از برای خدا و او نیکوکار است و پیروی کرد ملت ابراهیم را که پاک بود و فرا گرفت خدا ابراهیم را دوست و مر خدای راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است

وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾ القراءة يؤتيه بالياء ابو عمرو وحمزة وخلف وقتيبة وسهل الباقون بالنون نوله ونصله مثل يؤده

و میباشد خدا بهر چیزی احاطه کننده يدخلون بضم الياء وفتح الخاء وكذا في مريم وحم المؤمن ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ويزيد وابو بكر وحماد

الآخرون بالعكس الوقف مادام وما بعده في هذه السورة هشام وكذلك روى الموصلي عن الاخفش عن ابن ذكوان الوقوف بين الناس عظيما جهنم مصيرا

لمن يشاء بعيدا اناثا لا لابتداء النفي مع واو العطف مريدا لان ما بعده وصفه له لعنة الله لان قوله وقال غير معطوف على لعنه مفروضا للعطف خلق

الله مبينا تحذيرا الا غرورا بعده وصفا للخسران ويمنيهم غرورا محيصا ابدا حقا قيلا الكتاب يجز به للعطف نصيرا نقيرا حنيفا خليلا وما في الارض

محيطا التفسير ثم اشار الى ما كانوا يتناجون حيث يبيتون ما لا يرضى من القول النجوى سر بين اثنين كذا النجوى فالنجوى بمعنى اسارة

وكذلك التجية قال الفراء قد يكون النجوى اسما ومصدرا والاية وان نزلت في مناجاة بعض قوم ذلك السارق بعضا الا انها في المعنى عامة والمراد

انه لا خير فيما يتناجى به الناس ويخوضون فيه من الحديث الا من امر في محل من وجوه متابعة على معنى النجوى فان كان النجوى السر جاز ان يكون من في موضع

النصب لانه استثناء الشيء من خلاف جنسه كقوله الا اذا ربع معناه لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير او في موضع الرفع كقوله الا اليعافير والا العيس

وابو عبيدة جعل هذا من باب حذف المضاف معناه الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما يقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد اي قيامه وعلى

هذا يكون الاستثناء من جنسه وان كان النجوى بمعنى ذوي نجوى كقوله واذ هم نجوى كان محله ايضا مجرورا من كثير او من نجوى كما لو قلت لا خير في جماعة

من القوم الا زيد انما شمت سمعه بالجماعة وان شئت اتبعته القوم وانما قال لا خير في كثير مع انه يصدق الحكم كليا بدليل قوله كلام ابن آدم

كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله سبحانه تاكيدا للقلوب ليكون ادخل في الاعتراف به وليخرج عنه الخطاء والنسيان وما

استكره عليه اعلم ان قول الخير اما ان يتعلق بايصال المنفعة او بدفع المضرة والاول ان كان من الخيرات الجسمانية فهو الامر بالصدقة وان كان

من الخيرات الروحانية بتكميل القوة النظرية او العملية فهو الامر بالمعروف والثاني هو الاصلاح بين الناس فثبت ان الاية مشتملة على جوامع الخيرات

ومكارم الاخلاق وهذه الاوامر وان كانت مستحسنة في الظاهر الا انها لا يقع في حيز القبول الا اذا عمل صاحبها بما امر لئلا يكون من زمرة أتأمرون

الناس بالبر وتنسون انفسكم لم تقولون ما لا تفعلون والا اذا طلب بها وجه الله فلهذا قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف

نؤتيه اجرا عظيما ويمكن ان يقال ان معنى ومن يفعل الامر والمراد ومن يأمر فعبر عن الامر بالفعل لان الامر فعل من الافعال والمراد بقوله من امر

من فعل لان الامر يلزمه الفعل غالبا ثم قال ومن يشاقق الرسول قال الزجاج ان طعمة كان قد تبين له بما اظهر الله من امره ما دل على صحة نبوة



محبة فعادى الرسول بعد ما ظهر له الحق ودلت على عصمته واتبع دين عبادة الاوثان وهو غير دين الموحدين سبيلهم ومعنى نوله ما تولى نجعله واليا لما اختاره لنفسه
ونكله الى ما توكل عليه قال بعض الائمة هذا منسوخ باية السيف لا سيما في حق المرتد والظاهر ان المراد به الطبع والخذلان ونصله جهنم نلزمه اياها
وساءت مصيرا وانتصب مصيرا على التمييز من الضمير المبهم في ساءت لانه يعود الى ما في الذهن لا الى المذكور يحكى ان الشافعي سئل عن اية في كتاب الله تدل
على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى وقف على هذه الاية وتقرير الاستدلال ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام لانه تعالى جمع بين اتباع غير سبيلهم وبين
مشاقة الرسول ورتب الوعيد عليهما واتباع غير سبيل المؤمنين يلزمه عدم اتباع سبيل المؤمنين لاستحالة الجمع بين المتنافيين او النقيضين فعدم اتباع
سبيل المؤمنين حرام فاتباع سبيلهم واجب وانكروا الاية الرسول في الاية دلالة على وجوب عصمة النبي وعلى وجوب الاقتداء باقواله وافعاله الا ما وجب
المشاقة في بعض من الامور وهي منتهية عنها في الكل وقيل في الاية دلالة على انه لا يمكن تصحيح الدين الا بالنظر والاستدلال لان الهدى اسم للدليل لا للعلم اذ لا
معنى لتبين العلم لكنه رتب الوعيد على المخالفة بعد تبين الدليل فيكون تبين الدليل معتبرا في صحة الدين والقول الموقوف على النظر هو معرفته ووجود الواجب
لذاته وصحة نبوة النبي والبواقي يكفي في اعتقاده اخبار الصادق على ان اخبار الصادق ايضا دليل فلا حكم الا عن دليل ثم انه كرر في السورة قوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به للتاكيد وقيل لقصة طعمة واشراكه بالله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا لانه لا اجلى من وجود الصانع ووحدته والمطلوب كلما كان اجلى
كان نقيضه ابعد ثم اوضح هذا المعنى بقوله سبحانه ان يدعون اي ما يعبدون من دونه الا اناثا اي اوثانا وكانوا يسمونها باسماء الاناث كاللات والعزى
فاللات تانيث الله والعزى تانيث الاعز قال الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان ويؤيده قراءة عائشة الا اوثانا
وقراءة ابن عباس الا اثنا جمع وثن مثل اسد واسد الا ان الواو ابدلت همزة كاجوه وقيل المراد الا امواتا لان الاخبار عن الاموات يكون كالاخبار عن الاناث
تقول هذه الاحجار تعجبني كما تقول هذه المراة تعجبني ولان الانثى اخس من الذكر والميت اخس من الحي وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل
ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون الملائكة بنات الله وان يدعون ما يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا مريدا بالغا في العصيان مجردا عن الطاعة
يقال شجرة مرداء اذا تناثر ورقها والامرد الذي لم تخرج لحيته قال المفسرون كان في كل واحد من تلك الاوثان شيطان يتراءى للسدنة يكلمهم وقالت المعتزلة جعلت
طاعتهم للشيطان عبادة له لانه الخبيث هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه والظاهر ان المراد بالشيطان ههنا هو ابليس لانه وصف بقوله لعنه الله
وقال لاتخذن وهو جواب قسم محذوف اي شيطانا جامعا بين لعنة الله اياه وبين هذا القول الشنيع وهو الاخبار عن الاتخاذ مؤكدا بالقسم ويمكن ان يقال
المراد بلعنه الله ما استحق به اللعن من استكباره عن السجود كقولهم ابيت اللعن اي لا فعلت ما تستحق به ومعنى نصيبا مفروضا حظا مقطوعا واجبا فرضه لنفسه
واصل الفرض القطع ومنه الفريضة لانه قاطع الاعذار وقد فرضتم لهن فريضة جعلتم لهن قطعة من المال والفرض الجند رزقه المقطوع المعين قال الحسن من كل الف
تسعمائة وتسعة وتسعين وذلك لما روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي قال يقول الله تعالى يا ادم فيقول لبيك وسعديك والخير بيديك قال اخرج بعث النار قال
وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الحديث ههنا سؤال وهو ان حزب الشيطان وهم الذين يتبعون خطواته من الكفار والعصاة
لما كانوا اكثر من حزب الله فلم اطلق عليهم لفظ النصيب مع انه لا يتناول الا القسم الاقل والجواب ان هذا التفاوت انما يحصل من نوع البشر اما اذا ضم الملائكة
اليهم فالغلبة للمحقين لا محالة وايضا الغلبة لاهل الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم وان كثروا ولاضلنهم يعني عن الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم قالت المعتزلة
فيه دلالة على اصلين من اصولنا الاول ان المضل هو الشيطان دون الله والثاني ان الاضلال ليس عبارة عن خلق الكفر والضلال فان الشيطان بالاتفاق
لا يقدر على ذلك واجيب بان هذا كلام ابليس فلا يكون حجة على ان كلامه في هذه المسئلة مضطرب جدا فتارة يميل الى القدر المحض وهو قوله لاضلنهم لاغوينهم
واخرى الى الجبر المحض كقوله رب بما اغويتني ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال وانحام الاهوال وانتظام الاحوال فلا يكاد يقدم على
التوبة والاقبال على مهمة زاد الاخرة حتى يصير قلبه كالحجارة او اشد قسوة ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام البتك القطع وسيف باتك اي صارم
والتبتيك التقطيع شدد للكثرة وجمهور المفسرين على ان المراد به ههنا قطع اذان البحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا
على انفسهم الانتفاع بها ويسمونها بحيرة وقال بعضهم كانوا يقطعون اذان الانعام نسكا في عبادة الاوثان فهم يظنون ان ذلك عبادة مع انه في نفسه
كفر وفسق قوله فليبتكن صيغة غائب للغائبين واللام لجواب القسم اخر اي فوالله ليبتكن واصله ليبتكون فلما دخلت النون الثقيلة سقطت الواو للجمع
لالتقاء الساكنين واكتفاء بالضمة والفاء للتسبيب الايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها والجملة كالتفسير لقوله ولامرنهم ومثله في الاعراب قوله ولامرنهم
فليغيرن خلق الله والمراد من التغيير التغيير المعنوي وقد حكي من الاول قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن والضحاك ومجاهد والنخعي وقتادة والسدي انه تغيير
دين الله بتبديل الحرام حلالا وبالعكس او بابطال الاستعداد الفطري فطرت الله التي فطر الناس عليها كل مولود يولد على الفطرة ومن الثاني قال الحسن
المراد ما روى ابن مسعود عن النبي لعن الله الواشمات والواشرات والمتنمصات وذلك ان المراة تتوصل بهذه الافعال الى الزنا اما الوشم فلانها تلون بعرتها
بالابرة ثم تذر عليها النيل والوشر تحديد الاسنان والتنمص نتف شعر الحاجب وغيرها وقال انس وشهر بن حوشب وعكرمة وابو صالح تغيير خلق الله هو الخصاء
وقطع الاذان وفقاء العيون وكانت العرب اذا بلغت ابل احدهم الفا عوروا عين فحلها وخصاء البهائم مباح عند عامة العلماء واما في بني ادم فمحظور
وعند ابي حنيفة يكره شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقال ابن زيد هو التخنث وتشبه الذكر بالانثى وعلى هذا فالسحق
ايضا داخل في الاية لانه تشبه الانثى بالذكر وحكى الزجاج عن بعضهم ان الله تعالى خلق الانعام ليركبوها فحرموها على انفسهم كالبحائر والسوائب وخلق



الشمس والقمر مسخرين للناس ينتفعون بهما فعبدوهما فغيروا خلق الله واعلم ان دخول الضرر في الانسان انما يكون على ثلثة اوجه التشويش والنقصان والبطلان فادعى الشيطان لعنه الله القاء اكثر الخلق في ضرر الدين هو قوله لاضلنهم ثم فصل ذلك بقوله ولامنينهم وهو الضرر من جنس التشويش لان صاحب الاماني مشوش فكره في استخراج الحيل الدقيقة والوسائل اللطيفة في تحصيل مطالبه الشهوية والغضبية والشيطانية وقوله ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام اشارة الى الضرر بالنقصان لان الانسان اذا صار مستغرق العقل في طلب الدنيا صار فاتر الرأي ضعيف العزم في طلب الآخرة وقوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اشارة الى البطلان لان من بقي مواظبا على طلب اللذات العاجلة معرضا عن السعادات الباقية فلا يزال يتزايد ميله وركونه الى الدنيا حتى يتغير طبعه بالكلية ولا يخطر بباله ذكر الآخرة ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بان فعل ما امره الشيطان به وترك ما امره الرحمن به فقد خسر خسرانا مبينا اذ فاته رأس المطالب بسبب الاشتغال باخسها والسبب فيه ان الشيطان يعدهم ويمنيهم فيقول للشخص انه سيطول عمره وينال من الدنيا مقصوده ويستولي على اعدائه ويوقع في قلبه ان الدنيا دول فربما تيسرت لي كما تيسرت لغيري وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه ربما لم يطل عمره وان طال فربما لم يجد مطلوبه وان طال عمره ونال آماله على احسن الوجوه فلابد ان يكون عند الموت في اشد حسرة وابلغ حيرة لان المطلوب كلما كان الذ واشهى وكان الالف معه ادوم وابقى كانت مفارقته آلم وابكى وايضا لعل الشيطان يعدهم انه لا قيامة ولا حساب ولا جزاء ولا عقاب فجهدوا في استيفاء اللذات العاجلة وعمهوا ورفضوا الحقوق الزائلة فلذلك قيل اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا مفرا ومعدلا والمعنى ان اهلها لا بد لهم من ورودها والثبات التخليد بمعنى الدوام للكفار وطول المكث للفساق ثم اردف الوعيد بالوعد على سنته المعهودة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قال اهل السنة لو كان الخلود الدوام لزم التكرار فاذن هو طول المكث المطلق وقوله ابدا يفيد التأبيد وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله سندخلهم وعد منه ثم ومضمونه هو مضمون وعد الله واما حقا فمضمونه اخص من مضمون الوعد لان الوعد من حيث هو وعد يحتمل ان يكون حقا وان لا يكون فمضمونهما متغايران تغاير الجنس والنوع ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ من قبل الاستفهام المتضمن للانكار وفائدة هذه التوكيدات معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة والقاء امانيه الفارغة والتنبيه على ان قول اصدق القائلين اولى بالقبول من قول من لا احد اكذب منه والقيل مصدر قال قولا وعن ابن السكيت ان القيل والقال اسما لا مصدران عن ابي صالح قال جلس اهل الكتب اهل التوراة والانجيل واهل القرآن كل صنف يقول لصاحبه نحن خير منكم فنزلت ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب وقال مسروق وقتادة احتج المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نحن اهدى منكم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اهدى منكم واولى بالله نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله فنزلت ثم افلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من اهل الاديان بقوله ومن يعمل من الصالحات وبقوله ومن احسن دينا الآيتان وقيل الخطاب في امانيكم لعبدة الاوثان وامانيهم ان لا يكون حشر ولا نشر ولا معاد ولا عقاب وان عذبوا لكنهم يشفعون اصنامهم بانها شفعاؤهم عند الله وقيل الخطاب للمسلمين وامانيهم ان يغفر لهم وان ارتكبوا الكبائر واما اماني اهل الكتاب فقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودات واسم ليس مضمر وقيل اي ليس وضع الدين على امانيكم وقيل ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله سندخلهم وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل ويؤكد هذا المعنى قوله بيانا للمذكور من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن هنا استدلت المعتزلة بالآية على القطع بوعيد الفساق ونفي الشفاعة واجيب بانه مخصوص بالكفار لانهم مخاطبون بالفروع عندنا سلمنا انه يعم المؤمن والكافر الا انه مخصوص في حق المؤمن بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون جزاؤهم الآلام والاسقام والهموم والغموم الدنيوية روي انه لما نزلت الآية قال ابو بكر كيف الصلاح بعد هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك اللأواء فهو ما يجزون عن عائشة ان رجلا قرأ هذه الآية فقال انجزى بكل ما نعمل لقد هلكنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فقال يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبته في جسده وبما يؤذيه وعن ابي هريرة لما نزلت الآية بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه الآية لنا شيئا فقال صلى الله عليه وسلم ابشروا فانه لا يصيب احدا منكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التي يقع في قدمه سلمنا ان الجزاء انما يصل اليه في الآخرة لكنه وعن ابن عباس انه لما نزلت الآية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله وأينا لم يعمل سوءا فكيف الجزاء فقال صلى الله عليه وسلم انه تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده اعشاره وايضا المؤمن الذي اطاع الله سبعين سنة ثم شرب قطرة من الخمر فهو مؤمن قد عمل الصالحات يوجب القطع بانه يدخل الجنة قالوا ان صاحب الكبيرة غير مؤمن واجيب بنحو قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا واما حديث نفي الشفاعة فاذا كانت شفاعة الملائكة والانبياء باذن الله صدق انه لا ولي لاحد ولا نصير الا الله قال في الكشاف من في قوله من الصالحات للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو في وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة ولا صلوة في بعض الاحوال ومن في قوله من ذكر لتبيين الابهام في من يعمل والضمير في لا يظلمون عائد الى عمال السوء وعمال الصالحات جميعا او يعود الى الصالحين فقط وذكره عند احد الفريقين يغني عن ذكره عند الآخر والمسيء مستغن عن هذا القيد لان من المعلوم ان ارحم الراحمين لا يزيد في عقابه واما نقصان الفضل في الثواب فكان محتملا فازيل ذلك

الوهم ثم بين فضل الايمان المشروط به الفوز بالجنة فقال ومن احسن دينا وبنا الفضل من وجهين الاول انه الدين المشتمل على اظهار كمال العبودية والانقياد لله تعالى واليه
الاشارة بقوله اسلم وجهه لله وهو راجع الى الاعتقاد الحق وعلى اظهار كمال الطاعة وحسن العمل والاخلاص واليه الاشارة بقوله وهو محسن وهو عائد
الى فعل الخيرات وترك المنكرات بصفاء النيات وخلوص الطويات وفيه تنبيه على ان كمال الايمان لا يحصل الا عند تفويض جميع الامور الى الخالق والتبري
من الحول والقوة ومن الاستعانة بغير المعبود الحق من الافلاك والكواكب والطبائع وغيرها كائنا من كان الوجه الثاني ان محمدا انما دعا الخلق الى ما يشبه
دين ابيه ابرهيم ومن المشهور فيما بين اهل الاديان انه ما كان يدعو الى عبادة فلك ولا طاعة كوكب ولا سجدة صنم ولا استعانة بطبيعة بل كان مائلا عن
الملل الباطلة بعيدا عنها بعدا لمركز عن جميع اجزاء الدائرة ولهذا شرف بقوله واتخذ الله ابرهيم خليلا وهذه جملة معترضة والسبب في ايرادها ان يعلم ان
من كان في علو الدرجة بهذه الحيثية كان جديرا بان يتبع طريقته قال العلماء ان خليل الانسان هو الذي يدخل في خلال اموره واسراره وقد دخل حبه
في خلال قلبه ولما اطلع الله تعالى ابرهيم على ملكوت الاعلى والاسفل ودعا القوم مرة بعد اخرى الى توحيد الله ومنعهم عن عبادة النجوم والقمر والشمس
وعن عبادة الاوثان ثم سلم نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم جعله الله اماما للناس ورسولا اليهم وبشره بان الملك والنبوة في ذريته الى
اليوم الذين كان خليلا لله لان خلته عبارة عن ارادة ايصال الخيرات والمنافع وقيل الخليل هو الذي يوافقك في خلالك وقد قال صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله
فلما بلغ ابرهيم في مكارم الاخلاق مبلغا لم يبلغه من تقدمه فلا جرم استحق اسم الخليل وقيل الخليل الذي يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل
فلما كان ابرهيم منقادا لكل ما امر به ونهي عنه فكانه سايره ووافق اوامر الله ونواهيه فاستحق اسم الخليل لذلك هذا من جهة الاشتقاق واما من قبل
اسباب النزول فعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل بم اتخذ الله ابرهيم خليلا قال لاطعامه الطعام يا محمد وقال عبد الله بن عبد الرحمن بن
ابزى دخل ابرهيم فجاءه فراى ملك الموت في صورة شاب لا يعرفه فقال ابرهيم باذن من دخلت فقال باذن رب المنزل فعرفه ابرهيم فقال له ملك الموت
ان ربك اتخذ من عباده خليلا قال ابرهيم ومن ذلك قال وما تصنع به قال اكون خادما له حتى اموت قال فانه انت وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس اصاب
الناس سنة جهدوا فيها فحشروا الى باب ابرهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى خليله بمصر يسأله الميرة
فقال الخليل لو كان ابرهيم انما يريده لنفسه احتملنا ذلك له ولكنه يريده للاضياف وقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل ابرهيم فمروا ببطحاء
فقالوا لو انا احتملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة انا نستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا تلك الغرائر ثم انهم اتوا ابرهيم وسارة نائمة
فاعلموه ذلك فاهتم ابرهيم لمكان الناس فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة فقامت الى تلك الغرائر ففتحتها فاذا هو اجود حواري يكون فامرت الخبازين
فخبزوا واطعموا الناس واستيقظ ابرهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين هذا الطعام فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله
فيومئذ اتخذ الله خليلا وقال شهر بن حوشب هبط ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابرهيم اذكره مرة اخرى فقال لا اذكره مجانا فقال لك
مالي كله فذكره الملك بصوت اشجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك اولادي فقال الملك ابشر فاني ملك لا احتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود
امتحانك فلما بذل المال والاولاد على سماع ذكر الله فلا جرم اتخذه الله خليلا وروى طاوس عن ابن عباس ان جبرئيل وميكائيل لما دخلوا على ابرهيم
في صورة غلمان حسان الوجوه فظن الخليل انهم اضيافه وذبح لهم عجلا سمينا وقربه اليهم وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال
جبرئيل انت خليل الله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الله ابرهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال وعزتي لاوثرن حبيبي على خليلي
ونجيي قلت وذكرنا الفرق بين الخليل والحبيب في سورة البقرة في تفسير قوله اذ قال له ربه اسلم فتذكر قال في التفسير الكبير اذا استنار جوهر الروح بالانوار
القدسية والجلايا الالهية صار الانسان متوغلا في عالم القدس فلا يرى الا الله ولا يسمع الا الله ولا يتحرك الا لله ولا يسكن الا لله فهذا الشخص
يستحق ان يسمى خليل الله لما ان محبة الله سرت وتخللت في جميع قواه قال بعض النصارى اذا جاز اطلاق الخليل على انسان تشريفا فلم لم يجز اطلاق الابن على اخر لمثل
ذلك والجواب ان الخلة لا تقتضي الجنسية بخلاف البنوة وانه سبحانه متعال عن مجانسة المحدثات ولهذا قال بعد ذلك ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله
بكل شيء محيطا العلم انه لم يتخذ ابرهيم خليلا للحاجة والاحتياج لكنه اصطفاه لمجرد الفضل والامتنان وفيه انه مع خلته لم يستنكف ان يكون عبدا له داخلا
تحت ملكه وملكه وفيه ان من كان في القهر والتسخير بهذه الحيثية وجب على كل عاقل ان يخضع لتكاليفه وينقاد لاوامره ونواهيه كما قال ابرهيم اسلمت لرب العالمين
وايضا انه لما ذكر الوعد والوعيد وانه لا يمكن الوفاء بهما الا بالقدرة التامة على جميع الممكنات والعلم الكامل الشامل لجميع الكليات والجزئيات اشار الى الاول
بقوله ولله ما في السموات وما في الارض والى الثاني بقوله وكان الله بكل شيء محيطا وانما قدم القدرة على العلم لان الفعل بوجوده يدل على القدرة وبما فيه من الاحكام
والاتقان يدل على العلم ولا ريب ان الاعتبار الاول مقدم على الثاني وقال بعضهم الاحاطة ههنا بمعنى القدرة كقوله واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله
بها ولا يلزم التكرار لان الاول لا يدل الا على ان لله كل ما في السموات والارض والثاني يفيد القدرة المطلقة على جميع الاشياء وان فرضت خارج السموات
والارض وعلى ان سلسلة القضاء والقدر في جميع الممكنات انما ينقطع بايجاده وتكوينه ابداعا التاويل لا خير في كثير من نجوى النفس والهوى والشيطان لانهم يامرون
بالخيرات وهو الله بالوحي او بالخواطر الرحمانية ثم خواص عباده ومن يشاقق الرسول اي يخالف الالهام الرباني ويتبع غير سبيل المؤمنين بالواردات يتبع الهوى و
تسويل النفس والشيطان نوله ما تولى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله بسلاسل معاملاته جهنم الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ان الله لا يغفر ان يشرك
به ولو كان مغفورا لم يشرك بالله لانه فقد ضل ضلالا بعيدا وهو الضلال بالاضلال الازلي فانهم ان يدعون من دونه الا اناثا اي صفات منهم بنوا لله بها



الشہوات یدعون الا شیطانا مریدا ہی الدنیا کما قال الدنیا ملعونۃ ملعون ما فیہا الا ذکر اللہ وما والاہ والنصیب المفروض ما تفرط فیہم اللہ لا للنار ولاضلنہم کذا بعد واللہ فانہ برئ ولبس الہم من الضلالۃ الرشد کما قال بعثت مبلغا ولیس الی من الہدایۃ شیء وعد اللہ حقا وسوقولہ ہؤلاء الی الجنۃ ولا
ابالی لیس بامانیکم یعنی عوام الخلق الذین یذنبون ولا یتوبون ویطمعون ان یغفر اللہ لہم وقد قال وانی لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ولا امانی اہل الکتاب
علماء السوء الذین یغرون العوام بالرجاء والطمع ویقطعون علیہم طریق الطلب والاجتہاد فلیس من تمنی نعمۃ من غیر ان یتعنی فی طلبہ من غیر ان یتمنی نعمتہ
من یعمل سوءا یجز بہ فی الحال باظہار الدین علی مرآۃ قلبہ کما قال اذا اذنب عبد نبا نکت فی قلبہ نکتۃ سوداء فان تاب رجع منہ صقلۃ ولا یجد لہ من دون اللہ ولیا
یخرجہ من ظلمات المعصیۃ الی نور الطاعۃ والتوبۃ ولا نصیرا ینصرہ بالظفر علی النفس الامارۃ من ذکر او انثی ای من قلب او نفس ومن احسن دینا یعنی من جملۃ من اسلم معہ
وجہہ وقلبہ ونفسہ شیطانہ کما قال اسلم شیطانی علی یدی ومن اسلام نفسہ یقول یوم القیامۃ امتی امتی حین یقول الانبیاء نفسی نفسی وہو محسن بمعنانہ من اہل
المشاہدۃ یعبد اللہ کانہ یراہ بل یراہ ولا نہ احسن الذین خلقہ العظیم الی ان بلغ حد الکمال الختم واتبع ملۃ ابرہیم بان اللہ اتخذ خلیلا کما اتخذ ابرہیم خلیلا
قیل للمجنون بن عامر ما اسمک قال لیلی وقیل لمحمد ما اسمک قال الحبیب کان محمد حبیبا ای خلیلا ای فقیرا من الخلق الحاجۃ لانہ افتقر بالکلیۃ الی اللہ فی کل احوالہ
والفرق بین مقام الخلیل ومقام الحبیب الخلیل اتخذ الالہۃ عدوا فی اللہ فانہم عدو لی الا رب العالمین واتخذ نفسہ عدوا للہ وقال انت نبیہ تخلقوا بخلق محمد
وہذا مقام الفناء فی الفناء بل البقاء بعد وللہ ما فی السموات وما فی الارض وکان اللہ بکل شیء محیطا ویستفتونک
الفناء فلا جرم یقول بالرب عن الرب
و فتوی میخواہند

ع ۱۴ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ

دربارۂ زنان بگو کہ خدا فتوی میدہد شمارا دربارۂ ایشان و آنچہ خواندہ میشود بر شما در قرآن در بارۂ یتیمان از زنان آن زنان کہ نمیدہید ایشان را آنچہ واجب شد

لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ

برای ایشان و رغبت میکنید کہ نکاح کنید ایشان را و ناتوانان از اطفال و آنکہ ایستادہ باشید برای یتیمان بعدالت و آنچہ بکنید از خیر

فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۝ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا

پس ہر آئینہ خدا ہست بآن دانا و اگر زنی بترسد از شوہر خود بد خوئی یا روگردانیدن را پس نیست گناہ بر ایشان کہ اصلاح کنند در میان خود صلحے

وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا

و صلح بہتر است و حاضر کردہ شدہ است نفسہا را بخل و اگر نیکوکاری کنید و پرہیزگاری کنید پس ہر آئینہ خدا ہست بآنچہ میکنید باخبر و ہرگز نتوانید

أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا

کہ عدالت کنید در میان زنان و ہرچند حریص باشید پس میل مکنید تمام میل کہ بگذارید آنرا چون آویختہ و اگر اصلاح کنید و پرہیزگاری کنید

فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ۝

پس ہر آئینہ خدا ہست آمرزندہ مہربان و اگر جدا شوند بی نیاز گرداند خدا ہر یکی را از وسعت خود و میباشد خدا وسعت دہندہ استوار کار

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ

و مر خدا راست ہرچہ در آسمانہاست و آنچہ در زمین است و بتحقیق وصیت کردیم آنہا را کہ دادہ شدند کتاب از پیش شما و شمارا کہ

اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝ وَلِلَّهِ

بترسید از خدا و اگر کافر شوید پس ہر آئینہ مر خدا راست آنچہ در آسمانہا و آنچہ در زمین است و میباشد خدا بی نیاز ستودہ و مر خدا راست

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ

آنچہ در آسمانہا و آنچہ در زمین است و بس است خدا کارساز اگر خواہد ببرد شمارا ای زمرہ مردمان و بیاورد

بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

دیگران را و میباشد خدا بر این توانا ہر کہ باشد کہ خواہد بہرہ دنیا پس نزد خداست بہرہ دنیا و آخرت

ع ۱۵ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ

و میباشد خدا شنوندہ بینا ای زمرہ آنہا کہ ایمان آوردہ اید باشید ایستادہ شوندگان بعدالت گواہان از برای خدا اگرچہ بر نفس خود باشد

أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ

یا پدر و مادر و خویشان اگر باشد توانگر یا فقیر پس خدا سزاوارتر است بایشان پس متابعت مکنید خواہش را کہ عدالت کنید و اگر

تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ

زبان بپیچید یا اعراض کنید پس ہر آئینہ خدا ہست بآنچہ میکنید باخبر ای گروہ آنہا کہ ایمان آوردہ اید ایمان آرید بخدا و رسول او و قرآن

الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

کہ نازل شد بر پیغمبر خود و کتابی کہ فرستادہ شد از پیش و ہر کہ کافر شود بخدا و فرشتگان او و کتابہای او و پیغمبران او

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا

و روز واپسین پس تحقیقکه گمراه شده است گمراهی دوری ۞ بدرستی انهائی که ایمان آوردند پس کافر شدند باز ایمان آوردند پس کافر شدند پس افزودند در کفر

لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ۞ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ

نیست خدا که بیامرزد انهارا و نه آنکه نماید ایشان را راهی را ۞ مژده ده منافقان را باینکه مر انهاراست عذابی دردناک ۞ انان که فرا گیرند

الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۞ وَقَدْ نَزَّلَ

کافران را دوستان از غیر مؤمنان ایا خواهش میدارند در نزد ایشان عزت را پس بدرستیکه عزت مر خدایراست همه ۞ و تحقیقکه فرستاد

عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا

بر شما در کتاب که اگر شنیدید که آیات خدارا کافر شوند بان و سخریه کنند بان پس منشینید با ایشان تا فرو روند

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۞ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ

در حکایتی غیر آن بدرستیکه شما انگاه مانند ایشانید بدرستیکه خدا گرد آورنده منافقان و کافران در جهنم همه ۞ انان که انتظار کشند

بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ

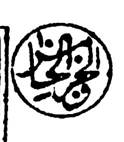
بشما پس اگر باشد مر شمارا گشایشی از جانب خدا گویند که ایا نبودیم با شما و اگر بوده باشد مر کافرانرا بهره گویند که ایا نه دست یافتیم بر شما

وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۞

و منع میکردیم شمارا از مؤمنان پس خدا حکم کند درمیان شما در روز قیامت و قرار ندهد خدا از برای کافران بر مؤمنان سلطنت را

القراءة يصلحا من الاصلاح عاصم وعلي وحمزة وخلف الباقون يصالحا من التصالح وادغام التاء في الصاد ان تشاء حيث كان بغير همز الاعشى وابو عمرو وورش من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف وان تلوا بواو واحدة ابن عامر وحمزة الباقون كلاهما على ما لم يسم فاعله من التنزيل والانزال فقد نزل مشددا مبنيا للفاعل عاصم ويعقوب الباقون مبنيا للمفعول الوقوف النساء فيهن للعطف اي الله والمتلو يفتيكم الولدان للعطف بالقسط اي في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا بالقسط عليما صلحا خير الشح خبيرا كالمعلقة رحيما سعته حكيما وما في الارض ان اتقوا الله وما في الارض حميدا وما في الارض وكيلا باخرين قديرا والآخرة بصيرا والاقربين لابتداء الشرط مع اتفاق المعنى ان تعدلوا لذلك جبرا امنوا من قبل بعيدا سبيلا اليما لا لان الذين صفة المنافقين وان كان يحتمل النصب والرفع على الذم المؤمنين جميعا غيره لان ما بعده كالتعليل مثلهم جميعا لا لان ما بعده صفة المنافقين لكم لابتداء الشرط مع انه بيان التربص معكم لترجيح جانب العطف مع انهما بيان النفاق نصيب لا لان قالوا جواب ان المؤمنين القيمة سبيلا التفسير احسن التربيات للامة المدعوة الى الدين الحق والبعث على نبوة التكاليف هو ما عليه القرآن من اقتران الوعد بالوعيد وخلط الترغيب بالترهيب وضم الآيات الدالة على العظمة والكبرياء الى بيان الاحكام والاستفتاء طلب الفتوى يقال استفتيت الرجل فافتاني افتاء وفتيا وفتوى وهما اسمان يوضعان موضع الافتاء وهو اظهار المشكل من الفتى وهو الشاب الذي قوي وكمل كانه قوى بيانا بما اشكل فشب وصار فتيا قويا والاستفتاء لا يقع في ذوات النساء وانما يقع في حالة من احوالهن فلذلك اختلفوا فعن بعضهم انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان شيئا من الميراث كما مر في اول السورة فنزلت في توريثهم وقيل انها في الاوصياء ومنه في توفية الصداق لهن كانت اليتيمة تكون عند الرجل فان كانت جميلة ومال اليها تزوج بها واكل مالها وان كانت دميمة منعها من الازواج حتى تموت فيرثها اما قوله وما يتلى عليكم ففيه وجوه احدها انه رفع بالابتداء معطوفا على اسم الله اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب يفتيكم ايضا ويجوز ان يكون رفعا على الفاعلية لكونه عطفا على المستتر في يفتيكم وجاز بلا تاكيد للفصل اي يفتيكم الله والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى كقولك اعجبني زيد وكرمه وذلك المتلو هو قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى كما سلف اول السورة جعل دلالة الكتاب على هذا الحكم افتاء من الكتاب وثانيها وما يتلى عليكم مبتدأ في الكتاب خبره وهي جملة معترضة ويكون المراد من الكتاب اللوح المحفوظ والغرض تعظيم حال هذه الآية وان المخل بها والعدل فيها من رعاية حقوق اليتامى ظالم منهاون بما عظمه الله ونظيره في تعظيم القرآن قوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وثالثها انه مجرور على القسم بمعنى التعظيم ايضا كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن وحق المتلو ورابعها ان يكون مجرورا على انه معطوف على الضمير المجرور في فيهن قال الزجاج انه ليس بسديد لفظا لعدم اعادة الخافض ومعنى لانه لا معنى لقول القائل يفتيكم الله فيما يتلى من الكتاب لان الافتاء انما يكون في المسائل وقوله في يتامى النساء على الاول صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن او بدل من فيهن وعلى سائر الوجوه بدل من فيهن لا غير والاضافة في يتامى النساء قال الكوفيون هي اضافة الصفة الى الموصوف واصله في النساء اليتامى وقال البصريون انها على تاويل حذف وطبقه وسحق عمامة وجوز بعضهم ان يكون المراد بالنساء امهات اليتامى كما في قصة ام كجة ومعنى لا تؤتونهن ما كتب لهن قال ابن عباس يريد ما فرض لهن من الميراث بناء على انها نزلت في توريث اليتامى الصغار وقال غيره يعني ما كتب لهن من الصداق وترغبون ان تنكحوهن قال ابو عبيدة هذا يحتمل الرغبة والنفرة اي ترغبون في ان تنكحوهن لجمالهن وترغبون عن ان تنكحوهن لدمامتهن احتج اصحاب ابي حنيفة بالآية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة ورد باحتمال ان يكون المراد وترغبون ان تنكحوهن اذا بلغن ولان قدامة بن مظعون زوج بنت اخيه عثمان بن مظعون من عبد الله بن عمر فخطبها المغيرة بن شعبة ورغبت امها في المال فجاؤا الى الرسول فقال فذلك

العاصم ونزل وانزل لم ابن كثير وابن عامر وابو عمرو الباقون نزل وانزل مبنيين للفاعل



انا عمها ووصي ابيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها صغيرة وانها لا تزوج الا باذنها وفرق بينها وبين ابن عمر لانه ليس في الاية اكثر من كون عقد الاولياء في نكاح اليتيمة وذلك
لا يدل على الجواز والمستضعفين من الولدان نزلت في ميراث الصغار والخطاب في ان تقوموا للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم قيل ويجوز
ان يكون وان تقوموا منصوبا اي ويامركم ان تقوموا ومن جملة ما امر الله تعالى امر يفتيهم به في النساء لكن لم يتقدم ذكره قوله وان امرأة خافت ارتفاع امرأة
بفعل يفسره خافت اي علمت وقيل ظنت والظن انه على معناه الاصلي الا ان الخوف لا يحصل الا عند ظهور العلامات الدالة على وقوع المخوف كان يقول
الرجل لامرأته انك دميمة او مسنة واني اريد ان اتزوج شابة جميلة والبعل الزوج والنشوز يكون من الزوجين وهو كراهة كل منهما صاحبه يقع نشوز الرجل
ان يعرض عنها ويقبح وجهها ويترك مجامعتها ويسيء عشرتها عن عايشة انها نزلت في المرأة تكون عند الرجل ويريد الرجل ان يستبدل غيرها فتقول امسكني
وتزوج بغيري وانت في حل من النفقة والقسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عايشة من قلبه فوهبت لها يومها
ومعنى صلحا وهو مصدر من غير لفظ الفعل مثل والله انبتكم من الارض نباتا ان يصطلحا على ان تطيب المرأة له نفسا عن القسم او عن بعضها او عن المهر او النفقة
فان هذه الامور هي التي تقدر المرأة على طلبها من الزوج شاءه ام ابى اما الوطى فليس كذلك لان الزوج لا يجبر على الوطى والصلح خير من الفرقة او من النشوز و
الاعراض فاللام للعهد او هو خير من الخصومة في كل شيء فاللام للاستغراق وبه تمسك اصحاب ابي حنيفة في جواز الصلح على الانكار او الصلح خير من الخيرات كما
ان الخصومة شر من الشرور والجملة معترضة وكذا قوله واحضرت الانفس الشح الا انه اعتراض مؤكد للمطلوب يحصل المقصود والشح البخل مع حرص فارض شحاح لا تسيل
الا من مطر كثير جعل الشح كالامر الحاضر للنفوس لانها جبلت على ذلك ثم يحتمل ان يكون هذا تعريضا بالمرأة انها تشح ببذل نصيبها او حقها او بالزوج انه شح بانه
ينقضي عمره معها مع دمامتها وكبر سنها وعدم الالتذاذ بصحبتها واعلم انه رخص اولا في الصلح بقوله فلا جناح عليهما وغايته ارتفاع الاثم ثم بين انه كالاحتياج
فيه فكذلك فيه خير كثير ثم حث على الاحسان والتقوى وحسم مادة الخصومة راسا فقال وان تحسنوا اي بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن و
تتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة المحوجة الى الصلح فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم على ذلك وعلى هذا الخطاب
للازواج وقيل الخطاب للزوجين ان يحسن كل منهما الى صاحبه ويحترز عن الظلم وقيل لغيرهما ان يحسنوا في المصالحة بينهما وتتقوا الميل الى واحد منهما يحكى ان عمران بن
حطان الخارجي كان من ادم بني ادم وامرأته من اجملهم فاجالت يوما نظرها في وجهه ثم قالت الحمد لله فقال ما لك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة لانك
رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت ولن تستطيعوا ان تعدلوا لن تقدروا على التسوية بين النساء في الميل الطباعي وكونه منهم واذا لم تقدروا وعلمنا
بحيث لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان لم تكونوا مكلفين به وهذا تفسيرها سبط مذهب المعتزلة من ان تكليف ما لا يطاق غير واقع ولا جائز فلا تميلوا
كل الميل اي رفع عنكم تمام العدل وغايته لكن اتوا ما استطعتم بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم وبوجه اخر لن تستطيعوا التسوية في الميل القلبي ولو
ولا التسوية الكلية في نتايج الحب من الاقوال والافعال لان الفعل بدون الداعي ومع قيام الصارف محال فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور
فتمنعوها قسمتها ونفقتها وسائر حقوقها وحظوظها من غير رضا منها فتذروها كالمعلقة بين السماء والارض لا على قرار اي غير ذات بعل ولا مطلقة
والغرض النهي عن الميل الكلي مع جواز التفريط في العدل الكلي في نتايج الميل القلبي واما الميل القلبي فمعفو بالكل او بالبعض لان القلب ليس في تصرف الانسان وانما
هو بين اصبعين من اصابع الرحمن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عايشة
كانت احب اليه عنه من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل
فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا يرزق كل واحد منهما زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشته ويسعه الغنى والمقدرة وكان الله واسعا
من الرزق والفضل والرحمة والعلم واي كمال بعرض لهذا اطلق حكيما قال ابن عباس فيما حكم ووعظ قال الكلبي فيما حكم على الزوج من امساكها بمعروف
او تسريحها باحسان ثم قال ولله ما في السموات وما في الارض وهو كالتفسير لسعة ملكه وملكه وبيان ان الذي امرهم من العدل والاحسان الى اليتامى والنسوان
ليس لعجز او انتفاع واغنا معنوي فائدة ذلك الى المكلف لانه الاحسن لهم دنياه وعقباه ثم بين ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة لم يلحقها نسخ وتبديل وان استغنائه
تعالى باللتبلغ الى الامم السالفة كهو بالنسبة الى الامم الاتية فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب اي جنسه ليشمل التورية والانجيل والزبور وغيرها من
الصحف وقوله من قبلكم اما ان يتعلق بوصينا او باوتوا وقوله واياكم عطف على الذين ومعنى ان اتقوا بان اتقوا ويكون ان المفسرة لان الوصية في معنى القول وان تكفروا
عطف على اتقوا اي امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم
كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يخشون عقابه ويرجون ثوابه او قلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في سمواته وارضه من الملائكة وغيرهم
من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم حميدا في ذاته وان لم يحمد واحد منهم ثم كرر قوله ولله ما في السموات وما في الارض وكفى
بالله وكيلا تقريرا لانه اهل ان يتقى وتوكيدا للاستغناء عن طاعات المطيعين وسيئات المذنبين ثم بالغ في هذا المعنى بقوله ان يشأ يذهبكم يعدمكم
ايها الناس ويأت باخرين يوجد خلقا اخرين غير الانس او من جنس الانس وكان الله على ذلك الاعدام ثم الايجاد قديرا بليغ القدرة لم يزل موصوفا بذلك لا
يزال كذلك وفي الاية من التخويف والغضب ما لا يخفى وقيل الخطاب لاعداء النبي صلى الله عليه وسلم من العرب والمراد باخرين ناس يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على
ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس ثم رغب الانسان فيما عنده من الكرامة فقال من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب الاخس بالذات
مع انه اذا طلب الاشرف بفعل الاخس فالتقليد عند الله ثواب الدنيا والاخرة لان اداء لحصول ربط الجزاء بالشرط وكان الله سميعا للاقوال المجاهدين الطالبين

بان اتقوا

كما قال على لسان داود النبي ان فضل الله قوي لسان الذين



بصيرة بمطامح عيونهم ومطارح ظنونهم فيجازيهم على حسب ذلك ثم بين ان كمال سعادة الانسان في ان يكون قوله لله وفعله لله وحركته لله وسكونه لله فقال
يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اختيار العدل محترزين عن الجور كاملين في ذلك شهداء لله لوجهه ولاجل مرضاته كما امرتم باقامتها ولو كانت
تلك الشهادة وبالا على انفسكم او الوالدين والاقربين بان يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره وفي كلام الحكماء اذا كان الكذب ينجي فالصدق انجى
الاقرار على نفسه كانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها وان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي كذا وانما قدم الامر بالقيام بالقسط على
الامر بالشهادة لله عكس قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لان شهادة الله تعالى عبارة عن كونه خالقا للمخلوقات
وقيامه بالقسط عبارة عن رعاية قوانين العدل في تلك المخلوقات فالاول مقدم على الثاني واما في حق العباد فالعدل امر مقدم على الشهادة فقدم الشرط
على المشروط ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا فلا تكتموا الشهادة طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فالله اولى بامورهما ومصالحهما وكان حق الضمير
ان يوحد فالله اولى به اي باحدهما الا انه ثنى الضمير ليعود الى الجنسين كانه قيل فالله اولى بجنسي الفقير والغني اي بالاغنياء والفقراء يريد بالنظر لهما
وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها قال السدي اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم غني وفقير وكان ضلعه مع الفقير رأى ان الفقير لا يظلم
الغني فابى الله الا ان يقوم بالقسط في الغني والفقير وانزل الآية وقوله ان تعدلوا يحتمل ان يكون من العدل او من العدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة
ان تعدلوا بين الناس وارادة ان تعدلوا عن الحق واخفاء الحق هو ان يراد اتركوا الهوى لاجل ان تعدلوا اي حتى تتصفوا بصفة العدالة لان العدل
عبارة عن ترك متابعة الهوى ومن ترك احد النقيضين فقد حصل له الآخر وان تلووا بواوين من لوى يلوي اذا فتل ويروى بواو واحدة من الولاية والمعنى
وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق وحكومة العدالة او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم اوان وليتم اقامة الشهادة او تركتموها واعلم ان الانسان
لا يكون قائما بالقسط الا اذا كان راسخ القدم في الايمان فلهذا اردفه بما ذكر بقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا وظاهره مشعر بالامر بتحصيل الحاصل
فالمفسرون ذكروا فيه وجوها الاول يا ايها الذين آمنوا في الماضي والحاضر آمنوا في المستقبل اي دوموا على الايمان واثبتوا الثاني يا ايها الذين آمنوا
تقليدا آمنوا استدلالا الثالث يا ايها الذين آمنوا استدلالا اجماليا آمنوا استدلالا تفصيليا الرابع يا ايها الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله
آمنوا بان كنه الله تعالى وعظمته وكذلك احوال الملائكة واسرار الكتب وصفات الرسل لا نهاية لها بعقولكم الخامس قال الكلبي ان عبد الله بن سلام واسدا
واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمني اهل الكتاب قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه
من الكتب والرسل فانزل الله هذه الآية فآمنوا بكل ذلك وقيل ان المخاطبين ليسوا هم المسلمين والتقدير يا ايها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل
آمنوا بمحمد والقرآن وبجميع الكتب المنزلة من قبل لا ببعضها فقط لان طريق العلم بصدق النبي هو المعجز وحاصل الكلام ان الخطاب لليهود والنصارى
او يا ايها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب فهم المنافقون او يا ايها الذين آمنوا باللات والعزى آمنوا بالله فهم المشركون والمراد بالكتاب الذي انزل من قبل
جنسه فان قيل لم ذكر في مراتب الايمان امورا ثلاثة الايمان بالله وبالرسول وبالكتب وذكر في مراتب الكفر امورا خمسة اجيب بان الايمان بالثلاثة يلزم الايمان
بالملائكة وباليوم الآخر لكنه ربما ادعى الانسان انه يؤمن بالثلاثة ثم انه ينكر الملائكة واليوم الآخر لشبه ولآراء فاسدة فلما كان هذا الاحتمال قائما
نص على ان منكر الملائكة والقيامة كافر بالله فان قيل لم قدم في مراتب الايمان ذكر الرسول على ذكر الكتاب وفي مراتب الكفر عكس الامر فالجواب ان الكتب
مقدم على الرسول في مرتبة النزول من الخالق الى الخلق واما في العروج فالرسول مقدم على الكتاب بوجه خاص الرسول الاول هو نبينا محمد والرسل عام له ولغيره
فلما خص ذكره اولا للتشريف جعل ذكره تاليا لذكر الله لمزيد التشريف ولبيان افضليته ثم لما رغب في الايمان والثبات عليه بين فساد طريقة من يكفر بعد
الايمان فقال ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا والمراد الذين تكرر منهم الكفر بعد الايمان ثلاث مرات او اكثر قال القفال
ليس المراد بيان العدد بل المراد ترددهم وتحيرهم على ذلك وقيل اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بعزير ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا
كفرا عند مقدم محمد وقيل هم المنافقون اظهروا الاسلام ثم كفروا بنفاقهم وكون باطنهم على خلاف ظاهرهم ثم اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم ثم ازدادوا كفرا بجدهم واجتهادهم في استخراج وجوه المكايد في حق المسلمين وقيل هم طائفة من اهل الكتاب قصدوا تشكيك
المسلمين فكانوا يظهرون الايمان تارة والكفر اخرى على ما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم
يرجعون ثم انهم بالغوا في ذلك وازدادوا الى حد الاستهزاء والسخرية بالاسلام وفي الآية دلالة على انه قد يحصل الكفر بعد الايمان وذلك يبطل مذهب القائلين
بالموافاة وهي ان شرط صحة الاسلام ان يموت الشخص على الاسلام وقد يجيبون عن ذلك بانا نحمل الايمان على اظهار الايمان ومنها ان الكفر يقبل الزيادة
والنقصان فيجب ان يكون الايمان كذلك لانهما ضدان متنافيان فاذا قبل احدهما التفاوت فكذا الآخر وكيف يزداد كفرهم من وجوه احدها انهم ماتوا على كفرهم
وثانيها بسبب ذنوب اصابوها حال كفرهم وعلى هذا فاصابة الطاعة وقت الايمان يكون زيادة الايمان وثالثها استهزاؤهم بالدين فاما قوله
لم يكن الله ليغفر لهم فقيل عليه اللام بعد النفي للتأكيد هذا لا يليق بالموضع لان اللائق تأكيد النفي بان نفي التأكيد اذا ذكر على سبيل التهكم افاد ثبوت
النفي ثم اورد عليه ان الكفر قبل التوبة غير مغفور على الاطلاق وحيث يتبع الشرائط المذكورة في الآية وبعد التوبة مغفور ولو بعد الف مرة فكيف يصح
النفي واجيب بان اللام في الذين لمعهودين هم قوم علم الله منهم انهم يموتون على الكفر لا يتوبون عنه قط فقوله لم يكن الله ليغفر لهم اخبار عن موتهم
على الكفر او اللام للاستغراق في وضع الكلام على الغالب المعتاد وهو ان من كان مضطربا بحال كثير الانتقال من الاسلام الى الكفر لم يكن للايمان في قلبه



وقع واحد شاملاً فالظاهر من حال مثله انه يموت على الكفر فليس المراد انه لو اتى بالايمان الصحيح لم يكن معتبرا بل المراد منه الاستبعاد والاستغراب كالقائل
يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع فانه لا يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على الفسق ولا ليهديهم سبيلا اى الى الايمان عند الاشاعرة وعند المعتزلة
الى الجنة او محمول على المنع من زيادة الالطاف بشر المنافقين تهكم كقولهم عتابك السيف وتحيته الضرب يبتغون عندهم العزة كان المنافقون يوادون
اليهود اعتقادا منهم ان امر محمد لا يتم ويبتغون بودهم ويحصل لهم بهم قوة وغلبة فخيب الله امالهم بقوله فان العزة لله جميعا وعز الله يستتبع عزة الرسول
والمؤمنين كقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وجميعا حال من العزة اى مجموعة قال المفسرون ان المشركين كانوا بمكة يخوضون في ذكر القران في مجالسهم
فيستهزؤن به وبين اظهرهم المسلمون ولا يلتفتون بالانكار عليهم لظاهر من فنزلت اذ ذاك واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره فكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين ويجالسهم بعض المنافقين فانزل الله تعالى في هؤلاء المنافقين وقد نزل عليكم في الكتاب يعني بمكة في
الانعام ان اذا سمعتم ايات الله هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان مقدر والمعنى اذا سمعتم ايات الله حال كونها يكفر بها ويستهزأ بها وقال الكسائي المعنى
اذا سمعتم الكفر بايات الله والاستهزاء بها ولكن اوقع فعل السماع على الايات كما يقال سمعت عبد الله يلوم وفيه نظر لان ايقاع فعل السماع
على الايات ممكن بخلاف ايقاعه على عبد الله انكم ايها المنافقون اذا مثلهم مثل الاحبار في الكفر وان ههنا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك
لم يذكر بعدها الفعل اى اذن تكونون مثلهم وافرد مثلهم لانها في معنى المصدر نحو انؤمن لبشرين مثلنا وقد جمع في قوله ثم لا يكونوا امثالكم وانما لم يحكم بكفر
المسلمين بمكة لمجالسة المشركين الخائضين وحكم بنفاق هؤلاء بالمدينة لمجالسة احبار اليهود الخائضين لان مجالسة اولئك المسلمين كانت للضرورة في اول
ضعف الاسلام ولم يرد نهي بعد ومجالسة هؤلاء المنافقين كانت في وقت الاختيار وقوة الاسلام وبعد ورود النهي قال اهل العلم في الاية دليل على ان من رضي
بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر يراه وخالط اهله وان لم يباشر كان شريكهم في الاثم ثم حقق كون المنافقين مثل الكافرين بقوله ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم والضمير في معهم يعود الى الكافرين المستهزئين بدلالة يكفر بها ويستهزأ بها واذا جامع بالتنوين
لانه بعد ما جمعهم ولكن حذف التنوين تخفيفا في اللفظ والمعنى انهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بايات الله في الدنيا فكذلك يجتمعون في عذاب جهنم يوم
القيامة ومثله قوله المرء مع من احب الذين يتربصون بكم ينتظرون بكم ما يحدث لكم من نصر او اخفاق فان كان لكم فتح من الله ظهور على اليهود قالوا الم نكن معكم
مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين اى اليهود نصيب سماه نصيبا لما في الظاهر قالوا الم نستحوذ عليكم الحوذ السوق السريع والاستحواذ
الغلبة وهذا جاء بالواو على اصله كما جاء استروح واستصوب في الاية وجهان الاول الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم ثم لم نفعل شيئا من ذلك و
نمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم الثاني ان اولئك الكفار كانوا قد هموا بالدخول في الاسلام ثم ان المنافقين نفروهم
واطمعوهم انه سيضعف امر محمد ويقوى امركم فالمراد الستا غلبناكم على رايكم في الدخول في الاسلام ومنعناكم منه وارشدناكم الى ما صلح لكم فادفعوا
الينا نصيبا مما وجدتم وفي تسمية ظفر المؤمنين فتحا وظفر الكافرين نصيبا تثبيت للمؤمنين وتعظيم لما هم عليه من الدين وتحقير لشأن الكافرين وتوهين
لامرهم فكان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حين تنزل على اولياء الله وظفر الكافرين حظ دني ينقضي ولا يبقى منه الا الذم في الدنيا والعقاب
في الاخرة فالله يحكم بينكم يوم القيمة اى بين المؤمن والمنافق والغرض انه تعالى ما وضع السيف على المنافقين في الدنيا ولكن اخر عقابهم الى يوم القيمة
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال علي وابن عباس المراد في الدنيا ولكن بالحجة اى حجة المسلمين غالبة على حجة الكل وقيل في الاخرة وقيل
عام في الكل والشافعي بنى عليه مسائل منها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم واحرزه الى دار الحرب لم يملكه بدلالة هذه الاية ومنها ان الكافر ليس له
ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي والله تعالى اعلم التاويل النفس للروح كالمراة للزوج ويتامى النساء صفات النفوس وما كتب لهن مما
اوجب الله للنفوس من الحقوق وحاصل المعنى ان نفسك مطيتك فارفق بها واليه الاشارة بقوله والصلح خير واحضرت الانفس الشح فالروح
يشح بترك حقوق الله والنفس تشح بحظوظها فلا تميلوا كل الميل في رفض حظوظ النفس فتذروها كالمعلقة بين العالم العلوي والعالم السفلي وان
يتفرقا اى الروح والنفس فالروح بجذبة يجذبه ربه تعالى يغن الله في عالم هويته فيستغني عن مركب النفس بالوصول الى المقصود والنفس
بجذبة يعني الروح بجذبة ارجعي الى ربك الى مغفرة الله في عالم فادخلي في عبادي وادخلي جنتي يا ايها الذين امنوا امنوا للايمان ثلثة مراتب ايمان العوام
ان يؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله وبالبعث والجنة والنار والقدر وهذا ايمان غيبي وايمان الخواص وهو انه تعالى اذا تجلى للعبد بصفة من صفاته
خضع له جميع اجزاء وجوده وامن بالكلية وهذا ايمان عياني وايمان للاخص وهو بعد رفع الحجب لانانية حين افناه بصفة الجلال وابقاه بصفة الجمال فلقي
له لا بين وتبقى العين وهذا ايمان عيني ان الذين امنوا اى بالتقليد ثم كفروا اذ لم يكن التقليد اصلا ثم امنوا بالاستدلال العقلي ثم كفروا اذ لم يكن عقولهم
مشرقة بالنور الالهي ثم ازدادوا كفرا بالشبهات والاعتراضات لم يكن الله في الازل غافرا لهم بنور عند الرش ولا ليهديهم سبيلا اليوم لان لا اهل
لا يخطى بشر المنافقين اى بشرهم بان اصلهم من جوهر الكفار ولهذا اتخذوا الكافرين اولياء فان ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
ابتلاهم ههنا بنتيجة تفاوت ارواحهم وكما يعيشون يموتون وكما يموتون يحشرون — بدرستیکه منافقان فریب دهند خدارا وحال آنکه او فریب دهنده ایشان است
ع
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى

هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ۝ يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون

اینان ونه بسوی انگروه وهرکرا گمراه کند خدا پس نیابی از برای او راهی ای گروه انان که گرویده اید فرا مگیرید کافرانرا دوستان از غیر

المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ۝ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد

مؤمنان ایا میخواهید که قرار دهید از برای خدا بر شما تسلطی هویدا بدرستیکه منافقان در طبقه پائین از اتش اند ونیابی هرگز

لهم نصيرا ۝ الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف

از برای انها یاوری بجز انها که توبه کردند ونیکوئی کردند وچنگ زدند بخدا و پاک کردند دین خودشانرا از برای خدا پس انها با مومنانند وزود است

يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ۝ ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما ۝ لا يحب

میدهد خدا گروندگانرا مزدی بزرگ چه میکند خدا بعذاب شما اگر سپاس کنید وگرویدید ومیباشد خدا شکر پذیرنده دانا دوست ندارد

الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ۝ ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء

خدا اشکار کردن گناهها از گفتار مگر انکه ستم کرده شد ومیباشد خدا شنونده دانا اگر ظاهر کنید نیکی را یا پنهان کنید انرا یا درگذرید از بدی

فان الله كان عفوا قديرا ۝ ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون

پس بدرستیکه خدا میباشد درگذرنده توانا بدرستیکه انها که کافر شوند بخدا وپیغمبرانش ومیخواهند که جدائی اندازند درمیان خدا وپیغمبرانش ومیگویند

نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا ۝ اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا

میگرویم بپاره وکافر شویم بپاره ومیخواهند که در پیش گیرند در این میانه راهی را انگروه ایشانند کافران براستی ومهیا کردیم

للكافرين عذابا مهينا ۝ والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم

از برای کافران عذابی خوار کننده وانان که گرویدند بخدا وپیغمبرانش وجدائی نینداختند درمیان یکی از انها انگروه زود است که بدهیم

اجورهم وكان الله غفورا رحيما ۝ القراءة في الدرك بسكون الراء حمزة وعلي وخلف وعاصم غير الاعشى اليا نؤتيهم بالياء حفص

مزدهاشانرا ومیباشد خدا امرزنده مهربان وعباس الباقون بالنون الوقوف خادعهم ط لعطف المختلفين كسالى لا لان يراؤن صفتهم قليلا ج

بناء على ان مذبذبين نصب على الذم والاوجه انه حال اي يراؤن مذبذبين بين ذلك ق وقد قيل على تقدير الابتداء اي لا هم الى هؤلاء والاوجه انه بيان المذبذبين

اي لا منسوبين الى هؤلاء هؤلاء ط الثانية سبيلا ط من دون المؤمنين ط مبينا من النار لا لابتداء النفي مع العطف نصيرا للاستثناء مع المؤمنين ط عظيما وامنتم ط

عليما الجهر الا من ظلم ط عليما قديرا ببعض لا للعطف سبيلا لا لان ما بعده خبران وقيل ان الخبر محذوف اي هلكوا وما بعده مستأنف حقا ج لاحتمال ما بعده

العطف والاستئناف مهينا اجورهم ط رحيما التفسير قال الزجاج اي يخادعون رسول الله اي يظهرون له الايمان ويبطنون الكفر كقوله ان الذين يبايعونك

انما يبايعون الله وهو خادعهم اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه قال ابن عباس يعطيهم نورا كما يعطي المؤمنين فاذا وصلوا

الى الصراط انطفى نورهم وبقي نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم وباقي تفسير المخادعة تقدم في اول البقرة كسالى جمع كسلان كسكارى

في سكران اي يقومون متثاقلين متباطئين متقاعسين كما نرى من يفعل شيئا على كره لا عن طيب نفس ورغبة وهو معنى الكسل والسبب في ذلك

انهم يفعلونها في الحال لا يرجون من فعلها ثوابا ولا يخافون من تركها عقابا يراؤن الناس اي لا يقومون الى الصلوة الا لاجل الرياء والسمعة

ومعنى المفاعلة في الرياء ان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه استحسانا ذلك العمل او فاعل ههنا بمعنى فعل بالتشديد كقولك ناعمه نعمه ولا يذكرون الله

اي ولا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم احد من الاجانب لا يصلون واذا كانوا مع الناس فعند وقت الصلوة يتكلفون حتى يصيروا غائبين عن

اعين الناس فان لم يجدوا منه مخرجا يصلون وقيل انهم في صلوتهم لا يذكرون الله الا قليلا وهو الذي يظهر مثل التكبيرات فاما الذي يخفى وهو القراءة

والتسبيحات فهم لا يذكرونها وقيل انهم لا يذكرون الله في جميع الاوقات الا ذكرا قليلا في الندرة كما نرى من بعض المها ونين بامور الدين لو صحبته اياما وليالي

لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق اوقاته ويجوز ان يراد بالقلة العدم قال قتادة يريد ان الله لا يقبل صلوتهم لان

ما رده الله فكثيره قليل وما قبله الله فقليله كثير ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع

الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بالكسر اي يذبذبون قلوبهم او دينهم او ذاتهم

وعن ابي جعفر متذبذبين بالدال غير المعجمة والمعنى اخذ بهم تارة في دبرة والدبرة الطريقة ومعنى بين ذلك اي بين الكفر والايمان لان ذكر الكافرين والمؤمنين

يدل على الكفر والايمان وذلك قد يشار به الى اثنين كقوله عوان بين ذلك واعلم ان السبب في التذبذب هو ان الفعل يتوقف على الداعي فاذا كان الداعي

الى الفعل هو الاغراض المتعلقة باحوال هذا العالم والعالم وما يتعلق به متغيرة لزم وقوع التغير في الميل والرغبة واذا تعارضت الدواعي والصوارف بقي الانسان

في الحيرة والتردد اما من كان مطلوبه في فعله اقتناء الخيرات الباقية والكمالات السرمدية لعلمه بان تلك المطالب مصونة عن التغير والزوال

لا جرم كان هذا الانسان ثابتا في ايمانه راسخا في شانه ولهذا المعنى وصف اهل الايمان بالثبات يثبت الله الذين امنوا الا بذكر الله تطمئن القلوب

يا ايتها النفس المطمئنة ثم انه ذمهم على ترك طريقة المؤمنين وطريقة الكفار والذم على ترك طريقة الكفار غير جائز قلنا انما توجه الذم لانهم على الوا

ع ۲



على الكفر الى ما هو اخبث وهو طريق النفاق ولهذا اورد فيهم من المبالغات ما اورد من قوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الكافرين اولياء اي لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء وهو نهي للمؤمنين عن موالاة المنافقين والتخلق باخلاقهم وقيل
ومعنى سلطانا حجة بينة على النفاق لان ولي المنافق منافق لا محالة ومن قوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فالقعر الاخير من النار درك ودرك
ومع ذلك وصف بالاسفل ودركات النار منازلها مقابل درجات الجنة مبني ان المنافق في غاية البعد ونهاية الطرد عن حضرة الله تعالى وانه مع فرعون لان الدرك
الاسفل اشد العذاب فلذا قال عز من قائل ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قيل ان النار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض
قال ابو حاتم جمع الدرك ادراك كفرس وافراس وجمع الدرك ادرك كفلس وافلس ثم قال ولن تجد لهم نصيرا احتج بهذا على اثبات الشفاعة في حق الفساق من اهل
القبلة لانه تعالى ذكره في معرض الزجر عن النفاق فلو حصل نفي الشفاعة مع عدم النفاق لم يبق هذا زجرا عن النفاق من حيث انه نفاق ثم استثنى منهم
التائبين فشرط امورا اربعة اولها التوبة وثانيها اصلاح ما افسدوا من اسرارهم وثالثها الاعتصام بدين الله ورابعها الاخلاص لانه اذا كان مطلوبه جلب
المنافع ودفع المضار فقد تعرض عن التوبة واصلاح العمل سريعا اما اذا كان مطلوبه مرضاة الله وسعادة الآخرة والاعتصام بحبل الله بقي على هذه الطريقة ولم يتغير عنها
وعند حصول الشرائط قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل مؤمنون تشريفا للمؤمنين انهم متبوعون فالمنافقون بعد الشرائط تبع لهم ثم بين وعد المؤمنين
بقوله وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ليشمل المنافقين التائبين بالتبعية ثم برهن على ان فائدة الايمان والعمل الصالح انما ترجع على المكلفين
فقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لان تعذيب الملوك بعض الرعية انما يكون للتشفي من الغيظ او لدرك الثار او لطلب المنافع ولدفع
المضار وامثال هذه الامور في حقه تعالى محال انما المقصود حمل المكلفين على فعل الحسن وترك القبيح لينالوا السعادة العظمى فمن امتثل واطاع فكيف يليق
بكرمه تعذيبه قالت المعتزلة هذا صريح في انه تعالى لم يخلق احدا لغرض التعذيب وفي ان فاعل الشكر والايمان هو العبد والا صار التقدير وما يفعل الله بعذابكم
ان خلق الشكر والايمان فيكم ومعلوم ان هذا غير منتظم والجواب مسلم انه تعالى غير مستكمل بالتعذيب ولا بالاثابة لكن وقوع البعض في مظاهر اللطف
والبعض في مظاهر القهر ضروري كما سبق وانتهاء الكل الى ارادته وخلقه تكوينه ضروري بواسطة او بغير واسطة فيؤول المعنى الى انه لا يعذبكم ان كنتم
مظاهر اللطف وهذا كلام في غاية التحقيق قال في الكشاف وانما قدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر اولا الى النعمة فيشكر شكرا مبهما ثم اذا انتهى به النظر
الى معرفة المنعم آمن به واقول ان لم يكن الواو للترتيب فلا سؤال ان كانت للترتيب فلعله انما قدم الشكر في هذه الآية خلاف اكثر الآيات التي قدم الايمان
فيها على العمل الصالح لان الآية مسوقة في عرض المنافقين لم يقع نزاع في ايمانهم ظاهرا وانما يقع النزاع في بواطنهم واعمالهم التي يصدر منهم عن غير اطلاع
للعقل واللسان فكان تقديم الشكر ههنا اهم لانه عبارة عن صرف جميع ما اعطاه الله تعالى فيما خلق لاجله حتى يكون افعاله واقواله على نهج السداد وسنن
الاستقامة وكان الله شاكرا مثيبا على الشكر فسمى جزاء الشكر شكرا وفيه انه يجزي على العمل القليل ثوابا كثيرا عليما بالكليات والجزئيات من غير غلط
ونسيان فيوصل جزاء الشاكرين اليهم كما يليق بحالهم كما يليق بكرمه وسعة فضله ورحمته ثم انه سبحانه لما هتك ستر المنافقين وفضحهم وكان هتك الستر منافيا
للكرم والرحمة ظاهرا ذكر ما يجري مجرى العذر من ذلك فقال لا يحب الله الجهر الآية يعني انه لا يحب اظهار الفضائح الا في حق من ظلم وهم المسلمون الذين علم
ضرر المنافقين وكيدهم فيهم وفيه ان المنافق اذا تاب واصلح لم يكن يسلم من تعيير المسلمين اياه على ما صدر منه في النفاق فبين تعالى ان تعييرهم بعد التوبة امر مذموم
وانه تعالى لا يرضى به الا من ظلم نفسه وعاد الى نفاقه قالت المعتزلة في الآية دلالة على انه تعالى لا يريد من عباده فعل القبائح لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادته
وقالت الاشاعرة المحبة عبارة عن ايصال الثواب على الفعل ولا يصح ان يقال انه اراده وما احبه قال اهل العلم انه لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر ولكنه ذكر
هذا الوصف لان كيفية الواقعة اوجبت ذلك كقوله اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا والتبين واجب في الظعن والاقامة اما قوله الا من ظلم فالاستثناء منه متصل
او منقطع وعلى الاول قال ابو عبيدة تقديره الا جهر من ظلم فحذف المضاف وقال الزجاج الجهر بمعنى المجاهر اي لا يحب الله المجاهر بالسوء الا من ظلم وعلى الثاني المعنى
لكن المظلوم له ان يجهر بظلامته وماذا يفعل المظلوم قال ابن عباس له ان يجهر بظلامته برفع صوته بالدعاء على من ظلمه وقال مجاهد له ان يخبر بظلم ظالمه وقال الاصم
لا يجوز اظهار الاحوال المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة والريبة لكن له اظهار ظلمه بان يذكر انه سرق او غصب وقال الحسن له ان ينتصر من ظالمه وعن مجاهد
ان ضيفا تضيف قوما فاساؤوا قراه فاشتكاهم فنزلت الآية ورخص له ان يشكو وقرأ الضحاك وزيد بن اسلم وسعيد بن جبير الا من ظلم على البناء للفاعل وقيل انه كلام
منقطع عما قبله اي لكن من ظلم فدعوه وخلوه وقال الفراء والزجاج معناه لكن من ظلم فانه يجهر بالسوء من القول وكان الله سميعا عليما فليتق الله فلا
يقل الا الحق ولا يقذف مستورا ثم حث على العفو بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه وهو اشارة الى ايصال النفع او تعفوا عن سوء وهذا اشارة الى دفع الضرر
وعلى هذين يدور المعاشرة مع الخلق فان الله كان عفوا قديرا قال الحسن يعفو عن الجاني مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله وقيل عفوا
لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه وقال الكلبي معناه ان الله اقدر على عفو ذنوبك منك على عفو صاحبك وفي الخبر ان ابا بكر شتمه رجل فسكت مرارا
ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر شتمني وانت جالس فلما رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم
اجلس عند مجيء الشيطان ثم انه سبحانه تكلم بعد ذكر احوال المنافقين في مذاهب اليهود والنصارى وابطالها وهذا النوع الاول ايمانهم ببعض الانبياء
دون بعض فسلكهم في سلك من لا يقر بالوحدانية ولا بالنبوات وهم الذين يكفرون بالله ورسله وفي سلك من يقر بالوحدانية وينكر النبوات وهم
الذين يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله في الايمان بالله والكفر بالرسل وذلك ان اليهود آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد

وهو الاصل

والفرقان والنصارى امنوا بعيسى والانجيل وكفروا بمحمد والقرآن فآمنوا ببعض الانبياء وكفروا بالبعض وارادوا ان يتخذوا بين ذلك اى بين الايمان
بالكل وبين الكفر بالكل سبيلا اى واسطة اولئك اى الطوائف الثلث هم الكافرون اما الطائفة الاولى فكفرهم ظاهر واما الثانية فلان تكذيب الانبياء
وانكارهم نبوتهم تكذيب لله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما الطائفة الثالثة فلان الدليل الدال على نبوة بعض الانبياء هو المعجزة
ويلزم منه حصول النبوة حيث حصل المعجز فالقدح في بعض من ظهر على يده المعجزة هو القدح في كل نبي فيلزم من ذلك ان يلزمهم الكفر بكل الانبياء ولكن ليس
اذا توجه بعض الالزامات على انسان لزم ان يكون ذلك الانسان قائلا به فالزام الكفر غير والتزام الكفر غير فالجواب ان الالزام اذا كان خفيا يحتاج فيه الى
فكر وتامل فالامر كما ذكرتم اما اذا كان جليا واضحا لم يبق بين الالزام والالتزام فرق وانتصاب حقا على انه مصدر مؤكد لغيره كقولك زيد قائم حقا اى
اخبرتك بهذا المعنى اخبارا حقا وقيل المراد هم الكافرون كفرا حقا وطعن الواحدي فيه بان الكفر لا يكون حقا بوجه من الوجوه واجيب بان الحق ههنا الكامل
الراسخ الثابت ثم ختم النوع بوعد المؤمنين ومعنى بين احد بين اثنين منهم او جماعة لان احدا في سياق النفي يفيد التعدد ومعنى سوف توكيد الوعد
لا التاخير المجرد ولهذا قال سيبويه لن افعل نفي سوف افعل فالمعنى ان ايتاء الاجور كائن لا محالة وان تاخر التأويل ان المنافقين يخادعون الله في الدنيا
لان الله خادعهم في الازل حين رش نوره وشاهده ثم اخطاهم ان شكرتم نعم الله عليكم وامنتم انفسكم من عذابه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
من العوام ولا من التحدث بالنفس من الخواص ولا من الخواطر من الاخص الا من ظلم اما بتقاضي دواعي البشرية من غير اختيار او بابتلاء من اضطرار وايضا لا يحب
الله الجهر بالسوء من القول بافشاء سر الربوبية واظهار مواهب الالوهية او بكشف القناع من مكنونات الغيب ومصونات غيب الغيب الا من ظلم
بغلبات الاحوال وتعاقب كؤس الجلال والجمال فاضطر الى المقال فقال باللسان الباقي لا باللسان الفاني انا الحق وسبحاني ان تبدوا خيرا مما كوشفتم
به من لطائف الحق بلسانها للخلق وافادة بالحق او تخفوه صيانة لنفوسكم عن آفات الشوائب وتطاولها على المشارب او تعفوا عن سوء مما يدعوا اليه هوى
النفس لا نادرة او تتركوا اعلان ما جعل الله اظهاره سوا فان الله كان عفوا فتكونون عفوا متخلقا باخلاقه ان الذين يكفرون فيه اشارة الى
ان الايمان لا يتبعض وان كان يزيد وينقص مثاله شعاع الشمس اذا دخل كوة البيت فيزيد وينقص بحسب سعة الكوة وضيقها ولكن لا يمكن تجزيتها
بحيث يوخذ جزء منه فيجعل في بيت آخر **يَسْئَلُكَ اَهْلُ الْكِتَابِ اَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَئَلُوا مُوسَى اَكْبَرَ**
عنه محاذي للشمس والله تعالى اعلم — ميخواهند از تو اهل كتاب كه فرود آورى بر ايشان كتابى را از آسمان پس بدرستى كه خواهش كردند موسى را

مِنْ ذٰلِكَ فَقَالُوا اَرِنَا اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ
بزرگتر از اين پس گفتند كه بنماى بما خدا را آشكارا پس گرفت ايشان را صاعقه بستم ايشان پس گرفتند گوساله را پس از آنكه آمد ايشان را آيات

فَعَفَوْنَا عَنْ ذٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ❊ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ
پس گذشتيم از اين و داديم ما موسى را پادشاهى هويدا و بالا گرفتيم در فوق ايشان كوه طور را بجهة پيمان ايشان و گفتيم با ايشان كه درآييد اين در را

سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَاَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ❊ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ
سجده كنان و گفتيم مر ايشان را كه تعدى مكنيد در ماهى گرفتن در روز شنبه و گرفتيم از ايشان پيمانى درشت پس بجهة شكستن ايشان پيمان خود را و كافر شدن ايشان

بِآيَاتِ اللّٰهِ وَقَتْلِهِمُ الْاَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
بآيات خدا و كشتن ايشان پيغمبران را بدون سزاوارى و گفتن ايشان كه دلهاى ما در پرده است بلكه مهر نهاد خدا بر آنها بواسطه كفرشان پس ايمان نيارند

اِلَّا قَلِيلًا ❊ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ❊ وَقَوْلِهِمْ اِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
مگر كمى و بجهة كفرشان و گفتارشان بر مريم بهتانى بزرگ را و گفتارشان كه ما كشتيم مسيح را عيسى پسر مريم را پيغمبر

اللّٰهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَاِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ
خدا و نكشتند او را و بدار نكشيدند او را و لكن مشتبه شد بايشان و بدرستى كه آنها كه اختلاف كردند در او هر آينه در گمانند از آن نيست ايشان را بآن دانشى

اِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ❊ بَلْ رَفَعَهُ اللّٰهُ اِلَيْهِ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ❊ وَاِنْ مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ
بجز پيروى كردن گمان و نكشتند او را در واقع بلكه بالا برد او را خدا بسوى خود و ميباشد خدا غالب و نيكو داور و نيست از اهل كتاب

اِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ❊ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
مگر كه ايمان آورد بآن پيش از مرگش و در روز قيامت ميباشد بر ايشان گواه پس بجهة ظلم از آنها كه يهود شدند حرام كرديم بر ايشان

طَيِّبَاتٍ اُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ كَثِيرًا ❊ وَاَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَاَكْلِهِمْ اَمْوَالَ النَّاسِ
پاكيزهايى كه حلال بود مر ايشان را و بجهة باز داشتن ايشان از راه خدا بسيارى را و گرفتن ايشان زيادى را و حال آنكه باز داشته شدند از آن و خوردن ايشان مالهاى مردم را

بِالْبَاطِلِ وَاَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا اَلِيمًا ❊ لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا
بباطل و مهيا كرديم از جهة كافران از ايشان عذابى دردناك ليكن استواران در علم از ايشان و مؤمنان كه ايمان آرند بآنچه

اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَا اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلٰوةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فرود آمد بتو و آنچه فرود آمد پيش از تو و برپا دارندگان نماز و دهندگان زكوة و گروندگان بخدا و روز پسين



ع ۳

أُولٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

آن گروه را زود دهیم ایشان را مزدی بزرگ بدرستی که وحی فرستادیم بتو چنانکه وحی نمودیم بسوی نوح و پیغمبران که بعد از او بودند و وحی نمودیم بسوی ابراهیم

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا

و اسمعیل و اسحق و یعقوب و نوردگان و عیسی و ایوب و یونس و هرون و سلیمان و دادیم بداود زبور را

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا رُسُلًا

و پیغمبرانی که حکایت کردیم ایشان را بر تو از پیش و پیغمبرانی که حکایت نکردیم ایشان را بر تو و گفتگو کرد خدا موسی را گفتگو کردنی پیغمبرانی

مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا لٰكِنِ اللَّهُ

مژده دهندگان و ترسانندگان تا آنکه نبوده باشد از برای مردم بر خدا حجتی پس از پیغمبران و میباشد خدا غالب استوار لکن خدا

يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا

گواهی دهد بآنچه فرستاد بسوی تو فرستاد او را بدانش خود و فرشتگان گواهی دهند و بس است بخدا گواهی بدرستی که آنها که کافر شدند و باز داشتند

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ

از راه خدا بدرستی که گمراه شدند گمراهی دوری بدرستی که آنها که کافر شدند و ستم کردند نمیباشد خدا که بیامرزد مر ایشان را و نه راه نماید مر ایشان را

طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا

راهی را مگر راه دوزخ جاویدان در آن همیشه و میباشد این بر خدا آسان

القراءة لا تعدّوا بتشديد الدال مع سكون العين ابو جعفر ونافع غير ورش وقرأ ورش مفتوحة العين مشددة الدال يزيد بالادغام علي وهشام وابو عمرو عن حمزة بلا ادغام مظهرا وابن الحلواني عن قالون سيؤتيهم حمزة وخلف وقتيبة والباقون بالنون زبورا بضم الزاي حيث كان حمزة وخلف والباقون بالفتح الوقوف بظلمهم ج لان ثم لترتيب الاخبار مع ان مراد الكلام متحد عن ذلك لان التقدير وقد آتينا مبينا غليظا علف قليلا للعطف عظيما لا لان التقدير وفي قولهم رسول الله لان ما بعده يحتمل ابتداء النفي والحال شبه لهم ط منه الظن لاحتمال الاستئناف والحال يقينا النفي نفي القتل باثبات الرفع اليه حكيما قبل موته لان الواو للاستئناف مع اتحاد المقصود شهيدا ج للاية ولان قوله فبظلم راجع الى قوله فبما نقضهم وقوله متعلق الكل حرمنا كثيرا لا بالباطل ط اليما واليوم الآخر عظيما من بعده ج للعطف مع تكرار الفعل وسليمان ج لان التقدير وقد آتينا لتخصيص داود بايتاء الزبور زبورا ج لان التقدير وقصصنا رسلا عليك ط تكليما ج لاحتمال البدل او النصب على المدح الرسل ط حكيما بعلمه ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال يشهدون ط شهيدا ط بعيدا ط طريقا لا ابدا ط يسيرا ط التفسير هذا نوع ثان من جهالات اليهود فانهم قالوا ان كنت رسولا من عند الله فائتنا بكتاب من السماء جملة كما جاء موسى بالالواح وقيل اقترحوا ان ينزل عليهم كتاب الى فلان وكتاب الى فلان بانه رسول الله ﷺ وقيل كتابا معاينة حين ينزل فان استكبرت ما سألوا فقد سألوا يعني سأل آباؤهم ومن هؤلاء على مذهبهم موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة وانما كان سؤال الرؤية اكبر من سؤال تنزيل الكتاب لان التنزيل امر ممكن في ذاته بخلاف رؤية الله عيانا فانها ممتنعة لذاتها عند المعتزلة او ممتنعة في الدنيا عند غيرهم وفي قوله من بعد ما جاءتهم البينات وجوه احدها ان البينات الصاعقة لانها تدل على قدرة الله تعالى وعلى علمه وعلى قدمه وعلى كونه مخالفا للاجسام والاعراض وعلى صدق موسى في دعوى النبوة وثانيها انها انزال الصاعقة واحياؤهم بعد اماتتهم وثالثها انها الآيات التسع من العصا واليد وفلق البحر وغيرها ونحوى الكلام ان هؤلاء يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء فاعلم انهم لا يطلبونه منك الا عنادا ولجاجا فان موسى قد انزل عليه هذا الكتاب وانزل عليه سائر المعجزات القاهرة ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد واقبلوا على عبادة العجل وكل ذلك يدل على انهم مجبولون على اللجاج والبعد عن طريق الحق فعفونا عن ذلك حيث لم نستأصل عبدة العجل وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا وهو انه امرهم بقتل انفسهم والمراد قوة امره وكمال حاله وانكسار خصومه ففيه بشارة للنبي ﷺ ان هؤلاء الكفار الذين يعاندونه فانه بالآخرة يستولي عليهم ويقهرهم ثم حكى عنهم سائر جهالاتهم واصرارهم على اباطيلهم منها انه تعالى رفع الطور بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوا ومنها قصة دخولهم الباب باب بيت المقدس ومنها قصة اعتدائهم في السبت باصطياد السمك وقد مر جميع هذه القصص في سورة البقرة وقيل ان العدو هيهنا ليس بمعنى الاعتداء وانما هو بمعنى الحضر والمراد به النهي عن العمل والكسب يوم السبت كانه قيل لهم اسكنوا عن العمل في هذا اليوم واقعدوا في منازلكم فانا الرازق ثم قال واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي العهد المؤكد غاية التوكيد وعلى ان يتمسكوا بالتوراة ويعملوا بما فيها فبما نقضهم ما مزيدة للتوكيد اي فبنقضهم وبسبب كذا وكذا ثم قال بل طبع الله عليها ردا لقولهم قلوبنا اوعية للعلم وتنبيها على انه تعالى ختم عليها فلهذا لا يصل اثر الدعوة والبيان اليها او تكذيبا لادعائهم ان قلوبنا في اكنة وذلك بحسب تفسيري الغلف كما مر في سورة البقرة فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بموسى والتوراة على زعمهم والا فالكافر بنبي واحد كافر بجميع الانبياء فالقلة في الحقيقة بمعنى العدم وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما فانكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير اب كذا انكارهم نبوة عيسى كفر ورميهم مريم بالزنا بهتان عظيم لانه ظهر لهم عند ولادة عيسى من الكرامات والمعجزات ما دلهم على براءتها من كل سوء وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم

الذي أرسل إليكم لمجنون أو أنه تعالى جعل الذكر الحسن مكان العيب الذي كانوا يطلقونه عليه من الساحر وابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة ﴿وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه﴾ أي المقتول لهم لدلالة ذكر قتلنا على المقتول ويكون شبه مسندا إلى الجار والمجرور وهو لهم أي وقع لهم التشبيه لا يجوز أن يكون
في شبه ضمير المسيح لأنه المشبه به وليس بمشبه قال أكثر المتكلمين إن اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله إلى السماء فخاف رؤساء اليهود وقوع الفتنة فيما بين
عوامهم فأخذوا إنسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس أنه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح إلا بالاسم لأنه كان قليل المخالطة مع الناس
وقيل إن اليهود لما علموا أنه في البيت الفلاني مع حوارييه أمر يهوذا رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له طيطانوس أن يدخل على عيسى ويخرجه ليقتله
فلما دخل عليه أخرج الله عيسى من سقف البيت وألقى على ذلك الرجل شبه عيسى فخرج فظنوا أنه هو المسيح فصلبوه وقتلوه وقيل وكلوا بعيسى
رجلا يحرسه وصعد عيسى في الجبل ورفع إلى السماء وألقى الله الشبه على ذلك الرقيب فقتلوه وهو يقول لست عيسى وقيل إن رهطا من اليهود سبوه
وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فأجمعت اليهود
على قتله فلما هموا بأخذه وكان معه عشرة من أصحابه قال لهم من يشتري الجنة بأن يلقى عليه شبهي فقال واحد منهم أنا فألقى الله شبه عيسى عليه فخرج
وقتل ورفع الله عيسى وقيل كان رجل يدعي أنه من أصحاب عيسى وكان منافقا فذهب إلى اليهود ودلهم عليه فلما دخل مع اليهود لأخذه ألقى الله شبهه عليه
فقتل وصلب ﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه﴾ قيل إن المختلفين هم اليهود لما قتلوا الشخص المشبه نظروا إلى بدنه فقالوا إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا
وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى وقيل إن المختلفين هم النصارى وذلك أنهم بأسرهم متفقون على أن اليهود قتلوه إلا أن كبار فرق النصارى ثلاثة النسطورية
والملكانية واليعقوبية فالنسطورية زعموا أن المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وهو قريب من قول الحكماء إن القتل والموت يرد على
الهيكل لا على النفس المجردة وعلى هذا فالفرق بين عيسى وبين سائر المصلوبين أن نفسه كانت قدسية علوية مشرقة قريبة من عالم الأرواح فلم يعظم
تألمها بسبب القتل وتخريب البدن وقالت الملكانية القتل والصلب وصل إلى اللاهوت بالإحساس والشعور لا بالمباشرة وقالت اليعقوبية القتل
والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين والشك في الأحكام استواء طرفي النقيضين عند الذاكر وقد يطلق عليه الظن ولهذا ذم في قوله
﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ وأما العمل بالقياس فليس من اتباع الظن في شيء لأنه عمل بالطرف الراجح ولأن العلم بوجوب العمل قطعي ثم قال ﴿وما
قتلوه يقينا﴾ وإنه يحتمل عدم تيقن القتل أي قتلا يقينا أي متيقنين واليقين عقد جازم مطابق ثابت لدليل ويحتمل يقين عدم القتل على أن يقينا
تأكيد لقوله وما قتلوه أي حق انتفاء قتله حقا وهذا أولى لقوله ﴿بل رفعه الله إليه﴾ وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما إذا بالغت فيه علمه فيكون تهكما بهم لأنه
نفى عنهم العلم أولا نفيا كليا ثم نبه بقوله ﴿وكان الله عزيزا حكيما﴾ على أن رفع عيسى إلى السماء بالنسبة إلى قدرته سهل وأن فيه من الحكم والفوائد ما لا يحيط بها
إلا هو ثم قال ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ فقوله إلا ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف أي ما أحد من أهل الكتاب إلا
وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به كقوله ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ والضمير في به عائد إلى عيسى وفي موته إلى أحد عن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما
قرأتها إلا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال إني أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت إن اليهودي إذا حضره
الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد نبي ويقول للنصراني أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله أو ابن
الله فيؤمن بأنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر إلي وقال ممن قلت قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فأخذ ينكت
الأرض بقضيبه ثم قال لقد أخذتها من عين صافية ومن معدنها وعن ابن عباس أنه فسره كذلك فقال له عكرمة فإن أتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه
حتى يحرك بها شفتيه قال وإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وفائدة هذا الإخبار الوعيد وإلزام
الحجة والبعث على معاجلة الإيمان به في أوان الانتفاع لأنه إذا لم يكن بد من الإيمان به فلأن يؤمنوا به حال التكليف ليقع معتدا به أولى وقيل الضمير
في به وفي موته لعيسى فالمراد بأهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن
به حتى يكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ويقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم
ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه قال بعض المتكلمين ينبغي أن يكون هذا عند ارتفاع التكاليف
أو بحيث لا يعرف إذ لو نزل مع بقاء التكليف على وجه يعرف أنه عيسى فإما أن يكون نبيا ولا نبي بعد محمد أو غير نبي وعزل الأنبياء لا يجوز وأجيب بأنه كان
نبيا إلى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك انتهت مدة نبوته فلا يلزم عزله فلا يبعد أن يصير بعده من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم قال في الكشاف ويجوز أن يراد أنه لا يبقى أحد من جميع أهل
الكتاب إلا ليؤمنن به على أن الله تعالى يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما أنزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم وقيل الضمير في به يرجع إلى
الله تعالى وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾ يشهد على اليهود بأنهم كذبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله وكذا كل نبي شاهد على أمته قوله
﴿فبظلم﴾ التنوين للتعظيم يعني فبأي ظلم ﴿من الذين هادوا﴾ الذنوب نوعان الظلم على الخلق وهو قوله فبظلم والإعراض عن دين الحق وهو قوله ﴿وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا﴾ أي ناسا كثيرا أو صدا كثيرا ومن هذا القبيل أخذ الربا وقد نهوا عنه وأكل أموال الناس بالباطل أي بالرشا على الحرام فهذه
الذنوب هي الموجبة للتشديد عليهم في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فتحريم بعض المطاعم الطيبة كما يجيء في سورة الأنعام ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر﴾ الآية وأما في الآخرة فقوله ﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما﴾ واعلم أن في متعلق قوله فبما نقضهم وما عطف عليه قولين الأول أنه

على مجموع المعطوف

محذوف والتقدير فبنقضهم ميثاقهم وبكذا وكذا لعناهم او سخطنا عليهم او نحو ذلك ثم استأنف قوله فبظلم ومتعلقه حرمنا وكذا متعلق المعطوفات بعد الثاني ان متعلق الكل حرمنا وقوله فبظلم بدل عن قوله فبما نقضهم قاله الزجاج ورجح الاول بان حذف المتعلق افخم ليذهب الوهم كل مذهب ولان تحريم الطيبات عقوبة خفيفة فلا يحسن تعليقها بتلك الجنايات العظائم قلت لو جعل قوله واعتدنا معطوفا على حرمنا زال هذا الاشكال فما ذكرنا والكفر في الايات ثلث مرات وبلزم من عطف الثالث على الاول وعلى الثاني عطف الشيء على نفسه فقد اجاب عنه في الكشاف بانه قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض وعطف مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بايات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وبجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وبجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا ثم وصف طريقة المؤمنين المحققين منهم فقال لكن الراسخون في العلم منهم يعني عبد الله بن سلام واضرابه ممن ثبت في العلم وتثبت واتقن واستبصر حتى جعله المعاني بالاستدلال واليقين دون التقليد والتخمين لان المقلد يكون بحيث اذا شكك تشكك اما المستدل فانه لا يتشكك البتة والمؤمنون يريد المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار والراسخون مبتدأ ويؤمنون خبره اما قوله والمقيمين الصلوة ففيه قوال الاول روي عن عثمان وعائشة انهما قالا ان في المصحف لحنا وستقيمه العرب بالسنتها ولا يخفى ركاكة هذا القول لان هذا المصحف منقول بالتواتر عن رسول الله صلعم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه الثاني قول البصريين انه نصب على المدح لبيان فضل الصلوة والمؤتون الزكوة رفع على المدح لبيان فضل الزكوة كقولهم جاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد والتقدير الا بذكر اعني المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر وطعن الكسائي في هذا القول بان النصب على المدح انما يكون بعد تمام الكلام وههنا الخبر وهو قوله اولئك الى اخره منتظر والجواب ان الخبر يؤمنون ولو سلم فما الدليل على انه لا يجوز الاعتراض بالمدح بين المبتدأ وخبره الثالث وهو اختيار الكسائي ان المقيمين خفض للعطف على ما في قوله بما انزل اليك والمراد بهم الانبياء لانه لم يخل شرع واحد منهم من الصلوة وقال انا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة او الملائكة لقوله وانا لنحن الصافون واعلم ان العلماء ثلثة اقسام العلماء باحكام الله وتكاليفه وشرائعه والعلماء بذات الله وصفاته الواجبة والممتنعة واحوال المبدأ والمعاد والعلماء الجامعون بين العلمين مع العمل بهذا فهم الراسخون في العلم وانهم اكابر العلماء والى الاقسام الثلثة اشار بقوله عم جالس العلماء وخالط الحكماء ورافق الكبراء اللهم اجعلنا من زمرتهم بفضلك يا مستعان ثم انه سبحانه عاد الى الجواب عن سؤال اليهود وهو اقتراح نزول الكتاب جملة فقال انا اوحينا اليك الاية وبدأ بذكر نوح لانه اول من شرع الله على لسانه الاحكام والحلال والحرام ثم قال والنبيين من بعده ثم خص بعض النبيين بالذكر لكونهم افضل من غيرهم ولم يذكر فيهم موسى لان المقصود من تعديد هؤلاء الانبياء انهم كانوا رسلا مع ان واحدا منهم ما اوتي كتابا مثل التوراة دفعة واحدة ثم ختم ذكر الانبياء بقوله واتينا داود زبورا يعني انكم اعترفتم ان الزبور من عند الله ثم انه ما نزل على داود جملة واحدة وهذا الزام حسن قوي والزبور كتاب داود وكل جملة واحدة من قرأ بضم الزاء فعلى انه جمع زبر وهو الكتاب كقعد وقعود ثم قال ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك والمعنى انه تم انما ذكر احوال بعض الانبياء في القران والاكثرون غير مذكورين على سبيل التفصيل وكلم الله موسى تكليما هذا ايضا من تتمة الجواب لمراد انه بعث كل هؤلاء الانبياء والرسل وخص موسى عليه بشرف التكليم معه ولم يلزم منه الطعن في سائر الانبياء فكيف يلزم الطعن بانزال التوراة عليه دفعة وانزال غيرها على غيره منجما رسلا مبشرين ومنذرين يعني ان المقصود من بعثة الانبياء الزام التكاليف بالانذار والتبشير وقد يتوقف هذا المطلوب على انزال الكتب وقد يكون نزول الكتاب منجما مفرقا اقرب الى المصلحة لانه اذا نزل جملة كثرت التكاليف فيثقل القبول كما نقل على قوم موسى فعصوا ثم ختم الاية بقوله وكان الله عزيزا حكيما والمعنى ان عزته تقتضي ان لا يجاب المتعنت الى مطلوبه اما هينا في القدرة وكل حكمته تقتضي هذا الامتناع لانه لو فعل ذلك لاصروا على اللجاج في كل قضية واحتج الاشاعرة بالاية على ان معرفة الله لا تثبت الا بالسمع لقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيكون قبل البعثة لهم حجة في ترك الطاعات والمعارف واجابت المعتزلة بان الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة مع افادة تفصيل امور الدين وبيان احوال التكاليف وتعليم الشرائع المعتزلة قالوا في الاية دلالة على امتناع تكليف ما لا يطاق لان عدم ارسال الرسل اذا كان يصلح عذرا فبان يكون عدم القدرة والمكنة صالحا للعذر اولى والعوض وايضا قالوا الاية تدل على ان العبد قد يحتج على الرب فيبطل قول اهل السنة انه لا اعتراض عليه لاحد واجيب بانه يشبه الحجة وليس حجة في الحقيقة قوله لكن الله يشهد لا بد له من مستدرك لان لكن لا يبتدأ به وفي ذلك المستدرك وجهان احدهما ان هذه الايات باسرها جواب عن قول اليهود لو كان نبيا لنزل عليه الكتاب جملة وهذا الكلام يتضمن ان هذا القران ليس كتابا نازلا عليه من السماء فلا جرم قيل لكن الله يشهد بانه نازل عليه من السماء الثاني انه تعالى لما قال انا اوحينا اليك قال القوم نحن لا نشهد لك بذلك فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله انزال القران بحيث عجز عن معارضته الاولون والاخرون ليشهد لك بالنبوة بواسطة هذا القران الذي انزله عليك ثم فسر ذلك واوضح بقوله انزله بعلمه اي متلبسا بالعلم الخاص الذي لا يعلمه غيره او بسبب علمه الكامل مثل كتبت بالقلم وهذا كما يقال في الرجل المشهور بكمال الفضل اذا صنف كتابا واستقصى في تجويده انما صنف هذا بكمال علمه يعني انه اتخذ جملة علومه الذريعة والوسيلة الى تصنيف ذلك الكتاب وانزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه او انزله بما علم من مصالح العباد فيه او انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من شياطين الجن والانس والملائكة يشهدون لان الايستبقونه بالقول فشهادته تستتبع شهادتهم ومن صدقه رب العالمين وملائكة السموات والارضين لم يلتفت الى تكذيب اخس الناس اياه وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره ان الذين كفروا بمحمد والقران وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالقاء الشبهات كقولهم لو كان رسولا لانزل عليه القران دفعة كما انزلت التوراة على موسى وكقولهم ان شريعة موسى لا تنسخ وان الانبياء لا يكونون الا من اولاد هرون وداود قد ضلوا ضلالا بعيدا لان غاية



الضلال ان نضم معه الاضلال لان ان الذين كفروا وظلموا محمدا بكتمان بعثه وعوامهم بالقاء الشبهات في قلوبهم ومعنى قوله ولا ليهديهم طريقا انهم لا يسلكون الا الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيمة الا طريقها والعامل فيها الذين معنى لا يهديهم اي بعدا منهم او يدخلهم النار خالدين وكان ذلك على الله يسيرا لانه لا صارف عنه ذلك ولا يتعذر عليه مصداقا الالم انه شيئا بعد شيء الى جبر الهما واللام في الذين اما للقوم معهودين علم الله منهم انهم يموتون على الكفر واما للاستغراق فيجب ان يضم بشرط عدم التوبة وحمل المعتزلة قوله وظلموا على اصحاب الكبائر بناء على انه لا امر بين عندهم بين الكافر وصاحب الكبيرة فانه لا يغفر لهما الا بالتوبة انا وبل ارنا الله جهرة لعل ضيره موسى بلن تراني كانه يشوم القوم وما كان في انفسهم من سوء ادب بهذا السؤال لئلا يطمعوا في مطلوب لم يعط نبيهم مما انعطوا بحال نبيهم لانهم كانوا اشقياء والسعيد من وعظ بغيره فكما زاد عنادهم زاد بلاؤهم وابتلاؤهم كرفع الطور فوقهم وغير ذلك قال اهل الاشارة ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات والطيبات التي احلت لا ذاقهم الطيبين قبل التلوث بقذر المخالفات ولا صرف في المباحات يستتبع حرمان المناجاة والقربات لكن الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بقدمي الصدق والعمل في العلم الى ان بلغوا معان العلوم فانقلبت علومهم الكسبية بالعلوم العطائية والله نبه انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده اي كلما اوحينا اليك من سر فاوحى الى عبده ما اوحى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل اي ليلة المعراج ورسلا لم نقصصهم عليك الان في القران مفصلا انزله بعلمه بتجلى بصفة العالمية حتى علم بعلمه ما كان وما سيكون والملائكة يشهدون على تلك الخلوة وان لم يكونوا معه في الخلوة وكفى بالله شهيدا على ما جرى فذكان ما كان سر الا يبوح به فظن خيرا ولا تسئل عن الخبر

يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما

ای گروه مردمان بدرستی که امد شمارا پیغمبر براستی از پروردگار شما پس بگروید که بهتر است از برای شما واگر کافر شوید پس بدرستی که مر خدایراست انچه در اسمانها و زمین است و هست خدا دانا حکیم

يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم

ای اهل کتاب غلو مکنید در دین خود و مگوئید بر خدا مگر راستی را جز این نیست که مسیح عیسی پسر مریم فرستاده خداست و کلمه اوست که افکند او را بسوی مریم و روحیست از قبل او پس بگروید بخدا و رسول او و مگوئید که خدا سه است که باز ایستید از ان بهتر است

انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا

جز این نیست که خدا خدائیست یگانه منزهست او از اینکه بوده باشد مر او را فرزندی مر او راست انچه در اسمانها و انچه در زمین است و بس است بخدا کارگذاری

لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا

سرپیچی هرگز نکند مسیح از اینکه بوده باشد بندهٔ از برای خدا و نه فرشتگان مقرب و هر که سرپیچید از بندگی او و تکبر کند در عبادت پس زود باشد که گرد اورد ایشان را بسوی خود همه

فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا

پس اما انها که گرویدند و کردند کارهای شایسته پس تمام دهد انها را مزدهاشان را و بیفزاید ایشانرا از فضل خود واما انها که سرپیچیدند از عبادت و برتری کردند پس عذاب کند انها را عذابی دردناک و نیابند از برای خود از غیر خدا دوستی و نه یاوری

يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما

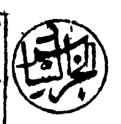
ای گروه مردمان بدرستی که امد شمارا دلیلی از پروردگار شما و فرستادیم بسوی شما نوری تابنده پس اما انهائی که گرویدند بخدا و چنگ زدند باو پس زود باشد که در اورد ایشان را در رحمت خود و زیادتی و راه دهد انها را بسوی خود راهی راست

يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم

فتوی میپرسند از تو بگو که خدا فتوی دهد شمارا در باب کلاله اگر مردی مرد و نباشد مر او را فرزندی و مر او را خواهری باشد پس مر اوراست نصف انچه نهاد و او وارث برد از ان خواهر اگر نباشد مر اورا فرزندی پس اگر بوده باشند خواهران دو تا پس مر انهاراست دو ثلث از انچه نهاده واگر بوده باشند برادران مردان و زنان پس از برای مرد است مانند نصیب دو زن ظاهر سازد خدا از برای شما که گمراه نشوید و خدا بهر چیزی داناست

القراءة فسنحشرهم بالنون المفضل الباقون بالياء الوقوف خيرا لكم والارض حكيما الا الحق وكلمته ثلاثة مع الحال المقصود وروح منه لعطف المختلفين ولكن فالتعقيب يوجب تعجيل الايمان مع تمام البيان ورسله ثلثة خبرا لكم اله واحد ولد لان المنفي مطلق الولد ونعوضا او هم ان المنفي ولد موصوف بان له ما في السموات وما في الارض وكيلا المقربون جميعا من فضله اليما ولا نصيرا مبينا وفضل للعطف مستقيما يستفتونك الكلالة ترك لان ما بعدها مبتدا ولكن الكلام متحد البيان لها ولد لان جملة الشرط يعود الى قوله فلها نصف بينهما عارض ما

ع



ترك الابتداء محكم جامع للصفتين لانتين ان تضلوا واعلم ان التفسير لما بين تناقض طريقة اليهود واجاب عن شبههم عمم الخطاب فقال يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق اى بالقران والقران معجز فيكون حقا او بالدعوة الى عبادة الله لا الاعراض عن غيره وهو الحق الذى يشهد له العقول السليمة فامنوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وكذا فى انتهوا خيرا لكم لانه لما بعثهم على الايمان والانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فالمعنى اقصدوا وائتوا خيرا لكم مما انتم عليه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد فان الايمان لاشك انه احمد عاقبة من الكفر بل العاقبة كلها له وقيل انه منصوب على خبر يكن كان اى يكن الايمان خيرا لكم والاول اصح لئلا يلزم الحذف من غير قرينة وان تكفروا فان لله ما فى السموت والارض عنكم لانه مالك الكل وهو قادر على انزال العذاب لان الكل مخلوقه وتحت امره ولا عبيدا خير عبيد ونعم غيركم وكان الله عليما باحوال العباد حكيما لا يضيع اجر المحسنين لا يهمل جزاء المسيئ ثم لما اجاب عن شبه اليهود خاطب النصارى ومنعهم عن الغلو فى الدين وهو الافراط فى شان المسيح الى ان اعتقدوه الها لا نبيا وحثهم على ان لا يقولوا على الله الا الحق الذى يجوز ان يكون وصفه به وهو تنزيهه عن الحلول فى بدن انسان والاتحاد بروحه واتخاذه لصاحبة وولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته وجد بامره من غير واسطة اب لا نطفة القاها اى الكلمة الى مريم اى وصلها اليه وحصلها فيه وروح منه اى انه ظاهر لطيف بمنزلة الروح كما يقال هذه نعمة من الله بذلك لانه سبب حيوة الارواح او كما لها كما سمى القران روحا فى قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اى رحمة منه كقوله وايدهم بروح منه ولاشك ان وجود النبى رحمة للامة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال انما انا رحمة مهداة وقيل الروح هو الريح يعنى انه بالنفخ من جبريل كان بامر الله تعالى فهو منه والتنكير للتعظيم اى روح من الارواح الشريفة القدسية العالية ومنه اضافته ذلك الروح الى نفسه لاجل التشريف فامنوا بالله ورسله اى امنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه الها ولا تقولوا ثلثة هى خبر مبتدأ محذوف اى الله ثلثة ان كان معتقدهم ان الذات جوهر واحد وانه ثلثة باعتبار ويسمونها الاقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وربما يقولون اقنوم الذات واقنوم العلم واقنوم الحيوة او الالهة ثلثة ان كان فى اعتقادهم انها ذوات قائمة بانفسها الاب والام والابن ولعل القولين مرجعهما الى واحد لانهم اذا جوزوا على الصفات الانتقال والحلول فى عيسى وفى مريم فقد جعلوها مستقلة بانفسها وهذا لزم الكفر والشرك ولا مجرد اثبات الصفات لله تعالى لا يوجب الشرك فالاشاعرة اثبتوا لله تعالى صفات ثمان قدماء انتهوا عن التثليث واقصدوا خيرا لكم انما الله اله واحد لا تركيب فيه بوجه من الوجوه سبحانه ان يكون له ولد اى اسبحه تسبيحا وانزهه تنزيها من ان يكون له ولد فلا يتصل به عيسى اتصال الابناء بالاباء ولكن من حيث انه عبده ورسوله موجود بامره جسدا حيا من غير اب له ما فى السموت وما فى الارض فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح فى المنقسم عقلا او حسا وانه لا ينقسم بجهة من الجهات لا العقلية ولا الحسية وكفى بالله وكيلا واذا كان كافيا فى تدبير المخلوقات وحفظ المحدثات فلا حاجة له الى القول بابناء له الاخر مستقل او مشارك قال الكلبى ان وفد نجران قالوا يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فقال لهم انه ليس بعار لعيسى ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله والتحقيق ان الشبهة التى يعلمها يقولون فى دعوى انه ابن الله هى انه كان يخبر عن المغيبات ويأتى بخوارق العادات كاحياء الاموات فقيل لهم لن يستنكف المسيح بسبب هذا القدر من العلم والقدرة عن عبودية الله تعالى فان الملائكة المقربين على حالا لانهم مطلعون على اللوح المحفوظ وقد حمل العرش مع عظمته ثمانية منهم ثم انهم لم يستنكفوا عن كونهم عبادا لله تعالى فكيف يستنكف المسيح عن ذلك اى يمتنع ويأنف والاستكبار يدل على التنحية والازالة من ذلك نكفت الدمع انكفه اذا نحيته عن خدك باصبعك ونكفت عن الشئ اى عدلت والقائلون بافضلية الملائكة استدلوا بهذه الاية وقد تقدم الاستدلال بها والجواب عنها والبحث عليها فى سورة البقرة فى تفسير قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا اما قوله ولا الملائكة فانه معطوف على المسيح وهو الاظهر وجوز بعضهم عطفه على الضمير فى يكون او فى عبدا بمعنى الوصفية فيكون المعنى ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا الملائكة موصوفين بالعبودية او لا يأنف ان يعبد الله هو والملائكة وفى المعنيين انحراف عن الغرض والاول اولى والمراد بالملائكة كل واحد منهم حتى يكون خبره ايضا عبدا او يكون الخبر عبادا او حذف لدلالة عبدا عليه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه اى يجمعهم يوم القيمة الى حيث لا يملكون لانفسهم شيئا ثم انه تعالى لم يذكر ما فعل بهم بل ذكر او لا ثواب المؤمنين المطيعين فيسئل ان التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد واجاب فى الكشاف بان هذا كقولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به فحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر الثانى كما حذف احدهما فى التفصيل فى قوله فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به وقدم ثواب المؤمنين توطئة كانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يستعلى بالحسرة اذا راى اجور العاملين وسيعاقب مع ذلك بما يصيبهم من العذاب اقول لو جعل الضمير فى قوله فسيحشرهم راجعا الى الناس جميعا لم يحتج الى هذه التكلفات ويحصل الربط بسبب العموم ومثله غير عزيز فى القران كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم عاد الى تعميم الخطاب بقوله يا ايها الناس قد جاءكم برهان الاية فيحتمل ان يراد بالبرهان والنور كليهما القران ويحتمل ان يراد بالبرهان محمد صلى الله عليه وسلم لانه يقيم البرهان على تحقيق الحق وابطال الباطل وبالنور المبين القران لانه سبب لوقوع نور الايمان فى القلب فاما الذين امنوا بالله فى ذاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه واعتصموا به تمسكوا بدينه او التجاؤا الى بركاته بتثبيتهم على الايمان ويصونهم عن نزغ الشيطان فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل قال ابن عباس الرحمة الجنة والفضل ما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ويهديهم اليه اى الى عبادته صراطا مستقيما هو الدين الحنيف والتقدير صراطا مستقيما اليه ويحتمل ان يراد بالرحمة وبالفضل اللذات الحسية لما نسبها بالهداية اللذات الروحانية الدائمة ثم انه سبحانه ختم السورة بنحو ما بدأ فاتحته وهو احكام المواريث فقال يستفتونك



الآية قال أهل العلم إن الله تعالى أنزل في الكلالة آيتين إحداهما في الشتاء وهي التي في أول هذه السورة والأخرى في الصيف وهي هذه ولهذا تسمى آية الصيف عن جابر قال اشتكيت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي سبع أخوات فنفخ في وجهي فأفقت فقلت يا رسول الله أوصي لأخواتي بالثلثين قال أحسن فقلت الشطر قال أحسن ثم خرج وتركني قال ثم دخل فقال يا جابر إني لا أراك ميتا في وجعك هذا وإن الله قد أنزل فبين الذي لأخواتك وجعل لأخواتك الثلثين وقد ذكروا أنه آخر ما نزل من الأحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله فقال إن لي أختا فكم آخذ من ميراثها إن ماتت فنزلت هذه وقد تقدم أن الكلالة اسم يقع على الوارث وهو من عدا الوالد والولد وعلى الموروث وهو الذي لا ولد له ولا والد إن امرؤ هلك ارتفع امرؤ بفعل يفسره هذا الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد اعلم أن ظاهر الآية مطلق ولا بد فيه من تقييدات ثلاثة الأول أن الولد مطلق والمراد به الابن لأنه هو الذي يسقط الأخت أما البنت فلا تسقطها ولكنها تعصبها لما روي عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى في بنت وبنت ابن وأخت بأن للبنت النصف ولبنت الابن السدس والباقي للأخت فعلى هذا فلو خلف بنتا وأختا فللبنت النصف والباقي للأخت بالعصوبة الثاني أن ظاهر الآية يقتضي أنه إذا لم يكن للميت ولد فإن للأخت تأخذ النصف وليس كذلك على الإطلاق بل الشرط أن لا يكون للميت ولد ولا والد لأن الأخت لا ترث مع الوالد بالإجماع الثالث قوله وله أخت المراد الأخت من الأب والأم أو من الأب لأن الأخت من الأم والأخ من الأم ذكر حكمهما في أول السورة بالإجماع ثم قال وهو يرثها أي وأخوها يرثها ويستغرق مالها إن قدر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها إن لم يكن لها ولد أي ابن كما قلنا لأن الابن يسقط الأخ دون البنت وأيضا إن هذا في الأخ من الأبوين أو من الأب فأما الأخ من الأم فإنه لا يستغرق الميراث وأيضا المراد إن لم يكن لها ولد ولا والد لأن الأب أيضا مسقط للأخ لقوله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى عصبة ذكر والأب أولى من الأخ ثم قال فإن كانتا اثنتين يعني من يرث بالأخوة اثنتين فأنث وثنى باعتبار الخبر كقولهم من كانت أمك وكذا الكلام في قوله وإن كانوا إخوة وأراد بالإخوة والأخوات لكنه غلب جانب الذكورة وروي أن الصديق قال في خطبته ألا إن الآية التي أنزلها الله في سورة النساء في الفرائض أولاها في الولد والوالد وثانيتها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم والتي ختم بها السورة في الإخوة والأخوات من الأب والأم والتي ختم بها الأنفال في أولي الأرحام يبين الله لكم أن تضلوا قال البصريون المضاف محذوف وفيه أي كراهة أن تضلوا وقال الكوفيون لئلا تضلوا وقال الجرجاني صاحب النظم يبين لكم الضلالة لتعلموا أنها ضلالة فتجتنبوها والله بكل شيء عليم فيكون بيانه حقا وتعريفه صدقا ختم السورة ببيان كمال العلم كما أنه ابتدأها بكمال القدرة فيهما تتم الإلهية وتحصل الترغيب والترهيب للعاصي والمطيع والله المستغني الثاني بل إن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض يعني إن تؤمنوا يكن لكم ما له وإن تكفروا فالكل له لا تغلوا في دينكم لا تميلوا إلى طرفي التفريط والإفراط فاليهود فرطوا في شأنه فلم يؤمنوا بنبوته وهموا بقتله والنصارى أفرطوا في حبه فجعلوه ابن الله وكل كذلك لله سبحانه يشعر وقوم بترك احترامه وطلب أدبيته وقوم بالزيادة في إعظامه حتى يتصف منه ما ليس يرضى به كالخوارج والغلاة من الشيعة وهذا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وروح منه لأنه يكون بأمر كن من غير واسطة أب كما أن الروح يكون كذلك قل الروح من أمر ربي ولغلبة جانب الروحانية عليه كان يحيي الأجساد الميتة إذ ينفخ فيها وهذا الاستعداد الروحاني الذي هو من كلمة الله مركوز في جبلة الإنسان في خلق جوهرها وخاصته من معه يشيرهم في الناس فيكون عيسى وقته فيحيي الله به بأنفاسه القلوب الميتة ويفتح به آذانا صما وعيونا عميا ويكون في قومه كالنبي في أمته ولا تقولوا ثلاثة يعني نفوسكم والرسول والله بل انتهوا إلى نظر الوحدة عن رؤية الثلاثة فينكشف لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد إذ ليس له الوجود الحقيقي القائم أولا وآخرا وظاهرا وباطنا كل شيء هالك إلا وجهه وكفى بالله وكيلا لكل هالك لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله لأن العبدية هي حقيقة الإمكان الذاتي الإيجابه له ولهذا نطق في المهد بقوله إني عبد الله ولا الملائكة المقربون إنما ذكرهم لأن بعض الكفار كانوا يقولون الملائكة بنات الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله قد جاءكم برهان جعل نفس النبي برهانا لأنه برهان بالكلية وبرهان غيره كان في أشياء غير أنفسهم مثل ما كان برهان موسى في عصاه فمن ذلك برهان بصره ما زاغ البصر وما طغى ومنه برهان نفسه إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومنه برهان لسانه وما ينطق عن الهوى وبرهان يده فإنه يضع في العجين في البرمة فأكلوا من ذلك وهم ألف حتى تركوه والبرمة تفور كما هي والعجين يخبز وبرهان نقله يتفل في عين علي كرم الله وجهه وهي رمدة فبرأ بإذن الله وذلك يوم خيبر وبرهان يده وما رميت إذ رميت وسبح الحصى في يده وبرهان أصبعه أشار بها إلى القمر فانشق فلقتين وقد جرى الماء من بين أصابعه حتى شرب ورفع منه خلق كثير وبرهان صدره كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل ألم نشرح لك صدرك وبرهان قلبه تنام عيناي ولا ينام قلبي نزل به الروح الأمين على قلبك وبرهان كله سبحان الذي أسرى بعبده اللهم ارزقنا الاقتباس من هذا البرهان والاقتباس من أنوار القرآن إنك أنت الرؤوف المنان

قد تم المجلد الأول المشتمل على ثمن الربع الثاني من التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان

الحمد لله على إتمامه والصلاة على محمد وآله كتب المصنف في نسخته علقه أفقر الورى الحسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام النيسابوري ببلاد الهند في دار مملكتها المدعو دولت آباد في أوائل صفر سنة ثلاثين وسبعمائة